التربية العسكرية وأثرها في الشعب

بقلم حضرة صاحب المعالى عبد الرحمن بك عزام

وزير الاوقاف ورئيس القوات المرابطة

لا بد من اعداد الأمة اعداداً يناسب العصر الحاضر ويتمشى مع التطور الحديث ، اعداداً يقوى روحها المعنوية ، ويعودها النظام ، ويبث فى نفوس أبنائها الشجاعة والاقدام ويغرس فيهم حب التعاون ، ويحبب اليهم التضحية

الجيوش اليوم هى طلائع الأمم . والأمة هى الجيش ، والجيش هو الأمة . وقد مضى الزمن الذى كانت فيه الجيوش جزءاً منفصلا من الشعب ، وطائفة منعزلة عنه ، لها مبادئها وأنظمتها المعينة ، وحياتها الخاصة التى لا تعرفها الطوائف الاخرى ، ولا تستطيع أن تقوم بها اذا احتاج الجيش وقت الشدة الى معونة أفراد الأمة المدربين لحماية الوطن والذود عن كرامته ، والدفاع عن حقوقه

فقد كانت الحياة العسكرية وما زالت فى الشرق تفرض على طائفة معينة من الشعب ، ويختار لها أفراد معينون ، فكانت بمثابة حرفة لا يتقنها إلا ذووها ، ولا يستطيع ممارستها إلا أقلية من الأمة يباح لها حمل السلاح ، وارتداء الملابس العسكرية ، والتدريب على أنظمة الجيش ، وكان من مهمة الجيش الى جانب الدفاع عن البلاد إخضاع الأمة للحكومة ، ولذلك كان أفراد الشعب ينظرون الى خدمة الجيش على أنها تكاليف ثقيل ، وينظرون الى الحكومة كما ينظر الطير للصائد لا الجيش للقائد

وكان الجيش وحده ، أو هذه الطائفة المجندة وحدها هى التى تتحمل عبء النضال والغزو والفتوحات . وقد تقطع القفار ، وتجتاز الاقطار الشاسعة غازية فاتحة حتى تبعد عن مقرها ، وينقطع ما بينها و بين وطنها ، وقد تقوم الفتن فى هذا الوطن ، ولا تملك الحكومة أن تطفىء جذوتها ، وتعيد الأمن الى نصابه ، بل قد يغزوها غاز آخر فى غيبة الجيش ، والتاريخ كله أمثلة

من أن الجيش شىء والأمة شىء آخر ، فكنجيز خان وتيمو رلنك وغيرهما من القواد الحربيين والملوك الفاتحين هاجروا بجيوشهم غازين منتصرين ، ثم ما لبثوا أن أضاعوا أوطانهم الاصلية ثم أضاعوا ما فتحوا من بلدان

وقد كان عامة المصريين ينظرون الى الجيش على انه تكليف اجبارى شاق ، وسخرة لا يضطر للخضوع لها إلا العاجزون عن دفع « البدل » . وهذا ناشىء ـ كما قلت ـ من ان الجيوش كانت معتبرة طوائف منفصلة عن الشعب لا يربطها به إلا رابطة الجنس ، أما أنظمتها وتعاليمها ، أما مبادئها وأغراضها السامية ، أما حياتها النشيطة المنظمة ، فانها أمور خاصة بهـا لا يعرفها باقى أفراد الشعب ، ولا خبرة لهم بها ، فكانت هناك هوة سحيقة بين الأمة و بين جيشها ، هى تنظر اليه تارة على انه حاميها ، ثم تنظر اليه تارة أخرى على أنه أداة إخضاعها لما يريد الحاكمون ، أما أنه الطليعة التى ترسلها على أعدائها فى وقت الحرب مدافعة أو مهاجمة ، والممثل لروح الشعب القوية ، وحياتها المنظمة فى وقت السلم ، والمقدمة لجيش عظيم العدد ، قوى العدة ، ينتظم الطوائف كلها صغاراً وكباراً ، رجالا ونساء ، أفراداً وجماعات ، فان ذلك لم يعرف إلا فى هذا العصر الحديث

وقد أصبحت الحياة العسكرية تعتمد على عدد كبير من الفنون والصناعات ، وأصبحت الحرب اليوم حرباً صناعية فنية ، كما هى حرب فروسية وبطولة رياضية ، وصارت أكبر الامم استعداداً ، وأشيعها تدريباً على النظم العسكرية ، هى أقواها فى الميدان الدولى ، وأعظمها شأناً ومهابة

لذلك كان لا بد من إعداد الأمة إعداداً يناسب العصر الحاضر ، ويتمشى مع التطور الحديث ، إعداداً يقوى روحها المعنوية . ويعودها النظام ، ويبث فى نفوس أبنائها الشجاعة والاقدام ، ويغرس فيهم حب التعاون ، ويحبب اليهم التضحية فى سبيل الحرية والكرامة

ولا سبيل الى ذلك إلا تدريب الشعب تدريباً عسكرياً يسايره فى حالتى السلم والحرب ، وينتشر بين جميع أفراده ، ويتفق وحياته الاجتماعية والاقتصادية والدينية ويجعل من الأمة كلها جيشاً واحداً مدرباً على أحدث الأنظمة العسكرية ، متخلقاً بأحسن الفضائل ، محباً لأهله ووطنه

وأعتقد ان طريقة الجيش المرابط التى نتبعها فى مصر هى أقرب الطرق الى تحقيق هـذه

الغاية ، وأيسرها عبئاً ، وأقلها نفقة ، وسيكون لانتشار تعاليمه بين المصريين شأن كبير فى تقوية الروح المعنوية ، وتوجيه الأمة توجيهاً جديداً يهيئها لمستقبل صالح مجيد

وهذه الطريقة مع يسرها وقلة نفقاتها تخرج لنا فى وقت قصير عدداً كبيراً من المدربين الذين يعتمد عليهم خلف الجبهة ، فنحن ننشىء المعسكرات ـ أو الخلايا كما أوثر هذا التعبير ـ وكل « خلية » تحوى ٢٥٠ جندياً بحالة دائمة ، فيتخرج منها فى مدى خمس سنوات وهى المدة المقررة لخدمة الجيش العامل خمسة آلاف مدرب

فلو فرضنا انه كان فى كل مركز من مراكز القطر « خلية » وكان عدد الخلايا مائة ، فانه يصبح عندنا من جنود الجيش المرابط خمسمائة الف مدرب تدريباً عسكرياً ، بينما مقابل هذا العدد من الجنود المدربين على النظام الحالى فى الجيش المصرى ٢٥ الف جندى ، ينفق عليهم نفس النفقات التى تنفق على هذا العدد الضخم

ولو فرضنا ان لدينا مائتى خلية فى أنحاء القطر ، استطاع الجيش المرابط أن يخرج بعد خمس سنوات مليون جندى ، بينما يكون الجيش العامل قد درب خمسين ألفاً بنفس النفقات التى استنفدها هذا المليون

وليس معنى ذلك ان كفاءة الجندى فى الجيش المرابط تماثل كفاءة الجندى فى الجيش العامل ، لأن جنود الجيش الأول يتلقون تدريباتهم فى أوقات معينة ، ثم يعودون الى أعمالهم ووظائفهم الخاصة ، أما جنود الجيش فان حياتهم العسكرية ، هى حياتهم اليومية المستمرة ، وهى وظيفتهم الدائمة طول سنوات الخدمة

على أن إعادة التدريب المقرر لفرق الجيش المرابط كل سنة ، وحضور المناورات السنوية ، والاشتراك فى الحفلات العسكرية ـ كل ذلك يضمن لنا إخراج عدد صالح من الجنود المشاة يؤدون جميع الواجبات المطلوبة من أمثالهم فى الجيش العامل ، ويستطيعون أن يقوموا بما يفرض عليهم خلف الجبهة

فوجود تلك الخلايا منتشرة فى القطر كله ـ يدرب جنودها على مرأى من الأهالى ، ويؤدون واجباتهم بهمة ونشاط ، ويجوبون المناطق فى نظام عسكرى أنيق ـ من شأنه أن يبث الروح العسكرية بين أفراد الشعب ، ويحبب اليهم هذه الحياة النشيطة المنظمة ، فيقبلوا عليها ويهرعوا لتشجيعها ونشرها بينهم ، فتصبح الأمة هى الجيش ، والجيش هو الأمة ،

وسرعان ما تشيع الاخلاق العسكرية فى نفوس الأفراد ، ويتعودون النظام وينظر الجميع الى خدمة الجيش على انها خدمةوطنية سامية

وبذلك تداوى نواحى الضعف فى الأمة ـ تلك النواحى التى ظلت تئن منها أجيالا طويلة ، وكانت سببا فى هزائم مصر فى الألفين سنة الأخيرة . ويمكن إذن أن يقال ان الفكرة الحديثة ، وهى ان الجيش هو الأمة ، قد تحققت فى مصر ، وان مصر الحديثة تستطيع أن تحمل رسالتها الجديدة بثقة واطمئنان

والحياة العسكرية ، علاوة على انها تهيىء الامة لمستقبل مجيد ، وتداوى نواحى ضعفها تجعل من شباب الامة على مر السنين شباباً قوى البدن رياضياً ، محباً للتعاون وهى الصفة التى أعتقد ان الشرق يفتقر اليها في نهضته الجديدة

وأحب أن أشير هنا الى الناحية الثقافية والاجتماعية والدينية التى نتبعها في الجيش المرابط فقد أردنا ألا تقتصر هذه الحياة على النظم العسكرية مع ما فيها من أخلاق سامية ، بل اخترنا أن تكون حياة المرابطين حياة ثقافية اجتماعية عسكرية . وقد نختلف فى برنامج هذه الحياة عن برنامج الجيوش المرابطة فى الأمم الأوربية ، لأن حياتنا غير حياتهم ، وحاجتنا الى الاصلاح غير حاجتهم ، فنحن لم نأخذ عنهم برامجهم كما هى ، ونقلدهم تقليداً حرفياً سواء أكانت أنظمتهم متمشية مع حياة الشعب المصرى ، أم غير متمشية ، بل وضعنا برنامجاً خاصاً بنا يناسب حاجة الشعب الى وجوه الاصلاح ، ويعالج نواحى ضعفه العسكرى والثقافى والاجتماعى والدينى . ونحن نستمد من مصالح الحكومة ووزاراتها ما نحتاج اليه فى هذا الغرض ، فمن وزارة الدفاع نأخذ الضباط والادوات العسكرية ، ومن وزارة المعارف ووزارة الزراعة نأخذ الافلام التعليمية . وكذلك نستمد المعونة من الازهر الشريف ووزارة الشئون الاجتماعية

وهذا هو السبب فى انالجيش المرابط لم يكن تابعاً لوزارة الدفاع ، ولاتابعاً لوزارة الشئون الاجتماعية ، ولا لغيرهما من الوزارات الاخرى ، إذ أن رسالته شعبية عامة تتناول نواحى الاصلاح الشعبى من جميع وجوهه ، وتعاون رسل الاصلاح فى العمل لرقى الشعب ، وتقدم البلاد

عبد الرحمن عزام

لو انتصرت المانيا الحرب العالمية

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

اذا انتصر النازيون وحققوا أغراضهم وسادوا العالم ، وساسوه بمبادئهم وأساليب حكمهم ، فماذا يحدث فى العالم غير الفتنة والخراب والتقلقل الدائم الذى لا يعرف القرار

انتصار المانيا فى حرب عالمية معناه انتصار أغراضها السياسية والاقتصادية ، ومعناه انتصار مبادئها الفكرية والخلقية ، وكلا الأمرين وبال على العالم بأسره وعلى الشعب الالمانى نفسه فى طليعة شعوبه

ومن الواجب أن ننفى عن أذهاننا كل النفى تلك الاغراض التى يتحدث بها زعماء المانيا علانية حين يذكرون دانزيج أو الأقليات أو المستعمرات أو معاهدة فرساى أو ما يسمونه منادح العيش Lebensraum فانها كلها تعلات ظاهرة تسترما وراءها ولا تكاد تستره عند أقل تمحيص وتدبر فى حقيقة تلك الاغراض

فدانزيج ليست غرضا تبذل له الامم ما يبذل النازيون من الاموال والمتاعب أو تثير من أجله ما يثيره النازيون من المشاكل والمصائب ، لان بروسيا الشرقية التى لا تزيد عدتها على مليونين ونصف مليون تستغنى عن دانزيج تمام الاستغناء بميناء ميمل وميناء كونيجز برج ، وسيطرة الالمان على حكومة دانزيج كافية جد الكفاية لصيانة المصالح الالمانية فى المدينة ان لم نقل انها كانت — كما هو الواقع — كافيـة لتعطيل المصالح الأخرى واضطهاد البولونيين فى جميع ميادين الحياة العامة والخاصـة ، وقد ضمنت المادتان التاسعة والثمانون والثالثة والتسعون من معاهدة الصلح حرية المرور فى الأراضى البولونية من دانزيج واليها . ولم يحدث قط ان خولفت هاتان المادتان باعتراف الحكومة النازية نفسها ، وكفى دليلا على ذلك أن عدد المسافرين فى

السنة الماضية قد بلغ فى تلك الجهة مليونا وربع مليون ، وزادت أطنان البضائع على أربعة ملايين ونصف مليون

أما الاقليات فالشكوى « الموسمية » من ظلمها والاساءة اليها تكشف عن حقيقة النية المستورة حول هذه الدعاوى التى لا تثار الا فى حين الحاجة اليها . فالاضطهاد فى النمسا حين يكون الغرض العدوان على النمسا ! وفى أرض السوديت حين يكون الغرض العدوان على أرض السوديت وعلى جمهورية التشك والسلوفاك بأسرها ! وفى بولونيا عند الفرصة المناسبة لا قبل ذلك حين كانت السنة تمضى وراء السنة دون أن يسمع العالم خبراً واحداً عن اضطهاد المانى واحد فى جميع البلدان البولونية ! وكل ما قيل عن الاقليات لا يفسر الطمع فى البلاد التى لا يسكنها المانيون ولا السكوت عن حالة الطوائف الاجنبية التى تعانى غصص الذل فى حكم النازيين

أما المستعمرات فهى انما تراد للتجارة أو لتصريف الزائد من السكان أو للحصول على المواد الخامة ، وقد ثبت ان تجارة الالمان فى مستعمراتهم القديمة لم تكن بالشىء الذى يذكر أو يستحق ما ينفق من الثروات الضخام على التسليح والتجنيد . وقد كانت هذه المستعمرات لا تأوى قبل الحرب أكثر من عشرين الف المانى يعيش مثلهم فى مدينة باريس وحدها ويعيش مئات أضعافهم فى أمريكا الجنوبية دون أن يحتاج النازيون الى استعمارها والسيطرة عليها . ودلت الاحصاءات فى السنوات الاخيرة على أن الالمانيين هم الكثرة الغالبة فى بعض هذه المستعمرات . فالسكان البيض فى الكمرون مثلا يبلغون مائتين وثمانين ، منهم مائة وستة وسبعون المانياً وستون بريطانياً وأربعة وأربعون من أجناس متفرقة معظمهم مبشرون ومرسلون . فالتجارة كلها فى أيدى الألمان لان البريطانيين هناك موظفون حكوميون . وقد أحصيت الصادرات فى سنة ١٩٣٧ فاذا هى تساوى ٥٢٦٫٥٥٤ منها ٤١٩٫٩٤٦ فى أيدى الالمانيين ، ولم يزد ما صدر الى بريطانيا العظمى نفسها عن ثلاثة وثلاثين الف وسبعمائة جنيه

فاذا طالب النازيون بمستعمرات المانيا القديمة فهم لا يطلبونها للتجارة ولا لتصريف السكان ولا لجلب المواد الخامة ولكنهم يطلبونها لتهديد الطرق البحرية والبرية التى تتوقف عليها مصالح الشرق والغرب وسلامة الامم الصغيرة على هذه الطرق الكثيرة

أما معاهدة فرساى فلم يبق فيها ما يستدعى التعديل لمصلحة الألمانيين ، بل لعل تعديلها لأن أضر بالمانيا منه بخصومها ، لأنها خرجت بعد معاهدة فرساى دولة واحدة وكانت أمارات

متفرقة ، وكسبت أرضاً فى أوربا لم تكن لها قبل الحرب العظمى

ويخيل الى من يسمع الكلام عن منادح العيش ان المانيا تختنق بالسكان مع أنها دائبة على الشكوى من قلة الايدى العاملة كما تدأب على تشجيع النسل بالوسائل المشروعة وغير المشروعة ، ولم يقل أحد ـ على فرض صحة الدعوى النازية ـ أن خنق الشعوب المجاورة غرض سائغ مفروض على تلك الشعوب للتنفيس المزعوم عن دولة الريخ

***

فأغراض المانيا الظاهرة من بدايتها الى نهايتها ان هى الا تعلات ملفقة لاخفاء الغرض الحقيقى الذى كانوا يجهرون به منذ أوائل القرن الحاضر قبل الحرب العظمى وقبل معاهدة فرساى وقبل جميع هذه المشكلات التى يتعسفون فى خلقها ولا يحسنون ستر ما وراءها

الغرض الحقيقى هو السيطرة العالمية كما يبدو ذلك بغير خفاء فى كتابات تريتشكي وبرنهاردى وأدباء العصبة الجرمانية قبل ثلاثين سنة . وقد كان برنهاردى ينادى فى كتابه « المانيا والحرب المقبلة » بالسيطرة العالمية أو السقوط ، ويعقد لذلك فصلا خاصاً لا لبس فيه ولا مداراة ، وكان رجال العصبة الجرمانية وصحيفتهم دى بوست ينادون بوجهة برلين و بغداد قبل مقتل الارشيدوق النمسوى وقبل أن تسمع الدنيا بحرب عظمى أو بمعاهدات صلح جائرة أو عادلة

هذا هو غرض النازيين وهو سيادة العالم

أما مبادئهم فهى تمييز « العنصر الآرى » على جميع العناصر الأوربية فضلا عن العناصر الشرقية والافريقية ، ويذهبون فى ذلك الى حد نحسبه من السخف والمجانة لولا أنهم يجدون فيه ولا يهزلون ، فيقول هرمان جوش Herman Gauch وهو يبحث الأسس الجديدة للدراسات القومية إن الأقوام « غير الآرية » هى أنصاف أناسى وليست بأناسى كاملة ، وإنها من أجل ذلك أقرب فى تكوينها الى الحيوان كأنما هى الحلقة الفاصلة بين الآريين والعجماوات ، ويسأل : لماذا إذن تتناسل هذه الأقوام مع الآريين ولا تتناسل مع القرود ؟ ثم يسرع فيجيب جاداً انه لم تحدث تجربة قط تنفى احتمال التناسل بين القرود وغير الآريين !

فهؤلاء الآريون المزعومون هم أصحاب السيادة السرمدية على جميع الأقوام والاجناس : يخضعونها أو يسومونها العسف والمحو اذا تمردت ونفرت من الخضوع

فاذا انتصر النازيون وحققوا أغراضهم وسادوا العالم وساسوه بمبادئهم وأساليب حكمهم

فماذا يحدث فى العالم غير الفتنة والخراب والتقلقل الدائم الذى لا يعرف القرار ؟

انهم لا يعملون على تقريب الشعوب والمشاركة بينهم و بينها فى الحقوق الأدبية والسياسية لأن هذا يناقض فلسفة الآرية والاعتزاز بالسيادة الفطرية التى تفردوا بها بين الأقوام قاطبة

فهل يستطيعون حكم العالم واخضاعه عنوة وقسرا حتى يثوب الى القرار ولو على الهوان ؟ ؟

هذا مستحيل . لأنهم لا يملكون القوة الكافية لترويض جميع الشعوب المحكومة واضطرارها الى التزام السكينة وانتظام المعيشة ، ويساعد الشعوب المحكومة على الفتنة والانتقاض إغراء الدول الأخرى التى تخرج من الحرب وليست هى بمحكومة ولا حاكمة ولكنها قادرة على الاغراء والتحريض والمشاغبة من حين الى حين

ومن النتائج المحققة لانتصار النازيين أن المانيا نفسها لن تستقر ولن تهتدى الى النظام الذى يوافقها وتعالج به مشكلاتها الجديدة فى الاجتماع والاخلاق

فالنازية لا تدوم فى شعب قد احتمل الشظف والضنك وطالت أحلامه بالسعادة والمتعة وحق له أن يتطلع الى حياة غير حياة الصرامة والخنوع

والديمقراطية مستحيلة فى دولة تواجه الضرورة العسكرية المحتومة وهى ضرورة لا مناص منها لاخضاع الشعوب الجامحة ومقاومة الدول المنافسة والانتقال من معيشة الى معيشة ومن أخلاق الى أخلاق ومن شريعة الى شريعة . فبقاء الطغيان العسكرى وقيام الديمقراطية نقيضان . وعلاج الموقف بعد الأنتصار بغير الطغيان العسكرى مستحيل ، ومثله فى الاستحالة أن يثابر الشعب الألمانى على حالة لم يكن يحتملها الا فى انتظار الوعود والآمال وهو متشوف متلهف الى تبدل الاحوال . ومتى فشلت النازية وفشلت الديمقراطية فماذا غير الفوضى الداخلية والخارجية ؟ وماذا غير التخبط فى حرب عالمية بعد حرب عالمية ؟

الحق ان مصلحة النازيين ومصلحة العالم لا تتفقان ، وأن انتصار النازيين عاقبة لا تسر أحداً ولا تجلب الطمأنينة الى أحد . وعلى نقيض ذلك مصلحة الديمقراطيين فهى مصلحة العالم بأسره ، وانتصار الديمقراطيين فهو باب الطمأنينة والأمان ، ومن أجل ذلك كان حقاً واجب التأييد على جميع بنى الانسان . ولو صدق النازيون فيما ينتحلون من الحقوق وما ينشرون من الدعوات ، فكيف وهم كاذبون ملفقون ، وكيف وهم لا ينفعون أنفسهم ولا أمتهم ولا أمم العالم يوم ينتصرون ؟

عباس محمود العقاد

فرنسا فى آخر السلم وأول الحرب

بقلم الدكتور طه حسين بك

استاذ الادب العربى بجامعة فؤاد الاول

فرنسا التى عرفتها طوال الحرب الماضية هى التى عرفتها فى أول هذه الحرب الحاضرة ، أمة باسلة تعرف كيف تلقى الخطب باسمة ، وكيف تحتمل أثقاله جلدة ، وكيف تخرج منه ظافرة

قال لى أحد الاصدقاء حين أزمعت السفر الى فرنسا فى أول الصيف ، ألست ترى ان عبور البحر الى أوربا فى هذا العام ضرب من المغامرة مع هذه النذر الكثيرة المختلفة التى يتبع بعضها بعضا ، والتى تنبىء كلها بان الصيف لن ينتهى حتى تعلن الحرب . قلت فان هذه النذر الكثيرة المختلفة قد طال عهدنا بها وبما تحمل الينا من الانباء ، فقد كدنا نقطع بان الحرب واقعة حين ضمت النمسا الى ألمانيا ، وكدنا نقطع بأنها واقعة حين كانت أزمة سبتمبر من العام الماضى ، ثم كدنا نقطع بأنها واقعة حين نقض هتلر عهده وألغى الوجود السياسى لتشكوسلوفاكيا ، ثم لم تقع الحرب ولم تشب نارها ، وأكبر الظن ان الامور ستجرى على هذا النحو ، وان الحضارة أحب الى الانسانية وآثر عندها من أن تعرضها الانسانية لهذه الاخطار التى لا حد لها . ومن يدرى ، لعل الانسانية ان تكون قد بلغت من الرقى طورا يتيح لها أن تستغنى بنذر الحرب عن الحرب نفسها ، وأن تكتفى بتوقع الشر والتخويف به عن الشر نفسه ، ومهما يكن من شىء فان نذر الحرب لن تمنعنى من السفر سواء أصدقت أم كذبت

وقد ضحك صديقى ضحكا فيه شىء من الانكار بما سماه تهورا ، وأعاد على رأى ارسطاطاليس فى ان الشجاعة وسط بين الجبن والتهور ، وانتهى حديثنا الى لون من الفلسفة الخلقية ، يلذ المتحدثين ساعة من نهار دون ان يغير من آرائهم أو سيرتهم فى الحياة شيئا

وبلغت باريس فوجدت الناس يتحدثون فيها عن الحرب والسلم حديث من يشفق من الحرب دون أن ينتظر وقوعها ، ومن يحرص على السلم دون أن يخشى انقطاعها . كلهم ساخط على ألمانيا لما نقضت من عهود ، وما أخلفت من وعود ، وما أهدرت من حرية ، وما ألغت من قيمة ما تعود الناس أن يقدروه من مقومات الحضارة الانسانية . وكلهم يرى ان هذا الشر العظيم الذى انتشر فى قسم ضخم من أوربا ، وأخذ يرسل آثاره المنكرة الى أقطار الارض كلها ، لن يتقى الا بالحرب التى تسحق الشر سحقا ، وتمحق الطغيان محقا ،

وكلهم يقدر مع ذلك ان هذه الحرب التى لا بد منها لن تثار لان ضرها أعظم من نفعها ، ولانها ان شبت فلن تصيب الظالمين وحدهم بآثارها المنكرة ، ولكنها ستصيب غيرهم بمثل هذه الآثار ، وستعرض الحضارة فى أرض الغالبين والمغلوبين لخطر ليس الى تقديره من سبيل

وكلهم يظن ان طغيان ألمانيا منته آخر الامر الى الانهيار ، تقضى بذلك طبيعة الحياة الاوربية نفسها ، وطبيعة الحياة الالمانية أيضا • فطغيان فرد من الافراد ، أو جماعة من الجماعات على شعب متحضر ممتاز فى الحضارة فى هذا العصر الذى ألغيت فيه مسافات الزمان والمكان ، ظاهرة عارضة لا يمكن أن تدوم لانها تناقض طبيعة الاشياء ، ولن يستطيع شعب كالشعب الالمانى أن يذعن دهرا طويلا لحياة الظلم والقهر وفقدان الحرية واهدار الكرامة الفردية والاجتماعية ، وانما هى محنة موقوتة لا بد من أن تزول ، وطبيعة الحياة الالمانية نفسها تفرض ذلك وتحتمه ، لان ظروف الاقتصاد أشد تحكما فى حياة الافراد والجماعات من ظروف السياسة ، ولن يستطيع الشعب الالمانى أن يصبر على الجوع والبؤس والحرمان الى آخر الدهر ، فالخير اذن أن تطاول الديمقراطيات وتستأنى ، فسيكفى العالم شر هذا الطغيان دون أن تراق الدماء وتتعرض الحضارة للفناء

وكان بين الفرنسيين مع ذلك متشائمون يقدرون هذا كله حق قدره ، ولكنهم يرون أن أمور الشعب الالمانى قد اجتمعت كلها الى شخص واحد ، وان هذا الشخص انسان يجوز عليه الخطأ والصواب ، ويجوز عليه المرض والصحة ، ويجوز عليه العقل والجنون ، ويجوز ان يكون مصلحا خيرا ، ويجوز أن يكون مفسدا شريرا • فمن يدرى لعل المسالك ان تضيق عليه ، فلا يجد منها مخرجا الا باثارة الحرب وفرض الكارثة على الانسانية فرضا • أولئك كانوا يتوقعون الحرب وينتظرون الشر ، ويدعون الى الاحتياط ، منهم من كان يتصل بالسياسة العليا فلا يكاد يتحدث الى الناس باشفاقه أو تشاؤمه ، وانما يظهر للناس تفاؤلا فيه شىء من الحذر ، فاذا خلا الى أصحاب السلطان أظهر ذات نفسه فى وضوح وجلاء • ومنهم من اتخذ التشاؤم رأيا فى السياسة ، يعرضه فى وضوح ، ويدافع عنه فى قوة ، يعرضه فى أحاديثه وخطبه ومقالاته • وكانت الكثرة من اوساط الناس تنكر هذا التشاؤم انكارا شديدا وتضيق بالمتشائمين وترى انهم سيجلبون الحرب على أوربا لكثرة ما يذكرونها ويخوضون فى أحاديثها ، لان الالحاح فى ذكر الحرب دعوة للحرب ، والاعراض عن ذكر الحرب رد لها وحماية منها • وكان الناس اذا اجتمعوا فخاضوا فى شئون السياسة ـ وقلما كانوا يجتمعون دون ان يخوضوا فى حديث السياسة ـ أخذوا فى نقد هتلر وأمثاله من الطغاة ، واشتدوا فى هذا النقد ، حتى اذا ذكرت الحرب ضاقوا بذكرها أشد الضيق ، وطلبوا الى ذاكرها أن يعرض عنه والا يجر الشر على الناس بهذا الحديث المشئوم • وقد أحسست ان كثرة المفكرين الذين لقيتهم فى باريس كانوا من المتشائمين ، ومنهم من لم يكن يتحرج من تعيين الوقت الذى ستقع فيه الكارثة فى النصف الثانى من شهر أغسطس •

أكان ذلك عن علم بحقائق الاشياء ، أم كان ذلك عن دقة فى تقدير الظروف ، لا أدرى . ولكن لقيت من هؤلاء المفكرين من كان يحتاط وينصح بالاحتياط لخاصته والمقربين اليه . وكنت أنا من المتفائلين الذين يكرهون الحرب أشد الكره ، ويخيل اليهم أن كرههم للحرب يكفى لاتقائها . وكنت أسمع حديث المتشائمين ، فلا أكاد أصغى اليه حتى أعرض عنه ، وأصرف نفسى عن التفكير فيه ، فضلا عن الاطمئنان اليه

ثم ذهبت الى سويسرا ولقيت فى لجنة التعاون الفكرى جماعة من المفكرين الاوربين الذين كانوا يمثلون أوربا كلها الا البلاد الخاضعة لنظام الدكتاتورية . فكانت القلة من هؤلاء المفكرين متفائلة تفاؤلا معتدلا ، وكانت الكثرة متشائمة تكاد تقطع بان الكارثة واقعة لا شك فيها . واذكر ان الشاعر الفرنسى المعروف « بول فاليرى » وقف ذات يوم يتحدث فى بعض الامر ، فقال فى أثناء حديثه ، لنفرض اننا اجتمعنا سنة ١٩٤٠ ان أتيح للعالم أن يشهد سنة ١٩٤٠ . وقد سمعنا لهذه الجملة التى يملؤها التشاؤم المظلم ، فلم ينكرها أحد منا ، وانما ابتسمنا لها ابتساما ان صور شيئا فانما يصور مشاركتنا للشاعر العظيم فى اشفاقه على الحضارة وتوقعه للكارثة . وكان اليوم الاخير من أيام التعاون الفكرى مصدر حزن شديد واشفاق عظيم ، فقد تناقشنا لحظة فيما اتخذ لحماية المحفوظات الخاصة بالتعاون الفكرى من غارات الالمان الممكنة على باريس ، وغلا بعضنا فطلب أن تنقل هذه المحفوظات الى جنيف ، ولكن المسيو ادوار هريو رد الى الاعضاء الطمأنينة على هذه المحفوظات حين أنبأهم بان طرق الوقاية فى باريس متقنة كل الاتقان ، وبأنه كفيل بحماية هذه المحفوظات فى انفاق مجلس النواب

ومهما يكن من شىء ، فقد كانت مناقشاتنا فى لجنة التعاون الفكرى أثناء الاسبوع الذى اجتمعنا فيه . قاتمة لا يكاد لا يشرق فيها الابتسام . كنا نتناقش فى حماية الآثار والمتاحف ومظاهر الفن كلها من الغارات الجوية ، وكنا اذا عرضنا لامر من الامور التى تخص السلم ولا تزهر الا فيها ، تحدثنا عن ذلك متحفظين ، واصطنعنا جملا تصور الشك والخوف ، فكنا نقول مثلا اذا سمحت الظروف فى السنة المقبلة ، فسيعقد مؤتمر عام للتعاون الفكرى فى باريس ، واذا أتيح للعالم أن يجتنب الحرب فستجتمع هذه اللجنة أو تلك من لجان التعاون الفكرى فى هذه المدينة أو تلك من مدن أوربا . وما أظن ان أدوات الشرط والجزاء استعملت قط كما استعملت فى مناقشاتنا تلك ، بل ما أظن ان أدوات الشرط استعملت قط كما استعملت أثناء هذا الصيف فى أحاديث الناس جميعا . لقد كان الشعور القوى الواضح بان أمور الحياة كلها معلقة بهذه الارادة المجهولة التى قد تسلك بالانسانية طريق السلم أو ترديها فى هوة الحرب ثقيلا مضنيا مؤذيا مثيرا للقنوط . واذا كان من الحق أن نسجل للديمقراطية فوزا عظيما فهو انها رغم هذه الحرب العنيفة المنكرة الملحة التى كانت تتلقى الناس اذا أصبحوا فلا تفارقهم يومهم وشطرا من ليلهم حتى اذا ناموا ألحت عليهم فى أحلامهم والتى يسمونها حرب الاعصاب لم تخرج عن طورها ولم تتجاوز حدود

القصد فى القول والاعتدال فى العمل ، ولم تقدم على الحرب الا حين اكرهت عليها اكراها وحين خيرت بين سلم ذليل ملؤه الخذى ، وحرب منكرة ملؤها الشر والوبال فلم تر من اختيار الحرب بدا

وقد خضع الاجانب الطارئون على فرنسا لحرب الاعصاب هذه التى خضع لها الفرنسيون فمنهم من صبر وثبت وأحسن الاحتمال ، ومنهم من أدركه الجزع واذهله الفزع واخرجه الخوف عن طوره ، فطار الى وطنه مخافة أن يدركه الخطر فى بلاد الغربة ، أو اضطرب واختلط عليه الامر حتى أخذته الحوادث حائرا لا يدرى ماذا يصنع • والحمد لله على انى كنت من الصابرين الذين ثبتوا لهذه الحرب ثباتا حسنا ، فقد سمعت من المتشائمين ماسمعت، وعلمت من خوفهم واشفاقهم ما علمت ، ولكن على ذلك احتفظت بتفاؤلى وعدت الى فرنسا بعد اجتماع التعاون الفكرى ، فاستطعت أن أفرغ للقراءة والدرس والكتابة اسابيع

ولكن اغسطس لم يكد يتصف حتى بلغت حرب الاعصاب أقصاها وحتى أخذت اقبل على قراءة الصحف اكثر مما اقبل على قراءة الكتب ، وافكر فى الحرب والسلم اكثر مما افكر فى الادب القديم أو الحديث • ومع ذلك فلم أفكر فى تعجل العودة ، ولو قد فكرت فى ذلك أو تحدثت به الى أسرتى لوجدت منها مقاومة عنيفة ورفضا شديدا • فقد كانت أسرتى تلومنى فيما كنت أظهر من تشاؤم فى هذه الايام الاخيرة وتسخر منى لكثرة ماكنت أقرأ من الصحف مصبحا وممسيا • وكان الشعب الفرنسى الذى كنا نعيش بينه فى قريتنا تلك الجميلة الهادئة ، كأسرتى هادئا مطمئنا متفائلا ينظر فى الصحف مسرعا ، ويلم بأحاديث السياسة ، ولكنه يقبل على جده وهزله وعلى راحته وعمله ، ولا يمنح الحرب والسلم الا قليلا من أوقات فراغه حول المائدة ، أو أثناء شرب القهوة بعد الغداء أو بعد العشاء

وأقبل صاحبى ذات يوم مع الصبح ينبئنى واجما بان فرقتين من فرق الجند قد دعيتا الى حمل السلاح ، وبأن ذلك قد أعلن فى القرية • فازداد تشاؤمى ، ولم يكد الناس من حولى يحفلون من هذا الامر • فقد أعلنت التعبئة الجزئية فى العام الماضى ثم لم تقع الحرب• وهذه التعبئة الجزئية تعلن هذا العام كما اعلنت من قبل وليس فى الامر أكثر من ان أصحاب السياسة يؤدون عملهم ليعيشوا • على ان التعبئة الجزئية لم تقف عند هاتين الطبقتين من المجندين ، وانما جعلت تتوالى الدعوة اليها ، وجعل الناس يقفون عند الاعلان الذى كان ينشر فى القرية فينظرون فيه ، ويستجيب له بعضهم وينتظر بعضهم الآخر ان يدعى غدا أو بعد غد ، وهذه الحوادث يتبع بعضها بعضا فى شيء من السرعة • فهذه الرقابة تفرض على الصحف والبريد والبرق والتليفون ، وهذه حركة التعبئة تزداد سرعة من يوم الى يوم ، والصحف مع ذلك تختصم فيما ينبغى أو لا ينبغى من مد أجل البرلمان الفرنسى القائم ، ولكن الفرنسيين يسمعون ذات يوم فى الراديو ان مجلس الوزراء قد اجتمع فقرر التعبئة العامة ، ودعا البرلمان الى الاجتماع من غد

هنالك يجد الجد ويضعف التفاؤل ولكنه لا يزول • ثم يعرف الفرنسيون اقتحام الحدود البولونية فلا يشكون فى ان الحرب واقعة ، ثم يعرفون ان الانذار الفرنسى والانجليزى قد أرسل الى هتلر فلا يستيئسون من السلم ، ولكنهم لا يطمئنون اليها ، وانما يشعرون بالحياة المطلقة بسبب ضعيف جدا شعورا قويا ليس الى وصفه من سبيل • ويكفى لتقريبه اليك فيما اظن ان تقدر ان هذا الجيل قد شهد الحرب الكبرى وشارك فيها او سمع احاديثها من الذين شهدوها وشاركوا فيها ، وان أكثر الآباء قد كانوا جنودا شهدوا ما كان من انتصار وانهزام ، واحتملوا محنا قاسية لم ينسوها بعد ، وها هم أولاء يدعون الى الحرب مرة ثانية • ومنهم من يدعى اليها مع ابنائه ، ومنهم من تجاوزت سنه طور التعبئة ، ولكنهم يرسلون أبناءهم ليشهدوا من الهول مثل ما شهدوا ، وليحتملوا من المحنة مثل ما احتملوا، ماذا أقول ؟ لقد تقدمت فنون الحرب ، وقرأ الناس الف مرة ومرة ان الحرب المقبلة ستكون أعظم من الحرب الماضية هولا وأشد منها نكرا • ثم تصور الامهات اللاتى فقدن ازواجهن فى الحرب الماضية ، واحتملن الجهد والمشقة فى تربية أبنائهن اليتامى حتى اذا بلغوا أشدهم وانعقدت بهم آمال هؤلاء الامهات البائسات، دعاهم الوطن الى أن يضحوا بأنفسهم كما ضحى آباؤهم بأنفسهم • ومنهم الزوج الذى لا يترك أمه وحدها ، وانما يترك معها زوجة شابة قد كانت تعقد أملها بسلم طويل ، ومنهم الاب الذى لا يترك أمه وزوجه فحسب ، وانما يترك معهما صبية زغب الحواصل كما يقول الحطيئة • ومنهم الاخ الذى لا يترك أمه وزوجه وبنيه ، وانما يترك مع هؤلاء جميعا اخوات كان يقوم بأمرهن ، وكان يقوم دونهن يحميهن من العاديات

ويكفى ان تقدر هذا كله وشرا من هذا كله لتصور الهول الذى ألم بالفرنسيين حين أعلنت اليهم التعبئة العامة ، وحين أعلن اليهم ان الانذار الفرنسى قد أرسل الى المانيا ، كانوا يعرفون عناد هتلر وجنونه فيقطعون بالحرب ، وكانت قلوبهم تحب السلم وآمال السلم فيرجون العافية التى قد تتاح للانسانية فى اللحظة الاخيرة • ومع ذلك فيجب ان أشهد بأنى لم أر جزعا ولا هلعا ولا فزعا منكرا يخرج الناس عن اطوارهم أو يتجاوز بهم القصد فى القول والعمل ، وانما رأيت ألما صامتا لاذعا يقطع القلوب ويفطر الاكباد ، ولكنه يثبت النفوس ويقوى العزائم ويعلم الايمان بالحق والثقة بالنفس والاقتناع بان الشخصية الانسانية المتحضرة الحرة شىء أقوى من الهول كله ومن الخطر كله ومن الحوادث كلها • لقد شهدت الفرنسيين يذهبون الى معسكراتهم صامتين لا يتحمسون ولا يتغنون كما كانوا يفعلون فى الحرب الماضية ، ولكنهم لا يظهرون جزعا ولا انكارا ، وانما هو الاذعان المر الذى لا ضعف فيه ولا وهن ولا يأس فيه ولا قنوط

طه حسين

(البقية على صفحة ١٢٦)

ملك انجلترا والملكة



الملك جورج السادس والملكة اليصابات يخرجين من أحد المخابىء العامة التى أنشئت فى لندن ، بعد أن تفقداه ، وقد علق كل منهما قناعه الواقى فى كتفه . فمنذ أعلنت الحرب والملك يزور مراكز الجيش والاسطول ، ويتفقد بنفسه ومعه الملكة اليصابات فى أكثر الأحيان ، الاستعدادات الحربية والمدنية ، وما أعد لوقاية المدنيين من أخطار الغارات الجوية

رئيس الجمهورية الفرنسية

رئيس الجمهورية الفرنسية الحالى هو المسيو لبران ، وهو حائز لثقة جميع الأحزاب الفرنسية ، وأعيد انتخابه لرئاسة للمرة الثانية فى العام الماضى عند اشتداد الأزمة الدولية ، وهو متضلع فى القانون ، اشترك فى الوزارة عدة مرات قبل رئاسة الجمهورية ، وتقلد عدة وزارات مختلفة . يشترك غالبا فى اجتماعات مجلس الوزراء منذ أن تأزمت الحالة الدولية وأدت الى نشوب الحرب حتى الآن

اركان الوزارة البريطانية

لا شك في أن رجل السلم والحرب هو مستر تشمبرلن رئيس الوزارة الانجليزية . فقد جاهد كثيراً من أجل السلم ، وبذل كل ما في وسعه لتجنب الحرب . وبرغم ذلك وقعت الحرب ، فاذا مستر تشمبرلن يعمل جاهداً للحرب . . . ليظفر بالسلام الذى فشلت المساعى السلمية في الوصول اليه . ومستر تشمبرلن يناهز الآن ٦٨ عاماً ، وقد اختير رئيساً للوزارة في عام ١٩٣٧ بناء على رغبة الاغلبية



مستر تشمبرلن : رئيس الوزارة الانجليزية

لم تكد انجلترا تصبح في حالة حرب مع ألمانيا ، حتى ضم الى الوزارة البريطانية المستر ونستون تشرشل وزيراً للبحرية ، والمستر أنتونى ايدن وزيراً للمتلكات الحرة

وقد عرف الاثنان بعدائهما الشديد للدكتاتورية . وحملاتهما العنيفة عليها ، وكان من رأيهما ضرورة مواجهة ألمانيا بالشدة

أما المستر تشرشل فقد كان وزيراً للبحرية في الحرب الماضية . واشترك في الوزارة بعد ذلك عدة مرات . وهو يشتغل بالكتابة الى جانب اشتغاله بالسياسه ، وربح منها أكثر مما ربح من السياسة

وأما المستر أنتونى ايدن ، فهو العدو رقم ٢ للدكتاتورية . كان مندوب بريطانيا في عصبة الامم ثم ولى وزارة الخارجية . واستقال منها لأنه كان يخالف سياسة السلم ازاء الدكتاتوريات التى كانت تتبعها الحكومة البريطانيـة إذ ذاك . .

مستر ونستون تشرشل : وزير البحرية



مستر انتونى ايدن : وزير المتلكات الحرة

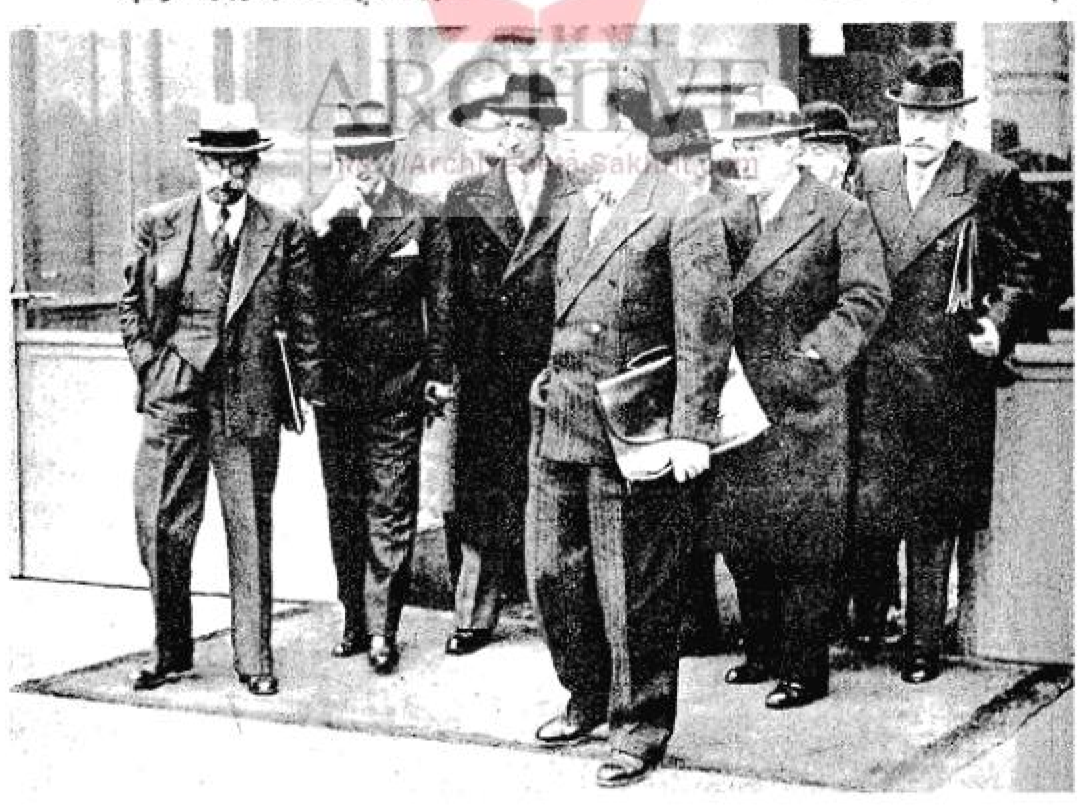
وزارة الحرب فى فرنسا

على أثر نشوب الحرب ، سعى المسيو دلادييه رئيس الوزارة الفرنسية سعيه لتعديل وزارته ، بحيث تمثل كل الاحزاب الفرنسية ، فيواجه بها الحرب وما تقتضيه من قوانين واجراءات وأعباء . وقد تكلل سعيه بالنجاح ، وعدلت وزارته ، وأصبحت قوية

والمسيو دلادييه فى الخامسة والخمسين من عمره ، قوى الشكيمة ، استطاع أن يوحد جهود الأمة ويقضى على الحزب الشيوعى . وهو محارب قديم ، خاض غمار الحرب الماضية برتبة جاويش فى فرق المشاة ، وقد أنعم عليه برتبة ضابط ، وبوسام اللجيون دونور

مسيو دلادييه : رئيس الوزارة الفرنسية

أعضاء الوزارة الفرنسية عقب انصرافها من قصر الاليزيه ، حيث عقدت اجتماعا رأسه المسيو لبران رئيس الجمهورية الفرنسية ، وحدد فيه للمسيو دلادييه رئيس الوزارة مركز فرنسا



مناط أمل الديمقراطية ..



الفيكونت جورت

رئيس هيئة أركان حرب الجيوش الانجليزية

الجنرال جاملان

رئيس هيئة أركان حرب الجيوش الفرنسية

على هذين القائدين العظيمين تعقد آمال الديمقراطية في حربها ضد الدكتاتورية من أجل السلم وكلاهما خاض غمار الحرب الماضية ، وأبلى فيها بلاء عظيما

التوسع الألماني واتجاهاته

بقلم الاستاذ محمد رفعت بك

مراقب منطقة القاهرة بوزارة المعارف

اصل تكوين الجنس الالماني - سياسة بسمرك - ما افادته المانيا من مستعمراتها - معاهدة فرساي والمستعمرات - رأي النازي في التوسع - تمهيد الطريق لاستخدام القوة - اتفاق المانيا وروسيا

لما قامت حركة النهضة الحديثة فى أوربا فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، كانت ألمانيا كايطاليا اصطلاحا جغرافيا ليس لها وجود قومى أو سياسى ، فى حين كانت انجلترا وفرنسا واسبانيا دولا تكونت قومياتها وتركزت حكوماتها وقويت ملكياتها ، واستعدت كل منها لنشر نفوذها وتوسيع سلطانها خارج حدودها . أما ألمانيا فظلت امارات وولايات متنافرة متقاطعة حتى تمت وحدتها فى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر

وكان من جراء التأخر فى تحقيق الوحدة الالمانية ، أن فازت الدول الكبرى القديمة بنصيب الاسد فى التوسع والاستعمار ، حتى اذا اشتد ساعد هذه الدولة ، وتاقت نفسها الى التشبه بكبريات الدول ، لم تجد أمامها سوى بعض لقيمات ازدردتها وهى حانقة تتحين الفرص

ولما كان كشف أمريكا واستخدام طريق رأس الرجاء الصالح من أهم معالم الاستكشافات الحديثة ، كان طبيعيا أن ينتقل مركز التجارة والملاحة من البحر الابيض المتوسط الى المحيط الاطلسى ، وأن يعظم شأن الدول التى لها سواحل على هذا المحيط كالبرتغال واسبانيا وفرنسا وهولنده وانجلترا ، وأن يتجه اتساع هذه الدول جميعها غربا نحو الاقيانوس تمخر فيه سفنها ، وتبث أعلامها فى جزره وفيافيه التى أصبحت نهبا لمن غلب . أما الدول الاوربية التى لم يكن لها سواحل على المحيط الاطلسى كالروسيا والنمسا وبروسيا فانها بعد أن قويت وأرادت أن توسع رقعتها ولت وجهها على الاكثر نحو الشرق ، فامتدت

الروسيا نحو جبال أورال وبحر أزوف ، ثم انحدرت الى سهول سيبريا • الى المحيط الهادى

أصل تكوين المانيا

أما المانيا فقد بدأت تتطور من دوقية صغيرة في شمال ألمانيا هى دوقية « براندنبرغ » الى مملكة بروسيا التى أخذت تنمو شيئا فشيئا حتى وسعت ثلثى ألمانيا • وتقع مقاطعة بروسيا شرقى بحر البلطيق ونهر الفستيولا ، وكانت تسكنها قبائل وثنية الى أن احتلها الفرسان التيوتون فى القرن الثالث عشر ، وأدخلوا فيها الدين المسيحى وصبغوها بالصبغة الالمانية • ثم دخلت بروسيا تحت حكم بولنده فى القرن الخامس عشر ، حين كانت بولنده من أقوى دول الشمال ، ولكنها ضمت اليها الجزء الغربى من بروسيا ، وتركت بروسيا الشرقية فى أيدى الفرسان التيوتون • ولما انحل عهد الفرسان على أثر ظهور « مارتن لوثر » آلت بروسيا الشرقية الى دوق براندنبرغ ، وأخذ من بولنده حق السيادة المطلقة على بروسيا الشرقية • وفى سنة ١٧٠٠ م أصبح دوق براندنبرغ ملكا على بروسيا ، فأهمل الناس ذكر الدوقية ، ولمع اسم بروسيا وبه تسمت الدولة الكبرى التى رفع ذكرها الملك فردريك الاكبر وبسمرك السياسى العظيم • وبهذا الاسم عرف النظام الالمانى وصفاته الحربية المأثورة

والى بسمرك يرجع الفضل فى تكوين الامبراطورية الالمانية الحديثة التى أعلنها الامبراطور وليم الاول فى ١٨ يناير سنة ١٨٧١ فى قصر فرساى عقب انتصار الالمان فى الحرب الفرنسية البروسية ، وبذلك دخلت ألمانيا فى طور سياسى جديد تلمست فيه أسباب العظمة والتفوق ، فوجدتها متوافرة فى داخليتها ، فى جيشها ونظمها وفنها واستكشافاتها العلمية ، ولكنها فقدتها فى الخارج مذ كانت السبل الى البحار والمستعمرات تتحكم فيها السيادة الانجليزية البحرية • أما فى القارة فقد كانت ألمانيا محصورة ومضيقا عليها من جميع الجهات ، فمن الغرب فرنسا وبلجيكا وهولنده وانجلترا ، ومن الشرق الروسيا ، ومن الجنوب النمسا والمجر ، ولا سبيل الى التوسع على حساب هذه الدول الا بالاعتداء والهجوم • ولم يكن ذلك سائغا بعد اذ حاربت فرنسا وأخذت منها الالزاس واللورين

سياسة بسمرك

لذلك لم يكن من رأى بسمرك أن يتورط فيواجه ألمانيا وهى فى بدء وحدتها وتكوين عظمتها القارية بضرورة انشاء دولة استعمارية على نسق الدول العالمية الكبرى • بل أن بسمرك فى سياسته الخارجية التى اتبعها فى أول عهد تكوين الامبراطورية بالغ فى انكاره هذه الاغراض الاستعمارية فشجع فرنسا على احتلال تونس سنة ١٨٨١ وكان غرضه من ذلك أن يحول اهتمام فرنسا الحربى والسياسى بعيدا عن أوربا فتنسى فرنسا

الالزاس واللورين والانتقام ويزداد التنافس والتضاغن بين فرنسا من جهة وانجلترا وايطاليا من جهة أخرى .

ولا شك فى أن بسمرك فى سياسته هذه قد أظهر من الحكمة وبعد النظر ما صار مضرب المثل فى المهارة السياسية • وذلك لان الشعب الالمانى معروف بروحه العسكرية الحربية ، فاذا ما اندفع فى تيار الاستعمار تعذر عليه معرفة الحد الذى يقف عنده ، واصطدم من غير شك بالمصالح البريطانية وقد يؤدى الاصطدام الى حرب مع بريطانيا سيدة البحار تخرج منها ألمانيا خاسرة ، كما فعلت فرنسا عندما حاولت الاستعمار والتفوق القارى فى أوربا فى القرن الثامن عشر فخسرت مستعمراتها فى كندا والهند

غير أن بسمرك لم يستمر طويلا على هذه السياسة ، فما جاء عام ١٨٨٤ حتى تحول فجأة الى سياسة الاستعمار • واذا أنعمنا النظر فى السياسة الدولية فى ذلك الوقت، اتضحت لنا الاسباب التى دعت بسمرك الى هذا التحول • فى تلك الآونة كانت انجلترا قد احتلت مصر ، وقامت فى السودان ثورة المهدى وأعلنت الحكومة المصرية انسحاب قواتها من السودان ، وبذلك أصبحت أراضى السودان وأجزاء الدولة الواسعة التى أنشأها الخديو اسماعيل فى أفريقية نهبا لمن أراد من الدول • وفعلا بدأت ايطاليا تضع يدها على مصوع وأريترية ، وترنو بعينها الى كسلا والحبشة • وكذلك كانت فرنسا تعمل على مد نفوذها داخل الصحراء جنوبا من الجزائر وتونس ، وشرقا من السنغال والكنغو • وكان ملك البلجيك يستعمر حوض الكنغو فخشى بسمرك انه اذا واصل سياسة القناعة وانكار الذات، فلن تجد ألمانيا أمامها بقعة خالية تستعمرها

لذلك كله اندفع بسمرك فى آخر الامر فى سياسة الاستعمار ، واستغل عوامل الخلاف الذى أخذ يتزايد بين بريطانيا وفرنسا على أثر احتلال انجلترا مصر سنة ١٨٨٢ ، وعمل على تحقيق أغراض ألمانيا فى القارة المظلمة ، وسرعان ما أصبحت ألمانيا فى الصف الاول بين الدول الاستعمارية ، اذ صار لها شرق أفريقيا الالمانى وتنجانيقا وكمرون وتوجولند وبعض جزر المحيط ، وما لبث أن اعتلى العرش الامبراطور وليم الثانى سنة ١٨٨٨ ، فأقصى بسمرك عن الحكم سنة ١٨٩٠ ، وواصل سياسة التوسع والتفوق بانشاء أسطول بحرى قوى ، وبالتدخل فى شئون أفريقية الجنوبية ضد انجلترا ، وفى مراكش ضد فرنسا

ما افادته المانيا من مستعمراتها

ومع أن ألمانيا تحملت نفقات ومتاعب كثيرة فى سبيل اصلاح مستعمراتها مما كان يكلفها قرب ستة ملايين من الجنيهات كل سنة ، الا أن أمانيها فى المستعمرات لم تحقق تماما • فالجو الاستوائى لم يساعد على هجرة الالمان بدليل ان عددهم فى سنة ١٩١٤ لم يزد على ٢٠٫٠٠٠ ألمانى فى كل مستعمراتها ، ولم تزد نسبة ما كانت تستورده أو تصدره ألمانيا من مستعمراتها على ٥ر ٠/٠ و٦ر٠/٠ على التوالى من مجموع وارداتها أو

صادراتها . زد على ذلك أن ألمانيا باتباعها أساليب الشدة والدقة المعروفة عنها قد أوغرت صدور الوطنيين ضدها ، وجعلتهم يثورون عليها بين آونة وأخرى مما اضطر ألمانيا فى نهاية الامر الى الاخذ بالاساليب الانجليزية فى الاستعمار

معاهدة فرساي والمستعمرات

ثم جاءت الحرب الكبرى فقضت المادة ١١٩ من معاهدة فرساي بأن تتنزل ألمانيا عن جميع مستعمراتها للحلفاء . ولم يكن الغرض الاول من هذا التنازل حرمان ألمانيا من مصادر ثروتها ، بل كان تحقيقا للمبدأ الذى نادى به ولسون فى نقطه الاربعة عشر من أن الغرض من الاستعمار يجب أن يكون تأمين السلام وايجاد الحكومة الصالحة للاهالى ، فلا يكون هناك ضم للمستعمرات ولا احتكار لمنتجاتها وأسواقها كما كانت الحال قبل الحرب . ولما كان ترك المستعمرات فى يد ألمانيا بعد الحرب قد يساعدها على اتخاذها سلما تصل به الى تعكير صفو السلم فى ممتلكات الدول القريبة منها ، كما انها قد تتخذها فى الحرب قواعد لغواصاتها تهدد به الملاحة البحرية كما فعلت فى أثناء الحرب الكبرى

لذلك قر رأى المؤتمر على عدم اعادة المستعمرات لالمانيا . وتحقيقا لمبادىء ولسون التى أشرنا اليها ، أشترط فى حكم المستعمرات أن تكون التجارة حرة للجميع ، فلا تسرى فيها سياسة الاحتكار أو التفضيل المتبعة فى الممتلكات الاخرى ، وان تقدم الدولة الحاكمة تقريرا عنها لعصبة الامم . على أن كل هذه الاشتراطات لم تكن سوى مظاهر شكلية لم تغير الحقيقة الثابتة ، وهى أن الحلفاء وزعوا فيما بينهم مستعمرات ألمانيا كما وزعوا البلاد التى كانت تحت سيادة تركيا ، وجعلوا الحكم فيها بالانتداب من قبل العصبة

ولما كانت تجربة الاستعمار قبل الحرب تعتبر فاشلة بالنسبة لالمانيا فانها لم تهتم كثيرا بفقدها وكل ما كان يحز فى نفسها ويقض مضجعها بعد الحرب ، شعورها بالنقص الى جانب الدول الاخرى . لذلك كان أول همها حين دخلت العصبة فى سنة ١٩٢٦ بفضل روح التعاون الدولى التى أظهرها كل من بريان وزير فرنسا ، واستن تشمبرلن وزير انجلترا ، واسترزمان وزير ألمانيا ان تطلب رد اعتبارها ، فأخذت من مجلس العصبة قرارا بأن ألمانيا أهل لتولى الانتدابات من قبل العصبة كغيرها من الدول

رأى النازى فى التوسع

ثم ظهرت حركة الوطنيين الاشتراكيين بزعامة هتلر ، وتسلموا زمام الامور فى ألمانيا سنة ١٩٣٣ . ومن رأيهم ان أهم غرض للدولة هو تأمين بقاء الجنس النوردى الالمانى المتفوق بايجاد نسبة طبيعية سليمة بين عدد السكان ومساحة الدولة ومواردها الطبيعية ، ولما كانت هذه النسبة غير ملحوظة فى ألمانيا بحالتها ، فلا بد لها من أراض جديدة لان عدد سكانها فى تزايد مستمر ينتظر أن يصل الى ٢٥٠ مليون فى مدى قرن من الزمان

ومن رأى هتلر انه لا يمكن تدبير العلاج لتصحيح النسبة بين عدد السكان والارض الا باحدى الطرق الثلاث الآتية :

الاولى ـ ضبط المواليد ، وهو علاج يؤدي في نظره الى انحطاط الاخلاق

الثانية ـ الاكثار من الملكيات الزراعية الصغيرة ، أو تركيز الصادرات ، وهو علاج لا يوافق مزاج شعب حزبي طموح

الثالثة ـ ضم أملاك جديدة للدولة وهو الطريق الوحيد الذي يتفق والغرض الاول الذي يدين به الوطنيون الاشتراكيون وهو تفوق المانيا وجعلها دولة عالمية

ومن رأى هتلر ان طريق توسع ألمانيا يجب أن يكون من جهة الشرق • اما المستعمرات فلم يعرها اهتماما كبيرا الا أخيرا ، بعد أن ذكر السياسيون البريطانيون امكان النظر في تهدئة الحالة العامة في أوربا باعادة البحث في موضوع توزيع المواد الاولية أو المستعمرات ومنذ ١٩٣٦ وحكومة النازي تطالب بالمستعمرات ، وتعتقد انها وديعة سلمت لعصبة الامم ، وهذه سلمتها مؤقتا للحلفاء ، وعليهم ردها لصاحبتها الاولى ، فاذا تعذر ردها ، فعليهم تدبير بد لها من المستعمرات الواسعة التي تملكها دول من الدرجة الثانية في الاهمية مثل هولنده أو البلجيك أو البرتغال • وفي ذلك الوقت أخذت ألمانيا تعنى بنشر الدعاية النازية في جنوب افريقية وتنجانيقا ، وتعد المدارس لتخريج موظفين خبيرين بحكم المستعمرات ، وذلك استعدادا لاستردادها ، ولكن الحقيقة هي ان هتلر والنازي لا يريدون المستعمرات لذاتها • ذلك لانهم يعرفون تماما ان لا سبيل الى المستعمرات الا بالسيادة البحرية ، وهيهات لهم ذلك ما دامت انجلترا وفرنسا تقومان بحراسة ابواب البحار ودروبها • زد على ذلك ان الاستعمار لا يوافق الا عددا محدودا من السكان ، ولا يصلح أن يكون منفذا للجنس الالماني العظيم

أما التوسع الحقيقي الذي يريده الالمان للدولة العالمية المنتظرة ، فاتجاهه الشرق نحو بولونيا واكرانيا ورومانيا وروسيا حيث السهول الممتدة الشاسعة والانتاج العظيم وحيث السكان من الشعوب السلافية وهي أقل مدنية ورقيا من الجنس الالماني • وليست الحدود الموجودة الآن بين ألمانيا وجيرانها اعمالا الهية مقدسة لا يمسها التغيير والتعديل والتبديل، بل هي في نظر النازي من عمل الانسان والانسان عرضة للخطأ ، وكذلك يجب ان تكون الحدود عرضة للتغيير أمام ارادة الشعوب التي تصبو الى التوسع والتفوق

اما أدلة هذا التوسع فيجب أن تكون السيف الظافر • ومذ كان استخدام هذه الاداة أمرا محفوفا بالخطر ولا بد أن يؤدي الى حرب أوربية ، فقد عمل هتلر منذ الساعة الاولى على التسلح بسرعة جنونية • فبدأ بأن حرر ألمانيا من قيود عدم التسلح وقرر الخدمة العسكرية على الجميع ثم أقام الحصون والمعسكرات في منطقة الرين ، وكان تسليحها ممنوعا بمقتضى معاهدة فرساي ، ثم أخذ ينفذ سياسة التوسع بمقتضى الاساليب السلمية التي ابتدعتها النازية الحديثة وأتقنتها ، وتتلخص هذه الاساليب في اقتحام الممالك التي تطمع

فيها اقتصاديا واجتماعيا ـ اما اقتصاديا فبطريق مبادلة المنتجات حتى اذا باعت دولة منتجاتها لالمانيا ، تسلمت بدلها منتجات ألمانية ، وبذلك يقفل أمامها الاسواق الاجنبية التى تعتمد على التبادل الحر بالعملة الجارية لا بالمقايضة ، اما اجتماعيا فنشر الدعاية، وتكوين أحزاب داخلية على النمط النازى ، واستخدام الارهاب والوعيد وأساليب التهديد ، فاذا قامت حكومة محلية مناوئة لالمانيا تصدى لها الحزب النازى بالمعارضة حتى يسقطها ، ويقيم وزارة موالية بهذه الطرق استطاعت ألمانيا أن تتغلغل فى صميم السياسة الداخلية فى النمسا وتشيكوسلوفاكيا ودانزج والمجر ويوغسلافيا ورومانيا وبلغاريا • وقد استطاع هتلر ان يضفى على هذه الاساليب مسحة من الديمقراطية الصورية ، فأعلن ايمانه بمبدأ الاستفتاء ، فطبقه من حيث الشكل عند ضمه النمسا وبلاد السوديت ، وكان يريد أن يطبقه فى باقى البلاد التى بها جاليات المانية او شعوب تتكلم الالمانية أو لغات قريبة منها كسويسرا وبلاد الفلمنك ودانزج والممر البولندى غير انه لما توغل فى سياسة التوسع ، رأى انه يستحيل على ألمانيا أن تصل الى ما تصبو اليه من سلطان عالمى بهذه الاساليب السلمية ، وانه اذا اتجه نحو تشيكوسلوفاكيا أو بولنده ، وكلاهما شديد فى كره المانيا ومرتبط بمعاهدة سياسية مع فرنسا ، فلا بد من استخدام وسائل العنف والقوة

تمهيد الطريق لاستخدام القوة

وكان دخول القوات الالمانية براغ فى مارس سنة ١٩٣٨ أول نذير للعالم بعزم ألمانيا على تغيير خططها السلمية الاولى ، واتباع سياسة السيف القاطع • وقد مهدت ألمانيا لهذه السياسة ، فرأت ضرورة افساح الطريق أمامها من جهة الشرق ، وكان أمامها فرنسا فايطاليا ثم الروسيا ـ أما فرنسا فان دخول الالمان فى براغ وعدم تحرك فرنسا لمساعدتها ، قد قضى تماما على نفوذها السياسى وعلى المعاهدات السياسية التى كانت تربط فرنسا باعضاء الاتفاق الصغير (يوغسلافيا وتشكوسلوفاكيا ورومانيا) وروسيا

وأما ايطاليا ، فانه بعد أن ضمت ألمانيا النمسا ، وبعد أن تغلغل نفوذها التجارى فى المجر وبلاد البلقان بفضل العقوبات الاقتصادية التى فرضتها عصبة الامم على ايطاليا فى أثناء الحرب الحبشية مما اضطر هذه الدول الى توثيق علاقاتها النازية مع ألمانيا بدلا من ايطاليا ، فانه لم يبق لايطاليا الا ظل ضئيل من النفوذ السياسى أو التجارى ، وكأن ايطاليا قد باعت نفوذها فى البلقان وشرق أوربا والبحر الابيض المتوسط لتشترى هضاب الحبشة ووهادها ! وبذلك زال الحاجز الذى كانت أقامته ايطاليا من النمسا والمجر بين ألمانيا ، والوصول الى بلاد شرقى اوربا

اما الروسيا فالطريق اليها داخل بولنده ، وقد حاولت ألمانيا كسب بولنده الى جانبها فلم تفلح الا فترة ـ كان فيها بلسودسكى رئيسا وكانت بولنده تخشى الروسيا من الشرق ولا تثق بوعود الدول الديمقراطية من الغرب ـ فلما بدأت المانيا تغير سياستها بعد دخول

براغ أخذت ميناء « ممل » من لتوانيا على البلطيق لتهدد منها بولندة من الشمال وأخذت تحرك الاكرانيين والسلوفاكيين ضد البولنديين جنوبا • ومن ممل تفتحت أبواب البلطيق لنفوذ ألمانيا شرقا فأخذت ترنو الى دانزج والممر البولندى ثم الى الروسيا

اتفاق ألمانيا وروسيا

ولما دنت ساعة الفصل بين السلم والحرب ، لم يشأ هتلر ان يعرض حدود ألمانيا للخطر غربا وشرقا ، فقام بأخطر انقلاب دبلوماسى تم فى السنين الاخيرة ، وهو الاتفاق مع الروسيا حتى يأمن جانبها من الشرق • ولا يستطيع أحد أن يتنبأ بما يتمخض عنه هذا الاتفاق بعدما ظهر من تقسيم بولنده ، ومد نفوذ روسيا على دول البلطيق الصغيرة ، وذلك لان أغراض النازية فى تغير مستمر ولا يمكن أن تستقر على حالة واحدة • وذلك لكيلا تطفأ جذوة النازية أو يخمد أوارها • أما غرضها الاسمى فواحد لا يتغير ، وهو التفوق والسيطرة العالمية ، وهذه السيطرة لا تحتمل أن يكون الى جانب ألمانيا شركاء أقوياء يقاسمونها الغنيمة فى المستقبل• واذا كانت دواعى السياسة قد اقتضت أن تتوثق العلاقات بين ألمانيا وايطاليا عندما كانت ألمانيا ترسم الخطط وتعد العدة للتوسع ، فانها الآن وقد تم لها تمهيد ما أرادت لم تتردد فى النيل من ايطاليا واضعاف نفوذها حتى فى المنطقة التى كانت تعتبر داخلة فى دائرة نفوذها ، وهى البلقان والشرق الادنى • وليس هناك أدنى شك فى أن نصيب روسيا من ألمانيا سيكون كايطاليا ــ مخالب القط يستخدمها الهر هتلر فى جذب الثمرة من فوق المحمصة !

انظر اليه وهو يغرى الروسيا بالاتجاه نحو الغرب ، ويساعدها على مد نفوذها فى دول البلطيق الصغيرة حتى يشغلها عن الشرق وهو هدفه الاول والاخير ، وهذا يشبه تماما مافعله بايطاليا اذ شجعها على التدخل فى اسبانيا على حين كان يعد العدة لضم النمسا

ويلى اليابان فى الاهمية تركيا ، وهى الدولة التى تخطب ودها الدول من الجانبين ، وذلك لمركزها الحربى الممتاز الحصين بين الشرق والغرب ، ولانها حارسة أبواب البسفور والدردنيل ، وبيدها مفتاح التفوق فى الشرق الادنى • هذا فضلا عن المزايا العسكرية النادرة التى يمتاز بها الجيش التركي• فاذا جازف هتلر بجيوشه نحو سهول آسيا الصغرى، فستكون تركيا الصخرة التى تقف أمامها جنوده وتتكسر عليها هجماته

ان الاهداف التى تصبو اليها ألمانيا النازية بعيدة المنال ، ودون بلوغها قهر أوربا أولا ، ثم الوقوف بعد ذلك وجها لوجه أمام بريطانيا • وقد حاول ذلك قبل هتلر لويس الرابع عشر ملك فرنسا ففشل ، وحاوله نابليون ، فنجح فترة ثم انكسر ، وحاوله القيصر وليم الثانى فانهزم ثم أسر ، ويبقى أن نرى هل ينجح هتلر أو هل يعيد التاريخ نفسه

محمد رفعت

سلاح الدعاية في الحرب

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

الدعاية حرب حقيقية ، وهى المعركة المعنوية التى تضطرم بين المتحاربين الى جانب المعارك العسكرية

لما نشبت الحرب الاوربية الحالية وسارعت الطيارات البريطانية على أثر دخول بريطانيا فى الحرب الى التحليق فى جو المانيا كانت مهمتها أن تلق على السكان الألمان بدل القنابل منشورات أعدتها مصلحة الدعاية البريطانية تحتوى بعض الحقائق المجهولة من الشعب الألمانى وبخاصة دخول بريطانيا وفرنسا فى الحرب ضد المانيا

وقد توالت جهود الدعاية البريطانية فى الأشهر الأخيرة فى الاتصال بالشعب الالمانى الذى يعيش فى ظل النظم الهتلرية بمعزل عن العالم ، ومده ببعض المعلومات التى يجهلها ، ووصلت الى المانيا قبيل نشوب الحرب بواسطة البريد وغيره الى الألمان ملايين الرسائل والمنشورات واستشاطت الحكومة النازية غضباً لهذه المحاولة وأطلقت صحافتها تهاجم بريطانيا العظمى بمنتهى العنف والاسفاف . ولما ألقت الطيارات البريطانية فى بداية الحرب منشوراتها على المدن الألمانية بلغ من سخط الحكومة النازية وجزعها أن قررت عقوبة الاعدام لمن يلتقط هذه المنشورات ويقرؤها

ذلك أن الدعاية غدت فى عصرنا مثل القنابل سلاحا قويا يستعمل فى الحرب كما يستعمل فى السلم ، ويؤتى ثمره اذا أحسن استعماله سواء فى تعزيز النصر أو إعداد الهزيمة

تاريخ الدعاية فى الحرب

واستعمال الدعاية الحديثة كسلاح نضال فى الحرب يرجع الى أواخر الحرب الكبرى فانه لما اشتدت الدعاية الالمانية ضد الحلفاء ، لجأ الحلفاء الى نفس السلاح وأنشأت الحكومة البريطانية فى أوائل سنة ١٩١٨ « وزارة استعلامات » أسندت إدارتها الى الصحافى الكبير اللورد نورثكليف صاحب جريدة الديلى ميل . وبذلت هذه الوزارة جهوداً عظيمة فى الدعاية بين شعوب الامبراطورية النمسوية والمانيا ، وبث ضد وسائل الحرب الالمانية فى العالم دعاية عظيمة أذكت سخط العالم كله على المانيا وعلى وسائلها البربرية . وكان لها أثر عظيم فى التمهيد الى هزيمة المانيا وانتصار الحلفاء

وقد لجأت بريطانيا العظمى هذه المرة الى سلاح الدعاية مبكرة ، فلم تنتظر حتى تنشب الحرب

بل قررت قبل نشوبها بأشهر أن تنشىء « مصلحة للدعاية » وأن تنشىء وزارة للاستعلامات تكون وقت السلم وزارة رمزية فقط ولكنها غدت منذ نشوب الحرب هيئة عاملة على رأسها اللورد مكملان يعاونه الصحافى الكبير اللورد كمروز صاحب جريدة الديلى تلغراف ، وإقدام الحكومة البريطانية على الاسراع فى اتخاذ هذه الخطوة يرجع الى اشتداد الدعاية الالمانية فى الأشهر الأخيرة التى سبقت نشوب الحرب ، ضد انكلترا والامبراطورية البريطانية ، والى حملات الاكاذيب المنظمة التى كانت تشهرها ضدها بلا انقطاع سواء بطريق الصحافة أو الاذاعة اللاسلكية والتى كادت تؤذى هيبة انكلترا والامبراطورية بافتراءاتها ومطاعنها

ومع أن الحكومة البريطانية فكرت مبكرة فى أن تقابل سلاح الدعاية الخصيمة بمثله فأنشأت الاذاعة اللاسلكية الاخبارية لتذيع الأنباء الدولية وأنباء الامبراطورية باللغات الالمانية والعربية وبالايطالية والأسبانية وذلك رداً على ما تذيعه المحطات الالمانية والايطالية ، ثم أنشأت مصلحة الدعاية ووزارة الاستعلامات على نحو ما قدمنا ، فان هذه الهيئات البريطانية تؤثر الاعتدال والتحفظ ومجانبة الاغراق فى كل ما يصدر عنها ، ومن ثم فان الرأى العالمى يحبوها بثقة يضن بها على غيرها من الهيئات المماثلة فى الدول الخصيمة

وقد أنشأت الحكومة الفرنسية من جانبها قبيل نشوب الحرب مصلحة جديدة لمكافحة الدعاية الأجنبية وتبذل هذه المصلحة الآن جهوداً عظيمة لمقاومة جميع الدعايات الأجنبية بمثل وسائلها

اهتمام الدول الكبرى بالدعاية

قال أدولف هتلر فى كتابه « كفاحى » فى الفصل الذى عقده عن « الدعاية » ان الدعاية التى شهرها الحلفاء على المانيا فى أواخر الحرب الكبرى ، كان لها أثر حاسم فى انتصار الحلفاء وهزيمة المانيا فى الحرب من الوجهة السياسية ، وذلك بالرغم من انتصارها من الوجهة العسكرية

وقد آمن هتلر فيما بعد بقوة الدعاية كسلاح لغزو الجماهير ، وكان للدعاية أكبر شأن فى قيام الوطنية الاشتراكية (الهتلرية) فى المانيا وفى فرض مبادئها وطاعتها على الشعب الالمانى . وما زالت الدعاية قوامها وسندها الى اليوم . وسبقت الفاشستية فى ايطاليا الى استعمال هذا السلاح لتوطيد دعائمها وغزو الشعب الايطالى وقامت أول وزارة حديثة للدعاية فى ايطاليا ثم فى المانيا . وكان لوزارة الدعاية هذه فضل السبق دائماً فى إعداد الشعب وتوجيهه إبان الأزمات والحوادث الكبرى ، وصوغ مشاعره وتفكيره بالصبغة التى تريدها السياسة العليا ومنعه من أن يتأثر بأى شعور آخر ، أو يفكر لنفسه بأية صورة أخرى

وكما كان للدعاية أثرها القوى فى مصاير الحرب الكبرى ، فلا ريب أنها ستكون بين العوامل القوية فى توجيه مصاير الحرب الأوربية الحاضرة . وقد بدأت الدعاية فى الواقع مهمتها الجديدة

مذ بدأت المعارك الأولى وذلك بعد أن أنجزت مهمتها فى إعداد الأذهان لقبول الكارثة واعتبارها أمراً لا مفر منه . فأخذ كل من الفريقين المتحاربين يبرىء نفسه من تبعة الاعتداء وخرق السلم ويصور نفسه فى مركز المعتدى عليه المدافع عن حقه وقضيته . فألمانيا الهتلرية تصور نفسها أمام الشعب الألمانى وأمام العالم بأنها دخلت الحرب مرغمة لتسترد حقوقاً اغتصبت ولتمحو ظلماً أوقعته بها معاهدة الصلح (معاهدة فرساى) . وانكلترا وفرنسا تعرضان لشعبيهما وللعالم أجمع بأنهما شهرتا الحرب على ألمانيا لا لمنعها من حق تبتغيه ، ولكن تأييداً لقضية الحق والعدالة وقانون الأمم الذى انتهكته ألمانيا انتهاكا صارخاً باعتدائها تباعاً على الأمم الضعيفة وسلبها حرياتها واستقلالها ، ولتحطيم سياسة القوة الغاشمة التى جعلتها ألمانيا الهتلرية شعاراً لها . وإذا كانت وقائع الحرب تتحدث عن نفسها فان للدعاية أكبر فضل فى تقديمها الى الرأى العام بألوانها القوية التى تحدث أثرها في النفوس

ماذا يكون مثلا للكشف عن فظائع الجيش الألمانى فى بولونيا من تدمير المدن المكشوفة وقتل المدنيين من النساء والأطفال بالآلاف ، وإغراق الغواصات الألمانية للسفن التجارية دون إنذار وإهلاك ركابها وبحارتها بهذه الوسيلة الدنيئة من الأثر الا السخط البالغ على ألمانيا الهتلرية وعلى حكومتها وزعيمها ؟

لقد كان للكشف عن فظائع ألمانيا القيصرية فى الحرب الكبرى أكبر أثر فى فقدها عطف العالم ، وحشد الرأى العالمى حول قضية الحلفاء ، وسيكون للدعاية فى الحرب الحاضرة مثل هذا الأثر وأشد لأن ألمانيا الهتلرية ليست أقل فى تجنيها وإجرام غاياتها وشناعة وسائلها من ألمانيا القيصرية

الدعاية الايجابية والدعاية السلبية

والدعاية وقت الحرب كما هى وقت السلم ايجابية وسلبية . فأما الايجابية فانها تنصب على تقديم الأنباء والبيانات والتعليقات المختلفة للرأى العام بالصور والألوان التى يرى أنها تحدث الأثر المرغوب من بث الحماسة فى متابعة الحرب وتأييد الحكومة والجيش والتطلع الى احراز النصر . وأما الدعاية السلبية فتقوم على إخفاء أنباء الهزائم القومية وانتصارات العدو أو التقليل من قيمتها وأثرها اذا لم يك ثمة سبيل لاخفائها . وذلك حتى لا تتأثر قوى الأمة المعنوية ويخبو حماسها

وقد برعت ألمانيا الهتلرية فى استعمال سلاح الدعاية بنوعيه ، وشهدنا ونحن فى ألمانيا قبيل نشوب الحرب كيف استطاعت الدعاية بوسائلها المعروفة من صحافة واذاعة وغيرها أن تخفى عن الشعب الألمانى حقائق الموقف الدولى ، وأن تجعله يعيش فى معزل عن باقى العالم ، وأن تحبس عنه كل نبأ غير مرغوب فيه ، حتى ان تصريح السنيور موسولينى بحيدة ايطاليا وعدم دخولها أية حرب اعتدائية فى يوم أول سبتمبر ودخول انكلترا وفرنسا الحرب ضد ألمانيا فى الثالث من

سبتمبر لم يعرفا فى ألمانيا الا بعد حدوثهما بأيام . ثم ان الحكومة الهتلرية خشية من تسرب الأخبار الحقيقية الى الشعب الألمانى بواسطة الراديو أصدرت منذ قيام الحرب قانوناً يقضى بالحبس لمدة سنتين على كل ألمانى يستمع بواسطة الراديو الى أية اذاعة أخبارية أجنبية وتبلغ العقوبة حتى الاعدام اذا نشر السامع ما وقف عليه من الأخبار بين الجمهور . ولما ألقت الطيارات البريطانية منشوراتها فى ألمانيا فى بداية الحرب صدر قانون يعاقب بالاعدام كل من التقطها أو قرأها حسبما قدمنا

والحكمة فى اصدار هذه القوانين البربرية ظاهرة . ذلك أن الشعب الألمانى اذا أتيح له بفضل دعاية المعسكر الآخر أن يقف على مبلغ خديعته ، وكيف زج دون باعث أو حكمة الى حرب فناء تنذر بالقضاء عليه ، فانه لا يلبث أن ينقلب على أولئك الزعماء المغامرين الذين تلاعبوا بمصايره وبحطم نيرهم الحديدى ويشق لنفسه طريقاً الى السلم والتفاهم مع الأمم الأخرى . هذا ما تحاول الدعاية الديمقراطية أن تصل اليه . وهذا ما تعمل العصابة الهتلرية لتلافيه بكل ما وسعت

وانك لتدرك مدى اضطرام معركة الدعاية بين مختلف الجهات والامم متى جلست حيناً الى الراديو وقت إذاعة الأخبار ، فهنا تستطيع أن تقرر مدى تباين الصور والألوان التى تصاغ بها الانباء والتعليقات ، وأن تقدر مبلغ ما يمكن أن تحدثه فى السامعين من مختلف المشاعر والآثار

ان الدعاية حرب حقيقية وهى للمعركة المعنوية التى تضطرم بين المتحاربين الى جانب المعارك العسكرية ، وهى تحدث أثرها القوى فى الشعوب والجيوش والحكومات كما تحدث المدافع والطيارات أثرها فى ميدان الحرب ، وسوف تكون فى الحرب الحاضرة كما كانت فى الحرب الكبرى من أهم عوامل الفشل والنجاح والهزيمة والنصر

محمد عبد الله عنان



هذه الحرب

لمن النصر فيها

بقلم الاستاذ سامى الجريدينى

وما الحربُ إلا ما علمتمْ وذقتمُ ... وما هوَ عنها بالحديث المرجَّمِ
متى تبعثوها تبعثوها ذميمة ... وتَضرَ اذا ضرَّيتموها فتضرمِ
فتطحنكم طحن الرحى بثفالها(١) ... وتَلقحْ كِشافاً ثم تُنتج فتُتئمِ
فتُنتِجْ لكم غِلمانَ أشأمَ كلهُم ... كأحمرَ عادٍ ثم تُرضعْ فتَفطمِ

هذا بيان للناس عن الحرب جادت به قريحة شاعر عربى عاش فى عصر كانت فيه حضارة الرومانيين فى أوجها ولم تكن البلاد العربية بمعزلة عنها وكانت النصرانية تخيم بعقيدتها فوق تلك الربوع أو على قرب منها

ولم تكن تلك الحرب آلية ولم تكن الكهرباء والبخار وكل ما تستعمل فيه من معدات هلاك قد اخترعت بعد . فلا دبابة ولا طيارة ولا غواصة ولا غاز سام أو محرق ولا علوم فى الكيمياء والطبيعة وما الى ذلك من منتجات العقل المتحضر

فماذا كان يقول شاعرنا العربى لو رأى اليوم ما هى الحرب

انه لكان يؤثر أن يبقى فى غيابة سجنه الابدى على أن يرى هذه الهمجية تأبى الا أن تظل مسيرة الآدميين رغم السنين التى بذلها بعض منهم فى تهذيب نفوسهم

أقول تهذيب نفوسهم ولا أقول تهذيب عقولهم فقد تبلغ العقول القمة تهذيباً وتثقيفاً فلا يغنى الحضارة القائمة عليهما عن الهلاك شيئا . انما الحضارة هى ما قومت النفس وهذبت الاخلاق وأين نحن من هذا

فلا الجوع ولا الشبع ولا الدين ولا العلم ولا المال ولا الفقر بنافع ان لم يكن للبشرية دافع من أخلاقها يهديها الصراط المستقيم

كيف يتأتى ذلك ومتى يكون ؟ هذا علمه عند ربى

واننا والحق يقال نكاد نيأس من هذه البشرية وثم نكاد نعتقد انها أوجدها باريها ليتطاعم

---

(١) الثفال جلد يبسط تحت الرحى ، وكشافا من إكشفت الناقة ، وهى أن تلقح حين تنتج ، وتتئم تلد توءمين ، والمعنى ان الحرب تطحنكم طحن الرحى وتجرى بينكم الدم فى كل حين كالناقة الولود التى تنتج أردأ النتاج

أبناؤها فيتنا كحون يتقاتلون ولا يزيدون عن هذه المهمات شيئا مذكوراً

فانه ما دمنا نقدس أبطال الحرب ونسبغ الثناء والتمجيد على الذين أمعنوا فى آبائنا وأجدادنا إفناء وتذبيحاً فى سبيل ما سموه مجداً ، وهيأونا فى المدارس وفى كتب التاريخ على تخصيص الفضائل بالاسكندر وبقيصر وبنابوليون حتى خلقوا لكل بلد ولكل مدينة بطلا حربياً يعتز به مواطنوه دون سواه

انه ما دام هذا النظام التمدين قائماً على تقديس أعمال الفتوح والغزو والقتل فلا أمل لأبنائنا بمدنية أرق من هذه التى توشك أن تزول

فهل نيأس من رحمة الله وهل نيأس من المثل العليا وهل يصاب العالم بعقم فلا يقوم رجل أو طائفة من الناس تتزعم العالم الحاضر وتقوده الى مراع خصبة تنبت مبادىء تقديس الذين يخدمون الناس بالعلم الصحيح وبتوزيع الثروة توزيعاً صحيحاً وبالانصراف الى التعمير لا الى التدمير

كلا . اننا لا نيأس

إننا نرى فى هذه الحرب التى أضرمت وقودها تعاليم ضالة مضلة ومبادىء فاسدة مفسدة سبيلا الى تنظيف العالم من هذه التعاليم والمبادىء نفسها

فقد كانوا فيما مضى يتخذون الحرب مظهراً من مظاهر الفروسية والبطولة

وكانوا يتعاطونها تجارة سلب وغزو وامتلاك . حتى قال قائلهم المبشر بالمادية ان الحاجة الاقتصادية هى الحافز الى الحرب وان الشعوب لا تحارب الا فى سبيل بطونها

وقد كان فى هذا الأمر شىء كثير من الصحة فيما مضى ، وأما الآن وقد كادت المخترعات الحديثة أن تجمع العالم كله فى صعيد واحد بفضل هذه المواصلات السريعة فى البر وفى البحر وفى الهواء فلم يعد هناك من سبب معقول يبعد أمة عن مواطن المعاش

لولا هذه المبادىء التى سنوها قاعدة للناس منذ قرن ونصف قرن ــ أعنى الروح الوطنية المتطرفة هذه الروح التى تناهض المبادىء الاقتصادية والمبادىء الاجتماعية وتقف فى وجه المبادىء الدينية نفسها

فالحرب اليوم ــ كما كانت فى سنة ١٩١٤ وما قبلها ــ حرب تقوم على نظام القوميات ويقوم هذا النظام نفسه على أساس من التعصب يعمى فلا يبصر أتباعه فائدتهم الاقتصادية والانسانية

خذ التعاليم الالمانية مثلا

فانها مبثوثة فى كتب التاريخ وفى كتب القانون وفى كتب الفلسفة فى ديارهم

انها كلها ترمى الى تمجيد العنصر الجرماني وحسبانه متفوقا على جميع العناصر الاخرى

فنشأ عن ذلك ايمان راسخ فى عقولهم بان مهمتهم هى سيادة العالم واخضاعه لحضارتهم

وهم لا يرون الى ذلك سبيلا الا سبيل القوة ومن هنا جاءت الحرب الماضية والحرب الحاضرة

فاذا لم تغلب هذه الروح على أمرها وتعود الى الصواب ـ الصواب الذى يجعل البشر متضامنين فى معايشهم وفى رسالتهم التهذيبية فلا خير يرجى للبشرية

وهى مغلوبة مقهورة لا محالة

فان القوة مهما علا شأنها لا تستطيع أن تكيف شئون العالم . فهناك شىء اسمه ضمير الانسانية ينشأ مع ابن آدم صغيراً وهو لم يكتمل نموه بعد ولكنه على بطء نضجه كامن فى الخلق الانسانى يأبى أن ينطفىء ويظل ينخر فى عظام القوة والاستبداد والاستعباد حتى يحرر أتباعه ويعيدهم الى هذا الذى نسميه مثلا أعلى للبشرية ـ نظاما يخضع فيه القوى لفائدة الجمعية الانسانية ومصلحتها الحقيقية

ضمير الانسانية هو هذا الشعور بالغضب اذا جار القوى على الضعيف وبزه حريته وسلطانه

هو هذا الشعور بالرحمة وبالشفقة فيهب القوم رجالا ونساء لتمريض الجرحى واغاثة المتشرد البائس

ضمير الانسانية هو هذا الحب الكامن فى الصدور للحرية يأبى أن تصادر فى الكلام أوفى الكتابة وقد كان منذ عرفته البشرية قويا بضعفه أذل الفاتحين وقهر الحكام المستبدين

لذلك نؤمن ايمانا لا يخالجه الشك أو يتسرب اليه الكفر بان هتلر وما يمثله من روح جرمانية عسكرية متعجرفة سيغلب بعد غلبه ، وان عاقبة هذه الحرب انكسار لا قيام بعده لروح التسلط والاستعلاء

فلقد طغى جانكيز خان وتمرد فما أغنت عنه قسوته وبطشه

وقد مد نابوليون سلطانه على أوربا كلها فذهبت فتوحاته الحربية وبقيت أعماله الانسانية وستذهب الروح الجرمانية التى تقمصت بالنازيين ويبقى العلم الجرمانى فى خدمة الانسانية مع غيره من الامم

ذلك بان العالم لم يعد يطيق تحكم أمة بأخرى ناهيك عن تحكم فرد بجماعة

وذلك ان ضمير الانسانية الذى أشرنا اليه يعمل فى الخفاء فيشد ساعد الذين يقاومون الطغاة ويوهن من عزم الخاضعين لهم ، فاذا اجتمع عزم أولئك مع وهن هؤلاء فاز الضمير الحى وغلبت الروح العسكرية على أمرها

على اننا لانؤمن بانتصار دولة الحرية على دولة التسلط استناداً على المبدأ الادبى فقط وانما يعزز يقيننا عبر التاريخ والقوة المادية التى يستعملها الحلفاء فى مقاومة قوة الطغاة

فما من دولة بعد انحلال الامبراطورية الرومانية استطاعت أن تتزعم العالم بالقوة وتخضع الامم لسلطانها . وهذه الامبراطورية البريطانية أكبرشاهد على ما نقول، فهى على ضخامة ملكها وقوة سلطانها لم تطمع باخضاع الغير اخضاعاً سارت عليه روما فى القدم وطمع به بعد ذلك نابوليون ثم الفئة البروسية أتباع فردريك الكبير

فقوتها لا تقوم على الاحتكار والاستئثار بالمغانم بل فى خدمة أهلها على طعامهم يأتون به من الخارج وفى خدمة العالم أجمع اذ تبقى أبواب الامبراطورية مفتوحة على مصراعيها للتجارة وللحرية

كذلك كانت كلما قامت فى وجه دولة أخرى ترمى الى سيادة العالم تألبت معها الدول الأخرى مفضلين قوة بريطانيا وخدمتها للمدنية على تحكم قائم على القوة واحتكار المنافع فقط

هذا الى أن المبادىء التى بثها النظام الانجليزى قد عمت العالم أو كادت . وهى هذه المبادىء المؤسسة على الحرية الشخصية فقد اعتنقها الاميركيون وقال بها معظم الدول المتبحرة بالمدنية مثل فرنسا وسويسرا واسكندنافية ناهيك بأجزاء الامبراطورية البريطانية نفسها فلن تستطيع دولة مهما قوى شأنها أن تقلب هذه المجموعة من الأمم

ولا ريب فى أن هذه الأمم التى ذكرنا مع كثير ممن تدفعهم المصلحة المادية الى الوقوف فى الصف نفسه ستتألب على الروح الجرمانية وتقضى عليها القضاء المبرم

فالبحر سيد هذه الكرة الأرضية . من ملك زمامه تحكم فى أمور العالم وتسلط . وهو حليف الامبراطورية البريطانية صديق أصدقائها لن يؤثر دولة عليها مهما يحاول المحاولون

وقد خيل الى الناس ذات يوم أن الطائرات والغواصات ستقضى على ملك البحر أو تحد من سلطانه فاذا به يتكيف على مقتضى العلم فلا يزعزعه عن عرشه شىء

فأنت ترى أن القوى المادية تنصرها القوى الروحية كل ذلك فى حلف على جرمانيا وليست بناجية من حتفها مهما تجهد . الى أن تخلع رداء زينه لها فردريك الذى يسمونه بالكبير ولا كبير فيه الا إثمه وحنثه بالأيمان واستهتاره بمبادىء الضمير الانسانى وسار من ورائه بسمرك ثم التعاليم والفلسفة العسكرية الألمانية تبرز على لسان رجالهم مرة بعد أخرى الى أن أتاح القدر لهذا الاوتباشى النمساوى أن يحل محل آل هوهنزلرن وينادى بها فتطيعه جموع ألفت الطاعة وأعماها كره معاهدة فرساى عن رؤية الحقيقة

ولقد كان لألمانيا بعض العذر وكثير من الأنصار عند ما كانت ترفع عقيرتها تطلب الغاء معاهدة فرساى أو تعديلها ولكنها فقدت كل ذلك بما تعهد لها به الساسة الانجليز والافرنسيون ان هى لجأت الى مؤتمر سلمى وتركت السلاح جانباً

فضمير العالم كان يأبى تقييد المانيا والحط من كرامتها ومن قوتها الاقتصادية والتهذيبية فكانت كلما حلت قيداً من قيود المعاهدة أو كسرت سلسلة سكت عنها الناس راضين أو مستسلمين ولكنها عند ما تعدت هذا ووضعت عمامتها وظهر وجهها على حقيقته تنمر لها الأسد البريطانى يلف لفه كل الانجلوسكسونيين والافرنسيين وقالوا مكانك

فان دعاويك لم تعد تلق آذاناً منا

انك جمعت الجرمانيين فى صعيد واحد . ولا بأس بهذا

وانك تشكين الضيق الاقتصادى يحيق بأرضك فتضيق بسكانها فقلنا بلسان وزير خارجية الولايات المتحدة إن النظام الاقتصادى الحالى يجب أن يعدل ويجب أن ترفع الحواجز المفتعلة من جمركية ومن إعانة حكومية عن حرية التجارة وتباح المواد الأولية للجميع يتناولونها طبق حاجاتهم وأمن الانجليز على هذا المبدأ فسقطت حجة المطالبة بالمستعمرات

فماذا تريدين بعد هذا

قالت بضمير هاو بأفعالها لا بلسانها أريد أن أسود أوربا فالعالم أجمع . تفافتي تؤيدها القوة وتجارتى تمدها الأسلحة ولا يبقى على وجه الأرض بعد ذلك سيادة لغير وجه جرمانيا

ولا يظن القارىء أننا نبخس مبدأ الأخذ بالقوة حقه . فالقوة كانت ولا تزال محور تقدم الانسانية ولكنها القوة التى تقوم على خدمة الغير خدمتها لقومها . القوة التى لا تستند على الأنانية بل على التضامن الاجتماعى . هذه هى القوة التى نؤمن بها

وأما القوة الوحشية التى تريد أن تسيطر وتتحكم فى ماديات البشر وفى معنوياتهم فلن تقوم لها قائمة . انها قد تظفر ساعة ولكنها تتخذل دهرها بعد ذلك

هذا هو محور النزاع فى هذه الحرب

وقد ظهرت النيات وتقررت المبادىء ولن تستطيع دولة من الدول المتحالفة أو المؤيدة أن تخرج عن هذا المبدأ بعد الآن اذا هى خرجت ظافرة

فالشعوب استفاقت ولن ترضى بالعودة الى النظام القديم سواء أكان نظاماً على قاعدة القوميات أم نظاماً على قاعدة فرساى

وسيبوء الروح الجرمانى الحالى باللعنات كما باء من قبله إبليس وينحدر هتلر وأتباعه الى الهاوية فانهم خاسرو الحرب لا محالة

فانا لا يخالجنا شك فى أن العالم سيكون بعدها قد أفاد من أغلاطه السابقة فينتزع التعاليم العتيقة البالية من كتب التاريخ وينحو فى سيره ناحية تضامن دولى لا تسيطر فيه النزعة القومية التى لم يعرف أتباعها الخير على يدها وينصبون التماثيل لولسن ويقيمون جامعة تؤيدها قوة انجلوسكسونية تقف منها موقف الشرطة من أحكام الحاكم

ويسيطر النظام الاقتصادى الصحيح على العالم فتوزع موارد الشعوب توزيعاً ينزع أسباب القلق ودواعي الحرب . فيسود العقل وتضمحل الأوهام . فهل نعيش حتى نرى هذا اليوم

انه آت لا ريب فيه . مد الله لنا فى الحياة حتى نراه

سامى الجريديني

الحقائق الجغرافية لم تتغير كثيرا في هذا القرن عما كانت
عليه في القرن الماضي . وانما الذي تغير هو أفكار الناس
يحركهما مذهب جديد ، وعقيدة سياسية جديدة

خريطة أوربا في مائة عام

بقلم الدكتور محمد عوض محمد
وكيل كلية الآداب بجامعة فؤاد الاول

يلقى الناس أساتذة الجغرافيا وطلابها في هذه الايام، فينظرون اليهم نظرة إشفاق ورثاء وكأنهم قد فقدوا عزيزاً ، أو نزلت بهم كارثة فلابد من تعزيتهم في فقيدهم، تغمده الله بالرحمة والرضوان، وأنزل على جدثه غيثاً هاطلا ، ورحمة واسعة . ولا تكاد تمر بنا بضعة أيام ، حتى يلقانا بعض الأصدقاء ، فيرثى لحالنا ، لأن منزلنا الجغرافي قد تهدم ولابد لنا أن نبنيه من جديد

وفي هذا كله شيء كثير من الغلو ، صحيح أن الحدود السياسية لخريطة أوربا تتغير من آن لآن ، ولكن الحقائق الجغرافية الاساسية لم تزل اليوم كما كانت بالأمس ، وكما كانت منذ قرون ، لم يطرأ عليها تبديل يستحق الذكر . فالمبادىء الجغرافية القائمة على دراسة الظاهرات الطبيعية ، لا تتغير إلا ببطء شديد لا يكاد الانسان أن يحسه . والدراسات البشرية البحتة التي تعنى بتكوين الشعوب والأمم هي أيضاً قليلة التغير والتبدل . وانما الذي يتغير ويتبدل هو الأفكار السياسية التي يبنى عليها إنشاء الدول . وتكوين الوحدات السياسية ، ورسم الحدود بين الممالك والاقطار

إن ضم السوديت الى المانيا لم يحدث تغيراً في الحقائق الجغرافية ، لأن جماعات الالمان كانت تعيش في هذا القطر منذ زمن بعيد ، ولكن لم تحدثهم انفسهم بالانضمام الى المانيا الا في عهد الزعيم هتلر . والممر البولوني كان دائماً من المشكلات البارزة في الجغرافية السياسية لأوربا . وكذلك دانزج ، وهي مدينة جل سكانها من الالمان ، ولكنها لم تكن دائماً جزءاً من المانيا (١)

فهذه الحقائق الجغرافية قديمة ، لم يطرأ عليها تغيير ، وانما الذي تغير وتبدل هو المذاهب، التي تحرك الناس ، وتدفعهم الى تغيير الوحدات السياسية بما يقتضيه المذهب الجديد ، وبقدر ما في هذا المذهب من القوة التي تمكن الناس من تطبيقه تطبيقاً دقيقاً ، لا يقبل نقضاً ولا نقصاً

---

(١) من منتصف القرن الخامس عشر الى منتصف الثامن عشر كانت مدينة دانزج الحرة جزءاً من دولة بولونيا

وفى تطبيق مذهب سياسى جديد ، اتخذه الناس قاعدة لتكوين الوحدات السياسية ، ليس من الضرورى أن يلجأوا الى القوة واهراق الدماء . فقد انفصلت بلجيكا عن هولاندا من غير حرب، وانفصلت أسوج عن نروج دون أن يتعكر صفو العلاقات بين الدولتين . ويرى كثير من المفكرين أنه قد كان بوسع المانيا أن تحصل بالمفاوضة السلمية على ترضيات كثيرة سواء فيما له علاقة بدانزج أو الممر البولونى أو المستعمرات أو التجارة الخارجية والمساعدات المالية والمواد الاولية ، ولكن الحكومة الالمانية أضجرها الانتظار ، ولم تكن مؤمنة بصدق نية خصومها ، وفضلت أن تذهب مذهب المتنبي فى قوله :

من أطاق التماس شيء غلابا واغتصابا لم يلتمسه سؤالا

***

فالحقائق الجغرافية إذن لم تتغير كثيراً فى هذا القرن عما كانت عليه فى القرن الماضى أو القرون التى سبقته ، وانما الذى تغير هو أفكار الناس يحركها مذهب جديد ، وعقيدة سياسية جديدة

ولا يكفى أن ينشأ مذهب سياسى جديد لكى يحدث تغييراً خطيراً فى خريطة أوربا ، بل لابد أن يكون لهذا المذهب من القوة ، ومن الأنصار ما يدفع الناس الى التفانى فى الذود عنه ، وبذل



كل مجهود فى تحقيقه بل ويجعل المعارضين له يظهرون بمظهر من يحمى الباطل ويعادى الحق . انظر مثلا الى مذهب تقرير المصير ، وكيف كان من القوة الباهرة ، بحيث لم يكد أن يجد بين الدول من يستطيع أن يعاديه ، أو يناوئه صراحة . ولو أن مبدأ تقرير المصير نودى به فى القرن السابع عشر أو الثامن عشر لكان صيحة فى واد لا يصغى اليها سوى طائفة من الفلاسفة الذين لا تصلهم بالعالم صلة

***

ومن أراد أن يستعرض التقلبات التى طرأت على خريطة أوربا فى المائة سنة الاخيرة ، لا بد له أن يستعرض المذاهب السياسية التى كانت تدفع الناس وتحركهم ، لقد كانت أوربا فى عهد غير بعيد تحارب من أجل المذاهب الدينية فتسفك الدماء من أجل تعزيز المذهب الكاثوليكى ، أو نصرة المبادىء البروتستانتية

وقد أخذت هذه الغمرة تنجلى عن أوربا بالتدريج منذ ثلاثة قرون ، ولكن آثارها لم تزل باقية الى يومنا هذا ، وفى أوربا اليوم جماعات يرجح عندها المذهب الدينى على المذهب السياسى

ولكننا نستطيع أن نقرر أن العاطفة الدينية كعامل فى إثارة الحروب ظاهرة قد أخذت فى التلاشى منذ عهد بعيد ، وأخذت تحل محلها مذاهب جديدة غير متأثرة بالعاطفة الدينية

وهذه المذاهب الجديدة التى سيطرت على أوربا فى المائة السنة الاخيرة والتى لم تزل تعبث بالحدود السياسية وتتناولها بالتحوير والتغيير . يمكننا أن نعد منها أربعة مذاهب أساسية كان لها أثر قوى فى تعديل الحالة السياسية

المذهب الاول : هو مذهب التبعية الشرعية : Legetimacy ومعناه ان كل قطر تابع لملكه تبعية شرعية ، ويجب أن يظل تابعاً له . ولا بد لكل ملك أو أمير أن يدفع كل عدوان يراد به انتزاع جزء من ملكه ، الذى يحكمه بما له من الحق المقدس الموروث . فى ذلك العهد كانت الدولة والعرش شيئاً واحداً لا يمكن الفصل بينهما . وحينما عبثت فتوح نابليون بهذه العقيدة ، وزعزعت أركانها ، لم تلبث العروش أن اتحدت وتضافرت ، وشهد العالم اتحاد روسيا وبريطانيا وبروسيا ، والنمسا واقفة كلها صفا واحداً للدفاع عن حقوق العروش المسلوبة ، واتخاذ الوسائل التى تمكنها من أن تحافظ على ملكها من أن يتعرض له فى المستقبل أمثال نابليون من المغامرين الفاتحين

زعم نابليون ـ وهو فى سجنه بسنت هيلانة أنه كان يبغى توحيد دول أوربا ، وأن يكون منها دوله عظيمة ذات حضارة أرقى وأسمى . وسواء أصح هـذا الزعم أو لم يصح ، فانه لم يكن بأوربا استعداد لهذه العقيدة السياسية الطريفة ، ولم يكن لها أنصار يتفانون فى الدفاع عنها . ولو بذرت تلك البذرة فى ذلك العصر ، فان التربة الأوربية لم تكن لتقبلها ، ولو يكن بد من أن

تموت وتفنى . ولم يزل مذهب توحيد أوربا وتحويلها الى « ولايات أوربا المتحدة » فكرة لا تخطر الا لأفراد قلائل بل حلماً قد ازداد تحقيقه بعداً على مدى الاجيال . وآخر محاولة لتنفيذه تكوين عصبة الأمم ، التى لم تلبث أن ارتطمت بعقائد سياسية أشد منها صعوبة وقوة ، فلم تلبث أن أصبحت وليس لها فى السياسة الاوربية سوى أثر ضئيل

فالمذهب السياسى القوى قبل نابليون وبعده ، هو مذهب التبعية الشرعية لذوى العروش ، وقد أعيد البيت المالك فى فرنسا الى ملكه ، فأصبحت دول أوربا مرة أخرى مقسمة بين ملوك وأمراء ، والوحدة السياسية هى العرش وما يملكه من الأقطار ، وما يسيطر عليه من الرعايا . فكان عرش آل هابسبورج يضم أجناساً وشعوباً عديدين ، وعرش الروس يهيمن على الروس وغير الروس من الشعوب . وفرنسا نفسها كانت تأوى أقليات من الالمان والبريتون والباسك

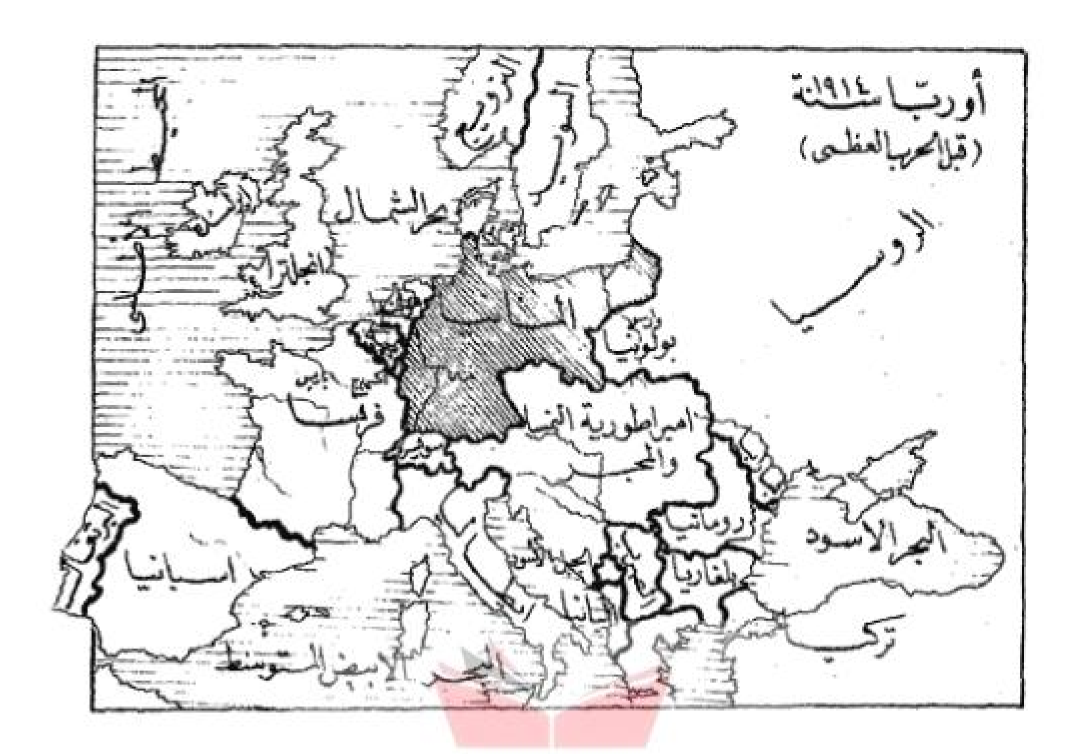
صحيح أن مذهب الشرعية هذا لم يحل دون اقتسام بولونيا واغتيالها . ولكن الذين قاموا بهذه الجريمة كانوا مدركين أنهم يرتكبون جريمة ، حتى ليروى أن عاهلة النمسا ماريا تريزا كانت تذرف الدمع لاشتراكها فى هذا الجرم . وكان فردريك الثانى ملك بروسيا يسخر منها لأنها ما برحت تبكى وتأخذ

ولكن هذا المذهب القديم ، لم يلبث حتى فى عصر نابليون نفسه أن أخذ بناؤه يتزعزع ، وأخذ يظهر فى جو أوربا مذهب جديد قوى عنيف ، قد ساعدت على ايجاده من غير شك ثورة فرنسا ، كما غذاه وقواه نابليون نفسه حين من الايطاليين انشاء مملكة ايطالية ، وأخذ يضم الامارات الالمانية الصغيرة بعضها الى بعض

مذهب القومية

ذلك المذهب الجديد الذى كان وليد يقظة الشعوب ، وإدراكها لكيانها ، ورغبتها الشديدة فى أن يكون مصيرها فى أيديها ، لم يتكون بين يوم وليلة ، بل ولا فى جيل واحد ، بل أخذ يتكون وينمو ويشتد على مدى الاجيال ، حتى أصبح مبدأ ثابتاً راسخ القواعد ، وأصبح أنصاره من الكثرة والقوة بحيث لا يجرؤ أحد على انكاره أو الخروج عليه

لقد نما مذهب القومية واشتد بنمو الادراك السياسى لدى شعوب أوربا . والتقلبات التى طرأت على خريطة أوربا فى المائة السنة الاخيرة ، هى نتيجة النزاع الشديد العنيف فى تطبيق هذا المذهب . ولقد كان من أهم آثار تطبيق هذا المذهب فى القرن التاسع عشر وفى أوائل القرن العشرين تكوين دولة ألمانيا حول مملكة بروسيا ، وتكوين دولة ايطاليا على أساس مملكة بيدمونت وتكوين دول البلقان بتمزيق الممتلكات العثمانية فى أوربا

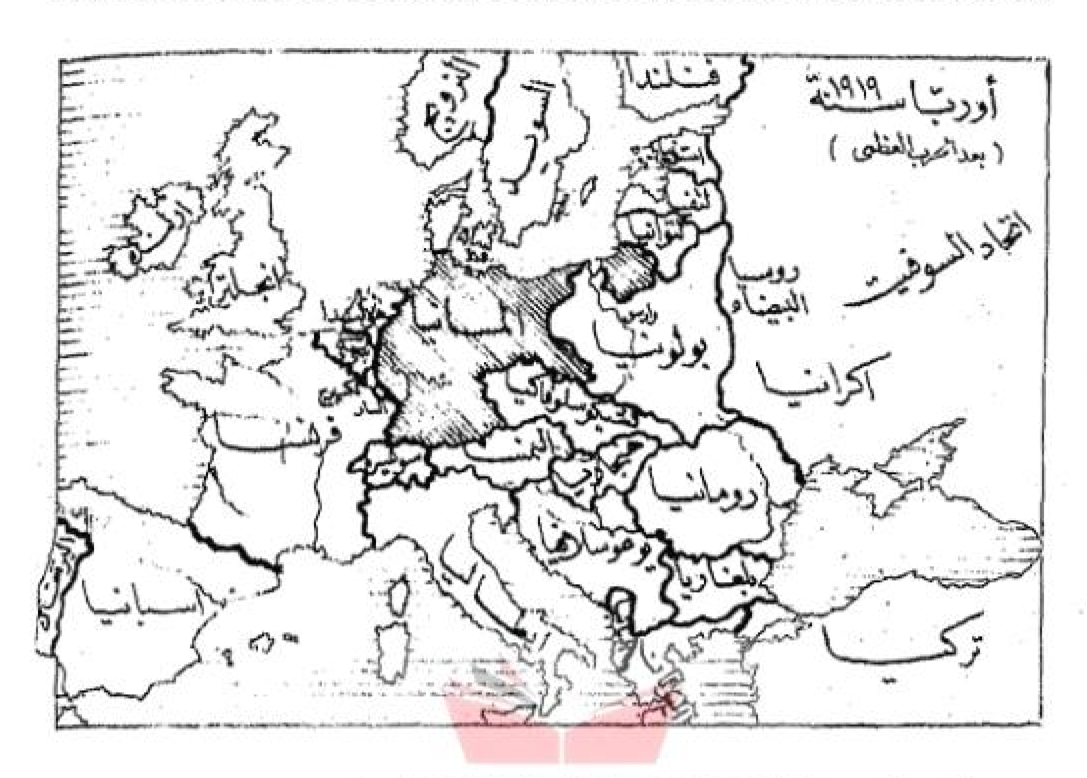


وبرغم تطبيق مذهب القومية — الذى يقتضى أن تكون الوحدات السياسية متمشية مع الوحدات الجنسية — لم يكن بد من حروب وثورات وبذل جهود جبارة لتحقيق هذا المذهب وكانت هنالك قوى شديدة المقاومة استطاعت أن تحول دون تطبيق هذا المذهب عليها ، فقد ظلت دولة روسيا تؤوى شعوباً عديدة ليست من الروس ، وبقيت دولة هابسبرج فى النمسا ، تسيطر على قوميات كثيرة لا تمت الى العنصر الجرمانى بأدنى صلة

غير أن مبدأ القومية وان لاقى اضطهاداً وكبحاً فى الشرق والوسط من أوربا ، فانه لم يزدد بهذا إلا قوة وعناداً

مذهب تقرير المصير

وحينما انفجرت براكين الحرب الأوربية الكبرى فى عام ١٩١٤ كان مذهب القومية من أكبر العوامل فى هزيمة دول الوسط . بل ولم تسلم روسيا نفسها من أن يطبق عليها هذا المذهب الذى اتخذ الآن شكلا جديداً أشد عنفا من سابقه ، وهو مذهب تقرير المصير . فقد نادى الزعيم الامريكى ولسون ومعه خلق كثير بأن لكل جماعة فى أوربا الحق المطلق فى أن تقرر مصيرها السياسى . وهذا المذهب الجديد ، وان لم يكن سوى مبدأ القومية فى صورة جديدة ، ولكنها



صورة أشد عنفا ، وتطرفا ، ولهذا يجوز لنا أن ننظر اليه كمذهب سياسي جديد

ولم يكن بالشيء السهل رسم خريطة جديدة لأوربا تكون الوحدات السياسية فيها منطبقة على الوحدات الجنسية تمام الانطباق ، لأن الأجناس والشعوب كانت متداخلة بعضها فى بعض . وفى العهد الطويل الذى كانت فيه تلك الشعوب تعيش داخل دولة عظيمة مثل النمسا وروسيا وتركيا كان أفرادها ينتقلون من إقليم الى إقليم . وأوشك ألا يكون فى أوربا الوسطى والشرقية جهات تخلو من أقليات تنتمى الى شعب خلاف الشعب السائد فيها

ولهذا جاء مبدأ تقرير المصير مخيباً لكثير من الآمال، فقد كان تطبيقه سبباً فى إنشاء دويلات صغيرة هزيلة ، تشتمل على أجناس متنافرة متباغضة . فاذا كان أريد من تطبيق هذا المبدأ أن يحل مشكلة جنسية ، فانه من غير شك قد أثار مشاكل أخرى عديدة

مذهب الجامعة الجرمانية

هنا ننتقل الى العهد الاخير ، الذى أفضى الى الحرب الحالية والذى يمتاز بظهور فكرة جديدة لا نستطيع أن نسميها مذهباً سياسياً الا بشيء كثير من التسامح ، فهو مذهب مرن مصنوع من المطاط ، يتسع من ناحية وينكمش من ناحية أخرى ، وفقا لأهواء الدعاة اليه ، الذين رزقوا

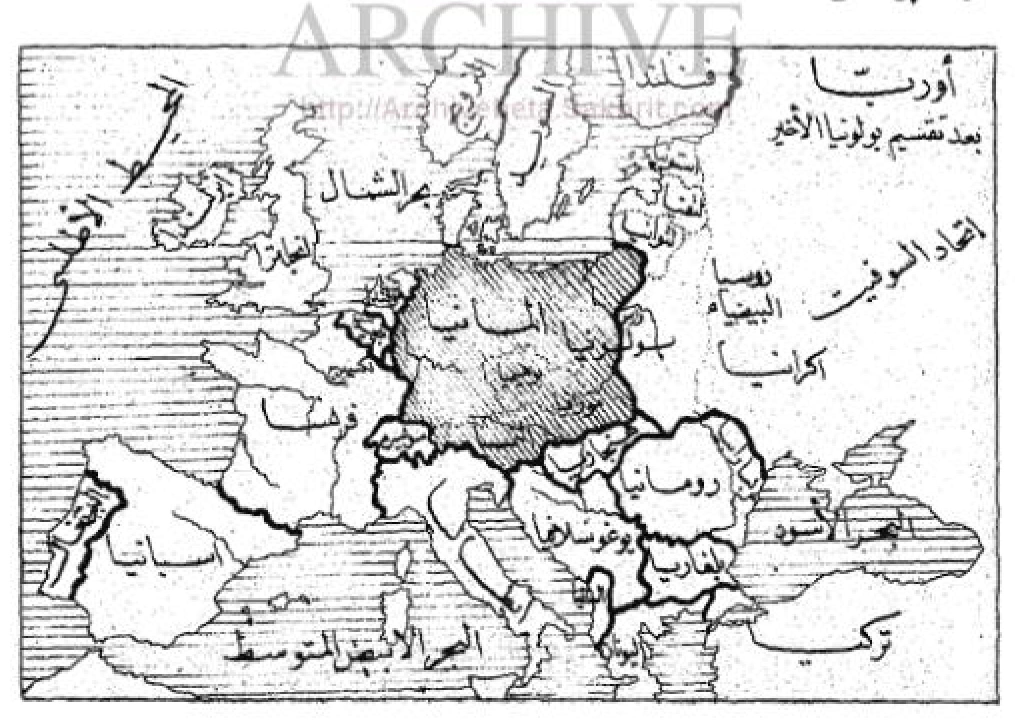
خناجر من الفولاذ استطاعوا بها أن يخدعوا الناس أو يرهبوهم كما يشاءون . هـذا هو مذهب الجامعة الجرمانية ، الذى كان يشتمل على مبدأين فى غاية من الخطورة :

أولهما أن جميع المتكلمين باللسان الالماني يجب أن ينضموا راغبين أو كارهين تحت لواء دولة واحدة

والمبدأ الثانى ، ولعله أخطر المبادىء التى يقوم عليها المذهب الجرماني هو أن الالمان صفوة الخلق وأرق الامم وأن سيادتهم تقتضى مكانا حيويا Lebensraum . وهذا المكان الحيوى هو أيضاً مصنوع من المطاط بحيث أمكن أن يتسع أو ينكمش كما شاء الدعاة وشاء لهم الهوى

ومن الأدلة على مرونة هذا المذهب انه قبل أن ينكمش الوطن الجرمانى من ناحية ايطاليا باخراج الالمان من التيرول الجنوبى ، وترحيلهم الى ما وراء الحدود الايطالية ، كما قبل أخيراً أن ينسحب الالمان من أوكرانيا الروسية ومن بلاد البحر البلطى : استونيا ولتونيا ، ولتوانيا !

هذا من حيث الانكماش ، أما من حيث الاتساع فقد استطاع دعاة هذا المذهب أن يضموا الى الدولة الالمانية لا بلاد النمسا والسوديت الالمانية فحسب ، بل والى بسط « الحماية » على بلاد التشك والمورافيين ، قبل الحرب الحالية بشهور . ثم ضم ملايين البولونيين الى الوطن الجرماني فى الشهر الماضى



من هنا يتضح لنا أن هذا المذهب الجديد الذى أفضى فى النهاية الى إثارة الحرب الحالية، لا يقوم على أساس مطرد . فلقد كان فيما مضى ينادى بالوطن الجرمانى وحده ، ثم أخذ بعد ذلك يتخلى عن بعض الجهات التى يعيش فيها الالمان ، ويستوعب أقطاراً ليس بها ألمان

تطورات النزاع الحالى

ولا نستطيع أن نتكهن عن نتائج الحرب الحالية ، وما قد تعقبه من التغيرات فى خريطة أوربا . فهى اليوم رهينة نتائج الحرب الطاحنة التى تدور رحاها اليوم

ذلك أن خريطة أوربا لا تقررها المبادىء العادلة والمذاهب السياسية المعقولة ، بل المذاهب التى تؤيدها القوة ويعززها النصر فى ميادين القتال

محمد عوض محمد



فى الحرب

* ليس أفظع من الانكسار فى المعركة إلا الانتصار فيها
(ولنجتون)

* ان خراب أوربا انما يكون على أيدى قوادها فى الحروب
(مونتسكيو)

* ان الانتصار فى الحرب يخفي سيئاتها كما تغطى الحسنات السيئات
(نابيه)

* ما الحرب إلا أعمال بربرية منظمة . وهو من بقايا الهمجية مهما اختلفت مظاهرها وأشكالها
(لويس نابليون)

« قال السابقون في القسى الموتورة ، والسهام المنصولة والقنا الخطية ، والسيوف الهندوانية ، كما قالوا في خذف المقاليع ورمى المجانيق .. فهل لنا ان ننظر في كتابنا وشعرائنا اليوم مثل هذا ، وقد أجد العلم للحرب ما أجد مما لا يكاد يحصيه عد »

بين الأدب والحرب

بقلم الأستاذ عبد العزيز البشرى

لا غرو على اذا زعمت ان الادب ليس مدينا لشيء من الاشياء بقدر ما هو مدين للحروب. هو مدين لها في قوته وازدهاره ، وسعة آفاقه ، وكثرة تصرفه في فنون المعاني وتقلبه في شتى الاغراض

لقد دخل حديث الحروب واسبابها وما يتصل بها في أكثر أبواب الادب ، واحتل منها المكان الارفع ، بما له من شدة القول ، وجزالة اللفظ ، وتلاحم النسج ، واشراق الديباجة ، ودقة التشبيه ، وبراعة التخيل . ولك أن تقلب النظر في أبواب الادب لتدرك كيف أمد حديث الحروب وغذى ، وكيف أعز وأغنى ، وما ولد من المعاني ، واستحدث من الصيغ ، وأجد من رائع الكلام ، وانك لتجرى هذا الحكم بدرجة سواء على ابواب الوصف ، والفخر وما اليه من الحماسة ، والمديح ، والرثاء والهجاء ، حتى الغزل . وأى شيء لعمرى وراء ذلك من أبواب الادب ؟

ولم يقتصر تصرف البلاغات الحربية على أحد الفنين ، بل لقد شاعت في النظم والنثر جميعا . وكان في الذروة بالضرورة ، منها ما جاء به القرآن الكريم ، ويأتى بعد ذلك كلام النبى عليه الصلاة والسلام

وبعد ، فلقد قالت العرب وقال المستعربون في وصف الحروب ، وجياد الخيل ، والسلاح ووصف الشجعان ، والخوارين الجبناء ، كما قالوا في الصبر والاقدام ، والمكيدة في الحرب ، والتحفظ من العدو ، وناهيك ما تفاخروا به من الشجاعة وتكاثروا ، وما تذاموا به من الجبن وتعايروا . وما مدحوا به الكماة فأبدعوا في الثناء ، وما رثوا به قتلى الحروب فأفلقوا في الرثاء . ذلك الى ما أثر في هذه الابواب من حكم الحكماء . وما سار من أوامر القادة ووصايا الامراء الخ. الخ

واذا كان استقصاء ما قيل في الحروب واسبابها وما يتصل بها مما يتجاوز جهد الطاقة ، واذا كان الاتيان على ما جاءت به كتب الادب والتاريخ والسير مما لا يحتمله مقال ، بل

ان محله الاسفار الضخام ـ فان من الحق علينا أن نأتى بألوان من النماذج فى هذه الابواب. ولنبدأ ببعض ما ورد فى القرآن العزيز

بسم الله الرحمن الرحيم

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ، وآخرين من دونهم لا تعلمونهم ، الله يعلمهم) « الانفال »

وقال جل وعلا : (كتب عليكم القتال وهو كره لكم ، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم • وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم) « البقرة »

وقال : (فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة • ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما) « النساء »

وقال : (والذين هاجروا فى سبيل الله ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا ، وان الله لهو خير الرازقين) « سورة الحج »

وقال : (ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون) (وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين) (واقتلوهم حيث ثقفتموهم (١) واخرجوهم من حيث أخرجوكم) « البقرة »

وقال : (فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك ، وحرض المؤمنين ، عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا ، والله أشد بأسا وأشد تنكيلا) « النساء »

(ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) « الصف »

(يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة) « التوبة »

(يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم) « التحريم »

(فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وانتم الاعلون والله معكم ولن يتركم اعمالكم)

(ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم)

(فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، حتى اذا أثخنتموهم (٢) فشدوا الوثاق ، فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها) « سورة محمد »

(يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ، ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله)

(فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون • واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء • ان الله لا يحب الخائنين) « الانفال »

(اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا ، سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب ، فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان) « الانفال »

---

(١) صادفتموهم وظفرتم بهم (٢) اثقلتموهم بالقتل والجراحات

(يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا ، قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم) « آل عمران »

(ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الايام نداولها بين الناس) « آل عمران »

(واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا ان الله مع الصابرين) (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ، واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه) « سورة الانفال »

(يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ، وكان الله بما تعملون بصيرا ، اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا)

ونختم ما أوردنا من آى الجهاد بما وصف القرآن به جياد الخيل فى الغارة ، قال جل مجده وتعالى ذكره : (والعاديات ضبحا (١) . فالموريات قدحا (٢) . فالمغيرات صبحا (٣) . فأثرن به نقعا . (٤) فوسطن به جمعا)

الله أكبر ! هذه بلاغة تتقطع دونها علائق الاقلام . وليت شعرى هل يعدل كلام الله كلام ؟!

فى الشجاعة والاقدام

والآن ننتقل الى ما قيل فى الشجاعة والاقدام . ونبدأ بما كان من خير الانام ، عليه الصلاة والسلام :

روى الامام البخارى بسنده أن رجلا سأل البراء بن عازب رضى الله عنه : أفررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال نعم ! لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر . ثم قال : لقد رأيته على بغلته البيضاء ، وابو سفيان آخذ بلجامها ، والنبى (ص) يقول : انا النبى لا كذب . وزاد غيره : أنا ابن عبد المطلب . قيل فما رؤى يومئذ أحد أشد منه . الى أن قال : فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين . فطفق رسول الله (ص) يركض بغلته نحو الكفار

وعن على رضى الله عنه قال : انا كنا اذا حمى البأس ، واحمرت الحدق ، اتقينا برسول الله (ص) فما يكون أحد أقرب الى العدو منه . ولقد رأيتنى يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى

---

(١) العاديات : الخيل التى تعدو فى الغزو ، والضبح صوت انفاسها اذا عدت (٢) الموريات : القادحات . والايراء : اخراج النار . والمراد ما يتقدح من حوافرها . والقدح : الصك . (٣) المغيرات : الشديدات العدو فى الغارة . (٤) النقع : الغبار ، والمراد غبار الحرب . ويقال له أيضا : الرهج بفتحتين

(ص) وهو أقربنا الى العدو وكان من أشد الناس يومئذ بأسا . وقيل : كان الشجاع هو الذي يقرب منه (ص) اذا دنا العدو لقربه منه

وقال له أبى بن خلف حين افتدى يوم بدر : عندى فرس أعلفها كل يوم فرقا من ذرة أقتلك عليها . فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : أنا أقتلك ان شاء الله !

فلما رآه يوم أحد ، شد أبى على فرسه ، على رسول الله (ص) فاعترضه رجال من المسلمين ، فقال رسول الله : هكذا . أى خلوا طريقه ، وتناول الحربة من الحارث بن الصمة ، فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير اذا انتفض . ثم استقبله فطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا . فرجع الى قريش يقول : قتلنى محمد . وهم يقولون : لا بأس بك . فقال : لو كان ما بى بجميع الناس لقتلهم ! أليس قد قال : أنا أقتلك ؟ والله لو بصق على لقتلنى !

وهلك الخاسر فى قفول قريش الى مكة

ومن أبلغ ما قال الشعراء فى الشجاعة ، قول العباس بن مرداس السلمى :

أشد على الكتيبة لا أبالى   أحتفى كان فيها أم سواها

وقول المتنبى :

شجاع كأن الحرب عاشقة له   اذا زارها فدته بالخيل والرجل

وقول البحترى :

معشر أمسكت حلومهم الار   ض وكادت لولاهم أن تميدا
فاذا الجدب جاء كانوا غيوثا   واذا النقع ثار ثاروا أسودا
وكأن الاله قال لهم فى الـ   ـحرب كونوا حجارة أو حديدا

وقول آخر :

قوم شراب سيوفهم ورماحهم   فى كل معترك دم الاشراف
رجعت اليهم خيلهم بمعاشر   كل لكل جسيم أمر كاف
يتحننون الى لقاء عدوهم   كتحنن الآلاف للآلاف
ويباشرون ظبا السيوف بأنفس   أمضى وأقدم من ظبا الاسياف

وقول آخر :

الضاربين بكل أبيض مخذم   والطاعنين مجامع الاضغان

فى الجهاد والصبر على الشدائد

ومن أحسن ما قيل فى فضل الجهاد ، والصبر على شدائده ، قول النبى صلى الله عليه وسلم : (الروحة والغدوة فى سبيل الله أفضل من الدنيا وما فيها) و (الجنة تحت ظلال السيوف) و (والذى نفسى بيده لولا أن رجالا من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عنى ولا أجد ما أحملهم عليه ، ما تخلفت عن سرية تغزو فى سبيل الله . والذى نفسى بيده لوددت أن أقتل فى سبيل الله ، ثم أحيا ثم أقتل ، ثم أحيا ثم أقتل ، ثم أحيا ثم أقتل)

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه يوم صفين ، وقد قيل له : أتقاتل أهل الشام الغداة ، وتظهر بالعشى فى ازار ورداء ؟ فقال : أبالموت تخوفوننى ؟ فوالله ما أبالى أسقطت على الموت أم سقط الموت على ! بقية السيف أنمى عددا . وقيل له : ان درعك لا ظهر لها ، فقال : اذا استمكن عدوى من ظهرى فلا يبق !

وقال خالد بن الوليد عند موته : لقيت كذا وكذا زحفا ، وما فى جسدى موضع الا فيه طعنة برمح ، أو ضربة بسيف ، أو رمية بسهم . وهأنذا أموت على فراشى حتف أنفى كما يموت العير . فلا نامت أعين الجبناء !

وقال عبد الله بن الزبير لما بلغه قتل أخيه مصعب : ان يقتل فقد قتل أخوه وأبوه وعمه . انا والله لا نموت حتفا . ولكن قعصا بأطراف الرماح ، وموتا تحت ظلال السيوف !

وقيل للمهلب بن أبى صفرة : انك لتلقى نفسك فى المهالك ! فقال : ان لم آت الموت مسترسلا ، أتانى مستعجلا . انى لست آتى الموت من حبه ، وانما آتيه من بغضه . وتمثل بقول الحصين بن الحمام :

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد ... لنفسى حيـاة مثل أن أتقـدما

وهى قصيدة مشهورة منها :

فلسنا على الاعقاب تدمى كلومنا ... ولكن على أقدامنا تقطر الدما
نفلق هامـا من كرام أعـزة ... علينـا وهم كانوا أعق وأظلما

وقال جرير :

قل للجبـان اذا تأخر سرجه ... هل انت من شرك المنية ناجى ؟

وقال حبيب بن أوس الطائى :

فأثبت فى مستنقع الموت رجله ... وقال لها من تحت أخمصك الحشر
وقد كان فوت الموت سهلا فرده ... اليه الحفاظ المر والخلق الوعر
غدا غـدوة والحمد نسج ردائه ... فلم ينصرف الا واكفـانه الاجر
تردى رداء الموت حمرا فما أتى ... لها الليل الا وهى من سندس خضر

فى وصف الحرب

ومن أبلغ ما قيل فى وصف الحرب : مشت الفحول ، مشى الوعول ، فلما تصافحت السيوف ، فغرت المنايا أفواهها . وقول الشاعر :

كأن الافق محفوف بنار ... وتحت النار آساد تزير

وقول الآخر :

ويوم كـأن المصطلين بحـره ... وان لم يكن جمر وقوف على جمر
صـبرنا له حتى تجـلى وانما ... تفرج أيام الـكريهة بالصـبر

وقول حسان :

اذا ما غضـبنا بأسيافنا ... جعلنـا الجماجم أغمادهـا

وقول التنوخى شاعر اليتيمة :

في موقف وقف الحمام ولم يزغ | عن ساحتيه وزاغت الابصار
فقنا تسيل من الدماء على قنا | بعلوالهن تقصف الاعمار
ورؤوس أبطال تطاير بالظبى | فكأنها تحت الغبار غبار

وقول الشاعر :

اذا ما غضبنا غضبة مضرية | هتكنا حجاب الشمس او قطرت دما

وقول بشار :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا | واسيافنا ليل تهاوى كواكبه

ومن أبدع ما وصف به السيف قول البحترى :

يتناول الروح البعيد مناله | عفوا ويفتح في القضاء المقفل
ماض وان لم تمضه يد فارس | بطل ومصقول وان لم يصقل
يغشى الوغى فالترس ليس بجنة | من حده والدرع ليس بمعقل
مصغ الى حكم الردى فاذا مضى | لم يلتفت واذا قضى لم يعدل

وقول ابن المعتز :

ولى صارم فيه المنايا كوامن | فما ينتضى الا لسفك دماء
ترى فوق متنيه الفرند كأنه | بقية غيم رق دون سماء

ومن أروع ما قيل فى الرمح قول أبى تمام :

انهبت أرواحه الارماح اذ شرعت | فما ترد لريب الدهر عنه يد
كأنها وهى فى الاوداج والغة | وفى الكلى تجد الغيظ الذى تجد
من كل أزرق نظار بلا نظر | الى المقاتل ما فى متنه أود
كأنه كان خدن الحب منذ زمن | فليس يعجزه قلب ولا كبد

ومن أروع ما قيل فى الحرب ، قصيدة أبى تمام التى مطلعها :

السيف أصدق أنباء من الكتب | فى حده الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف فى | متونهن جلاء الشك والريب

وهى مشهورة ومنها :

لقد تركت أمير المؤمنين بها | للنار يوما ذليل الصخر والخشب
غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحى | يشله وسطها صبح من اللهب
حتى كأن جلابيب الدجى رغبت | عن لونها أو كأن الشمس لم تغب
ضوء من النار والظلماء عاكفة | وظلمة من دخان فى ضحى شحب
فالشمس طالعة من ذا وقد أفلت | والشمس واجبة من ذا ولم تجب
تصرح الدهر تصريح الغمام لها | عن يوم هيجاء منها طاهر جنب

فى الجبن والفرار

ومن أحسن ما ورد فى صفة الجبن ، والتعيير بالفرار والذعر ، قول حسان بن ثابت رضى الله عنه :

ان كنت كاذبة الذى حدثتنى فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الاحبة لم يقاتل دونهم ونجا برأس طمرة ولجام

وقال المتنبى :

يرى الجبناء أن الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم

وقال غيره :

يفر جبان القوم عن عرس نفسه ويحمى شجاع القوم من لا يناسبه

وقال آخر :

وضاقت الارض حتى ان هاربهم اذا رأى غير شيء ظنه رجلا

وقال جبان ، يتحدث عن نفسه :

قامت تشجعنى هند فقلت لها ان الشجاعة مقرون بها العطب
لا والذى منع الابصار رؤيته ما يشتهى الموت عندى من له أرب
للحرب قوم أضل الله سعيهم اذا دعتهم الى نيرانها وثبوا .

وقيل لجبانٍ فى بعض الوقائع تقدم ، فقال :

وقالوا تقدم ، قلت: لست بفاعل أخاف على فخارتى أن تحطما
فلو كان لى رأسان اتلفت واحدا ولكنه رأس اذا زال أعقما

وقال مثله :

تمشى المنايا الى قوم فأبغضها فكيف أعدو اليها عارى الكفن ؟

وقيل لاعرابى : الا تعرف القتال ؟ فان الله قد أمرك به ، فقال : والله انى لابغض الموت على فراشى ، فكيف أمضى اليه ركضا ؟

وقيل لزيد : ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : اذا رأيت شخصا بالليل فكن للاقدام عليه أولى منه عليك . فقال : أخاف أن يكون قد سمع الحديث قبلى فاقع معه فيما أكره . وانما الهرب خير !

وقالت عائشة رضى الله عنها : ان لله خلقا قلوبهم كقلوب الطير ، كلما خفقت الريح خفقت معها . فأف للجبناء ، أف للجبناء !

ولقى غلام اعرابيا فارا من القتال فقال له : كيف تفر يا عم من لقاء العدو ؟ قال : يا ابن أخى ، كيف يكونون لى عدوا وما اعرفهم ولا يعرفوننى ؟

وعير آخر الفرار فقال : لان يقال فر لعنه الله ، خير من أن يقال قتل رحمه الله !

وكان ابو حية النميرى من أجبن الناس وأكذبهم . وكان له سيف يسميه (لعاب المنية) ليس بينه وبين الخشب فرق . روى بعضهم أن جارا لابى حية حدثه فقال :

دخل ليلة الى بيته كلب فظنه لصا . فاشرفت عليه وقد انتضى سيفه (لعاب المنية) وهو واقف فى وسط الدار ، وهو يقول : أيها المغتر بنا ، المجترىء علينا . بئس والله ما اخترت لنفسك . خير قليل ، وسيف صقيل . لعاب المنية الذى سمعت به ، مشهورة ضربته ، لا تخاف نبوته . اخرج بالعفو عنك ، قبل ان أدخل بالعقوبة عليك . انى والله ان أدع

قيسا اليك لا تقم لها ! وما قيس ؟ تملأ والله الفضاء خيلا ورجلا . سبحان الله ! ما أكرمها وأطيبها !

فبينما هو كذلك اذا الكلب قد خرج ، فقال : الحمد لله الذى مسخك كلبا ، وكفانى حربا !

فى الغزل

ومن أجود ما أوحت صور الحرب الى الشعراء فى باب الغزل ما قال المتنبى :

يا بنت معتنق الفوارس فى الوغى — لابوك ثم ابر منك وارحم !

وقال ابن هانىء الاندلسى :

فتكات لحظك أم سيوف أبيك — وكؤوس خمر أم مراشف فيك ؟
اجلاد مرهفة وفتك محاجر — لا انت راحمة ولا أهلوك !
يا بنت ذى البرد الطويل نجاده — أكذا يكون الحكم فى ناديك ؟

وقال الشاعر :

رمتنى وستر الله بينى وبينها — عشية أرام الكناس رميم
رميم التى قالت لجارات بيتها — ضمنت لكم الا يزال يهيم
ألا رب يوم لو رمتنى رميتها — ولكن عهدى بالنضال قديم

وقال عنترة :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل — منى وبيض الهند تقطر من دمى
فوددت تقبيل السيوف لانها — لمعت كبارق ثغرك المتبسم

***

هذه نماذج يسيرة جدا جدا اذا أضيفت الى ما قيل فى الحرب وآلاتها وسائر أسبابها . على انها ، فيما أرى ، كافية حق الكفاية فى الابانة عن مبلغ ما أجدت الحروب على الآداب

وبعد ، فلقد قال السابقون فى الفوارس المعلمة ، والخيل المسومة ، والقسى الموتورة ، والسهام المنصولة . والقنا الخطية ، والسيوف الهندوانية ، كما قالوا فى خذف المقاليع ، ورمى المجانيق . وذلك كل ما شهدوا فى زمانهم ، وادركوا من آلة حربهم وقتالهم . ومع هذا فقد أطالوا واكثروا ، وأبدعوا فيما خيلوا وصوروا . وانتظموا البديع من الفصح، وأتوا بالعاجب من الصيغ . فضاعفوا ثروة العربية ، وأبعدوا آفاقها الى نهاية المدى

فهل لنا أن ننظر من كتابنا وشعرائنا اليوم مثل هذا ، وقد أجد العلم للحرب ما أجد ، مما لا يكاد يحصيه عد ، ما بين مزمزمات فى جو السماء ، ومدمدمات على متن الغبراء ، وغائصات فى جوف الماء ، وسابحات على وجه الدأماء . وقاذفات من اللهب ، بأمثال الشهب ، وناضحات بالغازات الخانقة ، وراميات بالقنابر الناسفة والخارقة . الخ ما أعد العلم المجرم ولا كرامة ، من أهوال تشهد العالم أهوال القيامة

عبد العزيز البشرى

في الوطن والحرية

أناشيد جديدة للأستاذ خليل مطران

وضع شاعر الأقطار العربية الأستاذ خليل مطران ، مؤلفاً شعرياً جديداً للناشئين من التلاميذ يحتوى مائة ارجوزة وقد تفضل فخص الهلال بطائفة من تلك الأراجيز البديعة . ونحن ننشر لقراء هذا العدد الأراجيز الثلاث الآتية . واحداها بعنوان « الوطن » وثانيتها بعنوان « الحرية القومية » وثالثتها « الوطنية العاملة »

الوطن

لَيْسَ القُرَى وَلا الدِّمَنْ ... بوطنٍ أنتَ الوطنْ
هَل الحِمَى إذا انتَمَي ... يوماً سِوَى أهلِ الحِمَى

البَيْتُ ما قدَّرْتَ له ... مِنْ حالةٍ أوْ منزلهْ
إنْ هوَ إلا أهلُهُ ... لهمْ علمُهُ أوْ جهلُهُ

جلالُهُ أوْ دِقَّتُهْ ... جفوتُهُ أوْ رِقَّتُهْ
هوانُهُ أوْ شرفُهْ ... حِفاظُهُ أوْ سرفُهْ

مهما تشأْ يرتفعِ ... وما تشأْ يتضعِ
صلاحُهُ ما تُصلحُ ... إصلاحُهُ ما تُصلحُ

أنتَ أجلُّ النُّظرا ... فيهِ فإياكَ ترى
بالرُّوحِ أوْ بالذَّاتِ ... كالرَّسمِ في المرآةِ

الحرية القومية

لا تُدرَكُ الحريهْ ... بالشوقِ والأمنيهْ
تلكَ عروسٌ أغلى ... لها المحلُّ الأعلى

لَيْسَ يَفِيهَا مَهْرًا بِذَلِكَ فِيهَا الْعُمْرَا
سَعَادَةٌ لَا تُوهَبُ لَكِنَّهَا قَدْ تُكْسَبُ

شَعْبٌ شَدِيدُ الشَّغَفِ بِاللَّهْوِ أَوْ بِالتَّرَفِ
مُخَالِفُ الرَّذِيلَه مُخَالِفُ الْفَضِيلَه

يَجْبُنُ حَيْثُ الْمَصْلَحَه يَجْرُؤُ جُرْأَةَ الْقِحَه
لَيْسَ مِنَ الْعُلُومِ بِمَوْضِعٍ مَعْلُومِ

وَلَيْسَ فِي الْفُنُونِ سِوَى أَخِي فُنُونِ
كَيْفَ تَرَاهُ يَجْرِى بِأَنْ يَكُونَ حُرًّا

مَا كَانَ خَلْعَ الرِّقِّ لِغَيْرِ مُسْتَرِقِّ

الوطنية العاملة

مَحَبَّةُ الْبِلَادِ فِي حَبَّةِ الْفُؤَادِ
يَصْدُقُ مُدَّعُوهَا مَهْمَا يُنَوِّعُوهَا

إِذَا تَوَلَّوْا شَيْئًا فَقَدْ تَلَاقَوْا شَرْعَا
مُخْتَلِفِي الْآثَارِ مُتَّحِدِي الْإِيثَارِ

يَبْغُونَ لِلْأَوْطَانِ نِهَايَةَ الْعُمْرَانِ
فَمَنْ رَأَى مِنْ مَجْدِهَا تَطَاوُلًا فِي حَدِّهَا

أَوْ مَنْ رَأَى مِنْ ذُلِّهَا تَنَاصُرًا فِي ظِلِّهَا
أَوْ مَنْ رَآهَا مُجْحِفَه أَشْرَفَ مِنْهَا مُنْصِفَه

أَوْ مَنْ رَآهَا هَادِيَه حِينَ تَكُونُ عَادِيَه
كُلُّهُمُو قَدْ صَرَّحَا عَمَّا بِهِ ، فَنَصَحَا

لَكِنَّ فِعْلًا يُفْعَلُ خَيْرٌ لَهَا وَأَكْبَرُ

الحرب ونزعة الفكر الألماني

بقلم الاستاذ علي أدهم

« الدولة الالمانية قائمة على الحرب . ومن سياستها ان تكون علاقتها بجيرانها سيئة على الدوام ، وان تنتحل الاعذار لاثارة الشقاق والخلاف معها ثم تسحقها بعد ذلك »

برناردي سنة ١٩١١

للمرة الثانية قبل ان ينتصف القرن العشرين تثير المانيا حربا شعواء ، وتلقى بالعالم فى مضلات متلفة لا يعرف مداها ولا تقدر عواقبها ، وقد كانت اول ضحية لعدوانها فى الحرب السابقة الامة البلجيكية ، واليوم فى طليعة ضحاياها الامة البولندية الباسلة ذات التاريخ المشجى والتى طالما كانت هدفا لظلم الطغاة وحيف الحوادث ، وقد ظهرت المانيا فى الحربين بمظهر الامة الجامحة المطامع المنحرفة المقاصد ، التى لا تعرف سوى حق القوة ، والتى تحتقر المعاهدات ، وتخرق القانون ولا تحجم عن الاسراف فى القتل والابادة ، ولا تتورع عن تدمير الامكنة المقدسة ومعاهد العلم ومتاحف الفن

فكيف يتفق ان أمة كالامة الالمانية فى اوج الحضارة وقد عرفت بالتفوق والسبق واخرجت الكثيرين من فحول الفلسفة واساطين الفكر ونوابغ الفن ، تستمرىء القسوة وتستبيح الدماء ، وتضيق بها الحيل وتتقطع الاسباب فلا تتخذ لبلوغ اغراضها الا اعنف الوسائل واخشن الاساليب وترتد بسياستها الى انسان الغابات والادغال ؟

تمجيد الالمان للقوة

ولكننا اذا اطلنا النظر فى تطور التفكير الالمانى حسبما يبدو فى كتابات الكثيرين من ممثليه وجدنا فيه ما يلائم هذا الصلف والعجب والغطرسة والافتتان بالنفس الذى يبدو على ألسنة زعمائه ويتجلى فى سلوكهم ، فالكثيرون من مفكرى الالمان يتغنون بالقوة وفلسفتها ويمجدون الدولة وسطوتها ويشتطون فى اكبار الشعب الالمانى والتعصب له وقصر جميع المحاسن والمزايا عليه ، وينظرون الى الشعوب الاخرى من حيث هى شعوب قد قدرت لها العناية ان يحكمها الالمان ، ويستولون على مرافقها ، ويتحكمون فى مصائرها

وكلما توغلنا فى دراسة تاريخ المانيا وجدنا هذه النزعة كامنة فى الشعب الالمانى تظهر حينا وتختفى حينا آخر تبعا للظروف المسعفة والمناسبات السانحة ، فما يبدو منهم الآن ليس حالة طارئة او رد فعل لما لحقهم من الغبن فى معاهدة فرساى كما يتصور البعض ،

وانما هي شنشنة معروفة منهم وآفة ملازمة لهم ، وعندما كانت المانيا تظهر بغير هذا المظهر كانت هناك اسباب قوية تجعلها تخفى انيابها المؤللة واظافرها الحادة وتبدو فى صورة الحمل الوادع المستكين

ففى القرنين السابع عشر والثامن عشر كانت المانيا ممزقة الاوصال ، متناثرة الاجزاء لا تنتظمها روح قومية ولا تجمع بين اجزائها وحدة ، وكان اتجاه الفكر الالمانى يحبذ اعتماد المحدود على اللامحدود ، ويرى ان الانسان يفوق نفسه ويعلو على مستواه بخضوعه لتأثير الكائن المطلق ، وكان الالمان يبحثون وينقبون ويقتبسون ما يعتبرونه صالحا من افكار غيرهم ، ثم توالت الحوادث العظيمة فى أواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر ، وكان ابعدها اثرا واخلدها ذكرا الثورة الفرنسية وظهور نابليون وهزيمة الالمان فى معركة ينا ، وما استولى على الالمان من الهم والانكسار وضيعة الامل مما اثار فيلسوفهم الوطنى « فخته » وحرضه على القاء محاضراته الملتهبة فى شتاء سنة ١٨٠٧-١٨٠٨ عندما كانت الجيوش الفرنسية تحتل برلين ، وقد قال فى تلك المحاضرات ان فكرة الوحدة والخلق الاعلى التى يبحث عنها الالمان فى عالم اسمى فى الخارج كامنة فى نفوسهم ، وان النفس المطلقة هى أصل الوجود ومصدر الحركة والنشاط ، ثم ذهب الى ان النفس المطلقة انما هى النفس الالمانية ، وان المانيا هى العقل والحياة والخير الذى يعمل ضد المادة والموت والشر ، فاذا شعرت المانيا بنفسها وادركت رسالتها سمت وغلبت الدنيا

وفى رأيه انه لا ينقذ المانيا وينهض بها من حضيض المهانة سوى الاصلاح الادبى ، والثورة التى يجب القيام بها تستلزم ان يسترد الالمان انفسهم ويشعروا بالقوة المودعة فيهم ويعملوا بعد ذلك على نشر الفكر الالمانى فى ربوع العالم وبذلك تسمو الشعوب وتمتزج بالشعب الالمانى وتصير حرة مقدسة

الدولة اسمى الحقائق

هذه هى تعاليم « فخته » ، وقد قوت فى الالمان نزعة الاستقلال واثارت مطامعهم ولو انها لم ترسم لهم خطة عملية للتنفيذ ، وجاء « هجل » وأخذ يسد هذه الثغرة ، فذهب الى ان المطلق يتحقق فيما يسميه « الدولة » فالدولة اذن هى اسمى الحقائق ، وليس هناك ما يطاولها او يساميها وعملها هو تنظيم الحريات ، ومعنى تنظيم الحريات هنا هو محو حرية الفرد ونقلها الى « الارادة العامة » وهذه الارادة العامة لا مرد لحكمها ولا معقب لكلمتها ، والدولة هى الواسطة بين الله والانسان وهى الآلة المقدسة لتحقيق المثل العليا وهى لا تتقيد بقانون ولا شريعة ادبية لانها مصدر القوانين والشرائع والآداب

وقد تشبع الالمان بهذه الافكار وتشربوا هذه المبادىء واستيقظت مطامعهم وترامى طموحهم ، وعزت عليهم القناعة باحوالهم وبدالهم ان قوتهم المادية لا تتفق وقوتهم الروحية

وطمحات نفوسهم ، ولم يهون عليهم الامر اعجاب العالم بفلسفتهم وادبهم وفنونهم لانهم شعروا بان من اللازم ان تكون لهم قوة ظاهرة ونفوذ بعيد وسيطرة على اليابس والماء ، وقد عبر هيني الشاعر عن تلك الحالة النفسية فى قوله : « الفرنسيون والروس يملكون الارضين ، والبحر يسيطر عليه الانجليز ، ولكننا نحن الالمان لنا النفوذ المطلق والسيطرة التامة فى عالم الاحلام الاثيرية » !

وانتصرت المانيا بعد ذلك فى ثلاثة حروب : حرب سنة ١٨٦٤ ، وحرب سنة ١٨٦٦ ، وحرب سنة ١٨٧٠ • ورفعتها تلك الانتصارات الى اسمى مستوى بين قوى العالم الحربية وقد كان لهذه الانتصارات تأثير كبير فى توجيه الفكر الالماني ، فقد تحققت الوحدة الالمانية وصارت المانيا اقوى سلاحا واتم عدة واقدر على تحقيق افكار فخته ، ومن ثم نشأت فكرة « الجامعة الالمانية » وتجديد الدنيا بتغليب الثقافة الالمانية ، وهى لا تتغلب فى رأيهم بطريق الاقتاع والدعاية وحدهما ، فقد اثبتت الحوادث لالمانيا المنتصرة ان القوة وحدها هى السبيل الى تحقيق الغايات ، فالمانيا اذن لا تجدد خلق الدنيا ولا تنشر « الجرمانية » الا بالقوة ، وزين الغرور للالمان ان الفكر الالماني يحوى كل ضروب الفكر ، واسمى عناصر الثقافة فعليه ان يحطم فى طريق تقدمه كل ما يخالفه

اغراض الثقافة الالمانية

واول اغراض الثقافة الالمانية هى « القوة » وعلى المانيا ان تحرز القوة لكى تظهر مواهبها وتكشف عن عبقريتها ، وتفرض على العالم ثقافتها لان العالم فى جهله وعجزه قد لا يستطيع تقدير هذه الثقافة ، ولا يؤمن بتلك الرسالة ، وفضلا عن ذلك فان القوة نفسها فى رأى الالمان شيء شريف ينتقصها الضعيف لانه يخشى بأسها ، والقوة هى أساس القوانين والعهود والمواثيق لانها بلا قوة لا قيمة لها ولا تأثير فالقوة هى الاساس الذى تقوم عليه الثقافة الالمانية

والغرض الثاني الذى ترمى اليه الثقافة الالمانية هو التنظيم لانه لا قوة بلا تنظيم ، والتنظيم فى جوهره الماني ! وتقوم رسالة الالمان على ارغام العالم على ان يأخذ باساوبهم الدقيق فى النظام والتنسيق

والركن الثالث من اركان الثقافة الالمانية هو العلم ، ويشمل العلم عند الالمان مختلف البحوث وشتى الاساليب التى تمكن الانسان من استغلال قوى الطبيعة وبسط سيطرته عليها لتضاعف قوة الانسان وتزيد فى سطوته ، وطريقتهم هى استقصاء المشكلات وتوضيحها وعرضها ثم تنظيم النتائج المختلفة التى تنتهى اليها بحوثهم ثم استنباط القوانين والقواعد بعد ذلك ، فالقوة والنظام والعلم هى دعائم الثقافة الالمانية وكلما تقدمت هذه المبادىء ارتقى الالمان وارتفعت بارتقائهم الدنيا

الحق والواجب

ويفخر الالمان بانهم قضوا على فكرة « الحق » واحلوا مكانها فكرة « الواجب » ويعدون هذا نجاحا منقطع النظير فى تكوين الآداب وبناء الاخلاق والنهوض بالفضائل المرغوبة ، فالالمانى رجل يطيع رئيسه ويلبى اوامره وينقاد له كل الانقياد والفضيلة عنده اساسها طاعة السلطة والاذعان لاحكامها ، والذى يطيع رئيسه وينفذ اوامره ويعمل بنواهيه لا يرتكب وزرا لان زعيمه هو المسؤول امام الله . وكل أمر يصدره الرئيس مهما ضؤل شأنه فانما هو صادر من الزعيم

وقد أخذ الكثيرون من المفكرين على الالمان غرورهم المملول ، ودعواهم العريضة وميلهم الى الاعتقاد بان الاغراض التى يرمون اليها هى الاغراض التى يتوخى الوجود تحقيقها ونعوا عليهم تلك الانانية الغريبة التى توهمهم ان وجهة نظرهم هى وجهة نظر « الله » ومن ثم هذا التعصب الذميم الذى يحسبونه من مناقبهم القومية وخصائصهم الشعبية الآرية

ويمكن اقتفاء اثر هذه النزعة فى تعاليم فلاسفتهم ، فالفلسفة الالمانية عند كانت وفخته تميل الى اعتبار الاشياء الخارجية التى نرى وجودها كأنها من خلق قوانا العقلية ، فالعالم الخارجى شىء قد صاغته « الذات » لتصير واعية عارفة بنفسها باقترانها به ، ويرى فخته ان النفس تخلق « الموضوع » دون ان تستمير شيئا من العالم الخارجى لان هـذا العالم الخارجى لا وجود له على الاطلاق !

والعقل الذى يعتقد فى نفسه مثل هذه القدرة على الخلق والايجاد لا غرابة اذا ادعى الالوهية !

فاسراف الالمان فى اعلاء شأن انفسهم والتمدح بمواهبهم مرتبط اشد ارتباط بتاريخهم وفلسفتهم ، والمانيا المفكرة الفلسفية هى التى تولدت منها المانيا الواقعية المادية التى تدين بالقسوة وتعبد القوة

وللشر عند مفكرى الالمان معنى آخر غير معناه عند مفكرى اليونان ، فعند الالمان ان رغبتنا فى تحقيق شىء تتضمن الرغبة فى الاخذ بالاساليب التى يتحقق بها ذلك الشىء ، ولما كانت القوة هى اصدق الوسائل واقومها لذلك كبر شأن القوة عندهم ، اما النية الحسنة والرغبة الطيبة وحب العدالة فجميعها اشياء لا قيمة لها ولا اثر والضوء فى رأى فيلسوفهم جيكوب بهم لا يأتى الا من الظلمة والله لا يأتى الا من الشيطان !

ولا معنى عند الالمان للحديث عن حق ليس وراءه قوة ، بل ان الحديث عن الحق المجرد من القوة فى رأيهم قحة واجرام وتحد لمن بيده القوة ، فالمرحلة الاخيرة لمثل هذا التفكير هى القول بان القوة تسبق الحق او ان القوة فى ذاتها حق

احتقار العاطفة عند الالمان

ومن اقوى المؤثرات فى توجيه الفكر الالمانى الميل الى تنقص العاطفةاو الشعور والاكتفاء بالتعويل على العقل والارادة وحدهما

فالشعور والعاطفة فى رأيهم مسألة شخصية ، وليس لهما عمل فى حركات الكون ومصائر الجماعات الانسانية ، ومن اقوال بسمارك : « الشعور فى رأى العقل مثل الحشائش التى تعترض نمو الغلال يلزم ان تستأصل وتحرق » والوظيفة الاصلية للدولة هى القوة والعقل ، وليس ذلك لان الدولة لا تعرف الاخلاق ولا تبالى الفضيلة وانما لان رسالة الحكومة هى ان تكون قوية عزيزة الجانب وألا تقر حقا غير حق القوة ، ومتى اقصينا العاطفة والشعور واكتفينا بالاستجابة لمطالب العقل والارادة أصبحت الارادة غاية فى نفسها وصمتت فى نفوسنا هواتف الرحمة والانسانية والمروءة

وازالة الشعور او اقتلاع العاطفة معناه الاخذ بفكرة ان الغاية تبرر الواسطة لان المطلوب من الواسطة اذ ذاك هو تحقيق الغاية بغض النظر عن اى اعتبار آخر ، ولا يعنينا اذا تجردنا من الشعور أكانت الواسطة معيبة وغير انسانية ام كانت غير ذلك

وعندما تكون الوسائل متوقفة على العقل والارادة وحدهما واستبعاد الشعور فان احسن غاية مبرورة هى القوة المطلقة من كل قيد والاستيلاء الطاغى المجرد من كل شعور ، وغاية الثقافة فى هذه الحالة هى مزج القوة بالعلم نتيجة لتزاوج العقل بالارادة

وفى العالم الذى تسوده مثل هذه الثقافة لا يكون هناك سوى مذاهب للقوة والاستضراء ، وليس للافراد ولا للامم حقوق مرعية محترمة

اعتقادهم فى تنظيم العالم

ويعتقد الالمان ان تنظيم العالم تنظيما كاملا يقتضى وجود شعب من السادة يبعث الرعب فى نفوس سائر الشعوب ويحملها على الخضوع ويرغمها على القيام بالواجب الذى يفرضه عليها ، ومن اقوال برناردى سنة ١٩١١ :

« الدولة الالمانية قائمة على الحرب ومن سياستها ان تكون علاقتها بجيرانها سيئة على الدوام وان تنتحل الاعذار لاثارة الشقاق والخلاف معها ثم تسحقها بعد ذلك »

وتؤثر المانيا ان تكون مكروهة وان يكثر اعداؤها لتظل مشدودة العزم متحفزة للوثوب ، وللسيطرة طريقتان : طريقة التخويف والترويع التى يجب ألا تهدأ لاننا اذا نسينا ان نذكر الضعيف بضعفه استخفه الغرور وتطاول ، والشعوب الاخرى يلزم ان تقع فى الكرب وتحل بها النقمة اذا قاومت ارادة المانيا ! اما طريقة الاساليب الناعمة والمساومات

الذابحة فقد تكون فى بعض الاوقات ايسر كلفة واهون أمرا من الالتجاء الى الشدة ، فلاباس اذن تهدد وتتوعد فى نفس الوقت اذا استلزم الامر

ومن واجب المانيا ان تملك اقوى الاسلحة وامضاها وليس من حق اعدائها ان يتعادلوا معها فى قوة التسليح ، وكل من يقاومها فعليه ان يدفع ثمن هذه المقاومة !

وخلاصة القول ان الثقافة الالمانية تختلف عما يفهمه الناس من معانى الثقافة ، فان الثقافة فى أوجز معانيها هى محاولة جعل الانسان كامل الانسانية بتهذيب مشاعره والسمو بتفكيره ، ولكن الثقافة الالمانية تحاول من طريق العلم والفكر ان تزيد الانسان قسوة وجبروتا . ومن ثم كان من الخطر على الانسانية اساغة مثل هذا الطغيان والانخداع ببريق مثل هذه الثقافة التى تجرد الانسان من انسانيته وتسلبه كرامته وحريته وتجعله عبدا مستسلما لما يسميه فلاسفة الالمان « الدولة » والمثل الاعلى لهذه الثقافة ان يكون الانسان وحشا متعلما وستكون نتيجتها على الدوام وبالا عليهم وسببا من اقوى اسباب ضياع ملكهم وانتثار دولتهم ، كما سقطت الدولة الاشورية فى التاريخ القديم لامعانها فى القسوة والارهاب

على أدهم



الغواصة

للمرحوم احمد شوقى بك

ودبابة تحت العباب بمكمن ... أمين ترى السارى وليس يراها
هى الحوت او فى الحوت منها مشابه ... فلو كان فولاذا لكان أخاها
أبت لاصحاب السفين غوائلا ... وللأيم نابا مسنين تفغر فاها
خؤون اذا غاصت غدور اذا طفت ... ملعنة فى سبحها وسراها
تبيت سفن الابرياء من الوغى ... وتجنى على من لا يخوض رحاها

شوقى

حرب الحصون

كانت الحرب الماضية عبرة للدول ذات الحدود البرية الطويلة ، ودرسا لها حفزها على الاهتمام بتحصين حدودها تحصينا بذلت في سبيله الجهد والمال الوفير

وأعظم تحصينات الدفاع في الوقت الحالي ، « خط ماجينو » تلك الحصون العجيبة التي أقامتها فرنسا على امتداد حدودها المتاخمة لألمانيا وبلجيكا ، وأعدت فيها أقصى ما يمكن للعقل البشري أن يصل اليه من وسائل الوقاية والدفاع

كذلك عمدت المانيا الى تحصين حدودها الغربية ، فأنشأت خط سيجفريد لكنه لم يستكمل أسباب القوة والمناعة في بعض أماكنه لقصر الوقت الذي أنشيء فيه

وعمدت بلجيكا أيضا الى بناء تحصينات على امتداد حدودها المتاخمة لألمانيا ، على غرار خط ماجينو الفرنسي. وكذلك فعلت اليونان ، وأنشأت تحصينات قوية سمتها باسم رجلها القوي الجنرال ميتاكساس

وكل هذه التحصينات انما أنشئت في باطن الارض، فلا يكاد يظهر منها فوق سطح الارض الا فوهات المدافع ولذلك يصح أن نطلق على الحرب القائمة الآن ، حرب الحصون

أثناء الهجوم على خط سيجفريد

إحدى مناطق خط سيجفريد بالقرب من حدود دوقية « لوكسمبرج » حيث المدافع الفرنسية البعيدة المرمى ما تزال تقذفها بالقنابل ، ونرى في وسط الصورة أحد المباني المقامة بالاسمنت المسلح لاخفاء المدافع والجنود . وقد التقطت هذه الصورة بواسطة عدسة مقربة « [illegible] » أثناء الهجوم الفرنسي على ذلك الخط





حيث يدور القتال فى الجبهة الغربية

تبين هذه الخريطة المجسمة جبهة القتال بين نهرى السار والموزل. فالى اليسار عند حدود لكسمبرج ترى نهر الموزل عند مصبه فى نهر الرين على مقربة من تريف . وفى أقصى الطرف الأيسر ظهرت قرية أباش الواقعة على الحدود الفرنسية . وفى وسط الخريطة ظهرت غابة ورندت التى احتلتها القوات الفرنسية . وظهرت فوقها الى اليمين مدينة ساربروك عاصمة السار التى تهددها القوات الفرنسية وتعد هذه المدينة من أهم مناطق المناجم والصناعة فى ألمانيا



مدفع بين الأشجار

فقدت الطبيعة سكونها بدوى المدافع المتتابع فى احدى الغابات الكثيفة الأشجار على مقربة من خط سيجفريد ! وهذا أحد المدافع الفرنسية البعيدة المدى ، وقد وقف خلفه جنوده بديرونه ، فتنطلق القذائف بعيداً ، وتتراى حيث العدو كامن

عصر الرمل



تحصين كاتدرائية نوتردام

راجت سوق الرمل في المدة الأخيرة بسبب الحرب القائمة ، لما لأكياسه من أهمية عظمى في وقاية المنازل والمنشآت والمرافق العامة من أخطار الغارات الجوية ، حتى التحف والآثار القائمة في ميادين باريس حصنتها الحكومة الفرنسية بأكياس الرمل ، وهذه هي كاتدرائية نوتردام ترص أكياس الرمل الى جانب جدرانها ومنافذها ، ولم تترك منها سوى منفذ صغير يدخل منه الجنود فرادى

المسلة المصرية في أمان

وهذه هي المسلة المصرية القائمة في ميدان الكونكورد بباريس ، وقد أقيم حول قاعدتها هيكل خشبي ترص حوله أكياس الرمل ، لتحصينها ضد الغارات الجوية

أثر الحرب الكبرى

فى الحياة الأدبية والعلمية فى مصر

بقلم الدكتور زكى مبارك

« اعتقد ان الحرب الماضية عادت على الأدب والعلم فى مصر باجزل النفع ، فقد ضعف سلطان الجرائد اليومية بسبب غلاء الورق ، واصبح مفهوما عند الجمهور ان الجرائد لا تستطيع نشر الحقائق الصحيحة ، فانصرف الجمهور عنها ، وأقبل بشغف على ذخائر العلم والأدب القديم والحديث »

فى سنة ١٩١٤ كنت بين الطلبة الذين يواظبون على محاضرات الادب والتاريخ بالجامعة المصرية ، وكان مقرها فى ذلك العهد بالقصر الذى صار ملكا للجامعة الامريكية ، وهو فى الاصل من قصور اسماعيل ثم اشتراه جناكليس ، وأجره للجامعة المصرية

وفى مطلع الربيع من تلك السنة وضع الحجر الأساسى لدار الجامعة المصرية بالشاطىء الغربى للنيل ، وكان يوما مشهوداً حضره صاحب السمو الخديو السابق عباس حلمى الثانى وفى معيته الوزراء وأعضاء الجمعية التشريعية وجمهور كبير من أعيان البلاد

وأذكر جيداً انى كنت قريباً من سمو الخديو السابق وهو يضع حجر الأساس ، وهممت بمصافحته ثم تراجعت لهيبة الموقف

وأذكر أيضاً أن عبد الله باشا وهبى كان يكلم الدكتور طه حسين بالفرنسية وبجوارهما المرحوم الشيخ محمد بخيت ، ثم التفت وهبى باشا الى الشيخ بخيت وقال : « أقدم لفضيلتكم الشيخ طه حسين وهو من نوابغ طلبة الجامعة وسيؤدى امتحان الدكتوراه بعد شهر أو شهرين »

فقال الشيخ بخيت : سمعت كثيراً من أخبار الشيخ طه وكنت أحب أن أراه !

فقال الدكتور طه : فضيلة الشيخ يعرفنى جيداً . فقد حضرت عليه جزءاً من شرح الهداية وجزءاً من التفسير « الكشاف »

وكان الدكتور طه يقول هذا الكلام بنبرات فيها شىء من السخرية ، فأسررت الى الدكتور طه بعد لحظة انى أحب ان أعرف سبب سخريته من فضيلة الشيخ بخيت . فقال : بلغنى أنه يستخف بالقيمة الفلسفية لكتاب « الواجب »

وكتاب الواجب ألفه جول سيمون واشترك فى ترجمته طه حسين ومحمد رمضان ، وكان محمد

رمضان من كبار المحامين ومن أقطاب الحزب الوطنى وكانت له مصاولات فى نقد مبادىء الوفد المصرى الذى ألف فى سنة ١٩١٨ برياسة الزعيم سعد زغلول

وفى تلك الحفلة ألقى المغفور له حسين رشدى باشا خطبة جيدة فى حضرة سمو الخديو السابق، وألقى الممثل زكى عكاشة قصيدة شوقى :

يا بارك الله فى عباس من ملك وبارك الله فى عمات عباس

وانما تحدث شوقى عن عمات عباس : لأن دار الجامعة المصرية وضع أساسها فى أرض واسعة أهديت الى الجامعة من حضرة صاحبة السمو الأميرة فاطمة هانم اسماعيل مع هدايا كثيرة منها حليها الغالية

ومن أجل هذا أشار جلالة المغفور له الملك فؤاد ، صاحب الفضل الاكبر على الجامعة المصرية ، أن يكتب على باب كلية الآداب انها هدية الأميرة فاطمة هانم اسماعيل اعترافا بفضلها على الحياة الأدبية

وفى نهاية الحفلة مضى أساتذة الجامعة وطلبتها لتحية سمو الاميرة ،فوقفت فى بهو قصرها بتلك الضاحية ، ومضينا صفاً صفاً نحييها بأيدينا وقلوبنا على بعد عشرة أمتار أو يزيد

وكانت الاميرة فاطمة اسماعيل فيما رأيت ذلك اليوم نحيلة القوام ، فارعة الطول ، واضحة الجبين

وانما نصصت على هذه الشئون لأن لها صلة بهذا المقال ستعرفها بعد قليل

عجز الجامعة المصرية

لما أعلنت الحرب فى صيف سنة ١٩١٤ شعر الناس بالكرب والضيق ، لأن الحياة الاقتصادية فى مطلع تلك الحرب أصابها كثير من القلق والاضطراب ، ولأن مصير مصر السياسى أحاطت به الشبهات والظنون ، وأذكر أن حياة الناس فى ذلك العهد لم تكن طيبة المذاق بسبب ما كان يصل الى أسماعهم من منكرات الأقاويل ومزعجات الأراجيف

يضاف الى ذلك ان اعلان الحرب تبعته فى مصر مضجرات لم تعرف مثلها مصر بحمد الله عند إعلان الحرب فى هذه الأيام ، فقد سيطر الرعب يومئذ على كل مكان ، وشاع فى الناس أن كل فرد معرض للخطر ، وأن هناك آذانا تسترق السمع ، وعيونا ترصد الحركات والسكنات

وما هى الا أشهر قلائل حتى واجه الناس خطر الازمة وخطر الغلاء . وسمعنا أن المقاولين الذين يبنون دار الجامعة المصرية تقدموا الى المحكمة يطلبون التحلل من العقد بحجة الصعود الفاحش فى أثمان الخشب والحديد

وبعد مدة قليلة سمعنا أن وزارة الاوقاف امتنعت عن دفع الاعانة السنوية التى كانت تقدمها

للجامعة المصرية . فكان من نتائج ذلك أن تخوفت الجامعة من العجز عن دفع ايجار قصر جناكليس، فأجرت داراً متواضعة هى قصر الفلكى بميدان الأزهار ، وهو القصر الذى ظلت فيه الى أن استولت عليها الحكومة فى سنة ١٩٢٥ ونقلتها الى قصر الزعفران

واطرد العجز فى ميزانية الجامعة فاستغنت عن الاساتذة المستشرقين، وخفضت مكافآت الاساتذة المصريين ، وبلغ بها الضيق ما بلغ فاسترجعت أعضاء البعثات فى سبتمبر سنة ١٩١٥

كان انتقال الجامعة من قصر جناكليس الى قصر الفلكى نذيراً بزعزعة مركزها المالى وهيبتها الأدبية ، ولن أنسى ما حييت كيف انخلع قلبي من الجزع حين مضيت لشهود محاضرات المساء ، فرأيت دار الجامعة مظلمة الأرجاء ، ولم أهتد الى دارها الجديدة الا بعد عناء

أما رجوع أعضاء البعثات فكان شاهداً على أن الجامعة قد دحرتها صدمة الحرب ، ولكن الله وفق المغفور له السلطان حسين فأمد الجامعة بمعونة مالية سمحت برجوع أعضاء البعثات الى أوربا فى ديسمبر سنة ١٩١٥

حادث أدبى جديد

وفى خريف سنة ١٩١٥ ظهر فى مصر حادث أدبى كان له شأن فى توجيه العقول والاذواق ، وهو إنشاء جريدة السفور ، وهى جريدة أسبوعية كانت تباع بمليمين أو ثلاثة مليمات . وكانت لرخص ثمنها وصدورها فى مواعيد قريبة أقرب الى الشبان من المجلات الشهرية التى لم تنقطع عن الصدور بسبب الحرب من أمثال الهلال والمقتطف

كانت جريدة السفور شركة ساهم فى تكوينها جماعة من الكتاب هم الأساتذة عبد الحميد حمدى ومحمد حسين هيكل ومصطفى عبد الرازق ومنصور فهمى وطه حسين . وكانوا ينشرون فيها آراءهم بحرية وصراحة ، فمال اليهم الشبان كل الميل ، وأقبلوا على الجريدة إقبال الشوق والاعجاب

وقد ابتدأت الحياة الادبية فى تلك الجريدة بنضال أدبى بين الدكتور طه والدكتور هيكل ، وكان موضوع النضال هو فكرة الحرب ، فكان الدكتور طه يرى أن الحرب تنفع الانسانية ، وكان الدكتور هيكل يرى أن الحرب تضر الانسانية

وكان الدكتور منصور فهمى فى ذلك الوقت مشهوراً بالجرأة والتطرف . وكان الناس ينظرون الى آرائه بحذر وارتياب . فقد كان أبعد عن التدريس بالجامعة المصرية لعبارات وردت فى الرسالة التى كان قد قدمها الى السوربون عن المرأة فى الاسلام ، وتلك الرسالة كتبت بالفرنسية ، ولم يعرف الجمهور المصرى شيئا عن محتوياتها إلا بفضل التقرير الذى أرسله أحمد فهمى العمروسى بك مدير البعثة المصرية وقتئذ فى باريس . وقد ظلت تلك الرسالة موضوع جدل ونقاش فى الصحف المصرية زمناً غير قليل

وأقول ان هذه الحادثة جعلت الشبان ينظرون الى مقالات الدكتور منصور فهمى بعين الحذر والتخوف ، فكانت كل كلمة لها عندهم تفاسير وتأويل ، وذلك يقدم الى الذهن ألوانا من الوقود

كان الدكتور منصور فى ذلك الحين يكتب أخبار طفولته وصباه بأسلوب جذاب ، وكان يدعو بطريقة قصصية الى أن يكون الأمر للنساء فى التعليم بالمدارس الأولية ، وكان من وقت الى وقت يكتب ما يسميه الحقائق والفروض ، وهى رسائل كان يكثر حولها القيل والقال

وكان من كتاب جريدة السفور كاتب اسمه (م) وهو كاتب خفيف الظل ، عذب الروح ، كانت له جولات رشيقة فى ميدان الوجدانيات ، وكان مع ذلك يتعرض للمعضلات الدينية من حين الى حين ، كالذى كتب عن الحوادث التى قيل إنها وقعت ليلة ميلاد الرسول

فمن هو الكاتب (م) الذى شغل قراء جريدة السفور أيام الحرب ؟

هو الاستاذ مصطفى بك عبد الرازق الذى كان يكتب بعد الحرب « مذكرات مسافر » و « مذكرات مقيم »

وكان فى جريدة السفور مقالات جيدة بامضاء « الصاحبان » لها صلة بالمشكلات القومية والاجتماعية

فمن هما « الصاحبان » ؟ هما منصور فهمي ومصطفى عبد الرازق

وكان فى السفور رسائل تصل من باريس بعنوان « هو وهى » وكان لتلك الرسائل سحر وجاذبية . وكانت بامضاء (ض)

فمن هو (ض) ؟ هو الدكتور أحمد ضيف عضو بعثة الجامعة المصرية فى ذلك العهد ، وهو اليوم وكيل دار العلوم

الصحف الأدبية الاسبوعية

وفى أيام الحرب ظهرت جريدة الثمرات للاستاذ حسن السندوبى ، وهى جريدة أسبوعية غلب عليها الاهتمام بالنقد الادبى ، وقد نشر فيها السندوبى مقالات عنيفة فى نقد الشرح الذى كتبه المرحوم الشيخ شريف للجزء الأول من ديوان ابن الرومى

وكانت جريدة الصاعقة مسموعة الصوت فى أيام الحرب ، وكان فيها صور كثيرة للمجتمعات الادبية ، وكان لصاحبها المرحوم أحمد فؤاد قلم لذاع يصوبه الى صدور من يغضب عليهم من الأدباء والأعيان

ومن الجرائد الأدبية التى ذاعت فى ذلك الوقت جريدة عكاظ ، وكانت تهتم بنشر أشعار شوقى فى منفاه ، وتحرص على مقارعة خصومه من أمثال المازني والعقاد

كان صاحب عكاظ هو المرحوم الشيخ فهيم قنديل . وكان كاتباً جيد الديباجة قوى الاسلوب ، ولكن تحرشه بالناس لاسباب متصلة بالمنافع رفع هيبته من الصدور فلم يذكره أحد بالخير بعد الموت

وأعتقد أن جريدة عكاظ كان لها يد فى تنشيط الحركة الادبية أيام الحرب ، وبفضلها عرف الشبان قيمة شوقى وهو فى منفاه ، فهل رثاه شوقى ؟ !

الثالوث

وفى أيام الحرب نشط الشعراء المجددون نشاطاً عظيما ، وهم « الثالوث » على حد تعبير الجرائد الهزلية فى ذلك الحين

فمن هم « الثالوث » ؟

هم عبد الرحمن شكرى ، وابراهيم المازنى ، وعباس العقاد

وأظن أن هؤلاء الشعراء هم الذين ابتكروا فكرة المقدمات التحليلية للدواوين الشعرية ، ولعلهم أول من سمى الدواوين بأسماء مختلفات

وكان لهذا الثالوث ضجيج عنيف ، فالأستاذ عبد القادر المازنى شغل الناس فى تلك الايام بكتاب نشره فى نقد أشعار حافظ ابراهيم ، والاستاذ العقاد كان يتهيأ لنقد أشعار أحمد شوقى

ثم دب الخلاف الى هذا الثالوث فقرأنا فى جريدة عكاظ نقداً لأشعار عبد الرحمن شكرى بامضاء « ص » وقرأنا ردوداً وسمة جداً على ذلك النقد بامضاء « ش » وكان فى تلك الردود تزييف لآراء العقاد ، فقد كان « ش » يرى أن « ص » لا ينشر الا ما يمليه عليه العقاد

أما « ص » فهو الاستاذ عبد الرحمن صدقى ، وأما « ش » فهو الاستاذ عبد الرحمن شكرى

ولتحديد أسباب الخلاف بين أعضاء الثالوث أذكر أنها ترجع الى مقال نشره الاستاذ المازنى فى جريدة الافكار تقريظاً لديوان الاستاذ عبد الرحمن شكرى . وقد جاء فى ذلك التقريظ أن عبد الرحمن شكرى رجل عبقرى ، وأنه كسائر العبقريين لا يخلو من الوساوس ولا يسلم من الشذوذ ، فغضب عبد الرحمن شكرى من هذا الكلام وعده وسيلة الى التشكيك فى صلاحيته للاشتغال بالتعليم فى وزارة المعارف

وكذلك انبرى للرد على الاستاذ المازنى بمقالات نشرها فى جريدة الافكار ، ثم تدخل الاستاذ العقاد فكتب مقالا يصلح به بين الصديقين ، ولكن ذلك المقال وقع من الاستاذ شكرى أسوأ موقع ، لأنه حسبه تأييداً لكلام الاستاذ المازنى ، وإن كان فى جوهره لم يتعد الهجوم على أنصار القديم الذين شمتوا فى تشتت أعضاء الثالوث من أنصار الجديد

فان قرأتم فى جريدة عكاظ أبحاثاً أدبية يقول كاتبها إن المازنى سرق أكثر معانيه من الشريف

ارضى فعرفوا أن شكرى له يد فى تحرير صحيفة الاتهام لصديقه القديم

أما المازنى والعقاد فقد بقيا صديقين الى ما بعد الحرب وقد اشتركا فى اصدار « الديوان » وهو نشرة دورية فى شكل كتاب أرادا به هدم المنفلوطى وشوق

ومن طريف ما رأيت أن المازنى والعقاد كانا بعد الحرب يكتبان فى جريدتين متعاديتين أشد العداء ، ومع ذلك كانا يلتقيان فى كل صباح ، فهل كانا يتفقان على خطة التراشق بالألفاظ الجوارح ؟ !

ثم فسد ما بين المازنى والعقاد لأسباب سياسية تبعد بعض البعد عن موضوع هذا الحديث

أشهر الكتاب والمؤلفين

الى هنا وضحت صورة الحياة الادبية فى أيام الحرب الماضية

فمن هم أشهر الكتاب والشعراء والمؤلفين فى تلك العهود ؟

الكاتب الاشهر فى أيام الحرب الماضية هو مصطفى لطفي المنفلوطى فقد وصلت « نظراته » الى أكثر الشبان فى البلاد العربية ، وأذكر أن الدكتور هيكل كتب كلمة فى جريدة السفور يقول فيها إن العام الثالث لم يشهد من النضال الادبى غير التحرش بمترجم رواية « ماجدولين »

وكان من مشاهير الكتاب في ذلك العهد محمد السباعى وقد أكثر من الترجمة عن اللغة الانجليزية

وكان للكاتب الشاعر مصطفى صادق الرافعى صوت فى ذلك الحين

وكان الناس يتحدثون كثيراً عن محمد المويلحى ، ولكنه كان قد سكت بعد ظهور « حديث عيسى بن هشام »

وكانت أشعار شوقى وحافظ ومطران ومحرم والكاظمى والكاشف تقرع الاسماع

وعن جريدة السفور عرف الناس أناشيد أحمد رامى وأقاصيص محمد تيمور

وفى أيام الحرب عرف الجمهور أبحاث الشيخ محمد الخضرى فى التاريخ الاسلامى ، وعرفوا كتاب « مجمع الأحياء » للعقاد ، وكتاب « الأدب العصرى » للشيخ محمد سليمان

***

أما بعد فهل كانت الحرب الماضية شراً على الحياة الادبية ؟

أعتقد أن الحرب الماضية عادت على الأدب والعلم بأجزل النفع ، فقد ضعف سلطان الجرائد اليومية أشد الضعف بسبب غلاء الورق ، وأصبح مفهوماً عند الجمهور أن الجرائد لا تستطيع نشر الحقائق الصحيحة عن الحرب ، فانصرف عنها ، وأقبل بشغف وشوق على ذخائر العلم والأدب القديم والحديث

فالأساتذة الذين يسيطرون اليوم على الحياة الأدبية هم الرجال الذين كونهم فراغ البال من الشواغل التافهة أيام الحرب ، هم الرجال الذين لم يجدوا غذاء الأرواح والقلوب والعقول إلا فى ضيافة العباقرة من أعلام العلم والأدب والبيان

أذكر جيداً أن مصر كانت فى غاية من اليقظة العقلية والأدبية والذوقية فى أيام الحرب الماضية . وأذكر أن التمثيل الهزلى قد ازدهر فى تلك الأيام بفضل ضجر الناس من هموم الحرب وتشوفهم الى ما يرفع عنهم آصار اليأس من نعيم الحياة ، وذلك يفسر اقبالهم على الجرائد الهزلية من أمثال السيف والمسامير ، وغرامهم بالروايات الخفيفة التى تصور حيل اللصوص وأعمال المجازفين

أما أشهر المغنين فى أيام الحرب الماضية فهم صالح عبد الحى وعبد اللطيف البنا ومنيرة المهدية ، وكانت لهم شهرة فائقة ، وكانوا أنس المسامع والقلوب فى الأفراح ، والليالى الملاح !

وفى أخريات أعوام الحرب نشأت فى القاهرة « جامعة الشعب » وهى محاضرات مسائيـة اشترك فيها جمهور من أدباء المصريين والأجانب ، وسمعت فيها أصوات مصطفى عبد الرازق ومحمد جاد المولى ومحمود عزمى وعلى عبد الرازق وتوحيد السلحدار ومنصور فهمى ومحجوب ثابت ومحمد هيكل

وأذكر أنى حاولت أن ألقى محاضرة فى تلك الجامعة عن أشعار ابن خفاجة فرفض طلبى بحجة نى ما أزال طالباً ، وكانت محاضراتها مقصورة على الأساتذة الذين توطدت مراكزهم الأدبية

وأشهر خطيب اجتماعى فى أيام الحرب الماضية هو الأستاذ محمد توفيق دياب

وأعظم « حنجرة » سمعت رنينها هى حنجرة توفيق السلحدار ، فأين هو اليوم ؟

وأعظم تلميذ وعت ذاكرته أحوال الأدب فى تلك الأيام هو الصديق العزيز

زكى مبارك

كلما انبت الزمان قنـاة ركب المرء فى القناة سنانا
ومراد النفوس أصغر من أن نتعادى فيه وان نتفـانى

المتنبى



اميل لودفيج من أشهر كتاب الألمان الحديثين ، وقد آثر النزوح من ألمانيا على البقاء فيها فى عهد حكم النازيين الحالى

ليس بين كبار الرجال المشهورين فى العصر الحديث من يبدو فى مظهره هيناً لا يعتد به كأدولف هتلر

فروزفلت رئيس جمهورية الولايات المتحدة يمثل مرآه أحسن شخصية للرجل الامريكى

وموسولينى برأسه الرومانى القيصرى يريك أروع مثل ، وأصدق نسب لدكاترة اللاتين

وتشمبرلين رئيس الوزارة البريطانية تفصح رزانة سمته إفصاحاً تاما عن أنه مثال كامل للسياسى الانجليزى

ولست ترى فى ملامح هتلر ما يشابه ملامح الالمان ، ولا فى تعبير وجهه ما تعبر عنه وجوه الساسة من حصافة ، وكياسة ، ودهاء ، وعمق

وأعجب من هذا كله أنه لا يمثل السلالة الآرية التى يقدسها ويدعو اليها . . !

إن صفات الدكتاتور الالمانى التى ينم عنها مظهره ، ويكشف عنها مرآه عادية لا تثير الانتباه ، ولا تلفت النظر لولا ما يعروه من هياج جنونى قرر الدكتور « فون جروبر » أنه مصاب به

وهو فى طبعه العصبى الحار ، وغرامه بالمخاطرة الجنونية ، يخالف كل الخلاف موسولينى فى ضبطه لاعصابه ، وميله الى التهكم القوى الرزين

وقد أولع هتلر بتفخيم نفسه ، وتضخيم شأنه ، والمبالغة فى كلامه مبالغة غير عادية ، تدفعه اليها حالة نفسية يستغرق فيا حسه ، وتنبسط منها نفسه ، وتصدر عنها قراراته وأعماله

وكان لنشأة هتلر أثر كبير فى تشاؤمه أيام شبابه ، واندفاعه الى التغلب على ما يشعر به من خسة وضعة ، ولم يكن له فى صباه شهوة للعلم ، ولا إرادة فى الخير ، بل كان يشعر بكره شديد لكل من هو أسمى منه

وقد كان والده نمسوياً منسياً لا يجد من أصله ما يساعده على تكوين مكانة طيبة لنفسه ، ولا من مهنته مايرفع من قدره ، فصرف حياته محاولا أن يصبح مفتشاً صغيراً فى مكس بوهيميا (كمرك بوهيميا) لعله يغسل عنه عار نشأته ويعلو به على طبقة الحذائين ، وقد جاهد فى هذه

السبيل جهاداً شديداً ،ولما أعيته الحيل طرق باب الزواج لنفس الغاية عساه يصيب فيه حظاً من المكانة والاعتبار ، فتزوج سيدة من طبقة أرقى منه ، تكبره بأربعة عشرعاما ، ولكنه لم يوفق فى زواجه ، فسرحها ، وبنى بأخرى ، فكان نصيبه من الفشل فى زواجه الثانى كنصيبه منه فى زواجه الأول . ثم عاد فتزوج مرة ثالثة بفتاة تصغر عنه بثلاث وعشرين سنة

فكانت تلك الفتاة التى ساقتها الاقدار بعد زواجين فاشلين هى أم أدولف هتلر

هتلر بين المدرسة والشارع

لم يكن هتلر طفلا نجيباً ، ولا صبياً لبيباً ، تثمر فيه التربية والتعليم ، فقد مكث بضع سنوات فى الدراسة الاولى ، ثم أبى وهو فى الرابعة عشرة من عمره أن يستمر فى مدرسته محتجاً انه لا يطيق الصبر على العمل ساعات محدودة ، وأن به ميلا طبيعياً الى الرسم ، ويريد أن يصبح رساما حراً

كان أبوه قد توفى ، وأصبحت أمه هى القيمة عليه ، وهى التى تعوله ، فألحقته بمدرسة الفنون الجميلة بفينا ، وجعلت تقتصد من قوتها للانفاق عليه ليظفر بعمل يعيش منه ، ويدفع عنه الفاقة ، بيد أنه لم يكن عنده من الاستعداد للفنون ما يمكنه من أداء واجبه ، ومسايرة زملائه ، فاضطرت المدرسة الى طرده ، فالتحق بمدرسة الهندسة المعمارية ، فكان نصيبه منها كنصيبه من الأولى ، فحاول العودة الى مدرسة الفنون ، فتمردت نفسه ، وأبى كبرياؤه ، وفضل البطالة على التعليم ، حتى اذا بلغ العشرين من عمره توفيت والدته ، وكانت العائل الوحيد له ، فمكث عاطلا متسكعاً فى شوارع فينا أربع سنوات ، واضطر ليعيش أن يعمل آنا « حمالا » فى محطة السكة الحديدية ، وآنا آخر « جارفا للثلج » ، ثم صار ينقل بريشته عن بعض الصور القديمة رسوما صغيرة تستعمل زينة لظهور المقاعد

وقد أقام وقتئذ فى مأوى خيرى أعده البارون اليهودى « كينجسوارتر » للبائسين المعوزين الذين انقطعت بهم أسباب الرزق ، فكان يقتات منه ، وينام فيه بلا مقابل

ومع ان هتلر كان بائساً معتفياً ، فقد كان يتعالى على البؤساء ، ويعرض عن الفقراء ، ويحارب الاشتراكية التى نشأت بين هذه الطبقة من العمال البائسين ، والصناع المساكين

فى الحرب الكبرى

ولما نشبت الحرب الكبرى فر من خدمة الجيش النمسوى ـ جيش بلاده وقومه ـ وهرع الى ميونخ ، واشترك فى المظاهرات الحماسية التى قامت وقتئذ فى ألمانيا ، واغتبط لها العمال العاطلون . ويروى عن نفسه أنه خر على ركبتيه شاكراً لله الذى أتاح هذه الحرب ليجد فيها

عملا ، ويصيب بين أهوالها رزقاً . . . !

والتحق هتلر بالجيش الالمانى كمتطوع ، مفضلا هذا الجيش عن جيش بلاده ، بل مفضلا الحرب فى ألمانيا عن السلم فى النمسا ، فقد بهرته حماسة تلك الأمة وجنونها العسكرى ، وكان لمنظر الامبراطور غليوم يقود « كتائب الموت » أكبر أثر فى نفسه ، وأعظم وقع فى قلبه ، فاندفع بحرارة للحرب فى صفوف الألمان

بيد أنه لم يقاتل فى هذه الحرب ، ولم يكن فى الصفوف الامامية ، ولم تظهر عنده موهبة حربية ، ولا حاز امتيازاً بين الجنود . بل كان جندياً من « جنود المراسلة » فى الميدان الشرقى . وقد دل الاحصاء على أنه لم يقتل في تلك الحرب التى طاحت بأرواح الملايين الا جندى واحد من هؤلاء الجنود

ومع خمول ذكره ، وضآلة شأنه ، كان معروفاً فى فرقته بغضبه الجنونى ، وحدة المزاج ، والتحدى والعناد ، حتى نبذه قائد الفرقة ، وأبى أن يرقيه من رتبة « أونباشى » الى رتبة « جاويش » على الرغم من نقص عدد هذه الرتبة فى الفرقة

وتقول الكتب المدرسية فى ألمانيا إن هتلر قد حاز فى الحرب نشان الصليب الحديدى الذى يحمله على صدره ، لأنه أسر اثنى عشر فرنسياً ، وهذا تضليل . إذ أن تاريخ فرقته يحصى حادثتين من هذا النوع ليس اسم هتلر بين أسماء الذين حازوا فيهما هذا الشرف

هتلر فى نادى ميونخ السياسى

التحق هتلر بعد الحرب الكبرى بنادى ميونخ السياسى ، وهو الذى صار فيما بعد « حزب النازى » الذى امتاز بشارته — تلك الشارة التى لم تكن من مبتكرات هتلر ، بل هى مقتبسة من شارة فنلندا ، ومن علم الفنلنديين الذين نقلوا الصليب المعقوف عن المغول

وقد فهم هتلر ما فشل فى فهمه زعماء الجمهورية الالمانية — ذلك أنه بعد أن التحق بهذا الحزب رأى بذكائه أن الجمهور الالمانى يهوى الموسيقى ، والاستعراضات العسكرية ، والحماسة الوطنية ، فأنشأ فرق الهجوم التى تمتاز عن فرق الجيش الاول بنظامها ، وتحيتها الخاصة ، ومشيها الانيق . وقد آمن هتلر أن العبرة فى النجاح السياسى بقدرة الزعيم على التأثير فى الجماهير ، واشراكهم معه فى حركته ، فأحسن هذه الطريقة حتى استطاع أن يبث الروح الجديدة فى الشعب الالمانى أفراداً وجماعات

ولما كان قد طبع على كراهة كل من هو أرقى منه ، وأوسع ثروة ، ورأى كثيراً من هذا الصنف من اليهود ، فقد انضم الى الحزب المعادى للساميين الذى أسسه رئيس بلدية فينا . ومع ذلك ، ومع حقده الكمين على اليهود ، فقد استمر يأخذ المعونة من مؤسساتهم الخيرية ليعيش .

ومن عجب أنه وهو المسيحى الكاثوليكى جعل يحارب الكنيسة ، ويندد بتعاليمها ، وصار لها عدواً لدوداً

وقد برع هتلر فى الدعاية لنفسه ، فهو كمدير مسرح ، وداعية كبير قد برهن حقاً على أنه نابغة . ولقد كرس اثنتين وثلاثين صفحة للحرب الماضية فى كتابه « كفاحى » تحدث فى عشرين منها حديثاً كله طنطنة وثرثرة واعلان

وقال فى ذلك : « إن الألمان فى الحرب الكبرى ، كان فى استطاعتهم أن يحرزوا أعظم الفوز لولا أنهم أداروها ادارة سيئة غير حكيمة مكنت الحلفاء من النصر »

وقال : « إن الغوغاء يصدقون كل قول يعاد عليهم مراراً سواء أ كان هذا القول صدقاً أم كذباً »

ولعله استفاد من هذه « الحكمة » فقد كسب بالثرثرة والتكرار ملايين القلوب من الالمان ، وبخاصة قلوب النساء اللاتى كن يعتقدن أنه « نبى بقلب دام »

ولا ريب أن عقيدة هذا النبي الجديد فى الشرف والدم والحق تحيط أتباعه بغشاوة من زخرف الآمال ، وخداع الخيال الذى اعتاد الألمان الانسياق فيه ، والميل اليه أكثر منهم ميلا الى المنطق والاقناع والحقائق الواضحة

كيف سطع نجمه

إن الخطابة كانت هى النبع الاول لظهور هتلر ، فقد اكتشف فى أيام بؤسه وهو يعيش مع العاطلين فى مآوى الفقراء ، ان حديثه ينفذ الى سامعيه ، وأن له طريقة فى المناقشة والجدال . فأخذ ينمى هذه الطريقة ويمرن نفسه على أحد الممثلين الألمان

وقد ذاع اسم هتلر كزعيم لحزبه سنة ١٩٢٣ ، وكان عيد الهدنة من تلك السنة فتآمر مع أتباعه فى أحد مقاهى ميونخ على القيام بثورة ضد الجمهورية . وساعده فى ذلك جنرال لودندورف ، فخرج مع أكثر من مائة مسلح يهتف بسقوط الجمهورية ، فاعترضهم البوليس ، والتحم معهم فى معركة دامية تبادل الفريقان فيها اطلاق الرصاص ، فصرع البوليس أربعة عشر من الثائرين . وفى تلك اللحظة التى بدأت فيها المعركة قفز هتلر فى سيارة ناجياً بنفسه ، متخلياً عن أصحابه ، مختفياً عن الأنظار

لم يستمر طويلا فى مخبئه ، بل ظفر به البوليس ، وقدمه للمحاكمة كزعيم لهذه الثورة فقضت عليه المحكمة بعام فى السجن . وقد شغل نفسه طيلة هذا العام بتأليف كتابه « كفاحى » فكتب منه بضعة فصول ، ثم أكمله فى سنة ١٩٢٦ فكتب فصوله الهامة حينما كان يجد فى إعادة حزبه الذى انحل أثناء سجنه ، وقد استعان فى جمع صفوفه وإعادة كيانه بما ابتكر من وسائل الدعاية ،

وبما اتبعه هذه المرة من الطرق المشروعة متنكباً طريقة الهجوم الثورى التى أدت به الى الفشل ، فلم يلبث أن أصبح حزبه أقوى حزب فى ألمانيا . وكانت سنة ١٩٣٠ ففاز فى الريختاغ ١١٠ مقاعد وهو أكبر عدد فاز به حزب فى هذا المجلس

وقد مكث هتلر يجاهد لاعادة هذا الحزب منذ كان فى السادسة والثلاثين من عمره الى أن وصل الى الرابعة والاربعين ـ أى انه قضى فى ذلك نحو ثمانى سنوات لم ييأس فيها ، أو تفتر همته فى جهاده . وقد فطن الى أن الطبقة الوسطى فى المانيا غير راضية عن حالها ، فاستغلها فى تنمية حزبه ، ثم اتجه نحو النظام الهرمى الديكتاتورى الذى اعتاده الالمان قبل الجمهورية

ذلك النظام الذى يجعل بعض الأفراد يحملون البعض الآخر ، وينفذون شهواتهم على ان يكون لهم الحق فى أن يدوسوا غيرهم ، ويسحقوا من هم أقل منهم من الطبقات الاخرى . ولما كان الالمان يقدسون النظام أكثر منهم تقديساً للحق والحرية ، فقد أتيح لهتلر أن ينجح فى انقلابه

على أن أهم عامل فى هذا النجاح يرجع الى رجال المال ورجال الاعمال . الذين ساعدوه بالمال ، وناصروه بما لهم من قوة ونفوذ ، لأنهم وجدوا فى حركته خلاصاً من مطالب العمال الاشتراكيين ، وقضاء على اضرابهم المتكرر . . وكان لجماعة المحاربين القدماء يد فى هذا النجاح أيضاً ، فقد كانوا يبغون من وراء هذه الحركة تجديداً لروح الجندية فى الشعب الالمانى ، وإحياء لمجد المانيا ، فصادقوه وأيدوه ، فاستمد من هاتين الجهتين أكبر المعونة ، وتخلى عن العمال الذين خضعوا له فيما بعد بوسائل القهر والارهاب

فى هذا الجو ، وفى هذه الظروف ازداد هتلر شهرة ونماءا ، والتف حوله الكثيرون يسوقهم تيار الدعاية الجارف ، الذى يثير الحماسة ، ويشل التفكير

وكان المارشال هندنبرج يرقب هذا التطور السياسى بقليل من العناية ، اذ كان يستخف بهذا الزعيم الشيطانى الجديد ، ولا يرى فيه كفاية حربية ، ولا كياسة سياسية ، ولا ينظر اليه الا كما ينظر قائد عظيم الى جندى صغير ، وبروسى نبيل الى نمسوى من عامة الناس

بيد أن رئيس الجمهورية الألمانية خدع فيما بعد ، وأصابه ما أصاب الاغلبية الكبرى من الالمان من دعاية قوية تنساب فى النفوس ، وتضرب على أوتار العاطفة ، وتتفنن فى الوعود الخلابة ، والآمال الواسعة ، فاضطر هندنبرج لذلك وأمام هذه الاغلبية التى حازها هتلر فى مجلس الريختاغ أن يختاره مستشاراً له ، وكبيراً لوزرائه . ولم يفكر حينما وقف به على الشرفة الامبراطورية سنة ١٩٣٣ أن هذا الاختيار سيؤدى بالمانيا الى مستقبل كله نزق وطيش وغرور

(ترجمة عن الانجليزية) **طاهر الطناحى**

السلام الاحمر

بقلم الأستاذ احمد محرم

ناجِ الممالكَ ، وهي حيرى تنظرُ ... أيُراعُ سِربُكِ للسلامِ ويُذعرُ ؟
لكِ في المخافةِ عذرُ كلِّ مجرّبٍ ... عرفَ السياسةَ ، والمجرّبُ يُعذرُ
أعلى القواضبِ قامَ محرابُ الهُدى ... لبنى الحضارةِ واستقرَّ المنبرُ ؟
إنْ يخطبوا باسمِ الإخاءِ ويكتبوا ... فالقولُ لغوٌ ، والكتابُ مزوّرُ
الكاتبُ الأعلى (١) يدمّرُ ما بنوا ... فوقَ الصحائفِ، والخطيبُ الاكبرُ (٢)
نادى (بميثاقِ السلامِ) دعاتُهُ ... صدقَ الدعاةُ،هوَ (السلامُ الأحمرُ)
وضعوهُ كالبركانِ ، يهدأُ تارةً ... يبغي السبيلَ ، وتارةً يتفجّرُ
نارُ القتالِ تثبُ بينَ سطورِهِ ... ودمُ الضعيفِ يسيلُ منهُ ويقطرُ
(كيلوجُ) مؤتمرٌ يثاورُ صحبهُ ... والسيفُ يضحكُ والمدافعُ تسخرُ
يقضي ويحكمُ في الشعوبِ وخانَهُ ... قاضٍ يجورُ ، وحاكمٌ يتجبّرُ
يجري الأذى في متنِهِ فقناتُهُ ... ملءُ الزمانِ ، ويستفيضُ المنكرُ
ركبَ العمى ، فاذا الضلالُ سبيلُهُ ... وإذا الهوى (إنجيلُهُ) المتخيّرُ
زلفى المقرّبِ في أثيمِ كتابِهِ ... أممٌ تقتّلُ ، أو شعوبٌ تنحرُ

***

أنظرْ إلى القتلى تصِحُّ دماؤها ... وإلى المصارعِ تقشعرُّ وتجأرُ
في كلِّ يومٍ للسياسةِ حجةٌ ... يمضي الحسامُ بها ويقضي العسكرُ
(ويلسونُ) يعرفُها ، ويشهدُ أنها ... فصلُ الخطابِ وإنْ أبى المتذمّرُ
وضعَ الشرائعَ للشعوبِ كثيرةً ... فاذا الذي وضعَ الأئمةُ أكثرُ
الأرضُ ميراثُ القويِّ فانْ مضى ... يبغي الزيادةَ ، فالسماءُ المظهرُ

---

(١) السيف   (٢) المدفع

نساؤنا والحرب

بقلم الآنسة ابنة الشاطىء

« حين تعلن الحرب ، وتستيقظ فى الرجل غريزته التى ترتوى بالدماء ، تظهر المرأة فى الميدان ، لتمثل العنصر الانسانى فى تلك المأساة البشرية الهائلة، وتخبر عن وجود الخير فى دنيا الدماء والنار، وتعلن كلمة الروح فى عالم المادة ودنيا الفساد . وتلك هى مهمة المرأة فى كل زمان ومكان! »

يستطيع الكاتب أن يتحدث عن « رجالنا والحرب » فيحشد فى حديثه كل ما وعاه التاريخ عن مجد ماضينا الحربى ، ويسأل الكتب الخالدة أن تزوده بقصص البطولة التى سجلها رجالنا على مر الزمن ، ويفخر بالدم الذى انحدر الينا من أقدم عهود التاريخ ، وحمل معه ـ الى عروقنا ـ عظمة الفراعنة ونخوة العرب الامجاد

يستطيع الكاتب أن يحشد هذا كله حين يتحدث عن « رجالنا والحرب » فأما اذا كان الحديث عن نسائنا والحرب ، فليس فى الامر شىء من مجد التاريخ وأصالة الجنس ونقاء الدم وعظمة الجدود .. انما الامر أمر « أنوثة كريمة » لها روعتها الاصيلة وسرها الباهر ، دون حاجة الى الاستشهاد بمجد الماضى ، والتشبث بقصة الوراثة والدماء

هأنذا أفرغ للحديث عن النساء والحرب، فأرانى أتجاوز عن المراجع العلمية والتاريخية، لاكتب حديثى من وحى الانوثة الكريمة الخالصة . وأعرف أن « البحث الحديث » قد لا يطمئن الى مثل هذا الاسلوب الذى لا تدعمه المراجع ، ولا يبدو فيه جهد البحث وعمق الدراسة ، ولكنى أعرف أيضا أننى أتحدث عن موضوع يتصل بالعاطفة ويتجه الى القلب ، ولا يطلب فى مثل هذا الحديث ، أن نحشد الادلة العقلية فى أسلوبه ، لنقيم بها البرهان

ما حاجتى الى كتب التاريخ أسألها عما وعته لنسائنا من صفحات البطولة ؟ ان الدنيا كلها تذكر ماضينا الفرعونى الحى ، وتعتز بقصص البطولة التى سجلتها المرأة العربية التى تربطنا بها صلة الدم ، ولكنى ـ مع هذا ـ لا أتشبث بمجد ماضينا ولا آخذ مادة حديثى من هؤلاء الجدات الخالدات ، فقد يصلح مثل هذا الاستشهاد حين الحديث عن شىء غير الحرب ، أما فى الحرب ، فالانثى هى هى فى كل زمان ومكان .. ونساؤنا اليوم ، لهن عظمتهن الاصيلة المنحدرة عن « حواء » ، قبل أن يكون لهن المجد الموروث عن ملكات الفراعنة ، والبطلات العربيات

أتحدث عن النساء والحرب ...

عن هذه الانوثة الضعيفة الرائعة ، التى تفزع لذكر الحرب فتجاهد فى سبيل السلام. وهى غالبا لا تظهر على خشبة المسرح ، وانما يظهر الاب والاخ، والزوج والابن، يدافعون عن قضية السلام ، استجابة للصوت الرقيق الهامس الذى يهتف بهم فى الحاح : اعفوا الانسانية من أنين الثكالى وسهد الارامل ودموع اليتامى الصغار

أتحدث عن هذه الانوثة القوية العظيمة ، ترسل الرجل الى الميدان ، وتعطيه قطعة من قلبها يذكو بها حماسة وتلتهب منه الدماء ، فيذهب مزهوا بمجد الجندية ، يردد أناشيد البطولة وأغانى المجد فى نشوة واستغراق ، وتبقى هى فى الدار لا تسمع هتافا ولا تزهو بمجد ، وانما تجمع أشلاء قلبها الجريح ، لتجفف دموع الصغار ، وتحدثهم عن أبيهم البطل ، وهى ــ الحزينة المتعبة ــ لا تجد من يجفف دمعها أو يمنحها بعض العزاء

أتحدث عن الانوثة النبيلة الوديعة ، تخرج الى ميدان القتال عاملة مجاهدة ، تهزها الانسانية المتألمة فتنحنى عليها فى رفق وتغرق آلامها فى فيض من العطف والحنان ، وتسير بين الجرحى بثيابها البيضاء ، ووجهها النورانى : تأسو الكلوم وتضمد الجراح ، وتواسى المصابين فينسون فى ابتسامتها الوديعة الصافية ، قسوة البشر ووحشية الانسان

ودور المرأة فى الحرب يختلف عن دور الرجل ، وهو ــ على أى حال ــ قائم على البذل والفداء ، والتضحية الصامتة التى لا تطمع فى ثمن أو جزاء

يجرح الرجل فى الميدان ، فيعتز بجرحه ويسير به بين الناس مزهوا فخورا ، يغمره العطف والتقدير والاحترام ، بينما تفجع المرأة فى رجلها الذى ارسلته ليؤدى ضريبة الدم ، فتنطوى على جرحها الهائل وتسير بين الناس وقلبها يقطر دما : انها لتعرف ان هذه الجراح الدامية لا تدخل فى حساب الناس ، ولكنها مع ذلك تصطنع العزاء وتتكلف الصبر ، وترضى بالتضحية الهائلة معترفة بانها خلقت لتعطى ، وقد أعطت الوطن كل شىء الا هذا الجسد البالى ، فليس لها أن تئن أو تشكو

والرجل قد يدفع حياته فى الميدان ، ولكنه ــ مع ذلك ــ يقبض الثمن موتة رائعة مجيدة على صهوات الخيل وفى ظلال السيوف ، وهى موتة يشتهيها الرجال ، ويتلهف عليها الفتية الفرسان : رحم الله أبا فراس الامير الحمدانى الذى أبت عليه كبرياؤه أن يذل للحب أو يذرف الدمع الا خفية وتسترا فى حمى الليل وتحت ستار الظلام ، فلما أسره الروم فى حروبهم مع ابن عمه سيف الدولة ، جن جنونه وأضناه الخوف من الموت على الفراش ، وحرمانه من مجد الموت على صهوة الجواد شأن الفتى العربى الكريم ، فمضى يستعطف ابن عمه ويتوسل اليه أن ينقذه لانه يأنف موت الذل :

دعوتك للجفن القريح المسهد — لدى وللنوم القليل المشرد
وما ذاك بخلا بالحياة وانها — لاول مبذول لاول مجتد
أناديك ، لا أنى أخاف من الردى — ولا أرتضى تأخير يوم الى غد

ولكنني أختار موت بني أبي على سروات الخيل غير موسد
وآبى وتأبى أن أموت موسدا بأيدي النصارى موت أكمد أكبد

هذه هي الموتة الكريمة التي اشتهاها الفارس الامير ، كما اشتهاها من قبل الفتية الفرسان حيث يقول قائلهم : « انا والله لا نموت حتفا ، ولكن قصعا بأطراف الرماح وموتا تحت ظلال السيوف » عبد الله بن الزبير

وحيث يقول شاعرهم :

تأخرت أستبقي الحياة فلم أجد لنفسي حياة مثل أن أتقدما

« الحصين بن حمام »

وهكذا يعطي الرجل جسده للوطن ، فيقبض الثمن موتة مجيدة رائعة أو حظا من التمجيد والبطولة ، أما المرأة فتعطي الوطن رجلها ـ وهو عائل ابنائها ورفيق حياتها وعون ضعفها ـ وتعطيه بعده قلبها وسعادتها وكل حياتها ، وليس لها من جزاء الا ما تهجس به أحلامها ـ في غفوة اليأس والاستسلام ـ من حق الوطن والبلاد !

وهي في الحرب لا تحسن الرمي ولا تستطيع كفاها تقليب الظبا وحمل السلاح ، ولكنها لا تضيق بهذا العجز ، لان هذا الدور لا ينسجم مع طبيعتها الوديعة الكريمة ، ولان لها دورا آخر في الميدان ، هو اسعاف المصابين وتضميد الجراح وتعزية الحزانى المتعبين :

أنا ان لم أحسن الرمي ولم تستطع كفاي تقليب الظبا
أخدم الجرحى وأقضي حقهم وأواسي في الوغى من نكبا

« حافظ ابراهيم »

والمرأة بعد هذا لا تحقد على الرجل حين ترى الدور الذي يقوم به ويستعد له ، وانما ترى فيه ضحية لغريزته ، ومن ثم فهي تجاهد في انهاضه من محنته ، وتخفيف آلامه ، حتى ترتد اليه طبيعته الانسانية المهذبة

لقد بدأت المرأة تتهيأ للغد المنتظر ، وتعد نفسها للتضحية الكريمة ، وترى اليوم في دار الهلال الاحمر أفواجا من فتياتنا المثقفات في ثياب الرحمة البيضاء ، يتعلمن هناك كيف يسعفن المرضى ويضمدن الجراح ، ويتهيأن لتأدية فريضة الانسانية ، والقيام بدور الرحمة ، في ميدان القتال

وحين تعلن الحرب ، وتستيقظ في الرجل غريزته التي ترتوي بالدماء ، تظهر المرأة في الميدان ، لتمثل العنصر الانساني الكريم في تلك المأساة الهائلة ، وتخبر عن وجود الخير والحنان في دنيا النار والدماء ، وتعلن كلمة الروح في عالم المادة ودنيا الضلال والفساد

وتلك هي مهمة المرأة في مصر وأوربا وبلاد النيام نيام

تلك هي مهمتها اليوم ، وكانت كذلك في فجر التاريخ

ابنة الشاطىء



فتيات مصر فى ميدان الجهاد

برغم كثرة عدد هاته الفتيات ، فانهن لسن إلا بعض المتطوعات لأعمال التمريض والاسعاف وأعمال الوقاية والانقاذ ، متأهبات لأداء واجبهن نحو وطنهن العزيز . وانهن ليستمعن بوعى وانتباه الى درس فى كيفية استعمال القناع الواق . وفى كثرة عدد الفتيات المتطوعات دليل حى على مدى استعداد الجنس الناعم للخدمة الوطنية فى الازمة الراهنة

حاملة العلم

فى انجلترا اليوم ، عـــدد كبير من الطيارات الاحتياطيات ، تم تدريبهن على فن الطـيران الحربى ، للانتفاع بهن عند الطوارىء . وهذه إحدى هؤلاء الطيارات تنشر علم الطـيران النسائى الاحتياطى وخلفها طائرتها فى مطار روسفورد

صينيات بملابس الجنود

نزلت المرأة الصينية ميدان الحرب ، تجاهد الى جانب الرجل ، وتدفع عادية العـدو عن حمى وطنها . وهذه هى احدى الفرق النسائية التى اختيرت للعمل فى « خط النار » قبيل سفرها الى الميدان ، وهن يلبسن ملابس الجنود الرجال



التمرين على اصابة الهدف

طالبات احدى الجامعات الروسية ، يتمرن على إطلاق مدفع رشاش واصابة الهدف ، تأهباً للطوارئ .



نجدة سريعة

متطوعات فرق الانقاذ فى لندن ، يبادرن مسرعات لانقاذ بعض المصابين ، وقد ارتدين ملابس الوقاية الـكاملة ، والاقنعة الواقية ، ولا يعرف الناظر اليهن لأول وهلة اذا كن من الجنس اللطيف أو الخشن

قصة

نشيد المرسيليز

كيف ألف هذا النشيد – عبقرية ليلة في حياة ضابط – لماذا سمى المرسيليز؟ – رجال الثورة الفرنسية يسجنون مؤلفه

كانت « الجمعية الوطنية » فى خلال الشهور الأولى من عام ١٧٩٢ مترددة بين الموافقة على خوض غمار الحرب ضد جبهة الملوك والاباطرة ، وبين تقرير الاخلاد الى الهدوء والسكينة ، والعمل على تهدئة الخواطر . وضبط العواطف ، رغبة منها فى صيانة السلم . وكان الملك لويس السادس عشر نفسه حائراً ، لا يعرف الى أية جهة يدير دفة البلاد ، فقد كان يدرك تمام الادراك خطر انتصار الثوار على نظام الحكم فى البلاد عامة ، وعلى عرشه خاصة ، كما كان يخشى انكسارهم وما قد يجره من قلاقل ، ولم تكن الاحزاب بدورها أقل اضطرابا وحيرة من أعضاء الجمعية الوطنية ومن الملك . فقد كان أنصار الملكية يحبذون فكرة الحرب كيما يتسنى لهم أن يحافظوا على نفوذهم ، بينما كان « روبسبيير » والمتطرفون يبذلون جهودهم من أجل السلم ، لكى يصفو الجو فتسنح لهم فرصة القبض على زمام الحكم ، وكانت الحالة تزداد تحرجاً ، فالصحف تعصف ، والمنتديات تفيض بالنقاش الحاد ، والأنباء المزعجة تذاع فى كل مكان بسرعة البرق ، فتثير الخواطر

ولكن لم يمض وقت طويل على هذه الحال حتى طابت النفوس ، وعادت الحياة الى مجراها الطبيعى أو كادت ، وذلك بعد ان أعلن الملك قطع العلائق السياسية مع بروسيا والنمسا

لقد كان ذلك التوتر العنيف الذى خيم على باريس وأثقل كاهلها فى خلال تلك الاسابيع الطويلة ، متعباً ، نال من النفوس ، وبعث فيها الغم . بيد أن الانفعال الذى ساد وقتئذ المدن الواقعة على الحدود كان أكثر إيلاما ، ذلك بان الاستعدادات وأعمال التحصين كانت جارية فيها ، ولا سيما فى مقاطعة الألزاس التى هى دائما المسرح الاول للطعان والنزال بين الألمان والفرنسيين . وكان الواقف على قبة كاتدرائية مدينة « ستراسبورج » يرى قوات البروسيين تدنو شيئا فشيئا

وكان يوم ٢٥ ابريل عام ١٧٩٢ يوماً هائلا اذ لم يكد الرسل القادمون من باريس الى ستراسبورج يذيعون نبأ إعلان الحرب حتى هرعت الجماهير الى الميادين العامة حيث وقف البارون « ديتريش » يستعرض الفيالق . وفى نفس الوقت غصت المقاهى والفنادق بالناس ينصتون للخطب

المشتعلة بالحماسة والوطنية ، كما صدرت الصحف وقد امتلأت صفحاتها بعناوين نارية نذكر منها على سبيل التمثيل « امتشقوا أسلحتكم أيها المواطنون! » « لقد رفعت أعلام الحرب » « الى الامام يا أبناء الحرية ! » « ليدب الرعب فى قلوب الطغاة المتوجين ، ولترتعد فرائسهم ! »

بيد أن البارون « ديتريش » كان يأبى الا أن يسمع العبارات التى تفيض تفاؤلا واستبشاراً ، ولهذا بذل كل مافى وسعه من جهد لكى يدخل فى النفوس المرح والغبطة وجعل يتنقل من مكان الى مكان ليشعل الجماهير ، كما وزع الطعام والشراب على الجنود الذاهبين الى ميدان القتال . وفى المساء أقام فى داره حفلة وداع دعا اليها عدداً كبيراً من القواد والضباط والأعيان . وبينما كان المدعوون يتبادلون الخطب ، ويرفعون الكؤوس ، إذا بالبارون يتلفت الى ضابط شاب كان جالساً الى جواره ، ويرغب اليه فى أن يضع نشيداً حماسياً على غرار النشيد الذى سبق أن ألفه بمناسبة تشكيل اللجنة الدستورية ، فما كان من هذا الضابط – واسمه روجيه – الا أن نزل عند رغبة البارون بقوله : « سأحاول يا سيدى البارون بقدر ما يصل اليه جهدى »

فى ساعة الوحى

صعد « روجيه » الى غرفته المتواضعة ، وجعل يذرعها جيئة وذهاباً وهو يعتصر ذهنه ، ويفكر طويلا فى ذلك النشيد الحربى الذى كلفه البارون « ديتريش » بتأليفه . ترى كيف يستهله ؟ لقد امتلأت أذنه بطائفة من العبارات المشتعلة النارية يذكر منها مثلا « امتشقوا أسلحتكم أيها المواطنون ! الى الامام يا أبناء الحرية ! لقد رفع علم الحرب ! . . » ولكنه تذكر عبارات أخرى سمعها فى الطريق ، وكان لها فى أذنه دوى سرت من جرائه رعدة شديدة فى أوصاله ، كما تذكر أصوات النساء وهن يرتعدن خوفا على أبنائهن . وهنا استولت عليه نشوة حارة قوية . وغاب فى موجة روحية أبعدته عن عالم اليقظة والوعى والشعور ، ثم راح يكتب بيد مرتعشة مقطوعات شعرية :

هبوا يا أبناء الوطن . . . لقد جاء يوم المجد

ثم أمسك عن النظم هنيهة ، ومضى يضرب بغير هدى فى بيداء التفكير ، وهو يقول لنفسه : « هذا استهلال لا بأس به ، ولكن أنى لى باللحن الذى يلائم هذا الكلام ! » ثم رفع قيثارته وأجرى القوس على أوتارها عدة مرات ! يا للعجب ! ويا للمعجزة ! الموسيقى تتسق مع الشعر الى غير حد ! كيف حدث ذلك ؟ . . ولكنه لم يجب عن هذا السؤال بل مضى فى الكتابة !

أيتها الحرية العزيزة . . . حاربى مع الذين يذودون عنك

فرغ « روجيه » من هذا النشيد الخالد ولما ينبلج الصباح ، فأطفأ مصباحه ، وغرق فى سبات عميق !

استيقظ « روجيه » مع الصباح على صوت أجراس الكاتدرائية ، وما إن قفز من فراشه

ونهض واقفاً حتى شعرلفوره بأن شيئاً حدث له ، بيد أنه لم يستطع له فهماً ولا تفسيراً . ثم حانت منه التفاتة الى المائدة فوقع بصره على وريقات مكتوبة ! ماهذا ؟ مقطعات شعرية ؟ متى نظمت ؟ انه خطه ما فى ذلك ريب ! ؟ وما هذا أيضاً ؟ لحن موسيقي ؟ متى وضعه ؟ يا للعجب ! انه النشيد الذى طلب اليه « البارون » أن يضعه لجيش الرين ! قرأ « روجيه » النشيد ، ثم تغنى باللحن ، ولـكنه غرق فى بحر من الشك ، شأنه فى ذلك شأن العباقرة الملهمين ، وما ان أحس بأن شكه أخذ يتضاءل حتى خف الى لقاء العمدة ، فوجده يقوم برياضته الصباحية فى حديقة داره

— أهذا أنت ياروجيه ؟ أبهذه السرعة أتممت نشيدك ؟ هيا بنا فى الحال الى قاعة الاستقبال !

دخل الاثنان القاعة ، فجلس « ديتريش » الى البيانو ، وأجرى عليه أصابعه ، بينما رفع « روجيه » عقيرته بالغناء . وبعـد أن فرغا من الايقاع والغناء ، هنأ العمدة صديقه الشـاعر الموسيقار ، وما هى إلا ساعة أو بعض ساعة حتى أمر بأن تعزف جميع الفرق الموسيقية هذا النشيد الحماسي أثناء مرورها فى الشوارع والميادين . بيد أن هذا النشيد لم يكن قد وصل بعد الى مسامع أهل باريس والمدن الأخرى ، ولم يكن الثوار قد عرفوا لحنهم الخالد ! . .

لماذا سمى نشيد المرسيليز ؟

أما الشخص الذى كتب له أن يتمم هذه المعجزة فهو الدكتور « ميرير » الذى اتفق له أن سمع هذا النشيد فى أحد شوارع ستراسبورج ، فلما شخص الى مرسيليا غناه على مسمع من بعض الأتراب والأصدقاء ، فما هى إلا عشية وضحاها حتى كان هذا النشيد على جميع الشفاه

على هذا النحو أطلق عليه اسم « المرسيليز » ! (نسبة الى مرسيليا) ولـكن دون أن يعرف أحد أصله أو مؤلفه !

كان « روجيه » فى ذلك الوقت يعمل مع الجنود المعسكرين فى « هونتج » فى حفر الخنادق ، ولعله كان قد نسى ذلك النشيد الذى فاضت به عبقريته فى تلك الليلة التاريخية . . .

ومن سخرية القدر ألا يكون واضع نشيد الثورة من أنصار الثورة بل من مؤيدى الحكم الملـكى ، وأن تـكون الحرية التى تغنى بها هى حرية الوطن واستقلاله ، لا تلك الحرية التي كان المتطرفون يقيمون دعائمها على الفوضى . وهكذا كان مآله الى غيابات السجن ! . .

وقد قبضت روح هذا الشاعر الملحن فى مدينة « شوازى ليروا » فى غضون عام ١٨٣٦ ، وهو فى السادسة والسبعين من عمره ، وظل اسمه مغموراً أو كالمغمور ، حتى كانت الحرب الماضية التى أصبح فى خلالها نشيد المرسيليز نشيداً وطنياً ، يغنيه الشعب بأسره ، ويدوى مثيراً الجرأة والحماسة فى نفوس المدافعين عن الوطن ، الذائدين عن سلامة أراضيه !

(مترجم عن مقال لستيفان زويج)

قبيل نشوب الحرب

ماذا رأيت في أوربا

بقلم الدكتور امير بقطر

رئيس قسم التربية بالجامعة الامريكية

* في انجلترا هدوء واطمئنان وثقة واستعداد للحرب
* في أسوج ونرويج والدانمرك تأييد للديمقراطية واستهجان للديكتاتورية
* في فرنسا مرح وطرب وتفاؤل واستعداد للحرب
* في المانيا ضغط وقتل للحرية وازمة معيشية
* في ايطاليا حنان للامم اللاتينية وكره للجرمان

كان الاسبوع الاخير من شهر أغسطس الماضي خاتمة مزعجة لرحلة سعيدة دامت ثمانية أشهر ونيفا • وكنت في ذلك الحين في مدينة نيس في فندق يشرف من ربوة عالية على أكثر مباني المدينة ، وتطل نوافذه على حمامات الشاطىء ، وذلك الخط المتعرج من « الشط اللازوردي » الذي كان يعج بالسياح ، منهم ثلاثة آلاف من الانجليز ومثلهم من الاميركان • استيقظت يوما على حركة غير مألوفة في ساعة مبكرة ، سمعت في اثنائها جلجلة الحقائب ، وجلبة السيارات بدرجة لم يسبق لي عهد بها في ذلك الفندق ، ولكنني لم أعبأ كثيرا لعلمي ان النازلين به يتجاوز عددهم المئتين ، ونهضت كعادتي استعدادا لتناول طعام الافطار ، بيد أنني قصدت اولا الى المكتب اطلب الى الموظف المختص ان يحجز غرفة لصديق قادم من باريس • وماكدت آتي على آخر العبارة حتى نظر الموظف الى زميل له وعاملة التليفون مبتسما ، وهو يقول ليس هناك ما يدعو لحجز الغرفة فالفندق يكاد يكون خلوا من النازلين • فلم افهم معنى ما قال ، لان عددا كثيرا من الذين قصدوا الى نيس عادوا على أعقابهم الى « مونت كارلو » و « كان » وغيرهما لازدحام الفنادق بالسياح

وقبل خروجي من الفندق قدم الى الخادم جريدة نيس الصباحية كالمعتاد • فاذا بها تعلن بالخط العريض ذلك النبأ المشئوم « ميثاق عدم الاعتداء الروسي الالماني » فأدركت على الفور كل شيء ، وجزعت لاول مرة — وأقول لاول مرة لانني في جميع السنوات والمناسبات السابقة ، لم تحدثني نفسي باحتمال نشوب الحرب ، وقد سافرت كالكثيرين غيري ، مطمئن الفؤاد ،

مرات عدة • أما بعد الميثاق العاتى فلم يبق لدى ريب فى اشتعال النار فى الاتون ، وقد رنت فى أذنى عبارة كنت سمعتها من أفواه خطيب من خطباء الرعاع فى حديقة «هيد بارك» فى لندن فى أوائل مايو الفائت ، وهى انه « اذا لم يضرب تشمبرلن الحديد ساخنا تعانق الدب والنسر ، واندلعت ألسنة النيران بسرعة البرق الخاطف » • فهرعت الى محطة السكة الحديدية أحجز مكانا للسفر الى مرسيليا فى أول قطار ممكن • وفى طريقى اليها رأيت باب القنصلية البريطانية مقفلا وعليه اعلان مخيف استهله القنصل بقوله : « ان ما لدى من المعلومات لا يزيد عما نشرته الصحف وانه لا يستطيع ان ينصح أحدا بالسفر او البقاء • بيد اننى أرجح انه اذا دق ناقوس الخطر ، اكتظت المواصلات اكتظاظا لا مثيل له ، ولا ينتظر عندئذ ان يعامل رعايا بريطانيا بغير ما يعامل به سواهم ••• » وذيل الاعلان برقم تليفون القنصل فى المكتب والمنزل • وشاهدت فى الشارع الرئيسى التجارى لوحات الاخبار والتعبئة العامة ، والمارة يتزاحمون لقراءتها

لست أريد ان أصف ما رأيت فى المحطة وعجزى عن حجز مكان فى أى قطار كان ، وما شاهدناه فى مرسيليا من امتلاء مكاتب السياحة والارصفة والشوارع بالمسافرين وازدحام الفنادق والمطاعم ازدحاما أبات الأسر العريقة بأمتعتهم على الارصفة والطرقات وشرد الناس زرافات كالجراد وغير ذلك مما نصلته الصحف فى حينه • غير اننى سأحاول ان انقل الى الاذهان صورة مما طبع فى ذاكرتى من مشاهداتى فى بلدان أوربا قبيل الحرب ، فيما يتعلق بالحرب ، وقد قضيت ستة اشهر فى بريطانيا العظمى ، واسابيع فى سكندناوه (اسوج ونروج ودانيمركه) والمانيا ، وفرنسا ، وايام فى كل من بلجيكا وايطاليا ، وسويسرا • وليست الصورة التى آمل ان يتاح لى رسمها نتيجة مباشرة لما رأيت فى هذه الرحلة فحسب ، وانما هى سلسلة لاختبارات سابقة استحكمت حلقاتها منذ نهاية الحرب العظمى الى الآن ، فقد واليت زيارة بلدان أوربا جميعا ما خلا روسيا بغير انقطاع منذ ذلك الحين ، ولابست اهلها ، وقرأت عنها ، فطبعت فى ذهنى نماذج فكرية شخصية ، قد يتفق فيها واياى البعض ، ويختلف الآخر

فى انجلترا

أما فى انجلترا فلم أر فى الفترة الطويلة التى قضيتها فيها عناية تذكر بأخبار الحرب ، ولم تبد فى أحاديث الناس فى حياتهم اليومية مخاوف أو اتجاهات يشتم منها التشاؤم وعدم الاطمئنان • وكنت كلما اطلعت على الصحف المصرية ، عجبت لما أراه فيها من صور مجسمة لشبح حرب وشيكة ، وخيل الى ان العالم المصرى يتوقع الحرب ساعة بعد ساعة ، فى حين ان العالم البريطانى ، برغم ما يعده من الرجال والسلاح ، وما يرصده من ملايين الجنيهات ، لا يتزعزع وجدانه ، وينظر للمستقبل بمنظار ليس فيه سواد • فالخنادق التى

بدىء بحفرها فى حدائق لندن العامة فى نهاية سنة ۱۹۳۸ ، أوقف العمل فى اكثرها ، والكمامات التى كانت السلطات المحلية توزعها على السكان بغير مقابل ، قل الاقبال عليها قلة تدعو للدهشة ، ولم يبق خارج المصانع التى تعمل ليلا نهارا لصنع الذخيرة والسلاح ، والمقالات المعتدلة التى تنشرها الصحف ، والمناقشات التى تدور فى مجلس النواب - لم يبق من مظاهر الحرب الخارجية فى انجلترا سوى شرائط كبيرة من الاقمشة علقت فى أماكن بارزة ، وكتب عليها عبارة « علينا ان نستعد »

ولعل فنادق لندن الهادئة التى يرد اليها أفراد الطبقة المتوسطة من الانجليز ، خير مرآة تتجلى فيها هذه الظاهرة . كثيرا ما كنت اشاهد قاعات الاستقبال مكتظة بهؤلاء بعد العشاء ، ولشدما كانت دهشتى حين ألاحظ فى أحاديثهم عدم الاكتراث بالحالة الدولية . فاذا ما أذاع اللاسلكى خطبة لهتلر ، أطرقوا برءوسهم وارهفوا آذانهم ، ريثما تهدأ ثورته ، ثم صمتوا ريثما يفرغ المذيع من ترجمة أقواله بما فيها من وعد ووعيد و « هستيريا » ثم ادار الرجال دفة الحديث الى موضوعات عامة تتعلق بدوائر أعمالهم وكل شىء آخر غير الحرب ، وغير خطبة هتلر ، واستأنفت السيدات الحديث عن الاميرة اليزابيث ، وافراد الاسرة المالكة التى يتفانى الشعب الانجليزى حبا بها . وقد عادت الى ذاكرتى هذه الاحاديث ، عندما وقف ركاب الباخرة محمد على الكبير ليلة أمام الميكروفون وهم يتلهفون لالتقاط أخبار الحرب ، واذا باشارة من لندن تقول « ان ملاعب كرة القدم قد تأثرت تأثرا شديدا من تطوع معظم اللاعبين للحرب » فضحك الركاب مندهشين ولسان حالهم يقول : « فى الليلة الدهماء يفتقد البدر »

على ان هذا هو الطبع الانجليزى الذى لا تهزه الحوادث ، وهذه هى فلسفة الحياة عند قوم « يأبون عبور القنطرة قبل بلوغها » وليس هذا كل شىء . فهناك مجد تليد ، وهناك امبراطورية وقوة وتاريخ ... وكلها عوامل قوية ، لا يسع الناس حيالها الا ان يكونوا كالماء العميق لا تعكره شباك الصياد . بيد أن هذا الصمت كان يتخلله الكلام الفينة بعد الفينة ، وذلك السكوت العميق كانت تنفجر منه أنات الشكوى وعدم الرضى ، من حين الى حين . وكان العمال ، وأفراد طبقة العامة هم فى الغالب مصدر هذه الشكاوى ، يؤيدهم القلائل من سائر الطبقات ، بما ينشر فى الصحف ويلقى من الخطب . أما الصحف الانجليزية ، كغيرها من صحف العالم ، لا تستطيع الوقوف على الرأى العام بوساطتها الا اذا قرأت ما يقرأه العامة منها . ولا يعنى بهذا ان تهمل صحيفة التيمس ، فان ما تقوله التيمس اليوم يحدث فعلا الاسبوع القادم ، وان كذبته الحكومة . ولكن لا بد لك من مطالعة الديلى وركر ، ومن الخطأ ان تحاول ادراك الرأى العام من مطالعة الديلى تلغراف وحدها ، وانما يجب ان تتبع ذلك بجريدة أخرى تكون بمثابة الرقيب عليها كالنيوز كرونكل . واذا قرأت صحف الرعاع مثل ديلى مرور وسكتش ، فلا بد لك ان تقرأ

المنشستر جارديان ، اذ انها تمثل عظمة الصحافة القديمة . ولا مندوحة لفهم الحالة النفسية في انجلترا — فيما يتعلق بالحرب على الاخص — من قراءة ما يكتبه كنجزلي مرتن في النيوستيسمان ، ووليم هريس وهرولد نكلسون في مجلة سيكتيتور ، فان هذه المجلات تغربل الاخبار وتبرزها مجلوة واضحة ، أما مجلة « الاسبوع » فتخفي وراء سطورها ما لا يجوز نشره ، وكل نبوءة تتنبأ بها ، لا بد ان تتم . ومن أبدع ما يقرأ يوم الاحد ما يسطره «جرافن» في الاوبزرفر ، ومدام تبوى في الدسباتش

وليس ادل على اشتغال الاذهان في انجلترا في ذلك الحين من سيل الكتب الذي يتدفق من المطابع في لندن بنسبة مؤلفين كل اسبوع في هذا الموضوع ، رغم الهدوء والاطمئنان . وأكثر هذه المؤلفات تدور حول النازية والفاشية والبلشفية وكل ما يتعلق بها من اشخاص وحوادث . ومن أشدها انتشارا كتاب « مرتا دود » كريمة السفير الاميركي السابق في برلين ، وقد ضمنته اختباراتها في المانيا زهاء خمس سنوات عجمت فيها عدد القواد والضباط وكبار رجال النازي ، وفضحت فيه ما يجري من المخازي ، ومما يدل على مبلغ اقبال الناس على مؤلفها ان أعيد طبعه ثلاث مرات في الاسبوعين الاولين وتلا ذلك طبعات أخرى لا أدري عددها . ومن أشهر هذه الكتب ايضا « البيت الذي بناه هتلر » لستيفن روبرت ، و « مدرسة للدكتاتوريين » لسيلون ، ومدرسة للبرابرة للآنسة « اريكا » كريمة الكاتب الالماني الشهير « توماس مان » وتستولي على القارىء الدهشة اذا رجع لملحق التيمس الادبي ، والاوبزرفر ، واطلع على تقاريظ ذلك السيل العرمرم بين ديسمبر الماضي واليوم

في اسوج ونرويج والدانمرك

ولننتقل الآن بالقارىء الى ممالك اسكندناوه (دانميركه واسوج ونروج) تلك البلاد الهادئة الجميلة الراقية ، التي اشتهر أهلها بالسلام وانبل ما يستطاع الاتصاف به من الفضائل الانسانية . كان عهدي بهذه البلاد كما رأيتها قبل هذا العام أن تكون جرمانية الى حد محدود على الاقل في نزعتها السياسية ، كما ان لغتها ودمها يقربان الى حد محدود من الجرمانية . وقد زادني اعتقادا ان الدانميركة مثلا كانت المملكة الوحيدة التي أجابت هتلر صراحة ، على سؤاله ، بأنها لا تخشى او تتوقع ان يفكر يوما في غزوتها . ولما رأيت الحالة هناك على النقيض مما كنت أظن ، سألت صديقا لي عن مغزى هذا الجواب فأراني صورة رمزية للص (هتلر) تسلل منزلا ، وتقدم لصاحبته وهي تنتفض خوفا في سريرها ، وقال لها : أتخافينني ؟ وكان صوته يدل على استفهام خرج عن معناه الاخص فأفاد الانكار . فأجابت السيدة : « لا يا عزيزي ، ليس ثمة ما يخيفني ، العفو يا حضرة اللص ، العفو »

أول ظاهرة شاهدتها هناك تحول تيار التعليم فيما يتعلق باللغات الاجنبية من الالمانية الى

الانجليزية ، وقد جاء هذا التحول نتيجة لاتجاه عام فى الرأى العام ، وزاده تأيدا قرار للجنة ملكية تشكلت لهذا الغرض • والظاهرة الثانية ان مدارس تلك البلاد الشهيرة ، المعروفة باسم المدارس الشعبية ، تخصص شطرا يذكر من مناهجها لدراسة الديمقراطيات وموازنتها بالدكتاتوريات ، وقد وجدت فى جميع المعاهد التى زرتها اجماعا تاما من جميع الطلبة والطالبات ومعلميهم ومعلماتهم على استهجان الاخيرة والازدراء بها علنا • والظاهرة الثالثة ان حكومات تلك البلدان لا تعول كثيرا على سلاحها الحربى ، لعلمها انها مهما بالغت فى اتقانه ، فانها لا تستطيع الوقوف فى وجه دولة معتدية كبيرة ، وترمى سياستها الى عدم التعرض للمعتدى لانها تعتقد ان « العنقاء تكبر ان تصاد » وقد حولت دانميركه بعض ثكنات جيوشها الى ملاعب لكرة القدم ، وقصرت عدد جنودها على ١٨ الفا • وجل غاية أولى الامر والسكان فى جميع ممالك اسكندناوه الاصلاح الداخلى ، وتعليم الفلاحين ، وانشاء جماعات التعاون ، وقد صدق زعماؤها فى اطلاقهم على تلك البلاد اسم « معمل تجريبى كبير للمسائل الاجتماعية » فانها من هذه الناحية ارقى بلدان العالم وأكثرها مدنية بغير نزاع • وبالرغم من الاخطار الدولية التى تستهدف لها ، فان اهلها مطمئنون للسلام ، لا يخشون المستقبل ، متفائلون تفاؤلا يكاد يكون ايمانا وعقيدة • ولعل أساس هذا التفاؤل ما تدره عليهم بلادهم من خيرات وفيرة ، وما يمتع به افقرهم من اجود اللبن والزبدة والجبنة والقشدة واللحوم واثنى عشر نوعا من انواع الخبز الشهى ، وما اودعت طبيعة الشمال فى نفوسهم من صبر ودعة وحلم وفضيلة ، وما انتشر بينهم من علم وحضارة

فى المانيا

ولنسارع الى المانيا وقد قضيت فيها أياما فى اغسطس الماضى • أول ما يلفت الزائر هنا حسن النظام ، وسير الامور الظاهرة سير الآلات العلمية الدقيقة • فالحمال وسائق السيارة وصاحب الفندق والمطعم ، كل يتناول أجرته فى هوادة وسكون ونظام ، طبقا لتعريفة متفق عليها ، لا زيادة فيها ولا نقصان • بعكس الحال فى فرنسا مثلا حيث يخيل للزائر فى الظاهر ان سوء النظام مستحكم فى كل مكان • فالحمال ثائر يحاول ارهاق المسافرين ، وقد تقضى زمنا طويلا قبل ان تجد أثرا للحمالين فى بعض المحطات (ولا اتكلم عن الاسبوع السابق للحرب) ، وسواق السيارة يتشاجر لاوهى الاسباب ويطالب بمبالغ اضافية لاحق له فيها ، واصحاب المطاعم والفنادق كذلك •• وكثير من موظفى السكك الحديدية وغيرهم من الذين يتصلون بالجمهور ، ينقصهم الحلم والصبر وحسن المعاملة

بيد أن ما تراه فى المانيا من دقة النظام مظهر من مظاهر الضغط وقتل الحرية الفردية ، وان أكثر ما تراه فى فرنسا من سوء النظام مظهر من مظاهر الحرية فى أقصى حدودها • وقد احسنت الحكومة الفرنسية صنعا فى الغاء نقابات العمال منذ عهد قريب ، واحسنت

كذلك فى الضرب بيد من حديد على الشيوعية وغلق صحفها (خصوصا الـ Humanité) أثر الميثاق الروسى الالمانى ، واخيرا حل الحزب الشيوعى ، فان ما يراه السائح من سوء النظام فى فرنسا لم يكن الا مظهرا شائنا من مظاهر البلشفية لا الحرية الحقة ، وان النظام الدقيق الذى يعجب به الزائر لالمانيا ، ان هو الا مظهر شائن لمظاهر الاستبداد

ولا يستطيع الزائر ان يتفهم الحالة العامة فى المانيا بمجرد وجوده فى الفنادق ، فان حياة الفنادق والمطاعم حياة صناعية سخية مرنة • وحكومة النازى شديدة الحساسية ، تبذل قصارى جهدها فى اطلاق الحرية لاصحاب هذه الفنادق فى شراء أكبر كمية ممكنة من الطعام ، وأكثره جودة ، حتى لا يقال ما لا يلزم ان يقال • وهى شديدة الحساسية الى حد أصبحت فيه الشكوى من الشعب الالمانى ذاته جريمة شنيعة يعاقب عليها القانون ، فاذا ما توافرت أسباب الشكوى للسياح ، تضاعفت هذه الحساسية ، خشية ان يدرك العالم حقيقة الحالة • وما تعليل هذا الا شعور بالنقص يسميه علماء النفس Inferiority Complex

طلب أحدنا من خادمة المائدة قليلا من « القشدة » فى ساعة الافطار لضعف عنصر الدسم فى اللبن ، وقد عهدنا فى المانيا ، وسائر الممالك الجرمانية ذلك النوع البديع من القشدة الذى يسمونها هناك « Schlag» فاحمرت الخادمة وتلعثمت ولم تحر جوابا ، وبعد قليل جاء صاحب الفندق يعتذر • ولما ان ذكرنا هذه الحادثة لاسرة انجليزية كانت تقطن المانيا مدة عام كامل لعلاج أحد افرادها هناك ، ضحكوا طويلا وقالوا لنا همسا ان هذا الترف de luxe قد اختفى من زمن بعيد • وشاهدنا بعد ذلك الكثيرين من فضلاء الالمان يخرجون من جيوبهم قبيل الافطار فى قاعة المائدة البيض ، ويطلبون الى الخادمة اعداده • وعلمنا بعد ذلك ان هذا ليس من الاصناف التى يستمتع بتقديمها مع العلم ان الفندق يتقاضى من الشخص الواحد ما يساوى ٨٠ قرشا بالعملة المصرية فى اليوم

وعلى ذكر الزبدة أذكر صورة رأيتها فى مجلة انجليزية فى لندن ، جلس فيها هتلر الى مكتبه ، ووقف أمامه سكرتيره الخاص ، يستأذنه فى دخول رجل مسترسل اللحية أشيبها ، وهو يقول : « البروفسور هوسمان يدعى انه اخترع طريقة لاستخراج الزبدة من اللبن » ـ وذلك لان الزبدة تصنع من كل شىء فى المانيا ما عدا اللبن ـ وقد روت مجلة ريدرز دايجست أخيرا ، نقلا عن جريدة تصدر فى الهاى ان الالمان كادوا يتقنون صناعة الزبدة من الفحم ، والقشدة من السمك ، ولا يعيب الاخيرة سوى احتفاظها برائحة السمك • وقد سبقوا فنجحوا فى صناعة القماش من اللبن (ويدعى الاتنال) واستخراج الكحول ، والصمغ ، والبلاط ، والطلاء ، والورق ، والخبز ، وماء الكلونيا وغيرها من البطاطس

ولم نشهد فى المانيا فى الاعوام السابقة ما شهدناه فيها فى اغسطس الماضى من علائم الكآبة والخمول وعدم الحركة • فكأن رونق الحياة ، نعيمها وبهجتها ، لم يعد لهما بين الناس وجود ، وكأن المرح ، والضوضاء ، والحماسة ، والغناء ، والعزف على آلات الموسيقى وغيرها من مميزات الشعب الالمانى ، قد أصبحت فى خبر كان • ومما يسترعى الانظار

هناك خلو الشوارع ، والمتنزهات ، وكل مكان تقع عليه عين الزائر ، من الشباب ، ومن رجال ونساء . فقد أصبح مكان هؤلاء المعسكرات ، وجماعات الشبان والشابات ، والمزارع والحقول والمصانع ، التى يحتم على كل فتى وفتاة فى سن معلومة قضاء فترات فيها . ومن العبث ان تحاول الحديث مع المانى أو اجنبى هناك ، مهما توطدت بينكما أواصر الصداقة ، فان كل سؤال تسأله ، وكل ملحوظة تبديها تقع على آذان صماء ، وكل جملة تفوه بها همسا ، وان تكن « خارج الموضوع » تليها لفتة الى الوراء و « تحويلة » الى موضوع آخر ، لان حيطان المانيا لها آذان

فى فرنسا

رأيت فرنسا ، رغم قيام استعداداتها الحربية على قدم وساق ، مرحة طروبة ، متفائلة بالمستقبل كعادتها . ولم تكد قدمى تطأ شوارع باريس حتى لمحت هنا وهنالك الرغيف الذى طوله متر ونصف المتر تحمله فتاة على دراجتها ، أو رجل يسير على الرصيف . ولا شك ان ظهور هذا الرغيف دليل على استمرار الحياة العادية بين « البورجوا » من الاهلين . والكمامات التى كانت وزعت على الفرنسيين فألقوها فى زوايا النسيان ، لم تبعث من اكفانها ، الا بعد توقيع الميثاق الروسى الالمانى . وقد كانت الحكومة الفرنسية قد أوصت على هذه الكمامات من تشيكوسلوفاكيا ، فلم يصل سوى نصفها حتى ابتلع هتلر تشيكوسلوفاكيا ، وابتلع معها النصف الباقى من الكمامات . وكنت ترى من حين الى حين أفرادا يحملون هذه الكمامات فى حقائب من الخيش أو صفائح ترابية اللون ، ولكنهم كانوا يجاهرون بأنهم يجهلون استعمالها

ولولا أكياس الرمل ، وأتربة المخابىء ، وتوالى انتزاع الزجاج الفنى الملون من بعض الكنائس واعادته ، وتعبئة الصور الفنية الغالية فى صناديق كبيرة فى متحف اللوفر ، لقلنا ان باريس فى شهر اغسطس هى هى كما عهدناها فى أزمان الهدوء والاطمئنان والسلام . فقد كانت فنادقها عامرة زاخرة ، ومسارحها وملاهيها تعج بقاصديها ، وأزياؤها كعبة الزائرين من جميع انحاء المسكونة ، وكان سكانها يتحدثون عن راقصة شهيرة فى « بال تباران » والحفلة الساهرة التى أقامتها الكونتيسة دى لمور لبنتيها ، الى الساعة السادسة صباحا الخ

والصحف الفرنسية ظلت تنشر فى أكثر مقالاتها الرئيسية ما ينبىء بالاستعداد لكل طارىء والوثوق بالنفس وثوقا لا تشوبه شائبة ، والاطمئنان الى انجلترا ، وشدة اخلاصها كحليفة ، وقد حدا هذا الشعور بصحيفة ايطالية ان تكتب مقالا عنيفا جعلت عنوانه « جون بول أنا أحبك » . غير ان هناك كاتبة فرنسية اشتهرت بالتشاؤم فى مقالاتها ، حتى قيل عنها انها تنقل أخبار الكوارث الدولية الى قرائها ، بمعدل كارثة فى اليوم ، ولكنها بلا جدال أقدر صحافية فى فرنسا ، ولا بد ان عرفها القراء الآن ، فهى مدام جنفيف تابوى

التى جعلت صحيفة « الاوفر » فى مقدمة الصحف العلمية الراقية ٠ وقد باعت مدام تابوى من كتابها « فضيحة أو حرب » أكثر من نصف مليون نسخة ، منها ربع مليون فى انجلترا، وقد تعرض لها الهر هتلر فى احدى خطبه الهستيرية

وحسبى أن أقول ان الحياة فى باريس كانت عادية فى شهر اغسطس بدليل عدد الانجليز والاميركان من السياح فى الشانزلزيه ، والمصريين فى كافيه دلا لابيه وقهوة الاوبرا نهارا ، ومونبرناس ليلا

فى ايطاليا

ويؤسفنى الا يتسع المقام فى هذا المقال ان اكتب عن ايطاليا ومعرفتى بمدنها ، وكثرة ترددي عليها ، وامتزاجي بشعبها ، خصوصا فى الجزء الشمالى منها ـ كل هذا يتيح لى أن اتحدث عن ذلك الشعب الذي يمقت الحرب ، ولا يزال يحن الى الامم اللاتينية ، ولا يستطيع ان يفهم الشعب التيشونى ، ولا يستخف ظله ، رغم الاعتبارات الرسمية السياسية ويؤسفنى كذلك الا يتسع المقام عن الاسهاب فى التحدث عن سائر البلدان الاوربية التى زرتها ، غير اننى لا أبعد عن الصواب انه لا توجد ثمة أمة فى أوربا يعطف أفرادها على المانيا سوى بلغاريا (لاعتبارات ترجع الى معاهدة فرساى التى تزعم بلغاريا ان ما نالها منها مثل ما نال المانيا من الغبن) فهنغاريا مثلا التى يخيل لمن لا يعرفها انها تتقرب لهتلر ، تكره الالمان كراهيتها للوباء ، وقد اضطرت حكومتها ان تعاقب من يتعرض لهتلر بالقذف أو السب ، لتعدد الحوادث فى ذلك ـ خشية ان ينتقم منها ـ ويوغوسلافيا التى تشمل عددا يذكر من السكان من أصل جرمانى ، ويتكلم الكثيرون منهم الالمانية ، يجاهرون بكراهية النازية ، والميل الى الشعوب الديمقراطية

***

واختتم مقالى بنقطة استرعت نظري بوجه خاص فى جميع أنحاء اوربا ، وهى استنارة الرأى العام من الناحية الدولية استنارة تدعو للعجب ، فالناس من جميع الطبقات ، كبارهم وصغارهم ، رجالهم ونساؤهم يفهمون الحوادث ، ويستدلون من ماضيها ما يحتمل وقوعه فى مستقبلها ٠ وكأن السياسة وأسرارها أضحت متاعا مشاعا للجميع ، فلا يحتم حتى تتفهم السياسة ان تتغذى على موائد السفراء ، أو تستضيف الوزراء ، أو تتخذ لك من موظفى الخدمة السرية أصدقاء أو تراقص الجاسوسة الحسناء

لا يحتم على الناس ذلك فى عصر حجبت فيه الكتب والصحف ووكالات الاخبار ومكاتب الاذاعة أشعة الشمس ،فأصبح رجل الشارع يدرك أسرار السياسة وغوامضها،ومدلولاتها ودهاء ذويها ، ويستطيع التنبوء بمستقبلها طالما كان متوسط الذكاء ، ملما بالقراءة والكتابة والنذر اليسير من الجغرافيا والتاريخ

امير بقطر

نفسية الجندى

بقلم اليوزباشى عبد الرحمن زكى

امين المتحف الحربى

تعتمد الجيوش فى ميدان القتال على القوة المعنوية بين الجنود فهى أقوى الاسلحة الى جانب الادوات الحربية . فما هى هذه القوة ، وما هى الصفات التى تجمعها ، وما هى العناصر التى تتألف منها نفسية الجندى . ذلك ما يشرحه فى هذا المقال الطريف النقيب عبد الرحمن زكي امين المتحف الحربى بالقاهرة

وثب رجال البادية من قفار صحاريهم ، واقتحموا دولتين من أعظم دول التاريخ قوة ومدنية ، فلم يمر وقت طويل حتى سحقوا الدولة الفارسية ذات الحضارة والجيوش الجرارة . ثم اجتاحوا معظم دويلات الامبراطورية الرومانية ذات الغنى والمنعة والعظمة ، وأقاموا فى مدى نصف قرن فقط على أنقاض ما هدموا من صروح الدولتين الفارسية والرومانية ، دولة شامخة الاركان تناهض أعظم دول التاريخ قوة وحضارة

فما سر نجاح هذه الوثبة ؟

ترجع هذه الوثبة الى عوامل ثلاثة :

أولها – تأثير الاسلام فى نفوس القبائل البدوية

ثانيها – حالة الأمم المحيطة بميدان التوغل الاسلامى

ثالثها – نفسية الجندى العربى

لذلك قامت على أكتاف هؤلاء القوم – الذين أحبوا الموت كما أحب خصومهم الحياة – نواة الدولة الاسلامية العظيمة التى امتدت من الصين الى المحيط الاطلانطى . وتدفعنا هذه الظاهرة النادرة فى تاريخ الفتوح الحربية الى السؤال عن العناصر التى ساعدت فى تحقيق أهداف القادة الذين ولوا قيادة الجحافل المغيرة . سواء أكانت فى صدر الاسلام أم فى عصور أخرى . وتجعلنا نسأل السؤال نفسه عن أسرار النجاح التى كانت عاملا للظفر والنصر فى آلاف الوقائع الحربية التى اشترك فيها البشر منذ أيام الامبراطورية المصرية الاولى الى موقعة السامبر (١) أو موقعة سقاريا

نعلم ان الجيوش التى تقاتل منذ فجر التاريخ حتى اليوم ، هى مجموعة أفراد تعبئهم

---

(١) دارت موقعة السامبر (Sambre) بين أول و١١ نوفمبر وهى ختام وقائع الحرب الاوربية الكبرى . وكانت الضربة التى قضى الحلفاء فيها على القوات الالمانية . فارتدت هذه تاركة خطوط قتالها فى موباج ومونس

الدولة لتحقيق أغراض التوسع أو للدفاع عن كيانها

هؤلاء الافراد ، يجب أن تتوافر فيهم صفات خاصة يتصفون بها • وباكتسابهم اياها يكونون جنودا مقاتلين • ومنذ قامت فكرة تأليف الجيوش المنظمة الى أن قام مبدأ اعداد الأمة المسلحة (Nation-in-Arms) الذى عرف فى أواخر القرن الماضى كانت مهمة القتال ملقاة على عاتق الجيوش فقط

فالفرد الذى يلتحق بصفوف الجيش ، ويعلم ان مهمته الممتازة ستكون القتال يجب أن يشعر بضرورة وجوده كعنصر رئيسى عامل • ويجب أيضا أن يعتقد فى نفسه أن القوة هى التى تحكم العالم • فضلا عن تحليه بالخصال الخلقية والادبية الممثلة فى التضامن والصبر والشعور بمستواه الوطنى

ان الصفات التى تطبع فى نفس الجندى لتجعل منه مقاتلا ممتازا كثيرة ، وهى تعتبر فى الواقع ينبوعا للوطنية والدين • ونذكر بعضها على سبيل المثال :

الحماسة والشجاعة والحمية وتحمل المشاق والبأس والثبات والادراك والتجربة والمعرفة وقمع النفس والعزم والميل للقتال والنشاط والحرص والاقدام على العمل والامتثال والاخلاص والفطنة واللباقة والذوق •• الخ

ويمكن جمع تلك الخصال الحميدة فى سطرين يطالعهما الجندى فى كتب التعليم التى يقرأها وهى : « على جميع رجال القوات البرية والبحرية والجوية أن يكونوا قدوة حية للفضيلة والنظام والوطنية والشرف »

فهذه الصفات الحية اذا اجتمعت فى نفوس الجند جعلت قواه المعنوية منيعة

ان المجال لا يتسع فى هذا البحث القصير لمناقشة كل فضيلة من الفضائل التى ذكرناها وبيان شأنها فى تكوين نفس الجندى • ولا يغيب عن البال ان معظم تلك الصفات يجب ان تكون قد غرست فى نفس الجندى منذ نعومة أظفاره • فمن الصعب أن نبدأ فى تكوين نفس الجندى عقب العام العشرين من عمره بعد استدعائه لخدمة الجيش

فهل للحياة العسكرية أسلوبها الخاص الذى يساعد فى تكوين نفس الجندى • ذلك التكوين الذى ننشده ؟

وللاجابة عن هذا السؤال نجد أنفسنا أمام أسلوب أسبرطه القديمة •• ذلك الاسلوب الخاص فى حياة الفرد الذى عرفه المصريون القدماء والمماليك

النظام

يعتمد الاسلوب الاسبرطى فى تربية الافراد على النظام وحياة الخشونة ، فيشبون جنودا أشداء يتحملون المشاق بينما تكون صدورهم ممتلئة بنزعة الجندية منذ الصغر • فيدربون جماعات على السير الطويل والمعيشة الخلوية والعدو والاختفاء وامتطاء الخيل ، ويرتدون الملابس العسكرية ، ويسيرون على نغم الموسيقا ، ويطالعون الأدب القوى الذى

يصقل نفوسهم • فهذا الاسلوب القويم من التربية يجعل الطفل منذ الخامسة من عمره جنديا أولا ، ومواطنا ثانيا • فيشب الولد معتقدا انه جندى فى فصيلة جنود ، وليس فردا له شخصية فى مجتمع الدولة

ومجمل القول ان الاسبرطى قد نشأ من أخمص قدميه الى قمة رأسه جنديا جسما وعقلا • وعلى هذا الاساس ارتقت معنوية الاسبرطى • وهم وان ألفوا شعبا صغير العدد الا ان الشعوب المجاورة قد هابته • وقد أسس خطته العسكرية على الدفاع ، ولم يؤسسها على الهجوم والاعتداء

لم يكن رجال اسبرطة مبالين للتوسع الاقليمى أو الاقتصادى ، ولم يعنوا بالبحث عن المواد الخام لانهم لم يطلبوا الكماليات التى تحتاج اليها عيشة الرفاهية • وكانت اسبرطه تعقد محالفات الصداقة ، وتبرم مواثيق عدم الاعتداء بين جيرانها المحيطين بها • ولم تكن تبغى من وراء تربية أبنائها عسكريا أن تلتهم جيرانها الذين حولها • كما فعلت أثينا الديمقراطية فيما بعد

وعجيب أن نرى فى ذلك شيئا من التناقض • أثينا الديمقراطية تؤسس سياستها على الاعتداء ، بينما تقوم سياسة اسبرطه العسكرية على صداقة الجميع

وهكذا فهمت اسبرطه معنى الوطنية على حقيقته • فحب الوطن لا يقوم باعتداء أمة على جارتها أو بتقحم قوم على قوم آمنين • بل تكون بترقية الوطن وزيادة رفاهية أهله وتوفير أسباب اليسر ، وبنشر العلم ورفع مستوى الاخلاق ••

كانت الروح الاسبرطية توجه الامة الى غرض رئيسى واحد ، هو تعويدها على النظام والطاعة ، لانهما أمر واحد • فالنظام عامل حيوى فى تربية الامة عسكريا • والنظام أو الطاعة عامل حيوى فى تنظيم دولاب حكومة ساهرة على مطالب الشعب • فاذا تعود الجندى النظام سهلت قيادته ، ومن ثم توجيهه بنجاح حيث شاءت القيادة

لذلك لزم اولا ادخال النظام فى نفس الجندى وتعويده اياه

من النظام الى الوطنية

ان تنظيم الجيش يجعل له شكلا واحدا • ويكسبه النظام قوة • بينما يستفاد من وراء تمرينه ثقة بالنفس • فلا تلحق به الا الخسائر القليلة ويحمل العدو اكثرها • فلا التنظيم أو النظام أو التمرين بمؤثرات تمس قلب الجندى • لكن ليس هناك جيش يقوم بغيرها

ليس الجيش مجموعة نداءات صاخبة يصدرها القواد مترجلين أو ممتطين ظهور جيادهم فيأمر الامر ويطيع الصف • بل هناك قوى تمس الجندى وتجعله ذا طبيعة محاربة فما هى تلك القوى ؟

انها القوى المعنوية التى قال عنها نابليون ان اهميتها الى التمرين كنسبة ٣ الى ١ ، ولكننا نقول ولماذا لا تكون كنسبة ٤ ــ ١ مثلا

هى الصفات التى يصعب علينا تعريفها . فانها تميز الجيش المدرب والمنقاد الى أسس النظام من العصاة المسلحين ، وتتجلى بها الطاعة القائمة على الحب وتنمى الشجاعة وتبدى كل المزايا التى تجعل الجندى مطيعا باسلا صبورا

هى مزيج من الفضائل تشمل البطولة والتضحية والشعور بالشرف وحب المجد .. الخ ان الوطنية مجموعة من الذكريات والامانى والافكار العالية التى يتعلق بها ويفخر سكان منطقة أو ناحية أو أقليم . والوطنية ثمرة تتغلغل جذورها وتمتد فى نفوس الشعب

وتتألف أهم عناصر القوى المعنوية من الحماسة للغرض الوطنى ، والثقة بنبالة هذا الغرض ، وشدة الايمان بالتضحية الوطنية

والوطنية شعور غير مادى لا يتصل بالمال مطلقا ، فلا تعرف الربح والانتفاع بالكسب ، ولا تقف لحظة تفكر . فهى تعمل وقت الشدة والخطر لتعيش فى جوها آمنة مطمئنة

هى شعور عام بكراهية العدو . تلك الكراهية التى تلهب رغبة الجندى فى ملاقاته وتدفعه الى الذهاب لميدان القتال للذود عن حياض وطنه حتى الموت . وفيها يرى الجندى واجبا مقدسا ـ ووالد الجندى فخرا وطنيا ـ وزوجة الجندى تضحية شريفة يتطلبها مجد الوطن

هذه الروح الوطنية التى تستولى على نفس الجندى ليست وليدة التمرينات والدروس العسكرية ، بل وليدة التربية منذ نعومة الاظفار وتبدأ فى احضان الام فى اثناء الرضاعة

فمتى خرج الطفل من حجر أمه وفى اعماق نفسه حب الوطن ، تلقنه رياض الاطفال الدروس الاولى التى تعده عند الحاجة للدفاع عن بلاده . فتعلمه حب النظام والتضامن ، وتربى جسمه تربية رياضية أثناء اندماجه فى الفرق الرياضية وفيها ينشأ على فهم القوة

ولا شك فى انه يقع على عاتق ادارة التربية العسكرية فى الجيش جعل الجندى يؤمن بمكانة وطنه ، وبالرسالة التى يؤديها الجندى ومرمى رسالته

وأول سؤال يعترضنا : هو هل من المستطاع غرس مبادىء هذه الرسالة فى نفس الجندى المجرد « الخام » والمفهوم ان المدرسة هى المكان الذى تقوم فيه التربية الوطنية

ولكن المدرسة ترد بان شيئا من هذا ليس له وجود فى برامجها التى تقررها الدولة ممثلة فى وزارة التربية ، وتعقب على كلامها بان غرس هذه المبادىء من واجب الام

وهذا صحيح الى أوسع مدى . فالام اليابانية مثلا هى التى صقلت والهبت نفوس اليابانيين . وهى التى غرست الوطنية فى صدور ابنائها . وهى التى جعلت جنودها يقتحمون قلاع بورت آرثر . وينتصرون على الروس ويهزمون الصينيين

فالام هى التى تحى النفس وتجعل من بنى الوطن جنودا خالدين . فيشب الطفل ـ ذلك الجندى الصغير ـ وقد علقت بنفسه صورة واضحة عن وطنه ومكانته بين الدول المحيطة به والتى ترمى الى التسلط عليه . فيعلم أيها صديقة لبلاده ؟ ومن هى عدوتها ؟ ويلم باسباب تلك العداوة واحتمالاتها

ان اكثر برامج التعليم ووسائل التربية تبعد دائما عن مناقشة امثال تلك الموضوعات . فيشب الجندى وهو لا يعلم ان لبلاده اعداء يضمرون لها السوء على الدوام . معتقدا ان بلاده صديقة الجميع . فتبرد حماسته الوطنية وتستسلم نفسه للسلام . ولذلك يجب ان لا تعد المدارس ابناء الوطن اعدادا سلميا ناعما . بل يجب اعدادهم للحرب اذا وقعت وللسلم ايضا اذا دامت أيامه . فاذا التحق الشاب بالجيش فيما بعد فهم بسهولة معانى الذكرى والشرف والاخلاص والمجد .. واصبح من ذلك الطراز الذى يعرف كيف يعاون وكيف يحكم وكيف يقود وكيف يأمر وينفذ

الشرف العسكرى

واذا أحب الجندى عمله محبة حقيقية بذل كل جهده للقيام بواجباته حق القيام ، وكان بطبيعة الحال صادقا فى اقواله واعماله كتوما للاسرار المتعلقة بمهنته

فالقيام بالواجب فى الجندية معناه صيانة الشرف العسكرى . ولذلك وجب على الجندى ألا ينسى ان شرفه يقضى عليه بمراعاة الامور التالية (١) :

ا ـ المبادرة الى القيام بواجباته عندما يؤمر بذلك بكل اخلاص وجد ونشاط

ب ـ التفكر فى واجباته دون سواها فى اثناء القيام بها

ج ـ بذل ما فى وسعه للتعلم واتقان مهنته

ان مسلك الجندية الشريف يمرن الجندى على القيام بواجباته ويحمله على اطاعة القوانين والنظامات المقررة وأوامر الآمرين . وكذلك يدربه على الترتيب والانتظام فى اعماله وعلى الاعتماد على نفسه ومراعاة حقوق رفقائه . ويغرس فى نفسه الشجاعة والاقدام .. ويجعله صادقا صريحا فى اعماله واقواله

اتحاد النفسيات

ان الروح الصادقة للجنود الذين يؤلفون قوات الدفاع ، يجب ان تكون واحدة ، كأنها افرغت فى قالب واحد وذات مقياس واحد وملهمة بالهام واحد . وبذلك تتحد روح الجيش الوطنية

ولتقم الدولة بتعريف مدى الوطن من كل نواحيه لابنائها . ليعتزوا به ويحموه من العدوان فلا يكون الجيش جثة هامدة . بل يكون قوة حيـة تؤمن بالمثل العليا متوجة بحب الله

عبد الرحمن زكى

---

(١) المجلة العسكرية العراقية ـ العدد الرابع ـ السنة الاولى بتاريخ ٢ ربيع الاول سنة ١٣٤٣

المتحف الحربى بالقاهرة

عنيت الدول بانشاء المتاحف الحربية لانها سجل تاريخي لمجدها الحربي ، ومرآة واضحة لتطور الفن العسكرى مع تطور الزمن والاجيال

ولقد أسدى المغفور له الملك فؤاد الاول الى أمته صنيعا عظيما ، فقد أنشأ متحفا حربيا فى قصر عابدين ، يعد مفخرة لمصر وللمصريين ، ومدرسة لتاريخ الفن العسكرى بمصر

وقد رأت وزارة الحربية انشاء متحف حربي يضم الى جوانبه الآثار العسكرية القديمة والحديثة . فأسسته في دارها ثم نقلته فى أوائل هذا العام الى دار جديدة بشارع الشيخ بركات بالقاهرة

وهو يتألف من الاقسام التالية :

قسم الملابس العسكرية : وبه نماذج شمعية وجبسية مجهزة بملابس تبين تطور الازياء التى لبسها الجنود المصريون في عصور الفراعنة والعرب والمماليك والعثمانيين ، وفي عصر محمد علي باشا الكبير ، وفى العصر الحاضر

قسم المعارك المصرية : وبه لوحات فنيه كبيرة ، ونماذج مجسمة ، للمعارك المصرية الشهيرة التى خاضها الجيش المصرى الباسل فى عهوده المختلفة

قسم النماذج العسكرية : وبه النماذج المكبرة لاهم أعمال الميدان الهندسية قديما وحديثا ، كحصار القلاع والخنادق والاسلاك الشائكة ومعسكرات الخيام



جواد عباس الاول

تمثل هذه الصورة جواد والى مصر عباس باشا الاول ، يمتطيه أحد العبيد لترويضه



ابراهيم باشا فى طليعة الجيش

تمثل هذه اللوحة ابراهيم باشا البطل المصرى سائراً فى مقدمة جيشه
فى بلاد العرب ، أثناء حرب الوهابيين



صلاح الدين الايوبى

كما يبدو فى صورة خيالية بالمتحف الحربى بالقاهرة

قسم مشاهير القادة : وبه صور وتماثيل نصفية لمشاهير قادة الشرق والغرب مرفقة بها نبذ لتاريخ حياتهم

قسم الجيش المصرى : وبه مجموعات وصور الضباط والجنود فى الجيش المصرى ، وأهم الضباط العظام الذين ولوا وزارة الحربية وقيادة الفرق واللواءات

قسم الصناعات العسكرية : وبه طرق صناعة الرصاص والقنابل والمدافع ، والغازات السامة وبه أهم المواد الاولية التى تستخدم فى الحرب

قسم الاسطول المصرى : وبه نماذج لاهم المعارك البحرية القديمة ، ونماذج لاشهر السفن المصرية التى تألف منها الاسطول المصرى فى البحرين الابيض المتوسط والاحمر

قسم الخرائط : وبه خرائط بمقياس كبير لجميع أجزاء القطر المصرى والسودان والنيل والواحات مبين عليها أهم النقط العسكرية والمعارك المصرية والمواصلات البرية والنيلية والسكك الحديدية

قسم الاحصائيات : وبه خرائط مبين عليها بالرسوم البيانة احصائيات الجيش المصرى بأسلحته المختلفة أثناء المائة سنة الاخيرة ، وعدد المقترعين ، وعدد المجندين ، وطلبة المدرسة الحربية والمرضى

قسم الجيوش الاجنبية وتعرض فيه ملابس الجيوش الاجنبية واسلحتها ومعاركها

قسم المبانى العسكرية والقلاع . وبه نماذج لجميع مبانى الجيش بمقياس مضبوط وكذلك للقلعة ولاسوار القاهرة القديمة وأبراجها وطوابى البحرين الابيض والاحمر

قسم المطبوعات العسكرية : وتعرض به مجموعة من مطبوعات الجيش المصرى منذ أيام محمد على الكبير الى اليوم . وترى على هذه الصفحات طائفة من محتويات هذا المتحف



ابراهيم أدهم باشا

من خيرة رجال محمد على باشا الكبير ، وأحد مؤسسى الجيش النظامى . وقد تولى ادارة المهمات الحربية ، وأسس مصنع الاسلحة وصب المدافع بالقلعة . وقد تولى ادارة ديوان المعارف «وزارة المعارف» عشر سنوات ونيفا

ضريح القائد سليمان باشا الفرنساوى بمصر القديمة عن صورة بالمتحف الحربى بالقاهرة



زى ضابط فى عهد سعيد

تمثال ضابط عظيم برتبة فريق فى عهد سعيد باشا ، بملابس ذلك العهد وهذه الصورة من هدايا الامير عمر طوسون إلى المتحف الحربى بالقاهرة

طبلة الحرب

تمثل هذه الصورة جنديا سودانيا يدق بعزم وقوة على الطبلة دقات الحرب كما كانت العادة فى جيش الدراويش بالسودان ، والى جانبه وقف أحد الجنود الدراويش ماسكا الحربة فى يده اليمنى والدرع فى يده الأخرى



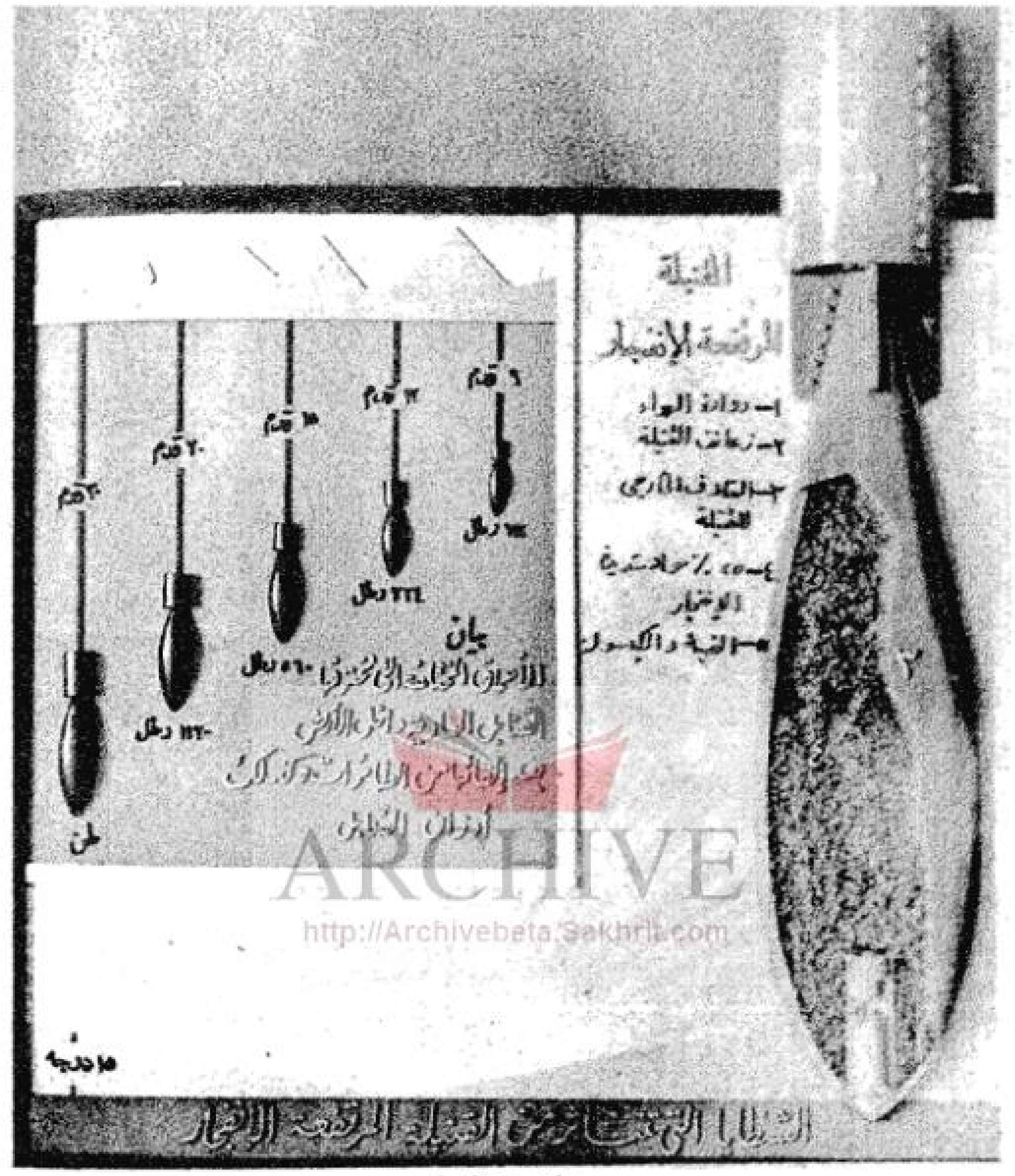
زى جندى عصرى

تمثال جندى مصرى بالملابس العسكرية الحديثة ، بالمتحف الحربى بالقاهرة



مجموعة من المدافع الحديثة

لوحة فنية محفوظة بالمتحف الحربي بالقاهرة ، تبين أهم المدافع الحديثة ، ومدى مرى كل منها وزنة مقذوفاته . فترى في أعلى صورة مدفع ساحلي قطره ٩ر٢ بوصة ويقذف قنبلة زنتها ٣٢٠ رطلا لمسافة ٢٠ر٠٠٠ ياردة ، وتليه صورة المدفع « الهاوتزر » قطره ٨ بوصات ويقذف قنبلة زنتها ٢٥٠ رطلا لمسافه ١٨ر٠٠٠ ياردة ، فآخر قطره ٦ بوصات ويقذف قنبلة زنتهـا ١٠٠ رطل فقط لمسافة ١٥ر٠٠٠ ياردة ، ورابع قطره ٥ بوصات ويقذف قنبلة زنتها ٦٠ رطلا لنفس المسافة ، وخامس قطره ٣ر٣ بوصات وزنة قنبلته ١٨ رطلا وبصل الى مدى ٨٠٠٠ ياردة ، وأخيراً مدفع مضاد للدبابات وزنة قنبلته رطلان وتصل الى مدى ٣٠٠٠ ياردة



قنابل الطائرات

لوحة فنية محفوظة بالمتحف الحربي بالقاهرة ، تبين زنة قنابل الطائرات ، وقوة اختراق كل منها ، وكيفية تكوين القنبلة المتفجرة وعملها . فمثلا تستطيع قنبلة زنتها ١١٢ رطلا أن تخترق الأرض الى مسافة ٩ أقدام في حين تستطيع قنبلة زنتها طن كامل أن تخترق الارض الى مسافة ٣٠ قدماً ، وهكذا . والى يمين الصورة ترى رسماً تفصيلياً لقنبلة مرتفعة الانفجار ، مبينا عليها محتوياتها المختلفة . وفي طرفها الأسفل « الضبة » و « الكبسولة » . و « الضبة » عبارة عن مسمار ينتهي به غلاف القنبلة وله طرف مدبب متجه نحو « الكبسولة » ، فما تكاد القنبلة تسقط على الهدف حتى يصطدم المسمار بالكبسولة ، فتنطلق وتسبب انفجار القنبلة . وفي طرف القنبلة الأعلى « دوارة » الهواء و « الزعانف » وهي تعمل عمل « الدفة » في حفظ اتجاه القنبلة فلا تميل و تنحرف في هبوطها ، وتظل ضبتها متجهة الى أسفل ضماناً لانفجارها

نتائج الحرب الحاضرة

من النواحي الادبية ، والقومية ، والاجتماعية

لحضرات الاساتذة : الدكتور منصور فهمى بك
والاستاذ عبد الرحمن الرافعى بك . والدكتور احمد ضيف

من وراء الحرب القائمة التى ساقها هتلر ورزأ بها الحضارة الحاضرة ، ينظر الناس الى المستقبل ، ويتساءلون : ماذا عسى ان تكون نتائج هذه الحرب ، وماذا تكون حال العالم فيما بعد من النواحى الادبية ، والقومية ، والاجتماعية ؟ . ذلك ما اردنا ان نقدمه للقراء باقلام ثلاثة من خيرة العلماء والادباء فى الشرق . وقد تناول كل من حضراتهم الاجابة عن ناحية من نواحى هذا السؤال ؟

النتائج الادبية

للدكتور منصور بك فهمى

إن الثورات الكبرى الدامية والحروب التى تمتد فى بقاع واسعة أو فى زمن ممدود ، لا تمر أهوالها ولا تنقضى فظائعها دون أن تحدث فى الارض ، وفى النظم ، وفى مظاهر النفوس ، آثاراً طالحة وأخرى صالحة

فالثورة الفرنسية والحرب السابقة كلتاهما صيرت العامر خرابا ، وكلتاهما أحالت الأمن فزعا ، وكلتاهما أدخلت فى الحياة الاجتماعية وفى نفوس الناس ممن شهدوا أهوالها واصطلوا بنارها ، ألوان الأسى وأساليب الحزن ، ونزعات الاستهتار والأنانية ، والاستسلام للتفكك الخلق والضعف النفسى . على انه برغم ذلك كله كان من الآثار الجيدة للثورة الفرنسية انها مكنت للانسان من احترام الانسانية ومدت له فى معاني الحرية المحمودة ومطامح المساواة والاخاء

وكذلك نذكر أشباه هذه النتائج بعد الحرب السابقة ، فبرغم ما أحدثت من مظاهر التدمير وتعطيل بعض ما كان يرتجى من ثمرات التقدم العلمى ، تمخضت عن الايمان المشترك بالحاجة الى تأييد السلام ، وبالحرص على إنصاف الشعوب والطبقات العاملة بتقريبها الى نعم الحياة وتحسين حالها

ورفع مستواها . وكان من نتائجها أيضاً نماء بعض المذاهب الفلسفية في تعزيز معاني السلطان والنظام، ووضع حدود لمفاسد الحياة الاجتماعية وما يعتورها من تفسخ وانحلال

حقا ان تلك النزعات الخيرة من حب السلام وتوطيد السلطان والنظام ودعم التراحم لتقريب حظوظ الطبقات لم تكن كلها غريبة عن أحلام البشر وآمالهم على تعاقب الزمن وتتابع التاريخ ، اذ تناولها بالبحث غير واحد من كبار الفلاسفة والمفكرين والمصلحين . بيد ان الحرب الاخيرة تطاولت الى محاولات عملية لتحقيق هذه النزعات برغم المصاعب التى عاقت هذه المحاولات عن الانتهاء الى غاياتها من الفوز والنجاح . فالأفكار التى اعتمدت فى نشأة عصبة الأمم ، ومذاهب الحرية ، والشورية ، والاشتراكية على أنواعها ، ومذاهب الفردية ، ومذاهب السلطة والنظام على ألوانها وصنوفها ، مما تفشى فى مختلف البلاد الغربية وكان لكل أنصاره على اختلافهم قوة وضعفاً وكثرة وقلة ، كل ذلك من المذاهب وكل أولئك من الانصار يتطلع ويتطلعون الى اسعاد البشرية وتعميم الصفاء فيها

ولعل المغالبة بين تلك المذاهب ، ليسود بعضها على البعض ، كان منه بعض البواعث التى ترتبت عليها اسباب الحرب الحالية . ومهما يكن لهذه الحرب من نتيجة فستنتعش بعد الصلح نزعات البحث فى المذاهب والقواعد التى تطيل مدى السلام بين الناس وتؤمنهم من فظائع الحروب

ويلوح لى انه سيتبين لمن شهدوا هذه الحرب وأحسوا نواحى مكارهها ، من عسر واملاق وتخريب وتيتيم وتشتيت ، ان مدنية الغرب وما تحتضنه من مذاهب وآراء ليست محققة لما تطمع اليه الانسانية من الصفو والسعادة وانه من حق البشر على انفسهم أن يرتابوا فى قيمة ما يغذى الحضارة الراهنة من آراء ومذاهب وفلسفات

وقد يترتب على هذا الارتياب عندئذ نوع من التوجه للبحث عن نظام آخر والمطالبة بمدنية أخرى تحقق للناس بعض ما تصبو نفوسهم اليه من مبادىء التراحم والاخاء والسلام

واذا كان لكاتب أن يتلمح فى مجاهل الغيب أسس المذاهب التى ستقوم عليها انسانية المستقبل بعد هذه الحروب فانه يلوح لى ان النزوع الروحى سيكون دعامة هذه المذاهب ، فالايمان بمبادىء الخير وبمبادىء العدل التى تلتقى عندها الديانات وتؤيدها الفلسفات العليا ستكون لها الغلبة والنفوذ على قلوب الناس . فضمائر المفكرين وأقلام الكتاب وآثار المتفننين ستنشد جميعاً أناشيدها المختلفة فى لحن واحد ، مداه الايمان بالله وبالخير وبالجمال فى كل ما يقوم به الافراد والامم من عمل أو يصبون اليه من أمل . تلك هى مدنية الدين والخلق ، وتلك هى المدنية التي تتحصن بالفضائل وتسود فيها العواطف النبيلة التى تحد من طغيان العلم والمنطق

منصور فهمى

النتائج القومية

للاستاذ عبد الرحمن بك الرافعى

كل حرب كبيرة تنتهى غالباً بتغيير خارطة العالم . وهذا التغيير يكون مرحلة من مراحل التاريخ العام . والذى نرجوه أن يكون التغيير الذى تنتهى به الحرب الحاضرة متفقاً مع حق الامم فى تقرير مصيرها . وبذلك يكون تغييراً لصالح الشعوب والانسانية . أما اذا كان أساسه القهر والعدوان كما حدث لبولونيا فى بداية الحرب حيث اتفقت المانيا وروسيا على اقتسامها ومحوها من عداد الدول المستقلة فهذا رجوع بالانسانية الى الوراء . وهيهات أن يرضى الضمير الانسانى بذلك . واعتقادى أن توجيه الحرب من جانب الحلفاء الى بعث الدولة البولونية ومنع الاعتداء على استقلال الشعوب يسبغ على الحرب معنى سامياً يساعد كثيراً على تقدم الانسانية . وسيكون لهذه الحرب أثر كبير فى تطور العالم اذ أنها دعاية كبرى الى تقديس حرية الأمم واستقلالها . فدفاع بولونيا عن حريتها وكيانها وحقها فى تقرير مصيرها هو صفحة مجيدة من البطولة والتضحية فى سبيل الاستقلال وستغرس الحرب هذه المثل العليا فى نفوس الشعوب والافراد

وقد جاءت الحرب نذيراً للأمم بأن القوة هى السياج المنيع لاستقلالها . فلا بد أن تتزود كل أمة تريد الحياة بكل ما تستطيع من قوة وعتاد بحيث تكون أمة حربية بكل معانى الكلمة . ولقد أدركت مصر بالذات هذه الحقيقة ، والأمل معقود بأن تستمر فى تقوية جيشها بحيث يكون جديراً بماضيها المجيد كفوءاً للدفاع عن كيانها فى كل حين

ومن يتتبع مراحل الحرب يجد أن للناحية الاقتصادية الأثر الاكبر فى مصيرها . فالنصر فيما أعتقد مكفول للجانب الذى يستطيع أن يعبىء أكثر ما يمكن من القوى الاقتصادية ، لأن هذه القوى بجانب القوى الحربية هى عصب الحرب وقوامه . وسيكون لهذه الحقيقة أثر كبير فى توجيه الشعوب جهودها الى الناحية الاقتصادية

وأعتقد أن الشرق سيناله خير كثير من هذه الحرب وسيكون من نتائجها زيادة عناصر الحياة والتقدم فى الأمم الشرقية عامة ، لأن الغرب منصرف عن الشرق بالتطاحن الدائر رحاه فى أوربا . وهذا التطاحن من شأنه أن يعطى الشرق فرصة لتنمية عوامل النهوض والتجدد في حياته القومية من جميع النواحي . وان وقوف الامم الشرقية الى جانب الحلفاء وهو الجانب الحق فى الحرب الحالية سيساعدها كثيراً على تجديد قواها وتحقيق أمانيها وبلوغها المكان اللائق بها بين مجموعة الدول المستقلة

عبد الرحمن الرافعى

النتائج الاجتماعية

للدكتور احمد ضيف

يتساءل الناس الآن عما تؤول اليه حال الشعوب بعد هذه الحرب أو فى إبانها فى الحالة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية . فالفقير يقول : كيف أعيش اذا ارتفعت الأسعار وقل الأجر وعز التداول بالدرهم والدينار ونضب معين الاعمال وساءت الحال فى الأسواق واشتد الضنك ؟ والغني يقول : كيف أحافظ على مالى اذا تغالت الحكومة فى فرض الضرائب وامتنع المستأجرون عن دفع الاموال ، وكثرت أسباب النفقات واجتمع لدى القريب والغريب يطلب المساعدة ، أو حلت بنا كارثة لا قدر الله فحصدت الأخضر واليابس ، أو لعبت بنا يد الأعداء أو الاصدقاء ؟

والمفكرون الذين يحملون تبعات الامم ويعنون بالاحوال الاجتماعية يقولون : ماذا عسى أن تكون أقوالنا من الوجهة الخلقية والنفسية ، وهل تساعد الحال على انتشار التهاون فى مراعاة تقاليدنا من العقائد والأخلاق والآداب العامة والخاصة ، ويطغى علينا ما يسمونه حرية الرأى والعمل

يجول هذا فى رؤوسنا ويملأ نفوسنا الخوف واليأس تارة ، وأحيانا يدفعنا الايمان بالله الى شيء من الاطمئنان ، ولا يمكن التكهن أو التنبؤ بما عسى أن تكون عليه أحوال الامم بعد شهر أو شهرين أو سنة أو سنتين

لقد شاهدنا على أثر انتهاء الحرب الماضية انقلاباً عظيما فى الاجتماع والتفكير والاحوال النفسية والاقتصادية ، حتى تغيرت الأرض بمن عليها فى السياسة والاجتماع والاقتصاد والعلوم والفنون ، وهبت النفوس الى اعتناق بعض الآراء والمذاهب الاجتماعية والسياسية ، فزادت الأطماع واستبيحت المحظورات ، واندفع كثير من الناس الى نوع من الانحطاط فى الاخلاق وازداد بعضهم تمسكا بالمجون كما استبيحت فى بعض البيئات الاعراض ، وارتكبت الدنايا ، وسرى ذلك الى نفوس كثير من الكتاب الفنيين وانقلبت الفنون فى الكتابة خاصة الى نوع من الاباحة والمجون

كان كل ذلك من آثار الحرب والاستهانة بكل شيء . لأن اليأس من الحياة أو عدم الاطمئنان الى البقاء فيها أو مشاهدة ضروب البؤس التى نزلت بالامم جعلت الانسان يستهين بكل شيء ولا يبالى بنقيصة ارتكبها أو بعقيدة فاسدة اعتنقها ، وضرب عرض الحائط بما لقى فى نفسه من حرمة وحياء وخوف من الله ومن الناس ، كان ذلك كله فى طبقة العامة وبعض الخاصة والنفس اذا اعتراها اليأس استباحت كل شيء وقد تنسى الفضيلة أو تنكرها ، كالجيش الهاجم الذى

يرى أن الموت ملاقيه فيقذف بنفسه فى أحضانه ولا يحسب حساباً لأى شيء لانه يائس فلا يريد أن يبقى على شيء سواه

أما المفكرون وقادة الرأى فيقعون فى حيرة من الشك والارتباك وتتغير نفوسهم وعقائدهم أحيانا فيحدثون انقلاباً عاماً فى الاجتماع ويكون من جراء ذلك حدوث ثورة اجتماعية أو سياسية فى الحياة

قد يكون بلا ريب شيء من هذا بعد انتهاء هذه الحرب ، وأكثر ما يكون ذلك ظهوراً فى أوربا التى قد تحملها الحوادث الى تغيير نظمها الاجتماعية والسياسية ، أو يدعوها الانتصار الى الطغيان والكبرياء والانسلاخ من كل شفقة أو رحمة انسانية وتنمو فيها الأثرة بالنفس فتفرض نظمها على غيرها فرضاً

والذى يخيل الىّ ان ثورة نفسية عامة قد تحدث بين صفوف الديمقراطيـــة وتمنع الميول الارستقراطية التي تدعو خفية الى الاثرة والاختصاص بالاموال وتسخير الطبقة الدنيا للمنافع الخاصة والاستئثار بالسيادة والجاه

فاذا طالت هذه الحرب أو انتهت بشر على هؤلاء أو خير على هؤلاء ، فلا بد من حدوث انقلاب عظيم فى كل مظاهر الحياة ولا سيما الحياة النفسية والاجتماعية ، ويكون هناك شان عظيم لكبار المفكرين فى الامم من علماء وفنيين واقتصاديين

وان غداً لناظره قريب

أحمد ضيف

فى الحرب

* ان القوى الادبية تنحط فى الحرب حتى تصير نسبتها الى البدنية كنسبة ٣ الى ٤ (نابليون بونابرت)

* لو شهدت يوماً من أيام الحروب لتوسلت الى الله ألا يريك يوماً ثانياً منها (ولنجتون)

الحرب

بقلم الاستاذ فخرى أبو السعود

لقد غبرت بعد القرون قرون — وفيكِ حياة للورى ومنون
وفيك لأقوام فخار ومنعة — وبؤس لقوم آخرين وهُون
وعندك من شتى فضائلهم ومن — رذائل أبناء الحياة فنون
فما البأس إلا من معانيك والعلى — ونشدانُ آى المجد حيث تكون
وصونُ الحمى يفديه بالنفس ربهُ — إذا ضنّ بالعيش الذليل ضنين
لأجلك قدماً مُجدَ البيضُ والقنا — وشُهب من الجُردِ العتاق وجُون
وغنّتَ بأيام الغزاة قصائد — جياد على مر الدهور عيون
وقامت لهم بين الحواضر إذ مَضوا — تماثيلُ تُحيى مجدهم وتصون
فهلاّ أقاموا للألى طحنتهمُ — تماثيلَ تحكى حالهم وتُبين ؟
لكل برىءٍ ما جناها ولا بغى — وكان وقوداً حين شبّ أتون
ومن أخذتْ من وجهه النارُ والظبى — ومن بانَ منه ساعد ويمين
ومن غاب راعيها ويُتّمَ طفلها — ومن ريعَ عنه صاحب وخدين
ورُبّ كلُوم فى النفوس تركتها — إذا التأمَ جرح فى الضلوع ثخين
ورُبّتَ أعياد من النصر تنطوى — مآتمُ فى أطوائها وشجون
فقوتلتِ من أم وكود جليدة — وان شابَ منها مَفرِق وقُرون
إذا حملت جاءت بأعجب صِبية — تبايَنَ منهم أوجُه وعيون
فمنهم كريم الخلق والخلق ماجد — وأشأمُ مذموم اللقاء لعين
لكفيكِ فينا حالتان فنقمة — وشؤم وطوراً نعمة ويمين
كذلك سنّتكِ الحياةُ لأهلها — فما زال منهم وطاعن طعين
إذا الحرصُ ناداهم اليكِ تكالبوا — فمنهم ربيح لم يزل وغبين
فان تجهديهم مالَ للسلم رأيهم — لتقضى أمور بينهم وشؤون
وقامت بمدح السلم والعدل فيهم — وذم التفانى صيحة ورنين

فخرى أبو السعود

قصة مسرحية



سيجفريد

تأليف الكاتب الفرنسي جان جيرودو

تلخيص الدكتور ابراهيم ناجي

ابطال الرواية

سيجفريد ــ جندي فرنسي ، أصله كاتب ومؤلف شهير ، أصيب في الحرب الكبرى ، ففقد ذاكرته ، فالتقطته ممرضة ألمانية وربته تربية ألمانية صميمة

ايفا ــ ممرضة ألمانية ، وهي لا تزال تعنى به ، وتحبه

جنفييف ــ فرنسية كانت تحب سيجفريد قبل أن يصاب في الحرب ــ أي وهو فرنسي

فون زلتن ــ ألماني ، يعلم بأن سيجفريد ليس ألماني الاصل ، ويحاول اختطافه ورده الى فرنسا وطنه الاصلي ، وكذلك يقوم بثورة ضد سيجفريد

روبينو ــ فرنسي ، صديق لجنفييف وصديق قديم لزلتن قبل ان تقوم الحرب وهو قادم في صحبة جنفييف

والدورف ، فونتجلوي ، لدنجر ، قواد ألمان

مك ــ خادم

مقدمة

مؤلف هذه الرواية هو الكاتب الفرنسي القدير جان جيرودو مدير « الاستعلامات » الفرنسية في الوقت الحاضر ، وهو الذي يرد اسمه في التلغرافات ، ولا بد أن كثيرا من القراء لاحظوا اسلوبه البارع حين يعلق على الحوادث الجارية . وقد نجحت رواياته نجاحا فائقا . ولم يكن للمسرح قبلا نصيب من اجتهاده اذ لم يكن أحد يتوقع ان يتلاءم خياله العالي والجو المسرحي . فنزعته شاعرية على انه وثب الى قمة الشهرة بمسرحيتيه « امفتريون » و « سيجفريد » التي نلخصها اليوم

فكرة الرواية غريبة كل الغرابة وهي : هبني أخذت مصريا فقد ذاكرته لحادثة ، وانقطع ما بينه وبين ماضيه ، ونقلته الى انجلترا ، هل يصير انجليزيا ؟ اعني هل تنمحي تلك الجذور المصرية القديمة ؟ هل ينمحي ما نسميه « بالقومية » اعني خلاصة الوراثات والجدود والآباء والبيئات ؟ وسؤال آخر هل اذا انمحت تلك المعالم تنمحي كلها ولا يبقى منها حتى الظلال ؟

قبل ان اوجز للقارىء الرواية ، أطلب اليه ان يطرق لحظة ليفكر في هذه المشكلة ، ليحلها على طريقته الخاصة ، فهي مشكلة بديعة يعالج بها جيرودو مسألة الجنس والقومية

الفصل الاول

(يرفع الستار عن مكتب فخم فى بلدة « جوتا » الالمانية)

« إيفا » تعمل كسكرتيرة لسيجفريد وهى هنا تملى الأوامر ، وتعين المواعيد ، ونفهم من حديثها مع الخادم « مك » ان رجل المانيا الأوحد يتردد عليه يومياً آباء وأمهات أضاعوا أولادهم فى الحرب ، وكل فريق منهم يعلل النفس أن يكون سيجفريد ولده الضائع . والواضح أن إيفا هى التى دبرت هذا الأمر لكى يثبت لسيجفريد ، وللشعب الالمانى ، ان سيجفريد المانى المولد ، وهنا موضع للسخرية عجيب

فان « جان جيرودو » يعرض علينا أخلاطا من الناس يبحثون عن ولد ضائع ، وكل له علامة فيه يتحسسها ويفتقدها ، ويعلل النفس أن يجدها

وهذا الضرب من الفن المسرحى باعث على أشد الضحك ، ويذكرنا تواً بالجو المسرحى الذى تفرد فيه شكسبير وحده

بعد ذلك يدخل « زلتن » . ونفهم من حديثه مع إيفا ، انه غير راض عن سيد المانيا الجديد ، إذ أنه يؤمن بروح المانيا القديمة ، ويقول لايفا « ان المانيا « ليست نظما » ولا هى فى حاجة الى خلق نظم جديدة ، وانما المانيا هى فى بعث الروح التى لا تزال ترفرف على القرى الالمانية النائية التى لم تغزها النظم ، وفى الجو الشعرى ، حيث تلمحين فى الجو طفلا سماويا جميلا يرفع يديه كأنه فى صلاة » !!

وبينما يهم أن يخبرها بما يعرفه عن سر سيجفريد إذا بالخادم يدخل ، ونعلم مما بينه وبين الخادم انه دبر دخول زائرين يهمه أمرهما وان الخادم يعلم ذلك وسيقوم بتنفيذ ما دبره زلتن

بعد أن ينصرفا ، تدخل جنفييف ومعها روبينو ، ونعلم من الحوار الذى بينهما ان زلتن هو الذى طلب الى روبينو صديقه القديم أن يأتى بجنفييف لهذا المكان مهما كلفه ذلك من الثمن . تخبره انها خائفة ، ولا تعلم لماذا جاءت ، وأنها من يوم أن فقدت حبيبها « جاك فورستير » قد انقطع ما بينها وبين الأحياء . هنا يسمعان وقع أقدام ، فيضطرب روبينو ، لأنه يعلم ان القادم زلتن ، وتنصرف هى لتترك لهما المجال للخلوة

عندما يلتقيان يتصافحان كصديقين حلت بينهما عداوة لا ذنب لهما فيها ، يبتعدان أولا . ثم يقتربان ويتصافحان ، ويسأل الواحد منهما الآخر : « ماذا تصنع الآن ؟ » فيجيبان معاً : « أحارب ضدك » !

ثم يبين زلتن لصاحبه الامر الذى حدا به لاستدعاء صديقه ، مع جنفييف ، وهو أنه يدبر ثورة ضد سيجفريد ، وانه يشك فى أن سيجفريد وجاك فورستير هما شخص واحد ، ويستدل على

ذلك بأن من يقرأ ما يكتب سيجفريد الآن يجده بعينه ما كان يكتبه جاك فورستير قديما ، وهو انما جاء بجنفييف ليتحقق مما شك فيه ، ولكي تساعده على اختطافه ورده الى صوابه ثم الى بلده ، وانه يرجو من روبينو أن يقدم جنفييف الى سيجفريد بصفتها معلمة للفرنسية كندية الأصل

يستدعيان جنفييف ، ويخبرها زلتن أن حبيبها فورستير لم يمت ، وانه وجده ، إذ أن المستشار سيجفريد وجاك هما فى الواقع شخص واحد ، وانها ستراه بعينها الآن !

يسمعون وقع أقدام سيجفريد ، فتقول صائحة :

ـــ ها هى خطاه حقا ، ولكنها ثقيلة متئدة كأنما يحمل عبأ يثقله ، وما تكاد تراه حتى تصيح : « جاك » !

فيصيح روبينو : « صمتاً لئلا تقتليه »

أما سيجفريد فلا يعرف جنفييف ، ويقول انه كان يتوقع معلمة عجوزاً . ثم يقبل أن تدرسه الفرنسية ، ثم يعرض عليها أن تحدثه بالفرنسية على مهل لعله يفهم ، فتحاول أن تذكره بجملة تحمل ذكرى لهما معاً ، فيقول رويداً « انى أفهم المعنى لا الالفاظ »

ويعدها أن يجلسا الى الدرس غداً ، وبينما ينصرف تصيح جنفييف : جاك . . !

وتظهر إيفا فتصيح : سيجفريد !

ويسدل الستار

الفصل الثانى

(يرفع الستار عن غرفة سيجفريد ، أثاثها متناه فى الفخامة والروعة)

إيفا تفتح الباب لاستقبال جنفييف وروبينو ثم تنصرف لتخبر المستشار ان المدرسة حضرت من أجل الدرس

تعبر جنفييف عن قلقها حين ترى المكتب الفخم والأثاث الرائع . وتقول لصاحبها انها كانت تتوقع أن ترى مكتب فورستير الفقير المتواضع ، ثم تلتفت فترى صورة معلقة فى إطار بديع ، فتلاحظ وقلبها يخفق ان الصورة من ريشة رسام شهير ، ولكن صاحبة الصورة تشبهها شبهاً يكاد يكون تاما ، غير أنها تلاحظ أن الاطار الذى وضعت به الصورة ثمين غال ، بينما « تلك » كانت توضع ضمن إطار بسيط ! يقول لها روبينو :

« الآن يمكننى ان أطمئن ، فى هذه الصورة ما يمحو شعورك بالغربة ، فيمكننى ان أتركك »

وبعد أن ينصرف يدخل سيجفريد فيجرى بينهما حوار عادى يسألها فيه عن أحوالها ، ويجرى الحديث عن وطنها المزعوم كندا ، فما يزال بها يحاورها حتى تأخذ فى الاجابة إجابة الجاهل ، وأخيراً تعترف انها ليست كندية الاصل بل فرنسية ، وفى الحال تأخذ روحاهما فى

التجاوب ، وتكون الرقة والمناجاة التى لا توجد بين غريبين ، فهو يخبرها انه فريد غريب لا يدري له أهلا ، ويخبرها ان هناك أمكنة « محجوزة » فى قلبه تنتظر التفتح ، أمكنة غير أمكنة المجد والتفوق ، ثم يقترب منها قائلا :

« من أنت أيتها المجهولة التى أراها كما أرى نفسى في المرآة ، آه انك غير سعيدة ، ان عليك ظلا من الكآبة . انى أتخيلك صغيرة قصبية فشابة غير أنى أراها تبكى على قبر حبيب ! »

فلا تلبث أن تخبره بأنها فقدت حبيبها فى الحرب ، فيسألها عن رأى هذا الفرنسى فى ألمانيا ! فتجيبه :

« انه كان يرى الألمان أمة مجتهدة شاعرة موسيقية حتى ان المرأة التي لا تجيد الغناء فى ألمانيا تصل الى القلب وتبلغ منه ما لا تبلغ المجيدة التي لا تخطىء ، فى البلاد الاخرى ، والألمان كذلك قوم شديدو العنف مغرمون بالدماء » . . وكان يقول : ان ما ينقص ألمانيا فى الوقت الحاضر ، هو الرجوع الى البساطة ! عليها أن ترجع الى طبيعة أرضها وماضيها بدل أن تنحت تمثالا عملاقاً غير انسانى ! وكان جاك يتهم ألمانيا بأنها تتهم العالم !

فيجيبها :

« ربما كان ما يصنع الألمانى ، صادراً عن عاطفة بركانية محتبسة ، فهى تنفجر لتعانق العالم بأجمعه . . . ألم يخبرك جاك بذلك ؟ ؟ صفيه لى »

فتقول :

« كان جسيما كستنائى الشعر بساماً » يسأل هل لديك صورته ، فتهم أن تريه اياها فتدخل ايفا فجأة قائلة : « ان القائد فى انتظارك » فينصرفان معاً

يدخل القائد فونتجلوى . وشخصية هذا القائد ، أقحمها جيرودو اقحاماً ، ليرينا طرازاً آخر من « المتنقل » من وطن لوطن ، ولكن على صورة أخرى ، فهو يقول لجنفييف ، انه الآن ألمانى ، ولكن الحقيقة انه منذ جيلين طرد أجداده مضطهدين من فرنسا ، فلجأوا الى ألمانيا فتألمنوا ! . . .

فتجيبه : « خل عنك حكاية المضطهدين والمنفيين انى لأخترق بعينى هذا الثوب المزيف الذى يغطيك فأرى جبيناً فرنسياً ، وصلابة فرنسية ، وأسناناً فرنسية ، هذا ما لا تستطيع ألمانيا ولا الأجيال أن تمحوه ! »

يدق التليفون فجأة فيجيب فونتجلوى ، فيعلم أن ثورة شبت فى أنحاء البلاد

ولا يلبث القواد أن يدخلوا ، ويتشاوروا فى أمر الثورة ، ثم ينصرفوا ، وتبقى جنفييف وحدها . فيدخل سيجفريد وهو فى ثياب السفر ، ويبدو عليه أنه قد نسى شيئاً ، وقد رجع ليستعيده . . . ! وفى الواقع رجع ليودعها ، ليراها مرة أخيرة . وفى ذهنه كلمة من الماضى

بالفرنسية وهو يحاول أن يعبر عنها ، فتذكرها له قائلة « ساحرة » « ساعة ساحرة » ! فينطلق قائلا « وداعاً » ويسدل الستار . . .

الفصل الثالث

(يرفع الستار عن منظر الفصل الاول ، ويلاحظ من تغيير الأثاث أن الغرفة استعملت كمكتب لادارة الحركات العسكرية أثناء الثورة)

نفهم من حوار الجند أن الثورة أخفقت ، وأن زلتن قبض عليه وحكم عليه بالاعدام

يدخل سيجفريد وايفا ، فيخبر الاول الاخيرة أن حكم الاعدام عدل بالنفى . ويخبرها كذلك أنه يود مقابلة زلتن قبل النفى ، فتمانع فى ذلك ممانعة كبيرة زاعمة أنه سيتكلم عنها له بسوء ، فيصارحها أنها كاذبة ، وأن هناك سبباً آخر يجعلها لا تحب أن يقابل سيجفريد زلتن ، ثم يدخل القواد ، وزلتن مقبوضاً عليه

فحينما يعلم زلتن من سيجفريد أن حكم الاعدام عدل بالنفى يصيح قائلا ، انه لهذا ثار ، أجل ثار لأن الواقع أنه لا سيجفريد ولا ألمانيا عفت عنه ، وانما السبب الحقيقى وصول تلغرافين تجاريين أحدهما من بيت روكفلر ، والآخرة من لوندرة ، يطلبان اطلاق سراح زلتن رغبة فى عقد صفقة بيع فوسفات ، ثم تحسن سعر المارك ! لقد صارت ألمانيا شركة مساهمة ، لا أمة خالدة ! !

ثم يقول لسيجفريد ان لديه سراً يريد أن يطلعه عليه . ويشير عليه بخروج القواد فيرفض ، فيضطر الى مواجهته به فى حضورهم

فيحسب القواد أنه يهزل ، فيدعون الجند لاخراجه ، ولكن سيجفريد يمنعهم ، ويشعر أن أمراً هائلا يخصه يحاول أن يبوح به ذلك الثائر

يقول زلتن فى جرأة وصراحة : « سيجفريد أنت لست ألمانياً » !

فيكذبه سيجفريد

فيجيبه اسأل ايفا فهى التى التقطتك جريحاً ممزق الثياب مفقود الذاكرة . فسهرت عليك وشفتك ودفعت بك لهذا المجد ! اسألها

فيأمر سيجفريد الجميع بالخروج الا ايفا

فيجبرها على الاعتراف فتعترف أنه ليس ألمانياً ، غير أنه يريد أن يعرف أصله فتنكر أنها تعرف . . . ثم تنصرف حزينة . وتدخل جنفييف . فلا يلبث أن يخبرها بما حدث ، وأنه عرف أنه ليس ألمانياً . ويجرى بينهما حوار من أمتع ما كتب كاتب على الاطلاق . والحق ان التلخيص يضيع جماله

يخبرها انه رجل لا ماضى له ، انه ابن سبع سنوات بنى فيها ألمانيا . فهذا المجد هو كل

الفصل الرابع

(فى الفصل الرابع والأخير نحن عند الحدود . ونرى اثنين يتمشيان على الافريز كا نما ينتظران أحدا ، وهذا « الأحد » هو سيجفريد الذى هرب متخفيا . والاثنان هما فونتجلو ، ولدنجر القائدان اللذان جاءا قبله فى قطار خاص ، ليقنعاه بالعودة الى ألمانيا)

بعد برهة يقبل سيجفريد ، فيجرى بينهما وبينه حوار عنيف، يحاولان به أن يرداه الى المانيا بأى ثمن فلا يستطيعان ، فيسألاه : « وماذا تنوى أن تصنع الآن ؟ »

فيجيب : « بكل بساطة أعيش ! يعيش سيجفريد وفورستير جنباً لجنب ، ليست الحياة الانسانية كأساً من الزجاج وانه لكثير على النفس الانسانية التى تسع المتناقضات ، ويسكن الخير والشر فيها معاً ، أن تضيق بالالمانى والفرنسى معاً ! ! انى لأرفض ان أحفر خندقا داخل ذاتى ! اني لأعود لأخدم فرنسا ، بعلم جديد وقلب جديد ! الوداع . سيجفريد وفورستير يهديانكما السلام ! »

فينصرف القائدان ويركبان القطار العائد . .

وتبدو جنفييف ، وتأخذ فى تذكيره بما كان بينهما خطوة خطوة ، تبدأ بتذكيره بما كانت تحبه منه ، ثم بالمكان الذى التقيا عنده، ثم تذكره بعاداته وخلاله : كيف كان يصعد الجبل ويحسن التجذيف ! ثم تفاجئه بما كانت تكرهه منه ، فتقول له :

« وكنت تستطيع أن تخدع ، وأن تكذب ، وتستطيع أن تعكر صفو يوم جميل ، وكنت تعرف أن تخون »

فتعود اليه ذاكرته وهو يقول :

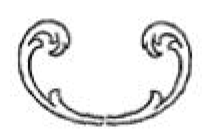
« وكنت أعرف أن آخذك بين ذراعى ! ! »

فترفع رأسها وتقول :

« أتدرك اننى ما ناديتك مرة باسمك الالماني !؟ ادن مني يا جاك . .

« انى أحبك يا سيجفريد . . »

(تلخيص) **الدكتور ابراهيم ناجى**



توازن القوى

فى البحر الأبيض المتوسط

بقلم الدكتور محمد عوض محمد

وكيل كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

« ليس هناك من سبب قوى لأن تنقسم دول البحر الأبيض المتوسط الى معسكرات يناوىء كل منها الآخر ، بل هنالك من المصالح المشتركة ما يدعو الى ازدياد التعاون والتحالف »

يتوسط هذا البحر العظيم قارات العالم القديم ، وهو فيما بينها طريق واسع للملاحة طوله ألفان من الاميال ، فاذا أضفنا اليه البحر الاسود كان طول هذا الطريق ثلاثة آلاف من الاميال . تمتد كلها وسط اليابس ، وتصل ما بين القارات الثلاث

مجد البحر المتوسط

على صفحات هذا البحر ، تعلم الانسان الملاحة والمغامرة وركوب متن الموج ، ومن سواحله تفجرت ينابيع الحضارة قرنا بعد قرن على مدى آلاف السنين ، وفاضت منه الى سائر أنحاء الارض . ومن أقطاره انتشر الادب الرائع والدين السمح الجميل ، الذى هذب الطبع الوحشى ، وقلم أظافر الشر . ولكم مرت قرون ، كانت فيها أقطار هذا البحر هى العالم الحقيقى ، وما سواها ليس بشىء

ليس فى الارض اقليم يعدل هذا البحر فى اعتدال هوائه ، وملاءمته للنشاط البشرى المتعدد النواحى ، ولهذا لم يكن بد من أن يحف به العمران منذ فجر التاريخ . ولئن كان ظلم الانسان قد قضى بأن تصل اليه من آن لآن مظاهر من جور الانسان وعدوانه ، فلقد طالما كان مهبطا للسعادة ومسرحا للحضارة ، ووسيلة للتأليف بين القلوب ، والتعاون بين الشعوب

واذا كان محور الحضارة اليوم قد تزحزح قليلا عن مكانه القديم ، الذى لزمه آلاف السنين ، وأصبح اليوم مائلا نحو غرب أوربا أوشمال أمريكا ، فان قواعده لم تزل راسخة

فى سواحل بحرنا هذا ، ولم تزل للبحر المتوسط مكانة فذة فريدة بين أقاليم العالم . وأكبر ما يمتاز به الطور الجديد ان ميدان النشاط فى هذا البحر لم يصبح مقصورا على الاقطار التى تحف به ، بل اتسع اليوم حتى بات يشمل كل دولة فى العالم ، سواء أكانت قريبة منه أم بعيدة عنه . ولئن كانت دول البحر المتوسط اليوم ترى بين الدول الاخرى من يساميها أو يفوقها ، فان البحر المتوسط نفسه أصبح اليوم أعظم شأنا وأجل خطرا مما كان فى أى عصر من العصور ، ولهذا كانت الدول التى يهمها أمره حريصة أشد الحرص على ألا يختل توازن القوى فى هذا الركن الخطير من أركان الارض

انشاء قناة السويس

ليس من شك فى ان هذا التطور الجديد الخطير فى حياة هذا الاقليم ، يرجع الى حادث يسير فى ذاته ، ولكنه جليل فى عواقبه ، وهو حفر قناة تصل البحر المتوسط بالبحر الاحمر وما تبع هذا الحادث من التقدم الهائل فى الملاحة والتجارة . ومن المألوف أن نسمع أو نقرأ بأن تقدم الملاحة استدعى انشاء قناة السويس . ولكن أصدق من هذا أن نقرر ان انشاء القناة كان سببا قويا فى ترقية الملاحة والتجارة العالمية ، والبلوغ بها الى المرتبة التى وصلت اليها . وقد أصبحنا اليوم نرى أربعة أخماس سكان الارض يستخدمون طرق الملاحة فى البحر المتوسط . وليس فى العالم رقعة من سطح الارض فى ساحة هذا البحر تزدحم فيها المرافق والمنافع كما هى الحال فى مياه البحر المتوسط

ان سرعة الوصول الى الاقطار الشرقية ، التى ترتبت على حفر القناة ، قد فتحت لتجارة المحيط الهندى والشرق الاقصى بابا لم يلبث أن تدفقت منه الى أوربا وأمريكا تلك الثروات الهائلة من الغلات التجارية ، التى استطاعت الاقطار الشرقية أن تغمر بها الاسواق ..

ويطول بنا الحديث اذا حاولنا أن نشرح الاثر الهائل العميق الذى أحدثه انشاء قناة السويس فى تقدم العالم الاقتصادى . وحسبنا أن نذكر أنه لولا القناة لكان نمو التجارة بين الشرق والغرب ضئيلا بطيئا . ولما استطاع كثير من الدول ان يصل من الرقى الاقتصادى الى المرتبة التى بلغها

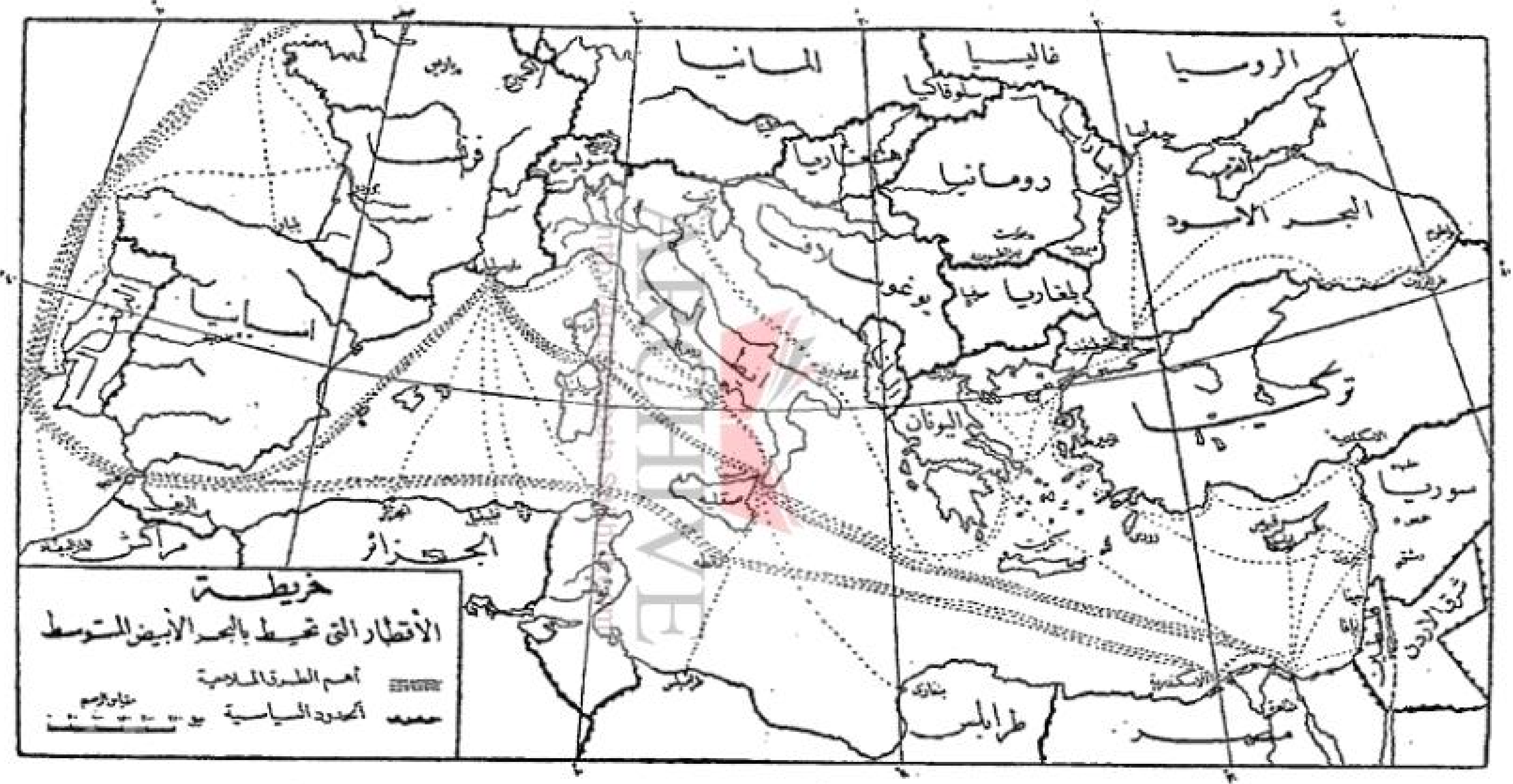
على ان أثر قناة السويس لم يكن مقصورا على الميدان الاقتصادى ، بل تجاوزه الى الميدان السياسى ، فان الحركة الاستعمارية قد نشطت بعد انشاء القناة نشاطا لم يكن يعرف من قبل . ونحن لا نقول هذا تبريرا لمبدأ الاستعمار أو استحسانا له ، ولكن تقريرا لحقيقة ملموسة كانت لها عواقبها السياسية الخطيرة ، ولها أثرها فى توازن القوى فى هذا البحر . وحسبنا أن نذكر على سبيل المثال أن دولة مثل ايطاليا لم تكن لتصبح دولة استعمارية ذات شأن لولا قناة السويس



ديسمبر ١٩٣٩







تبين هذه الخريطة الاقطار التى تحيط بالبحر الابيض المتوسط ، وحركة الملاحة بين هذه الاقطار بما فى ذلك البحر الاسود الذى يعتبر جزءا لا ينفصل عنه

هدايا الهلال للسنة ٤٨

أيها المشترك الكريم

اختر من هذه القائمة كتابين ، وارسل الينا
اسميهما مع قيمة اشتراكك فنرسلهما اليك في الحال

عذارى القصور للاستاذ حبيب جاماتي . سلسلة من حوادث التاريخ الخفية مفرغة في قالب قصصي شائق

الخطابة تأليف الدكتور نقولا فياض . مؤلف هذا الكتاب خطيب مفوه . واذا كتب عن الخطابة فهو انما يكتب عن فن درسه ومارسه في مناسبات شتى . والكتاب مزين بصور كثيرة

حرية الفكر وأبطالها في التاريخ تأليف الاستاذ سلامة موسى . هذا الكتاب يشتمل على تاريخ الحرية الذهنية من العصور الاولى الى عصرنا الحاضر مع ذكر الاضطهادات التي وقعت بالناس من أجل آرائهم ، وكيف تغلب التسامح على التعصب بالتدريج

مملكة الظلام تأليف مترلنك وتعريب الدكتور نقولا فياض . هذا الكتاب مقصور على درس حشرة واحدة هي الأرضة المعروفة بالنمل الأبيض . وقد كان لهذا الكتاب عند ظهوره في أوربا شأن كبير . ومع ان المعلومات الواردة في الكتاب هي نتيجة البحث العلمي الدقيق ، فقد أوردها المؤلف في أسلوب مبتكر لا يلبث القارىء أن يتذوق جماله وسحره

أشهر ملكات التاريخ يجمع هذا الكتاب بين دفتيه سير أشهر الملكات اللاتي خلد ذكرهن التاريخ مكتوبة بأسلوب شائق

قصص وأدب وفكاهة مجموعة قصص أدبية واجتماعية وفكاهية . وفي الكتاب أيضاً مجموعة من النوادر والفكاهات الطريفة . وهو مطبوع بالروتوغرافور

اضحك يضحك لك العالم هذا كتاب فكاهي أدبي أو بالحرى مجموعة أدب وظرف من نوادر ولطائف شائقة ونكات وقصص مصورة ، وأشعار وأزجال فكاهية

المعارك الفاصلة في التاريخ يتناول هذا الكتاب المعارك العشرين الفاصلة في التاريخ فيمهد لكل منها بمقدمة تاريخية تمثل أمام ذهن القارىء حالة العالم والمتحاربين حال وقوع المعركة ، ثم يفصل المعركة وأطوارها من الجهة الفنية والحربية ، ثم يذكر ما أسفرت عنه من نتائج قريبة أو بعيدة مع وصف كل معركة بخرائط ورسوم تقرب فهمها

ابو مسلم الخراساني من أشهر روايات تاريخ الاسلام لمؤلفها جرجي زيدان . وهي تشتمل على سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية وسعي أبي مسلم الخراساني في تأييدها بالقتل والفتك وشدة البطش الى ولاية المنصور ومقتل أبي مسلم

المسرح الجديد بقلم الاستاذ محمود كامل . مجموعة ممتعة ملخصة من أشهر القصص المسرحية الجديدة التي ظهرت في الآداب الأوربية

حركة الملاحة

والآن لا بد لنا أن نمعن النظر فى حركة الملاحة فى هذا البحر ، ونحللها الى عناصرها الاساسية ، لكى يبدو لنا من هذا التحليل كيف تتعدد المرافق وتتنوع ، ويتصل بعضها ببعض • وفى وسعنا ان نرى فى هذا النشاط فى الملاحة خمسة وجوه رئيسية :

أولا ــ نرى حركة الملاحة بين دول البحر الابيض المتوسط نفسه ، بما فى ذلك البحر الاسود ، الذى لا بد من اعتباره جزءا لا ينفصل عنه • فهنالك تجارات شتى ما بين أطراف هذا البحر ، وما بين سواحله الشمالية والجنوبية ، والشرقية والغربية ، هذا الضرب من النشاط قديم ، بل عريق فى القدم ، ولكنه من غير شك قد ازداد واتسع فى عشرات السنين الاخيرة

ثانيا ــ نرى حركة قوية ما بين دول البحر المتوسط والبحر الاسود من جهة وغرب أوربا من جهة أخرى • فان كثيرا من غلات الاقطار المحيطة بهذا البحر لها مكان ممتاز بين السلع التجارية التى تحرص دول غرب أوربا على اقتنائها

ثالثا ــ ما بين دول البحر المتوسط وامريكا تجارة قد نشأت حديثا ، وازدادت انتشارا منذ أوائل هذا القرن • لقد كانت ولايات امريكا المتحدة تشترى فيما مضى حاجتها من غلات البحر المتوسط فى اسواق أوربا ، أما اليوم فهنالك خطوط ملاحة منتظمة بينها وبين موانىء البحر المتوسط نفسه

رابعا : هنالك صلات تجارية وسياسية متينة ما بين دول البحر المتوسط وبين المحيط الهندى والشرق الاقصى ، ولكل من فرنسا وايطاليا وروسيا بالطبع المكان الاول بين تلك الدول

خامسا : وفوق هذا كله ، وأهم منه تلك الصلات التجارية العظيمة الخطر التى تربط ما بين دول غرب أوربا وأمريكا الشمالية من جهة ، وبين دول الشرق الاقصى والمحيط الهندى من جهة أخرى ، وهذه الدول جميعا لا بد لها أن تعبر البحر المتوسط ، وبفضل هذه الصلات المتينة بين تلك الاقطار المتباعدة ، قد أصبح البحر المتوسط طريقا تجاريا لا يضارعه فى ميدان الملاحة البحرية طريق ، اللهم الا الملاحة بين غرب أوربا وأمريكا الشمالية

وهكذا نرى كيف ازدحمت المصالح وتنوعت فى هذه الرقعة المحدودة من سطح الارض : ورأينا كيف نشأت تلك الظاهرة الجديدة فى هذا البحر ، وهى تلك الحركة التى يصبح فيها البحر الابيض المتوسط مجرد طريق يصل أطراف العالم • تلك الظاهرة التى أصبحت من القوة والخطر بحيث تكاد أن تفوق نواحى النشاط الاخرى التى سبقتها

ومن تمام هذه الظاهرة أن أصبحت تعنى بأمر هذا البحر دول لا تعيش على سواحله ولا تمت الى شعوبه بأدنى صلة ، وفى مقدمة هذه الدول من غير شك دولة بريطانيا ، التى

الهلال

الجزء الثانى ـ السنة ٤٨

أول ديسمبر ١٩٣٩ ـ ٢٠ شوال ١٣٥٨

عنوان المكاتبات :

دار الهلال ، مصر ـ البوستة العمومية

قيمة الاشتراك : مصر والسودان ٨٥ قرشا ، سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن والعراق ١٠٠ قرش ، البلدان الأخرى ١٣٠ قرشا أو ١/٧/ـ جنيه انجليزى ، أو ٦٫٥٠ دولاراً أمريكيا أو ١٠٠٠ قرش برازيلى

AL HILAL — Cairo, Egypt

(1 December 1939)

SUBSCRIPTION RATES : Egypt and Sudan P.T. 85. — Syria, Lebanon, Palestine, Transjordania and Irak P.T. 100. — Other countries P.T. 130 or £ 1-7-0 or $ 6.50 or 100 $. 000 (Brazilian Currency).

هدايا الهلال

حرص «الهلال» على اصدار أعداد خاصة كلما سنحت فرصة ، ولذلك افتتحنا السنة ٤٨ باصدار العدد الماضى خاصاً عن «الحرب» لمناسبة الحرب الناشبة الآن ، وقد تضمن بحوثاً ممتعة ودراسات شائقة بأقلام صفوة من كبار الكتاب ، فلقى من تقدير القراء وحسن قبولهم ما حملنا على مضاعفة العناية بالتحرير ، وسيلمسون ذلك فى هذا الجزء وفى الأجزاء التالية . كما أننا أعددنا عدداً خاصاً عن (هرون الرشيد) يصدر عما قريب . وسيجد فيه القراء نوعاً جديداً من الدراسات التاريخية والبحوث الهامة مع طائفة من الصور النادرة

أما هدايا الهلال فى هذا العام فيجد القارىء فى غير هذا المكان بيانا بكتب هى نتاج قرائح كبار الكتاب فى شتى نواحى الثقافة ، ولكل مشترك سدد قيمة اشتراكه عن السنة الجديدة ٤٨ الحق فى أن يختار كتابين من هذه الكتب ، ثم يوافينا برغبته

الى مشتركى الهلال فى البرازيل

نظراً لهبوط قيمة العملة البرازيلية ، قررت ادارة الهلال أن تكون قيمة الاشتراك السنوى (ابتداء من السنة ٤٨) ١٠٠٠ قرش برازيلى

الى مشتركى الهلال فى أميركا الشمالية

وإنه ليؤسفنا أن نعلن مشتركينا فى الولايات المتحدة والمكسيك وأمريكا الشمالية ، أننا قد قطعنا علاقاتنا مع وكيلنا السابق السيد توفيق حبيب ، ولم يعد لحضرته من الآن أية صفة فى مكاتبة المشتركين أو تحصيل الاشتراكات . والرجا من حضرات المشتركين أن يتصلوا بنا رأسا فى دفع قيمة الاشتراكات

أصبحت اليوم معدودة من دول هذا البحر ، ونستطيع الآن أن نعرض لكل من الدول التى تحتل مكانا ممتازا فى البحر المتوسط

وقد اعتاد الكتاب أن يقسموا الدول الى كبرى وصغرى • والدول الكبرى بحسب هذا الاصطلاح ـ سواء أكان عادلا أو ظالما ـ سبع منها خمس أوربية ، وهى بريطانيا وفرنسا وايطاليا ، وروسيا وألمانيا ، وواحدة أمريكية وهى الولايات المتحدة ، وأخرى أسيوية وهى اليابان • وتبدو لنا أهمية البحر المتوسط فى جلاء ووضوح حين نذكر ان أربعا من هذه الدول السبع لها فيه نفوذ يستند الى امتلاك بعض أرضه أو جزره

بريطانيا

ليست بريطانيا قطرا من أقطار البحر المتوسط • ولكن تفوقها فى ميدان التجارة والاستعمار جعل هذا الطريق بمثابة الشريان الخطير ذى الاثر القوى البارز فى قوتها وحياتها ، ومن العبارات المألوفة التى تسمعها كثيرا ان المحيط الهندى عبارة عن بحيرة بريطانية • وبالرغم من أن هذا القول لا يخلو من الغلو فانه يستند من غير شك الى حقائق لايمكن انكارها • وقد استطاعت بريطانيا أن تدرك ما لطريق البحر المتوسط من عظيم الخطر فبادرت الى امتلاك نقط حيوية خطيرة فى هذا البحر تمكنها من ان يكون لها فيه نفوذ يتناسب مع ما لها فيه من مصالح • وقد زاد اهتمام بريطانيا بالبحر المتوسط بعد انشاء قناة السويس فأصبحت تمتلك جبل طارق ومالطة وقبرص ، وتولت الانتداب على فلسطين وعقدت معاهدة مع مصر تضمن بها مصالحها فى ذلك القطر الخطير الذى تخترقه قناة السويس

وهكذا أصبحت بريطانيا من دول البحر المتوسط ! ولكن مركزها فيه لا يخلو من عنصر ضعف • وذلك ان الشعب البريطانى نفسه ليس من شعوب البحر المتوسط ، ومهما تعددت منافعه ومرافقه فان هناك دائما شبهة انه هنا شعب دخيل لا يمت الى سكان البحر بقرابة أو نسب • ولهذا نرى النفوذ البريطانى فى كل جزء من البحر قد اصطدم بمشاكل محلية صغيرة أو كبيرة • فأسبانيا قد لا تكون راضية كل الرضى عن بقاء جبل طارق فى قبضة دولة أجنبية ، وفى مالطة لا يخلو الجو من منافسات ايطالية ذات أثر ، وقبرص تطالب بها اليونان وتلح فى الطلب ، وفى فلسطين اصطدم الانتداب بالحركة العربية ، وفى مصر بالحركة الوطنية المصرية

ان كل دولة من دول البحر المتوسط الكبرى تمتاز بأن لها فيه قطرا وشعبا ، اما بريطانيا فلها فيه منافع ومصالح ، وهى من غير شك عظيمة الخطر ، ولكنها لا تستند الى شعب بريطانى يعيش على سواحل هذا البحر

وفى العهد الذى كانت دول البحر المتوسط قليلة الخطر ، وبريطانيا ذات قوة بحرية لا تدانيها قوة ، كان مركزها هنا يمتاز بشىء كثير من المنعة ، ولا تهدده اخطار ذات شأن •

أما اليوم فان تقدم كل من فرنسا وايطاليا ، فى ميادين الصناعة والتجارة والاستعمار ونهضة اسبانيا وتركيا الحديثة ، جعل من اللازم أن تعتمد بريطانيا على علاقة الصداقة والتحالف الذين يربطان بينها وبين دول هذا البحر ، ولم يكن بد من أن تسعى فى توطيد هذه الصداقات وتقويتها ، وبذل بعض التضحيات فى هذا السبيل اذا اقتضى الامر تضحية . وليس هنالك بأس على بريطانيا فى أن تتجه هذا الاتجاه ، وتسلك هذا السبيل ، بل من الخير العظيم للعالم أن تستند المنافع الاقتصادية على علاقات الصداقة والتحالف ، بدلا من ان ترتكز على القواعد البحرية والاساطيل الضخمة

ولهذا أصبحت بريطانيا حريصة على أن يكون توازن القوى فى البحر المتوسط بحيث لا ترجح كفة احدى الدول فتصبح المرافق البريطانية تحت رحمة تلك الدولة

مركز فرنسا وايطاليا

لقد أطلنا الحديث عن مركز بريطانيا لانه مفتاح سياسة التوازن فى البحر المتوسط ، ونستطيع الآن ان نعرض بسرعة للدول الاخرى : ففرنسا تسيطر على شطر عظيم من اقطار البحر الابيض فى كل من اوربا وافريقية وآسيا اذا أدخلنا أرض الانتداب فى الجهات الخاضعة للنفوذ الفرنسى . وهى من هذه الناحية لها مكان ممتاز بين دول البحر المتوسط ، بل لعلها أكبر دولة يعيش شعبها على سواحله . ولفرنسا عدا هذا مستعمرات فى امريكا والشرق الاقصى وفى المحيط الهندى تجعلها تهتم بأمر البحر المتوسط بوصف كونه طريقا للملاحة

فمصالح فرنسا فى البحر المتوسط لا تقل خطرا عن مصالح بريطانيا ، وهى فوق هذا ترتكز الى شعب يعيش على سواحل هذا البحر ، ولكن مما يضعف مركز فرنسا نوعا ان قواها البحرية موزعة بين المحيط الاطلسى وبين البحر المتوسط ، وليس الاتصال بينهما اذا اشتد الخطر بالامر السهل . ومن المشروعات الجليلة التى يتحدث بها رجال السياسة الفرنسية ـ وان لم يستطيعوا حتى اليوم أن ينفذوها ـ تعميق القناة الجنوبية وتوسيعها بحيث يمكن للسفن أن تنتقل بين خليج بسكاى والبحر المتوسط دون ان تضطر الى الدوران حول اسبانيا ، والى أن ينفذ هذا المشروع ستظل القوة البحرية الفرنسية فى البحر المتوسط محرومة من معاونة الشطر الآخر من الاسطول الفرنسى

أما ايطاليا فمن دول البحر المتوسط الخالصة وليس لها سواحل فى أى بحر آخر . ولها فيه مركز ممتاز لانها تتوسطه ، وتقسمه شطرين غربى وشرقى . وقد استطاعت بمحالفتها لاسبانيا أن يكون لها عضد قوى فى الجانب الغربى ، أما فى الاقليم الشرقى فان استيلاءها على رودس وجزر الدوديكانيز ، ومحاولتها الاستيلاء على جزيرة كرفو فى سنة ١٩٢٣ قد أثار مخاوف كل من تركيا واليونان ، وقرب بين كل من هاتين الدولتين وبين فرنسا وبريطانيا . ولهذا نستطيع أن نقرر أن استيلاء ايطاليا على هذه الجزر لم يكسبها ميزة

تستحق الذكر ، أما استيلاؤها على البانيا فبالرغم مما قد يقال فى نقده من الوجهة الادبية البحتة ، فانه قد وسع أفق النشاط الايطالى بأن جعل البحر الادرياتي بحيرة ايطالية ، وبأن جعل ايطاليا دولة من دول البلقان

دخلت ايطاليا الميدان الاستعمارى متأخرة ، ولهذا لم تحصل فى البحر المتوسط على اقليم ذى خطر • ولكنها لو انصرفت الى تنمية تجارتها ومرافقها الاقتصادية فان موقعها الجغرافى فى وسط هذا البحر يجعلها قادرة على أن تنال فى هذا الميدان مكانا ممتازا ، من غير استناد الى ممتلكات واراض تستحوذ عليها ، ومن الممكن أن يرى المنصف ان النزعات الاستعمارية قد أضرت ايطاليا أكثر مما أفادتها

روسيا وتركيا ودول البلقان

ان روسيا وان كانت من دول البحر المتوسط ، فانها لا تلعب فيه اليوم دورا خطيرا ، لان طريقها اليه يعترضه باب ضيق وهو البسفور والدردنيل ، ولانها فوق هذا كله دولة برية لا بحرية • فالامبراطورية الروسية على عظمتها وقوتها ، كتلة مندمجة من اليابس تطل على عدة بحار • ولكن ليست لها ممتلكات يضطرها الوصول اليها أن تعبر المحيطات ، كما هى الحال فى دولة مثل فرنسا أو هولنده ، وعدا هذا فان لتجارة روسيا مخارج أخرى فى بحر الشمال والمحيط الشمالى • وانما تصبح روسيا من دول البحر الابيض المتوسط ذات الخطر اذا بسطت نفوذها على الدردنيل والبسفور أو تحالفت محالفة قوية مع تركيا ، تجعل مفتاح هذه المضايق وكأنه بيدها • ولو تم مثل هذا الامر فان توازن القوى فى البحر المتوسط لا بد ان يتأثر لهذا الامر تأثرا عنيفا ، وليس بين دول هذا البحر دولة — حتى ايطاليا — تريد أن يدخل النفوذ الروسى هذا البحر

ومن هنا نرى الاهمية التى تعلقها الدول الغربية (فرنسا وبريطانيا) على صداقة تركيا ، فهى وان لم تكن فى عداد الدول الكبرى ، فان بيدها مفتاح البحر الاسود ، ولمركزها الجغرافى من المنعة ما يمكنها من أن تكون قوة مرجحة فى توازن القوى فى النصف الشرقى من البحر المتوسط

أما دول البلقان فان ما بينها من التناحر والتباغض ، وعجزها عن توحيد كلمتها وتضافرها ، جعلها عرضة لان تتدخل فى أمورها دول غريبة عنها ، وأصبحت أقطارها ميدانا تتسابق فيه لاحراز المكان الاول دول مثل روسيا وألمانيا وايطاليا • فليس بغريب والحال هذه أن لا يكون لشبه جزيرة البلقان دور ايجابى فى سياسة البحر المتوسط

واسبانيا ليست — مؤقتا — فى موقف يمكنها من القيام بعمل رئيسى فى سياسة دول البحر المتوسط ، فان على كاهل رجالها عبئا ثقيلا لا بد من النهوض به أولا وهو اصلاح ما أفسدته الحرب الضروس التى تركت من التدمير والتخريب ما يحتاج اصلاحه الى زمن طويل • ولكن من الراجح أن يكون لاسبانيا فى المستقبل أثر فى سياسة البحر المتوسط أجل خطرا

مما كان لها فى الماضى ... والذى ينتظر فى مثل هذه الحال ان تكون صداقتها لايطاليا عنصرا قويا فى سياستها

ظاهرتان يكشف عنهما البحث

ان هذا العرض السريع لتوازن القوى فى البحر المتوسط قد كشف لنا عن ظاهرتين : الاولى ان كفة فرنسا وبريطانيا بفضل قواتهما المحاربة،واتساع مناطق نفوذهما ، وصداقة حلفائهما هى من غير شك الكفة الراجحة ، ومن حسن الحظ ان الحوادث لم تتطور بحيث ترينا تجربة قاسية لاثبات صحة هذا الرأى . فان الحرب الحالية بفضل سياسةايطاليا الحازمة الحكيمة لم تتناول البحر المتوسط . وليس فى الافق ما يدل على احتمال دنوها منه . بل قد لا يكون من الغلو أن نقول ان الحرب تزداد كل يوم بعدا عن البحر المتوسط منذ اشتدت الصداقة بين روسيا وألمانيا ، أما الخطر الروسى نفسه ، فانه — على الاقل فى أوله — ستكون وجهته شبه جزيرة البلقان . واذا استفحل — فانه يوجد تعاونا جديدا بين دول فى البحر المتوسط قد ضعف بينها التعاون فى العهد الاخير : عهد محور روما — برلين

الحقيقة الثانية التى كشف عنها بحثنا هذا هى انه ليس هنالك سبب قوى لان تنقسم دول البحر المتوسط الى معسكرات ، يناوىء كل منها الآخر ، بل هنالك من المصالح المشتركة ما قد يدعو الى ازدياد التعاون والتحالف بين هذه الدول

وما أجدر هذا الاقليم العريق فى الحضارة بأن يسوده الأمن والصفاء ، وما أخلق الدول التى تعيش على سواحله أن يرعى كل منها حقوق الآخرين،فلايكون هنالك ظلم أوعدوان

محمد عوض محمد

الشباب

إن مصير كل أمة يتوقف دائماً على شبانها قبل أن يجاوزوا الخامسة والعشرين من أعمارهم (جيته)

ما من جنازة أشد إيلاماً للنفس من جنازة شاب اختطفه الموت فى مقتبل العمر وكان محط آمال أهله وبنى وطنه يعلقون عليه الآمال الجسام ويبنون من تلك الآمال صروحا باذخة (لاندور)

ذكريات الشباب تتبعها دائما الآهات والحسرات

(مثل شرقى قديم)

تركيا والبلاد العربية في الحرب الحاضرة

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

الترك والعرب أقرب اليوم الى التفاهم وحسن المعاونة . ونعتقد ان الحرب الحاضرة وشيكة ان تزيد هذا الاقتراب في ميدان السياسة وميدان المصالح الاقتصادية

للدول العصرية سياستان فى العلاقات بينها و بين الدول الاخرى: سياسة الوجاهة وسياسة العمل . والدولة التركية الكمالية أسمى مثال لسياسة العمل التى تعنى بجواهر الأمور ولا تعنى بالمظاهر والاوهام. ولعلها القدوة الأولى فى العصر الحديث التى يرجى أن تقتدى بها جميع الأمم فتستريح من جهودها الخاسرة ومنازعاتها الجائرة فى سبيل مجد كاذب لا هو بالمصلحة ولا هو بالعظمة ولا هو بالطريق الأمين

فمن الدول العصرية من لا تزال تجرى على سنة الريفى الجامد على ميراث الوجاهة الغابرة : كلما وجد سبيلا الى زيادة عدد الأفدنة وتوسيع « زمام » المزرعة مضى فيه قدما ولو استدان ولو عجز عن سداد الثمن ولو خربت دياره فى النهاية : أليست الوجاهة أن يكون صاحب الف فدان اذا كان جاره ومنافسه لا يملك الا الخمسمائة أو الستمائة ؟ بلى . . هذه هى الوجاهة ولا مقياس للوجاهة غيرها !

أما ان يكون الرجل صاحب مزرعة صغيرة يحسن تثميرها ولا ينوء بأعباء الدين من جرائها ولا يشعر بالنقص فى معيشته اذا قيس ما يأكله ويلبسه ويستمتع به بما كل صاحب الآلاف وملبسه ومتاعه ، فذلك هو الفقر وذلك هو الجاه الضئيل

كذلك الدول التى تتغير الدنيا ولا تتغير عقول ساستها فى فهم الوجاهة والصولة : مستعمرات مستعمرات مستعمرات ! ! . . وماذا تصنعين بالمستعمرات ؟ ألا توجد فى الأرض أمم تتجر وتربح وتأخذ كفايتها وتعطى ما يحتاج اليه غيرها وليست لديها مستعمرة واحدة ولا هى بحاجة

الى سلخة من مستعمرة واحدة ؟ بلى . . وهى على ذلك أغنى وأرق من الدول التى يقتلها داء الوجاهة القديمة ، ولا تزال على فهم الدولة كما كان يفهمها الاسكندر وأتيلا وتيمو رلنك وأشباههم من جابرة الفتوح

ولقد كان أناس يحسبون أن تركيا الكمالية ، وقد خسرت ولاياتها فى الحرب الماضية ستقبع قبوع الذلة ، وتستكين الى الهوان كما يستكين الوارث صاحب الآلاف وقد أصبح ولا مال عنده ولا عتاد

ولكن العبقرية الكمالية رأت فى تجريد الدولة من ولاياتها غنيمة تفرح بها ولم تر فيها نكبة تستخذى لعارها وتتطلع الى غسل أوزارها . فأصبحت تركيا الآن أقوى مما كانت وفى يديها المشرق والمغرب . . أو هى فى يدى المشرق والمغرب فريسة للثورات والغارات

فالسياسة التركية اليوم سياسة عصرية بل سياسة مستقبلية فى فهـــم واجبات الدولة والحكومة وفهم العلاقات بينها و بين رعاياها و بينها و بين الأمم التى تربطها بها مصلحة أو جوار

سياسة العمل الرشيد لا سياسة الوجاهة الكاذبة ، ولهذا اتبعت منذ النهضة الكمالية خططاً ثلاثا لا نحسبها تحيد عنها فى عهد أقطاب المدرسة الكمالية ، ومنهم من لا يقلون فى العبقرية السياسية عن إمام النهضة العظيم

أولى هذه الخطط انهم لا يطلبون حكم الأجناس الأخرى ويودون جهدهم أن يتخلصوا من كل « أقلية » جنسية يسهل عليهم التخلص منها . ولهذا عمدوا الى تبادل الأقليات بينهم و بين اليونان ولم يستبقوا فى حوزتهم شبراً من الأرض الأجنبية لغير أغراض الدفاع

والخطة الثانيــة مسالمة الجيران على اختلاف الأقوام والنظم الحكومية . فهم يسالمون جيرانهم فى الغرب و يعقدون معهم المواثيق كما يسالمون جيرانهم فى الشرق و يعقدون معهم مثل تلك المواثيق . وعلى هذه الوتيرة عاقدوا أمم البلقان حتى التى كان بينهم و بينها عــداء قديم ، وعاقدوا الأمم التي تليهم فى آسيا الغربية وآسيا الوسطى بميثاق « سعد أباد »

وعلى هذه الوتيرة كانوا مستعدين لتمكين الصداقة بينهم و بين الروس والالمان لو تيسرت لهم أسبابها بغير إخلال بقواعدهم العامة فى علاقاتهم الأخرى

أما الخطة الثالثة فهى « الحيطة المشتركة » أو هى توحيد الصفوف بينهم و بين جميع الأمم التى تتعرض مثلهم لخطر واحد أو تقف معهم من المشاكل الحاضرة في موقف واحد .

فليس الغرض الوحيد من محالفة الجيران والأقربين تقرير المودة والسلام فيما يربطهم بأولئك الجيران ، ولكنهم يرمون الى غرض آخر مساوق لذلك الغرض فى مرماه ، ونعنى به إقامة السدود فى وجه كل عدوان محذور ، دون أن يتيحوا لمن يقصدهم بنية العدوان حق الشكوى والاحتجاج

***

ولا تناقض بين خطة من هذه الخطط الثلاث و بين اتصال المودة فى علاقة الترك بالبلاد العربية جميعها . سواء منها ما يتاخم الارض التركية أو ما هو بعيد بعض البعد عنها

ومن بواعث هذه المودة أن الترك لا ينظرون الى الاقطار العربية نظرة السيد الى أتباعه الخارجين من سلطانه . فقد كان الترك والعرب أجزاء من امبراطورية واحدة تفرقت بعد اجتماع وتباعدت بعد اقتراب ، وكان هذا خليقا أن يترك فى النفوس بعض المرارة أو بعض الحنين الى استئناف ما كان من سلطان قديم ، لولا أن الترك الكماليين والعرب المستقلين متفقون فى حكمهم على السلطنة العثمانية البائدة بوجوب الزوال والتبديل ، ومشتركون فى الثورة على حكومة لم تكن صالحة للحكم ولا للبقاء

***

لهذا نعتقد أن الترك والعرب أقرب اليوم الى التفاهم وحسن المعاونة مما كانوا وهم رعية خاضعة لراية واحدة ، ونعتقد أن الحرب الحاضرة وشيكة أن تزيد هذا الاقتراب فى ميدان السياسة كما تزيده فى ميدان المصالح الاقتصادية

لقد كان الترك والعرب فى الحرب الماضية يقاتلون في معسكرين متعاديين : هؤلاء الى جانب الالمان وهؤلاء الى جانب الحلفاء

أما اليوم وهم لا يتبعون راية واحدة كما كانوا فى الحرب الماضية فلهم معسكر واحد يقاتلون فيه اذا ساقتهم الحوادث الى القتال ، وهو معسكر الديمقراطية ، أو المعسكر المقاوم للشيوعية والنازية ، ومنهما ـ لا من غيرهما ـ الخطر على العرب والترك أجمعين

وليس معنى هذا أن مواضع الخلاف معدومة بين العرب والترك والديمقراطيين فان الخلاف لن ينقطع بين أبناء الأمة أو أبناء الأسرة بله أبناء الأمم المتباعدات ، وانما معناه أن الاخطار التى تصيب العرب والترك من طغيان الشيوعيين والنازيين على أرجاء العالم أفدح وأعضل من كل خلاف واقع أو يخشى وقوعه بين العرب والترك والديمقراطيين ، مع الامل

فى علاج هذا الخلاف وقلة الامل فى علاج الاخطار التى تحدق بالعالم أجمع إذا غلبت عليه الشيوعية والنازية معاذ الله

***

وستفتح الحرب الحاضرة أبواباً كثيرة وتغلق أبواباً أخرى من أبواب التجارة والمواصلات العالمية ، ولن يتم شىء من ذلك فى العالم القديم بغير مشاركة العرب والترك الذين ينزلون على ملتقى الطريق من أوربا وافريقية وآسيا ، والى جانبهم بلاد الامم المشتركة فى ميثاق سعد أباد وهى تمتد الى تخوم الهند والصين الغربية ، ولا ننسى التحول العظيم الذى طرأ على الصين بعد غارة اليابان على سواحلها الشرقية . فقد أخذ أبناؤها يهجرون الشرق الى الغرب ويتجمعون فى المواطن التى كان لها شأن كبير فى تجارة القرون الوسطى . فهل من البعيد مع سنوح الفرص وحسن استخدامها أن يعود الى البقاع القائمة على ملتقى القارات الثلاث شأنها فى تجارة العالم وسياسة الامم ومجرى الحوادث ؟ ؟ وهل من العسير أن يتنبه الساسة الايقاظ الى كل فرصة سانحة من هذا القبيل أو أن يخلقوها خلقاً كما استطاعوا ذلك ، وهم مستطيعون ؟ ؟

على أن المصالح التجارية بين البلاد العربية والبلاد التركية ليست فى ذاتها - اذا اقتصر الامر عليها - بالشىء القليل ، وليست نتائج الاهتمام بتعبيد الطرق فيها بالشىء الذى يزهد فيه من هو قادر عليه . فمن المنظور فى الحرب الحاضرة أن تتضافر الايدى على تنظيم المصالح الاقتصادية وتيسير المعاونة التجارية بين بلاد العرب والترك والبلاد القريبة منها ، ويساعد على هذه المعاونة أنها فى معظم الاحوال لا تتنافس على مصلحة واحدة أو مرفق واحد ، بل وجوه المساعدة بينها أكثر من وجوه التنافس والنزاع

خرج العرب والترك من أعقاب الحرب الماضية مستقلين أو ماضين فى طريق الاستقلال . فاذا خرجوا من الحرب الحاضرة وقد أتموا استقلالهم وجعلوا لهم حصة فى سياسة العالم ومرافقه النافعة فذلك اطراد فى التقدم والنجاح

عباس محمود العقاد

مصر فقيرة فى التعليم الجامعى

يجب أن يكون لنا جامعة فى كل عاصمة

حديث مع صاحب العزة الدكتور عبد الرزاق بك السنهورى

وكيل وزارة المعارف

الدكتور عبد الرزاق بك السنهورى من رجالات مصر المعدودين ، وهو علم من أعلام القانون والتربية والتعليم ، ومصلح اجتماعى كبير له أياد بيضاء فى كل منصب شغله ، وقد عرف بغيرته على المصلحة القومية وحماسته فى رفع مكانة مصر فى العالم . وقد تفضل فأفضى الى الهلال بهذا الحديث النفيس الذى أبدى فيه رأيه عن التعليم العالى ، وسياسة التعليم العام فى الوقت الحاضر

تعدد الجامعات لازم لمصر

قلنا لصاحب العزة السنهورى بك :

— هل من مصلحة مصر أن تتوسع فى التعليم الجامعى فى الوقت الحاضر وأن تنشىء عدداً من الجامعات فى الاسكندرية ، وأسيوط ، والمنصورة ، وسائر عواصم القطر ، أو أن تكتفى بجامعة فؤاد الأول بالقاهرة ؟

فقال عزته :

— إنى أفرق بين التوسع فى التعليم الجامعى ، وبين تعدد الجامعات فى مصر

« أما التوسع فى التعليم الجامعى ، فانى أرى أن المهم فى هذا التعليم هو تحسين النوع لا تكثير العدد . ومن هنا تجب العناية بترقية التعليم الجامعى لا بالاكثار من عدد طلابه

« وأما تعدد الجامعات فى أنحاء القطر ، فانه لازم لمصر فى حياتها الحاضرة ، فليس هناك بلد راق يكتفى بجامعة واحدة . وهذه هولاندا وعدد سكانها لا يتجاوز نصف عدد سكان البلاد المصرية ، ومع ذلك فان بها ست جامعات منتشرة فى مدنها الكبرى

« وخير من الاقتصار على جامعة واحدة فى القاهرة متضخمة بطلبتها وأساتذتها أن تكون

الى جانبها جامعة ثانية بالاسكندرية ، وثالثة بأسيوط حتى تنتشر البيئات العلمية العالية فى المدن الكبرى ، وحتى يكون هناك تنافس علمى بين هذه الجامعات المختلفة . فتتولد من وراء هذا التنافس الروح العلمية الصحيحة

« لذلك أرى أنه يجب السعى فى انشاء جامعة بالاسكندرية ، فليس عندنا الآن فى هذه المدينة جامعة مستقلة عن جامعة فؤاد الأول بالقاهرة . وانما هناك قسم لكلية الحقوق تابع لكلية الحقوق بالقاهرة ، وقسم لكلية الآداب تابع لكلية الآداب بالقاهرة

« وأتوقع فى السنوات المقبلة أن ينمو القسمان ، وتنشأ أقسام للكليات الأخرى كالطب ، والزراعة ، والتجارة ، والهندسة ، ومتى استكملت الأقسام كلها أو أكثرها اندمجت فى جامعة مستقلة تؤلف جامعة فاروق الأول بالاسكندرية

« ثم يأتى بعد ذلك دور جامعة أسيوط . وأعتقد أن مستقبل التعليم الجامعى فى مصر متجه نحو هذا التوسع

مصر وكفايتها من المثقفين

فقلنا لعزته :

— وهل تظنون أن مصر بلغت كفايتها من المثقفين بالدراسات العالية ؟

فأجاب :

— إذا جاز أن نقول إن مصر قاربت أن تبلغ كفايتها من المثقفين بالدراسات العالية من حيث الكم ، فلا يجوز أن نقول هذا من حيث النوع ، والدليل على ذلك أن المتخرجين من كل كلية يعدون الآن بالآلاف ، ولكن قل أن نجد بينهم العلماء الممتازين ، ولا أقول العلماء العالميين الذين زادوا فى الثروة العلمية

الفتيات المصريات والمحاماة

فقلنا :

— وهل من الصواب فتح أبواب كلية الحقوق لتخريج محاميات مصريات يزاحمن المحامين ، أو ترون قصر التعليم النسوى على النواحى المتعلقة بوظيفة المرأة ؟

فأجاب :

— أرى أن يتجه تعليم الفتيات الى النواحى التى يكون فيها هذا التعليم مفيداً للمرأة والمجتمع . وليس من الحكمة أن نزيد عدد المحامين المتعطلين بعدد آخر من المحاميات . وخير تعليم للمرأة فى اعتقادى هو التعليم الذى يعدها لأن تكون معلمة أو طبيبة أو ممرضة

التعليم العسكرى

قلنا :

— يتجه التعليم فى بعض الامم الآن نحو نشر النظام العسكرى ، وتقوية الروح العسكرية فى البلاد ، فهل من مصلحتنا أن يتجه التعليم فى مصر هذا الاتجاه ؟

فقال :

— من الخير أن تقوى الروح العسكرية فى البلاد المصرية الآن بعد أن زادت تبعات مصر فى الدفاع عن نفسها . ولكنى لا ارى تسخير التعليم لخدمة الجيش وحده ، بل يجب أن يخدم ـ الى جانب الحياة العسكرية ـ ضروب النشاط الاقتصادى ، والزراعى ، والتجارى ، والصناعى ، فالثروة المادية تكمل القوة الحربية وتغذيها ، ولا أرى تحويل الصناعات كلها الى صناعات حربية ، فان مصر فى حاجة الى صناعات أخرى تنمو بها مواردها الاقتصادية . وقد عنيت وزارة المعارف عناية خاصة بالتعليم الفنى من صناعى وزراعى وتجارى ، كما أنها عنيت أشد العناية بالتدريب العسكرى فى المدارس الثانوية ، والمدارس الفنية ، وقد أصبح هذا التدريب اجبارياً ، وقسم الى مراحل منظمة ، وفى وسع الطالب بعد مرحلة التعليم الثانوى أن يتابع تدريبه العسكرى فى الجامعة ، وأن يصل فى ذلك الى درجة عالية تؤهله لأن يكون من الضباط الاحتياطيين

«وقد رأت الوزارة فى هذا العام أن تنوع التدريب العسكرى ، وتعدل برامجه حتى يقبل عليه الطلاب . فيتذوقوا معنى الحياة العسكرية ، وتصبح محببة الى نفوسهم»

التربية والسلام العام

هل تتغلب التربية على نزعة الحرب بين الامم ؟

بقلم الدكتور أمير بقطر

رئيس قسم التربية بالجامعة الامريكية بالقاهرة

لماذا يحارب الانسان أخاه الانسان ؟ وهل يمكن أن تتغلب التربية السلمية على نزعة القتال فى نفوس الأفراد والجماعات ؟ وما هى الوسيلة الى ذلك ؟ وكيف حاول المصلحون ورجال التعليم فى الماضى نشر روح السلام ، ولماذ فشلوا ؟ — والى أى درجة نستطيع أن نتخذ التربية وسيلة لتوطيد السلام فى العالم ؟ — ذلك ما تناوله الاستاذ الدكتور أمير بقطر فى هذا المقال النفيس [المحرر]

كان الخوض فى هذا الموضوع بعيد سنة ١٩١٨ وقبيل سنة ١٩٣٣ يجر الى حديث شائق طريف ، مشبع جوه بالامل والرجاء والتفاؤل . أما اليوم فلا مفر من الشعور باليأس والتشاؤم ، قبل أن نخط فى هذا المقال حرفا ، ولولا ان « الهلال » قد فرضت على التحدث فى هذا الموضوع فرضا ، لما دار بخلدى أن أنبش عن رمة بالية دفنت منذ سنوات ، وأسطر على القرطاس أقوالا طالما ملأت بها صفحات فى عدة مجلات . على ان الرجاء فى كل زمان خير من اليأس ، والتحفز للنصر خير من التقهقر للهزيمة ، وان كان الاول عسير المنال . فلا بأس اذا من اعادة البحث مستعينين أولا بعلمى النفس والاجتماع ، وثانيا بمراجعة الجهود التى بذلت منذ نهاية الحرب العالمية الكبرى الى الآن فى سبيل السلام ، فى معاهد التعليم على اختلاف درجاته ، وفى مؤتمرات التربية الدولية ، وجماعات الطلبة والشبان ، فى عدة بلدان

الدافع على الحرب عند علماء النفس والاجتماع

وللاستعانة بعلماء النفس يلزم الرجوع الى سيكولوجيا الافراد أولا ، وسيكولوجيا الجماعات ثانيا . أما عن الاول ، فان الدافع الى الحرب والقتال هى غريزة المحافظة على النفس فى الافراد ، وهى وما يتصل بهـا من الغرائز الفرعيـة ، كالجوع ، والغضب والخوف والمشاكسة ، من أقوى الغرائز فى الحيوان والانسان ، وان لم تكن أقواها وأشدها بطشا . ووظيفة التربية تهذيب هذه الغريزة فى الانسان وصقلها ، أسوة بسائر الغرائز ، الا ان العلماء

متفقون لسوء الحظ على ان كل ما استطاعت الجهود الانسانية عمله فى خلال الخمس والعشرين سنة الماضية ، بما فى ذلك وسائل التربية ، انها دهنت الغريزة البشرية بطلاء خفيف شفاف لا تكاد تهب فوقه ريح ، حتى تبدو الطبائع الانسانية تحته ، وكأنها هى بعينها تلك الطبائع الحيوانية الفظة الخشنة التى كان عليها أجدادنا ، قبل أن ينفصل الآدميون عن القردة أو سواهم من ذوات الاربع ، واذا شئت الدليل على ذلك فما عليك الا أن تتصور أرقى بلدان العالم بغير حكومة بضع ساعات ، وتفكر مليا فى النتيجة . فالنتيجة ، رغم كل تربية ورقى ومدنية ، نهب ، وسرقة ، وتقتيل ، وهتك أعراض

هذا عن سيكولوجيا الافراد ، أما عن الثانى وهو سيكولوجيا الجماعات ، فان العلماء يحدثوننا عن «سيكولوجيا الرعاع» mob psychology وحسب القارىء أن يستدل عما أريد الاشارة اليه بهذا التعبير الغريب . فقد يكون الافراد مهذبين ، نالوا أرقى درجات التهذيب ، ومثقفين بلغوا أسمى درجات الثقافة . وقد يكون الفرد فى ذاته من أسمى طبقات البشرية ، يستطيع كبح أشد غرائزه الاصلية ، وان ظلت الجماعة التى يعيش فيها ، زمنا بغير حكومة . قد يكون هذا محتملا . ولكن سرعان ما يصبح هذا النوع من الافراد عضوا فى جماعة متضامنة ، تعمل كتلة واحدة ، حتى يصبح وحشا ضاريا عند اللزوم ينهب مع الجماعة ، ويسلب ، ويقتل ، ويهتك الاعراض . ودليلنا على ذلك ان الجنود التى تقاتل ، فتدخل بلد الاعداء حاملة لواء النصر ، ترتكب (كجماعة متضامنة) من الذنوب والفضائح ما تقشعر منه الابدان ، وان كان أفرادها من متخرجى أرقى الكليات والجامعات ومن أعرق البيوتات كذلك قد يدب الخلاف بين حزبين فى مجلس نيابى أو وزارة من أرقى المجالس أو الوزارات فسرعان ما يتنابذون ويتشاتمون ويتضاربون ، وكأنهم ليسوا بأعضاء مجالس نيابية أو وزراء . وتفسير هذه الظاهرة الغريبة يجده القارىء مفصلا فى « سيكولوجيا الرعاع » أو عقلية الغوغاء

هذا عن طبيعة الانسان كما فصلها علماء النفس من الناحية التى اتخذناها عنوانا لموضوعنا . أما عن نظام المجتمع كما فصله لنا علماء الاجتماع فانه كالانظمة الاقتصادية والسياسية ، لا تزال مشاكله أعقد من ذنب الضب ، ولا يزال علماء الاجتماع عاجزين عن حل المسائل الجغرافية والاقتصادية والسياسية التى تكدر صفو العلائق بين الامم فتدفعها الى الحرب وتجرها مكرهة الى حومات الوغى . ومع تقدم العلم والصناعة والاختراع فان كل مايختص بالعلائق الدولية والسياسية والمشاكل الاجتماعية ، يقف أمامها المرء حائرا مكتوف اليدين . ويخرج الباحث مما سبق بالنتائج الآتية :

أولا — ان أكبر حادث فى تاريخ البشرية هو تقدم العقل البشرى وتطوره تطورا أغرق به العالم بطوفان من العلوم والمخترعات والاستكشافات والوسائل المادية لحضارة لم يسبق للعالم عهد بها

ثانيا — ان طبيعة الانسان ، غرائزه ووجدانه ، ميوله وعواطفه ونزعاته . لم تكد تتزحزح

بوصة واحدة عما كانت عليه في العصر الذي كان فيه أسلافنا يتسلقون الاشجار ويمشون على سيقانهم الاربع

ثالثا ــ ان الفرق الشاسع بين التقدم المدهش في العقل الانساني . والتأخر الشنيع في عاطفته ، أخل بالتوازن العالمي اخلالا يزداد تعقدا عاما بعد عام وأصبح العلم الذي ينقذ الناس أفرادا في زمن السلم ويعمل على رفاهيتهم،يحصد أرواحهم جماعات في زمن الحرب ويجعل العلائق بينهم وتوزيع مصادر الثروة الدولية بغير تصادم،أمرا في عداد المستحيلات

رابعا ــ ان علماء الاجتماع ــ وهم أحدث العلماء قاطبة ــ عجزوا عن التوفيق بين العقل والعاطفة في الجماعات كما عجز علماء الاخلاق والدين بين التوفيق بينهما في الافراد

خامسا ــ حيال هذه النتائج الاربع السالفة الذكر،يتساءل علماء التربية هل من المستطاع توطيد أركان السلام الدولي بأساليب التربية الحديثة ، مناهجها ، ونظمها ، وحسن نية المهيمنين على شئونها . والجواب عن ذلك ان الاصلاح لا يعد زمانه بالاعوام بل بالاحقاب والاجيال وان كل جهد يبذل في هذا السبيل ، لا بد أن تظهر آثاره في أحفاد أحفاد أحفاد الاحفاد ، ان لم يتسن لها الظهور حالا . ومهما قيل عن توحش دولة من الدول الحديثة في وسائل القتال ومعاملة الاسرى والنساء والاطفال من بلاد الاعداء ، فان هذا التوحش لا يعد شيئا اذا قيس بمثله في القرون السالفة . وما هذا التحول سوى نتيجة لذلك التهذيب والصقل الذي طرأ على طبيعة الانسان ، وان كان ضئيلا . فاذا ما بذل المربون جهودهم في سبيل السلام اليوم ، وأينعت ثمارهم على مهل ، وبدت واضحة بعد ألفي عام ، فان النتيجة تكون للتربية نصرا مبينا

الاهواء السياسية ومعاهد التعليم

ومما نسجله بمزيد الاسف ان الاهواء السياسية قد طغت على معاهد التعليم كما طغت على كل شيء آخر ، فعملت تلك المعاهد بعد الحرب العظمى على تقويض أركان السلام ، ببث السموم في نفوس الطلاب ، والمغالاة والتطرف في الحركة القومية . ولم تخل مملكة واحدة من هذه الحركة حتى أشدها ميلا للديمقراطية.وربما يذكر القراء ان وليم توماس William Hall Thomas عمدة شيكاغو بأميركا نشر منذ سنوات كتبا دراسية تاريخية حمل فيها حملات شعواء على انجلترا . وبعد أن تناولها الطلاب فترة ليست بصغيرة من الزمن أوقف تدريسها بعد أن قامت بينه وبين السلطة المركزية في واشنطون حرب ضروس . ولم يكن الباعث له على وضع هذه الكتب سوى انه من أصل ارلندي والعداء المستحكم بين ارلندا وانجلترا لا يحتاج الى ايضاح

وقد كانت ألمانيا في عهد الديمقراطية أي قبل قيام النازي شغوفة بنشر روح السلام بين طلابها ، فقد نص الدستور الالماني على تقوية هذه الروح ودراسة أنظمة جمعية الامم كما سيأتي وأنشأ آل كارنجي المثرى الاميركي الشهير معهدا دوليا في برلين سنة ١٩٢٧ غرضه نشر

مبادىء السلام العام ودراسة القانون الدولي وتاريخ العلائق الدولية ، وما كاد يتولى هتلر زمام الحكم حتى أمر باغلاقه لتصادمه بسياسة النازى والروح العسكرية المتغلغلة فى دم الشعب الالمانى . ولم تمض سنوات حتى حشيت الكتب الدراسية بسموم الكراهية نحو جميع الشعوب . ولا بأس من التمثيل لذلك من كتب الاطفال !

من كتاب فى التاريخ ـ « .. كانت انجلترا القوة الدافعة للحرب العالمية .. ولولا المستعمرات لكانت فرنسا دولة عديمة القيمة ، اذ أن سدس سكانها من غير البيض ، ويصعب أن نعد الفرنسيين من الشعوب البيضاء . أما الروس فقد اختلطوا بالمغول فزالت عنهم صفات الامم الشمالية Nordicas وجف من عروقهم آخر نقطة من دماء تلك الامم ، فلا غرابة اذا عقمت الامم السلافية ، واشتهر أهلها بالقذارة والخيانة ، والخنوع ، وسهولة الهياج ، وسائر الصفات الوضيعة التى اشتهر بها الدم المنغولى»

من كتاب فى الحساب ـ « طيارة سرعتها ٢٤٠ كيلومترا فى الساعة طارت الى مكان يبعد ٢١٠ كيلومترا لالقاء القنابل فمتى تعود اذا كان القاء القنابل يستغرق ٧ دقائق ونصف دقيقة .. وبعد كم ساعة تصل موسكو (١٩٢٥ كيلو من برلين) وكوبنهاجن (٤٨١ كيلو من برلين) وفارسوفيا (٨١٧ كيلو من برلين) ؟ »

من كتاب فى النحو (مثال للمبتدأ والخبر) ـ « قاذفات القنابل الالمانية تجلب للعدو الدمار »

عبارة شعرية من كتاب للمطالعة ـ « يا نسمات البلطيق ، يا نسمات السويد ، يا نسمات الكربات ، كم هبت من الشرق ألوف السنوات ، وكم رددت بأنغامك مجد ألمانيا التليد» (١)

نشر السلام بين طلاب العلم

ورغم القومية المتطرفة وبث الروح العسكرية فى المدارس الثانوية والجامعات فى كثير من البلدان ، فقد تأسست جمعيات لا حصر لها لنشر مبادىء السلام بين طلاب العلم فى مختلف البلدان . فمن المشاهد العظيمة فى مدينة نيويورك قصر منيف من ناطحات السحاب ، يشرف برجاه الذاهبان فى سماء المدينة على نهر الهدسون وما وراءه من تلال «الباليسيد» الخضراء ، ومما يرى الزائر عند اقترابه من بابه الذى ينبىء عما فى داخله من عظمة ومجد هذه العبارة المنقوشة على واجهته ، وهى « حتى يسود الاخاء » وليس هذا القصر الا ناديا من أكبر أندية العالم شاده جون روكفلر لطلبة نيويورك الاجانب (ما عدا عشرة فى المائة من الاميركيين) وجهزه بغرف النوم والحمامات والمطاعم وقاعات المحاضرات والموسيقى والرقص والالعاب الرياضية ، وانتقت أثاثه الفخم مدام روكفلر بيدها ، ويبلغ عدد أعضائه ألفا وخمسمائة أكثر من نصفهم من الاناث ، ويمثلون ٧٥ أمة

---

(١) عن كتاب بالانجليزية (مدرسة للبرابرة) تأليف الآنسة اريكا توماس مان كريمة الكاتب الالمانى الشهير

ويرمى القائمون بأمر انشائه الى توطيد العلائق بين مختلف الامم ، وقد أنشأ روكفلر مثله فى شيكاغو وآخر فى بركلى (كليفورنيا) وآخر فى مدينة الجامعة بباريس • وقد بلغت نفقات الاخير مليون ريال ، ومما يؤيد ما أبديناه فى صدر المقال اننا شاهدنا فى تلك البيوتات رغم الغرض منها عداء بين الطلبة الصينيين واليابانيين ، وبين الكوريين واليابانيين ، والهنود والانجليز، وتباعد أو عدم اختلاط على الاقل • ولا أنسى يوما الحادث الآتى ، وهوانى كنت مع خمسين طالبا من ٢٥ أمة ضيوفا على المعهد الدولى فى نيويورك فى رحلة طويلة لزيارة عدة مدارس وكليات فى أنحاء أميركا • ولما حططنا رحالنا فى بلدة من ولاية كرولينا الجنوبية هزت أحد أعيانها النخوة لدعوتنا جملة للنوم والاكل ، ووزعنا فى قصره المنيف على عدة غرف ، وصادف أن وضع طالب يابانى مع طالب صينى فى غرفة كبيرة • ولما حان موعد العشاء بحثنا عن الطالب الصينى فلم نجده ، اذ أنه هرب من باب الخدم حاملا حقيبته بيده وبات فى فندق تخلصا من عشرة زميله

متناقضات فى متحف ميونخ

ومن المشاهد الجميلة التى لا تفوت الزائر لمدينة مونيخ الالمانية رؤيته تمثال ذهبى بالغ الغنى فى تجميله وصقله • وهو صورة ناطقة لملك كريم يخفق بجناحين ملوحا الوداعة والسلام، فوق سارية دقيقة ذاهبة فى الفضاء، وعلى مقربة من التمثال ترى حديقة صغيرة توسطها نافورة ينبجس منها الماء وتحيط بها مقاعد خشبية لمن يريد الجلوس ، والتمتع بجمال التمثال البديع وبالماء المتدفق

وكلما مرت سيارة من السيارات الفخمة التى تقل ألوفا من السياح يوميا الى الاماكن الحرية بالرؤية فى المدينة ، أوقفها السائق أمام التمثال ، ونهض الدليل من مكانه يتلو بالالمانية والانجليزية (والفرنسية أحيانا) حكاية التمثال ، وكيف ان الالمان نصبوه هناك سنة ١٨٧١ رمزا لميثاق السلام الذى عقد بينهم وبين الفرنسيين أثر حرب السبعين • ولا يكاد يفرغ من تلاوة هذه العبارة حتى ينظر السياح بعضهم الى بعض ويتبادلون هذه النظرات مع الجالسين من أهل مونيخ على المقاعد الخشبية ، ويحاول الجميع اخفاء ابتسامات تحار على شفاههم ، لا يجهل معانيها من يتتبع سير الحوادث من سنة ١٨٧٠ الى سنة ١٩١٤ وما بعدها الى اليوم

لنترك الآن ملك السلام ولنسر بالقارىء بضع دقائق الى متحف مونيخ الاهلى الذى يعد أعظم متحف علمى فى العالم • هنالك تجد نماذج حية ناطقة متحركة للآلات البخارية والقوات المائية ، ومناجم الفحم والحديد ، ومد الخطوط الحديدية ، وبناء السفن ، وشرح النظريات الطبيعية فى الحرارة والضوء والصوت والمغناطيس والكهرباء واللاسلكى وأشعة اكس بأجهزة متينة ضخمة يستطيع الزائر استعمالها بنفسه أو بارشاد الموظفين

اترك هذا وذاك فى هذا المتحف العجيب ، واذهب معى الى ناحية أخرى من نواحيه

المتشعبة ، وهي بيت القصيد . هنا في هذه الناحية تجد نماذج مخيفة مزعجة بحجمها الطبيعي . مدافع ، مقذوفات نارية ، قنابل ، مفرقعات ، غازات سامة ، كمائم للوقاية منها ، جرحى ، قتلى ، خنادق حالكة الظلام ينبعث منها ضوء ضئيل وتلوثها الرطوبة والماء المتسرب من فوق ، والجنود واقفون فيها كالاصنام ، ثيابهم قذرة مبللة ، وظهورهم مثقلة بحقائب الذخيرة المشدودة الى أجسامهم

حقا انها لمتناقضات تمثال لميثاق السلام وعهد الصداقة، ومتحف للقتال وازهاق الارواح، وتدمير القلاع والحصون ، وتخريب المدن العامرة ، وتسميم الابدان البشرية وقتل النفوس البريئة

ولم تعد التماثيل وحدها دواء ناجعا لبث روح السلام في العالم ، وتوثيق العلائق بين الامم . بل الحقيقة انها كانت رمزا خياليا لا غير . ففي الوقت الذى كانت فيه تماثيل العهود الودية الدولية تزين ميادين برلين وباريس ولندرة وفينا وروما وبروكسل، كانت معاهد التعليم في كثير من البلدان تسمم نفوس الشباب بالكراهية والعداء للامم المتنافسة ، وتصور لهم ميادين الحروب كساحات تتوج فيها رؤوسهم بأكاليل النصر . وكانت كتب التاريخ والجغرافيا وعلم سياسة الدول والتربية الوطنية تفيض بالمعلومات الكاذبة والعبارات العدائية الجارحة للدول الاخرى . وكان المؤلفون يحشون الكتب الدراسية بالاقوال الحماسية الجوفاء الخلابة، فتلعب نشوتها بعقول الاطفال السذج ، ويشبون ودماؤهم مسممة بالعدوان ، مشبعة بحب القتال ، حتى اذا ما هبت عاصفة دولية في جو السياسة ، ألفت منهم ليوثا يهرعون الى الهيجاء لاول نداء ، وأضرمت في الامة جمعاء جذوة لا تطفأ حتى تبيد ما حولها من الامم الاخرى، كمخزن البارود ينفجر اذا ما اتصل به شرر، ولا يخمد حتى يدمر ما حوله ، وقد انتشرت مثل هذه الكتب في ألمانيا وايطاليا واليابان بين سنة ١٩٣٥ والآن على الاخص . برغم ذلك أخذ رجال التربية في أكثر البلدان ينادون بنشر السلام في معاهد التعليم بشتى الوسائل

حديث السلام في مؤتمر المعهد الدولي ومؤتمر التربية

وقد شاقني ما رأيت في مؤتمر المعهد الدولي ومؤتمر التربية العالمي اللذين انعقدا في جنيف بسويسرا في أواخر يوليه وأوائل أغسطس سنة ١٩٢٩ ، من حماسة مندوبي فرنسا وألمانيا وما سمعت من الآراء والتقارير التي أدلوا بها تعزيزا لانتشار مبادىء السلام في مدارسهم

ومما جاء في خطبة الاستاذ تلفار أحد مندوبي فرنسا للمؤتمر الدولي في هذا الصدد انه منذ سنة ١٩١٩ أخذت نقابة المعلمين في فرنسا تمحو من قوائم كتب الدراسة في مدارسها جميع الكتب والمؤلفات والنشرات التي ترمي الى التفريق بين الامم وتقوى الميل للخصام والحرب . وتنشر النقابة في مجلاتها أسماء الكتب والفقرات والصفحات التي تنشر مخالفة

لمبادىء الصفاء والوئام وحب الانسانية ، وتطلب من المؤلفين والناشرين والحكومة حذفها من قائمة الكتب المقررة ، وتحذر الطلبة والمعلمين استعمالها وتطلب من المشتغلين بالتعليم تمزيق ما يصل الى أيديهم منها واعدامه

وقال أيضا ان فى كل مدرسة ابتدائية وثانوية فى فرنسا اليوم وضع أولو الامر نظاما بمقتضاه يقف الطلبة على حياة العظماء والعلماء من جميع البلدان ، وذلك أن ينتهز المعلمون فرصة أعياد ميلاد هؤلاء لسرد تواريخ حياتهم بايجاز ، وذكر الخدم الجليلة التى أسدوها للانسانية باستكشافهم ومخترعاتهم ومؤلفاتهم ، فلا يمر العام المدرسى حتى يعلم الطلبة شيئا عن جيمس واط وجوته وشكسبير ودانتى وشوبنهور ، وأديسون وبستور وروسو واستيفنسن وواشنطون ولنكولن وغيرهم من عظماء العالم الذين أضافوا صفحات ناصعة البياض الى تاريخ المدنية ، بغض النظر عن جنسياتهم

وقد جاء فى رسالة دكتور فريدرك جايزلر الاستاذ فى جامعة برلين ، التى ألقيت فى مؤتمر جنيف ان الدستور الالمانى للجمهورية الجديدة قد قضى على نظام التعليم الذى خطه الاباطرة الالمان خدمة لمطامعهم الاشعبية الحربية ، ونص بعبارة واضحة على بث مبادىء الصداقة فى نفوس الشباب ، وهذا هو نص الدستور بحروفه : —

« ليكن غرض التعليم فى جميع المعاهد تكوين الشخصية الاخلاقية ، وتقوية الشعور الاجتماعى القومى ، وتنمية الكفايات للمهن والاعمال المختلفة ، وفوق ذلك كله توطيد دعائم السلام العالمى ، وبث حسن النية فى العلاقات الدولية »

وأردف هذا بقوله « وتطبيقا لنص الدستور الالمانى تعمل المدارس على غرس حسن التفاهم الدولى فى طلبتها بكل وسيلة ممكنة ، وندرس نظام جمعية الامم التى تبذل كل جهودها فى بث روح السلام ، وكلما قامت مشكلة قومية وتدخلت جمعية الامم فيها ، وجهنا أنظار شبابنا اليها ، وعلاوة على ذلك اننا ندبر كل سنة رحلات طويلة لطلبتنا حتى يتيسر لهم السفر للخارج وزيارة الممالك الاجنبية والوقوف على ما عندهم من تحف وآثار ومدنية وبذلك يزداد حسن التفاهم والميل للصداقة الدولية . وقد اتبعنا ايضا طريقة المراسلات الدولية التى يستطيع بها الطلبة مراسلة زملائهم من ممالك أخرى وتبادل صورهم الفوتوغرافية على غير معرفة سابقة . هذا كله فضلا عن نشر تعليم اللغات الاجنبية ودرس آدابها »

ولا يتسع المقام لسرد شىء مما دار من المناقشات والمباحثات فى جلسات المؤتمرين المشار اليهما فى هذا الموضوع ، وحسبى أن أقول ان مندوبى الدول الكبرى كانوا يتدفعون فيما يتعلق بالطرق التى يتخذونها فى مدارسهم لنشر هذه المبادىء ، فلا يجد السامعون حدا لايقافهم . وقبل افتتاح مؤتمر التربية العالمى كان الزائر يشاهد فى الاماكن والميادين العامة فى جنيف اعلانات ملونة جذابة كبيرة الحجم وقد كتبت عليها هذه الجملة L'éducation arrachera... la guerre أى « ... الحرب تقفها التربية »

وقد أنشىء في باريس مكتب لمعهد روكفلر الدولي ترأسه الآنسة مرغريت ولسن التي كانت أمينة لمكتبة جمعية الامم في باريس ، وغرض هذا المكتب توزيع عدد كبير من الكتب والمؤلفات التي تبحث في القانون الدولي العام وسياسة الدول على الجامعات في كل أنحاء العالم بغير مقابل ، بشرط أن توضع هذه الكتب في مكتبة الجامعة المهدى اليها ليطلع عليها الطلبة • وقد روعي في تصنيف هذه الاسفار تجنب العبارات والاكاذيب التي تكدر الصفاء الدولي • وقد حضرت الآنسة ولسن سنة ١٩٢٧ الى القاهرة وعرضت هذه الفكرة على مدير المكتبة الملكية وعميد كلية الآداب بالجامعة المصرية ، ولكنها لم تصادف نجاحا • وقد اتصل أحد أساتذة كلية الحقوق بعد ذلك بمعهد روكفلر بباريس فأقر مجلس الكلية قبول هذه الكتب،وقبلت أن يبعث أحد موظفيها لدراسة نظام المكاتب في باريس على حساب معهد روكفلر

جهود المصلحين ورجال التعليم في سبيل السلام

وقد اختمرت الفكرة في أذهان المصلحين والاغنياء ورجال التعليم في الفترة السابقة لقيام النازية حتى هب لتحقيقها عدد يذكر من الافراد والجماعات ، ونذكر ان الديلي ميل (طبعة باريس) نشرت في صيف ذلك العام نداء مؤثرا لاحد أصحاب الملايين الاميركيين وتبلغ ثروته ستة عشر مليونا ، تطوع فيه أن يضع تحت تصرف لجنة خاصة أكثر ثروته لنشر فكرة السلم العالمي بوساطة معاهد التعليم • ومن أكبر محسني العالم كرنيجي الذي بلغت تبرعاته نحوا من مائتي مليون ريال ، ولا يزال معهد كرنيجي يواصل أعماله العظيمة لنشر السلام الدولي عن طريق التربية ، وقد ظل آل كرنيجي منذ نهاية الحرب العظمى الى عهد قريب يتبرعون بمكتبات للهيئات العاملة على توطيد العلائق الدولية بمعدل ثلاث مكتبات في اليوم الواحد • ولايتسع المقام للكلام عن مئات الجماعات والاندية والمكتبات العامة والمناهج الخاصة التي وضعتها الجامعات والمدارس الثانوية خاصة ،حتى يسود الاخاء بين الامم والشعوب على اختلاف قومياتهم وأديانهم وسلالاتهم وألوانهم ، في جميع أنحاء العالم

ومهما يكن من شيء فان دعاة السلام كبرنارد شو وبرتراند رسل في انجلترا وبوكمان زعيم جماعة اكسفورد(١) في اميركا ومئات من رؤساء الكليات ومديري المعاهد ــ مهما يكن من شيء فان هؤلاء مع حسن نياتهم قد جلبوا على العالم الكارثة التي تراها تمثل على المسرح العالمي اليوم•فحركات السلام هذه ظلت تبث في النفوس الاطمئنان في البلدان الديمقراطية في الوقت الذي كانت فيه الدول الدكتاتورية تضرم نار الروح الحربية في نفوس ابنائها•

---

(١) ولا علاقة لها بجامعة اكسفورد بل على النقيض من ذلك تشمئز هذه الاخيرة من ان تستحل اسمها جماعة كهذه لا تربطها بها صلة

ونتج عن ذلك ان الشباب في أميركا وانجلترا وفرنسا وبلجيكا ودانمركة والسويد ونروج وغيرها لانت عريكته واطمأنت نفسه وضعفت فيه نزعة القتال(١) حتى دفاعا عن النفس، وانصرف عن التدريب العسكري الا ما كان منه تنفيذا لقوانين تكاد تكون صورية. حدث ذلك في الحين الذي قام طلاب العلم عن بكرة أبيهم في اليابان وروسيا وألمانيا وايطاليا باعداد أجسامهم وعقولهم ونفوسهم للحرب ، وتوطين النفس على الشجاعة والاقدام والاستماتة في سبيل الواجب. وقد رأينا في مدارس رياض الاطفال صغارا في بذل عسكرية يتناوبون حراسة مدارسهم والسيوف والبنادق في أيديهم ، وكانوا في وقوفهم وسيرهم يقلدون الجنود في ساحات القتال

وما كانت نزعة السلام ترمى بسهام النقد لولا انها تناولت دولا دون الاخرى . أما وقد بث فكرتها في بلد وبث نقيضها في بلد آخر فقد شجع ضعف الشباب في الاولى على شموخ الزعماء في الثانية بأنوفهم والتهديد بسلاحهم ، وتمليةارادتهم على أنصار السلام والوقوف في وجه العالم بأسره

ونختم المقال بتوجيه السؤال الآتي ، وهو الى أي درجة نستطيع أن نتخذ التربية وسيلة لتوطيد السلام في العالم ؟ والجواب في اعتقادي انه بالرغم من كل تشاؤم، وبالرغم من الاحقاب التي تتطلبها الجهود في هذا السبيل ، فان معاهد التعليم من رياض الاطفال للجامعة يلزم أن تكون مناهجها ونظمها ونواحي النشاط فيها وطرق التعليم والجو المدرسي وكل ناحية من نواحيها متجهة باخلاص الى تنمية هذه الروح ، بشرط تدريب الطلاب على المبادىء العسكرية الاولية حتى يدافعوا عن أوطانهم وأوطان جيرانهم متى حلت الكارثة ، وحاول طاغ من الطغاة زعزعة السلام . ولبلوغ هذه الامنية البعيدة يلزم (أولا) توخي الصدق في وضع الكتب المدرسية ، التاريخية والجغرافية والعلمية وحذف كل ما يشتم منه الطلاب روح العداء نحو دولة أخرى ، وبث شعور الاخاء الدولي في النفوس بتفهيم النشء ان المدنية متاع مشاع للجميع تضافر الناس من جميع الامم على وضع أسسها ، وتبادل الأساتذة والطلبة بين مختلف البلدان ، وتنظيم الرحلات والمراسلات الدولية بين هذه الامم . ويلزم (ثانيا) أن تكون العلوم العسكرية ، النظرية منها والعملية ، اجبارية في جميع معاهد التعليم كما هي الآن في ايطاليا وألمانيا ، بشرط أن يكون الغرض منها دفاعيا لا هجوميا كما أبنا ، وبشرط ألا يحس الطالب بأية وسيلة كانت ان دولة أو دولا معينة تضمر لبلاده العداء وأن يتأهب لمقاتلة جنودها يوما ما

أمير بقطر

(١) ويذكرنا هذا بحكمة شكسبير البالغة في رواية مكبث وهي قوله : الطمأنينة ألد أعداء الانسان « Security is mortal's chiefest enemy » وقول الطغرائي في لاميته المشهورة :

حب السلامة يثني هم صاحبه عن المعالي ويغري المرء بالكسل

نفسية زعماء العصر الحاضر

على ضوء مذهب فرويد

بقلم الدكتور ابراهيم ناجى

هتلر بنيت نفسه على غريزة التحدى ، ستالين

تغلب عليه غريزة الذات ، موسولينى يوازن

بين ما فى الخارج وما فى نفسه ، تشمبرلين

مثال للرجل العملى الذى لا يستسلم للخيال

قبل أن نحلل نفسية الزعماء نستعرض مذهب فرويد ، وليس الكلام عن فرويد بالأمر الهين. ان الكلام عن جزء بسيط مما جاء به فرويد ليقتضى مجلدات بحالها ، فما بالك بالمذهب بأكمله !

إنا لنخشى أن يكون الايجاز مضيعاً لجلال الموضوع على أنا سنحاول بقدر المستطاع بسط ما ذهب اليه فرويد ، مستعينين بآخر المراجع الحديثة . وأمامى الآن مجلد هائل من دائرة المعارف الطبية البريطانيـة يكاد يكون عن فرويد . وانى لحائر ماذا أذكر وماذا أدع . وان الكلام عن شخصية فرويد وحدها لأمر لا غنى عنه عند التحدث عن مذهبه

لقد صار « التحليل النفسى » دراسة مقررة على الأطباء . وكل كتب الطب الحديثة تعنى بهذا الباب عناية تامة

وأنا لا أعتقد أن الطبيب يكمل فنه بغير درس نفسية المرضى . فللروماتزم جانب من العوامل النفسية وللربو جانب ، ولأمراض القلب جانب . وهكذا

ونحن فى عصر تعقدت فيه النفسيات ، وكثرت « مركبات » النفس ، وكثر « الكبت » وأخذت العوامل « الجنسية » تحتل جزءاً هاما من حياة الناس وتفكيرهم

بل نحن فى عصر رجع الناس فيه الى بربريتهم الاولى . وقد قرأت أخيراً مقالا شائقا لجاستون راجو عن فرويد ، جاء فى آخره أن فرويد تقابل مع برجسون ، والأخير يعانى الآن آلام الشيخوخة

والمرض ، فتحادثا عن الانسانية ومآلها ، فاتفقت سيكولوجية فرويد مع فلسفة برجسون فى نقطة واحدة ، وهى ان الانسانية مع الأسف لا يرجى لها صلاح كبير ، وأن الخير الذى يأتيها على يد أفراد قلائل هو كالجواهر التى تضاف الى الثروة العامة ، ولكنها لا تغير من عنصر المجتمع ولا تصلح من أساسه المعطوب !

خلاصة نظرية فرويد

نظرية فرويد تتلخص فى النقط التالية :

(١) ان النفس الانسانية مكونة من قوى « ديناميكية » ، وان النضال الذى بين هذه القوى من جهة ، وبين العالم الخارجى من جهة أخرى هو الذى عليه المعول فى توجيه الانسان وغاياته

(٢) لم يكتشف فرويد « العقل الباطن » كما يظن البعض ، فقد كان معروفاً من قديم وقد أشار اليه كل فيلسوف معروف ، ولكن فرويد درسه ، وبين القوى التى تتصارع فيه

(٣) ذكر فرويد ان أقوى القوى غريزة « الحب » ولم يقل كما فهم أكثر الناس خطأ انه الشهوة البهيمية ، بل قال الحب وكفى ، ورسم خطاً يسير عليه الحب ، وبين أنه اذا امحت معالم ذلك الخط أو نقصت أو شوهت أو التوت تغير خط الحياة كله . وهذا الخط يبدأ بحب النفس ثم يسير الى حب الوالدين ، ثم الى حب المجتمع ، ثم حب الرفاق ، ثم حب الجنس المخالف . ويجب ان يكون ذلك التطور الطبيعى كاملا

على انى قرأت أخيراً فى دائرة المعارف الطبية ان فرويد كان مرناً وانه كان مستعداً لتعديل نظريته كلما اقتضى الامر وتبين له وجه الصواب . وآخر تعديل ذكره هو أن من أقوى الغرائز اللاصقة بالحب غريزة « الكره والتحدى » وهذا أعجب العجب وان كان لا عجب فيه . فان الطفل يضرب ويعتدى بلا مبرر . وليست التربية الا كبحاً لذلك التحدى

ونحن لا نجد فى الغابة غير صراع وكره وتحد . وما المدنية الا كبح لذلك الصراع ، وتحد لذلك التحدى

(٤) من الأعمدة التى قامت عليها نظرية فرويد مسألة « الكبت » . والكبت أمر عادى عند كل انسان ، فنحن نكبت كل حين ، ولا نستطيع أن ننطلق وراء كل نزوة ، ونتبع كل رغبة . ولكن هناك استعدادات خاصة وبيئات مهيأة لكبت مرضى

ولا يمكن للكبت أن يحدث رجة فى الكيان الا اذا كان الأمر المكبوت جسيما وكانت البنية مستعدة

(٥) من الاعمدة التى قامت عليها نظرية فرويد كذلك مسألة الاحلام

ففرويد يقول ان الحلم « رغبة » ويضيف الى ذلك ان للحلم صلة وثيقة بالطفولة ، وان الحلم

ان دل على المستقبل ، فلأن له علاقة بالماضى ، وعلاقة بالرغبات

وانما المستقبل حلقة مكملة للماضى ، وللرغبات ، والواقع أن هذا تفسير ناقص . ولا يشرح بتاتاً ما يكشف عنه الحلم أحياناً مما لا علاقة له بالماضى ولا بالرغبات ! وقد فسره اينشتين ، أنه استيقاظ البعد الرابع الذى لا يموت ، فى البعد الثالث ، الآدمى الفانى ! !

نفسية هتلر وستالين

هذا موجز موجز لمذهب فرويد . ولكننا نجعله مقدمة لرأينا فى نفسية الزعماء

وإنا لنستطيع تطبيق نفسية هتلر وستالين وموسولينى وتشمبرلين على ضوء هذا المذهب بكل وضوح

فان هتلر رجل شاذ . وقف خط الحب عنده عند حب النفس ، فهو لم يظفر بحب الأب ولا الأم ولا الجنس المشابه ولا المخالف . وهو كذلك رجل بنيت نفسيته على تطور غريزة « التحدى » وتغلبها على كل شىء آخر ، فقد قست عليه الحياة ونبذته فهو الآن ينتقم من الحياة ! وفى الوقت ذاته يبغى لنفسه المجد ، أى يؤله نفسه إذ أنه لم يعرف حباً غير حبها !

أما ستالين فهو شبيه بهتلر فى تغلب غريزة المحافظة على « الذات » . وهى الغريزة الماركسية الشهيرة ، الغريزة الاقتصادية ، فسواء طبقت فرويد أو كارل ماركس فان هتلر وستالين شبيهان !!

نفسية الدوتشى وتشمبرلين

أما الدوتشى : فهو حقيقة رجل قست عليه الحياة فى مبدئها . ولكنه رجل استطاع أن يوازن بين ما فى العالم الخارجى وما فى داخل نفسه . فأمكنه أن يتلاءم مع الحياة ويسير بحذر

أما تشمبرلين فهو مثال لما يسميه يونج Extravert أى رجل يعمل حسب ما يرى فى الخارج من الحقائق . الرجل العملى الذى « لا ينطوى » على نفسه ولا يستسلم للخيال . واذا كان رأى الدوس هكسلى فى كتابه « دراسات حقيقية » أن الانسان يبدأ همجياً يعمل من باطنه « intravert » وينتهي متحضراً يعمل من خارجه « extravert » فأن تشمبرلين مثال الرجل المتزن المتحضر العلمى العملى الذى يؤمن بالواقع وعلى هديه يسير متئداً . . . !

ابراهيم ناجى

الحرب الاقتصادية

وأثرها فى هزيمة ألمانيا

ان ألمانيا فى مأزق حرج ، والحرب الاقتصادية التى تواجهها الآن تهددها بخطر شديد ، وهذا الخطر هو ما يدفع هتلر لطلب الصلح

فى الحرب العظمى الماضية ، كانت هزيمة ألمانيا الاقتصادية أشد من هزيمتها فى ميادين القتال ، فقد انتج الحصار البحرى نتائجه المنشودة ، فقلت الموارد ونقصت المؤن والذخائر ، وجاع الشعب الالمانى ، فأرغم حكومته على التسليم

وفى هذه الحرب ، تستخدم انجلترا وفرنسا نفس هذا السلاح البتار ، وتخوضان غمار حرب اقتصادية ليست دون الحرب العسكرية اضرارا بالعدو واضعافا لروحه المعنوية ، ولعل تلك الحرب الاقتصادية هى التى أرغمت هتلر على أن يطلب الصلح الى انجلترا وفرنسا ولما يمض على الحرب سوى شهر وبضعة أيام

وقد بلغ من اهتمام انجلترا بالحرب الاقتصادية ، تشن غارتها على ألمانيا ، انها انشأت لها وزارة خاصة ضمن وزاراتها ، واختارت لها رجلا من رجالاتها وهو المستر كروس الذى كان قبل ذلك سكرتيرا برلمانيا لمجلس التجارة ، وقد اشتغل بأعمال البنوك سنوات طويلة ، ثم رشح نفسه لعضوية مجلس العموم فى سنة ۱۹۳۱ فانتخب كنائب من المحافظين. وفعلت فرنسا مثل ذلك

وبدهى ان السلاح الحاسم الذى تستخدمه انجلترا فى هذه الحرب هو اسطولها البحرى الذى يجوب البحار ، ويقدر أن يحول دون ورود المواد الاولية « الخام » وغيرها الى ألمانيا. أجل ان هتلر بعثر ما يملك من غواصات فى بحار عديدة لتهاجم سفن الحلفاء وغيرها ، ولكن انجلترا فى الحرب القائمة أقدر منها فى الحرب العظمى على ملاقاة هذا الخطر وتقليل الضرر الذى ينشأ منه ، وهى تصيد الغواصات الالمانية كل حين بالطائرات وغيرها . ولم نسمع ان انجلترا ـ وهى جزيرة ـ نقصت أى مورد من مواردها من جراء حرب

الغواصات ، وانما نعلم ونوقن ان ألمانيا فى أزمة موارد لا شك فيها بفعل الحصار البحرى الذى ضرب الاسطول الانجليزى نطاقه

ولنلق الآن نظرة على ما تملك ألمانيا الآن من موارد :

لقد ظل هتلر أكثر من ست سنوات وهو يجبر الشعب الالمانى على تحمل كل تضحية حتى تستطيع بلاده أن تكفى نفسها ، ولكن ألمانيا بعيدة عن أن تصل الى هذه الغاية

فأما المواد الغذائية فان لدى ألمانيا نحو ٨٠ فى المائة من حاجتها منها . وعندها كفايتها من القمح اذ جاء المحصول الاخير وافرا . ولكن هناك نقصا فى اللحوم وكذلك فى علف الماشية ، ولا بد من سد هذا النقص بالاستيراد . ثم ان هناك نقصا كبيرا فى جميع المواد الدهنية

والحق ان مستوى المعيشة عند الالمان قد انخفض كثيرا فى السنوات الاخيرة حتى لم يبق مجال للهبوط به مرة أخرى

فاذا تركنا المواد الغذائية جانبا ، ونظرنا الى المواد الاولية اللازمة للصناعات الالمانية ، ألفينا الحاجة اليها أشد ، والنقص فيها أوضح . فهناك سبع طوائف من هذه المواد لا غنى عنها فى القيام بحرب عصرية ، وهى : الفحم ، والحديد ، والمعادن الاخرى ، والمطاط ، والخشب ، وألياف النسيج ، والزيت . والثابت ان المانيا تكفى نفسها فيما يتعلق باثنتين فقط من هذه المواد وهما الفحم والخشب . أما المواد الباقية ، فان المانيا معتمدة على استيراد مقادير من بعضها ، وعلى استيراد البعض الآخر كله من الخارج . فاذا استطاعت انجلترا بالحصار البحرى أن تحول دون ورود تلك المواد الى المانيا أصبحت هذه عاجزة عن مواصلة الحرب واضطرت الى القاء سلاحها

ان بعض طرق التوريد الى المانيا تقع فى قبضة انجلترا ، ففى امكانها مثلا أن تغلق قناة المانش ، وتجعل الاتصال بألمانيا عن طريق بحر الشمال عسيرا للغاية . كذلك البحر الابيض المتوسط فى قبضة الاسطولين الانجليزى والفرنسى ، خصوصا ان ايطاليا واقفة على الحياد والدردنيل أيضا تحت سيطرة تركيا حليفة انجلترا

وانما تبقى لالمانيا الطرق البرية ، وكذلك بحر البلطيق الى حد ما . فأما الطرق البرية فان المانيا تستطيع أن تحصل بها على مقادير وافرة من القمح ، وأخرى غير كافية من زيت البترول بشرط أن تدفع أثمانها أو تورد بضائع ألمانية فى مقابلها . واذا لم تستطع ذلك فلا سبيل أمامها للحصول على حاجتها الا اذا أخذتها عنوة ومعنى ذلك أن تغزو المجر ورومانيا ويوغوسلافيا واليونان . وقد تكون هذه الحرب خالية من سفك الدماء ، ولكن لا ريب أن تلك الدول اذا أرضت ألمانيا طوعا أو كرها ، فقدت حقوقها كدول محايدة

وينطبق ذلك أيضا على السويد اذ تقدر أن تمد ألمانيا بالحديد عن طريق بحر البلطيق ، ولا غنى لالمانيا عن هذا المعدن ، وقد استوردت منه من السويد فى السنة الماضية ما لا يقل

عن ٢٢ مليون طن • ولا شك فى ان حاجتها اليه فى الحرب أكثر من ذلك • فالسويد والحالةهذه فى يدها مفتاح صناعة الذخائر الالمانية

ثم هنالك روسيا • ولنفرض ان الميثاق الذى عقد بينها وبين ألمانيا يحوى بنودا لتوريد بضائع روسية الى الاخيرة ، ولننظر ماذا تقدر روسيا أن تورده اليها :

ان الباحث فى هذا الموضوع يميل عادة الى المبالغة فيه ، فاذا تركنا جانبا ان روسيالاتجد بداهة أن تساعد ألمانيا على السيطرة على أوربا ، وجدنا ان المانيا مضطرة الى أن تدفعأثمان كل ما تستورده من روسيا اما نقدا واما بضائع عن طريق المقايضة ، الا اذا رضيتروسيا أن تفتح لها اعتمادات مالية وهذا غير محتمل • وعلى ذلكلن يزيد نفعروسيا لالمانيامنهذه الوجهة عن أية دولة محايدة يمكن ألمانيا أن تتصل بها • ولا تنسين ان المانيا فىزمنالسلم كانت تلقى صعوبة فى تلبية الطلبات الخاصة بتصدير المصنوعات ، فما بالك بزمن الحرب الذى يغلق باب التصدير أمام صناعات كثيرة ؟ انها لا شك لن تجد مصنوعات كافية تقايض بها الواردات الروسية

أما طريق بحر البلطيق فقد يكون حرا ، غير ان لموانىء الروسية تتجمد فى الجزء الاكبر من فصل الشتاء • وتقع لينتجراد بعيدة عن المناطق الصناعية الهامة حوالى موسكو وماجنيتوجورسك • والطرق الروسية بحالة سيئة والسكك الحديدية الروسية ينتابها نقص ملحوظ • كل هذا يحول دون انتظام التوريد من روسيا الى المانيا بشكل يفى بالغرض

وهذا كله على فرض ان روسيا راغبة فى بذل تضحيات لمساعدة المانيا • ولكن الواقع ان روسيا جاهدت سنوات عديدة كى تستقل باقتصادها القومى وتقلل من حاجتها الىالخارج• وهى لا تصدر الفائض عن حاجتها من المحاصيل الا لكى تدفع به ثمن المواد الاولية التى تستوردها • ولا يزال مستوى المعيشة عند الروس منخفضا وليس من المحتمل أن يرضى ستالين بأن يزيده انخفاضا كى يساعد هتلر ويزيد من خطره•وعلى أى حال لاتعدو مساعدة روسيا لالمانيا فى هذا المجال مقادير من القمح لاتحتاج اليها المانيا الآن،ثم المنجنيز والقطن والخشب وقليلا من البترول • ولكن دون ذلك حوائل من صعوبة وسائل النقل كما بينا

والخلاصة ان المانيا فى مأزق حرج ، وان الحرب الاقتصادية التى تواجهها الآن تهددها بخطر شديد وكلما زادت هذه الحرب شدة،وكلما ضيق الحصار البحرى الخناق ، صارت ألمانيا أقرب الى الهزيمة ، وصار الحكم النازى الغشوم أدنى الى الزوال

[مترجمة بتصرف]



« ريخ » العصر القديم

بين اشور القديمة والمانيا الحديثة

بين آشور القديمة والمانيا الحديثة تشابه كبير ، على بعد ما بينهما من الزمان ، فتلك كانت فى القرن السابع قبل الميلاد أى تسبق الهتلرية بنحو ٢٦ قرنا ومع ذلك فأعمال العنف والعدوان فى الدولتين واحدة كما تراه فى هذا المقال الذى يدل على ان التاريخ يتكرر

ينبئنا التاريخ أن هناك تشابها أو تماثلا بين قصة آشور القديمة وقصة ألمانيا الحديثة وان كان ثمة فارق بين القصتين فهو ان الاولى قد تمت فصولها وانتهت حكايتها فى القرن السابع قبل الميلاد ، أما الثانية فلم تبدأ فصلها الأخير الا منذ ثلاثة أشهر يوم ألقت بنفسها وسط النار التى أضرمتها

ووجوه التماثل بين القصتين ظاهرة وعديدة • فالعهد القديم يقص علينا أنباء جماعة من طغاة آشور القديمة أذاقوا بنى اسرائيل ضروب النكال والعذاب • فقد دمرت جيوش آشور كثيرا من مدن اسرائيل العامرة مثل عاصمتهم « سامرا » ، ونفت بعض القبائل من الارض كقبيلة « نفتالى » التى أخرجت من ديارها طريدة شريدة ، أما من وقع فى يدها من الملوك والجنود أسيرا فلم يبق على قيد الحياة الا أياما قاسى فيها العذاب الرهيب • وقد سارت آشور الحديثة سيرة آشور القديمة فى معاملة أخلاف أولئك الاسرائيليين ، فصادرت أموالهم نهبا ، وزجت بهم فى المعاقل ظلما ، واستباحت كراماتهم بغيا ، ثم نفتهم من أوطانهم جياعا مشردين ، وأنزلت بهم فى الخفاء عذابا أقسى من هذا العذاب المشهود • وكذلك تلتقى الاثنتان فى هذه الخطوة الاولى

وثمة ناحية أخرى تتشابه فيها الدولتان ، وهى تأخرهما فى نشأتهما وتكوينهما عن الدول التى عاصرتهما • فألمانيا الحديثة لم تأتلف وحداتها ولم تتحقق قوميتها الا بعد أن قويت شوكة جاراتها وامتد نفوذها ، فلم تجد الطريق سهلا الى ما أخذ يساورها من أحلام السيادة وأماني الثراء • وكذلك تأخرت مملكة آشور فى نشأتها ، حتى لقيت نفسها مسورة بدول سبقتها فى نواحى الحضارة وفاقتها فى أسباب القوة • فالى جانبها بابل التى أنشأت حضارة

زراعية متعددة الجوانب وبدأت طريقها الى حضارة صناعية راقية • وعلى مقربة منها فينيقية التى تسود البحار بسفائنها التجارية والحربية ،وتعتد على جاراتها برخائها وثرائها • وهناك مصر التى سيرت جيوشها الى الشرق والى الجنوب،فأنشأت لها أمبراطورية مترامية الاطراف وهكذا رأت آشور ، كما ترى ألمانيا الآن ، أن الطريق الى السيادة والثروة قد احتلته قوات جاراتها العتيدة

وكانت حدود آشور القديمة ، كحدود ألمانيا الحديثة ، مفتوحة المنافذ من كل ناحية لجيوش أعدائها.فاضطرتها ظروف الدفاع عن أراضيها الى أن تجعل الجندية أساس نظامها السياسى وحياتها الاجتماعية • فصار كل رجل وكل شاب فيها جندى ، وعبأت كل مواردها وكل مرافقها لاعداد جيوشها ، لتقوى على مهاجمة القوات الكبيرة التى تحاصرها من جميع الجوانب ، وتستطيع بعد ذلك أن تخضعها واحدة تلو أخرى تحقيقا لاحلامها فى القهر والسيادة

• وكانت آشور تطالب جاراتها ، بما تطالب به ألمانيا جاراتها ، من المدى الحيوى Lebensraum فبدأت تعد قواتها وتعبىء جيوشها لتغير على ما حولها من الاقطار والاقاليم وقد نجحت فى غزواتها الاولى بفضل عاملين نجد لهما شبيها فى ألمانيا الحديثة

أما العامل الاول فهو توفق الآشوريين الى اختراع ممتاز ، كان له من القيمة الحربية فى العصر القديم مثل ما للغازات السامة التى أظهرها الالمان فى العصر الحديث ، وهو اتخاذهم أدوات القتال من الحديد بدلا من النحاس الذى كانت تصنع منه أدوات أعدائهم ، فصارت معدات آشور الحربية تمتاز بشدة بأسها وقوة احتمالها،وكانت سيوفهم أقطع وأمضى وسهامهم أدق وأنفذ ، وقد أعدوا جيوشهم بعربات من الحديد ذات أجنحة من الحراب المدببة والفؤوس القاطعة ، وقد رصت على جوانبها صنوف من الاقواس التى جعلت فرسان الاعداء ومشاتهم فى متناول سهامها النافذة • بل لقد اتخذوا كباشا ذات رؤوس وقرون من الحديد فكانوا يقوضون بها المدن والقلاع الكبيرة التى أنشأتها بابل فاصلا بينها وبين آشور

أما العامل الثانى فهو ما اشتهر به الاشوريون فى تلك الايام من شدة البأس وقوة القلب مما بث الرعب والفزع فى نفوس جيرانهم ، فكثيرا ما كانوا يؤثرون التسليم على القتال اتقاء ما كانوا ينزلونه بأعدائهم من فظائع التعذيب الرهيبة • وقد وضع أحد رجال ألمانيا الحديثة ـ كلوزوتز Clausewitz مبدأ سماه مبدأ « الحرب المرعبة » التى تبيح للجيش الظافر أن ينتقم من الجيش المنهزم شر انتقام • ولكن هذا الرجل ، الذى يمثل مبدؤه الطبيعة الالمانية التى فطرت على البأس والشدة ، أقل غلظة وقسوة من الآشوريين ، فقد قال ان للجندى الغالب ألا يبقى على شىء من الجندى المغلوب سوى عينيه ليظل يبكى بهما فاجعته ومأساته • أما جنود آشور فكانوا يفقأون عيون أسراهم ، ويغتصبون نساءهم ثم يذبحونهم تذبيحا ، ويلقون بجموع الاطفال وسط النيران فتلتهمهم التهاما • وكان ملوكهم يفخرون

بهذه الفظائع الرهيبة فيقيمون التماثيل ليخلدوا عليها ما اقترفوا من هذه الآثام ، كهذا التمثال الذى سجل عليه الملك آشور نازربال (٨٨٤ – ٨٦٠ ق. م) أمجاده ومفاخره ومنها: «لقدصارت بلاد أعدائى أنقاضا وأطلالا. وذبحت واحدا من كل اثنين من عدوى. وبنيت حائطا أمام مدخل المدينة وغطيته بطبقة من جلود هذه الذبائح . وقد وضعت بعضهم أحياء وسط أحجار الجدران وشيدت فوق أجسادهم طبقات البناء . وعلقت آخرين على الاسوار وأنفذت القضبان فى أجسادهم وهم يشهدون ويشعرون . وأمرت أن يسلخ أمام عينى جمع من أعدائى الاحياء، وأن تغطى الحائط بطبقة من جلودهم. وجمعت كثيرا من الرؤوس على هيئة تاج وكونت كثيرا من الاجداث على صورة اكليل » . هذه صورة من الفظائع الرهيبة التى كان يفاخر بها الآشوريون ، وفى التوراة صور كثيرة من هذا القبيل تدلنا على مبلغ ما بثه هذا الشعب من الفزع فى نفوس الامم التى قسا عليها القدر فعاصرته !

وكانت آشور تماثل المانيا فى نظامها الداخلى . فكانت تخضع لملك طاغية يصرف أمرها كيف يشاء ، كما تخضع خليفتها الحديثة لديكتاتور يسوقها الى حيث يريد . وكانت كل جهود الامة ومواردها مكدسة لانشاء الجيوش واعدادها ، فكان الشبان والرجال يساقون من أعمال الزراعة والصناعة ويكرهون على التجنيد والقتال. ولم يكن الملوك يعنيهم أن يجد الناس غذاءهم ما دام قد توافر للجيش أقواسه وسهامه وكباشه الحديدية

أما السياسة التى اتبعتها آشور فى الغزو والقتال فلا تختلف فى شىء عن السياسة التى يحسب الناس ان هتلر قد ابتكرها فى هذه الايام . فقد كانت تستخدم الدعاية والجاسوسية فى تمهيد طريق القتال وتبرير أعمال العداء . فتوفد رسلها الى البلاد المجاورة ليثيروا فيها الفتن والقلاقل ، ويتجسسوا على جيوشها ومعداتها . فاذا أرادت احدى الدول أن تجازى هؤلاء الدعاة والعيون ، عدت آشور هذا الجزاء عملا عدائيا تقابله توا بتسيير الجيوش الى الحدود ، حيث تقف مطالبة بتقديم ما تفرض من الغرامات وما تريد من الضمانات . فاذا رضى الامراء والحكام بذلك أرسلت آشور جباتها يفرضون الضرائب ويجبون الاموال . أما اذا رفضوا أو مانعوا زحفت عليهم الجيوش تدمر بلادهم ، وتقوض عروشهم ، وتذبح شعوبهم ، وتحيل عامر أوطانهم خرابا . وأشهر حروب آشور هذه التى شنتها على بابل ، أعظم مدينة شهدها العالم القديم ، فقهرتها وفتحتها فى سنة ٧٢٨ ق.م. وأرادت بابل أن تقاوم فأغارت عليها آشور مرة ثانية فى عهد سنماريت الذى ترك لوحة فاخر فيها بهدمه وحرقه كل ما فى هذه المدينة من معابد وقصور واهرامات ، ثم القاء حطامها فى الفرات حيث اعترض جانبا من مجراه ... وقد قهرت آشور مملكة اسرائيل وأسرت قبائلها وشردتها سنة ٧٢٢ ق.م. ووقعت مصر فى قبضتها سنة ٦٧٠ ق.م. وظلت جيوشها تعيث فى جميع الارجاء حتى صارت عاصمتها نينوى توسط امبراطورية تترامى من البحر الابيض الى الخليج الفارسى ، ومن صحراء افريقيا الى جبال أرارات فى آسيا

ولكن تخريب هياكل بابل ومعابدها أثار النقمة على ملوك آشور فى جميع الاقطار .

وكان كهنة آشور بعض الناقمين اذ كانت تربطهم ببابل صلات من الدين ، فقاموا يناوئون ملوكهم ويؤلبون عليهم الجماهير . وكانت هذه الجماهير فى عسر وضيق ، فقد أفقرهم اهمال زراعاتهم وصناعاتهم منذ أن سيقوا الى ساحات القتال. وساءت شؤون آشور واضطربت حياتها فتفتحت عيون الشعوب المستعبدة للثورة والانتقام . وتزعمت مصر هذه الحركة فاستردت استقلالها سنة ٦٦٥ق.م. وتبعتها بابل بعد ثلاثين سنة فاستعادت حريتها. ونهضت بعض القبائل الجبلية فى الشمال، تؤازرها قبائل الميديين فى الجنوب فاستطاعت أن تقهر جيوشهم وتحاصر عاصمتهم. وكانت النهاية التى لا مردَّ عنها وهى سقوط نينوى سنة ٦٠٦ ق.م. فما كان من آخر ملوكها الا أن قذف بنفسه وبنسائه وبذخائره الى النيران التى أوقدها فى ساحة قصره ، فلم تدع فيه شيئا الا أحالته رمادا ذرته الرياح . أما نينوى التى كانت تمتد على دجلة ثلاثة أميال تقوم فيها القصور الباذخة وتعطرها الحدائق الغناء فقد مر بها زينفون الاغريقى بعد ذلك بقرنين من الزمان فوجدها أنقاضا بالية لا يكاد يذكر الناس اسمها !. وزالت آشور كلها من فوق هذه الارض التى عاثت فى أرجائها ، وأفاقت جاراتها من غاشية الرعب التى نشرتها فوق رؤوسهم جميعا ، وعاد الامن ورجعت الحرية الى تلك الشعوب مرة أخرى ...

الى هذه النهاية الفاجعة انتهت قصة « الريخ » القديم ، أى آشور . فالى ما يا ترى تنتهى قصة آشور الحديثة ، أى ألمانيا ؟

[عن مقال للاستاذ ف . ج . هيرنشو فى مجلة ناشونال ريفيو]

---

* هبنى الحرية لا تعلم وأفكر وأعتقد وأتكلم طبقاً لما يوحى به ضميرى . هذه الحرية أثمن من كل ضرب آخر من الحرية

(ملتون)

* لست أعلم ما يرضى به الغير . أما ما أريده أنا فاما الحرية وإما الموت

(باتريك هنرى)

التسلح الادبي

دعوة جديدة تنقذ الانسانية من الحرب

« ان الله يوجه الشعوب عن طريق بعض أفرادها فاذا سار هؤلاء الافراد سيرة البر والخير، سلكت شعوبهم طريق البر والسلام »

الدكتور بوكمان

أكثر المفكرين يفسرون التاريخ تفسيراً ماديا خالصاً ، فيرجعون بوقائعه واتجاهاته الى دواعي المادة وحدها . ولكن فريقاً كبيراً من الباحثين يؤثرون تفسير التاريخ تفسيراً معنويا ، فيجدون فى نفسيات الافراد والجماعات تبريراً وتوضيحاً لأحداثه وأطواره . فاذا كان بعض الزعماء والساسة قد أوقدوا الحروب القائمة بدعوى ما تقاسيه شعوبهم من قلة الموارد وضيق الاراضى ، فثمة حركة فكرية كبيرة تبث الآن فى أذهان الجماهير لتريهم أن المأساة التى يشهدونها الآن ليست إلا مأساة النفوس المعتلة ، التى سرت فيها سموم الانانية والبغضاء

هذه الحركة الفكرية هى حركة « التسلح الادبى » التى تسرى الآن فى أقطار أوربا وأرجاء أمريكا تنويراً للاذهان وتطهيراً للنفوس أو « تجديداً لشباب هـذا العالم » كما يقول زعيمها الدكتور بوكمان . ويتولى أمر هذه الحركة « جماعة أوكسفورد » التى قامت منذ عشرين سنة لتوجيه الجماهير الوجهة الخلقية الفاضلة التى طغت عليها مساوىء الحياة الحديثة وآثامها

يقول الدكتور بوكمان ، وهو قسيس انجليزى جاوز سن الستين ، ان الازمة التى يعانيها العالم الآن هي أزمة خلقية ، فلا سبيل الى الخلاص منها الا اذا تسلح العالم بعدات من الفضائل السامية . وهذه الفضائل التى يريد أن يسلح بها كل فرد هى : « الطهارة المطلقة ، والامانة المطلقة، والغيرية المطلقة ، والحب المطلق » . فهى حركة روحية أو دينية تريد توجيه الانسان الى « طريق الله السوى » ، حيث لا يأتى الناس إثماً ولا نكراً ، فى أية كلمة ينطقونها ، أو أية نظرة يلقونها ، أو أية خطوة يتجهون بها

ولكن هذه الحركة الدينية الروحية لا تتحرج من أن تتكيف وفق ظروف الحياة الحديثة ، فهى تتخذ من وسائل الدعاية والاعلان ما ينفذ بها الى جميع القلوب . فمنذ أشهر شهدت مدينة

هوليوود مشهداً أخاذاً حين انبثق في وسط سمائها أربعة أعمدة من الاضواء اللامعة ، سار تحتها صف طويل من الرجال والنساء الذين أخذوا أنفسهم بمبادىء التسلح الأدبي . وكان هذا الجمع يمثل شتى الشعوب والأقطار ، فكان الشاب اليابانى يصافح الفتاة الصينية دون أن يبلغ قلبيهما شرارة من نار الحرب المتقدة بين أمتيهما ، وكان زعيم جماعة من العمال العاطلين يحادث أحد رجال الأعمال الأثرياء ، من غير أن تشوب نفسيهما شائبة من هذه الكراهة المتأصلة بين طائفتيهما ذلك أن فضائل التسلح الأدبي قد وحدت القلوب المتنافرة ، فتلاقت جميعاً في اخلاص وايمان . وقد تلقت الجماعة في تلك الليلة المشهورة رسائل التأييد والتحبيذ من جميع أرجاء أمريكا ، ومنها رسالة من روزفلت وأخرى من فورد ، ورسائل من كبار السياسيين والفنانين والعلماء

وقد نشأت حركة التسلح الأدبي في انجلترا ، فلم تلبث أن غمرت طبقات الشعب الانجليزى جميعاً ، بفضل ما اتخذته من أساليب مبتكرة في الدعاية والاعلان . فمن ذلك انهم طبعوا مبادىء هذه الحركة على ٥٠٠٠٠٠٠ زجاجة من زجاجات الألبان . وقد وضعت لوحات كبيرة عليها مبادىء التسلح الأدبي أمام واجهات عشرات الآلاف من المتاجر وفي داخل عشرات الآلاف من السيارات العامة . وأصدر خمسمائة الف طابع من طوابع البريد تمثل شعار هذه الحركة ودعوتها .

وسمع أربعون الفا ممن يشاهدون مباريات كرة القدم كبار الرياضيين يحدثونهم عن هذه الحركة التي ترمى الى تغيير حياة الأفراد تغييراً يفضى الى « تجديد شباب » الجماعات والشعوب . وقد تفتحت قلوب كثير من القائمين على الشئون العامة لتأييد حركة التسلح الأدبي . فأصدر ثلاثة وثلاثون عضواً من أعضاء البرلمان الانجليزى بيانا قالوا فيه « إننا في حاجة ملحة الى اتخاذ مبادىء التسلح الأدبي وتعميمها » . وقال الزعيم السياسى « بولدوين » في بيان شاركه فيه ثمانية عشر رجلا من أعيان انجلترا ومشاهيرها « ان الحاجة الحقيقية التي لا غنى لنا عنها في هذه الأيام هى التسلح الأدبي والمعنوى » . وقد ذاعت في أرجاء انجلترا نشرات شتى كتبها رجال الدين وزعماء العمال وكبار الصحفيين ومشاهير الرياضيين تأييداً لهذه الحركة الخلقية السامية . وجمعت بعض هذه الأقوال في كتاب بيع منه خمسمائة الف نسخة ، وترجم الى سبع لغات منها اللغة العربية

وجاوزت هذه الموجة الخلقية شواطىء انجلترا ، وغمرت أرجاء كثير من جاراتها فوجدت في هولندة تربة صالحة حيث أيدتها الملكة في كثير من الظروف ، وأقبلت الجموع على اتخاذها وتعضيدها . وكذلك استجابت لها الشعوب الاسكندنافية ، فبدأ أثرها في حياة كثير من الأفراد ، بل في اتجاه بعض المسئولين عن الحياة العامة

فمن ذلك أن صحفياً نرويجياً أقلع عن حملة عداء كان يثيرها ضد دنمارك ، واعتذر عما سلف منه فيما مضى ووعد بأن يسلك طريق الوئام والسلام تلبية لمبادىء التسلح الادبي القويمة ويتخذ رجال هذه الجماعة في نشر دعوتهم طريقة طريفة مجدية . فهم لا يعقدون اجتماعات

عامة يخطبون فيها الجموع ، وليس لهم دعاة مبشرون يشرحون للناس مبادىء التسلح الادبي ، بل يأخذ كل فرد منهم على عاتقه أن يبين لأهله وصحبه وزملائه ماذا يشعر فى قرارة نفسه وماذا طرأ على ظاهر حياته منذ أن اتخذ هذه المبادىء الخلقية . وبذلك يستطيع أن ينفذ الى قلوب من حوله من الأفراد فيستميلهم الى اتخاذ الفضائل الأربع التى تهيء للانسان خلاصاً من دواعى القلق وبواعث الاضطراب ، وتمهد له طريقاً الى ما ينشده فى الحياة من الرضى والراحة والسلام

وقد نفذت مبادىء هذه الحركة الى قلوب جماعات غفيرة فآمنوا بها كل الايمان ، وضحى بعضهم فى سبيلها بكل ما تملك أيديهم . فمن ذلك أن ثريا انجليزيا باع جميع أملاكه لينفق منها على نشر هذه المبادىء . وسحب آخرون الأموال التي أودعوها شركات التأمين على الحياة ، ووهبوها للقائمين بهذه الحركة الانسانية . وقد خلفت حركة التسلح الادبي فى بعض القلوب أثراً يماثل هذا الاثر الذى يخلفه الدين الحق فى قلوب المؤمنين . فهذا رجل سويسرى كان شرهاً فى جمع المال ، ولكنه لما انضوى الى هذه الحركة أبى أن ينقل مصنعه من بازيل الى جنيف حيث النفقة أقل والربح أوفر ، لأن نقل المصنع يؤدي الى تعطيل مائتى عامل فيه . وهذا رجل أمريكى يدير شركة من شركات البترول ، وجد أن مبادىء التسلح الأدبى تقتضيه أن يزيد أجور عماله وأجازاتهم ، ففعل دون أن يطالبوه بشيء من ذلك . وهذا رجل آخر من رجال الأعمال كان يرهق أجراءه بالعمل الثقيل والأجر الضئيل . فلما اتخذ مبادىء التسلح الأدبى بدا له أن لابد من انصاف عماله وتحسين معاملتهم ، فدعاهم اليه وحدثهم عما انتوى بشأنهم ، فصارحوه بانهم ما كانوا يخلصون له فى العمل ، وانهم قد اعتزموا منذ اليوم أن يبادلوه معاملة حسنة صادقة ، فانتظم العمل واستراح صاحبه واطمأن أجراؤه بفضل الاخلاق الجديدة التي بثتها فيهم حركة التسلح الادبى

ولكن ما جدوى هذا فى اتقاء الحرب وتحقيق السلام ؟ . . . لا شك فى أنه اذا استقام خلق كل فرد استقام أمر الجماعة كلها . وهذا هو النهج الذى تسير عليه حركة التسلح الأدبى ، فهى تريد أولا اصلاح أخلاق الأفراد وبذلك يستقيم أمر الجماعات، ثم تريد سلام العالم ورخاءه عن طريق اسعاد جماعاته وشعوبه . ولهذا يقول الدكتور بوكمان :

« أنظر ماذا كان يجرى فى العالم هذه الأيام لو أن رجلا كهتلر كان معتزاً بالتسلح الأدبى بدلا من أن يكون معتداً بالتسلح المادى ؟ ان الله يوجه الشعوب عن طريق بعض أفرادها ، فاذا سار هؤلاء الأفراد سيرة البر والخير ، سلكت شعوبهم طريق البر والسلام »

وقد وفقت حركة التسلح الأدبى فى خطوتها الأولى فبذرت بذورها الطيبة فى قلوب آلاف من الجماهير في شتى الأقطار ، فهل توفق فى خطوتها الثانية فتكون بشيراً بايقاظ الضمير الانسانى الذى غشيته فى هذه الأيام غاشية مظلمة من الأحقاد الدفينة والأطماع الطائشة

[مترجمة بتصرف]

بحث جديد يكشف جانباً

غامضاً من تاريخ مصر الحديث

بعثة عباس باشا الأول إلى ألمانيا

هل كان عباس الأول يكره العلم ويحارب الاصلاح ؟

بقلم الاستاذ طاهر الطناحي

فى صيف هذا العام تفضل حضرة صاحب السمو الامير عمر طوسون ، فأتاح لى زيارة مكتبته الحافلة بقصره العامر بباكوس بالاسكندرية ، فعثرت بين نفائسها العلمية والتاريخية القيمة على كتاب ثمين مخطوط يحوى صوراً نادرة لأعضاء البعثة العلمية المصرية التى أرسلها عباس باشا الاول الى ألمانيا . وكان سمو الاميرالجليل قد وجد هذا الكتاب بين آثار جده والى مصر الامير محمد سعيد باشا ، فحفظه بين ما حفظه من ذخائر ذلك العهد ، ثم تبين له بمراجعة تاريخه وأعمال طلبة تلك البعثة المسجلة فيه أنها لم ترسل فى عهد الأمير سعيد باشا ، بل أرسلت فى أوائل سنة ١٨٥٤ أو أواخر سنة ١٨٥٣ - أى فى عهد عباس باشا الأول الذى توفى فى ١٤ يوليه سنة ١٨٥٤ ، ومن الغريب أن هذه البعثة لم يرد لها ذكر فى سجل دار المحفوظات المصرية

وقبل التحدث عن هذه البعثة أحب أن أعرض بايجاز لحكم التاريخ على عباس باشا الأول وعلى عهده الذى طوى من حياة مصر الحديثة خمس سنوات وسبعة أشهر وواحداً وعشرين يوماً ، لأنه عهد ليس بالقصير ، ولأنه وقع فيه من الحوادث ما كان له أثره فيما خلفه من عهود

فقد وصم عهد عباس باشا الاول بوصمة الرجعية والجمود ، واتهم المؤرخون - وبخاصة الفرنسيون - هذا الوالى بتهم عدة تناولت أعماله وأخلاقه وسياسته ، وألقت على تاريخه ظلاما منفراً ، وصوروه بصورة الحاكم الرجعى المستبد وتابعهم بعض المؤرخين المصريين ممن نقلوا عنهم فوصفوه بالقسوة وغرابة الاطوار ، وكراهته للعلم والتعليم ، وانصرافه عن الاصلاحات الداخلية

والذى يقرأ تاريخ مصر الحديث على هذا الوضع الذى حاكه هؤلاء المؤرخون يحس بالصدمة ، ويستشعر الحيرة والتردد حين يستقرى نهضة محمد علي باشا الكبير منذ بدأت الى أن تسلم زمام الحكم هذا الوالى الذى خلفه بعد عمه البطل الفاتح ابراهيم ، فقد سارت هذه النهضة قوية سريعة صاعدة حتى اذا مرت بعهد عباس هبطت هبوطاً شنيعاً ، وتردت فى هاوية سحيقة من التأخر

والرجعية والفساد ومحاربة كل اصلاح على نحو ما صوروه به ، كأنما جاء عباس الأول بن طوسون بن محمد علي ليمحو كل ما أسسه جده العظيم ، وليهدم كل ما بناه في صرح المجد العلوى ، والنهضة الاصلاحية الجديدة ، مع أن هذا الحفيد كان أحب أحفاد محمد علي اليه ، وقد نال من رعايته وتربيته قسطاً وافراً تشهد به جميع كتب التاريخ ، فقد اعتنى بتعليمه عناية فائقة ، وكان ذكياً لبيباً فأدخله مدرسة أركان الحرب بالخانقاه ، وهى ثانية مدرسة من نوعها في العالم كله في ذلك الوقت ، وكان رفاعة بك رافع الطهطاوى يسميها « مدرسة الرجال »

وقد أسند اليه محمد على باشا بعد تخرجه من هذه المدرسة عدة مناصب ادارية وحربية، فكان مديراً للغربية ، ثم ولاه منصب الكتخدا أى وكيل الحاكم ، وهو بمثابة رئيس مجلس الوزراء ، وولاه قيادة أحد الفيالق فى الحرب السورية تحت رئاسة عمه ابراهيم باشا ، وشهد أكثر الوقائع الحربية بهذه الحرب ، ولم يحدث فى تصرفاته وأعماله ما أنكره عليه عمه ابراهيم ولا جده العظيم المشهور بحسن اختياره أكفاء الرجال لادارة شئون ملكه

ولما تولى عباس باشا الاول الحكم بعد وفاة ابراهيم تابع اصلاحات جده وعمه ، فأنشأ أول خط حديدى فى الشرق بين القاهرة والاسكندرية سنة ١٨٥٢ ، واستقدم له روبرت ستيفنسن مخترع القطرات البخارية . ومد الخطوط التلغرافية لتسهيل التجارة ، وزاد فى عدد المدارس الحربية ، فأسس مدرسة حربية بالعباسية ، وأمد الدولة العثمانية بحملة عسكرية فى حرب القرم ضد الروسيا ، وسار هو بنفسه لوداعها وألقى يوم رحيلها على الجمهور المحتفل بها خطبة حماسية . وكانت تتألف من جيشين أحدهما برى بقيادة سليم فتحى باشا ، وثانيهما بحرى بقيادة أمير البحر حسن باشا الاسكندرانى . وقد كان عدد الجيش المصرى الى وفاة عباس الاول ٩٣٫٩٤٧ مقسمة كالآتى :

عدد الضباط والجنود

٦٩٫٧٤٨ من المشاة و ١١٫٦٢٨ من الفرسان و ٦٫٧٧٥ من طوبجية الميدان الشاة و ٥٫٧٩٦ من طوبجية السواحل

هؤلاء عدا جنود الاحتياطى المدربين على القتال الذين ينتدبون وقت الحرب ، وهم يكادون يعادلون هذه الاعداد ، ولا ريب أن عباس باشا الاول لو كانت رسالته فى الحكم اضعاف الجيش المصرى ، ووقف الاصلاحات لما بقى على هذا العدد العظيم ، ولما استطاع أن يرسل تلك النجدة البرية والبحرية للدولة العثمانية ، ولما أقدم على إنشاء أول خط حديدى فى الشرق ، ولما مد خطوط التلغراف ، ولما تابع ارسال البعوث العلمية الى أوربا على نحو ما سترى فيما بعد

أما السبب فى غموض عهد عباس ، وتشويه سمعة حكمه ، فهو من صنع المؤرخين الأوربيين الذين ساءهم منه اعتزاله الاجانب الذين كانوا يسعون بنشاط فى نشر نفوذهم الى سائر مرافق البلاد ،

فأعرض عن كثير منهم ، وأراد أن يقوى الروح الوطنية فى البلاد ، فأثار ذلك نفوسهم ، وتناولوه بالسعاية والذم ، واتهموه بالرجعية والجمود ومحاربة الاصلاح ، وكتب عنه مؤرخوهم فخلعوا عليه أوصاف القسوة والضعف والتأخر ، وألقوا على عهده سحباً كثيفة من الغموض ، وقد زعموا انه أرجع البعثات العلمية التى أرسلها جده محمد على الكبير الى أوربا ، ولم يرسل بعوثا أخرى ، وذكر البعض انه لم يرسل غير ١٩ طالباً لوقت محدود

والحق ان عباس باشا الاول لم يقل عن جده محمد على باشا الكبير عناية بالتعليم وارسال البعثات الى الدول الأوربية . وكانت العادة أن ترسل هذه البعوث الى فرنسا وانجلترا والنمسا وايطاليا ، فتوسع هو فيها حتى جعلها تشمل ألمانيا ، وأرسل فى عهده ست بعوث الى خمس دول أوربية . وكان عدد أعضائها ٤١ عضواً كما أحصاهم الامير عمر طوسون . وقد روى السيد عبد الله نديم فى مجلته ان عددهم ٤٨ عضواً وان مجموع ما أنفقه عليهم عباس الاول ٨٢٫٩٢٣ جنيهاً . أما بيان هذه البعثات فهو :

البعثة الاولى ــ أرسلت الى النمسا فى ١٢ يونيه سنة ١٨٤٩ وكان عدد أعضائها ١٥
« الثانية ــ أرسلت الى انجلترا فى ٢٠ يناير سنة ١٨٥٠ « « « ٦
« الثالثة ــ « فرنسا فى ٨ اكتوبر سنة ١٨٥٠ « « « ٣
« الرابعة ــ « ايطاليا فى ٣١ اكتوبر سنة ١٨٥١ « « « ٥
« الخامسة ــ « النمسا فى أوائل سنة ١٨٥١ « « « ٣
« السادسة ــ « ألمانيا فى سنة ١٨٥٤ ــ أو ١٨٥٣ « « « ٩

ومن أعضاء هذه البعثات عثمان غالب باشا ، ومحمود باشا الفلكى ، ومصطفى باشا الفلكي ، والدكتور سالم باشا سالم ، وعبد القادر حلمى باشا ، ويوسف شهدى باشا ، واسماعيل باشا كامل ، وغيرهم من رجال الحرب والطب والصناعة والفنون . ونكتفى هنا بالحديث عن رجال البعثة السادسة التى أرسلها عباس الاول الى برلين ، وهم الذين عثرنا على صورهم ماعدا واحداً منهم فى هذا الكتاب السمين الذى اطلعنا عليه فى مكتبة سمو الامير عمر طوسون

فهذه البعثة كما قلنا أرسلها عباس الاول فى أوائل سنة ١٨٥٤ أو أواخر سنة ١٨٥٣ وقد اختيرت من بين أبناء أعيان البلاد المصريين والأتراك والجراكسة ، وكانت سن أصغرهم لا تقل عن ١٤ سنة ، وسن أكبرهم لا تزيد على ١٧ سنة . وقد تخصص أربعة منهم فى فنون الحرب . وهم : محمد راسخ (التركى) ومحمد نصحى (التركى) ، وخورشيد نصحى (الجركسى) ، ومصطفى نائل (الجركسى) وتخصص اثنان منهم فى الصيدلة ، وهما : حامد أمين (المصرى) ، ومحمد عاطف (التركى) . وتخصص ثلاثة فى الطب وهم : حافظ عفت (من مواليد القاهرة) وعبد الله شكرى (الجركسى) ويوسف شهدى (الجركسى)



والي مصر الأمير عباس باشا الأول
بملابسه العسكرية على صهوة جواده


محمد راسخ بك


محمد نصحى باشا

محمد راسخ بك

تعلم فى مدارس مصر ، واختير للسفر فى البعثة المصرية الى برلين وعمره ستة عشر عاما لتعلم الفنون الحربية ، وقد عاد فى عهد سعيد باشا فالتحق بالجيش المصرى ، ثم تعين مديراً لمدرستى الخرطوم وسنار سنة ١٨٦١ وفى سنة ١٨٧٧ تعين وكيلا للسكة الحديدية بالسودان ، وفى العام التالى تعين مديراً لمديرية سنار ، ثم محافظا لسواكن ، وبقى فى هذا المنصب الى سنة ١٨٨٣ وأحيل الى المعاش ، فبقى به الى أن توفى حوالى سنة ١٩٠٠

محمد نصحى باشا

كانت سنه وقت اختياره فى البعثة ١٥ عاما ، وقد أرسل لتعلم الفنون الحربية ، ونال رتبة الملازم الثانى وهو فى المانيا . ولما عاد فى عهد سعيد التحق بالجيش المصرى ملازما أول سنة ١٨٦٤ ونال رتبة اليوزباشى ثم رتبة الصاغ . وكان فى الحملة المصرية التى أرسلت لمعاونة الدولة العلية فى حرب الروس سنة ١٨٧٧ ، واشترك فى حرب السودان ضد المهدية ، وترقى فى المناصب العسكرية الى أن نال رتبة لواء ، وأحيل الى المعاش سنة ١٨٨٥ وتوفى سنة ١٩٠٣

خورشيد نصحى افندى

اختير فى هذه البعثة لتعلم الفنون الحربية ، وعمره وقتئذ ١٥ سنة ، وكان مقيما مع زميله محمد نصحى عند الدكتور فاب مدير مدرسته بشارع ماريان ببرلين ، ولم يعرف شىء عن تاريخه ، ولم نعثر على « صورته »

مصطفى نائل افندى

كانت سنه حين اختياره لتعلم الفنون الحربية فى ألمانيا لا تتجاوز الرابعة عشرة وقد أتم تعليمه وعاد الى مصر الا أن تاريخه فى وظائف الحكومة مجهول ويروى البعض انه كان من رجال الجيش ، وانه وصل الى رتبة اللواء وان بيته لا يزال بالقاهرة بحى السيدة زينب

حامد أمين بك

هو مصرى الجنس اختير لبعثة برلين لتعلم فن الصيدلة ، وكان عمره وقتئذ ١٥ سنة ، ثم عدل عن هذا الفن ، ودرس الفنون الحربية ، ثم عاد الى مصر والتحق بالجيش المصرى فى عهد سعيد الى ان كانت سنة ١٨٧٦ فارتقى الى رتبة قائمقام . وقد شهد حروب ذلك العهد كلها ، واشترك فى



مصطفى نائل افندى



حامد أمين بك



محمد عاطف افندى



عبد الله شكرى بك

الثورة العرابية ، وحارب ضد الانجليز . وكان وقتئذ برتبة أميرالاى ، وقد قبض عليه وحوكم ، ثم عفى عنه وأحيل الى المعاش ، فبقى به الى أن توفى سنة ١٩١٦

محمد عاطف أفندى

اختير للسفر الى برلين لتعلم فن الصيدلة ، وكان عمره وقتئذ ١٥ سنة وقد أقام مع زميله عند الدكتور لاتجافل الاستاذ بمدرسة وردر الملكية . ولم يعرف أبقى فى دراسة الصيدلة أم تحول عنها الى الفنون العسكرية ، لأنه لم يعثر له على أثر فى وظائف الجيش ولا فى الوظائف الأخرى

عبد الله شكرى بك

هو أخو الفريق اسماعيل باشا كامل ، وقد اختير لتعلم الطب فى ألمانيا وعمره ١٤ سنة ثم تحول الى تعلم الفنون العسكرية ، وقد بقى هناك سنتين ثم أحضره سعيد باشا الى مصر وأدخله مدرسة الخطرية بالقلعة ، فتخرج منها ودخل فى سلك الحرس الخديوى ، ونال رتبة بكباشى فى عهد اسماعيل ، واشترك فى الحرب الحبشية ، وتدرج فى المناصب الحكومية ، فعين مفتشاً لبوليس القاهرة ثم حكمداراً لمحافظة السويس ثم أحيل الى المعاش ، وتوفى فى ١٥ نوفمبر سنة ١٨٩٥

يوسف شهدى باشا

اختير للسفر الى برلين لتعلم الطب ، وكان عمره ١٤ سنة ، ولكنه تحول الى الفنون الحربية ، ولما عاد الى مصر التحق بالجيش المصرى ، وترق الى رتبة يوزباشى سنة ١٨٦٣ وفى سنة ١٨٦٨ نال رتبة القائمقام ، وأنعم عليه بنشان الرتبة الثالثة من النمسا . وفي سنة ١٨٧٥ نال رتبة أميرالاى واشترك فى حرب الحبشة ، ثم فى حرب الترك والروسيا . وكان قائد آلاى فى الحملة المصرية التى أرسلت لنجدة الدولة العثمانية فى هذه الحرب ، فانتصرت هذه الحملة ، وأنعم عليه برتبة اللواء . وفى مايو سنة ١٨٨٧ عين مديراً للدقهلية . وفى ٢٨ يونية من هذه السنة عين محافظا للقاهرة ، فبقى فى هذا المنصب الى ٣ وفبرسنة ١٨٩٠ ثم اختير ناظراً للحربية والبحرية فى نظارة مصطفى فهمى باشا التى تألفت فى ١٤ مايو سنة ١٨٩١ ثم اختير لهذا المنصب فى نظارة محمد رياض باشا التى تألفت فى ١٩ يناير سنة ١٨٩٣ ولما استعفت هذه الوزارة فى ١٥ ابريل سنة ١٨٩٤ بقى فى المعاش الى أن توفى فى ٩ يوليه سنة ١٨٩٩

حافظ عفت افندى

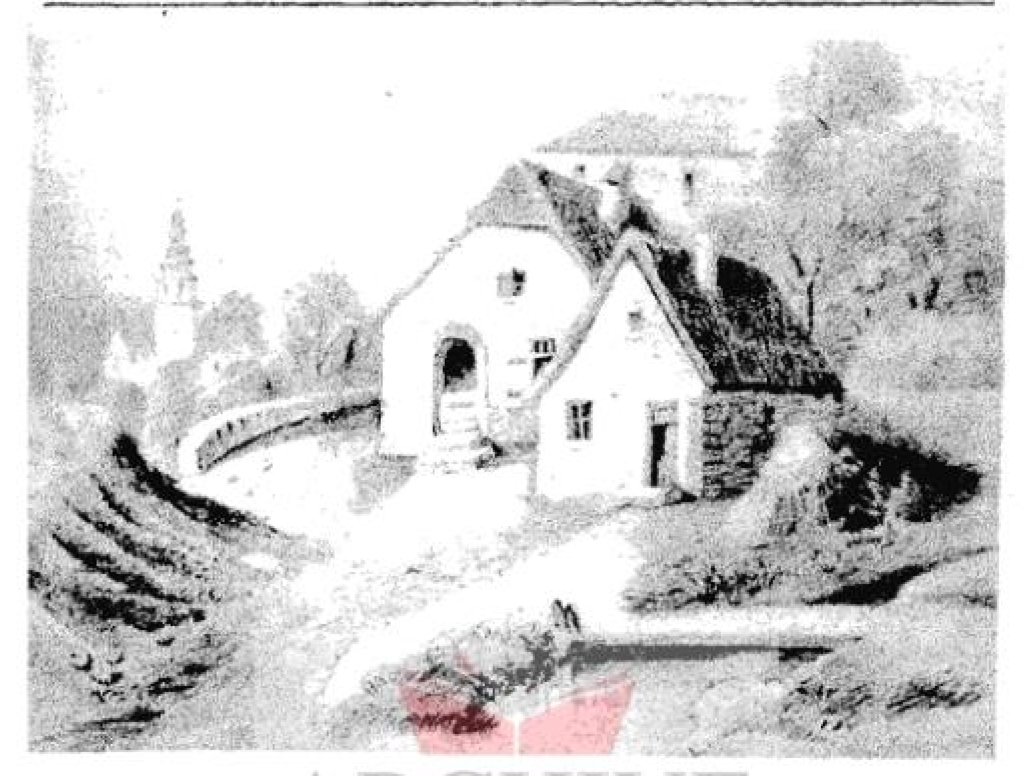
كانت سنه حين اختير للسفر فى هذه البعثة ١٧ سنة ، وقد تخصص فى دراسة الطب ، وأقام



يوسف شهدى باشا



حافظ عفت افندى



رسم لاحدى القرى من عمل مصطفى نائل افندى بالكتاب المذكور فى المقال

فى برلين عند سيدة ألمانية تدعى (ناهت) بشارع ماريان ، لكن لم يعرف عن تاريخ دراسته وحياته العملية شيء حتى الآن

* * *

تلك هى بعثة عباس باشا الأول التى أوفدها للدراسة فى ألمانيا ، وهى احدى بعثاته الست . وتدل دلالة واضحة على عنايته بنشر العلم والتعليم واهتمامه بترقية جيشه وشئون بلاده . وبدهى أن ارساله لهذه البعثات ينفي ما اتهمه به المؤرخون من أنه استقدم أعضاء البعثات التى أرسلت الى أوربا فى عهد جده ، إذ لو كان كذلك لما نشط لايفاد هذه البعوث الجديدة ، ثم هو ينفى ما وصموه به من اغلاقه للمدارس ، ومحاربته للتعليم ، ووقفه لوجوه الاصلاح ، ومعارضته لكل تجديد ، وغير ذلك مما شوه به المؤرخون الاجانب سمعة هذا الحاكم الذى رباه محمد على الكبير فأحسن تربيته ، وكان من بعد جده وعمه ابراهيم أول عامل لوقف نفوذ الاجانب وتقوية الروح المصرية فى البلاد

طاهر الطناحى



قصر محمد على الكبير

لوحة تاريخية لقصر محمد على الكبير بالأزبكية ، وتبدو أمامه البركة التى كانت فى ذلك الوقت مكان حديقة الأزبكية الحالية والاماكن المجاورة لها الآن . وهذه البركة كان يملؤها ماء فيضان النيل . وكان موقع هذا القصر وحديقته ، مكان فندق شبرد وحديقته والعمارتين المجاورتين له من الجهة الجنوبية والممتدتين حتى شارع فؤاد الأول الآن . وقبل الاحتلال الفرنسى ، كان ذلك القصر ملكا للالفى بك أحد كبار المماليك ، ثم جعل عند الاحتلال مركزاً لقيادة الجيش الفرنسى ، وفى حديقته قتل سليمان الحلبى القائد الفرنسى كليبر فى ١٤ يونيه سنة ١٨٠٠ م . وفى شهر أغسطس من سنة ١٨١٥ م هاجم بعض رؤوس الجنود الألبانية قصر الازبكية لاغتيال محمد على باشا عند ما أراد ادخال النظام العسكرى الجديد فى الجيش وتطبيقه عليهم ، ولكنه غادره قبل أن يهاجموه ، وتبادلوا مع حرسه النيران ، وقتل عدد من الفريقين . وصورة هذا القصر منقولة من أطلس كتاب « تاريخ مصر فى عهد حكم محمد على باشا من سنة ١٨٠١ الى سنة ١٨٢٣ م » لمؤلفه مسيو مانجان قنصل فرنسا العام فى ذلك الحين

[مهداة من سمو الامير عمر طوسون الى الهلال]

جبل طارق

حصن الانجليز العتيد في غرب البحر الابيض المتوسط

بقلم الأستاذ أمين الريحاني

> يقوم الكاتب الكبير الاستاذ أمين الريحاني بتأليف كتاب « في المغرب الاقصى » . وقد بعث الينا منه هذا الفصل عن جبل طارق . وهو وصف بليغ لهذا الحصن المنيع الذي اشتهر في تاريخ الحروب بين العرب والاسبان والانجليز

من طنف غرفتي في فندق الصخرة ، اللاحق ظهره بصدر الجبل ، تحت هوله الخالد ، أطللت على مشهد رائع من مشاهد الجمال الطبيعي ، والعظمة الدولية . فمن الصنوبر الساحق النازعة أغصانه القديمة الى الفوضى ، الى الازاهير تحته في جنائن تتغنى بالوفر والنظام ، الى ساحات معبدة فسيحة « للعب اﻟ تينس » ، الى طريق اسحم أملس بين البلدة وطرف الصخرة الشرقي ، مظلل بالاشجار مزدانة جوانبه بالازاهير المتدلية عرائشها من الجدران العالية – كل ذلك في انحدار عن انحدار الجبل الى الفندق ، في انحدار خفيف لطيف الى البحر

وهناك على شاطىء البحر – الطبيعي والاصطناعي – في الارض التي هي من الجبل والارض الردم – مظهر من مظاهر العمران المدفعي ، والعظمة الصناعية البحرية ، المجردة كلها من جمال الطبيعة أو الفن . هناك رمز العلم والقوة . هناك الارصفة الممتدة الى البحر ، المكعبة والمثلثة فيه ، كأنها قضايا هندسية . وهناك أبراج وجسور وعمد من حديد للبرق والدفء والنور ، ولرفع الاثقال ونقلها . وهناك المخازن والمستودعات ، والمرافىء والاحواض ، والمكاتب والمختبرات . وهناك المصانع لترميم السفن ، وللتنظيف والتجديد . وهناك المدرعات والغواصات والطرادات ، وقد عادت من نزهة في البحر المتوسط ، وهي متأهبة لدرء أخطار الحرب ، أو لخوض عبابها

هي بلدة قائمة بنفسها . وهي دوما في اشتغال : تار محركاتها لا تخمد ، وأنوارها تصل الشفق بالفجر . هي صخرة الدولة البريطانية . هي هي جبل طارق عظمتها البحرية

أما البلدة الاخرى ، جبل طارق السوقة ، فهي في الناحية الغربية ، بين الباب الشرقي والمرفأ التجاري . وهي في سوقها الكبير الاوحد ، وجاداتها القصيرة الضيقة المتفرعة منه ،

لاحقة هاهنا بسفح الجبل ، آوية هناك تحت صخوره ، ومستلقية على الساحل وعلى الارض الردم الذى أضافها الانكليز اليه

فى هذه البقعة المنقبضة المنبسطة معا يقيم سبعة عشر ألفا من الناس ، من السوقة ، وفيهم التجار والصيارفة وأصحاب المقاهى والملاهى والحانات من الامم الغربية والشرقية ، وهم يتراطنون بالاسبانية والانكليزية ، ولا يحسنون احداهما . لا يحسنون غير اللغة التى فيها رزق يومهم ، ولذات الليالى

أهل جبل طارق ناس من جنس خاص بالصخرة . لا اسبان هم ، ولا انكليز . لاوطنية لهم تحملهم على المشاغب والفتن ، ولا قومية تورثهم دائى الكد والاستعمار . هم حقا بريئون من اليقظات القومية ، والنهضات الوطنية . فلا يكلفون أنفسهم فوق طاقتها فى عمل من أعمال الحياة ، ولا يكلفون الا اليسير اليسير من الضرائب

يسميهم الانكليز « عقارب الصخرة » . وانهم ، فى هذا الزمان المثقلة فيه كواهل الامم بالضرائب ، لاسعد « عقارب » الدنيا شرقا وغربا . فلا عجب اذا كانوا لا يكترثون ، مثل صنف من الفلاسفة ، بخزعبلات السياسة ، وأباطيل السيادة والمجد . اذا سألت أحدهم : أأسبانى أنت ؟ قال : لا . أأنكليزى أنت ؟ أجاب : كلا . وما أنت ؟ أنا جبلطارقى Gibraltarian . يقول هذا وهو لا يعلم لماذا سمى الجبل باسم طارق ، ولا هو على شىء من مزايا طارق وجيله

فان كنا نرثى لحال من لا وطن ولا قومية لهم ، فالجبلطارقيون يرثون لحال من يجاهدون فى سبيل الاوطان

ومن أين جاء الجبلطارقى ؟ او انه ما جاء من مكان عبر البحر . هل نشأ اذن فى ظل هذه الصخرة مثل الحيوانات القديمة ؟ هل هو من نسل الرينوسود او القردة المنقرضة ؟ ليس فى تاريخ الحيوان ما يثبت حقيقة هذا الافتراض أو ينفيها . اما تاريخ الانسان ـ تاريخه الحديث ـ فهو ينير ويعين . هو يقول ان الاسبان ، سكان هذا الجبل قبل أن احتله الانكليز فى القرن الثامن عشر ، هجروه بعد ذلك الاحتلال ، ووقفوا فى هجرتهم فى منتصف الطريق ، بينه وبين الجزيرة ، فأسسوا لهم هناك البلدة التى تدعى اليوم سان روكه San Roque

ولا تزال سان روكه ، مثل شقيقتها لالينا La Lina التى هى على الحدود الانكليزية الاسبانية ـ وراء الصخرة ـ لا تزال مأوى لبعض أولئك النازحين من جبل طارق ، وأولئك الذين لا ترغب بهم السلطة المحلية ، أى المتشردين والفقراء اللاحقين بهم

وبعد أن نزح الاسبان من جبل طارق حل محلهم قوم من الطليان . جاءوا على الاخص من جنوا ، فرحب الانكليز بهم ، فأقاموا فى ظل الصخرة آمنين ، وتاجروا مطمئنين ، وتناسلوا فرحين ، فكانوا الاجداد لسكان اليوم

قلت ان فى جبل طارق بلدتين ، بلدة هؤلاء المتحررين من الطليان ، وبلدة الدفاع

البحري البريطاني ، وليس بينهما خيط صلة من الحرير او الشعر . بل ان البلدتين تختلفان في مزية أولية جوهرية . هي النطق الذى يميز الانسان عن الحيوان . ولنطق كله ، بعجره وبجره ، عند الجبلطارقيين ، والصمت كله ، بذهبه ونحاسه ، عند الجنديه والبحريه ، ومن يلوذ بهما من الانكليز . فان كنت طالب علم ، ولا يهمك مقدار ما فيه من الصحة،فدونك والشارع الكبير الاوحد،تحدث التجار فيه وأصحاب الحانات . وان كنت تبغي التحقيق والتدقيق فيما تسمع أو في موضوع يصله ولو خيط من العنكبوت بالصخرة الامبراطورية وأسرارها العسكرية ، فلا تدن من أحد العاملين في تحصينها وادارتها ، فانهم ومن يلوذ بهم لا يحسنون على الاجمال غير لفظتين اثنتين : لا أعلم

خرجت صباح يوم أمشي ، ولا هدف غير ما يكشفه الطريق . فرأيت شجرة بين الاشجار لا أعرف اسمها . وأنا في هذه الحال على شيء من شواذ الطبع فاغتاظ لجهلي ، ولا أقف عند حد في فضولي . قلت : أغتاظ ، ففرطت . فان شجرة أجهل اسمها بين اشجار أعرفها حيثما أشاهدها ، لشجرة مكربة مضنية . انها لتضنيني . أقول ذلك بلساني الشرقي واحساسي الموروث . واما بلساني الغربي الذى تمرن على التدقيق في التعبير ، واحسن شيئا منه ، فأقول : انها لتفسد النزهة علي . ولست في ذلك مفرطا أو مفرطا

وهاكها متحدية بين اشجار الصنوبر والسنديان . هي شبيهة بالسنديان وليست منه . وما هي كشجرة من عوامل الدفاع أو من أسرار الحصون والقلاع . فلعل هذا الضابط يساعد في كشف غمي . صبحته واعتذرت ، ثم سألته قائلا : « من فضلك ، ما اسم هذه الشجرة ؟ » فقال بلهجة مزلقة : « لا علم لي بالاشجار » . ثم سألت رجلا في ثوب مدني أنيق ، فتأسف وأجاب جواب الضابط

بعد ذلك بان لي في أعالي الجبل شيء من البناء غريب أنساني الشجرة . وكانت امرأة تدنو اذ ذاك مني ، وفي وجهها الدميم نبأ التقوى والصلاح ، فسألتها عن ذلك البناء، فأجابت بلهجة الضابط : « لا أدري » وهؤلاء الجنود الاربعة ، وقد خرجوا على ما يظهر متنزهين، لا بد أن يكون واحد منهم . ذاك الرفيق الاهاب الضارب الى الاصفرار ، عالما بعلم النبات فسألته اسم الشجرة . وكنت وأسفاه مخطئا في ظني

ثم سألت رفيقه أن يقول لي أي يوم وصل الاسطول الى جبل طارق ، فسمعت للمرة الرابعة أو الخامسة كلمة السر : لا أعلم

انا لفي جبل الصمت والتكتم . ولكن الحياة تأبى الاطلاق ، وتنفر من القياس الواحد فلا بد أن نلقى حتى في المقابر لسانا ناطقا . وها هوذا تحت الشجرة التي كادت تفسد على نزهة ذلك الصباح

كان الرجل يحرق بعض الاوراق. فسلمت ، فرد السلام بانكليزية سليمة ، ولهجة كريمة . وقد أجاب على سؤالي الاول جوابا استبشرت به . فما هو من الجندية ، ولا من البحرية ، ولا ممن يلوذون برجالهما أو بعيالهم . انما هو صاحب مغسل للجنود . وقد

كان في تلك الساعة يلهو بحرق الجرائد التي تجيئه من بلاده

فقال وهو يزيد في نارها : تجيئنا جرائد لندن مرة واحدة في الاسبوع ونحن نقنع بذلك • لا نريدها أكثر من مرة كل سبعة أيام • أهلنا هناك « في انكلتره » يشبقون كل يوم بطبخة من الخوف والذعر ـ الحرب على الابواب ـ تطبخها لهم الصحافة صباح مساء • ونحن هاهنا يجيئنا الخوف والذعر دفعة واحدة مرة كل اسبوع • فهل تصلح هذه الجرائد لغير النار • احرقها ، وبرد ـ خفف عنك

وعندما سألته اسم الشجرة أدهشني بثقافة عالية • فقد أعطاني الاسم وشفعه بنادرة تاريخية ، ومثل لاتيني رواه باللغة الاصلية • عجيب أمر هؤلاء الانكليز ، فانه يبلبل الباحثين الراغبين بالحقيقة فيهم نقدا وتقديرا

وقفت معجبا بذلك الرجل كل الاعجاب • أمثقف في جامعة أكسفورد وصاحب مغسل للجنود بجبل طارق ؟ سعدت دفعة واحدة بعلمه كما يشقى هو بجرائد لندن • وقانا الله الخير اذا طمى

قال صاحبي زاده الله علما وفضلا : اسم هذه الشجرة لاتيني هو ملتا Multa ولتسميتها قصة قديمة هي ان بعض الجنود الرومانيين في عهد يوليوس قيصر ، عصوا ضابطهم فقاصصهم قصاصا قرنه بالتجويع • اعتقلهم في معتقل بني بين أشجار مثل هذه الشجرة • وحرمهم الاكل أياما • وكانت أغصان الاشجار تتدلى في المعتقل بينهم وهي تحمل هذا الحب ثمرتها (هو شبيه بحب الدوم) فتناول منه أحد الجنود وأكل مجازفا بحياته ، ففرح بمجازفته ، فاقتدى به اخوانه ، فأكلوا من تلك الثمار واستمرؤوها جميعا ، وهم يضحكون من الضابط الذي حاول تجويعهم • اذ ذاك نطق الحكيم فيهم بالكلمة التي ذهبت مثلا : نيمو ملتاريوم الخ ، أي ليس بين الناس حكيم هو دائما حكيم • وسميت الشجرة ملتا

ومن مدهشات ما شاهدت في ذلك الصباح راع ولا كالرعاة ـ شاب في ثوب افرنجي نظيف ، يتأبط كتابا ، بدل ان يحمل القصب أو الناي ، ويسوق قطيعا من المعزى • هو ذا الراعي العصري المتمدن ! كتاب يذهب بالناي ـ علم يذبح الغناء والهناء !

وهناك من الاشجار ما يذكر بالغابات والبساتين اللبنانية ـ بصنوبر المتن ، بزيتون الشويفات ، بسنديان الاديرة ، بتين عمشيتا • رموز واشارات ، لا بساتين وغابات • على ان الرمز وجماله السابغ يجتمعان في العرائش المنورة بشتى الالوان ، الارجوانية والبنفسجية ، والحمراء والبيضاء • هي ذي عرائش ال « بورغنفي » ومجد الصباح Morning glory والدفلى والياسمين ، تحمل الى طيب بيروت في ليالي صيفها • ومجد الربيع منعشا فوق اسوار بيوتها والبساتين

أمعنت في الطريق المفروش بالاسفلت ، المصعد في الجبل ، فمررت ببيوت وضيعة جميلة تحاول الاختباء بين اشجار ال « ملتا » ، والملول والصنوبر • هي بيوت للضباط البريين والبحريين • وهذه أكواخ لاصقة بالصخور الشاهقة يقيم فيها بعض الفلاحين ، وهم

يكتفون من المهنة بتربية الدجاج وبيع البيض الى الجنود • وهناك ديرا بمدرسة للراهبات فوق الطريق ، ومجموعة تحته من البنايات الكبيرة ، تصل بعضها ببعض الجسور والاروقة، هي المستشفى العسكرى

دنوت من المكان العالى امامى ، القائم فوقه بناء ينشر علما سرى الخبر مثلى • هو مركز الانباء والاشارات البحرية ، يتبادلها والسفن الحربية والتجارية ، المستأذنة وهى فى المضيق بالدخول الى الميناء

وصلت الى الثكنة العسكرية عند منتهى الطريق فى طرف الصخرة الجنوبى الغربى ، اشرف على الناحية الشرقية منها ــ على جون « كاتالان » الجون الجميل الذى رأيته بعدئذ من الباخرة المشرفة • اوقفنى الحرس • لا مرور عند هذا الحد بدون اذن من الحكومة

عدت ادراجى بشىء من التعريج ، فوصلت الى نفق فى صخرة ضخمة ، ووقفت عند كتابة محفورة الى جانب المدخل ، فاذا هى تقول ان هذا النفق فتحه وأتمه تبرعا جنود جلالة الملكة فى سنة ١٨٤٢ ، ثم بلهجة شعرية تندر فى الانصاب والآثار الانكليزية :

« كذلك كان ، وكذلك سيكون »

« هو الجندى البريطانى »

« الشجاع فى الحرب »

« المحب فى ايام السلم للعمل والنظام »

دخلت النفق المؤدى الى أرض وراء الصخرة مهدها كذلك اولئك الجنود ، فبنيت فيها الثكنات • هناك فى تلك الساحة ، تحت جفن الجبل وفوق عين البحر ، تعصف الرياح على الدوام ــ الرياح الشديدة الباردة حتى فى الصيف، وقد كانت فى أشدها، على ما أظن، صباح ذاك اليوم • فوليتها ظهرى ــ رحت معها كما يفعل صاحب الشراع ابان العاصفة ــ فاذا بى عند الرأس الذى يسرع فى انحداره الى البحر من نواحيه الثلاثة الشرقية والغربية والجنوبية • واذا بى أمام صف من الخنادق المبنية بالا « أسفلت » وأدراج اليها ، وأروقة وراءها وبينها ، وأبواب الى داخلها ، حيث تكمن المدافع التى تبرز خياشيمها من نوافذ ترى البحر ولا يراها

وبين هذه الخنادق فوق سطوحها ، مصاطب مصونة لمدافع كبيرة أخرى ، دهنت بالدهان الازرق جزافا

كذلك كان ، وكذلك سيكون • صدقت الكلمة المحفورة الى جانب المدخل لذاك النفق • فان اسباب الدفاع بالامس لا تصلح اليوم ، وقد لا يصلح فى المستقبل ما كان منها صالحا فى هذا الزمان • وهذا الصالح اليوم هو فى أماكن أعلى من هذا المكان ، تحت القنن ، وفى بطن الجبل • هناك خنادق ومصاطب ومدافع جبارة ، لا تعرف ولا ترى ، لا من البر ، ولا من البحر ، ولا من الجو

أما ما يرى فى تلك المتحدرات الحادة الزوايا من البقع البيضاء الكبيرة ، فهى موضوع

حدس وتكهن للمسافرين فى السفن التى تعبر المضيق . فيقولون : هى جدران للطريق المؤدى الى رأس الجبل . ويقولون : هى فسحات ، قطعت أشجارها ، وجز نباتها ، لغرض من أغراض الدفاع . ويقولون : هى بقع صخرية جرداء تظهر فى بياض سابغ ، فتخفى ظلالها على الناظر اليها من عرض البحر

أما الحقيقة فهى غير ذلك . جبل طارق صخرة تقل فيها الينابيع ، ومياه البلدة والحصون، قديما وحديثا ، تجمع من الامطار فى الآبار . أما آبار اليوم فهى أحواض عمومية كبيرة توزع منها المياه الى البلدتين ، التجارية والعسكرية ، ومن أين تتسرب اليها مياه الامطار ؟ هو ذا السر فى تلك الجدران المبنية من الحجر الكلسى المنحوت بناء محكما ، على صدر الجبل ، فتتلقى الامطار ، وتحملها الى القنى فى أسفلها المتصلة بالاحواض

رأيت العمال فى احدى الساحات الصغيرة بالبلدة يحفرون خنادق أو أكواخا يلجأ اليها الاهالى من الغزوات الجوية ، اذا وقعت الحرب . وبينا هم يحفرون عثروا على آثار القنوات القديمة التى بناها العرب للغرض نفسه . فما تغير فى جمع المياه وتوزيعها غير الطريقة شكلا واتساعا (١)

جبل طارق - كم قامت حوله ولاجله من الحروب والحصارات منذ وطأته أقدام العرب بقيادة طارق بن زياد (٧١١ م) الى يوم استيلاء الانكليز عليه المرة الاخيرة (١٧٨٣) . كان يدعى قبل الفتح العربى جبل أليه - الاسم فينيقى - ويوم احتله طارق باثنى عشر ألفا من رجاله العرب والبربر كان فى حوزة القوط . فدارت بينهم وبين المحتلين رحى الحرب وفى يوليو من سنة الفتح ، على شاطىء النهر القريب من المكان القائمة فيه اليوم مدينة شربش Gereg كانت الواقعة الفاصلة ، التى دامت ثلاثة أيام، وانتهت باندحار القوط وتقدم العرب شمالا وغربا

وقد حصن طارق الصخرة بما بنى من القلاع والابراج على الشاطىء الغربى وفى أعالى الجبل . منها البرج المربع الذى لا يزال قائما هناك . تلك الجدران الدكناء ، بين فسحات من الاخضرار وتحت اطناف من الصخور ، وان تحدت الرواسى والسنين ، وظلت سليمة بعد كل ما شاهدت من حرب وحصار ، ان هى الا شهيدة الزمان ، وفدية التخاذل والنسيان

استمر حكم العرب فى جبل طارق ، على اختلاف عهودهم ودولهم ، سبعمائة وخمسين سنة . فانتزعه منهم الاسبان سنة (١٣٠٩) ثم فقدوه . وفى سنة (١٤٦٢) كان الفوز الاكبر لهم ، فأخرجوا العرب منه ، وزادوا فى تحصينه ، فظل فى حوزتهم ، بشىء من التقطع ، اكثر من مائتى سنة

---

(١) مساحة الجدران التى تتلقى المياه مليون وخمسمائة وسبعة وسبعون الف قدم مربع . ومقدار ما تسعه الاحواض تسعة ملايين جالون

أما استيلاء الانكليز عليه فقد كان للمرة الاولى فى الحرب الاوربية (١٧٠١ - ١٧١٤) التى أثارها ملك فرنسا الكبير لويس الرابع عشر

ما أتفه الامور الظاهرة التى كانت تقام من اجلها الحروب فى الماضى ! ولكنها كانت تطوى على غيرها ، وهى الجوهرية • هى هى المطامع الاقتصادية الاستعمارية بعينها • أراد لويس الرابع عشر أن يبسط نفوذه على اسبانية باقامة حفيده البرنس فيليب ملكا عليها خلفا لشارلس الثانى ، فقامت انكلترة تتويل لاختلال التوازن الدولى الاوربى ، فألفت حلفا منها ومن النمسا وهولنده والدنيمارك والبرتغال لمحاربة الفرنسيس والاسبان • دارت رحى الحرب فى أوربا بضع سنوات ، ثم امتدت الى اسبانية، فاحتل الاحلاف قادس، وقررت القيادة العامة ان تحتل كذلك جبل طارق • فأطلقت القنابل عليه فى ٢٣ يوليو سنة (١٧٠٤)، واستمر الحصار ستة أشهر فتكلل بالنصر فى ١٠ مارس سنة (١٧٠٥) للمحاصرين

كانت الجنود الهولندية والانكليزية مشتركة فى ذلك الحصار • ولكن الاميرال الانكليزى روك Rooke ضرب الضربة الاخيرة الفاصلة ، وأمر ، بدون أمر من لندن ، بأن يرفع فوق الصخرة العلم الانكليزى ، فقبلت لندن بالامر الواقع !

بيد أن ذلك الاحتلال لم يدم طويلا ، فى النصف الاول من القرن الثامن عشر ، لا للانكليز ولا للاسبان ، الذين حاصروا الصخرة فاستعادوها ، ثم فقدوها • وظل الاحتلال الانكليزى متقلقلا حتى الحصار الاكبر برا وبحرا (١٧٧٩-١٧٨٣) ، الذى يعد من أعظم حصارات التاريخ • ذاق الانكليز فيه أشد ويلات الحرب وأمرها • ومع ذلك ، وبالرغم عن مساعدة فرنسا ، ما استطاع الاسبان ان يزحزحوهم من مراكزهم المنيعة • كانوا والصخرة صنوين • فرفع المحاصرون الحصار ، وعقدوا والمحاصرين معاهدة صلح فى ٦ فبراير سنة (١٨٨٣)

منذ ذلك اليوم الى يومنا هذا استمرت سيادة الانكليز فى جبل طارق دون انقطاع ، وهى تزداد قوة وتمكينا بما بنوا فيه من الحصون ، وبما حفروا من الانفاق ، وبما أسسوا من المرافىء وردموا من البحر ، وبما حسنوا اجمالا فى أسباب الحياة المدنية والعسكرية، وفى أسباب المناعة البحرية ، فغدت الصخرة امضى الحصون واعزها فى العالم • وظلت كذلك حتى عهد السلاح الجوى الذى نحن فيه

أمين الريحاني

الحرب والعلم الحديث

بقلم الدكتور محمد محمود غالى

التفريق بين النجاح العلمي لتقدم الانسان ، وبعض النجاح العملي لضرره ـ كيف يستطيع العلماء استخدام البحوث العلمية للخير ، وكيف يستطيع الانسان استعمالها للشر ـ مثال من استخدام التبادل الضوئي الكهربائي لسعادة الانسان واستخدامه لضرره ـ مثال من استعمال الكوارتز لمعرفة اعماق البحار واستعماله لضرب البواخر والغواصات ـ تسيير الطائرات والقنابل بوسائل لاسلكية ـ قصة الميكروبات واستخدامها في الحروب

يعتقد البعض أن الحرب تقدم العلوم والمخترعات، فالحرب حاجة، والحاجة أم الاختراع، ويذكر هؤلاء تقدم بعض الاختراعات كالغواصة وغيرها من أجهزة التدمير في اثناء الحرب السالفة ، وهو رأى بعيد كل البعد عن الصواب اذ يجب التفريق بين النجاح العلمى الذى يترتب عليه تقدم الانسان والنجاح العملى فى وجهة معينة ومحدودة

والواقع ان الغواصة وجدت قبل الحرب وليس فيها ما يدهش وكانت فى خيال الانسان قبل اختراعها بوقت طويل ، وبين الاربعة والاربعين كتابا ورواية التى ألفها الكاتب الفرنسى جيل فيرن Jules Verne بين سنة ١٨٥٣ وسنة ١٩٠١ تطالع وصفا مسهبا لغواصة تخيلها فى كتابه « عشرون الف ميل تحت البحار » وهو الكتاب الذى طبعه سنة ١٨٧٠

فالغواصة اختراع عملى فائدتها محدودة فى أوقات السلم ، كثيرة الضرر فى اوقات الحرب

ولا شك فى اننا متفقون على التفريق بين التقدم العلمى والاختراع ، فأمر الطائرة والغواصة يختلف أذن عن سلسلة الخطوات العظمى التى ربحها العالم فى تقدمه العلمى فى السنوات الاخيرة ، وما أشد الفارق بين الكثير من الاختراعات اذا قورن بالنجاح الذى أحرزه رذرفورد الانجليزى وبرايش الالمانى وفرمى الايطالى وجوليو الفرنسى فى التفتت الذرى ، اذ أنه فى هذه الناحية يتطور مستقبل المدنية ، أو النجاح الذى ناله بكارل الفرنسى بالكشف عن النشاط الاشعاعى أو الذى قدمه باستير بالكشف عن الميكروب واستعماله المصل فى علاج مرض الكلب والحمى الفحمية وغيرها من الامراض الفاتكة ، ففى الغواصة نجد لدينا جهازا للتدمير ، وفى الاكتشافات العلمية المتقدمة نجد وسيلة نجعل بها السنين القصيرة التى تمر فى حياتنا سنى سعادة وهناء

عندما اكتشف العلماء التبادل الضوئى الكهربائى وعندما أرسل اينشتاين تفكيره العلمى الخالد فى هذه الظاهرة ، التى تتلخص فى أن وقوع الضوء على المادة يكون فى حالات

خاصة تيارا كهربائيا ، كان لا بد ان يلجأ الانسان لاستخدام هذا الكشف لسعادته ـ وليس المجال هنا لنذكر عشرات المسائل التى استعمل الانسان فيها هذه الظاهرة لتسهيل أعماله وبخاره ورفاهيته ، وكان لا بد أيضا أن يلجأ آخرون لاستخدام الكشف ذاته لايقاع الاضرار بالانسان

وعندما قررنا منذ عامين اننا استطعنا مع « روبير بيروه » الفرنسى أن نضع معا طريقة لاختراع جهاز يحوى عينا كهربائية وأنبوبة نيون لنعرف به منسوب النيل وما يطرأ عليه من تغيير على بعد آلاف الكيلومترات منا دون أن نضطر للذهاب الى هذه الامكنة البعيدة أو نضطر الى مد أسلاك كهربائية اليها ، بل عندما قررنا ووافقنا على فكرتنا العلمية المجمع العلمى الفرنسى اننا نستطيع أيضا معرفة كمية ما تحمله مياه النيل من طمى مهما كان مكان المياه بعيدا أو معرفة عمق هذه المياه ، فانما قصدنا أن نزيد فى مجهود هؤلاء المهندسين العديدين الذين يعملون على تنسيق موارد مياهنا وتوزيعها على أحسن وجه ، وان نساعد آلاف الزراعيين الذين يواصلون العمل فى زيادة موارد ثروتنا

ولكن عندما يستطيع المهندسون فى المصانع أن يستخدموا العين الكهربائية ذاتها فى جهاز آخر أكثر بساطة من الجهاز المتقدم فيستعملوا فى الطائرة جهازا يتمكن به الطائر من اصابة الطائرة التى يريد اصابتها بطريقة آلية مؤكدة فانهم يستخدمون حقيقة علمية لم تكن الغاية منها التفنن فى وسائل جديدة لهلاك الانسان

***

هذا مثال يبين كيف يبنى المهندسون على الظواهر الطبيعية التى كانت نتيجة الكشف العلمى اجهزة علمية غاية فى الدقة والتأثير فى ناحيتى الخير والشر ، وللقارىء مثال آخر : يتبع الكوارتز Quartz Pisto Electrique الذبذبات الكهربائية المرسلة فيه وينتج عن تردده ذبذبة الهواء المحيط به ، تلك الذبذبات التى تنتقل فى السائل مثلا وترد الى مكانها الاول عند اصطدامها بجسم صلب ، وقد استطاع الباحثون عند أحداث هذه الموجات تسجيل الهزات المرسلة والهزات المردودة

ومن معرفة سرعة الصوت فى السائل ومن قياس الوقت الذى يمر بين أرسال الذبذبات وعودتها ، بوسائل طبيعية دقيقة، أمكن معرفة المسافة التىذهبت وعادت فيها هذه الذبذبات، وهى المسافة بين الجهاز الموضوع على سطح الماء وقاع البحر ذهابا وأيابا . هذا الاكتشاف الرائع فى الكوارتز للعالم الفرنسى المعروف لانجفان Langevin كان سببا مباشرا لمعرفة أعماق البحار وسبر غورها ، بتجارب بسيطة تستغرق بضع ثوان ، دون اللجوء الىعمليات الجس القديمة . واعتقد ان المهندسين يستطيعون استخدام الفكرة المتقدمة فى استنباط جهاز يساعد الغواصات على معرفة مواضع المراكب الحربية أو التجارية ، وبالتالى الاقتراب منها وضربها ، أو ليساعد هذه المراكب على اكتشاف الغواصات ، وأن صعب نوعا ما ضربها ،

لاستطاعة الاخيرة أن تنتقل فى فراغ له ثلاثة محاور بينما لا تستطيع الاولى الا الانتقال على سطح محدود بمحورين

تسيير الطائرات والقنابل باللاسلكى

والمثال الثالث مما يجوز أن يتصوره العقل ومما يجوز أن نراه فى الحرب الدائرة فى المخترعات الجديدة خاص بالاجهزة الممكن التأثير على حركتها باللاسلكى Télécommande اننا نعرف انه من الممكن الآن تسيير الطائرات دون أن يكون بداخلها طائر يدير حركتها، وذلك بالتأثير عليها لاسلكيا من الارض ، وقد رأينا رأى العين منذ بضع سنوات ثلاث طائرات تطير فوق غابة بولونيا بباريس فى ليلة أقيم فيها حفل كبير فى سباق الخيل « لونج شان » ، ولم يكتف المهندسون بجعل هذه الطائرات تغدو جيئة وذهابا فوق الميدان ، دون أن يكون فيها شخص يؤثر على حركتها ، بل عمدوا الى وسائط لاسلكية جعلت الطائرات الثلاث تخرج من تلقاء نفسها أسهما نارية فى الليل لتفكهة الجمهور الذى كان يتطلع اليها باعجاب عظيم ، وليس المجال هنا لنذكر ما اذا كان هذا الاختراع يأتى بفائدة عملية فى الحرب أو السلم ، ولكن من المنتظر وقد وافقنى على هذا الرأى الأستاذ الكبير روبير بيروه Robert Bureau رئيس اللجنة الدولية لحماية الطيران ووكيل مصلحة الطبيعيات بفرنسا، من انه من الممكن تسيير القنابل الكبيرة وتوجيهها بلا سلك وجعلها تسقط فى الاماكن المعينة التى تريدها القيادة ، ولو صح مثل هذا الاختراع لما خرج عن تطبيق مسائل معروفة قبل الحرب أكثر مما تكون مسائل اخترعت اثناءها ، وانى أذكر ان الصحف روت وصف تجارب من هذا القبيل قامت بها المانيا منذ بضع سنوات فى بحر الشمال

على ان ذلك بعيد جدا عن البحوث العلمية الصحيحة التى غايتها التعرف على الظواهر الطبيعية وارجاعها جميعا الى مكونات أولى تقع كلها فى الحيز والزمن وفق أحدث الآراء ، وتفسير هذه الظواهر بما ينسجم مع المعارف السابقة وما يتفق والميراث العلمى الصحيح ، الذى أصبح من العظمة بحيث يجدر بالانسان أن يفخر به ، ويحاول ما استطاع أن يحافظ عليه بالقضاء على كل الاساليب الوحشية التى تضعه موضع الضعف وتعرضه للتدمير ، وهذا التقدم العلمى أساسه الجامعات والافراد الغيورون على تقدم الانسان ، هؤلاء الذين يترددون دون دافع لهم على دور الكتب والمختبرات والذين يستطيعون متابعة النشر العلمى الذى ليس له علاقة فى أكثر نواحيه باختراعات الحرب والتفنن فى وسائل التقتيل والذين يهبون أوقاتهم لاتمام هيكل الحضارة والذين هم الدعامة الدائمة لتقدم الجنس البشرى

هذا التقدم المبنى فى أغلب الاحوال على سلسلة من التقدم العلمى ، مثل التعرف الجزئى وكل ما يتبعه من تقدم سينيتيكى وحرارى ، واستكناه الذرة وكل ما يتبعها من تقدم كيميائى فى القرنين الماضى والحاضر • والكشف عن الميكروب وكل ما تلاه من تقدم طبى • والتعرف

عن الالكترون وكل ما يتبعه من تقدم كهربائي بل تقدم في معرفة مكونات الكون وعلاقة بعضه بالبعض الآخر - هذا التنظيم الرائع والبناء الشامخ لهيكل البشرية لم تكن الحرب يوما ما أساسا فيه ، بل انها فترة تعطيل للذين يشيدون هذا الهيكل العظيم

هذه الحرب التي تجلب الدمار وتحمل في طياتها الخراب في كل شيء يقتل بين من يقتل فيها أيضا فريق كبير من الشبان العلماء • وان غرق بارجة تكلف الملايين لا يوازي عندي أن أرى جوليا G. Julia استاذ السوربون والرياضي المعروف قد أحرقت قنابل الالمان نصف وجهه في الحرب الماضية • وحلت قطعة من القماش الأسود محل عينه اليسرى وأذنه ووجنته ، وطالما استمعنا اليه وهو على هذه الحال في مدرج كوشي

الميكروبات في الحروب

وأذكر يوما كان الاستاذ هنري موتون استاذ الطبيعة الكيمياوية في السوربون طريح الفراش ، فعدته مع والدي في منزل اشتراه في أيامه الاخيرة في ضاحية «بوزون» Bezons من ضواحي باريس ، فقلت للاستاذ الكبير الذي كشف عن الظاهرة المسماة ظاهرة «كوتون موتون» والذي اخترع الالترامیکروسکوب : « اسمعت بحادث مدرسة التجارة بباريس ووفاة ١٢ طالبا بها بجراثيم نشرت بالمدرسة يظنون انها تجارب قام بها بعض الجواسيس الالمان ؟ وهل سمعت بما تبع ذلك من قيام السلطات الفرنسية بتجارب في بعض خطوط المترو تحت سطح الارض لمعرفة مدى الاثر الذي يحدثه نشر الميكروبات بالطرق المختلفة

ترك الاستاذ ما أمامه من النشرات العلمية التي كانت تتولى وضعها على المنضدة قرينته العجوز والتفت الى وقال : « هذا موضوع يستدعي الدراسة ولا أعتقد سهولة نشر الجراثيم دون أن يعترض ذلك صعوبات عملية ، ومع ذلك كل شيء جائز حدوثه ، ولكن ثمة أمر أود ان تتبينه ، وهو انه في اليوم الذي يستطيع فيه الالمان أو غيرهم استخدام الجراثيم في مقاتلتنا ، فانا سنعرف كيف نستعملها بعد وقت وجيز لمقاتلتهم ، ذلك أن العلم تقدم الى درجة أصبح فيها نجاح أي عملية عند فريق كاف لنجاحها عند الفريق الآخر »

***

وخلاصة الرأي انه ليس للحرب من فائدة وهي أبعد من أن تقدم العلم أو تدعو العلماء للعمل ، وكل ما ينتج عنها الوقوف بجانب هام من الابحاث العلمية التي يقوم عادة بها العلماء غير المغرضين من جميع الامم ، أمثال بلانك في ألمانيا واينشتاين الآن بأمريكا وكوتون ودي بروي في فرنسا وفرمي في ايطاليا وكل علماء معامل كامبردج وكل ساع للخير

محمد محمود غالي

دكتوراه الدولة في العلوم الطبيعية من السوربون - ليسانس العلوم التعليمية - ليسانس العلوم الحرة - دبلوم الهندسخانة

اناشيد للمتأدبين الصغار

بقلم الأستاذ خليل مطران

نشرنا فى عدد الحرب ـ عدد نوفمبر الماضى ـ ثلاث أراجيز طريفة من الاناشيد الشائقة التى قام بوضعها الاستاذ خليل مطران للمتأدبين الصغار فى الفضائل الذاتية والفضائل العملية ، وفى النفس والجسم والوطن . وهنا ننشر هاتين القطعتين من هذه الاناشيد

الله

اللهُ ربكَ الأحـد بارئُكَ الحى الصَّمد
إياهُ ما عشتَ احمَدِ وغيرَهُ لا تعبُدِ

هو العزيزُ القادرُ هو الرحيمُ الغافرُ
الشَّامـلُ الانسانِ بواسعِ الاحسانِ

بنائـل أشرفَهُ عقـلٌ به يعرِفُه
يرى به ثوابَـه أو يتقِ عقابَـه

فى حدِّ ما قد أنزلا مفصَّلا أو مجمَلا
بعلمِهِ القـديمِ فى دينـهِ القويمِ

عظم الخالق

سُبحانهُ من مُوجدٍ مُنوِّعٍ مُجـددِ
مُقـدَّسِ الاسماء فى الأرض والسماء

مُبِينـةٌ آياتُهُ خفيَّةٌ غاياتُـهُ
فى صُنعهِ لم يَدعِ مَظِنـةً لأبدعِ
وكلُّ شيء يُظهرُ من نُورِهِ ما يَبهر
قد قدَّرَ الحقائقا وصور الخـلائقا

خلقهُم ثم هَدى ثمَّ يُعيدُهم غدا

الحرب عند قدماء المصريين

بقلم الاستاذ محرم كمال

الأمين المساعد بالمتحف المصرى

مصر عريقة فى الحضارة والمدنية ، عريقة فى المجد العلمى والفنى ، وهى عريقة كذلك فى المجد الحربى ، وتنظيم الجيوش ، وتدبير الغزوات الموفقة. والفتوحات التاريخية التى بقيت اخبارها على الآثار الفرعونية شاهدة بعظمة المصريين وبطولتهم فى الحروب كما تراه فى هذا المقال الطريف

كانت مصر منذ قديم الزمان ، كما يقول « سترابون » بلد أمن وسلام ، فبحكم موقعها الجغرافى ، يحدها البحر الابيض المتوسط من الشمال وتحصنها سلسلتا جبال ليبيا والعرب من الشرق والغرب ، وتقوم الى جنوبها بلاد الزنوج ، وهم أقوام ضعاف فقراء ، كل ذلك جعل مصر قانعة بعيشها ، مقفلة فى وجه الاجانب من كل جهة

الجيش المصرى فى الدولتين القديمة والوسطى

فلم تكن الاحوال فى الدولتين القديمة والوسطى تدعو الى تكوين جيش وطنى عظيم ، نعم تسليمنا بأن الزنوج وقبائل البدو فيما وراء حد مصر الجنوبى كانوا من الفقر بحيث كانوا يغيرون من وقت لآخر على حدودها ، الا ان غاراتهم لم يكن هدفها سوى سرقة المواشى ونهب القوافل ، وكان التغلب عليها وردها على أعقابها ميسورا لا يستدعى مقدرة حربية ممتازة ولا جيشا قويا منظما

لذلك كان ملوك مصر فى هذا العصر يعتمدون على الفرق التى يقدمها أمراء المقاطعات الى فرعون عند الحاجة ، فكان جيش البلاد حينذاك يتألف من تلك الفرق فيتكون منها جيش مختلط • ولعل أكبر حرب قامت بها مصر فى عصر الدولة القديمة وبقى لنا وصف شامل لحوادثها هى الحرب التى شنها الملك «بيبى» على « الاسيويين الذين يعيشون بين الرمال » (ولعل النص يقصد قبائل البدو التى عاشت جنوبى فلسطين واغارت على أراضى الدلتا الخصبة لايجاد مرعى لمواشيها) • فهذه الحرب كانت من الخطر بحيث لم يعتمد « بيبى » فى ادارتها وتنظيمها على أمراء المقاطعات ، بل اختار لها رجلا ممتازا هو « أونى » وكان فى الاصل كبيرا للقضاة ونال حظوة خاصة لديه • ويظهر ان فرعون كان قليل الثقة بمقدرة أمراء الاقطاع الحربية ، فاحتاج الى شخص كفء يستطيع الاضطلاع بمهمته وتنفيذها

على الوجه الاكمل ، فكان هذا الشخص هو «أونى» الذى يحدثنا فى النقوش التى كتبها على جدران مقبرته بالآتى :

« أعلن جلالة الملك الحرب على قبائل البدو الاسيويين ، فجمع جيشا كبيرا يتكون من عشرات الآلاف من الرجال جلبهم من جميع أنحاء البلاد ابتداء من الفنتين (اسوان) فى الجنوب حتى أقاصى الشمال، وضم اليهم رجالا أخذوا من المعابد والقلاع وبلاد الزنوج، ووضعنى جلالته على رأس هذا الجيش ، فزحفت به ومزقت بلاد البدو شر ممزق وقلبت معالمها وهدمت قلاعها وأهلكت زرعها وكرومها ، وقتلت جيوشها ، وعدت بجموع غفيرة من الاسرى »

ولدينا من الدلائل ما يثبت ان الامر فى الدولة الوسطى استمر على هذا الحال ، ففى الاسرة الثانية عشرة كان لكل أمير من أمراء الاقطاع جيشه الصغير المحلى يرأسه موظف يلقب « بالمشرف على الجنود » كان ينوب فى الرئاسة عن الامير نفسه ، وكان من النادر أن يكون لهذه الجيوش عمل ، فكان هذا المشرف يعمل فى زمن السلم فى الاشراف على المزارع هو وجنوده ، أو فى مرافقة بعثة ترسل الى المناجم أو المحاجر فى الصحراء ، فكان عملهم أقرب الى أعمال البوليس منه الى أعمال الجيش

على أن الاهتمام بتدريب الجنود وتمريناتهم كان أمرا ذا بال فى عصر الدولة الوسطى ، فما لدينا من نقوش رسمت على جدران مقابر بنى حسن يرينا سلسلة من الحركات والتمرينات العسكرية التى كان يزاولها الجنود بخفة ونشاط ، كما أن مناظر الاستيلاء على القلاع واقتحامها التى وجدت بكثرة على جدران هذه المقابر يثبت لنا ان المصريين فى هذا العصر كانوا يهتمون بالامور الحربية الى حد كبير

الفراعنة ينشئون خطاً حربياً

على انه مما يلفت النظر فى عصر الدولة الوسطى ، ان المصريين بذلوا مجهودات جبارة فى تحصين النقط الضعيفة فى حدودهم الطبيعية ليحموا بلادهم من اغارة البرابرة . فأقام « سنوسرت » الثالث على حدود مصر من جهة الجنوب خطا حربيا مكنه من الرقابة والسيطرة على مياه النيل من جهة ، وسد الطريق فى وجه سفن الزنوج القادمين من الجنوب من جهة أخرى ، بأن اختار «قمة» الواقعة على الشاطىء الايمن من النيل والتى تمتاز بمناعة طبيعية بحكم وقوعها على تل تحيط به المهاوى والحفر من كل ناحية ، فأحاطها بسور متين تقوم فيه قلعتان بارزتان من الجهتين الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية ، وهاتان القلعتان تشرفان على المدخل من جهة ، وعلى طريق الماء من جهة أخرى . أما موقع « سمنة » فقد كان أقل حصانة وملاءمة ، فهى تقوم على الشاطىء الايسر للنيل ، وليس هناك ما يحميها سوى جبل يقوم فى الجهة الشرقية منها ، بينما تقف الجهات الثلاث الاخرى مكشوفة للعدو ، فرئى

اقامة سور حولها • وبلغ من حرصهم أن بنوا سورا آخر داخل هذا السور على بعد مائة قدم منه ، ثم ردموا المساحة التى يحيط بها السور الداخلى،فصار الجزء الواقع بين السورين أشبه شىء بالخندق

متى تعلم المصريون فن الحرب

دار الزمن دورته وضعفت مصر حينا من الدهر تمكن العدو منها ، فدخل الهكسوس البلاد وحكموها وكونوا الاسرات الرابعة عشرة والخامسة عشرة والسادسة عشرة ، وكانوا فى أول أمرهم ظالمين ، ولكنهم عدلوا عن ذلك فيما بعد ، وتطبعوا بكثير من الطباع المصرية وشيدوا كثيرا من المعابدوالمبانى ، واتخذوا لهم معبودا مثل معبود المصريين،واكتسب منهم المصريون فوائد عادت عليهم بالنفع ، فان الهكسوس أدخلوا الخيل فى مصر ومنهم تعلم المصريون الفنون الحربية وتعبئة الجيوش الجرارة ، ليس هذا فحسب بل ان نجم مصر الحربى بدأ يتلألأ منذ ذلك الوقت كنتيجة لما اكتسبه المصريون من خبرة عسكرية ودربة فى تلك الحروب التى أخذ يقوم بها ولاة مصر الشرعيون لاخراج الفاتحين من الهكسوس واستئصال شأفتهم من البلاد ، حتى تمكن « أحمس » الاول مؤسس الاسرة الثامنة عشرة من غزو الهكسوس فى عاصمتهم « أواريس » وطردهم منها ، ثم اقتفى أثرهم وغزاهم ثانية فى شاروهين بالجنوب الغربى من فلسطين فافتتحها بعد حصار دام ثلاث سنوات ،

وبدأت بطولة ملوك الدولة الحديثة تظهر بحكم وجود أول جيش ثابت منظم للدولة ، فلم يكتف هذا الملك بهذا النصر وانما والى حروبه فى الشام وبلاد النوبة ، ولم يشغله هذا عن توجيه عنايته الى الامور فى داخل بلاده ، اذ قام بحملات انتصر فيها على الامراء الوطنيين الذين حاولوا أن ينازعوه السلطة وأفناهم عدا أعوانه المخلصين مثل أمير الكاب ، فدانت له جميع البلاد بالطاعة

مجد مصر الحربى

بدأ منذ ذلك العصر مجد مصر العسكرى فى التألق ، فلسنا نعرف ملكا من ملوك هذه الأسرة (الثامنة عشرة) أو الاسرات التالية ، أو الدولة الحديثة على العموم ، تولى الملك دون أن يقوم بأعمال حربية ممتازة ، اما لتأديب العصاة فى البلاد المجاورة ، أو لاضافة مستعمرات جديدة الى الامبراطورية المصرية • فلدينا « أمنحتب » الاول وغزواته فى الشام والنوبة معروفة ، وتلاه تحتمس الأول الذى انتصر فى جميع الغزوات فى الشام وبلاد النوبة وأرض الجزيرة ، وتم له اخضاع بلاد الكوش (النوبة) نهائيا ، وكان يعود للمصريين بالاسرى والغنائم الكثيرة فيزيدون فى ثروة البلاد • وعندما أتى « تحتمس » الثالث الذى لقبه الكثيرون بـ « نابليون » مصر القديمة ، كانت فى البلاد أكبر قوة عسكرية

مدججة بالسلاح فى العالم القديم أجمع ، فقد كان تحتمس عندما تولى العرش فتى عريض الصدر مفتول الساعدين ذا قامة فارعة وعينين تنمان عن صادق العزيمة والتوثب (كما يثبت ذلك تمثاله الموجود بالمتحف المصرى) ، فتمكن بعد فترة وجيزة من الحكم أن يخلق لمصر امبراطورية مترامية الاطراف جاوزت حدودها نهر الفرات شمالا والشلال الرابع جنوبا

وكان ببلاد الشام فى تلك المدة عدة ولايات صغيرة خاضعة لنفوذ مصر فشقت عصا الطاعة ، فخرج اليها تحتمس فى السنة الثانية والعشرين من تتويجه ونزل بجيشه على السفح الجنوبى لجبال الكرمل ، وكانت جيوش الاعداء يقودها ملك « قادش » قد عسكرت فى « مجدو » فأقسم تحتمس ليكونن فى طليعة الجيش فولى الاعداء مذعورين تاركين معظم النفائس بمعسكر ملك قادش غنيمة باردة للمصريين • ثم حاصر « مجدو » فسلمت اليه بعد بضعة أسابيع ، ثم رجع الى مصر بعد أن غاب عنها ستة اشهر

وكان صيته قد طار الى مدينة بابل فتودد ملكها لفرعون وأهدى اليه الاحجار الكريمة والجياد البابلية المطهمة • وقد غزا تحتمس بلاد سورية ثانية وثالثة ورابعة • وكانت أهم أعماله فيها اتمام اخضاع البلاد • ثم أوغل فى الغزوة الخامسة ففتح « أرواد » وغيرها من المدن الفينيقية وغنم منها • وفى الغزوة السادسة حاصر « قادش » ولم تسلم اليه الا بعد حصار طويل لمناعة موقعها • وفى مدة الحصار شق أهل مدينة « أرواد » عصا الطاعة فذهب اليهم « تحتمس » فى السنة التالية وأخضعهم وأخذ منهم الجزية ومن جميع بلاد الشام • ثم تأهب لغزو بلاد ما بين النهرين ، ففى السنة الثالثة والثلاثين من حكمه مر بجيشه من « قادش » الى « قرقميش » ثم عبر نهر الفرات وأقام وراءه نصبا بجانب نصب « تحتمس » الاول دون عليه نبأ وصوله الى تلك البقعة ثم سار جنوبا حتى وصل مدينة « نينوى » وبعد أن فتحها لبث ثمة قليلا للرياضة بتصيد الفيلة ، وكان أمراء بين النهرين يقدمون له الجزية اقرارا بخضوعهم له

وقد زادت قوة تحتمس الثالث من مهابة أساطيله البحرية فأصبح ملك قبرص أشبه بوال له ، وصار الاسطول المصرى يلقى الرعب فى النفوس فأكسب مصر نفوذا يمتد من شرقى البحر الابيض الى ما وراء بحر ايجه وكان له فائدة كبيرة فى فتح الشام

ملوك مصر يتهجون للقتال

بهذا الفن الحربى المنظم والجيش القوى الثابت أخذ ملوك الاسرة التاسعة عشرة يجدون لذة فى الحروب ، حتى أصبح حب الحرب صفة لازمة فى الملك تعادل فى لزومها عبادة اله من آلهتم ، فما تكاد الاخبار تأتى الى الملك بأن رؤساء قبائل البدو قد أخذوا يثورون حتى « يتهجج قلبه بأن زمن القتال قد حان ويهرع الى الحدود فيجتازها وينزل فى العدو ذبحا وتقتيلا » • وكان أمام ملوك هذه الاسرة أمة قوية هى دولة الحيثيين ، فاكسبت حروب

المـدى الحيوى

(Lebensraum)

الفكرة التى استهوى بها هتلر الشعب الالمانى

بقلم الاستاذ عبد الحميد عبد الغنى

روى الاديب الانجليزى « ويلز » فى قصة « الفزع المقدس » التى أخرجها منذ عهد قريب ، تاريخ شاب نشأ فى غمار الناس ودرج فى زحامهم ، غير متميز من عامتهم ، بفيض من نور الذكاء ، أو مدى الخيال ، أو رشد الخلق والفضيلة . ولكنه ـ مع هذا ـ استرعى بصرهم ، واستأثر بثقتهم ، فأسلموه زمامهم ، وساروا أمامه كما يسير القطيع أمام راعيه .. ذلك ان هذا الشاب ، وان لم يؤت نصيبا ممتازا من هذه الصفات التى تؤهل المرء للظهور وللسيادة ، الا انه قد اتخذ بدلا مما حرمته الطبيعة اياه صناعة من تعلمها وأجادها ، رأى الابصار تتطلع اليه خاشعة وسمع الجموع تهتف باسمه صادقة فاذا به زعيم لا يدانيه الزعيم الموهوب !

هذه الصناعة هى « صناعة الزعامة » التى تقوم على مبدأ بسيط يسير هو أن « تبتكر » كلمة جذابة ولكنها غير مألوفة ، غريبة ولكنها ذات معنى ، ثم تتخذ هذه الكلمة اسما لمبدأ سياسى تجهر به ليل نهار ، فاذا ثابرت على اعلانه جاهدا صابرا ، فاطمئن ، فسوف يقبل عليك الناس أفواجا ، وسوف يدخلون فى مبدئك مؤمنين ، فاذا أنت زعيم دون الزعماء .. وقد اهتدى ذلك الشاب الذى صوره « ويلز » الى كلمة « الحاسة الاجتماعية » فاتخذها عنوانا لمبدئه السياسى

أما هتلر ـ وهو على الارجح أدرى بالزعامة من ذلك الشاب ! ـ فلم يكتف بكلمة واحدة بل ابتكر كلمتين خلع كلا منهما على مبدأ سياسى . ذلك ان هتلر كان يرمى الى غايتين : احداهما فى داخل ألمانيا ، وقد أعد لها مبدأ سماه « نقاء الجنس » ، وثانيتهما خارج حدودها وقد اتخذ لها مبدأ أسماه « المدى الحيوى » . وليس لنا أن نتحدث الآن عن المبدأ الاول الذى استغل له ما كان بين جمهرة الالمان وفريق اليهود من الجفوة والنفور ، فاتخذه ذريعة يبرر بها ما أتاه بهذه الاقلية من ضروب التنكيل والتمثيل . ولنقصر الحديث على المبدأ الثانى الذى يريد أن يخدع به العالم تبريرا لهذه الحرب التى أضرم سعيرها

ما هو المدى الحيوى ؟

قال هتلر فى خطابه الساخر الذى ألقاه فى الريشستاغ ردا على رسالة روزفلت اليه فى ابريل الماضى : « فى وسع المرء أن يعتقد انه يمكن ـ من الوجهة النظرية ـ حل جميع المشاكل فوق مائدة مؤتمر يجمع الشعوب المتنازعة ، وذلك اذا أتيح لجميع الشعوب أن تقتسم انتاج هذا العالم على قدم المساواة . ولكن كيف يكون هذا اذا ادعى أحد الشعوب ـ يعنى الشعب الامريكى ـ انه فى حاجة الى مدى حيوى لانه لا يستطيع أن يأوى خمسة عشر فردا فى كل كيلو متر مربع ، بينما هناك شعوب أخرى مكرهة على أن تزحم ١٤٠ أو ١٥٠ أو ٢٠٠ فرد فى هذه المساحة نفسها . ثم لا تكتفى تلك الشعوب السعيدة بمداها الحيوى الرحب الفسيح ، بل تجتزىء قطعا من هذه الارض الضيقة التى تسكنها الشعوب التى طالما قاست وعانت ، وذلك بأن تسلبها ـ مثلا ـ ما لها من المستعمرات ! »

هذا هو المدى الحيوى الذى يتحدث عنه هتلر حديثا تتبين فيه كثيرا من الغموض والتفاوت والاضطراب ، دلالة على أن فكرته لم تنضج فى ذهنه ولم ترسخ فى يقينه ، وان كان قد أفلح فى الدعوة اليها فضلل بها كثيرا من العالمين .. هل يريد هتلر أن تنال كل دولة من دول العالم المستقلة ، وعددها اثنان وسبعون دولة ، ١/٧٢ من الانتاج الزراعى والصناعى فى العالم بأسره ؟ ان كان يقصد الى ذلك فلنقل ان انتاج ألمانيا يفوق أربعة أمثال هذا القدر الضئيل ، فلو اقتسمت الدول انتاج العالم على قدم المساواة ، لوجب ان تتنازل ألمانيا عن ثلاثة أرباع ثروتها !.. لعله اذا يريد ان تتوزع كمية الانتاج العالمى وفق عدد سكان كل دولة ، فتنال ايطاليا من هذه الكمية ٢ ٠/٠ ، واليابان ٣ ٠/٠ ، وألمانيا ٤ ٠/٠ وروسيا ٨ ٠/٠ ، والصين ٢٠ ٠/٠ ، ومصر ٠٫٨ ٠/٠ ، وهكذا ، ولكن احصاءات الانتاج الصناعى والزراعى لا تلبث أن تثبت أن نصيب ألمانيا ليس ٤ ٠/٠ بل ٨ ٠/٠ من مجموع الانتاج العالمى ، وانها تطغى بذلك على أنصبة كثير من الدول التى قد تفوق ألمانيا فى الحضارة

فماذا يفعل هتلر اذا تبريرا لمداه الحيوى ؟ انه يتخلى فورا عن فكرة توزيع انتاج العالم توزيعا عادلا ، ويأخذ توا بفكرة اقتسام الكرة الارضية بين الدول وفق عدد سكانها . ولكن أليس من الواضح ان الدول لا يعنيها اتساع الارض التى تسكنها ، وانما تعنيها مدى قوتها على الانتاج الزراعى والصناعى ؟ فلنبحث اذا مبلغ حاجة ألمانيا الى « مدى حيوى » من الارض خارج حدودها ، لتتبين ماذا يرمى هتلر من هذه الحرب

ألمانيا ومداها الحيوى

يبلغ عدد سكان ألمانيا ٤ ٠/٠ من مجموع سكان العالم ، أما مساحتها فلا تتجاوز نصف ٠/٠ من مساحة الارض المعمورة . فلنقل اذا ـ كما قال هتلر ـ انها مزدحمة بسكانها الى درجة الضيق والاختناق ، وانها فى حاجة الى « مدى حيوى » يخفف عنها أعباء هذا الازدحام .

ولكن قبل أن نبحث فى هذا الرأى نرى أن نلقى سؤالا وجيزا : ما باله اذا قد استولى على بولندا وأضافها الى بلاده ، مع ان بولندا ذاتها فى حاجة ـ وفق نظريته ـ الى مدى حيوى خاص بها ، ذلك أن عدد سكانها يبلغ ١ر٦ ٠/٠ من سكان العالم مع أن مساحتها لا تتجاوز ٣ر ٠/٠ من مساحة اليابسة ؟! وهم يقولون ـ علاوة على هذا ـ انه عندما اقتسم بولندا بينه وبين روسيا ، ترك لشريكته المناطق الخالية الفارغة بينما اختص ألمانيا بالمناطق المزدحمة المأهولة ! فهل تراه يحارب فى سبيل هذا « المدى الحيوى » الذى من شأنه ان يزيد الناس زحاما فوق زحام ؟

ولنعد ، بعد هذه الملاحظة ، الى التساؤل عما اذا كانت ألمانيا مزدحمة بسكانها ازدحاما يبرر أن تطالب « بمدى حيوى » خارج حدودها ؟ اننا اذا نظرنا الى النسبة بين مساحة الارض وعدد السكان وجدناها مزدحمة حقا ، فان كل كيلو متر مربع منها يأوى ١٣٥ نسمة ، بينما هو لا يضم سوى أربعة عشر شخصا فى الامبراطورية البريطانية ، وتسعة أشخاص فى الامبراطورية الفرنسية ، وثمانية أفراد فى روسيا السوفياتية ، كما أن متوسط ما يخص كل كيلو متر مربع فى الارض من سكان هذا العالم هو خمسة عشر شخصا ، ولكن اذا تقصينا الحقائق التى تختفى وراء هذه الارقام ، وجدنا أن عدد سكان ألمانيا حتى يومنا هذا لم يبلغ الدرجة التى تكفيها داخل حدودها ، فضلا عن أن تتبرع بهم لتعمير البلاد التى تغزوها أو تطلبها باسم الحاجة اليها « كمدى حيوى » ! ولسنا نفترض هذا الرأى أو ندعيه ، بل ندع زعماء ألمانيا يبدونه ويشرحونه :

ففى سنة ١٩٣٤ جردت ألمانيا « حملة الانتاج الفلاحى الالمانى » ووضعت لها عشر وصايا أو مبادىء كان أولها : « ان ألمانيا فقيرة فى مساحتها ، ولكنها غنية بسكانها ، وثرية بمواردها • ولهذا فانها تستطيع أن تضمن تغذية شعبها من هذه المساحة الضيقة ، وان تسير أيضا فى طريق الانتاج الصناعى حتى تبلغ غاية بعيدة »

فهى اذا ترى أن كثرة سكانها يعوضها عما حرمته من سعة أرضها ، وان وفرة موارد الانتاج فيها تقتضى ان تقابلها كثرة الايدى التى تستغلها ، وان مصلحتها الاقتصادية تتطلب ازدياد عدد سكانها لتعظم مقدرتها على استغلال نواحى الثروة فيها • بل انا نستطيع ان نرى فى سياسة ألمانيا الاقتصادية أدلة كثيرة على أن هذه البلاد لا تشكو كثرة السكان بل تشكو قلتهم • ففى خلال السنوات الخمس الماضية أكرهت ٧٠٠ر٠٠٠ نسمة على أن يهاجروا من القرى الى المدن ليعملوا فى نواحى الانتاج الصناعى التى لا تجد الايدى الكافية لاستغلالها • وقد كان أول ما فعلته ألمانيا عقب استيلائها على بوهيميا ومورافيا ان استوردت منهما عشرات الآلاف من العمال والصناع ليساهموا فى ادارة الحركة الصناعية التى ما زالت تفتقر الى عدد ضخم من الايدى العاملة • وقد قال «المعهد الالمانى لبحوث العمل» فى تقرير أصدره فى العام الماضى : « انه برغم ازدياد حركة العمل بفضل الجهود العظيمة التى بذلت فى سنة ١٩٣٨ فما تزال الحاجة الى الايدى العاملة واضحة ظاهرة • ففى

بدء سنة ١٩٣٨ قدر عدد الايدى العاملة المطلوبة « لتغطية » ميادين العمل الحالية بزهاء ٥٠٠ر٠٠٠ عامل ، أما في سنة ١٩٣٩ فسيزداد عدد العمال المطلوبين حتى يبلغ مليون نسمة » ومع هذا فان المانيا تصرخ صراخا يصم الآذان ، ثم تقيم حربا تخرب الدنيا جميعا

حركة تشجيع التناسل

واذا كانت ألمانيا تعانى كثرة السكان وازدحامهم ، فما معنى هذا الكفاح فى سبيل تشجيع الالمان على التناسل والتكاثر ؟ لو أن المانيا قد ضاقت حقا بأهلها لما جازفت — فى أعصب أوقاتها المالية — بأن تنفق مئات الملايين من الماركات تشجيعا لابنائها وبناتها على الزواج ، وذلك حين وضعت نظام قروض الزواج الذى عقد بفضله ما يقرب من ١ر٢٥٠ر٠٠٠ زواج • فقد تولت الحكومة منح كل من يريد الزواج قسائم قد تصل قيمتها الى ألف مارك ، ليستبدلها بما يريده من أثاث وفراش وملابس ، دون أن تتقاضى الحكومة فائدة ما على هذا القرض ، الذى يرده المدين مقسما على مائة قسم تدفع فى مائة شهر • وتتنازل الحكومة عن ربع هذا الدين كلما أنجب الزوجان طفلا ، فان كانا مخصبين ولودين منحتهما الحكومة بعض الاوسمة والهبات ، وقد يقطعهما هتلر قطعة من الارض كما كان يفعل السلاطين والامراء فى سالف الزمان

على أنا نلاحظ هنا أن هذه الجهود الكبيرة التى بذلتها ألمانيا تشجيعا لابنائها على الزواج ، قد أدت الى ازدياد عدده بما لا يقل عن ٢٠٠ر٠٠٠ زواج فى كل عام ، ولكنها لم تؤد الى كل ما تنشده ألمانيا من ازدياد عدد المواليد وبالتالى الى تكاثر عدد السكان • فقد زاد عدد الزوجات فى ألمانيا من ١٤ر٤٩٨ر٠٠٠ فى يونيو سنة ١٩٣٣ الى ١٦ر٠٦١ر٠٠٠ فى يناير سنة ١٩٣٩ ، ولكن عدد من أنجبن أكثر من ثلاثة أطفال نقص فى هذه المدة من ٣ر٥٧٧ر٠٠٠ الى ٣ر٤٢٠ر٠٠٠ زوجة ، وقد عقد فى سنتى ١٩٣٣ و ١٩٣٤ زواج ١ر٣٣٨ر٣٩٤ فتاة ، ولكن حتى يوم ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٦ ظلت بلا طفل ٥٦٩ر٠٨٨ واحدة منهن ، أى ٤٣ ٠/٠ من مجموعهن • ومعنى هذا ان الشعب الالمانى يمارس حركة تحديد النسل بنشاط يفوق نشاط « جوبلز » فى مقاومتها • هذا فضلا عن أن زيادة عدد المواليد على عدد الوفيات قد نقصت كثيرا فى السنوات الاخيرة ، فهى الآن حوالى ٥٠٠ر٠٠٠ طفل فى السنة مع انها كانت في السنوات العشرة الاولى من هذا القرن أكثر من ٧٧٠ر٠٠٠ طفل فى كل عام

ولهذا تستطيع هذه الارقام والحقائق أن تجبه « جوبلز » وتتحداه حين يخطب قائلا : « من المؤسف أن تجرى الدول الغربية فى مسألة المستعمرات على سياسة تشبه سياسة النعامة الحمقاء • اذ كيف تظن هذه الدول انه يمكن بعد خمسين سنة ، حين يصير الثمانون مليونا من الالمان مائة وثلاثين مليونا من الانفس ، أن تظل الارض مقسمة قسمتها الآن ؟ أجل ، فان هذا الرقم الضخم الذى يرتجله وزير الدعاية افتراضا ، لن يصل اليه عدد

سكان ألمانيا بعد خمسين سنة ولا بعد قرن كامل من الزمان

قد يقال : ومن أين لك أن تفترض ان عدد سكان ألمانيا لن يبلغوا هذا الرقم الذى ارتجله « جوبلز » وهو يهدر فى خطبة ما ؟ والجواب عن ذلك ليس من شأننا ، وانما من شأن « مكتب الاحصاء الالمانى » الذى أصدر بحثا مسهبا فى تطورات السكان المحتملة فى الامبراطورية الالمانية ، أقامه على أسس رياضية دقيقة افترض فيها :

١ ـ ان سياسة ألمانيا فى منع الهجرة منها واليها ستظل قائمة كما هى الآن

٢ ـ وانه فى الهجرة الداخلية لن يحمل أهل الريف على اخلاء قراهم الهادئة الصحية ليتكدسوا فى المدن المأهولة والمصانع المزدحمة

٣ ـ وان المرأة الالمانية ستظل نشيطة خصبة منتجة كما هو شأنها فى هذه الايام

٤ ـ وان نسبة وفيات الاطفال ستتناقص من ٦٦ ٠/٠ الى ٤٠ ٠/٠ وان وفيات من جاوزوا السنة الاولى لن تزيد عما هى عليه فى هذه الآونة • فاذا توافرت هذه الشروط التى من شأنها ان تجعل حركة نمو السكان اسرع وانشط وأقوى ، فهل يبلغ عدد سكان ألمانيا فى نهاية هذا القرن الرقم الضخم الذى يملأ به جوبلز فمه تبريرا لسياسة غزو البلاد المجاورة واستعبادها ؟ ها هو الاحصاء الرسمى الذى وضعه مكتب الاحصاء الالمانى :

العمر	١٩٣٩	١٩٥٠	١٩٦٠	١٩٧٠	١٩٨٠	١٩٩٠	٢٠٠٠
٠ ـ ١٥	١٧٣٤٦	١٨ ٢٢٩	١٧ ١٢٢	١٧ ١٣٦	١٧ ١١٧	١٦ ٥٦٥	١٦ ٤٤٠
١٥ ـ ٤٥	٣٥٩٠٣	٣٤ ١٨٥	٣٢ ٧٠٠	٣٣ ١٨٦	٣٣ ٣٤٤	٣٢ ٠٠٠	٣٣ ١٥٨
٤٥ ـ ٦٥	١٦ ١٣٩	١٩ ١٤٧	٢١ ٩٨٨	٢٠ ٠٧٧	١٧ ٨٨٦	١٩ ٠٢٠	١٩ ١٠١
٦٥ فمافوق	٥ ٩٥٢	٧ ٤٩٨	٨ ٤٢٠	١٠ ١٣٦	١١ ٣٢٠	٩ ٩٩٢	٩ ٣٣٢
المجموع	٧٥ ٣٤٠	٧٩ ٠٥٩	٨٠ ٢٣٠	٨٠ ٥٣٥	٧٩ ٦٦٧	٧٨ ١٣٣	٧٧ ٠٣١

أرأيت ؟! فى سنة ١٩٣٩ كان عدد سكان ألمانيا ٧٥٫٣٤٠٫٠٠٠ نسمة ، ثم أخذت الحكومة احدى وستين سنة تغدق على الناس قروض الزواج، وظل جوبلز احدى وستين سنة يجهد لسانه فى الدعوة الى الزواج واكثار النسل، وظل هتلر احدى وستين سنة كذلك يمنح المنتجين من الازواج أوسمة ويقطعهم أرضا • • ولكن ، وأسفاه ! لم يزد عدد سكان ألمانيا ، رغم هذا الكفاح المضنى وهذا الاغراء السخى ، سوى ١٫٦٩١٫٠٠٠ فرد ! فهل هناك اذا ما يبرر ان تطالب هذه البلاد « بمدى حيوى » فى سنة ٢٠٠٠

واذا افترضنا ان ألمانيا قد ضاقت بسكانها • فهل نجد عندئذ ما يبرر ان تغزو ألمانيا الشعوب المجاورة أو أن تبسط يدها على المستعمرات السابقة ؟

لقد أصدر « المعهد الالمانى لبحوث العمل » فى ٩ فبراير سنة ١٩٣٩ بيانا بنسبة ما تنتجه الدول الى مبلغ ما تستهلكه من المواد الغذائية ، جاء فيه ان ألمانيا تنتج ٨٣ ٠/٠ مما تستهلكه

من هذه المواد . فكيف يجوز اذا ان تطالب ألمانيا بذراع واحد خارج حدودها اذا عرفنا ان من البلاد التي تماثلها ، ان لم تفقها ، في جميع مظاهر المدنيـة ما لا يتجاوز انتاجها الغذائي نصف انتاج ألمانيا ، فقد جاء في هذا البيان ان نسبة الانتاج الى الاستهلاك الغذائي في النرويج ٤٣ ٠/٠ وفي سويسرا ٤٧ ٠/٠ وفي ايرلنده ٧٥ ٠/٠ وفي فنلنـدة ٧٨ ٠/٠ وفي اليونان ٨٠ ٠/٠ ، ومع هذا لم يسمع العالم لهذه الدول صوتا يطالب بأملاك ومستعمرات ، علاوة على أن ترسل جيوشها على جيرانها الآمنين تسلبهم أقواتهم نهما وجشعا ، ذلك انه ليس من المفروض أن تفي موارد كل دولة بجميع ما تريده من المواد الزراعية والصناعية ، بل لا بد من أن تسلك الدول معا طريق الأفراد في تبادل المعونة وتقايض المنتجات ، وان تشتري كل منها ما ينقصها من أسباب الحياة والمدنية مقابل ما تبيعه مما يفيض عن حاجتها . ولهذا لا يضير بريطانيا الا تنتج من المواد الغذائية سوى ٢٥ ٠/٠ مما تستهلكه ، كما لا يحل الارجنتين المحل الاسمى من دول العالم ان تكون كمية انتاجها من المواد الغذائية ٢٦٤ ٠/٠ من كمية استهلاكها . فكيف يمكن أن يقال اذا ان نقص ١٧ ٠/٠ من المواد الغذائية اللازمة لالمانيا حجة تبرر غزو تشيكوسلوفاكيا وبولندا واستعباد شعبيهما ، وتجيز استعمار رومانيا وهنجاريا وغيرهما استعمارا اقتصاديا ، ثم تبيح تهديد العالم وارهابه من أجل المستعمرات الافريقية القديمة ، مع أن في وسع ألمانيا أن تسد حاجتها عن طريق التبادل التجاري كما تسدها جميع شعوب العالم المتمدين ، على شرط أن تسلك مع الدول الاخرى طريق التعاون والحسنى

انتهى بنا كل ما أوردناه من شواهد الارقام والحقائق الى أن فكرة « المدى الحيوى » ليست سوى خديعة كبيرة ضلل بها هتلر الشعب الالماني . ولكنا مع هذا سنضرب بهذه الارقام والحقائق عرض الحائط ونفترض أن ألمانيا تختنق وتنتحر ان لم يوجد لها هتلر « مدى حيويا » . وسنسأل حينئذ : من أين تأتي ألمانيا بهذا « المدى الحيوى » حتى ولو أطلق لها العنان في امتلاك ما تشاء من الأراضي واستعمار ما تريد من الشعوب ؟ لنفرض أن بريطانيا وفرنسا وحلفاءهما وقفوا مكتوفي الايدي حتى اجتاح هتلر ــ بعد ان استولى على تشيكوسلوفاكيا كلها ــ أرض بولندا من أقصاها الى أقصاها ، ثم تجاوز حدودها الى رومانيا فضمها الى املاكه من أولها الى آخرها ، ثم أرسل كتائبه من ناحية أخرى فلم تترك في هنغاريا ذراعا واحدا مستقلا ، ثم تطلع ببصره الى أوكرانيا فاعجبه فيها سهول الغلال الخصبة فغزاها وامتلكها ، ثم لم تطق نواجذه صبرا على دول البلطيق التي يسمونها لاتفيا ولتوانيا واستونيا فالتهمها بأسرها .. فماذا تكون النتيجة يا ترى ؟ تظل ألمانيا في حاجة الى « مدى حيوى » ! ذلك ان مجموع مساحة هذه الاقاليم ٥ر١ ٠/٠ من مساحة الارض ، ولكن مجموع سكانها يبلغ ٨ر٨ ٠/٠ من سكان العالم ، وبذلك تظل مزدحمة بأهلها ويظل في كل كيلو متر مربع منها ٩١ فردا ، بينما لا تضم هذه المساحة في الولايات المتحدة الامريكية مثلا سوى ١٤ شخصا

مسألة المستعمرات

بقيت مسألة المستعمرات التى يريد هتلر استردادها بحجة « المدى الحيوى » ذاتها . ومن الانصاف لهتلر ان يقال انه فى كتابه « كفاحى » أدرك قيمة المستعمرات ادراكا صحيحا دقيقا حتى انه قال : « ان فكرة المطالبة باسترداد المستعمرات فكرة اجرامية وضعها ونشرها اليهود ليخلقوا جوا مسمما من الحقد والعداء بيننا وبين انجلترا على الخصوص » ولكن من الانصاف كذلك ان يقال ان الرأى الذى يعتقده هتلر شىء والخطة التى يجرى عليها شىء آخر ، فانه لما وضع دستور الحزب الوطنى الاشتراكى فى سنة ١٩٢٠ ذكر فى قمته : « نريد مستعمرات نطعم منها شعبنا ونصرف فيها سكاننا الزائدين »

فأما دعوى السكان الزائدين فقد رأينا ان ألمانيا ما زالت فى حاجة الى الايدى العاملة لاستغلال مرافقها ، وما زالت تستورد العمال والصناع من الخارج لتملأ بهم مصانعها ، وما زالت تحمل أهل القرى على اخلاء الريف لتفى بحاجة المدن الى العمال ، وما زالت تشجع الناس على الزواج وتغريهم بالتناسل ، كما أن مستقبلها لا يبشر — أو لا ينذر — بزيادة كبيرة فى عدد السكان حتى نهاية القرن العشرين . على اننا لو فرضنا ان ألمانيا مزدحمة بسكانها حقا ، لوجب أن نذكر جيدا ان المستعمرات لم تكن يوما ماطريقا لتخفيف ضغط السكان عن الاقاليم الاوربية المزدحمة . ذلك ان هذه المستعمرات — وهى غير « الممتلكات » التى لم تخضع لالمانيا يوما ما مثل كندا واستراليا وجنوب افريقا — تقع فى وسط المنطقة الحارة التى يشق على سكان شمال أوربا ان يرحلوا اليها ويستقروا فيها . فبريطانيا مثلا ، على كثرة ما لها من المستعمرات ، لا تملك منها فى المنطقة المعتدلة سوى ثلاث مستعمرات صغيرة هى جبل طارق ومالطة وقبرص ، وهى قلاع للدفاع والهجوم وليست أقاليم للسكنى والاستغلال ، اما سائر مستعمراتها فتقع فى المنطقة الاستوائية الحارة التى يتعذر على الرجل الابيض ان يقيم فيها طويلا ، بدليل أن مستعمرة الكمرون الفسيحة لم يكن فيها حتى نهاية سنة ١٩٣٧ سوى ٦١ بريطانيا كلهم من الموظفين الذين لا يقيمون هناك سوى بضعة اشهر من كل عام . ومع هذا فان أبواب المستعمرات مفتوحة على مصاريعها لمن يريد من ابناء الشعوب الأوربية ان يهاجر اليها ويقيم فيها ، فقد بلغ عدد الالمان فى هذه المستعمرة البريطانية ثلاثة أمثال عدد البريطانيين انفسهم ، اذ كان بها منذ سنتين ١٧٦ ألمانيا يقبضون على زمام الاعمال الزراعية والتجارية هناك . فان كانت المستعمرات تصلح « مدى حيويا » ينقل اليه شطر من سكان ألمانيا ، فها هى ترحب بكل من يفد اليها بقصد المساهمة فى استثمارها

وأما دعوى « اطعام الشعب » فقد كفتنا عصبة الامم مؤنة الرد عليها ، اذ قدرت لجنتها الخاصة ببحث شئون المواد الخام فى تقريرها عن سنة ١٩٣٧ ان « مجموع ما تنتجه كل المستعمرات — البريطانية والفرنسية والهولاندية وغيرها — من المواد الخام المهمة فى أسواق

التجارة لا يزيد عن ٣ ٠/٠ من مجموع الانتاج العالمى » • فهل لو ردت الى المانيا جميع مستعمراتها السابقة ، وهى ليست الا جزءا بسيطا من مجموع مستعمرات الدول الكبرى تشبع من جوعها وتروى من ظمئها ، فلا تقلق العالم « بالمدى الحيوى » المزعوم ؟

ثم هل تجنى الدول الكبرى من مستعمراتها مزايا اقتصادية كبرى تبرر لالمانيا أن تقيم هذه الضجة الصاخبة وان تتخذ هذه السياسة الباطشة فى سبيل استردادمستعمراتها بدعوى انها جزء من « المدى الحيوى » المطلوب ؟ لنلجأ الى الارقام نسألها ونستشهد بها وقد عهدها الناس دائما لا تكذب أو تمين • فماذا نجد ؟ هذه مستعمرة الكمرون البريطانية قد صدرت فى سنة ١٩٣٧ من الحاصلات ما قيمته ٥٢٦ر٥٥٤ جنيها ، فاستوردت ألمانيا منها ما قيمته ٤١٩ر٩٤٦ جنيها ، وتلتها هولنده فاستوردت ما قيمته ٣٨ر٠٤١ جنيها ، أما بريطانيا التى يرفرف لواؤها على الكمرون فلم تستورد ما تزيد قيمته على ٣٣ر٧٠٠ جنيه ! وهذا أوضح دليل على أن الدول المستعمرة لا تجنى من مستعمراتها أكثر مما يجنى غيرها من الدول ، فهى لا تستأثر بالمواد الخام التى تنتجها بل كثيرا ما يقل نصيبها من هذه المواد عن نصيب الدول الاخرى • قد يقال : ولكن هذه المستعمرات تقوم سوقا رائجة لتصريف منتجات الدول الصناعية التى تسيطر عليها • والاجابة عن هذا السؤال تقتضى الرجوع الى الارقام مرة أخرى ، فنجد ان واردات مستعمرة الكمرون البريطانية فى سنة ١٩٣٧ بلغت ما قيمته ٣٢٨ر٩٤٣ جنيها ، فكان نصيب بريطانيا من ذلك المبلغ ٣٩ر٢١٠ من الجنيهات ، بينما كان نصيب اليابان ٥٢ر٧٨٢ جنيها ، وبينما بلغ نصيب ألمانيا ، المظلومة ، ١٥٦ر٧٧١ جنيها ! ومعنى هذا ان سوق المستعمرات ممهدة الطريق لكل تاجر مهما كانت دولته ، وقد يكون التاجر الالمانى أكثر توفيقا من التاجر الانجليزى فى صميم المستعمرات البريطانية • ولا شك فى ان القارىء سيتساءل اذا عما يحمل بريطانيا مثلا على التمسك بمستعمراتها ما دامت لا تجنى من ورائها فائدة اقتصادية ما • وجواب هذا السؤال عند رجال الحرب الذين يرون فى هذه المستعمرات قلاعا وحصونا منيعة تدفع عن ممتلكات بريطانيا المستقلة وعن وسائل المواصلات بينها كل ما تتعرض له من الاخطار • ومما لاشك فيه أن حمل الرجل الابيض فى هذه المستعمرات قد صار ثقيلا باهظا ، ولم يعد يجنى من تلك الاقاليم ما كان يجنى اسلافه من أسباب الثروة ووسائل الرخاء ، بل لعل كفة خسائره ترجح كفة ارباحه بما تقتضيه هذه المستعمرات من نفقات التحصين والتموين والاستثمار • ولكن لا سبيل الى التخلى عن تلك المناطق ما بقيت الحاجة الى الدفاع والمحافظة عما هو أعظم وأثمن ، واعنى الممتلكات المستقلة الكبرى

عبد الحميد عبد الغنى

قصة مصرية

البطلة

بقلم الاستاذ احمد عبد القادر المازني

احبها وهام بحبها . . أما هي فلم تعرف شيئا عن هذا الحب . فأراد ان يجذبها اليه لا بالعبارات الخلابة ولكن بدور تمثيلي كانت هي ممثلته الأولى التي ايقنت في النهاية انها المقصودة بالذات وانها كانت تمثل لنفسها ، وهي التي تحبه حباً قوياً عنيفاً ، وانها سعيدة بهذا الحب

أحبها بالقلب والروح والعقل وبكل جارحة تنبض فى جسمه

رآها ففتن بلطف دلها ، وخلب بسحر لحاظها ، وهام برشاقة قدها ، وامتشاق قوامها . ثم التقى بها المرة بعد المرة فكلف بما تبدى لعينيه ، وما تكشف لناظريه ، من عفافها وابائها وكرم نفسها وطيب عنصرها . ومرت الايام فزادته جنونا بها وبما يحيط بها من جو

وكم من ليلة قضاها أرقا مسهدا ، لايطوف الكرى بعينيه ولايستقر على وضع ، بل يظل يتقلب على فراشه كأنما هو قتاد . أو انتثر فوقه جمر وهاج . وتمر الساعات بعضها فى أثر بعض وهو لايرى لنفسه قبلة ولا دبرة ، ولا يجد لمشكلته حلا ولا تدبيرا ، ولا يتبين بصيصا من الامل فى الظفر بقلب تلك الغافلة عنه وعن غرامه وهواه

فاذا ضحك الصبح وانبلج الفجر ثم سطعت الغزالة وضاءة مشرقة متلألئة راح يراها . يرى طيفها وصورتها فى كل ما تقع عليه العين

وكان آونة يراها عابسة وأخرى باسمة وثالثة متجهمة معرضة ، ورابعة راضية مقبلة ، وقلبه بين العبوس والابتسام وبين التجهم والرضى وبين الاعراض والاقبال ، لا يستقر على حال بدوره ، يهبط ويعلو وتكاد تقف نبضاته ثم يشتد فى خفوقه ووجيبه

كان حبا أثارته نظرة بريئة ، وتتابع اللقاء والتطلع الى طلعتها الملائكية والى عينيها الصافيتين البريئتين ، والى ابتساماتها الخلابة ، وتوالى استماعه الى ضحكاتها الساذجة التى كان يتبين فى ثناياها خرير الجداول وحفيف الدوح والاشجار ، وهفو النسيم ، وانصاته الى حديثها الخلوب وصوتها العذب الطروب ، فزاد افتتانه بها حتى جاء يوم أصبح فيه خائد لا يرى مخلوقا على ظهر الارض خلاها ولا يفكر فى انسان عداها

كان حبا قويا جارفا متقدا نارا ، ولكنه لم يكن على رغم هذا يستند الى أمل بل كان

« خالد » مقطوع الرجاء من غرامه قانطا من حبه ، يائسا من هواه

***

وأقبلت ربة الدار وأعلنت مدعويها أن المائدة قد أعدت ، وأن من أكل على ضرسه نفع نفسه ، ثم أطلقتها ضحكة مجلجلة وتقدمت الجميع

وجاءت جلسة خالد بين صديقه « حسين » وبين الفتاة « ميمى » فراح يحادث هذه وذاك أحاديثه الشهية حتى اذا أصبح الحديث عاما «دوليا» لزم خالد الصمت وراح يتناول طعامه فى سكون

وقال له حسين فجأة :

- ألم يحن الوقت يا خالد لتحدثنى عن حبك

فاربد وجه خالد وقال بعد صمت :

- دعنى من حديث الحب يا حسين فى هذه اللحظة

وكانت ميمى قد سمعت ما دار بينهما فضحكت وقالت :

- لم أكن أعرف أن خالدا يحب . أما الآن فانى تواقة الى استماع قصته

وصمت خالد لحظة ثم أبرقت عيناه فجأة وقال لهما :

- سأحدثكما بقصتى ولكن بعد تناول الطعام

وانتبذ خالد مكانا قصيا عن القوم بعد انتهاء الطعام وطفق يدخن فى صمت وعينه تختلس النظرات الى أفراد المدعوين

ودخلت ميمى الغرفة وراحت تدير عينيها فى الحاضرين حتى استقرت على خالد فى جلسته البعيدة المنزوية فهرعت نحوه وفى طريقها اليه اجتذبت حسينا من ذراعه وقالت له:

- هيا بنا نستمع الى قصة خالد

ثم قالت حين جلست الى جانب خالد جلسة المستمع المصغى :

- والآن فلتسمعنا قصتك الممتعة

فراح يرنو اليها فى صمت ثم قال أخيرا :

- وبم أحدثكما . ليس لدى ما أفضى به اليكما سوى أن هناك فتاة أحبها . استغفر الله فانى لم أحسن التعبير عما يختلج فى قلبى . و « الحب » ليست اللفظة التى تصف ما يجول فى صدرى نحوها من عاطفة مضطرمة . أنا هائم بها ، أقدسها وأعبدها . أعبدها من دون الله لقد كفرت بكل شىء فى الحياة واتخذت حبها دينا الى جانب دينى

فاربد وجه ميمى وقالت :

- أتحبها الى هذا الحد يا خالد .. وهى ..

فبسم بسمة حزينة وقال :

- برغم هذا الحب الذى يكاد يجرفنى الى حدود الابدية فانى يائس قانط ، بل ملء

قلبي اليأس والقنوط ، لا من حبها وحده بل من نظرة عطف واحدة بسيطة يمكن أن تجود بها على شقي مسكين

– ألا تعلم هي بأمر هذا الحب

– ومن أين لي أن أعرف ذلك . قد تكون عالمة به وقد تكون جاهلة به . وكل ما أعلمه أنها لاتحفل بي ولا تكترث بشأني ، وتمر بي فلا تراني كأني خلقت من الهواء . وتجحظ عيناى من طول تطلعي اليها ويثب قلبي من صدري ويصيح بها أن اعطفي بنظرة واحدة ، وتطل روحي من عيني وتبتهل اليها أن اشفقي ، وتظل هي في سمائها ، لا السماء الاولى بل السابعة ، لا ترى هذا المخلوق الآدمي الذي يتعبدها في صمت وسكون

وكانت ميمي تستمع اليه وهي ترنو الى وجهه بعينين قد اختلج الاشفاق والعطف في نظرتهما ثم قالت :

– ألم تقم بمحاولة ما يا خالد

– محاولة . وما جدواها يا سيدتي . انها ليست فوق ظهر هـذه الارض . انها في عليائها . لقد فعلت المستحيل وايم الله وفشلت في كل محاولة قمت بها ولكن ...

ــ ولكن ماذا ؟

ــ هناك محاولة لم أقم بها لاني لم أجد الذي يستطيع ان يعاونني فيها

فابرقت عينا ميمي وقالت :

ــ وما هي .. حدثنا عنها فقد نستطيع معاونتك فيها

ــ ان الطبيعة البشرية لا تتغير ولقد عرف الناس منذ الأزل أن الغيرة هي أقوى سلاح للاخضاع فلو اتيح لي أن أجد فتاة جميلة تتطوع لتمثيل دور الحب والغرام معي لاستطعت أن أثير الغيرة في قلبها ولتمكنت من اثارة الحب في ذلك الفؤاد الصلد . ولكني لا أجد من تقوم بهذا الدور الانساني النبيل وبتلك المهمة الشريفة التي تسعد بها قلبا طال عذابه

وطال الصمت بين ثلاثتهم ، وكان خالد يختلس النظر الى ميمي عسى ان يتبين على صفحة وجهها ما يختلج في قلبها وهو يرجو الله ان تقبل تمثيل هذا الدور معه

ورفعت ميمي رأسها فجأة ثم قالت :

ــ خالد .. ان هذه الفكرة تروق لي وأود ان اضطلع بهذه المهمة فهل لديك اعتراض

ــ اعتراض ؟

ــ نعم .. فانك تنشد فتاة بالغة من الجمال مبلغا يمكن ان يثير غيرة هذه الفتاة ، ولا أظن اني قد بلغت ..

ــ كفى فلك ان تطمئني من هذه الناحية

ثم ضحك وقال :

ــ ولكن الذي اخشاه ان تنسيني التي احبها فلا أجد من يعاونني على اثارة غيرتك

ومد يده اليها وقال جادا :

ـ ميمى ، هذا نبل منك وجميل لن انساه ماحييت وحسبى ان فشلت مهمتى ان اكون قد نفرت منك بكل هذا العطف الذى بدا منك

وضحك حسين وقال :

ـ وانا شاهد على هذا التعاقد وتلك المؤامرة وما اعجبها من مؤامرة

***

وشرعا فى تمثيل دورهما من اليوم التالى فكانا يلتقيان فى كل يوم ويذهبان اما الى دور السينما أو الى مسرح من المسارح أو الى متنزه من المتنزهات أو الى مكان قصى بعيد ، وخالد هو المرشد والدليل الى المكان الذى ستكون فيه فتاته

وكانت ميمى تسائله فى كل مرة :

ـ أين هى .. أود أن أراها

ـ كلا فليس من حسن الرأى ان تريها ومن الخير ان تمثلى دورك وانت لا تعرفينها حتى لا يشوب تمثيل دورك ما يفسده عليك . على انى أعدك انى سأريكها فى النهاية

وكان خالد شابا دمث الاخلاق ، خفيف الروح نبيل الاحساس ، رقيق العاطفة ، وكان الى جانب هذا وذلك شهى الحديث واسع الحيلة ، عظيم الثقافة والاطلاع فكانت ميمى لا تشبع من أحاديثه ولا ترتوى من نكاته المستملحة ولا تسأم جلساته الممتعة بل أصبحت بعد انقضاء بضعة أيام تحس من نفسها باللهفة الشديدة الى ساعة اللقاء بخالد

ولم تقلقها هذه اللهفة بل وجدت فيها أمرا طبيعيا فقد رأت فى خالد شابا فاتنا فى حديثه واخلاقه فلا عجب ان هى تلهفت الى لقائه واحبت البقاء الى جانبه ، ولكن العجيب ان تكون هناك فتاة تتدلل الى هذا الحد على مثل هذا الشاب

وطالما كانت ميمى فى وحدتها تسائل نفسها من تكون هذه الفتاة . وكيف لا تحب خالدا .. لو ان تلك الفتاة قد عرفته كما عرفته ميمى واستمتعت بجلساته واحاديثه الشهية لهامت بحبه وكلفت بغرامه ولكن اكبر الظن ان جهلها به هو علة هذا النفور

وقال لها خالد يوما : « ميمى .. هيا بنا الى سينما .. »

ـ أهى ذاهبة الى هناك

ـ نعم

ـ ولكن كيف تقف على اخبارها بمثل هذه الدقة

فضحك وقال : هذا سر « المهنة »

وهما بدخول صالة السينما فاذا به يقف فجأة ، وقد اشتدت نظرات عينيه فقالت له :

ـ ماذا ؟

ـ اسمعى .. احسب ان قد حانت الفرصة الذهبية التى لم تحن من قبل ، واعنى بها تمثيل دورنا على مسمع ومرأى منها . تحت انفها تماما . ولكن حذار من الالتفات الى الوراء أو الى اليمين أو الشمال ولكن تمثيلنا طبيعيا .. تمثيل عاشقين غافلين عن خلق

الله طرا ، يعتقدان انهما فى واحة وسط صحراء لا يدب فيها انسان وسأناجيك بغرامى وابثك هواى وأمثل معك دور العاشق المفتون الذى جن حبا بك ، فاحسنى دورك ومثلى معى دور العاشقة المفتونة بحب صاحبها

فقالت فى صوت خافت وهى واجفة القلب خافقة الفؤاد :

ـ حسنا :

وجلسا فى مكانهما ودار بينهما حديث عادى فى بادىء الامر حتى اذا اطفئت الانوار اتيحت له الفرصة التى يترقبها العشاق فمد ذراعه واحاط بها كتفيها ومال نحوها وقال :

ـ ميمى

ـ نعم ... يا حبيبى

ـ انى سعيد بحبك ، هانىء بغرامك ، فخور بقلبك لا تسعنى الدنيا من فرط سعادتى

ـ بربك لا تقصر حديثك عن نفسك ، وليكن عن كلينا فانى مثلك اكاد حين التقى بك ، وحين اذكر حبك فى وحدتى .. اكاد أطير من فرط سعادتى وهنائى

ـ بودى لو انك لا تضنين على بتقبيل هذا الثغر الجميل الذى يسعدنى بمثل هذه الأحاديث الشهية

ـ أنا أضن عليك يا خالد .. الحقيقة ان بك نهما عظيما تقبلنى مائة قبلة فى اليوم ثم تتهمنى بالضن

ـ انى انكر

ـ اذن لا بد من تسجيل كل قبلة

ـ وكيف .. على اسطوانة

ـ كلا .. بل بايصال

وكانا غافلين أتم الغفلة عن كل ما يحيط بهما وعن الرواية التى تمثل أمام ناظريهما ولا يشعران بمن حولهما فقد تفانيا فى تمثيل دورهما الى حد جعل ميمى تحس انها فى حلم تناجى فيه حبيبها ، حبيب قلبها لا حبيب قلب فتاة أخرى

وقال خالد : « اليك ايصالا بعشر قبلات »

ـ الآن .. بودى ايها الحبيب ، ولكن دع التقبيل حتى نصبح بعزلة عن الناس

***

وكانا يوما فى صحراء الاهرام جالسين فى السيارة وقد انزوى خالد فى ركن السيارة وميمى مستندة برأسها على كتفه وعلى ذراعه الممددة حولها ترنو بعينيها الى السماء وترى الكواكب تشق ظلمات الليل وقد انتثرت حول قمة الهرم

وكانت تعلم انها تمثل دور العاشقة مجرد تمثيل ، وان حبيبة خالد على كثب منها فى احدى السيارات المحيطة بهما ، ولكنها على الرغم من هذا اليقين كانت تشعر بلذة تغمر قلبها وهى جالسة تلك الجلسة الغرامية الممتعة . وكانت تشعر بحسرة تخالط هذا السرور

وتلك اللذة ، الحسرة من انها ممثلة لا أكثر وان خالد ليس حبيبها ولكنه حبيب تلك الفتاة المتكبرة . وطاف بذهنها خاطر

لو انها كانت مكان تلك الفتاة لكانت بخالد وبحبه أسعد خلق الله جميعا ولعرفت كيف تسعد قلبه وتمتع فؤاده وتنيله من دنياه ومن حبها وغرامها ومن قلبها ما لم ينله غيره

ثم وجف قلبها فجأة

سيأتي يوم ان عاجلا وان آجلا تخضع فيه تلك الفتاة للغرام ، فتدنى خالدا منها وتنتزعه من ميمي وتتم الرواية فصولا وينتهى تمثيل دورها وتعود الى دارها فتقبع فيه وتحرم من خالد ومن أحاديثه ومن كل متعة استمتعت بها الى جانبه

ورفعت انظارها اليه وقالت فى خوف ظاهر : « خالد »

ـ نعم يا ...

وصمت فجأة فقالت :

ـ ألم يدن بعد يوم هنالك

فتنهد وقال : « احسبه قد دنا يا ميمى »

فشعرت فى تلك اللحظة أن قلبها يهبط من صدرها ويغوص فى امعائها وابتردت اطرافها ولصقت به عن غير وعى منها . وكانت سيارة مقبلة نحوهما ترسل ضوءها الكشاف صوبهما فابتسم خالد وقال :

ـ ميمى .. ان سيارتها قادمة بضوئها الكشاف تريد ان ترى به ماذا نفعل فدعينى اقبلك قبلة غرامية محرقة فانها الخطوة الفعالة و ... الاخيرة

وأدنى وجهها من وجهه دون أن يتلقى منها جوابا ، ثم أطبق بفمه على ثغرها . وهى فى ذهول عظيم

وظلت الشفاه ملتصقة فى قبلة طويلة معسولة حارة شهية ، حتى مرت السيارة بهما وقطعت مسافة خلفهما ، وهما لا يزالان فى غفلة عن الدنيا

ورفع خالد رأسه ، أما ميمى فظلت مغمضة الجفنين وقد تكشفت لها الحقيقة ، فراعتها ، ووجف لها قلبها وكاد يقف عن الخفقان

فى غضون تلك القبلة لم يخالجها ريب البتة فى أنها تحب خالدا من أعماق قلبها ، وأنها تهواه هوى متقدا جارفا ، وأن ما كانت تشعر به من الاغتباط والسرور والسعادة حين الالتقاء به والذهاب معه الى كل مكان لم يكن الا بدافع الحب الذى غمض عليها وخالته ميلا واعجابا

وهالها هذا الغرام العقيم

وأى عقم شر من عقم هذا الغرام الجنونى ؟ انها لتعلم علم اليقين أن خالدا قد وهب كل قلبه وروحه وعقله لتلك الفتاة الاخرى ، وانها لتعلم الى جانب هذا أن خالدا مثال الاخلاص والوفاء فى حبه ، وأنه اذا أحب فالى يوم يموت ، واذا أخلص فالى نهاية الاجل .

فأى أمل لها وقلبه لتلك الفتاة الاخرى ؟

وعلى الرغم منها تحدرت العبرات على وجنتيها ، ورأى خالد العبرات وهو يتفرس فى وجهها ، وخيل اليه أنها بكت لانه قبلها فقال فى لهفة :

– ميمى انى أعتذر اليك

فلم تجب بل ظلت العبرات تهمى وتسح على الوجنتين ، فاشتد فى احتضانها وقال :

– ميمى . حياتى . روحى . بربك اغتفرى لى

ورنت هـذه الكلمات فى أذنيها رنين الاجراس ، وتفتحت لها عيناها تفتح الدهشـة والذهول ، فانفلتت العبرات المحتبسة مرة واحدة ، وخيل اليـه أن بكاءها يشتد ويزيد فقال فى حنان عظيم

– هل أبكاك منى شىء يا روح القلب ؟ هل أنا علة بكائك يا حبيبتى ؟

واذ ذاك فتحت فاها وقالت : « حبيبتك ؟ وتلك الفتاة الاخرى ؟ »

وكان قد نسى دوره فقال : « أية فتاة يا منية الروح ؟ »

– خالد ! خالد !

– نعم يا معبودة الفؤاد !

فقالت فى لهفة وهى تزداد التصاقا به :

– هل حسبتنى الفتاة الاخرى التى تحبها ؟

– ما حسبتك يوما فتاة أخرى ، بل ظللت على الدوام معبودة قلبى ، وروح فؤادى

ثم شردت نظرته الى الامام وقال :

– لقد أحببتك بالقلب والروح منذ أن وقعت أنظارى عليك ، ورحت أعبـدك فى صمت وسكون ، وخيل اليك أنك تمثلين معى دور العـاشقة ، أما أنا فقـد كنت أقوم بدورى الذى ملأ كل أيام حياتى ، وملأ كل لحظة من لحظاتى ، كنت أنت تمثلين ، أما أنا فقد أرسلت نفسى على سجيتها ، بل لقد كنت أكبح جماح هذه النفس حتى لا تحترقين بجواها ، وتصطلين بنارها . كنت أحبس أنفاسى فى دائرة التمثيل المحـدودة ، وكنت أكتم لوعتى وتنهداتى وتأوهاتى حتى لا تنم على حبى وغرامى ، وحتى يطول أمد التمثيل فأنعم بالقرب منك وبلقائك و . . .

فهبت من مكانها ، واعتدلت فى جلستها وأمسكت بيده وقالت :

– خالد . أحقا أنا بطلة حبك ؟

– أنت ! أنت حياتى وروحى يا ميمى . أنت مطمع الفؤاد ، ومنى النفس

فتهالكت عليه وقالت :

– خالد ! خالد ! أنا سعيدة . . أنا سعيدة . . يا لسعادتى وهنائى !

احمد عبد القادر المازنى

دنيا بلا حب

هى الجحيم والشر والفوضى

بقلم الاستاذ اسماعيل كامل

لا يعدل الحياة شيء إذا عمرت بالاخاء والحب

جونز

عندما كان الكاتب الكبير السير هول كايين Sir Hall Caine شابا يافعا تختلج فى نفسه عواطف الشباب المشبوبة ، فكر فى أن يضع قصة طريفة يدعوها « الايام الالف الاخيرة » يمثل فيها ما يحيكه الخيال من تصور العالم وقد استئصلت منه الاسرة الانسانية ، لا بالنار أو الطوفان ، ولكن باجتثاث أصول العواطف الانسانية من قلوب أفرادها ، ذلك بأن الله قد غير ما بنفوس البشر فانتزع من سويدائها عاطفة الحب التى تربط كل انسان بأخيه وتجمع الافئدة على التآزر والتعاون والرحمة والحنان

لقد تصور الكاتب كيف ذهب الناس الى مضاجعهم وأووا الى فراشهم ناعمين بما تجيش به النفس من مختلف العواطف الانسانية حتى اذا ما أشرق فى السماء أول وميض للشمس هبوا من رقادهم وقد بادت من قلوبهم عاطفة الحب وحدها

لم تستشعر الانسانية فجأة بعظم هذا النقص الذى شل من حركاتها ، بل ظهرت آثار تلك الفجيعة رويدا رويدا كلما تكشفت أدوار الحياة عن مواطن الخسارة التى لحقت بالاسرة البشرية من جراء ذلك الحرمان

لقد كانت الام الشابة تحب طفلها حب العبادة من ساعة مولده وتجزع اذا لامس النسيم جبهته ، لكنها الآن ـ وطفلها طريح الفراش يعانى سكرات الموت ـ لا تأبه لالمه ولا تحزن لفراقه ، بل ترتدى أبهى ثيابها وتغادر الدار وفلذة كبدها لتلحق بأصحابها وصويحباتها فى الحفلات الراقصة !

أما الاب الذى وقف حياته على سعادة ولده وضحى بنفسه وما يملك فى سبيل راحة ولده وتهيئة مستقبله الباسم فلا يلبث أن يرى ولده على شفا الهاوية وحافة الخراب فلا يمد له يده بمعونة أو يسعى لانتشاله !

بينما المستشفيات والملاجىء التى كانت ترحب بالمرضى واليتامى والايامى والمعتوهين والمقعدين قد أغلقت أبوابها لافتقارها الى المال بعد أن تحجرت قلوب المحسنين !

كذلك وفدت الامراض المعدية ولكن الاطباء والممرضات لم يسعوا فى اسعاف الآلمين ومعاونة الانسانية المعذبة بعد أن فقدوا عاطفة الحب النبيلة ، فلا يلبث الطاعون أن يستشرى والمساكن ان تمتلىء بالموتى الموبوئين ... حتى يتحرك أولياء الامور (خوفا على أنفسهم) فيسلموتها أعماق الارض درءا لشرها قبل أن يمتلىء الجو بسمومها !

وفى مسينا تثور البراكين فتهدم المنازل ويهيم الناس على وجوههم ولكنهم يظلون بلا مأوى أو معين دون أن يفكر أحد فى اقالة عثرتهم وترفيه كربتهم !

وفى روسيا تشتد المجاعة ويشتد القحط بيد أن احدا من الناس أو الدول أو الجماعات لن تأخذه رحمة أو عطف ، وتتحدث الجرائد فى أنحاء العالم عن مصارع الناس فى الطرقات والبيوت بل تصور تلك الميتات المروعة كما تصور السينما أحد المشاهد للتسجيل والاخبار دون أن يتحرك قلب بشفقة أو تهجس نفس بكلمة رثاء !

وهكذا يعيش كل مخلوق لنفسه وحدها ولا يفكر فيما عداها وتصبح الدار كلمة لا مدلول لها والعائلةمجرد اسم ، والزواج ملهاة ومسلاة، والعمل وسيلة للاختطاف والابتزاز، والسياسة مقامرة لا تعرف الحياء وتعرينا مكشوفا فى فن المخادعة المشتركة والمخاتلة المتبادلة والدين نفاقا سافرا والآداب أضحوكة فقدت الشعور ، وسعادة الفقراء والضعفاء مطمحا لا معنى له ، ونظرية الاخوة والابوة هراء فى هراء !

ولا حاجة بى الى الاسهاب فى وصف تلك المناظر التى خلقها خيال الكاتب لاظهار العالم المروع بعد أن تجرد من عاطفة الحب ، ولكن ما قضاه الكاتب من شهور طويلة فى تأليف تلك المشاهد قد عمق شعوره بأهمية الحب كقوة فى حياة الانسان وأعماله ، وجعله يزيد ايمانا بأن الحب هو العاطفة الخالقة الوحيدة فى الانسان وان ما عداها من العواطف الاخرى تكاد تكون مدمرة مخربة وأن الحب بالاختصار هو الحياة أو هو الله كما يقول

ولم يقف تقديس الحب عند الشعوب والخلائق الحديثة بل لقد كان دائما سر الحياة فى سائر الاجيال والقرون ، وقد قال أمرسن :

« السبب فى تمجيدنا للحب انه يتطلع دائما الى أعلى لا الى أسفل ، ولانه يأمل ولا ييأس »

وكما قال جوته :

« لا يعدل الحياة شيء اذا عمرت بالاخاء والحب »

وقال شارلز لام :

« لن يسفل الرجل طالما يحب »

وقد سمعنا غير ذلك ما تردده الالسن من أن الحب فى قوة الموت وان الامواه ليس فى استطاعتها ارواء غلة الحب كما أن الفيضانات لن تقوى على اغراقه

ولادراك ما يعمله قانون الحب الذهبي في تسيير العالم وربط اواصر بني الانسان يجب ان تنظر الى مظاهره المختلفة :

حب الأم

ان لم يكن حب الام أقوى أشكال الحب فهو بلا شك أنقاها وأبعدها عن الاثرة والانانية، فهو يضحي بكل شيء ويعطي نفسه ولا يشتري • ويقول لامارتين :

ـ ان تحب كما تحب الام ـ لذات الحب النقي ـ من خصال الملائكة

ولست واثقا من أن حب الام ـ على عمقه وطهارته ـ حب ملائكي ، لان ثمة غريزة كاسرة غير مروضة في حب الام تقرب من التوحش في قوتها ، فان الام الآدمية لا تقل وحشية في المدافعة عن طفلها عما تفعله الوحوش المفترسة في الادغال دفاعا عن صغارها ، ولكنه قتال غير أناني • ويتميز حب الام بأنه لا يقوم على محاسن الطفل ومؤهلاته ، فلا الجمال يزائده ولا القبح بمنقصه ، كما لا شك ان أشد الاطفال دمامة وشذوذا ونقصا له أم تحبه وتحنو عليه وتؤثره على مباهج العالم ومسراته أجمع

كنت في يوم أشاهد محاكمة مجرم عات غاية في الجبن والنذالة • وبعد أن نطق القاضي حكمه بالاعدام ثم خرج جمهور النظارة وكله يتحدث بعدالة القضاء واستهال المجرم ما أنزل به من قصاص ، رأيت في ركن ناء من الردهة امرأة قد قبعت في جلستها وانطوت الى آلامها المبرحة وقد تقرحت عيناها وانتقع محياها وشابت دموعها كما شاب مفرقها • أدركت انها أم المجرم كما ايقنت انها كانت في اثناء محاكمة ولدها الشقي تستعرض في مخيلتها المكدودة يوم ولد ذلك الابن وبراءته الاولى وطفولته السعيدة وما غمرها من كبرياء وفرح يوم شاهدته لاول مرة يغادر دارها الى المدرسة •• الى غير ذلك حتى يوم المحاكمة !

هكذا حب الام ، فما معناه في تدبير الحياة البشرية ؟

ان معناه قطعا أن هذا جزء من طريقة الخالق في تسيير العالم وتنظيم الحياة • فلولا هذا الحب الخالد الاثير الذي لا يغلب لما أقبلت امرأة في هذه الدنيا على مواجهة الموت عند الوضع باسمة مرحبة مؤملة

حب الأب

لا يختلف حب الاب عن حب الام الا في انه مشوب ببعض الانانية والاثرة ، فقديما كان الاب يرغب في البنين والاحفاد لفائدته وما يجنيه من ورائهم من نفع وقوة وحسن أحدوثة • ولكننا لا ننسى أن ما يلقاه الآباء من مسئوليات وشواغل ونفقات في تربية أطفالهم لم يكن باعثه المحض تلك المنفعة المرجوة وحدها ، ولولا غريزة الحب والفخار بالبنين لما استقبلوا الطفل بما نرى من لهفة غامرة وفرح شديد

والذى يمتاز به حب الاب ذلك الفداء الذى يظهر فى تضحية الوالد فى سبيل هناءة الابن وفى تلك الفرحة التى يثب لها قلبه اذا نجحت فلذة الكبد فى الحياة ، وذلك الحزن القاتل يهرأ فؤاده اذا فشلت أعمال واحد من الابناء . بل انك لن تجد مخلوقا يؤثر راحة الغير على راحته ورقى الآخرين على رفعته الا الاب الذى يرجو أن يصل ولده الى مرتبة أسمى وأعلى وأكثر ارتقاء من مكانته

وكم من الآباء يواصلون الليل بالنهار كادحين ، يضمون القرش الى القرش مدخرين ، لا غرض لهم ولا مآرب أمامهم الا ان يتركوا لابنائهم ما يقيهم غوائل المستقبل وحاجة الايام المقبلة ؟

بيد ان لحب الاب مأساته كذلك . ذلك أن لاشىء يقطع نياط قلبه ويحطم كيانه قدر العقوق الذى قد يلقاه من ولده المدلل الاثير

ان العقوق أفعل سما من ناب الافعى وأشد هولا من كارثات الدهر طرا ، ولا يعدله فى ذلك سوى ما قرأناه فى بعض الفواجع التاريخية من قتل الاب لولده أو الابن لوالده . من ذا الذى لم يتمزق قلبه عندما قرأ نهاية قصة داود وأبشليم وخاصة المنظر الاخير عندما ينجح أبشليم فى اختلاس قلوب الناس من الملك والده ثم يشن عليه غارة شعواء يقتل اثناءها . وعندما يعلم الملك داود بمصرع ولده لم يتمالك الا الانفراد بنفسه ليصيح ملء قلبه :

ـ ولدى . ولدى أبشليم .. ولدى أبشليم .. وددت لو أن الله عجل بموتى قبلك .. آه يا أبشليم .. ولدى .. ولدى

هكذا حب الاب لولده ولو كان خصمه ومقاتله . وبحب الام والاب جمع الله قلوب أفراد العائلة وبذر فى الارض حبوب الفضائل

وبجانب ما ذكرنا من مآسى حب الاب نشاهد ظاهرة عامة لا تخلو منها عائلة ، ذلك أن الابن لا يمكن مطلقا أن يحب أباه كما يحبه هذا الاب . ذلك حكم الطبيعة القاهر ولا يحمل الابن مثل حب والده الا لابنائه هو بعد أن يصير والدا

والسبب فى ذلك واضح بين لان الطبيعة يجب أن تتطلع الى الامام لا الى الخلف والا انتهى الشوط وحلت الخاتمة . وهذا ما يعزى الآباء رغبة فى تقدم الحياة دائما الى الامام

الحب بين الرجل والمرأة

بقى أن نتحدث عن حب المرأة والرجل الذى زخر العالم بالكتب والمقالات والاحاديث عنه وسيظل يزخر بها الى الابد . ونبدأ بأن نتساءل :

ـ أين يولد ؟ وأى الصفات تخلقه ؟ وكيف يحدث أن الرجل يختار زوجة يعنيها من سائر نساء الدنيا ليؤثرها بزواجه وانجاب ذريته ؟ أيخضع فى ذلك غير عامد الى عملية الانتخاب أم يتأثر بالجنس والبيئة والطبقة والضرورة غير الملحوظة ، تلك الضرورة التى

تربط الكائنات عندما يساقون هرج مرج فى بقاع البسيطة ؟

ان الانبياء والشعراء والروائيين فى مختلف العصور لايكادون يلقون ضوءا كاشفا على هذه المشكلة . يقول وولتر سكوت :

« الحب سماوى ، والسماء هى الحب »

ويقول شكسبير : « الحب يسير طوع المصادفة . بعض آلهة الحب يقتل بالسهام وبعضها يصيب بالفخاخ »

ويقول بلزاك : « تعرف أن الرجل قد وقع فى حبالات الحب عندما يصبح سقوط قفاز المرأة عنده أهم من سقوط امبراطورية »

بينما يقول جوته : « فصل الحب الحقيقي وموسمه يكون عندما نعتقد اننا وحدنا نستطيع أن نحب ، وأن لا أحد قبلنا أمكنه أن يحب كما أحببنا ، وأن لا أحد بعدنا سيحب قدر ما نحب »

ويقول دوديه : « الحب يولد فى العقل ثم يتكيف بأهواء القلب »

هذه أقوال لا تعطينا جوابا شافيا على ما تساءلنا عنه ولا تجيب من يقول : ما رأى صاحبنا حتى أحبها ؟!!

ان التجاريب والمشاهدات تدل دلالة قاطعة على أن لادخل للجمال أو الكفاية أو الذكاء فى تكييف الحب وتوجيهه أو خلقه غير انه مما لا شك فيه ان للاحترام مهما كانت دواعيه كل اعتبار فى تدعيم اركان الحب ، وان كانت المثالية ترى ان الفضيلة فى مقدمة دوافعه ، ولكنه كلام نظرى يدخل فى علم الاخلاق الذى يبحث فيما يجب أن يكون ولا يساير علم النفس الذى يبحث فيما هو كائن فعلا ، فالعقل يتحدث بالفضائل ولكن القلب اذا وقع فى شراك الحب عمى معه العقل عن كل شيء فلا يرى الا الحب للحب نفسه

ولست أعرف فيما قرأت عن أصل الحب وطبيعته والحيرة فى استكناه حقيقته خيرا مما قاله هريت مارتينو :

ـ أننظر الى الحب مستخفين نظرتنا الى وهم أو سراب ؟ أو جادين كدافع غريزى ؟ أو خائفين كنوع من المرض ؟ أو خجولين كأنه ضرب من الضعف؟أو حائرين كأنه سر هائل يكمن فى أساس الوجود الانسانى وسعادته ولا يقل خفاء فى حقيقته وضرورته عن الموت الذى لا مفر منه ولا مندوحة للبشر من تذوقه والخضوع لسطوته ؟

اسماعيل كامل

رئيس قلم التوزيع بوزارة المعارف

الحرب فى نظر الاسلام

بقلم فضيلة الاستاذ محمد عرفة

وكيل كلية الشريعة السابق بالازهر الشريف

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم »

قرآن كريم

ليست الحرب فى نظر الاسلام خيراً كلها ، ولا شراً كلها ، بل منها ما هو خير ومنها ما هو شر . فالحرب دفاعاً عن النفس والدين ، خير ، مطلوبة ومبارك فيها . والحرب لسلب الأموال والعدوان ، شر ، منهى عنها ، لا يأذن بها الله

« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ، ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين »

والغرض من الحرب المأذون فيها فى الاسلام : تأمين الدين ، وعزة المسلمين

« وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ، ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين »

والحرب ضرورة اجتماعية ، تدعو اليها الضرورة ، وتلجأ اليها الأمة إلجاء

أليس فى الناس الطمع والشح ، والطمع يدعو الامم الى أن ينفس بعضها على بعض بلدانها وأموالها وخيراتها ، فتريد اغتصابها ، فتشح الأمة الأخرى بها ، فتقع الحرب

أليس فى الناس بغضاء وشحناء ، يدعو اليهما الاختلاف فى المشارب والعقائد ، ويدعو اليهما الحسد ، والبغضاء والشحناء يدعوان الى العدوان ، فاذا لم تقم الأمة المعتدى عليها بدفع العدوان ، نهبت أرضها ، وهدمت عقائدها ، واستخدمها العدو المغير

« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ، لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ، ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز »

والاسلام علم ما فى البشرية من طمع وعدوان ، وتوقع عدوان الامم على معتنقيه ، فأوجب على من يدينون به أخذ العدة دائماً للحرب ليرهبوا بها أعداءهم

« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم »

ومن إعداد القوة تمرين كل فرد من أفراد الأمم الاسلامية على الحرب ، وتعليمه فنونها ،

لأن القتال قد يكون واجباً على كل فرد من أبناء الأمة اذا هاجم العدو بلداً من بلدان المسلمين ، فيجب على جميع أهل هـذا البلد أن يحملوا السلاح ، ويهبوا للمقاتلة ، ووجوب القتال وجوب لتعلمه ومعرفة فنونه ، ومن ذلك يعلم أن نظام الجيش الاقليمى كان فرضاً على المصريين يوجبه عليهم دينهم ، تأخروا فيما سلف عن القيام به ، وقد أخذوا يقومون به اليوم

وقد أمر الله باعداد رباط الخيل ، لأن الخيل كانت مركب الحرب فى زمن الرسول ، فاذا تغير الزمان ، وصار مركب الحرب سفناً حربية تمخر عباب الماء ، وطيارات تطير فى الهواء ، وسيارات مصفحة تسير على الغبراء ، وجب على المسلمين أن يعدوا ذلك بقدر استطاعتهم ، لأن الأمر باعداد رباط الخيل ليس لذات الخيل ، بل لأنها مركب الحرب ، فاذا صار مركب الحرب شيئاً غيرها أقوى منها انتقل الأمر اليه

وقد جعل الله الغرض من هذا الاعداد ارهاب الأعداء ليمتنعوا عن الحرب ، وهذا هو السلم المسلح ، وقد أوجبه الاسلام قبل أن يعرفه أهل أوربا بدهر طويل

ربى الاسلام متبعيه على الفضائل الاجتماعية ، فكان مما حض عليه الرفق والرحمة والاحسان ، ورأى أن متبعيه اذا حكموا وكانت لهم الدولة كانوا أقرب الى الاصلاح وكان العالم فى عهد قوتهم أبعد عن الظلم والفساد

« الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور »

لذلك دلهم على القواعد الاجتماعية التى اذا اتبعوها كانت لهم الغلبة على أعدائهم ، فحرم على المقاتلين الفرار من الزحف ، وبين أن الفارين يبوءون بغضب من الله ولهم جهنم وسوء المصير

« يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفاً ، فلا تولوهم الأدبار ، ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً الى فئة فقد باء بغضب من الله ، ومأواه جهنم وبئس المصير »

وأوجب طاعة أولى الأمر ، وهى أوجب ما تكون فى الحرب ولا يصاب الجيش بالخذلان إلا من العصيان والفشل والتنازع ، وحض على الصبر وذكر الله فى الحرب

« يأيها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون ، وأطيعوا الله ورسوله ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين »

ولو بحث باحث عن أسباب النصر المعنوية لوجدها تلك التى أمر الله بها فى هاتين الآيتين

ولما كانت الحرب مدمرة وفيها الفجيعة والفناء ، ولم يبحها الاسلام الا كضرورة اجتماعية ، أحاطها بآداب تخفف من حدتها ، وتقلل من سورتها ، وتجعل من أوقدوها أهدافها ، فنهى عن قتل النساء والصبيان والعميان والزمنى والقسيسين ورجال الدين الذين انقطعوا لعبادة الله

ولما كان يقع فى الحرب أن يعاهد قوم قوماً على أن يكفوا عن القتال بينهم مدة من الزمان ،

أو يعاهدوهم على التناصر ، فاذا وقع أحد الفريقين فى حرب نصره الفريق الآخر ، وهذه المعاهدات فيها نفع جزيل . فأما المعاهدات من النوع الأول فتؤخر وقوع الحرب ، وتؤمن الفريقين بعضهما من بعض حقبة من الزمان يظلهما فيها السلم بظله الوارف ، والمعاهدات من النوع الثانى تعطى المتعاهدين قوة فوق قوتهما إذ تكون قوة كليهما قوة للآخر

ولما كان نفع هذه المعاهدات بالوفاء بها أمر الاسلام بالوفاء بها ، ونهى عن نقضها : « يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ــ فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ــ والموفون بعهدهم اذا عاهدوا »

وقد بالغ فى النكير على ناقضى العهد فجعلهم دواب ومن شر الدواب . « ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ، الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون »

وهذا هو السر فى أن المصريين شديدو المحافظة على المعاهدة التى بينهم وبين بريطانيا العظمى ، وكلهم وفى لها ، أمين على تنفيذها ، لأنهم يرون الوفاء بالعهد ديناً

وقد احترم الاسلام العهد الى حد أنه أمر المسلمين اذا كان بينهم وبين قوم عهد ، فشعروا بخيانة المعاهدين وظهرت لهم دلائل ذلك ، ألا ينبذوا اليهم عهدهم سراً حتى يؤخذوا على غرة وهم لا يعلمون ، بل يعلنوهم بنبذ عهدهم حتى يكونوا جميعاً سواء فى العلم بنبذ العهد

« وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين »

هذه صورة مصغرة من الحرب فى الاسلام ، ولعلك اذا وازنت بين هذه الصورة وبين الحرب عند دول أوربا المتمدينة فى القرن العشرين ، وجدت الحرب فى الاسلام ، أعدل ، وأرحم ، وأنبل ، من تلك الحروب التى توقدها هذه الأمم المتمدينة

فالحرب تثيرها هذه الأمم الطمع فى بلاد الآخرين وخيراتهم وغلاتهم وللتغلب والسيطرة ، فهى حرب وضيعة ، قاد اليها الطمع وحب الغلب ، وهى لا تقتصر على المجاهدين فى صفوف القتال ، بل تنزل بالآمنين الوادعين فى مساكنهم فتأخذ النساء والأطفال والشيوخ الفانين والزمنى المقعدين . وهى من الفتك بحيث تهدم الديار ، وتعفى الآثار ، وتدع المدن العامرة خراباً ، والقصور الآنسة وحوشاً يباباً

ومن هذه الدول من لايوثق لها بعهد ، ولاتؤمن على عقد ، فليست تترك عهداً إلا نقضته ، ولا عقداً إلا حلته ، حتى شاع أن العهود قصاصات ورق ، وأن المصلحة تتحكم فى العهود والمواثيق . وأصبحت احداهن تعرض على الأخرى ما لعلها كانت تريد الوفاء به ، فلاتأمنها الأخرى لما جربته منها من نكث العهود ، وقد تعدت هذه الحالة الى الافراد ، فتحللت الأخلاق ، وضعفت الفضائل الاجتماعية ، ولو دامت هذه الحال ، لأصبح الكوكب الأرضى أتوناً من جحيم بفعل ساسته ، وتهور قادته

محمد عرفة

مطامع هتلر

كما بينها فى كتاب « كفاحى »

يحلم هتلر بتأسيس امبراطورية ألمانية تبلغ مساحتها ستة أمثال مساحة ألمانيا بعد الحرب العظمى وقد اعترف فى كتابه المسمى « كفاحى » بأن هذه أمنيته

قليل من زعماء الشعوب ، من أوضح مبادئه وبين مطامعه كما فعل أدولف هتلر فى كتابه المسمى «كفاحى» . ولعله ألفى نفسه مرغما على الصراحة منذ البداية ، اذ كان عليه أن يقيم حركة شعبية من أساسها ، فكان لا بد أن يصارح أتباعه بما يدعوهم اليه وما يمنيهم به ، وبما يرتقبهم من صعاب ، وما يطلب اليهم من تضحية

على ان أهم ما أوضحه لهم فى كتابه هو « النظرة الجديدة الى العالم » أو Weltansch التى تخللت الكتاب من ابتدائه الى نهايته ، وهى نظرة قائمة على ان الجنس الآرى ـ والشعب الالمانى على الخصوص ـ يجب أن يسود العالم لانه ـ فى زعمه ـ أرقى الشعوب كلها . وبهذا الزعم وحده كسب الانصار وضمن طاعتهم العمياء ، واستطاع ، وهو الجاهل الذى لا ماضى له ، أن يسير خلفه أمة متعلمة تشمل العلماء والفنانين وكأنهم غنم تتبع راعيا

وضع هتلر كتابه فى جزءين منفصلين ، أولهما فى سنة ١٩٢٤ حين كان معتقلا فى أحد الحصون لاشتراكه فى ثورة ميونيخ يوم ٩ نوفمبر سنة ١٩٢٣ ، والثانى بعد الافراج عنه ، وتاريخ آخر صفحة فيه فى شهر نوفمبر سنة ١٩٢٦ . ولم يتبع فى وضعه طريقة علمية بل يقفز فيه من موضوع الى آخر دون ترتيب ولا تسلسل ، وقد تحدث فيه عن نفسه كثيرا ، وأوضح مبادئه وأغراضه ، وأورد كثيرا من حوادث التاريخ بشكل لا يخلو من الخطأ ولا من الغرض ، وفى الكتاب تكرار ممل ، وفوضى فى التأليف تدل على نقص صاحبه من العلم وحرمانه من الدراسة العليا فى نشأته . ومع هذا كله يدل الكتاب على شخصية قوية ، وارادة من حديد ، ومطامع لا تكاد تقف عند حد

واذا لم تكن للكتاب قيمة فى ذاته فيكفى ان فيه بيانا لاتجاه صاحبه وتصريحا بمطامعه ومما ذكره عن نفسه ان معيشته فى فينا قبل الحرب العظمى قد طبعت بقية حياته بطابعها ،

فهناك تعلم كراهة آل هابسبورج وشعب التشيك واليهود والاشتراكيين والانظمة البرلمانية وتعلم طرق الارهاب ووسائل العصابات من ملاحظته للاشتراكيين ومكافحتهم لخصومهم بحملات من الاكاذيب ـ ولا ريب انه وعى تلك الدروس فانه استخدم الطرق نفسها فى القضاء على خصومه فى داخل المانيا ثم فى ادعائه المزاعم الكاذبة على بعض الدول تمهيدا للعدوان عليها

ولنعد الى نظرية هتلر عن الجنس الآرى كما أوضحها فى كتابه وخلب بها ألباب شعبه المغرور ، فهو يزعم ان الجنس البشرى يتكون من أجناس عدة ، غير ان الفضل فى تقدمه كله ينسب الى جنس واحد من تلك الاجناس ألا وهو الجنس الآرى ـ أو « الشمالى » كما يعبر عنه هتلر أحيانا فى كتابه . فهذا الجنس قد مثل فصولا كثيرة على مسرح الدهر، وقد دفعه تفوقه مرارا الى غزو الاجناس الاخرى واخضاعها لسلطانه ، ثم لايلبث أن يبنى بسواعد أبنائها مدنية راقية تحت اشرافه وبفضل تنظيمه . غير ان تلك المدنيات التى أقامها ذلك الجنس كانت تنهار واحدة بعد أخرى ، لا لشىء سوى امتزاجه بالشعوب التى يحكمها والتزاوج بين الاقلية الراقية والغالبية المنحطة ... ويخرج هتلر من ذلك الى ضرورة بقاء الشعب الآرى سليما صافيا ، ثم يدعو الى انتشاره فى بقاع المعمورة والى سيادته جميع الشعوب الاخرى ، لا لمصلحته وحده بل لمصلحة الانسانية كلها التى لن تجد سبيلا الى المدنية والتقدم غير هذه السبيل ...

فاذا سألت أى الشعوب الآرية له تلك الميزة على شعوب العالم، ذكر هتلر الشعب الالمانى فى الطليعة .. واذا كان هناك شعب آرى آخر له حق الشركة فى سيادة العالم فهو الشعب البريطانى الذى أبدى هتلر اعجابه به لانتشاره فى بقاع المعمورة . أما جميع الامم الاخرى فليست لها تلك المنزلة . فالامة الفرنسية فى عرف هتلر هى أمة خليط . والشعب السلافى مرتبة منحطة من مراتب الانسانية حتى لقد قرر هتلر انه اذا غزت المانيا شعبا سلافيا وجردته من أراضيه ليعيش فوقها أناس من الالمان ، فان ذلك لا يكون عملا وطنيا فقط بل عملا انسانيا جليلا ... لان مصلحة الانسانية كلها تقتضى توسيع المناطق التى يسكنها الجنس المميز ، وهو الشعب الالمانى بطبيعة الحال !

وعلى ذلك يتجه الكتاب كله الى جعل أمة قوية مبتكرة ـ وهى الامة الالمانية فى اعتقاد هتلر ـ تحكم أمما أخرى ضعيفة بحيث تصبح هذه كالشمع فى أيدى الاولى تصوغ منها ما تشاء من وسائل المدنية والحضارة

ثم يعمد الى اليهود فيضعهم فى مرتبة أقل من جميع مراتب البشر ويصفهم بأنهم بمثابة شيطان وسط الشعوب ويزعم انهم شعب طفيلى يعيش على انتاج غيره . ثم يقول ان الفرق بينهم وبين الجنس السلافى مثلا ان هذا الاخير يكون نافعا اذا أخضعه الجنس الممتاز وانتفع بعمله وانتاجه ، أما اليهود فلا يمكن تحملهم قط والطريقة الوحيدة التى يعاملون بها هى الخلاص منهم خلاصا تاما

ولعل أهم ما يعنينا من كتاب « كفاحي » في الظروف الحاضرة هو نظرية التوسع الالماني التي بناها على فكرة تمييز الجنس الالماني على كافة الشعوب • والواقع ان الالمان اعتادوا أن يحسبوا أنفسهم جنسا ممتازا على الاجناس الاخرى وان لهم مواهب انفردوا بها دون جميع البشر • وليس لهذا مثال عند الأمم الاخرى ، فالامة الانجليزية أو الفرنسية أو الامريكية مثلا تعتقد كل منها ان لها تاريخا مجيدا لا مثيل له ، ولكنهـا تعتقد ذلك باعتبارها « أمة » لا جنسا متفوقا بالطبيعة على أجناس البشر ، كما يحسب الالمان أنفسهم • وربما كان الاصل في ذلك ان الانجليز والفرنسيين والامريكيين ينظرون الى أنفسهم كوحدة سياسية ، بينما الالمان قبل بسمارك لم يكونوا « أمة » في العرف السياسي قط ، وحتى بعد بسمارك لم يجتمع تحت علم واحد سوى ثلاثة أرباعهم • ومن ثم اعتادوا أن ينظروا الى أنفسهم « كجنس » لا كأمة ، جنس مشتت في نواحي أوربا تحت حكم دول شتى ، وكل أقلية منهم تعيش وسط أمة سلافية أو غيرها تحسب نفسها أرقى من تلك الامة من جميع الوجوه ، حتى لقد كتب كاتب ألماني عن الاقليات الالمانية بين السلافيين يقول : «حينما ينتهي الالمان يبدأ القمل والبق » اشارة الى نظافة قومه وقذارة غيرهم •••

فلا عجب أن كانت الاقليات الالمانية في شرق أوربا مصدر ألم دائم للالمان ، حتى الاحرار من الالمان أنفسهم كانوا لا يتصورون خضوع أقليات من بني جنسهم لشعوب دونهم مدنية وحضارة • وقد ضرب هتلر على هذا الوتر الحساس حين ندد بالمعاهدات التي تلت الحرب العظمى وعدها انتهاكا شائنا لحقوق الجنس الممتاز •• وصرح بعزمه على الغاء تلك المعاهدات وجمع الالمان كلهم تحت علم واحد وتوسيع الارض التي يسكنونهـا • كل ذلك طبعا قد كسب له قلوب شعبه ، لانه بينما أرضى غرورهم بنظرية التفوق على الاجناس البشرية ، أثار مطامعهم بفكرة التوسع

وفكرة التوسع هذه هي مفتاح سياسته الخارجية ، وهي تتخلل كتاب « كفاحي » من بدايته الى نهايته • وقد قال في شرحها ان كل شعب اذا أريد له أن يعيش عيشة صحيحة يجب أن تتوافر له مساحة من الارض كافية لكي يعيش فوقها • ولما كان من واجب الجنس الآرى أن يتكاثر ، وجب أن يتوافر لالمانيا ــ باعتبارها الشعب الآرى الاعظم ــ مساحة كبيرة من الارض الاضافية لتوسعها في المستقبل ، لانها ــ كما يقول ــ ليست لها الآن الكفاية من الارض ، فما بالك بها في المستقبل ؟ وقد قدر هتلر زيادة تعداد ألمانيا بمقدار ٩٠٠ر٠٠٠ نسمة في السنة (وفي هذا مبالغة كبيرة) وقال على أساس هـذا التقدير ان الالمان مستهدفون لخطر الفاقة والجوع اذا لم يجدوا الوسيلة لتوسيع دائرة أراضيهم

وتصور لحل هذه المشكلة عدة سبل :(أولا) تحديد النسل وقد رفض ذلك رفضا باتا لمنافاته لفكرة توسع الجنس (ثانيا) الاستعمار الداخلي بمعنى توزيع ملكية الاراضي في ألمانيا بعد اصلاحها ، وقد استهان هتلر بهـذه الفكرة لانها لن تحـل الا جزءا يسيرا من المشكلة (ثالثا) الاستحواذ على أراض جديدة وراء حدود ألمانيا لكي يسكنها الالمان (رابعا) زيادة

الانتاج الصناعى بنية التصدير فيتمكن عدد أكبر من الالمان من أن يعيشوا على التجارة الخارجية

ورأى هتلر ان الخيار السليم يقع بين (ثالثا) و (رابعا) وقال ان حكام المانيا قبل الحرب العظمى اختاروا (رابعا) أى الانتاج الصناعى للتصدير ، وكان يجب عليهم فى رأيه أن يختاروا الطريق الثالث الذى يرمى الى زيادة الانتاج الزراعى مع توسيع أراضى الوطن

ورفض فكرة لاعتماد على زيادة الانتاج الصناعى للتصدير لدواع ثلاثة : (أولا) لانها تؤدى الى نزوح الزراع الالمان للمدن واشتغالهم عمالا بالمصانع • ولما كان هتلر نفسه فى صغره غلاما فلاحا فقيرا اضطر الى النزوح لفينا لكسب رزقه ، فانه يكره ذلك التحول (ثانيا) لانه يجعل الحياة فى المانيا تحت رحمة التقلبات الاقتصادية فى الخارج (ثالثا) ان الدولة المكتظة بالسكان تكون معرضة للاعتداء فى الحرب • ويقصد من ذلك ان دولة فسيحة مثل روسيا أو الولايات المتحدة يسكن أهلها مساحة فسيحة ، تستمد دفاعها من وسع أراضيها ، ويقول ان الدولة العظمى تحتاج الى مساحة معينة من الارض وان ألمانيا يجب أن تكون دولة عظمى

ولكن كيف السبيل الى التوسع ؟ ان المستعمرات التى وراء البحار لا تسد الحاجة لانها لا يوجد منها ما يصلح لسكنى ملايين من الزراع البيض • وانما مجال التوسع فى شرقى ألمانيا وفى أوربا الوسطى والشرقية ، حيث المساحات الفسيحة من الاراضى الخصبة ، التى يمكن ألمانيا أن تغزوها وتحكمها وتضمها الى أراضيها ، فتكون دولة متجانسة موحدة • وهذا هو الحل الوحيد لمشكلة توسيع الجنس الالمانى الممتاز ...

ولم يحجم هتلر عن القول بأن الغزو هو السبيل الوحيد للتوسع المنشود ، وصارح شعبه بأن واجبهم أن يتسلحوا ويستعدوا لتلك الحرب دون ابطاء

والحق انه اتبع هذه السياسة ولم يحد عنها قط منذ تولى الحكم فى المانيا ، فمن اعادة التسلح ، الى تحصين منطقة الرين ، الى ضم النمسا الى اخضاع تشيكوسلوفاكيا ، الى غزو بولونيا ، الى تهديد رومانيا

وقد قدر فى كتابه ان اعادة تسلح ألمانيا وتحصين منطقة الرين ، وضم النمسا ، كل ذلك يتم دون حرب • أما الاستحواذ على تشكوسلوفاكيا فلابد من حرب لاتمامه • وهذا يدلنا على انه كان مستعدا للحرب الحاسمة فى أغسطس أو سبتمبر من السنة الماضية • فلما تم له هذا الغرض دون قتال لم تقف مطامعه عنده بل كان لا بد له من تحقيق فكرة التوسع فى الشرق ، الى آخر ما يستطيعه ومن ثم كان عدوانه على بولونيا أخيرا

وانما اختلف برنامجه فى نقطة جوهرية واحدة ألا وهى صلته بروسيا البلشفية • فقد صرح فى كتابه بأن توسع المانيا شرقا سيكون فى النهاية على حساب روسيا ، غير ان الظروف أرغمته على التماس صداقتها وتقسيم بولونيا بينه وبينها ثم ترك دول البلطيق لهاغنيمة باردة • وسنرى ان ذلك سيكلفه كثيرا سواء من حيث مكانته بين شعبه ، أو من حيث علاقته بايطاليا واسبانيا • ولعل هذا الاتجاه الجديد ، بل هذا التحول فى برنامجه ،

سيضع حدا لفكرة التوسع نحو الشرق التيهى أساس خطته ونهاية سياسته

أما عن الدول الاوربية الاخرى ، فانه قال عن فرنسا انها لن تترك المانيا تنفذ خطتها من حيث التوسع شرقا ، ولذا كان لزاما عليها أن تحاربها كي تحمي مؤخرتها . وذكر ان ألمانيا محتاجة الى صداقة بريطانيا العظمى وايطاليا ، وندد بالسياسة الالمانية فى الحرب العظمى اذ عادت انجلترا وكان واجبا عليها أن تصادقها على حساب روسيا ، كما كان ينبغى لها أن تقضى على الامبراطورية النمساوية بدل أن تحالفها، لانها وهىالدولة السائرة فى سبيل الفناء كانت تقف حجر عثرة فى سبيل التوسع الالمانى نحو الشرق

فاذا أضفنا الآن اثارة عداء انجلترا بدل مصادقتها ، الى التحالف مع روسيا بدل عدائها ، واذا ذكرنا أيضا بعد المانيا تدريجا عن سياسة « المحور » واثارتها شكوك ايطاليا منذاتفقت مع روسيا البلشفية ، أدركنا مدى التحول الذى حدثفىسياسة هتلر الخارجية كما أرغمته عليه الظروف . ومع هذا يبقى كتاب « كفاحى » دستورا للنازى ، ودليلا على مطامعهم وبرهانا على شدة الخطر الالمانى وضرورة مكافحته بكل الوسائل

الحرية

* لا يرجى العدل الا من الحكومات التى هى وليدة رغبة الأمة
(جوزيف بونابرت)

* أية قيمة للفضيلة اذا لم توجد الحرية ؟
(لامارتين)

* ان أعظم مجد يزدان به أى شعب حر هو أن يورث بنيه ما يتمتع به من حرية
(مافرو)

* لا يعتبر المرء حراً الا إذا كان سيد نفسه (ايكتيتوس)

* ان البلاد لا ترتقى بنسبة ما هى عليه من خصب . بل بنسبة ما يتمتع به أهلها من الحرية
(منتيكيو)

* ان قضية الحرية هى قضية مصير الجنس البشرى كله . وحيثما رسخت أقدام الحرية كان رسوخها كسباً لجميع بلاد العالم (كوسوث)

* الحرية هى حكومة الشعب كله ، للشعب كله ، لمصلحة الشعب كله
(تيودور باركر)

* الحكمة والفضيلة تكسبان المرء حريته (شافتسبرى)

مناظرة

هل الحرب تنفع الانسانية أو تضرها ؟

الدكتور طه حسين يقول :

تنفع الانسانية

لم يخطىء القدماء من فلاسفة اليونان حين زعموا أن ليس فى هذا العالم خير محض ولا شر محض ، ولكنه كائن لا يعتدل مزاجه الا بالتئام هذين الضدين

فى الحرب إثم كبير ، ولكنها تسع نفعاً كثيراً ، ولئن كان ضرها شاملا ، وشرها مستطيراً ، فان نفعها أشمل ، وخيرها أجزل ، وآثارها الصالحة أعظم من البقاء نصيباً ، وأوفى من الخلود قسطا ، وأشد فى حضارة الانسان وحياته المعنوية والمادية ظهوراً . وسل التاريخ يصدقك الخبر ، ويحدثك باليقين

ليس من الميسور أن تبحث عن حضارة أمة من أمم التاريخ القديم والحديث كيف نشأت وكيف ارتقت من غير أن تجد للحرب الأثر الاول فى نشأتها ورقيها . فحضارة اليونان والرومان والفرس والعرب والافرنج ليست الا بنات الحرب تشتعل نارها ويضطرم أوارها حتى يوشك أن يأتى على كل شىء ، ولكن تلك النار المشتعلة ، وهذا الاوار المضطرم لا يكاد لظاها يخبو حتى يتكشفا عن عقول ناضجة

الدكتور محمد حسين هيكل يقول :

تضر الانسانية

ليس من الحق فى شىء أن يتمدح متمدح بالحرب . إن هى إلا نزوة من نزوات الطيش تصيب الانسانية حين ترى الانسانية قد طال متاعها بالسكينة والسلام ، وحين تنسى الويلات الكبيرة التى تجرها الحروب المستعرة ، وإنه لما يوجب الأسف والدهشة معاً أن تبقى الانسانية ترى ما تراه من مصائب الحروب وويلاتها ثم تتناسى بالزمان هذه المصائب والبلايا وترجع فتجدد أسبابها لأسباب واهية . إنها فى ذلك كالطفل تصيبه التخمة من جراء الانكباب على الطعام ثم لا يفتأ ينكب على الطعام كلما دعاه لذلك داعى الصبا والشهوة . ومن يدرى ، فقد تكون الانسانية الى اليوم فى مبادىء شبابها لم تحنكها التجارب

أمام هذا الذى نرى منها لا نستطيع إلا أن نقول إن الحرب كانت بلاء ضرورياً لا مفر منه . وقد ظهر من الانسانية حكماء استفادوا من كل بلاء ينزل ليكون لهم أساساً لموعظة يتقدمون بها لاخوانهم من بنى آدم . هؤلاء هم الفلاسفة الذين قال الدكتور طه حسين ان

وقلوب حية ونفوس صالحة للعمل والبقاء

ليس من شك ان الحرب فى إبانها تقف حركة الحضارة وتعترض رقى الآداب ، ولكن مثلها في ذلك مثل الديمة الغزيرة ترسلها السماء من غير حساب ، فتتفرق لها الجموع المحتشدة ويأوى كل فرد الى كن يقيه شر المطر ، فيستتبع ذلك كثيراً من المضار ، ولكن السماء لا تكاد تقلع ، والماء لا يكاد يغيض حتى تكتسى الأرض حلة خضراء فيها للحياة العقلية والجسمية مادة صالحة موفورة النفع

ذلك مثل الحرب تصيب الناس بما نشهد الآن من ضر ، وما تقشعر له أبداننا من دماء ، ولكن لا تكاد هذه الدماء تجف حتى يهب الانسان من وقفته الحائرة التى ألجىء اليها واذا قوة حياته المادية والعقلية قد ضوعفت ، وأصبحت أقدر على الجهاد وأصلح للبقاء ، فليست الحرب كما يظن المتطيرون نذيراً يؤذن بكساد المدنية وافلاس الحضارة ، وانما هى آية تغير فى الحياة الانسانية ، ودليل انتقال من حال الى حال . وقد علمنا التاريخ ان هذا الانتقال لا يكون إلا من حال سيئة الى حال أظهر منها نفعاً وأقرب منها الى الكمال

والآداب أشد مظاهر الحضارة تأثراً بالحرب ، وأوفرها نصيباً من منافعها . وقلما تحدث حرب تصلح للتأثير فى الحياة الاجتماعية من غير أن تورث الآداب فناً جديداً أو تحدث فيها رونقا طريفا . نعم لا نستطيع أن نعرف حقيقة الفنون الأدبية الجديدة التى ستتركها هذه فلسفتهم استفادت فائدة عظمى من الحروب ، وان عملهم لعلى جانب من الحكمة عظيم ، فان العاقل متى استطاع الوصول الى الحسن ينقب عنه حيث يكون حتى ولو كان وسط فظائع الوحشية التي يرتكبها المتمدينون باسم الحرب

ولكن ذلك كله ليس معناه أن الدنيات الزاهرة التى رآها الناس كانت ثمرات الحرب ، فانما الصنائع والعلوم والفنون كلها آثار العمل السلمى الهادىء . ولعمرك ماشأن الحرب بنظرية التضامن الاجتماعى آخر النظريات التى جاء بها السلام الذى حكم أوربا نحو نصف قرن من الزمان ، بل ما علاقتها ببدائع التصوير وفخيم القصور ، وجميل الصور والتماثيل ، وهل ساعدت على اكتشاف الحقائق العلمية التى يقضى المنقبون من العلماء أعمارهم فى البحث عنها

ألا تعساً للحروب ، فلكم هدمت من ثمرات عمل بنى آدم أجيالا متعاقبة ، ولكم مزقت كل ممزق من النظريات الجميلة المتينة التى وضعت للخروج بالانسانية من درك الوحشية التعس المظلم ، ولكم نشرت على الارض راية الخسف والاستعباد

كان من نظرية التنافس على البقاء بعض المبرر النظرى لوجود الحروب ، فكان أنصار القسوة والكراهية والوحشية يقولون ان من سنن الطبيعة أن يبقى الاصلح ، ولو كان ذلك بفناء الضعيف لكن نظرية التنافس دخلت هى الأخرى فى حكم الضعفاء ، وتغلبت عليها نظرية جديدة مبناها الاخاء الانسانى ، والعطف البشرى ، وغرضها التخفيف من تلك الهمجية

الحرب العامة فى آداب الشرق والغرب ، ولكننا نعلم انه لولا الحرب لما ورثنا هومير ، وفرجيل ، والفردوسى ، ورولان من أشعارهم القصصية التى لا تزال باقية طريفة على وجه الدهر

ان صح ان هيرودوت أبو التاريخ ، وما نشك في أن ذلك صحيح فان التاريخ ابن الحروب الميدية التى اضطرمت نارها بين اليونان والفرس إبان القرن الخامس قبل الميلاد . فاذا قدرنا أثر التاريخ فى الحضارة ، ونصيبه من السيطرة على الحياة العقلية عرفنا كم تركت هذه الحرب للانسان من نفع

والحرب مظهر طائفة من الفضائل وكرام الأخلاق ، وهى ما يتخذه الفلاسفة مثلا أعلى للكمال الانسانى . فبينما تزهق النفوس ، وتراق الدماء بنيران المدافع وعلى ظباة السيوف تتمثل عواطف الشعب ورحمته بالضعفاء والبائسين ، وعطفه على المحرومين والمكروبين واضحة جلية فتسلى هم المحزون ، وتعزى أنصار السلم عما يشهدون من مشاهد الوحشية ، ومظاهر القسوة

القاسية التى ظل بنو آدم يقاسونها القرون الطوال

على أساس هذه النظرية الجديدة (نظرية التضامن) تألفت جمعيات العمال ، وتداخلت الحكومات لتخفيف الفرق بين الممول والعامل ، وعملت الانسانية جمعاء على تحقيق شىء من معنى الاخاء بين بنى آدم ، والسعى لاستعباد قوى الطبيعة لفائدته ولدفع الاستعباد عنه احتراماً لحريته ، ولا نحسب بعد الذى ظهر فى عالم الحياة من تحقيق الكثير مما ترمى هذه النظرية الى تحقيقه ، ومن افلاس النظرية القديمة (نظرية الافلاس المطلق) أن إنساناً يستطيع أن يقول بأساس نظرى للحروب فى عالم الانسانية التي يرجوها المستقبل القريب

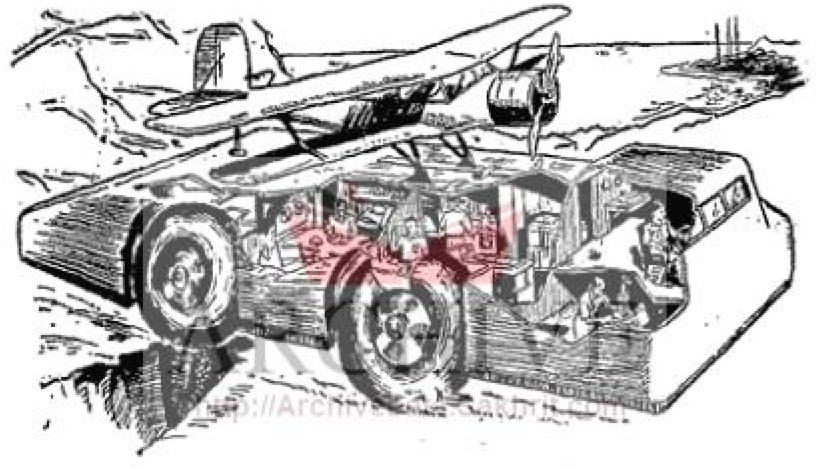
ولا يغرن أحداً ما يرى اليوم من مظاهر القوة المتوحشة ، ولا يذهلنا عن ادراك الحقيقة ما يقال من امتلاك الانسان للأرض والهواء والماء . والحقيقة انما امتلكها ليذلها ويستعبدها لفائدته لا ليذل بها أخاه الانسان ويستعبده . وما هو حاصل اليوم ليس سوى حمى احتضار ذلك المبدأ البائد . وكثيراً ما تخرج نوبة الحمى المصروع عن صوابه ، فاذا به قد استوحش فلا يقدر عليه انسان حتى اذا انتهت ثائرته خر صريعاً لا محل فيه لرجاء

(عن مجلة المنفور سنة ١٩١٥)

العِلمُ والعالَمُ

رحلة جديدة الى القطب الشمالى

أعدت الحكومة الامريكية رحلة جديدة لاجراء بعض البحوث فى الارجاء المجهولة من منطقة القطب الشمالى . ويقوم بهذه الرحلة اربعة من علماء امريكا ، يرأسهم الدكتور بولتر الذى اجتاز هذه المنطقة من قبل تحت امرة الرحالة



بيرد فى رحلته الثانية . ويبدأ هؤلاء الرحالة سفرهم فى الصيف القادم ، مزودين بالمواد والوسائل التى تمكنهم من قضاء سنة كاملة يجوبون فى اثنائها أنحاء تلك الربوع . والجديد فى هذه الرحلة هو المركبة التى أعدها الدكتور بولتر لاجتياز مناطق الجليد الوعرة ، لكثرة ما فيها من هضاب عالية وفجوات عميقة

تتألف هذه المركبة من سيارة تعلوها طيارة . ويبلغ طول السيارة خمسة وخمسين قدما ، وعرضها خمسة عشر قدما . وتشتمل أرجاؤها على حجرات كثيرة تتسع لاعضاء البعثة ومن معهم من الاعوان وما يحملون من الاجهزة والادوات . وتحمل السيارة آلتين من آلات ديزل ، قوة كل منهما مائتا حصان ، وهى لادارة محركات السيارة وما فيها من اجهزة لاسلكية للتلقى وللارسال ، ومواقد كهربائية لتهيئة الطعام وتوليد الحرارة . وتشتمل كل عجلة من عجلات السيارة الاربع على محرك كهربائى خاص بها ، وبذلك تستطيع ان تجتاز الفجوات وتتسلق الهضاب التى تعترض طريقها . فاذا بلغت السيارة فجوة ما وقفت عند احدى حافتيها وارتكزت بمقدمتها على حافتها الاخرى . ثم أخذت محركات العجلات الخلفية فى دفع السيارة حتى تجتاز العجلتان الاماميتان مدى الهوة وتبلغ الحافة الثانية وعند ذلك تقف المحركات الخلفية وتبدأ المحركات الامامية عملها ، فتأخذ فى جر السيارة حتى تعبر الفجوة عجلاتها الخلفية . وبهذه الطريقة تختصر السيارة طريق الرحلة دون ان تصدمها الهوات الغائرة التى تكثر فى المناطق الجليدية

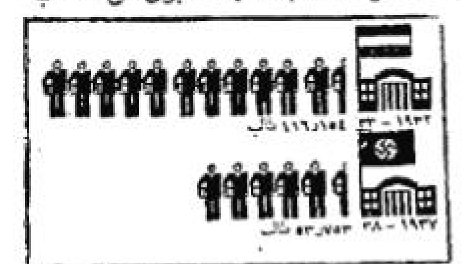
وتحمل السيارة طيارة ذات خمسة مقاعد . وقد أعدت بأجهزة كاملة لرسم خرائط دقيقة

للمناطق التى تحلق فوقها . وهناك جهاز خاص يرفع الطيارة ويضعها فوق سطح السيارة فى سرعة وسهولة

وبلغت نفقات اعداد هذه المركبة وما تشمل من أجهزة وادوات ثلاثين ألفا من الجنيهات . وتقدر المسافة التى ستقطعها بخمسة آلاف ميل ، وتتراوح سرعة سيرها من عشرة اميال الى ثلاثين ميلا فى الساعة مهما كانت ظروف الطقس . وليس الغرض من هذه الرحلة الكشف الجغرافى وانما البحث العلمى . فيدرس هؤلاء الرحالة ظواهر الطبيعة فى المنطقة القطبية ، مثل سمك طبقة الجليد ، وقوة القطب المغناطيسية ، واضواء الشفق أو السراب المنبعثة هناك

التعليم الجامعى فى المانيا

تريد ألمانيا ان تسير عى خطة « المواد البديلة » فى حياتها العلمية كما تسير عليها فى حياتها الاقتصادية . فكما اتخذت بدلا من المطاط الطبيعى المتين مطاطا صناعيا رخوا تستخرجه من اللبن ، فكذلك تريد أن تتخذ بدلا من العقول العلمية الكبيرة عقولا اكتفت بقشور علمية تافهة . فبدأت بنفى علمائها البارزين الذين أعلوا اسمها فى ميدان البحث والكشف العلمى فيما مضى ، برغم ان هؤلاء العلماء لم يكونوا جميعا من اليهود المضطهدين ، بل كان منهم ألمان خلص ، ولكنهم آثروا حرية التفكير فأخرجوا من وطنهم قسرا . ثم ثنت بتضييق نطاق تعليمها الجامعى ، حتى خلت أكثر مقاعد جامعاتها الكبرى من الطلاب .



ففى العام الدراسى ٣٢–١٩٣٣ كان عدد الطلاب الجامعات الالمانية ١١٦٫١٥٤ طالبا ، فلما تولى النازى نقص عدد هؤلاء الطلاب فى العام الدراسى ٣٧–١٩٣٨ الى ٥٣٫٧٥٣ طالبا :

ولم تكتف بحصر التعليم الجامعى فى هذه الدائرة الضيقة ، بل غيرت مناهجه تغييرا شاملا يحول بين الطالب وبين التوسع فى الدراسة . فخرج الجيل الجديد من طلابها الذين سيتولون مهمة البحث والكشف قبل ان تنضج ثقافتهم وتتهيأ عقولهم لحمل الاعباء العلمية الكبرى . فمما أدخل على الجامعات من مظاهر التغيير ، تقصير مدة دراسة الطب والصيدلة الى الحد الذى هبط كثيرا بمستوى الجيل الناشىء من الاطباء والصيادلة . أما كليات التعليم النظرى فلم تعد تعرف شيئا من مبادىء التفكير الحر ، اذ وجهت برامجها كما وجه أساتذتها الى اثبات صحة المبادىء النازية وتأييدها ، مهما كان بينها وبين الحقيقة من تناقض وخلاف . وقد قال وزير المعارف لاساتذة الجامعات ان مهمتهم تقتصر على التعليم ، وهم ليسوا مطالبين بوضع البحوث واجراء التجارب . ومعنى هذا ان وظيفتهم فى الجامعة هى القاء المحاضرات التى أعدت وفق مبادىء النازى وتعاليم زعمائه ، وانه لا يباح لهم أن يجروا بحثا من شأنه توجيه الاذهان الى الحقائق ، سواء وافقت هذه المبادىء أم خالفتها

ومع أن حاجات ألمانيا الحربية تعوزها كثيرا الى جهود العلماء والمكتشفين ، الا ان طبيعة المبادىء النازية لا تجعل لرجال العلم هناك ما لهم فى جميع الاقطار من مكانة عالية . وطالما ذكر هتلر فى كتابه وخطبه ان مجد ألمانيا يقوم على الفلاح والعامل والجندى ، قبل أن يقوم على أولئك العلماء والادباء الكسالى !

ماذا تفرض الحرب على العلماء ؟

اذا كان السلم مستتبا

لا حرج على العالم من أن يتجه فى درسه وبحثه اتجاها نظريا خالصا ، ولو لم يؤد الى نتيجة ترجى فائدتها العملية . اما اذا شبت

الحرب واستهدفت أمته للاخطار ، فعليه ان يدع هذا الاسلوب من البحث العقلي وان يتجه وجهة عملية تيسر لشعبه أسباب النصر والغلبة . لهذا اتجهت بريطانيا وألمانيا الى علمائهما تناشدانهم أن يوجهوا بحوثهم وجهودهم الوجهة التي تمكنهم من أداء واجبهم الوطني في هذه الايام العصيبة

فوجهت مجلة « الطبيعة » وهي أوسع المجلات العلمية الانجليزية انتشارا ، نداء الى جميع القائمين على المسائل العلمية قالت فيه : « لم يطلب الى العلم في أية حرب مضت ان يؤدي هذه المهمة الخطيرة التي يفرض عليه اداؤها في ساحة هذا الكفاح العنيف . فيجب اذا على رجل العلم ان يدع جانبا رأيه الحق الذي لا مرية فيه ، وهو أن قوة العقل الانساني الكبرى لا يجوز تسخيرها ابتكارا لاسباب الهلاك وتعزيزا لقوات التخريب بل يجب ان يوجه كل فرد له أية مقدرة أومشاركة علمية ، علمه وجهده وكفاءته حماية للوطن من الخطر وتمكينا لامته من الظفر ، دون أن يخالجه الشك أو يصده التردد » ثم ألقت المجلة تبعة هذه الحرب على عاتق ألمانيا « التي سارت على نهج العسف والبغي في انكار حقوق الشعوب الصغيرة » ، وأبانت ان الشعب البريطاني جاهد اتقاء للحرب حتى أعيته جميع الوسائل ، فخاض غمارها حازما أمره على النضال والكفاح حتى تنتصر مبادئه . ثم قالت : « وان الغاية التي يجب ان يسعى اليها العلماء ليست التخريب والتدمير ، ولكن اقامة المثل الاعلى الذي يكفل لجميع الشعوب والاجناس مستقبلا تتوافر فيه كل الوسائل الممكنة لرقيها ورخائها ، باتاحة الفرصة حينذاك ليؤدي العلم رسالته الكاملة على وجهها الصحيح »

اما مجلة « دي أومانشو » الالمانية فقالت : « أعلن المستشار في خطابه امام مجلس الريشستاغ أن ألمانيا يجب أن تحارب لتحمي حقوق الشعب الحيوية . وقد عمل الشعب الالماني تحت امرة هتلر ست سنوات لاعادة بناء حياته . وقد ساهم العالم ، كما ساهم العامل ، في اقامة هذا البناء ولكن جهود العمال تتراءى لجميع الناس فيما شادوا من صروح وما عبدوا من طرق . اما جهود العلماء وان لم تكن ظاهرة كجهود العمال الا انها ليست أقل منها أثرا ولا اهمية (!) فقد حلوا المشاكل الكبرى التي اعترضت تنفيذ برنامج السنوات الاربع ، فزاد انتاج المواد الخام زيادة عظيمة ، وامكن اقامة بناء الحياة الصناعية على أساس متين ، وابتكرت مواد صناعية جديدة لا عدد لها . كما تقدمنا الى غاية بعيدة في تحسين صحتنا وتنقية جنسنا (!) »

الاوبئة تعقب الحروب

« اذا طال أمد هذه الحرب واتسعت ساحتها ، فلا بد أن تعقبها أوبئة فتاكة مخيفة » . هذا ماينذر به العالم الدكتور توماس ريفرز من كبار الباحثين في مسائل الطب والصحة . فهل قدر على العالم ان يواجه مرة أخرى هذا الرعب الذي واجهه في الشهور الاخيرة من الحرب الماضية ، حين انتشر وباء الانفلونزا فأهلك في شهرين اثنين أكثر مما أهلكت الحرب الكبرى في سنيها كلها . فقد عم هذا الوباء جميع ارجاء العالم فلم ينج منه أقليم في أشد المناطق حرارة ولا في أكثرها برودة ، وطارت جراثيمه من اقطار اوربا شرقا فعمت الهند والصين ، وطارت غربا فعبرت المحيط الاطلسي الى امريكا . وقد أباد في الهند وحدها خمسة ملايين نسمة ، وأفنى من أهل أمريكا عشرة امثال من مات منهم في ساحات الحرب الكبرى . وقد بلغ من هول هذا الوباء أن ارتفعت في أوربا وامريكا أثمان الاكفان وصناديق الموتى ، ووجد العاطلون عملا في حفر القبور !..

ولا ينذرنا هذا العالم بوباء الانفلونزا فحسب، بل يزيد عليه أوبئة أخرى قد تكون أشد هولا وفتكا ، مثل حمى التيفوس وحمى الدوسنتاريا . هذا علاوة على أمراض عصبية أخرى عرف العالم

بعضها فى أعقاب الحرب الماضية ، مثل مرض النوم الاوربى

ومع ان العلم وفق الى ابتكار وسائل لتخفيف ويلات الجنود الجرحى ، مثل مادة السلفانالاميد التى ستكون بلسما شافيا للجراح التى استعصى علاجها فيما مضى ، الا انه لم يوفق حتى الآن الى شيء يحمى به « المدنيين » من هذه الحميات التى تتفشى فى اثناء الحروب وفى اعقابها

على أن هذا الطبيب الكبير يطمئننا من ناحية أخرى نفزع كثيرا كلما سمعنا أنباءها الذائعة ، وهى استخدام جراثيم الامراض اداة من أدوات القتال والتدمير . فهو يقرر ان هذا أمرمستحيل عمليا ، وذلك (أولا) لان جراثيم الامراض لا يمكن ان تؤدى وظيفتها الا اذا توافرت شروط أخرى مثل ملائمة الطقس وقابلية الجسم وغيرها . ولم يستطع العلماء حتى الآن أن يحدثوا وباء فى داخل معاملهم رغم ما يتوافر فيها من وسائل الحياة لهذه الجراثيم ، فكيف يمكن نشر وباء فى الهواء الطلق وفى أقاليم فسيحة الارجاء . و (ثانيا) لان الجراثيم لا تعرف أعداء ولا حلفاء ، فاذا أطلقتها احدى الدول لم تخرج من حدودها الا بعد أن تصيب أهلها بأوبائها

نقل الدم لجرحى الحرب

كانت الحرب الاسبانية « حقلا للتجارب » اللازمة للحرب القائمة . وكان من هذه التجارب التى تعلمتها بعض الامم انه يجب عليها انتستعد لويلات الغارات الجوية بكميات هائلة من الدماء . أى اعداد الدماء التى تلزم لاسعاف بعض من تصيبهم قذائف هذه الغارات

وقد أخذت انجلترا اهبتها من هذه الدماء قبل قيام الحرب بفترة طويلة . فدعت الرجال والنساء للتطوع بدمائهم انقاذا لحياة أبناء وطنهم اذا ما تعرضوا لاخطار الغارات . فلباها عشرات الآلاف ممن تتراوح أعمارهم بين الواحدة والعشرين والخامسة والستين ، وجادوا بكميات من دمائهم . ويقدر عدد المتطوعين الذين تحتاج اليهم لندن وضواحيها بمائتين وخمسين ألف شخص

وليست عملية نقل الدم أمرا يسيرا ، بلتحتاج الى دقة وعناية . اذ لا يصلح أى دم لتموين الانسان ، بل قد تؤدى حقنة من الدم الى قتل الانسان اذا كانت تخالف دمه . كما انه يجب الا تؤدى العملية الا ايذاء من يجود بدمه أو اصابته بمرض ما . وستتولى الحكومة الرقابة على تغذية هؤلاء المتطوعين محافظة على قوة دمائهم وتقاوتها . وتقسم دماء المتطوعين اربعة أقسام يصلح كل منها لفريق من الناس . وتحفظ هذه الدماء فى جو بارد ، فتوضع فى خزاناتيشتمل كل منها على عشرة آلاف زجاجة ، وعلى جهاز لنقل الدم الى الجريح

مرض الملاريا

مرض الملاريا هو احد الامراض القليلة التى توفق الطب الى علاج حاسم لها . ومع هذا فهى أخطر مرض يعانيه العالم فى هذا العهد الحديث من حيث تفشى جراثيمه ، فانها تسرى فى دماء ثلث سكان هذا العالم وفق أصح التقارير . ونحن المصريين أدرى الشعوب بتأثير هذا المرض فى الحياة الاقتصادية ، اذ يؤدى الى تعطيل نسبة كبيرة من أيدينا العاملة ، والى ايقاف حركة النشاط الزراعى فى كثير من أرجاء بلادنا . وقد قدر أحد الباحثين ان جزءا عظيما من مرافق الانتاج الصناعى والزراعى فى كثير من بقاع العالم تترك الآن بدون استثمار واستغلال ، بسبب الملاريا التى حلت بعمالها فأقعدتهم عن العمل ضعافا مهزولين . ولا سبيل الى اتقاء هذا المرض فى بلادنا الا اذا طهرت القرى من المستنقعات ، وكذلك نظمت زراعة الارز بحيث تقتصر على ناحية معينة من القطر ، بدلا من تركها تنتشر فى جميع الجهات ، ويتفشى معها بعوض الملاريا



النشاط الفكرى فى أيام الحرب

بين اوزار الحرب قليل من الحسنات . ففى لياليها الطويلة الثقيلة يلتمس الناس الانس والسلوى ، فلا يجدونهما غالبا الا فى صفحات الكتب التى تصرف الاذهان بآرائها وطرائفها عن مآسى القتال ، وبذلك يعود الناس الى متعة القراءة التى تطغى عليها متع شتى فى عهد السلام، حين تنشط المسارح وتكثر الافلام ويفيض الراديو بالموسيقى والغناء ليل نهار . ففى عهد الحرب يقل انتاج صناعة السينما ، كما يقل انتاج كل صناعة لا صلة لها بسير القتال ، لما تعانيه من ضيق موارد المال ونقص الايدى العاملة وانصراف الجماهير عن مباهجها الى ما يعانون من المآسى ، كذلك يخصص الراديو جزءا كبيرا من وقته لاذاعة انباء الحرب والسياسة وما يتصل بها من خطب ومحاضرات ، فلا يبقى للموسيقى والغناء سعة من الوقت يتيسر فيها تنويع البرامج . وكذلك تغلق اكثر الملاهى ابوابها ولا سيما اذا تعرضت البلاد لاخطار الطائرات المغيرة بقذائفها وسمومها . فاذا قل اقبال الناس على المسرح والسينما والراديو عادوا الى متعتهم القديمة اليسيرة وهى القراءة

وقد ظهر فى الحرب الماضية ان سوق الكتب فى عهد الحرب اروج من سوقها فى عهد السلم، وانه كلما طالت الحرب زاد اقبال الناس على الكتب واستغراقهم فى القراءة . ولهذا ناشد الشاعر الانجليزى « لوريت » الكتاب والناشرين ان يعدوا الآن كميات كبيرة من المؤلفات الطريفة التى تمد الناس فى ليالى الشتاء والخريف القادمة بما يفتقرون اليه من وسائل المرح والبهجة

فما هى الكتب التى يؤثرها الناس فى عهد الحرب ؟ من الغريب ان تجربة الحرب الماضية اثبتت ان دواوين الشعر اكثر الكتب ذيوعا فى الايام العصيبة . ويمكن تفسير ميل الناس الى الشعر حينذاك بأن الاعصاب التى ترهقها انباء الحرب وفواجع القتال ، تلتمس الراحة فى قراءة الشعر التى لا تكد الاعصاب ولا تجهد الاذهان .

لان ميزة الشعر على سائر الوان الثقافة انه كما يرى نقاد العرب ــ يبلغ القلب قبل ان ينفذ الى العقل ، وانه يخاطب العواطف المرهفة اثناء الحرب . وقد نشط الشعر الانجليزى فى الحرب الماضية ، كما كانت أيامها من ازهر ايام الشعر العربى الحديث

اما القصص فيتنبأ احد النقاد الانجليز بانصراف الناس عن القصص التى تحتشد بالوقائع المتصلة والحوادث العنيفة ، الى القصص الهادئة التى تميل الى تحليل الاشخاص وتفسير الاخلاق . ومرجع هذا الى ان الحرب تشبعهم من كل ما هو عنيف ومثير، وتجنح بهم الى ما يمتاز بالهدوء والوداعة. ولهذا سيقل اقبال الناس على القصص البوليسية، وقد يستبدلها بعض الناس بقصص الجاسوسية ، ولكن يشتد ميل الناس الى القصص الفكهة التى تبث وسط هذه الكآبة شيئا من البهجة

اما الكتب فلن يكون لاعصاب الناس تأثير كبير فى امرها . لانهم لا يقرؤونها التماسا للعزاء أو قضاء للياليهم ، ولكن قد يكثر اقبالهم على الكتب التى تعالج المسائل الحاضرة ، واغلبها متصل بشئون الحرب واحوال السياسة . اما الكتب الاخرى فتسير فى طريقها دون ان يعترضها تغير كبير

تدهور الادب المسرحى

المسيو جان راندوفسكى من كبار المخرجين

المسرحيين فى بولونيا وقد وضع كتابا بالعنوان المتقدم تناول فيه بحث الاسباب التى ادت الى تدهور الادب التمثيلى فى اوربا

ومن أهم تلك الاسباب فى نظر المسيو راندوفسكى طغيان الاساليب السينمائية الميكانيكية على الفن المسرحى

فكبار المخرجين الاوربيين امثال مكس رينهارت وبيسكاتور وبوكانوفسكى واضرابهم، كانوا يتوخون فى اخراج الرواية المسرحية طريقة غريبة . كانوا يعنون بمناظرها اكثر من عنايتهم بجوهرها . كانوا يفتنون فى ابداع مناظر خارقة عجيبة يتحدون بها مناظر السينما ، وكانت هذه المناظر فى الغالب تشوه معالم الرواية الاصلية وتمسخ فكرة مؤلفها وتكسبها جوا لا يمت بصلة الى الجو الذى اكسبه اياها صاحبها، وهكذا كان المتفرج يسمع حوارا ويشهد مناظر لا علاقة لها بجوهر هذا الحوار . مناظر مصطنعة مفتعلة وضعت لمجرد التهويل ولفت الانظار لا لزيادة التعبير عن غوامض الرواية . فترتب على ذلك ان تضاعف غموض القصص المسرحية وانصرف عنها الجمهور الى السينما

وفى رأى المسيو راندوفسكى ان المخرج يجب الا يسيطر على المؤلف بل يجب ان يخضع له ويحاول اضاءة ظلمات قصته . واما المناظر فيجب ان تساعد على التعبير وتماشى روح القصة لا ان تطغى عليه وتخنقه . والخلاصة ان شخصية المؤلف هى التى ينبغى ان تسود المسرح لاشخصية المخرج

كيف ننشىء عالما جديدا

يعيش المرء فى هذا العهد العصيب من يوم الى يوم بل من ساعة الى ساعة . فاستأثرت شئون الحاضر بتفكيره فلم يبق منه شىء للبحث فى شئون الايام القادمة . اما ان اتاحت الظروف لبعض الناس ان يفكر فى أمر من أمور المستقبل ، فانهم يتأون بجانبهم عن كل ما له بمسائل السياسة التى ساء ظنهم فيها ، ويشنون الحرب التى يعانون مآسيها . فهم يؤثرون حينئذ ان يكتبوا أو يقرءوا بحثا فى تاريخ آشور أو حكمة بوذا ، على ان يفكروا فى تعديل نظام سياسى أو اصلاح مبدأ اقتصادى أو غير ذلك مما له صلة بالحاضر الذى يضيقون به وينقمون عليه .. فماذا تكون النتيجة بعد ذلك ؟ تظل المساوىء التى نعانيها الآن قائمة على حالها ، فاذا انقضت هذه الحرب عاش العالم ربع قرن آخر فى سلم قلق مضطرب ، ثم تشب الحرب مرة أخرى تصلى الانسانية بنارها ، وهكذا دواليك ..

ولكن فريقا من الكتاب بدأوا فى هذه الساعات العصيبة يفكرون فى الايام المقبلة ، فأخذوا يكتبون فى تنقيح مختلف النظم

وقد أصدر « روم لاندو » كتابا حديثا اسمه « حب الوطن » بحث فيه الوسائل التى تؤدى الى انشاء عالم جديد تنتفى منه اسباب الفقر والقلق والفوضى والعدوان . فتحدث عن القوات التى تحكم الانسانية الآن وقسمها ثلاثة أقسام :قوات رسمية وتشمل السياسة والقانون والدين والاقتصاد ، وقوات ثقافية وتشمل العلم والادب والفن والتعليم والخدمات الاجتماعية . وقوات غير رسمية وهى المرأة والجنس والتقاليد . وقد جعل انجلترا مجال بحثه،على ان ما يلائمها من الاوضاع والمبادىء يمكن ان يلائم سواها من الاقطار بعد قليل من التحوير والتعديل . ويضم كتابه احاديث ممتعة اجراها مع نخبة من زعماء انجلترا مثل اسقف كنتربرى واسقف وستمنستر ومستر ايدن ومستر لانسبورى وسير اوزوالد موزلى وسواهم من القائمين على نواحى الشئون العامة

واذ كان لاندو اجنبيا عن انجلترا من حيث أسرته ومولده ، فانه ينظر الى الحياة الانجليزية نظرة « موضوعية » خالصة لا يشوبها شىء من المحاباة والمداراة . فانجلترا تفاخر بمتانة مركزها الاقتصادى وما يهيؤه لها من اليسر والرخاء ،

أما هو فيقول : « نعم ، ان انجلترا اروج تاجر وامهر صانع ، واغنى صيرفى ، وأقدر مؤمن ، واكبر بحار .. ولكن هذا هو ما يجعلها تحصر همها فى دائرة المادة والمال ، والا فأين الموسيقى واين الفلسفة واين الفنون ؟ »

ومن افكاره المبتكرة قوله : « اننا نعلم كل كبيرة وصغيرة فى هذه الدنيا الفسيحة اذا أخذنا كل جانب فيها على حدة . اما اذا أخذناها كما واحدا وكتلة متماسكة ، عجزنا عن فهمها وحرنا فى أمرها . ذلك اننا قضينا المائة والخمسين سنة الماضية فى تقسيم العالم وتحليله ، وقد آن الآن أن نقوم بمهمة جمع هذه الاقسام وتأليفها . وهذه المهمة ، مهمة النظر الى العالم كله نظرة واحدة لا تفرق بين جانب وجانب ، ولا تعلى ناحيـة وتخفض أخرى ، تقتضى ان نظهر ونستغل كل ما فى نفوسنا من الصفات الانسانية النبيلة »

فى صحرائنا الشرقية

أصدر الماجور جارفس محافظ سيناء السابق كتابا جديدا عن صحرائنا الشرقية التى أمضى فى بطاحها شطرا طويلا من حياته يدبر شئون أهلها ، فدرس تاريخها دراسة مفصلة مكنته من تحقيق كثير من مسائلها المجهولة ، كتحقيقه هجرة اليهود من مصر والطريق الذى اتخذوه فى رحلتهم الى وادى التيه ، وتحقيق غزوة قمبيز التى هلك جنودها فى شعب الصحراء جوعا وعطشـا ، وكذلك بحث طبيعتها بحثا واسعا يرجع الى كل من تعنيه مسائل الحرب والادارة وشئون الاقتصاد والصحة ، فى هذه المنطقة التى اختارها جميع المغيرين على مصر طول عصور التاريخ ، كما لا تزال تنفذ منها جراثيم بعض ما يتنابهم من الأمراض والأوباء

وكتابه الجديد الموسوم « بحديقة الله الخلفية » هو ثالث كتبه عن هذه الصحراء ، فأصدر من قبله كتاب « فى صحراء سيناء » وتلاه بكتاب « الصحراوات الثلاث » وقد تحدث الاستاذ العقاد فى عدد مضى من « الهلال » عن بعض ما فى هذين الكتابين من معارف قيمة وطرائف ممتعة ، عرضها المؤلف فى أسلوب شائق ينفح فكاهة وسخرية لاذعة . ولا يقل كتابه الجديد عن سابقيه فى وفرة معارفه وطرائفه وتحقيقاته التاريخية والجغرافية ، ولا فى دقة نظره وصحة حكمه حين يتتبع ما يطرأ على هذه المناطق الجبلية من أسباب الحضارة وعوامل التمدين . ولا فى هذا الروح المرح الذى يعرض به أخلاق البدو وسجاياهم ، وهذه الفكاهة اللاذعة التى يذكر بها بعض أعوانه من رجال الادارة الأنجليزية

وهو يرى أن السيارة هى التى ستغير حياة الصحراء . فان تأثيرها لا يقتصر على تيسير اسباب التجارة والادارة ، بل انها تدعو الى تأليف قلوب البدو المتنافرة . فهى تكدسهم بعضا فوق بعض فى داخلها وعلى جوانبها ، وتحملهم الى ما يبتغون من الاسواق والموالد ، فلا يتركون مقاعدها الا بعد أن يتجاذبوا الاحاديث التى تخلق بينهم جوا من الود والصفاء

ويتحدث المؤلف عما بدأ ينفذ الى الصحراء من المظاهر الاوربية حديثا فيه سخرية وفيـه اصلاح . فقد ذهب يزور ملجـأ أنشىء هناك لايواء الايتام الفقراء ، فوجد أمام الباب جمعا من الناس فسأل حارس الملجأ عما يريدون ، فأجابه فى بساطة وسذاجة : « انهم آباء الايتام الذين يعملون فى الملجأ . جاءوا ليعودوا بهم الى بيوتهم حالما تغادر عتبة الملجأ ! »

ومؤلف هذا الكتاب يجمع بين ميزة رجل الحرب فى منطقة من أهم مناطقنا العسكرية ، ودراية رجل الادارة فى اقليم يحتاج الى كثير من التحسين والاصلاح ، فضلا عما بدا فى كتبه الثلاثة من روح أدبى ممتاز بعبارته الطريفة وفكاهته الساخرة

الكتب الجديدة

فى الأدب المصرى الاسلامى

من الفتح الاسلامى الى دخول الفاطميين

تأليف الاستاذ محمد كامل حسين

(طبع بمطبعة الاعتماد . صفحاته ٢٩١)

اتجهت اذهان الباحثين فى العصر الحديث الى دراسة الادب المصرى قديمه وحديثه لسببين : الاول ان مصر تحتل زعامة الاقطار العربية فى الحياة العلمية والادبية والاجتماعية فأدبها الحاضر احق بالدراسة . والثانى انها كانت فى العهد القديم مقصدا لكثير من الادباء والشعراء والمحدثين والفقهاء ، وموردا لكثير من الفنون والعلوم ، ففيها ازدهر فقه الشافعى ومالك ، وعن محدثيها روى البخارى ومسلم والنسائى وغيرهم ، وعن نحاتها اخذ كثير من نحاة الاقطار العربية الاخرى . ووفد على مصر من الشعراء كثير عزة ، وجميل بن معمر ، وعبد الله بن قيس الرقيات ، وابو نواس ، وربيعة ابن ثابت ، وابو تمام ، والمتنبى ، وكشاجم ، وغيرهم ممن وجدوا فى مصر حياة عقلية نشيطة دفعتهم الى زيارتها ، والاجتماع بعلمائها وادبائها ، ولكن مما يؤسف له ان تلك الفترة التى بدأت من الفتح الاسلامى الى دخول الفاطميين مصر لم ينلها من عناية مؤرخى الادب العربى ما تستحق ، فقد اهملت أو اجملت حتى كاد يتلاشى تاريخ الادب المصرى فى ذلك الحين ، فالجهد الذى قام به مؤلف هذا الكتاب خدمة جليلة للادب العربى عامة ، لانه اتاح له جزءا كان مضاعا من ثروته النفيسة وهو خدمة للادب المصرى الحديث خاصة ، لانه اطلع الجيل الحاضر على ان الحياة العقلية فى مصر فى تلك الفترة كانت قوية عظيمة بحيث لم تتخلف فيها عن غيرها من اقطار العروبة التى ازدهر فيها الادب العربى

وقد قسم المؤلف كتابه الى اربعة ابواب : الاول عن تطور الآداب واللغة بمصر ، والثانى عن الحياة العقلية ، والثالث عن كتاب الرسائل والانشاء ، والرابع عن الشعر . ولعل هذا المؤلف اول كتاب من نوعه بما اشتمل عليه من دراسة الادب المصرى دراسة علمية واسعة . ولقد استحق عليه الاستاذ محمد كامل حسين درجة الماجستير بمرتبة الشرف من كلية الآداب بجامعة فؤاد الاول ، وهو حقا جدير بهذا الشرف

العوامل الفعالة

فى الادب العربى الحديث

تأليف الاستاذ انيس المقدسى

(طبعته الجامعة الاميركية ببيروت . صفحاته ١٢١)

الاستاذ انيس المقدسى استاذ الادب العربى فى جامعة بيروت الاميركية كاتب مجدد فى اسلوبه وفى تفكيره ، وفى بحوثه الشائقة التى طالما نشرها المجلات العلمية والادبية . وقد تناول فى هذا الكتاب بحثا جديدا أراد به أن يفتح الباب لدراسة الادب العربى الحديث باسلوب تحليلى هو كما يقول فى مقدمته « محاولة جديدة فى درس الادب الحديث يراد بها تحليل العناصر السياسية التى تألف منها جونا الادبى ، والرجوع الى الاسباب التى اثارت امواجه الفكرية . وهى محاولة شاقة ، فالباحث الرائد لا يرى حوله الا ادغالا مشتبكة لا طرق معبدة فيها ، ولا معالم واضحة . وقد كابد كاتب هذه السطور من ذلك ما لا يعرفه الا زملاؤه من رواد هذه المباحث ، وكانت مهمته أن يقرأ الشعر الحديث اى ما نظم منذ منتصف القرن التاسع عشر الى الآن — يقرأ غثه وسمينه — المشهور وغير المشهور منه ،

ثم ينظم من ذلك ما يعكس التطورات او الحركات السياسية ، ويقابله بما ورد من اقوال المؤرخين والمتأدبين او بما تثبته من احاديث المعاصرين ، علاوة على ما عرفه باختباره، وكان له اثره الخاص في نفسه »

فهذه المحاولة الجديدة كما وصفها حضرة المؤلف شاقة ، وهى تطلعنا على جانب عظيم من التراث الادبى الذى كان نتيجة هذه العوامل الفعالة التى اثارته وابرزته الى الوجود . وقد بدأ المؤلف فى هذا الكتاب النفيس بالحلقة الاولى فى العوامل السياسية ، وتناول دراسة الحوالج القومية وبواعثها فى مواطن النهضة الادبية الرئيسية ، مصر والعراق والاقطار السورية . اما محتويات هذه الحلقة فهى الرابطة العثمانية ، البوادر الاصلاحية ، الشعلة الدستورية، الدستور والروح الجديدة ، الدستور والنعرات المذهبية ، بعد النشوء الدستورى ، اثر الحرب العامة فى الادب العربى، النهضة العربية، الحركات المنظمة، ثورة العرب ومساعيهم، العرب والدول المستعمرة، الوحدة والاقليمية . ويمكن القول فى وصف هذا الكتاب النفيس انه تاريخ الحياة السياسية فى الشرق الاسلامى عن طريق الادب ، كما انه تحليل للعناصر السياسية التى أثارت امواج الادب الحديث

مختصر تاريخ العرب

تأليف سيد امير على بالانجليزية

ترجمه الى العربية الاستاذ رياض رأفت

(طبع بمطبعة لجنة التأليف والنشر صفحاته ٥١٥)

مثل هذا الكتاب من الكتب القلائل التى يؤلفها كتاب شرقيون باللغات الاوربية ، فقد اعتاد المستشرقون ان يقوموا بمثل هذا العمل ، فيؤلفوا عن تاريخ الشرق القديم والحديث ، ويكتبوا عن الفنون والعلوم الشرقية ، ولا يخلو ما يكتبه بعضهم من التعصب ، ولكن اذا انبرى كاتب شرقى فكتب للغربيين بلغاتهم فانه يلقى ضوءا واضحا على الحقائق ، ويستطيع ان يعطى جمهورهم صورة صادقة للشرق وتاريخه وحياته فى ماضيه وحاضره . وهذا ما فعله مؤلف هذا الكتاب سيد امير على العضو بمجلس شورى الملك بانجلترا ومؤلف روح الاسلام والقانون الاسلامى وغيرهما وقد تناول فى هذا الكتاب تاريخ الشعب العربى منذ الجاهلية الى نحو منتصف القرن الثامن الهجرى، اى الى تدهور الدولة الفاطمية وانقراضها وقد قسم موضوعه الى اثنين وثلاثين فصلا ضمنها حياة العرب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتاريخية مع ذكر وقائعهم الحربية فى تلك العصور ، كما انه تناول وصف الحركة الادبية والاخلاقية وانظمة الدول المتعاقبة والعوامل التى ادت الى سقوطها

وقد ترجم هذا الكتاب النفيس الى اللغة العربية الاستاذ رياض رأفت فأحسن ترجمته باسلوب سلس رائق ، وعرضه عرضا متقنا على ورق جيد

الطب النفسى

من الوجهتين العلمية والدينية

بقلم الدكتور مرقس جريجورى

قام بنشره ماكملان وشركاه بلندن

٤٩٥ صفحة ، الثمن ٢١ شلنا

دراسة مستفيضة باللغة الانجليزية ، تبحث فى مسألة على جانب كبير من الدقة والخطورة . فهل هناك أخطر من المرض على صحة الانسان ، وهل هناك أدق من العلاقة بين الجسد والعقل

ان الصحة هى التناسق بين العضو وسائر الاعضاء ، والمرض هو انتفاء هذا التناسق . وقد شرح المؤلف ذلك فى فصل عن الصحة والمرض، حيث سرد الآراء المختلفة فيهما

ثم دلل على ان الغدد كما انها تؤثر فى نمو

الجسم ، تؤثر كذلك في الاخلاق بواسطة الهرمونات . وعلى قدر انتظام افراز الغدد تكون صحة الجسم والنفس

ثم عرض المؤلف الفاضل آراء الاديان في شأن المرض ، ومحصها تمحيصا علميا نزيها

وفي الكتاب عرض جليل الشأن لتحليل شخصية الانسان . ثم اشارة مستفيضة الى القيمة العملية لتناول العلاج النفسي لكثير من الامراض التي كانت تعد أمراضا عضوية

وعلاوة على المراجع العديدة التي أدرجها المؤلف في كتابه ، فقد ألحق به قاموسا وافيا حوى سائر المصطلحات العلمية التي وردت بالكتاب . ثم انه قد استهل كل فصل بخلاصة وافية لما جاء في الفصل نفسه . كما ان بحوث الكتاب موضحة بالصور والرسوم الضرورية . وهذا كله من شأنه أن يسهل على القارىء استيعاب الموضوع بسهولة ويسر

وقد كتب مقدمة هذا الكتاب من وجهة النظر العلمية ، الدكتور وليم براون عمدة هذا الموضوع في انجلترا ومدير معهد علم النفس التجريبي في جامعة أكسفورد ، ومما جاء في هذه المقدمة قوله : « وأنا واثق ، أستطيع أن أقدم هذا الكتاب على انه أصدق مرجع موثوق به في هذا الموضوع» وكتب المقدمة الاخرى من وجهة النظر الدينية البروفسور جرينستيد استاذ الفلسفة الدينية بجامعة أكسفورد

وقد كان لصدور هذا الكتاب صدى كبير في الدوائر العلمية الاوربية والاميركية ، لما حواه من دقة في البحث ، فاستقبلته بالتقدير الذي هو أهل له .. وبرغم ان المؤلف مصري ، فان لغته الانجليزية جاءت قوية رصينة في جزالة وسلاسة بشهادة الكتاب الانجليز الذين تناولوا الكتاب بالثناء والتقدير ، كما ان محطة اذاعة لندن تحدثت عنه مرتين

وبعد ، فهذا الكتاب ثمرة دراسات طويلة وبحوث واسعة اضطلع بها المؤلف الفاضل ، وتجاربه الشخصية التي كسبها من معالجة المشاكل الشخصية والزوجية ، ومن اشتغاله في عيادات هويت فيلد وسبتي تمبل في لندن . لذلك كان توفيقه عظيما ، وجاء كتابه وافيا ، يفيد هواة هذه البحوث النفسية وطالبي الثقافة وخاصة أولئك الذين ينشدون صحة البدن وهدوء النفس

ونحن لا يسعنا الا أن نسجل اعجابنا بمجهود المؤلف ، ونزجي اليه التهنئة على اخراجه هذا السفر النفيس

تجفيف المستنقعات

بقلم الأستاذ نجيب العقيقي

(مطبعة حجازي بالقاهرة في ١٤٠ صفحة)

يولع الاستاذ نجيب العقيقي بتحليل عاطفة الحب ، ورسم خصائصها واطوارها ومختلف الآثار التي تحدثها في نفس المحب ولا سيما في سن الشباب

وتمتاز قصته (تجفيف المستنقعات) ببلاغة عبارتها ومتانة أسلوبها وشيوع النزعة الخيالية الشعرية بين سطورها مما يتفق وتصوير أعراض عاطفة الحب

وتدور حوادث القصة في بيروت حول فتى عام بحب امرأة ، ثم عبثت به نزوات الشباب فأساء فهم اخلاقها وأنكرها ، ولكنها ظلت على وفائها له وأسدت له آخر الامر خدمات دلت أبلغ الدلالة على انها كانت تحبه وانه أساء تقدير هذا الحب ولم يفهم نفسية المرأة وماطبعت عليه من تقلب وتلون

وقد أجاد المؤلف تصوير انفعالات الشاب ، كما أجاد رسم شخصية المرأة ، وحبك حوادث القصة واشعار القارىء بحركة الحياة تنبض بين سطورها

ونحن نسجل اعجابنا بقصة (تجفيف المستنقعات) التي هي باكورة أعمال المؤلف ، ونعدها ثمرة شهية جديدة من ثمار النهضة الادبية الحديثة في لبنان الشقيق

الموجات العقلية

واسرار الاتصالات الخفية

للاستاذ وليم سرجيوس

(طبع بمطبعة الشمس بشارع كلوت بك بالقاهرة . صفحاته ١٦٠)

عنى الاستاذ وليم سرجيوس المحامي بالدراسات النفسية منذ مدة ، فأخرج فيها عدة مؤلفات . وهذا هو المؤلف الخامس الذي خصه بالموجات العقلية واسرار الاتصالات الخفية ، وهو يتحدث في هذا المؤلف عن القوى الكامنة في النفس ، وكيف يمكن الانسان استخدامها ، والاستنارة منها في شئون حياته ، ويفسر لك كثيرا من الغوامض على ضوء المكتشفات العلميـة . ومن موضوعات هذا الكتاب اسرار الحياة النفسية ، والتدريب العملي ، والافكار ومصادرها . وضبط النفس والجسم والاعصاب ، وتبادل الافكار ، والاحلام ومدلولاتها ، وقراءة الافكار ، والعلاج النفسي الغيابي الى غير ذلك من الفصول الشائقة التي حواها هذا الكتاب الطريف

عجائب الفيزيقا : علم وقصص

تأليف الاستاذ احمد فهمى ابو الخير

(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر صفحاته ٢٣٦)

يتضمن هذا الكتاب النفيس حقائق علم الطبيعة مبسطة كل التبسيط . وقد تناول نظريات العلم الحديث باسلوب ادبي ، وطريقة قصصية . واذا كان للغات أدب فيه متعة وجمال ، فان للعلم ايضا ادب فيه لذة ومتعة وفائدة . وهذا ما توخى الاستاذ احمد فهمى ابو الخير ، فقد أراد ان يعرض ادبا جديدا هو ادب العلم وينشر الثقافة العلمية عن طريق شرح العلوم شرحا ادبيـا قصصيا في غير تعمق ولا ابتذال بحيث يستفيد منه الطالب وغير الطالب وقد وضعه في ٢١ فصلا بدأها بارشميدس وقاعدته الشهيرة ، وتكلم عن علماء الاسكندرية الاقدمين ، وعن بحوث العرب في الطبيعة ، وعن الحسن بن الهيثم العالم العربي الذي يقترن اسمه بعلم الضوء الذي بذل اكبر عناية في هذا العلم ، وبلغ فيه مبلغا لم يصل اليه احد من قبله الى غير ذلك من الموضوعات الهامة التي ختمها بفن الغواصات والمحركات الشمسية

وقد نال المؤلف على هذا الكتاب جائزة مالية من وزارة المعارف في المباراة العلمية لتشجيع الانتاج الفكرى بين المدرسين لعام ١٩٣٨ ــ ١٩٣٩ المدرسي ، فنهنئه بهذا التقدير ، ونرجو لكتابه أحسن الرواج

دليل الحياة

بقلم الاستاذ عبد الخالق صبيح

(مطبعة دار النشر بمصر في ١٦٠ صفحة)

في اوربا كتاب يطلق عليهم اسم (الاخلاقيون) وتنحصر مهمتهم في دراسة شتى ظواهر المجتمع في علاقتها بالاخلاق العامة . تمهيدا لرفع شأن هذه الاخلاق وصقلها وتطهيرها من شوائب الفطرة الغاشمة العمياء

واشهر اولئك الكتاب (بسكال) و (فوفنارج) و (جوبير) واضرابهم . ولقد نحـا نحوهم الاستاذ عبد الخالق صبيح في وضـع مؤلفه الاخلاقي الرائع (دليل الحياة)

فعلم النفس يقترن في هذا الكتاب بالتأملات الفلسفية والنظريات الاجتماعية . وهكذا تنجاب امام القارىء تلك السحب التي تخفى حقـائق اخلاقنا عن الابصار

فعاطفة الحسد مثلا وما تحدثه في النفس من حرقة وكمد ورغبة في الانتقام ، وعاطفة الحب وما ينشأ عنها من تبدل عميق في شخصية المحب ، وعاطفة الاحساس بالجمال وما تولده في القلب والعقل من فضائل ، جميع هذه العواطف وامثالها يدرسها المؤلف ويحللها ويطبق عليها نظريات علم النفس الحديث ، ليخرج منها بفلسفة مثالية

تساعد على تلطيف الغرائز وتخفيف حدة الشهوات وترقية الافكار والاخلاق والميول

والواقع ان كتاب (دليل الحياة) هو شبه موسوعة صغيرة تتناول بالبحث جوهر عواطفنا وتهدينا الى خير السبل التى يمكن ان تتجه اليها اخلاقنا ، فهى كنز من كنوز التحليل النفسى لا يستغنى عنها كل مفكر ومرب وأديب

رجال التصوير فى الفن الايطالى

(مطبعة لجنة الترجمة والتأليف صفحاته ١٦٥)

يجمع هذا السفر الطريف تاريخا مختصرا لعظماء المصورين الايطاليين وعرضا سريعا لما خلقوه من الصور الشهيرة . ولا شك ان من يرغب فى درس تلك الصور والتعرف الى مواطن الجمال والفن فيها ، يرغب ايضا فى ان يعرف بعض الشىء عن شخصيات أصحابها وبيئاتهم والحوادث التى مرت بهم . لان هذه المعرفة تدعو بطبيعة الحال الى تحرى الدقة فى تقدير اعمالهم وفهم اغراضهم منها

لذلك وضع المؤلف النابغ تاريخ اولئك العظماء فى قصص ممتع يزف الى القارىء تاريخ الفن الايطالى فى نهج جديد

فحياة كبار الفنانين امثال (جيوتو) و(بوتيتشلى) و (دافنشى) و (رافايلو) و (فيرونيز) واضرابهم يعرضها المؤلف فى قصص محكمة الوضع ، أخاذة الاسلوب ، لا يطغى فيها الخيال على الحقيقة ، بل تسود الحقيقة الخيال وتقترن بحوادث التاريخ اقترانا وثيقا يبرز لنا جوهر شخصية الفنان ومختلف المؤثرات النفسية التى انعكست على اعماله الفنية الخالدة

ويرفق المؤلف الفاضل هذه القصص ببحوث تحليلية عن صور الفنانين ومكانتها فى عالم الرسم والاغراض الكامنة فيها ، والحوافز والدوافع التى ساقت الفنان الى وضعها

ولا ريب فى ان هذا الكتاب النفيس هو الاول من نوعه فى اللغة العربية ، وهو يكشف لنا عن روح شعب وعبقرية أمة ، ويسدى أجل الخدم لطائفة النشء من المصورين المصريين ، ويعاونهم على تعرف الفن الكلاسيكى ودراسة اصوله واوضاعه والافادة منها فى سبيل ابتداع فن مستقل مصرى صميم

مباحث بريئة فى الانجيل

بقلم الاستاذ مصطفى احمد الرفاعى اللبان

(المطبعة السلفية بمصر فى ١٧٥ صفحة)

ان الايمان بدين من الاديان يتفق تمام الاتفاق مع احترام وتقدير الاديان الاخرى ولا ينفى القدرة على دراسة هذه الاديان وتحليل عقائدها فى ضوء العلم والمعرفة . وقد حاول الاستاذ مصطفى احمد الرفاعى اللبان مع شدة احترامه لتعاليم المسيحية ان ينظر اليها نظرة الباحث ويحللها فى ضوء تعاليم الاسلام ومنطق العقل وقد افرد فصولا شائقة فى دراسة انواع التشابه بين الانجيل وكتب المناقب عند المسلمين ، وفى الموازنة بين عظة الجبل وخطبة حجة الوداع ، ثم جاء بأدلة قاطعة على التوحيد من انجيل يوحنا نفسه ، فدل بذلك على صدق ايمانه ، وقوة عقيدته ، ورحابة صدره ، واتساع ذهنه ، وتمجيد الاسلام ومختلف الفضائل الانسانية الخالدة التى يدعو اليها الاسلام والنصرانية ، على السواء . وهكذا دافع عن معتقده وانصف فى نفس الوقت العقيدة التى وضع كتابه لدراسة اصولها وتعاليمها

بين الهلال وقرائه

ما هو الضمير

(سان باولو — البرازيل) جورج ناصف فاضل

يقولون : فلان ذو ضمير حي ، وفلان لاضمير له . وقد أشكل على معنى هـذه الكلمة ، فما التعريف الفلسفي « للضمير » على وجه الدقة

(الهلال) جاء فى كتاب « الاخلاق » للاستاذ أحمد أمين تعريف وتوضيح للضمير نورده فيما يلى ، وقد اتخذ الاستاذ كلمة الوجدان بدلا من كلمة الضمير لانها أدق واصح تعبيرا عما يقصد بالكلمة الانجليزية Conscience

« يلاحظ الانسان فى اعماق نفسه قوة تحذره من فعل الشر اذا اغرى به ، وتحاول ان تصده عن فعله ، فاذا هو أصر على عمله وأخذ يفعل أحس بعدم ارتياح اثناء الفعل لعصيانه تلك القوة ، حتى اذا أتم العمل أخذت هذه القوة توبخه على الاتيان به وأخذ يندم على ما فعل . كذلك يحس بأن هذه القوة تأمره بفعل الواجب ، فاذا بدأ فى عمله شجعته على الاستمرار فيه ، فاذا انتهى منه شعر بارتياح وسرور ، وبرفعة نفسه وعظمتها ، هذه القوة الآمرة تسمى « الوجدان » — او الضمير — وهى تسبق العمل وتقارنه وتلحقه ، فتسبقه بالارشاد الى عمل الواجب والتحذير من المعصية ، وتقارنه بالتشجيع على اتمام العمل الصالح والكف عن العمل السيء ، وتلحقه بالارتياح والسرور عند الطاعة ، والاحساس بالألم والوخز عند العصيان . هذا الوجدان نشعر به كأنه صوت ينبعث من اعماق صدورنا ، يأمرنا بعمل الواجب ، ويحذرنا من المخالفة ولو لم نرج مكافأة أو نخش عقوبة خارجية

« وقد قال بعضهم : ان فى باطن الانسان صوتين الوسواس والوجدان . وكلاهما صوت رغبات مقموعة . ذلك ان عند الانسان عاطفة الخير وعاطفة الشر ، فاذا قمعت عاطفة الشر سمع صوت الوسواس والاغواء يدعو الى الشر ، واذا قمعت عاطفة الخير سمع صوت الوجدان يتألم من الشر وينادى بعمل الخير ، فالوسواس صوت الشر اذا تغلب الخير ، والوجدان صوت الخير اذا تغلب الشر »

ترجمة القرآن الى الانجليزية

(الزقازيق — مصر) عثمان حسين الحولى

ما اسم مترجم القرآن الكريم الى اللغة الانجليزية ، وما عنوان الناشر ، وما ثمن النسخة ؟

(الهلال) هناك عدة تراجم للقرآن الكريم منها : (١) ترجمة E. H. Palmer وقد نشرتها مطبعة اوكسفورد Oxford University Press فى مجموعة The World's Classics ، وثمن النسخة عشرة قروش تقريبا ، (٢) ترجمة Rodwell التى أصدرتها مكتبة Everyman's Library وثمنها اثنا عشر قرشا تقريبا . ويمكن الحصول عليهما من المكاتب المصرية المعروفة

ميثاق لوكارنو

(سوهاج . مصر) يوسف فرعونى

أرجو ان تكتبوا شيئا عن ميثاق لوكارنو الذى يتردد اسمه كثيرا فى الصحف وعلى ألسنة الساسة ؟

(الهلال) ميثاق لوكارنو هو مجموعة من الاتفاقات عقدت بين بريطانيا وفرنسا وبلجيكا

وألمانيا وايطاليا في ١٦ اكتوبر سنة ١٩٢٥ بفضل ثلاثة من السياسيين الذين جاهدوا في سبيل اتقاء الحرب واقرار السلام ، وهم أوستن تشمبرلن (بريطانيا) وارستيد بريان (فرنسا) وجوستاف شترزمان (ألمانيا) . وكان القصد من هذا الميثاق اقرار السلام في أوروبا الغربية ، فهو ينص على أن أى خلاف ينشأ بين هذه الدول أو بينها وبين جاراتها يجب أن يحل بالطرق السياسية الممكنة ، فان تعذر ذلك عرض على هيئة قضائية مستقلة يخضع الجميع لقضائها . واذا رفضت احدى هذه الدول الحل السياسي أو الحكم القضائي ، قامت الدول الاخرى باكراهها على قبوله بجميع الوسائل. وكانت النتيجة المرجوة من هذا الميثاق أن تتعاون بريطانيا وايطاليا على منع اسباب النزاع التي تنشأ في اوربا الغربية والتي كانت مدار الحرب في عهود التاريخ الحديث . اذ كان يقضي بأن تساعدا ألمانيا اذا انتهكت فرنسا أو بلجيكا حرمة أرضها ، وتساعدا فرنسا اذا جارت ألمانيا أو بلجيكا على حدودها وهكذا ، وكذلك كان يتضمن معاهدات للتحكيم بين ألمانيا وبين كل من فرنسا وبلجيكا وبولنده وتشيكوسلوفاكيا . وقد ضمن هذا الميثاق سلام أوروبا فترة طويلة حتى تولى النازى أمر ألمانيا . وتخلى عن سياسة الاتفاق والمسالمة الى سياسة القوة والعدوان ، فانتهكت حرمة نصوصه وانتهجت سياسة تناقض أصوله حتى أدى الأمر الى هذه الحرب التي جاهد ساسة لوكارنو لاتقائها

قناة السويس

(سان باولو — البرازيل) مشترك

كم بلغت نفقات انشاء قناة السويس ؟ وفي كم ساعة تجتازها السفن التجارية العادية ؟ وكم يبلغ عدد السفن التي تمر بها كل سنة ؟ وهل تتولى ادارتها الحكومة المصرية أو الحكومة الانجليزية ؟

(الهلال) جاوزت نفقات انشاء قناة السويس سبعة عشر مليونا من الجنيهات ، هذا عدا مليونا آخر انفقه الخديو اسماعيل في اقامة حفلة افتتاحها الباذخة التي حضرها جمع من ملوك أوربا وامرائها ، ويبلغ طول هذه القناة زهاء مائة ميل ، وعمقها ثلاثين قدما . وعرضها مائتي قدم . وتجتازها السفينة عادة في خمس عشرة ساعة . ويبلغ عدد السفن التي تمخر عبابها سنويا قرابة ستة آلاف سفينة ، يزيد احمالها عن ٣٢ مليونا من الاطنان ، وقد مر بها في سنة ١٨٩٠ ماوزنه ٦٫٩٠٠٫٠٠٠ طن ، وفي سنة ١٩٠٣ ما وزنه ١١٫٩٠٧٫٢٨٨ طنا ، وفي سنة ١٩٢٠ مايبلغ ١٧٫٦٠٠٫٠٠٠ طن . ونصف السفن التي تجتاز القناة سفن انجليزية ويبلغ نصيب بريطانيا من اموال القناة حوالى ٧٨ مليونا من الجنيهات ، وكان أصل هذا المقدار اربعة ملايين من الجنيهات وكانت ملكا لمصر ثم باعته في عهد الخديوى اسماعيل فاشترته انجلترا بفضل السياسي الكبير دزرائيلي . اما ادارتها فيتولاها مجلس مؤلف من اثنين وثلاثين عضوا منهم عشرة من الانجليز واثنان من المصريين . ومقر هذا المجلس باريس ورئيسه مالى فرنسي كبير

سرعة السيارة

(القاهرة — مصر) حسن شوكت

ما أقصى سرعة تبلغها السيارة ؟

(الهلال) جاء في تقرير جريدة « الديلي ميل » الاخير ان أقصى سرعة بلغتها السيارة هي ٣٥٧ ميلا في الساعة . وقد قام بهـا رياضي انجليزى هو الكابتن ايستون الذى حاز قصب السبق في المباراة العالمية لسرعة السيارات سنة ١٩٣٨ ، وكان الناس يظنون أن الرياضى الشهير السير ملكولم كامبل قد ضرب الرقم القياسى حين قطع بسيارته ٣٠١ ميلا ، ولكن ايستون اثبت انه لا يزال أمام المتبارين مجال واسع يتسابقون فيه

لباس جنود اسكوتلنده

(الاسكندرية ــ مصر) ن. زخارى الحفار

لماذا يلبس بعض الجنود الانجليز لباسا غريبا يتألف من « جاكتة » فوق جلباب أخضر قصير ، مع أن جنود جميع الجيوش الراقية يرتدون البذلة العسكرية المعروفة ؟ وقد سمعت من بعض العامة المصريين أن هؤلاء الجنود يتخذون هذه الملابس ليتلقوا فيها طفلا يزعمون انه سيخرج من بطن رجل وسيقوم باصلاح هذا العالم وزعامته . فما قولكم فى هذا ؟

(الهلال) ما سمعته من العامة المصريين حديث خرافة ، فهم لا يرتدون هذه الملابس ليتلقوا فيها طفلا ، بل محافظة على شعارهم القومى . والجنود الانجليز لا يتخذون هذا الزى ، وانما تتخذه فرقة « الهايلاندرز » المؤلفة من رجال أعالى اسكوتلنده الجبلية . وهى ملابسهم الوطنية التى يحافظون عليها ويفاخرون بها ، فالبستهم الحكومة الانجليزية ما يشبهها تمييزا لهم عن سائر فرق الجيش البريطانى

والغالب أن هذا اللباس كان لباس جميع أهل اوربا فى العهود القديمة ، وانه كان قطعة واحدة طويلة فضفاضة تشبه القفطان العربى . ثم دخل عليه بعض التغيير فى عهد الملكة ستيوارت (١٥٤٣ ــ ١٥٨٧) فانقسم الى صدرة «جاكتة» وتنورة « جلباب » وقصرت هذه على مثل ما هى عليه الآن . ويعلق هؤلاء الجنود فى اوساطهم مرآة صغيرة مكسوة بشعر الخيل الابيض والاسود، وكانت هذه المرآة فيما مضى غطاء لحقيبة صغيرة يعلقونها أمامهم ويضعون فيها دراهمهم ومديهم وسهام أقواسهم

مجلات سياسية

(بغداد ــ العراق) قارىء

ما أهم المجلات العربية والانجليزية التى تبحث فى الشئون السياسية العالمية بحوثا مستفيضة وموثوقا بها ؟

(الهلال) لا تصدر بالعربية مجلة خاصة بالسياسة الدولية ، ولكنك تجد فى بعض المجلات الشهرية والاسبوعية المهمة بحوثا كثيرة فى المسائل العالمية ، ينشرها بعض الكتاب المثقفين الباحثين ، وفى وسعك أن تستفيد من هذه الدراسات . اما اللغة الانجليزية فحافلة بالمجلات السياسية التى تصدر فى بريطانيا وامريكا ، ولا يسعنا بيانها كلها فنكتفى بذكر : (١) الشئون الخارجية المعاصرة ، لندن Contemporary Foreign Affairs

(٢) المائدة المستديرة ، لندن Round Table

(٣) السياسى الجديد،لندن The New Statesman

(٤)الشئون الخارجية،نيويورك Foreign Affairs

(٥) التاريخ الجارى،نيويورك Current History

(٦) هاربرز ، نيويورك Herpers (٧)نيويورك تايمز New York Times .

ويمكنك أن تحصل على جميع هذه المجلات وصواها عن طريق المكاتب المهمة

جيش الولايات المتحدة الامريكية

(الخرطوم ــ السودان) بدوى القزانى

كم يبلغ عدد جنود جيش الولايات المتحدة الامريكية وعدد طائراتها وسفنها الحربية ؟ وهل الخدمة العسكرية هناك اجبارية أو اختيارية ؟

(الهلال) آخر احصاء دقيق نعرفه الآن هو احصاء سنة ١٩٣٧ ومنه نجد أن الجيش العامل يتألف من ١٢٫٧١٣ ضابطا و١٧٨٫١٠١ من الجنود،ولكنها تستطيع ان تزيدهذا الجيش اذا اضطرت الى الحرب الى ما يقرب من اربعة ملايين من الجنود . وكان عدد طائراتها ألفى طائرة ، وكانت تصنع حينذاك ستمائة طائرة أخرى . وتملك امريكا ، وفق ادق الاحصاءات ، ٢٣ بارجة و٧ من حاملات الطائرات و ٤٣ طرادا و٢٦٧ مدمرة و١١٤ غواصة . وقد خصصت فى ميزانية العام الماضى ١١٠ مليونا من الجنيهات لزيادة قوتها الحربية فى البحار . والخدمةالعسكرية هناك اختيارية

ميلاد السيد المسيح

فى الدين المسيحى والدين الاسلامى

بقلم القس ابراهيم سعيد ، والاستاذ عبد العزيز البشرى

يفتتح اليوم العالم المسيحى فى أقطار الارض عاما ميلاديا جديدا ، وتستقبل الأمم مرحلة أخرى من مراحل الحياة وكلها أمل فى المستقبل . فالهلال تبعث الى جميع الطوائف المسيحية وافراد العائلة البشرية أجمل تهانيها بالعام الجديد ، راجية أن يكون هذا العام عام خير وسلام . وتقدم بهذه المناسبة الجليلة هذين المقالين اللذين كتبهما فاضلان كبيران من رجال الدينين المسيحى والاسلامى عن ميلاد السيد المسيح

فى الدين المسيحى

للقس ابراهيم سعيد

« وفى تلك الايام صدر أمر من أوغسطس قيصر بأن يكتتب جميع المسكونة فانطلق الجميع ليكتتبوا كل واحد الى مدينته . وصعد يوسف أيضا من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الى مدينة داود التى تدعى بيت لحم لانه كان من بيت داود ومن عشيرته ، ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهى حبلى . وبينما كانا هناك تمت أيام ولادتها ، فولدت ابنها البكر وأضجعته فى مذود . لانه لم يكن لهما موضع فى المنزل »

بهذه الكلمات الجليلة ببساطتها ، البسيطة بجلالها ، سجل الوحى فى الاناجيل معجزة الدهور

هذه الحادثة التاريخية تستوحى صدقها من حقيقتها ، وتستمد رهبتها من بساطتها ، لأن الذهب الصافى لا يحتاج الى طلاء ، وسهام أنوار الشمس الساطعة ، فى غنى عن أن تجملها الالوان الصناعية اللامعة

فى صمت الدهور أرسل الله « كلمته » ، وفى قلب الليل البهيم أرسل القدير « نوره » ، فأضاء فى أرجاء الكون ، وأضحى « نور العالم » . وعندما أمسى قلب الانسانية خالياً خاوياً ، أرسل رب الحياة الى بيت لحم « خبز الحياة »

عند ما فشلت حكمة اليونان ، وفشا الفساد فى معابد الرومان، وغمر اليأس قلوب «أبناء الموعد» فى هيكل سليمان ، كانت بذرة الرجاء قد نبتت فى قلوب المتقين من يونان ورومان ويهود ، واذا « كوكب الصبح » قد لاح ، و « شمس البر » قد أشرقت ، يوم ولد « ابن الانسان »

قضى الله منذ القديم ، بان يولد المسيح من بيت لحم ، لا من الناصرة ، حيث كانت تسكن أم المسيح قبل ولادته . ومتى قضى الله أمراً قال له كن فيكون . ومتى وعد أنجز ما وعد ، وسخر فى سبيل إنجازه كل القوات من سياسية ودينية

كان أوغسطس قيصر امبراطور روما وقتئذ ـ واسمه الأصلى، أكتافيوس قيصر لكنه نال لقب « أوغسطس » من مجلس أعيان روما . أصدر ذلك الامبراطور أمراً عالياً « بان يكتتب جميع المسكونة » أى جميع سكان تلك البلاد التى بسط ذلك « النسر » جناحيه عليها . وكان هذا الامر قد صدر اشباعاً لشهوة عظمته ، وافتخاراً بامتداد نفوذه وبسط سطوته ، وتمهيداً لجمع المكوس التى يجبيها من رعاياه وهم راضون صاغرون !

لو تم ذلك الاكتتاب على النظام الرومانى ، لما تحتم على مريم العذراء أم المسيح أن تترك الناصرة . لأن نظام الاكتتاب عند الرومان كان يجيز لكل واحد أن يكتتب فى أى مكان يوجد فيه ساعة الاكتتاب. ولكن الرومان، ممالأة منهم لليهود ـ وهم يقصدون ، وتنفيذاً لقضاء الله المحتوم ـ وهم لا يعلمون ، أمروا بان يجرى هذا الاكتتاب على النظام اليهودي ، الذى يحتم على كل انسان أن يكتتب فى البلد الذى ولد فيه

إذاً لم تكن سلطة الرومان وحدها كافية لتنفيذ قضاء الله لولا تذرعها بالنظام اليهودى ، وكذلك كان النظام اليهودى وحده عاجزاً عن إتمام ما سبق الله فقضى به ، لو لم تدعمه سلطة الرومان . فكان من الضرورى إذاً أن تتفق هاتان القوتان المتناهضتان ـ سلطة الرومان السياسية وسطوة النظام اليهودى الدينى على تنفيذ قضاء الله ، بوجوب ولادة المسيح فى « بيت لحم » لا فى « الناصرة » حيث كان يسكن يوسف وخطيبته العذراء المقدسة

كانت « بيت لحم » مسقط رأس داود رأس عائلتهما ، فكان عليهما أن يسيرا مسافة تقرب من سبعين ميلا ، من الجليل الى بيت لحم ، وكانت نهاية السفر شاقة مملة ، لأن « بيت

لم » ترتفع نحو الفى قدم عن سطح البحر، واذ بلغاها بعدجهد جهيد ، وجدا الفنادق التى فيها مزدحمة بالنازلين الذين جاءوا مثلهما للاكتتاب . فاختارا نزلا وضيعاً ، وفى ذلك النزل الوضيع أجبرا على أن يحلا محلا وضيعاً ، لأنه لم يكن لهما موضع فيه . وفى سكون الليل الرهيب ، والناس نيام غافلون ، وضعت مريم ابنها البكر ، وهى فى وحدتها ، بعيدة عن كل عين تعطف، وعن كل قلب يواسى ويتلطف ، فلفته وقمطته بيديها ، وأضجعته فى مذود !

ضيف وديع ما ألطفه !

فى ساعة مجيئه الى أرضنا كانت « أورشليم » عاصمة اليهودية غارقة فى أحلامها ولم يشأ هو أن يزعجها فيقطع عليها لذيذ أحلامها . وكانت « أثينا » عاصمة اليونان ناعمة بأحلام فلاسفتها ، ولم يرغب هو فى إيقاظها من رقدتها . وكانت « روما » كعبة الرومان سكرى بنشوة قوتها ، فأعرض هو عنها ، ودخل أرضنا من باب احدى القرى . كانت أبواب المدائن والقصور موصدة دونه ، ولم يرغب هو فى تمكير صفاء أهلها فتحول عن القصور وعبر . وكانت منازل الأوساط مزدحمة بساكنيها ، ولم يود هو أن يزاحمهم أو يزحمهم ـ وهو بطبعه محب للسلام ـ فجاء أرضنا من ذلك الباب المفتوح على الدوام ـ باب الفقر . فولد فقيراً ، وعاش فقيراً ، ومات فى زمرة الفقراء .

ولد فقيراً ليقدس الفقر . ولد طفلا فقدس الطفولة . ولد من امرأة ، فقدس بميلاده الأمومة .

على مر التاريخ أضحى يوم ميلاده ، « يوم البدء » و « يوم الختام » فى التاريخ . كأن الاجيال التى مرت قبله أضحت أمام يومه نسياً منسياً ، وكأن الاجيال التى أتت بعده استمدت ميلادها من يوم ميلاده . ومع ذلك لا يستطيع انسان ما أن يعين يوم ميلاده العجيب . كأن العناية الالهية أخفته عن الناس لئلا يحتكر عظمته يوم واحد ، فجعلته وقفاً على جميع الايام . فكما تطلع الشمس وتشق كبد اليوم الى ليل ونهار ، طلعت شمس ذلك اليوم فشقت قلب التاريخ الى عصرين متميزين ـ يقال لأولهما « قبل الميلاد » ، ولثانيهما « بعد الميلاد »

مثل الندى هبط أرضنا فى سكون الليل ، فجاء الينا مع نسيم السحر . مثل الندى عاش

على أرضنا هادئا هادياً فلم ينتقم من أحد ولم يثأر . مثل الندى فارق أرضنا بعد ان أتم رسالته فلم يره الا جماعة قليلة من بنى البشر

هذا هو المسيح الذى قدمته السماء الى الأرض ، فسمعت الارض يوم ميلاده أغرب خبر . لأن أمه العذراء وضعته من غير أن يمسها بشر ، فدخل أرضنا من باب لم يسبقه اليه سابق ، ولم يقتف أثره أي مولود آخر . فلا عجب اذا تحيرت فيه العقول والفكر . والعقل متى تحير بحث ، ومتى بحث تدبر ، ومتى تدبر سلم بأن المسيح فوق مستوى البشر

بميلاد المسيح ولد البشر فى قلوب البشر . فملائكة السماء ترنمت بميلاده المجيد ، وخبرت به الرعاة الساهرين ، فردد الرعاة صدى ترنيمة الجند السماوى ، فالتقت أصداء السماء بأصوات الأرض منغمة ذلك النشيد المجيد : « المجد لله فى العلا وعلى الارض السلام للناس الذين بهم المسرة » . ولا عجب فان اسمه « يسوع » ـ ومعناه « مخلص » كما أوصى بذلك الملاك وأنبأ : « وستلد ابناً فتسميه (يسوع) لأنه هو الذى يخلص شعبه من خطاياهم »

هذا هو المسيح الذى جمع فى ذاته شتات البدائع ، وألف حوله أعجب المتناقضات . فبينا تراه طفلا مضجعاً فى مذود ، تلحظ عظماء الملوك وأحكمهم جاثين عند قدميه . وبينا تراه وليداً يهودياً ، تجد أقطاب الأممين ينحنون إجلالا أمام عظمته . لم تقبض يداه على مال فى حياته ، ولا جمع حوله جيشاً ، ولا بنى لنفسه بيتاً ، ولا ألف كتاباً ، ولا نظم قصيدة . لكنك ترى اليوم أغنى الكنوز وأفخر الجواهر تنثر بين يديه ، وكل سلاح فى الوغى يطرح عند موطىء قدميه ، وأفخم روائع البناء مشيدة لسكناه ، وسفر حياته مترجم الى ألف لسان ، وعيون الشعر مكرسة لتمجيده والاشادة بسنى سناه

هذا هو المسيح الذى جهله أعداؤه مثلما يجهله الكثيرون من أتباعه ومريديه . فهو برىء ممن يحرقون له البخور بيد ، وباليد الأخرى يضطهدون اليهود الذين من بينهم قد ولد ، ومنهم قد جاء ، وهو برىء من الأقوياء الذين يترنمون بنشيد سلام ميلاده ، وأيديهم ملطخة بدماء ضحاياهم . فلو ولد المسيح اليوم ، لوجدناه فى إحدى زوايا بولونيا الجريحة ، أو فى قلب فنلندا الدامية !

القس ابراهيم سعيد

فى الدين الاسلامى

للأستاذ عبد العزيز البشرى

لقد عرض القرآن الكريم لمولد بعض الأنبياء صلوات الله عليهم ، كما عرض لشيء من شأنهم ، اذا اتصلت بها معجزة ، أو حادث له قدر وخطر . وكذلك كان الشأن فى قصة إسماعيل ، و إسحاق ، و يوسف ، وموسى ، وعيسى ، و يحيى

على أن مولد السيد المسيح ، صلوات الله عليه ، كان له من الشأن ما لم يكن لمولد نبى ولا غير نبى ، فلقد كان ميلاده معجزة من أضخم المعجزات الالهية

كذلك لم يحتفل القرآن لذكر امرأة و إسباغ الثناء عليها ، كما ذكر وأسبغ الثناء على أمه مريم ابنة عمران عليهما السلام

وليس عجيباً أن يكون هذا من الكتاب العزيز فى سيدة اختصها الله تعالى بما لا يقع لأنثى فى جميع هذا العالم من بدء الزمان إلى غاية الزمان . وكذلك أجلَّ مولدها ، وأكرم نشأتها ، وطهرها تطهيراً . ولا شك أن من حكم الله تعالى فى ذلك كفَّ مقالة السوء عنها ، وتنزيه وليدها الكريم عن أن يكون قد لحق مولده وضر من الأوضار ، أو رجس من الأرجاس . وحاشا للنبى العظيم !

ويجمل بنا قبل أن نتحدث عن « ميلاد المسيح فى الدين الاسلامى » أن نقول فى مريم العذراء ، بيتها وحسبها ، ومولدها ، ونشأتها ، وولادتها للمسيح ، فى الدين الاسلامى كذلك :

مريم العذراء فى القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

« إن الله اصطفى آدمَ ونوحاً وآلَ إبراهيم وآلَ عمران على العالمين ، ذريةً بعضُها من بعض ، والله سميع عليم . إذ قالت امرأةُ عمران رب إنى نذرت لك ما فى بطنى محرراً (١) فتقبل منى إنك أنت السميع العليم . فلما وضعتها قالت ربِّ إنى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت ، وليس الذكرُ كالأنثى ، وإنى سميتها مريم ، و إنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان

(١) معتقاً لخدمة بيت المقدس ، أو مخلصاً متجرداً للعبادة

الرجيم . فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً ، وكفلها زكريا ، كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا (١) ، قال يا مريم أنى لك هذا ، قالت هو من عند الله ، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب »

« وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين . يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين

« ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك ، وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم (٢) أيهم يكفل مريم ، وما كنت لديهم إذ يختصمون

« إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة (٣) منه اسمه المسيح عيسى بن مريم ، وجيهاً (٤) فى الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين

« قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ، قال كذلك الله يخلق ما يشاء ، إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون . ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل »

هذا ما جاء فى الكتاب العظيم عن السيدة العذراء فى سورة آل عمران

وفى سورة الأنبياء : « والتى أحصنت (٥) فرجها فنفخنا فيها من روحنا (٦) وجعلناها وابنها آية للعالمين »

وفى سورة التحريم : « ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا ، وصدقت بكلمات ربها وكتبه ، وكانت من القانتين »

وفى سورة المؤمنون : « وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين »

فى الحديث الشريف

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « حسبك من نساء العالمين مريم ابنة عمران ، وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة ابنة محمد ، وآسية امرأة فرعون »

(١) كان يجد عندها رزقاً لم يأتها هو به ، ولا كان له وجود عند الناس فى ذلك الوقت
(٢) أقلامهم : قداحهم التى طرحوها فى النهر ، مقترعين متنافسين فى كفالتها
(٣) عيسى كلمة الله ، لأنه انتفع به وبكلامه ، أو لأنه كان بكلمة كن من غير أب
(٤) وجاهة عيسى فى الدنيا بالنبوة والتقدم على الناس ، وفى الآخرة بالشفاعة وعلو الدرجة فى الجنة
(٥) أحصنته منعته أن يمس فى حلال أو حرام
(٦) فنفخنا فيها : نفخنا الروح فى عيسى فيها

وعن أبي سعيد الخدرى (ر) أن النبى (ص) قال : « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، وفاطمة سيدة نسائهم ، إلا ما كان لمريم بنت عمران »

وبعد ، فهذا بعض ماورد فى كتاب الله تعالى وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم فى فضل مريم . فقد رأيت كيف رفع الله بيتها على البيوت ، وكيف أعلى آلها على العالمين . ثم كيف أكرمها من يوم مولدها بالقبول الحسن ، وأنبتها النبات الحسن . ثم كيف آثرها بفضله من الرزق بما لا علم بمورده عليها لأحد ، وبما لا تطوله يد أحد . ثم كيف أهوى إليها النفوس ، وأهفى لها القلوب ، حتى جعل الأهل يتنافسون فى كفالتها ، فلما لم تطب نفس أحدهم بالنزول عن هذا لأخيه ، راحوا يقترعون بينهم على هذا الحظ العظيم !

ثم انظر كيف زكّاها ربُّها وطهَّرها واصطفاها على نساء العالمين . ولا يذهب عنك ما فى اصطفائها مرتين فى آية واحدة من الفضل الكبير !

ثم انظر كيف أجلّ محلها ، ولما تزل فتاة حدثة ، بأمرها بالقنوت له والصلاة مع المصلين !

ثم انظر كيف أعفّها وأحصنها ، واستجاب لأمنيتها فى إيتائها الولدَ دون أن يكون منها ما يكون من إناث الخليقة جمعاء ! بل يزيد ، بفضله على هذا ، أن يبشرها ، على ألسنة ملائكته ، بأن هذا الولد سيكون « وجيهاً فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ، ويكلم الناس فى المهد وكهلاً ومن الصالحين »

وأخيراً ، فلقد شرفها ربُّها بما لم يشرف به أخرى من نساء العالمين بنسبة ابنها النبى العظيم إليها فى أكثر خطابه — جلّ مجدُه — له ، وحديثه — تعالى ذكره — عنه

وهنا يحضرنى — من غير تشبيه ولا تمثيل — قول المتنبى فى رثاء جدته لأمه :

فان لم تكونى بنت أكرم والد ... فانّ أباكِ الضخمَ كونُكِ لى أمّا

وأين بيتها ، مهما علا — إن كان عالياً — من بيت عمران ؟ وأين الاعتزاز بشاعر مفتون ، من الاعتزاز بنبى كريم ؟

أما مقام العذراء فى الدار الآخرة ، ودرجتها فى أعلى الجنات ، فحسبك من هذا ما مر بك فى الحديث الشريف

والآن نتحدث فى ميلاد السيد المسيح فى الدين الحنيف :

ميلاد المسيح

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى فى كتابه العزيز : « واذكر في الكتاب مريمَ إذ انتبذت (١) من أهلها مكاناً شرقيّاً . فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا (٢) فتمثل لها بشراً سويّاً . (٣) قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنتَ تقيّاً . قال إنما أنا رسولُ ربِّك لأهبَ لكِ غلاماً زكيّاً (٤) قالت أنّى يكونُ لي غلامٌ ولم يمسَسني بشرٌ ولم أكُ بغيّاً . (٥) قال كذلكِ قال ربكِ هو عليّ هين ، ولنجعله آيةً للناس ورحمةً منا وكان أمراً مقضيّاً . فحملته فانتبذت به مكاناً قصيّاً . فأجاءها (٦) المخاضُ (٧) إلى جذعِ النخلة قالت يا ليتني متُّ قبلَ هذا وكنتُ نسياً منسيّاً . (٨) فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربُّك تحتك سريّاً . (٩) وهزّي إليك بجذعِ النخلة تُساقط عليك رُطباً جنيّاً . فكلي واشربي وقرّي عيناً . فإما ترينَّ من البَشر أحداً ، فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أُكلّمَ اليومَ إنسيّاً . فأتت به قومها تحمله ، قالوا يا مريمُ لقد جئتِ شيئاً فريّاً . (١٠) يا أختَ هرونَ ما كان أبوك امرأ سوءٍ وما كانت أمك بغيّاً . فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيّاً . قال إني عبدُ الله آتاني الكتابَ وجعلني نبيّاً . وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيّاً . وبرّاً بوالدتي ولم يجعلني جبّاراً شقيّاً . والسلام عليَّ يوم وُلدتُ ويوم أموتُ ويوم أُبعث حيّاً » (سورة مريم)

هذا ، ومما جاء فى الحديث الشريف عن ميلاد عيسى عليه السلام وما اليه ، ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : إن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مولود يولد إلا والشيطانُ يمسُّه حين يولد ، فيستهل صارخاً من مس الشيطان إياه . إلا مريم وابنها » . ثم يقول أبو هريرة : « واقرأوا إن شئتم (وإنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) »

وعنه رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لم يتكلم فى المهد إلا ثلاثة ، عيسى وجريج ، وكان رجلا عابداً فى بنى إسرائيل ، وطفل رضيع أيضاً من بنى إسرائيل »

---

(١) انتبذت : اعتزلت للعبادة (٢) الروح : جبريل عليه السلام (٣) سويا : مستوى الخلقة لا عيب فيه (٤) زكيا : تقيا صالحا (٥) بغيا : البغى الفاجرة التى تطلب الرجال (٦) أجاءها : ألجأها (٧) المخاض : وجع الولادة ، وهو الطلق (٨) نسيا : النسى ما من حقه أن يطرح وينسى لقلة غنائه (٩) السرى : السيد الشريف السخى (١٠) الفرى : البدع الذى يتحير منه ويتعجب

آية الميلاد

وبعد ، فمما لا ريب فيه أولا أن كل ما شرف الله به بيت مريم . وزكى من حسبها ، وطهر من نفسها ، وآثرها به من فضل وكرامة ، انما هو تشريف أى تشريف ، وتكريم أى تكريم ، وتعظيم أى تعظيم ، لابنها الذى اليها ينسب ، وبها يعرف . (عيسى ابن مريم . والمسيح بن مريم) صلى الله عليه وسلم

ثم إن مولدَه نفسَه لقد كان آية من آيات الله الكبرى ، فلقد جاء لغير أب ، وهذا ما لم يكنْ ولا يكونُ لغيره فى سائر العالمين !

ثم لقد أنطقه الله تعالى فى المهد . وهذه المعجزة الالهية لم يشركه فيها أحد فى جميع الخلق إلا اثنان من بنى إسرائيل !

هذا إلى سبق ملائكة الله تعالى بالتبشير بمولده ، وانه سيكون كلمة الله وروحاً منه . وجيهاً فى الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين

أما فضل المسيح فى الأنبياء ، فلا محل للتبسط فيه هنا لأن الحديث انما هو مسوق لميلاده عليه السلام

على أننى لا أحب أن أختم هذا الحديث دون ان ألمع الى معنى اذا لم يكن موصولا بميلاد السيد المسيح ، فانه منه غير بعيد

ذلك بان ما أحاط بمولد أمه ثم بمولده ، عليهما السلام ، من شديد الحنو وعظيم الرحمة ، ثم ما أجرى الله على لسانه صبياً فى المهد : « إنى عبد الله آتانىَ الكتابَ وجعلنى نبياً وجعلنى مباركاً أينما كنت ، وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حياً ، وبراً بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقياً . والسلام علىّ يوم وُلدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً » . لقد كان هذا وهذا أذاناً للعالم بعهد جديد . عهد الدعوة بالرفق ، والعطف والسلام ، إلى الرفق والعطف والسلام ، وكذلك كانت رسالة السيد المسيح عليه الصلاة والسلام

وحسبه أنه أولُ رسول كريم خلت جميع المعجزات التى أيد الله بها دعوته من أىّ عُنف أو شدة ، فلا إغراق ، ولا إجاعة ، ولا دمدمة ، ولا شىء من هذه الموبقات التى كان يمتحن الله بها من يحادون الرسل قبله ، ليَجزيَهم على كفرهم وعنتهم ، ويضرب بهم الأمثال ،

لخوالف الأجيال . بل لقد كانت معجزاته كمولده ، ونشأته ، ودعوته ، كلها عطف وبرّ ورحمة . وناهيك بمن يبرىء الأكمه والأبرص باذن الله ، ويحيي الموتى باذن الله ! ثم ناهيك بمن ينزل الله عليه وصحبه مائدة من السماء تكون عيداً لأولهم وآخرهم . « قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأوّلنا وآخرنا ، وآية منك ، وارزقنا ، وأنت خير الرازقين » سورة المائدة

وكذلك جعل الله السيد المسيح مباركا أينما كان ، وحف نفسه ودعوته بالسلام ، كما سيحف بعثه بالسلام . « والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً » صدق الله العظيم)

* * *

هذا هو ميلاد المسيح فى الدين الاسلامى أوردته على قدر ما أفهم ، والله تعالى أعلى وأعلم

عبد العزيز البشرى

أشرف العبادة

ذلكم إلهى جلّ عن التناهى
أوحى الناسَ الخيرَ قبلَ اجتنابِ الضّير

علمَ أن العدلا لديهِ يكمُلُ فضلا
فأنا أرجو نعمتــه فوق اتقائى نقمتَه

مُقرّراً فى سرى مُكرّراً فى جهرى
أن الهدى فى كُنهِهِ هُوَ ابتغاء وجههِ

فما أطع من أمرى أو أستطع من أمرى
أوفِ به ما فرضا قصداً إلى محض الرضا

خليل مطران

الحياة البرلمانية والحرب

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

الحرب الحاضرة ستعزز الحياة البرلمانية وتهذبها . وربما اسفرت عن برلمانات دولية

تجرى الحياة البرلمانية فى اثناء الحروب على طريقتين : الطريقة التى نسميها بالفرنسية لانها متبعة على الاكثر فى فرنسا ، وهى تميل الى الاقلال من جلسات البرلمان واطالة الفترات بينها ، وتفويض الوزارة فى مباشرة الادارة والتشريع وما يشبه الاحكام العرفية فى وقت واحد . وحجة الآخذين بهذه الطريقة ان الوزارة احوج ما تكون الى الوقت وسرعة انجاز الاعمال فى ابان الحروب ، وان جلسات البرلمان وما يتخللها من المناقشات والمناوشات تستغرق من الوزراء ساعات طوالا هم أولى بالتفرغ فيها لمشاكل الحرب ومفاجآتها . وقد يكون كثير من النواب فى الميدان فلا يملكون حضور البرلمان

الطريقة الاخرى هى الطريقة الانجليزية،وهى على نقيض الطريقة الفرنسية تميل الى المعاونة الدائمة بين البرلمان والوزارة . فاذا اتفق وقوع الحرب أو تحرج العلاقات الدولية فى خلال عطلة برلمانية ألغيت هذه العطلة ودعى المجلسان الى اجتماع سريع وثابر على الاجتماع فى كل اسبوع ، ووجب على الوزراء ان يتقدموا ببيان فى الاسبوع على الاقل بيان شامل لسياسة الحكومة وبيان شامل لاطوار القتال ، وربما جنح النواب الى الاكثار من الاسئلة والاقلال من المناقشات فى هذه الاوقات ، ولا يكتفون بذلك بل ينتظرون من الوزارة ان تظل على صلة دائمة برؤساء الاحزاب ورجالات البلاد لتجتمع الآراء على كلمة واحدة وعزيمة واحدة جهد المستطاع

وحجة الآخذين بهذه الطريقة ان التبعات فى ابان الحروب جسام ، وان رجال الدولة أحوج ما يكونون الى الطمأنينة الكاملة والوثوق المأمون العواقب بأنهم يتبعون خطة الصواب ويرتكنون الى رضا الامة ورضا النواب . فاذا صدروا عن رأى واحد فهم اقوياء بالطمأنينة أقوياء بصدق العزيمة ، وهم آمنون من عواقب الندم أو من اتهامهم بالتعجل والاستبداد بمقادير البلاد

وحدث فى أوائل الحرب الحاضرة ان الانجليز اقتربوا من الطريقة الفرنسية بعض الاقتراب . فخولوا الوزارة سلطات برلمانية كبيرة مع المثابرة على جمع البرلمان ، وأرادوا

بذلك ان ينفوا كثيرا من المحظورات التى كابدوها بين سنتى ١٩١٤ و١٩١٨ حين بقيت الوزارة فى حدودها الدستورية المألوفة ايام السلم وبقى البرلمان على ضناته الشديدة بالحريات والحقوق • وقد أدركوا متاعب هذه الخطة فاستدركوها اليوم ولم يندموا على استدراكها • بل اتفق بعد ابتداء القتال انهم وجدوا فى الوقت متسعا لاعادة النظر فيما منحوه وما توسعوا فيه من التفويضات فعدلوا ونقحوا واعطوا الوزارة وأخذوا منها بمقدار

ولا شك ان الاختلاف بين الطريقتين اختلاف مزاج واختلاف نظام

فالانجليز كما نعلم قوم قليلو الكلام قليلو التطرف لا يجمحون بالخصومة الحزبية الى أقصى مداها ولا يزال من دأبهم أن يتريثوا فى الهجوم ويجتنبوا المغالاة

اما الفرق بين حياتهم البرلمانية وحياة الفرنسيين البرلمانية من حيث النظام فهو راجع الى قلة الاحزاب الانجليزية وكثرة الاحزاب الفرنسية ، فلا يسهل التفاهم بين احزاب مختلفة كما يسهل التفاهم بين حزبين ، ولا سيما اذا لاحظنا ان المعارضة فى انجلترا ليست حرمانا محضا يثير الحفائظ ويوغر الصدور ، لانها تعتبر عندهم جزءا من الحكومة وتسمى المعارضة الملكية كأنها هى وحكومة جلالة الملك تشتركان فى وظائف الخدمة العامة على السواء ، ولرئيس المعارضة فى العهد الاخير مرتب يبلغ ألفى جنيه فى العام

لهذا تجرى الحياة البرلمانية فى انجلترا على المثابرة ودوام الاتصال بين الهيئتين التشريعية والتنفيذية ، وتجرى على خلاف ذلك بين الفرنسيين

***

على ان الطريقتين تتلاقيان فى شىء واحد وان تفرقتا فى تعدد الجلسات وسهولة التفويض والتوكيل

تتلاقيان فى اجتناب المعارك الانتخابية كل الاجتناب أيام القتال

فالبرلمان الفرنسى قد مد أجله سنتين بعد موعده المقرر فى الدستور حذرا من قيام المعركة الانتخابية اثناء قيام المعارك الحربية بين الوطن واعدائه

والبرلمان الانجليزى قد فعل مثل ذلك فى الحرب الماضية فلم تجر انتخابات عامة فى اثنائها وبقى مجلس النواب الى ما بعد الهدنة وعقد معاهدات السلام، وهذا مع الفارق العظيم بين مدة المعركة الانتخابية فى الاثنين • فهى فى انجلترا قصيرة محدودة السكك والمعالم ، وهى فى فرنسا طويلة لا تخلو من مباغتات

أما فى الحرب الحاضرة فقد اعلنت الاحزاب الانجليزية جميعا بعد نشوب الحرب بنحو الاسبوع انها لن تخوض معركة انتخابية فى اثنائها ، وان الدوائر التى تخلو بتوظيف نوابها أو وفاتهم تترك للحزب الذى كان يمثلها بغير منازع • وقد يجتنبون الانتخابات العامة كما اجتنبوا الانتخابات الفرعية اذا طالت أيام القتال

***

هذا عن طريقة اجراء الحياة البرلمانية فى ابان الحرب

أما عن أثر الحرب الحاضرة فى الحياة البرلمانية فاعتقادنا انها ستعززها وتهذبها فى وقت واحد

تعززها لانها تبطل دعوى المدعين عليها انها تعوق الحركة وتحول دون الحسم السريع في الاوقات العصيبة ، وتلك هى الدعوى الكبرى التى يستند اليها خصوم الحياة البرلمانية اذ يزعمون انها اذا صلحت لايام اليسر والهوادة فلن تصلح لايام العسر والحاجة الى الانجاز السريع

وتعززها لانها نجحت فى حروب كثيرة حيث فشلت الدكتاتوريات ، خلافا للمظنون الشائع من ان الدكتاتوريات خلقت للغلبة والنجاح فى القتال ، وان النظم النيابية خلقت للكلام والتعطيل

وتعززها لان الحرب الحاضرة سوف تثبت مرة أخرى ان الهزيمة فيها هزيمة شعب لا هزيمة جيش ، وان المعول فى ترجيح كفتها على مقدار ما يصيب الشعب نفسه من ضيق الموارد وكساد المرافق واستنفاد الثروة التجارية والصناعية فلا تستطيع الشعوب بعد اليوم ان تدع زمام الحرب والسياسة فى يد فرد من الافراد كما كانت تدع ذلك يوم كانت الجيوش هى التى تصيب أو تصاب فى الميدان بمعزل عن الوادعين من السكان

ومعنى هذا اتساع السيطرة الشعبية وضيق السيطرة الفردية والحكومة الدكتاتورية ، أو معنى ذلك ان أثر الحرب فى الحياة البرلمانية انما هو أثر تعزيز وتمكين

وستهذب الحرب الحياة البرلمانية فضلا عن تعزيزها وتمكينها ، لانها تعود السرعة العسكرية والقصد فى مناقشات الفصول ولجاج الخصومة فتمحو كثيرا من الحواشى والذيول وتقرر كثيرا من قواعد التعاون الناجز بين الوزارات والمجالس النيابية

وربما أسفرت الحرب عن برلمانات دولية تشترك فى بداية الامر ببعض الاشتراك فى مسائل المعاملات الشائعة بين الامم ، وتنقح نظام عصبة الامم تنقيحا يدنيها من الامل الذى أريد منها فى تجربتها الاولى

وأى عائق يحول دون ذلك وقد رأينا بريطانيا العظمى وفرنسا تدبران شئون المال والقتال والسياسة كأنهما حكومة واحدة ودولة واحدة ؟! فهى تجربة لن تمضى عبثا فى تاريخ بنى الانسان، ولن تفلت من ايدى المصلحين ولا من ايدى الشعوب بدءا، وهم مدفوعون اليها بحاجات المعيشة كل يوم ، وواثقون من اضرار العزلة التى قد أصبحت عزلة موهومة لا وجود لها فى عالم الواقع ، وليست الا بقية من بقايا زمان يولى ولا نحسبه يعود

عباس محمود العقاد

أعياد الميلاد في الحرب العظمى

في باريس

بقلم الدكتور أحمد ضيف
وكيل دار العلوم

باريس هي باريس في السلم والحرب ، لم تغير منها الحرب العظمى شيئاً ، فكانت أعياد الميلاد فيها كما كانت في السلم أيام تفاؤل وابتهاج ، وتجديد للعزائم

حينما أعلنت التعبئة العامة بفرنسا سنة ١٩١٤ ، قابل الفرنسيون هذا النبأ بهدوء تام بل بارتياح واطمئنان ، لانهم كانوا يريدون أن يثأروا لحرب سنة ١٨٧٠ التى سلخ الالمان فيها منهم الالزاس واللورين ، وأذاقوهم أشد الاهوال فى حصار باريس حتى أطعموهم القطط والجرذان

خرج الشبان من بيوتهم ومدارسهم ومعاملهم ، ومن أسواق التجارة والحقول ، وترك الرجال نساءهم وأولادهم ، وأمتعتهم فوق ظهورهم ، مدججين بأسلحتهم ، سائرين فى طرق باريس كتائب كتائب ينشدون المرسليز فى حماسة وشجاعة ، ينظرون الى أهليهم وأولادهم الصغار ونسائهم اللائى يتبعنهم وأذاهن من عبرات الحب والشفقة والخوف والامل ، حاملات أطفالهن على صدورهن ، مشيرات اليهم اشارة وداع مؤلمة صائحات : « تعيش فرنسا الخالدة • فى سبيل فرنسا الحرة • فى سبيل الحرية والانتقام من الاعداء » • أما هؤلاء الشبان الذين كان يحوطهم القدر بذراعيه ، فكانوا يقطعون بأناشيدهم تلك الصيحات من حين الى حين مشيرين بأيديهم وأكفهم الى أفلاذ أكبادهم وآبائهم الشيوخ وأمهاتهم العجائز وحبيباتهم وعشيقاتهم صائحين : الى برلين • الى برلين

ولما أمن الفرنسيون سقوط باريس بعد انتصارهم فى واقعة المارن ، اطمأنوا كل الاطمئنان ، وأيقنوا ان النصر لهم • وعندما وقف الالمان أمام صخرة فردان • وكان وراء هذه الصخرة صخرة أخرى من الانسانية المتحفزة والاسود الضارية يدفعهم الى الثبات والدفاع عن حوزتهم حامى حماهم طارق بن زياد الفرنسى (المارشال بتان) وكانت الكلمة التى لا تفارق ألسنة هؤلاء الابطال : « لن يمروا • لن يمروا » • وقد كان ذلك • فلم يتمكن الالمان من اختراق حصن فردان ، لان جثث القتلى من هؤلاء وهؤلاء وثبات الفرنسيين وسيطرة (بتان) أوهت عزيمة الجيش الالمانى

أما باريس فلم يتغير شيء فيها : كانت الملاهي مفتوحة الابواب في المدينة كما اذا لم تكن هناك حرب قائمة ، فدور التمثيل ودور السينما والحانات والقهوات كانت تسير سيرا طبيعيا وروادها كانوا من النساء والشيوخ والغرباء

وكان الناس يتلقون أخبار الحرب بهدوء وسكينة كما يتلقون أى خبر من الاخبار ، ولم يكن الباريسي يشعر بأى شيء جديد فى العاصمة سوى تجوال الجند فى الطرق والميادين • وكانت الحالة الاقتصادية كما كانت قبل الحرب الى أوائل سنة ١٩١٨

وكلما دنا آخر العام وجاء شهر ديسمبر كنت أمر فى الطريق العظيم أمام بيوت التجارة الكبيرة والصغيرة ، فأرى معارضها غاصة بلعب الاطفال من كل نوع • رأيت (الاب نويل) مغمورا فى وديان وجبال ثلجية ، ومغطى بذرات الصقيع ، لابسا حلته الحمراء وكمه البيضاء أو طرطوره الابيض ، مرسلا لحيته الناصعة الى منتصف قوامه ، والناس وقوف ينظرون اليه رجالا ونساء وأطفالا ، والمدينة كلها فى عيد من أعيادها السنوية

ورأيت أمام أحد بيوت التجارة فى شارع ريفولى المار أمام قصر اللوفر صبيا بجوار أمه ينظر الى معرض اللعب • وكان يمثل ميدانا من ميادين القتال فى وسط فصيلة من فصائل الجيش الالمانى ، أمام كتيبة من كتائب الجيش الفرنسى والكتيبتان تتقاذفان قذائف من نار ، ويدفع بعضهم بعضا ، ويتقاتلون بالسلاح الابيض كما يقولون ، وكانت الكتيبة الالمانية تتقهقرت أمام الفرنسيين ، وأخذ جندى فرنسى يطعن ضابطا ألمانيا فوقع الالمانى مضرجا بدمائه • فلما رأى الطفل هذه المعركة ، صفق بيديه وصاح : « يعيش الجيش » ونظر الى أمه وقال لها : « أليس أبى فى هذه الكتيبة ؟ » فأجابته بأنه بينهم • فقال: «وهل قتل أحدا من الالمان ؟ » فأجابته : « نعم » ثم نظر نظرة أخرى فى المعركة ، ورجع النظر الى أمه وقال : « ومتى يرجع أبى يا أماه ؟ »

***

وفى ليلة من ليالى شهر ديسمبر احدى ليالى الحرب الدهماء وهى ليلة عيد الميلاد ، قالت لى سيدة كنت أسكن منزلها : « ألك فى أن تساهم فى عمل خيرى ، وتشترك معنا فى حضور حفلة موسيقية راقصة لمساعدة الجرحى ، ومعاونة أسر القتلى ؟ »

قلت : « أجل • وبماذا ؟ »

قالت : « بشراء تذكرة أو تذكرتين للحفل الذى يقيمه وزير الحربية لمساعدة الجرحى» وناولتنى تذكرتين فقبلتهما

وفى تلك الليلة ذهبت معها الى نزل الكونتننتال المعروف هناك ، مرتديا ملابس السهرة ، وكانت هى برغم شيخوختها عملت ما عملت من التطرية والزينة • ودخلنا المكان فقابلتنا فتيات ، كل فتاة مهفهفة تتيه بجمالها أو تتثنى فى مشيتها • يتدلى من رقبتها شريط سندسى يحمل سلة مملوءة بالزهور ، تقدم منها للقادمين زهرة أو زهرتين ،

وتمد صندوقا ليتبرع كل بما تجود به نفسه ، وكان أجرنا على ذلك قول البائعة الفاتنة : « شكرا يا سيدى »

وعطفنا على حارسة المعاطف ، فتقدمت الينا أيضا بصندوق آخر ، ونقدتنا شكرا جزيلا أشبه بشكر الفتاة الاولى • ثم دخلنا بهو النزل ، فرأيت فى صدره منصة عليها جماعة الموسيقى،صفت بجوارها كراسى جلس عليها طائفة من الجنود الجرحى بين مقطوع الرجل أو الساق أو الذراع ، أو معلق ذراعه فى رقبته أو فاقد بصره • وكانوا نحو عشرة أو يزيدون ، وقد صفت فى جوانب البهو كراسى مكسوة بالديباج فى ألوان مختلفة ، مرصعة بالغانيات والفتيان ، وكانت هذه الكراسى بمن عليها تملأ جوانب البهو ، أما الفتيان فكانوا جميعا من الجند الذين جاءوا من ساحة القتال ليروا أهليهم وأصدقاءهم،وهم بلباس الجيش على صدور بعضهم أوسمة الشرف التى تدل على ظفرهم بالاعداء ، والتضحية بحياتهم فى ميادين القتال من أجل وطنهم العزيز • ولقد كانت نشوة الشباب تجول فى وجه بعضهم جولانا ، وتضن الحياة به ضنا ، وتبخل أن تجود به ، وبعضهم كان فى نضج العمر ، وكلهم فرح مسرور فخور بنفسه وقومه ، وبما يؤديه لبلده من واجب فى خدمة الجيش وأما الفتيات فكنت أنظر اليهن فيخيل الى ان ملائكة من السموات هبطت فى هذا المكان وأنظر الى وجوه الحاضرين فألمح فيها نوعا من الهدوء والاضطراب معا ، كانوا هادئين لاطمئنانهم الى القيام بأداء ما يجب عليهم فى خدمة الوطن والعمل على المحافظة على حضارتهم والفخر بتاريخهم المجيد الذى يحملهم على أن يضحوا بكل غال ورخيص فى سبيل الظفر بالاعداء ، وكانوا مضطربين اضطرابا يشوبه شىء من الخوف على أبنائهم وآبائهم ، ولكن أملهم فى الظفر وثقتهم بجيشهم كانا يستران هذا الخوف

ثم صدحت الموسيقى بأنغامها المطربة الشجية ، فوثب الجالسون وثبة نشوة وسرور ، وتقدم كل جندى وكل مدنى كبير أو صغير الى فتاة أو سيدة يدعوها الى أن تنازله رقصا وخلاعة ومجونا فى سبيل الجند والجندية ، وفى حب فرنسا وجيشها ، فامتلأ المكان بالراقصين والراقصات ، والتفت الساق بالساق وحمى الوطيس وكأن الناس سكارى وما هم بسكارى ، وكان البدء برقصة الفالس ، فعمت الناس نشوة نسوا بها أنفسهم وتغافلوا عن كل حشمة ووقار وعن الدنيا وأهوالها ، والحرب وآلامها ، وغشيهم الطرب والسرور فكثر الذاهب والجائى،والقائم والقاعد ، وكان المنظرمغريا مطربا،وكانت الاقدام تحتك احتكاكا بأرض البهو المصقولة ، فتحدث حركة منتظمة مرتلة ترتيلا تتبع نغمات الموسيقى وتطرب الآذان بصوتها : «شو ••• شو ••• شو ••• » فخيل الى اننى لم أر على وجوه الباريسيين سرورا مثل هذا السرور ولا نشوة مثل هذه النشوة

وخرجت مع السيدة وهى تقول : « ما كان أجمل هذه الليلة ، وما أعظم سرورها » والتفتت الى وقالت : « أليس كذلك ؟ » !

أحمد ضيف

في انجلترا

بقلم الدكتور محمد بك فهمى لهيطة

أستاذ علم الاقتصاد بكلية التجارة بجامعة فؤاد الاول

تحدث الدكتور احمد ضيف فى المقال السابق عن اعياد الميلاد فى باريس اثناء الحرب العظمى ، وفى هذا المقال يتحدث الدكتور محمد فهمي لهيطة بك عن هذه الاعياد فى انجلترا اثناء الحرب فقد قضى سنواتها يطلب العلم فى جامعة برمنجهام

الانجليز قوم رياضيون يتفانون فى المحافظة على تقاليدهم فى السلم والحرب ، ويتمتع بمسرات الاعياد الجنس اللطيف والرجال والاطفال ، سواء كانوا فى المدن أم فى الريف ، ولا تمتاز السنوات الاولى من الحرب عن أواخرها بل ان الرخاء الاقتصادى كان يعم جميع الطبقات فلم تعرف شبح الازمة ولا حلقات الضيق

وقد تأصلت الروح الرياضية فى نفوسهم الى حد بعيد ، حتى انك تجدهم فى صبيحة عيد الميلاد يملأون ميادين الالعاب الرياضية ، والحدائق والمتنزهات ، ومنهم من يفضل زيارة الاهل والاصدقاء

وكما انهم يحترمون الحياة العائلية ، فهم يفضلون العزلة البيتية فى هذا اليوم ، وعلى الاخص فى فترة تناولهم غذاء عيد الميلاد ، حيث تتجلى روح الاخلاص والوفاء بين الاب والام والابنة والابن ، فالوحدة والمحبة الخالصة بين افراد الاسرة الواحدة من أقدس المظاهر التى تتجلى فى العيد

ولقد شاءت الظروف ان أقضى جميع سنى الحرب فى انجلترا حيث كنت ادرس فى جامعة برمنجهام وكنت أقيم بين أسرة راقية مهذبة تحافظ على تقاليدها الموروثة ، هناك لاحظت ان هذه الاسرة — كما كانت الحال فى جميع الاسر الانجليزية — لم تتأثر مطلقا بالايام العصيبة للحرب ولا بالازمات الاقتصادية التى كانت تسود البلدان الاخرى . ففى أعياد الميلاد كانت مائدتها كاملة لا ينقصها « الديك الرومى » الذى هو من أقدس التقاليد البريطانية ، ولا الاوز الانجليزى الذى له شهرته العالمية لما تتطلبه تربيته من المهارة والعناية الفائقة

ومما هو جدير بالذكر ان الروح الحربى كان يتغلب فى نظامه وأبهته فى هذه الاعياد، وتسود عاطفة الالفة بين المدنى والعسكرى، فيزداد تعلق الخطيب بخطيبته بعد طول الفراق، والام بفلذة كبدها ، والابناء بآبائهم واخوتهم ، وتكثر الهدايا والمنح ، واذا كانت الهدايا على قدر مهديها فانها عادة تكون سمينة وجديرة بمكانة مهديها فى القلوب

وفي أعياد الميلاد تكتظ الاسواق التجارية ويعم الرواج والرخاء والتبادل الاقتصادي جميع الطبقات ، ويشمل الاغنياء والفقراء ، ويشتد التعاون والتآزر بينهم ، ومن الهدايا ما يليق بمقام القائد والضابط والجندي ، وفي البر والبحر والجو ، والكل في ذلك سواء ، لكثرة النقود في جيوب العسكريين من ناحية ، وانخفاض قيمة العملة اثناء الحرب من ناحية أخرى

وغذاء الاعياد في الحرب العظمى ، كان في العادة أوسع مجالا وأوفر ألوانا ، من حيث قيمته وتعدد ألوانه ، ومن دواعي السرور على مائدة عيد الميلاد تقديم الخمور المعتقة والشراب المرتفع القيمة . وذكرى هذا الغذاء وهذا الشراب تستمر طويلا ، سواء في ميدان الحرب أو في ميدان السلم ، فهي ذكرى تمثل في خاطر كل فرد من أفراد الاسرة على مدار السنة ، ويتحدثون عنها في كل اجتماع

واذا كانت اعياد الميلاد أعيادا دينية اذ يقضي الرجل والمرأة صباحهما في عبادة الله ، وتمتلىء ساحات الكنائس بالمؤمنين ، فانها الى جانب هذا لا تخلو من جميع انواع التسلية والمسرة ، فيدعو الضابط جنود فرقته الى منزله لمشاركته الرقص ولعب البليارد والبردج ، وينطلق بهم الى خارج داره للعب التنس والكروكي

وفي جملة التقاليد الانجليزية المعروفة انه عقب تأدية صلاة عيد الميلاد ، ينطلقون الى ميدان الالعاب الرياضية حيث يلعبون كرة القدم الى منتصف الساعة الثانية ظهرا ، ويتعمد الانجليز أن يكون موعد الغذاء في هذا اليوم متأخرا — في الساعة الثالثة أو بعدها بقليل — وفي مساء هذا اليوم تكون جميع دور السينما والمسارح ودور اللهو والرقص مغلقة ، ويطلق على اليوم التالي للعيد اسم Boxing day حيث يبدأ كل مسرح من المسارح موسما جديدا يفتتحه برواية خاصة للعيد ، ويشترط أن تكون هذه الرواية سارة ، وفي خلال الفصول تهبط الممثلات وكذلك الممثلون الى الصالة ويختلطون بجمهور المتفرجين ويوزعون عليهم هدايا تذكارية سمينة ، ويقدمون الى الاطفال لعبا مسلية ، وقد يستمر تمثيل الرواية في كل مسرح من المسارح نحو ثلاثة اشهر فيقبل الانجليزي على مشاهدتها مثنى وثلاث ويظل يتحدث عنها في المحافل والمجتمعات

محمد فهمي لهيطة



« الاتيكيت » فى مجتمعنا

بقلم الدكتور أمير بقطر

رئيس قسم التربية بالجامعة الامريكية بالقاهرة

من نواحي النقص في حياتنا الاجتماعية ، جهل الكثيرين والكثيرات ما تجب مراعاته في المقابلات والمجاملات والحفلات والولائم وغيرها . وقد يتعرضون بسبب هذا الجهل للخجل والازدراء أو النقد والتوبيخ . لهذا اردنا أن نطرق هذا الموضوع لأهميته في حياتنا العامة ، فتفضل الدكتور أمير بقطر بكتابة هذا المقال النفيس

معنى الاتيكيت : وهل هى وقف على الطبقات الراقية ؟

معنى الاتيكيت كل ما يتعلق بآداب الحديث والاستقبال والتحيات والذوقيات ، وأنواع الأزياء وضروب الملابس وألوانها فى مناسبات خاصة ، والمجاملات الرسمية فى الأفراح والاحزان ، وانتقاء الالفاظ كلاما وكتابة ، تبعا لمقتضيات الاحوال ، وجريا وراء التقاليد الموروثة ، والعرف والذوق السليم . وهى مجموعة العادات والمراسيم فى أزمنة معلومة ، وأماكن معلومة ، سواء أكان ذلك بطرق رسمية سياسية حربية أم دبلوماسية أم بالوسائل المعتادة فى مجاملات الجيران والاصدقاء والاقارب فى أحاديثهم ورسائلهم ومسالكهم العامة

و « الاتيكت » لفظ يذكر سامعيه بالكياسة ومرادفاتها والكلمة الاوربية (finesse) التى تحمل فى حروفها أرق المعانى وأشدها حلاوة ورقة وظرفا ، وهى تقرب كثيرا من اللفظ المعروف « دبلوماسية »

والاتيكيت ليست وقفا على الطبقات الراقية بل هى متاع مشاع بين الجميع من أغنياء وفقراء ، وملوك وصعاليك ، ومثقفون وأميون ، لانها كسائر التقاليد تتصل جذورها بحياة الشعوب والقبائل والطوائف ، وتتخذ فى كل منها صورا خاصة ، يقتص الرأى العام ممن يجرؤ على مخالفتها

والاتيكت معروفة منذ القدم ، حتى فى الاديان المنزلة . فقد جاء فى التوراة ان النبى موسى لم يراع قواعد « الاتيكيت » يوما ما ، فنبهه الله الى ذلك بقوله « اخلع نعليك يا موسى لان المكان الذى أنت واقف فيه مقدس » ، ولم ترق لقواعد « الاتيكيت » نسبة الشر الى الله عز وجل فجاءت الآية الكريمة على هذه الصورة « وانا لا ندرى أشر أريد بمن فى الارض أم أراد بهم ربهم رشدا » ، وقد جرت العادة فى المساجد أن يخلع الناس

أحذيتهم حين دخولهم ، كما يخلع الاوربيون فى الكنائس قبعاتهم ، كما تحتم الاتيكيت فى اليابان أن يترك الناس أحذيتهم خارج الباب قبل دخول الغرفة

هل الاتيكيت معقولة ؟

« الاتيكيت » كسائر العادات والتقاليد لا يشترط فيها بتاتا أن تتفق والعقل والمنطق ، فقد تكون مضحكة فى ذاتها ، ولكن هذا لا يؤثر فى الموضوع • ففى كثير من بلدان أوربا يرتدى الرجال ملابس السهرة نهارا ، فى حين أن ذلك يكون مدعاة للضحك فى أميركا وانجلترا • ومن المعلوم انك اذا حظيت بحضور حفلة ملكية رسمية فى مصر ، ارتديت « الردنجوت » اذا كنت مصريا ، و « البونجور » اذا كنت أوربيا ، أما المرأة فعليها ارتداء بدلة « سواريه (ديكولتيه) » ويحتم فى أوربا وجود القفاز صيفا وشتاء فى مناسبات معلومة للرجال والنساء على السواء

ومما يدل على انه لا يشترط فيها المنطق ان ما يكون منها صحيحا فى بلد يكون خطأ فى بلد آخر • ففى مصر اذا جلست فى مكتبك عارى الرأس ، وحضر لزيارتك ذوحيثية أو شخص لا ألفة بينك وبينه ، مددت يدك الى طربوشك ، وهرعت الى وضعه فوق رأسك ، بينما فى أوربا تسارع فى نزع القبعة اذا كانت لا تزال على الرأس • وبينما تجد الملابس السوداء شارة الحزن فى معظم البلدان فاذا بها البيضاء فى الصين ، وبينما تقدم الحساء فى مستهل قائمة الطعام فى الولائم ، اذا بها تقدم فى نهايتها فى الصين ، وتقدم الحلوى فى أولها

وتتغير قاعدة من قواعد « الاتيكيت » بجرة قلم طالما كسر أميرا أو عظيم مبادئها ، واستبدلها بغيرها ، فقد ظل ولى عهد انجلترا (الدوق أوف وندسور اليوم) بطل « الاتيكيت » زمنا طويلا ، وكذلك أنطونى ايدن من أعضاء الوزارة البريطانية اليوم • وما على ملكة انجلترا الا أن تلبس فستانا من القطن ، حتى تكسد سوق الحرير فى ضحية وعشاها

وانجلترا غنية بقواعد « الاتيكيت » وشديدة التمسك بها ، تمسك رجال القانون بدالوز وكابتان • فملابس السهرة فى كثير من الاوساط هناك لا بد منها للعشاء وان كانت قائمة الطعام لا تتعدى السلاطة والفاكهة • وهناك مئات العبارات التى يحرم التحدث بها أمام السيدات ، مما لا يعد شيئا فى بلدان أخرى ، كالاشارة الى المعدة أو الشبع (كقولك I am full) ومن العيب هناك اخراج المنديل من الجيب مطبقا مرتبا ، وانما يجب وضعه واخراجه كأنه سبق استعماله • ومن الخطأ ترك الشوكة والسكينة متقاطعتين بعد الفراغ من الاكل فان ذلك يعنى به هناك انك لا تزال تتناول الطعام ، ولكن يجب وضعهما متوازيتين على استقامة واحدة • ولم أدهش للنسبة الهائلة بين الاطفال اليسر والمصابين بعيوب كلامية فى انجلترا ، وفى اعتقادى ان سبب هذه الظاهرة كثرة قواعد

« الاتيكيت » وقد أبديت هذه الملاحظة لاحد علماء النفس فى جامعة لندن فاقتنع باحتمال هذه النظرية

ومن اغرب ما شاهدته فى ألمانيا من « الاتيكيت » انك اذا دعوت امرءا للعشاء لم يفته عند توديعك اياه أن يؤكد لك انه سيرد لك الجميل فى أقرب فرصة . غير انى لا أستطيع الجزم اذا كان هذا المبدأ ينطبق على أفراد جميع الطبقات . ومن أظرف ما قصه على زميل امبركى قضى ردحا من الزمن فى روسيا انك اذا ركبت عربة مع سيدة ، أيا كانت ، كان عليك أن تطوق بذراعك كتفها وعنقها ، دلالة على استعدادك لحمايتها ، لا لتمكن عاطفة الالفة أو أواصر الحب بينكما

الجهل بالاتيكيت

الجهل بالاتيكيت كالجهل بالقانون ، لا يلتمس لصاحبه عذر . فانك اذا أخذت سيارتك الى انجلترا وقدتها على اليمين كما تفعل فى مصر ساقوك الى المحاكمة ، ولا يشفع لك جهلك القانون الانجلزى . كذلك الآداب العامة لا يغفر لك الناس زلتك فيها ، بل يمتنعون عن دعوتك فى ولائمهم وحفلاتهم اذا ما شاهدوا فيك جهلا بها

وقد يكون جهلك بها سببا فى ضياع وظيفتك اذا كانت تتطلب الاحتكاك بالغير فكثيرا ما يحدث ان رجل السلك السياسى يستدعى بالتلغراف ويحال على الاستيداع ، لان الحكومة التى يمثلها يتصل بها انه لا يتقن قواعد الاتيكيت كأن يرتكب الاخطاء فى آداب المائدة ، وكأن يستعمل الملعقة فى موطن كان يجدر به أن يستعمل الشوكة ، أو يتناول الماء أو الملح من مسافة بعيدة بدلا من أن يطلبها من جاره ، أو يجلس بجانب سيدة ولا يستطيع انتقاء الكلمات المناسبة ، أو يضايقها برائحة تنبعث من فمه ، أو لا يقوم بخدمتها كما يجب ، أو يدعوها باسمها كأنه يعرفها بدلا من أن يكتفى بعبارة مدام أو مدموازيل . وقد يستغرب القارىء اذا قيل له ان سفيرا من السفراء أحيل مرة الى الاستيداع بالتلغراف لأنه اتضح ان زوجته تجهل قواعد الاتيكيت

وقد تنقطع العلائق الودية بطريقة غير مباشرة بين دولتين لان سفير أحدهما تكرر خطؤه ولو بحسن نية فى « الاتيكيت » ولو فى وليمة ، أو حفلة ساهرة راقصة . وقد كادت تركيا ومصر تعلن احداها « الحرب » على الاخرى لان وزير مصر المفوض لبس الطربوش فى حفلة رسمية

ولبعض الملوك ورؤساء الدول « تشريفاتى » خاص تنحصر وظيفته فى تلقين من يمثلون أمام يدى الملك ما ينبغى أن يقوله ، وكيف يدخل ويقعد ويهز يده ، وكيف يجلس ومتى وماذا يتكلم . ولا بد له أن يعمل « بروفة » ويجوز الامتحان قبل التشرف بالمقابلة

ولبعض الملوك أنفسهم موظف خاص أو لجنة خاصة تقوم بتلقينهم ما يجب أن يقولوه فى خطبهم واستقبال الاعيان أو محادثة سفير أو زائر أجنبى ، خصوصا اذا كان هناك أمر

سياسي ذو بال ، واذا فرض أن الزائر سأل الملك أو رئيس الدولة سؤالا لم يكن احتاط لها أستاذ أو أساتذة الاتيكيت فان الملك لا يجوز له الاجابة عنه بل يتخلص بلطف بالتحدث عن الجو • وكل ما هناك ان الاتيكيت فى السياسة يسمونها « بروتوكول »

هل يجب اتباع كل الآداب العامة

قد يكون هناك مجموعة كبيرة من الآداب العامة التي تراعى بدقة في أوساط ، وتصبح مبتذلة مهملة في أوساط أخرى في الاقليم الواحد • فاذا انتقل المرء من بيئة الى أخرى ، وجب عليه مراعاة المجموعة الخاصة بهذه الاخيرة ، عملا بالقول المأثور ، دارهم ما دمت فى دارهم وأرضهم مادمت فى أرضهم

فاذا كنت في الريف المصرى مثلا ، تعين عليك أن تقول « هنيئا » و « هناك الله » عند اللزوم ولكن يلاحظ في الاوساط الراقية فى المدن الكبرى ، ان هذه العبارة لا أثر لها مطلقا • كذلك « صحى النوم » و « أجر وعافية » و « نعيما » وغيرها من التحيات التاريخية التى أصبحت فى خبر كان غير أن « البقية فى حياتك » لا تزال على قيد الحياة • واعلم ان استعمال العبارات التى أصبحت مبتذلة أمر يدعو لانتقادك ، كالجهل بالآداب • وكما أسلفنا يجب مراعاة الاقليم أو البلد الذى أنت فيه

قلنا ان كلمة « هنيئا » قضى عليها تقريبا فى كثير من الاوساط فى مصر ، فضلا أن كلمة «مريئا» لاتكاد توجد الا فى محيط المحيط ، غير انك اذا سافرت الى فرنسا ، وجدت الناس يخاطبونك على الدوام بقولهم « bon appétit » كلما تهيأت للاكل ، و « bonne promenade » كلما تهيأت للنزهة ، « bon amusement » كلما تهيأت للاوبرا أو الرقص أو مشاهدة الروايات التمثيلية أو غيرها و « beaux rêves » كلما تهيأت للنوم • وكذلك الحال فى ايطاليا وغيرها • فى حين ان فى مصر وانجلترا وامير كا خصوصا فى الاخيرتين لا توجد هذه التحيات

غير ان فى انجلترا وأميركا اذا أضفت شخصا وقضى عندك الليلة تحتم عليك وسائر أفراد الاسرة أن تبادره بعد تحية الصباح بقولك هل نمت نوما هادئا • ومن الخطأ الفاحش أن تنسى هذه العبارة • وبعد أن تتناول مع مضيفك العشاء أو الشاى يجب ان تذكر له عند أول مرة تقابله فيها انك تمتعت بهذه الزيارة وان كان هذا مخالفا للواقع

فوضى الاتيكيت فى مصر

مصر فى عصر انتقال مرهق ، وفترة قلق اجتماعي ثقافى ، أقرب الى الفوضى منها الى الاستقرار والسكينة • فللقرى والارياف بفقرها المدقع وجهلها المطبق تقاليد مرعية لها حرمتها ، حتى فى أحط الاوساط ، ولعواصم المديريات والمراكز تقاليد و « اتيكيت » غريبة تصطدم مع عادات الريف بشدة ، تكاد تعادل اصطدامها بتقاليد القاهرة ، وللقاهرة

والاسكندرية (وما في حكمهما من المدن والاحياء التي هي أقرب لاوربا منها الى مصر) تقاليد واتيكيت متنافرة متباينة ، مختلطة ، تتطاحن فيها العادات المصرية والاوربية ، وتمتزج فيها « الاتيكيت » اللاتينية والتركية والانجلوسكسونية ، وتتنافس فيها التقاليد التى يدعونها خطأ شرقية (١) وغربية

اذكر انني ناديت مرة صحافيا مصريا « متفرنجا » بكلمة « موسيه لك » ، فغضب وعاتبني بقوله انه ليس فرنسيا • وفي اليوم التالى جاءتنى منه دعوة لتناول الشاى فى منزله، وكانت الدعوة مطبوعة طبعا أنيقا باللغة الفرنسية • ومستهلة بهذه العبارة « موسيه ومدام لك • يتشرفان ••• الخ » ، ولما لاحظت فى اثناء الحفلة ان جميع المدعوين كانوا من الناطقين بالضاد ، أخرجت الدعوة من جيبى وكررت تحيتى له بقولى « بونجور مسيو لك••• » ولم أخش غضبه هذه المرة لاننى كنت أحمل « المسدس » الذى أخرجته من جيبى

كيف نكون الاتيكيت فى مصر ؟

مهما تنوعت « الاتيكيت » بتنوع الزمان والمكان ، فان هناك مبادىء عامة مشتركة تتخذ أساسا لجميع قواعد « الاتيكيت » وتتلخص هذه المبادىء فى مراعاة الذوق السليم ، والكياسة (finesse) وشعور الغير ، وتجنب كل ما يشتم منه عدم الارتياح فى المجاملات والدعوات والولائم والافراح والاحزان ، وتتبع القواعد التى تربط العلائق بين الناس ، تبعا للحوادث الجارية ، والازياء الحديثة • ومما تجب معرفته ان « الاتيكيت » فن أكثر منها علما • ومعنى ذلك ان دراسة قواعدها من الكتب لا تكفى وحدها لاتقانها ، كما ان دراسة قواعد الرسم وصناعة التماثيل والموسيقى لا تخلق من المرء رساما أو مثالا أو موسيقيا ، ينبغى لاتقان « الاتيكيت » أن تكون دقيق الملاحظة ، كثير التردد على الحفلات المنظمة ، شديد الامتزاج بالبيئات الاجتماعية الراقية ، مرهف الحس ، رقيق الشعور حاضر البديهة

وخروجا من التعميم الى التخصيص نذكر قبل كل شيء الملحوظات الآتية التى تعين الناشئين على عدم التعثر فى أذيال « الاتيكيت » فى هذه البلاد

أولا ـ نظرا لتعدد أنواع الاتيكيت فى مصر ، يلزم البحث عن قواعد كل نوع من أنواعها فى حينه ، تبعا لمقتضيات الاحوال • أضرب لذلك مثالا واقعيا • نزل جماعة من الاميركيين فى فندق من فنادق القاهرة ، وبعد أيام أرسلوا تذاكر الدعوة لعدد من أصدقائهم وأصدقاء أصدقائهم من جنسيات مختلفة لتناول العشاء معهم، وكانت التذكرة مطبوعة وقد كتب فى طرفها الايمن من الاسفل عبارة (black ties) وفى الطرف الايسر (R.S.V.P.).

(١) لا نزال نتمسك بما ادلينا به من الآراء فى موضوع نشرناه فى الهلال منذ اعوام ، وهو ان التحدث عن « عادات شرقية » تخبط فى اقوال لا معنى لها، اذ ان المصريين أقرب فى عاداتهم الى الطليان مثلا منهم الى الصينيين والهنود والافغان وغيرهم من الامم « الشرقية »

ومن سوء الحظ ان التعبير الاول أميركي غير مألوف خارج أميركا ، ومعناه ان الحضور يكون برباط الرقبة الاسود وبذلة السهرة المعتادة ، بخلاف ما اذا قيل (white ties) فان الحضور يكون برباط الرقبة الابيض وبذلة السهرة الكاملة أى « الفراك » . أما التعبير الثانى فتعبير مشاع فى كل العالم ومعناه المرجو الرد (Répondez s'il vous plait)

ولنلاحظ جيدا ما حدث فى هذه الوليمة : أهمل بعض المدعوين الرد وحضروا ، وأهمل البعض الرد ولم يحضروا ، وحضر أحدهم ببذلة سكروتية بيضاء (فى شهر مايو) ولبس رباطا أسود ، أى أنه راعى العبارة بحرفيتها . وكان أكثر من تصفهم ملما بمبادىء الاتيكيت فرد على الدعوة معتذرا ، أو تقبل الدعوة وحضر بالزى المطلوب ، أو لم يكن ملما بمعنى عبارة « الرباط الاسود » فتحدث مع مضيفيه فى الفندق بالتليفون مستفسرا ، أو سأل صديقا له ملما بمعنى العبارة

وقد شاهدت النقيض من هذه الواقعة فى مناسبات أخرى دعى فيها جماعة من الاوربيين والاميركيين الى أوساط مصرية ، فكان بعضهم يدقق فى السؤال عن قواعد الاتيكيت التى يجهلونها فى تلك الاوساط ، فيحسنون صنعا ، ويهمل البعض الآخر ذلك فيرتكبون أشنع الاخطاء

ثانيا ــ لما كان الغرض من «الاتيكيت » فى الاصل أن يحس الطرف الآخر بالارتياح والانشراح ، واحترامك له ، ينبغى أن تبذل جهدك فى بلوغ هذا الغرض . فلا تبالغ فى اكرامه ، أو تحيته ، أو الاكثار من تقديم الطعام الفاخر له ، فان هذه المبالغة تشعره بأنك تراعى الكلفة وعدم الالفة ، كما ان الاسراف فى الطعام يحمله الى رد الكيل بالكيل ، وقد يكون فى هذا ارهاق له . وتذكر ان الضيف لا يحس بأقصى حالة الارتياح الا اذا شعر أنه « فى بيته »

ثالثا ــ اذا دعوت عددا قليلا من الناس لتناول الطعام (١٢ مثلا) ، فاحرص على مبادىء الانسجام والتجانس ، وتحقق من أن بين المدعوين من لا يمقت آخر ، أو يتأفف من الامتزاج به . أما اذا كان العدد كبيرا فليس هناك ما يدعو لذلك ، اذ أنه فى الحالة الاولى يجب تقديم جميع المدعوين بعضهم الى بعض ، فى حين ان فى الثانية لا يحتم ذلك ، وان جاز تقديم من تريد الى من تريد

رابعا ــ اذا تحدث الضيف فاصغ اليه ، وتظاهر بلذة الاستماع ، وعلق على ما يقول من حين الى حين تدليلا على ذلك ، واذا كان أحد المدعوين حييا فجره الى الحديث ، واحذر من أن تحتل المكان الاول فى الكلام

خامسا ــ المزاح خلة مصرية حميدة ، والمصرى مشهور بالنكتة ، بيد أن المبالغة فى هذه الصفة قد تكون وبالا على صاحبها ، ضيفا كان أو مضيفا ، اذ أن الكياسة كما يقول الانجليز أسمى صفة من المزاح . ويشير هذا القول الى ما يؤدى اليه المزاح كثيرا الى ايلام الغير من حيث لا يدرى المازح

خامسا ـ اذا أخطأ الضيف فى قواعد الاتيكيت ، أو سقطت من يده شوكة ، أو أراق الطعام على المائدة ، فتجاهل الامر ، وكأن شيئا من ذلك لم يحدث ، وسارع فى استئناف الحديث معه أو غيره ، اخراجا له من المأزق • وهناك أحدوثة تروى عن الملكة فيكتوريا، وقد كان بعض كبار الهنود ضيوفا عليها ، وهو أنه أثناء تناول الفاكهة أخذ الهنود يأكل الواحد منهم الفاكهة ، ثم يلقى النواة الى أبعد ما يستطيع ، فتصيب الصور والاستار وتشوه الاثاث • فما كان من الملكة الا ونسجت على منوالهم وتبعها وزراؤها ورجال حاشيتها ، وما فعلت ذلك الا تأدبا

سادسا ـ اذا أخطأ الخدم ، أو بعض أفراد الاسرة ، أو حدث ما يخل بنظام المائدة ، فعلى رب البيت أن يلبث هادئا ، رابط الجأش ، وكأن شيئا لم يحدث • ومن أظرف ما أذكر بهذه المناسبة حكاية عن اللورد كتشنر وهو مندوب سام فى القاهرة ، حدث فى احدى الولائم التى أقامها أن تأخر لون من ألوان الطعام بعد سابقه تأخيرا غير مألوف ، ولكنه برغم ذلك ظل يسامر الضيوف ، ويقوم بتسليتهم ، بغيرأن يدق الجرس ، أو يدعو رئيس الخدم ، أو غير ذلك ولما انصرف الضيوف فى ساعة متأخرة من الليل سأل عن سبب ذلك الخطأ فى تأخير « الديك الرومى » فوق المعتاد ، فقيل له ان الطاهى الاكبر توفى فجأة بعد تقديم الصنف الذى سبق « الديك » • ومن هذا الحادث يتضح ان الخدم كسيدهم راعوا هذه القاعدة حتى فى أشد الظروف حرجا

سابعا ـ اذا حادثت صديقا فى مكان عام ، فينبغى خفض الصوت ، لان غير ذلك الصديق لا يعنيه أن يستمع الى ذلك الحديث • وكم يدهشنى أن أرى هذه القاعدة الاولية من قواعد الاتيكيت تكسر فى رابعة النهار ، فما ركبت « الترام » أو جلست فى قطار أو قهوة ، حتى سمعت رجلا مهذبا (أو سيدة يدل هندامها على النعمة) يتحدث الى جاره فى مسائل خاصة ، وبعضها يتصل بأسرار الاسرة ، وكأن المكان خلو من الجالسين

ثامنا ـ اطالة النظر والتحديق فى الغير من أقبح العادات التى تأباها قواعد الاتيكيت السليمة ، وهذا للاسف يكاد يكون عيا قوميا ، خصوصا اذا كانت الفريسة من الجنس اللطيف ، وحسب اللبق أن يلقى نظرة واحدة على السيدة الجالسة أمامه على المائدة ، أو الآنسة التى تنتظر القطار على رصيف محطة مصر ، حسبه ذلك حتى يستوعب جمالها وزيها من هامة الرأس الى باطن القدم ، وأكثر من ذلك لا يليق بالجنتلمان

تاسعا ـ لكل مناسبة ملابساتها الخاصة ، واذا اختلط علينا الامر وجب علينا سؤال رب الدار ، أو سواه ممن له المام بهذه المناسبة • فمن الخطأ أن تلبس بذلة رسمية فى حفلة أرادأصحابها أن تكون عديمة الكلفة (informal) ,كما انه من الاهانة لصاحب الدعوة أن تلبى دعواه فى ملابس لا تليق به وبضيوفه • ومما يؤسف له أننا نحن المصريين نهمل هذه القاعدة فى كثير من الاحايين اهمالا معيبا • فكم رأينا من كبار المصريين وعظمائهم يدعون لحفلات ساهرة فى أكبر فنادق القاهرة ، فاذا بهم لا يكلفون أنفسهم

مؤونة الظهور بملابس السهرة ، وأكثر من ذلك يرتدون بدلة العمل ، وهم لا يدرون ان رب الدار اذا غفر لهم ، فان الكثيرين من المدعوين ينظرون اليهم شذرا ويعدون عملهم اهانة لهم وحطا من كرامتهم

وهنا يحسن أن نذكر القارىء بعادة غريبة بديعة يجدر اتباعها فيما يتعلق بالملبس ، وهي : اذا بعث الداعي تذاكر الدعوة وبين فيها ان حفلة العشاء مثلا رسمية ، أو بملابس السهرة ، أو بالملابس العادية ، فعلى المدعو أن يفعل وفقا لذلك ، أما اذا لم يذكر الداعي شيئا عن الملابس أو لم يشر الى أن الحفلة رسمية (formal) ، فقد يكون قصده واحد من ثلاثة . فاما ان الحفلة رسمية من طبيعتها ، أو أن حفلات العشاء عنده رسمية بملابس السهرة جريا على عادته أو انه أراد أن يترك للمدعوين الخيار في ارتداء ملابس السهرة أو عدم ارتدائها ، منعا للتكليف ، ففي هذه الحالات الثلاث يحسن للمدعو أن يسأل رب الدار عن نوع الملابس اذا لم يكن له معرفة به ، أو اذا كان عنده شك فيما يريد (الداعي) ، أو يرتدي الملابس المناسبة اذا تأكد من قصد الداعي . وفي الحالة الاخيرة التي يترك فيها الداعي حرية الملبس للمدعوين ، يجب على الداعي ألا يرتدي ملابس السهرة ، حتى لا يتورط من يرتدي الملابس العادية من المدعوين ، أما أولئك الذين يحضرون بملابس السهرة في هذه الحالة فانهم لا يخطئون ، أولا لانه ترك لهم الحرية ، وثانيا لانهم بارتداء هذه الملابس انما يكرمون صاحب الدار ويحترمونه فوق ما تقتضيه قواعد الاتيكيت . أما اذا حضر مدعو بملابس السهرة وليمة قيل عنها في الدعوة صراحة انها غير رسمية أو انها بملابس عادية ، فانه يقترف ذنبا لا يقل عن خطأ من لا يرتدي ملابس السهرة برغم تنبيه الدعوة

ما يستحب وما لا يستحب في مصر

هذه بعض القواعد العامة التي لا تختلف في بلد عنها في الآخر ، والآن نتحدث للقراء عما يستحب الابقاء عليه من « الاتيكيت » المصرية ، وما يستحب الاقلاع عنه منها : من الآداب المصرية غير الحديثة التي أعجب بها ان تترك الحرية للمدعوين أن يجلسوا حول المائدة أينما شاءوا ، على النقيض من العادة الاوربية التي يرتب فيها المدعوون على يميني رب الدار وربته ، وعلى يساريهما ، وفقا لمراكزهم الاجتماعية . هذه من أقبح انواع الاتيكيت الاجنبية في نظري ، وان كانت هذه فكرة شخصية بحتة ، لا يقرني عليها الكثيرون . وقد ذكرت هذه الملاحظة مرة لاميركي جليل ، فما كان منه الا أن دعاني للعشاء بعد بضعة أسابيع مع عدد ليس بالقليل من أصدقائه . واجلسني على رأس المائدة ، وجلس هو وزوجته في مكانين متقابلين في منتصف المائدة ، وترك الآخرين يجلسون أينما أرادوا . ولم أدر هل قصد الداعي بهذا النظام توبيخي على الملاحظة ، أو أراد أن يبرهن على اعتقاده بصحة النظرية التي أبديت له . على انني لا أمانع من اجلاس شخص

أو اشخاص معلومين فى أماكن خاصة تكريما لهم اذا كانوا غرباء أو كبار السن ، أو لغرض الفصل بنهم وبين ضيف آخر لا يميلون الى محادثته

ومما استحبه فى مصر فى « اتيكيت » الزواج تقديم الهدايا نقدا (النقطة) للعروس بدلا من الطريقة الاوربية وهى ارسال الزهور الغالية ، وصناديق الشوك والسكاكين ، والمصابيح ، وأصص الزهور ، وأجهزة اللاسلكى ، وغير ذلك مما لا يفيد العروس الا فى الظهور والتفاخر . ومما يؤسف له ان العادة المصرية المستحبة فى طريقها الى الزوال ، واذا حضرت عرسا مصريا فى القاهرة ، هالتك الزهور المكدسة المتراكمة الشبيهة بما تراه فى مواكب الموتى ، ويبهر عينيك ما تراه فى غرفة الهدايا من التحف والهدايا . والاوربيون لم يهتدوا الى اليوم الى تنظيم هذه العادة ، وقد رأينا فى امريكا مدينة يتبع أهلها قاعدة لابأس بها من قواعد الاتيكيت فى هذا الشأن ، وهى ان أهل العروس ، كلما تكدس لديهم صنف من الهدايا ، يخاطبون مخازن الهدايا بالتليفون ، حتى يشيروا على المشترين ان يبتاعوا صنفا آخر يذكرونه . ولكن لعمرى أليست النقود للعروس ذخرا للمستقبل تمد يدها اليه كلما هبت عاصفة طلاق أو فرقة أو ضيق مالى أو غيرها من الازمات ؟

وللكرم أو حسن الضيافة منزلة يحمد عليها المصريون . غير ان صفة الكرم من ناحية الاتيكيت أصبحت معلقة فى الميزان فى عصر لا يتفق واياها فى كثير من الاحايين ، ومن رأيى ان خير الامور الوسط ، فالمبالغة قد يصعب فيها التوفيق بين مطالب الكرم وحياة المدن ، واتباع « الاتيكيت » الاوربية فيها بحرفيتها أمر تأباه الطبيعة المصرية ، وغيرها من طبائع الأقطار الشرقية . فليس من الحكمة فى شىء أن يهجم الاقارب مثلا على رجل من سكان القاهرة فيحتلون المطبخ والحمامات والطرقات ، قضاء لاجازة العيد فى العاصمة ، واذ انه مهما امتنعت الكلفة بين الاصدقاء والاقارب ، فان لمبادىء الاتيكيت حرمة يلزم مراعاتها فى العصر الآلى الذى نعيش فيه

أما ما يجب الاقلاع عنه من الآداب القومية فكثير ، نذكر منها بعض ما يختص بالطعام . أتيح لى مرة تناول العشاء عند أسرة كريمة مع عدد من المدعوين ، فتوالت ألوان الطعام تليها الالوان ، وكانت كلها تقدم على أطباق من الصينى غالية الثمن ، رسم على كل منها بناء معروف فى فن المعمار . ولما بلغ عدد الاصناف مبلغا لا يصح السكوت عليه ، سأل أحدهم واحدا من أهل الدار : متى تنتهى هذه الالوان . فأجاب ضاحكا بقوله : عندما نفرغ من جميع القطع الصينية التى يتكون منها « الطقم » . وقد كان

وهناك عادة أخرى غريبة لا تتفق والاتيكيت وهى ان الضيوف فى مصر اذا دعوا للعشاء مثلا ، هجموا على التليفون ، وبعثوا الخدم لقضاء حاجاتهم من الخارج . فى حين ان العادة الاوربية جديرة بالاتباع ، وهى الاستئذان من ربة الدار أو صاحبه قبل ذلك ، وعدم الالتجاء الى مثل هذا العمل الا عند الضرورة القصوى . اذكر ان لجنة مكونة من نحو خمسة عشر نفسا عقدت جلستها فى منزل أحد الأفاضل ، وما كان يحضر أحد الاعضاء

حتى يهرع الى التليفون ، فأصبح الجهاز مشغولا من الاعضاء زهاء الساعة

ولما كنا فى عصر انتقال فان ظهور السيدات فى الولائم أمر لا يزال يفتقر الى الصراحة. فقد لاحظنا ان المصرى اذا دعاه اوربى للعشاء مع زوجه ، يعد بالحضور ثم يجيء متأخرا كثيرا بغير زوجته ، بدعوى ان اختها حضرت من السفر . وكان الاجدر به أن يتذرع بالصراحة وينبه صاحب الدعوة من أول الامر انه يتبع فى ذلك العادات المصرية . والاوربيون المثقفون فى مقدمة من يحترم العادات

ومن الجهة الاخرى لاحظنا ان بعض المصريين اذا دعوا أوربيين ومصريين معا ، اختفت نساؤهم من المائدة ، واذا دعوا أوربيين فقط ظهرت نساؤهم ، وفى هذا من العيب ما لايخفى

أما المحافظة على المواعيد فلا بد من الاشارة اليها. من الغريب ان «الاتيكيت» الحديثة توجب ان يصل الضيف منزل مضيفه بعد الموعد المحدد بدقائق (من ٥ـ٧) لا فى الموعد المحدد بالضبط ، لانه لا ينتظر ان تكون ساعتك أو ساعته مضبوطة على المدفع. غير ان حمل الضيوف ورب الدار على الانتظار أكثر من ذلك ليس من الاتيكيت فى شيء . وأقبح ما عندنا من العادات ضرب الساعة ١٢ ونصف موعدا للاكل والشروع فيه فى الساعة الثالثة بعد الظهر . وأذكر واقعة هروب مدعو أقيمت الوليمة لاجله من سلم الخدم نظرا لهذا التأخير

ومن قواعد الاتيكيت التى يلزم الاقلاع عنها مبالغة الموظفين فى مظاهر الاحترام فى علاقاتهم مع رؤسائهم ، وبغض النظر عن قواعد « الاتيكيت » فان هذه المبالغة تخلق منا جيشا تنقصه عزة النفس والكرامة الشخصية

وهناك مسألة اجتماعية لا تزال فى المهد ، اذ انها قليلة الانتشار ، ولكنها تدخل تدريجيا فى البيئات المصرية وتفتقر الى شديد العناية ، وهى الرقص . الرقص حتى فى أوربا ظاهرة لا تزال محفوفة بالاشواك ، ويلاحظ انه نظرا لحداثة هذه العادة فى مصر ، يرتكب الكثيرون من الراقصين أخطاء يلزم الاقلاع عنها. وهو ان الراقص ينزع ـ جهلا منه بقواعد الاتيكيت ـ الى احتكار سيدة أو آنسة ، ولا يخفى ما فى هذا من العيب . ويحسن بمنظمى هذه الحفلات أن يعينوا مشرفات (hostesses) لادارة دفة الامور على الوجه المرغوب فيه أسوة بما يحدث فى البيئات الراقية فى اوربا

ومما يجب مراعاته ملابس « الدكولتيه » للسيدات ، فيلزم مراعاة المدعوين وارتداء ما يليق وفقا لمقتضيات الاحوال . قرأنا مرة ان أميرة أوربية دعت بين المدعوين أحد الكرادلة واجلسته بجانب سيدة بدت فى ثياب السهرة بنصف عارية ، فأضرب الكردينال عن التحدث معها ، الى ان أحضرت الفاكهة ، وهنا تناول تفاحة وقشرها جيدا وقدمها للسيدة . فسألته لماذا لم يحدثها بتاتا ثم اندفع مرة واحدة وقدم اليها الفاكهة ، فأجاب مقرعا بقوله : فى اليوم الذى أكلت فيه المرأة من الثمرة المنهى عنها علمت انها عريانة فخاطت لنفسها ثوبا من أوراق الشجر واختفت خجلا عن الانظار

ولا يزال الكثيرون يجهلون ان مدح الطعام الذى يقدم للضيف من قواعد الاتيكيت ، فيجنحون الى العكس بامتناعهم عن أكل لون من الطعام لانه « غير حسن الطهى » أو لانهم يكرهونه ، أو لانه « مستو فوق اللزوم » . تقدم الضفادع أحيانا فى اميركا (سيقانها فقط) للمدعوين ، ومع ذلك لا يجرؤ أحد على رفضها حتى ممن لم يعتادوها

ومن العيوب القومية سهولة التعرف الى الناس خصوصا المدعوات من السيدات، وسهولة الالفة ، وكأنهم نسوا ان الالفة تفضى الى الاستخفاف ، وان الاكثار من محادثة سيدة واحدة بين المدعوين موجب للريبة ، كما ان احتكار شخص حرمان له من الغير

ولست أريد ترك هذا الموضوع قبل أن أقول كلمة عن فن الرسائل . مصر فى مفترق الطرق ، والكثير منا يضطر الى كتابة الرسائل بلغة أوربية ، وهذه تتطلب فنا خصوصا فى بدئها وختامها ، فعلى من يراسل أوربيا أن يدرس هذا الفن جيدا قبل الاقدام على الكتابة . وربما يذكر بعض القراء ان من أقوال اللورد كرومر : « ليس هناك مصرى واحد يستطيع ان يكتب رسالة باللغة الانجليزية » وقد تغيرت الاحوال الآن ، ولكنا لانزال نعتقد ان كتابة الرسائل فن يجدر العناية به من ناحية « الاتيكيت » على الاخص

دراسة الاتيكيت فى معاهد التعليم

قلت فى صدر المقال ان « الاتيكيت » كالتصوير والموسيقى والسباحة لا يمكن اتقانها بغير ممارسة ، بيد أن من واجب معاهد التعليم محاولة الوصول الى ما يمكن الوصول اليه من مبادئها . أقول « محاولة » لانه يصعب على المعلمين القيام بهذه المهمة فى الغالب من معاهد التعليم . الا اننا واثقون ان مدارس البنات ، فى مصر والاسكندرية كلها تستطيع ان تضع النواة لدراسة « الاتيكيت » نظريا وعمليا ، لما يتوافر لديها من الغرض لاقامة الحفلات ووجود المعلمات والاساتذة الذين يمكنهم القيام بهذا العمل على أتم وجه

بيد اننى أريد أن أذكر القارىء مرة أخرى ان الآداب الكاملة تتطلب ، كما يقول العارفون ، قلبا اجتماعيا ، وخاطرا سريعا ، والماما تاما بالعادات العالمية ، وقد منحت الطبيعة الانجليزية الصفة الاخيرة ، والاميركيين الصفتين الاولين ، أما الفرنسيون فقد حظوا بالثلاث جميعا ، ومن حسن الحظ ان معظم قواعد الاتيكيت فى مصر فرنسية، وان للمصريين استعدادا طبيعيا لاتقانها وان كانت المرأة المصرية بشهادة الاوربيين انفسهم قد سبقت الرجل المصرى فى « الاتيكيت » بمراحل

احمد بقطر

سجل الأيام

بقلم الاستاذ سامي الجريديني

(١) موقف ايطاليا

اذا ضاقت بامرىء مذاهبه لجأ الى غريزته واستنجد فطرته

وأول غرائز ابن آدم حب البقاء ودفعه الغير بالتي هى أسوأ فى سبيل الابقاء على كيانه أو بالتي هى أحسن اذا آنس من مكره ودهائه حاجزاً يقيه قوة الجار المغير الفاجىء

كذلك الشعوب حكمها حكم الأفراد . فقد يستهويها زعيم ساعة أو بعض ساعة ولكن إذا جد الجد ، عادت الى غرائزها تلمس وسيلة الدفاع عن وجودها مما حبتها الطبيعة من حدود ، أو مما أعدته هى لبنيها من عتاد وعدة . وقد يكون استهواء الزعيم طمعاً فى منفعة الشعب أو حباً للمجد على حساب الشعب ، ولكنه إذا وقعت الواقعة وبات الموقف موقف بقاء أو موقف فناء عاد الزعيم الى صوابه ان كان عبقرياً أو اعاده الشعب الى هذا الصواب

لذلك كان الناس يعجبون للزعيم موسوليني كيف جهر قبيل وقوع الحرب قائلا انه لن يبدأ حرباً ولن يثير قتالا فى حين ان الحبر الذي وقع به محالفته مع هتلر لم يكد يجف

فماذا طرأ على سياسة موسوليني وهل تغيرت ؟

اننا لا يخامرنا الشك بانه عند ما كان يرفع صوته عالياً مناصباً انجلترا وفرنسا العداء لم يكن جاداً انما كان يهول بغية الوصول الى مطامعه بلا حرب

وعند ما دفع صنيعته وصهره الى محالفة هتلر والتظاهر بنجدة جرمانيا في السراء والضراء لم يكن جاداً ولم يكن يعني ما يقول وانما كان يهول بغية وصوله الى مطامعه بلا حرب

وليس ذلك حباً بعيون الانجليز وانما جرياً وراء المصلحة الايطالية . والمصلحة الايطالية فقط . وان عبقرية موسوليني التى لا يشك أحد فيها تأبى عليه أن يعمى عن حقيقة موقف ايطاليا من المتحاربين . فاننا عند ما نسمع الكتاب يقولون ان التاريخ يعيد نفسه يجب أن نفهم معنى هذه الكلمة الجامعة التى أصبحت أولية من أوليات التاريخ والجغرافيا

فمعناها ان الجغرافيا تتحكم بمصائر الشعوب وان الحدود من جبال تارة ومن مياه تارة أخرى

تفرض على القاطنين ضمن نطاقها كيانا اقتصادياً خاصاً وعيشة اجتماعية خاصة لا يغيرها مجرى الحوادث العادية

فهذه الحدود والمعالم تخضع الجيوش والقواد فتعيدهم عبيد الوضع الجغرافى رغم مايبذلون من جهد فى سبيل التغلب عليه

ولنضرب لذلك مثلا الامبراطورية الرومانية التى يحاول موسولينى اعادتها سيرتها الاولى بزعامة روما الحالية

فلقد مات أغسطس قيصر العظيم والامبراطورية فى إبانها . وكان من أهم ما أوصى به أن يحافظ الرومانيون على حدودهم لا يتعدونها . وكانت تلك الحدود البحر الاتلنتى من الغرب والرين والدانوب من الشمال والفرات من الشرق وأفريقا وبلاد العرب من الجنوب

وكان من أهم مبادىء المحافظة على هذه الامبراطورية العظيمة أن تبقى الحدود الشمالية حيث هى قوية تستطيع رد غارات القبائل الجرمانية ومن اليهم من القبائل الواقعة فيما هو الآن جزء من البلقان

فانه مهما تتوسع روما فى البحر المتوسط الى أفريقا وما تعداها ومهما تتغلب على شرق آسيا وما يجاورها فانها لا تستطيع المحافظة على هذا السلطان ان تم لها اذا لم تكن حدودها الشمالية قوية لا تغلب

وقد كانت هذه الحدود الرين والدانوب ودولة الروم فى إبانها

وأما الآن فأين الدانوب والرين منها ؟

لقد تغير العالم وتبدل . وانهارت الامبراطورية الرومانية يوم ضعفت الحدود الشمالية وغزا البربر ما كان فى جوارهم من هذا الملك الشاسع

وها نحن الآن أولاء نرى أمماً وممالك تحتل الرقعة الرومانية القديمة

أما المبدأ فهو هو لا يتغير

ان المانيا الآن جاثمة متسلطة فى شمال ايطاليا فى بقعة كانت جزءاً من الامبراطورية الرومانية فعبثاً تحاول ايطاليا أن تمتد فى البحر المتوسط وتتغلب على شمال أفريقا أو جنوب بلاد العرب فلا يغنيها ذلك شيئاً اذا كان فى شمالها دولة قوية تهددها فى كل آن وتجعلها مع ما ملكت يداها فى حكم الأجير

وهذه الأولية كانت حقيقة منذ نحو عشرين قرناً ولا تزال حقيقة حتى الآن

لذلك كانت العبقرية الايطالية تتجه دائما بحكم غريزة البقاء الى اضعاف المانيا وتقوية من يناوئها وهكذا يعيد التاريخ نفسه

وهكذا تفسر السياسة الايطالية اذ نراها تطمع فى تقوية دول الدانوب وفى بسط نفوذها على البلقان

فاذا لم يتسن لها ذلك لا ينفعها حولها أو طولها فى البحر المتوسط كما لا ينفع المرء قوة يديه وساعديه اذا كان رأسه مهشما

لذلك كانت البداهة فى السياسة الايطالية تقضى باضعاف المانيا

فما بالك وقد بدت أنياب الدب الروسى الآن ؟

فايطاليا مرغمة بحكم المصلحة الايطالية وبحكم الوضع الجغرافى أن تحالف انجلترا أو أية دولة أو مجموعة دول تناوىء المانيا وروسيا وتقلم من أظفارهما الممتدة الى شمال ايطاليا وشرقها

فان خاضت ايطاليا هذه الحرب فانها خائضتها حليفة انجلترا وفرنسا الا اذا أضاع موسولينى صوابه أو تحطمت الدولتان الحليفتان . ولعل ما تراه الآن من هياج الرأى العام الايطالى على روسيا وهى تجتاح دول البلطيق مقدمة لاعداد الشعب على محاربة الروس اذا طمعوا فى الزحف على البلقان ومحاربة البلاشفة تعنى اليوم محاربة شركاءهم النازيين أيضاً

(٢) وموقف روسيا من ذلك

وموقف الروس ما هو ؟

ان القليل من القراء يعلم حقيقة الروسيا وأقل من القليل من يعلم موقف البلاشفة من السياسة العالمية . ومهما يكن الرأى فى نظام البلاشفة الاجتماعى والاقتصادى فانه مما لا شك فيه ان الحياة الروسية الآن فى كل نواحيها خير منها فى أيام القياصرة

وان سياسة البلاشفة مستقلة تسعى الى خدمة السوفيات ولا تخدم أغراض هذا الفريق من دول أوربا ساعة وذاك الفريق ساعة أخرى

ويقول لنا نفر يعتد به من الكتاب البريطانيين ان السبب فى فشل مشروع ضم الروسيا الى جبهة السلام يرجع الى فريق ذى شأن كبير فى تسيير السياسة البريطانية يتزعمه تشمبرلن رئيس الوزارة . ويقول لك هؤلاء الكتاب ان الانجليز ـ أو الفريق القابض على زمام الأمور الآن ـ يخافون البلاشفة ويؤثرون أى نظام رأسمالى على نظامهم فهم يكرهون المبادىء الشيوعية ويودون أن يظلوا فى مأمن منها

ويتهم هؤلاء الكتاب الحكومة القائمة بالأمر الآن بأنها كانت تساعد موسولينى على الحبشة وكانت تعضد فرانكو على جمهورية أسبانيا وكل ذلك تحبيذاً للفاشية وخوفاً من اندحارها أمام الشيوعية . وهم يودون من الروس أن يولوا وجوههم شطر آسيا باعتبار انهم قوم تتر آسيويون فيحاربون اليابان فتضعفهم ويضعفونها فيخلو للانجليز وجه الصين وما اليها

أو يريدونها كتلة من اللحوم البشرية تقف فى وجه الجرمان فينقسم جيشهم قسمين واحداً يحارب على الجبهة الشرقية وآخر على الجبهة الغربية فيسهل كسره

ويقولون لك أيضاً ان حيلة تشمبرلن كانت مكشوفة . فهو أخذ ما فى كتاب هتلر قضية مسلمة بأن على ألمانيا أن تمتد الى الشرق على حساب الروس وآمن بكره الالمان للبلاشفة فمهد لهم السبيل اذ استسلم فى مونيخ بغية تشجيع هتلر على الزحف الى أوكرانيا فسهل لهتلر سبيل المكر به والاتفاق مع الروس عليه

فلما بدا للروس عند بحث شروط الانضمام للجبهة السلمية أن يطلبوا من الحليفتين المساواة فى تحمل الأعباء وفى القيام بضمان جميع الدول الصغيرة المتاخمة أبى الانجليز وسوفوا

وسواء أصحت هذه الأقوال أم صحت الأقوال الأخرى بأن الروس كانوا على اتفاق مع الألمانيين من قبل وأنهم تحكمت فيهم هم الآخرين طبيعة الجغرافيا والوضع الاقليمى فعادوا هم هم روسيين بلاشفة وقياصرة يطمعون فى أبواب تفتح لهم سبيل البحار ـ البلطيق فى الشمال الغربى والبحر الأسود فى الجنوب الشرقى ـ فمما لا شك فيه أنهم فازوا بلعبتهم واندفع الغربيون الى حرب طاحنة يظن هؤلاء البلاشفة أنهم سيأخذون منها النصيب الأوفر اذ تتقاتل الرأسمالية والاستعمارية وتتطاحن فتخور عزائمها وتبقى دولة الشيوعية على قوتها

ولكننا لا نظن البلاشفة ـ وقد أظهروا حسن تدبير داخلى وصحة تقدير خارجى ـ بنافعى ألمانيا . انما هم سينفعون الانجليز ويخدمون قضية الحلفاء سواء أرادوا أم كانوا من الغاضبين

فالروس بحكم جوارهم لجرمانيا لا ينسون مطامع هؤلاء فى استعمار البلطيق وروسيا البيضاء فانه ان غير هتلر وأعوانه رقعة الشطرنج اليوم فسيعيدها التاريخ سيرتها الأولى غداً . فالجرمانية سترى نفسها مضطرة الى التوسع فى هاتين الناحيتين اذا أقفل فى وجهها باب الغرب

لذلك كان فى رأس المصلحة الروسية أن تضعف ألمانيا وليس بينها وبين الحلفاء نزاع جدى مباشر فان كانت هذه الحقيقة ظاهرة لستالين بقى على الحياد وتربص بالزمن حتى تدور الدائرة على العنصر الجرمانى فيخلو للصقالبة وجه أوربا الشرق الجنوبى

وأما اذا كان بسمارك آخر هذا الزمان قد أقنع ستالين بالانكماش فى الصين وتوجيه المطامع الى التوسع فى البلقان بغية الوصول الى الدردنيل فيكون قد غرر بهؤلاء الصقالبة ووضعهم أمام نيران الترك والايطاليين والبلقانيين من ناحية وأمام أمم البلطيق من ناحية أخرى فيخدم الحلفاء من حيث لا يدرى

فاذا آنس الروس من أنفسهم قوة تغرى بهم أن يمتدوا الى البلقان وقفت لهم ايطاليا تؤيدها شعوب البلقان ووقفت لها تركيا بعد كل ذلك تدافع عن كيانها

فالروس بين أمرين : اما حياداً الى النهاية وهذا لا يضير الحلفاء شيئاً ، أو وقوفاً الى جانب ألمانيا فيدفعون ايطاليا والبلقان وتركيا الى جانب الحلفاء وهذا أيضا فى مصلحتهم

(٣) وموقف تركيا

عند ما كتبنا فى مثل هذا الموضع من « الهلال » ما كتبناه عن تركيا منذ ستة شهور ظن الكثيرون أننا نبالغ فى قيمة تركيا وأننا نغالى فى فائدة اتجاهها الى الغرب نابذة الماضى مختارة الحضارة الغربية قدراً زجت به ما تملكه من قوة مادية ومعنوية

ولكن الضجة البهيجة التى قابل بها العالم توقيع الميثاق التركى الانجليزى الافرنسي أظهرت للناس أن تركيا أصبحت عاملا أساسيا فى توجيه السياسة العالمية فى هذا الجزء من الشرق وأنها لاتزال الديدبان الواقف فى حراسة الامبراطورية البريطانية على بابها الشرق وأنها فى حراستها هذا الباب تحرس استقلالها هى وتحرس استقلال بلدان شرق البحر المتوسط أيضا . فان كيان الامبراطورية البريطانية ومصلحتها الحقيقية قائمان على استقلال البحر المتوسط وان استقلال هذه الدول الكبيرة منها أو الصغيرة لا يتفق مع سيادة ألمانية بله سيادة روسية

فموقف تركيا من روسيا هو موقف ايطاليا من ألمانيا ومن روسيا أيضا . كلاهما لا ترى لها مصلحة فى قوة طامعة على حدودها

فان صحت أقوال ستالين التى يرددها فى كل اجتماع يعقده مجلس السوفيات أنه لا يريد الا السلام وأنه لا مطمع له فى التعدى ولا يريده وأنه لا يرغب الا فى المعاملة التجارية مع جيرانه وأن ليس من مصلحة السوفيت أن تخوض حربا — ان صحت هذه الاقوال فلا خوف من البلاشفة ، وان لم تصح وكان موقفهم موقف كاذب يتحين الفرصة للانقضاض على الفريسة فلن يغنيهم هذا عن النصر شيئا فانهم ان أظهروا غير ما يقولونه فالجيش التركى تؤيده الحليفتان القويتان انجلترا وفرنسا كفيل برد مطامع الروس وكيدهم تنصره كتلة بلقانية يحسب حسابها وقد تؤيده ايطاليا أيضا اذا سهلوا لها سبيل الاتفاق

فأنت ترى أن موقف تركيا عامل من عوامل انتصار الحلفاء سواء أبقيت ألمانيا وحدها تقاوم العالم أم انضمت اليها روسيا وأن الاتراك باتجاههم غربا وتعليقهم مصيرهم بمصير أنصار الحرية والحضارة الغربية قد أتاهم التوفيق وضمنوا لأنفسهم موقفا شريفا عند اقرار السلام

(٤) وموقف مصر

كذلك موقف هذه الدولة الفتية مصر . فانها على ضعفها أن تقاوم المعتدين وحدها عسكريا فانها قوية بحليفتها قوية بايمانها بانتصار دولة الحق والعدل على دولة الفاتحين الجائعين الظالمين

وان فى خطاب العرش الذى سمعناه فارحين توجيها صريحا للسياسة المصرية تأخذ مكانها مثل تركيا فى رقعة المدنية الغربية رامية بنصيبها فى بحر الحظ القائم على تأبيد الحرية وضمان العيشة المستقلة المتحضرة للشعوب الصغيرة

سامى الجريدينى

كيف تنظم حياتك

فى أيام الحرب

كل رجل وكل امرأة يتساءل فى هذه الايام العصيبة : كيف انظم حياتى وأين أوجه مستقبلى ؟ وقلما يوفق الى اجابة . ولكن فى وسع علم النفس أن يهيىء للرجل والمرأة فلسفة تهون عليهما ما يلقيان اليوم من الصعاب ، فيستمتعان بقسط من هدوء الاعصاب . وهذه هى النصائح التى يقدمها علم النفس :

١ ـ لا تخادع نفسك

من العبث أن تتخذ سياسة النعامة فتأبى أن تواجه الوقائع القائمة . بل يجب أن تطلق نفسك من اهوائها وأوهامها التى تصرفك عن مواجهة الواقع

ومهما خادع الانسان نفسه فلا بد أن يجابه الحقيقة أخيرا ، فخير لنا أن نواجهها من بادىء الامر لنتأهب لتذليل الصعاب . تكن واضحا فى تفكيرك أمينا مع نفسك

٢ ـ لا تكبت مشاعرك

هناك من يبدون كأنهم سموا عن الطبيعة البشرية وخلصوا من نقائصها ، فهم يفاخرون بأن الخوف لا يعرف اليهم طريقا وبأنهم وهبوا من الجرأة ما تتحطم دونه جميع الاهوال . فهؤلاء هم أكثر الناس عناء وشقاء فى هذه الايام ، لان قلوبهم كسائر القلوب تستشعر الخوف والرهبة ، ومع هذا يكتمون شعورهم ويكبتونه فيضطرم فى نفوسهم كأنه البخار المحتبس فى المرجل الفائر . والواقع أن كل انسان مهما بلغ من الجرأة يحس الخوف اذا وجد ما يدعو اليه ، أما ما يميز الشجاع من الجبان فهو أن ذلك يتغلب على خوفه ويتجنبه وهذا يبقى عليه ويستسلم لدواعيه . فليست الشجاعة ألا تشعر بالخوف ، وانما الشجاعة ان تتغلب على الخوف الذى ينتابك

٣ ـ اعمل عملا انشائيا

اذا تبينت مخاوفك فقاومها وأخضعها بطريقة ايجابية أو ملموسة . فاذا كنت فى ذعر من غارات الطائرات فانشىء مخبأ تأوى اليه . واذا كان خوفك على اولادك هو ما يقض

مضجعك فدبر لهم مكانا آمنا وهيىء لهم وسائل النجاة . وحذار من أن تمضى الايام والليالى كسيرا حسيرا دون أن تعمل شيئا يذهب عن نفسك جزع الموقف ويطلق نفسك من دواعى اليأس والقنوط

٤ - تعاون مع الناس

التعاون ميسور فى أيام الحرب اذا أخذت نفسك بأداء أى واجب قومى ، كالعمل لجمع التبرعات للقتلى والجرحى أو فى جمعيات الاسعاف والوقاية من الغارات . وهذا التعاون يشعر الناس انهم اخوة يحمل بعضهم بعضا فى الشدائد . وليس أقسى على الانسان فى أيام الشدائد من أن يجد نفسه وحيدا منعزلا لا يستطيع أن يلتمس معونة ما . وفى وسع المرء أن يستشعر شيئا من التعاون حتى ولو اكتفى بأن يوثق صلات الالفة بينه وبين زملائه وجيرانه ممن كان يتجافاهم فى وقت السلم والرخاء

٥ - ساعد الآخرين

اذا قصرت تفكيرك على نفسك ، فثق بأن مشاكلك ومخاوفك تكثر وتزداد ، وهذه قاعدة من قواعد الحياة تسرى وقت الحرب كما تسرى وقت السلم ، فكلما نذر المرء نفسه للتضحية وجدها بمنأى عن الاخطار وفى مأمن من المتاعب . فلا تضن بنفسك خوفا وفرقا ، بل انظر حولك وتساءل : ماذا استطيع ان أفعل لأنجد هذا المأزوم أو لاواسى هذه الارملة ؟ ثم تقدم سريعا الى معاونتهما قدر ما تستطيع ، ذاكرا دائما أن الناس جميعا أعضاء فى جماعة واحدة ، فما يصيب أحد أفرادها يعود عليه ، ان خيرا فخير وان شرا فشر

٦ - ولتكن لك غاية معروفة

اليأس والتهاون عدوان يقفان للمرء بالمرصاد فى أوقات الشدائد . ولا سبيل الى مقاومتهما الا بأن نرسم أمام أعيننا هدفا معينا نأخذ انفسنا باصابته مهما لاقينا من الصعاب . اما اذا سرنا فى الحياة دون غاية نسعى اليها ، فاننا نفقد كل أمل فيها وكل قدرة عليها

ولكل انسان غاية تختلف حسب ملكاته وظروفه ، فنابليون كان يرمى الى السيطرة على الانسانية كلها ، ولنكولن كان يريد أن يرى البشر جميعا محررين من قيود الرق ، طليقين من اصفاد الاستعباد ، والقديس فرنسيس كانت غايته بث الحب فى قلب كل انسان لاخيه الانسان وللحيوان ايضا . وهكذا تختلف أغراض الناس ، فمنها ما يعود بالخير على صاحبه وعلى سواه ، ومنها ما يورد الناس موارد الشقاء والتهلكة وقد ينتهى بصاحبه الى أسوأ مصير . فيجب أن يتذرع كل منا فى ايام الحرب بغرض من شأنه ان يخفف بأساء الحرب التى يصلى نارها الآن ، ومن شأنه ان يجنب ابنه حربا أخرى تشب نارها فى المستقبل

(خلاصة مقال للدكتور هوارد فيليب فى مجلة ذى سيكلوجست)

من مناظر الثورة الفرنسية الكبرى

قضية القضاء الثوري
أمام المحكمة الثورية

بقلم الاستاذ حسن الشريف

ليست قضية النائب العام فوكييه تانفيل قضية موظف أساء استعمال سلطته أو تجاوز حدود هذه السلطة فجيء به أمام العدالة ليحاسب على ما اجترحت يداه ، وانما هي قضية القضاء في عهد الطغيان ، وقد تجلت فيها النواحي الحالكة من ذلك العهد الاسود ، فتبدت للعيون من خلالها مآس بشعة وفواجع مروعة كانت قد بقيت خافية على الناس وراء ستار زائف من العدل والقانون

انتهى عهد الارهاب بسقوط الطاغية روبسبيير ، وكان طبيعيا أن يكون لاهوال ذلك العهد أثرها ورد فعلها في نفس الشعب الذى قاساها ثلاث سنين . لذلك لم يكتف الشعب بقطع الرؤوس التي دبرت تلك الاهوال،بل أبى الأ أن يلحق بها الايدى التي عاونت على تنفيذها . ولعمرى من تكون تلك الايدى اذا لم تكن هي قضاة المحكمة الثورية ومحلفيها ونائبها العام

ففى اليوم الاول من شهر أغسطس سنة ١٧٩٤ قرر المجلس الوطني محاكمة هؤلاء الناس جميعا ، ففر منهم من وجد الى الفرار سبيلا ، وبقى أربعة وعشرون زجوا في غيابة السجن الى أن يأتي اليوم الذين يذوقون فيه تلك الكأس التي طالما أداروها مترعة على آلاف وآلاف من الابرياء والمظلومين

ولقد أمضى فوكييه تانفيل في السجن ثمانية أشهر تم خلالها تأليف المحكمة الثورية الجديدة تأليفا يضمن حسن تطبيق العدالة وأخذ المتهمين بالحق في حدودالقوانين ، وتعديل قانون المرافعات تعديلا يكفل حرية الدفاع وأمن الشهود وسلامة الاجراءات . فلما ظن أولو الامر أنهم استكملوا شروط المحاكمات الصحيحة وأقاموا حول العدالة سياجا قويا من الضمانات والقوانين ، قدموا للمحاكمة ثمانية من قضاة المحكمة الثورية القديمة وخمسة عشر من محلفيها والرجل المرعب الذى كان يؤدى أمامها مهمة النائب العام

وفي الثامن عشر من شهر مارس سنة ١٧٩٥ جيء بفوكييه تانفيل وبزملائه الثلاثة والعشرين وأجلسوا على مقاعد المتهمين . واذا كان النائب العام السابق قد ظنأن محاكمته

لن تستغرق أكثر من يوم أو بعض يوم جريا على الاجراءات المقتضبة السريعة التى ألفها يوم كان يقبض على الناس فى الصباح فيلقون حتفهم على النطع آخر النهار فان ظنه قد تغير اذ أبصر وهو فى طريقه الى قاعة الجلسات أربعمائة وعشرين من شهود الاثبات جاءوا كلهم ليثقلوا كاهله بشهاداتهم على ما اقترف من الآثام

وبعد فسبحان مبدل الاحوال يغير ولا يتغير وما لحال غير حاله دوام !

تلك قاعة الجلسات الكبرى فى المحكمة الثورية لا تزال كما عرفها فوكيه تانفيل : فالجدران هى الجدران والمقاعد هى المقاعد والجنود والحراس هم الجنود والحراس ، ولكن الادوار انعكست والاوضاع انقلبت فأصبح صاحب الدعوى متهما ووقف القاضى الى جانبه فى قفص الاتهام !

ذلك رجل كان قضاء الارهاب يتمثل في شخصه المرعب فلا تكاد العيون تشخص الى هيته حتى ترتد عنها فزعا ورهبة ، رجل كان الموت كامنا بين شفتيه فاذا انفرجتا انساب الموت من بينهما كلمات تحصد الرؤوس وجملا تتخطف النفوس ، رجل كانت طلعته رمز الفناء وشارة الهلاك وعنوان العدم ، لم يقع بين برائنه مجرم أو بريء الا حسب فى عداد الهالكين ، وها هو ذلك الرجل الهائل المخيف يجلس جلسة المتهم الذليل طائر اللب منخوب الفؤاد زائغ البصر ، يجيل الطرف فيما حوله فلا يصادف وجها صديقا ولا يسمع كلمة معزية

وأولئك قضاة ومحلفون هانت عليهم الارواح ورخصت لديهم الاعمار ، فكانوا يرسلون من أفواههم أحكام الاعدام هيلا وهيلمانا كأنما أصابتهم جنة السفك فصيرتهم يغسلون أيديهم من الدم بالدم ويسترون جرائم القتل بالقتل ويؤيدون الظلم بالظلم ، وها هم أولاء اليوم يجلسون حيث كانت ضحاياهم تجلس بالامس ، ويستمعون الى التهم تنهال عليهم من كل صوب فيتساءلون كما لو كانوا مجانين عادوا الى الصواب : أحقا فعلنا هذا وياويلنا كيف فعلناه ؟!

فتحت الجلسة برياسة القاضى « ليجير » وقرأ الكاتب ورقة الاتهام وتلا نصوص القانون التى تعاقب من شهد زورا أوحاول تضليل العدالة ، ووجه الرئيس الاسئلة التمهيدية ، فذكر كل من المتهمين اسمه وسنه ومهنته قبل الثورة وفى أثنائها • ثم أخذت المحكمة فى سماع الشهود مبتدئة بأقوال طائفة منهم سميت « المخبرين » وقد شهد أولئك المخبرون بأن النائب العام السابق كان يدسهم بين المسجونين فيعاشرونهم كأنهم منهم ويتحدثون اليهم ويتحايلون عليهم حتى يلتقطوا من أفواههم ما يصلح لان يكون حجة عليهم أو على غيرهم من المتهمين فينقلوه الى فوكيه تانفيل الذى لا يتردد فى أن يتخذه دليلا على اجرامهم يرسلهم به الى ساحة الاعدام

ولقد جاءت هذه الشهادة بمثابة مفاجأة سيئة للجمهور ، اذ لم يكن أحد منه ليتوقع أن يسمع مثل هذه الفظائع تروى عن هيئة قضائية مفروض انها أرفع من أن تنزل الى هذا

الدرك السافل من الاجرام • بيد أن هذا الجمهور لم يلبث أن أدرك أن هذه الشهادة ما هي الا مقدمة قذرة لسلسلة من المآسى والشناعات ، وان تلك الهيئة القضائية انما كانت عصابة من القتلة والسفاحين لم تتورع عن ارتكاب أقبح المنكرات باسم الحرية والاخاء والمساواة ، وان هذه الدار التى جعلت لتكون حرما مقدسا للحق وحصنا منيعا للعدالة قد انقلبت مسرحا للظلم وشتى صنوف المحرمات ، وان تلك الثورة النبيلة التى شبت لتحقيق أسمى المعانى وأشرف الاغراض قد انتهت مقاليدها الى أيدى أولئك الطغاة فاتخذوها أداة لخدمة الاقوياء ووسيلة لقضاء أحط اللبانات

وتحولت نظرات المقت والاشمئزاز الى المتهم الاكبر فوكييه تانفيل فاذا هو مكب على قراءة حزم ضخمة من الاوراق ، وقد أسقم السجن بنيته وأنهك الهم قواه ، فبدا للناظرين بائسا تعسا لا تنسجم سحنته الجهنمية مع نظراته المنكسرة الحيية ولا يتكافأ نشاطه الجم وذلك الحمل الهائل من التهم الذى ينحط عليه فيبهظ كتفيه

وتوالت الجلسات وتعاقب الشهود فيها ، كل منهم يدلى بواقعة يعرفها أو بمعلومات توضح حادثة معينة • وكان الواحد منهم يتقدم ليؤدى شهادته فيصوب بهذه الشهادة الى المتهمين ضربة يظنها السامعون القاضية ، فاذا جاء الذى بعده ظهر ان ما لديه أدهى وأعظم•وهكذا كلما مر شاهد حسب الجمهور أن الشناعة لا تستطيع أن تذهب الى أبعد مما يرويه فاذا الشناعات تعظم فى الشهادات المتتالية وتكبر وتتضخم حتى لتبعث الحزن والتقزز الى نفوس النظارة ، فتبكى النساء ويصيح الرجال قائلين : « هذا كثير ، هذا فظيع »

تقدم أحد الشهود وقص الحادثة الآتية :

« كنت أزور من وقت لآخر ديماس رئيس المحكمة القديمة ، وحدث أن كنت بمكتبه لما دخل عليه أحد الحجاب وأعطاه ورقة مطوية نشرها وقرأ ما فيها ثم تبسم وناولنيها فاذا فيها ما يأتى :

« أيها السفاح الدامى والقاتل البشع ، بل أيها الوحش المفترس آكل لحوم البشر • لقد أعدمت أهلى جميعا وها أنت ذا تتهيأ لارسال بعض أصدقائى الى الموت ، فخير لك أن تجعلنى فى عدادهم لانى سئمت الحياة وعافت نفسى سكنى الارض التى تحمل رجلا مثلك انى أشاطر جميع المتهمين الذين يمثلون أمامك اليوم كل آرائهم وكل عواطفهم ، فهيا ارسلنى الى النطع لالحق بأهلى الاعزاء » وفى نهاية هذه العبارات امضاء الكونت فلورى

وفى هذه اللحظة دخل النائب العام فوكييه تانفيل ، فأخذ الرئيس الورقة من يدى وأعطاه اياها فقرأها وداعب ذقنه بأصابعه وقال : « ما لهذا الابله يتعجل الموت ؟ سيكون له ما يريد » وأمر فى الحال بالقبض على الرجل • وفيما هو يهم بالخروج نظر الى الرئيس مبتسما وقال : « سأحشره فى خبزة اليوم » والخبزة فى لغة المحكمة الثورية هى فئة المتهمين الذاهبين الى المقصلة

« وخرجت وراء النائب العام الى قاعة الجلسات لأرى ما سيكون من أمره فرأيته

يطلب من المحكمة ضم خمسة أسماء الى المتهمين الماثلين أمامها (وقد كان عددهم تسعة وأربعين) فوافقت المحكمة على هذا الضم • وجيء بالمتهمين الجدد وبينهم الكونت فلورى فسألته المحكمة ما اسمه وما سنه وما مهنته ، وبهذه الاسئلة انتهت القضية والتحقيقات والمرافعات وحكم عليه بالاعدام • ولا زلت حتى اليوم أسائل نفسى ما علاقة رجل شتم رئيس المحكمة الثورية بقضية أناس متهمين فى قضية أخرى حتى يحكم عليه معهم بالاعدام »

وتقدم شاهد آخر وهو أحد محضري المحكمة واسمه تريبيه وقال :

« اتهمت المرأة فوكيير بالاعتداء على بعض عساكر البلدية فقبض عليها ووضعت الاختام على بيتها وقدمت الى المحاكمة ، فزعمت ان الواقعة المعزوة اليها مختلقة من أساسها وانها كانت غائبة عن باريس فى اليوم الذى يدعى النائب العام ان الواقعة حدثت فيه • وقالت ان فى بيتها ورقة تثبت صدقها ، وطلبت من المحكمة أن توفد من يفض الأختام ويأتى بهذه الورقة التى تكفى وحدها لاثبات براءتها • وأجابت المحكمة رجاء المتهمة وأوفدتنى فى هذه المهمة ، فذهبت وبحثت بين الاوراق حتى عثرت على الوثيقة المطلوبة ، فلما عدت بها علمت أن الحكم قد صدر باعدام المرأة فوكيير وانها فى الطريق الى المقصلة • وهكذا لم يشأ القضاة أن يتريثوا حتى تستحضر المتهمة دليل براءتها ، أو لعلهم نسوا أنهم أمرونى باستحضار هذا الدليل فقضوا عليها بالموت وراحت ضحية هذا النسيان أو تلك العجلة »

وهنا نهض فوكييه تانفيل وقال : « ••• وهل تسألوننى عن خطأ فى الاجراءات وقع فيه القضاء ؟ » فأجابه المدعى العام : « بل نحاسبك على تقصيرك فى تحقيق القضية وتهمك بالاستهتار بأرواح الناس الى حد جعلك لا تحب أن تحمل نفسك مشقة استبانة الحق من الباطل » فصاح فوكييه : « ولكنكم تنسون قوانين عهد الارهاب وتظنون أن اجراءات المحكمة الثورية القديمة شبيهة باجراءات المحاكم العادية وهذا ظلم عظيم » فاعترضه المدعى العام قائلا : « نعم لقد كانت قوانين ذلك العهد قاسية واجراءاته طائشة ، ولكنك كنت تزيدها بسوء تصرفاتك قسوة وطيشا • لقد كان فى استطاعتك أن تلطف بشيء من الهوادة والحكمة شيئا من صرامة القضاء الثورى وأن تعاونه على توخى العدل فى الاحكام والرحمة فى التنفيذ ، ولكنك أبيت الا أن تكون أداة بطش وفتك وتنكيل »

وكان فوكييه رجل قانون يعرف مبلغ احترام القضاة لقوة الشيء المحكوم فيه ، فكان يتحصن وراء هذه النظرية أو يتخذها درعا ويقول : « اذن فأنتم تحاسبوننى على أحكام أصدرتها المحكمة وتحاكموننى كما لو كنت قاضيا ونائبا وجلادا • لقد كانت لى وظيفة معينة وكنت قائما بمهمة محدودة فحاسبونى على ما اقترفت فى حدود هذه المهمة أثناء قيامى بتلك الوظيفة ولا تخلطوا بين مختلف السلطات ومختلف الاختصاصات • أما اذا أبيتم الا أن تجعلوا من هذه القضية قضية المحاكمات الثورية كلها وتلقوا علينا تبعة المشرعين

والقضاة والمنفذين فخير لكم ولنا أن تريحونا وأن تريحوا أنفسكم وتحكموا علينا من الآن »

أما باقي المتهمين الذين يجهلون القانون ولا يعرفون وسائل الجدل الفقهى فكانوا يدافعون عن أنفسهم بانكار ما ينسب اليهم أو بالاحتماء بالقوانين التى كانوا يطبقونها أو بالظروف التى لابست قيامهم بمهمة القضاء . فكان أحدهم يصيح : « ضعوا أنفسكم فى مكاننا وألموا بالظروف التى كانت قائمة اذ ذاك ، وقولوا لنا ماذا كنتم تفعلون» فيجيبه المدعى العام : « كنا نؤثر الموت على ارتكاب تلك المظالم » فيضج الجمهور هاتفا : « مرحى مرحى هكذا ينبغى أن يكون القضاء »

وينهض القاضى السابق سيلييه ويقول : « لقد كنا هنا آلات نؤمر فنطيع ، ولو فعلنا غير ما فعلنا لقادونا الى المقصلة كغيرنا من الذين كانوا يسمونهم الخونة والرجعيين » فيهب الجمهور في وجهه صائحا : « اخسأ يا قاتل » فيتجه الى هذا الجمهور ويقول : « لقدتغير مزاج الرأى العام فى هذه الايام . أما الذين كانوا يختلفون الى هذه المقاعد قبلكم فكانوا يرجموننا بالحجارة لو أبدينا شيئا من الرحمة والتسامح »

ويسأل المدعى العام المحلفين المتهمين : « كيف تسنى لكم أيها الناس أن تنظروا فى أمر ثلاثين وأربعين وخمسين متهما فىفترة لا تتجاوز نصف الساعة؟وكيف طاوعتكم ضمائركم على أن تستهينوا برقاب المتهمين كل هذه الاستهانة ؟ » ثم يوجه الخطاب الى المحلفين الجالسين ويقول : « لقد مضى عليكم شهر أيها المواطنون وأنتم تنظرون فى هذه القضية ، فهل تشعرون ان عقولكم قد استنارت وان ضمائركم استراحت الى الحكم ؟ » فيجيبه المحلفون : كلا . فيستطرد متسائلا : « اذن بأى عقول وبأى ضمائر كان هؤلاء الناس يرسلون المتهمين الى الموت عشرات ومئات بعد تحقيق لا يتناول لباب الموضوع وأسئلة لا تمس جوهر القضية ؟ » فيقف المتهم رينودان ويقول : « كانت الاحوال تقتضى ذلك وكان قانون المرافعات يجيزه،أما اليوم فقد تغيرت الاوضاع وصار مستنكرا ما كان بالامس سائغا مشروعا »

ويتعاقب الشهود أمام المحكمة فيقرر أحدهم أن أخاه المدعو ديسيل وقف أمام المحكمة الثوريةمتهما بتهمة لايعرفها فسأله رئيسها سيلييه : «ما الذى تعرفه عن مؤامرة السجون؟» فدهش المتهم لهذا السؤال وسأل الرئيس بدوره : « ماذا تعنى بمؤامرة السجون ؟ » فقاطعه الرئيس قائلا : « ما كنت أنتظر من مثلك غير هذا الانكار ... ألست تنتسب الى النبلاء وتحمل لقب الفيكونت ؟ » قال : « كانوا قبل الثورة يلقبوننى كذلك وقد نزلت عن هذا اللقب » فقال الرئيس : « فى هذا كفاية » وحكم على المتهم بالاعدام

ويقرر شاهد آخر أن رجلا اسمه كارت جيء به متهما مع طائفة من أناس لم يرهم من قبل ، فلم توجه اليه المحكمة سوى سؤال واحد وهو : « ألم تكن وكيل الاميرة مارسان فى ادارةأعمالها ، وهل لم تعاون أولاد هذه الاميرة على الهجرة من فرنسا ؟» فأجاب :

« نعم كنت فى خدمة سيدة تدعى مدام مورسان لا مارسان • ولكن هذه السيدة لم تكن أميرة ولم يكن لها أولاد حتى يقال انى عاونتهم على الهجرة » وكان القضاة والمحلفون فى شغل عن اجابة المتهم فحكموا عليه بالاعدام ونفذ الحكم قبل الغروب

وهذا شاهد يقول : « ان القس بنيار اتهم بالتردد على بعض الاشراف والنبلاء فجيء به ليحاسب على هذه الجريمة • فلما سئل فى ذلك أجاب : « نعم حدث لى أن اختلفت الى بيوت ذوى اليسار ، وهذا أمر يقتضيه واجبى ، فأنا قسيس ومن المفروض على أن أجمع الصدقات من الاغنياء لأوزعها على الفقراء •••• » فقاطعه رئيس المحكمة ساخرا وقال : « أليس لديك ما تعتذر به سوى هذا الكلام السخيف ؟ » فقال : « لا » فأشار الرئيس الى الحراس وقال : « خذوه » ولم تغرب شمس ذلك اليوم حتى لقى القس بنيار حتفه بسكين المقصلة »

وهنا تتحرك كبرياء أحد المحلفين السابقين فيهيب بالقضاة : « إنكم بقبولكم سماع هذه الوقائع انما تشجعون على التشهير بهيئة قضائية كهيئتكم هذه وتسيئون الى سمعة نظام حكم ارتضاه الشعب وأيدته البلاد » فيجيبه الجمهور بعاصفة من الضحك تحبس بقية الكلام فى فمه ، فيتحول ناحية النظارة ويصيح : « لقد كنتم فيما مضى تصفقون لاحكامنا فما بالكم اليوم تضحكون وتسخرون ؟ »

ثم يستأنف الشهود سرد المآسى ، وينصت المتهمون الى هذا السيل المتواصل من مخازيهم وفظائعهم فى دهشة لا تقل عن دهشة الجمهور كأنهم يطلعون على هذه الاشياء لاول مرة ، أو كأنهم اذ فعلوا ما فعلوه كانوا يعملون بلا وعى ولا ادراك فلم يعلق بذاكرتهم منه شيء • والواقع ان أولئك التعساء كانوا يعملون كآلات صماء : يقدم اليهم فوكييه تانفيل شغل اليوم فينكبون عليه فى لهفة كموظفين لا هم لهم سوى ان ينجزوا مهمتهم اليومية لينصرف كل منهم بعد ذلك الى الشأن الذى يعنيه

ويظهر ان فوكييه الذى كان يحسب نفسه معصوما من الخطأ لم يكن أكثر منهم ادراكا لما يجرى فى نيابته ولا الماما بطريقة سير الاعمال فى دائرة اختصاصه • فهذا هو المدعى العام يفاجئه بأوامر قبض تحمل توقيعه وليس عليها اسم الشخص المراد القبض عليه ، وبأوامر أخرى كشطت منها أسماء واستبدل غيرها بها ، وبعرائض اتهام حذفت فيها أسماء المتهمين أو كتبت بدون ذكر أسماء • وعندئذ يثور النائب العام السابق ويقول : « أرونى هذا » فيطلعه خليفته على بعض هذه الاوراق فيحتقن وجهه وتنقبض أساريره ثم يهز كتفيه ويقول : « هذا اهمال من الموظفين »

وجاءت امرأة فهزت بشهادتها أعصاب الناس هزا عنيفا اذ قررت انها اتهمت هى وزوجها وأمها بتهمة التفوه بكلمات اعتبرت اذ ذاك ماسة بكرامة الحاكمين • ولكن السلطات أخطأت فى تنفيذ أمر القبض وبدلا من أن تقبض على الزوج البالغ من العمر اثنين وخمسين

عاما قبضت على أخيها الصغير الذى لم يتجاوز السابعة عشرة ، ويظهر أن النائب العام والقضاة والمحلفين لم يقرأوا أوراق القضية ، بل ولم ينظروا الى وجوه المتهمين ، فلم يتبينوا أن الصبى الماثل أمامهم لا يمكن أن يكون هو الزوج المتهم ولا أن يكون زوج هذه المرأة البالغة من العمر ثمانية وأربعين عاما . وقد حكمت المحكمة عليهم مع غيرهم بالاعدام ولولا انها كانت حاملا والتمست تأجيل تنفيذ الحكم فيها حتى تلد للحقت بأمها وأخيها . ثم قدر لها النجاة لانه كان لدى فوكييه تانفيل من مهام كل يوم ما ينسيه شئون الامس ، فنسيها ، وهكذا كتب لها أن تعيش

وتقدمت امرأة أخرى اسمها مدام مايبه وقالت :

« أنا واسمى مسجل فى سجل الاموات ... وهذه شهادة وفاتى رقم ٢٣٢٣ وقد ذكر فيها أنى أعدمت فى اليوم الثانى من شهر فلوريال . وتتلخص قصتى فى أنى اتهمت بالتآمر على سلامة الجمهورية أو بشيء آخر من هذا القبيل فقبض على وأودعت سجن سان لازار ، وفى صبيحة يوم أقبل المحضرون والجنود علينا وجعلوا ينادوننا بأسمائنا ، فلما نادوا اسمى وقالوا : « المرأة مايبه » رأيت سيدة تنهض وتقول : « ها أنا فسكتت ولبثت أنتظر ماسيكون واثقة من أن دورى آت لا ريب فيه . ولكن المحضرين والجنود ذهبوا بالذين أخذوهم منا وبقيت أنا فى السجن حتى أفرجوا عنى بعد ثورة شهر ترميدور وانتهاء عهد الارهاب وقد استعلمت بعد ذلك فعلمت أن سميتى لم تكن هى المتهمة المقصودة ، وانما قبض عليها لتشابه الاسمين فراحت ضحية هذا التشابه اذ حكم عليها بالاعدام . وقد تسلم أهلى شهادة وفاتى وظلوا يلبسون ثياب الحداد حتى عدت اليهم سالمة أذكر بالخير تلك المسكينة التى فدتنى بنفسها وهى لا تعلم »

ولم يكد الجمهور يجفف ما فيه من أثر سماع تلك الفاجعة حتى تقدم فتى فى الثانية والعشرين من عمره اسمه فرانسوا لوازل وقال انه سجن مع أبيه وأمه فى سجن سان لازار لتهمة لا يزال يجهلها حتى اليوم . فلما كان الصباح وحان وقت أخذ المتهمين الى المحكمة ناداه المحضر باسمه فأيقن انه ذاهب الى الموت ، وأراد أن يعانق أباه ويودعه الوداع الاخير ، فهرع اليه ليرتمى فى حضنه ولكن الجنود حالوا بينهما وانتهره أحدهم قائلا : « ليس هذا دورك فاذهب الى مكانك » ولشد ما كانت دهشته عندما أبصر الحراس يجذبون والده من ذراعه ويذهبون به مع طائفة كبيرة من المسجونين . ولما وصل الاب الى المحكمة وتسلم عريضة الاتهام اتضح له ان المطلوب ابنه فرانسوا لا هو ، ولكنه لم ينفوه بكلمة وآثر أن يفدى ابنه وتقدم أمام المحكمة مع غيره من المتهمين وكانوا أربعة وثلاثين . ونادى الكاتب المتهمين بأسمائهم ، فلما صاح : « فرانسوا لوازل» أجاب الوالد : « ها أنا » ، ولم يتبين الكاتب ولا المحلفون ولا القضاة ولا رجال النيابة أن هذا الشيخ الاشيب الذى تجاوز الستين لا يمكن أن يكون هو الفتى فرانسوا المكتوب أمام اسمه فى السجل انه فى الثانية والعشرين . وحكم على الأب بالاعدام فيمن حكم عليهم . وبينما هو يتهيأ

للذهاب الى المقصلة أفضى الى أحد زملائه فى السجن فقال : « ان هؤلاء الناس الذين حكموا علينا وحوش أو مجانين ويظهر أن ليس لديهم من الوقت ما يمكنهم حتى من النظر الى وجوه المتهمين . انهم يريدون رؤوسا تقطع ودماء تسيل ولا يبالون أهي رؤوس ودماء مجرمين أم رؤوس ودماء أبرياء . على اننى مغتبط بهذا الخطأ فقد استوفيت حظى من الحياة وأرجو أن يتاح لابنى الشاب الخلاص من هؤلاء الطغاة » وفى اليوم التالى هبت ثورة المجلس العرفى الوطنى على روبسبير فقضت على عهد الارهاب وأفرج عن الفتى لورزول . وها هو ذا يقص على أسماع المحكمة نبأ التضحية النبيلة التى أقدم عليها أبوه فيستمع اليه القضاة والمحلفون والنظارة فى تأثر عميق حتى لا يتمالك الرئيس فيخرج منديله ويجفف به عينيه ، وحتى لا يتحرج بعض المحلفين فتنهمر الدموع من مآقيهم ، ويسود القاعة صمت رهيب لا يسمع خلاله سوى نحيب النساء وهن يجهشن بالبكاء عندما يختتم الفتى شهادته ويقول : « كل انسان مدين لأبيه بالحياة مرة أما أنا فمدين بها لأبى مرتين »

واستغرقت شهادة الشهود أربعا وأربعين جلسة لم يشعر الجمهور ولا المحلفون طوالها بسأم ولا ملل لفرط ما كانوا يسمعون من الغرائب والمدهشات . ولقد ضيق أولئك الشهود الخناق على فوكييه تانفيل حتى جعلوه ينزل من علياء المناقشات القانونية والجدل الفقهى الى محاولات ساذجة يبرر بها سلوكه ويتحايل لاستدرار عطف المحكمة عليه واستجداء رحمة المحلفين به

ووقف المدعى العام واستعرض سيرة القضاء الثورى والمحكمة الثورية القديمة وبين كيف أن هذا النظام الذى وضع فى ظروف شاذة لحكمة وطنية سامية قد انقلب فى أيدى الطغاة والمستبدين أداة بطش وفتك وارهاق . ثم تناول سيرة كل من المتهمين على حدة وبين مبلغ اشتراكه فى الفظائع التى عرضت فى هذه القضية . وعاد فتناولهم جملة وقال :

« انتقلوا أيها المواطنون من هذه القاعة الى قاعة المحفوظات واغمضوا أعينكم وضعوا يدكم على أى اضبارة تصادفها فماذا تجدون ؟ - تجدون قضايا نظرت فى عجلة مروعة تدل على ان أولئك الناس لم يعنوا بقراءة ورقة ولا باستجواب متهم ولا بالتحقق من شخصية سجين ، ومع ذلك فقد أسفرت كل من هذه القضايا عن اعدام خمسين أو ستين متهما . فاذا ذكرتم ان هذه المجازر كانت تتكرر أربع وخمس مرات فى اليوم أدركتم ان أولئك الماثلين أمامكم لم يكونوا قضاة ولم يكونوا قساة وانما كانوا بلاء سلط على هذا الشعب المسكين وجائحة اجتاحت أعز أبنائه وكانت تتهدد الباقين لولا أن تداركهم لطف الله وشملتهم رحمة الاقدار

« حدث أيها المواطنون أن اتهمت امرأة بالتآمر على سلامة الجمهورية وحشرت فى زمرة من المتهمين أمام المحكمة الثورية ووقف فوكييه تانفيل ليطلب تطبيق حكم الاعدام عليهم أجمعين . ولكن محامى المرأة نهض يدافع عنها وفاجأ الاتهام والمحلفين بشىء لم يتبينوه أثناء التحقيق ولا أثناء المحاكمة ، وهو أن المتهمة خرساء صماء لا تتكلم ولا تسمع

فكيف تآمر وتدبر ؟ ان هذه المفاجأة وحدها تدلكم على ان المحقق لم يعن باستجواب المتهمة ولا بالاستفسار عن حالتها ، ومن ثم فهى تدلكم على قيمة تلك التحقيقات والاحكام التى تبنى عليها

• لم يسقط فى يد فوكييه تانفيل أمام تلك المفاجأة أيها المواطنون ، فلقد كان يعلم أن القضاة لا يغفلونه بشىء وان العدل أهون عليهم منه عليه • لذلك لم يتورع عن أن يجابه المحامى بهذه الحجة التى ستظل أضحوكة المنطق أبد الآبدين : « ان الناس يتآمرون برؤوسهم لا بألسنتهم ونحن نطلب رأس المتهمة لا لسانها » • وهل تعلمون بماذا حكمت المحكمة على هذه المتهمة الخرساء الصماء ؟ لقد حكمت عليها بالاعدام •••• »

وكان فوكييه تانفيل يستقبل هذا الوابل الشديد من الاتهام بوجه متجهم تفيض منه شرة نفسه ، ولكنه كان يحس أن الارض تهوى من تحت قدميه فيلجأ الى حجته التى لا حجة له غيرها فيقول : « لست المسئول عن كل ذلك وانما المسئولون هم أعضاء اللجان العليا فلماذا تتركون الرأس المدبر وتحاسبون اليد المنفذة ؟ لقد كنت أنفذ قوانين وضعتها هيئات رسمية ذات صفة أقرتها الامة ، فاذا كانت تلك القوانين ظالمة فاسألوا المشرعين الذين شرعوها والحكومة التى تولت تطبيقها • أما نحن فسيف الجلاد ، فهل تعاقبون السيف وتتركون الجلاد ؟ »

وبعد أن ترافع محامو الدفاع بما لا يخرج عن معنى الحجة المتقدمة ، اختلى المحلفون للمداولة وطالت خلوتهم سبع عشرة ساعة أعلنوا بعدها براءة ثمانية من المتهمين فأخلى سبيلهم فى الحال ، وادانة الباقين فجىء بهم ليسمعوا الحكم عليهم • وقد صدر هذا الحكم باعدامهم جميعا

***

أزفت الساعة الرهيبة واستيقظ المحكوم عليهم على ضوضاء الجند والحراس يروحون ويغدون فى أروقة سجن الكونسيير رجرى • وكان فوكييه تانفيل لطول عهده بتلك الأمور يعلم انها الضوضاء التى تسبق سوق المتهمين الى ساحة الاعدام ، فطلب ورقا وقلما وكتب : « ان ضميرى لا يؤنبنى على شىء ، فما فعلت سوى أن نفذت القوانين وأطعت الرؤساء الحاكمين • لم أكن قط شريكا للطغاة ولا صنيعة للظالمين وانما كنت موظفا مقيدا بقيود الانظمة القائمة والشرائع المرعية • وها أنا ذا أموت ضحية قيامى بواجبى وتفانى فى خدمة وطنى وستعلم الاجيال القادمة أنى برىء ومظلوم »

وكانت شمس الربيع قد بدأت ترسل أضواءها على باريس عندما تجمهرت جموع الشعب حول السجن وأخذت تهتف بسقوط المجرمين وتبعث من خلال قضبان النوافذ صيحات المقت ولعنات الاستنكار

وفتحت الابواب ودخل الجند والحراس والجلادون ومساعدوهم وأخذوا المتهمين من نواصيهم قصوا شعورهم وألبسوهم الثياب الحمراء ثم أركبوهم ثلاث عجلات ما اجتازت

بهم أبواب السجن حتى أخذت تخوض غمار الجماهير المتكاتفة على جانبي الطريق ، الهاتفة بقوة وبلا انقطاع : لتحي العدالة وليمت الظالمون

وكان فوكييه تانفيل قد استقل المركبة الاخيرة مع بعض زملائه ، وقد أحاط بها بضعة آلاف من رجال ونساء هم الذين غصت بهم السجون عشية مصرع روبسبيير وكانوا سيلقون حتفهم لولا أن سقط الطاغية فقدرت لهم النجاة • وجعل أولئك الموتورون ينفثون من صدورهم كل ما تمليه شماتة المظلوم بظالمه ويمطرون فوكييه من الالفاظ المهينة المحقرة ومن عبارات التشفى الشيء الكثير • فاذا أدار وجهه يمنة أهاب به البعض : ماذا فعلت بأبينا يا ظالم أو أين أمنا يا جبار أو أين أزواجنا يا طاغية ؟ واذا أدار وجهه يسرة بصق الناس عليه وصاحوا : ستلتقى البوم بضحاياك أيها العاتى ••• بلغ سلامنا لأبالسة الجحيم •• لا تنس أن تكاتبنا من جهنم •• الى التاريا فوكييه وبئس القرار

وكانت المجاعة فاشية فى باريس تلك الايام والفقر ضاربا أطنابه بين السكان والعسر قد عم الجميع • ولكن الحقد والتشفى أنسيا الناس جوعهم وفقرهم فخرجوا يمتعون أنظارهم برؤية الطغاة فى طريقهم الى الهلاك • ولقد حاول بعضهم أن ينقض على فوكييه ليمزقه وليمثل بجثته شر تمثيل ولكن حالت قوة الجند دون ما يريد • وسار الموكب الرهيب على هذا النحو حتى بلغ المقصلة المنصوبة فى الميدان • وهناك أنزل المتهمون وأوقفوا صفين عند سلم النطع وبدأت عملية التنفيذ

وكان الواحد منهم يصعد الدرجات خائر القوى مشتت العقل مضعضع الحواس ، فيمدد فوق اللوح ويربط به ثم يزج حتى يصير رأسه فى الفتحة فيحرك الجلاد اللولب فتهوى السكين من عل ويتدحرج الرأس ويسقط فى السلة • وقد لبث فوكييه تانفيل يشهد هذا المنظر المروع يتكرر خمس عشرة مرة حتى جاء دوره فارتقى السلم مغمض العينين ، وما أن أبصرته الجماهير فوق النطع حتى دوت فى الفضاء صيحة منبعثة من عشرات الآلاف من الصدور هاتفة : الى الجحيم يا ظالم ! فأجال الرجل طرفه فيما حوله وتمتم بكلمات لم يتبينها أحد • ثم ألقى على اللوح ولم تكن الا ثوان حتى مد الجلاد يده فأخرج الرأس من السلة وأداره على الجماهير وهو يقطر دما ، فعلت الصيحة مرة أخرى هاتفة : تحيا العدالة وتحيا الجمهورية •••

حسن الشريف

الاديب الفنلندي سيلانباء

الفائز بجائزة نوبل الادبية لسنة ١٩٤٠

كانت جائزة نوبل الادبية فى هذا العام كلمة تحية وتأييد أو عبارة عزاء ومؤاساة ، فقد منحت لاديب الامة التى أخذتها العزة بحقها والاباء لكرامتها ، فأقبلت على ساحتها تستشهد وتضحى ، أى منحت لعميد الادب الفنلندى الحديث فرانس اميل سيلانباء

وهو فنلندى خالص ولد فى سنة ١٨٨٨ من أسرة ريفية فقيرة، فأمضى صباه وشطرا من شبابه وسط الغابات وعلى ضفاف البحيرات . ولما تعلق بالادب لم يتخذ أستاذا يتأثره ويحاكيه بل راح يقرأ ويدرس ما يصادفه منفردا بتفكيره واختياره . ولهذا جاء اتجاهه مبتكرا ، وكان مركزه الادبى منفردا . وقد أصدر طائفة من القصص أولاها فى سنة ١٩١٦ واسمها « الحياة والشمس » ، وأعقبها بروايات كثيرة منها « وطنى العزيز » و « الذى يعيش على الارض » و « الاعتراف » . أما أشهر آثاره التى منح لها أسمى جائزة أدبية فقصة اسمها « ماتت فى صباها »

وتمثل هذه القصة فتاة ريفية نشأت فى يسر ورخاء ، ثم مات عنها أبوها وأمها بعد أن باعا أكثر ما يملكان ، فلجأت الى العمل فى احدى المزارع لتكسب عيشها ، ثم أقبل عليها الشبان ولكنها ظلت فى وحدتها تتأمل وتفكر وتعانى ، الى أن التقت بشاب من سنها ومن طبعها ، ولكن لم تلبث أن اضطربت الحياة حين اجتاحت الكتائب الروسية أرض فنلندا سنة ١٩١٧ ، فباعدت ما بين الحبيبين : فأما الفتاة فقد انتابتها نوبة عصبية من ذات الرئة ، وأما الفتى فقد وقف فى صفوف الجند فأصيب فى احدى المعارك وقطعت ذراعه . وهنا تبسط القصة فى رواية أحداث هذه الحرب وما أبداه الشعب الفنلندى من ضروب البسالة والبطولة فهذه الفتاة تنقذ جنديين من الروس البيض كادا يقعان فى قبضة الروس الحمر ، ثم لا تلبث أن تنقذ روسيا أحمر حين أطبقت على قريتها فرقة من الروس البيض . وبعد ذلك تشتد وطأة المرض على الفتاة فتنقل الى مصحة تقضى فيها أيامها الاخيرة . وانها هناك تترقب الموت وهو يدهم شبابها الناضر هادئة وادعة وكأنها سعيدة راضية فسوف ترحل قريبا الى عالم آخر تلتقى فى رحابه بالحبيب الذى أقصته عنها وحرمتها منه هذه الدنيا الآثمة ، وتظل هكذا فى هدوئها ورضاها وتفاؤلها حتى تفيض روحها وحيدة ذات صباح

هذه خلاصة القصة التي تشيد بالروح القومي الذي ينأى عن العداء والعدوان لانه يقوم على البطولة والشهامة ، والتي تمثل الشعب الفنلندي في رضائه بالقدر وتسليمه للقضاء واستبشاره بالمصير دون أن يحمله هذا على شيء من الخضوع أو الهوان أو الاستخذاء . ويلاحظ أن «سيلانباء» يقيم رواياته على أشخاص من أوساط الناس المألوفين فلا غرابة في تفكيرهم ولا شذوذ في مجرى حياتهم ، وهذا ما يندر في الادب الحديث الذي يكاد يكون مقصورا على الشواذ حتى صارت أكثر الآثار الادبية تشبه تقارير «سيكلوجية» أما هذا الاديب الفنلندي فيرجع الى القرى الوادعة يتخذ من عامة أهلها أبطالا ، يصور عواطفهم وميولهم وآراءهم تصويرا هادئا بسيطا في مظهره وان كان ينطوي على كثير من الحكمة والتأمل والاختبار . على أن أكثر ما يعيب سيلانباء ، كما يعيب عامة أدباء فنلندا وسواها من الاقطار الشمالية ، أنه يبسط الكلام دون ايجاز وتدقيق مما يؤدي الى الافاضة التي يبرأ منها عادة الادب اللاتيني الذي أجاد كتابه العبارة المحكمة والاسلوب الدقيق

وسيلانباء هو أول أديب فنلندي ينال جائزة نوبل الرفيعة ، وهذا من أسباب فخره ومجده لان الادب الفنلندي حديث العهد جدا ، فان أعظم شعرائه وهو « رونبرج » ، الذي عاش الى الثلث الاخير من القرن الماضي ، لم ينظم باللغة الفنلندية بل باللغة السويدية . وقد ظلت هذه اللغة سائدة في فنلندا منذ القرن الثاني عشر ، ولهذا يضيف مؤرخو الادب ما أتجه أدباء فنلندا منذ ذلك العهد الى الادب السويدي . ولما استولت روسيا على فنلندا سنة ١٨٠٩ وأرادت بسط لغتها وثقافتها هناك ، استيقظت قومية الشعب من غفوتها الطويلة فقام الادباء يتغنون بأمجاد أسلافهم وأبطالهم بلغتهم الوطنية ، وراح أحدهم — ليلياس لونروت — يجمع الاغاني والاناشيد الذائعة على ألسنة العامة في قصة كبيرة صارت فيما بعد « الملحمة الفنلندية » التي استقى منها الشعراء والرواة والفنانون كثيرا من آثارهم

ثم لم يلبث أن قام جوهان لودفيج رونبرج (١٨٠٤ — ١٨٧٧) فأحيا القومية الفنلندية وبثها في جميع القلوب ، برغم انه كان ينظم باللغة السويدية لا بلغة وطنه فنلندا ، وقد وضع هذا الشاعر ملحمة أخرى عن هذا الكفاح العنيف الذي أبداه الشعب الفنلندي في رد عادية الروس المغيرين على وطنه وحريته

ولم تصبح اللغة الفنلندية لغة أدبية الا في أواخر القرن الماضي ، حين غذاها وأشاعها عميد الادب الغنائي اينولينو (١٨٧٨ — ١٩٢٦) وحين نهض جماعة من الادباء الواقعيين الذين تأثروا تولستوي وزولا وحاولوا حل بعض المشاكل الاجتماعية في بلادهم عن طريق الكتابة الروائية . ثم نهض الادب الفنلندي نهضة قوية في سنة ١٩١٨ ، فظهرت فيها طائفة كبيرة من الادباء والاديبات يتزعمهم جميعا سيلانباء الذي يمثل خصائص القومية الفنلندية أصدق تمثيل ، والذي كان أدبه من دعائم الحركة الوطنية فيما مضى

(عن مقالات في صحيفة لينوفيل ليترير)

فنلندا الباسلة

تستمد الامة الفنلندية قوتها من عزتها القومية التي تأنف الخضوع والهوان . فتستميت في دفع عادية الروس المغيرين في شجاعة وبسالة ، برغم ان عددها لا يتجاوز أربعة ملايين نسمة بينما الروس ١٨٠ مليون نسمة . وهي ان قدر لها اليوم أن تموت ، فستموت في بطولة وشهامة ، لتحيا في الغد

وقد كانت فنلندا حتى عام ١٨٠٩ جزءاً من السويد ، ثم ضمت الى روسيا عقب الحرب التي نشبت بين روسيا والسويد ، وبقيت تحت سيادتها الى عام ١٩١٧ ، حيث أعلنت استقلالها منتهزة فرصة اشتعال الثورة البلشفية

على انه لم يكد يمضى شهر واحد على استقلال فنلندا ، حتى نشبت فيها فتنة ، أضرم أوارها حزب الشيوعيين الفنلنديين تؤيده القوات السوفياتية ، وكان غرض روسيا نقض مبادئها واعادة بسط نفوذها . ولكن الفنلنديين هبوا جميعا يناضلون، وتولى الجنرال مانرهيم – قائد الجيش الفنلندى الحاضر – زعامة الحركة الوطنية ، وأخذ يكافح حتى انتصر بمساعدة بعض الفصائل الالمانية بعد أربعة أشهر من احتلال روسيا لعاصمتهم هلسنكى . ومنذ هذا اليوم حلت الحكومة الفنلندية الحزب الشيوعى ، وأعلنت أن الشيوعية جريمة ، فكان هذا العمل الحازم السديد بمثابة سد منيع حال دون انتشار الشيوعية فى البلاد ، وتسربها الى بقية دول الشمال

واليوم ها هى ذى روسيا تبدأ اجتياحها لفنلندا ، بتأليفها حكومة فنلندية جديدة على حدود فنلندا من الشيوعيين الفنلنديين الذين كانوا قد فروا منها الى روسيا وأقاموا فيها

وقد بلغت فنلندا شأواً عظيما فى المدنية بفضل تنظيم شئونها الداخلية ، والمعيشة هنالك أرخص منها فى أى بلد آخر فى أوربا ، كما ان الحالة الاقتصادية فيها تعد حالة رخاء

والشواطىء الفنلندية على بحر البلطيق تسمح بالسيطرة على الملاحة فى هذا البحر فى خليج فنلندا ، ثم ان جزر ألاند البالغ عددها ٣٠٠ جزيرة تتحكم فى خليج بوتنيا الشمالى فى البلطيق اذا حصنت

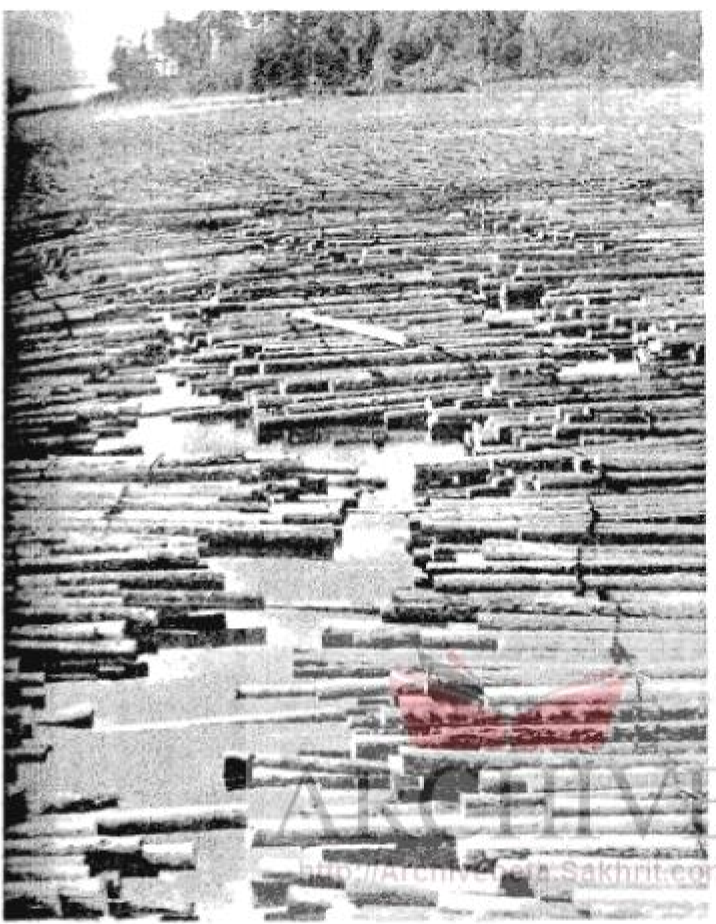
فاذا سيطرت روسيا على فنلندا ، وتم لها تحصين جزر الاند واتخذتها قواعد لأسطولها البحرى ، استطاعت التحكم فى بقية دويلات البلطيق



عاصمة فنلندا

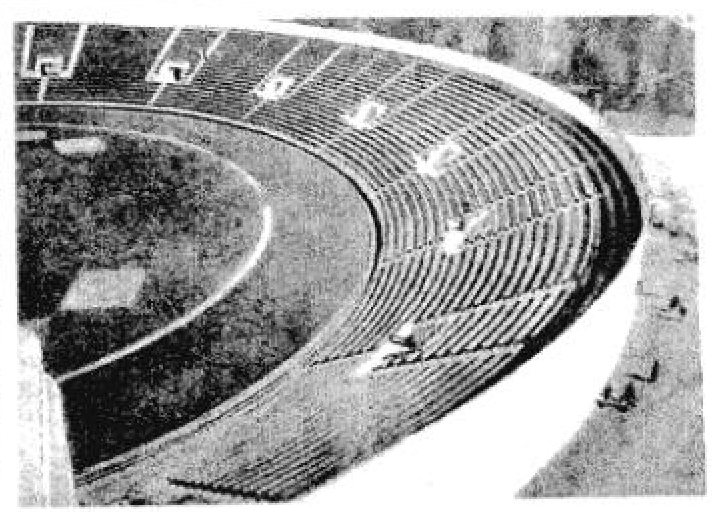
هى « هلسنكى » وعدد سكانها ٢٢٩ر٠٣٦ نسمة ، وبها جامعة أنشئت فى عام ١٦٤٠ فى مدينة توركو ثم نقلت اليها فى عام ١٨٢٨ . وقد التقطت هذه الصورة لها من الجو ، وقد ظهرت شوارعها المنتظمة ومبانيها الجميلة

ثروة فنلندا



ثروة فنلندا في غاباتها التي تكسو ٣٥٪ من أراضيها ، ومراعيها وتشغل ٥٣ ٪ ، وبحيراتها ومجموعها ٤٤٫٠٠٠ بحيرة موزعة في مساحة قدرها ١١ ٪ ، أما الباقي من ذلك وقدره ٧ ٪ من مساحتها فأرض تزرع . على أن فيها الى جانب هذا بعض المناجم التي يستخرج منها الحديد والرمر والجرانيت . ومساقط المياه تمول البلاد بالقوات الكهربائية اللازمة للصناعة والاضاءة . ويستغل الفنلنديون أخشاب غاباتها في صنع الورق ومادة السليلوز . وعميل فنلندا الرئيسي في استيراد أخشابها ومنتجاتها الزراعية هي انجلترا . وبحيرات فنلندا ونهيراتها تستخدم كعامل مهم في نقل أخشاب الغابات من مكان الى آخر . وتمثل هذه الصورة منظراً طريفاً للأخشاب وهي تغطي صفحة الماء

الملعب الاولمبي بفنلندا



لازم سوء الطالع الألعاب الاولمبية التي كان مزمعاً اقامتها في فنلندا عام ١٩٤٠ ، فبعد أن تنحت اليابان عن إقامتها في بلادها لحربها مع الصين ، قبلت فنلندا أن تقيمها في بلادها ، وشيدت لذلك ملعباً عظيما فسيح الأرجاء . وها هي ذي الحرب تدور رحاها بينها وبين روسيا ، فتحول دون اقامة الألعاب الاولمبية في فنلندا . وتمثل هذه الصورة جانباً من الملعب العظيم الذي شيدته فنلندا



خريطة فنلندا

تبلغ مساحة فنلندا ٣٨٨٤٨٣ كيلومتراً مربعاً ، أما عدد سكانها فحوالى ٣٫٦٦٣٫٠٧٠ نسمة ، وتشترك تخومها مع روسيا شرقا ، ومع السويد والنرويج غربا . وتبين هذه الخريطة المناطق التى تكسوها الغابات ، والمراعى حيث تربى الماشية فى كيجارفى ، ومصانع الاخشاب فى توربو ، ومصانع الورق فى فركوس ، ومصانع النسيج والورق فى تامبير ، ومحطات توليد الكهرباء فى إيماترا . وفى أقصى الشمال ظاهر ميناء بتسامو الذى لا تتجمد مياهه بفضل حواجز الثلج . وفى وسط بحر البلطيق تظهر جزر ألاند



بطل استقلال فنلندا

تعد فنلندا القائد مارشال كارل أميل مانرهيم بطل استقلالها ، فهو الذى ناهض الثورة البلشفية التى شبت فى فنلندا تؤيدها القوات الروسية ، حتى خذلها بمساعدة فصائل المانية وهو يقود الآن الجيوش الفنلندية فى دفع عادية الروس وقد جاوز السبعين من عمره ، نشأ مانرهيم نشأة عسكرية ، فالتحق فى شبابه بمدرسة الفرسان ، ثم عين فى الحرس الامبراطورى الروسى ، وقد اشترك فى الحرب الروسية اليابانية ، ثم فى الحرب الكبرى ورقى فيها الى رتبة جنرال . ولما نشبت الثورة البلشفية فى روسيا عاد الى بلاده ، وأخذ يعمل على تحريرها من نير الروس الى ان تم له ذلك



المرأة الفنلندية

في الوظائف المدنية والعسكرية

تشغل المرأة الفنلندية كثيرا من وظائف الحكومة والمصارف والجيش ، كما انها تمارس مهن التدريس وأعمال البناء والطلاء ، لا فرق في ذلك بينها وبين الرجل . والى جانب جيش فنلندا النظامى ، يقوم جيش آخر من النساء المتطوعات للخدمة وراء خطوط القتال ، وترى فتاتين من المجندات تفحصان هدايا النساء الفنلنديات من ملابس للجنود . ويطلق الفنلنديون على هذا الجيش النسائي اسم « لوتاس »



الحرب على الجليد

يمتاز الجنود الفنلنديون بالبسالة والشجاعة النادرة ، ويتضمن برنامج تدريبهم العسكرى ، دروسا فى الانزلاق على الجليد ، نظرا لان الثلوج تكسو جزءاً كبيراً من أراضى فنلندا عدة شهور فى السنة . وترى بعض الجنود وهم يطلقون النار والى جانبهم أجهزة الانزلاق ، وقد اكتست الارض بطبقة من الجليد

الحرب والفن الجميل

للاستاذ محمد ناجى

مدير متحف الفن الحديث

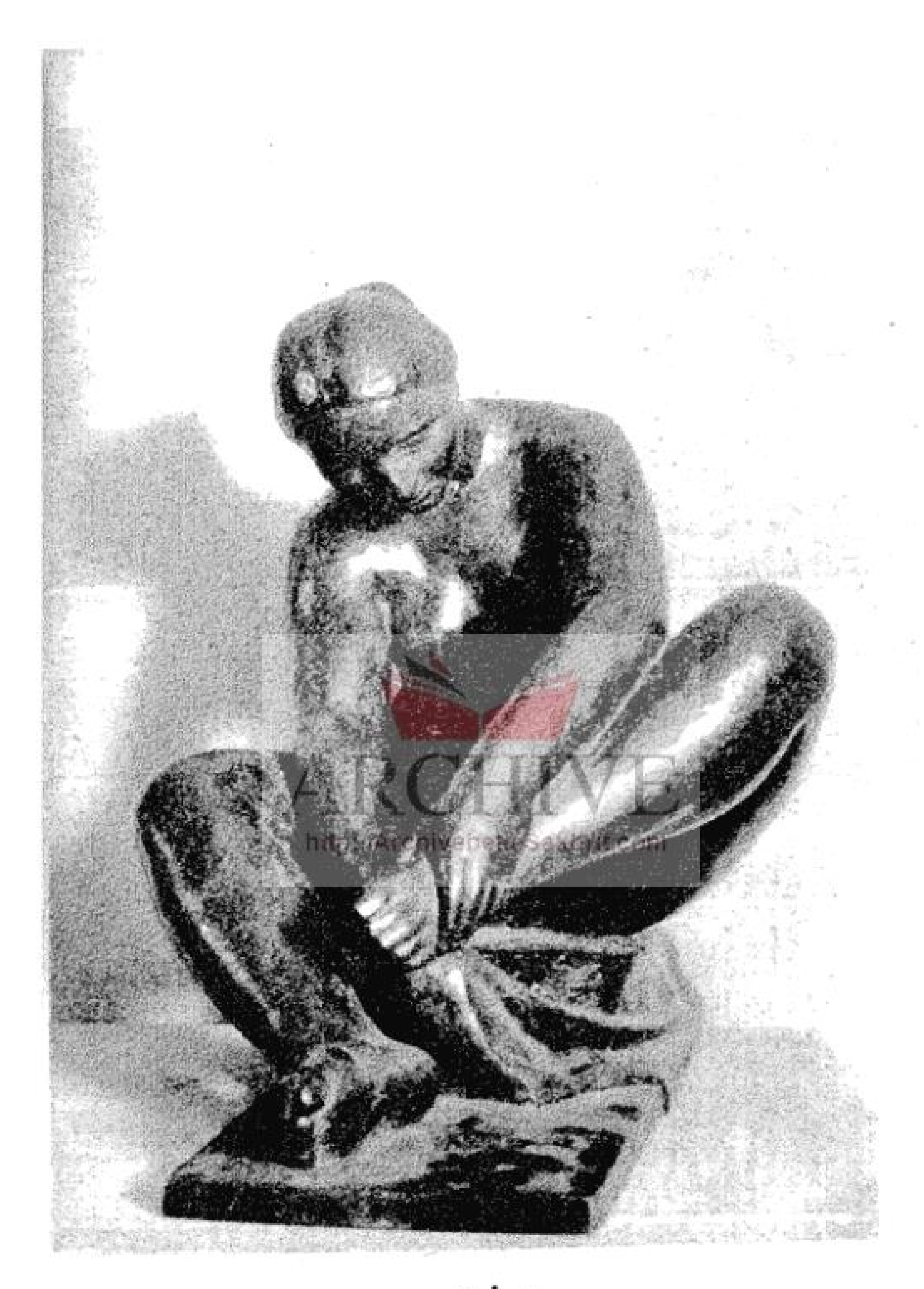
فى كل عام تقام عدة معارض بالقاهرة لفنى الرسم والنحت ، فيشهد زوار هذه المعارض طائفة من آثار هذين الفنين الجميلين ، ولكن هذه الآثار لا تخرج عن صور الاشخاص والمناظر الطبيعية والحالات النفسية والاجتماعية فى بعض الأحيان، وقلما تشهد لوحة لحادثة تاريخية ، أو لواقعة حربية . وهذا متحف الفن الحديث ، ومعرض جمعية محبى الفنون الجميلة خاليان من هذا النوع ، ولا سيما ما يتصل بتاريخ مصر الحربى ، ومجدها العسكرى . وقد سألنا مدير متحف الفن الحديث الاستاذ الفنان محمد ناجى عن ذلك ، فقال :

« لا ريب ان تاريخ مصر العسكرى جدير بعناية الفنانين المصريين ، إذ فى تسجيل هذا المجد فى لوحات الفن إحياء له ، وتبجيل لذكرى رجاله الذين بذلوا من دمائهم وجهودهم ما يشهد لهم بالبطولة والنبوغ . ولكن الفنانين المصريين معذورون فى انصرافهم عن هذا النوع ، لأنهم لا يجدون تشجيعاً يدفعهم الى القيام بهذا العمل القومى الجليل ، فان اللوحة التى يرسمها الفنان لحادث تاريخى ، أو لمعركة حربية تحتاج من الوقت والجهود والمال الى أضعاف ما يحتاج اليه رسم صورة شخص أو منظر طبيعى . وأذكر انى منذ ١٥ سنة رسمت لوحة تاريخية تمثل عصر إحياء الفنون ، وجاء أعضاء الوفد عندى فى ذلك الحين ، وأعجبوا بها ، كما أعجب بها غيرهم ، ثم تركت



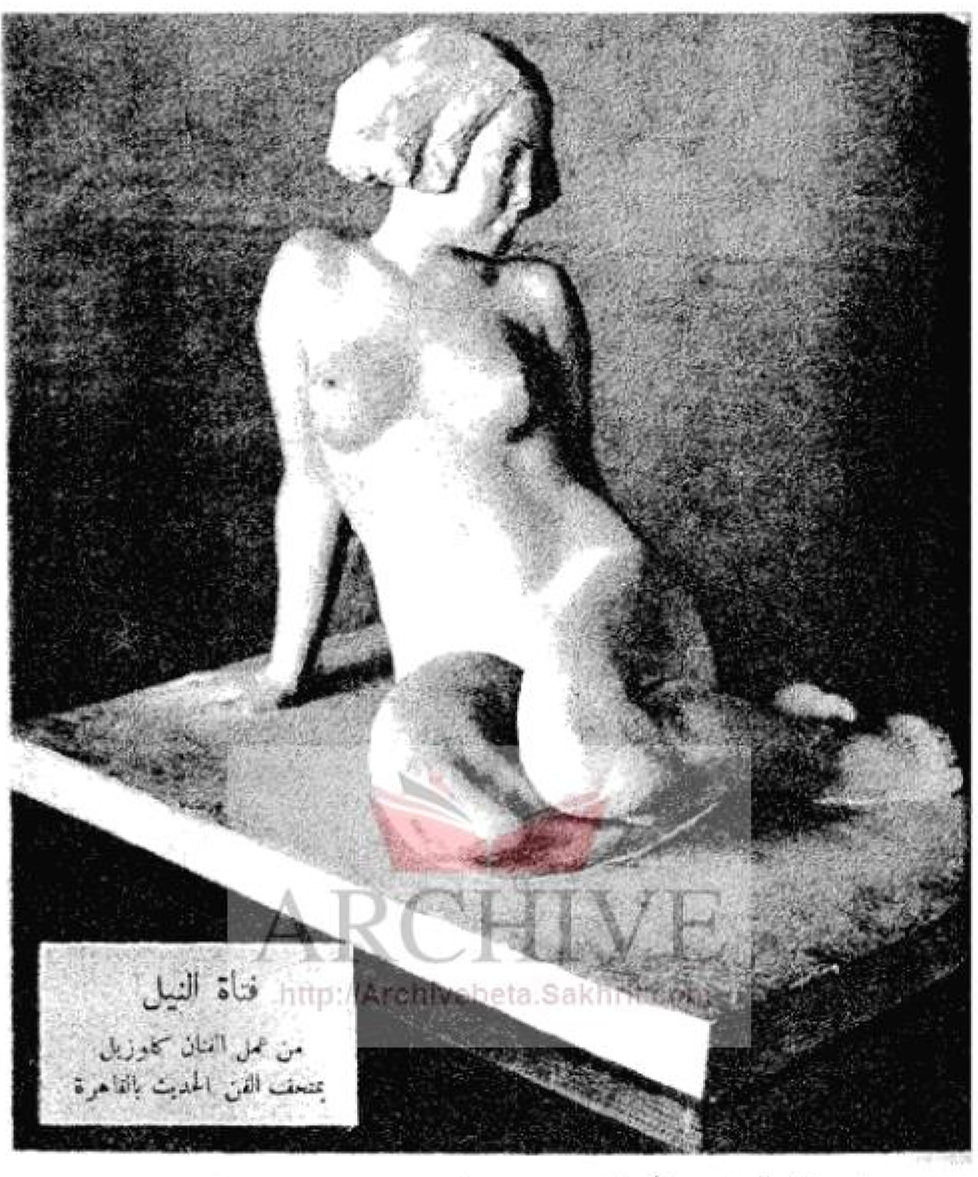
موقعة ايبر

لوحة بارزة بالمتحف البريطانى لموقعة (ايبر) بين الانجليز والالمان فى الحرب الكبرى



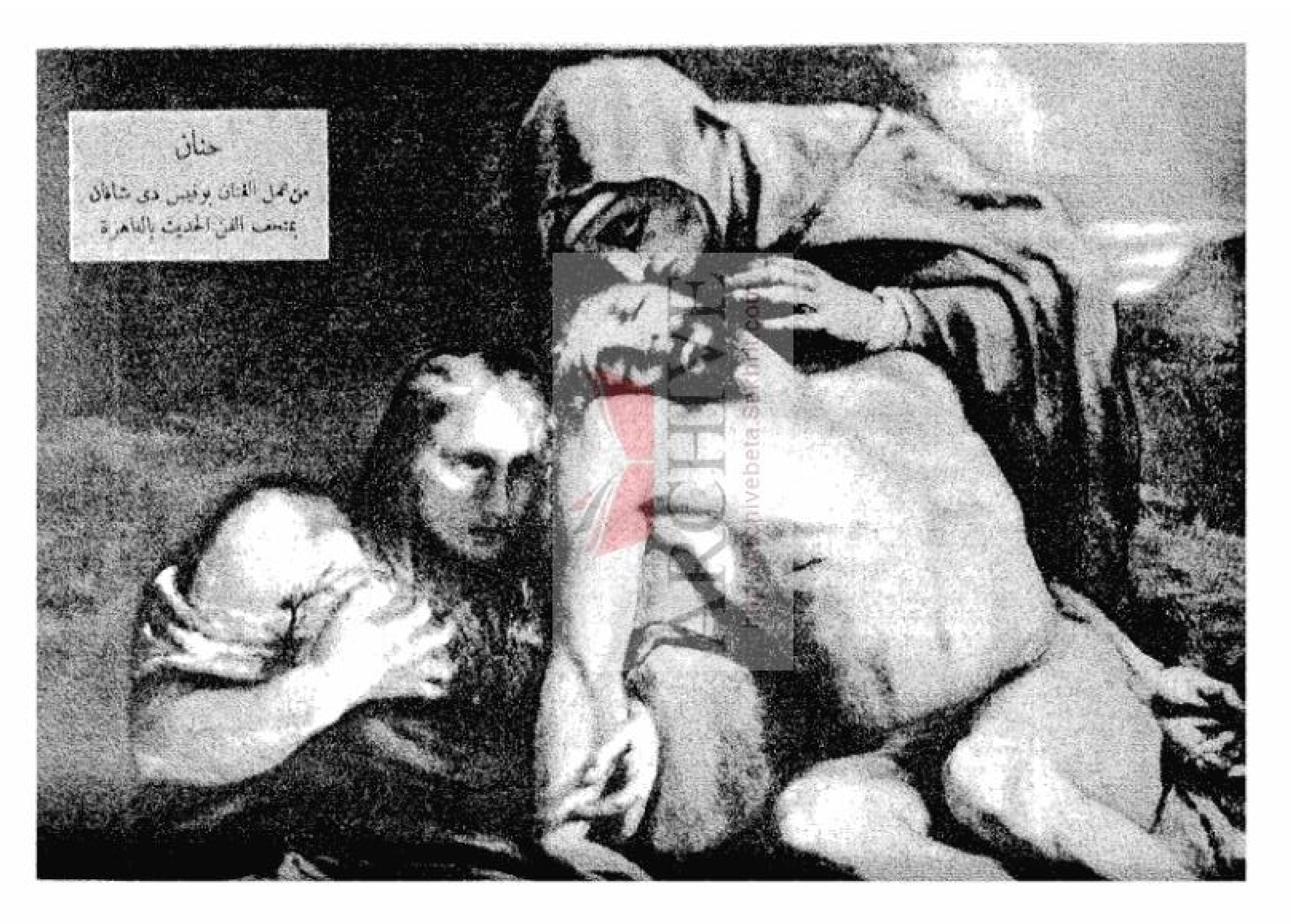
امرأة تتزين

من عمل الفنان ديجرو بمتحف الفن الحديث بالقاهرة


فتاة النيل
من عمل الفنان كاوزيل
بمتحف الفن الحديث بالقاهرة

ونسيت طويلا الى أن قيض الله لها صاحب العزة محمد محمود بك خليل ، فاشتراها ووضعها في أحدى حجرات مجلس الشيوخ

« وقد قمت برسم عدة لوحات لتاريخ الطب كلفتني بها جمعية المواساة الاسلامية لوضعها بمستشفاها بالاسكندرية ، كما كلفتني أخيرا بلدية الاسكندرية برسم لوحة في عهد البطالسة بمناسبة احتفالها بمرور خمسين سنة على انشائها . فاذا وجد الفنان تشجيعاً أقدم على العمل والتضحية بالوقت والمال والمجهود ، أما اذا لم يجد تشجيعاً ، فانه كسائر الناس له حقوق وعليه واجبات . وقد بدأت الحكومة تعنى برسم المعارك الحربيـة في المتحف الحربي بالقاهرة ، وتمثيل الازياء العسكرية ، والأنظمة التاريخية ويقوم بهذا العمل فنانون مصريون ، وذلك اقتداء بالمتاحف العسكرية في أوربا . وهذه العناية جديرة بأن تحث الفنانين على الاتجاه الى هذا النوع التاريخي العسكري »



حنان

من عمل الفنان برفيس دي شافان

بمتحف الفن الحديث بالقاهرة

أعمال البر وتنظيمها

البر أداة من أدوات القوة

بقلم مصطفى بك عبد الرازق

وزير الأوقاف السابق

الرحمة والبر من مظاهر القوة فى الفرد ، ومن مظاهر القوة فى الجماعة.

واذا كان حقا على الناس أن يكونوا دائما أولى قوة وأولى بأس شديد ،

فان من الحق عليهم أن يكونوا بررة رحماء فى السلم والحرب *

قد يبدو حديث البر وأعمال البر لحنا نابيا بين اناشيد الحرب التى تهتف بها اليوم الارض وتهتف بها السماء . الناس ما بين أمم تصلى نار الحروب ، وأمم يوشك ان تلفحها الحروب بلهيبها ، ولا بد للحرب من أدوات القوة ، ومن عواطف القوة

البر أداة من أدوات القوة

فهل أعمال البر من أدوات القوة ؟ وهل الرحمة التى هى مصدر أعمال البر من عواطف الأقوياء ؟

من الفلاسفة من يرى الرحمة خورا ، ويرى البر من شأن الضعفاء . لكن هؤلاء - بحمد الله - ليسوا كثرة بين المفكرين ، وليس لرأيهم من الوزن الا بمقدار ما تعطى حرية الفكر من الحرمة لجميع الآراء

ليس البر من ضعف ، وليست الرحمة ضعفا ، فان الرحمة عاطفة تحمل على البذل والتضحية

وأظهر أعمال البر انفاق المال على حبه لاسعاد الناس وتخفيف آلامهم، والنفوس شحيحة بالمال شحها بالنفس أو أشد . وكم من ناس بذلوا نفوسهم من دون أموالهم . فمن طابت نفسه بايثار اليتامى والمساكين والضعفاء بماله فهو سمح كريم ولا يكون السمح الكريم جبانا كما لا يكون شجاعا قط من كان بخيلا

---

* محاضرة القيت بقاعة يورت التذكارية بالجامعة الامريكية بالقاهرة، واختصت الهلال بنشرها

وقد عقد الراغب الاصفهاني في كتابه « الذريعة الى مكارم الشريعة » بابا لتلازم الفضائل النفسية أثبت فيه ان العقل والعفة والشجاعة والجود والعدالة تتلازم ، وقال : « واذا كان شجاعا فلا تقهره شهوته على تناول ما لا يجوز تناوله وعلى ظلم غيره ، ولا يخاف الفقر فيبخل » ولهذا النظر جعل بعض الشعراء الشجاعة سماحة ، والسماحة شجاعة ، فقال :

أيقنت أن من السماح شجاعة ... تدمى وان من الشجاعة جودا

الرحمة والبر من مظاهر القوة في الفرد ، ومن مظاهر القوة في الجماعة . واذا كان حقا على الناس أن يكونوا دائما أولى قوة وأولى بأس شديد ، فان من الحق عليهم أن يكونوا بررة رحماء في السلم والحرب ، والا كانت قوتهم سبعية تليق بالحيوان ولا تليق بالانسان

والبر في لسان أهل الدين اسم جامع للطاعات وأعمال الخير المقربة الى الله تعالى

ويقول الراغب الاصفهاني في كتاب « الذريعة » : « والبر السعة في علم الحق ، وفعل الخير مشتق من البر ، أي السعة في الارض ، وهو المعبر عنه بانشراح الصدر واطمئنان القلب . وقال عليه الصلاة والسلام : البر ما سكنت اليه نفسك واطمأن به قلبك ، والاثم ما حاك في نفسك وتردد في صدرك ، وقال : البر طمأنينة والشر ريبة ، ومن البر الجود ، ولاجله جعل الجود من الايمان »

ورد أصل هذه المادة في اللغة الى البر بمعنى الارض والبرية أي الصحراء لما فيهما من معنى السعة غير بعيد من تصور العرب في جاهليتهم لسعة الارض والصحراء بين أيديهم وضيق البحار البعيدة عنهم

أعمال البر في نظر الدين والعرف العام

أعمال البر في نظر الدين يبينهما القرآن في الآية الكريمة : « ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرون في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون »

هذه هي أعمال البر في الاسلام التي بها يكون الانسان تقيا صادق الايمان ، وهي التي تقربه الى الله زلفى وتجعله لرضاه ومحبته أهلا

والبر من العرف العام لا يتسع لكل هذه المعاني الدينية،بل هو يرادف الاحسان ويختص بالانفاق في اغاثة الملهوف وعون الضعيف وسد حاجة المحتاج وما الى ذلك من المعاني التي تحرك نخوة الجواد الكريم ، وتكسب حسن الاحدوثة والذكر الجميل ، وبها يسعد الفرد وتسعد الجماعة . وهذا المعنى العرفي هو الذي يريده الناس حين يجري ذكر البر في حديثهم . وأعمال البر يعود من أثرها الى الفرد في طمأنينة نفسه وانشراح صدره وسلامته

من العذاب النفسى الذى يكابده البخلاء • ويعود جل اثرها الى الجماعة باحلال المحبة بها والتراحم محل التحاسد والتباغض وذلك أساس عظيم لاقرار الامن والسلام بين الناس

ومن أجل ذلك كانت أعمال البر من شئون الجماعة وكان على الجماعة أن تعنى بأمرها تحفظها من الفوضى والاضطراب وتصون عواطفها فى النفوس من طغيان عواطف الشح والقسوة

تنظيم أعمال البر

وتنظيم أعمال البر يرجع فى جملته الى هاتين الناحيتين ـ ناحية صيانتها من الاضطراب وناحية حفظ عواطفها من طغيان العواطف السيئة • ويمكن ان تجعل الناحية الاولى مرتبطة بإيصال البر الى مستحقيه ، والناحية الثانية متصلة بالمحسن نفسه • وايصال البر الى مستحقيه يستدعى نظاما يكفل الوصول الى حقيقة حالة المحتاجين من غير كشف لاستار التجمل عن المتعففين ، ومن غير ابطاء بالمعونة عن وقتها ، ومن غير خلط بين أنواع الحاجات وأمثل السبل لتداركها • أما المحافظة على عواطف الشفقة والاحسان وتغذيتها ، فهو من عمل الآباء والامهات ينشئون عليه أولادهم ، ومن عمل المربين يغرسونه فى نفوس طلابهم ، ثم هو من عمل المفكرين كتابا وشعراء وخطباء يرسلونه دعوة جذابة فى ثنايا آثارهم الادبية التى تصل الى عقول تهش للحجة الناهضة ، والى قلوب يهزها سحر البيان وروعة الشعر

واذا نظرنا الى بلادنا وجدنا أهلها أقرب للسماحة وأكثر من غيرهم استعدادا لتلبية دعوة الداعى الى الاحسان • فلم يبق الا أن تستنهض القائمين على شئون الشبان الى واجبهم فى ايقاظ عاطفة الاحسان فى تلك القلوب الغضة ، وأن تستنهض الادباء والمفكرين الى توجيه جانب من نشاطهم الادبى الى خدمة البر والاحسان

ورجال الدين أحق الناس بأن يلجأ الى سلطانهم الروحى وقوة ايمانهم ليبرزوا للناس كل ما جعل الدين للبر وأعماله من مثوبة عند الله وبركة فى الحياة الدنيا وفى الآخرة • بل من واجب رجال الدين أن يكونوا أظهر العاملين فى مساعى البر ، وان يكونوا أسوة للبررة الاخيار

ولما كان البر فى جملة أمره مواساة لمن هم فى حاجة الى المواساة ، فمن الطبيعى أن نذكر المرأة التى وهبت من عواطف الحنان والشفقة ما يجعلها أرفق فى علاج البائسين يدا ، وألطف الى قلوب المكروبين منفذا ، وأصدق فى ادراك حاجات المحتاجين الهاما • نصيحتها الى دعوة البر سريعة الى أعماق النفوس ، وسعيها فى عمل البر أولى بالنجاح

وعندنا للبر جمعيات تقوم على أساس صالح من النظام والاخلاص • لكن بعض جمعياتنا من غير شك لا يحقق كل ما نرجو من جمعيات الخير

واذا كانت وزارة الشئون الاجتماعية تريد أن تتلافى أسباب النقص فى نظام أعمال البر

(البقية على صفحة ٣١٢)

عصبة الأمم وهل تنهض من جديد ؟

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

« ان انكلترا باقية على عنايتها بأمر عصبة الأمم وترى أن التعاون بين الدول لابد منه فى المستقبل »

(من تصريح في مجلس العموم للحكومة البريطانية)

مذ قامت الحرب الاوربية ، لم نشهد لعصبة الامم حركة ، ولم نسمع لها صوتا ، وقد كان صوت العصبة قبل عام أو عامين يدوى كلما قامت مشكلة أوربية . ولكن الحرب تناقض مثل العصبة الاساسية ، وهى العمل على وقف الحرب وليس لها متى نشبت ما تستطيع أن تعمل أو تقول

بيد أن عصبة الامم لم تختف من الميدان بتاتا ، فقد حدث بعد نشوب الحرب ما يذكرنا بوجودها وبالمهمة التى أخذتها على نفسها ، فمن ذلك ان الحكومة البولونية التى تقوم الآن فى فرنسا قدمت الى العصبة احتجاجا على تنازل روسيا الى لتوانيا عن مدينة فلنا التى كانت قبل اجتياح بولونيا جزءا منها ثم استولت عليها روسيا فيما استولت عليه من الاراضى البولونية . ومن ذلك ما حدث أخيرا فى مجلس العموم البريطانى من تصريح مستر بتلر وكيل وزارة الخارجية ردا على سؤال ألقى بشأن ما أذيع من ان الجمعية العمومية للعصبة قد تدعى الى عقد اجتماعها السنوى . بأن انكلترا باقية على عنايتها بأمر عصبة الامم وانها لن تقطع عنها مخصصاتها المالية . وترى ان التعاون بين الدول لا بد منه فى المستقبل . ولكنها ـ أى الحكومة البريطانية ـ لا ترى فائدة فى دعوة العصبة الى الاجتماع فى هذه الايام ، ولذا فانه يحسن بأصدقاء العصبة أن يتريثوا حتى يعود العالم الى حالته الطبيعية ويغدو صوت عصبة الامم مسموعا »

وهكذا يبدو ذكر عصبة الامم فى أفق السياسة الدولية بالرغم من ذلك الحلك الذى يسوده . ولم تنس الحكومة البريطانية بالرغم مما يشغلها من عظائم الامور أن تبدى عطفها على العصبة وايمانها بمستقبل التعاون بين الدول

واذن فما زال فى العصبة بقية حياة وبقية أمل فى النهوض

حلم بديع

كانت عصبة الامم حلما بديعا تخيله الرئيس ولسون فى الوقت الذى خرجت فيه أمم العالم منهوكة من أروع حرب عرفها التاريخ ، وظن انها ستكون للانسانية عبرة العبر تحكم على الحرب بأقسى الاحكام ، وتحرص بكل ما وسعت على ألا يعرض السلام مرة أخرى لمثل هـذه المحنة الشاملة ، وقامت عصبة الامم تحدوها من جانب أنصـار السلم والامم الضعيفة أعظم الآمال ، وسرت مدى حين الى الدبلوماسية الاوربية روح تفاهم . فنظمت المؤتمرات المتوالية لحل المشاكل الدولية وعقدت مواثيق السلام وعدم الاعتداء ، ونظم مؤتمر نزع السلاح ، ثم عقد ميثاق تحريم الحرب ، وخيل للناس جميعا ان العالم سوف يستقبل عصرا بل عصورا من السلام والامن والدعة والرخاء

ولكن عصبة الامم كانت وليدة معاهدة الصلح (معاهدة فرساى) وكانت معاهدة الصلح تمثل عند وضعها ارادة الغالب يمليها على المغلوب. وكانت العصبة تمثل فى بدايتها فريق الاقوياء الظافرين ، فأسبل ذلك على قيامها وعلى غاياتها ريبا لم توفق الى تبديدها ، واتهمت العصبة بأنها لم تكن سوى أداة يحركها فريق الاقوياء من وراء ستار ، وكان حلما خلابا ما تصورته الامم الضعيفة من أنها سوف تلقى فى عصبة الامم منصفا ونصيرا

واذا كانت المثل العليا التى قيل ان العصبة قامت للعمل على تحقيقها ، وهى تأييد السلم وحمايته ، والعمل على حسم المشاكل الدولية بالتفاهم والقضاء على أسباب الحرب تتفق مع أرفع المثل الانسانية ، فان العصبة لم توفق مع الاسف بتصرفاتها ومواقفها من كثير من المسائل التى تتعلق بالامم المغلوبة الى أن تبث كثيرا من الثقة والاطمئنان ، ففى كثير من الاحيان رأيناها تنزل عند اعتبارات لا تتفق مع الحقوق الطبيعية للامم ، ثم رأيناها تقف جامدة ازاء اعتداء الدول القوية على الامم الضعيفة وتشهد تباعا غزو الصين ، ثم سقوط الحبشة ، والنمسا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وألبانيا ، وكلها من أعضاء العصبة دون أن تحرك ساكنا لغوثها مكتفية فى جميع الاحوال بالاحتجاجات والقرارات النظرية

فى دار عصبة الأمم

ولقد أتيح لنا فى أغسطس الماضى أن نزور عصبة الامم فى مقرها الجديد (بمدينة جنيف) وأن نطوف قصرها المنيف ، وأن نتصل بأعمالها عن كثب. ومع ان هذا القصر الذى يعتبر من أعظم وأبدع الابنية الحديثة لم يكمل بناؤه الا منذ عام أو اثنين ، فان السائح المتجول فى أروقته وأبهائه الفخمة ، يكاد يشعر انه يزور أثرا من الآثار الماضية ، وأنه يشهد أطلالا عفت عليها أحداث الزمن . ذلك أن عصبة الامم لم تكن سوى فكرة بديعة، وكانت مبادئها الظاهرة مثلا أعلى تنشده جميع الشعوب والامم ، فماذا بقى اليوم من هذه الفكرة وهذا المثل الاعلى ؟ لقد نبذت الامم الطامحة المتوثبة كل مبادىء العدالة الدولية والتفاهم

الحسن ، وطوحت بأوربا الى حرب جديدة لا يمكن التنبؤ بمداها ونتائجها . ولم يتح للعصبة في هذا النضال الذى يضطرم منذ عامين أو ثلاثة أن تقوم بأى مجهود منتج فى سبيل احقاق حق أو انصاف مظلوم أو وقف معتد . أجل بقيت من جهود العصبة بعض أعمال اجتماعية واقتصادية وصحية ذات شأن ، ولكنها ليست بالقياس الى الغاية العظمى التى قامت العصبة من أجلها الا كأطلال الهياكل العظيمة تشهد بشيء من عظمتها الذاهبة

وانه لقصر رائع حقا ذلك الذى أقيم ليكون مقرا لعصبة الامم . وهو يقع على منحدر رأيته من ربى « مون بلان » (الجبل الابيض) ، ويشرف على منظر من أبدع المناظر الطبيعية التى يمكن تصورها . وقد يذكرنا بضخامته وسعته وكثرة أفنيته وأبهائه وغرفه بقصر الفاتيكان فى روما مع بعض الفوارق الفنية . فهذا هو بهو اجتماع الجمعية العمومية للعصبة وهو بهو مستدير شاسع جهز بالاثاث الفخم والمقاعد الوثيرة ، وفرشت أرضه ببساط فخم هو هدية مؤثرة من جمهورية تشيكوسلوفاكيا الذاهبة ، ونظمت مدرجاته وشرفاته على أحدث طراز ، وزينت جدرانه برسوم رمزية للسلام . وهذه قاعة اجتماع مختلف اللجان الملحقة بالعصبة ، وهذه قاعة اجتماع مجلس العصبة ، وهذا بهو اجتماع الدورات السنوية ، وهذا جناح السكرتارية ، وهذا جناح مكتبة العصبة التى تبرع بانشائها المثرى روكفلر وأصبحت تضم ثلاثمائة ألف مجلد ، وكلاهما بناء مستقل بذاته . وجميع الابنية والاجنحة والابهاء والاروقة سواء فى الفخامة والروعة . وقد نظمت جميعا على أحدث طراز ، وأضحت بموقعها وأفنيتها الشاسعة وحدائقها الغناء من أفخم وأبدع الابنية الحديثة . ومما هو جدير بالذكر أن البناء اشترك فى وضع تصميمه عدة مهندسين من مختلف الامم ، واشتركت أمم عديدة فى تقديم الاعمدة وقطع الرخام والمرمر والزخارف التى استعملت فى بنائه ، واشتركت أمم أخرى فى تقديم الأثاث والرياش وهى ظاهرة مؤثرة تتفق كل الاتفاق مع لون عصبة الامم وطابعها

***

وقد لبثت عصبة جنيف أعواما منبرا لاعظم ساسة العالم يلقون من خطبهم وأحاديثهم الرنانة ويخلبون افهام الجماعات والشعوب ، ولبثت أعواما تثير بجلساتها ومناقشاتها ومؤتمراتها ولجانها المختلفة كثيرا من الاهتمام ، وكانت فى ابان قوتها وذروة نفوذها تعتبر عاملا ذا شأن فى توجيه السياسة الدولية ، ولكنها مذ فشل مؤتمر نزع السلاح الذى كان يعتبر من أعظم مشاريعها ، ومذ فشلت سياسة العقوبات الاقتصادية التى شهرتها على ايطاليا حين غزوها للحبشة ، فقدت كثيرا من نفوذها وأهميتها . وأضحت بعد أن هجرتها دول خصيمة مثل المانيا وايطاليا واليابان وكثير من الدول الاخرى شبحا يكاد يختفى كعامل فى السياسة الدولية . وكانت العصبة قبل أعوام قلائل تضم ستين أمة . أما اليوم فانها لا تضم الا اربعة وعشرين أمة . ولم يبق من نشاط العصبة السالف سوى جهود لجانها المختلفة من صحية

واجتماعية واقتصادية وثقافية ، وهذه ما زالت تقوم بجهود وأعمال ذات شأن . أما عن الميدان السياسي فقد خفت صوت العصبة وسادها الهدوء منذ بعيد ، أعني منذ اضطراب أفق السياسة الاوربية وتوترت العلائق بين الدول الكبرى وساد حكم القوة والعنف مكان التفاهم ، ولم تعد اجتماعات العصبة وجلساتها تثير اهتماما ولا يشهدها سوى جماعة قليلة من الساسة والصحفيين

هل تنهض العصبة من جديد ؟

على ان مثل العصبة وغاياتها كانت حتى آخر لحظة قبيل نشوب الحرب تلقى كثيرا من العناية والاهتمام ، وكانت بعض الدوائر السياسية التي لم تيأس من عودة التفاهم الدولي ، ولا سيما في انكلترا وفرنسا تحاول أن تعمل على احياء عصبة الامم ، وأن تبث الى جهودها شيئا من الحياة والقوة . ويتلخص رأى أولئك المتفائلين في ان الركود الذي انتهت اليه العصبة لايرجع الى ضعف المبادىء التي قامت عليها أوالى استحالة الغايات التي تعمل لتحقيقها ولكنه يرجع بالاخص الى نقص في دستورها والى بعض الظروف السياسية التي أحاطت بقيامها فاذا وفق المتشرعون والساسة الى وضع دستور جديد مستقل للعصبة بعيد عن المؤثرات والاعتبارات التي أحاطت بوضع الدستور الحالي . فان العصبة قد تغدو من جديد قوة يحسب حسابها في تسوية المشاكل الدولية والعمل على صون السلم ، وقد ظهرت مثل هذه الفكرة أعني فكرة اصلاح العصبة واعادة تنظيمها مرارا في العهد الاخير على ألسنة الساسة الانكليز ، ولكن لم يتح لها أن تتخذ أية صورة عملية نظرا لتطور الحوادث الدولية بسرعة ، واضطراب العلائق بين الدول الكبرى ، ثم قيام الحرب الاوربية التي قضت على كل فكرة ومشروع في سبيل التفاهم الدولي

ولكن هل يكفي تحقيق مثل هذا الاصلاح لكي تغدو عصبة الامم حكما حقيقيا بين الدول،ولكي تستطيع تحقيق مهمتها الاساسية في العمل على تسوية الخلافات الدولية بالتفاهم والقضاء على أسباب الحرب ؟ لقد أثبتت الحوادث والتطورات القوية والسياسية مذ عقدت معاهدة فرساى وقامت عصبة الامم أن مثل السلام العليا لم تلق مهادا صالحة بين الامم القوية المتوثبة ، وانها لا يمكن أن تقف في سبيل الثورات الاجتماعية والسياسية الكبرى ، وان تاريخ الحروب يسير سيره الابدي لا تحوله عن مجراه الدموى تلك الاحلام السلمية البديعة التي أثبتت المدنية والنظم القومية الحاضرة في كثير من الامم انها ليست على استعداد لتحقيقها

على ان نشوب الحرب الاوربية يحمل مرة أخرى على التفكير في مصير عصبة الامم وفي مهمتها . ان قيام العصبة يغدو ضرورة انسانية وسياسية اذا أحسن تنظيمها وتوجيهها، واذا بعدت مثلها العليا عن كل هوى وشائبة . واذا أتيح لها قبل كل شيء أن تستند الى بعض الاسس العملية القوية ، فالحق لا بد أن تؤيده القوة . ومن المحقق أن فكرة العصبة

ومثلها العليا ستلقى بعد نهاية الحرب الاوربية أكبر عناية ، ولعلها اذا أصلح دستورها اصلاحا حقيقيا واسع المدى وأحيط بضمانات عملية حقيقية تعود فتبوأ مكانها الحقيقى وتستطيع أن تغدو عاملا فعالا فى حسم المنازعات الدولية

هذه خواطر دوناها على أثر زيارتنا لقصر عصبة الامم قبيل نشوب الحرب بأيام قلائل على ضفاف بحيرة جنيف وتحت خميلة من خمائل جزيرة « جان جاك » وكنا نظن انها ستلقى الضياء فى ظل السلام ، فأبى القدر الا آن تنشر فى ظل الحرب متأثرة بما توحى من الآراء والفكر (١)

محمد عبد الله عنان

أعمال البر وتنظيمها

(بقية المنشور على صفحة ٣٠٧)

عندنا ، فانها تتجه الى غاية محمودة يتمنى المصريون جميعا أن توفق فيها التوفيق كله . على اننا نحب أن نسترعى نظر الوزارة الناشئة الى أن صلة أعمال البر بالسلطات الحكومية ينبغى أن تكون على قدر لتبقى هذه الأعمال صورة من نشاط الجماعة نشاطا حرا لا تقيده الروح الحكومية ، ولا يتعرض لما قد تتعرض له الشئون الحكومية من التيارات أحيانا

نرجو أن تكون صلة وزارة الشئون الاجتماعية بأعمال البر الحرة صلة ارشاد وتشجيع ومعونة لا صلة تقلب هذه الجمعيات الحرة مصالح حكومية

والبر أوسع ميدانا من أن يضيق بجهود خاصة للحكومات تزاحم بالمناكب جهود الشعوب وفى ذلك فليتنافس المتنافسون

مصطفى عبد الرازق

---

(١) حدث بعد كتابة هذا المقال حادث جديد يقوى آمال انصار العصبة المتفائلين بمستقبلها ، هو ان جمهورية فنلندا ، سارعت ازاء الاعتداء الروسى عليها ، الى الالتجاء الى العصبة ، وطلبت عقد مجلسها ، وحددت العصبة بالفعل موعدا لهذا الاجتماع هو ٩ ديسمبر ، على أن يعقبه اجتماع الجمعية العمومية . وسنرى ما يمكن ان تنتهى العصبة الى اتخاذه من القرارات

إعرف نفسك بنفسك

بقلم الاستاذ محمد مظهر سعيد

مفتش الفلسفة بوزارة المعارف

الرجل المثقف أكثر مرونة في العقل ، وأوسع مجالا في الحديث ، وأكبر مدى في المعلومات . وله شخصية قوية محبوبة ، ورأى بارز في المجتمع ، وأثر كبير في الامور العامة . فكيف تكون هذا الرجل المثقف؟ اقرأ هذا المقال ، وطبق تجاربه لترى أي مراتب الثقافة بلغت

تقوم عقلية الانسان على أساسين هامين ، هما الذكاء ـ أو القدرة على التصرف فى المشاكل والمواقف الجديدة بأقصر الطرق وأقل الجهود ـ ثم الاستعدادات التى تساعد الانسان على كسب الخبرة والمعلومات . وهذه كلها استعدادات موروثة ، أو عمليات يظهر معظمها فى الطفولة ، ثم تنمو وتتدرج ، ولكن مجرد وجودها لا يضمن نموها على النحو المنتج المفيد . فلا بد لاظهارها والانتفاع بها من التعليم المنظم ، سواء أكان ذلك لاتقان حرفة أو صناعة ، فى المصنع أو الحقل أو السوق ، أم كسب المعلومات وتحصيل المعارف فى المدرسة أو المعهد . فالتعليم وحده يكشف هذه الاستعدادات وينميها ويسير بها فى الطريق الصالح المنتج ، ويظهر أثرها فى تكوين شخصية الانسان . فهناك أميون لديهم ذكاء طبيعى موفور ، لا ينتفعون منه ما دامت الظروف الصالحة لا تهيأ لهم . على ان التعليم وحده لايكفى لتكوين شخصية عامة قوية ، الا اذا كمل بالتثقيف . فقد يتعلم الانسان العلوم المدرسية ، ويتدرج فى مراحل التعليم حتى يصل فيه الى أرقى الدرجات ، ويصبح أستاذا أو أخصائيا ، فى علم أو فن ، ويكون مع هذا كله بعيدا عن الحياة ذاتها ، ناقص التكوين ، بحيث يحسبه الناس رجلا عاديا . فهناك أنواع من المعلومات العامة والفنون ليس للمدرسة نصيب فى تكوينها ، ولا يصل اليها الانسان بغير الاطلاع الواسع والخبرة

فالرجل المثقف غير الرجل المتعلم ، فهو أكثر مرونة فى العقل ، وأوسع مجالا فى الحديث ، وأكبر مدى فى المعلومات ، وله شخصية قوية محبوبة ، ورأى بارز فى المجتمع وأثر كبير فى الامور العامة . وهو لا يكون كذلك الا اذا ألم بطرف من الادب والفن ، واتصل بأمور الحياة العامة ، وعرف ما يجرى فى بلده وفى العالم من الاحداث الهامة ، وعرف لغة أخرى غير لغته ، وتتبع النهضة العلمية الحديثة ، وتيار الفكر فى الشرق والغرب ، الى جانب علومه التى تخصص فيها . على أن لا تبقى هذه الطوائف من المعلومات

منعزلة مستقلة بعضها عن بعض ، فيصبح عقله مخزنا كبيرا به غرف غير متصلة ، اذا دخل غرفة الادب فيه نسي غرفة العلوم ، وينتهي به الامر الى أن تصبح معلوماته تتفا غير منتظمة ولا منتجة • وانما هو يؤلف بينها في مجموعات منتظمة ، واحدة للعلوم ، وثانية للمعلومات العامة ، وأخرى للتاريخ والاجتماع ، وهكذا على قدر تنوع معلوماته ، ثم يربط هذه المجموعات بعضها ببعض ، فتصبح كلها مجموعة واحدة كبرى ، أو دولة علمية يشد بعضها ازر بعض ، ويستفيد كل فرع فيها من باقي الفروع ، بحيث اذا تكلم في الدين عرج على الفلسفة والمنطق ، واستعان بالتاريخ للاستقصاء والمقابلة ، وبالعلوم للبحث والتمحيص فتدور معلوماته كلها حول محور واحد ، يتدرج فيه الى الغرض الاسمى من التعليم والتثقيف ، وهو دراسة طرائق التفكير الصحيحة ومناهج البحث ، ومعالجة الامور بالحكمة ، والنظر فيها نظرا سديدا ، وكسب العادات العقلية المنظمة

وقد عني علماء النفس في الغرب بموضوع الثقافة ، ووضعوا عدة مقاييس لقياس مدى ثقافة الانسان في النواحي المختلفة ، على أساس ان الرجل المثقف يجب أن يكون ملما ولو ببعض الشيء بالامور البارزة المعروفة في الموضوعات الآتية ـ التاريخ المحلي ، الصناعات المحلية ومواطنها ، المؤسسات الصناعية ، الشخصيات البارزة ، التاريخ العالمي ، مشاهير الرجال في مختلف الميادين • الكتب المشهورة ، البلاد ذات الشهرة الخاصة ، المؤسسات العامة ومواطنها ، شهيرات النساء ، المخترعات العظيمة ومن تنسب اليهم وعملها ، الآلات المشهورة ، المعاملات والامور القضائية العامة ، المصطلحات العلمية العامة ، النباتات والحيوانات والمعادن والاحجار ، والاشجار والفواكه والخضر ، الطيور والدواجن ، المصنوعات الزراعية ، الاسماء المسجلة للمصنوعات ، الاعلانات المشهورة ، البدن ووظائفه وعلله ، المأكولات والمشروبات والمنسوجات ، المستخرجات المعدنية والنباتية ، الأدوات والآلات والاسلحة ، أدوات الزراعة والصناعة ، الاجناس البشرية والمعلومات العامة عن البلاد الاخرى ، الموسيقى وآلاتها المشهورة ، الرياضة البدنية والالعاب ، ألعاب التسلية • وقد روعي هذا الاساس في وضع الاختبار الثامن من اختبارات الجيش الامريكي المشهورة ، وعلى ضوئه وضعت الجزء الخاص بقياس درجة الثقافة العامة في اختبار البوليس والجيش المصري الذي استعمل لفحص طلاب مدرسة البوليس في وقت من الاوقات و « اختبار الجيش العراقي » الذي وضعته بناء على طلب رآسة أركان حرب الجيش في بغداد • والى القارىء صورة من الصور المعدة للاستعمال في مصر ، يستطيع بمقتضاها أن يقيس درجة ثقافته ويعرف نواحي الضعف فيها وما ينقصه من المعلومات العامة

اختبار الثقافة العامة

تجد في الاختبار الآتي جملة ناقصة وبجوارها أربع كلمات منفردة ، واحدة منها فقط هي التي تكمل هذه الجملة • فعليك أن تقرأ كل جملة على حدة ، مبتدئا من رقم

واحد وتضع خطا تحت الكلمة التي ترى انها تكمل المعنى ، كما في المثال الآتي :

الناس تنظر بـ : الاعين – الآذان – الانف – الفم

والآن ابتدىء

١ – مدينة القاهرة بناها : رمسيس • عمرو بن العاص • جوهر الصقلي • محمد علي
٢ – بماذا تلعب لعبة الكونكان : مضارب • ورق قطع خشب • نرد
٣ – المحلة الكبرى مشهورة بصناعة : السيارات • السجاد • المنسوجات • العاج
٤ – الدندراوي نوع من أنواع : الخيل • الدجاج • الماشية • الجرانيت
٥ – يصنع الفخار في مصانع : الدفراوي • سباتس • سرناجة • الحوامدية
٦ – توجد المدرسة البحرية بمدينة : القاهرة • الاسكندرية • بور سعيد • دمياط
٧ – يعرف الكسار بأنه : ممثل • مؤلف • لاعب كرة • مغني
٨ – انشاروش نوع من : الخيل • الماعز • الغنم • الطيور
٩ – تعرف هدى شعراوي بأنها : زعيمة نسوية • مغنية • ممثلة سينما • مؤلفة
١٠ – الخرشوف نوع من : الثعابين • السمك • السحالي • الخضر
١١ – نحصل على المرجان من : المناجم • الفيلة • الصخور • البحار
١٢ – مختار مشهور بأنه : شاعر • مصور • موسيقي • مثال
١٣ – الحرباء نوع من : الزواحف • السمك • الطيور • الحشرات
١٤ – لون الزمرد : أحمر • أزرق • أخضر • أصفر
١٥ – يصنع الفريك من : القمح • الدريس • الطماطم • الارز
١٦ – سانلايت هو اسم : دواء مجهز • سائل مطهر • صابون • مسحوق اسنان
١٧ – يعلن دائما بصورة فارس عربي عن : مشروب • سجاير • ملابس • دواء
١٨ – الزنزلخت هو اسم : آلة • طعام • شجرة • قماش
١٩ – بمباي هي مدينة في : الصين • الفرس • الهند • اليابان
٢٠ – الجستتنر هو نوع من أنواع : آلة الكتابة • آلة حاسبة • آلة طباعة • الراديو
٢١ – يوجد البنكرياس في : البطن • الرأس • الكتف • الرقبة
٢٢ – الشفيوت هو اسم : نسيج • مشروب • دواء • طعام
٢٣ – التبديد هو اصطلاح : طبي • ديني • قانوني • بيداجوجي
٢٤ – حدثت معركة التل الكبير في سنة : ١٨١٣ – ١٨٥٣ – ١٨٨٢ – ١٨١١
٢٥ – تستعمل الطنبورة في : الموسيقى • الاختزال • التجليد • الطباعة
٢٦ – تستخرج التربنتينا من : البترول • المناجم • الجلود • الاشجار
٢٧ – عدد أقدام الزولو : اثنان • أربعة • ستة • ثمانية
٢ – البرونتج هو نوع من أنواع : البندقية • المدفع • المسدس • السيف
٢٩ – مؤلف كتاب الايام هو المنفلوطي • احمد امين • هيكل • طه حسين

٣٠ ـ ديوس هو اصطلاح يستعمل فى : كرة السلة • كرة القدم • التنس • الهوكى
٣١ ـ الامبير يستعمل فى قياس : قوة الريح• الكهرباء• قوة الماء• سقوط المطر
٣٢ ـ الهليوتروب هو اسم : مشروب • لون • نسيج • طعام
٣٣ ـ البازلت هو : نبات • معدن • حجر • سائل
٣٤ ـ قيس هو شخصية فى رواية : عطيل • عائدة • مجنون ليلى • هملت
٣٥ ـ القصابية تستعمل فى : صيد السمك • صيد الطيور • السيارات • الزراعة
٣٦ ـ سيارات فورد ترد من : ألمانيا • فرنسا • بلجيكا • أمريكا
٣٧ ـ أينشتاين عالم مشهور فى : الكيمياء • الرياضيات • الجغرافيا • الجيولوجيا
٣٨ ـ من حلفاء ألمانيا فى الحرب السابقة : اليابان • بلغاريا • هولندة • الارجنتين
٣٩ ـ مطار الماظة يقع فى : السويس • حلوان • مصر الجديدة • الدخيلة
٤٠ ـ مترنيخ كان : ألمانيا• انجليزيا• فرنسيا• نمساويا

الاجابات الصحيحة

والاجابات الصحيحة هى :
١ ـ جوهر الصقلى ـ ٢ الورق ـ ٣ المنسوجات ـ ٤ الدجاج ـ ٥ سرناجة ـ ٦ الاسكندرية ـ ٧ ممثل ـ ٨ الطيور ـ ٩ زعيمة نسوية ـ ١٠ الخضر ـ ١١ البحار ـ ١٢ مثال ـ ١٣ الزواحف ـ ١٤ أخضر ـ ١٥ القمح ـ ١٦ صابون ـ ١٧ سجاير ـ ١٨ شجرة ـ ١٩ الهند ـ ٢٠ آلة طباعة ـ ٢١ البطن ـ ٢٢ نسيج ـ ٢٣ قانونى ـ ٢٤ ١٨٨٢ ـ ٢٥ الموسيقى ـ ٢٦ الاشجار ـ ٢٧ اثنان ـ ٢٨ المسدس ـ ٢٩ طه حسين ـ ٣٠ التنس ـ ٣١ الكهرباء ـ ٣٢ لون ـ ٣٣ حجر ـ ٣٤ مجنون ليلى ـ ٣٥ الزراعة ـ ٣٦ أمريكا ـ ٣٧ الرياضيات ـ ٣٨ بلغاريا ـ ٣٩ مصر الجديدة ـ ٤٠ نمساويا

درجات الثقافة

وتصحح الاجابات ، ويقدر لكل اجابة صحيحة درجة واحدة ، وتكون النتيجة كما يلى :

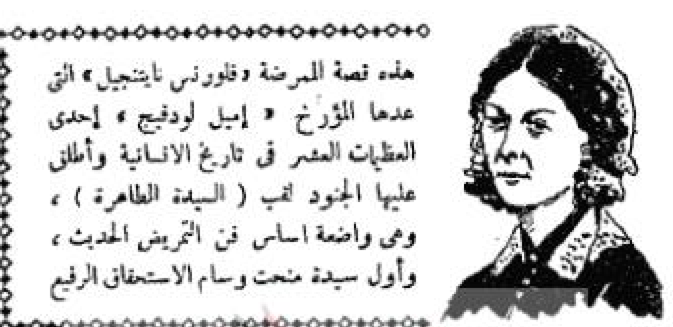
من ٣٣ ـ ٤٠ مثقف الى حد كبير جدا ، من ٢٥ الى ٣٢ فوق العادى ، من ١٧ الى ٢٤ ثقافة عادية ، من ٩ـ١٦ أقل من العادية ، من ١ الى ٨ غير مثقف

وبتحليل الانواع التى يكثر فيها الخطأ يستطيع الانسان ان يعرف الناحية الضعيفة فى معلوماته العامة وثقافته

محمد مظهر سعيد
مفتش الفلسفة ، وعضو هيأة البحوث الفنية بوزارة المعارف

فلورنس الطاهرة

الفتاة التي ضحت بسعادتها في سبيل الانسانية


هذه قصة المرضة «فلورنس نايتنجيل» التي عدها المؤرخ «إميل لودفيج» إحدى العظيات العشر في تاريخ الانسانية وأطلق عليها الجنود لقب (السيدة الطاهرة)، وهي واضعة اساس فن التمريض الحديث، وأول سيدة منحت وسام الاستحقاق الرفيع

نشأت فلورنس نايتنجيل في أسرة ثرية رفيعة ذات آراء حرة في مسائل السياسة والاجتماع. ونالت قسطا وافرا من التعليم المدرسي والثقافة الاجتماعية. ولكنها كانت منذ صباها ثائرة على بيئتها، خارجة على ما تعارفت عليه من الأوضاع والتقاليد. فكانت تضيق بالنصائح الخلقية التي تلقى الى مثلها من الفتيات، وتتكلف بكتابتها من آن لآخر بخط جيد، تحسينا لخطها وغرسا لها في ذهنها! وكانت كلما اقتربت من السن التي تدخل فيها «المجتمع»، زادت ثورتها على هذا الوسط وضيقها بحياته التافهة العابثة المملة، اذ كان أبرزما يميزها أخلاق حازمة صارمة تخفيها طلعة وسيمة وادعة، هذا الى انها كانت شديدة الانتباه الى نفسها فكان يؤلمها ويقلقها خوف دائم من أن تكون موضع انتقاد أو استهزاء

ولم يكن يهون عليها أعباء بيئتها وحياتها سوى هذه الصداقة التي توثقت بينها وبين أبيها، فكانت تلازمه طويلا وتناقشه كثيرا، وقد تعلمت منه الاغريقية واللاتينية وقرأت ما أمدها به من الكتب الكثيرة

ثم جاء اليوم الفاصل في حياتها، يوم ٧ فبراير سنة ١٨٣٧ حين جاءتها أول دعوة الى الحفلات العامة. لم تكن حينذاك قد بلغت سبعة عشر عاما، ولكنها أخذت تفكر في أمرها أو في مأساتها تفكيرا عميقا، رأت نفسها ضحية صراع عنيف بين رغبتين جارفتين: رغبتها في أن تحيا حياة نافعة تؤدي فيها من الخير ما يشرح صدرها ويرضي ضميرها، ورغبتها في أن تلائم بين نفسها وبين الوسط الذي تعيش فيه بتلبية مطالبه ومراعاة تقاليده

وكان هم الفتاة وقتئذ أن تنال اعجاب أكبر عدد من الشبان . فتتأنق في حديثها حتى يخرج ألفاظا مقطعة لا تجيدنطقها ، وتضفى على وجهها مسحة من الخفر والحياء ولو كلفها هذا كثيرا من الجهد والتصنع ، وتستقبل كل يوم صفا طويلا من الضيوف ، وهمها من ذلك كله أن تتزوج زواجا « طيبا » . وكانت فلورنس تحاول أن تحيا حياة قريناتها ، ولكن رغباتها الخفية كانت تحول بينها وبين هذه الحياة ، فألفت نفسها في سنها الباكرة حائرة موزعة بين حكم البيئة وقوة الضمير . ولاحظت أمها نفورها من زائريها الشبان ، فأهمها مستقبل ابنتها . ولكن هذا الهم تحول خوفا وفزعا حين صارحتها فلورنس بأنها تريد أن تدرس فن التمريض وأن تعمل ممرضة ، في احدى المستشفيات ... كيف ذلك ؟ فتاة من أرفع الاسر حسبا ومن أوفرها مالا ، وهي على حظ عظيم من الجمال والاناقة والذكاء، تريد أن تعمل ما لا يعمله الا بنات الطبقة الدنيا سعيا الى الرزق الكفاف ! وثارت بها أمها ، أما أبوها فنصح لها في تؤدة واتزان قائلا : ان عملك شيئا يغضب أبويك يعد أثرة وأنانية. فأصابت منها كلمة أبيها عاطفة رقيقة، فكبتت رغبتها ريثما تتاح لها فرصة تحقيقها، وان ظلت لا تشعر بأية سعادة الا حين تمرض أحدا من أقاربها ، أو ترعى طفلا من أهلها، أو تواسي فقيرا تصادفه في طريقها

وتقدم لخطبتها أحد الشبان فأخذت تقلب في زوايا نفسها عن شعورها قبله ، فلم تجد شيئا من الحب وان وجدت كثيرا من الاعجاب ، فسلكت معه مسلكا صرفه عنها بعد قليل

وكتبت بعد ذلك في يأس وحيرة تقول : « أنا .. من أنا ؟ أنا التي لا يوافقها شيء من هذا العالم الفسيح ! رباه ، من أنا ؟ اني أرى أختي تستمتع بشبابها وبثرائها وبجاهها ، أما أنا فأحطم سعادتي بيدي »

ولكنها لم تلبث أن وجدت الطريق الى سعادتها الصادقة ، حين شبت حرب القرم سنة ١٨٥٤ فأسرعت الى البلقان تواسي الجرحى والمرضى من الجنود ، بعد أن لقيت معارضة من أطباء الجيش وجنوده الذين كانوا يرفضون « الممرضات الارستوقراطيات » اللاتي لا يكدن يرين جريحا حتى يغمى عليهن من فرط الرعب ! أما ممرضات الجيش فكن فتيات يمتزن بالشدة والغلظة والقسوة ، حتى يصبرن على مشاق الحرب ولا يفزعن من منظر الدماء . وكانت وسائل التمريض عقيمة جدا ، فكانت الجراح تحشى بالقطن الملوث ريثما يأتي الجراح بعد ساعات طويلة ، وكان الجرحى والمرضى يكدسون في أماكن قلما ينفذ اليها الضوء أو الحرارة ، وكانت أوبئة الكوليرا والدوسنطاريا تعصف بالجنود عصفا ذريعا ...

فلما جاءت فلورنس نايتنجيل وضعت نظاما جديدا للتمريض على أسس علمية صحيحة، كما وجد فيها الجنود مثالا رفيعا في روحها وخلقها فأولوها ثقتهم واخلاصهم واطلقوا عليها لقبا من ألقاب القديسات هو « السيدة الطاهرة » . فكانت تمشي كل ليلة أربعة أميال وسط ردهات المرضى والجرحى ، فتتولى اسعافهم وتمريضهم بما يخفف عنهم آلامهم .

وكن ابرز ما يميزها هو هذه القوة الروحية العظيمة التى كانت تشع من وجهها وتفيض من حديثها ، فلا تكاد تدخل ردهة المرضى حتى يشعر كل فرد منهم كأن اعباء المرض التى تثقله قد وضعت أو خفت عنه كثيرا ، فكانوا ينتظرون موعد مرورها بصبر نافد وشوق عظيم ، فلا تكاد تهل عليهم حتى تتهلل وجوههم بشرا وفرحا

ولم تكن تكتفى بالتمريض والمواساة ، بل كانت تتولى عن المرضى والجرحى كتابة الرسائل الى أهليهم ، وكانت هذه الرسائل تفيض بالرحمة البالغة حتى كانت تخفف عن كثير من الارامل كوارثهن وكثير من الثاكلات فاجعاتهن

وعادت بعد الحرب الى انجلترا حيث استقبلت استقبالا شعبيا مجيدا ، ورفعها الشعب الى مصاف البطلات الخالدات فى صفحات التاريخ . ولكنها لم تكن فى هذه السن تأبه لمديح الناس أو تقبل الدعاية عن نفسها ، بل راحت تأسف وتندم لانها كانت فى صباها تقدر رأى الناس فيها وتحذر نقدهم لها . وهكذا غيرت هذه الحياة التى لا قصد لها الا ارضاء الضمير وراحته روحها تغييرا سمى بها عن خداع المظاهر وغرورها

وفلورنس نايتنجيل هى واضعة أساس فن التمريض الحديث ، الذى تسير عليه مدارس الممرضات ومعاهدهن المنتشرة فى بلاد العالم المتمدين جميعا . وقد كافأتها الحكومة البريطانية على خدماتها الانسانية العظيمة ، فكانت أول سيدة منحت وسام الاستحقاق الرفيع ، وكانت السيدة الوحيدة التى منحتها مدينة لندن حريتها ، وقد امتد بها العمر طويلا حتى بلغت سن التسعين ، وماتت فى سنة ١٩١٠ بعد أن تركت فى تاريخ الانسانية صفحة من أروع صفحات الاخلاص والجهاد

(خلاصة مقال بقلم س . هـ . تير فى مجلة ذى سيكلوجست)

اننا نحب الفتاة الشابة لما هى عليه فى الحاضر ، ونحب الشاب لما نرجوه منه فى المستقبل « جيته »

إن الغرور الذى يملأ قلوب بعض الشبان هو مصدر الأخطار التى تهددهم « بلير »

تنتهى حرية المرء عند النقطة التى تصبح فيها هذه الحرية لعنة للآخرين « فارار »

من الأدب العربى

شجاعة أسير

خرج تميم بن جميل عن طاعة المعتصم فى أيام دولته وانقطع الى بعض النواحى . وكان قد عظم أمره على المعتصم . فبعث وراءه من جاء به مكتوفاً أسيراً وقد اجتمع الناس من الآفاق والنواحى ينظرون كيف يقتله المعتصم ، وكان المعتصم قد جلس له مجلساً منكراً ، وأمر الناس بالدخول

ودخل تميم ، وحضر السياف ، وفرش النطع ، وكان تميم جميل الوجه تام الخلقة ، عذب المنطق ، فرآه المعتصم غير دهش ولا مكترث لما نزل به ، فأراد أن يستنطقه ليعلم أين عقله فى ذلك الوقت ، فقال له :

— يا تميم إن كان لك عذر فأت به

فقال :

— أما إذ أذن أمير المؤمنين ، فالحمد لله الذى جبر بك صدع الدين ، ولم بك شعث المسلمين ، وأنار بك سبيل الحق ، وأخمد بك شهاب الباطل ، إن الذنوب تخرس الألسنة الفصيحة ، وتعي الأفئدة الصحيحة ، ووالله لقد كبر الذنب ، وعظمت الجريرة ، وانقطعت الحجة ، وساء الظن ، ولم يبق إلا عفوك أو انتقامك ، وأنت الى العفو أقرب ، وهو بك أشبه وأليق . ثم أنشد :

أرى الموت بين السيف والنطع كامناً	يلاحظنى من حيث لا أتلفت
وأكبر ظنى أنك اليوم قاتلى	وأى امرىء مما قضى الله يفلت
وأى امرىء يأتى بعذر وحجة	وسيف المنايا بين عينيه مصلت
وما جزعى من أن أموت وإننى	لأعلم أن الموت شىء موقت
ولكن خلفى صبية قد تركتهم	وأكبادهم من حسرة تتفتت
كأنى أراهم حين أنعى إليهمو	وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا
فان عشت عاشوا سالمين بغبطة	أذود الردى عنهم ، وإن مت موتوا

فبكى المعتصم حتى ابتلت لحيته . وقال : « إن من البيان لسحراً . . يا تميم كاد السيف يسبق العفو ، وقد وهبتك لله ولصبيتك وغفرت لك الصبوة »

كتاب الشهر

أصلا الآداب والدين

للفيلسوف الفرنسي هنري برجسون

تلخيص الاستاذ علي أدهم

هنري برجسون فيلسوف فرنسي كبير ومن مفكري العصر المتازين ، وقد اثر في اتجاهات التفكير الفلسفي الحديث تأثيرا بليغا وطبعه بطابعه الخاص ، وهو يمتاز الى جانب ملكاته الفلسفية ووفرة معلوماته العلمية باسلوبه البارع وبيانه الممتع ، وقد كان لجمعه بين خصب المادة وجرأة الفكر وجاذبية الاسلوب اثر واضح في ابعاد شهرته وتوطيد مكانته ، وقد راجت فلسفته وصادفت اقبالا لانها اصابت نفوسا قد املتها المادية الصاخبة واسأمها التفسير الآلي للغز الوجود وغرابة الحياة ، ولم يقصر برجسون في الاحاطة بمختلف العلوم الحديثة من رياضية وطبيعية واجتماعية ليتشبع بافكارها ويستمد منها العون على اثبات نظرياته وتدعيم مذهبه - وكتابه « أصلا الآداب والدين » من كتبه الحديثة ، وقد حاول فيه ان يستكمل نواحي فلسفته ويطبق نظرياته التي بسطها في كتبه السالفة على الدين والآداب ، وهذا الكتاب كسائر كتبه حافل بمادة ثرية للتفكير وبه حكمة ناضجة ونظرات سديدة في اسلوب لامع وبلاغة اخاذة

كان الفيلسوف الالماني المعروف « كانت » يرى ان أعظم مسائل الفلسفة وأجلها شأنا ثلاث مسائل وهي أولا مسألة ما الذي نستطيع معرفته ؟ وثانيا مسألة ما الذي يجب أن نعمله ؟ وثالثا مسألة ما الذي نستطيع أن نرتجيه ونعلق آمالنا عليه ؟ والمسألتان الاخيرتان هما مجال الفلسفة الاخلاقية وميدان التفكير الديني والجواب عليهما يتوقف على رأينا في مصدر احساسنا بالواجب وشعورنا بالتبعة فمن أين يأتي هذا الاحساس ؟ ومن أين يستمد سلطانه وقوته ؟

الاجابات عن هذا السؤال كثيرة ومنوعة ولعل أشهرها وأقدمها نسبتها الى الله والقول بأنها أوامره المطاعة الخالدة ونواهيه المحرمة المحظورة ، أو نسبتها الى العقل الذي يبين للانسان طريق الخير وطريق الشر ، ومنها فكرة السعادة أو الكمال واقترانها بالخير ونفيها للشر ، وكان في فرنسا اتجاه فكري قديم بدأ من عهد سانت سيمون وأوجست كونت يرد ذلك الاحساس الى الشعور بالتعاون بين الفرد والمجتمع ثم بينه وبين الانسانية جميعها ، ولما ظهر مذهب التطور الاجتماعي في منتصف القرن الماضي وكانت تغلب عليه وتتمشى في مختلف نواحيه

فكرة التناحر على البقاء أضعف ذلك فكرة التعاون من ناحيته وشد منها وقواها من ناحية أخرى ، وقد بث فيها حياة جديدة من ناحية انه أثبت ان الواجبات المفروضة على الفرد تؤدى فى النهاية الى المحافظة على كيان المجتمع وصيانته من عوامل التحلل والفساد وقد أضعفها وهز أركانها لانه لم يترك متسعا للاخلاق العالية والعواطف السامية التى تشيد بحب الانسان لاخيه الانسان وسائر اخوانه فى الانسانية ذلك الشعور الكريم الذى تدعو اليه الاديان العظيمة ويقول بوجوبه كبار الاخلاقيين ، وكان الموقف يقتضى بعد ذلك أحد شيئين وهما اما أن نرفض التفسير العلمى الطبيعى ونعتبره تفسيرا ناقصا واما أن نرفض وجود تلك العواطف النبيلة السامية التى قدمت لنا أسمى الصور الانسانية وأرقى النماذج الاخلاقية فى التاريخ ، وأهمية كتاب برجسون هى فى انه يحاول حل مشكلة الدين والاخلاق من طريق آخر مبتكر يوائم مذهبه الفلسفى ورأيه فى التطور الخالق والبديهة الكاشفة

وكتابه مقسم الى أربعة فصول ، وقد حاول فى الفصل الاول أن يضع أساس حل ذلك المشكل ، ورأى التفريق بين نوعين متباينين من الآداب ، النوع الاول ناشىء من الطبيعة والنوع الثانى ناشىء من عمل الحياة ذاتها الذى تعتبره الطبيعة فى هذه الحالة مظهرا جزئيا تابعا ، والطبيعة قد فرضت علينا فى صورة الغرائز تعاون الفرد مع الجماعة ، واذا أردنا أن نرى أتم صور الآداب الناشئة من الغريزة فعلينا أن نتأمل حياة النحل أو النمل التى يعيش فيها الفرد فى الجماعة وللجماعة ، ولكن الانسان قد منح العقل والعقل بطبيعته نفعى ومقصود به المصلحة الشخصية وهو يحث الفرد على التفريق بين مصلحته الخاصة ومصلحة المجتمع العامة ، ولكن ضغط الرابطة الاصلية والغريزة المتغلغلة باق رغم ظهور العقل وهو ضغط شامل غلاب يدفع حتى المجرم الذى خرج على المجتمع وثار بقواعده وأحكامه الى أن يستعيد ثقة الناس به ، وفى هذا الضغط القوى المستمر يرى برجسون أصل النوع الاول من الآداب أو الآداب الطبيعية ، ويرى ان هذا النوع من الآداب ثابت غير متغير لا يطرأ عليه تطور ولا تقدم بل هو شديد المحافظة لانه يتمثل وتظهر آثاره فى عادات وأخلاق وقوانين وشرائع تجعل الناس يسيرون فى دائرة ضيقة محدودة هى دائرة الحقوق والواجبات

ويقابل هذا النوع من الآداب نوع آخر يختلف مصدره اختلافا تاما وهو لا يعمل بدافع الغريزة أو بضرورة طبيعية وانما يعمل بقوة الجذب والاقتداء المختار وهو لا يبدو فى العادات المبتذلة المألوفة وانما يتمثل فى حياة الرجال العظماء وتعاليمهم ، وهم على اتصال بلمسات الحياة البدهية وينابيعها الثرية يستمدون منها العواطف الملهمة والنظرات الاخلاقية السامية ويسمى برجسون النوع الاول من الآداب وهو النوع الذى فرضته الطبيعة علينا فرضا «الآداب المقفلة» ويسمى النوع الثانى «الآداب المفتوحة» والانسان ينتقل من الآداب المقفلة الجامدة الى الآداب المتحركة الثورية التى تستمد أصولها مما

فوق الطبيعة وهى لا تربط الانسان بالانسان بدافع المصلحة أو دافع الغريزة وانما بشعور خفى من الحب والعطف مصدره الاحساس بالاشتراك فى الحركة المبدعة الخالقة والمساهمة بنصيب فى سيرها التقدمى وخطواتها الوثابة ، وكما اننا نتجه الى ما وراء العقل عندما نبحث عن مصدر النوع الاول من الآداب فكذلك هنا نتجه الى ما هو فوق العقل لنبحث عن مصدر هذا النوع الآخر من الآداب ، وفى التاريخ نماذج مأثورة وأمثلة يشار اليها من تلك النفوس العالية التى لا يحركها مجرد الصراع بين الحق والواجب وانما تتفتح نفوسها وتتهيأ عواطفها لاستقبال موجة المد الزاخر والآتى المتدفق المقبل من تلك النواحى العالية ويحملها دافع الحب الى أن تنفح غيرها مما أفاضه عليها وغمرها به ذلك الشعور السابغ وتلك القوى الحيوية الدافقة وبذلك تنتقل الحياة الى مستوى أرفع وتسمو على المجال الضيق المحدود الذى تتركها به الآداب المقفلة المحرومة من نفحات الالهام وقبسات الوحى والتى تعتمد على الغريزة الحيوانية المسيطرة على الافراد والمتصرفة بأعنة نفوسهم

وكما فرق برجسون فى الآداب بين الآداب المقفلة والآداب المفتوحة فهو كذلك حيال الدين يميز كذلك نوعين وهما الدين الطبيعى الجامد والدين فوق الطبيعى الفعال القوى ، وفى محاولته البحث عن مصادر الدين الطبيعى يجد برجسون نفسه مضطرا الى مقاومة فكرة الفيلسوف الفرنسى الاجتماعى « ليفى برهل » القائلة بأن الصفات المكتسبة تورث وبذلك يتحول عقل الانسان الى حد انه يمكن أن يقال ان منطق الانسان الحاضر يختلف عن منطق الانسان الاول ، ويرى برجسون ان التسليم بذلك الرأى يحول بين علم النفس وبين معرفة أساس الوعى الدينى سواء عن طريق مراقبة الغير أو ملاحظة أنفسنا وحتى اذا افترضنا وجود طبقة من الوعى الدينى كامنة تحت غيرها من الصفات المكتسبة للافراد والجماعات فانه من الصعب فى هذه الحالة الاهتداء اليها ، ويرى برجسون انه قد وقف على أساس الوعى الدينى فى حاجة الانسان الى الاستعانة بقوة تأخذ بيده وتزيل انقباضه ووحشته ازاء عدم اكتراث الطبيعة وقسوتها البادية وما تثيره فى النفس من مخاوف وأوهام ، وفى الجماعات المتأخرة التى لم يكبح عقلها ويصقل تفكيرها تقدم المعرفة بأساليب الطبيعة يجد الخيال حريته فى خلق الاساطير حسب نزواته ، ولكن فى الجماعات التى ظفرت بنصيب من الترقى والتقدم تظهر الاساطير الشعرية المنطوية على ملاحظات دقيقة ونظرات صائبة

فالدين غير الفعال ولا المتحرك هو رد فعل وقائى توجده الطبيعة لتتقى به تأثير العقل على الافراد لان هذا التأثير لو ترك ليسير سيرته لتحلل المجتمع وتفككت أواصره ، وظهور الوعى الدينى يستتبع نشوء الاعتقاد بالبقاء وأنواع العبادة وضروب الحفلات الدينية ، وكل منها يؤدى وظيفة حيوية عميقة المغنى بعيدة الغاية ، ولكن كيف يخرج الدين من هذه الدائرة الضيقة ويرتفع فوق هذا المستوى ؟ الذى يخرج الدين من هذا المجال المحدود ويسمو به هو الدين الفعال المتحرك ، وقد أوقف برجسون الفصل الثالث من كتابه على

التحدث عن ذلك وفيه يبسط الفرق بين الدين الثابت الجامد والدين المتحرك الفعال الذي يقوم على وحي البداهة ، وهو لا يستند الى تطور عقلي أو اجتماعي وانما ينشأ في صورة وحي مفاجيء ، وكشف روحي يتنزل على طائفة قليلة مختارة في وسعها أن تتلقى تأثيره وتستغرقها عاطفته وهو يسمى هذا اللون من الدين « الصوفية » وهو يرى ان أفرادا قلائل في التاريخ قد وصلوا الى هذا المستوى الرفيع

ويعتقد برجسون ان داء العالم الحديث هو شدة اقباله على الترف المادي الذي يسرته للانسان المكتشفات الحديثة ، وهذه الحالة ضرب من الجنون يعادل جنون التنسك والزهد الذي ساد في العصور الوسطى ولو ترك سائرا في مجراه لاستوفى شوطه وخلف الانسان منهوك القوى متهافت الاعصاب ولكنه قد تطهرت نفسه من الارجاس وبلغت مستوى أسمى من العقل والاتزان وفي ذلك يقول برجسون « لقد بدأت الرحلة من زمن ثم حدث ما استدعى الوقوف والامتناع عن السير ، وفي استئناف الرحلة سنعتزم من جديد القيام بما حاولناه من قبل ، ونحن ننتظر دعوات البطل وعندما تهيب بنا تلك الدعوات سيسارع اليه البعض ويتخلف البعض ولكننا جميعا سنشعر بأننا يلزم أن نتبعه ونقتفي أثره وسنهتدي الى الطريق الذي يمهده لنا ويزيل منه العقبات »

على ان الاقدار في فترة الانتظار لم تقطع عنا المدد ولم تضن علينا بالمساعدة فالعلم نفسه الآن قد أخذت تتراخى حدوده وتتسع آفاقه وينتقل من دراسة المادة الى دراسة العقل حيث قد انتهى هناك الى حقائق هامة تجتذب الانظار وتلهي الانسان عن محاربة الخيالات والانشغال بالالاعيب ، وهو لا ينظر الى الادلة التي تأتي من ناحية البحوث النفسية الحديثة بالاحتقار الذي تعود العلماء أن ينظروا اليها به ، وهو يرى ان مسألة انتقال الافكار قد أصبحت من الحقائق الثابتة وانه ربما يتلو ذلك قيام البرهان على حقيقة ما وراء المعلوم والبقاء الفردي ، والانسانية الآن في حالة اعياء وقد أبهظها عبء التقدم الذي بلغته ومستقبلها بيدها والمسألة متوقفة الآن على رغبتها في الحياة وهل هي رغبة صادقة ثم هل هي تريد مجرد الحياة ، أو تريد أن تحقق في كوكبنا الارضي الثائر وظيفة الوجود الاصلية باعتباره نفحة الهية

علي ادهم



أوربا لا يسودها رجل واحد

ساورت عقول كثير من رجال التاريخ أطماع السيادة على أوربا فأقاموا عليها الحروب تصليها النار اللاهبة ، وبثوا فيها الجيوش تذيقها النكال الرهيب . ولكن جميع هؤلاء الغزاة الفاتحين قد انتهوا بشعوبهم الى هزائم منكرة ، وانتهوا بأنفسهم الى مصائر فاجعة . فهل لنا أن نتنبأ بخاتمة الحرب التى يعانيها العالم فى هذه الأيام ، والتى لم تتمها إلا هذه الاحلام التى تضطرب فى ذهن رجل من قبيل أولئك الغزاة وإن كان ينقصه ما توافر لأكثرهم من الكفاية أو العبقرية الحربية؟

١ ـ هانيبال

أول من ساورته فكرة السيطرة على أوربا بطل قرطاجنة الجبار « هانيبال »

هجر أفريقية على رأس كتيبة من كتائب جيش أبيه وما زال صبياً فى سن التاسعة ، ولم يشهد أرض وطنه إلا بعد ستة وثلاثين عاما قضاها فى حروب وغزوات متواصلة ، عبر البحر أولا الى أسبانيا حيث استهل قيادته بنصر رائع على جيش يبلغ عدده ١٠٠ر٢٠٠ مقاتل . ولكن الأسبان كافحوه كفاحاً يندر مثيله فى التاريخ ، فعند ما وقف على أبواب احدى مدنها « سغنتم » ، قبل الصلح على أن يبرحها جميع من فيها من الرجال والنساء والأطفال دون أن يحمل أحد منهم أى متاع سوى ثوبين اثنين . فما كان من زعماء هذه المدينة الا ان اجتمعوا فى ساحتها وأوقدوا ناراً كبرى ألقوا فيها كل ما فى المدينة من متاع وأثاث ، حتى اذا اضطرم سعيرها وثبوا اليها حيث لاقوا حتوفهم أحراراً

هانيبال

ولما فرغ هانيبال من اذلال أسبانيا ولى وجهه شطر ايطاليا ، فعبر جبال البرانس الوعرة بجيش عدده خمسون الف راجل وتسعة آلاف فارس

واتجه الى جنوب ايطاليا حيث دارت معركة « وكانى » التى هلك فيها من الرومان سبعون ألف محارب بينما لم يفقد هانيبال أكثر من ستة آلاف جندى . وظل هانيبال يعيث فى أرجاء ايطاليا خمسة عشر عاما حتى خضعت له سائر مدنها فى الشمال والجنوب

ثم تقدم الى روما وقد تهيأت له سبل فتحها وامتلاك ناصية الدنيا بأسرها . ولكن أبى القدر أن تسقط روما وأن يلقى زمام أوربا الى رجل واحد ، فلما التحم الجيشان فى معركة ثراما انهال الرومان طعناً فى أفيال جيش قرطاجنة ، فثارت وهاجت وانقلبت على رجالها تقتلهم شر تقتيل

فأدت هذه الحيلة البسيطة الى هلاك عشرين الف قرطاجنى ، وأسر عشرين الفا آخرين ، أما سائر الجيش فقد تشتت فى الأودية واعتصم بالجبال هاربين ، ولم يفقد الرومان سوى خمسة عشر الفاً من الرجال . ولم يكن بد من أن يجمع هانيبال فلول جيشه ويعود الى قرطاجنة التى تركها منذ ستة وثلاثين عاما ، وأخذت روما التى ظن العالم أنها قد هرمت وتداعت تملى شروطها على عدوتها قرطاجنة . فأسلمتها هذه كل سفنها وعددها خمسمائة سفينة أحرقها الرومان على مشهد من هانيبال ورجاله ، وقبلت أن تضع نفسها تحت سيادة روما ، وأن تدفع غرامة مقدارها عشرة آلاف وزنة من الذهب وخراجاً سنويا يبلغ ٢٠٠ وزنة من الذهب ، وأن يتخير قائد الرومان مائة رهينة من أبناء قرطاجنة يستبقيهم فى أسره ضمانا لتنفيذ هذه المعاهدة

أما هانيبال فقد تقوى عليه أعداؤه ، فلبث فى قرطاجنة حسيراً . ثم فر الى سورية حيث حرض ملكها على محاربة الرومان . ولكن لم يلبث هذا الجيش الذي قاده ان ولى الادبار . فلاذ بالفرار الى ملك بثينيا الذى غدر به وأراد تسليمه الى روما . فآثر هانيبال الموت على الحياة ، وتجرع السم وهو فى سن الخامسة والستين ، بعد أن أخفقت جميع جهوده فى فتح روما وسيادة أوربا

٢ ـ أتيلا


أتيلا

وهذا متبربر أشد بأساً وأظلم قلباً من أترك زعيم القوط الذى هدد أوربا حيناً ولكنه باء بالفشل أخيراً . وقد ذبح أتيلا بيده شقيقه بليدا ليخلو له السبيل ، وفرض سطوته على أوربا من شرقيها الى غربيها

كان أتيلا زعيما لقبائل الهون التى استشرى خطرها فى أوائل القرن الخامس الميلادى ، إذ كانت تحتل المناطق الممتدة من بلاد القوقاز شرقاً الى بلاد المجر غرباً . وقد وضع هذا الطاغية خطة حكيمة تسهل له مهمة فتح أوربا واخضاعها : فسعى الى تقسيم أوربا شرقاً وغرباً ، فأما القسم الغربى فقد هادنه وحالفه أولا ، فخلا له وجه القسم الشرقى فسير اليه عصاباته تخرب المدائن والقرى ، وتسلب الأقوات والأرزاق ، وتنكل بالآمنين تقتيلا وتذبيحاً . فاضطر امبراطور روما أن يترضاه بجزية كبيرة يدفعها له فى كل عام ، ولكن آمال أتيلا كانت

أكبر من هذه الجزية بكثير ، فأغارت جنوده على الدانوب واجتازته ، وانتشرت في بلاد البلقان وعاثت فيها ، فعاد الامبراطور الى مرضاته بأن أقطعه اقليما فسيحاً من أملاك الدولة الشرقية

ولم يقنع أتيلا بما نال ، بل وجه جيوشه نحو القسم الغربي من أوربا ، فاجتاز نهر الرين ، وأغار على غاليا ـ أى فرنسا ـ واتجه الى أورليان ، حيث لقي جيوش الرومان وما انضم اليها من جموع القوط والفرنجة ، فوقعت معركة « تروى » سنة ٤٥١ التي تعد من المعارك الحاسمة في التاريخ ، إذ ردت عن فرنسا عادية هذه القبائل الهمجية . ثم تراجعت فلول الهون المدحورة الى بلادها الأولى ، ولكن أتلا لم تنكسر شوكته ولم تهدأ ثائرته ، بل ظلت فكرة الفتح والسيطرة تعاوده وتراوده ، فجمع رجاله وأغار على ايطاليا مشبعاً بروح الثأر والانتقام ، فسقطت مدنها في يده واحدة بعد أخرى ، حتى وقف على أبواب روما يتهددها بالخراب والنكال . ولكن القدر أنقذها سريعاً ، فأرسل على جنوده جراثيم وباء قتال أبادت منهم فريقاً كبيراً ، كما عانى الجيش مجاعة شديدة عجلت بهزيمته واندحاره . فتراجع أتيلا مع من بقي من جنوده الى بلاده حيث مات في العام التالي وهو يشهد كيف تبددت وتلاشت جميع أحلامه في حكم أوربا وسيادتها ، ولو أنه عاش سنوات أخرى لرأى كيف ثارت القبائل الجرمانية على قبائل الهون فشتتها الى بطاح روسيا ، وكيف أخذ الجيش الروماني يتطهر من جنود الهون المرتزقة ، فأعمل فيهم سيوفه تقتيلا

٣ ـ فيليب الثاني

اعتقد فيليب الثاني ملك أسبانيا أن عليه أداء رسالة دينية خطيرة ، هي إنقاذ أوربا من البروتستانتية واعادة الكاثوليكية الى سطوتها السابقة ، فأنشأ محاكم التفتيش التي ما زال الناس يرتجفون كلما ذكروا ما اقترفت من أساليب التنكيل والتعذيب ، وشن الحروب على بعض دول أوربا البروتستانتية وأمر جنوده أن يأتوا فيها كثيراً من الفظائع المنكرة ، ثم فكر في أن يبسط سيادته على أوربا بأسرها ليطهرها ممن كفروا بالبابا والكنيسة إذ كان يعتقد أن الخروج عليهما خروج على الملك وعرشه سواء بسواء

فيليب الثاني

ولم يكن ثمة في أوربا قوة تضارعه وتنافسه ، فكان على يقين من النصر حين شن الغارة على انجلترا التي لم تكن حينذاك سوى جزيرة صغيرة تحكمها امرأة هي « اليزابث » . وقد أعد فيليب لقهر هذه الجزيرة عمارة « الارمادا » التي كانت أقوى أسطول بحرى شهدته أوربا ، فقد كانت مؤلفة من ١٣٢ سفينة تحمل ٢١٦٢١ جندياً و ٨٠٦٦

بحاراً ، وجمعاً من القسس والرهبان يوقدون نار الحماسة فى قلوب الجنود

وتحركت الارمادا من ميناء لشبونة بين هتاف الجماهير وأدعية المصلين الذين وفدوا من جميع أنحاء العالم الكاثوليكى ليكون لهم نصيب من مجد فيليب وفخاره . وكان الانجليز حينذاك قد أعدوا عدتهم لكفاح المغير الذى يفوقهم كثيراً بجنده وسفنه وذخيرته . وكانت الملكة اليزابيث مبعث الحماسة اللاهبة التى اتقدت فى صدور الشعب جميعاً ، فقد تقدمت صفوف جيشها بعد أن ألقت فى الجنود كلمة خالدة قالت فيها : « اما أن أعيش معكم واما أن أموت أمامكم . انى أهب دمى فى سبيل الهى ووطنى وشعبى . نعم انى امرأة ضعيفة الجسم ، ولكنى أحمل فى صدرى قلب ملك — ملك انجلترا ! سأقف فى طليعة صفوفكم ، وسأجزى من يضحى منكم خير الجزاء . وثقوا بأننا سنقهر أولئك الأعداء ، أعداء الهى ووطنى وشعبى » .

ولم تكد « الارمادا » تظهر أمام الشاطىء الانجليزى حتى انهالت عليها قذائف النار تعاونها عواصف الرياح . فلما أقبل الليل كان الانجليز قد شطروا أسطول العدو شطرين ، وأسروا كثيراً من السفن والبحارة والقواد ، ثم أطبقوا على سائر القطع وأوقدوا فيها النيران ، فسرى الذعر فى نفوس الاسبان وولت فلولهم الى الوراء هاربين . ولما أفاقوا من هذه الغاشية التى فجأتهم ، جمعوا جموعهم وأقبلوا يهاجمون ، ولكن لم تلبث أن ركدت الريح ووقفت السفن لا تذهب ولا تجيء ، وأحاطت بها سفن العدو من كل جانب ، فلما أضاء الجو كانت السفن الباقية قد غاصت فى جوف الماء ، فلما أشرق الصباح تراءت على سطح الماء أشلاء الأرمادا مبعثرة هنا وهناك . . . كما تبعثرت آمال فيليب الثانى فى فتح أوربا وسيادتها

٤ — سليمان القانونى

توفق سليمان القانونى الى ما أخفق فيه سلفه محمد الفاتح الذى عجز عن أن يحقق ما ظل يمنى به النفس بعد فتح القسطنطينية من التوغل فى أرجاء أوربا . فمكث عشرين عاماً يحارب دون جدوى فى سبيل الوصول الى أرض ايطاليا ، كما منى بهزيمة منكرة عند ما أراد فتح بلغراد اذ ضحى من جيشه بأكثر من ٢٥٫٠٠٠ مقاتل . ولهذا اضطر الى أن يعدل عن فتح أوربا الى التوغل فى أرض آسيا ، وكذلك فعل حفيده سليم الأول الذى ولى وجهه شطر الشرق فغزا فارس وفتح مصر . فلما جاء سليمان القانونى أعرض عن وجهة أسلافه والتى بصره صوب أوربا . فبدأ بغزو بلاد المجر التى لم يثبت جيشها أمام جيشه أكثر من ساعة واحدة قتل فيها ملكها لويس الثانى ، ووقع منها مائة الف أسير فى قبضة هذا الغازى الجبار

ثم أغار على النمسا مرتين ، فاضطر ملكها الى أن يهادنه مقابل جزية كبيرة يدفعها له فى كل عام . وكذلك سير قرصانه فى أرجاء البحر الابيض المتوسط بقيادة زعيمهم خير الدين


سليمان القانونى

بربروس ، الذى قهر أساطيل شارلكان ملك أسبانيا ، واستولى على كثير من ثغور بلاده وعلى بعض موانىء فرنسا . ثم انقض على سواحل ايطاليا فعاث فيها نهباً وسلباً ، ثم اتجه الى شاطىء أفريقيا فهاجم تونس وكاد أن يستولى عليها ، وحطم فى أثناء ذلك أساطيل أسبانيا والبندقية والبابا تحطيما ذريعاً

ولكن ماذا كانت خاتمة سليمان القانونى بعد هذه الفتوح الموفقة وهذه الغزوات المؤزرة ؟ ؟ كانت خاتمة رهيبة مروعة فان احدى زوجاته أغرته بقتل ابنه الاكبر وولى عهده « مصطفى » . فارتحل الى فارس حيث كان ابنه هذا يقود احدى كتائب الجيش ، وهناك أمر حجابه بان يخنقوه ففعلوا على مرأى منه . ثم قتل حفيده من هذا الابن وكان طفلا رضيعاً

وقد أثر مصرع مصطفى فى أخ له اسمه « جيهانكير » فذهب الى أبيه يؤنبه على جريمته تأنيباً شديداً ، ثم استل سكيناً طعن بها نفسه ، فخر صريعاً أمام عين أبيه . ثم أصيب السلطان بنوبة من الجنون . فأمر بقتل ابنه الثانى « بايزيد » وأولاده الأربعة . وكان له ابن خامس يحبو . فأرسل اليه من قتله وألقاه فى قبر أبيه واخوته . ثم مات سليمان القانونى بعد ذلك وجيوشه تحارب فى أرض النمسا ، وبموته بدأت الدولة العثمانية تضمحل وتتراجع الى الوراء ، فقد أنهكتها أطماعه فى بسط سيادته على أوربا واستعباد شعوبها

٥ ـ قره مصطفى

واجهت أوربا بعد ذلك بمائة وعشرين عاماً خطراً تركياً ثانياً ، وذلك عند ما زحف عليها الصدر الأعظم قره مصطفى يريد فتح فينا

كان سلفه « محمد كبريلى » قد سير ٢٠٠,٠٠٠ جندى لفتح النمسا ، وعبر بهم نهر الطونة واستولى على قلاعه الحصينة ، ولكن لويس الرابع عشر أمد النمسا بثلاثين الف جندى فصدت الجيش العثمانى وأوقفته بعيداً عن حدودها ، ثم اتجه الى بولندا فنجح فى قهرها أولا ، حتى تولى أمرها قائدها الشهير «جون سوبيسكى» فانتصر على الاتراك انتصارات باهرة وشتت شمل جيوشهم هنا وهناك ، وردهم الى ما وراء نهر الطونة بعيد . فلما تولى قرة مصطفى منصب الصدارة العظمى استأنف فتوح كبريلى بجيش مؤلف من ١٥٠,٠٠٠ مقاتل اجتاز بهم نهر الطونة متجها الى فينا . وكانت النمسا وحيدة حينذاك ، فقد حالفت تركيا روسيا وفرنسا والمجر . فلم يجد الاتراك


قره مصطفى راجعا الى بلغراد بعد انكساره

مشقة فى الزحف الى الامام ، حتى خفقت أعلامهم على أبواب فينا ، التى لم يكن يحمى أسوارها المتهدمة المتداعية سوى ١٤٫٠٠٠ جندى تنقصهم الذخيرة والمؤونة ، ولم يكن هناك اذاً ما يحول بين قره مصطفى وهذه المدينة التى تعد مفتاح أوربا الغربية ، فمن استولى عليها وجد الطريق ممهداً الى بسط سيادتها على أرجائها الغربية والشمالية جميعاً .

ولكن شاء القدر أن يتلكأ قرة مصطفى فى الهجوم على المدينة دون سبب ما فأسرع « جون سوبيسكى » ، عدو الاتراك اللدود ، الى نجدة النمسا بأربعين الف جندى وتولى قيادة الجيش المدافع الذي اشتبك مع الاتراك فى معركة عنيفة انهزم فيها قره مصطفى هزيمة فاحشة ، فاضطر الى أن يلوذ بالفرار تاركا كل ما كان معه من المدافع والذخائر . وظل جيش جون سوبيسكى يتابعه وهو يعمل سيوفه فيمن يتخلف من فلول الاتراك . ويسترد فى أثناء سيره ما كان العثمانيون قد استولوا عليه من المدائن والقرى . ولما بلغ قره مصطفى بلغراد أراد أن يلم شتات جيشه ، ولكنها ثارت به وتمردت عليه ، وأرسل السلطان محمد الرابع من يأمر بقتله وارسال رأسه . فضربه أحد جنوده ضربة أطاحت بهذه الرأس التى طالما شغلتها أحلام السيطرة على أوربا

٦ ــ نابليون بونابرت

كان نابليون فى صدر شبابه يحلم بأن يعيد فى العصر الحديث سيرة الاسكندر الأكبر فى العصر القديم . فاتجه الى الشرق حين ظن الطريق سهلا الى تحقيق آماله ، فغزا مصر وفتحها ليتجه منها الى الهند التى منى نفسه بأن يكون فيها « مهراجا » يملك ويحكم كيف شاء ، ويمرح فى الترف والنعيم كيف أراد . وقيل إنه أراد فى بدء حياته أن يحارب فى صفوف الجيش التركى ، عسى أن يتوفق الى الغلبة والظهور فيصبح قائداً يهدد أوربا ويغزوها ، أو « خليفة » يقبض بيديه على كثير من شعوب الشرق والغرب

ولكن الظروف حولت وجهه عن آسيا الى أوربا ، فزحفت جيوشه تعيث فى جميع أرجائها ، ففتح ايطاليا فى معركة « مارنجو » ، واستولى على النمسا فى معركة « استرلتز » ، والتهم بروسيا فى معركة « نيا » ، وقهر جيوش روسيا فى معركة « فريدلند » ، ثم احتل البرتغال وطرد أسرتها المالكة الى البرازيل ، وسار الى أسبانيا فأخضع عصاباتها الثائرة وردها الى الجبال النائية ، ولم تعصم البابا قداسته ، فاستولى على أملاكه ، وأخذه أسيراً مكبلا بالأصفاد ، وهكذا لم تمض بضع


نابليون بونابرت

سنوات حتى كانت أوربا من أقصاها الى أقصاها فى قبضة يديه وحده . وكذلك يرقى بنفسه من عضو فى حكومة الادارة الى قنصل يعيد سيرة قناصلة الرومان ، ثم الى امبراطور له عرش مؤثل وله تاج مرصع . ولم ينس فى أثناء ذلك اخوته وأهله فعينهم ملوكا وحكاماً على شعوب أوربا ، فلويس ملكا على هولندة ، وجوزيف ملكا على اسبانيا ، وجيروم ملكا على وستفاليا التى تشمل ألمانيا وبولندا معاً ، وصهره مورا ملكا على نابلى وهكذا . بل لم تطف بذهنه يوماً ما خالجة من الشك فى مستقبله ، فسمي ابنه « نابليون الثانى ملك روما » ! وأطل به على الجماهير الهاتفة وهو يقول : « هذا ملك روما ، وان المستقبل بيدى » ! !

فلم لا يكون هذا الجبار العاتى مثلا أعلى يرنو اليه غليوم حين أثار الحرب الماضية ، وهتلر حين أوقد الحرب القائمة ؟ ؟ ولكن هل كان مصيره ـ على ماوهب من عبقرية حربية لاتماثلها عبقرية أخرى فى التاريخ ، وعلى ما أتيح له من روح الثورة المضطرمة فى صدر جيشه فاندفع الى الحرب مترنما بأهازيج المجد والحرية ـ خيراً من مصير أولئك المجازفين الذين منوا النفس من قبل بفتح أوربا وقهرها ، فكانت أوربا أشد منهم بأسا وأمنع جانبا فدحرتهم وردتهم خائبين ؟ ؟

كلا ! فما هى الا غلطة واحدة ارتكبها حتى تداعت قوائم هذا البناء الشامخ . فقد أراد نابليون أن يقهر روسيا ، فوجه اليها أعظم جيش تحرك على أرض أوربا حتى ذلك التاريخ ، اذ كان مؤلفا من ٦٠٠٫٠٠٠ جندي ، ولكن الطبيعة القاسية لم تنقذ من البرد والجوع والتعب سوى ٢٠٫٠٠٠ جندى . فنبهت هذه الهزيمة الكبرى شعوب أوربا الى استرداد حريتها التى انتهكها هذا الجبار العنيد ، فتحالفت عليه جميعا حتى قهرته فى معركة واترلو التى أراد أن يفر منها هاربا الى أمريكا ، ولكنه وقع أسيراً فى قبضة الانجليز ، فنفى الى صخرة نائية جرداء فى عرض المحيط حيث قضى ما بقى من حياته ذليلا كسيراً ، الى أن مات بعيداً عن وطنه الذى تركه أضعف وأفقر مما وجده بعد أن أفنى رجاله وشبابه فى أتون الحروب . أما « نابليون الثانى ملك روما » فقد عاش معذبا مشرداً ، حتى مات فى سن الصبا ميتة ليست بأقل أسى من ميتة أبيه . . .

٧ ـ غليوم الثانى

ألمت به النوبة التى ألمت بنابليون ، فسار يسلك طريقه ويتأثر خطاه . فبدأ سلسلة أطماعه بهذه الاغلال التى صفد بها عنق « الرجل المريض » . استأثر بأمره اقتصادياً ثم استولى على زمامه عسكريا .


غليوم الثانى

وارتحل بعد ذلك الى تركيا حيث سار فى شوارع الاستانة كما يسير الفاتح الغازى . وانتقل منها الى سورية حيث وقف فى دمشق يعيد قول نابليون قائلا : « انى أجرد سيفى دفاعاً عن الاسلام » ! ولكن الفراش الذى استلق عليه الرجل المريض يحرسه الأسد الانجليزى والدب الروسى ، فلا سبيل الى أن يستولى على الاستانة ويمد نفوذه منها الى آسيا فيغزوها والى أوربا فيسودها ، ما لم يقهر الاسد الرابض على سطح المـاء ، والدب الهائم على وجه اليابسة . فأمر ببناء أسطول هائل يضارع الأسطول البريطانى ويتحداه ، وأعده بسـلاح جديد لا عهد للانجليز بكفاحه هو الغواصات . وأمر بانشاء جيش جبار يقاوم أى جيش أوربى يعترض طريقه الى الفتح والسيادة ، وملأت الآمال جوانب رأسه فقال : ان بريطانيا ستوزع بوارجها فى بحار العالم لتحرس أملاكها المتناثرة فى جميع الأنحاء ، فلا يبقى أمام الأسطول الالمانى سوى بوارج قليلة يتيسر لى اغراقها ، فاذا خلا لى وجه البحر أنزلت خمسمائة ألف جندى فى أرض انجلترا فأخضعتها لسيادتى ونشرت من هناك لوائى يرفرف على ربوع أوربا

وأخذ غليوم يثير القلق فى أنحاء أوربا ليتخذ أية وسيـلة يحقق بها أطماعه فى قهر أوربا وحكمها . فما هى الا رصاصة أصابت ولى عهد النمسا حتى أوقد غليوم نار الحرب الكبرى . زحفت جيوشه الى فرنسا ، فوقفت بينها البلجيك محايدة مسالمة ، فتناول غليوم قلمه وهو جالس على مكتبه وأشر على خارطة أوربا بالغاء هذه الدولة إلغاء تاماً . فاخترقت جيوشه بلاد البلجيك حيث أصلت شعبها الوادع ناراً مروعة لن ينسى العالم فظائعها الرهيبة . وعاثت قوات غليوم فى البحر بغواصاتها وفى البر بسمومها أمداً طويلا ، وخيل للناس أحيانا كثيرة أن غليوم كاد أن يقهر أعداءه ويحقق أمانيه . ولكن ماذا كانت النتيجة بعد حرب دامت أربع سنوات ومائة يوم ؟ ؟ كانت هذه الهزيمة المنكرة التى منيت بها جيوش غليوم فى البر والبحر والهواء ، وهذه المعاهدة التى شذبت أطراف المانيا وقضت على ما بقى من فلول الجيش والأسطول ، وهذا الدمار الذى أصيبت به الحياة الاقتصادية فى المانيا طول سنى الحرب وفيما بعدها حتى يومنا هذا . أما غليوم فقد لاذ بالفرار من شعبه الذى ثار به لينتقم من هذا الذى أهلكه فى سبيل أطماعه ، وآوى الى هولندة حيث يقضى آخر أيامه حسيراً . وقد أراد القدر أن يقسو عليه مرة أخرى فمد فى شيخوخته ليشهد فى المانيا رجلا آخر ، يساوره ماساوره من أحلام السيادة على أوربا ، فساق شعبه الى أتون حرب جديدة، دون ان تنال منه عبر التاريخ التي تعيد نفسها حيناً بعد حين

عبد الحميد عبد الغنى

مؤامرة الحرب
بين بسمارك وهتلر

تجرى السياسة الالمانية فى هذه الايام وفق تقاليد وضعت لها منذ عهد بعيد ، فلاتختلف وسائلها الحاليةعن أساليبها القديمة الا اختلافا يسيرا ، بدليل ان الحجج الذى تذرع بها بسمارك حين شن الغارة على فرنسا منذ سبعين عاما ، لا تفترق كثيرا عن الاسباب التى ادعاها هتلر حين أوقد الحرب واجتاح بولندا

كانت سياسة بسمارك ترمى الى غايتين : توحيد الولايات الالمانية المتعادية ، وبسط سيادة بروسيا عليها . وقد حقق جانبا من هذه الغاية بعد حروب شتى أحرز النصر فى ساحتها . ولكنه رأى أن خير وسيلة لتوثيق عرى هذا الاتحاد ، أن يجمع الولايات الالمانية كلها على عداء دولة من دول أوربا الكبرى ، فألقى بصره النافذ على جارته الآمنة فرنسا ، وهكذا أصلى بسمارك الشعوب الآمنة نار حرب السبعين ، لا لان أحدا منها اغتصب حقوقه أو جار على حدوده ، بل لانه وجد فى الحرب طريقا الى تنفيذ سياسته وتحقيق أطماعه فى داخل المانيا

أما الخديعة التى دبرها بسمارك ليتخذها ذريعة للعدوان على فرنسا ، فهى النموذج الذى احتذاه هتلر حين أخذ يدبر المكائد التى أقامت الحرب الحالية . فلنلق نظرة عابرة على الماضى لنرى كيف أعاد التاريخ أحداثه ووقائعه

كانت اسبانيا فى عهد بسمارك تجتاز فترة من فترات الفوضى والاضطراب ، ولم يكن على عرشها ملك يتولى أمرها ويدبر سياستها ، فتقدم الاسبان بتاجهم الى أمير من أسرة هوهنزلورن التى تحكم المانيا . ولكن فرنسا أنكرت على اسبانيا هذه الخطة وأخذت تسعى الى عرقلتها وتعطيلها ، اذ رأت فيها أخطارا تسورها من جميع الجوانب حتى يقف لها فردان من أسرة واحدة على ضفاف الرين وسفوح البرنيز . ورأى بسمارك فى خطة فرنسا ذريعة الى تحقيق أطماعه ومنفذا يسير منه جيوشه ، ولكن ملك بروسيا رأى أن يفوت على بسمارك هذه الفرصة السانحة ويجنب الشعبين أخطار حرب مروعة . فنقم عليه بسمارك أشد النقمة وكتب عنه فى ذكرياته : « انه كان رجلا مسنا فى سن الثالثة والسبعين ، وكان يكره الحرب ويؤثر عليها السلام ، خشية أن يخسر فى معارك جديدة ما كسبه فى معركة قديمة » أى فى الحرب التى انتصر فيها على النمسا سنة ١٨٦٦

رأى هذا الملك « المسن » ما تستهدف له أوربا من الاخطار اذا اعتلى أحد أقاربه عرش اسبانيا . فلما احتجت الحكومة الفرنسية على خطة اسبانيا وتحرجت الامور وارتبكت العلاقات بين الدول الثلاث ، نصح الى قريبه الامير ليوبولد أن يعتذر الى اسبانيا ويرفض عرشها . وبذلك أفلتت فرصة الحرب المنشودة من يدى بسمارك ، ولكنه ظل يرقبها فى حذر ويقظة حتى سنحت مرة أخرى

وكان ذلك فى فصل الاجازات حين آوى بسمارك الى مقره فى الريف، بينما ذهب الملك الى مدينة ايمز يستحم ويستشفى . فقد رأى سفير فرنسا أن يتبع الملك الى تلك المدينة ، حيث عرض عليه ماكان يخفيه عنه بسمارك من رأى فرنسا وخطتها فى أمر عرش اسبانيا . فلما بلغ بسمارك ما جرى بين الملك والسفير من الاحاديث ، وعلم ان الملك أقر رأى الحكومة الفرنسية وارتضاه ثارت ثائرته وقرر أن يستقيل . ودعا اليه قائدى الجيش الالمانى « فون مولتكة » و « فون رون » وأخبرهما بما كان من أمر الملك الذى خشى الحرب واسترضى فرنسا ، فتملكهما ما تملكه من الغضب والسخط ، وأسفا على أن مناصبهما الحربية لا تبيح لهما أن يشاركاه استنكاره واعتزاله

وبينما هم يتحدثون فى هذا على مائدة العشاء ، اذ ببرقية ترد الى بسمارك وقد ذكرفيها الملك أن السفير الفرنسى طلب اليه أن يصرح الملك بأنه يرفض فى المستقبل ، كما رفض الآن ، أن يتولى أحد أقاربه عرش اسبانيا ، وانه أجاب السفير بأنه لا يستطيع أن يقطع على نفسه تعهدا حاسما فى أمر موكول بظروف المستقبل ووقائعه ، وبأن المسألة قد انتهت الآن الى ما تريد فرنسا فلا داعى لأن تستقبل سفيرها مرة أخرى

قرأ بسمارك هذه البرقية على ضيفيه فازدادا حزنا ، « وبلغ من تألمهما — كما أثبت فى ذكرياته — أنهما تركا ما كانا فيه من طعام وشراب » . ولكن عينى بسمارك النافذتين رأتا فى هذه البرقية فرصة أخطأتها عيناهما فأسرع يلقى على فون مولتكة أسئلته الحاسمة : الى أى مدى بلغ اعداد الجيش الالمانى وتأهبه لخوض المعركة ؟ وكم من الوقت يلزمه حتى تكمل أهبته ويستطيع الزحف على عدوه ؟ وماذا يخشى من الجيش الفرنسى وما مبلغ ثقته بقهره وهزيمته ؟ فأجاب مولتكة محزونا ان الجيش الالمانى كامل الاهبة ، وهو يتحفز للضربة القاضية أول ما يلقى اليه أمر الحرب ، وهو أشد ثقة بالنصر والغلبة

فامسك بسمارك قلمه الرصاص وخط به خطوطا على صفحة البرقية . ثم قال فى ذكرياته فيما بعد انه لم يغير فى هذه البرقية كلمة ما ، ولكنه حذف بعض ألفاظها وعباراتها، فتغير أسلوبها وروحها تغيرا تاما ، اذ صار معناها ان السفير عرض على الملك رأى فرنسا بطريقة وقحة شرسة ، وان الملك رفض هذا الرأى رفضا حازما قاطعا ، وانه طرد السفير من حضرته وأمر ألا يدخل اليه مرة أخرى . ثم قرأ لضيفيه البرقية بعد تعديلها، «فعاودهما من المرح — كما يقول — ما أدهشنى، وسرعان ما استعادوا شهيتهما الى الطعام والشراب» . وقال فون رون : « ان الله لا ينسانا فى كهولتنا ولا يدعنا نفنى من اليأس والقنوط » .

وقال فون مولتكة : « ان لها الآن جرسا آخر • فقد كانت أشبه بحديث ودى ، فصارت كصوت الطبل يدوى فى أذن من يريد الحرب » • وأسرع بسمارك فبعث بهذه البرقية الجديدة الى صحف أوربا ، فنشرتها فى الصباح التالى كأنها اصرار من ألمانيا على مجابهة فرنسا بالتحدى ومناصبتها العداء

وانها لصورة بشعة قبيحة منفرة أن نرسم هؤلاء الكهول الثلاثة ، حين أخذوا يصبون الخمر فى بطونهم المتنفخة المتدلية ، حتى اذا سرت حمياها الى رؤوسهم الشائبة الصلعاء ، راحوا يهنىء بعضهم بعضا بأن أوقدوا نيران الحرب لتحرق آلافا وآلافا من الرجال والشبان ، وتفجع فيها آلافا وآلافا من الارامل واليتامى

هذه قصة بسمارك وحربه على فرنسا ، وهى القصة التى أعادها التاريخ منذ شهور بعد تحوير طفيف • فقد كان بطل القصة الاولى أقدر وأبرع وأذكى ، ولكن بطل القصة الثانية لا يقل عنه خبثا وقسوة وغدرا

قد ينال الشر اعجاب المرء اذا أحكمت خطته وسددت رمايته ، وهذا ما حدا بالتاريخ الى أن يمجد ذكرى بسمارك الداهية الذى أنشأ بروسيا الخاملة دولة كبرى • ولكن أية حكمة وأى سداد فى هذا الشر الذى تقارفه أيدى النازى ؟ انها عصابة نشأت نشأة مجهولة ، وأخفق أكثر أفرادها فى مهنتهم وأعمالهم ، فاتجهوا الى السياسة اتجاها شاذا كان قوامه عنف وسطوة وارهاب ، ثم نقض للعهود وغدر بالمواثيق • فبسمارك وهتلر يتفقان فى تدبير مؤامرة الحرب التى لم يكن من داع اليها ، ولكنهما يختلفان بعد ذلك : فالاول رجل أصيل فى السياسة ، نافذ البصر فى المشكلات ، يعرف كيف يوجه الضربة وأين يلقيها • والثانى دخيل على العالم السياسى ، قصير النظر فى أمر الحكم ، وسوف يثبت المستقبل أنه أخطأ الضربة وتجاوز الهدف

(خلاصة مقال فى صحيفة ذى ايفننج ستاندرد)

☆ الحرية هى حق لكل امرىء منذ ولادته ، فهو يرضعها مع أول نسمة من الهواء يستنشقها عند ما يجىء الى هذا العالم

(بنكارد)

☆ ان صباح الحياة يشبه الفجر ، تسوده الطهارة والنقاوة والتخيلات الجذابة والتناسق

(شاتوبريان)

من طرائف الأدب

أريحية قائد

أهدر أمير المؤمنين المنصور دم رجل كان يسعى بفساد دولته مع الخوارج من أهل الكوفة وجعل لمن دل عليه أو جاء به مائة ألف درهم . ثم إن الرجل ظهر ببغداد ، فبينما هو يمشي مختفياً في بعض نواحيها إذ بصر به رجل ، فعرفه ، فأخذ بمجامع ثيابه ، وقال : « هذا بغية أمير المؤمنين »

فبينما الرجل على هذه الحال إذ سمع وقع حوافر خيل ، فالتفت فاذا معن بن زائدة ، وكان معن جواداً شجاعاً ، فاستغاث به الرجل قائلا : « أجرني أجارك الله » فقال معن للرجل المتعلق به : « ما شأنك وهذا ؟ » فأجابه : « إنه بغية أمير المؤمنين الذي أهدر دمه ، وجعل لمن دل عليه مائة ألف درهم » ، فقال له : « دعه » والتفت الى غلامه ، وقال : « إنزل عن دابتك واحمل الرجل »

فصاح الرجل المتعلق به ، واستجار بالناس ، وقال : « أيحال بيني وبين بغية أمير المؤمنين ؟ » فقال له معن : « اذهب ، فقل لأمير المؤمنين ، وأخبره أنه عندي »

فانطلق الرجل الى المنصور وأخبره ، فأمر المنصور باحضار معن في الساعة ، فلما وصل أمر المنصور الى معن دعا أهل بيته ومواليه ، وقال لهم : « أقسم عليكم ألا يصل الى هذا الرجل مكروه أبداً ، وفيكم عين تطرف »

ثم سار الى المنصور ، فدخل وسلم عليه ، فلم يرد عليه المنصور السلام ، ثم قال له : « يا معن أتتجرأ عليّ ؟ » قال : « نعم يا أمير المؤمنين » !

فقال المنصور : « ونعم أيضاً ؟ » وقد اشتد غضبه . . .

فقال معن بن زائدة : « يا أمير المؤمنين ، كم من مرة تقدم في دولتكم بلائي ، وحسن غنائي ، وكم من مرة خاطرت بدمي ؟ . أفما رأيتموني أهلا لأن يوهب لي رجل واحد استجار بي بين الناس ، بوهمه أني عبد من عبيد أمير المؤمنين ، وكذلك أنا ، فمر بما شئت ، وهأنذا بين يديك » فأطرق المنصور ساعة ، ثم رفع رأسه ، وقد سكن ما به من الغضب ، وقال له : « قد أجرناه لك يا معن » فقال له : « ان رأى أمير المؤمنين أن يجمع بين الأجرين فيأمر له بصلة أحياه وأغناه »

فقال المنصور : « قد أمرنا له بخمسين الف درهم » فقال معن : « يا أمير المؤمنين ان صلات الخلفاء على قدر جنايات الرعية ، وان ذنب الرجل عظيم ، فأجزل له صلته » قال : « قد أمرنا له بمائة ألف درهم » فقال معن : « عجلها يا أمير المؤمنين فان خير البر عاجله » ، فأمر بتعجيلها ، فحملها وانصرف ، وأتى منزله وقال للرجل : « يارجل خذ صلتك والحق بأهلك ، وإياك ومخالفة الخلفاء »

قصة ملخصة



الجواهر

للقصصي الاشهر جي دي موباسان

ترجمها الى العربية الاستاذ عبد الرحمن صدقي

كانت زوجة مليحة رقيقة مدبرة ، جعلت زوجها بمرتبه المتواضع يجد عندها السعادة المنشودة ، ويظفر في كنفها بما يظفر به المترفون . ثم عاجلتها المنية ، فلزمه الاسى كما أدركه الارتباك والحاجة . ولكنه ما لبث أن أيقظته صدمة مرة أليمة مقرونة بالثروة . وهنا نرى عند الاستقرار أي الكفتين في نفسه كانت الراجحة؟

التقى المسيو لنتان بهذه الفتاة في احدى الليالي بمنزل وكيل المكتب ، فاذا هو متيم بها كالقنيص في الشرك استحكمت عليه حلقاته واجتمعت أطرافه

وكانت الفتاة ابنة جاب من جباة الضرائب في الارياف قضى نحبه من سنوات عدة . فقدمت بها أمها الى باريس ، وكانت تتردد على بعض الاسر من أهل الطبقة الوسطى في الحي على أمل تزويج الفتاة . وكانتا بحال رقيقة ومن ذوات الشرف والوداعة ولين العريكة . وكانت الفتاة مثالا للمرأة الفاضلة التي يتمناها الفتى العاقل لتكون الامينة على حياته . جمالها الخفر لها طهر الملائكة ، وابتسامتها المفترة الخفية التي لا تفارق شفتيها كأنها ظل يعكس نقاء سريرتها

فالناس بأجمعهم ألسنة تلهج باطرائها ، وعارفوها كلهم يرددون بغير انتهاء : « سعيد من يتخذها زوجا . هيهات يوجد خير منها »

وكان المسيو لنتان وقتئذ كاتبا أول في وزارة الداخلية يتقاضى مرتبا قدره ثلاثة آلاف وخمسماية فرنك في السنة ، فخطبها وتزوجها

وهنىء الرجل بعشرتها هناءة فوق التصديق . وكانت تدبر شئون بيته حتى تحسبهما لحسن التدبير من أهل الترف . وكانت لا تدع لونا من ألوان الرعاية والرقة والتحبب الا حاطت به زوجها . وبلغ من فتنتها انه كان بعد ستة أعوام طوال من لقائهما أشد لها حبا وبها شغفا منه في الايام الاولى

وهو لا يأخذ عليها غير أمرين : ولعها بالمسارح ، وكلفها باقتناء الجواهر الكاذبة
وكانت صاحباتها (من نساء الموظفين متوسطى الحال) يوالينها فى كل حين بالمقاصير فى الروايات التمثيلية ذات الرواج والشهرة ، بل فى الليالى الافتتاحية من تمثيلها • وكانت تجر زوجها راضيا أو كارها الى هذه الملاهى فيعيى بها أشد الاعياء بعد عمله طوال اليوم • ولقد رجاها وألحف فى الرجاء أن تعفيه وتذهب الى التمثيل فى صحبة سيدة من معارفها تعود بها بعده ، فتمنعت ، وطال تمنعها ، لما تجد فى هذا التصرف من قلة اللياقة ، وأخيرا قبلت مرضاة له ، فحمد لها ذلك كل الحمد

وهذا الولع بالمسرح سرعان ما أشعرها الحاجة الى الزينة • فلم تعد زينتها حد البساطة • حقيقة انها كانت دائما آية على حسن الذوق الا انها بعد متواضعة • على ان حسنها الحلو ، حسنها المستكين الصبيح الذي لا يغالب ، كأنما اكتسب من بساطة ثيابها طعما جديدا • ولكنها الى هذا تعودت أن تقرط أذنيها بحجرين متلألئين يشاكلان الماس ، وأن تتخذ قلادة من اللؤلؤ المكذوب وأساور من ذهب مموه وأمشاط محلاة بضروب من الخرز تمثل شذور الجواهر

وزوجها ينكر بعض الشيء هذا الولع منها بالبهرج ، ويكرر عليها القول :

ـ يا عزيزتى ، اذا لم تملك الغانية اقتناء الجواهر الحقيقية ، فحسبها أن تبدو حالية بجمالها وصباحتها ، وانها لانفس الحلى

فكانت تبتسم ابتسامة حلوة وتقول :

ـ ماذا تريد ؟ انى أحب هذا • وهذا عيبى • أنا على يقين انك على حق • ولكن المرء لا يخلق نفسه خلقا آخر • اترانى كنت أعبد الحلى ، أنا !

فيهتف الزوج باسما :

ـ ان لك ذوق نساء النور

وفى بعض الاحايين وهما وحيدان فى المساء الى جانب المصطلى ، تقوم فتأتى الى المائدة التى يتناولان عليها الشاى بعلبة الأدم المدبوغ التى أودعتها « الخردة » على حد تعبير المسيو لنتان ، وتقبل على هذه الحلى المقلدة تمعن فيها النظر بهيام كأنها تتملى بمتعة روحية عميقة • وكانت تصر على أن تجعل فى عنق زوجها عقدا من هذه العقود ، وتضحك ملء فيها وبقلبها أجمع وهى تقول : « انك لمضحك حقا ! » ثم ترتمى بين ذراعيه وتقبله فى وله

وفى ذات ليلة من ليالى الشتاء كانت فى الاوبرا ، وعادت ترتعد من البرد • وأصبحت فى اليوم التالى تسعل • وبعد أيام ثمانية كانت قد اشتدت بها النزلة الصدرية وعاجلتها المنية

وكاد لنتان يلحقها الى القبر • وبلغ من يأسه أن علاه الشيب فى مدى شهر واحد • فهو يبكى صباح مساء ، ونفسه الجريحة يمزقها ألم لا يطاق ولا يستطاع الصبر عليه ،

نجي البلابل تساوره الذكرى وتتمثل له من الفقيدة الابتسامة والصوت والحسن الخلاب ولم يخفف تطاول الايام من لوعته . فكثيرا ما تراه في مكتب عمله وقد أقبل زملاؤه يسمرون سمرهم في شئون يومهم ، فاذا به قد انتفخ شدقاه ، وتقلص أنفه ، وتغرغرت عيناه بشآبيب مائهما ، وانقلبت سحنته انقلابا فظيعا ، وأكب ناشجا منتحبا

ولقد أبقى مخدع قرينته على حاله ، يختلي فيه بنفسه كل يوم ليذكرها ويفكر فيها . وظل أثاث المخدع وثيابها في مواضعها جميعا كما خلفتها آخر يوم من حياتها . ثم ان الحياة شقت عليه وتصعبت . فهذا راتبه الذي كان بين يدي زوجته يسد حاجات البيت كافة قد بات لا يكفيه اليوم وحده . فهو يسائل نفسه مبهوتا كيف استطاعت بتصرفها أن توفر له دائما شرب جيد الخمر وتناول شهي الطعام مما يعييه بموارده المتواضعة أن يحصل اليوم عليه

فاستدان وسعى وراء المال سعي المحاويج تضطرهم الحال الى الاحتيال له بشتى الوسائل . وأخيرا أصبح ذات يوم فألفى نفسه صفر اليدين قبل نهاية الشهر بأسبوع كامل ، فدار في خلده أن يبيع بعض ما عنده . وسرعان ما خطر له التخلص من «الخردة» التي كانت لامرأته . فانه ليضمر في قرارة نفسه شبه ضغينة على هذه البهارج « خدع الابصار » . ولا جرم فهي موضع ملاحظته ومثار انكاره من قبل . ان مجرد رؤياها كل يوم ليفسد عليه بعض الافساد ذكرى زوجته الحبيبة

وقلب طويلا في هذه الكومة من الحلي البراقة التي خلفتها ، فانها ما برحت الى أواخر أيامها مصرة على اقتنائها سادرة ، تجيء كل يوم بتحفة منها جديدة . ووقع اختياره على العقد الكبير الذي كانت تستحبه وتؤثره على غيره ، وهو يعدل بحسب تقديره ستة فرنكات أو ثمانية ، لكونه أدق صنعة من المعهود في أمثاله من زائف الحلي . فأودعه جيبه ، ومضى الى وزارته يسلك اليها الشوارع الكبرى ملتمسا حانوت جوهري يطمئن اليه

وأخيرا وقع بصره على الحانوت المنشود ، فدخله خجلان يتعثر لاضطراره الى عرض فقره وسوء حاله ساعيا الى بيع شيء كهذا خسيس القيمة . وقال للتاجر :

ـ سيدي أود أن أعرف ما تقدره لهذه القطعة

فتناول الرجل القطعة ، وفحصها ، وقلبها ، ووزنها بكفه ، وعمد الى المجهر ودعا اليه كاتب حساباته وأسر اليه بعض الكلمات . ثم وضع العقد على دكته ، ورمقه من بعيد لينظر الى وقعه وتأثيره

وضاق المسيو لنتان بهذه الرسميات ، وفتح فاه ليقول : « أوه ! اني لأعلم حق العلم انه شيء لا قيمة له » لولا أن سبقه الجوهري الى الكلام :

ـ سيدي ، هذا يسوى بين الاثنى عشر ألفا الى الخمسة عشر ألفا من الفرنكات . وأنا لا يسعني شراؤه حتى تحيطني علما بمصدره

فحملق الارمل بعينيه ، وظل فاغرا فاه لا يعقل شيئا . وأخيرا نبس مغمغما :
ـ ماذا تقول ؟... أواثق أنت !
فحمل الرجل اندهاشه على غير محمله . وقال فى لهجة جافة :
ـ يمكنك أن تتحرى فى محل آخر ان كانوا يزيدونك فيه . أما عندى فيسوى خمسة عشر ألفا على أكثر تقدير . فاذا لم تجد خيرا من هذا الثمن فعاودنى
واسترد المسيو لتان العقد فى بلاهة وخبال ، وانصرف مدفوعا بحاجة مبهمة الى الخلوة بنفسه والتفكير . على انه ما بلغ الطريق العام حتى كاد يأخذه الضحك ، وأخذ يحدث نفسه : « يا له من مغفل. أوه ! يا له من مغفل ! ليتنى مع هذا أخذته بكلمته! هاكم جوهريا لا يعرف الزائف من الصحيح »
ودخل عند تاجر آخر فى أول شارع دى لابيه . فما كاد يقع نظر الصائغ على الحلية حتى هتف :
ـ آه ! وأيم الله . انى لاعرف حق المعرفة هذا العقد . انه من عندى
فقال مسيو لتان وهو شديد الارتباك : ـ كم يسوى
ـ سيدى ، لقد بعته بخمسة وعشرين ألفا . وانى على استعداد لاخذه بثمانية عشر ألفا اذا تفضلت ـ بحكم التعليمات الرسمية التى لدينا ـ فدللتنى كيف صار اليك
فى هذه المرة تهافت مسيو لتان على المقعد كمن أقعدته الدهشة ، وتمتم : « ولكن .. ولكن .. أمعن النظر جيدا يا سيدى . كنت حتى الساعة أحسبه مصطنعا مقلدا
فقال الجوهرى : أتتكرم يا سيدى بذكر اسمك ؟
ـ أجل . اسمى لتان ، وأنا موظف بوزارة الداخلية ، وقاطن فى المنزل رقم ١٦ شارع الشهداء
وفتح التاجر دفاتره وقلب فيها ثم صدع بالقول :
ـ هذا العقد أرسل حقيقة الى عنوان مدام لتان رقم ١٦ شارع الشهداء فى العشرين من يوليه سنة ١٨٧٦
وحدق الرجلان كل فى عينى صاحبه ، وقد طار لب الموظف من الدهش واستوحش التاجر من ناحيته وتوسم فيه لصا . وقال :
ـ هلا تكرمت بترك هذا الشىء اربعا وعشرين ساعة لا اكثر ، وأنا معطيك عنه ايصالا
فتمتم المسيو لتان : أى نعم . يقينا
وخرج وهو يطوى ورقة الايصال ويضعها فى جيبه . ثم عبر الشارع ، وأصعد فيه ، ثم أدرك انه ضل الطريق فانحدر الى التويلرى ، وجاز السين ، ثم أدرك مرة أخرى ضلاله فعاد الى الشانزلزيه وليس فى رأسه فكرة جلية . وحاول جهده أن يتعقل ويفهم. ان امرأته ما كانت لتقدر على شراء شىء ذى قيمة كهذه . كلا ، كلا . اذن ، فهذا هدية! هدية ! هدية ممن ؟ ولماذا ؟

وتوقف الرجل ، وظل واقفا وسط الطريق • وطاف به الشك الفظيع ـ هي ؟ ـ واذن فسائر الجواهر الاخرى كانت أيضا هدايا ! وخيل اليه أن الارض تميد تحت قدميه ، وان شجرة تهوى أمامه ، فمد ذراعيه وارتمى فاقد الحس.

واستفاق من غشيته في صيدلية حمله اليها بعض السابلة فاستقل عربة وأوى الى منزله وجن الليل وهو يبكى بكاء الواله ، ويعض منديله حتى لا يسمع نشيجه ، ثم أوى الى السرير مرهقا من التعب والحزن ، ونام نوما ثقيلا

وأيقظه شعاع من الشمس، فقام في تثاقل ليمضى الى وزارته•انه ليشق على المرء العمل بعد رجات عنيفة كهذه • فجرى في خلده أن في امكانه الاعتذار لدى رئيسه فكتب له • ثم تمثل ألا بد من العودة الى الجوهرى • فاستخزى وعلته حمرة الخجل وطال به التفكير• انه لا يمكن بحال أن يدع العقد عند الرجل فارتدى ثيابه وخرج

وكان اليوم صحوا رائقا ، والسماء الصافية ممدود رواقها على المدينة فاذا هي كمن يهش ويبتسم • والمتنزهون من ذوى الفراغ ماضون قدما وايديهم في جيوبهم

وحدث لتان نفسه وهو يلحظهم يعبرون : « ما أسعد المرء ذى الغنى والثراء ! آه ، ليتنى كنت غنيا ! »

وأحس بالجوع • انه لم يذق طعاما منذ الليلة البارحة • ولكنه مفلس خالى الوفاض• فتذكر العقد • ثمانية عشر ألف فرنك ! ثمانية عشر ألف فرنك ! انه لمبلغ وأى مبلغ !

فصار الى شارع السلام ، وجعل يذرع الافريز طولا وعرضا تجاه الحانوت • ثمانية عشر ألف فرنك • وهم بالدخول عشرين مرة فكان الخجل يمنعه

ولكنه كان جوعان ، جد جوعان ، ولا فلس معه

وحالما أبصره التاجر ، بادر وقدم له في أدب مقعدا وهو يهش في وجهه • وأقبل كتبة المحل أنفسهم يلحظونه عن عرض ولوايح السرور في عيونهم وعلى شفاههم

وقال الجوهرى : سيدى ، لقد استعلمت • فاذا كنت على عزمك فانى على استعداد لدفع القيمة التي عرضتها عليك

فغمغم الموظف : أجل

أخرج الصائغ من أحد الادراج ثماني عشرة ورقة كبيرة ، وعدها ، ومد يده بها الى لتان ، فأمضى بها ايصالا صغيرا وأودع المال في جيبه بيد مرتجفة

وحين هم بالانصراف التفت الى التاجر الدائم الابتسام ، وتمتم خافض الصوت :

ـ عندى ، عندى جواهر أخرى •• جاءت •• عن طريق الميراث نفسه ، فهل يوافقك أن تشتريها منى كذلك ؟

فانحنى التاجر وقال : نعم ، يا سيدى

وخرج أحد الكتبة ليضحك ما شاء أن يضحك ، وأخذ آخر يسعل متعسفا ، أما لتان فأعلن محمر الوجه متجلدا متوقرا : سآتيك بها

واستقل مركبة ومضى فى طلب الحلى • وبعد ساعة عاد الى التاجر ولم يتناول بعد طعام فطوره • وطفقا يفحصان الاشياء قطعة قطعة ويسومان كل واحدة • وكان معظمها من المحل

وأخذ لنتان الآن يساوم فى الاثمان ويتغضب ويطلب الاطلاع على دفاتر البيع ، وكان صوته يتعالى كلما ارتفع السعر

فأقراط الماس الكبار بعشرين ألف فرنك ، والاساور بخمسة وثلاثين ألفا والمشابك والخواتم والانواط بستة عشر ألفا ، وحلية من الزمرد والياقوت الازرق باربعة عشر ألفا ، وفريدة من يتائم الدر منوطة بسلسلة ذهبية بأربعين ألفا • وتبلغ الجملة مائة وستة وثمانين ألف فرنك

وهنا قال التاجر فى بساطة ساخرة :

ـ هذه عن شخص أودع فى المجوهرات كل ما اقتصد من مال

فرد لنتان فى وقار :

ـ ان هى الا وسيلة كغيرها من وجوه توظيف المال

ثم انصرف بعد ان استقر رأيه مع الشارى على اجراء مراجعة أخرى من آل الخبرة فى الغد

فلما أن صار فى الطريق العام ، نظر الى عمود الفندوم ، وفى نفسه أن يتسلقه كأنه مشجب الهدايا • وخفت نفسه الى أن يلعب القفز فوق تمثال الامبراطور القائم هناك فى الفضاء

ومضى يتناول الغداء فى مطعم فوازان ، وشرب خمرا من التى ثمن زجاجتها عشرون فرنكا

ثم استقل عربة وطاف فى غاب بولونيا ، وكان يرمق المركبات والاتباع بشىء من الزراية والاستخفاف • وبه شوق جامح مستبد الى أن يهتف فى الرواد : « أنا أيضا غنى ، أنا غنى • انى املك مايتى ألف فرنك ! »

ثم تذكر الوزارة • فأشار للسائق ان يقصدها ، وعمد الى الرئيس معلنا :

ـ لقد أتيت يا سيدى مقدما اليك استقالتى • لقد ورثت ثلثماية ألف فرنك

ومضى يصافح زملاءه السابقين ويفضى اليهم بما انتواه من حياة جديدة • ثم تناول العشاء فى المقهى الانجليزى

وهنا ألفى نفسه الى جانب سيد استوجهه ، فحكت فى نفسه رغبة ملحة غلابة فهو يفضى اليه فى دالة وازدهاء انه ورث أربعماية الف فرنك

وللمرة الاولى فى حياته لم تسأم نفسه المسرح ، وقضى ليلته مع بنات الهوى

وبعد شهور ستة تزوج • وكانت زوجه الثانية من الحرائر جد شريفة ، ولكنها كانت عسرة الخلق ، فلقى معها عنتا شديدا

عبد الرحمن صدقى

٩٥ ترجمة للقرآن الكريم فى لغات العالم

فأين الترجمة التى قررت حكومتنا اصدارها ؟

في سنة ١٩٣٦ اعتزمت الحكومة المصرية ترجمة القرآن الكريم ترجمة رسمية لاذاعتها في الامم الاجنبية التى تعددت فيها تراجم هذا الكتاب الكريم ، واحتوى بعضها على كثير من الاخطاء . وقد اشترك الازهر الشريف ، ووزارة المعارف فى هذا المشروع ، وعقدت لجنة لدرسه برئاسة فضيلة مفتى الديار المصرية الشيخ عبد المجيد سليم . وما زال هذا المشروع تحت الدرس . وقد رأينا أن ننشر هنا هذا الاحصاء الذي يحتوى جميع التراجم التى ظهرت في جميع أمم العالم

الى اللغة الانجليزية

١ ـ ترجمة اسكندر روس (Alexander Ross) طبعت فى لندن سنة ١٦٤٩ وأعيد طبعها سنة ١٦٨٨ ، وطبعت فى أمريكا سنة ١٨٠٦

٢ ـ ترجمة جورج سيل (Georges Sale) طبعت فى لندن سنة ١٧٤٣ ، وهذه الترجمة منقولة مباشرة من العربية ، ووضع لها صاحبها مقدمة مسهبة ، وقد طبع ستة وعشرين مرة آخرها فى سنة ١٩١٣ ، وبهذه الطبعة الاخيرة مقدمة بقلم السير دانسون روس الذى كان رئيساً لمدرسة اللغات الشرقية بلندن سنة ١٩٢١ . وقد طبع هذا الكتاب بأمريكا ثمانى مرات آخرها فى سنة ١٩٢٩

٣ ـ ترجمة رودول (Rodwell) طبعت فى لندن سنة ١٨٦١ ، ثم طبع بعد ذلك فى سنوات ١٨٧٦ ، ١٩٠٩ ، ١٩١١ ، ١٩١٣ ، ١٩١٥ ، ١٩١٨ ، ١٩٢١ ، وطبع فى أمريكا سنة ١٩٠٩

٤ ـ ترجمة ا . هـ . بالمر (E. H. Palmer) طبع فى مجلدين باكسفورد سنة ١٨٨٠ ثم فى لندن سنة ١٩٠٠ ثم فى سنة ١٩٢٨ ، ١٩٢٩ ، ثم فى أمريكا سنة ١٩٠٩

٥ ـ ترجمة عبد الحكيم خان سنة ١٩٠٥

٦ ـ « مرزة أبو الفضل سنة ١٩١٣

٧ ـ « محمد على الأحمدى طبعة لاهور سنة ١٩١٦ ، ١٩٢٠ ، ١٩٢٩

٨ ـ ترجمة غلام سارور (G. Sarwar) طبعت فى اكسفورد سنة ١٩٣٠

٩ ـ ترجمة بكتال (Pickthall) طبعت فى لندن سنة ١٩٣٠ وطبعت فى نيويورك سنة ١٩٣١

١٠ ـ ترجمة يوسف على طبعت فى لاهور سنة ١٩٣٥

الى اللغة الفرنسية

١ ـ ترجمة دى روبير (Du Royer) طبعت فى باريس سنة ١٦٤٧ ، ١٦٤٩ ، ١٦٥١ ، ١٦٧٣ وطبعت كذلك فى لاهاى فى السنوات ١٦٨٣ ، ١٦٨٥ ، ١٧١٩ ، ١٧٢٣ ، وفى امستردام فى السنوات ١٧٣٤ ، ١٧٥٦ ، ١٧٧٠

وقد نقلها عنه روس الى الانجليزية ترجمته فى سنة ١٦٤٩ ونقلها الى الهولاندية غلاسياكو سنة ١٦٥٨ وعن الهولاندية الى الالمانية لانكى سنة ١٦٨٨ والى الروسية ديمتريوس كانتير سنة ١٧١٦ ، وكذلك نقلها الى الروسية فرنكين سنة ١٧٩٠

٢ ـ ترجمة سفرى (Savary) طبعت فى باريس سنة ١٧٨٣ ، وأمستردام سنة ١٧٨٦ ثم فى باريس فى السنوات ١٨٢١ ، ١٨٢٢ ، ١٨٢٦ ، ١٨٢٨ ، ١٨٢٩ ، ١٨٩١ ، ١٩٢٦

ومعروف عن سفرى انه أقام بمصر سنوات طويلة وأتقن اللغة العربية ، وكان كلما أعاد طبع ترجمته أضاف اليها شيئا جديداً فى المقدمة فى السيرة النبوية وحياة العرب قبل الاسلام

وقد نقلت ترجمته الى الايطالية بعرفة بنزر سنة ١٨٨٢ والى اللغة القستلانية سنة ١٩١٣ ثم الى الارمنية سنة ١٩١١

٣ ـ ترجمة تشميرسكى (Kasimirski) البولونى ولكنه نقل القرآن الى الفرنسية وطبعت فى باريس سنة ١٨٤٥ . وقد صدرت عشرون طبعة من هذه الترجمة حتى سنة ١٩٠٩ . ثم طبعت بعد ذلك سنة ١٩٢١ ، ١٩٣٢

والمترجم اشتغل هنا فى مصر فى عهد الخديو اسماعيل منظما للمطبعة الاميرية ، وكذلك كان ترجمانا للقنصل الفرنسى فى ايران فوضع قاموساً عربياً فرنسياً وقاموساً فارسياً فرنسياً

وقد نقلت ترجمته وهى المعمول بها الآن فى فرنسا الى اللغة القستلانية سنة ١٨٤٤ ، ونقلها كلزة الى الايطالية سنة ١٨٤٤ ، ثم نقلت الى هذه اللغة مرة أخرى سنة ١٩١٣ ، وكذلك نقلها نيكولف الى الروسية سنة ١٨٦٤ ، ونقلها كوبتشان الى الأرمنية سنة ١٩١١

٤ ـ ترجمة فاطمة زائدة سنة ١٨٦١

٥ ـ ترجمة ادوارد مونيه (E. Monter) طبعت فى باريس سنة ١٩٢٩ وهو أستاذ اللغة السامية فى جامعة جنيف . ولهذه الترجمة أهميتها لأن صاحبها درس من كتب التفسير البيضاوى والطبرى والزمخشرى والرازى . وقد نقلت الى الايطالية بمعرفة فرويو سنة ١٩٢٩

٦ ـ ترجمة ماردروس (Mardrus) طبعت فى باريس سنة ١٩٢٦

٧ ـ ترجمة لاميش وابن داود وهما مسلمان من الجزاير سنة ١٩٣١

الى اللغة الالمانية

١ ـ ترجمة شويكر (Schweigger) طبعت فى نورمبرج سنة ١٦١٦ ، ثم طبعت بعد ذلك فى ١٦٢٣ ، ١٦٥٩ ، ١٦٦٤

٢ ـ ترجمة دافيد نارثر (David Narreter) طبعت فى نورمبرج سنة ١٧٠٣

٣ ـ ترجمة مكرلين (Megrlin) طبعت فى فرانكفورت سنة ١٧٧٢

٤ ـ ترجمة بويسن (Boyson) طبعت فى هال سنة ١٧٧٣ ، وهى أول ترجمة المانية نقلت مباشرة من الاصل العربى ، وقد أعاد طبعها ونقحها فول Wahl سنة ١٧٢٨

٥ ـ ترجمة ألمان (Ulmann) طبعت فى كريفيلد سنة ١٨٤٠ ثم طبعت ثمان مرات آخرها سنة ١٨٩٧

٦ ـ ترجمة هننج (Henning) طبعت فى ليزج سنة ١٩٠١ وهى المستعملة الآن عند الألمان

٧ ـ ترجمة عزيكول (Grigull) طبعت فى هال سنة ١٩٠١

٨ ـ ترجمة روكرت (Rückert) طبعت فى فرانكفورت سنة ١٨٨٠

وصاحب هذه الترجمة مستشرق الماني يجيد الشعر ، وقد ترجم الى الالمانية ديوان الحماسة كما نقل عن كثير من شعراء العرب

ويقال أن ترجمته للقرآن لا مثيل لها فى اللغات الاوربية

٩ ـ ترجمة غرم (Grimme) سنة ١٩٢٣

١٠ ـ ترجمة غلدشميد (Goldschmidt) طبعت فى برلين سنة ١٩١٦ ، ١٩٢٣

١١ ـ ترجمة لنكى (Lange) طبعت فى همبورج سنة ١٦٨٨

١٢ ـ ترجمة أرنلد (Arnold) سنة ١٧٤٦

١٣ ـ ترجمة كلامروت (Kilamroth) طبعت فى همبورج سنة ١٩١٠

الى اللغة اليونانية

١ ـ ترجمة بنتاكى (Pentatie) طبعت فى أثينا سنة ١٨٨٠ ، ١٨٨٦ ، ١٩٢٨ كان مترجماً للقنصل اليونانى بالاسكندرية ، وقد ألف كتابا فى الفقه

الى اللغة اللاتينية

٢ ـ ترجمة بليباندر (Bibliander) سنة ١٥٤٣

٢ ـ ترجمة ماروس (Marosci) سنة ١٦٩٨

الى اللغة البولونية

١ – ترجمة بوشكيفو (Bucraviego) طبعت فى وارسو سنة ١٨٥٨

الى اللغة الايطالية

١ – ترجمة اريفابين (Aerivabene) سنة ١٥٤٧
٢ – ترجمة كازة (Calzo) سنة ١٨٤٧
٣ – ترجمة بنزرى (Banzeri) سنة ١٨٨٢ ، ١٩١٢ ، ١٩١٣
٤ – ترجمة فيولانتى (Violante) طبعت فى روما سنة ١٩١٢
٥ – ترجمة برانسى (Branchi) سنة ١٩١٣ « نقلا عن الفرنسية »
٦ – ترجمة فراقاسى (Faracossi) سنة ١٩١٤ كان أستاذاً للغة العربية فى ميلانو
٧ – ترجمة فروجو (Frojo) طبعت فى بارى سنة ١٩٢٨ عن الفرنسية
٨ – ترجمة بونلى (Bonelli) طبعت فى ميلانو سنة ١٩٢٩ وهو الآن أستاذ اللغات الشرقية بنابلى ويجيد اللغتين الفارسية والتركية

الى اللغة البرتغالية

١ – ترجمة واحدة نقلت عن الفرنسية فى سنة ١٨٨٢

الى اللغة الاسبانية

١ – ترجمة دى رولس (De Roles) طبعت فى مدريد سنة ١٨٤٤
٢ – ترجمة أورتز (Ortiz) طبعت فى برشلونة سنة ١٨٧٢
٣ – ترجمة مرجيوندو (Murguindo) طبعت فى مدريد سنة ١٨٧٥
٤ – ترجمة برافو (Bravo) طبعت فى برشلونة سنة ١٩٠٧
٥ – ترجمة كاتو (Cato) طبعت فى مدريد سنة ١٩١٣ ، ١٩٣١ ، ١٩٣٦

الى اللغة الصربية

١ – ترجمة ميكو لوبيرامتش (Mico Lubibratic) طبعت فى بلغراد سنة ١٨٩٥

الى اللغة الهولاندية

١ – ترجمة شويكر (Schweigger) طبعت فى همبورج سنة ١٦٤١
٢ – ترجمة غلاسماتر (Glasmater) سنة ١٦٥٨ ، ١٧٩٩

٣ ـ ترجمة تولنس (Zollens) طبعت فى باتافيا سنة ١٨٥٩
٤ ـ ترجمة كيزر (Keyser) طبعت فى ماراليم سنة ١٨٦٠ ، ١٨٧٨ ، ١٩٠٥ ، ١٩١٦
٥ ـ كذلك نقلت الترجمة الأحمدية أخيراً الى اللغة الهولاندية

الى اللغة الالبانية

١ ـ ترجمة واحدة لمسلم ألبانى اسمه ا . م . ق

الى اللغة العبرية

١ ـ ترجمة روكندورف (Reckendarf) طبعت فى ليبزج سنة ١٨٥٧
٢ ـ ترجمة رفلين (Rivlin) طبعت فى القدس سنة ١٩٣٢

الى اللغة الهندوكية

١ ترجمة أحمد شاه . طبعت فى كونبور سنة ١٩١٨

الى اللغة الدنيمركية

١ ـ ترجمة بدرسن (Pedersen) طبعت فى كوبنهاجن سنة ١٩١٩
وهو الآن مدرس اللغات السامية فى جامعة كوبنهاجن
٢ ـ ترجمة بول (Buhl) طبعت فى كوبنهاجن سنة ١٩٢١

الى اللغة الارمنية

١ ـ ترجمة امير خانيانز (Amirchanganz) طبعت فى درنة سنة ١٩٠٩ ـ ١٩١٠
٢ ـ لورنز (Lorenz) طبعت فى الآستانة سنة ١٩١١
٣ ـ ترجمة كوربتيان (Kourbetian) طبعت فى درنة سنة ١٩١٢

الى اللغة البلغارية

١ ـ توموف وسكولف (Tomov et Shulev) صوفيا سنة ١٩٣٣

الى اللغة البنغالية

١ ـ ترجمة رفيع الدين الهندستانية نقلت الى البنغالية فى سنة ١٣٤٩ ﻫ
٢ ـ ترجمة ابن محمد عبد الحق نقلها مدهو ميان الى البنغالية سنة ١٩٠١
٣ ـ نعيم الدين سنة ١٨٩٩

٤ ـ مجلس علماء مسلمى البنغال وضع ترجمة طبعت فى كلكتا سنة ١٨٨٢
٥ ـ غولدساك ١٩٠٨ ، ١٩٢٠

الى اللغة الرومانية

١ ـ ترجمة ايسوبسكل (Isopescul) سنة ١٩١٢

الى اللغة المجرية

١ ـ ترجمة زدماير وكديون (Szedmayer et Gedeon) سنة ١٨٥٤
٢ ـ ترجمة غرسون (Gerzon)

الى اللغة اليابانية

١ ـ ترجمة سكاموتو (Sakamoto) طبعت فى طوكيو

الى اللغة البوهيمية

١ ـ ترجمة فسلى (Vesely) طبعت فى براغ سنة ١٩٢٥
٢ ـ ترجمة نيكل (Nykl) طبعت فى براغ سنة ١٩٣٣

الى اللغة الصينية

١ ـ ترجمة باو من تشن تشنغ (Pao Min Chen Ching) سنة ١٩٣٦
٢ ـ ترجمة لوين جودهوا جوجز سنة ١٩٢٣
٣ ـ ترجمة تشن تشيوى (Chin Chok Mi) طبعت فى شنغهاي سنة ١٩٣١
٤ ـ ترجمة تى تشنغ سنة ١٩٣٧

اللغة السويدية

١ ـ ترجمة كروسنستولب (Cruesenstolpe) طبعت فى استوكهلم سنة ١٨٤٣
٢ ـ ترجمة تورنبرج (Tornberg) طبعت فى لندن سنة ١٨٤٧
٣ ـ ترجمة زترستين (Zeiterstéen) طبعت فى استوكهلم سنة ١٩١٧

اللغة الأفغانية

نسخة واحدة مترجمة فى سنة ١٣١٩ هـ

البنجابية

١ ـ ترجمة حافظ محمد بارك الله طبعت فى لاهور سنة ١٢٩٧ ـ ١٢٨٨ هـ
٢ ـ ترجمة هدية الله كا آزى طبعت فى لاهور سنة ١٣٠٥ هـ
٣ ـ ترجمة شمس الدين البخارى طبعت فى امدتسار سنة ١٣١٢ هـ
٤ ـ ترجمة فيروز الدين سنة ١٩٠٣

اللغة السواهيلية

١ ـ ترجمة ديل (Dale) طبعت فى لندن سنة ١٩٢٣
وهو قسيس بالكنيسة الأنجليزية بزنجبار

اللغة السندية

١ ـ ترجمة عزيز الله المتعلوى طبعت فى بمباى سنة ١٢٩٣ هـ
٢ ـ ترجمة محمد صديق عبد الرحمن طبعت فى بمباى سنة ١٣١٧ هـ

اللغة الغواجدانية

١ ـ ترجمة عبد القادر بن لقمان طبعت فى بمباى سنة ١٨٧٩
٢ ـ ترجمة حافظ عبد الرشيد طبعت فى دهلى سنة ١٣١١ ـ ١٣٠٩ هـ
٣ ـ ترجمة محمد اصفهانى طبعت فى بمباى سنة ١٩٠٠
٤ ـ ترجمة غلام على بهاونغدى سنة ١٩٠٣

اللغة الجاوية

ترجمة نياوباه (Nyavpah) طبعت فى سمارنج سنة ١٩٠٣

فى السياسة الداخلية لبسمارك

■ ان موقف رجل الدولة الذى يملك زمام بلاده كموقف المضارب الذى يعقد فى « البورصة » صفقات تفوق طاقته ، فاذا أخفق فلن تصيبه الخسارة المالية فحسب ، بل يعرض شرفه وصيته وسلامة بلاده للخطر « من خطاب ألقاه يوم ٢٠ ـ ١ ـ ١٨٧٣ »

■ ان الوزير الذي لا يضحى برأسه وشرفه من أجل وطنه ـ ولو اضطره ذلك الى معارضة الأغلبية ـ جبان بائس « من خطاب له فى ٢٨ ـ ١ ـ ١٨٨٦ »

الصحافة السرية

خطر يواجهه هتلر

تقوم الصحافة السرية حيث تشتد سطوة الحكومة . فالشعوب الديموقراطية التى تذاع وتباح فيها شتى الآراء والانباء ، لتأخذ وتدع منها دون رقيب ، لا مجال فيها لصحافة سرية تكتب خلسة وتنشر فى الخفاء . أما الشعوب التى يخضعها سوط الديكتاتور ، ويصرفها عن كثير من الحقائق ، ففى حاجة الى صحافة تتفادى عيون الحكومة، حتى تستطيع تفنيد الاوهام الزائفة

ولهذا قامت فى ألمانيا صحف سرية كثيرة ، يحررها كبار الكتاب الذين أنكر النازى عليهم حرية التفكير ، فأقصاهم عن وطنهم وشردهم فى سائر الاقطار ، ويؤازرهم كثير من الشخصيات الالمانية البارزة فى مناصب الحكومة والجيش وأعمال التجارة والمال ، وتتولى اصدارها وتوزيعها جمعيات منظمة تتفنن فى طرق نشرها وتضم هذه الهيئات كثيرا ممن يرتدون ملابس النازى الرسمية ، وهم لا ينشرون هذه الصحف السرية فى المصانع والمكاتب وحدها ، بل فى وسط صفوف الجنود وفى صميم كتائب النازى ، حيث تداولها الايدى سراعا وهم يعلمون بأنهم يعرضون أنفسهم لعقوبة الموت رميا بالرصاص . وقد عجز رجال « الجستابو » عن أن يصلوا الى الاوكار التى تخرج منها هذه الصحف الكثيرة المتنوعة ، وكلما تنبهوا الى طريقة من الطرق التى تصدر بها عدل ناشروها عنها الى طريقة مبتكرة لا تهتدى اليها عيون الحكومة

فمن وسائل توزيع هذه الصحف فى الخفاء وضعها فى صناديق صغيرة تشبه صناديق الشاى ، وتظهر من خلال غلافها الشفاف بعض أوراق الشاى الجافة ، ولكن تختفى وراءها مجلة صغيرة من ثلاثين صحيفة تكتبها جماعة من الالمان المنفيين فى باريس ومنهم عميد الادب الالمانى الحديث « توماس مان » الذى يحذر الالمان من هذه الاخطار التى تستهدف لها الثقافة الالمانية اذا ظلت خاضعة لسطوة الحكومة التى تنكر حرية الفكر ، وتزدرى كرامة العلم ، وتهزأ بالعلماء والادباء والفنانين ، وتعمل لتسخير أذهانهم وملكاتهم تبريرا لخطتها فى العسف والعدوان ، ومنهم الصحافى المشهور « جورج برنهارد » الذى يسوق الحقائق والارقام توضيحا لهذه الشدائد الاقتصادية العنيفة التى تعانيها ألمانيا فى هذه الايام ، والتى تخفيها الحكومة عن الشعب بستار كثيف من خطب زعمائها الرنانة

خشية أن يثور بها ويتمرد عليها ، ومنهم الروائي الكبير « هنريك مان » الذي كتب مقارنا بين روح الجندي الالماني الذي يساق الى ساحة الحرب معصوب العينين وقلبه يتميز غيظا من حكومته العادية ، وبين روح الجندي الفرنسي أو الانجليزي الذي يسير الى الميدان لانه المكان الذي يستطيع أن يأخذ فيه الطريق على دعاة العدوان • ويمد بعض ضباط الجيش الالماني هذه الصحيفة بمقالات كثيرة عن الموقف الحربي في بلادهم ، فمنهم من أرسل اليها يناشدها أن تتولى تحذير الشعب الالماني من هذه الحرب القائمة ، اذ لا سبيل الى مخاطبة الشعب المصفد بأغلال الدعاية الزائغة والجاسوسية البارعة الا عن طريق الصحافة السرية ، ويقول في رسالته بأن ألمانيا ستلقى خطرا داهما حين تغير عليها طائرات الاعداء ، لان موقعها القريب من انجلترا وفرنسا يجعلها في متناول طائراتهما ، ولان مراكزها الصناعية الكبرى محتشدة على مقربة من الحدود القائمة بينها وبين أعدائها ، ولان أكثر سكانها مركزون في مدن كبرى تسهل مهاجمتها وتدميرها ، والواقع أن كل قطعة في أرض ألمانيا يمكن أن تصلها بعد ساعة واحدة طائرات الاعداء فتصليها بقذائفها وسمومها

وقد أصدرت هذه الجمعيات الخفية قبل قيام الحرب صفحة ذاعت في جميع انحاء ألمانيا وتهامس الشعب بها طويلا ، قبل ان يتنبه « الجستابو » اليها اذ كان ظاهرها يشبه اعلانا يحض الناس على شراء الاقنعة الواقية من الغازات السامة ، أما باطنها فنقتطف منه بعض الفقرات التي وردت فيه :

« لماذا تحتاج الى قناع ؟ لان الغازات السامة تستخدم في الحروب لتفتك بالناس الآمنة ولا سبيل الى النجاة من هذه الغازات الا اذا انبعثنا بسياسة السلام • وهذا أمر يسير ، فما من شعب يهدد ألمانيا • ولا يريد الحرب سوى هتلر وحده ، ولكن في وسع رجال ألمانيا ونسائها أن يصدوه عن هذه النار اذا أخذوا أنفسهم في حزم وثبات باستنكار الحرب وتأييد السلام ، في بيوتهم ومصانعهم ، في أسواقهم ورحلاتهم

« من الذي يحتاج أي قناع ؟ هتلر وجورنج وجوبلز وهس ولى لن يحتاجوا يوما ما الى قناع • انهم انفقوا الملايين في تشييد أقبية فخمة تقيهم من هذه الغازات وهم آمنون وسط قصورهم الباذخة • وقد أخذت هذه الملايين من يدك أنت الذي يجب أن تخضع راضيا قانعا بما تأكل من غذاء لا طعم له ولا دسم فيه • فلم لا تطالب بأن تعرف أين تنفق هذه الاموال التي تدفعها ؟ طالب بأن يكون لك الحق في كلمة تقولها في تصريف أموال الشعب التي تبذر الآن تبذير الجنون في مغامرة حربية هوجاء

« كيف تحصل على قناعك الواقي ؟ لقد دفعنا ثمن أقنعتنا وأخذنا بدلا منها « قسايم » تسلمها بها ولكن لم يحدد حتى الآن موعدا ولا مكانا تسلم فيه هذه القناعات • أما أطفالنا فليس لهم أقنعة تقيهم الغازات التي تسمم دماءهم وتزهق أرواحهم ، فهل فيكم

من أم تريد حربا تقتل أطفالها ؟ ماذا فعل الاسبان حتى تساقون اليهم تقتلونهم ويقتلونكم؟ ماذا جرى لالمان تشيكوسلوفاكيا الذين يتمتعون من الحرية والكرامة بما حرمه علينا النازى تحريما مطلقا ؟ ألا نستطيع أن ندع البولنديين يعيشون داخل وطنهم جيرانا آمنين مسالمين ؟ نعم تستطيعون أن تنقذوا أنفسكم وجيرانكم اذا وقفتم جميعا جبهة واحدة نصد هذا المغامر الاهوج عن أطماعه الطائشة »

وأهم الجمعيات القائمة بهذه الصحافة السرية هى المسماة « اللجنة التنفيذية للمعارضة الالمانية » ومقرها باريس وأعضاؤها نخبة المفكرين الاحرار الذين أقصاهم هتلر عن المانيا. ولكن ثمة جمعيات سرية أخرى تقوم فى صميم ألمانيا مستهدفة لاخطار التعذيب الرهيب والتقتيل الشنيع اذا وقفت عليها عيون الجستابو ، وأهمها الحزب الاشتراكى الالمانى الذى يوجه دعايته الى أعضاء الريشستاغ ورجال الاعمال ، مبينا لهم ما يتهدد مستقبل المانيا اذا ظلت مندفعة فى هذا الطريق الذى يسوقها النازى فى شعابه . وتتنوع دعاية هذه الهيئات فلا تدع شيئا من مساوىء الحكومة الالمانية ولا من الصعاب التى تلقى بها فى طريق الشعب الألمانى الا أوضحتها وأبرزتها وأبانت ما خفى من جوانبها جميعا . فهذا زعيم الشباب الكاثوليكى قبل قيام هتلر يتحدث عن رحلته فى اسبانيا حيث رأى الطائرات الالمانية تدمر المدائن وتخرب الكنائس وتقتل النساء والاطفال الآمنين ، دون أن يبسطوا أيديهم بالاذى الى المانيا يوما من الايام ، ودون أن ينشب بينهم وبين الالمان أى شىء من خلاف أو عداء . وهذا صحفى يورد التواريخ ويسوق الارقام التى لا تدع مجالا للشك فى هذه الفظائع الرهيبة التى ترتكب فى مراكز الاعتقال ، وهذه السطوة العاتية التى يتخذها النازى فى ايذاء أناس كل ذنبهم أنهم يهود أو كاثوليك ، وهذه السلطة الواسعة التى تخول لبعض رجال النازى أن يطلقوا رصاصهم دون تردد أو تهيب الى صدر من تحوم حوله الشبهة فى نشر أخبار لا تلائم خطة الحكومة وهواها . وقد بزت هذه الجمعيات الدكتور جوبلز فى وسائل دعايته وأساليبها ، وهى تتفوق عليه بأنها تدعم دعايتها بأسانيد من الارقام والوقائع التى لا تكذب ولا تفترى . ولهذا كانت أنفذ الى عقول الالمان وأقرب الى ثقتهم وتصديقهم ، ولا سيما حين يتحدثون عن الشدائد المالية التى تعانيها الحكومة الالمانية ، والصعاب الاقتصادية التى تقوم فى وجه الشعب الالمانى ، حتى باتت أغلبية الالمان التى شهدت فاجعة الحرب الكبرى تتنبأ فى خوف وغيظ ونقمة بفاجعة أخرى تنتهى اليها هذه المغامرة القائمة

(خلاصة مقال فى مجلة سينوبسيس)





المرأة أصح وأقوى من الرجل

من ظواهر الطبيعة وحقائق الحياة الغريبة (١) انه يولد من البنات اكثر ممن يولد من البنين ، دون تفاوت فى هذا بين الشعوب أو بين الطبقات (٢) وانه يموت من الاناث أقل ممن يموت من الذكور ، تستوى فى ذلك جميع أدوار العمر (٣) وان اغلب الامراض الخطرة التى تؤدى الى الوفاة تنتاب الرجال أكثر مما تصيب النساء (٤) وان متوسط طول العمر بين النساء أطول منه بين الذكور بشهور أو بسنوات حسب اختلاف البيئات والاوساط

رسم بيانى لانتشار بعض الأمراض بين الذكور والاناث

اضطراب واحتقان الاعضاء
الانفلوانزا
الالتهاب الرئوى
البول السكرى
الجذام
ضمور الغدة الدرقية
زيادة افراز الغدة الدرقية
القرحة المعدية

وقد يمكن تعليل بعض هذه الحقائق بأن الرجل هو الذى يحمل عن المرأة أكثر اعباء الحياة وتكاليفها ، مما يقتضيه أن يبذل فى سبيل العيش جهدا مضنيا توفره المرأة على نفسها ، ومما يلقى به فى أوساط الحياة التى كثيرا ما تصيبه بعدوى الامراض أو تعرضه لاخطار الحوادث بينما المرأة فى بيتها بمأمن من كل هذه المشاق والاخطار . ولكن كيف يمكن أن تسبب أو نفسر تفوق صحة الانثى على صحة الذكر وما زال كل منهما جنينا لم يظهر الى الحياة حيث يختلف طريقه عن طريقها ؟ هذا هو ما يحار الاطباء فى تعليله حين يجدون ان عدد المرضى والضعفاء من الاجنة الذكور أكثر منه فى الاجنة الاناث ، مع ان نظام الحياة الذى اتخذته الانسانية منذ نشأتها والذى تقضى به طبيعة أغلب انواع الحيوان . يقضى بأن يهيىء للذكر من القوة والصحة من بدء خلقته أكثر مما يهيىء للانثى

على ان ثمة أمراضا تنتشر بين النساء اكثر

مما تنتشر بين الرجال . قل لطبيب ان مريضا قد اضطربت غدته الدرقية فزاد افرازها واختلت نيفتها ، فيجيبك بدون تردد : لا بد ان يكون هذا المريض امرأة ! ذلك ان هذا المرض يكاد يكون مقصورا على النساء دون الرجال

وهناك مرض شائع تصاب به المرأة ضعف ما يصاب به الرجل وهو الانفلونزا . ولكن أغلب الامراض تجد فى جسم الرجل مرعى خصيبا لا تجده فى جسم المرأة . فهو يصاب بالقرحة المعدية عشرة امثال ما تصاب المرأة . وينتاب الالتهاب الرئوى امرأة واحدة كلما أصاب خمسة رجال . ويبلغ عدد المرضى بالبول السكرى ضعف عدد المريضات به . أما مرض النقرس أو داء الملوك فيكاد يكون مقصورا على الرجال اذ يصاب به اربعون رجلا مقابل امرأة واحدة

وكذلك تميل الى الذكور دون الاناث بعض امراض العيون مثل « العمى اللونى » أى عمى العين عن رؤية اللون رغم رؤيتها الشيء ذاته

على ان الامراض العصبية تكثر فى النساء عنها فى الرجال ، حتى ليميل بعضهم الى أن يطلق على الهستيريا اسم المرض النسائى . وقد تنبه الاغريق الى هذه الظاهرة الغريبة ، فكان أغلب أطبائهم يعتقدون انه لا يصاب بالهستيريا سوى النساء ، حتى ان اسمه عندهم كان مشتقا من اسم المرأة مباشرة . ولا شك ان تفاوت الرجل عن المرأة فى الامراض ، وان تفوق الانثى على الذكر فى قوة البدن وسلامة الصحة ، من أغرب ظواهر الطبيعة التى ستقتضى أجيال من العلماء قبل ان يهتدوا الى تعليلها

أمريكا تتزعم العالم فى الكيمياء

كانت ألمانيا فى الحرب الماضية أولى دول العالم فى مجال البحث والكشف الكيمياوى . وقد حافظت على هذه الاسبقية بعد انتهاء الحرب بضع سنين . ولكنها فقدت هذا المركز وتراجعت الى الصف الثالث حيث تسبقها الولايات المتحدة الامريكية التى تتزعم العالم الآن فى هذه الناحية . تليها انجلترا التى تشغل الصف الثانى

وقد وضع هذا الترتيب بعد بحث ٦٠٠٠٠ نقطة من نقط البحث الكيمياوى التى ظهرت فى أثناء العام الماضى . فوجد ان نصيب علماء امريكا فى بحث هذه النقط أو كشفها يفوق نصيب سواهم من علماء الدول الاخرى . هذا الى ان أمريكا وبريطانيا تصدران ٤٠ ٠/٠ من الصحف الخاصة بالمباحث الكيمياوية ، مما يدل على ارتقاء هذه الناحية العلمية التى لا شك فى انها أهم ركن فى بناء الحياة الاقتصادية . وأجدى وسيلة من وسائل الحروب الحديثة

وقد زاد عدد ما سجلته الولايات المتحدة الامريكية من «حقوق الاختراع» لبعض المبتكرات الكيمياوية خلال السنوات الخمس الماضية بنسبة ١٥ ٠/٠ مما سجلته منها فى السنوات الخمس التى تسبقها . اما بريطانيا فقد نقصت فى هذه المادة ١٢ ٠/٠ ، وفرنسا ٢٣ ٠/٠ ، وألمانيا ٣٠ ٠/٠ ، بينما زاد نصيب روسيا واليابان زيادة كبيرة

قلوب من الحديد

فتح جديد فى عالم الجراحة

لا يخشى الجراح عضوا قدر ما يخشى القلب ، فقلما يجرؤ على أن يمسه بمبضعه حين يصيبه جرح ما بل يكتفى — اذا وثق من مهارته وبراعته — بأن يخيط ما يتخلف عن جراحه بعد اندمالها . أو بأن يزيل ما يتجمع حول غلافه الخارجى من المواد الكلسية المتجمدة . ولهذا كانت جراحة القلب اشق واخطر كثيرا من جراحة المخ ، الذى توفق الجراحون الى عمد أسلحتهم فى صميمه بل الى ازالة شطر منه دون خطر أو أذى

على انه يرجى ان يستطيع الجراح قريبا أن ينفذ بمبضعه الى ما بين أجزاء القلب من الثنايا والتجاويف ، والى أن يعالج ما يصيبه من جراح أو أورام على مهل ودون اشفاق ، وذلك بفضل

ما اخترع أخيرا من قلوب تصنع من الحديد وتوضع مكان القلوب الطبيعية ، فتؤدى وظيفتها كاملة ريثما يفرغ الجراح من علاجها

وقد سبق ان توفق العلماء الى اختراع « رئة صناعية » تحل محل الرئة الطبيعية وتقوم بمهمتها . أما « القلب الصناعى » فقد ابتكره أخيرا الدكتور جون جيبون من اساتذة جامعة بنسلفانيا الامريكية وجربه بادىء ذى بدء فى ثلاث عشرة هرة نزعت قلوبها فترة ما ووضعت بدلا منها قلوب حديدية ، نجحت هذه التجربة نجاحا طيبا اذ عاش اكثر هذه الهرات سنة أو تزيد بعد اجراء العملية ، بل حملت وولدت احداها بعد هذه العملية بستة أسابيع

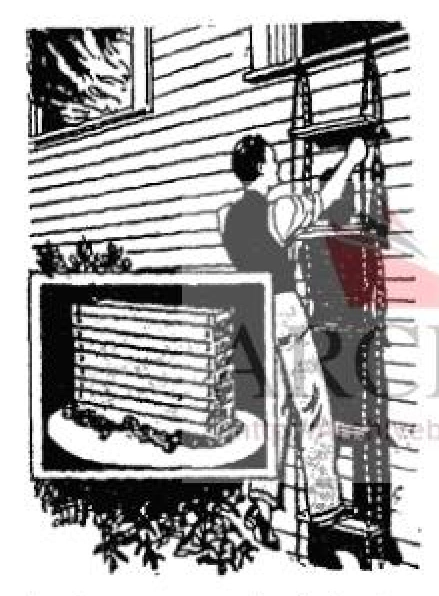
وأكد الدكتور جيبون أمام المجامع العلمية المتعددة ان هذا القلب الصناعى يمكن ان يؤدى وظيفة قلب الانسان الطبيعى مدة تتراوح بين عشرين دقيقة وساعة كاملة ، وهى فترة طويلة يمكن للجراح فى اثنائها ان يجرى بمبضعه فى جراحه كيف شاء ، بينما كان يتعذر عليه ذلك سابقا اذ لا يمكن للمرء أن يعيش اذا ما وقف هذا العضو الذى يهبه الدم ويجريه فى شرايينه ويتلقاه من أوردته

ولا تقتصر فائدة هذا الجهاز على تيسير جراحة القلب ، بل يجعل جراحة سائر الاعضاء مأمونة العاقبة . فان من أكبر الاخطار التى يتعرض لها الجرحى فى كثير من الاحيان ، انه عقب اجراء العملية الجراحية قد تندفع من القلب كمية زائدة من الدم سرعان ما تتجمد وتتكتل وتعترض الشريان الموصل الى الرئة ، فيؤدى هذا الى موت فجائى لا تطول مدته الى أكثر من خمس عشرة دقيقة . أما الآن فيمكن انقاذ الجريح بهذا القلب الصناعى الذى يحل مكان القلب الطبيعى ويؤدى مهمته فى ايجاد الدم وتوزيعه ، ريثما تزال هذه الكتلة الدموية التى تسد الطريق بينه وبين الرئة . وقد أجريت هذه التجربة فى كثير من الهرات فثبت نجاحها

هذا وقد ظهر من قبل «قلب زجاجى» صنعاه معا العالم الفرنسى كاريل والطيار الامريكى لندبرج ، وامكن لهما ان يحفظا به بعض الغدد وبعض الانسجة حية بعد انتزاعها من الجسم الحى

وقاية البيوت من الحرائق

نقصت الوفيات الناتجة من حرائق البيوت فى مدينة نيويورك من ٣٨ شخصا فى سنة ١٩٣٤ الى ٧ اشخاص فى سنة ١٩٣٨ ، وذلك بفضل الدعاية التى قامت بها مصلحة البناء هناك لحمل أصحاب البيوت على تهيئتها بالوسائل الواقية والمنقذة من الحرائق



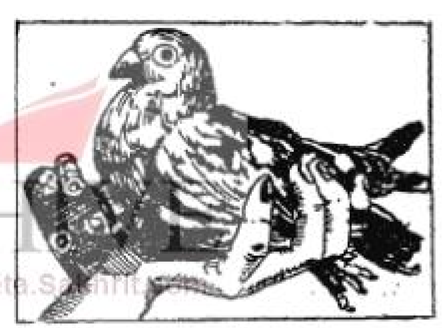
وهذه الوسائل ثلاث : (١) سقف مغطى بمادة لا تقبل الالتهاب ولا يمتد لها الحريق ، وذلك اذا كان السقف قديما قد صنع من الخشب قبل أن تظهر السقوف الحديثة التى تصنع كلها من الحديد والاسمنت (٢) استخدام مادة الصوف المعدنى فى وقاية الجدران من الحرائق اذ أن هذه المادة تقاوم الحرارة الملتهبة التى تبلغ ١٧٠٠ درجة فرنهايت مدى ساعة كاملة (٣) اعداد سلالم سريعة لانقاذ السكان وما خف من متاعهم عند وقوع الحرائق

وقد أعدت بعض المصانع سلما معدنياً يعلق

فى حافة النافذة عند شبوب النار فى البيت ، ويدلى منها الى الارض كما يدلى الحبل سريعا . وهذا السلم يمكن طى درجاته بعضها على بعض ووضعه فى صندوق صغير خفيف الى ان تحين الساعة الحرجة . فيسهل للسكان النجاة من اية نافذة

الحمام يستكشف ميدان الحرب

ما زالت جميع الجيوش تستخدم حمام الزاجل فى نقل البريد بين كتائبها وخطوطها . بل لقد ألحقت بمعظم وزارات الطيران فى الدول الكبرى ادارة خاصة بهذا الحمام، مهمتها تدريبه واستخدامه على توصيل الرسائل فى الاماكن التى تشق فيها وسائل الاتصال الاخرى



على أن الجيوش لم تعد تكتفى باستخدام حمام الزاجل فى هذه المهمة ، بل أخذت تستغل فطرته الغريبة فى استكشاف ميادين القتال ، فتعلق فى صدر الحمامة آلة للتصوير تتحرك من تلقاء نفسها طالما الحمامة طائرة فى الهواء ، فتلتقط مناظر ما تمر عليه من الميادين والخطوط كما تفعل طيارات الاستكشاف

دبابات المستقبل

تغنى عن جيش كامل !

لعل الجيل الحاضر على ما يقاسى من أهوال الحرب وفواجع القتال ، أسعد حظا من الجيل القادم اذا ظلت الانسانية خاضعة لاطماع الطغاة ونزوات الزعماء ... فان العالم يشهد كل يوم معدات جديدة للهلاك ووسائل مبتكرة للتدمير ، أخطرها وأروعها هذه الدبابة الرهيبة التى وضع تصميمها أحد المخترعين الامريكيين ، وقدمه للحكومة الامريكية لاقراره وتنفيذه ، اذ يبلغ طول هذه الدبابة ثمانين قدما ، وارتفاعها سبعين قدما ، ووزنها ألف طن ، وسرعتها مائة ميل فى الساعة الواحدة !

ويرى هذا المخترع أن دبابته التى تعلو علو بناء شاهق مؤلف من عشر طبقات ، ويزيد طولها عن علوها أمتارا عديدة ، كفيلة بأن تهدم وتسحق كل ما يصادفها من حواجز واسوار ولو كانت مشيدة من الاسمنت المسلح ، وان تحصد ما فى طريقها من اشجار الغابات الباسقة كأنها حشائش رخوة نابتة ، وان تدفن تحت أثقالها ما يواجهها من مدافع ودبابات وان تحول البيوت والعمائر أنقاضا واحجارا مبعثرة ، بل فى وسعها ان تقوض وتهدم ناطحات السحاب الراسخة اذا صدمتها عدة مرات متتالية !

ولا شك فى ان لقذائف مدفع « برتا » الرهيب أثرا فى هذه المدمرة ، وتهبط عليها القنابل المدمرة كأنها أحجار متفتتة فوق أرض صلبة ، وذلك انها مصفحة بغلاف متين سمكه قدم كامل . وفى وسع هذه الدبابة أن تجتاز الانهار والبحيرات الضحلة ، كما تستطيع ان تتسلق التلال والسفوح العالية

وتحرك هذه الدبابة قوة هائلة تبلغ قوة ألف حصان . وتغلق جميع نوافذها اذا صادفت منطقة موبوءة بالغازات السامة ، وبها خزانات مملوءة بالاوكسيجين ليستنشق منها ركابها حتى تجتاز هذه المنطقة . ولا تحتاج هذه العمارة المتحركة الا الى سائق واحد وعشرة رجال لتحريك مدافعها وتوجيه قذائفها . ولا شك فى ان مثل هذه الدبابة ستكون عاملا حاسما فى الحروب المقبلة ، وقد تحدث من التخويف والارهاب ما يدفع بالدول الى اتقاء الحرب بأى ثمن مهما غلا



ولايات متحدة عالمية

تضمن للانسانية السلام والرخاء

عندما تيأس الانسانية وتفزع مما يصيب حريتها وأمنها ورخاءها من هذه الحروب التي تعصف بالشعوب الآمنة وتدمر الحضارات المشيدة — لا يلبث أن يتراءى لها قبس من النور الخافت حين يحاول بعض مفكريها أو ادبائها أن يقهر عوامل اليأس والخوف ، فيلقوا البصر الى المستقبل عسى أن يجعلوه آمن وأرغد من الحاضر والماضي.

ومن هؤلاء المفكرين الكاتب الصحفي الامريكي « كلارنس سترايت » الذي أصدر كتابا سماه « الاتحاد الآن » دعا فيه الى انشاء ولايات متحدة عالمية على نسق الولايات المتحدة الامريكية ، تكفل للانسانية ان تحيا في سلام

والفكرة التي يقوم عليها هذا النظام بسيطة فهو يقترح أن تتحد الدول الديمقراطية الخمس عشرة معا ، لتؤلف من جميع شعوبها شعبا واحدا ، له حكومة واحدة وبرلمان واحد وقوة حربية واحدة . وهذه الديموقراطيات هي : الولايات المتحدة الامريكية ، بريطانيا ، كندا ، استراليا ، نيوزيلندا ، جنوب أفريقيا ، ايرلندة، فرنسا ، بلجيكا ، هولندة ، سويسرا ، السويد دنمرك ، النرويج ، فنلندة . وتحتفظ هذه الدول بملوكها ورؤسائها ووزرائها ، كما تبقى على لغاتها وثقافاتها وكتبها التاريخية وألويتها المميزة لها ، وتستقل كل منها بادارة شئونها الداخلية . أما جيوشها واساطيلها وسياستها الخارجية فتوحد معا في قبضة هيئة واحدة تتخذ لها مقرا في جنيف أو أتاوا

واذا علمنا أن هذه الديموقراطيات تضم ٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ نسمة ، أمكننا أن نتبين أن هذا الشعب العظيم سيكون قوة حربية ومالية وسياسية تحجم اية دولة أو أية مجموعة أخرى من الدول عن عدائها ومناوئتها . وبهذا يكفل للعالم القضاء على مطامع الشعوب وأهواء الساسة. هذا الى أن الشعب سوف يملك ٩٨ ٪ مما في العالم كله من الذهب ، وثلثي ما فيه من المواد الخام ، وثلاثة أرباع أسواقه وموارده التجارية

وسوف تزال من بين أجزاء هذا الشعب الحواجز الجمركية التي لا شك في أن ما تفرضه من الضرائب والمكوس هو أهم أسباب الضيق الاقتصادي الآخذ برقاب الشعوب جميعا . كما أن هذا الاتحاد سيفتح لمنتجات أجزائه أسواق التجارة الرابحة ، فتنشط حركة الانتاج ويفيد القائمون بها قدر ما يفيد جمهور المستهلكين ، مما يؤدي الى تمهيد طريق الرخاء ورفع مستوى الحياة

وقد تبدو هذه الفكرة خيالا بعيد المنال . ولكن هكذا كان الامر قبل أن تأتلف الولايات المتحدة الامريكية في شعب واحد وتحت حكومة واحدة . كانت هذه الولايات متعادية متنافرة ، ولكن حرب الاستقلال ألفتها ووحدتها ، فلم لا تؤلف الحرب القائمة هذه الديموقراطيات التي تتهددها جميعا الدول العادية وتحاول ان تفترسها واحدة بعد أخرى ؟

ماذا تملك ١٥ دولة ديموقراطية :

٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠	من السكان
٩٠٠,٠٠٠,٠٠٠	من سكان المستعمرات
٦٦,٦ ٪	من ثروة العالم
٦٦,٦ ٪	من اساطيل العالم
٧٥ ٪	من تجارة العالم
٦٦,٦ ٪	من جميع المواد الخام

٠٩٨ ٪	من الذهب
٠٩٦ ٪	من النيكل
٠٩٥ ٪	من المطاط
٠٧٣ ٪	من الحديد
٠٧٢ ٪	من القصدير
٠٦٦ ٪	من البترول
٠٦٥ ٪	من الفحم
٠٦٥ ٪	من القطن

دفاع عن الحروف الهجائية

هذا هو العنوان الطريف الذى أطلقه الاديب الفرنسى الكبير جورج دوهاميل على كتابه الحديث . والواقع ان الحروف الهجائية تفتقر الى من يدفع عنها فى هذه الآونة ما تواجه من اخطار الراديو والسينما . فان نظام الحياة الحديثة لايدع للمرء فسحة من الوقت ولا فائضا من الجهد يمكنانه من أن يعمد الى القراءة التى تحتاج كثيرا من التمهل والاناة ، فيؤثر أن يلجأ الى الراديو والسينما

ويقسم دوهاميل الثقافة قسمين : ثقافة راقية تقوم على اساس الكلمة المقروءة . وثقافة مبتذلة وهى التى تلقى فى اسماعنا وتعرض أمام أبصارنا . وذلك ان الثقافة العالية الممتازة تتطلب التأمل الجدى والتفكير الطويل ، وهذا ميسور اذا كانت مكتوبة بحيث يمكن التمهل فى القراءة ، وتقليب الصفحات لاستعادتها . ولكن كيف يمكن أن نتأمل أو نفكر أو ننقد ما يهدر به الراديو دون رفق أو اناة ، او ما تجرى به السينما فى سرعة خاطفة

وهو على حق فى هذا : فان الانسان يتحول أمام الراديو الى « جهاز التقاط » مهمته أن يتلقى كل ما يوجه اليه دون تمحيص أو تحقيق . فاذا كان هذا شأن آلاف الآلاف من الناس الذين تملأ أجهزة الراديو بيوتهم وأنديتهم فى جميع الاقطار ، فان العالم لا بد أن يصاب بنوع من « الشلل الفكرى » يعطل فيه القدرة على نقد الافكار وبحث الآراء ، لاختيار الثمين والصواب منها ، وتجنب الغث والخطأ فيها

وثمة شىء آخر ، هو أن مجال الاختيار فى ثقافة الراديو والسينما ضيق النطاق فلا يستطيع الفرد أن يأخذ منها ما يلائمه ويدع ما لا يرضيه ، بل ان الجميع يسمعون ويرون شيئا واحدا عليهم أن يقبلوه . وبهذا تربى أذواق الناس جميعا على غرار واحد ، وتصب أذهان الناس جميعا فى قوالب واحدة . وكأن الناس لا يلتمسون ثقافة تصقل اذهانهم ومشاعرهم ، بل يسمعون أوامر عسكرية يجب ان يلبوها ويطيعوها .. أما الكتب والصحف فان مجالها رحب فسيح ، يتسع لشتى ألوان الثقافة وضروب التفكير ، فتمكن المرء من الاختيار الذى لا يتيسر بدونه الحياة الثقافية الراقية

ويعتقد دوهاميل ان مستقبل الحضارة الانسانية مرتبط بمصير الكتاب . وهو لهذا يشفق على هذا المستقبل ويخشاه ، حين يرى الرأى العام منصرفا عن القراءة الجدية الى انفاق الوقت فى دور السينما وامام اجهزة الراديو ، وحين يرى الناس لا يفرقون بين « الثقافة الاخبارية » التى لا تتطلب تأملا ولا تفكيرا ، وبين « الثقافة الذهنية » التى تحمل على البحث وتروض على التقدير

كيف تشجع الحكومة الفن الجميل

تقوم الحضارة الامريكية على اساس متين من العلوم الحديثة ، ولكن ينقصها ما يتوافر للحضارة الاوربية من تقاليد الفنون الجميلة . فالامريكى المحدث لا ينظر الى الفن الجميل نظرة الاوربى الاصيل ، فهذا يعد الثقافة الفنية ضرورة لاتكمل ولا تستقيم بدونها حياته المعنوية ، وذلك يرى ان هذه الثقافة ليست سوى شىء كمالى لا يزيد ولا ينقص من دخله وماله . ولهذا يتهكم الفرنسيون قائلين : ان امريكيا زار متحف اللوفر فأعجبه تمثال « فينوس » فقال لدليله الفرنسى : كم دولارا يساوى هذا التمثال ؟!

وكذلك تختلف نظرة الحكومة الامريكية الى الفنون الجميلة عن نظرة الحكومات الاوربية الراقية . فانها لم تلتفت الى امداد الحياة الفنية بشيء من معونتها الا في سنة ١٩٣٠ حين انشأت ادارة خاصة بالفنون الجميلة ، في حين ان فرنسا مثلا انشأت ادارة الفنون بها في سنة ١٦٦٤ ، فمدت نواحي الحياة الفنية بوسائل المعاونة والتعضيد . ولكن امريكا تريد الآن ان تتلافى هذا النقص في حياتها المعنوية ، فانه لا يليق بشعب يرى انه قد آن لاوربا أن تتخلى له عن زعامة الحضارة ، وانه قد أعد نفسه لرفع لوائها وحمل أعبائها . فأخذ بعض كتابه يحثون الحكومة على موالاة الفنون الجميلة بما ينبغي لها من المؤازرة والتشجيع ، فأصدرت « جريس أوفر ماير » كتابا اسمه « الحكومة والفنون » ابانت فيه الوسائل التى تتخذها الشعوب الراقية في تشجيع فنونها وفنانيها . وحبذا لو قرأ هذا الكتاب القائمون على الحياة الفنية في بلادنا ، اذا أرادوا ان يضعوا نظاما ثابتا مجديا للنهوض بحياتنا وثقافتنا الفنية ، فقد عرضت مؤلفته جميع وسائل تشجيع الفنون ومبلغ تأثيرها . وهى وسائل مباشرة مثل امداد الفنانين بالاموال والمرتبات ، ووسائل غير مباشرة مثل عقد المسابقات ومنح الجوائز واقامة المعارض وشراء الآثار . وكذلك شرحت المؤلفة موقف الحكومات المختلفة تجاه فنانيها ، وهى احدى المسائل الخطيرة التى تعانيها الحياة الفكرية في هذه الايام . فالحكومات الديكتاتورية تنظر الى الفنانين كأنهم موظفون يخدمون الحكومة فيجب ان « تكون آثارهم تعبيرا عن مبادىء الحكومة ومراميها » بينما نجد حكومة ديمقراطية كالنرويج تمنح هباتها السخية لفنانين ليست لآثارهم اية صلة بأعمال الحكومة ، لان الفنان ليس مطالبا بخدمة الحكومة مقابل مساعدتها اياه . بل هو حر في التعبير عن آرائه كيف يشاء»

الفونغراف يذيع الأدب

هل يصير الفونغراف منافسا جديدا للكتاب، ينضم الى منافسيه السابقين : السينما والراديو ؟ فقد بدأ بعض الادباء يسجلون شيئا من آثارهم على اقراص الفونغراف ، اذ كثيرا ما يحب الناس ان يستمعوا اصوات الادباء ، كما يحبون ان يحتفظوا بنماذج من خطوطهم يشترونها بأموال كثيرة . ومن هؤلاء الادباء الشاعر الانجليزي « كريستوفر هاسال » الذى سجل بعض مقطوعاته الشعرية الجميلة على قرصين من اقراص شركة جراموفون كولومبيا . وينتظر ذيوع هذه الاقراص فقد سجلت في فرنسا احدى حكايات «لافونتين» فلاقت اقبالا كثيرا

اخفاق أعظم حملة مسرحية

جردت امريكا منذ أربع سنوات أعظم حملة مسرحية ، كان قوامها فرقة تمثيلية مؤلفة من ١٥٫٠٠٠ ممثل وممثلة . موزعين على مائتى جماعة من جماعات التمثيل المسرحى

وكان القصد الاول من انشاء هذه الفرقة فتح أبواب العمل والكسب أمام آلاف من الممثلين والممثلات ، ممن أوصدت السينما والراديو وما اليهما من الملاهى أبواب الحياة في وجوههم . وكان انشاؤها اثر صيحة مدوية بعثها الشاعر مكسويل بودنهايم بعنوان : « الفنانون يجوعون» فلبت الحكومة نداءه الى تيسير سبل العيش والعمل لهؤلاء الفنانين بتجريد هذه الحملة المسرحية الكبيرة وقد أغدقت الحكومة أموالها تشجيعا لهذه الفرقة التمثيلية الهائلة ، حتى بلغ ما دفعته في عشرين شهرا ، قرابة ١٫٢٠٠٫٠٠٠ من الجنيهات (ستة ملايين من الدولارات) . على أن هذا المبلغ الضخم لم يكن يذهب عبثا ، فقد فتحت هذه الفرقة أبواب مسارحها الى جمهور جاوز خمسة عشر مليونا من الافراد . وقد نشرت هذه الفرقة الثقافة المسرحية وسط جماهير الفلاحين والعمال . ممن لم يكن يتاح لهم من قبل رؤية المسارح ، أو ممن لم يألفوا ان يتفهموا ويتذوقوا التمثيل المسرحى . ومثلت هذه الفرقة روايات من شتى الآداب ومن مختلف الدرجات ، فمنها مسرحيات شكسبير

وراسين ومنهـا الهزليات الخفيفة التى ينتجها الآن أدباء عصر السرعة

ولكن هذه الفرقة واجهت حملة شديدة أدت الى اضعافها ، ثم لم تلبث أن منعت الحكومة يد المعونة عنها فماتت . وكان قوام تلك الحملة أن معونة الحكومة شجعت آلافا ممن لا يحسنون التمثيل على أن يستمروا فى طريق هذا الفن الذى لم يؤتوا مواهبه وملكاته ، مع أن واجب الحكومة كان يقضى باقصائهم عن هذا المجال وتهيئة اسباب الحياة لهم من طريق آخر . وهكذا أخفقت أعظم حملة مسرحية ، وأوصدت أكبر فرقة للتمثيل الشعبى أبوابها

الدفاع كفيل بالنصر
والهجوم يؤدى الى الهزيمة

لا يعرف الجمهور عن « ليدل هارت » الا انه صحافى يسوق الانباء الحربية الى قراء صحيفة « التيمز » والا انه مؤرخ أصدر طائفة من البحوث فى التاريخ الحربى منها سفره العظيم عن القائد فوش . ولكن سوف يذكر التاريخ أن هذا الرجل كان احدى الدعائم التى قامت عليها نهضة الجيش البريطانى فى السنين الاخيرة . فان سياسة وزير الحربية الانجليزية « هور بليشا » فى تدعيم الجيش البريطانى وتجديده ، لم تكن فى أكثر اجزائها الا تنفيذا مباشرا لهذه الآراء والبرامج التى أبداها ليدل هارت على صفحات الجرائد تارة وللقائمين على الجيش تارة أخرى

وقد أصدر هذا الخبير والمؤرخ الحربى كتابا فى « الدفاع عن بريطانيا » تناول فيه هـذا الموضوع الدقيق الخطير من خمسة جوانب : (١) استعداد بريطانيا الحربى ، (٢) والدفاع عن الاساس أى عن الجزر البريطانية (٣) والدفاع عن الخطوط الامامية وهى فرنسا وهولندة وبلجيكا وسويسرا (٤) واعادة تنظيم الجيش البريطانى فى السنوات الاخيرة (٥) ووجوه الاصلاح المرجوة فى قوات بريطانيا الحربية

وهذا الكتاب حافل بالآراء الحربية الدقيقة التى قد يكون لها بعض الاثر فى توجيه دفة القتال فى الحرب القائمة ، فهو يرى أن ماتأهبت به جميع الدول من معدات هائلة وذخائر وافرة لن يدع سبيلا الى حرب قصيرة حاسمة ينتصر فيها من يضرب الضربة الاولى القاضية . بل يرى أن الحرب ستمتد وتطول ، ولهذا كان من العبث أن تجازف بريطانيا أو حليفتها فرنسا بهجوم كبير توديان فيه بضحايا كثيرة . بل انه ينكر فكرة الهجوم انكارا تاما ويرى انها تؤدى الى الهزيمة والاندحار . ويلح فى أن تقف بريطانيا وفرنسا موقف الدفاع عن حدودهما وشواطئهما وهو يعلل ذلك تعليلا منطقيا معقولا فيقول :

« هناك فرق بين المعتدى وبين المدافع : فالمعتدى لا ينجح الا اذا قهر عدوه وفتح بلاده ، أما المدافع فيستطيع ان ينجح اذا هو أثبت للمعتدى انه لا يستطيع ان يقهر جيوشه ولا أن يتخطى حدوده . فمن العقل أن نتبع سياسة رد العداء ودفع قواته ، بدلا من أن تستهوينا هذه الخديعة الشائعة وهى ان « الهجوم خير وسائل الدفاع » . والواقع أن أشد ما نتعرض له من أخطار الهزيمة انما يأتى من محاولتنا كسب الحرب والانتصار فى معاركها . هذا الى ان مثل هذا النصر هو الذى يؤدى الى سلم زائف يحمل فى ثناياه جراثيم حرب قادمة . فلم تضطرب شئون العالم بعد الحرب الماضية ولم تمهد الطرق الى قيام هذه الحرب الراهنة ، الا لان الحلفاء ظلوا ــ بعد أن ردوا عادية الجيش الالمانى ــ مثابرين على القتال حتى بدأوا ينتصرون فى معاركه هذا الانتصار الذى ولد فى الالمان شعورا بأن الحلفاء يريدون ابادتهم وافناءهم . ولو انهم أوقفوا رحى الحرب بعد أن تراجعت الجيوش الالمانية ، واكتفوا بأن مصير المانيا الى الهزيمة بفضل تضعضع روح الشعب والجيش المعنوية ، وبفضل الضيق الاقتصادى الذى أخذ بخناق ألمانيا حينذاك ، لانتهت الحرب الى النتيجة المرجوة دون أن تحمل فى طياتها أسباب حرب أخرى تثار للثأر والانتقام »

الكتب الجديدة

طب العقل والنفس

تأليف الدكتور محمد حسني ولاية الطبيب بصحة بلدية الاسكندرية

(طبع بمطبعة صلاح الدين بالاسكندرية صفحاته ٢٧٨)

تمرض النفس ، ويمرض العقل ، كما يمرض الجسم . وقد افاض العلماء والاطباء في طرق العلاج اللازمة للامراض الجسمية من اقدم العصور، اما لامراض النفسية والعقلية ، فلعل الاطباء لم يوجهوا عنايتهم لاسبابها واصولها وطرق علاجها الا في العصر الحديث منذ تناولت بحوث العلماء كل ما يتعلق بالانسان في حياته المادية والنفسية والاجتماعية . ومن اشهر الذين برزوا في علم النفس والعقل فرويد ، وادلر ، ويونج ، فقد فتحوا فتحا جديدا في الدراسات النفسية والعقلية، ووصفوا كثيرا من امراض النفس والعقل وحللوها تحليلا دقيقا ، ووصفوا طرق علاجها وصفا لم يسبقهم اليه أحد

وقد اعتمد مؤلف هذا الكتاب في فصوله على بحوث هؤلاء العلماء الثلاثة واقتبس من دراساتهم وتحليلهم ، وقسمه الى ثلاثة ابواب يشمل الاول دراسات في الموضوعات النفسية والاجتماعية ، ويشمل الباب الثاني الامراض العقلية وتحليلها وأحدث علاج لها ، ويشمل الباب الثالث الامراض النفسية . وتحليلها وطرق علاجها . وقد بدأ المؤلف كتابه ببحث طويل في الحب وانواعه وامراضه ، وشذوذه ثم تناول الغرائز وتحولاتها، والاحلام . والجنون واسبابه وعلاجه . والضعف الخلقي، والضعف العقلي، والصراع، والوسواس. والهستريا وغير ذلك من البحوث النفسية والعقلية الهامة . والكتاب جدير بالاطلاع لما حواه من دراسات قيمة ، وخلاصات لارقى ما وصل اليه الفكر البشرى في علم النفس والعقل في العصر الحديث

أهدافنا

محاضرات الدكتور سامي شوكت

مدير المعارف العام بالعراق

(جمعته مجلة المعلم الجديد في وزارة المعارف العراقية صفحاته ١١٠)

الدكتور سامي شوكت من خيرة رجال النهضة الثقافية والقومية في العراق ، وعلى الرغم من ثقافته الطبية، فقد أهلته سعة ثقافته الادبية والعلمية والفنية الى ان يكون علما من اعلام الادب والعلم والكتابة والخطابة . وقد اجتمع به كاتب هذه السطور في فترة زيارته القصيرة للعراق . فآنس من فضله وعلمه واخلاقه ما اقنعه بان نهضة العراق القومية التي استمدت روحها من فيصل الاول ونجله غازي الاول،وحفيده العظيم قد اعتمدت في تنظيمها وسيرها الى الامام على رجال لهم من الصفات العالية ما يضمن نجاح هذه النهضة . ووصولها الى الاهداف المنشودة . وقد اختير الدكتور سامي شوكت مديرا عاما لوزارة معارف العراق ، وهو منصب يفرض على صاحبه مسئولية كبرى . ومنذ ذلك الحين قام به خير قيام واحدث

نشاطا جديدا بين المتعلمين والطلاب . وقد ألقى عدة محاضرات في دار المعلمين ببغداد ، وفي بعض المدارس الثانوية ، وفي دار الاذاعة اللاسلكية ، وفي غيرها من الهيئات العلمية والحفلات العامة ، وتناول فيها عدة موضوعات اجتماعية ، وقومية وعلمية ، وبعضها يتعلق بالعراق كدولة مستقلة ، وبعضها يتعلق به كركن من اركان الاتحاد العربي العام . وقد جمعت هذه المحاضرات مجلة وزارة المعارف العراقية « المعلم الجديد » بعنوان اهدافنا ، ومن هذه الاهداف : اهداف الفتوة ، واهداف النشء العراقي ، واهداف مدارسنا ، والعراق العربي يربي الناشئة العربية ، ومعنى القومية ، والامبراطورية العربية ، واسباب عظمة اللغة العربية . ومستقبل العراق ، والجسر العربي بين العراق ومصر ، والرحلة الى مصر — الى غير ذلك من البحوث القيمة النفيسة

خلاصة فن الحرب

للنقيب مصطفى حلمي

(طبع بمطبعة التاج المصري بالقاهرة صفحاته ٣٢)

اتجهت الشعوب الآن الى العناية بالتربية العسكرية والثقافة الحربية بعدما فرضت عليها الظروف الدولية توجيه اهتمامها الى هذه الناحية ، وكانت مصر فى مقدمة البلدان أخذا بالاساليب الحديثة ، فاهتمت بتقوية الجيش منذ توقيع المعاهدة المصرية الانجليزية ، وادخلت التدريب العسكرى فى مدارسها ، وعملت وزارة الدفاع الوطنى على نشر الثقافة العسكرية ، وبث روحها بين طبقات الشعب بالاذاعة اللاسلكية ، والكتابة فى الصحف والمجلات . وهذا الكتاب الذى الفه النقيب (اليوزباشي) مصطفى حلمى المعلم السابق بالكلية الحربية هو الاول من نوعه فى اللغة العربية فهو يتناول الفن العسكرى ، والثقافة العسكرية باسلوب سهل موجز مبسط يقرب تناوله للعسكريين وغير العسكريين ، ويمكنهم من الاحاطة بكل ما تجب معرفته عن هذا الفن مع تحاشى التعابير الفنية المعقدة . وقد قسمه الى ثمانية عشر فصلا بدأها بتعريف الحرب وفن الحرب ، ثم شرح معنى النظام العسكري والقوانين العسكرية ، والتدريب العسكرى ، وتكلم عن التعبئة وعناصر الجيش ، والقيادة العليا ، واركان حرب الجيش ، والتكتيك والهجوم والدفاع ، وحرب الخنادق ، والاسلحة وغير ذلك ، ووضح ذلك بالخرائط والصور اللازمة

البلبل

للاستاذ حسين عفيف

لكل اديب اسلوب خاص ، بل ذوق خاص ولو أن الادباء المعاصرين تمشوا مع اسلوبهم وميولهم واذواقهم الخاصة ، لنتج لنا فى نهضتنا الحديثة انواع شتى من الادب كما تنتج لنا الاشجار انواعا شتى من الازهار والثمار . ولكن الانتاج الادبى الحاضر يكاد يكون متشابها ، وهو فى اكثره تقليدى ، ويندر بينه الادب الذاتى ، والتفكير الشخصى ، والانتاج المبتكر

ولمؤلف هذا الكتاب الاديب حسين عفيف اسلوب خاص تمشى فى جميع مؤلفاته ، كما ان له ميلا خاصا استطاع استغلاله فى حدود لاتزال ضيقة ، ومع ذلك فقد اكثر فى الكتابة فى نطاق هذه الحدود ، وكادت مؤلفاته كلها تكون شعرا منثورا . ومنها هذا الكتاب الذى سماه «البلبل» وهو مقطوعات من الشعر المنثور فى شبه قصة لها طرافة ادبية . وقد اجاد فى كثير من هذه المقطوعات ، ودل على ان الناثر يستطيع أن يقتبس من الشاعر حلاوة موسيقاه وانغامه ، ولو لم ينظم على بحوره وأوزانه

وحي الخاطر

تأليف الاستاذ على سعد مراد

(نشرته مكتبة النهضة المصرية · صفحاته ٢٩٣)

فى ميدان الحياة الادبية جنود من الشباب ممتازون لا يقرأ القـراء عنهم كثيرا ، لانهم لا يولعون بالاعلان كثيرا ، او لان ظروفهم لا تتيح لهم التلاقى مع القراء كغيرهم فى جميع المناسبات · ومع ذلك فهم مثابرون على خدمة الادب سواء عرفهم القـراء أم لم يعرفوهم . وسواء نالوا جزاءهم من التقدير أم لم ينالوا لانهم مخلصون لفنهم ، ولان الحياة الادبية فى الشرق لا تغرى الادباء ــ وخصوصا الشباب ــ بالحرص على التقدير والتشـجيع · ومن هؤلاء الادباء الشباب الاستاذ على مراد مؤلف هذا الكتاب الطريف فقد عكف على الكتابة فى سكون واخلاص حتى أخرج كتابه وحيا ادبيا يجمع بين جمال الاسلوب وطرافة الموضوعات ، وجدة الخواطر واستطاع ان يبرز بين سطوره المنثورة من المعانى الشاعرية والخيال الجميل ما تهفو اليه النفوس .

وقد قسم الكتاب الى قسمين: قسم يحوى موضوعات من الشعر المنثور ، وقسم يحوى طائفة خصبة من الخواطر والنظرات الحكيمة فى الحياة · وقد أجاد فى كل من القسمين بما يستحق عليه فائق التهنئة والتقدير

التربية الاجتماعية

تأليف الاستاذ على فكرى

(طبع بالمطبعة العصرية · صفحاته ٢٥٠)

التربية الاجتماعية كما عرفها علماء الاجتماع معرفة الحقوق والواجبات ، ومعرفـة الآداب الاجتماعية والتمسك بالتقاليد القومية ، والاخذ بالمألوف منها والابتعاد عن العادات المقوتة . وهى ضرورة لتربية النشء وهى أساس الاصلاح الاجتماعى · وقد عنى الاستاذ الكبير على فكرى الامين الاول ورئيس المفيرين لدار الكتب المصرية سابقا بوضع كتاب فى هذا الموضوع فاحاط فيه بكل ما يجب على الافراد والجماعات على اختلاف طبقاتهم واعمالهم ووظائفهم فى الحياة الخاصـة والعامة ، فتكلم اولا عن معرفة الواجب وادائه . والقيام به ، ثم تكلم عن واجبات التلميذ ، والعامل والطبيب والمحامى ، والحاكم والقاضى ، والتاجر ، والزارع الى آخره · · ثم تناول الواجبات العامة فتحدث عن واجب الانسان نحو نفسه ونحو والديه واولاده ، ونحو الزوج والزوجة ، ونحو اقاربه واصدقائه وجيرانه الى آخر هذه الواجبات الكثيرة المتعددة · ولا ريب ان كتابا كهذا الكتاب يتناول اهم النواحى التى تهم الفرد والمجموع جدير بالعناية والاطلاع فى وقت نشعر فيه جميعا بمعرفة هذه الواجبات ووجوب القيام بها ، ونحتاج فيه الى تقويم النشء وتهذيبهم ، وتوجيههم توجيها اخلاقيا واجتماعيا مفيدا

مأساة آسيا الكبرى

تأليف الكاتب الفرنسى كلود فارير وترجمة الاستاذ على راجح

(طبع بمطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بالقاهرة · صفحاته ١٧١)

هذه القصة الممتعة هى آخر ما الفه الكاتب الفرنسى الشهير كلود فارير الذى عرف بحبه للشرق وعطفه عليه ، وانصافه لحقوقه · وقد خلف بيير لوتى فى هذا الحب ، وهذا العطف والانصاف وقد كتب عدة مقالات فى الصحف الفرنسية عن بلاد الشرق ، كما الف عدة قصص · وقد كان

ضابطا فى البحرية الفرنسية ، واشترك فى الحرب الكبرى . ولما احيل على المعاش عكف على الكتابة والتأليف فنشر طائفة من القصص الشائقة ، واختير عضوا فى الاكاديمية الفرنسية . وقصة مأساة آسيا الكبرى تتناول الحوادث الخطيرة التى تجرى اليوم فى الشرق الاقصى ، وهو سرد لحوادث ومشاهدات زائر منصف ، ودراسة باحث مدقق

وقد قام بترجمتها الاديب المعروف الاستاذ على راجح الموظف بالادارة الاوربية بمجلس النواب . فقدمها الى القراء فى اسلوب سهل وعبارة منتقاة ، وعرضها عرضا مشوقا يغرى بالاطلاع على حوادثها ومشاهدها البعيدة التى لا تتاح رؤيتها كما رآها ، واختبارها كما اختبرها المؤلف الا للقليلين

كتب أخرى

(تاريخ ابن الفرات) المجلد الثامن لناصر الدين محمد بن عبد الرحمن بن الفرات . حققه وضبطه الدكتور قسطنطين زريق ، والدكتورة نجلاء عز الدين طبعته المطبعة الاميركية ببيروت صفحاته ٢٨٦

(خالد بن الوليد) تأليف الاستاذ عبدالرحمن عربى عنو . يتناول تاريخ بطل الاسلام باسلوب جديد . وقد طبع بمطبعة التعاون بالاسكندرية . صفحاته ٤٦

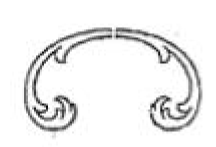
(اسرار البلاغة) الطبعة الثالثة . تأليف الامام عبد القاهر الجرجانى وعلق حواشيه المرحوم السيد محمد رشيد رضا منشىء المنار . طبع بمطبعة المنار بالقاهرة صفحاته ٣٦٨

(مائة رباعية ورباعية) تأليف الاديب حسنى الحفار . مجموعة طريفة من الشعر . طبعت بالمطبعة الحديثة ببيروت . صفحاتها ٩٩

(الادب المسيحى) تأليف الخورى الياس نحاس راعى طائفة الروم الارثوذكس بالمنصورة وقد تناول فيه علم الادب المسيحى ، وغايته ، ومبادئه ، والواجب والواجبات ، والثواب على الاعمال والفضيلة والعفة والحكمة وغير ذلك من الآداب السامية . وقد طبع بمطبعة فاروق الاول بالمنصورة وصفحاته ٢٨٦

(تاريخ الخط العربى وآدابه) تأليف الاستاذ محمد طاهر المكى الخطاط وهو كتاب تاريخى اجتماعى ادبى مزين بالصور والرسوم الفوتوغرافية وجدير بعناية رجال هذا الفن الجميل . وقد طبعه مكتبة الهلال بالفجالة طبعا انيقا ، وهو يحوى ٤٧٠ صفحة من القطع الكبير

(حياة ابراهيم) تأليف الدكتور ف . ب . ماير . وتعريب الاستاذ حافظ داود . وهو يتناول حياة النبى ابراهيم عليه السلام . وهو كتاب تاريخى مفيد . طبع بمطبعة الامانة بشارع الفجالة بالقاهرة . صفحاته ٢٨٠



بين الهلال وقرائه

هل الزباء عربية ؟

(دمشق ــ سورية) مشترك

هل كانت الملكة الزباء عربية الاصل ؟ واين نشأت واين حكمت ؟

(الهلال) يختلف المؤرخون اختلافا كبيرا فى قصة هذه الملكة . فالمؤرخون العرب يسمونها الزباء ويقولون انها ابنة زعيم عربى اسمه عمرو بن ظارب بن حسان . ومنهم من يزعم انها يهودية ولدت ونشأت فى بلاد الشام . ومن المؤرخين من يرى ان الزباء ، او زنوبيا كما يسميها الافرنج ، مصرية الاصل

والزباء هى زوجة « أوديناتس » الملقب بأغسطس الشرقى ، فقد انتصر فى كثير من المعارك واخضع كثيرا من البلاد وهزم الفرس عدة مرات ، ولما مات تولت الزباء الحكم ، وكانت عاصمتها تدمر اعظم مدن الشرق حينذاك ، ويسميها الافرنج بالميرا أى بلد النخيل . ويقال ان هذا البلد انشأه سليمان فى سورية ليكون محطا للقوافل وسط الصحراء . وقد حاربت الزباء الرومان فكسروها واسروها ، وظلت فى قبضة امبراطورهم اوريليان حتى ماتت سنة ٢٦٠ م

الفاظ فى اللغة

(دمشق ــ سورية) ومنه

ما هى الالفاظ العربية التى تطلق على صوت الحمام ، والدجاج ، والغراب ، والعصفور والصقر والنسر ؟

(الهلال) للحمام هديل وهدير ، وله كذلك سجع ونوح وحنين . ويقال قاقت الدجاجة قوقأة ، وزقا الديك زقوا . اما صوت الغراب فنعيق ونعيب . وصوت العصفور زرزرة ، وصوت الصقر صفير ، وصوت النسر نقيض فيقال انقض النسر أو البازى

البرد لا يسبب الزكام

(طنطا ــ مصر) حسين صيام

لماذا يصاب الانسان فى الصيف بالزكام مع أن الهواء شديد الحرارة وخال من الرطوبة ؟

(الهلال) قلما تنشأ النزلات الصدرية كالزكام والانفلونزا ، عن برودة الهواء أو رطوبته ، وانما تأتى غالبا عن طريق العدوى بجراثيمها التى تنتقل بوسائل كثيرة وتنتشر بين الناس سريعا . والدليل على أن البرد لا يؤدى الى الزكام ان سكان المناطق الجليدية فى أقاصى الشمال والجنوب من الارض قلما يصابون بنزلة صدرية . وقد ذكر بعض المكتشفين الذين ارتحلوا الى المناطق القطبية انهم لم يصابوا بالزكام طول الشهور التى أقاموها وسط الجليد والصقيع . وزاد الرحالة نانسن ان وزنه زاد فى اثناء رحلته الى القطب الشمالى عشرة كيلو جرامات . والواقع ان الزكام يأتى عن طريق العدوى وحدها ، أما سبب انتشاره فى الشتاء عنه فى الصيف فذلك أولا لان اشعة الشمس فى الشتاء فاترة فلا تقتل الجراثيم التى تتناثر من أنوف المزكومين سريعا فتترك لها وقتا تنتشر فيه وتتزايد ، وثانيا لان برد الشتاء يحمل الناس على أن يؤموا الاماكن الضيقة المزدحمة التماسا للدفء ، وهناك يكونون أقرب للعدوى لضيق المكان وكثرة الافراد . وخير طريق لاتقاء الزكام أن يخرج الانسان الى الاماكن الطلقة حيث يستنشق الهواء النقى ، على أن يتدثر فى الشتاء بأغطية تقى جسمه من البرد ، وعليه فى الصيف ألا يتعرض للهواء اذا كان بدنه مبللا بالعرق

مساحات البحار واعماقها

(يافا ــ فلسطين) ابراهيم طويلة

كم تبلغ مساحة كل من المحيطات والبحار الكبرى على وجه التقريب؟ وهل توصل الغواصون الى قياس أعماق المحيطات فى اجزائها الغائرة ؟

(الهلال) رجعنا الى كتاب من كتب الجغرافية المعتمدة فوجدناه يقدر ان مساحة المحيط الهادى تبلغ ٦٣٫٩٨٦٫٠٠٠ ميل مربع وعمقه ميلين ونصف ميل . ومساحة المحيط الاطلسى ٣٠٫٠٠٠٫٠٠٠ ميل وعمقه ميلين . ومساحة المحيط الهندى ٢٨٫٣٥٠٫٠٠٠ ميل وعمقه ميلين كذلك . والبحر الابيض المتوسط ١٫١٤٥٫٠٠٠ ميل وعمقه فيما بين مالطة وكريت ١٤٫٤٠٠ قدم . ومساحة البحر الشمالى ١٩٠٫٠٠٠ ميل ولكن عمقه لا يتجاوز فى الجنوب ١٢٠ قدما وفى الشمال ٣٥٠ قدما

الفائزون بجائزة نوبل الادبية

(يافا ــ فلسطين) الياس فرج المنير

من هم الادباء الذين فازوا بجائزة نوبل ؟

(الهلال) ناهز عدد الادباء الذين منحوا هذه الجائزة السنية زهاء أربعين أديبا ، امتازت آثارهم بالنزعة الانسانية التى تبث روح الاخاء بين الشعوب وتنكر نزعة العداء التى خلقتها أحداث الماضى . وقد بدىء بمنحها سنة ١٩٠١ ، وكان أول فائز بها الشاعر الفرنسى سولى بردوم ، وآخر من فاز بها القصصية الامريكية بيرل بك . ولا سبيل فى هذه الاجابة الوجيزة الى ذكر جميع من نالها من الادباء والاديبات والسنوات التى منحوا فيها هذه الجائزة التى تبلغ الآن زهاء ثمانية آلاف من الجنيهات فنذكر منهم فى فرنسا القصصى اناتول فرانس والفيلسوف رومان رولاند والفيلسوف هنرى برجسون . وفى انجلترا الشاعر راديارد كبلنج والفيلسوف القصصى برنارد شو (ولكنه رفضها !) والقصصى جون جولزورثى والشاعر الارلندى وليم يتس وفى ألمانيا المؤرخ تيودور مومش والفيلسوف رودلف أوكن والقصصى بول هييس والمسرحى هبر هاوت هوبتمان والقصصى توماس مان . وفى دول أوربا الشمالية عدد كبير منهم القصصية سلمى ليجرلوف والشاعر الغنائى هيد لستام والقصصى هنريك بونتد يدان والكاتب كارل كجرلوب والقصصى كنوت هومسون والقصصية سيجريد اندست والشاعر أريك كارفلدت . وفاز بها فى ايطاليا المؤرخ الشاعر جوزى كاردوتش والقصصية جراتسيا ديليدا والقصصى المسرحى لويجى بيرانديللو . وفاز بها أديبان بولنديان هما المؤرخ القصصى هنرى شينكوتيز والشاعر ريمون لاديسلاد وفى بلجيكا الشاعر الرمزى ماترلينك وفى اسبانيا جوزى اشيجارى وجاشينوتو نبافنتا وفى امريكا سنكلر لويس وبيرل بك وفى روسيا ايفان بونين ولم يفز بها سوى أديب شرقى واحد هو الفيلسوف الهندى طاغور

وقد ترجم بعض آثار هؤلاء الادباء الى اللغة العربية ، ولكن ما زال القارىء العربى محروما الا من قطرات من هذا البحر الزاخر بأروع القصص والشعر والفلسفة ، مما يتطلب مجمعا من الادباء يتفرغون للترجمة التى ما زلنا فى حاجة الى الاستزادة والاستفادة منها

تفاوت الزوجين فى العمر

(الفشن ــ مصر) عثمان الجندى

هل فى قوانين الطب ما يبرر ضعف الشاب اذا تزوج ممن هى أكبر منه سنا ، وقوة الكهل حين يتزوج بفتاة ناشئة ؟ وهل يقرر الطب حدا ادنى للفرق بين عمرى الزوجين ؟

(الهلال) من الناحية الطبية البحتة لاضرر فى أن يتزوج الشاب ممن تكبره بضع سنوات ، على ألا تكون قد بلغت سن اليأس والعجز . ولكن الضرر فى هذه الحالة واقع على نسله ، فان كبر الزوجة يحرم الجنين من ان يستمتع بأم تمده بالغذاء الوافى وتصونه فى أحشائها القوية السليمة ، كما تحرمه بعد الولادة من أن

يرضع لبنا دسما مغذيا كهذا الذى يرضعه ابن الأم الشابة . ومن الاخطاء الشائعة ان الكهل يسترد بعض شبابه اذا تزوج فتاة شابة ، مع ان الارجح ان يؤدى هذا الى الاضرار به اذا حمله ضعف بنيته وشباب زوجته على أن يبذل من نفسه أكثر مما يستطيع استرضاء لها أو التماسا للمتعة

على ان الافضل من الوجهة الصحية ومن الوجهة النفسية أن يكون الزوج أكبر من زوجته بضع سنين . وقد قال الباحثون المعتمدون ان أفضل نسبة بين عمريهما أن يكون سن الزوجة نصف سن الزوج مضافا اليه سبع سنوات . فمن كان فى سن الثلاثين فليختر من هى فى سن الثانية والعشرين

ضريبة الميراث

(ريو دى جانيرو ــ البرازيل) مشترك

هل فرضت احدى الدول العربية ضريبة على التركات ؟ وما مقدار هذه الضريبة فى انجلترا ؟

(الهلال) لم تفرض هذه الضريبة فى اية دولة عربية ، ولكن ينتظر أن تأخذ بها مصر فى القريب العاجل ، لان مرافق الاصلاح الكثيرة تتطلب موارد مالية عديدة ، من أولاها بالاستغلال فرض ضريبة على التركات ، على أن تكون تصاعدية فلا تؤذى الفقراء ولا تحابى الاغنياء . وتسير انجلترا على هذا النظام . فالتركة التى تقل عن مائة جنيه تعفى من ضريبة الميراث وما تتراوح بين مائة وخمسمائة جنيه يجبى منها ١ ٪ ثم تتدرج هذه الضريبة الى أعلى شيئا فشيئا ، حتى اذا بلغت التركة مليونين من الجنيهات أو زادت استولت الحكومة على نصفها تماما

كذب المنجمون

(دمشق ــ سورية) سيدة

أنبأني عراف يتحدث الناس عن صدق تنبؤاته بأني سأكون أرملة فى سن الاربعين ، أى بعد سبع سنوات ، فلم أعر هذا القول أهمية ما أول الامر ، ولكنه لم يلبث أن أخذ يساور عقلى وينغص حياتى ، حتى انتابتنى اخيرا حالة عصبية قلقة . فما رأيكم فى هذا التنبؤ ، وهل من خلاص لى من هذا الاضطراب العصبى ؟

(الهلال) أما تنبؤات العرافين فأحاديث خرافة بلا جدال . فدون المستقبل استار وأسوار لا تنفذ خلالها عين أى انسان . وينبغى عدم الاستسلام لتنبؤات الدجالين

والخلاص من تأثير هذه التنبؤات ميسور . ولنا ان ننصح فى هذه الحالات باتخاذ طريقة الايحاء النفسى ، فتذكرين ــ عن عقيدة ووثوق ــ فى كل آن ان العرافين كذابون، وانك ستستمتعين بحياتك الزوجية عشرات السنين . وان مستقبلك يبشر بالخير والسعادة . . وقد قيل كذب المنجمون ولو صدقوا

مؤلفات الاستاذ البشرى

(دمشق ــ سوريا) فائز ى . الروينى

ما هى مؤلفات الاستاذ عبد العزيز البشرى ؟

(الهلال) الاستاذ عبد العزيز البشرى دعامة من دعائم الادب العربى الحديث ، بأسلوبه البيانى الرصين وبملكته الفكهة البارعة . وقد اتجه فى أكثر انتاجه الى كتابة المقالات والفصول فى الشئون الاجتماعية وفى الدراسات الادبية وفى الترجمة والتاريخ . وجمع من هذه المقالات كتبا شتى منها كتاب « فى المرآة » وهو مجموعة رائعة من الصور القلمية البارعة لبعض الشخصيات البارزة فى مصر الحديثة . وكلها تمتاز بالدقة فى تصوير الاخلاق والسمات فى عبارة تمتاز بالفكاهة البارعة أو السخرية اللاذعة . ومنها كتاب « المختار » الذى صدر منه ثلاثة اجزاء حافلة بالمقالات الشائقة التى لا يمل القارىء تلاوتها واستعادتها . واشترك مع جماعة من الاساتذة والادباء فى اصدار كتب مدرسية فى تاريخ الادب العربى كما اشترك مع الاستاذ محمد رفعت بك فى اخراج كتاب نفيس فى « التربية الوطنية »

فهرس الهلال

الثامن

الجزء الثالث من المجلد التاسع والأربعين

افتتح قسم الخدمة العامة بالجامعة الاميركية بالقاهرة موسم محاضراته الحالى بطائفة من الموضوعات الاجتماعية القيمة ، كان في مقدمتها هذه المحاضرة القيمة التى ألقتها أديبة الشرق النابغة الآنسة مى . وقد ترأس الحفلة الأديب الكبير الدكتور أمير بقطر ، فقدم الآنسة بكلمات بليغة لجمهور عظيم من السيدات الفضليات ورجال العلم والأدب . وقد تفضلت فاختصت بنشرها « الهلال » . ونحن ننشرها شاكرين مهنئين بها جميع المعجبين

حاجتنا إلى ثقافة إجتماعية

بقلم الآنسة مى

المغزى الادبى يتلخص عادة فى الجزء الاخير من الكلام وعند فصل الخطاب . أما فى هذا الموقف فقد كان الديباجة المشرقة . أى شيء أدل على الثقافة الاجتماعية المكتملة من تعضيد الغريم للغريم فى سبيل المصلحة العامة ؟ هذا هو الدرس الادبى الذى ألقاه علينا عدوى الحميم وغريمى القديم الدكتور أمير بقطر

بالأمس – قبل خمسة أو ستة أعوام – خاصمنى خصومات طنانة رنانة فى سبيل المصلحة العامة ، وها هو ذا اليوم ، فى سبيل المصلحة العامة ، يشرفنى بترأس هذا الاجتماع ويستقبلنى بهذه الكلمات الطيبة . إنى أمحضه الشكر خالصاً . وهذا الترحيب عندى آثر ما يكون من هذا الاديب الذى جمع أدبه بين جمال المثل الاعلى وحيوية الواقع المحسوس ، من هذا العالم العالمى بأسلوب التفكير ، بسعة المدارك ، بغزارة المعارف ، برحابة الاحاطة ، المصرى الوطنى بالغيرة والهمة ، ببراعة الاجمال ، بتعيين الاهداف ، باحكام التحقيق ، من هذا القائد الذى يسير بفيالق الناشئة المصرية الى أفق يتلاقى عنده جلال الماضى ومجد المستقبل

أيها السادة والسيدات

صيحة الاصلاح الاجتماعى فى مصر سارت والصيحة السياسية جنباً الى جنب . وكان فى مصر أبراج ثقافية تقوم وسط الزعازع وتظل فى نفس الوقت بعيدة عنها . وفى مقدمة تلك الابراج هذه القاعة التذكارية

من على هذا المنبر المضياف ، بين هذه الجدران الصامتة ، انطلقت وما زالت تنطلق أصوات نفر من خيرة أبناء البلاد وبناتها متحدثة فى جد ورصانة وحمية عما بقى على مصر ، بعد نجاحها

السياسى ، أن تحققه فى مختلف نواحى الحياة القومية . وأظن ان فى هذه القاعة وبمساعى قسم الخدمة العامة تكونت أول جماعة مصرية غرضها إصلاح القرية وتحسين شئون الفلاح ، ومن هنا مضى أول فوج من فتيان مصر ينشرون دعايتهم بالقول ويحققونها بالعمل لانصاف أولئك المحسنين الصامتين ، الفلاحين ، الذين بعرقهم وبدمهم يغذون الحياة المصرية

فهل من عجب ، والحالة هذه ، ان ألقى السلام على هذه القاعة الغنية بالتيارات الفكرية والدوافع الحيوية بعد الغياب عنها أربعة أعوام ؟ ولا أشك فى أنكم تشاركوننى فى توجيه الشكر والتهنئة الى عميد قسم الخدمة العامة الدكتور ويندل كليلاند : الشكر لما أسدى وما فتىء يسدى من الخدم سواء بالتدريس والكتابة والاشراف على قسم الخدمة العامة ومعاونة وزارة الشئون الاجتماعية بعلمه وخبرته وسديد رأيه . والتهنئة لأن جهوده صادفت نجاحاً وكانت ذات أثر محسوس فى تكوين هذه الحمى المتفشية لطلب الاصلاح والسعى إلى تحقيقه . إن ارتفاع درجة الحرارة فى مثل هذا الباب لهو الصحة بعينها . إنى أتهم الدكتور كليلاند بالقاء القنابل المفنطة ووضع الألغام الديناميتية فى المجتمع المصرى ! بيد أن هذا الصنف من الألغام والقنابل يوافق عليه قانون الجنايات وقانون الأحكام العسكرية ، وترحب به وتنشطه الحليفة العظيمة وكل أمة أحبت مصر فى ماضيها فتمنت لها مستقبلا حقيقا بذلك الماضى المجيد

ولما كان التبادل أساس الحياة تحتم أن يكون لصاحب الفضل من هو ذو فضل عليه . وهنا نذكر السيدة المثقفة اللطيفة مسز كليلاند التى تمكن قرينها الفاضل من التفرغ لأعماله المفيدة . ونذكرها بالحمد لأنها شأنها شأن بنات مصر متطوعة لخدمة الجمهور والقيام بأعمال التمريض والاسعاف العام . وهى إلى ذلك سيدة بيت مثلى تحسن إدارة المنزل وتنشئة الأطفال وتتقن طهى صنوف الطعام بما فيها صينية البطاطس بالفرن ، هذه الصينية التى دخلت فى التاريخ . شؤون يراها البعض حقيرة تافهة ، غير أن المرأة المصرية الناهضة التى جمعت بين الثقافة الفكرية والروح الاجتماعية تتقن معالجتها وتدرك أهميتها لأنها الشرط الأساسى لصحة المجتمع وراحته وهنائه

أما وزارة الشؤون الاجتماعية فلئن تراكمت عليها التبعات والمطالب والاقتراحات وهى بعد وليدة فذلك دليل على أن وجودها كان ضروريا . وهى بعد وزارة « سمباتيك » وتحب أن تكون صلة بين المجتمع والحكومة . ولئن كانت أفقر الوزارات فلنذكرن ان الثروة لا تقوم بالمال فقط بل بالمال وبالرجال وبالهمم ، بحسن تشخيص العلل الاجتماعية وبحسن التدبير فى تقديم الأهم على المهم ، والمهم على الاضافى فى تطبيق الدواء

أيها السادة والسيدات

فى البلاد كثير من المدارس والمعاهد العلمية ، فماذا تكون هذه الثقافة الاجتماعية التى نحتاج اليها ؟

ن الثقافة المدرسية والجامعية بمختلف فروعها ودرجاتها ، مهمتها إعداد الأفراد لمزاولة حرفة أو مهنة أو عمل ، وهى مهمة لا مندوحة عنها فى تكوين الشخصيات الفردية . ومن ثم صنوف ثقافية شتى حكومية وقانونية وطبية وزراعية وتجارية وصناعية وميكانيكية وعسكرية وأدبية وفنية ، إلى آخر ماهنالك . والمفروض أن كلا من هذه الثقافات تتناول أهم الموضوعات والأساليب المطلوبة فى نوع العمل . وقد يكون بعد هذه ، أو إلى جانبها ، ثقافة شخصية محضة : كأن يكون المرء طبيباً ويقرض الشعر ، ويحسن العزف على آلة موسيقية وهو تاجر ، ويعالج الأدب أو النحت أو الرسم وهو موظف ، ملبياً بذلك داعي الذوق والميل والتطلع ، متلمساً التسلية والترفيه عن النفس وتقضية أوقات الفراغ فى نشاط زكى نبيل . فأين الثقافة الاجتماعية من كل أولئك ؟ أجل ، إن كل نوع من العمل لهو عامل من عوامل النشاط العام والتنظيم العام . ولكن الرابطة التى تربط بين صنوف الثقافة وصنوف النشاط وتنظم اتجاه الرغبات وتتمم جوانب الشخصيات ، ما هى تلك الرابطة وكيف تتكون ؟

من المهد إلى اللحد يحيط بنا المجتمع من كل جانب ، يحيط بنا بحسناته وسيئاته ، بقوانينه وعاداته ، بعدله وظلمه ، برأفته وقسوته ، بظلماته وأنواره ، بممكناته وحرماناته . لقد اختلط تصرف الكثيرين من الناس فى سبيل الثروة والجاه والسلطان . وكم من بطش فظيع ، كم من حيلة ثعلبية ، كم من إهمال أثيم ، كم من ظلم فاحش حتى فى مظاهر الياقات الأنيقة أحياناً ! وحجتهم هو قانون تنازع البقاء ، وأن الحق للقوة . ولو صح ذلك فماذا يكون الفارق بين الجماد والانسان ، بين طائفة من الجلاميد المتحاذية فى بقعة واحدة من الارض وبين جماعات من الناس يعيشون فى بقعة واحدة من الارض ؟ لاضمير للجماد ، لا ضمير للنبات ، لا ضمير للحيوان — وإن نحن وجدنا عند بعض طوائف الحيوان ، كالنحل والنمل مثلا ، إلى جانب روح التنافس وتنازع البقاء روح التضامن والتعاون ، ونظام الطبقات ، ونظام توزيع العمل . بيد أن كل أولئك ، ومثلهم الطفل والمعتوه والهمجى ، رازحون تحت وطأة قانون التنازع وهم لضغط غرائزهم صاغرون . ولو نحن اكتفينا بما هم فيه كنا منكرين جهود الانسان للتحرر من عبودية الغريزة ، وما كنا أهلا لتلك الكلمات المقدسة المرادفة لاسم الحياة ولا معنى للحياة بدونها كلمات الحق والواجب والحرية ! والواقع أن الحرية ليس لها من قيمة أدبية فى نفسها ، وكل قيمتها فى أنها تمكننا من التمييز بين الحق والواجب وتمكننا من التصرف الكريم فى سبيل الظفر بالحق والقيام بالواجب . كل قيمة الحرية فى أنها تمكننا من التقدم فى سبيل الكمال الممكن . وليس فى سبل الكمال من محطة نهائية ثابتة ، بل كلما تقدمنا طلبنا المزيد من التقدم . وكلما نشط العلم ونشط الاختراع ونشط الارتقاء تولدت معها فى المجتمع عيوب ملازمة لطبيعتها ، فيعمد المجتمع المستنير إلى الاصلاح . وكل ما تفاخر به الحضارة الحقة ، كل ما يشرف الانسانية المدركة ، هو التغلب على فظاعة القوانين

الطبيعية بقوانين منبثة من الروح الانساني الذي بدونه لا يكون الفرد إنساناً ولو هو استحوذ على كنوز العالم وتفوق في جميع المعارف والفنون والكفايات !

أيها السادة والسيدات

الكون كله بشاسع مسافاته وتعدد موجوداته ، إنما يحيا بالحركة . الحركة هي الحياة . والحركة على ثلاثة أنواع : ففي عالم الجماد ليست الحركة إلا تكراراً للمظهر ، وفي عالم الكائنات الحية تكون نشوءاً ، حتى اذا ما بلغت مرتبة خاصة من التطور البيولوجي في الانسان كانت الحركة ما نسميه ضميراً أو وجداناً

الضمير ، الوجدان في الفرد يجعله إنساناً . الضمير ، الوجدان في الجماعة يجعلها هيئة اجتماعية . الضمير ، الوجدان المشترك بين أهل البلاد الواحدة يجعل تلك البلاد وطناً . والثقافة الاجتماعية انما نواتها في هذا الادراك

استعملت كلمة « إدراك » ، بيد أن الضمير الاجتماعي ليس محض إدراك ، ولا يكفي أن تفرضه قواعد العلم وقياسات المنطق . بل إلى جانب هذه ، هو منطلق من القلب الحي ، من الرغبة الصادقة ، من العاطفة المتوهجة . الضمير ، الوجدان الاجتماعي يشعرك بأنك لست وحدك وأنت في عزلتك ، بأنك جزء حي من وحدة حية قلبها الرحيب ينبض في قلبك الصغير ، مرضها مرضك وسلامتها سلامتك ، همها وذلها وضلالها همك وذلك وضلالك ، عزها ومجدها وعظمتها عزك وعظمتك ومجدك . المجتمع جسم واحد ، والألم ولو في ظفر القدم يكفي لاتعاب الرأس وتضعضع وظائف الدماغ واضطراب وظائف سائر الاعضاء بالتبع . الوباء ينتشر أولا في أحقر الاحياء وأقلها نظافة ، فلا يلبث حتى يكتسح القصور . ولو وجد في المجتمع جائع واحد لا يدري كيف يجد قوت يومه ، فكيف يهنأ الغني بطعامه الفاخر ، وكيف يتقلب السري على فراشه الوثير ؟ نحن نعلم أن الغني السري لا يخلو من الألم إذ لا بد لكل من أن يحمل عبئاً من أعباء الحياة ، وكلما تقدم الانسان بثقافته وادراكه تقدمت معه على نوع ما صنوف آلامه . ولكن شتان بين الحرمان من الضروريات الحيوية الأولية والحرمان من وسائل الرخاء الكمالي ! وتقديم المساعدة للمحتاج عملية سحرية تحول عندنا معنى الألم وتجعله نوعاً من الرضى والطمأنينة . والثقافة الاجتماعية تعلمنا كل هذا وتحملنا على تفهم هذه الكلمة البديعة من العالم الطبيعي هكسلي القائل : « تنازع البقاء هو قانون التطور للحيوان ، أما الانسان فتطوره يتم بالتعاون والتعاضد والمفاداة والتضحية عند الحاجة »

وصل بنا سياق الحديث الى نقطة غاية في الاهمية ، وهي أن الضمير الاجتماعي لا ينفصل عن الضمير الاخلاقي وأن الثقافة الاجتماعية والثقافة الاخلاقية متممة كل منهما للأخرى ، لتصبحا روحاً ذا حيوية ديناميتة توحد الافكار والمشاعر والاهداف والمساعي . الافراد تحيا وتقضى ،

لاجيال تظهر وتختفى ، أما المجتمع فباق ، والفرد بحياة المجتمع خالد . والفرد الذى يسعى بنية حسنة ويحكم العمل حيث يجب أن يكون وكما يجب أن يكون ، ويساعد إخوانه فى حيز مقدور، فذاك الفرد يكبر فى عين نفسه ويجد فى داخل وجدانه حرية أعظم ، وثروة أوسع ، ويرى العالم أمامه أرحب ويحس كرامة السيادة وعندئذ يفهم لماذا قيل « سيد القوم خادمهم »

وقد قيل كذلك « العمل خير من العلم » ، ولكن ليكون عملنا محكماً لا بد لنا من العلم . ان جميع العلوم والفنون والآداب وجدت قبل السيسولوجيا أى علم الاجتماع الذى لا يناهز القرنين، ولكن هـذا العلم الذى هو أحدث العلوم ما كاد يظهر حتى استوعب فى رحابه جميع فروع المعرفة الانسانية والنشاط الانسانى ، لأن كل علم وكل نشاط صادر عن المجتمع . ولولا المجتمع والأفراد التى تكونه ما كان علم ولا كان نشاط . كذلك الثقافة الاجتماعية تجمع بين عديد المعارف والفنون لتلخصها روحاً اجتماعياً وضميراً اجتماعياً وفائدة اجتماعية . الثقافة الاجتماعية هى علم وعمل ، إحساس وتطبيق ، رجاء وتحقيق

نحن نعلم ان المشكلة الاجتماعية تتطلب حلولا كثيرة ، ولكننا نعلم كذلك ان التحسين مهما كان زهيداً فهو يمهد السبيل لتحسين أعظم

وما هى الوسائل لنشر الثقافة الاجتماعية والروح الاجتماعي ؟ هى الوسائل التى نعرفها جميعاً : العائلة ، المدرسة ، الكتاب ، الأدب الحى المهذب الراقى ، الفن ، الموسيقى ، المعارض ، المتاحف ، المسرح ، الصالون ، الأعياد القومية ، الرحلات المدرسية ، الصحافة ، الراديو ، السينما . ما أعظم تقدم السينما فى ايامنا وما أبعد تاثيرها ! انها تأخذ شيئا فشيئا بالموضوعات الجادة المجدية متجردة بطبيعة تقدمها من السخافات التافهة . وكم كانت الوزارة موفقة فى تنظيم الاذاعات المدرسية ! قد تفوتنى اذاعات المحطة مرات ، ولكن لا تفوتنى اذاعة مدرسية واحدة لأنى أجدها مليئة حياة

تنشيط الثقافة الاجتماعية وتعميم الروح الاجتماعى أصبح الآن فرضا على كل ذى نفوذ فى أية ناحية من نواحى المجتمع فيساعد كل بما عنده . فرضاً على الاغنياء ، فرضاً على الاقوياء ، على المدرسين ، على المثقفين ، على المشرعين ، على رجال الدين ، على رجال الحكومة ، على كل من يتلفظ بكلمة الوطنية . وما الوطنية فى الحياة اليومية إلا عمل منظم ، عنيد ، متتابع ، فعال ، صامت ، أما الوطنية كصيحة حرب ، كراية جهاد ، كعاطفة مكتسحة ، فلها ساعات معينة ، وعند ما تطغى الكريهة فعندئذ يدعو داعى التضحية والاستبسال

نشر الثقافة الاجتماعية وتكوين الضمير الاجتماعي فرض على تلك الضعيفة القوية ، المرأة ، التى فى ألمها وعذابها هى منشئة الطفل ، ومهذبة الرجل ، وموجدة الروح فى المنزل وفى المجتمع على السواء ، هى التى تنمى الفضائل الاجتماعية من لطف ومجاملة ولباقة وصبر ورعاية ولين وتسامح ورفق وحنان . هى خالقة الفروسية فى الرجال ، لا تخافوا أيها السادة الرجال من ثقافة

المرأة وحريتها ! هى مثلكم حسنة النية ، طموح الى المثل الأعلى ، تسير فى سبل الحياة باحثة ، ضالة ، مهتدية ، باحثة من جديد لتبلغ الهدف النبيل . ان ارتباكات الحياة لتحير أكبر العقول ! منذ سنوات قلائل نالت المرأة شيئاً من الحرية والثقافة ، فانظروا كيف ازدهرت مواهبها وتجلت شخصيتها فى هذا الزمن القصير ! اتركوها تتعرف وجودها ، وتستغل لخيرها وخيركم ممكناتها ! وثقوا انها لن تخيب آمالكم فيها ! ان أختكم فى القومية والانسانية لا تخون رجالها !

نشر الثقافة الاجتماعية وتكوين الضمير الاجتماعى فرض على الشبان وهم فى البلاد دم وحماسة وحيوية ، وذكاء ، ونشاط وعبقرية . هم الذين يبحثون عن علل الحاضر ليعالجوها ، وهم الذين يطلبون طرائف الماضى ليحتفظوا بها ويستنطقوها ، وهم الذين يزحفون الى غزو رحبات المستقبل بعزم الشباب وأريحيته واخلاصه

وذلك فرض على أولى الشأن الذين يديرون دفة الحكم . إن فى إهمال الألوف بلا تعليم وبلا عمل لتبذير باهظ فى القوى ، وغض من حيوية المجتمع . ومظاهر النشاط والتقدم فى نواحى الحياة المصرية تحملنا على التفكير كم ذا تكون النتائج باهرة لو تعلم جميع الجهال واشتغل جميع المتعطلين . إن المجتمع لا يحتفظ بقوة كيانه ميسراً لنفسه وسائل التقدم إلا بضمانة الأحتياجات الحيوية الملحة لجميع الأفراد ، بالانصاف فى توزيع الحقوق والواجبات ، بتمكين كل فرد من اكتساب حقه بتأدية واجبه . وكما أن حضارة أهل المنزل لا تقاس بالواجهة المزخرفة وبجمال التنسيق فى غرفة الاستقبال ، فكذلك حضارة البلاد لا تقاس بفخامة بعض الأحياء فى العاصمة وفى بعض المدن ، بل تقاس خصوصاً بالحالة العامة فى الاقاليم والأرياف حتى أصغر قرية وأضأل زاوية

حسن أن تشيدوا القرى النموذجية ، وتصلحوا الأراضى البور ، وتبنوا المساكن للعمال وتعمموا نشر التعليم ، ونود أن تشمل هذه المشروعات الاصلاحية جميع أنحاء القطر . ولكننا نعلم ان كل ذلك يتطلب مالا وفيراً ووقتاً طويلا ، وانه لذلك لابد من تقديم الأهم على المهم فنجعل أولا ماء الشرب خالياً من الميكروبات فى جميع الجهات ونضمن وسائل المعالجة والتطبيب فى كل قرية ، ونقدم للاطفال الغذاء قبل أن نفرض عليهم التعليم . بل يجب تقديم قوت الأجساد بالتغذية الكافية ، وقوت العقول بالتعليم ، وقوت النشاط بالعمل ، كل هذا للجميع وفى آن واحد . وليس ذلك لينفى وجود المثل الاعلى . لأن التاريخ الاجتماعى والسياسى والفكرى ليس إلا إنعكاساً للشروط الاقتصادية . وتحقيق العدالة بين الناس يقوم خصوصاً على حياة اقتصادية أوفر عدلا . وما المثل الأعلى الا زهرة جميلة جذعها راسخ فى الحياة العملية المحسوسة

حسن أن يجد القانون فى مطاردة الأشرار وتأديبهم ، بيد أن السجون والعقوبات لا تهدم الغريزة الجنائية ، بل قد تقويها . لا إصلاح بدون إعداد الوسط الصالح . الجريمة مغامرة وذكاء

ونشاط وقدرة . وقانون التحول هو أقدر القوانين وأفعلها فى الطبيعة وفى الانسان جميعاً . فلو نحن حذقنا سر التحويل بالتربية وبالوسط استخرجنا من شخصيات المجرمين شخصيات عظيمة باسلة

عدلوا برامج الدراسة ، فبرامج الدراسة كالقوانين مثقلة بالجثث البالية ! اعتنوا بالاطفال فالاطفال هم براعم الأمل ووعود المستقبل ! حببوا اليهم طور التربية والتعليم، مكنوهم من الاستفادة وهم يلهون ويلعبون ، ونشئوهم على حب الجمال وتذوق الجمال !

حسنوا السلالة المصرية جسداً وعقلا ! وخير الوسائل لذلك ، بعد مراعاة قواعد الصحة والنظافة ، هى الخدمة العسكرية والألعاب الرياضية التى هى كذلك خير وسيلة لمكافحة الادمان على المسكرات . فى المدن وفى الأرياف ، سوقوا الناشئة الى ميادين الرياضة ، فتزاول الألعاب الرياضية ليس باعتبارها مهنة لكسب العيش ، بل باعتبارها لهواً مشوقاً . إن أمة تتبارى شبيبتها فى ميادين الالعاب الرياضية لهى أمة يجرى الدم فى عروقها نشيطاً ، فلا خمول فيها ولا شلل . هى الامة التى تحسن التنفس وتألف التوازن الفكرى والعقلى بالحرص على توازن الاعضاء والحركات . هى الامة التى تستنكف وسائل الانحطاط لانها تحس بكرامتها البدنية والادبية . هى الامة التى تعتمد على نفسها وتنشأ على روح الزمالة الصريحة والمباراة النبيلة . هى الامة الشجاعة ، وجيشها هو الجيش القوى المقدام . وهى بكل ذلك سائرة حتما إلى مزيد من العافية والجمال الحسى والادبى

أيها السادة والسيدات

إن العالم لفى اضطراب لم يعرف له التاريخ من قبل مثيلا . أخطارعديدة تهدد الجميع . ولكن الشخصية القوية يرهفها الخطر ، ويحفز مواهبها ، فلا تطيل التلمس والمحاولة بل تهتدى بسرعة إلى أنجع الوسائل لقضاء حاجتها ، وكلما صادفت نجاحاً زادت ثقة بنفسها ، واستسلمت لنبيل الانفعالات ، فأقبلت عليها نفحات الالهام من روح الله ، من أغوار الوراثات ، من مستودعات الأمانى والاختبارات ، من مستودعات الحضارة الحقة والانسانية الحقة

لقد أثبتت مصر وجودها مرة فى المسافة والزمن فكانت مهد الحضارة . وها هى ذى الآن حيال تطور عظيم يشمل جميع النواحى . إن مصر الحديثة فتية بعمر نهضتها ، فتية بآمالها ، فتية برجالها وبنسائها ، فتية بجهودها ، فتية بشبابها ، فتية بمليكها ! ولقد أضافت الى خميرة مجدها القديم خميرة حديثة مقدسة كونتها دماء الشهداء . ففى مصر من الحيوية المتجمعة ما يكفى لتثبت وجودها مرة أخرى بحضارة جديدة وازدهار جديد

سى

أغراض السياسة الروسية في الحرب

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

الخطة السياسية التي يؤثرها الروس هي الخطة التي تذيع الفتنة والخراب في العالم الى أقصى مداهما من حيث يرجون هم السلامة

للمسائل الروسية على الخصوص وجهان لا يتفقان في جميع الاحوال ، لأن الروسيا الشيوعية دولة ودعوة اجتماعية في وقت واحد ، ولهذا تختلف وجهاتها في بعض الأمور

فالسياسة الخارجية - مثلا - لها عندهم مرجعان يلتقيان في أمور ولا يلتقيان في أمور

أحدهما الحكومة الرسمية وهي تتقيد بما تتقيد به جميع الحكومات من أصول المعاملات الدولية ومراسم السفارات والمحالفات وقواعد التجارة بين الأمم ، فلا مناص لها من رعاية المجاملات والخضوع ولو في الظاهر لضرورات هذه الاحكام

والمرجع الثاني الحزب الشيوعي ، وقد أعلن العداء للعالم بأسره وسماه باسم واحد هو « أمم رأس المال » فليس بينه و بين هذه الامم إلا التربص والتحفز وسوء الدخلة ، غير مقيد فيها بقيد من تلك القيود التي يرعاها السفراء والوزراء

والحزب هو أقوى المرجعين بلا جدال ، لأن صاحب النفوذ فيه وهو الرفيق ستالين أكبر مسيطر على شؤون الدولة الشيوعية وان لم يكن موظفاً فيها بوظيفة حكومية ، ولكننا نخطىء إذا فهمنا من قوة الحزب أنه يفعل ما يشاء ولا يحسب حساب الضرورات التي تلجأ الحكومة حيالها إلى شيء من التقية والاحجام

وغاية هذا الحزب معروفة لا يداريها ولا يستطيع مداراتها ، لانها هي الغاية التي بشر بها كارل ماركس في حياته وعمل لها الماركسيون جميعاً منذ ذلك الحين ، وخلاصتها قلب نظام العالم واشعال نيران الثورة في جميع أقطاره ، تمهيداً لقيام الدكتاتورية التي يسمونها دكتاتورية

الصعاليك ، ثم تمهيداً بعد ذلك لحكم الشيوعية الذى يدوم فى زعمهم دوام الأبد فلا يعقبه نظام آخر للحكومة

***

هذه الغاية أيضاً لها وجهان :

فهناك طريقة تروتسكى وهو يعتقد ان الدولة الشيوعية لن تأمن على نفسها ولن تنجح فى تحقيق المبادىء الماركسية داخل بلادها ما دامت منفردة بهذه المبادىء بين أمم تناقضها وتتفق عليها ، بل يخشى عليها هى نفسها أن ترجع إلى نظام رأس المال كرهاً وشيئاً فشيئاً من حيث تريد ذلك أو لا تريد

فلا مناص للروسيا الحمراء إذن من إشاعة الثورة فى كل مكان وإذكاء مراجل الفتنة بين الطبقات فى كل أمة ، وصرف الجهود الكبرى إلى نشر الدعوة الماركسية هنا وهناك تارة بالكتابة والخطابة وتارة بالدسائس والمؤامرات ، وبث روح الاضراب والاضطراب

وطريقة ستالين فى تحقيق مبادىء الحزب هى غير هذه الطريقة ، وان اتفقا فى الغاية المنشودة أتم اتفاق

فعنده ان الشيوعية لا تنتشر فى الدنيا إلا اذا توطدت أولا فى دولة واحدة قوية مرهوبة الجانب ، تغتنم الفرصة كلما تهيأت لها أسباب الايقاع بين أمم رأس المال وتعجيل يوم خرابها بالحروب والمنازعات . ثم تقف لها بالمرصاد تترقب ساعة سقوطها وإعيائها فتجهز عليها وهى عاجزة عن مقاومتها ، وتقيم على أنقاضها فردوس الماركسيين الموعود

وهذه هى الطريقة التى تسير عليها الروسيا الحمراء فى قبضة ستالين

فهى لا تهتم بتأييد الدعوة الشيوعية فى الخارج ، كما تهتم بالايقاع بين الدول وتشجيع عوامل الحروب

وإذا اقتضى الأمر أن تخذل حزباً شيوعياً كبيراً لاعتقادها ان خذلانه أدعى إلى تعجيل الحرب الدولية ، فهى لا تحجم عن هذا الغدر بأنصارها وأشياعها كما صنعت فى الثورة الأسبانية

فقد كان فى وسعها أن تمد الاشتراكيين والشيوعيين الأسبان بالسلاح والمال ، وأن تغلب كفتهم على كفة القائد فرانكو فى ميدان القتال ، ولكنها قدرت ان انتصار الحكومة الأسبانية ينتهى إلى استقرار الأمور فى البلاد وبطلان أسباب النزاع بين الدول المشتغلات

بالمسألة الأسبانية وهى إيطاليا والمانيا من جانب وفرنسا وبريطانيا العظمى من الجانب الآخر، وقدرت ان انتصار القائد فرانكو صديق النازيين والفاشيين يبسط نفوذ المانيا وايطاليا على سواحل البحر الأبيض الغربيـة وسواحل المحيط الاطلسى فتقوم القائمة لا محالة ، وتصطدم الدولتان بفرنسا وبريطانيا العظمى،وقد تصطدمان معاً فينهار صرح النظام الأوربى ويدنو يوم الخراب المأمول !

لهذا خذل ستالين الحكومة الاسبانية وقبض عنها يد المعونة التى كان يستطيعها ، ولم يتحرج له ضمير من هذا الغدر الخبيث أملا فيما يرمى اليه من تعجيل الخراب الشامل

وسياسته بين اليابان والصين شبيهة بهذه السياسة الغادرة ، فهو يعمل على جرجرة الحرب هناك سنة بعد سنة وإقليما بعد إقليم لانهاك اليابان والصين على السواء ، وترك باب الخصومة والشقاق مفتوحاً فى الشرق الاقصى يندفع اليه كل من يعنيه مصير تلك البلاد ، وعلى طليعتهم الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى ، فتقع الطامة المرجوة ولاتنتهى عوامل الدمار والاضطراب

وموقفه بين دول أوربا الغربية انما ينظر فيه مثل هذا النظر ويرمى فيه إلى مثل هذه الغاية اختلفت ألمانيا وبريطانيا العظمى وفرنسا على مسألة دانزيج أو المسألة البولونية فماذا هو صانع ؟؟

لو حالف بريطانيا العظمى وفرنسا واشترك معهما فى إنذار ألمانيا النازية لأحجمت هذه لا محالة وامتنع خطر الحرب ورجحت كفة السلام ، وفى ذلك إقصاء يوم الخراب الشامل !

أما محالفته لألمانيا النازية فهى خليقة أن تشجعها وأن تدفع بها الى العدوان فتندفع ، فتنشب الحرب الدولية ضربة لازب

ومن هنا فضل هذه الخطة على الخطة الاولى على الرغم مما كان بين الشيوعيين والنازيين من عداء عنيف وشتائم لا تنقطع ، يتبارى فيها دعاة موسكو وبرلين

وقد أشرنا الى سياسة ستالين فى مقال كتبناه أوائل شهر يونيو من السنة الماضية ونشره « الهلال » فى عدد يوليو من تلك السنة فقلنا : « نعم إن الشيوعيين يمقتون الفاشيين لما بينهم من المداوة المذهبية وما يشتغل به الفاشيون من تأليب العالم كله على الشيوعيين ، ولكننا ينبغى أن نذكر دائماً أن أنصار كارل ماركس ولنين يعتبرون الدول الميسورة الغنيـة خطراً أكبر من خطر الدول المفتقرة الى الارض والمال ، لأن الدول الميسورة هى فى رأيهم معاقل رأس المال وحصون النظم الاجتماعية القائمة على رأس المال ، فاذا جنحت بهم العاطفة الى

كراهة الالمان والطليان لأنهم يشاكسونهم وينافسونهم ويقمعون الشيوعيين فى بلادهم ويؤلبون العالم عليهم فهم عند التفكير يخافون الدول المطمئنة الغنية ولا يخافون الدول المشرفة على الخراب ، فان هذه الدول مهددة بالثورات قريبة من الانقلاب الذى يتمنونه لقيام دولة الصعاليك . أما الدول الغنية الآمنة فهى بنجوة من الثورات وهى التى تؤخر اليوم الموعود يوم الثورة العظمى فى جميع الاقطار و بين جميع الطبقات . . . . . . فمن الجهل أن نتوهم أن الشيوعيين يتمنون للدول الكبرى الثبات والأمان وهم لا يصدقون بالشيوعية إلا لأنهم يتربصون بها الدوائر و يترقبون لها الزوال »

***

هذا هو المفتاح الذى يفسر لنا كل تناقض أو غموض قد يظهر على وجه السياسة الشيوعية حيناً بعد حين

فأما مصدر ذلك التناقض الظاهر أن السياسة الشيوعية لها مرجعان ، وأن غايتها القصوى هى الخراب الشامل فلا تبالى أن تخذل أنصارها وأن تصادق أعداءها كلما لاح لها أنها تقترب بعملها هذا من تلك الغاية

***

إلا أن السياسة الشيوعية لا تفرغ من التناقض والغموض عند ما تقدم بيانه

فالروسيا الحمراء دولة كما أسلفنا ، وليست مركزاً للتبشير بالدعوة الماركسية وكفى

وهى من ثمة مضطرة الى الخضوع فى حالتها الراهنة للأوضاع الجغرافية التى كان يخضع لها القياصرة ، وأوصى بها بطرس الاكبر وأقطاب من الساسة الروسيين يعتبرهم الشيوعيون من دعائم النظام العتيق ، ومن شياطين رأس المال والاستعمار

فالزحف على البحر البلطي وعلى البحر الاسود وما وراءه ، هو سياسة الروسيا كائناً من كان ولى الأمر فيها ، وكائناً ما كان رأى الماركسيين فى عمله ، ولا فكاك للشيوعيين من اتباع منهج القياصرة الذين يكرهونهم ويشهرون بهم ، وهم يحاكونهم ويقتفون آثارهم كلما سنحت لهم الفرصة ، وحرضهم على انتهازها أنهم يحسبونها وسيلة الى صبغ جيرانهم الديمقراطيين بصبغتهم الحمراء

وهكذا نستطيع أن نفهم وجهة الشيوعيين فى السياسة الدولية حيثما التبست المسالك وتعددت الوجهات

فالخطة التي يجتنبونها هي الخطة التي تحصر النزاع في أضيق حدوده ، وتقلل من احتمالات الحروب والفتن والنكبات

والخطة التي يؤثرونها هي الخطة التي تذيع الفتنة والخراب في العالم الى أقصى مداها ، من حيث يرجون هم السلامة والتربص في انتظار عواقب ذلك البلاء المحيط

ويقيننا أنهم لن يتورطوا في الحرب مختارين ، ولن يعدلوا بمشيئتهم عن موقف الانتظار والترقب وان شفعوه بالتهديد والتهويل ، فليس مما يوافق أغراضهم أن تنتهي الحرب الحاضرة وهم منهوكون متعبون كالدول التي اشتركت في خوض غمارها والرزوح بأوزارها ، وانما يوافق أغراضهم أن يحتفظوا بنشاطهم لذلك اليوم ، فيقبضوا بأيديهم على زمام الامور

عباس محمود العقاد

قطرات

* العدل جنة المظلوم وجحيم الظالم « عمر بن الخطاب »
* قد يخلق الحب من أحكم الرجال مجنونا ، ومن المجانين عاقلا وعظيما « جوستاف لوبون »
* من الشفاعات تتولد الآفات « أرسطو »
* امتحن المرء في وقت الغضب لا في وقت الرضا « أرسطو »
* ترك الفرصة غفلة « عمر بن الخطاب »
* انما تتم نكاية الأعداء بخيانة الاصدقاء « محمد عبده »
* من عرف الحق عز عليه أن يراه مهضوماً « محمد عبده »
* من لا يمارس الفضيلة إلا لاكتساب الشهرة فهو قريب من الرذيلة « نابليون »
* أول واجب على من يطلب مصلحة أمته ، أن يبين لها مواضع الضعف الملم بها حتى إذا تم تشخيص الداء سهلت معرفة الدواء « أحمد فتحي زغلول »

أحب أولادي وأكرههم

بقلم الاستاذ عبد العزيز البشرى

إذا سألت أى أب من الآباء : هل تحب أبناءك أجابك : « نعم ، ولم لا ؟ ! » . ولكن الواقع ان الوالد كما يحب أبناءه كل الحب ، يبغضهم كل البغض ، وإلا لما تبرم بهم فى وقت من الاوقات ، ولا ضاق بعبثهم فى ساعة من الساعات . وهذا ما أرادت « الهلال » أن تكشفه بقلم والد صريح هو الاستاذ الكبير كاتب هذا المقال النفيس

١ ـ أحبهم

تدعونى « الهلال » الى أن أنشىء فى هذا الموضوع مقالا ، كأن لى فى أمر الولد شأناً غير شأن الآباء جميعاً ، إذ شأنى فيه شأن الناس جميعاً ، اللهم الا أن تكون قد تفضلت فنصبتنى نائبا عن كل والد فى الارض ، من يوم كان الانسان ، إلى يوم يخلو وجه الأرض من هذا الانسان !

إذا كان الأمر هكذا ، فانى باسم من تشرفت بالنيابة عنهم أقول : إننى أحب أولادى أشد الحب ، وأعطف عليهم أبلغ العطف ، وأجد لهم من الرقة والرحمة والحنان مالا أجد لأحد فى العالمين . أحبهم لأننى أحب نفسى ، وهم بعض نفسى ، بل إنهم عندى لخير ما فى نفسى . هم عصارة قلبى وحشاشة كبدى ، وأجمل ما يترقرق فى صدرى من منى وآمال ، وأبهج ما يطوف برأسى من حلم وخيال ، وقد تجسد كل أولئك أناسى تغدو على الأرض وتروح !

وإنى لأرى أولادى إذا حضروا ، وأذكرهم إذا غابوا ، فأجد من اللذة والسعادة والمتاع ، مالا تعدله كل مافى هذه الدنيا من لذة وسعادة ومتاع !

أحبهم لأننى أحب نفسى ، وأتمنى لو يكتب لهـا الخلود فى هذه الدنيا ، وإذ كان الموت حقيقة لا مناص منها أبداً ، فأولادى هم واصلو حياتى ، ومطيلو أجلى ، ومادو ذكرى ، والمثبتون ، على الزمان ، لاسمى

أحبهم لانهم أول من يعيننى فى ضعفى ، ويسرع إلى الاستجابة لى فى شدتى ، ويرفه عنى فى شيخوختى ، ويواسينى فى علتى ، ويتلقى فىّ العزاء إذا حم القضاء بين الزفرة والبكاء

أحبهم لأن اسمى ، من يوم أموت ، لا يرد على خاطر أحدهم ، أو يجرى بسمعه على أى لسان ، إلا بادر فسأل الله لى الرحمة وإسكانى أعلى الجنان

وولد لى ولد ، وكان عندنا بواب أربت سنه على المائة ، فلما لقينى ، وقد انتهى اليه الخبر ، كانت دعوته لى: « الله يبقيه حتى يحل عقدة كفنك ! » . ووالله ما دُعِي لى بدعوة كانت أبرد على كبدى ، ولا أحلى موقعاً فى نفسى من هذه الدعوة . ويا ليتها قد أجيبت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم !

ولقد قال بعض السابقين ان القرآن الحكيم على كثرة ما أوصى الولد بالوالدين ، وأمره بشدة البر بهما ، والعطف عليهما ، والطاعة لهما ، لم يوص الوالد بشىء من هذا للولد ولو مرة واحدة ، وذلك بأن الوالد غير محتاج الى هـذه الوصية أبداً ، فالانسان يحب ولده كما يحب نفسه . بل لقد يؤثره فى أكثر الأحيان ، على نفسه

قال زيد بن على بن الحسين لابنه يحي رضى الله عنهم : إن الله لم يرضك لى فأوصاك بى ، ورضينى لك فلم يوصنى بك

الوالد يسعى فى الحياة ويجهد ويكد ، ليستريح الولد ويسعد وينعم . وإذا ألمت بالولد وعكة ، استحالت فى قلب الوالد علة . واذا ضربته العلة ، مات أبوه كل يوم عشرين موتة ، ضارعا الى الله ، فى صدق وإخلاص ، أن يحول ما بولده اليه إذا لم يكن من الفدية مناص !

ولقد أرى الصغير صحيحاً معافى ، ما به أثر لجهد أو وعك ، ولكن نفسى لا تستريح إلا اذا أكثرت من جسه ، وعد نبضات عرقه

ولقد يخرج إلى الطريق لبعض شأنه ، فيمثل لى الشيطان اللئيم مكروهاً أصابه ، فأحس قلبي يتمشى فى صدرى

وأخيراً ، فانا معشر الناس ، مهما تصفُ نفوسنا ، وتطب قلوبنا ، وننزك من خلة الأثرة فينا ، ونرُض أخلاقنا على وصاة الدين بان نحب لاخواننا ما نحب لأنفسنا ـ إننا مهما نبلغ هـذه المنزلة الرفيعة من الفضائل ، لا نستطيع أن نحب لغيرنا أكثر مما نحب لأنفسنا ، اللهم إلا أن يكون الولد

ومما يحسن أن يذكر فى هذا المقام انه مما جاء فى القرآن الكريم ترغيباً فى الايمان وتحبيباً فيه إلى القلوب ، قول الله جلّ مجده : « والذين آمنوا واتَّبعتهم ذرّيتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم ، وما ألتناهم (١) من عملهم من شىء » . وقال تعالى ذكرُه فى الحض على التقوى والتخويف من معصية الله ، والتحذير من مجانبة العدل والصواب : « وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذريةً ضعافاً خافوا عليهم ، فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً »(٢)

وقد رأيت كيف أن الله تعالى فى الآيتين الكريمتين قد رغب بمحبة الولد وأرهب ، وبغض بالخوف عليهم وحبب

(١) ألتناهم : نقصناهم

(٢) المراد بالقول السديد هنا هو على ما ذهب اليه بعض المفسرين : مخالفة العدل والصواب

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « ريح الولد من ريح الجنة ». وقال لأحد ابني بنته: « إنكم لتجبّنون، وإنكم لتبخّلون، وإنكم لمن ريحان الله ». وورد انه حين جاءته البشرى بولد فاطمة رضى الله عنها قال: « ريحانة أشمها ورزقها على الله »

ودخل عمرو بن العاص على معاوية، وبين يديه بنته عائشة، فقال: « من هذه؟ » فقال: « هذه تفاحة القلب »!

وقيل لبعضهم: « أى ولديك أحب اليك »؟ فقال: « هما منى بمنزلة السمع والبصر! »

وكان عبد الله بن عمر يذهب بولده سالم كل مذهب، فلامه الناس فيه فقال:

يديرونني عن سالم وأديرهم وجلدة بين العين والانف سالم

ومن أحسن ما قال الشعراء فى حب الولد قول أعرابى وهو يرقص ولده:

أحبه حب الشحيح ماله قد كان ذاق الفقرَ ثم ناله
إذا يريد بذله بدَاله

وقول أعرابية:

يا حبذا ريحُ الولد ريحُ الخُزامى بالبلد(١)

وقول أعشى سُليم:

نفسى فداؤك من وافد إذا ما البيوتُ لبسن الجديدا
كفيتَ الذى كنتُ أرجو له فصرتَ أباً لى وصرتُ الوليدا

وهذه الأبيات المنسوبة الى حطان بن المعلى:

لولاَ بنيَّاتٌ كزغب القطا (٢) حُطِطن من بَعض إلى بَعض
لكان لى مُضطرَب واسع فى الأرض ذات الطول والعرض
وإنما أولادُنا بيننا أكبادُنا تمشى على الارض
لو هبت الريح على بعضهم لامتنعت عينى من الغمض

وقول بعضهم:

لقد زاد الحياةَ إلىّ حباً بناتى إنهن من الضعاف
مخافةَ أن يرين البؤس بعدى وأن يشربن رنقاً (٣) بعد صاف
وأن يعرين إن كُسى الجوارى فتنبو العين عن كرَم عجاف (٤)

(١) الخزامى بضم الخاء وفتح الميم: نبت زهرة من أطيب الازهار

(٢) الزغب: بضم الزاى وإسكان الغين جمع: أزغب وهو فرخ القطا. والقطا جمع قطاة: طائر فى حجم الحمام

(٣) الرنق الماء الكدر

(٤) كرم: كريمات، وصفاً بالمصدر للمبالغة. وعجاف: مهزولات

وأخيراً قول أعرابي يرثي ابنته :

يا شِقة النفس إن النفس والهة حَرَّى عليك ودمع العين منسجم
قد كنتُ أخشى عليها أن تقدمنى الى الحِمام فيبدى وجهها العدمُ (١)
فالآن نمتُ فلا هم يؤرقني تهدا العيون إذا ما أودت الحرَم

وبعد فهذا ما يملك قلمي من الترجمة عن بعض حب الولد . وإن مما يتدسى من العواطف فى أطواء الجنان ما لا يستطيع أن يبلغه القلم أو اللسان ! . وذلك غير ما استعنت به من أقوال صدر من أعلام البيان ، وعلى رأسهم سيد الأنام ، عليه الصلاة والسلام

ب - أكرههم

نعم ! وأكرههم بقدر ما أحبهم . أكرههم لأنهم لو لم يكونوا ما جهدت هذا الجهد فى السعى عليهم ، ولاتعنيت هذا العناء فى تربيتهم والترفيه عنهم . بل لبقى لى فضل أتمتع به فى الحياة وأنعم .

أكرههم لأنهم لا يجزون ، من العطف علىَّ والرقة لى ، ولو بنسبة واحد إلى المائة من عطفى عليهم ورقتى لهم

أكرههم لأننى إن استنظرتهم لم يصبروا ، وإذا واتيتهم لم يشكروا

أكرههم لأنهم قد يدفعوننى الى سوء الخلق ، والتحيف من المروءة ، وحسبى فى هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الولد مبخلة مجبنة »

أكرههم لما يحز من الآلام فى قلبى كلما شكا أحدهم أو ألمت به علة ، فكيف بما هو أكثر من ذلك مما يطير اللب ، ويخلع شعب القلب ، والعياذ بالله !

أكرههم لكثرة ما ألهب الذهن بطول التفكير في حاضرهم ، وما يفرى القلب من الاشفاق عليهم فى مستقبلهم

أكرههم لأنهم كثيراً ما يتعمدون على نصحى ، ويخالفوننى الى بعض ما أنهاهم عنه ، مما يؤذيهم ولا يجديهم ، ويضرهم ولا ينفعهم . ويبادوننى بالغيظ والحقد إذا قمت لتأديبهم وبسط العقوبة الحق عليهم

* * *

وبعد ، فأرجو ، اذا حققت النظر فيما قلت ، أن تستيقن أننى لا أكره ولدى كل هذا الكره ، إلا لأننى أحبهم كل هذا الحب

عبد العزيز البشرى

---

(١) يريد تعرضها من الفاقة لسؤال الناس

نفسية الشعوب المتحاربة
وأثرها فى الحرب الحاضرة

بقلم الدكتور أمير بقطر

- الالمان مريضة نفوسهم بداء العظمة ونظرية السوبرمان
- الفرنسيون منطقيون قبل كل شيء ويتمسكون بحرفية العلم والقانون
- الانجليز عمليون ، وهم أشد استقامة من سواهم من الشعوب

لعل صعوبة البحث فى نفسيات الامم المتحاربة (انجلترا وفرنسا والمانيا) تتناسب تناسبا عكسيا مع حداثة عهد هذه الامم بالحياة الديمقراطية • ولا يخفى ان انجلترا تسبق فرنسا فى نظام الحكم الديمقراطى بمئة عام • وتسبق فرنسا المانيا فى هذا النظام بمئة عام • فاذا ما حللنا نفسية الامة الالمانية ، ألفينا عناصرها واضحة محدودة نسبيا ، فهى الى السهولة والبساطة أقرب منها الى الصعوبة والتعقد • فاذا ما انتقلنا منها الى « سيدة الحرية والاخاء والمساواة » وجدنا فى جمال وجهها وحسن هندامها قناعا مسدولا ، يحجب الكثير من خبايا نفسها ودفين وجدانها • واذا ما عبرنا بحر المانش بدا لنا « جون بول » كأبى الهول ، لغزا يعجز عن حل رموزه امهر علماء الآثار المصرية

النفسية الالمانية

ونعنى بالخلق الالمانى الخلق البروسى الذى يسود المانيا ويطبعها بذلك الطابع الذى يعرفه العالم أجمع • فالفرق بين أهل بفاريا وأهل بروسيا مثلا ، برغم انهما من أمة واحدة ، هو الفرق بين كبرياء الالمان وغلظتهم وغطرستهم ، ووداعة النمساويين ورقتهم ولطفهم • وفى مقدمة الخلق الذى يتصف به الشعب البروسى تأليه الدولة • وليس هذا حادثا جديدا أو خلقا هتلريا نازيا ، وانما هو صفة قديمة تغلغلت فى نفوس الامة الجرمانية منذ نشأتها وأخذت تشتد منذ عهد فريدريك الاكبر • والقول المأثور عن لويس الحادى عشر ، الدولة انا ، لا يزال شعار الحاكم الالمانى ، وقد نبذته فرنسا منذ عهد طويل • وهذا الشعار هو الوتر الحساس الذى لا يسلو الالمان سماع نغماته • ومهما تعاقبت السنون وتبدلت احوال الحضارة ، فان الالمان يرجعون الى ذلك الاصل الفطرى الذى يسمونه Atavism والى هذه الرجعة تعزى حماسة الشعب الالمانى الذى لا تفتر درجة حرارته فى سماع خطب زعيمهم هتلر ، رغم ان عباراتها تتكرر وتجرى

على وتيرة واحدة كذكر معاهدة فرساي مثلا • والى هذا السبب يعزى وقوع الالمان فى الخطأ عينه الذى وقع فيه غليوم الثانى وعجزهم عن الاتعاظ بذلك الدرس الاليم الذى القاه عليهم الحلفاء فى نهاية الحرب العالمية الكبرى

ولا يزال الالمان مريضة نفوسهم بجنون العظمة ونظرية « السوبرمان » التى حدثهم عنها فيلسوفهم نيتشة • ولهذا يعزى فشلهم فى الاتفاق مع اية دولة أخرى ، لانه محال ان يتسع « للسوبرمان » مقعد حول مائدة مستديرة يشترك فيها غيره من «الاقزام» الدولية

السلالة التيوتونية بطبيعتها شديدة الرغبة فى الرياضة والشغف بالقوة البدنية ، بيد ان هذا الشغف يرمى الى اغراض حربية بحتة لا رياضية • والفرق بين الالمانى والانجليزى فى نزعته الرياضية ان الاول ينظر الى الرياضة نظرة جدية لانها فى نظره غاية فى ذاتها ، تستحيل بطبيعتها الى قتال يفتك بالعدو • اما الثانى فيتخذ الرياضة وسيلة لغاية ، فاذا ما خسر اللعبة هز يد خصمه مهنئا ، وهذا ما جعل الانجليزى يضرب به المثل فى الشرف الرياضى ، وحسن معاملة الاسرى فى الحروب ويتصل بهذه الصفة المزاح Humour وهو يكاد يكون معدوما عند الالمان ، اذ قلما يدرك الالمانى النكتة كفرد من الافراد ، ويكاد الالمان كشعب يجهلون النكتة « الدولية » جهلا تاما

وهذا الخلق الرياضى المعيب فى الشعب الالمانى نراه بعينه مجسما فى آداب الحروب والقوانين الدولية • فالالمان منذ تكوين دولتهم أعداء لجيرانهم ، طامعون فى الاستيلاء عليهم والهجوم بغير مسوغ كلما تحينوا الفرص ، واذا ما نازلوا خصما مزقوا المعاهدات وابتدعوا أشد الفنون الجهنمية فتكا بالاعداء بغير ما شفقة أو هوادة أو رحمة • والالمانى بطبيعته يؤثر الحرب على السلام ، والبنادق على الزبدة ، والدموع على الابتسام ، على النقيض مما نسمع عن تذمر الالمان من عواقب سياسة النازى • وهو برغم ذلك جبان لا يقدم على القتال الا فى زمن السلم ، ويملأ الآفاق جعجعة تفاخرا بقوته • واذا ما امتشق الحسام عمد الى أشد الوسائل نذالة ، ودس لعدوه السم فى الطعام ، أو طعنه بالخناجر من خلف ، تفاديا من مقاتلته وجها لوجه

والالمان مهرة فى الدعاية لا يجاريهم فيها أحد • ويستطيعون تحويل الرأى العام فى طرفة عين • ومن أهون الامور عليهم إشعال روح القومية فى الصغار • وقد استطاعوا منذ عامين ان يحملوا الاطفال على جمع ألوف الاطنان من العظام فى بضعة أسابيع ، وقد صنعوا منها كل شىء يتصوره العقل من أدوات المطبخ الى الصابون و « الروج » للسيدات • قلنا ان الالمان مصابون بداء جنون العظمة ، الا ان حوادث السنوات الاخيرة دلت على صفة مناقضة لذلك وهى الشعور بالنقص والحسد والغيرة • وما تهريج الالمان وجعجعتهم وتفاخرهم الا وسيلة لاخفاء ذلك الشعور ، ولا يخفى انه من أشد الصفات فتكا بالشخصية اجتماع هاتين الصفتين جنبا الى جنب فى فرد أو أمة

نفسية الفرنسيين

أما الفرنسيون فمن أشد الامم عرضة لسوء الفهم من الغير • فهم فى الظاهر قوم إستسلموا للمرح واللهو وانغمسوا فى مراتع القصف والاستهتار ، ولكن هذا التحليل السطحى لا يدل على كثير من الحقيقة • الفرنسى من ابعد الناس نظرا ، وأشدهم حسابا لنمستقبل ، واكثرهم حرصا • ومنذ حرب السبعين أصبح الاستعداد الحربى والتفنن فى وسائل الدفاع (لا الهجوم) غريزة ملازمة له ، وأصبح الحذر من هجوم الالمان طبيعة متغلغلة فيه لحما ودما • ولكنه محب للسلام ، دقيق كالالمانى فى البحث العلمى وحب الابتكار • ولكن دقته وعلمه ايجابيان فى حين انهما عند الالمانى سلبيا

كان قدماء الرومان يصفون الفرنسيين بانهم كثيرو المطامع ، مقتصدون لدرجة التقتير فى معيشتهم ، مولعون بفنون الحرب ، حاضرو البديهة ، شديدو التهيج • ولا تزال هذه الصفات تعبر عن نفسية ذلك الشعب • ولكن هناك صفة أخرى يتصف بها الفرنسيون بحق ، وهى صفة الفردية Individualism ، فبالرغم من شدة حبهم لوطنهم فانهم يؤثرون الفرد على الدولة فى الاحوال العادية • وهذا يفسر تبرم الفرنسيين من مسئوليات الدولة أحيانا ، كالهرب من دفع الضرائب اذا استطاعوا اليه سبيلا ، والصعوبة فى حملهم على خوض غمار الحرب لاسباب غير جوهرية كالدفاع عن النفس • بيد انه عند حلول الكارثة ينسى الفرنسى هذه الفردية ويتجه بتفكيره وحسه وارادته

وكذلك نجد أثر هذه الفردية ظاهرا فى الدفاع عن حرية الفرد دفاعا مستميتا • وبالرغم من أن الديمقراطية فى فرنسا نظرية أكثر منها عملية (اذا قيست بمثلها فى انجلترا أو أميركا) فان الفرنسى أشد الناس غيرة عليها ، طالما روعيت هذه الفردية ، ولكنه يهز كتفه استخفافا بالديمقراطية اذا ما هددت فرديته • ولهذا يعزى توالى سقوط الوزارات الفرنسية فى وقت السلم • وقد لاحظ القراء وقوف الامة الفرنسية صفا واحدا عند أول نداء فى أواخر أغسطس الفائت ، وكأن هذه الفردية لم تكن ، وكأن الدولة كل شىء ، وأخيرا نقول ان الفرنسى منطقى قبل كل شىء ، يتمسك بحرفية العلم كما يتمسك بحرفية القانون ، بعكس الانجليز فانهم ينسون المنطق اذا تعارض مع مصلحة البشرية ومصلحتهم ، وبعكس الالمان الذين زعموا أخيرا ان جنكيز خان كان من السلالة النوردية ــ أشقر الشعر ــ أزرق العينين مع ما فى ذلك من مخالفة الواقع اذ انه كان منغوليا لا شك فيه ، وقس على ذلك من نظرياتهم الغريبة فى السلالات

نفسية الانجليز

أما الانجليزى فلغز من الالغاز فى نفسيته ، يبدو التناقض فى حركاته وسكناته ، ولا غرابة اذا قال ظريف أن الانجليز أحكم مما يبدو على وجوههم ، وأن الفرنسيين تدل سيماؤهم على أنهم أحكم مما هم عليه حقيقة • ومن الغريب أن الفرنسى فى أوقات

الفراغ وفي زمن السلم ينقلب عزيمة وجدا وقت العمل وابان الحرب ، فى حين أن الجندى الانجليزى تنقلب عبوسته وجده فى وقت السلم والعمل ، الى مرح وطرب ابان الحروب ، فيفسر الناس خطأ انه جندي لعوب

وتسيء الامم الاخرى فهم الانجليز (والاميركان) لانهم يتحدثون عن العدالة والامانة والواجب والانسانية ، فيرميهم موسولينى بالمراءاة التى اتصفت بها الكنيسة الانجليكانية ، وكما قال مرة كليمنصو عن الرئيس ولسن انه يتكلم كالمسيح ويعمل كلويد جورج . وتسيء الامم فهمهم كذلك لانهم مسرفون في حب الرياضة والزهور والحيوان، ويفسحون لها فى مجلاتهم وكتبهم وصحفهم ما يملأ المجلدات الضخمة عنها . ويوجد فى انجلترا وحدها من الكلاب ثلاثة ملايين ونصف مليون ينفقون عليها الاموال ويرصدون لها العقارات بكيفية لا تقبل التصديق . ويساء فهمهم علاوة على ذلك لما يظهر عليهم من الغباء وهو ليس غباء ، ومن السذاجة وهو ليس سذاجة ، وانما هو حسن نية واخلاص وغيرهما من الصفات التى تعرف عند الشعوب القوية

ولا يستطيع الانجليزى أن يخفى ما تكنه نفسيته من التشامخ والانفة والكبرياء وقلما يفهم الكثيرون أن هذه الصفات ان هى الا أسماء معكوسة (أو على الاقل نتيجة) لعزة النفس وضبط قوة الارادة . ومهما قيل من أن الانجليز مخادعون ماكرون فى فنون السياسة والدبلوماسية ، فانهم أشد استقامة من سواهم من الشعوب . وتعزى هذه الاستقامة لا الى صفات وراثية فى دمائهم وحسب ، وانما هى نتيجة اختبار طويل فى حياة استعمارية تجارية ملؤها المخاطر والمجازفات

غير أن الانجليزى أنانى بطبيعته كما أن الفرنسى فردى بطبيعته كما ذكرنا ، وقال ظريف وصفا لانانية الشعب البريطانى : « ان الاسكتلندي يحفظ يوم الاحد ويقدسه كما يحفظ كل شيء آخر لا يدفع فيه ثمنا ، والغالى (نسبة لويلز) يجثو على ركبتيه يوم الاحد وعلى سواه بقية أيام الاسبوع ، والارلندى لا يعرف ماذا يريد ولكن لا يهدأ له بال حتى ينال ما يريد ، والانجليزى هو ذلك الرجل الذى يقول انه خلق نفسه وانه يسبح ذلك الخالق صباح مساء » وقد يلجأ الانجليزى بهذه الانانية الى غمض عينيه عما يلحقه الغير به من خدش الكرامة والشرف ، لانه عملى قبل كل شيء ، كما حدث فى سلسلة الاهانات التى اقترفها اليابانيون ازاء الانجليز فى الصين

وقد استطاع الانجليز بهذه الصفات العلمية أن يتفاهموا مع الفرنسيين برغم مايوجد بينهم من فروق سلالية وقومية وثقافية ومزاجية ، وأن يخاصموا الالمان برغم ما يوجد بينهما من الصلات السلالية والثقافية ، وقد كان أهم العوامل فى هذا الاتفاق بعد الجوار الجغرافى ، الدفاع عن النفس والرغبة فى القضاء على الوحشية واتجاه أفئدة الشعوب الكثيرة نحوهما والعطف عليهما

أمير بقطر

فن الهندسة

واثره فى حياة مصر الاقتصادية

للدكتور عبد العزيز بك أحمد

المستشار الفنى لوزارة الدفاع الوطنى

ألقى حضرة صاحب العزة عبد العزيز بك أحمد محاضرة قيمة عن فن الهندسة وأثره فى حياة مصر الاقتصادية بجمعية الميكانيكا بكلية الهندسة اللاسلكية . وقد تفضل فأرسل الى الهلال خلاصة هذه المحاضرة التى تتناول مهمة المهندس فى المجتمع الذى يتمتع بثمرات جهاده العلمى ، ونتائج عمله الهندسى ، ويؤلف منهما صرح حضارته

لما أبلغنى صديقى الدكتور الساوى بك أنه سيطلب الى القاء خطبة افتتاح جمعية الميكانيكا والكهرباء اقترح أن تكون فى بعض مشروعاتى الحديثة عن مصانع الاسلحة والذخيرة فى وزارة الدفاع الوطنى أو فى أعمالى الماضية عن خزان اسوان . وهو اقتراح طبيعى ووجيه غير ان مشروعات الاسلحة والذخيرة وان كان يهم المهندسين الميكانيكيين الاطلاع عليها من غير شك الا انها تحتوى أسرارا حربية لا يكون من الحكمة اذاعتها ولكنى أغتنم هذه الفرصة ، فأقول لحضراتكم ان هذه المصانع بعد اتمامها ستفتح أبوابا كثيرة للمهندسين الميكانيكيين والفنيين والصناع ، وتساعد الى حد كبير فى بناء هيكل الصناعة المصرية

أما من جهة مشروع توليد الكهرباء من الخزان فانى أشير على من يهمهم هذا الموضوع الاطلاع على المحاضرة التى ألقيتها فى مؤتمر القوة العالمية الذى انعقد فى فينا فى أغسطس الماضى وعنوانها « استثمار القوة المائية فى نهر النيل للنهوض بالصناعة المصرية » . وهذه المحاضرة مكملة لمشروعى الذى وضعته للحكومة المصرية فى سنة ١٩٣٢ وهى تتضمن أحدث ما وصل اليه علم الهندسة من الناحية الفنية خاصا بهذا المشروع وقد بينت فيها أيضا بشيء من التفصيل السياسة الاقتصادية التى وضعتها لاستثماره

وانى أريد أن أتحدث اليكم فى بعض نواحى التقدم الهندسى الحديث وفى ميادين النشاط التى يمكن أن يقوم فيها المهندس بأعمال مفيدة وبالاخص فى موضوع رفع مستوى المعيشة التى تشغل الاذهان فى الوقت الحاضر سواء فى الحكومة أو فى البرلمان أو فى الصحف اليومية

وربما كان أحسن تعريف للمهندس انه هو الذي يروض القوى الطبيعية ويستخدم المواد الاولية ويوجهها جميعا لخدمة بنى الانسان . لهذا يلزم أن يكون المهندس ليس فقط مكتشفا بل أيضا فنانا وبعبارة أخرى يجب عليه أن يجمع بين مقدرة العالم ومهارة العامل حتى يستطيع توجيه قوى الطبيعة ومواردها الى خدمة الانسان . لهذا كان عليه أن تكون احدى قدميه فى معاهد العلم والبحوث والاخرى فى ميادين العمل والحياة العملية . وفوق ذلك يتعين على المهندس أن يعرف ليس فقط ما يمكن تنفيذه نظريا بل أيضا ما يمكن تحقيقه اقتصاديا وتجاريا . وهذه أيضا ناحية هامة من نواحى مهنتنا لا تكتشف الا بالخبرة والمران الطويل

وفى خلال الثلاثين سنة الماضية أنتج البحث العلمى تطبيقات هندسية وكهربائية جديدة فمن ناحية الهندسة الخفيفة رأينا تقدم السينما الصامت والناطق وتقدم السيارات والطيارات بسرعتها الهائلة . وكذلك العين الكهربائية باستعمالاتها المختلفة ، من الآلة التى تشعر بدخول السارق فى المنزل بمجرد وقوع ظله عليها الى الجهاز الذى يضىء الفنارات فى البحار من تلقاء نفسه عندما يخيم الظلام . وقد أسفر البحث فى القوة الكامنة فى ذرات المعادن أن القوة الممكن أن يتحملها الصلب نظريا أعلى جدا من القوة التى يتحملها فعلا ، وذلك بسبب الانزلاق الذى يحصل بين الذرات وقد أمكن بتقوية هذه الذرات من هذه الناحية بخلط معدن آخر أن تحصل على صلب قوته أشد من قوة الصلب المعروف لنا بمقدار أربع مرات أو خمس وبهذا أمكن انشاء الطيارات الحديثة من هذا الصلب الذى يجمع بين الخفة والقوة

يتبين من ذلك ان القاعدة الاساسية التى يسير عليها المهندس سواء فى تحويل القوى الى المواد الطبيعية أو تسخيرها فى منفعة الانسان، هى أن يجعل نصب عينيه اتمام كل هذه التحويلات بأحسن ما يمكن من الاقتصاد فى الجهد وفى المادة وفى الزمن . ولننظر الآن كيف يمكن تطبيق هذه القاعدة على مسألة رفع مستوى المعيشة فى مصر . وأول خطوة فى هذا السبيل هى جمع المعلومات وتنسيق الحقائق . وقد قامت بذلك مصلحة الاحصاء على أتم وجه ، وحاول كثير من الباحثين استخدام هذه المعلومات وتحليل هذا الموضوع علميا وعمليا . فقد وصفوا الفلاح بأنه فى شدة الفقر وانه يقطن فى مساكن غير صحية ، وانه لايطعم الغذاء الكافى، ولايشرب ماء صحيا وانه غير متعلم وأمى وان مستواه الاجتماعى فى الحضيض . وفى جميع الاحوال تطالب الحكومة باصلاح هذه النقائص ، والحكومة تحاول اصلاحها بشجاعة فى مختلف النواحى ، فأحيانا بوضع نماذج لمبانى المنازل والقرى فى الارياف ، وأخرى بمد أنابيب مياه الشرب النقية أو بالتعليم الالزامى أو بالاصلاحات الاجتماعية المختلفة . ولكن لا يخفى ان الحكومة لا يمكنها القيام بكل هذه الاصلاحات الا اذا كان لديها أموال هائلة . حتى اذا أمكنها القيام بهذه الاصلاحات فلن يكون لاعمالها الثبات المنشود ما دام الفلاح باقيا فى حالته الحاضرة من الفقر الشديد .

وتشمل أعمال الحكومة فى مصر الاشغال العامة والدفاع الوطنى والصحة العامة وهذه الاعمال تضغط بشدة على مالية الحكومة فى الوقت الحاضر فيجب فى مثل هذه الحالة أولا التميز بين الاسباب والنتائج • ومما لا شك فيه ان جميع النقائص المشار اليها هى اما وجوه مختلفة للحالة الاقتصادية السيئة فى هذه البلاد أو مترتبة عليها وجوهر الموضوع الذى يجب معالجته هو انخفاض الاجور • وهنا يجب أن نذكر ان عدد السكان فى المملكة المصرية زاد من سنة ١٩١٣ الى سنة ١٩٣٩ بمقدار ٠٢٦/٠ بينما مساحة الارض المزروعة لم تزد الا بمقدار ٠٣/٠ وان المحصول الزراعى بقى ثابتا كل هذه المدة وهذا يعلل حالة الركود الاقتصادية التى وصلت اليها الثروة المصرية ، كذلك بينت أن دخل الفلاح هبط من ٨ر٣ جنيه فى سنة ١٩١٣ الى ٦ر١٥ جنيه فى سنة ١٩٣٨ ويمكن تصوير هذه الحالة بعبارة أخرى وهى ان أجرة الفلاح قرشان ونصف فى اليوم بينما أقل أجرة لحيوان الركوب هى خمسة قروش يوميا • هذه الحالة تزرى بوطنيتنا وتعتبر وصمة لشعورنا الانسانى ولكن كيف السبيل الى رفع أجرة الفلاح اذا كانت أثمان الحاصلات لا تكاد تفى بنفقاتها • فاذا أريد رفع هذه الاجور بسن تشريع أو نحو ذلك من الوسائل الاصطناعية فانها تؤدى حتما الى افلاس المزارع والفلاح أيضا • اذن لا علاج لهذه الحالة سوى زيادة مقدرة العامل على الانتاج كى يستطيع اكتساب أجر أعلى من أجرته الحالية فيؤدى ذلك مباشرة الى رفع مستوى معيشته • وحل هذا الموضوع هو من اختصاص المهندس فاذا ما تحقق هذا الجانب الاقتصادى فان مجهودات المشرفين على التعليم والشئون الاجتماعية والصحة العامة تجد أرضا ثابتة وصالحة لاقامة مبانيهم عليها

وفى هذا العمل يستطيع المهندس أن يساهم ويقدم مساعدات قيمة • والخطوة الاولى نحو هذه الغاية هى تنسيق الحقائق والاحصاءات ثم تحليلها الى عناصرها الاولى ، وبدون دخول فى التفصيلات العملية يمكن القول بأن هذا الموضوع يشمل أمرين أساسيين أولا زيادة استغلال الثروة الطبيعية فى مصر ، وثانيا زيادة مقدرة العامل على الانتاج ، غير أن هذا الموضوع ليس بالبساطة التى تبدو فيه ولكنى أقول ان جميع قواعده الاساسية هى فى الحقيقة مسائل هندسية ويمكن حلها هندسيا • ولست أعنى ان المهندسين يمكنهم أن يكونوا اقتصاديين أو ماليين أو سياسيين أحسن من غيرهم • بل انهم عرضة لنفس الاخطاء والميول والرغبات التى يتعرض لها سواهم • ولكنه نظرا لان المهندس بحكم مهنته يعتبر اختصاصيا فى مسائل الانتاج الاقتصادى ، فيجب اذن أن تعطى له الفرصة لمعالجة المسائل الاقتصادية ومشاكلها بطريقته المنزهة عن الغايات التى يعالج بها الحقائق العلمية والمسائل الهندسية

"الكمبيالة" وأساسها القانونى

العرب هم الذين اخترعوها لا اليهود

بقلم الدكتور محمد بك صالح

عميد كلية الحقوق بجامعة فؤاد الاول

لا يستطيع الناس أن يكشفوا ، طفرة واحدة ، الوسائل العملية التى يحتاجون اليها فى تدبير شؤونهم الاجتماعية والتجارية . ويصدق هذا على الكمبيالة . فالأمم القديمة لم تعرف الكمبيالة فى صورتها الحديثة كأداة للتداول . الا أنه من المحقق أن تلك الأمم التى اشتغلت بالتجارة فى سابق العصور كأهل فينيقية وقرطاجنة أدركوا الصعاب التى تترتب على نقل النقود من مكان الى آخر ، فعملوا على تفاديها بواسطة المقاصة

وقد دلت أوراق البردى التى يرجع تاريخها الى عهد البطالسة على أن العملاء كانوا يبعثون الى مصارفهم أوامر وفاء محررة لمصلحة أشخاص معينين ، وكانت المصارف تنفذ هذه الأوامر بواسطة مراسليها . ولكن ليس فى أوراق البردى ما يدل على توقيع صيارفة عليها بالقبول . وقد يكون من المبالغة اعتبار تلك الأوامر كمبيالة أو شيكا اسمياً

وذكر شيشيرون فى رسائله عمليات نقل نقود من سيليسيا الى ايطاليا . وأغلب الظن أن هذه العمليات تمت بواسطة صيرفى تسلم النقود من عميله ، وكلف أحد مدينيه بالوفاء الى شخص معين فى الجهة المراد الوفاء فيها

وقد مكن عقد الاقتراض البحرى من القيام بعملية الصرف . فيقترض رب السفينة نقوداً فى ميناء الاقلاع من صيرفى على أن يوفيها فى ميناء الوصول ، ويصير الصيرفى فى هذه الحالة دائناً لشخص فى الميناء الاخير ، ويستطيع أن ينفذ أوامر عملائه بالوفاء من تلك الميناء

وقد أورد كبار الكتاب أساطير عمن اخترع الكمبيالة . فقال مونتسكيو انها من اختراع اليهود الذين طردوا من فرنسا ولجأوا الى لومبارديا ، فكانوا يرسلون خطوطا الى أصدقائهم أو مراسليهم ليبعثوا اليهم النقود التى تركوها عند رحيلهم . وقال بعض المؤرخين إنها من عمل الجلف (Guelfes) الذين طردوا من فلورنسا ونزحوا الى مدينة ليون وغيرها من المدن فعمدوا الى طريقة الخطوط السالفة الذكر لاقتضاء حقوقهم . الا أن كل هذه الروايات لا تستند الى أدلة علمية لذلك مال جمهور المحققين الى القول بأن استعمال الكمبيالة مرده الى تقدم التجارة وتوثق العلاقات

التجارية وازدهارها بين الأمم ، وأن استعمالها ظهر فى الاسواق الايطالية والفرنسية التى كانت تعقد فى القرون الوسطى، فاستعملت الكمبيالة تخفيفاً لنفقات نقل النقود وتفاديا من خطر الطريق

ويرى بعض العلماء أن للعرب تأثيراً كبيرا فى نشوء الكمبيالة بسبب العلاقات المطردة التى كانت قائمة بين ايطاليا وبلاد الشرق، وأن « السفتجة » هى منشأ الكمبيالة ، حيث كانت جائزة التداول باجراء حوالة ثانية

وكانت الكمبيالة فى صورتها الاولى تحرر كالسند ، فاذا أراد شخص ارسال نقود الى جهة نائيـة دفع نقوداً الى صيرفى ، ثم يتعهد الصيرفى أمام موثق بدفع قيمتها بنقود أخرى الى وكيل المرسل . ويلاحظ أن اسم هذا الوكيل واسم الشخص الذى يقوم بالوفاء نيابة عن الصيرفى لا يذكران فى الصك . ولا يذكر فى الصك الا اسم المتعهد وهو الصيرفى واسم المستفيد . ولا يعتبر هذا الصك كمبيالة بل صك صرف . وبعد تحرير هذا الصك يسلم الصيرفى خطابا محرراً الى مراسله أو وكيله يأمره بالدفع ، يذكر فيه اسم الشخص الذى يقوم بالوفاء واسم الموفى اليه . ثم يحمل المستفيد هذا الخطاب ويقدمه الى المسحوب عليه ، فاذا لم يدفع قيمته أعاده الى المرسل ، ويكون لهذا الأخير حق الرجوع على الصيرفى بمقتضى العقد المحرر أمام الموثق . ثم بطل تحرير العقد الرسمى ولم يبق الا صك الدفع ، واكتفى بان يذكر فيه وصول القيمة ليتمكن المستفيد بموجبه من الرجوع على الساحب فى حالة عدم الدفع

ويلاحظ أن الشريعة الاسلامية تشترط لصحة الصرف التماثل فى التساوى اذا تجانس النقدان، فان اختلفا فى الجنس فلا يشترط التساوى لقوله عليه الصلاة والسلام « الذهب بالذهب والفضة بالفضة » الى أن قال « مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد فان اختلفت هذه الاصناف فبيعوا كيف شئتم » فلو باع الذهب بالفضة مجازفة أو بفضل صح البيع

***

وقد تكلم فقهاء الشريعة الاسلامية عن السفتجة وهى كلمة معربة عن الفارسية من كلمة سفته ومعناها الشىء المحكم ، وكان العرب يصفون الكتب بأنها سفاتج اذا كانت رائجة رواج السفتجة

وعرفوا السفتجة بأنها عقد استفاد بها المقرض سقوط خطر الطريق . وصورتها أن يقرض الانسان ماله اذا خاف عليه الفوات ليرد عليه فى موضع الأمن ، أو أن يدفع الى تاجر مالا قرضاً ليدفعه الى صديقه . وانما يدفعه قرضاً لا أمانة ليستفيد به سقوط خطر الطريق فكأنه أحال الخطر المتوقع على المستقرض ، فكان فى معنى الحوالة كما قال بدر الدين الكردى « أحال الخطر المتوقع على المقترض فيكون فى معنى الحوالة » . وفى نظم الكنز لابن الفصيح :

وكرهت سفاتج الطريق وهى احالة على التحقيق

ونوط الكراهة بجبر النفع ، وهو سقوط خطر الطريق . وقد شرح معظم الفقهاء السفتجة عند نهاية الكلام على الحوالة

والحوالة فى الشريعة الاسلامية هى نقل الدين من ذمة المدين الى ذمة شخص آخر على سبيل التمليك كما لو أحال انسان دائنه على آخر . أو على سبيل التوكيل كما لو قال المحيل للمحتال أحلتك على فلان لتقبض الدين لأجلى . ويشترط لصحة الحوالة أن يكون المحيل مديناً للمحتال والا فهى وكالة ، ولا يشترط أن تكون ذمة المحال عليه مشغولة بدين للمحيل فتجوز الحوالة على شخص ليس له عنده ولا عليه شىء للمحيل . فاذا أدى الدين جاز أن يطالب المحيل بما أداه . وكل دين تصح الكفالة به بشرط أن يكون المحال به معلوماً . فلو احتال بمال مجهول على نفسه بأن قال احتلت بما يذوب لك على فلان لا تصح الحوالة مع جهالة المال ، ويشترط لصحة الحوالة رضى المحيل لأن ذوي المروءات قد يأنفون تحمل غيرهم ما عليهم من الدين ، فلا بد من رضاه ، ويشترط رضى المحتال لأن فيها انتقال حقه الى ذمة أخرى ، والذمم متفاوتة ، ويشترط رضى المحال عليه لأنها الزام بدين ولا لزوم بلا التزام ، وانما اذا استدانت الزوجة النفقة بأمر القاضى ، لها أن تحيل على الزوج بلا رضاه . ويترتب على الحوالة براءة المحيل من الدين ، وهى براءة مؤقتة بعدم التوى ، وعلى قول « زفر » الحوالة لا توجب براءة الاصيل كالكفالة ، لأن المقصود بها التوثيق لحق الطالب وذلك فى أن تزاد له المطالبة ، لا أن يسقط ما كان من المطالبة ، ويعترض السرخسى على هذا الرأى ويقول معنى الحوالة التحويل وذلك لايتحقق الا بفراغ ذمة الاصيل (مبسوط ج ١٩ ص ١٦)

واذا مات المحيل لا يأخذ المحال الدين من تركته ، ولكن يأخذ كفيلا من ورثته ، أو من الغرماء مخافة أن يتوى حقه ، ويترتب على البراءة أن المشترى الذى لم يدفع الثمن لو أحال البائع على آخر بالثمن لا يحبس المبيع ، ولو أحال الراهن المرتهن بالدين لا يحبس الرهن ، وبراءة المحيل تترتب عليها براءة الكفيل

واذا لم يوف المحال عليه المحتال بمبلغ الدين بسبب إعساره أو إفلاسه جاز له الرجوع على المحيل ، لأن الحوالة تفيد معنى الكفالة ، ولأن المحتال حتى فى حالة قبوله الحوالة لم يرض بهذا النقل الا بشرط وصول الدين من جهة المحال عليه .

هذا هو ملخص أحكام الحوالة . وفى الحق أن هذه الاحكام لمفخرة للشريعة الاسلامية لأنها تشمل أحكام الكمبيالة وتبين أساسها القانونى . وقد أخذ العلامة تالير بهذه النظرية حيث اعتبر الانابة délégation (وهى الحوالة فى الشريعة الاسلامية) الاساس القانونى لعقد الكمبيالة

فالحوالة هى أساس السفتجة . ولم تكن السفتجة معروفة الا بين مكانين فهى عبارة عن « الصرف المسحوب »

الدكتور محمد صالح

مختارات الهلال

حرية الكلام فى وقت الحرب

للكاتب الانجليزى الكبير هـ . ج . ويلز

يجب أن تصحب الحرب القائمة مناقشة صريحة يبدى فيها كل انسان رأيه حرا واضحا فان هذه المناقشة أهم شأنا وأبعد أثرا من الحرب ذاتها ، التى يشق على المرء أن يشهد آلامها وفواجعها تعصف بالعالم جميعا ، ثم تنتهى الى « مؤتمر » مؤلف من أولئك الساسة الذين لم يخبروا العالم ولم يدرسوه ، فأخذوا يرون فيه آراء غامضة خاطئة

نريد أن نبدى ونرسل آراءنا ومشاعرنا دون تزييف أو نفاق ، لا ليقف عليها أبناء أمتنا وحدهم ، بل ليراها معهم من يحالفوننا ومن يحايدوننا ، وليتبينها على الاخص أولئك الذين امتشقوا السلاح علينا • ونريد ان نقف كذلك على حقيقة الآراء والمشاعر التى تجرى على الالسنة وتضطرب فى الاذهان فى جميع الشعوب التى تربطنا بها الحرب برابطة التحالف أو الحياد أو العداء • فانا اذا لم نضع بيننا وبينهم أساسا مشتركا من الآراء ، فسيأتى السلم الذى يعقب هذه الحرب محفوفا بالشكوك والمخاوف

ومن اليسير ان نرسم الحدود المعقولة التى تقف عندها رقابة الحكومة على حرية الكلام فى دولة مشتركة فى القتال • فمن الواضح ان اذاعة أى خبر يفيد منه العدو أية فائدة يجب أن تتخذ الحكومة الشدة بصدده ، ويجب أن تمتد سلطتها فى هذا الى كل ما يمس الحرب والجيش من قريب أو بعيد ، فعلى الحكومة ان تخفى كل ما يفشى سرا من أسرارها العسكرية التى تثير الفزع فى صفوف المحاربين أو جماعات المدنيين على السواء • ولكن الموقف يتغير عندما تتجاوز نطاق هذه الاسرار والاخبار ، الى ما نريد أن نبديه من الاقتراحات أو نقرره من الوقائع ، التى قد تؤثر فى الرأى العام هنا أو هناك

ومن أسوأ مظاهر الحروب الحديثة ما تمنى به الدول المشتركة فيها من شراذم القادة والزعماء ، فان هذه الطوائف التى تنقصها الدراية والكفاية ويقعد بها العجز والقصور ، توجه همها الى افتراء الاكاذيب وتشويه الحقائق ومخادعة الجماعات والتدجيل على الشعوب ، وقصدها من ذلك أن تبث فى الاذهان وتثبت فى قرارها أن الانتصار فى ساحة القتال لن يتأتى الا اذا أخذ الشعب نفسه بالخضوع والإذعان ، واستقر فى صدره عوامل الحقد والانتقام • ومن هذا الطريق يرضى أولئك القادة كبرياءهم القائمة على غير دعامة أو أساس ، اذ يشعرون أن فى أيديهم من أسباب القوة ووسائل السلطة ما يعوضهم عما حرموه من مقدرة وكفاية ، فهم ان كانوا لا يستطيعون أن يبنوا شيئا ففى وسعهم أن يهدموا أشياء ،

وان كان يعجزهم أن يجلوا حقيقة واحدة فبأيديهم ان يطمسوا حقائق كثيرة . وهكذا تجلس هذه الشراذم منتشية بخمر السلطة التى تملكها والغطرسة التى تملأ جوانحها ، خلية البال من كل ما تأتى به الحرب من المشاق والمتاعب وما تثيره من الاخطار والاهوال

فهذه الوزارات التى تتولى اذاعة الاخبار أو نشر الدعاية ، تبذل أقصى جهودها لتصرف مواهب الكتاب والمحاضرين والخطباء عن العمل الجدى النافع ، الى انتاج هذه الحثالات الغثة التافهة التى تشوش الرأى العام من ناحية ، وتضل الباحث الاجنبى عن وجه الحق من ناحية . ويبدو فى اتجاه هذه الهيئات ونشاطها انها انما ترمى الى كبت كل كلمة حرة وكل رأى مستقل اذا كان من شأنهما ان يعرقلا ما تدبره من خطط وما تحيكه من مكائد

وهكذا صار من العسير جدا ان ننشر بطريقة ذائعة وفى أسلوب صريح هذه الآراء التى يتداولها الناس فيما بينهم عن مساوىء النظام الذى تجرى عليه شئون العالم فى هذا العصر الحديث ، وعن القوات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى تحكمنا وتوجهنا . على أن هذه الحالة المؤلمة لا ترجع الى ما تفرضه الحكومة من رقابة وما تبسطه من سلطان ، قدر ما ترجع الى حالة الارتباك الذى يسود أذهان الناس وأعمالهم . فهناك علامات تدل على أن ثمة رقابة غير حكومية قد فرضت على الآراء التى توضح وجهة نظر الاذكياء من الايطاليين والالمان والروسيين . وهناك سلاح المقاطعة والمحاربة التجارية الذى يجرد الآن على الآراء الحرة منعا لها من الذيوع والانتشار . وهناك هؤلاء الحاكمون بأمرهم فى أمر الصحف والكتب ، أولئك الناشرون الذين صارت سيرتهم ازاء الحرية الفكرية مشكوكا فيها . ولست أقول ان هناك مؤامرة مدبرة مقصودة لخنق الآراء الحرة ، بل حسبى ان أقول ان الهيئات المشرفة على اصدار الصحف والكتب قد أخفقت فى هذه الاقطار الحرة الديموقراطية فى أداء واجبها ، الذى ينحصر فى تهيئة الوسائل لنشر الآراء واذاعتها

انى أضع حرية الكلام واذاعة الرأى فوق كل شىء . انهما أحق وأولى ما يجب أن نحارب ونناضل فى سبيله . انهما خلاصة الكرامة الشخصية وجماع الحرية الضرورية . فواجبنا كأفراد فى هذه المجموعة الانسانية أن نرفع عنهما ما يثقلهما من أعباء ، ونزيل ما يعترضهما من عقبات . فاذا كان من يبيعنا الكتب أو الصحف ينشر طائفة منها دون طائفة ويؤثر لونا منها دون لون ، فيجب أن نجرد عليه سلاح المقاطعة فورا ولو كان ما يمتنع عن نشره واذاعته هو ما يخاصمنا من الآراء وما لا يروقنا من الكتب والصحف . وانه لعار شديد وخطر عظيم يحيق بحريتنا الفكرية فى هذه الآونة ، التى يجب أن نكون فيها على بينة مما يقال عنا فى جميع انحاء العالم ولا سيما فى امريكا ، ان نجد كثيرا من الناشرين الانجليز يقاطعون بعض الكتب والصحف الامريكية ، اما اخلاصا منهم لمبدئهم وان كان اخلاصا ضالا أعمى ، واما تمكينا لبعض الصحف والكتب الانجليزية الغثة من ان تنتشر بآرائها الفجة الخاطئة

(خلاصة مقال للكاتب الانجليزى الكبير هـ . ج . ويلز فى صحيفة الفرتنيتلى The Fortnightly)

الحرب الاقتصادية

من نابليون الى هتلر

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

محاولة ألمانيا الهتلرية في تقليد نابليون في الحرب الاقتصادية تقع اليوم في ظروف تختلف كل الاختلاف عن ظروف أوربا وظروف فرنسا وبريطانيا في ذلك الزمان

أهم خواص الحرب الحاضرة انها حرب اجماعية ، فهي لا تعتمد على القوى والموارد الحربية وحدها ، ولكنها تعتمد على سائر القوى والموارد القومية ، فهي حرب أمم ضد أمم وليست المعارك الحربية من برية وبحرية وجوية الا وجها من وجوهها

وقد ترتب على هذه الصفة الاجماعية للحرب أن أضحت الموارد الاقتصادية تلعب في مصايرها ، الى جانب القوى العسكرية ، أعظم دور . وقد كانت الموارد الاقتصادية دائما عنصرا من عناصر القوة في الحروب ، ولكنها تغدو اليوم عصب الحرب الحاضرة وعامل الفصل فيها

اذا تأملنا تطورات الحرب الحالية منذ نشوبها ، ألفينا أول وهلة ان الحرب الاقتصادية هي أبرز مظاهرها ، فالمعارك البحرية التي ترتبت على حرب الغواصات والالغام والاعتداء على السفن التجارية والمحاولات العنيفة التي تبذلها ألمانيا في هذا الميدان ـ وهي في الواقع أهم الحوادث الحربية التي وقعت بين ألمانيا وبين الدولتين الحليفتين منذ نشوب الحرب ـ كلها عنوان لهذه الحرب الاقتصادية التي تشهرها بريطانيا وفرنسا على ألمانيا ، وتحاول ألمانيا اجتناب عواقبها بكل ما وسعت

وقد بدأت هذه الحرب الاقتصادية باعلان بريطانيا وفرنسا قائمة بالموارد التي رأتا منع تصديرها الى ألمانيا ، والتي من شأنها أن تزيد في قوى العدو بأي صورة من الصور ، ونفذ هذا الحظر بفرض حق الرقابة على جميع السفن المحايدة المتجهة الى المياه الالمانية أو الى مياه الدول المجاورة لالمانيا ، ولما حاولت ألمانيا أن ترد على ذلك بحرب الغواصات والالغام غير المشروعة والاعتداء على السفن التجارية المحايدة دون تمييز أو تحوط ، وترتب على ذلك ما ترتب من اغراق للسفن وازهاق للارواح ، ردت بريطانيا وفرنسا باعلان الحظر على الصادرات الالمانية نفسها ، وقررتا مصادرة كل ما يضبط منها في عرض البحر فوق ظهر السفن المحايدة ، وهكذا يكون قرار الحظر الاقتصادي شاملا ـ لكل مايرد

الى ألمانيا من الخارج وكل ما تحاول تصديره الى الخارج ، أو بعبارة أخرى تكون ألمانيا قد وضعت تحت حصار اقتصادي دقيق شامل يرمى الى سحق جميع وارداتها وصادراتها

الحصار الاقتصادى بين بريطانيا وألمانيا

ولا شك ان مثل هذا الحصار اذا أحكم تنفيذه سوف تترتب عليه آثار بعيدة المدى . فألمانيا تعتمد على ما تستورده من الخارج فى سد حاجاتها من بعض المواد الاولية الحيوية مثل البترول والزيت والحديد ، وغيرها من المواد الضرورية لتسيير الأداة الحربية هذا فضلا عن المواد الغذائية ، التى تستورد ألمانيا منها كميات عظيمة ، وهى تعتمد على صادراتها فى تحقيق ما تحتاج اليه من النقد الاجنبى الذى يمكنها من شراء المواد الاولية ، فالعمل على شل واردات ألمانيا وصادراتها بهذه الصورة سوف ينتهى مع الوقت بتحطيم قوى ألمانيا الاقتصادية ، وانحلال قواها المعنوية ، ومن ثم بتحطيم قواها العسكرية

ولهذا توجه ألمانيا الهتلرية جل اهتمامها الى هذه المعركة الاقتصادية الخطيرة ، وتحاول أن تخرق نطاق هذا الحصار الحديدى بكل قواها ، ولا تحجم فى هذا السبيل عن الالتجاء الى أى الوسائل مشروعة كانت أم غير مشروعة ، ومن ثم كانت محاولاتها البحرية العنيفة التى خرجت فيها على كل عرف وقانون دولى

وقد قيل ان ألمانيا ترمى بهذه المحاولات العنيفة فضلا عن تحطيم الحصار البريطانى الفرنسى الى تحقيق غرض أخطر وأبعد مدى هو فرض الحصار الاقتصادى على بريطانيا العظمى ذاتها

ويعتمد هتلر ومعاونوه فى ذلك على وسيلتين : الاولى حرب الغواصات والالغام وقطع طرق البحار على السفن الانكليزية ، وما تبثه خسارة السفن والارواح فى نفوس الدول المحايدة من الرعب بحيث تكف عن تسيير سفنها الى المياه الانكليزية ، وبذلك تقل الواردات الى انكلترا الى حد يهدد حياتها ومواردها الاقتصادية ، والثانية ارهاب الدول المحايدة المجاورة لألمانيا وحملها بطريق الضغط السياسى والاقتصادى على قطع علائقها التجارية مع انكلترا وذلك تحت ستار المحافظة على حيادها

نابليون والحصار القارى

ويستند زعماء ألمانيا النازية فى هذه المحاولة الى سابقة شهيرة فى التاريخ الاوربى الحديث ، وهى محاولة نابليون الاول ، أن يفرض الحصار على انكلترا ، ويدرسون كل ما يتعلق بهذا الحادث التاريخى من الخطط والوسائل

ومحاولة نابليون الاول هذه هى المعروفة بقرار برلين أو « بالحصار القارى » ، وقد وقعت فى سنة ١٨٠٦ ، غير انها ترجع فى الواقع الى أيام الثورة الفرنسية ، حينما اشتدت الخصومة بين فرنسا الثائرة وبين انكلترا ، فعندئذ فكر بعض أعضاء « المؤتمر » الوطنى ،

فى العمل لمناوأة التجارة الانكليزية ، باعتبار أن قوة انكلترا الاقتصادية تقوم على تجارتها الخارجية ، فاذا أمكن عرقلة الصادرات الانكليزية ، اضمحلت الصناعة الانكليزية وأفلست البنوك ، وفشت العطلة ، وثارت الطبقات العاملة • وتنفيذا لهذه الفكرة أصدر « المؤتمر» فى سنة ١٧٩٣ قرارا بمنع جميع البضائع الانكليزية الواردة ، ثم جاءت حكومة «الدير كتوار» فأصدرت مثل هذا القرار ، ولكن لم يكن لاصداره أى أثر عملى نظرا لتحالف جميع الامم الاوربية يومئذ ضد الثورة الفرنسية وتفاهمها مع انكلترا

ولما امتدت فتوح نابليون الى معظم دول القارة (أوربا) وبسط سلطانه على ألمانيا ، أصدر من برلين فى ٢١ نوفمبر سنة ١٨٠٦ قراره الشهير المسمى « بالحصار القارى » وبمقتضاه اعتبرت الجزر البريطانية فى حالة حصار بحيث ان كل المواد المصدرة من انكلترا أو بموافقة انكلترا يمكن ضبطها فى عرض البحر أو فى موانىء الامبراطورية « الفرنسية » ، وانه لا يسوغ أن تستقبل موانىء الامبراطورية أية سفينة قادمة من انكلترا أو مستعمراتها • بيد ان هذا الحصار لبث اسما على غير مسمى ، لان جميع الدول المحايدة استمرت على الاتجار مع انكلترا ، واستترت السفن المحايدة تحت صفات وأوراق مزورة

ولكن الامبراطور اعتقد انه أضحى بعد معاهدة تلسيت ومحالفة روسيا ، سيد أوربا الحقيقى ، وأصدر قرارين جديدين أحدهما من فونتنبلو (فى ١٣ اكتوبر) والثانى من ميلان (فى ٢٣ نوفمبر) سنة ١٨٠٧ ، وبهما اعتبرت جميع الغلال الواردة من المستعمرات وبعض المواد الاخرى انكليزية المصدر ، وتقرر ان كل سفينة ترسو فى الموانىء الانكليزية تعتبر عرضة للمصادرة • وكان لهذين القرارين أثرهما فى اغلاق موانىء القارة كلها فى وجوه الدول المحايدة ، التى انحصرت يومئذ فى امريكا والدولة العثمانية ودول افريقية الشمالية

وترتب على ذلك أن نقصت الصادرات الانكليزية الى القارة نقصا شديدا ، وأغلقت امريكا موانيها فى وجه سفن الدول المحاربة أى فى وجه السفن الانكليزية ، وشعرت أمم القارة كلها بالضيق من جراء هذا الحصار ، وحرمت من كثير من المواد الضرورية فضلا عن مواد الترف

ولكن سرعان ما تفاهمت الدول المحايدة فيما بينها ، ونظم التهريب التجارى تنظيما محكما ، ولم يحل دون نجاحه ضم نابليون لهولنده وثغور بحر الشمال الالمانية . ولما أفلتت اسبانيا والبرتغال من قبضة نابليون ، انهارت دعائم الحصار ، وعاد اسما بلا مسمى

وعانت انكلترا فعلا من آثار هذا الحصار أعواما ، فأصيبت صناعتها وكسدت تجارتها وفشت فيها العطلة حينا ، ولكن فرنسا عانت منها أيضا ، اذ قل ورود المواد الاولية ، فاضمحلت الصناعة وانتشرت البطالة ، وانحطت أثمان الغلال نظرا لوفرة المحصول ، وانهار ايراد الجمارك ، وهكذا عانت فرنسا من سياسة الحصار نفس الازمات والمصائب التى حاول نابليون أن يخص بها انكلترا

بين الامس واليوم

تلك هي قصة الحصار النابليوني لانكلترا التي تسترشد بها ألمانيا الهتلرية فيما تزعمه من شهر الحصار على انكلترا

ولكن محاولة ألمانيا الهتلرية تقع اليوم في ظروف تختلف تمام الاختلاف عن ظروف أوربا في عهد نابليون

فألمانيا الهتلرية لا تستطيع أن تدعي سيادة القارة الاوربية ، وان كان في وسعها أن تضغط بأساليبها المعروفة على بعض الدول المحايدة المجاورة لها

ومن جهة أخرى فان الموقف العسكري والوضع الجغرافي كلاهما يتخذ اليوم صورة جديدة ، فبريطانيا العظمى تملك اليوم قوى برية زاخرة ، والقوى البريطانية والفرنسية المتحدة تنازع قوى ألمانيا الهتلرية كل سيادة تزعمها على القارة ، وشواطىء بحر الشمال والمانش الاوربية ليست معادية اليوم لانكلترا كما كانت في عهد نابليون

على ان القول الفصل في هذه المحاولة انما يكون قبل كل شيء لسيادة البحار ، ولا مراء في ان بريطانيا العظمى هي التي تقبض على سيادة البحار

والحقيقة انه من الاغراق المدهش ان يتحدث زعماء ألمانيا النازية عن فرض الحصار على الجزر البريطانية ، في حين ان الواقع الملموس هو ان بريطانيا العظمى هي التي تفرض على ألمانيا الهتلرية حصارا تشتد وطأته عليها يوما عن يوم . نعم ان ألمانيا قد استطاعت بواسطة حرب الغواصات والالغام والقرصنة في عرض البحار أن تحدث خسائر تذكر في السفن والارواح سواء بالنسبة لانكلترا أو بالنسبة للدول المحايدة ، ولكن ذلك لم يحدث أية ثغرة في قوة انكلترا البحرية ، ولم يزعزع ذرة من سيادتها على البحار . هذا فضلا عن اضمحلال حملة الغواصات والالغام الالمانية ، وما أحرزته انكلترا أخيرا من انتصارات بحرية ، تؤكد هذه الحقيقة مرة أخرى

والخلاصة ان هذه الحرب الاقتصادية بين ألمانيا الهتلرية والدول الغربية ، هي أهم وأخطر وجوه الصراع بينهما ، ولكن الذي لا ريب فيه هو ان ألمانيا أضعف الفريقين من هذه الناحية ، وأقلهما استعدادا لمواجهتها . ومن المحقق انها ستقاوم بكل ما وسعت هذا الحصار الذي يأخذ اليوم بخناقها ، ويهدد مواردها الحيوية ، ويقضي على تجارتها الخارجية . وقد تطول هذه المقاومة ، وقد تندفع ألمانيا الى مغامرات عسكرية أخرى لتسيطر بالفتح على ما ينقصها من الموارد كما حدث في الحرب الكبرى ، ولكن الذي لا ريب فيه أيضا هو أن الزمن مع الدولتين الحليفتين ، وان ألمانيا الهتلرية سوف تلقى في نتائج الحصار والحرب الاقتصادية شر ما تخشاه من عوامل الانحلال والتفكك وانهيار قواها المادية والمعنوية

محمد عبد الله عنان

منذ مائة عام

قصة الزواج الملكى
بين الملكة فكتوريا والأمير البرت

بقلم الاستاذ محمد بك رفعت

مراقب منطقة القاهرة بوزارة المعارف

في ١٠ فبراير الحالى يكون قد مضى مائة عام على زواج الملكة فكتوريا بالامير البرت. وهو الحادث التاريخي الخطير الذى وطد العلاقة بين انجلترا والمانيا فى ذلك الحين ، ومن الغريب ان تأتى ذكرى هذا الحادث فى وقت تنشب فيه حرب طاحنة بين الدولتين وقد عالج الاستاذ الكبير محمد بك رفعت قصة هذا الزواج علاجا تاريخيا شائقا كما تراه فى هذا المقال النفيس

اذا ذكر المؤرخون وسائر الكتاب من الانجليز القرن التاسع عشر وما حفل به تاريخه من حركات قومية وسياسية وتطورات اقتصادية ومخترعات ونهضة فى الادب والفنون والاجتماع حرصوا على أن يقرنوا ذكره باسم فكتوريا العظيمة حتى انك اذا قلت تاريخ القرن التاسع عشر فى انجلترا فكأنك قلت تاريخ الملكة فكتوريا . ذلك لان فكتوريا التى امتد عهدها طوال أربعة وستين عاما انتهت باكمال القرن التاسع عشر قد تركت طابعها الخاص على صفحة هذا القرن وفى مجرى سياسته العامة وأصبحت فكتوريا رمزا ومثلا أسمى لجميع الصفات والآراء التى عرف بها أهل ذلك الوقت فى بريطانيا وأهمها التدين وحب الاسرة والتحشم والاستعمار وحرمة التجارة وتطبيق العلوم الحديثة على كل ما جرى به العرف أو أنتجه العقل أو أبدعته يد الانسان

وليس غريبا أن تتفق الملكة وجمهرة الناس فى آرائهم ومعتقداتهم لا لان الناس كما يقولون على دين ملوكهم وكفى بل لان الملكة نفسها نشأت كسائر الفتيات لا علم لها بما هيأ لها القدر من تاج لامع وسلطان واسع وملك وطيد الاركان لا تنحسر عنه شمس النهار ولا تنال منه يد الحدثان ، نشأت فكتوريا يتيمة مات أبوها وليس لها من العمر سوى ثمانية أشهر وربتها أمها وهى فى ضيق مالى شديد والصلات بينها وبين الملك الجالس على العرش اذ ذاك وهو جورج الرابع تنم عن تخفظ لا أثر للمحبة أو العطف فيه . وقد كتبت فكتوريا فى مذكراتها عن هذه المرحلة الاولى من حياتها تقول : « كان

الملك على غير وفاق مع والدى عند موته فلم يهتم بتلك الارملة الفقيرة (تريد أمها) ولا بتلك الطفلة اليتيمة الصغيرة (تريد نفسها) اللتين كانتا من العوز عند موت عائلهما بدرجة لم نستطع معها تحمل نفقات الانتقال من مكان الى آخر الا بمعونة خالى ليوبولد».
« ولقد نشأت فى منتهى البساطة فلم تكن لى غرفة نوم خاصة بل كنت أنام مع أمى فى غرفتها حتى كبرت واعتليت العرش وكنت آخذ دروسى فى غرفة النوم الخاصة بمربيتى »

ومن حسن طالع فكتوريا أن بدأ حكمها بعد أن أدخل أول اصلاح دستورى فى البلاد فى سنة ١٨٣٢ ذلك الاصلاح الذى أتاح لعدد كبير من الطبقات الوسطى فى بريطانيا أن يشتركوا فى الحكم باعطائهم حق الانتخاب للبرلمان بعد أن كان ذلك الحق مقصورا على طبقة كبار الملاك . وعلى أثر ذلك ظهرت أهمية الطبقة الوسطى وترعرع أفرادها فى كنف الملكة الشابة حتى اتحدت الامزجة وتشابهت المشارب والآراء وأخذ العهد طابعه الفكتورى الذى ميزه على سائر العصور

أما كيف أن القدر قد هيأ لهذه الاميرة اليتيمة ارتقاء عرش بريطانيا العظمى فان لعامل المصادفة الشأن الاول فيه كما ترى

كان جورج الثالث من أسرة هانوفر ملكا على بريطانيا من سنة ١٧٦٠ الى ١٨٢٠ فكان أطول ملوك انجلترا حكما حتى جاءت فكتوريا فبزته بأربع سنين ولما ضعفت قواه العقلية فى آخر أيامه عين ابنه الاكبر نائبا عن الملك ثم ارتقى العرش بعد وفاة أبيه باسم جورج الرابع وكانت له ابنة شرعية واحدة تدعى الاميرة شارلوت هى ولية عهده من بعده وقد تزوجت من الامير ليوبولد من أسرة كوبرج فى ألمانيا سنة ١٨١٦ وماتت بحمى النفاس سنة ١٨١٧ بعد سنة واحدة من زواجهما وبموتها تعرضت وراثة التاج فى بريطانيا للخطر اذ لم يكن لاخوة الملك الثلاثة الذين قد يخلفونه على العرش أبناء أو بنات شرعيون فاضطر الاخوة الثلاثة الباقون من أبناء جورج الثالث الى الزواج وهم فى سن متقدمة فى عام واحد سنة ١٨١٨ . أما الاول فكان دوق كلارنس الذى اعتلى العرش سنة ١٨٣٠ بعد موت جورج الرابع باسم الملك وليم الرابع وقد ولد له ولدان وماتا . والثانى دوق كمبردج وقد ولد له ابن والثالث دوق كنت تزوج بالاميرة فكتوريا أخت الملك ليوبولد وولدت له الابنة الوحيدة فكتوريا فى ٢٤ مايو سنة ١٨١٩ ولما مات أبوها فى عام ١٨٢٠ كفلتها أمها وخالها ليوبولد ولما كانت فكتوريا ابنة الاخ الاكبر للملك أصبحت الوارثة للعرش من بعده

ومع أن فكتوريا بقيت تجهل مهمتها السامية حتى بلغت الثانية عشرة من عمرها الا أن والدتها بالاتفاق مع خالها قد أعدا برنامجا دقيقا لتعليمها وتربيتها تربية صحيحة ذات صبغة قومية انجليزية تؤهلها لتولى عرش بريطانيا . وبلغ شعور الوالدة بعظم مسئوليتها أن كتبت الى رئيس أساقفة كنتربرى مذكرة بما اتبعت فى تعليم ابنتها وطلبت تكوين لجنة تختبرها فتكونت هذه اللجنة من بعض الاساقفة وكانت نتيجة الاميرة مرضية جدا

وخاصة فى الدين والتاريخ • وحين بلغت السنة الثانية عشرة من عمرها نقلوا اليها فى أثناء دروس التاريخ انها الوارثة للعرش بعد عمها وأن واجبها الاول كأميرة الآن وملكة فى المستقبل خدمة شعبها فكان أول ما قالته • « سأكون طيبة »

وبقيت فكتوريا تواصل دراستها تحت مراقبة شديدة من والدتها ومربيتها حتى مات عمها وليم الرابع فى يونيه سنة ١٨٣٧ وارتقت العرش وسنها لم تزد على الثامنة عشرة وهى السن الشرعية الا شهرا واحدا

وبارتقاء فكتوريا العرش استقبلت البلاد عهدا جديدا تزينه ملكة شابة على درجة عظيمة من الجمال والصلاح ويعلو رأسها تاج كان قد فقد كرامته واحتفظ بمحبة الشعب له فى عهد جورج الثالث ثم فقد الصفتين فى عهد جورج الرابع واسترد محبة الشعب له فى عهد وليم الرابع وجاءت فكتوريا فأعادت الى التاج كرامته ومحبة الشعب له

وكما أن الشعب قد استقبل عهدا جديدا كذلك تفتحت أمام فكتوريا بارتقائها العرش آفاق جديدة من الامانى والمطامع وسبل جديدة كانت من قبل محرمة عليها فى الاجتماع والاختلاط فخرجت من عزلتها الاولى وأخذت تكثر من السهر ليلا وتستمتع بالرقص والاختلاط وتلوم المحافظين على مغالاتهم فى التحفظ بالقديم واعتزت بما وصلت اليه من سؤدد وسلطان واغترت بما كان يصل أسماعها من وزرائها وحاشيتها من آيات التمجيد والتملق حتى صرحت أنها مغتبطة بحالها ولا تشعر بحاجة الى التفكير فى الزواج • ولم لا تزهد الملكة فكتوريا فى الزواج وقد سبقتها الى ذلك الملكة اليصابات التى خلدت اسمها فى تاريخ القرن السابع عشر وكان حكمها العهد الذهبى لانجلترا

ولكن فكتوريا بعد تردد قصير آثرت الزواج متأثرة بعاملين قويين الاول ذاتى والثانى خارجى أما العامل الذاتى فهو شعور المرأة فى قرارة نفسها بحاجتها فى هذه الحياة الى الاعتماد على قوة الرجل مهما توافرت لها أسباب الجاه والسلطان • أما العامل الثانى فهو تأثير خالها ليوبولد واقتداره على توجيه آرائها وخططها • ويجب ألا ننسى أن فكتوريا نشأت يتيمة وأن خالها ليوبولد كان بمثابة الوالد لها وأن أسعد أوقاتها فى طفولتها كانت الساعات التى قضتها مع خالها الذى بقى يعيش بانجلترا بعد وفاة زوجته شارلوت التى كانت ستخلف أباها جورج الرابع ملكة على انجلترا الى أن عرضت عليه الدول تاج بلجيكا فى سنة ١٨٣١ فقبله • على أن هذا لم يقلل من تأثير ليوبولد على الملكة فظل متصلا بها بواسطة الرسائل التى لم ينقطع حبلها بينهما وبواسطة سكرتيره الخاص « استكمار » الذى أعاره لفكتوريا بعد ارتقائها العرش • وكان استكمار من الرجال القادرين الصامتين الذين يرسمون الخطط وينفذونها ولا يكاد الناس يسمعون لهم همسا • أما ليوبولد نفسه فكان من أقدر أمراء ذلك الوقت وكان يرمى باتصاله مع فكتوريا الى غرضين أساسيين الاول أن تضطلع ابنة أخته بمهام الملك محتفظة بحقوق التاج وامتيازاته ضد السلطات التى كانت تعمل على انتقاص هذه الحقوق ، والثانى تحسين العلاقات بين بريطانيا

وأمارات ألمانيا بصفة عامة اذ لم تكن دولة ألمانيا قد توحدت فى ذلك الوقت • وقد ساعد على ذلك أن أمارة هانوفر التى كان يحكمها ملك انجلترا قد انسلخت عن تاج انجلترا بارتقاء فكتوريا العرش ولم يكن للنساء حق وراثة الحكم فى هانوفر • ولا يسع المؤرخ الا أن يتساءل ماذا كانت انجلترا أو بروسيا تفعل لو ظلت أمارة هانوفر تابعة لتاج انجلترا وقامت حركة الوحدة الالمانية ! وتوكيدا لهذه الصلات رسم ليوبولد خطة أراد بها احياء مشروعه القديم حين اقترن بالاميرة شارلوت ولية عهد انجلترا وكاد يصبح زوجا لملكة انجلترا لو لم يعاجلها الموت • هذه الخطة ترمى الى ربط أسرة ساكس بالبيت المالك فى انجلترا بزواج فكتوريا من الامير البرت ابن أخى ليوبولد • لقد كانت والدة فكتوريا من أسرة كوبرج واستكمار سكرتير الملكة من أصل سويدى يتصل بكوبرج ومربيتها البارونة لهزن ذات الشخصية القوية من ساكس كوبرج فلماذا لا يكون زوج فكتوريا من أمراء كوبرج أيضا وبذلك تصبح الاسرة المالكة الانجليزية تنسب الى أسرة ساكس كوبرج بعد أن كانت تنتسب الى أسرة هانوفر

هذه هى الخطة التى رسمها ليوبولد وتمهيدا لذلك زار انجلترا فى سنة ١٨٣٦ أمير كوبرج ومعه ولداه أرنست وأخوه الاصغر البرت لزيارة أخته دوقة كنت فى قصر كنسنجتن فمالت فكتوريا الى ابن عمتها الاصغر الامير البرت وكان ندا لها فى السن وكتبت تشكر خالها ليوبولد لانها وجدت فى البرت جميع الصفات التى تكفل توفير أسباب السعادة والهناءة لها فى المستقبل ثم ندب استكمار لمرافقة الامير البرت فى رحلة الى ايطاليا يعده فى أثنائها للمهمة العظيمة التى تنتظره • وفى اكتوبر سنة ١٨٣٩ جاء الى انجلترا الاميران للمرة الثانية فأعلنت الملكة خطبتها للامير وتم زواجها فى ١٠ فبراير سنة ١٨٤٠ وكان مركز الامير البرت فى أول الامر دقيقا للغاية فلم تكن هناك تقاليد معروفة عن أزواج الملكات اللائى ارتقين العرش قبل فكتوريا • فالملكة مارى تيودور تزوجت من فيليب الثانى ملك اسبانيا وهى فى أوج عظمتها ولم يحضر فيليب الى انجلترا الا فى فترات قصيرة • أما الملكة اليصابات ففضلت ألا تتزوج • وجاءت الملكة آن فى أول القرن الثامن عشر وتزوجت من أمير دنمركى خامل الذكر • أما البرت فقد أعده عمه ليوبولد لتولى هذا المركز العالى وقد تجنس بالجنسية الانجليزية ووجد بجانبه الدكتور استكمار السياسى الشهير فجالت فى نفسه آمال عظام ظل يترقب الفرص لتحقيقها ، وكان البرت بطبيعته أميرا متقفا صبورا دقيقا منظما فى حياته وأعماله هادىء الطبع فى شىء من الجفاف خجولا يميل الى الدرس والموسيقى والعلوم ولا يتحمس للرياضة أو الالعاب فكان من هذه الناحية على نقيض ما عرف عن الخلق الانجليزى وخاصة بين كبار الاشراف ولذا لم يكن الامير محببا الى نفوس القوم وخاصة فى أول أمره • كذلك كانت فكتوريا مع حبها لزوجها شديدة التمسك بحقوقها كملكة دستورية مطمئنة الى كل ما يشير به عليها رئيس وزرائها اللورد ملبورن الذى أمكنه بلباقته وآدابه وسهولة أخلاقه أن يستحوذ

لنفسه ولوزرائه ولحزبه من الهوج أو الاحرار على ثقة الملكة وعطفها وتقديرها حتى انها لم تر ما يدعوها الى اشراك زوجها فى أعمالها أو اصطحابه معها فى زياراتها الرسمية مكتفية بوزيرها العزيز ملبورن • ازاء ذلك لم يسع البرت سوى الانزواء مؤقتا مفرغا نفسه لشئون الزوج ورب الاسرة اذ ولدت أولى بناته الاميرة فكتوريا سنة ١٨٤٠ وهى التى تزوجت ولى عهد ألمانيا فى ذلك الوقت وأنجبت وليم الثانى أمبراطور ألمانيا السابق • وبعد سنة ولد ولى العهد ادارد السابع ثم جاء الأمراء والاميرات تباعا حتى بلغ عددهم أربعة أمراء وخمس أميرات لم يلبثوا أن أوثقوا الصلات بين الشعب والتاج من جهة وبين تاج بريطانيا وتيجان أوربا من جهة أخرى

غير أن البرت لم ينتظر طويلا فقد سقطت وزارة ملبورن سنة ١٨٤١ وجاءت وزارة السير روبرت بيل ولم تكن له لباقة ملبورن ولا سهولة أخلاقه فكان طبيعيا ان تلجأ فكتوريا الى زوجها تستشيره ويقوم مقامها فى تصريف بعض الشئون مع الوزارة وخاصة عندما كثرت مشاغلها بالولادة • ولما كان البرت يمتاز على الملكة فى ذكائه وثقافته فان تدخله أخذ يزداد شيئا فشيئا فى تصريف الامور حتى أصبحت يده العليا وأصبح حقا شريكا لفكتوريا فى الحكم

ومن أهم مآثر البرت التى أظهر فيها عبقريته وقدرته على التنظيم اقامته أول معرض عام فى سنة ١٨٥١ وهو المعرض الذى عرف بالسراى البلورية Crystal Palace فقد كان البرت مولعا بتطبيق نظريات العلوم الحديثة فى نهضة الصناعات وخطر له أن اقامة معرض عام تتيح الفرصة للصناع فى بريطانيا أن يقفوا على مدى الاتقان الذى يمكن أن تصل اليه الصناعة فى البلاد الاخرى فتتفتق الاذهان ويتحسن الانتاج • وكانت هذه أول مرة يقام فيها معرض عام فصادفت الفكرة معارضة شديدة حتى فى البرلمان اذ قام بعضهم ينكر حق التاج فى استخدام أرض « هيد بارك » فى اقامة المعرض وأنذر بعضهم بأن الاجانب الذين سيشتركون فى المعرض سيسيئون الى تقاليد البلاد ويعودون الى بلادهم ومعهم أسرار صناعاتنا وخشى بعضهم أن تتأثر عقائد الناس الدينية والسياسية لوجود الاجانب بينهم ومع هذه الصعوبات فان البرت تمسك بفكرته وترأس لجنة المعرض وافتتحت الملكة المعرض فى أول مايو سنة ١٨٥١ وصادف المعرض من النجاح والاقبال ما دعا البلاد الاخرى الى التشبه بانجلترا وما لبثت أن أدت فكرة المعرض الى التنافس فى اقامة المتاحف المختلفة ودور الصور فى جميع المدن

أما فكتوريا فاستسلمت فى السياسة لالبرت ولسكرتيره استكمار وشغلت بشئون أسرتها وضيوفها وكان لفكتوريا تأثير سحرى على جميع من زار انجلترا فى أول عهدها من الملوك والامراء وقد زارها منهم فردريك وليم الرابع ملك بروسيا ولويس فيليب ملك فرنسا ونيقولا الاول قيصر روسيا • وقد ساعد انشاء السكك الحديدية فى ذلك الوقت على سرعة المواصلات بين البلاد وبعضها وقامت فكتوريا بأول رحلة فى قطار السكة

الحديد من وندسور الى بادنجتون سنة ١٨٤٢ بعد مرور اثنى عشر عاما على اختراع السكك الحديدية وكانت هذه الرحلة مثار قلق لحاشية الملكة لا يخلو من فكاهة فقد قام اللورد أمين الخيل بعمله فى فحص القاطرة وأصر الحوذى الخاص على أن يجلس على قمة القاطرة ممسكا باللجام كأنه يزاول عمله على المركبة الملكية تجرها الجياد • ولا حاجة الى القول بأن الحوذى لم يعد يصر على فعلته هذه بعد الرحلة الاولى لما أصابه وأصاب بذلته المزركشة من الاذى والعطب !

وبانتشار السكك الحديدية استطاعت فكتوريا أن تقضى بعض الوقت فى مرتفعات اسكتلندة حيث ابتنت قصر بلمورال وفى جزيرة وايت فى قصر اسبرن وكانت مولعة بالاقامة فى هاتين الجهتين وخاصة فى مرتفعات اسكتلندة فقد أحبت أهل هذه الجهات واختارت خادمها الخاص الامين جون براون منهم

ولما شكا الوزراء من بعد الشقة بين لندن وقصر بلمورال جاء اختراع التلغراف فخفف من متاعبهم ومكنهم من الاتصال بالملكة أينما كانت مكتفين بارسال واحد منهم بالتناوب يقوم بخدمة الملكة حيث أقامت

وبينما العهد الفكتورى فى أوجه والنهضة العامة فى ابانها والاسرة الملكية فى بحبوحة من النعيم والسعادة اذا بالامير البرت يشكو من حمى تطورت الى ذات الرئة واذا بالامير يموت فى سنة ١٨٦١ وهو فى مقتبل العمر فحزنت البلاد حزنا شديدا وكأنهم أرادوا أن يظهروا ندمهم على ما فرطوا فى حق الامير من قبل فأقاموا له فى كل بلد تذكارا ولا تزال قاعة البرت فى لندن أثرا خالدا للامير الزوج المثقف المستنير

ونزلت الكارثة على فكتوريا وهى فى الثانية والاربعين من عمرها نزول الصاعقة فأسدلت على نفسها وعلى العالم الذى تعيش فيه ستارا كثيفا قاتم اللون حجبها عن محيطها وعن أفراد شعبها وعاشت أرملة فى عزلة لم يسبق لها مثيل فحرمت على نفسها سكنى المدن وخاصة لندن وامتنعت عن الظهور أمام الجماهير وأبطلت اقامة الحفلات حتى افتتاح البرلمان لم تكن لترضى أن تقوم به الا بكل مشقة • وبالغت فكتوريا فى حزنها وعزلتها حتى شكا الناس وعرضوا عليها أن تتخذ من ولى العهد شريكا لها يقوم مقام البرت فكانت تقول ما دمت قائمة بتصريف شئون الملك الرسمية فلست آبهة بمظاهر الملك الشكلية•واستمرت فكتوريا فى حزنها المتوج تعيش فى ذكريات البرت وتحيا باتباع نصائحه وموالاة مشروعاته حتى ظهر الوزير دزرائيلى على مسرح السياسة وعين رئيسا للوزارة سنة ١٨٧٤ ففتح لفكتوريا عهدا جديدا بعد حزنها المقيم • وكان دزرائيلى يعتقد انه ما دام على العرش ملكة فواجب الوزيرأن يكون تشريفاتيا أيضا واذا بدا ان هذا الرأى لم يكن من مبتكرات دزرائيلى وان وزراء غيره مثل غلادستون كانوا مع الملكة تشريفاتية أيضا فيبقى أن دزرائيلى كان يزاول مهنته باخلاص وعن عقيدة صادرة من قلب يفيض ولاء وحبا للملكة فاذا انحنى أو قبل يد الملكة فانه لم يكتف بالوقع الرسمى لتحيته بل كان يكسب

نجنه وحركاته حرارة حيوية تشعر بها الملكة فتضفى على الوجه الحزين بمسحة من ائتراقه القديم وتحرك فى نفسها المكلومة عواطف أيبستها ليالى حزنها الطويل

وما زال دزرائيلى يبذل للملكة من فيض ولائه واخلاصه ويؤدى لبريطانيا فى السياسة العامة أحسن الخدمات حتى استطاع أن يعلن للعالم نبأ الامبراطورية البريطانية واعلان فكتوريا أمبراطورة للهند سنة **١٨٧٦** وذلك على أثر شرائه أسهم الخديو اسماعيل فى شركة قناة السويس

وكانت نتيجة هذا البعث الجديد أن خرجت الملكة من عزلتها واحتفلت البلاد بعيد حكمها الذهبى سنة **١٨٨٧** وفى سنة **١٨٩٧** احتفل بعيدها الماسى فأظهر الشعب كامن حبه وتقديره لمليكته الارملة العزيزة

ولما انحدرت شمس القرن التاسع عشر الى المغيب كانت فكتوريا ربيبة القرن التاسع عشر تعد أيامها الباقية للرحيل أيضا الى حيث زوجها العزيز البرت فماتت فى يناير سنة ١٩٠١ مثالا للوفاء والتقوى والخلود

واذا كانت انجلترا تباهى العالم الآن بملكيتها الدستورية الحديثة المحببة الى الشعب فالفضل فى ذلك يرجع الى فكتوريا التى رفعت شأن الامبراطورية البريطانية الى ذرى لم ير التاريخ مثلها والتى أنقذت سمعة العرش وصانت التاج البريطانى وصقلت ما يزينه من جواهر للفضيلة والاسرة والدين والعلم حتى بات التاج يخطف الابصار وتسير على هديه الامم والامصار

محمد رفعت

كلمات

ـ ما فاتك من الدنيا لا تكثر الجزع عليه ، وما نلته لا تفرح بالتنعم به ، وليكن همك ما بعد الموت «على بن أبى طالب»

ـ المرء فى الحياة بين حرب معها أو انطباع عليها «جوستاف لوبون»

ـ العزيز النفس هو الذى لا يذل للفاقة «أفلاطون»

ـ العدل لا يموت ، والحرية لا تقبر ، والحق لا يعدم له نصيرا • وان جار الزمان عليه ، فلا بد من الانتصار عاجلا أو آجلا «ميرابو»

سجل الأيام

بقلم الاستاذ سامى الجريدينى

(١) ماذا يبغي هتلر من وراء هذه الحرب

مهما يبلغ الاستهتار من عقول بعض فلاسفة المادة ، ومهما يحدث الرواة عن الروح المتغلغل فى أعماق تاريخ الانسانية على انه روح خنوع للمادة ولتسلط القوى على الضعيف ، ومهما تصدق هذه النظريات اذا نظرنا اليها نظرة مأخوذ بالظاهر دون الباطن ، فانه لا شك فى أن هذه الحرب التى شبت ولم تستعر نيرانها بعد ، لحرب مبادىء قبل أن تكون حرب رجال أو زعماء ، وان هؤلاء المتزعمين أشربوا روح بنى جيلهم وتغذوا بفلسفة آباء وجدود زرعوا هذا الزرع الذى يحصدونه الآن

وقد تكون المبادىء وليدة الحاجة الاقتصادية ، كما انها قد تكون بنت الدهر الذى زرع الى جانب عبادة المتاع الدنيوى بزرة حب التسلط والاستعلاء

بل قد يكون الأمران آخذين أولهما برقبة الآخر لا ينفصلان

إنها حرب مبادىء . مبدأ قائم فى بروسيا ومد عروقه فى معظم البلاد الجرمانية ، ومبدأ آخر كفر بالايمان البروسى بعد أن شبع وتمدين وسار فى طليعة الحضارة يعدّها ويدفع بها الى الامام أبداً

وانه مهما بهرت القوة البهيمية عامة الناس فأعجبوا بها ثم خضعوا واستسلموا ، ومهما يصدق قول القائلين بأن البشرية تضم بين برديها أسوأ الشرور وأن الاخلاق لم ترتق فابن آدم لا يزال ذلك الحيوان الانانى الذى لا يلتمس الشىء سؤالا اذا استطاع التماسه اغتصاباً — انه مهما يكن هذا حقا فان هناك أمراً آخر حق أيضاً ، وهو أن الخير على قلته لاصق بالشر يكوّن وحدة كاملة فى ابن آدم

وانه مهما تكن شروره فهو ذو فضائل أيضاً ، وانه رأى بعد حقبة هذا مقدارها من الزمن ان الفضيلة أبقى وأنفع حتى صارت غريزة فيه تلك الميول التى تدفعه الى فوق . فيسر ويطرب للمثل الاعلى على حين تراه منغمساً فى المثل الاسفل

لذلك نرى أن هتلر طاغية الجرمانيين مغلوب على أمره فيا يرمى اليه لانه تقمص شر ما فى

البشرية من غرائز وتقمص خصومه خيرها ، فان فاز خسرت الانسانية كل مابنته فى ألوف القرون من تاريخها وسقط هذا البناء الجميل الذى يعبرون عنه بروح الحضارة . وهذا مستحيل

فانه قد فاز الطغاة العاتون فيما مضى حتى خيل الى الناس أن قد امتد سلطانهم ورسخ على الصخرة ثم ما لبثوا حتى هدم ما يعرشون وأصبحت مساكنهم خالية خاوية كأن لم تغن بالامس

فماذا يريد هتلر . وما هو سبيله الى ما يريد ؟

أما ما يبغيه هتلر فلم يعد سراً على عامة الناس بل أصبحوا والخاصة يعلمون الامر علم اليقين فهو يرمى الى السيطرة على أوربا فالعالم . إنه يريد جرمانيا سيدة لا تنازع ولا ترد لها كلمة فى مشارق الارض ومغاربها

واذا قلنا هتلر عنينا السياسة الجرمانية والتاريخ الجرمانى والفلسفة الجرمانية وعنينا على وجه التخصيص هذه الهيئة الحاكمة فى المانيا منذ بدأ الحظ أن يبسم لبروسيا على وجه فردريك الثانى حتى يومنا هذا . فالبروسيون قوم أشداء جبابرة حرب يقابلون الحياة بشظف العيش والطمع بالنعيم ، حكمهم حكم كل الشعوب القوية الفقيرة يأوون بلاداً تضيق بهم على فقرها فيندفعون الى السهول المجاورة . غزوا المانيا وحكموا ماكان جرمانيا فى قلب أوربا بالسيف والنار

وصادفوا نجاحاً فأصبح غزو الجار والتوسع على حسابه ايمانا راسخاً ومبدأ لا يتغير

بهذا أخذت سياستهم وبهذا علم أساتذتهم سواء أفى الكتب والصحف أم على مقاعد المدارس

وتنفيذاً لهذا المبدأ ونزولا على هذا الايمان خلقوا جيشاً صار أعظم أداة حرب فى أوربا وركعوا يعبدونه ، حتى صار الجيش وما يمت اليه من قريب أو بعيد إله جرمانيا القدير العزيز

فعند ما غلبوا على أمرهم فى سنة ١٩١٨ وبدأ العالم يخبر حياة المانية ديموقراطية أبت الروح العسكرية أن تنكمش فظلوا يؤلفون الفصائل والأحزاب وكلها شبيهة بالجيوش تتبع نظامه وان لم يكن لها الاسم الرسمى خوفا من معاهدة فرساى والذين يقومون على تنفيذها

فكان الجيش أى الروح العسكرى هو المسيطر على المانيا حتى فى إبان هذه الجمهورية التيرأسوا عليها منجداً لم يكن فى دمه من ماض يستطيع أن يقف فى وجه رجل بلباس عسكرى لا ينخضع له . ولما ظهر هتلر زعيما شعبياً من الطراز الأول ورأى الجيش أن الرجل ممن يستهوى الجماهير ويقودهم شجعوه وساعدوه على تسلق سلم الحكومة وأمده رجال الصناعة حلفاء الجيش بالمال

واذا به رئيس الأمة وقائدها الأول

ولكنه الزعيم والرئيس لا لشيء فى ذاته بل لأنه اللسان المعبر عن كل ما هو بروسي

ولسنا نشك انه عند ما ترى الهيئة الحاكمة فى المانيا انه لم يعد بالرجل الذي تنجح الأمور على يديه فمصيره الى الزوال . وما الهيئة الحاكمة فى المانيا الآن ــ وفى كل ما مضى من سالف الزمان ــ إلا الجيش وكبار أصحاب الصناعات

فعندما نقول هتلر فى هذه السطور فاننا نعنى الروح التى يمثلها هتلر وليس شخصه بالذات

(٢) أساليب الروح الهتلرية

أما وقد استقر فى الاذهان بغية جرمانيا من هذا العالم فبقى أن نعلم الطرق التى تتبعها لبلوغ المراد

فهم يحلون القوة المحل الاول . على القوة يستند جيشهم ، وعلى القوة يسير نظامهم الاقتصادى وعلى القوة تركزت تعاليمهم

ثم يعطفون على وضع القوة موضع التنفيذ . فيجعلون الفرد عبداً مسخراً « للدولة » والدولة لا تخطىء ولا تنازع فى أمرها

فهذبوا الشبيبة على هذا الرأى . حتى صار الشعب آلة طائعة تؤمر فتأتمر وتنهى فتنتهى

وحتى أصبح العالم فاذا به يرى الشعب الجرمانى كله وكأنه كتيبة فى جيش ان خالف «النفر» فيها أمر القائد أرداه .

ولتسهيل هذا الخضوع أفهموا الشعب انهم خير أمة أخرجت للناس وان عنصرهم النورديكى أشرف العناصر فولدوا فيه كره العناصر المختلفة عنه من كل سكان المعمورة وحقروها فى عينيه فسهلت قيادته الى مقارعة هؤلاء الذين هم فى الدرك الاسفل من سلم المدنية الجرمانية ومن هذا المبدأ اشتق اضطهاد اليهود

فهتلر يقول ان الشعوب كالاغنام يجب أن يتولى قيادتها امرؤ يحبب اليها شيئا ويكرهها شيئا

فاذا آمن الجرمانيون بقداسة عنصرهم آمنوا بضرورة جمع هذا العنصر المطهر فى صعيد واحد وتوحيد كلمتهم حتى اذا اجتمعوا طلبوا المزيد من بلاد الله ليتمكنوا من معايشهم فى أرض تضم هذه الملايين من هذا العنصر . لذلك تراهم يرفعون عقيرتهم صارخين بايمان لا يتزعزع ان الارض ضاقت بهم ولا مندوحة لهم عن شقة عيش هنيء ولو كان هذا على حساب جيران خلقهم الله ليستمتعوا بلادهم استمتاع الجرمانيين

ثم يأتى من بعد ذلك عقيدة أخرى هي ان الشعوب الانجلو سكسونية والافرنسية ومن اليهم فى دور انحلال وانحطاط يحجمون عن مقاومة القوة بمثلها ويستسلمون . هذا هو رأيهم فى النظم البرلمانية وفى الكنيسة الكاثوليكية وفى كل شيء غير جرمانى الاصل

وزادهم البغى إمعانا فى هذا الاعتقاد فاحتلوا منطقة حراما هي منطقة الرين غير المسلحة فلم يحرك الافرنسيون ساكنا وما بالى الانجليز

ثم ضموا اليهم النمسا فسكت الناس عنهم وقال الاحرار منهم هذا بلد واحد يجمع عنصراً واحداً فكيف نستطيع انكار مبدأ تقرير المصير . وساروا على هذا المنوال فى حكاية السوديت التابعين لتشيكوسلوفاكيا

حتى اذا ما أنسوا من دول الغرب ضعفا واستسلاما اشتد ساعدهم فرموا ما بقى من هذه الدولة الفتية وعرجوا على بولندا فألحقوها بالغابرين

أما فى السياسة فكل شىء حلال فى مذهبهم . الكذب والقحة فى الكذب شيئان طبيعيان لا يعيبان . والمكر والنكث بالوعود وإخلاف المواثيق أمور بديهية

ألم يقل هتلر بعد كل غزوة انتصر فيها إنه امتلأ حوضه وقال قطنى أن لا مطمع لى فى شىء بعد الآن . ثم ما لبث أن أخذ العدة لغزوة أخرى ؟ فاذا سئل فى ذلك قال لم أنكث عهداً ولا نقضت حرفاً مما وعدت به عبادى الجرمانيين

فالشيوعية بعبع يجب أن يلوح بخطره فى وجه انجلترا وفرنسا الرأسماليتين ومن اليهما من دول العالم . حتى اذا قضى وطره وعلم أن الامر لم يعد بجائزعليهم انقلب خاطباً ود زعيم الشيوعية وكتب عليها كتابه

وليس بينه وبين انجلترا عداوة انما هو طامع بصداقتها بل بمحالفتها حتى اذا آمن بهذه الاقوال بعض كبار الانجليز اذا به يجمع عدته للقضاء على امبراطوريتهم

وكذلك فرنسا فانه نادى على رؤوس الاشهاد بعد أن احتل منطقة الرين العزلاء أن الحدود بينه وبينها نهائية لا تنقض بينما تراه فى كتابه وفى أعماله يعتبرها عدوته اللدود لا يهنأ لجرمانيا بال حتى يجعلها فى الدرجة الثالثة بين دول الارض

هذا مجمل مختصر كل الاختصار لأساليب هتلر أو أساليب النازية أو الجرمانية ولو شئنا زيادة فى التفصيل لما وسعنا كتاب كبير

(٣) الجرمانية على العالم

فماذا فعل العالم . وكيف واجه الامر

أما الانجليز والافرنسيون فرأوا السيف مصلتاً على رؤوسهم فقالوا لهتلر حسبك وقالوا لنفسهم الطمئنة مكانك تحمدى أو تستريحى

وكانت الحرب

وها نحن أولاء نرى جرمانيا فى ناحية والامبراطوريتين الانجليزية والافرنسية فى ناحية أخرى . . هنا الدفاع عن الحرية وعما ملكت اليد وهناك هجوم بغية السيطرة على العالم

هنا حراس الحضارة التى عرفها العالم منذ مئات من السنين ـ الحضارة التى تحاول أن ترفع الفرد وتجعل الدولة فى خدمته . وهناك قبائل يؤلهون ما كان جرمانياً ويحقرون ما سواه ولا يخفون مشيئتهم فى إذلال كل من خرج من غير عنصرهم واستعباده

وانه مهما يقل القائلون فى الاغلاط التى ارتكبها الحلفاء فى الماضى ومهما ينتقدوا نظمهم

فهناك شيء لا يأتيه الباطل من أمامه أو من ورائه وهو هذا التراث العظيم الذى ربته وهذبته الحضارة على أن يتوارثه الناس فيما بعد ـ تراث الحرية . حرية القول وحرية التفكير وحرية العمل . هذا تراث تهدده القوة القائمة فان فازت فقل على الدنيا السلام

أما وقد وضع هتلر عمامته وعرف العالم وجهه فصار حقاً على كل شعب ـ بله كل فرد ـ غير جرمانى أن يقف صلباً فى مناوأته

فحمل الحضارة قائم على أكتاف البريطانيين والافرنسيين وانه لحق على كل دول العالم أن تساهم فى هذا الحمل الثقيل

فالحياد فى معترك هذا شأنه وهذه عاقبته وخيم على المحايدين وقد يكون وخيما على المدنية نفسها

والمحايدون فريقان : فريق تمثله دول مستقلة ذات حول وطول . وفريق تمثله دول او شعوب لا تزال مستذرية بظل الحلفاء الظليل طامعة فى الاستقلال عما قليل

وكلا الفريقين يستوى حكمه فى يوم الفصل

فوز الجرمانيين معناه فقد حرية الشعوب والدول واستعبادها للجرمانية ان لم يكن استعباداً عسكرياً أو سياسياً فهو اقتصادى . هذا أمر يقرأ بأحرف غليظة فى كتاب مفتوح

أما فوز الحلفاء فدفع للمدنية فى ناحية جديدة من نواحى نشوء الحضارة . انه فوز لروح دولى تعبت الاجيال فى النداء به . روح تعاون بين جميع الشعوب ـ الصغيرة منها والكبيرة ـ ووضع للتضامن موضع التزاحم

إن هذا الروح غالب على أمره إن لم يكن حبا بالمبدأ لذاته فسعيا وراء البقاء ونزولا على مشيئة الشعوب

فهذه الدول التي تتذبذب وتعرج بين الفريقين تطيل أجل الحرب وتبعد يوم انتصار الحرية . وعذر الخوف من بطش الجار القوى لا ينهض لها حجة فانها مأكولة على الحالين غير لها البعث بعد موت من موت لا قيامة بعده

وكانت الدولة التركية خير مثال يحتذى وستنسج الدول البلقانية والسكندافية وايطاليا على منوالها فى القريب

أما اللوم فيوجه الى القارة الاميركية فى الشمال فانه إن كان خط الدفاع عن الامبراطورية البريطانية يبدأ على الرين فخط الدفاع عن الولايات المتحدة يبدأ على الجزر البريطانية . إن غلبت على أمرها فلن تعبد الديموقراطية آلهة الاميركيين فى الارض بعد ذاك . وليس من يدرك هذه الأولية مثل الرئيس روزفلت فما على مؤيدى الحلفاء إلا الدعاء إلى الله عسى أن يجدد له قومه فى الولايات رياسته كرة ثالثة

سامى الجريديني

الأمير المؤرخ أبي الفداء

رسالة لصاحبة السمو السلطاني الأميرة قدرية حسين

أخرجت حضرة صاحبة السمو السلطاني الأميرة قدرية حسين رسالة قيمة باللغة الفرنسية عن الأمير العالم الفارس ابى الفداء، فرأينا أن نلخصها لقراء الهلال، فيلي

من أجمل وأجدى نواحي نهضتنا الفكرية الحديثة ، قيام جماعة من أدبائنا البارزين وأديباتنا النابهات ، بتوثيق عرى التعاون الفكرى بين العالم العربى والعالم الغربى ، بما يعرضه أفرادها من آثار الثقافة العربية ونواحي التاريخ الاسلامى ، عرضا ممتعا شائقا بما أتيح لهم من اجادة الكتابة باحدى اللغتين الغربيتين الذائعتين الفرنسية والانجليزية

وفى مقدمة هذه الجماعة الاميرة المصرية « قدرية حسين » فقد أنتجت آثارا أدبية ممتازة بعضها باللغة التركية وبعضها باللغة الفرنسية وبعضها باللغة الانجليزية . وقد قرأنا لها أخيرا بالفرنسية رسالة عن الامير المؤرخ أبي الفداء ، فراعنا فيها ان تجمع فى صفحات لا تتجاوز العشرين حياة حافلة بالوقائع والامجاد ، وصفحة من التاريخ لم يهدأ فيها يوم ولم يأمن فيها بلد من الحروب والمذابح . وأعجبتنا فيها هذه العبارة الفرنسية السلسة التى تجرى كالغدير الهادىء دون تعقد أو اغراب ، والتى ينضح منها روح شعرى رقيق هو مزيج ما تحفل به نفسها من الطبع الشرقى الوادع والثقافة الغربية السامية

وقد وفقت الاميرة فى اختيار رسالتها الشرقية موضوعا ، الغربية أسلوبا . فقد اختارت حقبة من التاريخ اجتمع فيها الشرق والغرب فى ساحة واحدة هى ساحة الحروب الصليبية ، التى يلذ للشرقى قدر ما يلذ للغربى أن يطالع صفحاتها ويتذكر وقائعها ، التى ان كانت قد أغرقت وجه الارض بالدماء ، فقد تمخضت عن حضارة هى عصارة حضارة الشرق والغرب فى بوتقة واحدة . وكذلك من حسن الاختيار أن تتناول الرسالة شخصية حافلة بالملكات والمواهب ، فأبو الفداء أمير أصيل ، ومحارب مجاهد ، ومؤرخ محقق ، ورحالة طلعة ، ومؤلف خلف أسفارا كثيرة هى من المراجع العربية القليلة التى ما يزال يثق بها الباحثون المحدثون

وقد ذكرت الاميرة فى صدر رسالتها انها زارت فى الصيف الماضى قطرين من « أقطار الملاحم والاساطير هما سورية ولبنان ، فكانت هذه الرحلة مبعث دهشة وعجب ومصدر وحي والهام ، فتمثلت فى خاطرها ما شهدت هذه الارض من وقائع وما حملت من رجال »

فكتبت عن أحد أعلام هذه المفازة من مفازات العصور الوسطى ، وهو ابو الفداء « الفارس الهائم » في أرجاء الارض

ثم بدأت بوصف مدينة أبي الفداء وهي حماة حين تسفعها شمس الظهيرة فيأوى الناس الى بيوتهم ويخلو سبل المدينة وأسواقها ورياضها • وتبدو في هذا الوصف ملكة الاميرة الشاعرة فهي تقول :

« هذه هي حماة ذات اللحن الغنائي الرائع والعذوبة الوادعة ، والروح الفائحة بالعطر الذكي • انها ليست بالمدينة الحاشدة بل هي روض وبستان • وفيها تسمع نشيدا غريبا أبديا ، هو هذا النغم الخالد الذي يبعثه خرير الماء الدافق على الدوام • وهو هذا الرنين المنبعث من الاحواض القائمة في مسجد المدينة التي شيدت منذ أول الاسلام ، تعلوها منائرها الباسقة ـ هذا النشيد الرقيق الرطب المدلل ، انه نوح الماء وأنينه وشكواه ، من طول ما عاني من صعود وهبوط ، ومن تعرج وتدفق »

وبعد أن تجرى الرسالة في وصف المدينة الغناء ونهرها الجاري ، على هذه الصورة الشعرية التي يزيد في روائها وجمالها عبارة فرنسية سلسة رقيقة ، تبدأ في رواية تاريخ أمير حماة الملك المؤيد أبي الفداء « هذا الصائد البارع ، والنبال القادر ، والفارس الراسخ على صهوة جواده • هذا السياسي الماكر والمؤرخ المشهور • هذا الذي كان يصوغ العبارة الجميلة بالمقدرة والسهولة التي يمتشق بها السيف البتار • هذا الذي عاش وحكم ، وناصب ، وعمل ، ومات في حماة »

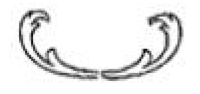
وتتبسط بعد ذلك في رواية تاريخ أبي الفداء الذي انحدر من أصل كردي وخرج من صلب الاسرة الايوبية ، وعاش في عصر لم تغمض فيه عين العالم الاسلامي الا قليلا حينما رد صلاح الدين الايوبي عادية الصليبيين ، وحينما استطاع المسلمون أن يصدوا غارات التتر الذين اجتاحوا أنحاء الاقطار الاسلامية وقد شهد أبو الفداء كثيرا من هذه المواقع التي التحم فيها المسلمون مع الصليبيين الزاحفين من الغرب والتتر الغازين من الشرق فقد ولد في سنة ٦٧٢ هـ (١٢٧٣ م) في مدينة دمشق التي هرب اليها أهله فرارا من التتر الذين اقتحموا حماة وملكوها ، ونشأ نشأة حربية فاشترك في القتال وما زال في سنته الثانية عشرة

وقد أوردت الرسالة المواقع التي حضرها أبو الفداء ، وأولها موقعة « حصن مرقب » وفيها حاصر المسلمون هذه القلعة المنيعة ثمانية وثلاثين يوما ، ثم أقاموا عليها المجانيق فهدمت أسوارها واقتحموها وأسروا من كان فيها من جند الصليبيين • وكان هؤلاء الجنود من الامراء والنبلاء الوافدين من فرنسا وانجلترا وألمانيا وايطاليا واسبانيا ، وكانوا على معرفة بثقافة المسلمين مما قرأوه في كتب الادريسي الجغرافية ومن آراء ابن رشد الفلسفية ، فكانوا يتبادلون مع أمراء المسلمين الذين كانوا على حظ عظيم من الثقافة أحاديث الدين والسياسة والعلم والادب • ثم تحدثت الرسالة عن المعركة الثانية التي

خاضها أبو الفداء وعمره ستة عشر عاما • وهي معركة طرابلس ، التي وجه اليها المسلمون جيشا مؤلفا من أربعين ألفا من الخيالة ومائة ألف من الرجالة ، ووصفت الرسالة حصار المسلمين لهذه المدينة حتى دخلوها وعبروا منها الى الجزيرة التي تواجهها فأسروا من آووا الى كنيستها من الصليبيين • ثم استطردت الرسالة الى ذكر الحروب التي جرت في أنحاء الشام حينذاك ، وكيف توفق المسلمون الى اجلاء الفرنجة عن البلاد التي احتلوها حينذاك ومنها عكا وبيروت وصيدا • ويمكن للقارىء أن يستخلص من ثنايا هذه الوقائع والاحداث ، صورة شاملة للحروب الصليبية في دورها الاخير ، وما كان يبديه الفريقان في ساحتها من مظاهر الاستشهاد في سبيل الدين والعقيدة وما كان يتخذه المحاربون في ذلك العصر من وسائل القتال والحصار

ثم ذكرت الرسالة رحلات أبي الفداء الى مصر ، وكان سلطانها يغدق عليه العطايا ويمنحه الرتب والالقاب ، فسماه الملك الصالح ثم سماه الملك المؤيد ، وذلك بعد أن أقطعه ملك حماة والمعرة وبارين • ولم يكن أبو الفداء شديد الطمع في الملك والحكم ، فتنازل عن المعرة وألح على السلطان في ذلك ليفرغ من مشاكل أمرائها الى أعمال اقطاعيته • وأراد السلطان أن يمنحه لقب سلطان ، ولكنه اعتذر عن قبوله فانه دون مرتبته العالية • وكان يفد الى مصر كل عام تقريبا ، حاملا الى السلطان الهدايا من الخيل والرقيق والجواهر • فيلقاه السلطان أحسن لقاء ، ويخلع عليه من الاردية المذهبة ويمنحه من العطايا النادرة ما لم يتح لغيره من الامراء • وكان يجول مع السلطان أنحاء مصر ، فذهب الى الاسكندرية مرة ، ورافقه في رحلته الى دندرة مرة أخرى

وقد أوردت الرسالة في خلال ذلك أقوال المؤرخين عن أبي الفداء ، وما أفاده من الثقافة العالية في غزواته المتصلة وأسفاره المتتابعة ، وما كان يمتاز به من روح الجرأة والمغامرة والبطولة ، وما طبع عليه من الجود على الفقراء والسخاء على الادباء • فقد أدى الى الشاعر المصري المشهور جمال الدين ابن نباتة ، ورتب له ستمائة درهم كل سنة ، ولهذا قصر ابن نباتة أكثر شعره على مديح أبي الفداء ورثائه • وقد ترجمت الاميرة مقطوعات من أشعار ابن نباتة في أبي الفداء الى شعر فرنسي عذب العبارة رقيق الاسلوب • كما ترجمت مقطوعة من شعر أبي الفداء



الآداب الاجتماعية

من كلمات الفيلسوف الاندلسى ابن حزم

اذا حضرت مجلس العلم ، فلا يكن حضورك الا حضور مستزيد علما وأجرا ، لا حضور مستغن بما عندك طالبا عثرة تشنعها ، أو غريبة تشيعها ، فهذه أفعال الاراذل الذين لا يفلحون فى العلم ابدا ، فاذا حضرتها على هذه النية ، فقد حصلت خيرا على كل حال ، وان لم تحضر على هذه النية فجلوسك فى منزلك اروح لبدنك ، واكرم لخلقك ، وأسلم لدينك . واذا حضرتها كما ذكرنا ، فالتزم احد ثلاثة اوجه لا رابع لها ، وهى :

اما ان تسكت سكوت الجهال ، فتحصل على اجر النية فى المشاهدة ، وعلى الثناء عليك بقلة الفضول ، وعلى كرم المجالسة ، ومودة من تجالس

فان لم تفعل ذلك ، فاسأل سؤال المتعلم ، فتحصل على الاربع المحاسن ، وعلى خامسة ، وهى استزادة العلم . وصفة سؤال المتعلم ان تسأل عما لا تدرى ، فان السؤال عما تدرى سخف وقلة عقل

فان لم يكن ذلك عندك ، ولم يكن عندك الا تكرار قولك أو المعارضة بما لا يراه خصمك معارضة ، فامسك ، فانك لا تحصل بتكرار ذلك على اجر زائد ، ولا على تعليم ولا تعلم ، بل على الغيظ لك ولخصمك

- واذا ورد عليك خطاب بلسان ، أو هجمت على كلام فى كتاب ، فاياك ان تقابله مقابلة المغاضبة الباعثة على المبالغة قبل ان تتبين بطلانه ببرهان قاطع وايضا فلا تقبل عليه اقبال المصدق به المستحسن اياه قبل علمك فتظلم فى كلا الوجهين جميعا ، ولكن اقبال من يريد حظ نفسه فى فهم ما سمع ورأى لتزيد به علما ، وقبوله ان كان حسنا . أو رده ان كان خطأ

- فرض على الناس تعلم الخير والعمل به ، فمن جمع الامرين استوفى الفضلين معا ، ومن علمه ولم يعمل به فقد أحسن فى التعليم ، وأساء فى ترك العمل ، فخلط عملا صالحا ، وآخر سيئا ، وهو خير من آخر لم يعلمه ولم يعمل به . وهذا الذى لا خير فيه أمثل حالا واقل ذما من آخر ينهى عن تعلم الخير

ولو لم ينه عن الشر الا من ليس فيه شىء منه ، ولو لم يأمر بالخير الا من استوعبه لما نهى أحد عن شر ، ولا أمر بخير بعد النبى (ص) ، وحسبك بمن أدى رأيه الى هذا فسادا ، وسوء طبع ، وذم حال

بمناسبة الاحتفال بيوبيل بلدية الاسكندرية في الشهر الماضي

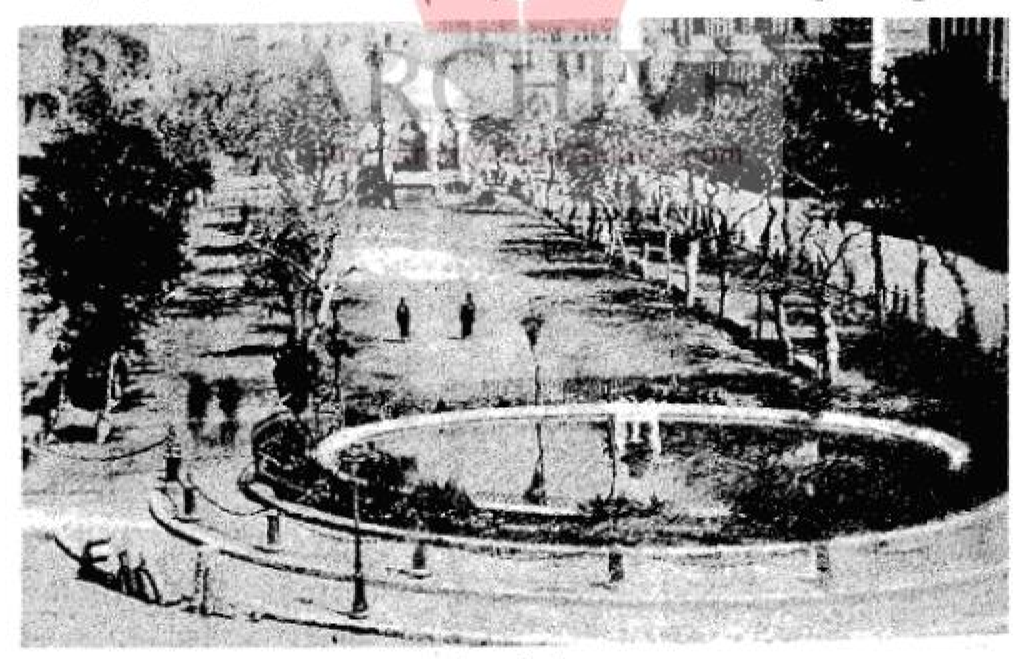
الاسكندرية « المدينة الجميلة »

الاحداث التي مرت بها منذ الاسكندر الى الآن

قديماً أطلق مؤرخو الاغريق اسم « المدينة الجميلة » على الاسكندرية ، فقد كانت بحق جميلة في كل شيء . في جدة مبانيها ، وازدهار حضارتها ، وفي أنها مهبط الثقافة ومنار الهداية في الشرق . وقد ظلت أمداً طويلا عاصمة وادى النيل ، من الاسكندر الى الفتح الاسلامى . وبرغم الاحداث المروعة التى أحاقت بها ، فان الاسكندرية سرعان ما كانت تستعيد مجدها وازدهارها

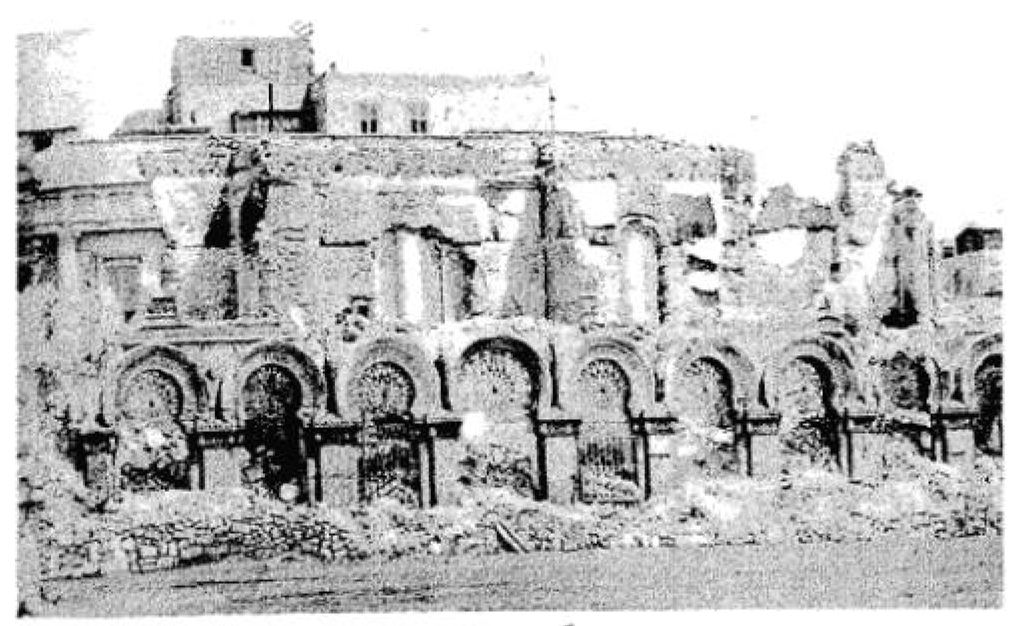
يرجع تاريخ إنشاء الاسكندرية الى عهد اسكندر الاكبر الذى بعد أن تم له الاستيلاء على مصر فى القرن الرابع قبل الميلاد ، وصل فى تجواله فى أرجاء البلاد الى « راقوتيس » - وهى بلدة كانت قريبة من مكان الاسكندرية التي بنيت فيه - فأعجبه أهمية موقعها الجغرافى . فعهد الى مهندسه « دينوقراطيس » فى إنشاء مدينة كبيرة بالقرب من « راقوتيس » ، لتكون صلة بين بلاده الاصلية (اليونان) وملكه الحديث (مصر) . فقام ذلك المهندس بانشاء المدينة وسماها الاسكندرية نسبة الى الاسكندر

ومن ذلك الحين ، أخذت الاسكندرية فى طريق التقدم والحضارة ، واطرد تقدمها فى عصر



ميدان محمد على

هكذا كان ميدان محمد على منذ خمسين سنة ، الذى أصبح اليوم ميداناً فسيحاً متسماً يتوسطه تمثال رائع لمحمد على الكبير ، وتحيط به المبانى الشاهقة



قصر الكونت زيزينيا

خرائب وأطلال انتهى اليها قصر الكونت زيزينيا على أثر الثورة العرابية منذ ٥٠ سنة . وليس لهذا المنظر أثر الآن



قنصلية بريطانيا

لحق الدمار قنصلية بريطانيا فى إبان الثورة العرابية كما لحق كثيراً من مبانى الاسكندرية فبدت بالصورة التى تراها هنا



شارع شريف باشا

هذه الخرائب التى كانت منذ خمسين سنة قد تلاشت اليوم ولم يبق لها أثر ، وقام مكانها شارع شريف باشا وعلى جانبيه المبانى الشائقة ، ومن أهم شوارع الاسكندرية الآن

البطالسة الذين خلفوا الاسكندر فى حكم مصر . فأنشأ فيها بطليموس الاول « جامعة الاسكندرية » التى ضمت أقطاب العلم والفلسفة وأساطين الحكمة والمعرفة ، فكان لها الفضل العظيم فى نشر الحضارة والمدنية ، ثم أنشأ فيها أيضاً « دار الكتب » ـ وقد اختلف المؤرخون في سبب الحريق الذى دمرها قبل أن يفتحها عمرو بن العاص ـ وقد بلغ ما حوته هذه المكتبة سبعمائة الف مجلد فى كل علم وفن ، زادت الى تسعمائة الف فى عهد بطليموس الثانى الذى شاد « منارة » لهداية السفن . كان ارتفاعها يربو على مائة متر ، وقد استمرت قائمة الى قبيل سنة ١٣٠٧ ميلادية

ودالت دولة البطالسة بموت كليوباترا ، وأصبحت مصر جزءاً من الامبراطورية الرومانية ، وظلت الاسكندرية فى ازدهارها الى أن جاء عهد الامبراطور طيودورس ، فأخذت مكانتها فى النقص لما انتاب البلاد من فتن ومذابح . وبقيت تتدهور الى ما بعد الفتح الاسلامى واتخاذ عمرو ابن العاص فاتح مصر مدينة الفسطاط عاصمة للبلاد بدلا منها . ووصلت الى الحضيض فى زمن الحملة الفرنسية على مصر واكتشاف طريق الكاب ، إذ لم تعد الميناء الأوحد الذى يصل بين الغرب والشرق

ولكن ذلك المجد الذى كان للاسكندرية فى قديم العصور هل يزول هكذا ولا تقوم له قائمة . كلا . فلقد كان ذلك المجد التالد أكبر حافز لوالى مصر الكبير محمد على باشا للعمل على استعادة



بطارية رأس التين

صورة احدى بطاريات رأس التين بعد انتهاء الثورة العرابية . وقد تعطلت بقنابل الاسطول البريطانى وتهدم السور التى كانت ترتكز عليه المدافع

مجدها . فمضى يتعهدها بالاصلاح ، وأعاد ما تقوض من عمرانها ، وأصلح الميناء ، ووصل بينها وبين النيل بترعة المحمودية ، وأنشأ مناراً برأس التين حيث يقوم قصره

وفى عهد محمد سعيد باشا سنة ١٨٥٤ اتصلت الاسكندرية بالقاهرة بخط حديدى ، ثم أصلح ميناؤها فى عهد اسماعيل باشا عام ١٨٦١ ، فازدهرت المدينة واستعادت مكانتها الأولى ، وعادت اليها الحركة التجارية

ولكن لم تأت سنة ١٨٨٢ حتى كانت الثورة العرابية ـ وكانت الاسكندرية فى ذلك الحين تابعة لحكومة الباب العالى مباشرة ، وكانت محكمة التحصين ومجهزة بالمدافع ـ فغدت هدفا لمدافع الاسطول البريطانى فى ١١ مايو سنة ١٨٨٢

وأعيد تشييد الاسكندرية وتجديدها بعد ذلك . بجهود مجلس بلديتها الحالى الذى تأسس بأمر عال صدر فى ٥ يناير سنة ١٨٩٠ فى عهد الخديو توفيق . وقد احتفل فى منتصف الشهر الماضى بمرور خمسين سنة على تأسيسه

وقد نشرنا على هذه الصفحات بعض الصور التى تمثل الاسكندرية من خمسين سنة

طائرات الاستكشاف

كيف تصور من الجو؟

لعل أعمال الاستكشاف التى تقوم بها الطائرات الخاصة بذلك ، هى أهم الاعمال التى تسبق تحرك القوات عادة . فعلى ضوء ما تسفر عنه أعمالها من كشف حركات القوات المعادية ومكامنها ومواطن الضعف فيها ، ومواقع مطاراته ومرافقه العامة ، تضع القيادة خططها الحربية ، فتتحرك بمقتضاها الوحدات الحربية المختلفة فتطير قاذفات القنابل الى أهدافها فتلقى قنابلها ، وتسير القوات الميكانيكية فى طريقها المرسوم ، ومن خلفها الجنود بعتادها

والاستكشاف الجوى يتطلب من الطيار دربة فائقة وحنكة بالغة فى قيادة الطائرة فوق أهدافها على ارتفاع معين ومستوى مستقيم . لا يتغيران مهما أحدقت به الاخطار كذلك يجب أن يكون ملماً بكيفية استعمال آلة التصوير الجوى

وتحمل كل طائرة آلتين للتصوير ، احداهما عمودية تصور على ارتفاع الفى قدم ، والأخرى مائلة للتصوير على ارتفاع الف قدم أو أقل اذا اقتضت الضرورة ذلك

ويبذل الطيار جهده فى تجنب الاحتكاك بطائرات الأعداء . واذا هوجمت طيارته بنيران مدافع الأعداء المضادة ، فانه يظل يواصل عمله حتى يفوز بغرضه . أما اذا هاجمته طائرات الأعداء ، فانه يقابلها بنيران مدافع طائرته حتى ينجو من الخطر

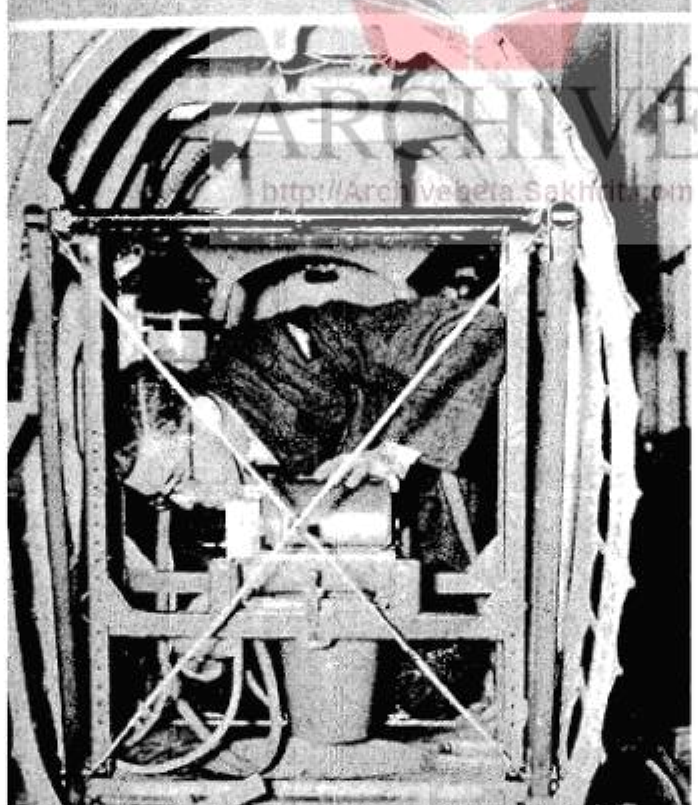
وفى الصور التالية شرح واف لكيفية تدريب الطيارين على تعلم التصوير الجوى فى مدارس التصوير الخاصة بذلك



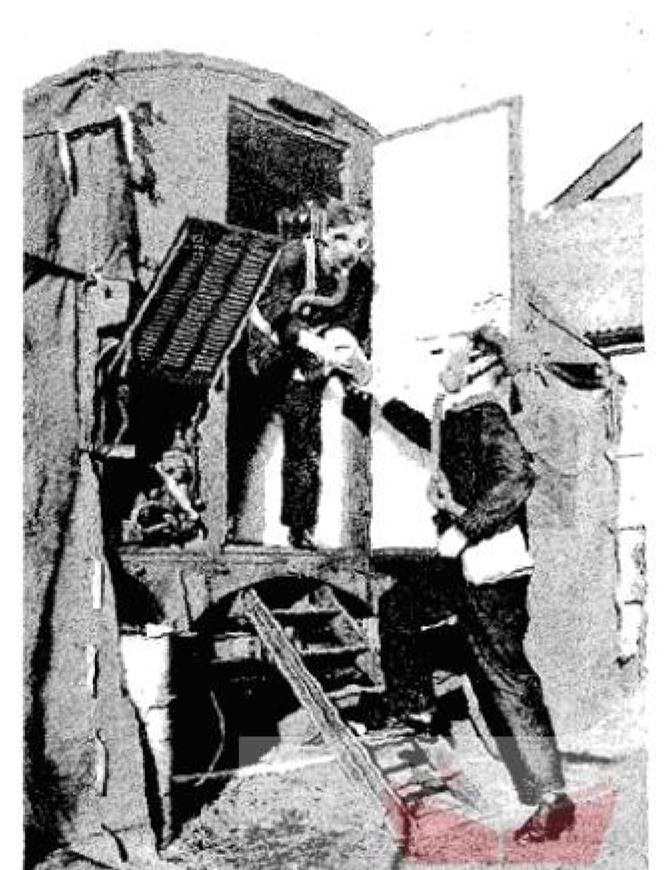
يتلقى الطيارون شئون التصوير فى مدارس خاصة بذلك فيبدأون بالتقاط الصور المثبتة على الجدران بآلات تصوير عادية مثبتة على حوامل حتى لا تهتز كما ترى فى هذه الصورة



بعد أن يجيد الطيار تصوير الصور المثبتة على حوامل يدرب على استعمال آلة التصوير وهو يمسكها بيديه جيداً حتى لا تهتز . وترى أحد الطيارين وقد ارتمى هيكلا نموذجياً لطيارة ، وأمسك آلة التصوير بكلتا يديه ، ومضى ينظر فى المرآة الصغيرة ليضبط المدسة على انعكاس الصورة المعكوسة فى المرآة



وبعد ذلك يتدرج الطيار حتى يتدرب على آلة التصوير الجوى . وترى أحد الطيارين يثبت آلة التصوير فى مكانها الخاص فى هيكل نموذجى لطائرة استكشاف . وهذه الآلة تعمل بطريقة أوتوماتيكية ، تحركها أسلاك ممتدة منها الى غرفة القيادة فيستطيع الطيار إدارتها فى الوقت المناسب



لا تكاد طائرة الاستكشاف تعود الى قاعدتها ، حتى يسلم الطيار الأفلام التى التقطها الى المختصين بالتحميض والطبع ، فيقومون بعملهم في عربات خاصة بذلك تسمى « الغرف السوداء » بها كل الأجهزة والأدوات الخاصة بالتحميض والطبع . ومن ثم تنتقل الصور الى خبراء يكونون منها صورة كبيرة أو خريطة ، ثم ترسل الى القيادة لدراستها . وترى فى الصورة الطيار يسلم لعامل « الغرفة السوداء » علبة بها الأفلام

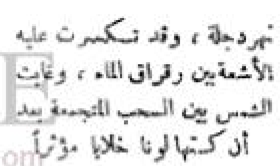
هؤلاء من طلبة مدرسة التصوير الجوى يصغون فى انتباه الى شرح المدرب وهو يبين لأحدهم كيفية استعمال آلة التصوير . وقد وقف الاثنان داخل هيكل نموذجى لطائرة ↓



الامين

كما وصفه المؤرخون

(اقرأ قصة : على نهر دجلة)


نهر دجلة ، وقد تكسرت عليه الأشعة بين رقراق الماء ، وغابت الشمس بين السحب المتجمعة بعد أن كستها لونا خلابا مؤثراً



من قصص الحرب

على نهر دجلة

بقلم الاستاذ طاهر الطناحى

وأدخل الخليفة أسيراً فى دار أبى صالح الكاتب . وقد نشر الظلام لواءه ، وفنى نور الشفق فناء الأمل فى نفس اليائس ، وادلهم الخطب ، وأمسى الأمين فى حصارين شديدين ، وبين كتيبتين عظيمتين : كتيبة الليل البهيم ، وكتيبة طاهر بن الحسين قائد المأمون . وارتعد من الجزع والبرد لغرقه غدراً فى مساء قارس ، ثم لاحاطة شياطين الجند به ، ودفعهم اليه كما يدفع المجرم الأثيم ، وهوخارج من مياه دجلة ناجياً بنفسه ، هارباً من هذا النهر الذى طالما جرى فى خدمته ، وتهادى على شواطىء ملكه ، وكان أوفى له من وزرائه وقواده ، وأحب اليه من عامة جنده ، فلما بلغ الشاطىء بين الناجين من الغرق شم منه جنود طاهر رائحة المسك ، فأمسكوا به قائلين :

— هذا المخلوع . . هذا المخلوع . .

فقال الأمين :

— ما أنا بالمخلوع . . انما أنا المخذول . . أنا المخذول من جندى وقوادى ، دعونى . . دعونى حتى أرتدى ثيابى ، فانى أستحى ان ألقى الناس . . !

فقالوا :

— انك لن تفلت اليوم منا . . !

فدفعهم الامين ، ودافعوه ، وكان قوى الجسم ، طويل القامة ، حلواً جميلا ، فتكاثروا عليه وشهروا فى وجهه السيوف ، وحملوه على جواد كما يحمل الاسير ، وانطلقوا به الى تلك الدار ، وزجوه فى حجرة ضيقة ، وهو يكاد يكون عريان لا يستره غير سراويل وعلى كتفيه خرق ممزقة وقد تلثم بعمامته ، ولم يكن هناك غير أحمد بن سلام جىء به مأسوراً حتى يفى بفديته فى الصباح . وبالحجرة حصير ووسادتان وسراج محتضر ضئيل يبعث الكآبة واليأس . وكان المكان ساكناً رهيباً ، والجند من ورائه واجمون متحفزون ، لا يسمع بينهم غير صلصلة السيوف ، وصهيل الخيل ، ولا شاغل لهم الا مصير هذا العاهل السجين

وأجلس الخليفة الأمين على حصير حقير ، وكان قبل ساعة يجلس على أريكة قصر الخلد على

ضفاف دجلة ، وعليه قلنسوة وثياب بيضاء ، وطيلسان أسود ، وبيده الخاتم والقضيب ، وحوله جواريه ، وغلمانه يحيطون به ، وكلهم يبذل له خدمته ، ويقدم اليه معونته

ومرت لحظات استعرض فيها كل ما مر به من جاه عريض ، وعيش باسم رغيد ، وملك واسع السلطان ، انتظم المشرق والمغرب ، من تخوم الصين ، الى أقاصى البحر الابيض ، وحوى من الولاة والقواد والجنود من يرهب بهم الملوك ، ويستذل بهم الأمراء والسلاطين لو انه جمع اليهم قوة العزيمة وسداد الرأى ، ودربة السياسة ، وأمانة الاصحاب والانصار

وكان أحمد بن سلام ينظر اليه فى هذه الحال مستعبراً ، ويتحدث فى نفسه مسترجعاً . ثم أفاق الامين من غشيته ، ونظر اليه وقال :

— أيهم أنت ؟

فقال أحمد :

— أنا مولاك يا سيدى . .

— وأى الموالى ؟ . .

— أنا أحمد بن سلام صاحب المظالم

— وأعرفك بغير هذا . . كنت تأتينى بالرّقة ، وكنت تلاطفنى كثيراً . لست مولاى ، بل أنت أخى . .

— بل أنا عبدك يا سيدى . .

— كلا ، كلا ، فقد زال عنى ما بعده الناس . . ! !

فقال أحمد :

— قبح الله الفضل بن الربيع ، فقد أوردك هذا المورد ، ثم فر كما تفر النعامة

فقال الأمين :

— وقبح الله الفضل بن سهل ، فقد أراد أخى على معاداتى ، وما كنت أريد به شراً حين دعوته ، وما رغبت فى قتله ، ولو كان حياً ما أراد قتلى

— أوليس المأمون حياً ؟ !

— بلى فقد سمعت انه مات . . !

فقال أحمد فى دهشة :

— وهذا القتال عمن إذن ؟ !

فقال الأمين فى ثقة وايمان :

— ليس عن أخى اذا كان حياً ، ولا عن أحد من آل العباس ، ولكنه عن إحنة بين العرب والفرس . كل يريد السيادة لجنسه ، والسلطان لبنى قومه ، وما أظن الفرس قد أيدوا أخى

إلا لأنهم أخواله ، ولأنهم يكرهون العرب ، أما أنا فهاشمي الأب والأم . وما أظن العرب كانوا يؤيدونني الا لذلك »

ثم ارتجف وتهالكت نفسه ، وقال :

— يا احمد ادن مني ، فاني أشعر بوحشة شديدة . ما تراهم يصنعون بي ، أتراهم يقتلونني ؟ !

وخلع أحمد بن سلام مبطنة كانت عليه والبسه إياها ، وضمه اليه ، فوجد قلبه يخفق خفقانا سريعاً . .

* * *

كان الربيع بن يونس والد الفضل بن الربيع وزيراً للمنصور ، ثم وزيراً للمهدى ، والهادى ، وكان رأس الحزب العربي في الدولة العباسية ضد الفرس . وقد توفى في زمن الهادى ، فلما تولى الخلافة هرون الرشيد ، واستوزر يحيى بن خالد البرمكى عظم ذلك على الفضل بن الربيع والحزب العربي . وكان الفضل يطمع أن يخلف أباه في الوزارة ، وان يكون سلطان الدولة بيد العرب لا بيد الفرس ، فسعى جاهداً حتى كان أعظم الهادمين لمجد البرامكة ، والدافعين الى نكبتهم ، واتخذه الرشيد وزيراً له بعد مقتل جعفر بن يحيى البرمكى

وكان الفضل بن سهل من مجوس خراسان ، وكان شجاعا هماماً ، فاختاره يحيى بن خالد البرمكى لخدمة المأمون وهو صبي فأسلم على يده ، وأنس فيه النجابة والذكاء ، فتوقع أن تؤول الخلافة اليه ، وأن يظفر عنده بالوزارة ، فلا يخرج سلطان الدولة من أيدى الفرس الى أيدى العرب ، وكذلك كانت سياسة الوزراء الفرس وأعوانهم في عهد العباسيين . فلما أخفقوا ، وحلت بهم نكبة البرامكة ، وانتصر الحزب العربي بزعامة الفضل بن الربيع أضمروا الحقد لخصومهم ، واعتزموا الثأر لأنفسهم

وكان المأمون من أم فارسية تدعى « مراجل » فكان الفرس أخواله . وكان الامين من زبيدة بنت أبي جعفر المنصور ، فهو هاشمي الأب والأم ، فتمثل في الأخوين الحزبان المتنافسان : الحزب العربي ، والحزب الفارسى ، فلما أراد الرشيد قبل وفاته البيعة لولى عهده من بعده نشط كل من الحزبين فكان الاول يؤيد الأمين ، والثاني يؤيد المأمون

وجلس الرشيد قبل وفاته بسنوات مشغول البال مهموم النفس ، ثم قال على بيحي بن خالد ، فما لبث أن جاء اليه ، فقال له :

— يا أبا الفضل ان رسول الله (ص) مات في غير وصية والاسلام جذع والايمان جديد ، وكلمة العرب مجتمعة ، قد أمنها الله تعالى بعد الخوف ، وأعزها بعد الذل ، فما لبث ان ارتد عامة العرب على أبي بكر . وكان من خبره ما قد علمت . وان أبا بكر صير الامر الى عمر ، فسلمت الامة له ورضيت بخلافته ، ثم سيرها عمر شورى ، فكان بعده ما بلغك من الفتن حتى صارت الى غير

أهلها ، وقد عنيت بتصحيح هذا العهد ، فان ملت الى عبد الله المأمون أسخطت بنى هاشم ، وان أفردت محمداً الأمين لم آمن تخليطه على الرعية »

وتشاور الخليفة ووزيره ملياً ، وتم رأيهما على أن تقسم الدولة الى قسمين : قسم يليه الأمين وهو العراق والشام وما بعدهما الى بلاد المغرب ، وقسم يليه المأمون وهو خراسان ، وسائر بلاد المشرق على أن تكون الخلافة للامين ، وكان القواد والجند فى ذلك الحين يعملون فى إطفاء الفتن فى خراسان تحت إمرة المامون ، فلما علمت أم جعفر زبيدة بهذا الاتفاق ، دخلت على الرشيد وقالت :

ـــ ما أنصفت ابنك محمداً حيث وليته العراق وأعريته من العدد والقواد ، وصيرت ذلك الى عبد الله المأمون

فقال الرشيد :

ـــ وما أنت وتمييز الأعمال وأخبار الرجال ، انى وليت ابنك السلم ، وعبد الله الحرب ، وصاحب الحرب أحوج الى الرجال من المسالم

وخرج الرشيد حاجاً قبل نكبة البرامكة بعام ، ومعه وليا عهده الامين والمأمون فكتب البيعة لهما بحضور الوزراء والقواد ، وحلف الأمين للرشيد على الوفاء بالعهد ، فلما أراد الخروج من الكعبة رده جعفر بن يحيى البرمكي ، وقال له :

ـــ فان غدرت بأخيك خذلك الله ؟

فقال الأمين :

ـــ نعم . خذلنى الله ان غدرت بأخى

فرده جعفر ثانياً ، وثالثاً . وفى كل مرة يجيبه بهذا الجواب

وأنبأ الفضل بن الربيع زبيدة بما فعل جعفر البرمكى ، فزاد من حقدها عليه . وأمر الرشيد بتعليق كتاب البيعة فى الكعبة ، فوقع الكتاب ، فتشاءم الحاضرون ، وقال أحدهم فى نفسه :

ـــ ان هذا الامر سريع انتقاضه . . ؟

***

وتوفى الرشيد بطوس ، والمأمون معسكر بمدينة مرو بخراسان ، والأمين يتولى العراق والشام . فأسرع الفضل بن الربيع بالعودة الى بغداد ، وحث القواد والجند على السير معه ، واللحاق بالامين ، ورغبهم ومناهم ، وأيقظ فى نفوسهم الحنان للاهل والاوطان ، فاستجابوا له ، ورحلوا معه ، وحملوا كل ماكان مع الرشيد من مال وعتاد

وبلغ المأمون موت أبيه ورجوع جيشه وقواده ، وأخذهم ما أوصى به الرشيد له ، وخشى

أن تذهب الولاية من يده بتحريض الفضل بن الربيع ، فجمع رجاله وشاورهم فى أمره . فقال الفضل بن سهل :

ـــ ما الذى يخشاه الامير ، وقد نزل فى أخواله ، وبيعته فى أعناقهم . اصبر فلسوف تكون لك الخلافة

وقال غيره من الحاضرين ما قاله الفضل ، فاطمئن ، واتخذه وزيراً ، وقال له :

ـــ قد صبرت ، وجعلت الامر اليك فقم به

نهض الفضل بن سهل بأمر المأمون ، وجعل يستميل اليه الناس ، ويصرفهم عن الأمين حتى اشتدت العداوة بين الأخوين وقطعت الدروب بين بغداد وخراسان ، ومنع المأمون ذكر اسم الأمين فى الخطب ، وقبض على ولاته وعماله ، وولى غيرهم من رجاله . فلما بلغ الأمين ما فعله أخوه بعث يستدعيه بكتاب ، فاعتذر ، فبعث اليه مرة أخرى يستحلفه بالرحم ، ويستأمنه ، وكاد يعود الى بغداد لولا أن الفضل بن سهل أغراه بالامتناع ، وحذره من السفر ، فرفض اطاعة الخليفة ، فأشار الفضل بن الربيع على الأمين بخلعه من ولاية العهد واسنادها الى ابنه موسى ، وزين له محاربته وأسره ، فانه ان بقى بخراسان اشتدت شوكته ، وعظم خطره ، وازداد سلطانه

***

وجهز الأمين جيشاً لمحاربة أخيه المأمون وحمله الى بغداد بقيادة على بن عيسى بن ماهان ، وكان من خيرة القواد ، فخرج فى خمسين ألفاً كاملة العدة ، وركب معه الأمين مودعاً الى ظاهر المدينة ، ومر الجيش بباب زبيدة ، فخرجت اليه ، واستدعت قائده ، وقالت له :

ـــ يا على ان أمير المؤمنين الأمين ، وان كان ولدى واليه انتهت شفقتى ، فانى على عبد الله المأمون لمنعطفة مشفقة ، فاعرف له حقه ، ولا تجبهه بالكلام فانك لست نظيراً له ، ولاتوهنه بقيد أو غل ، ولا تمنع عنه جارية أو خادما ، ولا تساوه فى المسير ، ولا تركب قبله ، وخذ بركابه اذا ركب ، وان شتمك فاحتمل . .

ثم دفعت اليه قيداً من فضة ، وقالت :

ـــ اذا صار اليك فقيده بهذا القيد . . .

فقال لها : « سأفعل » . وكان الناس يجزمون بنصرة على بن عيسى لشجاعته ومقدرته

وسار الجيش من بغداد فى موكب حربى رهيب ، حتى وصل الى « الرى » وكان طاهر بن الحسين معسكراً بها فى أربعة آلاف . ودارت رحى الحرب بين الفريقين ، فاستمال طاهر جند على وقواده بالعطايا والأموال ودس فيهم من حرض بعضهم على الانضمام اليه ، فانهزم على بن عيسى هزيمة منكرة وقتل فى الموقعة ، وتشتت شمل رجاله ، وأخذت رأسه الى طاهر ، فكتب الى الفضل بن سهل وزير المأمون يقول :

« كتابي الى أمير المؤمنين ، ورأس علي بين يدي ، وخاتمه في اصبعي ، وجنده متصرفون تحت أمري . والسلام »

فدخل الفضل على المأمون وهنأه بالنصر ، وهرع الناس اليه يسلمون عليه ويهنئونه بالخلافة ، وطاف جند المأمون برأس على بن عيسى في خراسان

وبلغت الهزيمة الأمين ، فاغتم ، وأحضر الفضل بن الربيع ، واستشاره ، فأشار عليه بمصادرة أملاك المأمون ، فأحضر وكيله نوفل الخادم ، وقبض ما بيده من ضياع المأمون وغلاته وأمواله . ثم تتابعت الحروب بين الأخوين واشتدت الوقائع بين الفريقين ، فظهر المأمون على الأمين ، وتكررت هزائمه ، وتعدد خروج الولاة عليه ، ونكوص القواد عن طاعته ، وانضمام الجند الى أعدائه . وكان طاهر بن الحسين قوى العزيمة ، بارع الحيلة ، عظيم الدهاء ، فاستعان بالدسائس والمال على الفوز في ميادين القتال ، حتى دانت له البلاد ، وحصر الخليفة في بغداد

***

تحصن الأمين بمن معه من فلول جيشه بالمدينة ، وحاصره طاهر بن الحسين ، وهرثمة بن أعين حصاراً شديداً لقي منه البغداديون عنتاً وجوعاً مميتاً ، ففت في عضدهم ، وتمنوا الخلاص من بلائهم ، فانضموا الى أصحاب طاهر ، فزاد ذلك من ضعف الأمين ، وانصراف القواد والجند عنه . ودخل طاهر وهرثمة المدينة ، واستوليا عليها ، وتحصن الأمين بقصره ، وبقي به محصوراً ثلاثة أيام . ودخل عليه حاتم بن الصقر ، ومحمد بن ابراهيم ، وبعض رجاله ، فقال لهم الأمين :

— أهكذا تخذلونني أيها القواد وتتلكؤون في طاعتي انتظاراً لما تصيبون من خير ، فالحمد لله الذي يرفع ويضع ، ويعطي ويمنع ، واليه المصير . أحمده على نوائب الزمان ، وخذلان الاعوان ، وتشتت الرجال ، وذهاب الأموال . . .

فقال حاتم :

— قد آلت حالك وحالنا الى ما ترى . وقد رأينا رأياً نعرضه عليك

فقال الأمين :

— أللرأي مجال في هذه الحال ، وليس لنا عدة ولا مال ، وقد أحيط بنا من كل جانب ! !

— نعم . لقد آلت حالك وحالنا الى ما ترى ، ولكننا نرجو أن يكون الرأي الأخير الذي نعرضه عليك صواباً ، ويجعل الله فيه الخيرة

— وما هو ؟

— لقد بقي من خيلك معك ألف فرس من جيادها ، فنرى أن نختار ممن عرفناه بمحبتك سبعمائة رجل ، فتحملهم على هذه الخيل ، وتخرج ليلا من باب من هذه الابواب ، فان الليل لأهله ، ولن يثبت لنا أحد إن شاء الله

ـــ والى أين نسير ؟

ـــ الى الجزيرة والشام ، فتفرض الفروض ، وتجبى الخراج ، وتصير فى مملكة واسعة وملك جديد ، فيسارع اليك الناس ، وينقطع عن طلبك الجنود

ـــ نعم الرأى ما رأيتم . . .

واتصل الخبر بطاهر بن الحسين ، فكتب الى سليمان بن أبي جعفر ، والى محمد بن عيسى بن نهيك ، والى السندى بن شاهك . وهم من أصحاب الأمين :

« والله لئن لم تردوه عن هذ الرأى ، لا تركت لكم ضيعة الا قبضتها ، ولا تكون لى همة الا أنفسكم »

فاجتمع الرجال الثلاثة ، وتشاوروا فيما بينهم ، ووازنوا بين مايصيبون وما يخسرون فى وقت ليس لهم فيه عند الخليفة التعس مطمع ، ثم دخلوا على الأمين ، فقالوا :

ـــ قد بلغنا الذى عزمت عليه ، فنحن نذكرك الله فى نفسك . ان هؤلاء صعاليك ، وقد بلغ الأمر الى ما ترى من الحصار ، وضاق عليهم المذهب ، وهم يرون أن لا أمان لهم عند أخيك . ولسنا نأمن اذا برزوا بك ، وحصلت فى أيديهم ، أن يأخذوك أسيراً ، ويقتلوك ، ويتقربوا برأسك الى عدوك

فأجابهم الأمين :

ـــ نعم الرأى ما رأيتم .!

فقالوا :

ـــ وانما غايتك اليوم السلامة واللهو ، وطاهر يتركك حيث أحببت ، فاخرج اليوم ، واعطه الخاتم والبردة والقضيب

قال الأمين :

ـــ ويحكم أنا أكره ابن الحسين ، فانى رأيت فى منامى كأنى قائم على حائط شاهق عريض الاساس ، وعلى سوادى ومنطقتى وسيفى وقلنسوتى . وكان طاهر فى أصل ذلك الحائط فما زال يضربه حتى سقط ، وسقطت قلنسوتى . فان كان لابد من الخروج ، فالى هرثمة ، فهو مولانا وهو بمنزلة الوالد ، وأنا به أشد أنساً ، وأقوى ثقة

قال السندى بن شاهك :

ـــ صدقت يا أمير المؤمنين ، فبادر بنا الى هرثمة ، فانه يرى أن لا سبيل عليك اذا خرجت اليه . وقد ضمن لى انه مقاتل دونك ان هم أحد بقتلك

واتفق الجمعان على خروج الأمين ليلا من قصره فيعبر دجلة مع هرثمة وأصحابه فى«حراقة» الى منزل ببستان موسى حيث يخلع الأمين بردة الخلافة ويسلمها هرثمة مع الخاتم والقضيب

وعلم طاهر بن الحسين بما دبره هرثمة ، فاشتد عليه ألا يكون الفتح بيده ، واعتزم أن يمنع الامين من تنفيذ هذا الاتفاق . وأكمن له حول قصر الخلد ، وقصر أم جعفر ، وعلى شاطئ دجلة ، كناه من جنوده يحملون السيوف والنشاب

وتهيأ الأمين للخروج ليلة الاحد السادس من صفر سنة ١٩٨ وجاءه بعض الخدم فأخبره بما دبره طاهر حول نهر دجلة ، ونصحه بتأجيل ما اعتزم عليه ، فأبى وقلق قلقا شديداً ، ولكنه فضل الخروج ، ولبس ثياب الخلافة ، ونزل الى صحن القصر ، فجلس على أريكة ، وأحضر ابنيه القاسم ، وعبد الله ، فقبلهما ، وقال :

— أستودعكما الله ، فلست أدرى ألتقي بكما ، أم لا ، الله خليفتي عليكما . .

وبكى ، وبكى الطفلان ، وبكت أم جعفر ، وبكت زوجته لبابة وجواريه

ثم نهض الى فرسه الزهرى ، فامتطى صهوته ، وخرج معه غلاماه عيسى الجلودى ، وابنه محمد ، على جوادين يحرسانه ، وأمامهم رجل يحمل مصباحاً واحداً ، وساروا حتى أتوا الى باب خراسان ، ففتح . فدخلوا منه الى المشرعة بشاطىء دجلة ، فاذا حراقة هرثمة ، فنزل اليها الأمين ومن معه ، وقام هرثمة وأصحابه وفيهم احمد بن سلام صاحب المظالم ، فقال هرثمة : « يا سيدى ، وابن سيدى » . وعانقه وقبله بين عينيه . ثم جعل الأمين يتصفح وجوه الحاضرين

وأمر هرثمة بالحراقة أن تدفع ، فسارت على نهر دجلة ، والظلام حالك رهيب ، والقلوب واجفة ، والنفوس مشفقة ، وعيون جند طاهر ترقبها كما يرقب الوحش فريسته ، والصائد صيده ، وقد تحفزوا للغدر بالعابرين

وانهم في وسط النهر اذا بالجند يخرجون الى الحراقة فى الزوارق من كل جانب خروج الشياطين فبعضهم يتعلق بها يحاول اغراقها ، وبعضهم يرميها بالسهام والآجر وبعضهم يطعنها بالرماح حتى نقبت ، وانكفأت بمن فيها ، فمزق الامين ثيابه وسبح فى الماء وسبح هرثمة وأحمد بن سلام ومن معهم ، وقبض بعض الجند على أحمد ، فافتدى نفسه بعشرة آلاف درهم ، يدفعها فى الصباح : فاقتادوه الى دار أبى صالح الكاتب وسجنوه حتى يدفع فديته

وخرج الأمين من الماء مبعثراً منهوكا يكاد يكون عريان لا يستره غير سراويل ، وخرق ممزقة ، ورائحة المسك تفوح من جسمه ، فعرفه جند طاهر فأمسكوا به قائلين :

— هذا المخلوع . . هذا المخلوع . . .

. . . . وحملوه على جواد كما يحمل الاسير ، وانطلقوا به الى دار أبى صالح . . . . والتقى بأحمد بن سلام ، فقضى معه آخر ساعاته فى هول وأسر شديد ضربه عليه صعاليك الجند ، وساقه اليه خذلان القواد والاعوان

وارتجف الامين وقال : « يا أحمد أدن منى ، فانى أشعر بوحشة شديدة . . ما تراهم يصنعون بى . أتراهم يقتلوننى ؟ ! » . . .

وخفق قلبه خفقاناً سريعاً ، ومرت ساعة من الليل على هذه الحال لقى فيها الامين ما أنساه أبهة الملك ، وعز الجاه ، ومتعة السلطان . وانه لكذلك اذ دق باب الدار ، ففتح ، ودخل رجل عليه سلاح ، فنظر فى وجه الامين نظرة فاحصة . ثم عاد

وكان منتصف الليل فاذا حركة وقوم يدقون الباب ، ففتح لهم فدخلوا وبأيديهم سيوف مسلولة وقؤوس مسنونة ، فجزع السجينان ، واختبأ أحمد بن سلام خلف الحصير ، وأخذ الامين وسادة يحتمى بها ، وهو يقول :

— ويحكم . . ويحكم . . أنا ابن عم رسول الله . . أنا ابن هرون الرشيد . . أنا أخو المأمون . . الله الله فى دمى . . . !

فأحجموا قليلا ، وجعل بعضهم يقول لبعض تقدم ، ويدفع بعضهم بعضاً . ثم تقدم «خمارويه» مولى قريش الدندانى ، فضربه بالسيف ضربة وقعت فى مقدم رأسه ، فصاح الأمين : « آه . . ويلك . . » وضربه بالوسادة التى بيده ، واتكأ عليه ليأخذ سيفه ، فصاح خمارويه :

— قتلنى المخلوع . . قتلنى . . .

فاجتمعوا عليه وعاجلوه بالسيوف والقؤوس ضرباً وطعناً ، ثم ذبحوه . . . !

* * *

فاضت نفس أمير المؤمنين على هذه الصورة الشنعاء ، وذبحه صعاليك الجنود كما تذبح الشاة ، ثم فصلوا رأسه ، وحملوها الى ابن الحسين ، فنصبها على باب الانبار ، وخرج الناس أفواجاً ينظرون !

وبعث ابن الحسين برأس الامين مع البردة والخاتم والقضيب الى الفضل بن سهل ، فدخل على المأمون يحمل الرأس على ترس ، فلما رآها اشتد عليه وبكى ، فقال الفضل :

— الحمد لله يا أمير المؤمنين على هذه النعمة الجليلة . . ! !

فقال المأمون :

— أو تظنها نعمة جليلة . . ان الأمين أخى ، وابن هرون الرشيد . . .

فقال الفضل :

— أو لم يتمن يا مولاى أن يراك بحيث تراه الآن ؟ وأن يظفر دونك بما ظفرت به ؟ ! .

فسكت المأمون ، وبعث بالرأس الى بغداد حيث دفنت مع جثة الامين . وما لبث أن سلا وتعزى بما آل اليه من ملك وسلطان . والملك عقيم لا يعرف أخاً ولا ابناً ولا رحما

طاهر الطناحى

ممثلون وممثلات

يجب أن نصدق أنفسنا

بقلم الآنسة سهير القلماوي

« أصدق نفسك ، وسيكون بعد ذلك كما يكون الليل بعد النهار . انك لن تستطيع أن تكذب انسانا »

شكسبير

كنت فى الخامسة عشرة من عمرى يوم قرأت مسرحية شاكسبير « هملت » ويوم حفظت عن ظهر قلب وصايا « بولونيوس » لولده « ليرتيز » التى منها :

« وهذا فوق كل شيء أصدق نفسك وسيكون بعد ذلك كما يكون الليل بعد النهار انك لن تستطيع أن تكذب انسانا »

فهمت اذ ذاك معنى هذه الأبيات ولكنى لم أقدرها حق قدرها . واذا السنون تمر واذا بي أرى مختلف الاوساط والناس واذا بي أحس انى أشاهد خشبة مسرح زاخرة بالممثلين والممثلات فى مصر التى تشكو فيها الحركة المسرحية الفقر الى العاملين فأكاد أصرخ ملء صوتى لمن حولى ولكل من يمكن أن يسمع قولى : « اصدقوا أنفسكم »

عرفتها فتاة قد حباها الله قسطا لا بأس به من كل ما تتوق اليه فتاة : خلق طيب وأصل كريم وعلم يرفعها عمن حولها ومال يزيد عن حاجتها وجمال متوسط ولكنها مع ذلك لا ترضى عن نفسها كما هى . ويا ليت عدم الرضى يأتيها من طموح . لا انه فرار من الواقع تحت تأثير أفكار سخيفة طائشة . انها تريد أن تكون فى أعين الناس ، ولعلها ظنت انها بهذا يمكن أن تخدع نفسها ، شيئا آخر حسبته خيرا منها . انها تريد أن تترك أثرا فى نفس كل متربص عليها . لذلك هى تتكلف ، ويا شر ما تتكلف أحيانا ، لترضى الناس ولتفوز بالاثر المرغوب . هى تريد أن ينظر الناس اليها على أنها أجمل من خلق برغم ما فى جمالها من نقص

وهى تريد أن تكون أغنى من وجد برغم ما فى ميزان الغنى من تفاوت ودرجات وهى تريد أن تكون أكرم من كان دون أن يكلفها ذلك ثمنه وهى تريد وهى تريد الى آخر ما يصور لها خيالها الهزيل من آمال . ولو ظهرت على حقيقتها لرضيت عن نفسها ولم

تكلفها ما لا طاقة لها به ، ولقدر الناس ما فيها من مزايا صادقة مقدرين ان المخلوق لا يكمل مهما قرب من الكمال • فان لم يقدر الناس ذلك فما ضرها أهى أجيرة عندهم ؟ • أفى عدم التفاتهم اليها وتقديرهم لها فوات نعيشها ؟ وما دامت لا تعمل الا بوحى من الشرف والفضيلة فما رضى الناس ، وماذا لو لم يلتفتوا اليها • أفليس فى نفسها ما يغنيها عنهم ؟

لم أرها مرة الا خرجت من فمى بالرغم منى هذه الكلمة « ممثلة » • نعم انها تريد أن تحدث أثرا فى نفوس الناظرين كما تسعى الممثلة الى احداثه ، ولكنها للاسف تؤدى رسالة الكذب والرياء والممثلة تؤدى رسالة الفن

وأمثال هذه كثيرات وكثيرون • فتلك تريد أن تظهر بالغنى الذى لم نسمع به ، فانظر كم يكلفها هذا من كذب ورياء ومال وارتباك وهى أخيرا فاقدة هدفها الذى من أجله سعت وتلك التى تريد أن تظهر بالخلق الطيب،وقد تكون فى الواقع طيبة الخلق لواستطاعت أن تنزع من نفسها تلك الحساسية الزائدة لما يدور بخلد الناس عنها فتتكلف الحديث الطويل عن كريم الاخلاق وعن استنباط المواعظ من أتفه التافهات ، والخلق الطيب محكمة الاعمال وأما الاقوال فما أقدر الناس عليها مهما عجزوا

أيكون هذا العيب منتشرا فى النساء دون الرجال • كلا انه عند الرجال أكثر وان اختلفت مظاهره • كم منهم يمثل دور الاخلاص وكأبرع ما يمثله نابغة على خشبة المسرح يوم تجليه • كم منهم يخلصون للاصدقاء والرؤساء والزملاء ، فاذا تغير الصديق أو الزميل أو الرئيس لم يتغير شىء بالنسبة اليه فيستمر فى اتقان دوره للكل وعلى حساب الكل • وهل يتغير دور الممثل اذا مرض الممثل الذى أمامه وحل محله غيره

كم منهم يمثلون دور النزاهة وكريم الاخلاق ، كم منهم يمثلون دور الزهادة والبعد عن الماديات ، كم منهم يمثلون القدرة على عظائم الاعمال والتفقه فى أصعب العلوم ؟

وأعجب من هذا أن يسعوا الى أن يثيروا صورهم فى نفوس الناس بشتى الوسائل والطرق فينتحلوا شخصيات ، فهذا مثلا عدو جنس ، وذاك صديقه ، وهذا نصير العروبة وذاك عدو الديمقراطية ، وذاك صديق الفلاح ، وهذا نصير العمال ، وذاك مبعوث الفن وهذا وذاك الى ما شئت من طائفة الممثلين الذين يعيشون بين ظهرانينا يتقنون أدوارهم وينتظرون رضى الناس ، أو سخط البعض ليرضى الاكثرون

لست أنكر ما يجب لرأى الناس من أثر فى حياتنا ولكن هذا فى المسائل العامة التى لا يمكن أن يغفل عنها كل محب للفضيلة غيور على الاخلاق • ولكن ما لى وللسعى وراء رضى الناس وما لى وللتكلف فى سبيله ما دمت لم أعمل ما يستوجب سخطهم أو كرههم فما تناسى شخصيتى وما اندفاعى وتضحيتى فى سبيل أن يتحدث عنى الناس ويرضى الاكثرون

هؤلاء الممثلون والممثلات لاشخصية قوية لهم هم كالزجاج يعكس ذوق الناس ورضاهم

كما يعكس الزجاج ما أمامه من ألوان وأضواء وهم متقلبون لا يثبتون بحكم تقلب مزاج الناس فلا يثبتون على شيء أكثر من انهم زجاج قابل لان يعكس الاضواء والالوان

ويا ليت هذا المرض فى مصر فى الافراد فقط انه فى الجماعات أيضا . أنظر الى تلك الجماعة التى تكونت لعمل جليل أول ما تفكر فيه بناء ضخم ليبرز فى أعين الناس ولو جارت ميزانية هذا البناء على ميزانية العمل كله واسم الجماعة تعقد له جلسات لا لفن الانتقاء ، ولكن لاختيار أكثر الاسماء صدى ورنينا فى آذان الناس . ثم لا بد من عظيم أو عظيمين ليشرفوا الجماعة فى نظر الناس ولو لم يعرفوا عن الجماعة أكثر من اسمها . ثم ماذا ثم حفلة ضخمة فخمة لجمع المال بدل البدء بالضئيل الموجود أو للاعلان بدل أن يعلن العمل عن نفسه والواقع ان الحفلة أقيمت لتكون حديث الناس . وأخيرا . نسأل عن العمل نفسه فيكون أصدق جواب ما ضره لو لم يتم أسيحس به الناس

خبرنى أليس كل هذا تمثيل فى تمثيل ولو صدقت الجماعة نفسها وعرفت قدر شأنها أولم تكن تجتمع فى أى مكان ولو فى بيت أحد الاعضاء أو لم تكن تبدأ أول ماتبدأ بالعمل ثم لا تضم عظيما الا اذا ساهم بماله وجهده كما يساهم سائر الاعضاء ولا ترضى أو تحفل بالناس الا اذا عاونها الناس بالعمل والمال

لو صدق هؤلاء أنفسهم وأرادوا اشباع ميلهم الغريزى فى احداث الاثر ألم يكونوا مترفعين عن احداث هذه الآثار الوقتية التافهة ، وأى شيء لا يحدث فى الناس وفى مصر خاصة أثرا . ان الاثر الذى يدوم والذى يحدث فى نفوس من لهم قيمة فى الحياة لا يمكن أن يكون بالتمثيل والادعاء . ان الفقاقيع سريعة التكوين سريعة التلاشى ولكن الاحجار الباقية على مراكز من لا يمكن الا ان تتكون بمر السنين وتوالى الجهد وبذل التضحيات

« هذا فوق كل شيء اصدق نفسك وسيكون بعد ذلك كما يكون الليل بعد النهار انك لن تستطيع أن تكذب انسانا »

سهير القلماوى

لا يخدعنكَ داعٍ قام فى ملأ بخطبةٍ زان مبناها وطوّلها

فما العظاتُ وإن راعتْ سوى حيلٍ من ذى مقالٍ على ناسٍ فحوّلها

أبو العلاء المعرى

الحرب والمنطق

للكاتب الروسى اركادى آورشنكو

ذات يوم دخل وزارة الحربية باحدى الدول رجل بادى المكر والدهاء وقال لمن لقيه من الحجاب :

ـ خذنى الى أحد هنا يدرك الامور ، فان لدى أمرا هاما أفضى به

ـ يدرك الامور ؟

ـ أجل . بشأن الطيران ، فان معى اختراعا أرغب فى بيعه . وهو اختراع قمين بأن يحدث ثورة فى أساليب القتال وفنون الحرب . والدولة التى تملكه تضمن لنفسها الغلبة على أى عدو

وقد قوبل هذا النبأ بالترحاب، واقتيد الرجل الى قائد وقور . وسر هذا القائد بالاختراع ودعا صاحبه الى الجلوس فى مقعد وثير قائلا :

ـ حسنا يا سيدى وما هو كنه اختراعك ؟

ـ لقد اخترعت نوعا من المدرعات الجوية يستطيع أن يمكث فى الجو أسبوعا كاملا مقلا فرقة من الجند دون أن يؤثر فيه الجو مهما يسوء . وقد حسبت ان مثل هذا الاختراع مما قد يهمكم

ثم عرض المخترع رزمة من الاوراق والرسوم ونشرها على المنضدة ففحصها القائد بعين خبير مدرب وقال :

ـ يبدو لى انك على حق فى هذا الاختراع ، ما الثمن الذى تطلبه له ؟

ـ مليون

ـ حسنا . هاك اذنا على الخزانة بمليون . وشكرا لك . وكلما اخترعت شيئا مفيدا تريد بيعه فما عليك الا أن تأتى لمقابلتى

فقال الزائر :

ـ بل عندى الآن اختراع آخر يثير دهشتك

ـ وما هو ؟

ـ لقد اخترعت مدفعا يقدر أن يحطم المدرعة الجوية ـ التى بعتك الآن سرها ـ فى

ثانية واحدة بحيث يهبط بها الى الارض وهى حطام منثورة • أجل ان المدرعة لا قوة لها حيال هذا المدفع

فقطب القائد ، وقال :

ـ صحيح ؟ لست أدرك ما تعنى تماما • أتعنى انك أولا اخترعت مدرعة جوية صالحة لكى تحطمها فى لحظة بمدفعك المزعوم ؟ ألا تستحيى من نفسك ؟

ـ ولماذا أستحيى؟انك لا تنكر ان فنون الحرب فى تغير مستمر ، وان أية دولة لاتستطيع أن تتأخر عن غيرها فى هذا المضمار وتتعرض للهزيمة • ان مدرعتى الجوية سلاح رهيب بلا ريب ، فكان لا بد من مقابلته بسلاح آخر

فأجاب القائد متضجرا :

ـ أجل • هذا صحيح من الوجهة النظرية • ولكن كونك تخترع المدرعة الجوية ثم السلاح المضاد لها هو ما لا أفهمه ، لو أن أحدا سواك جاءنى باختراع المدفع المضاد ••!

ـ ما أعجب ما تقول ! أى فرق بين الحالين ؟ لقد كان باستطاعتى بعد أن بعتك اختراع المدرعة الجوية أن أخرج من لدنك فأزيل شاربى وأغير بذلتى وأتقن التنكر ثم أعود اليك من باب آخر باختراع جديد ، فتحسب انك لم ترنى قط •

وعندئذ شعر القائد بأنه قال شيئا يدل على حماقة ، فخجل من نفسه وقال :

ـ فليكن •• لا خيار أمامى الا أن أشترى اختراع المدفع كيلا تبيعه الى دولة أخرى • ما ثمنه ؟

ـ مليون

فوقع القائد اذنا آخر على الخزانة بمليون ، وربت على كتف المخترع وهو يقول له :

ـ حقا انك لشاب ماهر

ـ انى آخر من يكذبك

ـ لم تخترع مدرعة جوية فحسب ••• بل اخترعت كذلك مدفعا لاسقاطها

ـ انك تثير الغرور فى نفسى ••• وعلى أى حال ، هناك ترياق لكل سم

ـ على حسب ما أستنتجه من رسومك •••

ـ أجل • ان هذا المدفع سلاح رهيب • ومع هذا

وهنا عاد المخترع الى الجلوس وقال للقائد :

ـ ومع هذا عندى سر أفضى به اليك : لقد اخترعت غلافا اذا أحيط به سطح السفينة الجوية لم يعد المدفع المضاد لها قادرا على احداث خدش بها

فبان الغضب على القائد وقال :

ـ أتريد أن تردنى الى الجنون ؟ ان مسلكك معنا مسلك دنىء •• مناف للشرف

فقطب المخترع وقال :

لا حق لك في اتهامي بقلة الشرف • فان مسلكي لا غبار عليه • انك لا تنكر ان اختراع المدرعة الجوية لا عيب فيه ، بل هو اختراع من الطراز الاول • كذلك المدفع المضاد للمدرعة الجوية ، هو اية من آيات الحرب والقتال • فهل خدعتك في شيء أو كذبتك القول ؟

ـ كان جديرا بك أن تعرض على الغلاف المدرع بداءة

ـ معذرة • ان فنون الحرب لا تتقدم الا تدريجا وبطريقة عضوية • فهي لا تسع لقفزة كالتي تقترحها

وسكت الاثنان برهة كان فيها القائد مستغرقا في التفكير حائرا ، بينما الثاني يلوك سيجارة في فمه

وهم القائد بأن يذكر مرة أخرى انه كان يؤثر لو أن مخترعا آخر عرض عليه الغلاف المدرع للسفينة الجوية ، ولكنه خاف أن يرد الزائر بفكرة التنكر وازالة الشارب • ولذا قنع بسؤاله :

ـ وكم ثمن الغلاف المدرع ؟

ـ مليون

ـ ألا تقنع بنصف مليون ثمنا لهذا الاختراع ؟

ـ انى أستطيع أن أحصل على مليونين ثمنا له اذا بعته الى دولة أخرى

ـ حسنا • خذ هذا المليون الثالث • انك توشك أن تخرب خزانة الدولة

تناول المخترع هذا الاذن وضمه الى سابقيه في جيبه ، وحيا القائد مودعا ، وخطا خطوة صوب الباب • فقال له القائد :

ـ أواثق أنت من ان الغلاف المدرع يقاوم كل نوع من المدافع ؟

ـ طبعا بشرط أن لا يخترع أحد مدفعا من نوع جديد وقوة استثنائية يستطيع أن يخترق أى درع مصفح

أتعتقد ان اختراع مثل هذا المدفع ليس في الامكان ؟

ـ بل لقد اخترع بالفعل

ـ من الذى اخترعه ؟

ـ أنا ؟

ـ يا لك من شيطان ! لماذا لم تنبئني بذلك من قبل ؟

ـ ماذا تعني ؟ هأنذا أخبرك ان هذا النوع من المدافع قد اخترع فعلا

فهز القائد رأسه مغتاظا وقال :

ـ فهمت ••• والآن ستعرض علينا شراء هذا الاختراع ، حتى اذا اشتريناه قلت لنا انك اخترعت نوعا آخر من الدرع المصفح • أليس كذلك ؟

ـ حقا •• كذلك ••

ـ ومتى سلبتنا مليونا آخر تعرض علينا مدفعا آخر اخترعته ثم درعا من نوع جديد
ـ بالطبع
فصاح به القائد قائلا :
ـ اذهب الى الجحيم . لقد خدعتنا . انك لص . انك تستنزف الدماء . خبرنى مااسمك حتى نلعنك ليل نهار
فوقف الزائر وقدغاضت ابتسامة السخرية من ثغره وصارت شفتاه ترتعشان من الغضب، وقال للقائد :
ـ سبنى كما يحلو لك ، فان ذلك لن يزيدك حكمة ، ولن يزيدنى حمقا . انى لن أذكر لك اسمى . ولو انك كنت أكثر فطنة لادركت انى « المنطق » مجسما . أجل أنا العقل السليم والتفكير المتزن . وأنت تعوزك هذه الصفة ، ولذا لا تدرك انه سواء على بلادك أن تخرب نفسها بالاسلحة فى عشر سنين أو عشر دقائق . ان المنطق البشرى قد تحدث اليك ولكنك تطرده . ولكن هذا ليس من شأنى . فلكل انسان أن يركب رأسه ويضر نفسه اذا شاء . ولكنك لم تؤت من الذكاء ما يكفى لان تهدم نفسك دفعة واحدة . وداعا
وخرج الزائر من وزارة الحربية فى بلد لا يعرف له اسم ولا مكان

(عن مجلة بكتشر بوست)

من أشعار السودان

مسافر

للاستاذ محمد حسنى العامرى

دع السكون الى الأوطان والكسل ... ومتع النفس بالأسفار والعمل
سافر وجدّ تجد عزاً ومكرمة ... فى كل ناحيــة كالسادة الأول
ترى الأوائل جابوا الأرض قاطبة ... بحراً مع الريح أو براً مع الابل
ولم تكن سبل الأسفار دانيــة ... ولا البخار جرى فى البحر والجبل
فمـالنا قد قبعنا فى منازلنا ... ولا نفر من الأزمات والعلل

الهلال

للشيخ عبد الله البنا

ياذا الهلال عن الدنيا أو الدين ... حدث ، فان حديثاً منك يشفينى
طلعت كالنون لا تنفك فى صغر ... طفلا ، وانك قدشاهدت ذا النون
سايرت نوحاً ولم تركب سفينته ... وأنت أنت فتى فى عصر زبلين

الحب يقتحم قلب أرنست هيكل

فى العقد السابع من عمره

بقلم الاستاذ على أدهم

ارنست هيكل عالم ألمانى كبير ولد سنة ١٨٣٤ ، وتوفى فى عام ١٩١٩ ، وكان فى عصره أعظم حجة فى علم الحيوان ، وله مؤلفات كثيرة ذائعة لا تزال تقرأ الى اليوم ، أشهرها كتاب « أحجية العالم » و « عجائب الحياة » و « القول الفصل فى النشوء والارتقاء » وقد قوبلت كتبه بانكار شديد ومقاومة عنيفة من رجال الدين وفريق المحافظين لان الرجل كان لا يثق الا بتجارب الحس والمشاهدة ولا يصدق الا بالعقل . وقد عمر هيكل حتى بلغ الخامسة والثمانين ، ولكنه استهدف فى العقد السابع من حياته لحب عنيف كما ترى فى القصة التالية

فى أوائل يناير سنة ١٨٩٨ بينما كانت الآنسة فرانزيسكا فون التنهاوزن تراجع فى ذيل احدى المجلات اعلانا عن الكتب الحديثة ، اذ استرعت نظرها الاشارة الى طبعة جديدة لكتاب مكروه له سمعة سيئة عن مذهب النشوء والارتقاء اسمه « تاريخ الخليقة الطبيعى » وهو من وضع العالم الذائع الصيت المرهوب الجانب ارنست هيكل أستاذ علم الحيوان فى جامعة يينا ، وعجزت عن تفسير هذا اللغز الخفى والاهتداء الى هذا الدافع المجهول ، وقد كان هذا الكتاب من ذلك النوع من الكتب التى لا يسمح بدخولها منزل أسرتها لانها كانت من الاسر الكثيرة المحافظة الشديدة الولاء للكنيسة ، وكانت والدتها الارملة سيدة مثقفة قوية الايمان معتصمة بالدين ، وكانت العلاقات بين الام وابنتها على خير ما يرام

كتبت مرة الى صديقة لها تصف التنهاوزن فقالت « موقع هذه الضيعة ساحر بهيج وأهلها قوم خيرون أعزاء علينا ، وانى لاحبهم من صميم نفسى وأجلهم الاجلال كله ، ولكن الحياة فى نظرهم محصورة فى حدود الامتيازات الارستقراطية والاعتقادات الدينية »

وكانت نساء أسرة التنهاوزن يحتفظن بنضارة الصبا وريق الشباب زمنا طويلا ، ولم تشذ فرانزيسكا عن هذه القاعدة ، فقد كانت سنها فى ١٨٩٨ قد ناهزت الثلاثين ولم تكن بارعة الجمال بادية القسامة، ولكن كانت لها فتنة الشباب وحسن شمائله ، وكانت

تزيدها جاذبية بشرتها الناصعة البياض وعيناها الزرقاوان وملامحها الحسان ، وقد أتمت تعليمها في أحد الاديرة ، وكانت تعتقد انها فى أيامها الاخيرة ستلجأ الى الدير وتلوذ بظله وتحتمي بركته ، وكانت مثقفة ثقافة عالية على الرغم مما كانت ترسف فيه من قيود المعتقدات وأغلال التقاليد

ومن التقاليد التى كانت تصر على الاستمساك بها شدة الحرص على الاحتفاظ بذلك الفاصل الدقيق الذى يفصل طبقتها عن غيرها من الطبقات الادنى منها ، فمقام أستاذ فى احدى الجامعات أنزل منزلا من أن يرتفع الى مستوى طبقتها ، ومثل أرنست هيكل كان يعتبر فى نظر قومها من الطبقة الوسطى ! ومن التقاليد التى كانت تراعيها أسرتها كذلك الخضوع للواجب خضوعا تاما ، فيجب ألا يكون فى حياتها ظاهر وباطن أو سر وعلانية ولا تحيط بها خفايا ولا يكتنفها ظلام ، ولكنها مع ذلك كانت تحتفظ وراء هذا المظهر بقلب عطوف ونفس رقيقة ، كتبت مرة عن نفسها فقالت « يسوء الكثيرين ما يرونه فى أخلاقى من التحفظ الشديد الجاف وهم يحسبوننى امرأة تتطبع بأخلاق الرجال ، ولكن وراء هذا المظهر الهادىء الرزين أتونا مستعرا من النيران لا أسمح الا للقليل بمعرفته » ولم تكن فرانزيسكا من النساء اللواتى يشغفن بالعلم ويقبلن عليه اقبالا ينسيهن العناية بالتجميل ويزهدهن فى فاخر العيش ، فقد كانت تقول عن نفسها « انى أحب الاناقة وأهوى العيش الرغيد والتقلب فى الترف ، وأكره الحجرات الرخيصة الاثاث والملابس غير الانيقة والطهى الذى لم يحدم » وكانت تعزو هذا الذوق المصقول الموكل بالفخامة والاتقان الى ما ورثته من طباع أجدادها الذين عاشوا بين المظاهر الا'لاقة فى بيئتهم الارستقراطية

وكانت تميل الى الموسيقى وتحب الحيوانات والازاهير والكتب

هذه هى المرأة التى اقتحمت على ارنست هيكل هيكله المقدس ، وأثارت فى نفسه العواصف والشجون ، وهو ركن من أركان النزعة العقلية ، وقطب من أقطاب التفكير العلمى الحديث

حصلت فرانزيسكا على نسخة من كتاب هيكل « تاريخ الخليقة » وبادرت الى قراءته وتفهمه ، وأخذت تحس بعد ذلك ان عقيدتها بدأت تساورها الشكوك وان قواعد تدينها آخذة فى الانهيار ، وشرعت تسائل نفسها فى غضب لماذا لم يفض اليها أصدقاؤها قبل ذلك بأن هؤلاء العلماء المحدثين الملعونين قد ألقوا ضوءا جديدا على المعتقدات الدينية القديمة !

ولكنها أرادت قبل أن تودع يقينها القديم وتقطع العلاقة بدينها السابق أن تستوثق من متانة معتقدها الجديد ، فمن أولى بارشادها وتقديم النصيحة لها فى هذا الصدد من ذلك العالم المخوف المكروه أرنست هيكل ؟

وقد أدركت بداهتها النسائية ان مثل هذا العالم الكثير الاعمال والشواغل لا يمكن

ارغامه على الالتفات اليها والاهتمام بأمرها الا اذا هاجمته هجوما فجائيا عنيفا تداعى أمامه استحكاماته وحواجزه وتساقط خطوط دفاعه ، وشاء القدر أن يلتقط عالمنا الكبير «الطعم» الذي أعد له ويسقط فى الشرك المنصوب ، فقد كتبت اليه الرسالة الآتية : ـ

« سيدى العالم المبجل

« أسألك العفو وألتمس الشفاعة لهذه الزيارة الوجيزة والالمامة القصيرة فهى حادثة نادرة قليلة النظير في دراستك وأرجو ان يتسع لها صدرك ويتغمدها حلمك ، وسأبذل جهدى فى تحرى الايجاز بقدر ما تستطيعه المرأة

« شاءت المصادفة أن يصل الى يدى كتابك « تاريخ الخليقة » وقد أشرفت منه على عالم جديد ، وانجابت أمام ناظرى غواشى الظلام عن كثير من المسائل التى حيرتنى وأذهلت لبى واتضح لى خفيها وقرب منى بعيدها ، وقد شعرت بأن صديقا عزيزا قد قادنى بيده الرفيقة وقال لى « تعالى فانى سأعينك على السير فى طريق المعرفة الشاق »

« ولست أعرف من استشيره واسأله النصيحة فى اختيار الكتب التى أقرؤها ، فلعل الاستاذ لا يضن على بالمساعدة ولا يبخل بالنصيحة فيتخير لى ما أقرأ ، واذا تفضل باجابة ملتمسى فليعلم انى أحب ان أبدأ القراءة والاطلاع فى حذر وتواضع ، فانى فى عالم المعرفة والدراية لست سوى امرأة وانى حريصة على أن أظل كذلك

« وليعلم الاستاذ انى لست من هواة جمع الامضاءات والتوقيعات ، ولست ممن يعترضن طريق الناس ويلقين عليهم أحمالهن ، وانما أنا احدى الباحثات عن الحق »

وصل الخطاب الى العالم الكبير فى جامعة ينا ، ولم يكن حينذاك صغير السن فى مطالع الشباب فقد ولد فى ١٦ فبراير سنة ١٨٣٤ ، وكان عند تلقى رسالة فرانزيسكا قد أشرف على الخامسة والستين ، ولكنه كان يستمتع بصحة جيدة وبنية قوية ، وكان مديد القامة جذاب المحيا وقد وخط المشيب شعره ولحيته ، وقد كان فى شبابه أشقر أزرق العينين جهير الرواء فائض الحيوية جم النشاط ، يطبع كل شىء يتناوله بطابع شخصيته القوية ويشكله بذكائه الوقاد ، وكان الآن قد بز علماء الحيوان جميعا وأناف عليهم ، وكان دائم القراءة فى سفر « الكون » كثير الاستيحاء لاسرار الطبيعة فاذا أدركه الكلال وألم به الحزن غشى الجبال والتلال يلتمس الهدو وينشد العزاء ، وكان هذا الرجل وثنيا حديثا مهذب النفس عامر القلب متأجج العاطفة دائم العبادة فى معبد الطبيعة ، وكان العمل ديانته والعلم عقيدته والخلق الكريم نبراس حياته ، وكان يحيا للحق ويعيش للعلم ، وكان ينتظر ممن حوله أن يشاركوه فى حماسته ويقبلوا على العلم اقباله ، وكان يزدرى مألوف العادات ويزهد فى الملابس الانيقة والمنازل الفخمة ويكلف بجمال الطبيعة ، وكان فى حومة الجدال العلمى وميدان المناقشات الفكرية حاد اللسان مخشى البوادر ، ولكنه كان مع ذلك صريح القول محببا الى النفس فيه بساطة الاطفال وصفاء نفوسهم

وكان البيت الذى يقيم به مع زوجته وكريمته قريبا من الجامعة التى يقوم فيها بأبحاثه

ويلقى بها محاضراته ، ولما نقل الى زوجته خبر الرسالة التى جاءته من السيدة المجهولة أجابته قائلة « امرأة أخرى مغرورة تحاول أن تصل أسبابها بأسبابك » وكانت زوجته أما بارعة وسيدة منزل قديرة ، ولكنها كانت لا تفكر فى غير شؤونها المنزلية ، وكانت حالة زوجها تدهشها ، وكان أسلوب حياته وطريقة تفكيره وسياسته الدنيوية تحير فكرها وتدق عن فطنتها ، فهو فى نظرها يستحق أن ينحى عليه باللائمة أكثر مما هو أهل للتقدير ، ألم يخلق تصرفه لاسرته المتاعب ويقطع ما بينها وبين الناس من صلات ويجعلها فى معزل من الناس ؟ ولم تكن حياته المنزلية على الاجمال سعيدة ولا موفقة

ورجل مثل هيكل فى عزلته الفكرية واستهدافه للعداء فى حاجة ماسة الى صديق كبير القلب يحوطه بعنايته ويظلله بعطفه ، ويرد عليه ثقته بنفسه فى نوبات الضعف وأزمات النفس التى تعرض لكبار المفكرين ، وقد أدرك ذلك وقدره صديقه العظيم توماس هكسلى فأرسل اليه خطابا عند وفاة زوجته الاولى فى سنة ١٨٦٧ قال فيه « ان رجلا له عواطفك الحارة لا يجب أن يظل محفوفا بالاحزان التى لا أمل فى علاجها ، وألزم ما يلزم لرجال أمثالى وأمثالك قد فرضت عليهم الظروف أن يقفوا منفردين ويكافحوا وحدهم فى الميدان هو أن يكون الى جانبهم ما يبعث فى نفوسهم الثقة ويثير الحماسة ويرسل الضوء » ولكن هيكل لم يظفر بذلك ، فعند وصول رسالة فرانزيسكا كان يعانى آلام الوحدة ولا يجد فى منزله جو العطف الذى يضمد جروحه ويشفى نفسه ، فقد كانت كريمته دائمة الحزن كثيرة الهواجس وكانت زوجته متهافتة الصحة لا يكاد يزايلها المرض ، وفى أمثال هذه الظروف المحدقه بعالمنا الكبير أحدثت الرسالة تأثيرها المطلوب ، وقد كتبت فرانزيسكا رسالتها فى ٢٩ يناير سنة ١٨٩٨ ، ففى أول يوم من شهر فبراير التالى تلقت رسالة من الاستاذ وطردا به طائفة من الكتب ، وقد الصقت بالكتب مذكرة تدل على الترتيب الذى يحسن اتباعه فى قراءة تلك الكتب

بعد انقضاء يومين على ذلك أرسلت فرانزيسكا الى عالمنا تقول « لم أكن آمل أن تلبى طلبى كما فعلت ، ولقد تفضلت فأرسلت الى الكتب المطلوبة لانك تحب الحق وتبغى اذاعته ، وأنا أشكرك شكرا خالصا لهذه الثقة وهذا العطف ، وأرسل اليك صورتى التى ربما سألتك بعد ذلك أن تردها الى ، وقد فعلت ذلك لتكون على بينة من أمر هذه المرأة التى غمرتها بعطفك »

لم ير هيكل فى رسالتها ما يسوء فأجابها برسالة قال فيها « ان تفضلك بارسال صورتك أشاع فى قلبى السرور ، فلا تطلبى الى رد هذه الصورة الحسناء ، ولست أتردد فى ارسال صورتى اليك اذا طلبت الى ذلك »

فردت عليه فرانزيسكا برسالة كلها أدب وتواضع ولكنها لا تخلو من حيرة وارتباك « تسألنى هل أريد صورتك بدلا من صورتى ! فما أشد حاجتى اليها ورغبتى فى اقتنائها ! ولكنى لا أستطيع الآن أن أجترىء على طلبها فأمهلنى رويدا على أستطيع أن

أشق طريقي وأصبح جديرة بأن أكون تلميذتك ! انى أبصر الآن سبيل المعرفة الخالصة ، ولكني مضطرة الى أن أتخلى عن أشياء كثيرة أثيرة في نفسي وفي ذلك ما يثير ألمي ، وأنا لا أريد أن أكتفي بمعرفة الحق،وانما أريد أن يقبل عليه قلبي في سرور وارتياح ، وعندما أصل الى هذه المرحلة ، وأرتفع الى هذا المستوى سأتقدم الى أستاذى وأسأله أن يرسل الى صورته »

ولما اطلع هيكل على هذه الرسالة جاشت عواطفه واضطربت موازينه ، فبادر الى ارسال آخر صورة شمسية له ، فأرسلت اليه الرسالة التالية « ما أعجب أمرك ! فقد أخبرتك فى خطابى السابق انى لاأجترىء على طلب صورتك وانى أريد قبل ذلك أن أزيل من طريقى الاحجار الراسخة الملقاة به حتى أستطيع أن أجيء اليك بنفسي جميعها ، وها أنت ذا تبادر الى ارسال صورتك دون أن تتمهل أو تنتظر فلك منى جزيل الشكر ، وانى أشهد أنها ليست صورة فاتنة الملامح ، ولكن ثلاثة أشياء قد استرعت نظرى فيها ، وهى الجبهة والعينان واليدان ، وأطلب اليك الآن ألا تدعو نفسك « بالاستاذ العجوز » فعيناك تنمان عن روحك الشابة »

لقد حاول هذا « الفاوست » الجديد وهذه « المرغريت » العصرية أن يسيرا مسترشدين بضوء العقل وهدى العلم ، ولكنهما سرعان ما أدركا ان قوة أخرى خفية غلابة قد أخذت توجههما ، فماذا يفعلان فى هذه الحالة ؟

لقد بدأت المراسلة بينهما فى يناير سنة ١٨٩٨ ، وتبادلا اهداء الصور الشمسية وعرف كل منهما أشياء كثيرة عن شخصية الآخر ، وقوت فرانزيسكا مكاتبتها ، ففى منتصف شهر مارس كتبت اليه ما يأتى « اليوم أريد أن أختم خطابى باعتراف لا بد منه ، لاتحسبنى أجهل شهرة من أراسله أو أنكر مكانته العالية ، واذ كنت لا أردد فى رسائلى تلك النغمة التى ربما تعودتها أذنك فان عجزى عن أن أفعل ذلك مرده الى طبيعتى ، فأنا أعرف كيف أحترم وأبجل ، بل أكثر من ذلك انى أعرف كيف أحب ، ولكنى لا أحسن تلك العبارات اللينة والالفاظ المعسولة ، ومن الصعب على تعيين الحدود الفاصلة بين هذه العذوبة والطراءة وبين الرق والعبودية ، فاغتفر لى ذنبى اذا اختصرت الطريق وتحدثت اليك كما أتحدث الى أى انسان آخر ، وانى أقبل يدك يا أستاذى العزيز »

أخذت بعد ذلك تدرس نظرية الوراثة ، ثم وجهت اليه هذه الرسالة « للمرة الثانية ألتمس نصيحتك وأن تنجدنى بكتاب يجلو غوامض هذا الموضوع ، ولا ترسل الى أكثر من كتاب لانى مسافرة لقضاء أربعة أسابيع من شهر يوليو الى جانب البحر ربما فى هلجولاند ، وكم أتمنى أيها الاستاذ العزيز أن أرانى واقفة الى جانبك فى معملك أوجه اليك الاسئلة وأطلب العلم والنور ، فان انقطاع الاسباب بينى وبين كل ما تعده أسرتى مقدسا ، وهجرى لذكريات طفولتى ، لمما يصعب على امرأة أن تحتمله »

وأثناء كتابة هذه الرسالة كان هيكل يتجهز لزيارة انجلترا للاشتراك فى مؤتمر علم

الحيوان الدولى الذى عقد فى كمبردج فى آخر أغسطس سنة ١٨٩٨ ، وقد قوبل هناك بحفاوة بالغة وترحيب عظيم ، وقد رجته فرانزيسكا أن يمر على هلجولاند فى طريقه الى انجلترا ، فكتب اليها من رسالة بعد عودته الى ينا « لقد كنت حريصا على تلبية طلبك ولو كان فى الامكان تنفيذه لما ترددت »

والى هذه المرحلة لم يكن الحب بعد قد تمكّن كل التمكن من قلب عالمنا الكبير !

والتقى بعد ذلك الاستاذ وتلميذته لاول مرة فى ١٧ يونيو سنة ١٨٩٩ بعد أن استمرت المراسلات بينهما ثمانية عشر شهرا ، وكان اللقاء فى معمل الجامعة وفى منزل أحد زملائه ، وكان هيكل قد بلغ السادسة والستين وفرانزيسكا فى الواحدة بعد الثلاثين ، ولنترك فرانزيسكا تروى لنا شيئا عن هذا اللقاء العجيب

« فى مساء اليوم التالى للقائنا وهو يوم ١٨ يونيو قص على مسامعى الاستاذ وأنا جالسة الى جانبه قصة حياته ، وعند فراقنا ارتمى صديقى العزيز على عنقى فسمحت له — لاول مرة أمنح رجلا مثل هذه الثقة — أن يقبلنى وبذلك توجت صداقتنا »

وكتب هيكل عن هذا اللقاء الاول « فى اللحظة التى التقينا فيها فى صباح يوم ١٧ يونيو وحدق كل منا فى عينى الآخر الزرقاوين ، أدركت ان روحينا مؤتلفتان » — وليلاحظ ان هيكل قد استعمل كلمة « روح » استعمالا يخرج بها عن حدود فلسفته ، وعذره هنا فى نسيان فلسفته واضح

ومنذ هذا اللقاء تحت سقف معهد علم الحيوان بجامعة ينا ، استحكمت أواصر الود وتوشجت روابط الحب بين الاستاذ وتلميذته ، ولكنهما سرعان ما أدركا غرابة موقفهما وسوء مغبة هذا الهوى الشديد الغلاب الذى استولى عليهما ولفهما فى أتائه ، وقد كان هيكل أول من فكر فى الخلاص وحاول اصلاح الموقف وتدارك الخطر ، ففى رسالته الى فرانزيسكا ذكر لها ان هناك ثلاثة طرق للخلاص (١) محاولة اخماد النيران المستعرة التى قامت فى نفسيهما (٢) الفرار (٣) أن يظلا محتفظين بما بينهما من صداقة حتى يسترد حريته اذا مضى الموت بزوجته ويطلب يدها بعد ذلك . أما عن الفرار فقد قال انه يرفضه لا لانه يحجم عن التضحية وانما نزولا على حكم الواجب « وسأكون فى هذه الحالة خالفت نداء الواجب تجاه أسرتى وأسرتك ، وهدمت الدعامة التى يقوم عليها عملى الذى وقفت عليه حياتى ، دعامة الاخلاق التى لم تعلق بها شائبة ولم تحم حولها شبهة »

فماذا قالت فرانزيسكا لمحبها المتقدم فى السن وبماذا قابلت ما تقدم به ؟ أما الفرار فهى مثله قد رفضت التفكير فيه ، أما عن اخماد عاطفة الحب فى قلبه فقد صارحته قائلة « لا تخدع نفسك ولا تغالطها فى الحقائق ، فليس فى استطاعتك أن تخمد نيران حبك أو أن تحوله الى صداقة فاترة ، وقلبك لا يطاوعك على ذلك ، وكلما حاولت اطفاء هذه الشعلة ازدادت اشتعالا وتلهبا ، وربما أحدثت انفجارا يسبب أفدح الضرر وأسوأ العواقب ، وليس أمامنا سوى الانتظار والصبر »

وعلقت فرانزيسكا على سياسة الصبر والترقب شرطا أساسيا وهو أن يخبر زوجته بما بينهما من صداقة ، وأن يكون لقاؤهما علنا وفي رائعة النهار ، ولكن عالمنا الجرىء المقدامة فى كل شىء قال ان اجابة طلب فرانزيسكا مما يزيد أحواله المنزلية سوءا ، فأرسلت اليه فرانزيسكا خطابا وسألته أن يسلمه الى زوجته ولكنه لم يجترىء على ذلك ، وسأل الاستاذ تلميذته أن تمكنه من فرصة زيارة التنهاوزن فأخبرته ان الجو هناك مكهرب ، وان من الخير ارجاء هذه الزيارة ، فكتب رسالة الى والدة فرانزيسكا فرفضت طلبه ، وتنكر لهيكل أصدقاؤه وزملاؤه فى الجامعة ، فصديق حياته جيجنباور أكبر علماء التشريح فى عصره زهد فى صداقته وطوى عنه كشحا

وحاول هيكل أن يلتمس المخرج من هذا المأزق ، فاستأنف دراسته فى علم الحيوان على شواطىء البحر الابيض ، ولكنه عاد بعد شهرين الى ينا وطلب مقابلة فرانزيسكا ، ثم عاود الهرب الى جاوة ، فكتبت اليه فرانزيسكا « لا ريب ان ابتعادك عن شواغل الحياة اليومية الصغيرة سيعود عليك بالنفع ، ويمكنك من أن تملأ قلبك ــ وهو قلب فنان ــ بمحاسن الطبيعة وجمال الحياة ، وانى أستصوب خطتك ، ولكنى لا أعتقد انك ستجد هناك الصفو وراحة البال لان الانسان لا يستطيع أن يفر من نفسه »

وهذا ما حدث ، فقد عاد هيكل الى أوربا فى سنة ١٩٠١ من رحلته الى جاوة ،وأول شىء عمله عند عودته هو طلب لقاء فرانزيسكا ، وقد رفضت فى بادىء الامر ولكنها عادت فأجابته الى طلبه

وفى اكتوبر سنة ١٩٠٣ قبل أن تصل هذه الرواية الى نهايتها المحزنة ، لخص أرنست هيكل فى خطاب الى فرانزيسكا قصة حبهما العجيبة « لقد بدأنا هيابين مترددين وأخذت صداقتنا تدريجا تقوى وتشتد ، ثم نشأ بيننا ذلك الحب الذى لم نسع اليه وكأنه هبط الينا من السماء ، ولكن سرعان ما ألم بنا الخوف وتولانا الجزع لما أبصرنا عواقبه وأدركنا حقيقة موقفنا ، ولقد حاولنا بعد ذلك اطفاء جذوته والفرار منه ، ولكن طاب لنا بعد ذلك أن نجدد نضارته عند كل لقاء ونزيده قوة حتى وصلنا به الى أسمى ائتلاف روحى وتجاوب نفسى ولقد كانت أيام لقائنا لرقتها وطيبها كأنها أيام مختلسة من عالم مسحور ودنيا غير منظورة ، ثم هذه الشكوك والمخاوف التى تساورنا وتحوم حولنا وهذا الصراع العنيف الدائم بين الحب والواجب ، حقيقة انها رواية كاملة »

وعندما تلقت فرانزيسكا هذه الرسالة كانت على فراش المرض فى بادنوهايم تشكو علة خطيرة وهى اضطراب القلب ، وبعد مضى مدة أقل من شهر على استلامها ذلك الخطاب ماتت فجأة بسبب هبوط القلب ، وهكذا انتهت الازمة الشديدة التى استهدف لها العالم الكبير أرنست هيكل فى العقد السابع من عمره وقد عاش بعد ذلك حتى قضى نحبه فى ٨ أغسطس سنة ١٩١٩ وهو فى الخامسة والثمانين من عمره الحافل

على أدهم

تجديد الشباب واطالة العمر

فورنوف يفسر تجاربه

كانت تجاربى فى تجديد الشباب موردا تستقى منه بعض المجلات الهازلة وبعض المغنين فى ملاهي مونتمارتر ، مقالات وأناشيد قد نجد من يعجب بطرافتها وبذاءتها ، ولكنها تشوه حقيقة هذا الموضوع العلمى الخطير • فكثير من الناس يزعم ان تجاربى ترمى الى غاية واحدة هى ايقاظ الاحساس الجنسى الذى أخمدته الكهولة ، برغم انى وجهت الانظار مرارا فى مؤلفاتي العديدة الى أن ما أريده من التطعيم هو انشاء أو استثارة القوى العقلية والبدنية معا • ولكن يبدو لى أن الاغانى والنوادر المبتذلة أسرع وصولا الى عقول الناس وتأثيرا فيها مما يجهد فيه العلماء من البحوث والتقارب فلا بد لى من أن أعود الى تقرير الحقائق فى موضوع التطعيم

لقد أودعت الطبيعة أجسامنا أجهزة قوية لا تنى عن العمل والحركة ، وأمدت هذه الاجهزة بينبوع لا ينضب من النشاط والقوة • ولكن هذا الجسم الحيوانى العجيب الذى يشبه خلية نحل هائلة بما يحتوى عليه من خلايا تبلغ ستة ملايين خلية ، انما تتوقف حركته ونشاطه على هذه الغدد المبثة فى أعضائه ونواحيه • وأهم هذه الغدد هى الغدة الجنسية لانها تقوم بعمل مزدوج فى آن واحد : فهى تنتج المواد التى تخلق من الحياة القائمة حياة جديدة وتنقل نشاط النوع من الوالد الى الوليد • وهى كذلك تفرز عصارة تندفع فى دم الحيوان فتنقل الى جميع أنسجته وخلاياه ما يلزمها من النشاط • أى ان الطبيعة جعلت هذا الجهاز مصدرا من مصادر حياة الفرد أولا وحياة النوع ثانيا • والدليل على ذلك أن الخصى لا يفقد قوته على انتاج حياة جديدة فحسب ، بل يفقد قوته الخاصة ونشاطه الفكرى كذلك • فما يكاد يعجز الانسان عن خلق حياة جديدة حتى يدب فى جسمه دبيب الضعف والخور والانحلال • وتبلغ الغدد الجنسية أقصى قوتها فى بدء الحياة وفى سن الشباب ، ثم تضعف شيئا فشيئا كلما تقدم العمر وأقبلت الكهولة حتى تقف أو تموت فى سن العجز والشيخوخة

ولا شك فى ان الموت لا يمكن اتقاؤه أو اجتنابه ، ولكن علينا أن نعمل على معالجة الكهولة كما نعالج أى مرض سواها ، وذلك بتطعيم الغدد الجنسية تطعيما تتقى به معاناة الكهولة والشيخوخة وما فيهما من ركود وخمول وأمراض ، ويمكننا من أن نموت « شبانا » ولكن فى سن من بلغ أرذل العمر من المسنين والمعمرين

وما زالت تجاربى فى هذه السبيل حديثة العهد فلا أستطيع أن أضرب مثلا على صحتها رجلا ظل محتفظا بشبابه برغم انه بلغ من العمر مائة وعشرين عاما • وانما أكتفى بأن أضرب الامثلة بهذه الحيوانات التى لا تطول أعمارها كما تطول أعمار البشر والتى أجريت عليها كثيرا من تجاربى فشاهدت بعينى آثارها • فقد تعهدت فى معملى بكلية فرنسا خروفا مطعما بالطعم الخاص باطالة العمر وتجديد الشباب فبلغ سن العشرين وظل محتفظا بقواه ونشاطه كما كان فى ربيع حياته • ولو كان هذا الخروف انسانا لبلغ مائة وسبعين عاما ، أى جاوز أى معمر على الارض بعشرات السنين ، وظل مع هذا سليم البنية موفور النشاط ! ومن المعروف أن الخراف تبدأ سن الكهولة فى التاسعة من عمرها ، ولا يجاوز من يموت منها معمرا سن الرابعة عشرة ، وهكذا طال عمر خروفى ست سنوات على الاقل • وقد طعمت هذا الخروف فى سنته الثانية عشرة ، وكان حينذاك هزيلا ناحلا هرما ، ولكن لم يلبث أن سمن وامتلأ وعاودته الخفة والنشاط • وقد ظل محتفظا بقواه حتى مات ، وأنجب فى سنواته الست الاخيرة خمسة أحمال ، وقد ولد آخرها بعد موت أبيه بأربعة أشهر ! • ولم يبد عليه شيء من الضعف أو الهزال الا قبل موته بستة أيام ، وكان قبل ذلك خفيف الحركة ، مقبلا على الطعام ، أى أن شيخوخته لم تستمر أكثر من ستة أيام بينما شيخوخة سواه من الخراف تطول الى خمسة أعوام ، فضلا عما استمتع به من حياة طويلة صحية

وقد استطعت أن أستوثق مرارا من صحة نظرياتى وتجاربى حينما كنت أختبر الغدد التى استخدمتها فى تطعيم بعض الناس وبعض الحيوان ، فكنت أجدها حية نشيطة برغم مضى عدة سنوات على اجراء عملية التطعيم • ففى ٦ اكتوبر سنة ١٩٢٦ أتاح لى زميل كنت قد طعمته من قبل ذلك بأربع سنوات أن أزيل الغدة التى نقلتها اليه لافحصها وأختبرها وقد أعدت تطعيمه حينذاك بغدة أخرى حتى لا تكون هبته النبيلة فى سبيل العلم سببا فى حرمانه من المزايا التى اكتسبها من عملية التطعيم • وقد أخذت الغدة التى أزلتها وقدمتها للاستاذ « ريتير » بكلية الطب بباريس ، ففحصها فحصا ميكروسكوبيا قدم عنه تقريرا « لجماعة علم الحياة فى باريس » ، ذكر فيه انه وجد هذه الغدة مملوءة بالخلايا الحية التى مكنتها من أن تؤدى وظيفتها على الوجه الاكمل فى الجسم الذى نقلت اليه • وقد أثبتت كثير من الغدد التى أزيلت بعد عملية التطعيم بخمس سنوات أو ست أن خلاياها حية نشيطة عاملة كما كانت قبل نقلها من الجسم الاول الى الجسم الثانى

وقد لاقيت أول الامر مشقة كبيرة فى أن أقنع الاطباء اقناعا نظريا بأن غدد القرد لا تموت اذا نقلت من جسمه وطعم بها جسم آخر • ولم يكن يجدينى نفعا أن أقدم لهم شيوخا مسنين استعادوا ذاكرتهم بعد فقدها أو ضعفها ، واستردوا مقدرتهم على العمل العقلى بعد أن فقدوها كلها أو معظمها ، وصارت أجسامهم قوية نشيطة ناضرة كما كانت فى عهد الفتوة والشباب • لم يكن يجدينى كل هذا نفعا فى اقناعهم ، وكان المتعصبون

منهم يقولون دائما : ان هذا لا يدل على شيء ما . فقلت لهم : أي دليل أقدمه لكم على تأثير الغدد وصحة نظرية التطعيم أكثر من هذه الادلة التي ينطق بها أولئك الشيوخ الذين يحسون تغيرا تاما في قواهم العقلية والبدنية ؟ . فقالوا : لا نقتنع الا اذا فحصنا هذه الغدد المنقولة تحت عدسة الميكروسكوب فرأيناها ما تزال حية عاملة ، فنصدق حينئذ أنها أثرت في الجسم فجددت شبابه . وكان ما أرادوا فرأوا تحت الميكروسكوب الخلايا تموج وتضطرب في هذه الغدد التي نزعت من الاجسام منذ سنوات ، فصدق أشدهم انكارا

وأول ما يبدو من آثار التطعيم هي الآثار العقلية . ذلك انه ما تكاد الغدة المنقولة تفرز عصارتها وتجد لها طريقا لتجرى مع الدم في مجراه ، حتى تستجيب لها جميع خلايا الجسم ، ولكن أكثرها استجابة هي أشدها نعومة وحساسية ، أي خلايا الدماغ . ولهذا كان أول الاعراض التي تبدو على المطعمين بدون استثناء هو تحسن واضح في قوى ذاكرتهم ، وفي مقدرتهم على العمل العقلي . ثم يأتي بعد ذلك النشاط العقلي ، يعقبه نشاط عام يشمل أجزاء الجسم كلها ، ثم شعور بالمرح والسرور يغمر الانسان ويبسط طلعته للحياة وغير ذلك من الظواهر التي ينفرد بها الشباب دون الشيوخ ، أو يتميز بها الاصحاء دون المرضى

أما هؤلاء الذين يحسبون أن تطعيم الغدد الجنسية لا يرمي الا الى تجديد بعض الملذات التي تستلها الشيخوخة من جسم الانسان شيئا فشيئا ، فانما ينظرون الى ناحية واحدة ضيقة من جوانب هذه المسألة المتعددة السامية . فان تطعيم هذه الغدد لا يمكننا فحسب من اطالة المدة التي يساهم اثناءها الفرد في المحافظة على النوع البشري ، بل تعينه على أن يأمن على قواه العقلية ما ينتابها كلما تقدمت السن ووهن الجسم ، ولا شك في ان من أول دواعي التقدم الاجتماعي واسباب الارتقاء الانساني ، أن نهيء وسائل القوة والنشاط لاولئك الذين تزيد قيمتهم ومنفعتهم كلما تقدموا في السن ، والى هذه العقول التي تنمو وتغنى بما تجمعه يوما بعد يوم من المعارف والتجارب ، والى هذه الارواح التي تنضج وتكتمل بما تصادفه في شتى مراحل الحياة من مآس وأحزان ومن متع ومباهج

فالقصد الاول من عملية التطعيم هو اطالة الحياة مع توفير القوة البدنية والنشاط العقلي في سن الشيخوخة . وهذه الاطالة تتم على مرتين : ففي المرأة تتراوح بين ست وعشر سنوات ، ثم تكرر العملية فتطول الحياة أربع سنوات أو خمسا أخرى . وليس تأثير عملية التطعيم بغدد الشمبانزى مقصورا على الرجل بل ان المرأة تكتسب منه ما يكتسبه الرجل من قوة ونشاط ، وكل ما بينهما من فارق ان تأثير عملية التطعيم لا يستمر مدة طويلة ولا يؤدى الى اطالة الحياة بأكثر من أربع سنوات

ولا شك في أن تجاربي يمكن تطبيقها بعد شيء من التحوير على تقوية سائر غدد الجسم اذا أصابها ضعف أو خمول . فتطعم الغدة المصابة بغدة تشابه لها تؤخذ من جسم أحد أنواع القردة العليا . وقد أثبت ان التركيب الكيماوى لدم الشمبانزى هو نفس التركيب

الكيماوى للدم الآدمى ، ولهذا كانت غدده أصلح الغدد لتطعيم الانسان ، بل انها فى كثير من الاحيان أصلح للانسان من الغدد التى تؤخذ من انسان مثله • وقد وجدت ان جسم القرد يعد مستودعا « لقطع التغيير » اللازمة لبعض أجزاء الجسم البشرى ، فاستطعت أن أعمم تجربة التطعيم بمختلف أنواع الغدد فوضعت فى جسم أحد الاطفال « غدة غضروفية » أخذتها من جسم قرد بدلا من غدته التى أزيلت منه اثر اصابته بمرض معد

وانى أرى أن من أجل الاعمال الانسانية أن نعيد الذكاء والقوة والمرح الى أولئك الاطفال الذين حرموا هذه النعم ما دمنا نستطيع ذلك بطريق التطعيم • وهذا هو العمل الذى كرست نفسى له منذ سنة ١٩١٣ وقد وفقت فيه توفيقا كبيرا • وقد كان فى استطاعتى فى حالة التطعيم الجنسى أن أنزع الغدة الموضوعة فأرى الشاكين فى صحة تجاربى كيف يعود الرجل اثر ذلك كما كان خائرا واهنا • ولكن كيف أبيح لنفسى أن أنزع غدة وضعتها فى طفل لاعيد ذكاءه ، كى يقتنع المرتابون حين يرجع هذا الطفل كما كان أبلها أو معتوها • فلا سبيل اذا الى اقناع هؤلاء الشاكين ، ولكن سوف يقتنعون بطريقة أخرى ، وقد قررت أن أنتظر عشرين عاما حتى تتحقق هذه الطريقة

وقد عرضت تجاربى النهائية منذ عام أمام « جماعة علم الامراض » التى تضم نخبة العلماء الباحثين فى هذا الموضوع ، فأريتهم جملة من هذه التجارب التى أجريتها فيما مضى على شبان بين سن الخامسة عشرة والعشرين وقد صاروا الآن حول الاربعين ، وأطلعتهم على الصور التى تبين مراحل هذه التجارب وأطوارها على أولئك الشبان الذين كانوا ضعافا أو مشوهين أو معتوهين فصاروا اليوم رجالا أقوياء البنية مكتملى القوام على نصيب كبير من القوة العقلية • فهذا صبى قزم أبله لم تمض أربع سنوات على تطعيمه حتى اختير جنديا فى الجيش وأبلى بلاء حسنا فى حرب الخنادق سنة ١٩١٧ • وهذا فتى فى الخامسة عشرة ولكن طوله لا يجاوز طول طفلة فى الثامنة وذكاؤه لايتعدى ذكاء طفل فى الخامسة ، ولكن بعد أربع سنوات من اجراء عملية التطعيم وصل طوله الى الطول الملائم للخدمة العسكرية ونما عقله فاستطاع أن يؤدى واجبه فى فهم أسلحة القتال وتلبية ما يلقى اليه من الاوامر • وهذا صبى آخر صار صانعا ماهرا يعاون والديه فى صناعة البسكويت وغير ذلك من الامثلة المتعددة التى تبين أن عملية التطعيم تخلق القزم أو الابله المعتوه خلقا جديدا لا صلة بينه وبين الماضى اذ يمكنهم من أن يحيوا الحياة العادية ويؤدوا فيها اعمالا نافعة • وانى أؤمل ألا تنقضى عشرون سنة أخرى حتى يؤمن الشاكون بصحة نظرية التطعيم فى ابراء الاطفال البله والضعاف ، كما صدق من كان مرتابا فى صحة تجربة تجديد الشباب واطالة العمر ، وانى لارجو أن يأتى يوم قريب يشرع فيه أطباء العالم فى معالجة آلاف الاطفال الذين يقاسون الضعف ويعانون البله ويعيشون عيشة الشقاء عالة على أهلهم وعلى المجتمع

(خلاصة مقال للدكتور سيرج فورنوف فى مجلة لاربفى دى فرانس)

العلاقات الدولية

كيف بدأت وكيف تطورت فى خلال العصور ؟

بقلم الاستاذ فخرى ابو السعود

تقوم العلاقات الدولية فى العصر الحاضر بدور عام بين الدول الكبرى . وقد لا يقل اهتمام الساسة ورجال الشعوب بهذه العلاقات عن اهتمامهم بشئون الحرب الراهنة ومركز دولهم منها . فكيف بدأت العلاقات الدولية، وكيف تطورت منذ العصور القديمة والوسطى الى عصرنا الحديث ، ذلك ما تقرؤه فى هذا المقال

العلاقات الدولية فى قديم العصور

لم يكن من علاقة بين دولة ودولة فى قديم العصور الا الحرب ، فلم تكن دولة تعترف الا بنفسها ولا تقبل من غيرها الا الخضوع لها ، فاذا تعاصرت دولتان كانت الحرب هى العلاقة الطبيعية بينهما حتى تدين احداهما للاخرى ، وكان السلم فترة عابرة لا يستريح اليها الفريقان الا ليجددا من قواهما المنهوكة ويستعدا لاستئناف الصراع ، فكان من ذلك صراع امبراطوريتى المصريين والحيثيين ، وصراع اليونان والفينيقيين ، وكفاح روما وقرطاجنة . وبين رمسيس الثانى وملك الحيثيين عقدت أول معاهدة عرفها التاريخ ، اذ أجهدهما القتال دون أن تقضى احدى القوتين على الاخرى قضاء مبرما

وأسباب ذلك العداء المستحكم بين الدول فى العصور القديمة واضحة : أولها ماركب فى الطباع من حب الغلبة والسيطرة والتفرد ، فكان كل أمير ناهض بدولة فتية لا يقنع بما هو دون الاستيلاء على جميع البقاع الخصبة المتمدينة المعروفة لعهده ، وثانى تلك الاسباب اعتقاد كل أمة ناهضة أنها شعب آلهتها المختار وما عداها من الامم كفرة وبرابرة يجب اخضاعها وتمدينها ، وساعد على توطد تلك العقائد قلة تواصل الامم فى القديم وجهلها بعضها بحالة بعض ، لسوء طرق المواصلات ومشقة الاسفار ، وقد قيل ان من جهل شيئا عاداه

معاهدات العصور الوسطى

وعلى مضى الزمن وتوثق العلاقات بين الدول واتساع نطاق التجارة وانفساح رقعة العالم المتمدن وتكاثر الامم الداخلة فيها ، نشأت بجانب تلك العلاقة العدائية الغريزية

علاقة سلمية هي أشبه بالمتمدنين ، وأقرب الى تحكيم العقل والمصلحة الصحيحة منها الى الانقياد للغرائز والاوهام ، فكانت في العصور الوسطى معاهدات ومحالفات بين شتى أمم الشرق والغرب ، كما كان بين هرون الرشيد وبين شرلمان ، وما كان بين ملوك الاندلس وأباطرة بيزنطة من سفارات ، وأكثر ما كان يحدث ذلك حين كانت تتحد دولتان على توقى خطر مشترك يهدد كلتيهما

وكان أولئك السفراء يستقبلون عادة باحتفال كبير ذى مراسيم ، وكان من عادة ملوك الاسلام أن يستقبلوا فى ذلك الاحتفال وفود الشعراء المادحين ويجزلوا لهم الجوائز وكان القصد من هاتيك المراسيم طبعا تفخيم شأن السلطان والتأثير فى نفوس السفراء ، كما كان السفراء من جانبهم يحاولون التأثير فى نفوس الملوك الذين يوفدون اليهم ، فكانوا يحملون اليهم من فاخر الهدايا ما يستميل نفوسهم ويقنعهم برقى الصناعة وتوافر الثروة واكتمال القوة فى الممالك التى يمثلونها ، كالذى روى عن ارسال هرون الرشيد فيلا وساعة دقاقة الى شرلمان اذ كان يتودد اليه . أما حيث كانت المودة ناضبة وكان العداء مستحكما فكانت الهدية تحمل طابع المجافاة ، فقد روى أن نقفور أرسل سفيرا الى هرون الرشيد يحمل ردا على رسالة ، فكان ذلك الرد ثلة من السيوف تصريحا بالشر وايذانا بالحرب ، فلما رأى الرشيد الهدية تبسم واستل سيفه وهوى به على ثلة السيوف الملقاة عند قدميه فقدها شطرين ، وقال للسفير الرومى : الآن عد بها الى مولاك فهى ردى على رسالته

تصرم العصر الوسيط والعلاقات الدولية تنحصر فى هذه الدائرة الضيقة ، فهى تقتصر على سفارات مؤقتة من حين الى حين ، كل مهمتها التوسط فى عقد صلح أو التحالف على عدو مشترك ، فلم تكن علاقة الدولة بالدول الاخرى وثيقة ولا مهمة وليس لها فرع خاص بها من الحكومة ، ولم تكن الدولة ترى من الضرورى أن يمثلها لدى الدول الاخرى ممثل دائم ، وان كانت أحيانا تبث جواسيسها فى بلاد جاراتها ، كما كان يفعل خلفاء العباسيين وأباطرة الروم ، وكتب كتاب المسلمين فى سياسة الدولة ، كنظام الملك الوزير وابن خلدون وغيرهما ، فلم يلتفتوا الى هذا الجانب من شئون الدولة ـ جانب العلاقات الخارجية ـ كبير التفات

ابتداء توطد العلاقات الدولية

انما بدأت العلاقات الدولية توثق منذ النهضة الاوربية الحديثة ، اذ قامت فى أوربا دول كثيرة متجاورة نشيطة فى رقعة من الارض صغيرة ، فكان من الطبيعى أن تشتجر بينها العلاقات ، وتتعدد المنازعات والمصالحات ، وسرعان ما ظهر بينها مبدأ التوازن الدولى الذى توفرت انجلترا على توطيده اذ رأت فيه مصلحتها ، وكانت أسبق الدول الاوربية الى اتخاذ مبدأ التمثيل السياسى الدائم فى الدول الاجنبية مدن ايطاليا التجارية ، كالبندقية

وجنوة وبيزا . تلك التي توفرت على نقل المتاجر بين الشرق والغرب منذ العصور الوسطى ، والتجارة من أكبر أسباب التعارف والاختلاط بين الامم ، والامم البحرية والتجارية لاهتمامها بالشئون المالية والمنافع المادية ، لا تأبه للفروق الدينية والتعصبات الجنسية التي تفرق بين الامم وتورث العداوات بينها

لذلك كان لتلك المدن التجارية الايطالية ممثلون في شتى بقاع البحر الابيض المتوسط منذ العصور الوسطى ، فكان لبيزنطة قنصل في القسطنطينية في القرن الحادي عشر الميلادي ، وكان أولئك الممثلون أو القناصل يبذلون جهدهم لرعاية مصالح المدينة التي يمثلونها وترويج تجارتها واكتساب الحقوق والمزايا لرعاياها ، وبفضلهم حصلت المدن الايطالية من أباطرة بيزنطة وسلاطين المماليك بمصر والشام ، وسلاطين آل عثمان الذين ورثوا ملك هؤلاء وأولئك ، على الامتيازات المشهورة التي ما لبثت الدول الاوربية الاخرى أن تسابقت الى الحصول عليها في الممالك الاسلامية التي تخالفها في القوانين والتقاليد لمخالفتها اياها في الدين

واقتدت الدول الاوربية المختلفة بالمدن الايطالية في ارسال الممثلين ، وان تكن بعثاتها التمثيلية ظلت الى القرن السابع عشر مؤقتة في الغالب أو كانت بينها فترات طويلة ، ثم توطدت العلاقات التمثيلية الدائمة بين الدول الكبرى ابتداء من ذلك القرن ، وقد ظهر أول مؤلف في الدبلوماسية أو العلاقات الدولية ، وهو ابراهام دي ويكفورت الهولندي الذي اشتغل بالسفارة ردحا من الزمن ، لا ممثلا لهولندا ولكن لبعض أمراء ألمانيا ، فقد كان السفير في ذلك العهد يعد ممثلا للامير لا للوطن ، فلم يكن يشترط أن يكون من رعايا الدولة التي يتكلم باسمها

مهمة السفير في ذلك العهد

ولما اعتزل ابراهام حياة العمل عكف على التصنيف في المهنة التي حذقها ، فوضع كتاب « السفير ووظائفه » فعرف السفير بأنه رجل يمثل أميره لدى أمير آخر ويقوم عنه بالمفاوضات التي تأبى كرامته ومنزلته توليها بنفسه ، وعدد شروط السفير فقال : انه يجب أن يكون حسن البزة ، حلو الشمائل ، رحب الصدر ، وقرر أن له أن يستخدم كل الوسائل التي توصله الى خدمة أميره ، ومنها رشوة وزراء الدولة التي يعمل لديها !

كان الممثل السياسي لذلك العهد لا يحجم عن معوج الوسائل لخدمة سياسته ، من الرشوة الى التجسس الى التآمر ، ومن ثم كان ينظر اليه بعين الريبة ، وتحرم الدولة التي يوفد اليها على رجالاتها الاتصال به الا في الضرورة ، أما الكذب فكان أهون أدواته ، ولم يحجم سفير بريطاني مشهور لذلك العهد عن التصريح بأن السفير هو سيد يوفد الى الخارج لكي يكذب لمصلحة دولته ، بيد أن التمثيل السياسي شأنه شأن كل مهنة ناشئة قد ترقى من تلك المرحلة البدائية وتعفف تدريجا عن تلك الوسائل الملتوية ، وبعد أن كانت غايته استخلاص

كل ما يمكن استخلاصه من المصلحة للدولة الممثلة ولو على حساب الدولة الممثل لديها ، أصبحت مهمة السفير الاولى التقريب بين الدولتين وتوحيد مصالحهما وتنشيط التعاون بينهما وتفهم عقلية الامة التي يقيم بينها

انشاء وزارات الشئون الخارجية

وصحب توطد نظام التمثيل السياسي أو سبقه بقليل افراد وزارة خاصة للشئون الخارجية وكانت فرنسا أسبق الدول الى انشاء وزارة للخارجية في عهد هنري الثالث في أواخر القرن السادس عشر ، وفي انجلترا توفر « سكرتير الدولة » على الشئون الخارجية ، ولما تعددت تلك الشئون انقسم مكتبه أقساما صار أحدها وزارة الخارجية بدءا من أواخر القرن الثامن عشر ، وما يزال وزير خارجية الولايات المتحدة التي نظمت حكومتها على غرار انجليزي يحتفظ باسم سكرتير الدولة

ودخلت العلاقات الدولية طورا آخر جديدا من النشاط منذ عهد نابليون ، اذ اجتمعت الدول على مكافحته ومكافحة المبادىء التي نشرتها الثورة الفرنسية في شتى البقاع ، فظهرت في عالم السياسة الدولية الاوربية سنة جديدة ، سنة المؤتمرات التي تشترك فيها دول كثيرة لتبت في مسائل لا تخص طرفين اثنين متعاقدين فقط بل تعني الدول جميعا ، فعقدت في خلال القرن الماضي مؤتمرات كثيرة في فينا وباريس وبرلين وغيرها ، لتسوية المشاكل الاقليمية وتعديل الحدود والنظر في المسألة الشرقية وتوزيع المستعمرات

وقد اشتجرت بين الدول الاوربية منذ النهضة حروب شعواء في فترات متعاقبة ، فمن ذلك الصراع بين شارلكان وفرانسوا الاول ، وحرب الثلاثين سنة ، وحروب لويس الرابع عشر ، وحروب فريدريك الاكبر ، وفتوحات نابليون ، والحرب الكبرى الاخيرة ، وكانت كل من هذه الحروب الهائلة تترك وراءها من الدمار والوبال ما يزهد الناس في القتال ويلفت الاذهان الى توطيد السلام الدائم وانشاء جمعية للامم تفض المنازعات سلميا ، ظهرت تلك الرغبة السلمية فكرة على أقلام الكتاب ، وظهرت عملا واقعا متمثلا في الحلف المقدس الذي أعقب سقوط نابليون وفي محكمة لاهاي وفي عصبة الامم الحالية

الدول الشرقية والعلاقات الدولية

وكانت أكثر الدول الشرقية خوضا في معمعان السياسة الدولية الاوربية تركيا ، فكانت تبادل السفراء مع الدول الاوربية الكبيرة حتى أيام كانت السفارات قليلة تعد على الاصابع ، أما بقية العالم الاسلامي فكان معظمه خاضعا لتركيا لا يعرف من أمور أوربا شيئا ولا يمثل الدول الاوربية فيه الا قناصل ، وأما أمم الشرق الاقصى فكانت بمعزل وقد أقفلت بعضها في وجه التجارة الاجنبية والعلاقات الخارجية ، حتى أرغمت على فتحها ارغاما ، على أن تركيا ذاتها فيما عدا التمثيل الرسمي كانت في عزلة شديدة عن العالم الاوربي قد

ضربها عليها ما أصابها اذ ذاك من جمود وتأخر ، فلم يكد يكون لها يوما حليف مخلص من دول أوربا ، وكثيرا ما اجتمع عليها الاعداء متحالفين، وواجهتهم جميعا وحيدة عزلاء.. وقد شهدت السياسة الدولية منذ أواسط القرن الماضي تطورا عظيم المدى ، فازدادت العلاقات توثقا بارتقاء طرق المواصلات ، واتسعت دائرة اختصاص الممثلين السياسيين حتى شملت المسائل الاقتصادية والتجارية والثقافية والاستعمارية ، وغدا السفير ممثلا لشعبه الذى يشترك فى حكم نفسه وتعيين سياسته ، بعد انتشار مبادىء الحرية والديمقراطية ، فانقشع عن الدبلوماسية بعض ما كان يحيط بها من الغموض والكتم ، وأصبحت الحكمة اليوم تقضى باطلاع الشعب دائما على ما يجرى من المساعى والمفاوضات باسمه ، ما لم يضر ذلك بسير المداولات ، وهذه النزعة الديمقراطية التى تنزعها الدبلوماسية من شأنها أن تقطع دابر الحروب شيئا فشيئا ، اذ غدت أكثر الشعوب تنفر من الحروب التى كان ساستها فى القديم يدفعون بها اليها ، لاغراض خفية يطلونها أمام الجمهور بطلاء الوطنية والكرامة القومية

فخرى ابو السعود

المدرس بالرمل الثانوية



جوامع الكلم

ـ كما ان البدن فى الابتداء لايخلق كاملا، وانما يكمل ويقوى بالنشوء والتربية والغذاء ، فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال وانما تكمل بالتربية والتهذيب الامام « الغزالى »

ـ ما أكلته مقتصدا فلجسمك ، وما تصدقت به فلروحك ، وما خلفته فلغيرك « جالينوس »

ـ لا تقصروا أولادكم على آدابكم فانهم مخلوقون لزمان غير زمانكم « عمر بن الخطاب »

ـ كلنا من مصدر واحد، ومنتهون الى نهاية واحدة، فلم هذا التشاحن والعداوة والبغضاء ، فحبوا بعضكم بعضا ، وكونوا جميعا اخوانا « تولستوى »

ـ الاوقات كلها فرص ، فاغتنموها ما استطعتم ، والا تكونوا من الخاسرين « أمرسن »

التنبؤات الروحية والحروب

بقلم الاستاذ احمد فهمى ابو الخير

مدير ادارة السينما بوزارة المعارف

الاستاذ احمد فهمى ابو الخير من كبار المهتمين بالمباحث الروحية ، وله فيها مؤلفات ومترجمات قيمة . وقد تفضل وكتب للهلال هذا المقال الذى تناول فيه عالم الارواح والحروب ، وهذا الموضوع جد خطير لانه ليس من السهل انكاره أو الايمان به . فنحن نعرضه على بساط البحث دون ان نتحمل تبعة كل ما جاء فيه من ادلة وبيانات

حين تغلغلت مادية القرن التاسع عشر فى نفوس العلميين وقفت بهم عن التقدم فى كثير من النواحى . وطغت المادية على بعضهم ، فأنكروا حتى وجود الخالق جل شأنه ، ورجعوا بالكون كله الى أنه آلة تلقائية . حتى الانسان نفسه ظنوه آلة ايضا تخضع لنظم تخيلوها ووضعوها . وهم فى ذلك قد اتجهوا الى الناحية المادية البحتة،ثم قصروا عليهاحواسهموتفكيرهم. وغاب عن هؤلاء أنه لا بد لكل آلة من قائد يقودها

ثم ظهرت الكشوف الروحية بعد بحوث علمية تجريبية منظمة ، وتم الاتصال بعالم الروح بجملة طرق كان أكثرها اقناعا من الوجهة المادية طريقين هما الصوت المباشر والتجسد الكامل . ففى الاول تسمع الروح وهو يحدثنا بصوته الذى كنا نميزه به وهو فى عالم المادة ، وفى الثانية نسمعه ونراه ونلمسه ونعانقه وكأنه بشرسوى بعث الى عالم المادة من جديد . بل لقد غالى أطباء عالميون لهم مكانتهم فى الطب والعلوم ، ففحصوا الارواح المتجسدة فحصا طبيا ميكروسكوبيا ، وقدموا بذلك تقارير تقطع الطريق على كل منكر ،ووضعوا مؤلفات هى من عيون الادب والعلم (١) وانتهى الكاشفون الى أن الروح كائن قائم بذاته ، تنتهك أمامه حجب الزمان والمكان ولو الى حد ما . وبحث أحرار العلميين هذه الناحية الجديدة بحثا مستفيضا برغم ما قام فى وجوههم من عوائق وعقبات وقفت البعض عن البحث سنين

أنظر الى مجلة « سينتفك اميركان » وقد قامت تطنطن ببطلان المذهب الروحى أو العلم الروحى الحديث ، وتفرض (شفويا) الجوائز المالية لمن يثبت صدق الظواهر الروحية من

---

(١) فصلنا ذلك فى محاضرة لنا عن « عالم الروح فى ضوء العلم الحديث » ألقيناها أخيرا فى كلية العلوم بجامعة فؤاد الاول فى شهر ديسمبر الماضى وطبعناها فى كتيب صغير

الوسطاء ، وتختار لذلك ستة محكمين من غلاة المعارضين للروحية • ثم بعد ذلك تسكت في جرأة غريبة فلا تذكر أن خمسة من هؤلاء المحكمين قد ظهرت لهم آراء واعترافات ومؤلفات تؤيد العلم الروحي الحديث ، مما تناولناه باسهاب في مقدمة ترجمتنا لكتاب « ظواهر حجرة تحضير الارواح » لمؤلفه الطبيب الدكتور اروين فردريك باورز أستاذ الامراض العصبية في جامعة مينا بوليس ، وسيظهر قريبا ان شاء الله ، هذا السكوت ـ وما هو الا محاولة بارعة وخبيثة معا ـ قد صد كثيرين عن موالاة البحث • وقد يلقاك أحدهم ليقول لك « وما أمر جائزة السينتفك أميركان ؟ » • وهو معذور لانه وقف قراءته على هذه المجلة وحدها • وهذه سكتت وكأنما انتهت من أمر بت فيه نهائيا

ولما كشف العلامة اينشتاين البعد الزمني الرابع ، تغيرت الاوضاع المادية بعض الشيء، لاندماج الحاضر في الماضي والمستقبل • وثبت من الوجهة النظرية البحتة أن معرفة الماضي والتنبؤ بالمستقبل أمر ممكن • وطبق العلماء الروحيون ذلك عمليا فتغلبوا في كثير من الاحيان على مشكلة الزمان والمكان ، واستطاعوا بوسيط الغيبوبة ، وبالارواح المرشدة الراقية ، أن يتنبأوا بالكثير • وخير مثل نضربه على التغلب على مشكلة الزمان والمكان معا ، تلك المجلوبات التي كان يجيء بها المرحوم الشيخ سليم الطهطاوي من أقاصي المعمورة في طرفة عين • وحوادثه في هذا الصدد مشهورة شاهدت بعضها بنفسي ، ويتندر بها الى أيامنا كثيرون من العظماء والكبراء والساسة والعلماء الحاليين

التنبؤ بالمستقبل

والتنبؤ بالمستقبل مثل آخر للتغلب على مشكلة الزمان والمكان • وهو نوعان : نوع يتقصى فيه ملقيه دلائل الزمان والمكان فيصدق ولا يمكن أن يفشل • وقد يكون المتنبيء مقيما بين ظهرانينا في عالمنا المادي بلحمه ودمه ، وقد رزقه الله الشفافية الروحية فمنحه الجلاءين السمعي والبصري ـ أي القدرة على سماع غير المسموع ورؤية غير المنظور • وقد يكون روحا انتقل بعد التغير الذي نسميه موتا الى عالم الروح ، فنزع عنه قيود المادية وصار حر الحركة وسريعها في ذلك العالم • ولايخفى أن الروح لها سرعة تفوق سرعة الضوء بمراحل

ونوع يكتفي ملقيه بقراءة ما في هالات الناس ، وقد تصدق النبوءات اذ ذاك وقد لاتتحقق • وهالة الانسان مجموعة اهتزازات أثيرية تحيط به ، وفيها يستطيع القاريء ـ روحا متجسدا كان أم روحا طليقا ـ قراءة ما يجول في الصدور وفي النفوس ، والوقوف على الميول والدوافع • ولكن هل هذا الذي يجول في الصدور أو النفوس ، أو هل هذه الميول والدوافع تبقى دون تحول أو تقلب ؟ لهذا كان هذا النوع عرضة للفشل أحيانا

أنظر الى الطبيب العالمي الدكتور الكسيس كارل Dr. Alexis Carrel وهو أحد الذين نالوا



الكسس كاريل

جائزة نوبل في الطب والفسيولوجيا ، وهو الآن على رأس قسم البحوث في مؤسسة روكفلر بأمريكا ، تجده قد تناول موضوع التنبؤ في كتابه القيم « الانسان المجهول أمره » وهو الكتاب الذى قرظه في الصحيفة الطبية (Medical Journal) العلامة الطبيب سيرآرثر كيث Sir Arthur Keith, M.D., F.R.S. والاستاذ جوليان هكسلى Prof. Julian Huxley وقرظتهجرائد التيمس ـ سنداى تيمس ـ الملحق الادبى للتيمس . فلقد قال ذلك الطبيب العالمى الكبير في كتابه الروحى العظيم السالف الذكر ما يأتى :

« ان تأثير الشخص في المستقبل لا يعادل امتداد النفس في الزمان ويحدث هذا التأثير بطريق فتات مادة خلوية تنتقل منه مباشرة الى أبنائه ، أو بطريق ما يبدعه في نواحى الفن والدين والعلم والفلسفة وما الى ذلك . وفي بعض الاحيان تبدو الشخصية وكأنها تعدت في الواقع المدة الفسيولوجية . والواقع أن في بعض الافراد عنصرا روحيا يستطيع السفر في الزمن . وكما سبق أن قلت ان أصحاب الجلاء البصرى لا يرون حوادث بعيدة في الفضاء فحسب ، بل انهم يرون أيضا حوادث ماضية أو مستقبلة . ويخيل الى أنهم يجوبون في الزمن بنفس السهولة التى يجوبون بها في الفضاء . أو أنهم يخرجون من المسجم الفيزيقى ويمعنون النظر في الماضى والمستقبل كما تمعن ذبابة النظر في صورة اذا هى طارت فوقها على ارتفاع منها بدلا من أن تسير فوق سطحها . وتؤدى بنا أمور الانباء بالمستقبل الى عتبة عالم غير معروف . وتبدو كأنها تشير الى وجود قاعدة روحية تكشف وتتفتح خارج حدود جسومنا . ويفسر علماء الروحية المختصون بعض هذه الظواهر بأنها دليل على بقاء الوعى بعد الموت . ويعتقد الوسيط أن روح ميت قد حل في جسده . ويستطيع أن يكشف للتجريبيين بعض تفصيلات دقيقة لا يعرفها الا الميت فقط ، وقدثبتت صحتها فيما بعد.ويرى العالم برود Broad أن هذه الامور قد تفسر بأنهادلائل لا على بقاء العقل وحده بعد الموت ، بل على بقاء عامل روحى أيضا يستطيع تطعيم نفسه مؤقتا بجسم الوسيط . وهذا العامل الروحى باتحاده بآدمى يؤلف نوعا من الوعى يتبع كلا من الوسيط والمتوفى . وقد يكون وجوده انتقاليا . وقد ينقطع هذا العامل تدريجا الى أن يختفى في النهاية . والنتائج التى أمكن الحصول عليها من تجارب الروحيين عظيمة الاهمية ، ولكن دلالتها ليست قاطعة.وليس ثمة أسرار تخفى على أصحاب الجلاء البصرى. وعلى ذلك لا يبدو ممكنا في الوقت الحاضر التمييز بين بقاء القاعدة أو الاساس الروحى بعد الموت وبين ظاهرة الجلاء البصرى في الوسطاء »

ابراهام لنكولن ووصايا روح

لعل كثيرين لا يعرفون ان ابراهام لنكولن كان من المؤمنين بالروحية ، وانه كتب أمر الغاء الرق بناء على وصية روح • وكذلك كانت زيارته معسكرات التحالف في وقت هددت جيوش الاتحاد بعصيان غير منظم بناء على نصيحة روح اتصل به خلال احدى وسيطات الغيبوبة

وكان ذلك خلال أزمة من أشد أزمات العصيان بعد أن خسرت جيوش الاتحاد عدة معارك • وكان أن هدد واشنجطون Washington بزحف سريع قام به جيش المتحالفين ، وكان قد حل الفزع بجنود الاتحاد • وقد لقى الضباط مصاعب فى منع الجنود من الفرار جملة • وعبثا جهدت المحاكم العسكرية وفرق الرماة لكى تقضى على مظاهر هذه الحالة النفسية .

وكان أن قصدت الفتاة مس نتى كولبورن Miss Nettie Colborn وهى وسيطة فتية من وسطاء الغيبوبة القائد واشنجطون فى ذلك الوقت تلتمس السماح باجازة لشقيقها الجندى الذى أنهكه المرض • وكان قد وصل الى مسز لنكولن نبأ هذه الفتاة وما لها من قوى روحية عجيبة ، فأشارت على الرئيس أن يدعوها الى البيت الابيض لعقد جلسة خاصة • وقد سر لنكولن لذلك كثيرا اذ كان يحس فى قرارة نفسه بأنه سيحدث ثمة حدث عظيم فى تلك الجلسة التى ستعقدها هذه الوسيطة الموهوبة

وما كاد الرئيس يدخل الحجرة التى جلست فيها الوسيطة وضيوف مسز لنكولن ينتظرونه حتى وقعت الفتاة فى الغيبوبة ، وبدأت على الفور تخاطب الرئيس • وظلت تحدثه نحو ساعة حديث الآمر الناهى كما يقول الذين شهدوا هذه الجلسة • وكان صوت الفتاة جهوريا ممتلئا مشبعا بالرجولة وكان حديثها سهل العبارة قوى الحجة ، اقتنع الرئيس به كل الاقتناع • وقد قال الحاضرون انهم ازاء ضخامة الكلام وجلاله، لم يكونوا أمام فتاة جازعة هلوع ، بل خيل اليهم انهم ازاء قوة روح ذكر غريب يلقى الكلام ، فكأنه أوامر قدسية

وكانت النصيحة ــ أو بعبارة أصح الاوامر ــ التى قدمها هذا الروح المهيمن على الفتاة، هى أن ينصرف عن محاولة الملاينة أو التحكيم مع الجيوش المنشقة ، وأن يصدر على الفور أمرا بالغاء الرق • وقد ساعد هذا من الوجهة النفسية باكساب الحرب لونا أدبيا أرقى ، وتنقية دوافعه مما اعتقده الكثيرون فى دناءة أساسه • وعلى كل حال فقد تأثر لنكولن تأثرا عميقا بالرسالة التى أدلت بها اليه الوسيطة الصغيرة وقال « يا بنيتى ان لديك موهبة فريدة فذة جدا ، ولا شك عندى أنها من عند الله • وانى لاشكرك على مجيئك الليلة الينا فهو أعم من كل ما يخطر على بال أى أحد هنا »

وبعد ذلك ببضع ليال أشار نفس الروح على لنكولن أن يزور بنفسه معسكر الاتحاد ،

وأن يثير فى الجنود النخوة ويشجعهم على مواصلة جهودهم وقد زارهم بالفعل • وكان لاعلان الغاء الرق ولزيارة الرئيس المشجعة للجنود أثر فعال • أضف الى ذلك أنه جاء فى وقت كانوا فيه فى أشد الحاجة اليه • ولا نكون مبالغين اذا قلنا ان الرسالة التى تلقاها من ذلك المصدر الروحى العالى ، والتى عمل على الفور بمقتضاها كانت ذات أثر عميق فى استبقاء الاتحاد سليما • وبقيت للبلاد وحدتها

وهذا الذى ذكرناه عن لنكولن مأخوذ عن كتاب « ظواهر حجرة تحضير الارواح » السالف الذكر

التنبؤ بالحرب العظمى سنة ١٩١٤

تنبأ كثيرون بهذه الحرب قبل وقوعها • بعضهم قبل وقوعها بسنين ، وبعضهم قبل وقوعها بشهور • ولقد تناول الطبيب الدكتور جورج لندسى جونسون G.L. Johnson M.A. B.C., M.D., F.R.C.S., F.R.P.S. مسألة التنبؤ فى كتابه القيم « المسألة الكبرى والبينة على حلها » فأفرد لها فيه بابا • وقد صدره بهذه العبارة العلمية قال : ـ

« كيف يستطيع انسان ـ متجسدا كان أم روحا ـ أن يتنبأ بالمستقبل بتفصيلات أشياء لا تمت بصلة الى الحوادث الجارية ، وعلى الاخص حينما نعرف ان للانسان ارادة حرة ؟ فاذا كان بنو الانسان كلهم آلات تعمل وتتحرك ، فأنى لنا أن نفهم كيف يستطيع بعضهم التنبؤ بدقة عن حوادث قادمة ، مع اننا نعرف أن أمور الحياة لا تحدث فى نسق مطرد مطلق ، فضلا عن اعتراف معظم الفلاسفة بوجود ارادة حرة للانسان • وأنى لشخص اذن أن يتنبأ لا بالسنة فقط ، بل باليوم والساعة التى يقضى فيها انسان ما نحبه ، مع انه وقت القاء النبوءة يكون فى أتم صحة ؟ وليس هذا فقط ، بل انه يميط اللثام عن طبيعة موته،فاذا كانت الوفاة ستحدث نتيجة لحادث فانه يعين بالضبط مكان وقوع الحادث»

ومضى الطبيب الدكتور جونسون يروى نبوءات الحرب العظمى الماضية ، قال عن سيدة لم يشأ أن يذكر اسمها ـ انها فى يوم ١٦ يونيه سنة ١٩١٤ فى منزل مسز كريج بجهة هايجنت بلندن • وقعت فى غيبوبة خلال جلسة روحية ، وبدأت تصف بلدة لياج ـ ولم تكن هذه السيدة قد رأتها قط فى حياتها ـ وصفا دقيقا أدهش الحاضرين • وقد قالت هذه السيدة الواقعة فى الغيبوبة :

« ما أبلهكم اذ تتكلمون عن قضاء اجازة هذا العام فى بلجيكا ، أقول لكم انكم لن تستطيعوا الذهاب اليها لانى أرى حربا ـ أرى حربا ـ أرى حربا • أرى حربا فى الارض ، وحربا فى الهواء ، وحربا على سطح البحار ، وحربا فى جوفها • وسيموت الالوف من بنى الانسان ، وستخضب مياه الانهار بالدم »

فصاحت السيدات الحاضرات : « ما أفظع هذا ! ولكن هل تستطيعين أن تحدثينا عن سبب هذه الحرب المفزعة ؟ »

قالت الوسيطة على الفور وهى لا تزال فى غيبوبتها « سيكون سبب هذه الحرب قتل اثنين بيد شخص واحد »

والغريب أن مجلة « هاربنجرأوف لايت Harbinger of Light » الشهرية ، وهى المجلة التى تصدر فى ملبورن ، قد نشرت فى عددها لشهر يوليه سنة ١٩٠٩ نبوءة عن هذه الحرب العظمى ، وقد ذكرها الدكتور جونسون فى كتابه « المسألة الكبرى » وها هى : ـ

« ستحدث مصيبة داهمة تهز الارض فى المستقبل القريب ، وسيعم الحزن العالم لان ملايين من اخواننا الآدميين ـ بين أخيار وأشرار ـ سيضحى بهم على مذبح الاله مارس ، وذلك لكى يشبعوا نهم شخص واحد هو أمبراطور ألمانيا • ففى القريب ستصبح ألمانيا وفرنسا والنمسا وايطاليا وانجلترا وروسيا ميدانا واسعا لحرب عظمى • ومع ذلك فلا تخشوا أن يسود الظلم • كلا يا اخوانى بل افرحوا لان العدالة ستعم الناس • وسيخرج الحكام الوادعون ـ وهم ادورد ملك انجلترا ، وعمانويل ملك ايطاليا ، ورئيس الجمهورية الفرنسية ـ منصورين من هذا الصراع • وبعد ذلك ستنهض فى روسيا حكومة اشتراكية ... »

ويروى العلامة الفرنسى الاستاذ ريشيه فى كتابه « ثلاثون سنة فى البحث الروحى » نبوءة فاهت بها فتاة ريفية صغيرة وهى واقعة فى الغيبوبة ، وقد تحدثت فيها بفرنسية قديمة كالتى كانت تستعمل فى زمن جان دارك ، وبعبارات فوق مستوى الفتاة لغة وآراء • وقد حدثت النبوءة فى شهر فبراير سنة ١٩١٤ ، ونشرتها الجرائد فى شهر مارس سنة ١٩١٤ أى قبل اعلان الحرب العظمى • قالت : ـ

« ستغزو جيوش الاعداء بعد زمن قصير فرنسا من الشمال الغربى (نسبة الى بلدة Domremy التى ولدت فيها جان دارك) • وسيكون دخولهم دخول المنتصر بسبب وفرة عددهم ولنقص الاساليب اذ ذاك فى فرنسا • وحينما يبدأ هذا الغزو لا تكون جيوشنا متوقعة اياه • وسيجىء الغزاة من ناحية الحدود الشمالية الغربية لمقاطعتين ، وستكون الجيوش الغازية من الكثرة بحيث تصل الى عدة بلاد فى المقاطعة الثالثة • ويكون من الضرورى اخلاء هذه المدن وتسليمها • وسيعانى الشمال والشرق كثيرا • وسيتقدم العدو فى خط مستقيم مواز للحدود وستقع سلسلة معارك دموية حول قلعة ما (فردون ؟) وسيجد العدو هذا المكان أحصن وأقوى مما كان يتوقعه ثلاث مرات»

« ولن تكون فرنسا وحدها ، فان اختراق البلاد المحايدة سيثير الدول الاخرى التى ستحالف فرنسا ، لانه سيتضح لهذه الدول أن هذا الاجتياح يقصد منه امتلاك الارض المجتاحة ، ولكى يوجد ممرا مباشرا الى الحدود الفرنسية • ولكن الحلفاء سيسمعون العالم صوتهم ، ولن يكترث العدو بهم • وسيصر على اعتبار الاصقاع المحايدة بلادا مهزومة • فيستمر الصراع فى تلك الامة الصغيرة وسيكون صراعا دمويا

« ولكن العدو سيتردد على الرغم من تسخط القادة ، وسيتلو هذا الفتور استياء وثورة ، فلا يكاد القادة يدفعون الاذى عن أنفسهم ، فيتعرضون للهلاك . وتلك هى النهاية . وسيشترك الفرنسيون وحلفاؤهم فى وضع أساس لمعاهدة صلح .. الخ »

وغريب أن تتنبأ فتاة ريفية بسيطة بمثل هذه الاحداث . ولكن التنبؤ حدث وتحقق فعلا

تنبؤات عن الحرب الحبشية ومسائل أخرى

ولقد نشر هرمان هالبرن Herman Halpern حديثا كتابا مدهشا فيما اسمه « انى أتنبأ » يتضمن سلسلة من النبوءات الخاصة بموضوعات حيوية عن حياة الملايين فى الولايات المتحدة وصحتهم وثروتهم . وهو يتألف من صور تلغرافات وخطابات مسجلة أرسلت الى مستر روزفلت Mr. Roosevelt والكولونيل لويس ماك هوى Col. Louis Mc H. Howe

وعدا هذا فلدى هالبرن عشرات من مقتطفات الجرائد التى تبرهن على ان كثيرا من النبوءات التى تنبأ بها وبعث بها إلى روزفلت وهوى ، قد تحققت كلها بحذافيرها . والمتوقع ان تلك التى لم تقع بعد لن تكون أقل صدقا وتحقيقا

وفى يوم ٢٨ يناير سنة ١٩٣٥ أى قبل ان يشعر أحد بالمصيبة التى حلت بعد ذلك بأشهر كتب هالبرن الى الحكومة الامريكية يتنبأ بحدوث قحط عام وجفاف وتلف للمحصول فى المساحات المجتاحة وموت الملايين من الماشية

وقد تكرر ايصاله رسائل من الارواح الى الرئيس وسكرتيره محذرا اياهما من الجفاف والقحط الوشكين أن يقعا ، ومحتجا على حصر الزراعة وتحديد المساحة القطنية ، وذبح اناث الخنازير ، واهلاك الماشية للتلهى بالصيد . ولطالما تنبأ عن انهيارات خطيرة فى سوق الجملة . وقبل أن تسمع أبواق الحرب الايطالية الحبشية وطبولها بأشهر تنبأ بحدوثها ، وأكد الخراب الذى يحل بأمريكا اذا هى تلطفت مع القتلة الذين شوهوا القليل الذى بقى للمدنية من اسمها الجميل

ولقد تنبأ بحدوث زوابع وفيضانات ، وتقدم بنصيحة طيبة أدلت بها الارواح بصدد البطالة وخسارة الاسواق الخارجية ، وعشرات من الشؤون الاخرى الحيوية . ويقول الطبيب الدكتور باورز فى كتابه « ظواهر شجرة تحضير الارواح » فى هذا الصدد : « لو أن روزفلت اتبع هذه النصيحة لكان لنا منه واشنجطون أو لنكولن آخر »

تنبؤات عن الحرب الحاضرة

تقول الكاتبة الروائية مارجرى لورانس Margery Lawrence وهى احدى وسيطات الجلاء السمعى فى رسالة تلقتها من الارواح ، ونشرتها مجلة سايكك نيوز فى اكتوبر الماضى . وها هى الرسالة :


مارجرى لورنس

« ان حظ الانسان يكون أمامنا نحن الارواح المرشدة كأنه رسم أو شكل تخطيطى مرسوم بالقلم الرصاص ، ولكن دون لون . ونستطيع ان نخبركم بالسمة التى يتخذها فى الجملة . ولما كان الانسان قد منح ارادة حرة ، فقد ترك له أن يملأ فضاء هذا الشكل الذى هو خطه لونا وتفصيلا . ولكنه يستطيع أحيانا أن يغير هذا الشكل تغييرا قليلا

« ومن ثم فحينما نستطيع التنبؤ الصحيح بالشكل العام للمستقبل ، يكون للانسان نفسه مطلق الحرية لتغييره فى بعض تفصيلاته الصغيرة ، ولكنه يتفق دائما فى الشكل الرئيسى لما نكون قد سبق ان رسمناه

« ويتعين حظ الانسان العام باعتباره شخصا وباعتباره وحدة فى الامة بحياته وتجاريبه . وبالجملة ان المستقبل لا بد أن يقع كما رأيناه مرسوما فى الخطة العظمى

« ولقد ظهر لنا فى الرسم الخاص بتاريخ العالم لما ظهر شبح الحرب فى أوربا الوسطى (وهذا قد قالته بصيغة الاحتمال كبار الارواح المرشدة كلها) ان فرنسا وانجلترا لن تدخلا فيها بأكثر من مجرد الاستعداد لحرب ممكنة الحدوث

« وحتى فى أوربا الوسطى فان النشوب الحقيقى للحرب قد يتحول ولا بد أن يتحول فى اللحظة الاخيرة . ولما كان الانسان ذا ارادة حرة ، فان هتلر - برغم انه كان قد اختار السلم حتى اللحظة الاخيرة - قد دفعه الى الحرب مستشاروه الجبناء وقصوره هو فى هيمنته على المادة الشهباء فى مخه . وعلى ذلك فما أملناه واعتقدنا صدقه فى الاول مما أظهرته نبوءاتنا ثم تحول ، قد انصب على أوربا الوسطى »


سيلفر بيرش

ويقول الروح المسمى نفسه سيلفربيرش بصدد اخفاق نبوءة « انه لا حرب » ما يأتى وقد نشرته مجلة سايكك نيوز بتاريخ ٣٠ سبتمبر الماضى :

« لقد بذلنا كل ما فى وسعنا واستخدمنا جميع ما لدينا من القوى فبدا لنا انه لن تقع حرب - ثم بعدئذ مال العقل وتحطم »

ويقول سير نيفل هندرسون سفير بريطانيا السابق فى برلين فى آخر تقرير له قدمه فى منتصف اكتوبر الماضى :

« لقد قام عندى قليل من الشك ، ولكن الجملة الاخيرة قد أدت أكثر مما يؤديه شىء آخر لاحداث تلك الزوبعة الاخيرة فى عقل هتلر - ذلك العقل الذى كان يتوقف عليه سلام العالم »

لذلك كان من الكياسة ان تتلقى التنبؤات بكثير من التحفظ بعد هذه البيانات الواردة من عالم الروح

التنبؤ والعلم

ولقد قلت فى كتابى « الفيزيقا الحديثة ـ حاضرها ومستقبلها » وهو الآن تحت الطبع كلمة فى صدد التنبؤ بالغيب أرى أن أسجلها هنا ، وهى هذه :

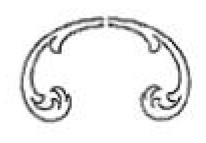
« لن يكون التنبؤ بالغيب أبدا أمرا علميا ، بل ربما كان تدبر العواقب فى حدود العلم أخطر صنيع الوثب الذهنى . فالعلم لا بد أن يكون باتا صادقا ، وكل حدس مبهم غامض مناف للعلم بل هو عدوه . ولكن التنبؤ يستطيع اليوم أن يلفت الانظار الى ما يلصق بالفكر العلمى الحاضر من تحديدات لا يبررها مبرر ، وان يدعو الباحثين فى المادة والحياة الى أن يتعاونوا معا لكى يستكشفوا القانون الطبيعى الوحيد الذى يسيطر على كل من المادة والحياة. وستكون جائزة ذلك عظيمة بلا شك

« أما عدم الاكتراث بابادة الحياة ، وهو ما امتازت به السنون الاخيرة فلا يصح أن يثير دهشة أو يبعث يأسا فى زمن فشا فيه خليط من العقائد الصالحة والطالحة ، واقترن ذلك بعلم معنوى تجريدى يبحث فى المادة . ولا يستطيع أن يقود الانسانية الى حياة أرفه وأرقى بعدئذ الا شىء واحد ، هو معرفة الحياة وقدرها قدرها ، وهذا الشىء لاينهض به الا العلم والفن ، لان هذين معا يكشفان لنا الحياة فى جميع صيغها الخطيرة العظيمة . غير أن جذور الفن الضاربة فى الاعماق قد أتلفها طغيان العلم الذى لم يكن قد تبين خطر الحياة وأهميتها ، وقد خضعت لسلطان قانون طبيعى . وذلك لان الفن لا يمكن أن ينهض الا من احترام الحياة أبلغ احترام ، تلك الحياة التى بدت ازاء الحالة العلمية لهذه الفترة كأنها حركة غير مقيدة تصارع قوانين المادة صراعا مستمرا »

والروحيون طلاب حقائق لا مجرد مدافعين عن عقائد ، ولذا فهم يعلنون برغم تحقق كثير من التنبؤات الروحية أنهم قد أسقطوا هذه التنبؤات من حسابهم

احمد فهمى ابو الخير

مدير ادارة السينما بوزارة المعارف



لماذا نحب السينما ؟

لأنها تحببنا فى الحياة الاجتماعية البدائية

يشترك الانسان المتمدين والحيوان البدائى فى كثير من الطبائع والغرائز • ذلك ان الانسان لم يفترق عن الحيوان الا منذ عهد قريب جدا ، لا يبعد عن الحاضر بالنسبة لتاريخ الحياة الا كما يبعد الامس عن اليوم فى تاريخ الافراد • والواقع أن غرائزنا الاصيلة الراسخة قد تكونت قبل أن تفرق أطوار الارتقاء بيننا وبين الحيوانات ، أى فى ذلك التاريخ الطويل الذى سبق ظهور البشرية

وهذه الغرائز الاولى وما تتطلبه من ارضاء ومن مقاومة ، هى التى أكسبت الانسان قوته العاقلة وهى التى مكنته من أن يتطور الى حالته الراهنة • ففى أثناء مكافحتنا قوى الطبيعة ، ارضاء أو مقاومة لغرائزنا ، اكتسبنا قوة التفكير فى الاشياء والقدرة على معالجتها معالجة عقلية • وليست هذه الغرائز الاولى متعددة ولا متشعبة ، بل هى محصورة فى هذه القوى التى تدفع الانسان الى خمسة أشياء معينة ، وهى : (١) الطعام (٢) المرافقة (٣) الدفاع عن النفس (٤) حب الاستطلاع والاستقصاء (٥) الحياة الاجتماعية • فلنبحث اذا عن العلاقة بين السينما وهذه الاشياء أو الدوافع الخمسة

الواقع أن السينما تثير فينا المتعة التى نحسها كلما أرضينا احدى غرائزنا ، وذلك انها تمدنا بأشياء كثيرة ترضى بعض غرائزنا الاساسية • وقبل أن نشرح هذا نظريا نقدم الدليل العملى ، وهو تهافت الناس على السينما تهافتا غريبا • فلولا انها ترضى غرائزهم وتميل بهم الى حيث تريد ميولهم ، لما وجدنا أن رواد السينما فى بريطانيا وحدها يبلغون اثنين وعشرين مليونا من الافراد لا فى العام الواحد ولا فى الشهر الواحد بل فى الاسبوع الواحد • ويبلغ عدد رواد السينما فى الولايات المتحدة الامريكية ثمانين مليون نسمة فى كل أسبوع ، أى ٧٠ ٪ من مجموع سكان الولايات يجدون لذتهم ويلتمسون متعتهم فى مشاهدة غرائز وعواطف سواهم من الناس تمثل أمام أعينهم على الشاشة البيضاء

هذا هو الدليل العملى فلنبحث الآن الامر بحثا نظريا :

اذا أرادالانسان أن يعيش عيشة معتدلة مستقيمة ، فيجب أن يتيح لغرائزه أن تعمل عملا معتدلا متزنا • فالاسراف فى الطعام يؤذى الانسان كما يؤذيه التقتير فيه • والانغماس فى ارضاء غريزة الجنس يفسد الحياة كما يفسدها الكبت والتبتل • واهمال حب الاستطلاع أو مقاومته يترك الانسان غبيا مغلقا ، ولكن الاسراف فى اشباعه قد يصيب الانسان

بالجنون ، أو قد يجعله من طراز « اديسون » الذى نسى حفلة زواجه لانه كان منهمكا فى دراسة بعض مسائله العلمية • وقد انقسمت غرائز الانسان منذ نشأته الاولى قسمين : الاول يشمل الغرائز العملية التى تدفعه الى البحث عن الطعام ، والى اتخاذ رفيق أو صديق والى الدفاع عن نفسه ضد من يعاديها أو ضد ما يعرض لها من الاخطار • والقسم الثانى يشمل الغرائز المعنوية أو التى نستطيع أن نتجاوز قليلا ونسميها الغرائز الثقافية ، وقد اتخذت هذه الغرائز صورا شتى وأشكالا مختلفة لتطابق بين نفسها وبين البيئة التى تعمل فيها ودرجة الحضارة التى بلغتها الانسانية حينذاك

وهذه الغرائز المعنوية أو الثقافية هى التى تدفع ملايين البشر الى دور السينما • ذلك أن الانسان أمضى على ظهر هذه الارض مليونين من السنين كنوع متميز من سائر أنواع الحيوان ، وقد ظل طوال هذه العصور يعيش عيشة اجتماعية مشتركة لا تعرف التقسيم الى طبقات ودرجات ، الا اذا استثنينا العشرة الآلاف سنة الاخيرة من حياته ، وهى فترة وجيزة لم تستطع أفكارها أن تلغى غرائز الحياة الاولى المتأصلة الراسخة

وقد كانت مهمة الفن فى جميع أطوار الحضارة هى التعبير عن هذا النزاع بين غرائز الانسان الاولى وبين أفكاره الحالية • بين حياته الشيوعية البدائية وبين حياة الطبقات القائمة • هكذا كانت دائرة الشعر والدراما والكوميديا عند الاغريق ، فكلها تعبر عن هذه الشخصية الانسانية الموزعة بين عاملين : عامل الغرائز الاولى وعامل الافكار السائدة • فلما جاءت السينما جامعة بين كل هذه الفنون وجد الناس فيها أوضح وأكمل تعبير عن هذه المشكلة الابدية

وليست الفنون وحدها هى التى تعبر عن هذه المشكلة ، بل الدين قد تناولها وجعلها نواة لاصوله وعقائده • فجنة عدن الموعودة ، والعصر الذهبى المنشود ، هى المجاز الدينى عن عودة الانسان الى حياة الفطرة الاولى التى تنمحى فيها الطبقات ويعيش فيها البشر عيشة اجتماعية واحدة تشبه تلك العيشة التى ما زالت ذكرياتها راسخة فى ذهن الانسان • وقد كانت ذكريات هذا العهد واضحة فى أذهان الناس فى العصور القديمة ، عصور الاغريق والرومان ، فكانوا يقيمون مأدبة سنوية يسمونها « ساتورناليا » أى مأدبة العصر الذهبى • فكان الناس فى أثنائها يطلقون أنفسهم من كل المظاهر المعروفة والاوضاع المقررة وينطلقون معا بلا فارق بين كبير وصغير يغنون ويرقصون ويسكرون

ولما كان « الفيلم » هو جماع الفنون التى عبرت فى شتى أدوار التاريخ عن هذه الرغبة الملحة التى يحسها الانسان ، فقد لقى من اقبال الناس قدر ما لقيت هذه الفنون كلها من اقبال • « فالفيلم » هو الأداة الثقافية الفنية الحديثة ، التى تجمع فى مكان واحد شتى ألوان الثقافة والفن ، من غناء وموسيقى ورقص وتصوير ودراما وكوميديا والقاء وأزياء وعمارة • أى هو كتاب الحياة الذى يعرض علينا ما فيها من آراء تصطدم مع ما فى قرارتنا من غرائز

(خلاصة مقال فى مجلة ورلدز وايجست)

قصة ملخصة

القصر المهجور

للروائي الفرنسي الاشهر : بلزاك

ترجمة الاستاذ عبد الرحمن صدقي

على مسيرة مائة خطوة من مدينة فندوم ، على ضفاف اللوار ، يقوم قصر قديم داكن ، شاهق السماك ، مفرد وحده ، وقد شاهت حديقته ، واستوحشت شجيراته ، وكلحت جدرانه ، وتعفرت نوافذه وأبوابه ، وخيم عليه سكون فاجع تحس النفس ان وراءه سرا . وقد علم كاتب هذه السطور من خادم نزل قريب حكاية أهل هذا القصر ، وكانت وصيفة عندهم ، وقد حلها نزوح السيد الى غير رجعة وموت السيدة من بعده من أمانة السر

كانت الحجرة المخصصة في القصر للسيدة دي ميريه في الدور الارضي . وكانت بها مقصورة صغرى طولها أربع أقدام متدخلة في الحائط تتخذها السيدة صوانا لاثوابها . وكانت السيدة دي ميريه من ثلاثة أشهر قد ألمت بها وعكة شديدة تقضي بألا يدعها الزوج وحدها ، فكان يرقد في حجرة بالطابق الاول . ولقد شاءت مصادفة من تلك المصادفات التي لا ضابط لها في التقدير والحسبان ، أن يعود الزوج ذات ليلة متأخرا عن مألوف عادته من النادي الذي يرتاده لمطالعة الصحف والحديث في السياسة . وكانت زوجته تحسبه قد عاد في موعده ، وانه في مضجعه مستغرق في النوم . ولكن أخبار الحرب كانت مثار نقاش شديد في النادي ، وشوط البلياردو كان حامي الوطيس وقد خسر فيه أربعين فرنكا وهو مبلغ جسيم في الريف حيث الناس أجمعون مدخرون للمال جامعون ، وحيث الطبائع مكفوفة عن الغلواء ملتزمة حدود القصد الحميد . ولعل في هذا مصدر سعادة حقة لا يحفل بها الباريزيون . وكان المسيو دي ميريه منذ حين يقنع بسؤال الوصيفة روزالي عما اذا كانت السيدة دي ميريه أوت الى فراشها ، فترد الوصيفة على سؤاله بالايجاب دائما ، فيبادر الى حجرته بسلامة الطوية التي تورثها العادة والثقة . ولكن بدا له هذه الليلة أن يعرج على زوجته يحدثها بما لاقى من سوء حظ ، ولعله يلتمس أيضا في قربها العزاء . فقد ألفاها على العشاء غنجة الزينة متبرجة ، فحدث نفسه وهو عائد من

النادى الى البيت أن زوجته عوفيت وصح بدنها وانها زادت على النقاهة حسنا ، ولقد فطن الى ذلك الليلة فقط كما هو العهد بالازواج يفطنون الى كل شيء متأخرين . فها هو ذا - بدلا من أن يدعو روزالى التى كانت فى تلك اللحظة مشغولة فى المطبخ بالتفرج على الطاهية والجوذى يلعبان بالورق شوطا عسيرا - يأخذ سمته الى حجرة امرأته على ضوء فانوسه الذى وضعه على الدرجة الاولى من السلم . وكانت خطوته، ومن السهل معرفتها، تدوى مرددة الصدى تحت حنايا الدهليز . فلما أن أدار السيد مفتاح حجرة زوجته خيل اليه أنه يسمع باب المقصورة المتخذة صوانا للثياب يقفل . ولكنه حين دخل ألفى امرأته وحدها واقفة أمام الموقد . فوقع بنفسه فى بساطة أن روزالى فى المقصورة ، بيد أن طائفا من الشك طن فى أذنه طنين الجرس فأيقظ توجسه . فتطلع الى امرأته فرأى فى عينيها ما لا يدرى كنهه من البلبلة والاستيحاش

وقالت : لقد طال فى العود تأخرك

ولكن هذا الصوت الذى يعهده غاية فى الصفاء ونهاية فى الرقة ، بدا له متغيرا بعض التغير . ولم يحر السيد دى ميريه جوابا اذ دخلت عليهما فى تلك اللحظة روزالى ، فوقع عليه ذلك وقع الصاعقة . فجعل يتمشى جيئة وذهابا فى الغرفة متنقلا من نافذة الى أخرى بحركة رتيبة واحدة مكتوف الذراعين

وسألته امرأته فى وجل وخشية ، وروزالى تعاونها على خلع ثيابها :

-أويلغك ما أحزنك ، أو بك ما تشكو منه ؟

فلزم الصمت

وقالت السيدة دى ميريه لوصيفتها : « اذهبى أنت . سأعصب شعرى بنفسى » . لقد أوجست أمرا من مجرد التطلع الى سيماء زوجها ، فأرادت الا يشهدهما ثالث

فلما أن ذهبت روزالى - أو بعبارة أصح أوهمت أنها ذهبت ، اذ الواقع انها وقفت فى الدهليز تتسمع - تقدم السيد دى ميريه فجلس قبالة زوجته ، وقال لها فى برود :

- سيدتى ، فى هذه المقصورة شخص

فرمقت زوجها هادئة المظهر ، وأجابته فى بساطة :

- لا ، يا سيدى

ولقد أمضته « لا » هذه ، وصدعت قلبه . فانه لم يصدقها

ومع هذا فلم تبد له امرأته أخلص نقاء وأخشع دينا كما بدت له فى هذه اللحظة . ونهض السيد دى ميريه يريد فتح المقصورة فأمسكت السيدة دى ميريه بيده ، ووقفته ورمقته فى حزن وأسى ، وقالت له فى صوت شديد التأثر :

-فكر فى انقطاع كل سبب بيننا اذا أنت لم تجد أحدا

وكان لوقفتها حرمة ووقار وطابع جلال من وراء التصديق ردا على السيد عميق التقدير لها ، وأوحيا اليه قرارا من تلك العزائم التى لولا ضيق الرقعة لضمنت البقاء وخلود الذكر

قال : كلا ، يا جوزفين . لست ذاهبا . فاننا لنفترق على الحالين فراقا لا لقاء بعده. اسمعي لي ، اني أعرف مبلغ نقاء سريرتك ، وأعرف أن حياتك حياة قديسة ، ولن يقوم بخلدك أن تقترفي كبيرة وفيها هلاك نفسك

وعند سماع هذا رفعت السيدة دي ميريه الى زوجها نظرة تائهة

ومضى الزوج يقول : خذي ، هذا صليبك . فاقسمي لي أمام الله أن لا أحد هناك ، فاني اذ ذاك مصدقك وقابض يدي عن فتح هذا الباب

فتناولت السيدة دي ميريه الصليب وقالت : أقسمت

فقال الزوج : ارفعي صوتك وأعيدي القسم : « أقسم أمام الله أن لا أحد في المقصورة» فأعادت العبارة غير متلجلجة

فقال الزوج في برود : حسنا ..

وبعد لحظة صمت قال وهو يمعن النظر في الصليب وكان من آبنوس محلى بالفضة بديع النقش للغاية :

ــ ان عندك تحفة بديعة الشكل لم أكن أعهدها عندك

فأجابت : لقد رأيتها عند ديفيفيه ، وكان اشتراها من راهب أسباني عندما مرت بالبلدة جماعة الاسرى الاسبان في السنة الماضية

فنبس السيد دي ميريه : « آه ! » . وأعاد الصليب الى مناطه من المسمار

ثم قرع الجرس . فلم تلبث روزالى أن دخلت ، وخف السيد دي ميريه اليها وأخذها الى فرجة النافذة المطلة على الحديقة وهمس اليها :

ــ أنا أعلم أن جورنفلو راغب في زواجك ولا يمنعه الا الفاقة ولقد صارحته انك لن تكوني زوجته الا اذا أصبح مقدم بنائين ... اذن ، هيا التمسيه ، وقولي له أن يأتي هنا ومعه مسحجته وسائر أدواته ، مراعية ألا توقظي غيره في بيته . ولسوف يفي كسبه بمشتهياتك . هيا ، ولتخرجي من هنا خاصة دون أن تثرثري ، والا ...

وقطب حاجبيه . وخرجت روزالى فاستدعاها اليه ثانية :

ــ خذي ، دونك جواز مروره

ثم صاح السيد دي ميريه بصوت راعد مجلجل في الدهليز : جان !

وكان جان حوذيه وأمين سره وموضع ثقته معا ، فلما سمع النداء ترك شوط الورق وقدم مليا

فابتدره سيده : « هلموا للنوم جميعا » وأومأ اليه بالدنو ، وأردف هامسا : « حين ينامون جميعا ــ حين ينامون ــ أتفهم جيدا ــ فانزل واعلمني »

وكان السيد دي ميريه يصدر أوامره دون أن تغيب امرأته عن ناظريه ، ثم أقبل هادئا الى قربها أمام الموقد وجعل يحدثها بما جرى في شوط البليارد وعما دار من نقاش في النادي . فلما أن عادت روزالى وجدت السيد والسيدة يتجاذبان حديثا وديا للغاية

وكان السيد فى العهد الاخير قد أمر بالحجرات التى يتألف منها جناح الاستقبال فى الدور الارضى فجصصت سقوفها • ولما كان الجص عزيز الوجود فى البلدة ونقله يزيد كثيرا فى نفقته فقد استورد منه السيد مقدارا كبيرا لعلمه أنه واجد على الدوام كثيرين من المشترين لما تبقى منه • وهذه المناسبة هى التى أوحت اليه بالنية التى هو عامل على امضائها

وهمست روزالى : سيدى ، جورنفلو موجود

فأجاب السيد رافعا صوته : ليدخل

وتغير وجه السيدة دى ميريه وعلتها مسحة شحوب عند رؤيتها للبناء

وقال الزوج : يا جورنفلو ، اذهب وخذ قرميدا من المخزون ، واحمل منه ما يكفى لسد باب هذهالمقصورة ، وعليك بالجص المتبقى عندى لدهان الجدار بعد ذلك

ثم اجتذب اليه روزالى والعامل ، وقال هامسا : « اسمع لى يا جورنفلو • بعد فراغك تام الليلة هنا • وفى صباح الغد يكون فى يدك جواز للرحيل الى قطر أجنبى ، الى بلد سوف أسميها لك • وسأعطيك ستة آلاف فرنك لرحلتك • وفى تلك البلد تقيم عشر سنوات • فاذا لم يطب لك فيها المقام ، فلك أن تستوطن غيرها ولكن فى القطر نفسه • ولكن مجازك عن طريق باريس حيث تنتظرنى ، وثمة أوقع لك صكا بستة آلاف فرنك أخرى تكون حقا لك بعد عودتك فى حال وفائك بشروط الصفقة التى بيننا • وفى لقاء هذا تطوى فى غور سرك ما أنت فاعله الليلة هنا وتشرح عليه صدرك • أما أنت يا روزالىّ ، فسأهبك عشرة آلاف فرنك لا أنقدها اياك الا يوم عرسك ، وعلى أن تتزوجى جورنفلو • ولكن لابد لزواجكما من التزام الكتمان • والا ، فلا صداق »

وقالت السيدة دى ميريه : « روزالى ، تعالى مشطى شعرى »

وجعل الزوج يذرع الحجرة فى هدوء طولا وعرضا وهو يرقب الباب والبناء وامرأته ، دون أن تبدو منه ريبة جارحة • كان جورنفلو مضطرا أن يحدث بعض الجلبة • فانتهزت السيدة دى ميريه أن كان البناء يفرغ حجارته وزوجها فى آخر الحجرة ، وهمست الى روزالى : « ألف فرنك أجريها عليك كل عام ، يا بنيتى العزيزة ، لو استطعت أن تقولى لجورنفلو أن يترك فى أسفل البناء ثغرة »

ثم قالت بصوت مسموع وهى رابطة الجأش :

ـ هيا اذن فعاونيه

ولبث السيد والسيدة دى ميريه صامتين طوال المدة التى قضاها جورنفلو فى سد الباب وكان هذا الصمت عند الزوج عن قصد وتدبير حتى لا يتاح لامرأته التعريض وتلقيح الكلام ، وكان عند امرأته عن تحفظ أو عزة نفس • ولما أن بلغ الجدار نصف ارتفاعه انتهز البناء الماكر أن كان الزوج موليا ظهره ، فأصاب احدى زجاجتى الباب بضربة من معوله ، فأدركت السيدة دى ميريه من ذلك أن روزالى أدت للبناء رسالتها • ولمح ثلاثتهم

من وراء الشظية المحطمة وجه رجل اسمر الاهاب ، أسود الشعر ، براق النظرة مشتعلها
وقبل أن يستدير الزوج كانت المرأة المسكينة قد أومأت برأسها الى الغريب « أن انتظر
وأمل » • وفي الساعة الرابعة عند انبلاج الصبح ـ وقد كان ذاك في شهر أيلول ـ تم
البناء • وبقي البناء تحت ملاحظة جان الحوذي الامين • ورقد السيد دي ميريه في حجرة
زوجته • وفي صبيحة الغد هب من فراشه وهو يقول بلهجة فارغ الهم خالي البال :

ـ آه يا للشيطان • لا بد لي من الذهاب الى دار العمدة لاستخراج جواز السفر

ووضع قبعته على رأسه وخطا ثلاث خطوات الى الباب ، ثم راجع نفسه ، وأخذ الصليب معه • فارتجفت زوجته فرحا

وقالت في نفسها : انه ذاهب الى ديفيفيه

وما كاد يخرج السيد حتى دقت السيدة دي ميريه الجرس لروزالي ، ثم هتفت بها في صوت مخيف !

ـ المعول ! المعول ! والى العمل • لقد رأيت البارحة كيف كان جورنفلو يزاول العمل • ولدينا المتسع من الوقت لنقب فجوة ثم سدها

وفي مثل لمحة الطرف أحضرت روزالي الى سيدتها أداة كالفأس ، فأقبلت هذه بحمية لا يتصورها وهم ولا تمثل في خيال تقوض الجدار • ولقد أطارت فعلا بعض الحجارة ، وفيما هي تتحفز لضربة أخرى أشد اذا بها تبصر السيد دي ميريه خلفها • فخرت مغشيا عليها

وقال السيد في برود : ضعوا السيدة في فراشها

لقد توقع الرجل ما هو حري بالوقوع في غيبته فنصب هذا الشرك لزوجته • واكتفى بأن يكتب بكل بساطة الى العمدة في أمر جواز السفر ، وأن يرسل في طلب الصائغ ديفيفيه • وقد وافى الصائغ ، والحجرة وقتئذ قد تم اصلاح أمرها ولم شعثها

فسأله السيد : ديفيفيه ! أولم تشتر صلبانا من الاسبان الذين مروا بالبلد

ـ لا ياسيدي

فقال السيد وهو يبادل امرأته نظرة النمر : حسنا ، أشكرك

ثم أردف ملتفتا الى خادمه الامين : جان ! قل لهم من اليوم أن يقدموا الطعام لي في حجرة السيدة • انها مريضة ، ولن أدعها حتى تعافى

ولبث السيد القاسي عشرين يوما بجانب جوزفين زوجته • وكان في الايام الاولى كلما اضطرب حس في المقصورة المسدودة ، وهمت جوزفين بالتوسل اليه من أجل الغريب المختنق ، قال لها دون أن يدعها تنبس بكلمة :

ـ لقد أقسمت على الصليب أن لا أحد هنا

عبد الرحمن صدقي

العلم والعالم

منجم غني بالراديوم

يكتشف في دائرة القطب الشمالي

لم يكن العالم يملك من الراديوم في سنة ١٩٣٠ سوى ٣٠٠ جرام ، أمضى عشرين سنة في استخلاصها مما يخالطها من المعادن . وكان الانتاج العالمي في السنة لا يتجاوز ٣٥ جراما ثمن كل منها اربعة عشر الفا من الجنيهات ، فلم يكن في وسع أكثر المستشفيات أن تحصل على شيء منه، برغم انه الوسيلة الوحيدة لاستئصال مرض السرطان الخطير.

أما الآن فينتج العالم سنويا ١٥٠ جراما ، وقد صار في متناول كثير من المستشفيات اذ يبلغ ثمن الجرام خمسة آلاف من الجنيهات ، وتبلغ الكمية التي يملكها الانسان الآن زهاء ٨٠٠ جرام

واذا كان العالم يمجد ذكرى مدام كوري وزوجها لانهما كشفا هذا المعدن النادر النفيس ، فانه يقدر كذلك فضل المغامر الامريكي «جلبرت لابين» الذي أدت جهوده ومجازفاته الى كشف منجم في دائرة القطب الشمالي حافل بالراديوم . وقد ظهر في امريكا أخيرا كتاب اسمه « الى الشمال ثانية في سبيل الذهب » واسم مؤلفه « ادجار لايثا » ، وفيه قصة هذا المغامر الامريكي الذي غادر موطنه وهو في سن الخامسة عشرة بحثا عن الذهب والفضة حتى اهتدى بعد عشرين عاما ، تعرض فيها للموت جوعا وبرداعدة مرات، الى الكشف عن هذا المنجم الراديومي الجديد

وقد كان أول مرةتسمع فيها كنداعن الراديوم في سنة ١٩١٣ حين اذاع احد رجال الحكومة القائمين بالبحوث الجيولوجية نبأ اكتشاف مدام كوري ، وقال انه يرجح ان تكون المنطقةالشمالية من كندا موطنا للمعدن الذي يستخلص منه الراديوم . فاتجه «لابين» الى الشمال مرة اثر مرة ، والاخفاق يتعقبه في كل خطوة والاخطار تعترض طريقه من هنا وهناك ، حتى بلغ المنطقة القطبية حيث وقع على « عرق » طويل من شتى المعادن النفيسة مثل الذهب والفضة والنحاس ، فأخذ منه زهاء مائة رطل فحصها وحللها فكشف من بينها المعدن الذي يستخلص منه الراديوم ، فكان هذا الكشف مناعظم ما وفقت اليهالانسانية خلال العصر الحديث

واستخلاص الراديوم يقتضي عمليات كيماوية معقدة عسيرة ، يتجاوز عددها ثلاثين عملية يتولاها العلماء المختصون . فالجرام الواحد يستخرج من عشرة أطنان من المعدن ، ويتطلب تحليلها واستنباط الراديوم منها زهاء ستين طنا من المواد الكيمياوية . ولهذا رأى « لابين » ان ينقل المعدن الخام من مكان استخراجه الى كندا حيث أقام معملا لاستخلاص الراديوم يديره أحد تلاميذ مدام كوري ، وهو مارسيل بروشون . وقد أدى هذا الكشف الى هبوط ثمن الراديوم الى حد معقول ، وذلك حين وجدت بلجيكا التي كانت تحتكر انتاجه منافسا جديدا قويا هو كندا، فبلغ ما أنتجته كندا في سنة ١٩٣٣ ثلاثة جرامات وبعدها بسنتين ثمانية جرامات ، وفي سنة ١٩٣٦ خمسة عشر جراما ونصف جرام ، وفي السنة التي تلتها ٢٤ جراما ، وفي سنة ١٩٣٨ أنتجت سبعين جراما ، وفي السنة الماضية بلغ انتاجها

١٠٨ من الجرامات . اما ثمن الجرام فيبلغ الآن ٥٠٠٠ من الجنيهات ، وبهذا كاد يتحقق أمل الانسانية فى توفير هذه المادة النادرة لتخليص من يرزأ من أبنائها بعذاب السرطان الخطير

مستوى الصحة فى المانيا

هذه بعض الاحصاءات التى اذاعتها وزارة الصحة فى ألمانيا :

١ ـ الدفتيريا

عدد حالات الاصابة :

٧٧ر٣٤٠	فى سنة	١٩٣٣
١٤٩ر٤٢٤	« «	١٩٣٨

عدد الوفيات :

٤ر٨٣٧	فى سنة	١٩٣٣
٨ر٣٢٩	« «	١٩٣٦

٢ ـ الحمى القرمزية

عدد حالات الاصابة :

٧٩ر٨٨٠	فى سنة	١٩٣٣
١١٤ر٢٤٣	« «	١٩٣٨

عدد الوفيات :

٨٣٢	« «	١٩٣٣
١ر٣٩٣	« «	١٩٣٦

٣ ـ الدوسنطاريا

عدد حالات الاصابة :

٢ر٨٦٥	فى سنة	١٩٣٣
٧ر٥٤٥	« «	١٩٣٧

وعلى هذا المستوى تجرى احصاءات أمراض أخرى كثيرة مثل شلل الاطفال وتسمم الطعام فقد بلغ عدد المرضى بها وعدد المتوفين منها ضعف وثلاثة امثال عددهم منذ خمس سنوات

أما اسباب هذا التدهور الذى أصاب الصحة العامة فى ألمانيا فلا تخرج عن (١) نقص مستوى الاجور مما أدى الى الاقلال من وسائل الراحة والنظافة ومن التغيير فى ألوان الطعام والشراب اللازمة (٢) وتحويل أكثر الاطباء الى خدمة جنود الجيش بدلا من خدمة الاطفال والنساء فافتقر الشعب الى العناية الطبية اللازمة ولا سيما بعد طرد اليهود وكان منهم عدد كبير جدا من أطباء ألمانيا (٣) وارهاق الصبية فى معسكرات هتلر حيث يجهدون بالتمرينات العسكرية دون أن ينالوا نصيبا وافرا من الطعام (٤) سوء حالة التغذية العامة فى ألمانيا فقلما تجد الطبقات الفقيرة والمتوسطة كل ما يكفيها من الطعام الدسم الشهى

احياء العظام الميتة

من انتصارات الطب الاخيرة تحويل عظام الحيوان الميتة الى عظام حية نامية فى جسم الانسان. فاذا تهشمت احدى القطع العظمية فى جسم الرجل أو سرى فيها داء ينخرها ويجعلها غير صالحة للبقاء ، فلا بأس من ازالتها من الجسم ووضع قطعة بدلا منها تؤخذ من جسم انسان أو حيوان ميت ، وذلك بعد تطهيرها بالماء المغلى أو بالمواد الكيمياوية مما بها من الجراثيم

وقد ذكر استاذ الجراحة فى جامعة بريستول عدة حالات من هذا القبيل تثبت نجاح تجارب الاطباء فى احياء العظام الميتة ، فقد وضعت قطعة من عظام ثور فى ذراع صبى مكسور ، فظلت فى مكانها تنمو وتطول كلما نما الصبى وطال ، دون أن تعوق صحته أو تقلل من قوته شيئا ، فقد صار هذا الصبى فيما بعد بطلا من أبطال الرياضة فى قذف الاثقال بيديه . وكذلك أخذت قطعة من قرن الوعل ووضعت بدلا من قطعة تهشمت من عظام ساق امرأة ، فلم تنقض سنة حتى سارت هذه السيدة على قدميها دون عرج أو التواء ولم يعد أحد يستطيع ان يميز بين الساق ذات العظم البشرى والساق ذات عظم الوعل

عصبة الأمم تكافح المرض

اذا كانت جهود عصبة الامم فى كفاح الحرب واقرار السلام قد انتهت الى هذه النتيجة التى

تشهدها الآن ، فانه من الغبن ألا يعترف العالم بما أدته من خدمات كبرى فى ميدان الصحة والاجتماع . ففى وسط هذه الزوابع التى تعصف بكيانها من كل جانب، نجد رجالها فى صميم المناطق الصينية النائية يكافحون الامراض المتوطنة فيها ولا سيما الجدرى والكوليرا . وقد أمدت اطباءها واخصائييها بكل ما يلزمهم لانقاذ سكان تلك المناطق من هذه الاوبئة الجائحة، فوضعت بين ايديهم كميات هائلة من مادة الكينين ، ومن المواد المطهرة لمياه الآبار من اسباب الملاريا ، كما أعدت لهم هناك ثلاثة معامل لاجراء البحوث العلمية اللازمة للقضاء على هذه الامراض . ولا شك فى ان عصبة الامم ستنقذ من الموت ملايين من الصينيين الذين تجتاحهم الاوبئة الفتاكة ، وبذلك تثبت ان ما بذل في انشائها لم يذهب هباء ، وما نيط بها من الآمال لم يكن عبثا

اشتغال المرأة بالطب

عندما أباحت بعض الجامعات الاوربية منذ عهد قريب أن تدرس الفتيات الطب وتمارس مهنته ، ثارت عليها ثائرة الرجال وانكروا على المرأة كفاءتها لهذه الدراسة ومقدرتها على هذه المهنة . وما زلنا نذكر الضجة التى قامت فى مصر عندما فتحت كلية الطب أبوابها للفتاة منذ بضع سنوات . ومع هذا فان التاريخ يثبت ان اشتغال المرأة بمهنة الطب يرجع الى أقدم العصور ، وان الاجيال السالفة كانت أكثر تقديرا منا لكفاءة المرأة وموهبتها

ففى الياذة هوميروس نجد اسم طبيبة هى « أجاميد » ابنة « أوجياس » التى كانت تعرف كل ما فى العالم من الاعشاب الصالحة لعلاج الامراض . وذكر المؤرخ «بليني» ان كليوباترة كانت خبيرة بتركيب الادواء المضمدة للجروح من السوائل والادهان . وكذلك كانت اساطير التيتون القدماء تذكر أسماء الطبيبات اللاتى أبرأن الابطال من أوجاعهم وجراحهم ، كما كانت تقول ان الطبيب تحرسه وتحميه احدى الآلهة.

وتاريخ الدولة الرومانية يقص علينا أنباء كثيرة عن الطبيبات ، منهن « فابيولا » التى باعت كل أملاكها وأسست بثمنها مستشفى تتولى فيه علاج المرضى والجرحى . وقد كان فى جنوب ايطاليا مدرسة طبية شهيرة هى مدرسة «ساليرنو» التى أنجبت طبيبة مشهورة هى « تروتيلا » مؤلفة كثير من البحوث الطبية . وكذلك انجبت مدرسة فلورنسا « دروثيا بوتش » التى خلفت اباها فى تدريس الفلسفة والطب فيها من سنة ١٣٨٠ الى سنة ١٤٠٠

ولكن لم يكد يبدأ عصر النهضة الاوربية حتى منعت المرأة من دراسة الطب وحرم عليها ان تمارس مهنته . وقد جاهدت الكلية الطبية فى باريس حتى ظفرت بحق حرمان المرأة من دخولها، وحق قصر مقاعدها على الشبان والرجال وحدهم. غير ان هذه الفترة لم تطل كثيرا ، فقد شهدت فرنسا فى القرن الثامن عشر جماعة من الطبيبات كن يصنعن الايدى والارجل من الشمع ويضعنها لمن يفقد شيئا من أطرافه ، ثم اشتغلت المرأة بالتشريح ، وقد ألقت مدام بيهرون درسا فى التشريح أمام مجمع حافل بالعلماء

ويرجع الفضل فى اصلاح نظام المستشفيات الفرنسية الى طبيبة هى مدام نيكر ، التى أنشأت مستشفى نموذجيا يحتوى على ١٢٠ سريرا ، ويقيم فيه ، لاول مرة ، طبيبان دائمان . وقد وضعت كتابا فى سنة ١٧٩٠ أحدث أثرا كبيرا فى تجديد أساليب الاستشفاء والعلاج . وكانت أول طبيبة ظهرت في بروسيا هى « كريستين اركسليين » التى استصدرت تصريحا بدراسة الطب من فردريك الاكبر ، ولكنها تزوجت فى أثناء دراستها ووضعت أربعة اطفال ، فلما مات زوجها استأنفت الدراسة ونالت اجازة الطب . وقد بدأ اشتغال النساء بالطب فى انجلترا فى عهد هنرى الثامن وظهر حينذاك عدد من الطبيبات والممرضات اللاتى خدمن الجنود المرضى والجرحى خدمات جليلة . ولكن المجتمع الانجليزى لم يلبث

أن حرم المرأة حق العمل فى الطب ، ولم تستعد المرأة هذا الحق وينظر اليها الشعب والحكومة بعين التقدير الا بعد أن أدت « فلورنس نايتنجيل » خدماتها العظيمة فى حرب القرم . أما فى مصر فقد أنشأ محمد على الكبير مدرسة للقابلات ، ولكنه لم يجد من المصريات أو التركيات من يدخلنها ، فاستقدم لها بعض الفتيات من الحبشة

المناخ : عامل حربى جديد

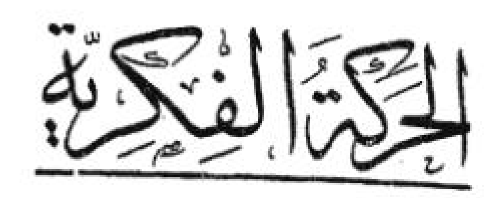
فرض رقابة على « النشرة الجوية »

منذ أصبح السلاح الجوى من أهم اسلحة الحرب الحديثة ، صارت حالة المناخ فى ميادين القتال أمرا يدخل فى تقدير القواد عند وضع خطط الهجوم والدفاع . وقد كانوا الى بدء الحرب الماضية يرسمون خططهم دون رجوع الى تنبؤات المراصد عن العواصف والامطار ، فأدى هذا الى اخفاق كثير من الحملات وفقد كثير من الطائرات . ففى سنة ١٩١٤ تقدم الى قيادة الجيش البريطانى أحد الخبراء فى المسائل الجوية طالبا أن يمدهم بأنباء ماسوف يثور فى الايام القادمة من الزوابع وما يسقط من الامطار ، فرفض طلبه « لان الجنود لن يتشروا فوق رؤوسهم المظلات مهما تهاطلت عليهم المياه » . ولكن لم تلبث الوقائع الحربية أن أثبتت خطأ رأى القيادة ، وضرورة اعتمادها على مثل هذه الانباء . ففى ليلتى ١٩ و ٢٠ اكتوبر سنة ١٩١٧ هاجم أحد عشر منطادا من مناطيد زبلين الالمانية شواطىء انجلترا ، فاذا بعاصفة عنيفة تهاجم هذا السرب وتقذف به الى الجنوب حيث سقط أربعة مناطيد فى أرض فرنسا . ومع ان الطائرات الحالية تستطيع مقاومة اتجاه الرياح ، الا أن الطائرة التى لا تقدر مدى العاصفة التى تعترض طريقها ، لا بد ان تجد نفسها بمنأى عن الهدف الذى ترمى اليه بعدة أميال . كما انه لا يتيسر ان ترسم خطة أية غارة جوية ما لم تكن هناك معلومات وافية دقيقة عما سيقع فى الجو من تغيرات وتقلبات فى أثناء الغارة

والواقع ان القائد الذى يوجه غارة جوية على بلد يجهل مناخه فى أثناء المعركة ، لا يفترق جهلا وحمقا عن القائد الذى يرسل جيشا على أرض لا يدرى أهى سهل فسيح أم جبل وعر أم أرض غابات كثيفة

واذا طبقنا حالة المناخ على ميدان الحرب الحالية وجدنا ان هذا العامل يفيد انجلترا قدر ما يؤذى ألمانيا . وذلك ان العوامل التى تؤثر فى مناخ أوربا الغربية تنشأ فى المحيط الاطلسى فى غالب الاحيان . ولا ينشأ منها فى أرض القارة الاوربية الا عوامل شاذة لا تؤثر الا من حين الى حين . وعلى ذلك فالرياح التى تؤثر فى مناخ ألمانيا تبدأ من المحيط ثم تمر على أرض انجلترا . بعكس الرياح التى تكيف مناخ انجلترا فان ألمانيا لا تدرى عنها شيئا ما . وتتعرف انجلترا حالة المناخ فى المحيط الاطلسى وما سوف تتمخض عنه من تأثيرات تكيف مناخها ، ومن التقارير التى تبعثها لاسلكيا سفنها التى تمخر عباب هذا المحيط ليل نهار . وقد تلجأ ألمانيا الى هذه الطريقة لو ان لها سفنا فى هذه المناطق تمدها بمعلومات عن حالة المناخ القادمة ، ولكن أنى لها هذه السفن ، والبوارج والطرادات الانجليزية تسيطر على هذه الآفاق . على أن ألمانيا تلجأ الى طريقة أخرى هى التنبؤ على أساس التقرير الذى وضعه علماء النرويج عن حالة المناخ فى أوربا الغربية خلال سنوات الحرب الماضية ، ولكن من الواضح ان مثل هذه التنبؤات لا بد ان تكون حافلة بالاخطاء

وقد ناشد الاستاذ هلدين ، وهو من كبار علماء الانجليز ، حكومته ان تفرض رقابتها طول مدة الحرب على الانباء الخاصة بأحوال العواصف والامطار ، وكذلك ما يتصل بها من أمواج الحرارة والصواعق والصقيع والضباب ، حتى لا تتسرب الى ألمانيا عن طريق اللاسلكى أو الصحف



انقاذ الانسانية

« انى أدعو الى ثورة الذكاء الانسانى على كل صورة من صور سيادة الدولة » هذه هى الصيحة الخطيرة التى يبعثها المفكر الحالم «ويلز» فى كتابه الاخير الموسوم باسم « اسفار جمهورى متطرف فى البحث عن الماء الدافىء » الذى يدعو فيه الى انقاذ الانسانية من النظم السياسية القائمة

يرى هذا الكاتب الجرىء ان الانسانية تجتاز أشق مرحلة فى تاريخها السياسى ، وان حضارتها لا بد ان تنهار اذا ظلت خاضعة للنظم السياسية الحالية أو لاولئك الساسة الذين « يتاجرون بتلك الاحساسات العتيقة ، احساسات الغيرة القومية » والذين « سمرت فى عقولهم هذه الآراء العالية عن مساحات الدول وحدودها وقومياتها ودساتيرها وتقاليدها ، وما الى ذلك من هذه العوامل التى يتخذونها ذريعة لاثارة المنازعات واقامة الحروب»

فمهمة الانسانية فى هذه الايام ان تقيم ثورة أو تعلن حربا ، يكون طرفاها المتصارعان هما : ما تملك الانسانية من قوات الذكاء والعلم والجرأة من ناحية ، وعصابات المغامرين وشراذم المضللين الذين يحكمون العالم من ناحية . ولتكن ساحة هذه الحرب أو مهد هذه الثورة ، الجامعات والمدارس والكتب والصحف . ولتكن الغاية منها انشاء عالم جديد يديره المفكرون والعلماء والاذكياء، فتنتفى منه دواعى الغيظ والحنق والنزاع، ويتخلص من اسباب الحرب والصراع والدمار

ويرى « ويلز » ان النظم السياسية القائمة كلها ، سواء منها الديموقراطية والديكتاتورية وما بين هذه وتلك من الاوضاع ، قد أخفقت فى وضع سياسة عالية لمصلحة الانسانية جمعاء ، بل كلها قامت لاغراض قومية يتطلب تحقيقها اغتصاب حقوق القوميات الاخرى وانتهاك حرماتها . وهو لهذا يعد هذه النظم « سموما » تسرى فى هيكل الحضارة الانسانية ، وهو يدعو الى التبرؤ منها والتمرد عليها واستبدالها كلها بنظام موحد تشترك فيه شعوب العالم جميعا ، ويتساءل الكاتب العظيم : « هل أولئك الباحثون المفكرون ، وهل هذه الجامعات والمؤسسات الفكرية ، وهل أولئك الساعون الى المعرفة والحكمة ، يرضون بأن يكونوا فى المؤخرة ليتقدمهم جماعة من « الموظفين » همهم تلبية اية اشارة يصدرها مغامر مجرم ، واطاعة أى أمر يلقيه عليهم مال جشع ، والسير وراء سياسى لا ينظر الا الى مصلحته ومركزه ؟ أم قد آن لهم ان يضعوا انفسهم فى المكان الصحيح ، فيكونوا هم السادة الذين يوجهون الحكومات ويديرون شئون المجتمع ؟»

أثر الاسلام فى التاريخ الاوربى

توفى المؤرخ الفرنسى هنرى بيرين قبل أن يتم كتابين عظيمين انجز منهما جزءا كبيرا وهما « تاريخ اوربا » و « محمد وشرلمان » وقد قص فى الاول منهما تاريخ أوربا حتى سنة ١٥٥٩ دون رجوع الى الكتب والمصادر اذ كان حينذاك سجينا فى ألمانيا فى أثناء الحرب الماضية ، بل استقى مادة الكتاب مما حفظته ذاكرته الواعية من مطالعاته ودراساته الطويلة . اما الكتاب الثانى الذى صدر بالانجليزية اخيرا فقد قصد من تأليفه الى تبيين ان الاسلام كان القوة الهائلة التى حولت مجرى التاريخ الاوربى ، حتى ليمكن ان

يقال ان العصر الوسيط والنهضة الحديثة هما ثمرتان من ثمرات ظهور الاسلام

ونقطة التحول في التاريخ الاوربي هي التي سقطت عندها الامبراطورية الرومانية . فما هي القوة التي أدت الى ذلك ؟ أما أغلب المؤرخين فقد اجمعوا على ان الشعوب الجرمانية التي كانت تعيش على تخوم الامبراطورية الشمالية هي التي اجتاحت حدود الرومان وقضت على دولتهم . اما هنري بيرين فيرى ان هذه الشعوب كانت من هوان الشأن وضيق الحياة الى درجة تجعلها تنظر الى الرومان نظرة العبيد الى السادة ، فما كان يخطر لها ، بل ما كانت ترغب أبدا ، في أن تناوىء روما وتقضي عليها . اما المسلمون فكانوا يعتقدون انهم أرقى واسمى من الرومان في جميع اسباب الحياة ، ولا سيما في الناحية الدينية التي كانت مبعث قوتهم ومصدر تشريعهم ، فلم يحجموا عن منازلة الرومان ليقضوا على سطوتهم وسيادتهم

وهذا هو الفارق بين الشعوب الجرمانية والشعوب الاسلامية حينذاك . فأولئك كانوا يعدون انفسهم عيالا على الدولة الرومانية ، وهؤلاء كانوا يرون أنفسهم أحق بسيادة العالم من الرومان الذين ضعفوا وشاخوا . كان أمراء الجرمان يفخرون بما يمنحه اياهم أباطرة الرومان من الاوسمة والالقاب ، أما رجال الاسلام فكانوا يأنفون من مثل هذه الرتب لانها تقدم ممن هم أدنى منهم دينا وخلقا واصلا . وكانت القبائل الجرمانية ترى نفسها سليبة من اسباب الحضارة ومن العقيدة الدينية الراقية ، فكانت تتخذ حضارة الرومان ودينهم تشبها وتقليدا ، اما الشعوب الاسلامية فكانت ترى نفسها جديرة بأن تمنح الرومان دينا جديدا وترشدهم الى مدنية اخرى . ولهذا فقد ظلت الدولة الرومانية قائمة وظلت حضارتها باقية بعد أن اجتاز الجرمان حدودها واستقر في نواحيها ، وكل ما حدث ان انتقل مركزها الرئيسي من روما الى بيزنطة واصاب حياتها المادية والعقلية شيء من الركود والكساد . ولكن لم تكد تهب ثورة الاسلام وتسير كتائبه الى أراضي الرومان ، حتى تلاشى كل ما كان لهم من المعالم والآثار وكأنما كانت رمادا ذرته الرياح . وقامت دولة جديدة وظهرت حضارة جديدة ، حاصرت اوربا من الشرق والجنوب فاضطرت ملوكها الى ان يوجهوا انظارهم الى الجزء الشمالي من أوربا ، حيث قامت المعارك وحدثت الوقائع التي كيفت تاريخ اوربا في العصر الوسيط وابان العصر الحديث ، اما الجزء الجنوبي من أوربا فلم يقع فيه في تلك العهود سوى موقعة « بواتيه » التي انتصر فيها شارل مارتل على جيش الاندلس . فلولا ظهور الاسلام لظلت الامبراطورية الرومانية قائمة وان انتقل مركزها من الغرب الى الشرق ، ولظل البحر الابيض بحرا رومانيا ، ولما قامت الثورات القومية التي خلقت دول أوربا الحديثة . ولا الثورات الفكرية التي تمخضت عن الحضارة الراهنة

روسيا السوفياتية

تعتمد على الأدب الاجنبي

تثبت احصاءات الكتب التي نشرت في روسيا خلال العشرين سنة الماضية ، أن أكثر الكتب ذيوعا بين طبقات الجماهير هي الآثار الادبية المقررة ، أو الكلاسيكية ، المترجمة من اللغات الاجنبية . فقد نشر من مؤلفات فيكتور هوجو ٣٫٥٠٠٫٠٠٠ نسخة ، ومن أقاصيص دي موباسان ٣٫٠٠٠٫٠٠٠ نسخة ، ومن مؤلفات رومان رولاند ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ نسخة ، ومثلها من قصص الروائي الانجليزي شارل ديكنز ، وكذلك نشر من مؤلفات بلزاك وأناتول فرانس ما ينيف على ٣٫٠٠٠٫٠٠٠ نسخة ، وزاد ما قرأته روسيا من مسرحيات شكسبير في اثناء هذه العشرين سنة عن ألف ألف مسرحية . وكذلك يقبل الشعب

على الآثار الروسية العظيمة التى خلفها أعلام الادب الروسى القديم ، امثال بوشكين وجوجول وترجنيف ودستويفسكى وتولستوى

ومعنى هذا ان الادب الذائع اليوم فى روسيا اما أدب أجنبى واما أدب قديم ، وكلاهما يخلو من أى روح أو طابع للثورة الدامية التى أقامت البولشفية، أو للنظام الجديد الذى طبقه السوفيات . فما سبب ذلك مع أن عهد الناس بالثورات ان تفسح أمام الادباء آفاق الانتاج فيجولون فيها بما ثار من مشاعرهم الكامنة وبما تفتحت عليه أعينهم من انحاء مجهولة ؟ فمن الغريب الا نجد الآن فى روسيا كاتبا عظيما ولا أديبا ممتازا . ولكن ان شئنا الدقة قلنا : قد يكون فى روسيا أدباء عظام لا يقلون عن أسلافهم العباقرة ، ولكن ما يسودهم من عسف وارهاب يسد عليهم الطريق الى الانتاج القوى الرائع ، الذى يخلص من شوائب الدعاية للحكومة والتملق لزعمائها . ولهذا يعيش أدباء روسيا الآن اما مشردين فى سائر الاوطان حيث يعانون من شظف العيش وقسوة الغربة ما لا يهيىء لهم سبل الانتاج ، واما مراقبين فى داخل بلادهم حيث يجرى قلم الرقيب على صفحات كتبهم كيف شاء ، وحيث ترسف أقلامهم فى أصفاد من بطش الحكومة وارهابها

هل كانت مهنة الكتابة مخجلة

من الظواهر الملحوظة فى الادب الاوربى القديم ان كثيرا من الاديبات تخلين عن اسمائهن واتخذن اسماء الرجال . فنرى فى الادب الانجليزى قصصية عظيمة اسمها « جورج اليوت » وفى الادب الفرنسى اديبة بارعة اسمها « جورج صاند » فما سبب ذلك ؟ من الغريب ان نذكر ان مهنة الكتابة فى اوربا فيما مضى لم تكن بالمهنة التى تخول صاحبها ان يفخر بها ويتباهى ، بل لعل الطبقات الرقيعة كانت تنظر الى الكاتب نظرة استخفاف وازدراء . ولا شك ان مرجع هذا الى ان الكتابة لم تكن تدر من الربح ما يخول صاحبها مركزا اجتماعيا ممتازا بل كان الفقر والعسر من المظاهر اللازمة لاغلب الكتاب والادباء . وعدا كثيرا ما كانت تصدر كتب قيمة دون ان يذكر مؤلفها اسمه بل يكتفى بان يذكر انها من تأليف مدرس او قسيس أو سيدة . هذا الى ان حياة الادباء كحياة سائر الفنانين ، تحوم حولها الاشاعات والاقاويل التى تقضى طبيعة المرأة ان تربأ وتترفع عنها ولو جهارا باخفاء اسمها عما تصدره من الآثار الادبية

اما وقد اصبحت الكتابة مصدر ربح كبير فى الشعوب المثقفة ، فقد صار مركز الكاتب رفيعا ومهنته مبعث الفخر . ولم تعد تجد الكاتب الذى يتخلى عن اسمه ، أو الكاتبة التى تتخذ اسم رجل ، الا اذا كانا يريدان من ذلك شيئا آخر غير التستر والتخفى . كأن يكون اصدار الكتاب غفلا من اسم المؤلف باعثا للقراء على تصفح الكتاب وقراءته لتبين الدافع لمؤلفه على اخفاء اسمه أو ان يكون فى الكتاب شىء من البذاءة التى تستهوى غالبية القراء ، ويأنف الكاتب من ان يقرن اسمه بها

هذا الى اننا فى عصر الدعاية والاعلان . فلم لا يساهم الكتاب فى هذه الموجة ، وهم أقدر الناس على الاعلان عن انفسهم ، ومن أشدهم حاجة الى الدعاية عن أعمالهم . ويلاحظ ان الكتاب القدماء كانوا يأبون ان يكتبوا شيئا عن انفسهم بل يدعون ذلك لنقاد الادب ومؤرخى الثقافة . أما الكتاب المحدثون فكثر فيهم من يكتب بنفسه تاريخ حياته ، ومن يتخذ ضمير المتكلم محورا لقصصه ومؤلفاته ، وصار هذا الاسلوب من الدعاية مألوفا عند الكتاب ، فلا معنى اذا لان يغفل هؤلاء الكتاب ذكر اسمائهم أو يستبدلونها باسماء أخرى

على ان ثم سببين يدعوان الكاتب الى اغفال

اسمه : أولا ان يكون قائماً بدعوة معينة يهمه نجاحها قبل ان يهمه ذيوع اسمه . ولما كان من شروط الدعاية الموفقة ان توحي الى الاذهان ان القائم بها لا يدعو لنفسه ولاسمه ، وانما يدعو لفكرة معينة، فمن الواجب ان يغفل الدعاة اسماءهم فيما يكتبونه من مقالات وما يصدرونه من مؤلفات وثانيا ان القراء حين يألفون كاتبا يريدونه دائما كما ألفوه ، في طريقة تفكيره وفي اسلوب عبارته، فاذا طرأ عليه ما يدعوه الى تغير مجرى كتابته ، بانتهاج اسلوب جدي بدلا من اسلوب فكاهي مثلا ، فان من مصلحته ان يتخلى عن الاسم الذي عرف به الى اسم جديد

قادة الانسانية

الذين غيروا مجرى التاريخ

أصدر سير شارلز أومان ، اشهر المؤرخين الانجليز المعاصرين ، كتابا موضوعه « كتابة التاريخ » تناول فيه جوانب البحث التاريخي فأفرد جزءا لتعريف معنى التاريخ وطريقة دراسته وكتابته ، وجزءا آخر لاعظم الشخصيات التي ظهرت في التاريخ فغيرت مجراه ووجهته الى غاية معينة

وهؤلاء الافذاذ هم : الاسكندر المقدوني الذي نقل المجتمع الانساني من حيز المدينة المسورة المحصورة الى حيز العالم الرحب الفسيح ، فقد كان أول من عبر بالحضارة الاغريقية اسوار بلادها ونشرها في جميع الانحاء المعمورة حينذاك، اما يوليوس قيصر فلا يعده هذا المؤرخ من ابطال التاريخ لانه لم يضف الى التاريخ شيئا ، فقد هدم الجمهورية الرومانية دون ان ينشيء نظاما يخلفها ، بل ترك الامور تجرى بعد موته وفق الظروف . اما الذي اقام نظاما يحل محل هذه الجمهورية فهو الامبراطور اغسطوس الذي وضع اساس الامبراطورية الرومانية . وهو لهذا يعد من الابطال الذين غيروا مجرى التاريخ واحدثوا امرا في سير الانسانية

وكذلك غير محمد وجهة الانسانية وسلك بها سبيلا غير الذي كانت تضرب فيه . فالاسلام وهو احد قوات العالم الكبرى واحد عقائده المهمة ، لم يكن ليظهر في الصحراء وينشأ بين اعرابها لو لم يكن هناك عقل محمد وروحه ، فهو اذا من افذاذ الانسانية وابطال تاريخها

ويعد شرلمان في صف الابطال لانه انشأ « الامبراطورية الرومانية المقدسة » وكذلك وليم الفاتح فلولاه لظلت انجلترا واسكندناوة خارج الجماعة الانسانية المتحضرة . وقد اقفر التاريخ من الابطال عصورا طويلة حتى جاء العصر الحديث الذي أظهر جماعة من الافذاذ الذين بنوا الشعوب الحديثة ، وهم بطرس الاكبر ، وفردريك الاكبر، ونابليون ، وبسمارك . وقد يمكن ان يضاف الى الذين غيروا سير التاريخ الانساني احد المفكرين الاقتصاديين ، كارل ماركس ، ولينين

وقد امضى سير اومان اكثر من خمسين سنة في تدريس التاريخ وتأليف الاسفار التاريخية . ولم يقصر بحوثه على عصر ما ولا على امة ما ، فقد شملت دراساته التاريخ منذ عصر هيرودس الى يومنا هذا وشملت العالم من الصين شرقا الى بيرو غربا . وهو ينحي باللائمة على المؤرخين المحدثين الذين قسموا التاريخ أقساما ، فمنها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والادبي والحربي وهو يقول ان التاريخ الصحيح هو ما عرفناه في شبابنا وهو الذي يدرس كل شيء وقع مهما كان تافها ومهما كان موضوعه ، فلا يترك أمرا يتعلق بتطور الزراعة أو الملاحة أو الطب أو استخراج المعادن أو الموسيقى أو التصوير ، فكلها أحجار مصفوفة في بناء واحد هو التاريخ

الكتب الجديدة

المحاكم المختلطة والمحاكم الاهلية

ماضيها • حاضرها • مستقبلها

تأليف الاستاذ عزيز بك خانكى

(طبع بالمطبعة العصرية بالقاهرة ، صفحاته ٢٩٠)

اشتهر الاستاذ الكبير عزيز بك خانكى بغزارة علمه فى القانون ، وقدرته البارعة فى عالم المحاماة ، وسعة احاطته بتاريخ القضاء ، وتاريخ مصر ، والتاريخ العام . وله فى ذلك عدة مؤلفات تربو على الثلاثين ، طبعها كلها ووزعها مجانا لا يريد بتأليفها الا خدمة النهضة العلمية والثقافية فى مصر . ومن هذه المؤلفات هذا الكتاب التاريخى الضخم ، فقد خصه عزيز بك بتاريخ انشاء المحاكم المختلطة وتاريخ انشاء المحاكم الاهلية ، وتاريخ نقابة المحامين المختلطة ونقابة المحامين الاهليـة . فهو يحوى تاريخ القضـاء والمحاماة بنوعيهما فى مصر وتطورهما خلال ستين عاما أو تزيد أى منذ انشئت المحاكم المختلطة حتى الآن . فقد كان القضاء قبل انشاء هـذه المحاكم فوضى ، وكان الاجانب وعددهم فى ذلك الحين ٧٩٫٤٨٣ تابعين لسبع عشرة دولة ، وكانوا خاضعين لسبع عشرة قنصلية تطبق عليهم سبعة عشر قانونا تصدر احكامها باسم سبعة عشر ملكا ، وكان المتقاضى مصريا أو اجنبيا لا يدرى بسبب التحويلات والتنازلات اى محكمة من السبع عشرة يرفع اليها خصومته . وتزداد حيرته عندما يتعدد الخصوم ، وتختلف جنسياتهم . وكانت الفوضى أعم وأضر بالنسبة للحكومة المصرية ، فقد كان الاجانب يستعينون بالمحاكم القنصلية للضغط على الحكومة لتدفع لهم تعويضات وهمية ، وقد احصى الاستاذ المؤلف ما دفعته الحكومة المصرية من التعويضات للمتقاضين الاجانب بين سنة ١٨٦٤ وسنة ١٨٦٨ فوجدها ٣٫٦٨٠٫٠٠٠ جنيه واحصى طلبات التعويض التى كانت معلقة الى سنة افتتاح المحاكم المختلطة فوجدها ٤٠ مليونا من الجنيهات بعضها لا أصل له ، والكثير منها فيه غلو فاحش ، ومن ذلك ان اجنبيا كان يطالب الحكومة بمبلغ ثلاثين مليونا من الفرنكات ولما عرض أمره على المحاكم المختلطة بعد انشائها حكمت له بثلاثين الف فرنك . وقد جاهد الخديو اسماعيل باشا فى التخلص من المحاكم القنصلية وضحت الحكومة كثيرا حتى انشئت هذه المحاكم التى استمرت حتى كانت معاهدة منترو التى نصت بالغائها فى سنة ١٩٤٨

وقد انشئ القضاء الاهلى فى سنة ١٨٨٤ على مثال المحاكم المختلطة ، وسنت الحكومة له قوانين مشابهة لقوانينها ، فلم يلبث طويلا حتى ارتقى واصبحت المحاكم الاهلية تضارع المحاكم المختلطة والمحاكم الاوربية فى نظامها القضائى الدقيق وهو ما جعلها جديرة بان تحل محل المحـاكم المختلطة . وقد فصل المؤلف تاريخ هذا التطور القضائى تفصيلا وافيا ، وعززه بالوثائق والمستندات

ديوان ابن الساعاتى

عنى بتحقيقه ونشره الاستاذ أنيس المقدسى

(طبعته المطبعة الاميركية ببيروت ، صفحاته ٤٣٧)

هذا هو الجزء الثانى من ديوان بهاء الدين ابى الحسن على بن رستم بن هردوز الخراسانى المعروف بابن الساعاتى ، وقد توفر على تحقيقه الاستاذ الكبير انيس المقدسى استاذ الادب العربى بجامعة بيروت الاميركية ، وهو حجة فى الادب العربى قديمه وحديثه ، ومرجع وثيق لاثاره ومذاهبه ،

وقد ألف الاستاذ انيس وكتب كثيرا وله آراء ناضجة ، وافكار جديدة ، واتجاهات حديثة لم يسبقه اليها كاتب من الكتاب ، وهو يمتاز باطلاعه الواسع ، واختياره المنتقى وحرصه على خدمة الادب حرصا ضحى فيه براحته ومجهوده الكبير ، وقد وقف على تحقيق هذا الديوان الطويل جهدا شاقا يتبينه كل مطلع عليه من ضبطه وتعليقاته وشرحه العلمى واللغوى . ولنضرب لذلك مثلا قصيدة صاحب الديوان فى تهنئة الشرف بن عنين بمولود التى مطلعها :

قفى فاسمعى محض النهى يا ابنة الفهم
فقد خطبت ام البلاغة والحكم
بأهنا من البشرى وأحلى من المنى
واشفى من الشكوى واندى من النعم

الى ان يقول :

دخلت بافكارى حظيرة قدسها
فاضحت من الهم الزيادى فى حرم

فالاستاذ المحقق انيس المقدسى لا يترك الهم الزيادى على القارىء كما يفعل بعض الشراح ، بل يعفيه منه ، ويفسره فيقول : « الزيادى نسبة الى زياد الشاعر وهو النابغة المشهور لقوله (كلينى لهم يا اميمة ناصب) » . . وعلى هذه الوتيرة يقرن المعنى اللغوى ، بالمعنى العلمى ويرده الى مصادره

اما الشاعر صاحب الديوان ، فقد نال من تقدير مؤرخى الادب العربى ما لا يتسع له المقام وحسبه أن تعنى به كلية العلوم والآداب بالجامعة الاميركية ، فتهتم بنشر ديوانه بين سلسلة منشوراتها السنوية . ومما يمتاز به هذا الشاعر الكبير طرافة الوصف وحلاوة المعنى وحسن التعليل ، ومن ذلك قوله فى صبى اصفر اللون من غير علة :

وبروحى من وجهه شفقى اللو
ن كالشمس روعت بالفراق
لا لداء لكنه عم وجدا
لم يدع غير هائم مشتاق
راق ماء الجمال فى وجنتيه
فهو مرآة أوجه العشاق

كتاب الفقه على المذاهب الاربعة

وضعته وزارة الاوقاف

(طبع بدار الكتب المصرية ، صفحاته ٦١٤)

لكل مذهب من مذاهب أهل السنة الاربعة الشهيرة فى الاسلام فقه خاص ، فللشافعى فقه . وللحنفى فقه ، ولكل من المذهبين المالكى والحنبلى فقه خاص ، وان كانت تتلاقى فى القواعد والاصول . وقد شاعت هذه المذاهب فى بلاد الشرق ، كما شاعت كتبها وتعددت ، ولما كانت مصر تجمع الى جانب اكثرية سكانها الشافعيين عددا غير قليل من أهل المذاهب الثلاثة الاخرى ، فقد رأت وزارة الاوقاف ان تضع كتابا فى فقه العبادات على المذاهب الاربعة ليتيسر للناس على اختلاف مذاهبهم تعرف احكام دينهم فى كل مذهب منها . وقد لقى هذا العمل عطفا عظيما من المغفور له الملك فؤاد الاول ، فأمر بطبع هذا الكتاب فلقى اقبالا كبيرا ، فأعادت الوزارة طبعه مرة ثانية ، ثم ثالثة ، فأقبل عليه المسلمون ونفدت نسخ الطبعات الثلاث كلها ، وقد طبعته هذه المرة الطبعة الرابعة ، وهى طبعة انيقة متقنة تولت القيام بها دار الكتب المصرية ، وقد صدرت بمقال نفيس لمدير قسم المساجد الاستاذ الكبير عبد الرحمن الجديلى . وهى تحوى سبعة كتب : كتاب الطهارة ، وكتاب الصلاة ، وكتاب الصيام ، وكتاب الزكاة (بالزاى) وكتاب الحج ، وكتاب الاضحية ، وكتاب الذكاة (بالذال) أى الذبح

الرسول

تأليف الاستاذ محمود رمزى نظيم

(طبع بالقاهرة . صفحاته ١٣٤)

للشاعر الكبير ، والزجال القدير الاستاذ محمود رمزى نظيم أسلوب سلس فى شعره وزجله وهو مشهور بخفة روحه ، وجمال لفظه ، ومتانة نظمه وحلاوة تنسيقه ، وهذه مجموعة بليغة فى مدح النبى محمد (ص) جمع فيه الاستاذ رمزى

بين الشعر المزدوج ، والموشح ، والزجل بانواعه، ومن ذلك قوله في عيد الهجرة :

حينما اشرق نور المصطفى
ملأ التوحيد بالنور الوجود
وهوى الشرك صريعا واختفى
يزهق الباطل والحق يسود

وبدا في الافق يختال الهلال
مثل قوس النصر يبدو في السماء
في محياه جلال وجمال
مستمد من ختام الانبياء
كانت الدنيا عماء وضلال
فمحت انواره ذاك العماء
ودم أهريق في الحق وسال
لم يكن الا لمحو الاشقياء
واختفى الكون بطه وصفا
وبدا في أفقه نجم السعود
ورآه الناس ظلا وارفا
فاستظل الناس من حر الجحود

وعلى هذا الاسلوب سار الشاعر في اراجيزه وموشحاته وازجاله . واقرأ في هذه الموشحة التي يخاطب فيها الفيلسوف الشاعر المرحوم جميل صدقي الزهاوي :

استرح من حيرة الفكر ونم
فزت بالوصول
ايها الزائل ان الله
حي لا يزول
ايها الشارب من كأس العدم
تاهت العقول
راحت الارواح والاجسام
عادت كالطلول
لذة العيش عذاب وألم
أقصر الفضول
كل حال ايها الراحل
لا بد تحول

اما الموضوعات التي طرقها ، فمنها هلال العام ، ويوم المولد الشريف ، ونور المصطفى وصاحب الغار ، وقوس النصر ، وقوة التوحيد ، وليلة الاسراء ، وعيد الاضحية ، ومكارم الاخلاق وغير ذلك من الموضوعات والمقطوعات الشائقة التي تتناول مناقب النبي العربي

قصص العلماء والمخترعين

أخبارهم • نوادرهم • سر نجاحهم

تأليف الاستاذ محمد عاطف البرقوقي
(طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ٠ صفحاته ٢٣٤)

قلما تجد في اللغة العربية كتبا تعنى بقصص العلماء ونوادرهم ومواهبهم ، على نحو ماعنيت به كتب الادب العربي وتاريخه ، او بعبارة أخرى ليس عندنا كتب تعنى بالتاريخ الادبي للعلماء ، وان كان المتقدمون لم يقصروا في هذه الناحية بوجه من الوجوه التي كانت تناسب طريقتهم في الكتابة والتأليف ٠ اما مدارسنا اليوم فهي تدرس الى جانب دراستها للادب العربي وتاريخه، تاريخ الكتاب والشعراء ، ولا تدرس الى جانب دراستها للعلوم تاريخ العلماء وشهداء العلم والمخترعات

وهذا النقص هو ما أراد مؤلف هذا الكتاب النفيس ان يعالجه في ناحية اختصاصه ، فالاستاذ محمد عاطف البرقوقي المفتش بوزارة المعارف متخصص في علوم الطبيعة ، وقد حاز درجة B.S.C. Hons من جامعة بريستول بانجلترا ولما عاد الى مصر ، وجد أن يقرن خدمته لوظيفته الحكومية بخدمة ثقافية عامة ، فوضع كتابا نفيسا في الكهرباء ، ثم تلاه بهذا الكتاب الذي تناول فيه قصص علماء الكهربة واللاسلكي ٠ وقد قال في مقدمته : « فدراسة تاريخ العلماء والمخترعين من أهم الضروريات ، لانها تعمل على محبة البحث العلمي ، في نفس الناشيء ، وتحث الشباب على اقتفاء اثر العلماء والاقتداء باساطين العلم وجبابرة

الابتكار ، ومغالبة الصعاب التى تعترضهم وتبذر فيهم بذرة النجاح »

وقد احتوى الكتاب على خمسة عشر بابا تحدث فيها عن اللاسلكية منذ عصر الفراعنة الى الآن ، وعن وسائلها قديما وحديثا ، وعن ابطالها ، ومكتشفيها ، وقصص كل منهم ، كيف بدأ وكيف اهتدى الى اكتشافه ، وكيف عاش ، وكيف صنعت المصادفة رجالا من نوابغ العالم فى العلم والاختراع ، وهو حديث طريف يلذ لكل مختص فى العلوم الطبيعية وغير المختص ان يقرأه ، وان يستوعب ما فيه من طرائف وفوائد جمة

الصحافة

تأليف الاستاذ محمود سمهان

(طبع بمطبعة المستقبل بالقاهرة ـ صفحاته ٢٩٢)

من المصادفات الطريفة ان يقترن تأليف هذا الكتاب القيم بانشاء مدرسة الصحافة بجامعة فؤاد الاول ، وبالعمل لتأليف نقابة الصحافة المصرية ، فالاهتمام بالثقافة الصحافية ، ودراستها ونشرها ، والعمل لاخراج جيل صحافى جديد ، وتأليف هيئة صحافية متحدة متناسقة لم يكن يشغل الحكومات والامة بقدر ما يشغلها اليوم . وهذا دليل على نضج الآراء فى مصر ، واتجاهها اتجاها جديا نحو المصلحة العامة ، بعد ان اثبتت الصحافة المصرية وجودها وسيادتها ، ورقيها الذى يجارى أسمى رقى لصحافة العالم المتمدن

ولعل هذا الكتاب أول كتاب يؤلف فى فن الصحافة باللغة العربية ، فان الذين سبقوه لم يتناولوا الكتابة عن الصحافة كفن ، ولكنهم أرخوا لها ، وسجلوا أعمال رجالها ، وأسماء صحفهم ، وما قامت به من خدمات عامة . اما مؤلف هذا الكتاب فقد تخصص فى فن الصحافة وحاز دبلومه من مدرسة العلوم الاجتماعية العليا بباريس ، ثم وضع مؤلفه جامعا بقدر المستطاع لتاريخ الصحافة وتطورها ، وتناول هذا الفن الذى أصبح من اوسع الفنون الحديثة ، ومن اكثرها تنوعا ، ثم تحدث عن قوانين الصحافة وحرية الرأى ، وحرية الصحافة ، والمثل الاعلى لقوانين الصحافة فى مصر ، وقوانين الصحافة فى الدول الديمقراطية والديكتاتورية كما تحدث عن نقابات الصحافة . وقد استعان الاستاذ محمود سمهان بكثير من المراجع فى مكتبات باريس وروما وفينا ومدينة الفاتيكان ، وبما أفاده فى دراسته بمعهد الصحافة ، وخبرته العملية فى مصر واوربا .

وخلاصة القول ان هذا الكتاب غذاء علمى صحافى مفيد ، كما ان الصحافة غذاء عقلى واجتماعى للشعوب . وقد قال كليمان فوتيل : « ان كان الطعام غذاء للجسم ، فالصحف غذاء للعقل ، وان كان شعار الجبهة الوطنية هو الخبز ـ السلام ـ الحرية ـ ففى وسعنا ان نغيره قائلين : ان شعارنا هو الخبز ـ الصحف ـ ثم نضيف الى هذين ما نشاء »

كتب أخرى

(قصتى ٠ جزاء المروءة) هى الحلقة السادسة والعشرون من القصص الشهرية التى يصدرها الاستاذ مصطفى محمد ابراهيم المدرس بالناصرية الاميرية بالقاهرة وهى قصص ادبية اخلاقية فكاهية لتربية التلميذ وتهذيبه واصلاح لغته . وقد طبعه بالمطبعة السلفية

(الكادحون) هى المجموعة السادسة من المجموعات التى يصدرها الاستاذ ذو النون ايوب بالعراق ، وهى قصص وطنية ممتعة حوت كثيرا من النظرات والآراء والنقد . طبعت بمطبعة أم الربيعين بالموصل

(تقوية الذاكرة) كتاب طريف يحوى ارشادات نافعة للحصول على ذاكرة قوية تأليف اربج جى . كيلى ، وترجمه الى العربية السيد يحيى السيد صالح السامرى بكمرك دمكوس البصرة بالعراق

بين الهلال وقرائه

القتال بالنار

(الخرطوم — السودان) يوسف شامل

فى أى تاريخ استخدم الانسان البارود فى القتال ؟ وأى الامم اسبق الى هذا الاختراع ؟

(الهلال) الشائع بين المؤرخين ان رهبان الصين هم أول من اكتشف مادة البارود واستخدموها فى نسف الابواب والاسوار . وقد انتقلت هذه المادة من الصين الى اوربا على يد الرحالة الايطالى ماركو بولو فى العصور الوسطى

على أن من المؤرخين من يذكر ان الاغريق عرفوا البارود — أو عرفوا مادة تشبهه فى قابليتها للالتهاب والانفجار — وذلك فى القرن السابع الميلادى . ويقال ان العرب عرفوا « السلاح النارى » فى أواخر القرن السابع وانهم أخذوه عن الهند . وقد صنع الفيلسوف « لاون » سنة ٨٨٠ أسهما نارية استخدمها جيش الامبراطورية الرومانية الشرقية . وفى سنة ١٠٧٣ حاصر ملك المجر مدينة بلغراد وأطلق عليها المدافع ! وفى سنة ١٠٨٥ أطلقت سفن تونس فى موقعة قرب طليطلة نارا كان لها دوى كدوى الرعد ! وقيل انه لما نشبت الحرب بين الصين والتتر سنة ١٢٣٢ أطلق التتر على الاعداء نارا محرقة من أنابيب بأيديهم ربما كانت البنادق . وكذلك يقال انه لما هاجم الصليبيون دمياط سنة ١٢٤٩ أطلقت عليهم كرات نارية محشوة ، ففتكت بهم فتكا ذريعا

الساعات والدقائق والثوانى

(الخرطوم — السودان) ومنه

متى بدأ الناس فى تقسيم اليوم الى ساعات ، والساعات الى دقائق ، والدقائق الى ثوان ؟

(الهلال) يرجع هذا التقسيم الى آلاف السنين ، فان البابليين هم الذين وضعوه . وقد قسموا النهار الى اثنتى عشرة ساعة والليل الى اثنتى عشرة ساعة أخرى ، لان الرقم ١٢ كان أساس العدد عندهم ، كما ان الرقم ١٠ هو أساس العدد عندنا وقد قسموا الساعة الى ستين دقيقة أى خمسة « اثنى عشرات » من الدقائق . وقسموا الدقيقة الى ستين ثانية أى خمسة « اثنى عشرات » من الثوانى

هل الصمم والعمى يورثان

(الاسكندرية — مصر) ف . ١٠١٠٠

هل الصمم والعمى من الامراض الوراثية ؟

(الهلال) اذا كان الابوان أصمين فالغالب أن يأتى الابن مصابا بهذه العاهة . ولكن اذا كان أحدهما سليما فالغالب ألا يرث الابن الصمم عن أحدهما . ولهذا يحذر الاطباء من زواج الرجل الاصم بالمرأة الصماء خشية ان يخلفا أولادا صما

وهناك نوع من العمى يعرف بالعمى الوراثى . على ان الاطفال لا يولدون مصابين بهذه العاهة ، بل حاملين جراثيم المرض التى تذهب بعيونهم وهم فى سن الثانية والثالثة . وهذا المرض نوع من الرمد يعرف باسم « نيوتاتورم » ومن الاطباء من يقترح تعقيم المصابين بهذا المرض لمنعهم من التناسل ووقاية خلفهم أذى العمى

الوزارة البريطانية

(حديثة — العراق) خضورى شاؤل سجلاه

ما عدد أعضاء هيئة الوزارة البريطانية ، وهل هنالك مناصب وزارية ثابتة لا يتغير أعضاؤها

اذا استقالت الوزارة أو أقيلت ؟ وما مرتب الوزير البريطاني ؟

(الهلال) في انجلترا نوعان من الوزارات ، وزارات يتألف من وزرائها مجلس الوزراء ويبلغ عددها الآن عشرين وزارة ، ووزارات لايشترك وزراؤها في هذه الهيئة التنفيذية العليا . والوزارات الاولى هي التي تقوم على الشؤون السياسية والحربية والمسائل الداخلية المهمة ، فمنها وزارات المالية والداخلية والخارجية والحربية البحرية والطيران والممتلكات والهند والمستعمرات وتنسيق الدفاع واسكوتلندة والتعليم والصحة والعمل والنقل والزراعة . والوزارات الثانية تتولى الشئون الداخلية التي تأتي في المرتبة الثانية والقائمون عليها — وهم لا يسمون وزراء وانما يعدون مديرين لمصالحهم — لا يتغيرون بتغير الوزارات . ومن هؤلاء مدير البريد ومدير الاشغال والمدعي العام ووزير التعويضات وغيرهم ممن هم في حكم وكلاء للوزارات الكبرى . ولا يتساوى جميع الوزراء الانجليز في مرتباتهم ، كما هو الشأن في مصر ، فمنهم من يتناول عشرة آلاف جنيه وهو وزير القضاء ، ومنهم من يتقاضى ألفين من الجنيهات وهو وزير العمل ، أما مرتب رئيس الوزارة فخمسة آلاف من الجنيهات

كيف أكون قصصياً ؟

(يافا — فلسطين) علي احمد

ما هي أفضل طريقة توفقني الى كتابة قصص ثمينة المعنى شائقة الاسلوب ؟

(الهلال) القصة فن رفيع ، فلا يجيد كتابتها الا من وهب ملكات معينة ، فمن يريد ان يكتب القصة النفسية يجب ان يكون قد أوتي نظرة دقيقة الى الاشخاص تمكنه من تفهم الطبائع والاخلاق، واستنباط الدوافع وتبين المشاعر . ومن يريد أن يكتب القصة الوصفية يجب ان يكون دقيق النظر الى الاشخاص والمشاهد ، قوي الذاكرة في حفظ السمات والامارات والاشكال . ومن يريد ان يكتب القصة البوليسية يجب أن يكون مرنا في تفكيره الى حد بعيد ، حتى لتكون حركات ذهنه كحركات يدي « الحاوي » فيسهل عليه خلق المواقف الغريبة وتصوير العقد الدقيقة وابتكار الحلول العجيبة . هذا من ناحية الموضوع ، أما من ناحية الاسلوب فهو يتأتى لمن يطيل المطالعة الدقيقة في آثار البلغاء من الكتاب المتقدمين والمحدثين ، على أن يعالج الكتابة كثيرا فهي اشبه « بصناعة » تتأتى لمن يتعلمها ويمارسها ، على أن يكون ذا استعداد طبعي لها . على انك تستطيع ان تدرس الاصول التي تقوم عليها فن القصة اذا كنت تعرف الانجليزية وطالعت كتابا من الكتب الكثيرة التي وضعت تيسيرا لمن يريدون كتابة القصص ، ومنها كتاب The Craft of Fiction تأليف P. Lubbock وكتاب Short Story Writing تأليف M. Albright

شرود الذهن

(يافا — فلسطين) ومنه

لا أكاد انتهي من مطالعة صحيفة أو مجلة حتى أنسى اكثر ما قرأت . وكثيرا ما يشرد ذهني في اثناء المطالعة وينأى بي عن الموضوع الذي أقرأه . فهل من علاج لهذا ؟

(الهلال) ينتاب الشبان في ابان سن المراهقة كثير من شرود الذهن ، فلا يستطيعون تركيز تفكيرهم في موضوع معين مدة طويلة ، ولا يستطيعون المثابرة على المطالعة الجدية والتفكير الدقيق . ويرجع هذا غالبا الى ما يطرأ على اجسامهم ومشاعرهم من التغير العنيف في تلك السن ، والى ما قد يمارسونه من العادات الجنسية وقد تستمر حالة شرود الذهن بعد ذلك اذا انساق الشاب في هذا الطريق الذي يضعف الاعصاب ويرهقها . فالسبيل الى تركيز الذهن وتوجيهه هو تقوية الاعصاب باجتناب العادات السيئة والابتعاد عن المخدرات وممارسة الالعاب الرياضية

اما عن قوة الذاكرة فالافراد تختلف انصبتهم منها حسب استعدادهم . فمنهم من يحفظ سريعا وينسى سريعا ، ومنهم من يبطىء في الحفظ ويبطىء في النسيان ، ومنهم من يتذكر الاشكال اكثر مما يتذكر الاصوات ، وما الى ذلك من وجوه الاختلاف . على انه يمكن التغلب على ضعف الذاكرة بتمرينها على تذكر الاشياء جزءا جزءا وجانبا جانبا . فلا تقرأ المجلة مثلا دفعة واحدة ثم تحاول تذكر جميع مقالاتها . بل اقرأها مقالا مقالا وتذكر في نهاية كل مقال ما ورد فيه . والترتيب والتبويب هما أحسن وسيلة لترويض الذاكرة على أداء مهمتها وتمكينها من ذلك في سهولة ، على ان نسيان ما تقرأ لا يضر ، فالمعول ان تكون فاهما ما تقرؤه ليحتفظ به العقل الباطن، ويمدك به عند الحاجة ، بل ربما كان النسيان من الرياضات العقلية اللازمة . وقد وضعت كتب كثيرة لتمرين الذاكرة وتقويتها ، نذكر منها :

(١) Remembering and Forgetting (٢) Bacon's Complete Guide to the Memory (٣) Memory Culture by Atkinsonn

التشريع الفرعوني

(أربيل – العراق) هادي رشيد الجاوشلي

هل كان لمصر في تاريخها القديم تشريع منظم ومدون كالتشريع الروماني ؟

(الهلال) كانت مصر أسبق الشعوب الى جمع القوانين وتدوينها . وذلك قبل الميلاد بأكثر من أربعة آلاف سنة عندما وضع « تحوت » القوانين المختلفة وجمعها في سنة ٤٢٤١ ق . م . ثم تفرقت القوانين وضاعت بعض نصوصها على مر القرون الى أن تولى الملك « بوخوريس » مؤسس الاسرة الرابعة والعشرين ومدة حكمه من سنة ٧١٨ الى سنة ٧١٢ ق . م . فجمع شتات القوانين بعد تعديلها في مجموعة واحدة تتناول المعاملات المدنية والاحوال الشخصية ، وعرفت بمجموعة قوانين بوخوريس وسماها الاغريق فيما بعد « قانون العقود » وقد اقتبس منها المشرع الاغريقي سولون كثيرا من النصوص والقواعد . ثم نقح أحمس الثاني أحد ملوك الاسرة السادسة والعشرين ، ومدة حكمه من سنة ٥٦٩ الى سنة ٥٢٥ ق . م . القوانين المصرية واصدرها في مجموعة جديدة عرفت باسمه . ولكن الملك دارنوس مؤسس الاسرة الثامنة والعشرين في سنة ٤٠٥ ق . م . أعاد العمل بمجموعة بوخوريس بعد ان ألف لجنة لتعديلها وتنقيحها . وقد استمر العمل بهذه المجموعة حتى نهاية العصر الفرعوني وطبقت كذلك في العصر البطليموسي على المصريين دون الاغريق الذين كانت تطبق عليهم قوانين بلادهم . واستمرت نافذة بعد الفتح الروماني مدة طويلة حتى أصدر الامبراطور كراكلا قانونا منح به الرعوية الرومانية لجميع سكان الامبراطورية وبذا طبقت في مصر القوانين الرومانية

وكانت القوانين المصرية متأثرة بالطابع الديني ومستمدة من العقائد الدينية . الا في الفترات التي كان يضعف فيها نفوذ الكهنة فكانت تأخذ مسحة مدنية . وقد عرف القانون المصري منذ أقدم العصور التقسيمات المعروفة في القوانين الحالية وهي الاموال والالتزامات والعقود والاحوال الشخصية . وكذلك عرف الفراعنة النظام القضائي الحديث ، فكانت عندهم ادارة خاصة بالمحاكم تسمى الادارة القضائية تقوم بوظيفة وزارة العدل عندنا ، وكانت محاكمهم على ثلاث درجات : محاكم جزئية بالقرى والمدن ، ومحاكم كلية بعواصم الاقاليم ، ومحكمة استئناف عليا بعاصمة الدولة . وكذلك توجد محاكم عسكرية خاصة بالجند ، ومحاكم ادارية خاصة بالموظفين وجباة الضرائب . والقانون المصري هو أحد مصادر القانون الاغريقي . وهذا كان أساسا للقانون الروماني الذي استمدت منه القوانين الحديثة . فمصر هي مهد التشريع الحديث وان كانت شهرة القانون الروماني قد طغت على اسم التشريع الفرعوني .

فهرس الهلال

الجزء الرابع من المجلد التاسع والأربعين

تحية الربيع

بقلم الآنسة مى

الليل يقصر والنهار يطول

قليلاقليلا تنقشع الغيوم ، فتنجلي زرقة السماء ، وتلتمع الاشعاع والأضواء . رحراح الابتسام يتفقد الكائنات فيتطلع كل منها الى المرح والضحك والحبور

الصبح ينشق عموده مكللا بلألاء الفجر الحنون . والمساء تترامى ظلاله مفعمة بأشواق الغرام . ويحلك الليل فتصغى النجوم الى الصوت الرهيب المجهول – صوت البقاء – هازجاً فى فلوات اللانهاية

أليست هذه بشائر قدومك ، أيها الربيع ؟

***

على النهر الوسنان تحنو الغصون فى تراخٍ ودلال . وأسراب النخيل على صفحة الرياض تتناشد الاشعار فى تمجيد إلاهة الطبيعة إيزيس . حتى الاهرام أضافت الى غلالتها ذات اللون الدهريِّ المهيب ، وشاحاً شفافا من نور وبهاء تتقلده فى الاسحار وفى الآصال

الدم ، وقد حفزته عوامل النشوة ، يجرى نشيطاً فى عروق الانسان والحيوان وفى شرايين الأشجار والنوامى . والعيون ، وقد استردت سحرها كله وسناءها كله ، تمضى ساطعة بسعير الحب المقتحم الغازى

أوليست هذه مؤثراتك ، أيها الربيع ؟

***

الطبيعة تختلج مشرقة وتترنح ثملى لاستقبال الموسم الفتان : هوذا مارس إذ تحصحص البراعم وتنوّر الكمائم ، وأبريل ذو الطلعة المجلوة الوضاحة ، ومايو نجىّ الورود وأليف العطور ، ويونية خلاّق الفل والياسمين بين الوهج واللواعج – فى موكب الشهور الحبيبة

أوليست هذه شهورك ، أيها الربيع ؟

***

الشاب ينتظرك ليزيد شعوراً بشبابه . الفتاة تنتظرك ليشرق فيك جمالها . الكهل ينتظرك ليستوعب لذة المناعة . الشيخ ينتظرك لتعود اليه حُميّا الشباب

الغرسة تنتظرك لتنمو . الزهرة تنتظرك لتزدهر . الصخر ينتظرك ليبدو الحنان عشبة خضراء فى جفوته . الطير ينتظرك ليسبح ويشدو . الشجرة تنتظرك لتصبح وجوداً مورقا ظليلا وموطناً لأعشاش المغردين

الارض تنتظرك لتعج أحشاؤها بفيض الحياة . الأثمار والبذور تنتظرك لتخرج على وجه الارض خيراً وغلالا . الشمس تنتظرك لتختال فى إيوان الافق مجردة من الأقناع والحجب . المنظومة الشمسية تنتظرك متمماً لانتظام المظاهر فى حياة كائنات السماء

لقد دار الفلك دورته ، وقامت الشمس والأرض وسائر السيارات الشمسية بمحتوم رحلاتها ، فتعاقبت الفصول خريفاً بعد صيف وشتاء بعد خريف ريثما يحين موعدك . وها أنت ذا الينا آئب

لن تنتظرك الطبيعة عبثاً ولا عبثاً ينتظرك الانسان : إنك ، أيها الربيع ، على مواعيدك أمين !

***

وها أنت ذا مقبل ، أيها الربيع الامين !

ولكن زرقة السماء قد تنكرت فاذا بها ساخرة هازلة ، وأهزوجة الاكوان قد تبدلت فاذا بها منتحبة معولة . واذا بنى البشر أكثر ارتعاداً وأشد إحساساً بالبرد القارس . ان ثلوج الشتاء وعواصف الشتاء لخير من دفئك وصفائك ، والانتظار المضنى فى الزمهرير لأرحم من المقدور الكريه المرير بين مغانيك ومطارفك !

بيوت عامرة ، مدائن زاخرة ، طرائف فاخرة ، أعمار ناضرة ستنقلب بمجيئك فى الغد دماراً وأنقاضاً وأطلالا وشيلالا ! وهذا الغد الزاحف بأخطاره ومآسيه انما يسبقه إلينا ظلُّ الاحزان فنحزن منذ الساعة ونحن نودع فصل الشتاء

بقدومك تتضاءل الأبعاد وتمحى رؤى الرياض والبحار والجبال ، ويتثاءب الأفق فاغراً فاذا به كهف جثمت عنده الاهوال ، وربض فيه الانسان كابوساً على صدر الانسان .

يا المكهف الفظيع وقد طغت فى أجوائه قوات الشقاء ، وسُدَّت فى جوانبه منافذ الافلات والضياء ، وكأنه قد ثقلت عليه من فوق يد الله !

بعودتك ، يا ربيع الوفاء ، تعودنا الذكريات العذاب : ذكرى عهد سالف ، ذكرى صباح منصرم ، ذكرى أمل قديم ، ذكرى هناء مقيم ! ثم نفكر حيالك فى الليل المقبل ، فى الغم المدلهم ، فى الموت المهاجم ، فى العمر الفانى ! وأمام عيوننا الملتهبة يمرُّ تكاثف الدخان واللهيب كأنما هو يذيع أحكام القدر !

أجل ، تستعد لك الأرض غير أنها هذه المرة تتهيأ لاحتضان الصرعى والمنكوبين . والأنهار تستعد لتصطبغ أمواهها بنجيع الدماء . والأشجار تستعد لتحنو بأفنانها على الجرحى والمصابين . والازهار تستعد لتلثم مشوَّه الأعضاء ومكلوم الاجساد . وهاوية البحر تستعد لتبتلع الكماة الصناديد . والاسماك تستعد لتتذوّق لحوم الذين تغذوا على لحومها طويلا ! والافق يستعد ليشهد هبوط النيازك البشرية بعد أن ألف منذ الازل هبوط النيازك الفلكية !

الناس فى انتظار ، والطبيعة فى انتظار . فماذا أنت بمنتظريك فاعل ؟

أربيع العذوبة ، أيجوز فى عرفك أن تكون ربيع الحنظل ؟

ربيع الازدهار والتجديد والتوليد ، أترضى لنفسك أن تكون ربيع اليتم والثكل والتشريد ؟

يا ربيع الحياة ، أتستطيع أن تكون ربيع الردى ؟

***

مطارق الحديد تطرق فى المصانع والمعامل

آلات وأدوات خلقتها العبقرية تقذف بأدوات وآلات للقضاء على العبقرية

الثروات الحسية والأدبية ـ الثروات التى كوّنتها جهود الانسان واختباراته على كر الاحقاب ـ حُشدت لتُستخدم فى الفتك والتدمير . أرأيت أنوارها المشئومة ؟ كعيون الجن فى أعماق المغاور ، كأحداق الغيلان تحت شائك الادغال ، إن بصيصها لنذير بالشر والويلات

لكأن الكرة الارضية بأسرها أمست بركان « الاتنا » ، وكأن جميع بنى الانسان باتوا أعواناً لاله الحديد والنار « فولكان » ، يصوغون بأمره وسائل الهلاك !

أذكروا اللعنة القديمة فمضوا يعملون تحت وطأتها خانعين ؟ ألتنفيذها هم فى الدأب والعناء يتساوقون ؟

الى أين يتسابقون ؟ وهل أمامهم فى آخر الامر سوى ذياك الباب الواحد ؟
ومن تراهم يكونون ؟ لقد فقدوا أسماءهم . ما هم الا شلالات تيار يتدافع
ماذا يقولون ؟ معمعة الحرب ، وقصف المدافع ، وتفجر القنابل ، ولعلعة الرصاص ، وانهيار المدائن ، وتفطر الجبال ، كل ذلك ذاهبٌ بما يقولون !
والجهود التى يبذلون ؟ القبر يزدرد الجهود التى يبذلون !
ريح صرصر تثنيهم جميعاً كلدن الاماليد الشيوخ منهم والشبان ، النساء والأطفال ، المقاتل والمقاتل ، المنكوب والمواسى على السواء !
واهاً ! أية رهبة تنحدر مع روح الربيع من نجوم المساء ؟ أية نقمة يلمع سيفها فى بهاء الفجر مسلولا !

***

كذبنا ، يا ربيع الجنون ، وأثبت لنا اننا لأنفسنا مضللون ، واننا بمرض « الكآبة والاضطهاد » مصابون !
كذّبنا ، يا ربيع الحرب ، وأثبت لنا انك ربيع السلم !
كذّبنا وأثبت انك ، كما عهدناك ، فى تأدية رسالة الحياة أمين !

***

وان لم تكذّبنا ، أيها الربيع
واذا تحتم المضى فى الحرب لتصير كلمةُ الحق حقيقةً وليشترى الانسان بالدم الغالى نعمة الحرية وغبطة الحياة
فيا ربيع الخلان والعشاق والمتيمين
ما أنت هذه المرة إلا ربيع الجبابرة والعمالقة والابطال !

« مىّ »

تتجه أنظار العالم الآن الى الدول البلقانية ، فهي موطن الخطر الآن ، وموضع التنافس بين الدول الكبرى . وقد تناول الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد هذا الموضوع في مقاله التالي

البلقان بين مطامع الدول الكبرى

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

صدق من قال ان البلقان « مخزن بارود » وشيك الانفجار ، فقد اجتمعت فيه جميع أسباب الخلاف التي تخلق المشكلات وتبتعث الاخطار . فهناك التنافس بين الدول الكبرى على تثبيت نفوذهن في بلدانه . وهناك النزاع بين دويلات البلقان على مسائل الحدود والسكان

وهناك النزاع في داخل كل دويلة من تلك الدويلات بين عناصرها المختلفة التي لا تنسى الأحقاد ولا تكف عن الثأر على سنن البداوة الأولى . وبعض هذه الأسباب كاف لتسمية البلقان بمخزن البارود في حالتي الحرب أو السلم على السواء

والتنافس بين الدول الكبرى قديم يرجع الى مئات من السنين ، ولكنه اتخذ في السنوات الأخيرة طريقاً غير الطريق الذي كان يسلكه أيام الامبراطوريات القديمة ، وهي امبراطوريات آل رومانوف وآل هابسبرج وآل هوهنزلرن

فبعد الحرب العظمى اشتغلت الروسيا بالثورة الشيوعية ، وانصرفت المانيا عن فكرة الفتح والعدوان طوال أيام الجمهورية الديمقراطية الى قيام النازية . أما ايطاليا وهي الدولة الكبيرة الاخرى القريبة من البلقان فقد كانت في شاغل بالانقلاب الذي أحدثته الفاشية ثم في شاغل بالغزوة الحبشية وما تلاها من التدخل في المسألة الاسبانية

فتاريخ التنافس الدولي في البلقان ــ على الطريقة الحديثة ــ انما يرجع الى ما بعد قيام النازية واستيلائها على النمسا ، أي الى أقل من أربع سنوات

وقد نشط التنافس الدولي على البلقان في ميدانين : التجارة والدعوة الفكرية ، وكانت الاحوال مؤاتية لألمانيا في هذين الميدانين فسبقت غيرها خطوات واسعات الى أن نشبت الحرب

الأوربية ، فتغيرت دواعى السياسة فى البلقان وغير البلقان

نجحت ألمانيا بعض النجاح فى ميدان التجارة وميدان الدعوة الفكرية لأسباب لا دخل فيها لتدبيرها ولا لمجهوداتها ، وانما المرجع فى تلك الأسباب الى خلو الجو من المنافسين الأقوياء

فالروسيا قد أبعدها عن الميدان مذهبها الشيوعى الذى يبغضه البلقانيون لأنهم فلاحون يعيشون على نظام الاقطاع أو نظام الملكيات الصغيرة ، وكلا النظامين ينفر من الشيوعية أشد النفور . وايطاليا أبعدها عن الميدان ما تقدم من اشتغالها فى السنوات الخمس الاخيرة بالحرب الحبشية والحرب الاسبانية ، فلم تدخله دخولا جدياً الا بعد استيلائها على ألبانيا فى السنة الماضية . أما الدول الغربية فليس بينها من تهتم بالسياسة البلقانية غير بريطانيا العظمى وفرنسا

وقد اتفق أن بريطانيا العظمى شرعت خلال السنوات الخمس الماضية فى خطة اقتصادية تقوم على تفضيل الواردات الامبراطورية وتوثيق العلاقات التجارية بين أقطارها المستقلة وغير المستقلة ، ولا يخفى أن صادرات البلقان كلها محصولات زراعية أو حيوانية تستطيع انجلترا أن تحصل عليها من أجزاء الامبراطورية البريطانية ، ومن هنا ضعفت علاقات التجارة بالبلقان واتسع المجال لمحاولات الالمان ، وبخاصة لأن اهتمام فرنسا بتلك البلاد سواء فى التجارة أو السياسة محدود لا يلجئها الى بذل مجهود كبير

وعولت ألمانيا على الخداع فى ترويج معاملاتها الاقتصادية فنجحت كما قدمنا بعض النجاح وأسلوب الاقتصاديات الالمانية معروف تكرره فى كل مكان

فهى « أولا » تشترى الحاصلات نسيئة بأغلى من أثمانها المعروضة فى الاسواق

وهى « ثانياً » تبيع ما تستغنى عنه من هذه الحاصلات بأثمان تقل كثيراً عن أثمانها التى تباع بها فى بلادها الاصيلة

وهى « ثالثاً » تدفع الثمن مصنوعات من معاملها على سبيل المقايضة ، وأغلب هذه المصنوعات أسلحة وذخائر وأدوات كمالية

ومثل هذا الاسلوب ينجح الى زمن قصير ولكنه لن ينجح الى زمن طويل ، لأن البلاد التى تعامل ألمانيا على هذا الأسلوب لا تلبث أن تشعر بأنها مضطرة الى شراء أشياء لا تحتاج اليها ولا يدعوها الى شرائها الا اضطرارها الى استيفاء ديونها الضائعة

هذا من جهة . ومن جهة أخرى تشعر تلك البلاد بأن ألمانيا قد أخذت منها عملاءها لأنها تبيعهم حاصلاتها بأرخص من أثمانها ، فيطلبون هذه الحاصلات من ألمانيا ولا يطلبونها

من أسواقها الأولى . أما ميدان الدعوة الفكرية فقد اهتم به الألمان غاية ما فى وسعهم من اهتمام ، ولكنّ فضل الظروف فى نجاحهم أكبر من فضل جهودهم التى بذلوها ، وإن لم تكن هذه الجهود بالشىء القليل

فالمعلوم أن الفلسفة النازية تقوم على دعامتين : الدعامة الاولى هى دعامة الحكم العسكرى وسطوة الاستبداد ، والدعامة الثانية هى التعصب المفرط للجنس أوللوطن أو للقومية

ولا حاجة بالألمان الى براعة فائقة لتشجيع السطوة العسكرية أو تشجيع التعصب القومى بين شعوب البلقان . فما زال حكام البلقان ينساقون طوعاً أو كرها الى تغليب السطوة العسكرية على النظم النيابية لقمع الفتن والمنازعات الداخلية التى تنجم من ضغائن الاقليات ومن اختلال الاحوال . وما زال البلقان كله أتوناً مستعراً بالعصبيات والحزازات والحركات الوطنية التى تلهب الشعور بالقومية . ويتفق فى بلد مثل رومانيا أن يكثر أصحاب الاموال من اليهود فتنفتح الآذان للنغمات النازية فى هذا الموضوع

وهكذا تمهد لفلسفة النازيين فى بلادالبلقان مجال لايحتاج الى براعة فائقة للترويج والاقناع الا أن التجارة والدعوة الفكرية ليستا بالغاية القصوى التى تنظر اليها الدول الكبرى فى تنافسها على مسائل البلقان

نعم ان ايطاليا تستفيد من أسواق البلقان ولا تنظر الى منافع التجارة هناك بعين الاستخفاف . وكذلك تعتمد ألمانيا ـ ولا سيما أثناء الحرب ـ على موارده الطبيعية من الزيوت والغلال . ولكن شيئاً من ذلك لا يعد محوراً أساسياً فى مدار السياسة الدولية

وانما المحور الأساسى هو ما وراء السيادة على البلقان من السيادة على البحر الابيض المتوسط وعلى المضيقين وعلى زمام المشرق والمغرب من شواطئه المتحكمة فى القارات الثلاث

روسيا وألمانيا تريدان العبور منه الى البحر وتريدان ما وراء ذلك من توسيع التجارة وتوسيع السيادة . وايطاليا تكره وقوع البلقان فى أيدى الروس كما تكره وقوعه فى أيدى الالمان ، ولا تنحصر نظرتها اليه فى منافع التجارة دون ما ترجوه في زمن قريب أو بعيد من إحياء الدولة الرومانية القديمة . وبريطانيا العظمى وفرنسا لا تأمنان العاقبة إذا وقعت تلك الأرجاء فى أيدى الروس أو فى أيدى الألمان . ويطول شرح المساعى والخطط التى تدبرها كل دولة من هذه الدول كما يطول شرح الصدى الذي تحدثه تلك المساعى والخطط فى كل دويلة من دويلات البلقان

إلا اننا نستطيع اختصارها وتوضيحها إذا قسمناها الى قسمين :

قسم الدول الكبرى الطامعة فى السيادة على البلقان وهى الدول الدكتاتورية

وقسم الدول الكبرى التى يقتصر سعيها على اتقاء الخطر من وقوع البلقان فى أيدى الطامعين فيه ، وهذا القسم هو معسكر الديمقراطية فى الحرب الحاضرة ، أو هو بريطانيا العظمى وفرنسا

أما سياسة الدول الدكتاتورية فتتفق فى شىء واحد ، وتختلف فيما عدا ذلك

فهى تتفق فى إيقاع الشقاق بين دويلات البلقان جميعاً ، وكراهة اجتماعها الى ميثاق أو عصبة موحدة الاتجاه ، لأنها متى اتفقت أصبحت قوة قادرة على صد الطامعين واعلان العداء الصريح لمعسكر الالمان والروس ومن يشايع هاتين الدولتين

وأما سياسة الدول الديمقراطية فهى على نقيض تلك السياسة تميل الى عقد المواثيق والعهود القوية بين جميع دويلات البلقان ، ولا تعنيها تجارته كلها إلا من حيث هى « إجراء حربى » لحرمان الالمان بعض الموارد والاقوات ، ولقطع علاقات التجارة والاقتصاد بينهم و بين البلقانيين . على أن علاقات التجارة والاقتصاد بالغاً ما بلغ شأنها لن تنسى البلقانيين حقيقة ماثلة لا تقبل النسيان ، وهى أن الدول الدكتاتورية خطر على استقلالهم أجمعين وخطر على مصالحهم فى ميدان التجارة نفسه على النحو الذى أجملناه فيما تقدم . ومن ثم تتوازن الامور بين معسكر يخافه البلقانيون ويتصلون به صلات غير مضمونة ولا مأمونة فى ميدان الاقتصاد

ومعسكر آخر لا يخيف البلقانيين ولا يشق عليه أن يشترى منهم نقداً ما يشتريه الالمان وغيرهم بالنسيئة

وكذلك تتوازن الامور من ناحية أخرى بين معسكر يهمه تفريق البلقانيين ومعسكر يهمه أن يتفقوا ويقدروا على الاباء والمقاومة

والكفة الراجحة ظاهرة

ولكن البلقانيين لا يزالون حتى الساعة غير مضطرين الى الترجيح ، ولن يضطروا اليه إلا أمام الخطر الداهم

فهل يسبقون هذا الخطر الداهم أو يسبقهم هو ويأخذهم على حين غرة ؟

علم ذلك مرهون بمستقبل الايام

عباس محمود العقاد

نواحي العبقرية
في حياة مصطفى كامل

بقلم الاستاذ عبد الرحمن الرافعي بك

ان الزعيم الذي بعث الحركة الوطنية بعد طول رقادها، واحياها
في عصر كانت الدعوة اليها أبعد ما تكون عن النجاح –
هذا الزعيم جدير بأن نتعرف نواحي العبقرية في شخصيته

نشأ مصطفى كامل فى عصر تكتنفه عوامل اليأس والقنوط . ولد سنة ١٨٧٤ وظهر فى ميدان الجهاد الوطنى سنة ١٨٩٠ والاحتلال البريطانى فى ابان سطوته ، والعهد غير بعيد باخفاق الثورة العرابية واحتلال الانجليز أرض مصر منذ سنة ١٨٨٢ ، والناس قد ألفوا تسليم الزعماء وخضوع الحكام والكبراء لسياسة الاحتلال واستسلام خاصة الامة وعامتها للحكم الاجنبى ، وتقلص ظل مصر فى السودان ، وتداعى صرح الامبراطورية المصرية فى أرجائه ، والغاء الدستور المصرى ، والجيش المصرى ، والبحرية المصرية . كل هذه الكوارث قد ألفها الناس واعتادوها ، وملأت نفوسهم يأسا واستسلاما

فى هذه الظروف والملابسات دعا مصطفى قومه الى النهوض ومقاومة الاحتلال والمطالبة بالاستقلال والجلاء ، وظل يجاهد فى سبيل تحقيق دعوته ، ولا مراء فى ان نهوضه وجهاده وسط هذه العوامل المثبطة للعزائم لهو أول ناحية من نواحى العبقرية فى تاريخه ، وأول برهان على قوة شخصيته

وطنيته قبس من عبقريته

كان الرجال البارزون فى مصر حين ظهر مصطفى كامل ، اما منزوين فى دواوين الحكومة . موالين للاحتلال . أو منصرفين لاعمالهم الخاصة فى المحاماة أو الطب أو الزراعة والتجارة .. والذين أدركوا منهم الثورة العرابية أو كانوا من رجالها ، قد انصرفوا عنها وملك اليأس نفوسهم . والذين لم يشتركوا فيها كانوا متأثرين بالروح العامة التى خيمت على البلاد ، روح الخضوع والاستسلام ، لم يكن فى البلاد سنة ١٨٩٠ مثل عليا للوطنية ، ولا قدوة حسنة من هذه الناحية ، ولا معلمون وأساتذة يثون مبادئها فى نفوس الشباب .

ولم يقل أحد ان والد مصطفى كامل أو والدته (على ما كانا عليه من الفضائل) هما اللذان غرسا فى نفسه مبادىء الوطنية . فأبوه « على أفندي محمد » كان مهندسا وضابطا من خيار الرجال . ووالدته السيدة حفيظة كريمة المرحوم اليوزباشي محمد افندى فهمى كانت من فضليات النساء وعلى جانب كبير من مكارم الاخلاق . ولكنهما كسائر الآباء لم يكونا يعنيان بتنشئة أبنائهما النشأة الوطنية ، بل كانت عنايتهما مقصورة على التربية الحسنة والاخلاق الفاضلة . وهذه الناحية لا تكفى لغرس مبادىء الوطنية فى النفوس . فان كثيرين من الشبان قد نشأوا من أبوين صالحين كما نشأ مصطفى ، ولكنهم لم يكونوا على غراره فى العقيدة الوطنية . فلم يبق من تعليل لنشأته الوطنية الا انها قبس من نور العبقرية . فنشأة مصطفى كامل الوطنية ، وحياته الوطنية كلها قبس من عبقريته . وقد اتجهت هذه العبقرية الى احياء الحركة الوطنية . ومن مداد هذه العبقرية خط التاريخ دورا عظيما من أدوارها . ولقد كان مصطفى منشىء هذا الدور اذ نفخ فى الامة من روحه فى وقت كانت الملابسات والظروف تجعل الدعوة الوطنية من أشق المهام وأبعدها عن النجاح . وكانت موضع الزراية والاستخفاف من سواد الامة . بل من الطبقة الممتازة من المجتمع . وهذا ولاريب مما يبرز ناحية العبقرية فى شخصيته ، ويظهر فضله فى بعث الحركة الوطنية

مغالبة اليأس

وثمة ناحية أخرى من نواحى العبقرية فى حياته . وهى قوة ارادته فى مغالبة اليأس . كانت الحركة الوطنية التى أحياها تصادفها الهزائم والعقبات ، ومع ذلك كان يضاعف جهاده كلما جدت عقبة فى طريقه . كانت أقوى خطبة هى التى يلقيها عقب الحوادث المثبطة ، فيحيى الامل فى نفوس الامة

وقعت حادثة (فاشودة) سنة ١٨٩٨ ، وانتهت بتراجع فرنسا فى المسألة المصرية وتركها انجلترا تتصرف فى مصر والسودان بمطلق ارادتها . بعد أن كان الظن انها ستقف فى وجهها وتدعوها الى الجلاء . وكان لهذه النهاية أثر سيىء فى نفوس المصريين ، وجنح معظم الاشخاص البارزين الى الولاء للاحتلال واكتساب رضاه ، اذ رأوا فى حادثة فاشوده برهانا واضحا على رسوخ أقدامه فى البلاد . ولكن مصطفى لم يثن ولم يتراجع ، وقال كلمته المشهورة « لا معنى للحياة مع اليأس ولا معنى لليأس مع الحياة » واستمر ماضيا فى سبيله برغم ما كان يشاهده حوله من مظاهر الضعف والخذلان

كتب فى اغسطس سنة ١٨٩٨ الى صديقه وزميله فى الجهاد المغفور له محمد فريد خطابا يقول فيه : « وصلنى خطابك الكريم المؤرخ ١٢ الجارى . وانه لا يسعنى الا أن أشكر ودك الصادق النادر المثال فى مصر . فهو تعزيتى عن هموم بلادى ، وتسليتى عن قعود بنى وطنى عن اجابة ندائى والاجتماع حول راية الوطن لانقاذه واسعاده »

وكتب اليه فى ٤ سبتمبر سنة ١٨٩٨ من برلين يقول : « انى لاحس بكآبة وحزن

عقيمين لوجودى فى هذه البلاد وحدى . وتعود القوم هنا على مقابلتى دون غيرى .
فعسى الله أن يمدنى بمساعدته ، وأجد من بنى الوطن أنصارا يجاهرون معى علنا بأفكارهم
وآمالهم . وما ذلك على الله بعزيز »

لم يتراجع مصطفى أمام حادثة فاشوده ، ولا أمام اتفاقية السودان التى أبرمت يوم ١٩ يناير سنة ١٨٩٩ فى أعقاب الحادثة . وأخذ يفكر من ذلك الحين فى انشاء صحيفة يومية تغذى النفوس والعقول بمبادىء الوطنية والثبات والمثابرة فى الجهاد . فظهر (اللواء) فى يناير سنة ١٩٠٠

وكان يبعث الامل فى النفوس بالتعظيم من شأن الامة والتنويه بقوة الحركة الوطنية . قال فى خطبته بالاسكندرية (يونيه سنة ١٩٠٠) : « انى أشد الناس أملا فى مستقبل أمتى وبلادى . وأرى الشعب الذى أنا منه جديرا بالرفعة والسمو . حقيقا بالمجد والحرية والاستقلال . ولولا هذا الامل وهذا الاعتقاد ، لكنت فارقت الحياة وتركت الدنيا غير آسف على أحد . وكيف لا أكون ذا أمل وهذه أمتى أجد فيها روحا جديدة وحياة صادقة ووطنية ناشئة قوية . ومن منكم لا يرى ما أرى . هل ينكر أحد شعور الامة بحالتها وانتباهها من رقدتها وقيامها من وهدتها وعملها لخيرها وسعادتها »

على انه فى بعض المواطن كان يفيض بالالم فيلوم الامة على تقاعدها ويبدو من عباراته مبلغ ما يعانيه من تخاذلها وانصرافها عن متابعة الجهاد . قال فى خطبته بالقاهرة فى ديسمبر سنة ١٨٩٨ : « يجب علينا أن نجتمع كثيرا ، ونتدبر فى الامر طويلا . فقد توالت الحوادث الجسام وتعاقبت البلايا العظام ، وأنذرت الايام مصر بسوء العاقبة وظلمة المستقبل . اذا دام المصريون رائدهم الشقاق والفراق . ومنتهى آمالهم قضاء الحياة على أى حال ، تعسة كانت أو سعيدة . تنزلوا أيها المصريون الى أعماق قلوبكم واسألوا سرائركم . هل أنتم فى شقاء أم هناء . وهل بالاستسلام وتسليم الاوطان تقابلون نعمة الله عليكم بمصر وهى جنة الارض وأبدع البلدان ؟ وهل يليق بكم وأنتم أشرف الامم أن ترضوا بهذا الهوان ، وتقبلوا هذه المذلة وأنتم صاغرون . اذا ألقى الخطيب النصيحة على قومه ظن كل انسان ان النصيحة موجهة لغيره لا له . فيقول : لقد أصاب الخطيب ولكن الامة ميتة . فمن هى الامة ، ألستم من أعضائها وأهم أعضائها ؟ أو ليست الامة الفرد متكررا . فاذا قام كل واحد بواجباته وأصلح المعوج من أموره صلحت أحوال المجموع وردت الى الامة حريتها وسعادتها . ولبس الوطن ثياب الحياة والقوة »

ولما وقع الاتفاق الودى بين فرنسا وانجلترا سنة ١٩٠٤ ، وأقرت فيه فرنسا الاحتلال البريطانى فى مصر ، زاد فى قوة الاحتلال ، وزاد النفوس يأسا من تبدل الاحوال . ولكن الفقيد لم يتزعزع يقينه فى الجهاد وضاعف كفاحه ، فأنقذ الحركة الوطنية من الانحلال . ودعا الامة الى الثبات فى نضالها . وكان هو خير مثال لها فى هذا الثبات . قال فى خطبته بالاسكندرية يوم ٧ يونيه سنة ١٩٠٤ : « لقد وقفت بينكم هذا الموقف مرارا

وعرضت عليكم آرائى فى شؤون الوطن تكرارا • ولكنى لا أظن ان الحوادث دعت المصريين فى وقت من الاوقات للنظر فى حاضرهم ومستقبلهم واستحثتهم لتبادل الافكار فيما هم عليه وما يصيرون اليه ، كما دعتهم فى هذا الوقت الذى خاب فيه بعض الآمال ، وتساءل الناس هل قضى علينا أم لا يزال لنا مخرج من هاتيك الظلمات وطريق للنجاة من ذلك الحكم الاجنبى وتلك السيطرة الانجليزية » وبعد أن تكلم عن الاتفاق الودى وحمل على السياسة الاستعمارية وعلى سياسة الاستسلام التى سلكها وزراء مصر وكبراؤها ، وأبان كيف ان هذه السياسة كان لها دخل كبير فى التحريض على هذا الاتفاق دعا الى التضحية والثبات قائلا :

« ان الذى يسمع صوت ضميره مناديا فى كل لحظة وآن بوجوب خدمة الوطن واعلاء شأنه ، يشعر بان دم آبائه الذى يجرى فى عروقه يطالبه بتضحية النفس لتلك الارض الطاهرة التى لا شرف له الا بها ولا حياة بغيرها ، ولا رفعة بدون رفعتها ، ولا مجد اذا زال مجدها • ان الذى يسمع ذلك الصوت ويشعر بهذا الشعور لا يخاف العقبات والموانع ولا يخشى السباب والمطاعن • بل يسير فى طريقه ناظرا الى الغاية التى طلبها والبغية التى تعلق بها • واجدا من سهام الاعداء ما يجده الجندى فى جراح الحرب من شرف وفخار »

الوطنية لا تنثنى أمام العقبات

« سخر أعداؤنا من الوطنية التى ننادى بها وندعو الامة اليها ، وقالوا ما شاء الحقد والعداء • ومن تخلى فؤاده عنها وجهل حقيقتها جاز له ان يقول فيها ما قال مالك فى الخمر • ولكننا نرى ان محبة الاوطان ليست مما تميل النفس اليه ساعة ثم تنفر منه ساعة ، أو وسيلة للكسب تنقضى بانقضائه • انما الوطنية شعور ينمو فى النفس ويزداد لهيبه فى القلب ويرسخ فى الفؤاد كلما كبرت هموم الوطن وعظمت مصائبه واشتدت كربته • فاذا كنا افتخرنا بهذا الاحساس العالى وتباهينا به ورمينا كل من جهله أو تجاهله أو خالفه بالخيانة أيام كنا نؤمل الخلاص القريب والجلاء العاجل • فخليق بنا أن نتعلق به اليوم أضعاف تعلقنا به بالامس • ونقول لهذا الوطن الاسيف : « كلما تمكن العدو منك تمكن حبك من القلوب وتعددت واجباتنا نحوك واشتد تمسكنا بحقوقك »

« اجل ايها السادة ! لا حياة لامة من الامم بغير الوطنية الحقة • ولا معنى للعيش بدونها، ولا تتجدد الآمال وتقوم الاعمال الا بها • لقد كانت أمم أخرى أتعس منا حالا ، ودوننا رقيا وتقدما • يحكمها الاجنبى بيد من حديد ، ولا تجد من أفرادها عالما يرشدها أو كاتبا ينصحها أو مربيا يقودها • ثم ناداها منادى الوطنية وظهر فيها من ينبهها الى هذه القوة الكامنة وذلك الكنز المدفون • فقامت بعد الرقاد الطويل ونهضت بعد السكون المديد ، وعملت بعد الكسل والخمول ، وتخلصت من قيود الاستبداد والاستعباد بعد أن ذاقت مرارة الظلم والاضطهاد الاعوام والقرون ! »

ولما وقعت حادثة دنشواى سنة ١٩٠٦ قوبلت فى مصر بالوجوم والالم ، وجوم الحزين اليائس ، وألم المستسلم لقوة الاحتلال وسلطانه . ولكن عبقرية مصطفى هى التى أبدلت من هذا اليأس قوة ، ومن هذا الوجوم حياة وثورة . كانت البلاد فى حاجة الى صوت عال يهز قلب الانسانية ويشهد العالم على فظائع المحاكمة والتنفيذ . ويستثير الرأى العام فى مصر وأوربا ضد الاحتلال عامة . كان ذلك هو صوت الفقيد . فدوى فى أوربا وتردد صداه فى مصر ، فهبت الامة تستنكر سياسة الاحتلال وتنضم الى الحركة الوطنية تحت لواء الفقيد

جلده على العمل

ومن نواحي عبقريته ، جلده المدهش على العمل . كان حركة دائمة لا تعرف فى سبيل الوطن هوادة أو كلالا . كانت روحه أقوى من جسمه، فكان يحمل صحته فوق ماتحتمل. وتدل رسائله الخاصة الى مدام جوليت آدم على ان صحته كانت فى حاجة الى الراحة والعلاج قبل وفاته بعدة سنوات ، ولكنه كان لا ينى عن العمل ولا يبالى أن يحمل نفسه ما لا تطيق من التعب والعناء

كتب الى مدام آدم من فيشى فى ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٠٣ يقول :

« يجب أن أقضى معظم هذا الشهر فى (التيرول) مع صديقى فريد بك الذى تشرفت بتعريفه اليك منذ سنين . لان الاطباء قد رأوا انه من الواجب أن أقضى فى الجبل بعض الزمن ، اذ أخذ التعب يستولى على أعصابى . ولهم الحق فى ذلك فانى لم أشفق على نفسى »

وكتب اليها فى ٢٥ يونيه سنة ١٩٠٥ كتابا قال فيه :

« ان العمل قد أضنانى الى حد أشعر معه بسرعة الحاجة الى ترك الوسط الذى أعيش فيه . وكأن الطبيعة قد خالفت سنتها ، اذ جعلت قوة روحى أكبر من قوة جسمى »

وفى صيف سنة ١٩٠٦ ذهب الى أوربا للعلاج والاستشفاء ، وكان فى حاجة قصوى الى الراحة . ولكن حادثة دنشواى قطعت عليه علاجه . فنهض نهضة الاسد ، وبذل تلك الجهود الهائلة فى اسماع العالم صوت مصر . ولما سافر الى باريس فى شتاء سنة ١٩٠٦ صحبة محمد بك فريد لاختيار محررى جريدتى (ليتندار اجبسيان) و (ذى اجشيان ستاندارد) ، عاوده المرض فى اثناء الرحلة ، ولزم الفراش بباريس عدة أيام ، عاد بعدها الى الجهاد والكفاح

وفى اكتوبر سنة ١٩٠٧ ، ألقى أعظم خطبه السياسية ، وعلامات الضعف والمرض بادية على محياه

مواهبه الخطابية

وهناك ناحيتان تجلت فيهما عبقريته ، وهما الخطابة والصحافة . فهو أعظم خطيب

أنجبته مصر الحديثة ، وأول خطيب سياسى جهر بالاستقلال فى عهد الاحتلال . وأول زعيم اتخذ الخطابة وسيلة لبعث الحركة الوطنية . كان خطيبا مفوها ، يجيد الخطابة باللغتين العربية والفرنسية . كان جهورى الصوت ، يتكلم من أعماق قلبه المملوء يقينا وايمانا . وكان له سلطان روحى على السامعين حتى الذين كانوا لا يدينون بمبادئه . وقد بدأت مواهبه الخطابية فى الظهور وهو بعد فى المدرسة الثانوية اذ كان يخطب فى جمعية الصلية الادبية وجمعية الاعتدال بمدرسة الامريكان ، فكان يسترعى الانظار بفصاحة لسانه وصوته الرنان . وقد اختار مدرسة الحقوق « لانها مدرسة الكتابة والخطابة » كما قال فى خطابه الى شقيقه على فهمى كامل بك فى ١٢ يوليه سنة ١٨٩١ ، وهذا يدلك على ميوله الخطابية وهو فى هذه السن المبكرة . ولا شك فى ان الحركة الوطنية مدينة لخطبه الجليلة الرائعة فى ظهورها واتساع مداها . وكان فى مواقفه الخطابية الكبرى يضع خطبه ويكتبها . ولكنه كان يلقيها على السامعين دون أن يتلوها . وكان له من قوة ذاكرته المدهشة ما يغنيه عن الرجوع الى التلاوة فى خطبه . وكانت مقدرته الخطابية باللغة الفرنسية لا تقل عنها فى خطبه العربية ، ولذلك نال اعجاب الاوربيين . وكانت خطبه الفرنسية من أعظم وسائل الدعاية للقضية المصرية فى أوربا وبين النزلاء الاجانب فى مصر

عبقريته الصحفية

أما عبقريته الصحفية فقد كانت تعدل عبقريته الخطابية . خلق صحفيا بفطرته ، فأسس مجلة (المدرسة) وهو بعد فى المدرسة الثانوية ، فكان أول طالب مصرى مارس الصحافة . وقد ولع بمراسلة الصحف فى هذه السن المبكرة ، وكتب فى كبريات الصحف من مصرية وأوربية قبل أن ينشىء اللواء . ولما أنشأه سنة ١٩٠٠ بعث فى الصحافة روح التجديد والنشاط . فكان اللواء نموذجا للفن الصحفى ، متنوع المقالات والابحاث والانباء . وكان أول ما صدر فى أربع صفحات ، ثم ما زال يرقى به حتى جعله فى ثمان بعد أن استحضر له من أوربا آلة الطباعة الكبرى (روتاتيف) . وكان يفيض بالانباء البرقية الواردة اليه من الخارج على يد مراسليه ، فضلا عما كان ينشر من رسائل كبار الكتاب فى مصر وأوربا . وصار كما قالت (الاجشيان جازيت) « أكثر الجرائد العربية انتشارا ليس فى مصر فقط بل فى جميع العالم على الارجح » ولم يكتف باصدار اللواء اليومى ، بل أصدر الى جانبه (مجلة اللواء) الشهرية ثم جريدة العالم الاسلامى سنة ١٩٠٥

وبلغت مقدرته الصحفية أوجها حين أصدر جريدتى ليتندار اجبشيان وذى اجبشيان ستاندارد اليوميتين . فصار يصدر ثلاث صحف يومية كبرى بثلاث لغات مختلفة . وهى مهمة تنوء بها العصبة أولو القوة من الرجال والجماعات . وقد كان يشرف بنفسه على تحريرها وادارتها ، وتتمشى روحه فى كل كلمة منها ، بحيث لم يؤخذ على أية صحيفة منها انها نشرت يوما مقالة أو نبذة تخالف روحه ومذهبه

وكان للايتندار اجبسيان وذى اجبشيان ستاندرد محررون اختارهم الفقيد من صفوة الكتاب الفرنسيين والانجليز ، ومراسلون فى باريس ولندن يرسلون اليهما تلغرافيا خلاصة كل ما ينشر فى الصحف الاوربية عن مصر فى حينه • فكانت الالوية الثلاثة تطالع قراءها يوميا بكل ما يهم مصر فى الخارج

ولما نشرت (الديلى تلغراف) حديثا للخديو عباس فى مايو سنة ١٩٠٧ عقب استقالة اللورد كرومر علم به الفقيد تلغرافيا من مراسل ذى اجبشيان ستاندرد فى لندن • فطلب اليه أن يوافيه بنصه حرفيا • فجاء نصه بالتلغراف فى ١٤٤٥ كلمة • وكانت هذه أول مرة فى تاريخ الصحافة المصرية والشرقية جاء فيها تلغراف بهذا الطول وهذه الاهمية

وقد بلغ من تعلق الفقيد بترقية الصحافة ورفع شأنها أن أوفد بعثة صحفية الى أوربا فى اكتوبر سنة ١٩٠٧ لدراسة فن الصحافة واتقانه

وتتجلى عبقريته السياسية فى المبدأ الذى اتخذه شعارا لدعوته وهو الجلاء ، اذ رأى بثاقب نظره انه الرمز الصحيح للاستقلال التام ، وان الاستقلال والاحتلال ضدان لا يجتمعان • قال فى هذا الصدد : « كل احتلال اجنبى هو عار على الوطن وبنيه » وقد اطرح المبادىء الملتوية والنظريات الخيالية جانبا ، وخالف الكثيرين من معاصريه الذين كانوا يرون مصانعة الاحتلال والتقرب اليه • وجعل الجلاء شعارا للحركة الوطنية • فهو أول من علم الامة انه صخرة النجاة لمصر • وان الاحتلال الاجنبى هو مصدر العبث باستقلال مصر وكرامتها القومية

مكانته العالمية

وتبدو عبقريته فى المكانة العالية التى نالها على صغر سنه فى مصر وفى أوربا • لم ينل مكانته بالمنصب والجاه ، أو بالمال والسلطان ، أو بالعصبية العائلية أو الحكومية • بل نالها بقوة العبقرية والوطنية • أما مكانته فى مصر ، فقد تجلت فى التفاف الامة حوله وتلبيتها لندائه واعتناقها لمبادئه • كما تجلت فى تقديرها له بعد وفاته ، وخاصة فى تشييع جنازته اذ كان يوم ١١ فبراير سنة ١٩٠٨ يوما مشهودا منقطع النظير فى تاريخ الحركة الوطنية

وأما مكانته فى أوربا فقد تجلت فيما كسبه لمصر على توالى السنين من الانصار والاعوان ، فى صحافة أوربا وفى دوائرها السياسية والادبية • وقد وفق من هذه الناحية توفيقا عظيما يدل على حظ كبير من المكانة الشخصية والمقدرة السياسية • فليس من السهل على أى انسان مهما كان كبيرا أن يدرك تلك المكانة التى جعلت الفقيد ينشر مقالاته وأحاديثه فى أهم الصحف الاوربية

لقد كانت كبرى الصحف الفرنسية كالفيجارو والاكلير والديبا وغيرها ترحب بمقالاته وأحاديثه ، وكان ينشر بعضها أيضا فى الصحف الانجليزية • وكان فى صيف كل عام يقصد الى أوربا وتنشر له كبريات الصحف الاحاديث والمقالات عن مصر وشؤونها ،

وتخصص لها مكانا بارزا فى أعمدتها ، وتتناقلها الصحف الاخرى . وكان لا يحل ببلد الا وتتجه اليه الانظار ليدلى الى الجمهور بآرائه عن الحركة الوطنية المصرية التى كان زعيمها وممثلها فى الداخل والخارج بلا منازع

ومن دلائل مكانته السياسية انه لما وقعت حادثة دنشواى استطاع أن ينشر مقالته الشهيرة (الى الامة الانجليزية والعالم المتمدن) فى صدر جريدة (الفيجارو) ، فكانت بمثابة صحيفة اتهام للسياسة الانجليزية فى جريدة من اكبر الصحف العالمية ، وفى وقت كانت السياسة الفرنسية متجهة وجهة الاتفاق الودى مع انجلترا . وهذا يدلك على عظم المنزلة التى نالها الفقيد فى العالم السياسى

ولما أوفد الفقيد الى باريس سيد افندى على أحد محررى اللواء فى بعثة صحفية ليتلقى علوم الصحافة فى مدرسة العلوم السياسية بها . زوده بكتب توصية الى أقطاب السياسة والصحافة فى فرنسا . فكان كلما قابل أحدهم وسلمه كتاب التوصية قابله بعناية واحترام لاحترامهم شخصية الفقيد . وقصد الى ادارة جريدة (الطان) - وهى كبرى صحف فرنسا - ومعه خطابان أحدهما لرئيس تحريرها ، والآخر لمحررها الاول . فلما أخبرهما انه رسول مصطفى كامل قابلاه بالحفاوة البالغة ، وأخذ رئيس التحرير يقدمه الى زملائه مبتسما قائلا : « هذا مندوب صديقنا الجليل مصطفى باشا كامل » . ولما تلا كتابه أقبل عليه وقال : « انى أحب الباشا من أعماق قلبى ، وأود أن أقوم له بخدمة ولو صغيرة ، فاعلم ان أبواب الطان مفتحة أمامك فى كل وقت وساعة . وان أبواب غرفتى لا تقفل فى وجهك أبدا ، وقد كلفنى رئيسك أن ألحقك بمدرستى العلوم السياسية والصحافة ، ومن رأيى أن تقتصر على الاولى ، لانك لا تستفيد من الثانية شيئا ، فاذا أتممت العلوم السياسية ، فعد الى مصر وتعلم الصحافة فى مدرستها الكبرى التى يديرها مصطفى كامل باشا » . فهذه المنزلة التى نالها الفقيد لدى أقطاب السياسة والصحافة فى فرنسا لا يمكن أن ينالها الا الرجل العظيم الذى رفعته كفايته الممتازة وشخصيته الفذة الى ذلك المستوى الكبير . ولا غرو فقد كان معروفا فى أوربا بانه بطل الاستقلال المصرى . ويدلك على سمو مكانته فى نفوس عظماء الغرب ان الكاتب الفرنسى الشهير بيير لوتى ، وكان صديقا حميما له - وضع كتابا سنة ١٩٠٩ عن مشاهداته فى مصر ، وقدم له بكلمة اهداء الى روح الفقيد قال فيها : «الى ذكرى صديقى المجيد العزيز مصطفى كامل باشا الذى استشهد يوم ١٠ فبراير سنة ١٩٠٨ فى ميدان الجهاد الشريف عاملا على رفعة شأن مصر والاسلام » . وهى كلمة لا تصدر الا عن تقدير عظيم من أديب كبير

فالعبقرية فى حياة مصطفى كامل تتجلى فى كل هذه النواحى ، وتفسر لنا كيف استطاع على صغر سنه ومغالبة الظروف لدعوته أن يبعث الحركة الوطنية من مرقدها

عبد الرحمن الرافعى

الضعف الخلقى
وأثره فى حياتنا الاجتماعية

بقلم الدكتور منصور فهمى بك

ألقى الاستاذ الدكتور منصور فهمى بك هذه المحاضرة النفيسة فى قاعة يورت التذكارية بالجامعة الاميركية بالقاهرة ، وقد تناول فيها جانبا هاما من حياتنا الاجتماعية ، فبحثه أدق بحث ، ولمس الامراض الحقيقية لمجتمعنا الحاضر . وقد تفضل فخص « الهلال » بهذا البحث الاجتماعى القيم . ننشره فى هذه الآونة التى ترى فيها حكومة مصر وعلماءها وادباءها يوجهون جهودهم الى الاصلاح الاجتماعى

شواهد لتحديد الضعف الخلقى

طالما يرد المفكرون تذمرهم مما يسيئهم من المظاهر الاجتماعية الى ضعف خلقى يتفشى بين أفراد الامة

فقد يستعرض أحدنا العمل الجارى فى دائرة من ادارات المصالح العامة فيتلمح فيها تفريطا فى حق العمل ، فيستاء من هذا التفريط والتقصير ، وسرعان ما يرجع علة ما أساءه وأمضه الى الضعف الخلقى

وقد يبدو لاحدنا انه يتذكر هنة من الهنات لواحد من المسئولين تجنبه العدالة أو النزاهة فى التقدير والحكم ، أو تميل به هذه الهنة الى رعاية مصلحته الخاصة على حساب المصلحة العامة ، وسرعان ما يعزو منشأ ذلك للضعف الخلقى

وقد يذكر أحدنا لبعض من يعرفهم من الناس أو لبعض زملائه واخوانه نوعا من المجاراة ومظاهر الرضا فيما لا يرضون عنه فى سرائرهم أو نوعا من المداراة فى أعمال يحسن الاحتساب فيها ولا يجمل السكوت عنها ، وسرعان ما يوصف هؤلاء المجارون أو المدارون بصفة الضعف الخلقى

بل قد يقلب أحدنا صفحات الزمن والتاريخ ، فيرى صورا من مجد الامم وعظمة الدول وحضارة الشعوب ، أو يرى صورا أخرى من حطتها وذلتها وتأخرها ، فيرتب هذا المجد وتلك العظمة وهذه الحضارات على قوة الخلق ، فى حين انه يرجع ضد ذلك الى الضعف الخلقى

ويطول بنا القول اذا استرسلنا فى ذكر الشواهد ، لنبق من وراء ذكرها ان ما يسمى

« الضعف الخلقى » هو الداء الذي يسهل لكل واحد من الناس تعليل ما ليس يرضيه في حياة الجماعات أو فى حياة الافراد . فما أيسر عبارة الضعف الخلقى عندما يرسلها اللسان حروفا وكلمات ، ولكن ما أشدها ابهاما وتعقيدا وغموضا عندما يراد تحديد معناها تحديدا بينا ، وعندما يراد حصر هذا المعنى فى سياج ضابط يميزه عن شتى المعانى

ضعف الخلق والتفريط فى الواجب

ويبدو لى عند التأمل أن المرد الاول لما يسمى « ضعف الخلق » هو التفريط فى الواجب أوبعبارةأخرى هو اهمال ما ينبغى عمله لما ليس ينبغى عمله . فالدعامة الاولى التى يصح الارتكاز عليها فى هذا الحديث ، تكون اذن فى معنى الواجب وما يقال حوله

وأقرر أنه ليس من اليسير أن يحيط كاتب أو يتحدث متحدث بموضوع الواجب فى مقال يرسل ، أو فى حديث ساعة تنقضى . انما أقصى ما يطمع فيه المتحدث أو الكاتب أن يثير الرغبة فى النفوس لاستذكار بعض المعانى التى تقرب الى الاذهان صورة من الواجب

قد يقصد بعبارة الواجب حين تساق فى صيغة المفرد جملة من الواجبات يتعذر حصرها ، فواجبك نحو صحتك ، وواجبك نحو أسرتك ، وواجبك نحو عملك ، وواجبك نحو حكومتك ، وواجبك نحو وطنك ، وواجبك نحو الناس جميعا ، وواجبك نحو عواطفك ، وواجبك نحو هذا الوجود ، وواجبك نحو روحك التى تلتمس لها قرارا من العقيدة ، وغير ذلك من شتى الواجبات انما تندرج كلها فى طوايا لفظ مفرد لهعند أهل الاخلاق نفحه الذكى ودفعه القوى ورنينه القدسى ، ذلك هو « الواجب »

ومن المشاهد ان مختلف الواجبات قد تتناسق وتتآلف ويساير بعضها بعضا . مثال ذلك أن تعنى كل العناية بصحتك اعتقادا منك ان عنايتك بها هى واجب نحو نفسك يعينك على النشاط لتقوم بواجبك نحو عملك ، وان واجبك نحو صحتك وواجبك فى أداء عملك يعينانك على الكسب لتقوم بالواجب نحو أسرتك وأبنائك

وقد يشاهد أحيانا ان بعض الواجبات يتعارض مع البعض الآخر ، كما لو رأى جندى من الجنود أن يستهدف لخطر محقق ليقوم بواجبه نحو بلاده وهو يذكر ان وراءه من أبنائه وصغاره من يدعوه الواجب حيالهم أن يستبقى حياته ويتجنب هذا الخطر المحقق ، وكما لو تردد الطبيب ليجود بعمله لينقذ مريضا وهو يذكر أن واجبه حيال صحة نفسه يرجح له ألا يتعرض لهذا المريض ، وكما لو تردد شخص بين ما يستوجبه لنفسه من شهوة العزة والكرامة ، وما يستوجبه على نفسه من الركون الى الحق والخضوع لسلطانه ، وروى فى ذلك انه لما أسلم جبلة بن الايهم الغسانى ، وكان من ملوك آل جفنة ، كتب الى عمر رضى الله عنه يستأذنه فى القدوم عليه ، فأذن له عمر ، فخرج اليه فى خمسمائة من أهل بيته ، حتى اذا كان على مرحلتين كتب الى عمر يعلمه بقدومه ، فسر عمر وأمر الناس باستقباله ، وأمر جبلة مائتى رجل من أصحابه فلبسوا السلاح والحرير وركبوا

الخيول وألبسوها قلائد الذهب والفضة ، ولبس جبلة تاجه ، ودخل المدينة ، فلما انتهى الى عمر رحب به وأدنى مجلسه ، ثم أراد عمر الحج فخرج معه جبلة فبينا هو يطوف بالبيت اذ وطىء ازاره رجل من بنى فزارة ، فانحل ، فرفع جبلة يده فهشم أنف الفزارى ، فاستعدى عليه عمر فبعث الى جبلة فأتاه فقال : «ماهذا» قال : «نعم يا أمير المؤمنين ، انه تعمد حل ازارى ، ولولا حرمة الكعبة لضربت بين عينيه بالسيف» . فقال لهعمر : «أقررت فاما أن ترضى الرجل واما أن أقتص منك» قال جبلة : «ماذا تصنع بى ؟» ، قال : «آمر بهشم أنفك كما فعلت»،قال : «وكيف ذاك يا أمير المؤمنين وهوسوقة وأنا ملك !» قال : «ان الاسلام جمعك واياه فلست تفضله بشىء الا بالتقى والعافية» ولما رأى جبلة الصدق من عمر حمل بخيله ورواحله الى الشام ثم الى القسطنطينية الى هرقل فتنصر هووقومه . وذكر أنه ندم حين تغلبت عليه شهوة النخوة وواجب الكرامة على واجب العدل والخضوع للدين ، فقال :

تنصرت الاشراف من عـار لطمـة وما كان فيهـا لو صبرت لها ضرر
تكنفنى فيهـا لجاج ونخوة وبعت بها العـين الصحيحة بالعور
فيا ليت أمى لم تلدنى وليتنى رجعت الى القول الذى قال لى عمر

وكما قد تتنافر معانى الواجبات وحوافزها عند شخص معين ، قد تتنافر كذلك معانيها وحوافزهـا فى مختلف الازمان ومختلف البلدان . على اننا نترك للمشتغلين بالفلسفة النظرية أمر البحث والتعمق فى معنى الواجب أو فى ترجيح بعض الواجبات على بعض . وحسبنا أن ننتحى من ذلك الناحية العملية ، فمهما اختلفت وجهات المفكرين فى معانى الواجب ، ومهما يكن من تنافر الواجبات أو تناسقها وانسجامها ، فان فى أعماق النفس وفى صميم الوجدان أداة للهداية والنور ، وهذه الأداة يمدها العقل اذا خلص من شوائب الهوى فيزيد نورها لالاء لتهدى الصادقين المفكرين الى ما ينبغى عمله ، وما ينبغى تجنبه كلما أشكلت علينا أحكام الخلق ، وكلما أخفتها عنا متعة الشهوات وظلمة الكفاح الحيوى

نشأة الشعور الخلقى

ولقد اصطلح الناس منذ القديم على تسمية هذا النور المتلألىء الهادى « بالضمير »وليس الضمير الا حسا معنويا ، أو ذوقا روحانيا ، يتركب من عناصر الحياة الاجتماعية وخلاصة التجارب فى العيش والمعاملات . فمنذ تكونت الجماعات البشرية والناس تغمرهم حاجات هذا الوجود وشؤونه ويسبحون فى خضم واسع من الخبرة والمحن . وقد تنوارث الاجيال هذه الاختبارات التى لا تحصى فتتلقاها الذرارى وتتبادلها الشعوب المتغايرة . ومن هذا التوارث وهذا التبادل يتخلف فى الحياة ذوق أخلاقى يصيب منه الافراد أقدارا مختلفة باختلاف أحوالهم وتربيتهم

اذا ثبت لنا ان هذا الذوق أو الشعور الخلقى هو أثر من آثار الحياة الاجتماعية وظاهرة من ظواهرها ، فليس من شك ان كل جماعة لا بد لها أن تولى هذا الشعور نوعا من العناية وأسلوبا من الرعاية يختلفان شدة وضغطا باختلاف الجماعات والامم ومكانتها من الرقى النفسى ، ففى الوجود وفى مجرى التاريخ جماعات يشتد اهتمامها بالاخلاق الى حد أن يمتد الشعور بالواجب الى أكثر أفراد هذه الجماعة فيكسبها مناعة وقدرة على البقاء. وفى مثل هذه الجماعات والامم يشتد الحرص على احترام الاخلاق ، كما يشتد على احترام القانون ، ويجازى من لا يخضع للنظام الخلقى كما يجازى من يخرج عن نظام القانون : فالمنافق والكاذب والمخادع والسارق وغيرهم ممن يتصفون بسوء الخلق لهم عقابهم من تحقير الناس اياهم ونزع الاحترام عنهم • وربما يزعم زاعم ان الجزاء الخلقى هين ولا يفوت على المسىء من سعادة هذه الحياة ، ولكن ما أخطأ هذا الزعم حين نعلم أن مرتكب الجرائم الخلقية يحيا مضطرب النفس موجع الوجدان ، وان نعم الدنيا ومتعها مهما تجمعت حول واحد من الناس فانها لا تكفل له السعادة ما دامت نفسه مضطربة ووجدانه موجعا

لست أريد فى هذه الكلمة الموجزة أن أفصل القول فى المقاييس التى تعاير بها الاخلاق الحسنة وتتعرفها عن سبيلها ، وحسبى ما قلت من أن فى نفس كل واحد أشعة من نور أعدته بها الحياة الاجتماعية ليتوجه وجهة الخير فى العمل اذا هو أخلص فى القصد لخير العمل • ومع ذلك أقول ان ما أجمعت الاديان على اقراره من الفضائل أو الرذائل وما اجتمعت تجارب الاجيال على تحسينه أو تقبيحه ، وما يهون على المنطق والتفكير السليم المستنير قبوله أو رفضه دون أن يكون هذا القبول أو الرفض مزعزعا لاستقرار الضمير وسكونه ورضائه ، وما ارتكز من الحكم فى أمثال الناس وتقاليدهم العامة ، كل ذلك يصح أن تجعل من مجموعته المتناسقة ركازا ترتكز عليه فى تقدير المسلك القويم

أثر التربية فى الخلق

أشرت فيما سبق الى ان أفراد الناس يصيبهم من الذوق الخلقى والشعور به أقدار تختلف باختلاف ظروفهم وأحوالهم • وليس من شك أنه بمقدار أنصبة الافراد من الشعور الخلقى تكون الجماعات التى تتكون من هؤلاء الافراد منيعة الجانب متعاونة سعيدة• هب أمة من الامم يرعى صانعها وزارعها وقاضيها ومعلمها وعالمها وجنديها وحاكمها ، وعلى الجملة يرعى كل فرد من أفرادها واجبه فى كل ما يكون واجبا ، وفوق ذلك يقوم كل واحد من هؤلاء الافراد بواجبه فى التعاون والتراحم ، أفلا تكون هذه الامة اذن قوية وسعيدة ؟ لكن ما السبيل الموصل ليكثر فى الامم عدد القوامين بواجباتهم الاقوياء فى شعورهم الخلقى • وعندى ان شحذ شعورنا بالواجب وارهاف ذوقنا الخلقى واذكاء الشعلة الوجدانية التى نهتدى بهديها فى ديجور الحياة ، انما مرجعه كله الى التربية الشاملة الحسنة حين تغرى كل ناحية من نواحى الجماعة التى نعيش فيها الى انعاش ذوقنا الخلقى ،

ففى العائلة يتلقن الطفل من أبويه معانى الواجبات ويستمد منها المثل الصالح . وفى المدرسة يجب أن يمرن التلميذ فى بيئتها على الشعور بالواجب والخضوع لسلطانه ، وفى العمل الحكومى والخدمة العامة يجب أن يروض العامل نفسه وغيره على تذكر الواجب ، وفى الطريق يجب أن يذكرنا الشرطى اليقظ حين يؤدى واجبه كاملا الى أن نذكر واجبنا من آداب السير فى الطريق ، وفى الصحف التى تلقى بين أيدينا يجب أن نستعين بوحيها على الاستمساك بالخلق ، وفى المعبد الذى ندخله ، وفى النهج الذى ندرج فيه يجب أن نجد مايقربنا الى الله وما يغرينا لحب الخير والجمال . وقصارى القول أنه يجب أن تهيىء الجماعة فى كل مظهر من مظاهرها مدرسة تؤكد فى الناس تربية الخلق وتمد شعورهم بالخلق

ومنذ القديم عنيت الامم التى تكونت فيها مختلف الحضارات بالتربية وبناء الخلق أكثر من عنايتها بجمع المعارف ولم المعلومات ، ذلك لان التربية الخلقية هى الاساس الذى ترتكز عليه عظمة الامم ومجدها وحضارتها ، وكذلك الشأن فى الامم الحديثة الكبرى فصبغة التعليم التى تصبغ أفرادهم أقل ظهورا من صبغة التربية الخلقية ، وبذلك تعلو تلك الامم درجات على غيرها فى سلم الرقى البشرى

واذا صح ما قدمت من انه يستعان على شحذ الذوق الخلقى فى الافراد بوسائل التربية الشاملة ، فمن المؤكد ان هذا الذوق تزيد شدته وحدته عند التطبيق والعمل ، ولا يكون ذلك الا اذا قويت الارادة وكبرت الهمة . ولهذا أرى أن يعمل الناس أولا على مداواة عزائمهم الضعيفة ليسهل عليهم الانتفاع بما يصل الى نفوسهم من معانى الخلق . ولست الآن فى صدد القول عن وسائل هذا العلاج ، فلذلك حديث آخر

بعض نواحى ضعفنا الخلقى

انما يطيب لى أن أستعرض بعض نواحى ضعفنا الخلقى ، وما يترتب على ذلك من الوجهة الاجتماعية . ويبدو لى ثلاث هى أظهرها :

فأولاها ــ مسايرة الهوى والخضوع لسلطان الشهوات

وثانيها ــ المداراة والاغراق فى المجاملة

وثالثها ــ ضعف الشعور بالغيرية

فأما مسايرة الهوى فطالما يتجلى أثرها فيمن هيىء لهم أن يكونوا فى المراكز التى تمكنهم من تحقيق مايتفق مع أهوائهم وميولهم من غير نظر الى ما يجر ذلك اليه من اهدار المصلحة العامةأو تضييع الحقوق

ومهما يكن لهؤلاء الصنف من الناس من الفضائل ونبل الصفات أو قوة الذكاء أو العزم أو الحزم ، فان محاسنهم تفقد قيمتها الحقة ما ظل الموجه لهم فى ذلك هو الشهوة الحافزة ، وتصبح فضائلهم شبيهة بالعملة النحاسية الزائفة ترن رنينا ولكنها معدومة القيم ،

لان الخير لا يرتكز الا على وحى الخير ، ولان الفضيلة لا تضرب جذورها الا فى تربة الفضيلة

لقد جر الانقياد للهوى عند بعض المسئولين الى أن تفشت فى ذوى الحاجات عقيدة انهم لا يستطيعون بلوغ الحاجة الا بشفاعة الشفعاء ووساطة الوسطاء . ويا لها من حالة سيئة . ولعله آن الاوان أن تتطهر الامة من هذا الضعف الخلقى ، ومما جر اليه من الفساد ، وآن لمن أصابهم داء الهوى من المسئولين أن يقفوا فى وجه شهوات أنفسهم فى شجاعة وعزيمة ، وانها لبطولة كبرى أن يعلم المرء كيف يدفع شهواته ويغالب هواه

المداراة والاغراق فى المجاملة

أما ثانى الامراض الخلقية الفاشية فى جماعاتنا فهى المداراة والاغراق فى المجاملة الى حد تعطلت فيه الشجاعة الادبية وضعفت فيه مزايا الاحتساب والنصيحة وغفل عن معاول الهدم البطىء التى تعمل عملها الخفى فى صرح حياتنا الاجتماعية

أعرف من الناس من يهش فى وجه صديقه كما يهش فى وجه عدوه ، ويلقى من يحب بنفس التلطف والترحيب الذى يلقى بهما من يكره ، ويعرف مساوىء غيره ممن يجب أن تحقرهم هذه المساوىء ، ومع ذلك يتلقى هذا الغير بمظاهر التبجيل والاحترام

ونعرف من الناس من تعوج مسالكهم وتتعثر خطواتهم وتلتوى نياتهم ، ومع ذلك لا نعيب عليهم هذا الاعوجاج والتعثر والالتواء ، ولا ننشط لنقبح لهم سوء مسلكهم ولافادتهم بالموعظة الحسنة ، والعلة فى هذا المظهر الخلقى القبيح الذى ينأى بالكثيرين الى تضييع فضيلة الاحتساب وواجب النصيحة بالحسنى ، انما هى المداراة والاغراق فى المجاملة

قد يتوهم البعض ان المداراة والمجاملة من الفضائل التى تنمى للادب والطيبة . وفى الحق ان مجاملة الناس للناس ضرب من ضروب الرقى الخلقى وصورة من صور الادب الرفيع ، على شرط ألا تجر هذه المجاملة الى انعاش رذيلة فى نفس المجامل أو الى ازهاق المصالح العامة فى سبيل ارضائه ورضائه ، أو الى تغيير حقائق الناس وتصويرهم بما ليس فيهم وتغيير قيمهم

يقبل منك الاغراق فى مجاملة صديق لك فى أفراحه أو أتراحه ، ويقبل منك الا تؤذى أحدا فيما يغتبط به ما برىء موضع غبطته مما يؤذى ، كما لو حسنت لآخر هوايته أو هندامه حين يفرحه أن تحسن له هوايته أو هندامه ، فذلك لك ما دام لا يضر أحدا من الناس ولا يجرح الذوق المشترك ، لكنه لا يقبل منك لا باسم الادب ولا باسم المجاملة أن تدارى من تعتقد فيه خيانة الامانة أو تتأكد منه رذيلة السعى بالفساد أو المكر السىء ، أو تعتقد فيه رذائل الانانية والاثرة

أعرف صديقا متدينا طيب القلب طالما رأيته يرسل مظاهر التكريم لشخص ليس جديرا باحترام هذا الصديق الذى لا يضمر هذا الاحترام ، فجال بخاطرى أن استفسر صديقى عن موقفه الذى لا يتفق مع الخلق الكريم ونبالة الاحتساب للحق ، فلما سألته أجابنى ان رجلا شريرا

من زعماء العشائر وجفاة الاعراب استاذن على النبي (صلعم) ، فلما علم النبي بمقدم الرجل قال لمن حوله : «بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة» . فلما جلس الرجل بين يدي النبي تطلق في وجهه وانبسط اليه . فلما انطلق الرجل قالت عائشة للنبي : «يا رسول الله حين علمت بمقدم الرجل قلت بئس أخو العشيرة وبئس ابن العشيرة ثم تطلقت في وجهه وانبسطت اليه» ، فقال رسول الله : «يا عائشة متى عهدتيني فحاشا . ان شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة من تركه الناس اتقاء شره» . وبناء على هذا الحديث رأى صديقي أن يعتذر لنفسه في مواقفه من مداراة الشريرين ومجاملة المضلين

على ان صديقي لم يتعمق في فهم الحديث ولم يصب في تعليل موقف الرسول ، ولو انه فعل لما فاته ان زوج رسول الله كانت ترى أن يقابل الشرير بغير الهش والانشراح حتى يكون للخلق السيء جزاء الامتهان وجفوة الرسول . ثم لو زاد صديقي في الفهم تعمقا لما فاته كذلك ان رسول الله كان يتخذ الوسائل التي يحسن اتخاذها لجذب قلوب زعماء العشائر الى الدين ودعوته ، وان الرسول علاوة عما كان له من الصبغة القدسية الخاصه والصبغة السياسية التي تبيح له ما لا يباح لعامة الناس لم يمدح الرجل ولم يثن عليه في وجهه كما يفعل صديقي ، وكما يفعل الكثيرون من الناس حيث يمدحون من لا يستحق المدح ويثنون على من لا يستأهلون الثناء ، وما كان مدحهم ولا تاؤهم الا مداراة واغراقا في المجاملة أو نفاقا أو ضعفا في الخلق

ربما صح للزعيم السياسي أن يجتمع بآخر من خصوم مذهبه في السياسة أو خصوم أمته ، ومع ذلك يتبادلان القول المعسول ويجتهد كل منهما في اطلاق أسباب المداراة والمجاملة . وقد تبرر أساليب السياسة وظروفها ضروب المداراة والمجاملة ، ولكن شتان بين مركز صديقي وبين محيط السياسة . فموقفه وموقفك وموقفي من الحياة يقاضينا جميعا بأن نحتسب فنقول للمخطيء في وجهه أخطأت ونقول للمصيب أصبت ما دمنا على علم مستنير بخطأ المخطيء واصابة المصيب وان في فنون اللباقة واللباقة والكياسة متسعا لكي نصل الى غاياتنا في الحسبة الخلقية والنصح من غير عنف ، ولعل وخز الابر يكون أشد أثرا وأفعل في الجزاء من وخز الخناجر

فشت رذيلة المداراة والاغراق في المجاملة بيننا الى حد الاسراف ، فأخل ذلك بمعايير الامور وموازينها وغير تقدير القيم عند الناس . فكثيرا ما يصل الى الاسماع أخبار من يحتفى بهم دون أن يكونوا أهلا لهذا الاحتفاء ودون أن يؤمن ممجدوهم بأهليتهم لهذا التمجيد ، وكثيرا ما تجري الالسنة وتفيض الاقلام بذكر علم لمتعالم أو أدب لمستأدب أو فقه لمتفيهق دون أن يكون لمن يذكر من هؤلاء نصيب من العلم الحق أو الادب الحق أو الفقه الصحيح . وهكذا يخادع الرأي العام وكذلك يخادع التاريخ حينا من الزمن

ويلوح لي أنه قد آن الاوان في هذا الوقت من يقظة الامة أن نجد في التخلص من رذيلة المداراة وأن تتفادى الاغراق في المجاملة ، فلا تتقدم بالتكريم والاحترام لمن لايستحق

التكريم والاحترام ، ولا تتطوع بالقول الحسن لمن لا يطابق القول الحسن فيه أهلية وجدارة ولا نملق من صادفوا من الناس غفلة ومن الزمن مؤاتاة فارتفعوا فى معارج الجاه والسلطان دون أن يكونوا أهلا لمراكز الوجاهة ودون أن يحسنوا مواقفهم فى معارج النفوذ والسلطان

ضعف الشعور بالغيرية

أما ثالث امراضنا الاجتماعية الظاهرة فهو ضعف الشعور بالغيرية واهمال ما لغيرنا من حقوق • وفى الحق أن ضعف هذا الشعور من أشد الامراض الاجتماعية وأخطرها فى حياة الامم وأنكاها فى تعطيل التقدم والحضارات ، فلم تقو الامم ولم تتهيأ الحضارات الا فى جو من التضامن الاجتماعى الوثيق ، ولا يتوثق التضامن الاجتماعى والترابط بين هيئات الامة وطوائفها وأفرادها الا حيث يكون الشعور بالغيرية شديدا وحافزا

ففى حين مر كسرى على هرم بلغ من العمر عتيا يغرس شجر الزيتون فيقول كسرى للهرم انك لتزرع ما لا تأكل من حصاده ولم يبق لك من العمر الا القليل ، فيجيب الرجل أكلنا من غرس غيرنا ونغرس ليطعم غيرنا مما غرسنا • فبمثل هذه الروح الغيرية كان للفرس دولة وكان للفرس حضارة

ولما جاء النبى العربى لينهض بالعرب ويقيم على الاسلام مدنية كانت تتجلى روح التضامن والايثار قال حذيفة العدوى : « انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى ومعى شىء من ماء وأنا أقول ان كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه ، فاذا انا به ، فقلت أسقيك ؟ فأشار الى ان نعم فاذا رجل يقول « آه » فأشار ابن عمى ان أنطلق بالماء اليه ، قال فجئته فاذا هو هشام بن العاص ، فقلت أسقيك ؟ فسمع به آخر فقال « آه » فأشار هشام ان أنطلق به اليه فجئته فاذا هو قد مات ، فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات ، فرجعت الى ابن عمى فاذا هو قد مات رحمة الله عليهم اجمعين » فبمثل هذه الروح وبمثل هؤلاء المؤثرين سادت الشعوب وبمثلهم تغلبت العروبة ورفعت للاسلام راية فى تاريخ المدنيات والحضارة • وليس من شك فى ان انتعاش الغيرية فى أمة من الامم هو أول ما يوحيه الله الى أهلها حين تقدر الاقدار لهذه الامة العزة والتقدم ، وحين تدخر لها رسالة تؤديها فى تاريخ البشر

وليس من شك انه اذا ضعفت روح الغيرية فى الامم وخف الشعور بمعانيها فان هذه الامم لا تلبث ان تصير الى التفسخ والتفكك والفوضى والهوان • وانا لنشاهد وأسفاه فى كثير من نواحى حياتنا الاجتماعية هذا الضعف الخلقى ونلمسه ، ففى القرية وفى المدينة ، وفى الشارع ، وفى الملهى ، وفى المدرسة ، ما يشعر بهذا النقص الخلقى الخطير

اعرف بعض العمد فى بعض القرى يعرفون من هو اللص الذى سرق الماشية ، ومن هو الشرير الذى اتلف الزرع ، ومن هو المجرم الذى احرق الحصاد ، على ان هؤلاء العمد المسئولين يتسترون على اللص والشرير والمجرم استخفافا بمصالح الغير وضعفا حيال الواجب وربما يبرر احدهم هذا الموقف الزرى باقناع نفسه انه انما يصون مصالحه حين لا يعرض

نفسه لغضب اللص وخصومة الشرير ومعاندة المجرم • وما دام مطمئنا على مصالحه آمنا على نفسه فليصب الناس ما يصيبهم من اذى وسوء

وفي المدينة قد يصاب عابر سبيل من صدمة سيارة تولى مسرعة ، أو قد يغمى على أحد السابلة من مرض يصيبه أو يقع لصراع يعتريه فيسير الكثيرون فى سبيلهم قدما ممن يجب عليهم نجدة هذا المصاب او الاخذ بيد هذا المريض • ويبررون لانفسهم هذا الموقف بانهم يخشون ان تعطل اعمالهم أو يتعرضوا لمهانة الشرطى والقضاء • ويعلم الله ان الدافع الاكبر لهذا المسلك المرذول انما هو ضعف غيريتهم ورخاوة اخلاقهم • وقد يسير بعض هواة السيارات فى نهج المدينة وازقتها فى سرعة وفى ضجيج تزعج الغادين والرائحين ومع ذلك قد لا يوجد المحتسب أو المتطوع الذى يعاون الشرطى حين يفلت امثال هؤلاء من رقابته

وفي الملهى قد تجد أحيانا من يعطل عليك المنظر ويفوت عليك المسمع ولا يعنيهم أن رأيت أو لم تر أو سمعت أو لم تسمع ما داموا هم ينظرون ويسمعون

وفي المدرسة من المعلمين ممن لا يهتم هل استفاد تلميذه من العلم أو كسب من التربية والنصح ما دام يزعم هذا المعلم انه يؤدى ما رسم له من العمل وما نظم له من الخطط

فكل هذه الصور وأمثالها تشعر باننا ما زلنا فقراء فى الشعور بحقوق الغير وضعفاء عن تحمل الواجب • ومنشأ هذا الضعف فى الشعور اما الجهل وسوء التربية ، واما فساد ما يرتكز عليه أنصاف المتعلمين من بعض مبادىء الفلسفة والعلم • ذلك لان غير قليل من أشباه المثقفين قد غرتهم بعض النظريات التى استمدت من تعاليم «داروين» فأصبحوا يرددون عبارات جوفاء لا يدركونها تمام الادراك ويتخذون منها مبررا لانانيتهم وانحرافهم الخلقى ، فيرددون من هذه العبارات : الحق للقوة ، والبقاء للاصلح ، والحياة تنازع ونضال ، الى غير ذلك من هذه الكلمات التى تضعف غيريتهم وتتزايد بها محبتهم للكفاح والغلبة بأى سلاح • ولعل هذه الفلسفات المادية أصبحت من العناصر التى تذكى فى العالم نار الخصومة وتضعف فى الارض تيار المحبة والسلام

واني حين استعرض بعض ما أراه من نواحى الضعف الخلقى آمل أن يكون فى استعراضها مذكرا للعمل على التخلص من سلطانها السيىء • ولا يكون ذلك الا عن سبيل ثورة طاهرة هى ثورة الارتفاع والعظمة لا ثورة التبديد والتخريب • هى ثورة للحق والخير فى انفسنا وفى غيرنا وللحياة المثلى • واول مبادىء هذه الثورة الاحتساب • وآن لجماعة المحتسبين ان يعيشوا شجعانا من أجل الحق

وآن لهم ان يكونوا فرسانا لله يلاحقون من يسرعون فى دياجير الدهر • ويستجنون فى ظلمات الجهل والضعف الخلقى ليحتلوا الحصون التى أعدت للابرار الصالحين ممن يصطفيهم الله حقا لرقى الامم

منصور فهمى

الخنجر : من رواية ماكبث لشكسبير

للشاعر الكبير المرحوم محمد الهراوى

(بمناسبة مرور سنة على وفاته)

أرى خنجراً يدلى إلىَّ بمقبض أنصلاً ترى عيناى أم أنا خائله
هلمّ . ألا مالى أراه وماله بعيد منال الكف حين تحاوله
فيا أيها النصل الذى لاح فى الدجى وقد حال دون اللمس لا اللمح حائله
ترى أنت نصل أم تخيل واهم به تخبل الحمى فخابت دلائله
نعم أنت فى عينى تمثلت مثلما أجرد نصلاً هذبته صياقله
وقد جئت تهدينى طريقاً شرعتها وتشبه نصلى فى الذى أنا فاعله
أكذب عينى أم أصدق ما رأت وهل صح حسى أم دهى الحس خابله
وإلا . فما بالى أراك وقد بدا عليك دم لم يبد من قبل سائله
ضلال لعمرى ما تخيل ناظرى أبى الجرم إلا أن تثور عوامله
لقد بات شطر الكون فى جنح وحشة كأن عليه الموت تضفو سدائله
وأزعجت الغافى وقد نام آمناً رؤى حلم سلت عليه مناصله
وقامت تناجى ربة السحر نسوة تعلمن علم السحر ما طال طائله
هنالك يزرو كاشح القول ماثلا أشاجعه معروقة ومفاصله
يهب إذا ما اهتاجه الذئب عادياً وللختل خلق فى الذئاب مخائله
هو الطيف منسلاً (وتاركين) عاوياً متى انقض ناءت بالغريم كلاكله
فيا أرض صمى مسمعيك وأنكرى سبيلى فلا يعلم بأمرى جاهله
فإنى لأخشى منك وسوسة الحصا إذا استنبأ الصفوان عنى سائله
فيجفل ليل الروع فى حين مهدت وبثت على طرق النفوس حبائله
أطلت وعيدى بالكلام ولم يزل غريمى حياً لم تمس مقاتله
توقد عزم المرء ليس يهده كفاتر قول يخمد العزم قائله

(يدق الناقوس)

عزمت فما ألوى وها أنا مقدم اليك أيا من نبهتنى صلاصله
« أدنكان » لا تفزع فذلك لم يكن سوى نبأ آت من القبر حامله
سواء أفى الفردوس أم فى جهنم أعد لك اللحد الذى أنت نازله

لماذا هذه الحرب ؟

هكذا يسأل : ويلز – وشو – وهكسلى

أكثر الناس فى بريطانيا يكفيهم أن يساهموا فى الحرب الدائرة على ادولف هتلر دون ان يتساءلوا ويتجادلوا ، أما المفكرون من الكتاب والعلماء أمثال شو وهكسلى وويلز ، فلا يكفيهم أن يعرفوا ماأتيمت عليه الحرب وسيقت اليه الجيوش ، بل يريدون أن يتبينوا ما يناضلون عنه ويلقوا أبصارهم الى ما ينبغى أن يقيموه أو ينشئوه بدلا مما تقوض وتداعى . ولا يقل المفكرون والعلماء عن العامة والسابلة رغبة فى تحطيم النازى وابادته . ولكنهم مع هذا لا يعتقدون أن هتلر هو منشأ ما يعانى العالم من الفوضى ، وان القضاء عليه يختتم مرحلة الاضطراب التى تجتازها الانسانية

ا – ه . ج . ويلز

يتزعم هذه الحركة الفكرية « ويلز » الذى يناشد الشعب أن يبحث ويناقش فكرة الحرب بحثا نزيها ومناقشة صريحة ليدرك أسبابها ويتبين مراميها ، فقال :

« يجب أن تصحب الحرب القائمة مناقشة حرة صريحة يبدى فيها كل انسان رأيه حرا واضحا فان هذه المناقشة أهم شأنا وأبعد أثرا من الحرب ذاتها ، التى يشق على المرء أن يشهد آلامها وفواجعها تعصف بالعالم جميعا ، ثم تنتهى الى « مؤتمر » مؤلف من أولئك الساسة الذين لم يخبروا العالم ولم يدرسوه ، فأخذوا يرون فيه آراء غامضة خاطئة »

وقد استجاب الشعب لكلمة ويلز ، فجرت الاقلام فى كل مكان لتشترك فى هذه المناقشة الكبرى التى لم يشهد القراء مثلها الا فى الحرب الماضية عندما دعاهم « ويلز » الى ابداء آرائهم فيها . وساهم فى المناقشة الحالية آلاف من الناس

وتتلخص هذه المناقشة فى ثلاثة أمور :

ففريق يرى أن تبذل بريطانيا فى الحرب أقصى جهدها وتتخذ فى القتال كل وسيلة تمكنها ، ولكن عليها أن تحدد منذ الآن الاهداف التى تحارب فى سبيلها ، وأن تقنع العالم بأنها تناضل عن شىء أسمى من توازن القوى بين الدول وأعدل من التوزيع الاقتصادى الحالى

وفريق ينادي بوقف الحرب منذ الآن

والفريق الثالث يرى أن تستمر الحرب وأن يسود الصمت • ذلك اننا كلما تحدثنا عن وقف الحرب وتباحثنا في شروط السلام ، انصرفنا عن العمل المباشر الذى يجب أن نكرس له كل جهودنا ، وهو كسب الحرب وقهر العدو

والفريق الاول هو الفريق الغالب ورأيه هو الرأى السائد • وويلز يتزعم هذا الفريق وينشط للتعبير عن آرائه • وهو يرى أن تحطيم الهتلرية لا يكفي أن يكون غاية ترمى اليها من هذه الحرب ، « ذلك ان هتلر اليوم ، كما كانت أسرة هوهنزلرن الامس ، ليس الا قرحة كريهة تبدو على غشاء عالم يسرى ويتأصل فيه المرض والداء » • فالتخلص من هتلر وعصابته « لن يبرىء العالم من أمراضه الا اذا أبرىء حك الجلد من البثور » • أما أمراض هذا العالم فتنشأ من شيء واحد هو نظام القوميات الفردية الذى يقسم العالم شعوبا وأحزابا متنافرة متعادية متحاربة ، فيجب أن يقضى على هذا النظام كل القضاء

ويحمل ويلز حياته على كفه ــ كما يقولون ــ دفاعا عن هذه الفكرة الخطيرة • ولم تكد الحرب تنشب حتى تعافى مما كان يلم به من الامراض وبدا دافق النشاط معتدا بهمة جديدة فتية • حتى لتتراءى قبضة اليد العنيفة تلوح خلف قلمه فى كل عبارة يسطرها • فهو يقول : « اننا تندفع الآن سراعا صوب كارثة عالمية كبرى•وما من أحد فينا يعرف فى وضوح وعلى يقين ما يجب عمله ، ومع هذا فليس منا من يتكلم عماتنطوى عليه هذه المأساة كلام الرجل الباحث الجرىء الصريح • ولا سبيل الى الخلاص من هذه الكارثة الا اذا تكلمنا »

وهو يحمد للناس أن يسمعهم الآن يتحدثون عن « أنحاء العالم » ولكنه يحذرهم من أن يحسبوا أن هذه الكلمة كلمة سحرية يمكن أن يعزموا بها فاذا بعالم جديد ينشأ ويقوم بسحرها • وهو يقول : « ان عصبة أمم حقيقية كان يمكنها أن تغير مجرى العالم فىأعقاب الحرب الماضية • وان اتحادا عالميا حقيقيا يمكن أن يغير هذا المجرى الى حيث تبغى الانسانية فى الاعوام القادمة • ولكن اذا أريد أن يكون اتحادا حقيقيا فعالا يشمل الانسانية جمعاء ، ويحقق رخاء العالم وسلامه على الصورة التى نحسبها ممكنة وميسورة، فاننا يجب أن نبحث جادين مخلصين عن الوسائل التى تمهد لذلك وهى أولا تطبيق نظام الاشتراكية على مصادر الثروات وعلى الصناعات الكبرى فى جميع أقطار العالم ، وثانيا تنقيح واصلاح جامعاتنا وهيآتنا التعليمية وانشاء مستوى ممتاز من التعليم العام يطبق فى العالم جميعا »

ب — برنارد شو

أما برنارد شو فيرى أن يوقف الحرب ويعقد مؤتمر السلام • وقد وفق فى دعوته هذه الى ماعهد فيه من اثارة سخط فريق من الناس واستخلاص اعجاب فريق آخر •

ويبدأ دعوته بمقال امتدح فيه « صراحة هتلر وواقعيته » ، ثم تساءل فيه عن خطة تشمبرلن قائلا : لست أدرى لماذا لا يهدم برلين بالقنابل اذ كان لا يريد أن يقف رحى الحرب؟!« ان ما أريده من مستر تشمبرلن هو أن يقرر الآن هل سيهدم برلين أو لا . فان كان سيفعل فستكون النتائج أكبر وأخطر من أن تحيط بها عقولنا الساذجة ،وان كان سيحجم عن هدمها فالافضل أن نسرع الى وقف الحرب ووضع منازعاتنا على مائدة السلام »

ولا يريد شو أن تقبل بريطانيا السلام بأى ثمن ، ولا أن تقبل مؤتمرا لا ينصفها . ولكنه يعتقد أن بريطانيا تستطيع أن تحارب بعد عقد هذا المؤتمر ، بنفس المقدرة التى تحارب بها قبل اقامته . فاذا لم تستطع أن تتفق مع خصومها على حل صادق عادل ، فما عليها الا أن تستأنف الحرب وتجرى فى سبيلها حتى تبلغ غايتها المقصودة . ثم يقول « ولما كنت قد ولدت جبانا ، فصرت أفرق من هذه الليالى السوداء التى تهددنا فيها الغارات الجوية ، وصرت أكره هذه الضرائب الباهظة التى تخربنا ، فانى لا أستطيع أن أتجاهل ما نناضل دونه وما نحارب فى سبيله »

وقد أثارت هذه المقالات نقمة كثير من الناس فكتب أحدهم يقول ان « شو رجل أبله » فأجاب بسخريته اللاذعة : «حينما يصدق أحدهم فى كلام ويسمينى رجلا أبله يسخر منه الناس . أما حينما أكذب أنا فى حديثى وأتهم أحدهم بأنه أبله فان الناس يصدقون ذلك لان شو هو الذى يتهمه » !

ويشارك شو فى دعوته الى وقف الحرب جماعة من العلماء ، منهم الفلكى الكبير سير آرثر ادنجتون والكاتب المشهور جون مدلتون ورئيس مجمع تقدم العلم سير ريتشارد جريجورى ، فهم يعتقدون أن هتلر يجب قهره وحطمه ، ولكنهم يظنون ان القوة لا تجنب العالم ما يتخلف عن الحرب من سيئات ورزايا . ونظريتهم فى هذا أن اتخاذ القوة للقضاء على سياسة القوة ودعاتها من شأنه أن يعلى قدر هذا الشىء المنكر البغيض الذى نريد أن نقهره ونقضى عليه

جـ — جوليان هكسلى

اشترك العالم الكبير هكسلى فى المناقشة التى أقامها ويلز ، ويتلخص رأيه فى رفض وانكار الفكرة التى ينادى بها فريق من الناس وهى المثابرة على الحرب حتى تنهزم ألمانيا هزيمة تمكن من تقسيمها وتشتيتها ، ثم احاطتها بسوار محكم من الجيوش المتحالفة . فهذه ليست بالسياسة العملية التى يمكن أن تستقيم عليها شؤون العالم دهرا طويلا . وانما يدعو بريطانيا الى أن ترمى من هذه الحرب الى غايتين : الاولى سحق النظام النازى ، والثانية توحيد أوربا الغربية . ويطالب الحكومة بأن ترفض منذ الآن فكرة ترك الشعوب أحرارا تقرر مصائرها وتختار نظم حكوماتها . أما السبيل الى توحيد أوربا فيتألف من مراحل عدة منها :

وضع نظام دقيق لنزع السلاح ، أو تحويل جميع القوى المسلحة الى « بوليس » دولى يرعى أمن أوربا وسلامها

جعل التحكيم فيما ينشأ بين الدول من المنازعات تحكيما اجباريا

تنظيم وسائل التبادل والتعاون الدولى فى شتى مسائل التعليم ومختلف شؤون البحث العلمى . وكذلك جعل المؤهلات الطبية الفنية موحدة وشائعة بين جميع الدول

جعل الطيران المدنى طيرانا دوليا لا يعترض طريقه حدود وحواجز

حماية الأقليات السياسية والقومية والجنسية ، وحل مشكلة اللاجئين ومشكلة المهاجرين

توحيد المستعمرات ووضعها تحت سلطة الاتحاد الاوربى

ويقول هكسلى : « اننا نحارب دفاعا عن الحياة الآمنة المنظمة فى أوربا ، وابقاء على الحضارة الغربية التى تتمثل فيها أرقى وأصدق ثقافة وصل اليها الانسان ، وهو يناشد الحكومة أن تقرر خطتها فى الحرب وغايتها منها ، حتى تستطيع أمريكا والدول المحايدة أن تؤازرها وتعاونها لتشترك فى النهاية فى وضع أسس الصلح الاخير والسلام الدائم

وقد ذاعت أخيرا فكرة الاتحاد الاوربى حتى تردد صداها فى الدوائر السياسية ، فأعلنها وناقشها هاليفاكس فى خطاب أذاعه أخيرا ولكن أصحاب هذه الفكرة منقسمون فيما بينهم فى أصلح وأجدى نظام يقام عليه هذا الاتحاد ، فمنهم من يرى اتخاذ نظام الولايات المتحدة الامريكية مثلا يحتذى فى توحيد أوربا ، ومنهم من يرى فى نظام الامبراطورية البريطانية خير مثال ، فانها تضم تحت لوائها ربع سكان العالم وتؤلفهم جميعا رغم ما بينهم من فوارق الجنس والدين واللغة والحضارة

على أن الذى يثير اليأس فى قلوب الناس هو أن هذه المناقشة الدائرة الآن على أقلام الكتاب وصفحات الجرائد ، قد سبقتها مناقشة مثلها طول سنى الحرب الماضية دون أن تدع فى الاذهان والقلوب أثرا ما حينما اجتمع رجال أوربا حول مائدة فرساى . ولكن ثمة شىء آخر يبث الامل والتفاؤل . وهو أن الناس لم يعودوا يقدرون كثيرا هذه الالفاظ الجوفاء التى يهدر بها الخطباء والساسة قدر ما يزنون هذه الحلول العملية العادلة التى يفكر فيها العلماء ويصفها المفكرون والواقع أن لا قيمة الآن لكلمات الديمقراطية والحرية والعدالة والسلام وما شابهها من الكلمات الرنانة ، ما دامت اليابان تقول انها تغزو الصين وتقهرها « لتقيم السلام والحرية فى أرض آسيا » !!

وأخيرا فان ويلز يقترح ، توضيحا لسياسة بريطانيا ، أن تضع « لائحة » جديدة لحقوق الانسان على غرار تلك التى وضعت ابان الثورة الفرنسية ، وتتولى اذاعتها فى جميع أرجاء العالم وعلى الاخص فى البلاد التى تعاديها وتقاتلها ، ليكون حلفاؤها وأعداؤها على السواء على بينة من أن ضحايا هذه الحرب لا تزهق أرواحهم عبثا وهباء

(خلاصة مقال فى مجلة ذى نيويورك تايمز بقلم الكاتب الانجليزى جيمس ريستون)

اتجاه جديد

الاستعراب في الولايات المتحدة

بقلم الدكتور فيليب حتى

الاستاذ بجامعة برنستون

يهم الشرقيين عموما ، والعرب خاصة ، أن يجدوا الولايات المتحدة تعنى باللغة العربية وعلومها وآدابها ، ويقبل علماؤها وجامعاتها على دراستها ونشر نفائسها ، لان في ذلك احياء لمجد الحضارة العربية ، واطلاع الغربيين على جهود الشرق في تقدم الانسانية ورقى العقل البشري واتجاهه نحو خير المجتمع ، وهو أسمى مميزات الحضارة التي يعمل لها الاميركان الآن لتطهير الانسانية من اوضارها التي بقيت من العصور الوحشية ، والعهود المظلمة ، وقد تناول الدكتور فيليب حتى هذه الظاهرة الجديدة التي بدأت منذ سنوات في الولايات المتحدة في هذا البحث القيم

كان الباعث الاول والاكبر في القرون الحديثة لاهتمام الاوربيين بالدروس الشرقية دينيا بحتا ، يتمركز حول رغبتهم في تفهم التوراة واستقصاء تاريخ بني اسرائيل تمهيدا لدرس المسيحية ، ومنشئها وانتشارها . فجاءت اللغة العبرانية في مقدمة تلك العلوم . وبعد ان حل العلماء رموز اللغة الهرغليفية في أوائل القرن الثالث ومعميات اللغة المسمارية في أواسطه ، أضافت جامعات أوربا الى لائحة دروسها اللغة المصرية واللغة البابلية الاشورية ولا سيما بعد أن تبين ما بين هذه الدروس والدروس العبرانية من الاتصال الفيلولوجي ، وما بين الشعوب المتكلمة بها من نقط الاحتكاك التاريخي والترابط الثقافي . ومع ان هذه اللغات ميتة أو شبه ميتة ، فهي كانت الاولى لتنال النصيب الموفور من عطف المستشرقين الغربيين واهتمامهم . بيد ان اللغة العربية برغم انها كانت ولم تزل لغة حية ، فلم يحفل بها رجال العلم أولا ، لعدم ادراكهم ما يربطها بالتوراة وسائر اللغات السامية من الربط الحيوية . فاقتصرت الرغبة فيها على المرشحين للارساليات التبشيرية الى البلدان الاسلامية

ولا يفهم من ذلك ان الشروع في درس العربية درسا علميا مجردا جاء متأخرا كل التأخير في أوربا ، فان جامعة كامبردج وهي من أمهات الجامعات الانكليزية أنشأت عام ١٦٣٦ كرسيا لاستاذ العربية ، أي منذ ثلاثة قرون كاملة ، وهو أمر كنت أجهله الى أن زرت حديثا هذه الجامعة ، فأطلعني استاذ العربية فيها على تاريخ الجامعة وفيه ذكر لهذه

الحقيقة • ثم اقتفت اكسفورد وغيرها أثر كمبردج ، وبعد أن سارت انكلترا وفرنسا فى طريق الاستعمار ، وتبعتهما ألمانيا وايطاليا ، أضيف الى الباعث التبشيرى للاهتمام بالدروس العربية ، باعث الاتجار والاستعمار وترويج المصالح الامبراطورية • ولا يخفى ان الجامعات في أوربا هي للحكومات ، بخلاف الجامعات الاميركية

كذلك فى الولايات المتحدة تقدمت العبرانية سائر الدروس الشرقية ، ولحقتها الدروس البابلية الاشورية فالدروس المصرية ، ولم يحفل القوم بالعربية الى عهد قريب • وأنشئت فى جامعات الولايات كراسى للمصرية قبل أن تنشأ كراسى للعربية ، والواقع انه الى اليوم قل من الاساتذة المستشرقين الاميركيين من يكرس كل وقته وقواه للاستعراب • وأكثرهم يلقن طلبته فضلا عن العربية، العبرانية والسريانية والآرامية وغيرها من اخواتها الساميات• وذلك لان الولايات المتحدة ليس لها سياسة استعمارية أو اقتصادية فى البلدان الناطقة بالعربية ، والاتجار مع هؤلاء الشعوب يكاد يكون معدوما • ومما لا ريب فيه ان غنى هذه اللغة بالمفردات ، وثروتها بالآداب والفنون ، واستحالة التضلع فيها فى وقت محدود ودون الاقامة المؤقتة أو الطويلة فى الشرق العربى - كل ذلك حال دون التهافت عليها ، بخلاف العبرانية مثلا التى تكاد آدابها تقتصر على العهد القديم من التوراة ، ومفرداتها تنحصر فى دائرة ضيقة

على ان الاستشراق فى الولايات اتخذ فى العقدين الاخيرين اتجاها جديدا ، وذلك نحو الاستعراب • فالعلماء الاميركيون أخذوا حديثا ينظرون الى العربية بعين جديدة ، ويعيرونها نصيبا موفورا من اهتمامهم ، وذلك لانهم أدركوا أولا ان للعربية علاقة حيوية بالتوراة باعتبار ان العبرانيين كانوا فى بدء تاريخهم بدوا رحلا يقيمون فى الصحراء العربية ، وينقسمون الى قبائل تعيش فى الخيام ، وتتمتع بنظم اجتماعية واقتصادية وأدبية لم تزل لليوم شائعة بين القبائل العربية • وثانيا ان اللغة العربية المحافظة على القديم هى أقرب من شقيقاتها العبرانية والآرامية والسريانية والبابلية الاشورية الى اللغة السامية الاصلية ، فهى اذن مفتاح الفلولوجيا السامية بأسرها ، ولا بد من امتلاك ناصيتها لكل طالب التخصص فى هذه اللغات • وثالثا ان العربية كانت في الاجيال الوسطى ، ما بين أواسط القرن الثامن وأوائل الثالث عشر ، لغة المدنية العالمية يحمل أبناؤها مشعال التقدم الفكرى والعلوم فى غربى آسيا وشمالى افريقية وغربى أوربا ، ولقد تركوا أثرا خطيرا بينا فى العلوم الاوربية من طبية ورياضية وفلكية وفلسفية ، وأورثوا الثقافة الغربية ميراثا قيما ظاهرة آثاره فى لغات الغرب وعلومه وفنونه • تلك حقيقة لم يفقهها أبناء الغرب حتى أوائل القرن العشرين، وبعضهم لم يرد ان يفقهها لما حاكت التقاليد من العداء بين الشرق والغرب وبين الاسلام والمسيحية • ولاسباب جغرافية تاريخية واضحة لم يبلغ هذا الشعور بالعداء فى الولايات المتحدة ، الحد الذى بلغه فى أوربا

وللمستشرقين فى الولايات المتحدة اليوم جمعية تضم تحت لوائها شتات أفرادهم من

رجال ونساء ، وبينهم أساتذة لغات الشرق الادنى والمتوسط والاقصى وهواة العلوم السامية والهندية والايرانية والصينية واليابانية والاخصائيون بالآثار والفنون الجميلة الشرقية . وقد تأسست هذه الجمعية عام ١٨٤٢ ، فهى الآن تعد المعدات للاحتفال بيوبيلها المثوى . ولقد بلغ عدد اعضائها هذا العام نحو ثمانمائة ، وهم يعقدون مؤتمرا عاما فى عطلة الفصح الكبير من كل عام ، وينشرون زبدة أبحاثهم فى مجلة ربع سنوية هى الآن فى العام التاسع والخمسين من حياتها

وتقوم هذه الجمعية كل سنة بحملة لزيادة عدد اعضائها . وقد كانت قد أولتنى هذه المهمة فى هذا العام ، فالمخابرة الآن جارية مع نحو مائة من المرشحين . وفى العام الفائت تألفت لجنة من أعضاء الجمعية لدرس موقف الدروس العربية فى هذه البلاد ، واقتراح الوسائل لانعاشها وتعزيزها . ولدى الاستقراء تبين لنا ان هنالك تسع جامعات تقدم دروسا عربية استعدادا لرتبة الدكتوراه فى الشرقيات ، منها كولمبيا وبابل وبرنستون وشيكاغو وبنسلفانيا وكليفورنيا ، وان هنالك عددا فى كليات اللاهوت من مسيحية ويهودية تلقن دروسا عالية تتعلق بهذه اللغة وآدابها . واتضح أيضا من هذا البحث ان الاقبال على الاستعراب زائد عما كان عليه فى كل ما مضى ، ولا سيما بعد ان أخذ الاخصائيون بالفنون الجميلة يدركون ما فى الفن الاسلامى من الرونق والابداع وما له من الاتساع والنفوذ ، وبعد أن تأكد الإخصائيون باللغات الرومانية أى الفرنسية والايطالية والاسبانية ، ان معرفة العربية ضرورية لهم . ومما يمكن اتخاذه دليلا على هذا الاتجاه ان جامعة مشيغن أنشأت منذ بضعة أعوام كرسيا للفن الاسلامى هو الاول والوحيد فى نوعه فى العالم الجديد ، وفى العام الفائت نالت جامعة هرفرد وقفية قيمتها مائتا ألف دولار لأستاذ العربية فيها

أما فى برنستون فاننا منذ تشكيل دائرة العلوم الشرقية عام ١٩٢٧ أحللنا الدروس العربية الاسلامية المحل الارفع . ساعدنا على ذلك «أولا» ان فى مكتبة جامعتنا مجموعة مخطوطات عربية تناهز الخمسة الآلاف ، لا تضاهيها مجموعة أخرى فى العالم الجديد . ولقد توفقنا بعد جهاد سنين الى نشر «كاتلوج» ضخم فى وصف هذه المجموعة تناول طبعه فقط أربع سنوات .وفى هذا العام أيضا نشرنا بالطبع «كاتلوجا» آخر لسائر مخطوطاتنا من فارسية وهندية . و«ثانيا» اقتناء مطبعة عربية من طراز لينوتب ملحقة بمطبعة جامعتنا هى الوحيدة من نوعها بين مطابع الجامعات . ولقد أصدرنا بفضلها سلسلة كتب أولها « كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ » ومنذ أسابيع خصص لنا المجلس الاعلى لجمعيات العلماء الاميركيين كمية من المال لنشر « كتاب الاكليل للهمدانى » محررا بقلم رفيقنا فى العمل الدكتور نبيه أمين فارس الذى سبق فترجم هذا الكتاب ونشره بالانكليزية فى سلسلة كتب جامعة برنستون الشرقية . وفى العام الفائت أيضا نشر رفيقنا الثانى الدكتور ادوار جرجى ترجمة انكليزية لقوانين حكم الاشرف لأبى المواهب الشاذلى . وفى الخريف الفائت أضفنا الى عمدة دائرتنا مدرسا للتركية والفارسية هو الوحيد من نوعه فى جامعات

العالم الجديد . فالاساتذة الآن فى دائرتنا يلقون دروسا فى العربية والعبرانية والسريانية والارمنية والاشورية من اللغات السامية وفى اللغة السنسكريتية وفى الفارسية والتركية استعدادا لنيل رتبة الدكتوراه

ومما يلذ لنا اذاعته ان حلف الجمعيات السورية اللبنانية الاميركية للولايات الشرقية قرر فى مؤتمره الاخير المنعقد فى مدينة وشنطون انشاء تلمذة سنوية فى دائرتنا فى برنستون لطالب عربى قوامها خمسمائة دولار . وهو أثر لم يسبق له مثيل لجاليتنا فى هذه البلاد

وربما كان أسطع برهان على هذا الاتجاه الجديد فى الاستشراق الاميركى النجاح الباهر الذى لقيه المعهد الصيفى للدروس العربية الاسلامية فى جامعة برنستون عام ١٩٣٥ وعام ١٩٣٨ الذى أقمناه بمعاونة المجلس الاعلى لجمعيات العلماء الاميركيين، وساهم فيه أساتذة اللغات العربية والتركية والفارسية الذين قدموا فضلا عن الدروس اللغوية دروسا عالية فى المدنية الاسلامية وتاريخ الاسلام والآداب العربية والفن الاسلامى . وتتلمذ فيه نحو خمسة وثلاثين طالبا وطالبة معظمهم من ناقلى شهادات الدكتوراه وبعضهم من متسنمى كراسى الفنون الجميلة أو اللغات الرومانية أو التوراة أو الآثار الشرقية ، ومنهم من جاء من كندا وأوربا وبلدان الشرق

ومما يسر ان دائرتنا خرجت فى هذه السنين القصيرة من حياتها فضلا عن التلامذة الاميركيين طلبة أموها من بلاد الهند وفارس والعراق ولبنان وفلسطين ومن هنغاريا وانكلترا . ومما لا ريب فيه ان دروسنا الشرقية فى الولايات المتحدة سيكون لها فى المستقبل شأن أكبر لتضعضع أحوال الجامعات الالمانية والانكليزية والفرنسية بداعى الحرب ، ولاننا هنا يهمنا فى هذه الدروس الوجهة الثقافية المجردة خالية من نزعات الاتجار والاستعمار ومن النعرة القومية والدينية ، ولا علاقة لامهات جامعاتنا بالحكومة الاميركية

فيليب حتى

الصداقة المصنوعة

ــ ان دولة الشعور الزم للجسوم من دولة القصور ، فان مقاطعتى للخديو علمتنى أمورا كثيرة ، وقد تغير حكمى على الرجال كليا ، فقد رأيت الكثيرين ممن كانوا حولى ما كانوا يميلون الا الى جاهى، اذ أنهم اليوم هجرونى، ولست بآسف عليهم ، لانه لاشىء أضر على رجل العمل ذى الشعور الكبير من الصداقة المصنوعة

مصطفى كامل

موت الخاطئة

بقلم الاستاذ سليم عبد الاحد

تاعسة أنكرها أهلُها   لا هى عذراء ولا طاهره
كبا بها الطيشُ وزلّت بها   فى سبلِ السُوأى خُطى عاثره
جنى عليها حسنُها والتوى الـ   أمر وأعمى طيشُها الباصره
يا ويح قلب العاشق الغرّ من   أجفانها الغامزة الساحره
تعتزّ بالحسن وتُزهى بهِ   ناهيةً فى ملكهِ آمره
وتحسبُ الدنيا لها سخّرت   وإنما الدنيا بها ساخره
حتى إذا الأيام ما كشّرت   عن نابها عابسةً نافره
ضاقت بها الدنيا على رُحبها   فاستسلمت صابرةً حائره
كم ليلة ليلاء مرت بها   تطوى الدجى ساهدة ساهرة
وتزجرُ الدمعَ وتخفى الذى   فى نفسها باسمةً صابره
أكثر ما تلقاك بسّامة   كاتمةً آلامها ساتره
تبسم كى تخفى الذى فى الحشا   وأدمع العين بها غادره
تساوم الفسّاق فى عِرضها   ناكثة عهد الحيا خافره
وتعرض الجسم لمن يشترى   رخصه كالسلعةِ البائره
فيالذاك العِرضِ من سلعة   ويا لتلك الصفقةِ الخاسره

وغادة لم يبقَ من ذكرها   غير الذى يبقى من العاهره
مرت بها الأيام فى غفلة   كما تمرّ السحب العابره
فانطفأت شعلة أجفانها   وانثلمت أسيافها الباتره
وضاقت الدنيا بآمالها   فاستسلمت يائسةً خائره
قد تستطيب النفس كأس الردى   تشربها باسمة شاكره

أهنأ ما تكون فى رمسها   تراح من عيشتها الضائره
تكنى همومَ النفس فى حفرة   تضمها صامتة صاغره
وتصرف النفسَ وأهواءها   عن هذه الدنيا إلى الآخره
ما زادها الموت مماتا فما   أسعدها فى حفرة غائره

هتلر فى حياته الخاصة

ليس هتلر بضخم الجسم ولا هو من الاشخاص الذين يحدث منظرهم روعة فى النفس • بل هو ضئيل الجسم أميل الى القصر • وليس بالسياسى الرزين الذى يملك أعصابه فى أحرج الظروف بل على العكس يثور ثورات هستيرية لاوهى الاسباب ، تسيره العاطفة دون العقل والمنطق ، يميل الى العزلة عن الناس ويسىء الظن بالجميع الا عددا قليلا من المقربين اليه ، وهؤلاء أيضا معرضون لارتيابه فيهم وانقلابه عليهم فى أى وقت

وهو لا يتبع نظاما معينا فى معيشته ولا يباشر أى نوع من أنواع الرياضة البدنية ، يأكل قليلا وقد لا يأكل أصلا ، ويظل يعمل بلا كلل حتى الساعة الثالثة صباحا ، ولا ينام أكثر من أربع ساعات • وبلغ من جلده أنه قد يمكث عدة أسابيع وهو يلقى كل يوم خطبتين أو ثلاثا يتخللها السفر والاستقبال ثم يبدو فى ختام اليوم ، وكأنه لم يبذل أى جهد ذهنى أو جثمانى وقد حار المتصلون به فى معرفة كنه هذا النشاط وذاك الجلد وهو انما يفسرهما بقوله : « حيث تكون أمامى رسالة أؤديها أجد القوة اللازمة لها »

مأكله ومشربه

على انه مع هذا يعانى سوء الهضم الذى لا يفارقه حتى انه لا يأكل سوى الخضراوات والمعجونات ،ويمتنع عن تناول اللحوم والاسماك والخمور امتناعا تاما • ويصحبه اثنان فى غدواته وروحاته أحدهما طبيبه الخاص والثانى طاهيه النمسوى • على ان امتناعه عن اللحوم والاسماك لا يعنى زهده فى الطعام الشهى فان من الالوان المحببة اليه قلوب الخرشوف مع الصلصة بالقشدة • كذلك القرنبيط يطهى له على أشكال متعددة • ويحب أيضا السبانخ والطماطم المحشوة • ويعد له البيض على أشكال لا تحصى • أما المعجونات فانها لا تفارق مائدته

وهو يشرب الشوكولاتة المغلية على طريقة أهالى فينا • وكان الى عهد قريب لا يشرب الا الماء المعدنى المستمد من الينابيع الالمانية المتعددة غير انه اتخذ لنفسه أخيرا مشروبا له مثل مذاق الشمبانيا ويصنع من بعض الاعشاب • ولما احتفل بعيد ميلاده الخمسينى قدم اليه معمل بيرة فى ميونيخ برميلا من البيرة التى لا تحوى سوى ٠١/٠ فقط من الكحول فارتاح اليها وصار منذ ذلك الوقت من زبائن ذلك المعمل

كيف يقضي يومه

اعتاد هتلر في الاوقات العادية ـ وقبل نشوب الحرب ـ حين يكون في مقر الرياسة ببرلين أن يستيقظ عند الساعة التاسعة صباحا وأن يواصل العمل بعد ذلك حتى الساعة الثالثة بعد الظهر يتخللها فترات انقطاع قليلة يقضيها في تناول الطعام وفي المشي بحديقة دار الرياسة. ولما كان النهار كله تقريبا يشغل باللجان والمقابلات فانه لايعمد الى العمل الحقيقي الا بعد أن تهجع العاصمة ويأوى الناس الى فراشهم وعندئذ يبدأ هتلر في املاء مذكراته وتدوين ملاحظاته وقراءة التقارير المرفوعة اليه . حتى اذا بلغت الساعة الحادية عشرة مساء خرج الى حديقة الدار يرتاض فيمشي ويداه مطبقتان خلف رأسه . ثم يعود ويصرف حراسه ويستأنف عمله حتى قبيل الفجر

وقد نشأ ميله للعمل ليلا الى الارق المصاب به من زمن وينسبه الاطباء الى عسر الهضم عنده . أما هو فيتوهم ان حالة معدته انما ترجع الى انه مصاب بالسرطان . وقد نشأ وهمه هذا من موت أمه في عنفوان شبابها بهذا الداء الوبيل . وشر ما يخافه أن يوافيه أجله مبكرا قبل أن يتم عمله أو « رسالته » كما يزعم وقد حفزه هذا الخوف الى أن يضع سرا ملحقا لكتابه المسمى « كفاحي » يفسر فيه نظرياته ويوضح غاياته ويرسم الطريق لمن يخلفه حتى يكون ذلك الكتاب والملحق به بمثابة انجيل للوطنية الاشتراكية التي يزعم انها ستبقى بعده ألف سنة في ازدهار ...

لهوه

أحب وسائل اللهو عند هتلر سماع الموسيقى ومشاهدة السينما . فاذا كان في برلين ذهب الى دار الاوبرا . واذا كان في منعزله بالجبال قضى أمسيته في الاستماع الى الموسيقى الالمانية والايطالية ، أو في مشاهدة الأفلام السينمائية التي تعرض عليه بآلة كاملة كالتي تستخدم في دور السينما ومعه جمهور مكون من خدمه وحشمه . وقد يشاهد ثلاثة أفلام في ليلة واحدة ، ويميل عادة الى أفلام الشجاعة والمجازفة مثل فيلم « محارب بنغال » أو « فيفا فيللا » أو «ثورة بالسفينة بونتي» وقد يشاهد الفيلم الواحد منها عدة مرات . وحدث أن كان ممثل سينمائي نمسوي ضمن المدعوين الى حفلة استقبال رسمية ، فتولته الدهشة حين ناداه هتلر باسمه ، وأثنى على تمثيله قائلا انه لم يفته أي فيلم من أفلامه

هتلر والنساء

المعروف عن هتلر انه يكره النساء ، غير ان ذلك لا يؤخذ على علاته ، فالثابت ان قلبه مال لاكثر من واحدة ، فهناك مثلا حفيدة الموسيقي الاشهر ريتشارد فاجنر واسمها

« فيرونا فاجنر » ، وكثيرا ما تزور هتلر وتنزل ضيفة عنده في منعزله بالجبال ولعله يتمنى الزواج بها لولا فارق السن بينهما اذ لا يعدو عمرها العشرين سنة . والمعروف عنها انها أصرح ناقدة له اذ تجابهه بحقائق لا يجرؤ أى وزير من وزرائه على التلفظ بها أمامه . ثم هناك فتاة حيكت حولها وحول هتلر روايات كثيرة ، وهى « ايفا براون » فى الثامنة والعشرين من عمرها وكثيرا ما يذاع أن هتلر سيتزوج بها بعد سنة أو اثنتين وتمضى السنون دون أن يتم ذلك الزواج المأمول . والمعروف انها رفيقة صباه وانهما مرسومة معه فى صور عدة ، وكلاهما بملابس الرياضة حين كان هو شخصا عاديا ولكنه واسع الآمال

أما سواد النساء فقد اعتاد هتلر أن يعاملهن بأدب فائق دون أن يبدى كثير اهتمام بجمالهن وفتنتهن . على انه خالف مسلكه هذا فى السنة الاخيرة وصار يظهر التفاتا كثيرا الى الفتيات الجميلات حتى انه أقام حفلة فى دار الرياسة لفرقة سينمائية ألمانية تضم بعض الممثلات النمسويات الفاتنات وقد قلن عنه بعد انتهاء الحفلة « انه جرىء كثير المرح » !..

والذى لفت الانظار أكثر من ذلك اهتمامه فى شتاء السنة الماضية براقصتين امريكيتين زارتا ألمانيا واحدة بعد أخرى وتسمى احداهما « ماريون دانيلز » والثانية « ميريام فيرن » . وقد دفع للاولى ألف دولار امريكي وأرسل اليها خصيصا طيارة لتحضرها من « كان » الى ميونيخ كى تمثل أمامه فى رواية « الارملة الطروب » . أما الثانية فكانت ترقص رقصا ألمانيا بديعا فى أوبريت بأحد مسارح برلين وقد شهد هتلر تمثيلها ثلاث ليال ثم لم يقنع بذلك فدعاها الى قصره لكى ترقص له خاصة . وبعد ذلك بعثها الى ميونيخ لكى تمثل دورها فى رواية « الارملة الطروب » وشهد تمثيلها هناك ست مرات !

الاعتماد على النفس

— ان الامم لا تنهض الا بنفسها ، ولا تسترد استقلالها الا بجهودها ، وان الشعب كالفرد ، لا يكون آمنا على نفسه الا اذا كان قويا بنفسه مستجمعا لكل عدد الدفاع وآلات الذب عن الشرف والمال والحياة

نعم فقهنا ان الشعوب التى لا ترجى الرقى الا بمعونة جيرانها واصدقائها ، ولا تحفظ استقلالها الا بالاعتماد على حلفائها ، هى شعوب فى خطر ، وحياتها مهددة فى كل وقت

مصطفى كامل

حمد باشا الباسل

يتحدث عن ناحيته الادبية

اشتهر المرحوم حمد باشا الباسل بجهاده الوطنى ، وبلائه السياسى . وربما يجهل الكثيرون هذه الناحية الادبية التى يعرفها عنه خاصته . وقد أتيح لكاتب هذه السطور أن يتحدث معه فى احدى مقابلاته عن هذه الناحية فدار بينهما هذا الحديث الطريف ، وهو آخر حديث له ، كما أنه يكشف للقراء جانباً جديداً من حياة الفقيد الكريم

قلت لحمد باشا الباسل :

ـ ما هى أنفع التجارب التى استفدت منها فى حياتك ؟

فأجاب رحمه الله ، وكان يطلعنى على كتاب أهداه اليه أحد المستشرقين :

يصادف الانسان فى حياته عدة تجارب ، بل يصادفه فى كل يوم ، وفى كل ساعة تجربة يستطيع الفطن أن ينتفع منها ويسخرها لخدمته فى المستقبل . وأعتقد ان خير تجربة انتفعت بها فى حياتى هى إطلاق العنان لنفسى فى حرية التفكير

فقد نشأت فى أول حياتى نشأة بدوية صرفة ، فعودنى أبى أن أعيش عيشة فتيان البادية ، وأن أتخذ من البادية مدرسة للتربية الجسمية والعقلية ، فكنت أمارس ما يمارسه سكان البادية من ألعاب الفتوة والفروسية وركوب الخيل وسباقها وما الى ذلك من الرياضات المتنوعة التى اذا عادت على الجسم بالصحة والقوة ، فانها تهذب الأخلاق وتكسبها متانة ، وتساعد فى تنمية القوى العقلية

ولا إخالك تجهل ان البادية تطبع ساكنيها بطابع الحرية ، وتمدهم من سعة مداها بما يطلق العنان للعقل فى حرية التفكير . ولما توفى أبى كفلنى عمى وتعهدنى بهذه التربية ولكننى كنت ميالا ـ مع ذلك ـ الى التربية المدرسية . ففى يوم من الايام هربت من البادية ولجأت الى إحدى المدارس الاهلية بالفيوم ، ورغبت الى ناظر المدرسة أن يقبلنى كتلميذ بها ، فلم يجد أى مانع فى ذلك (طبعاً) . ولكن لم ألبث طويلا حتى داهمنى عمى فى المدرسة ، وطلب من الناظر إخراجى بحجة ان التعليم المدرسى يعود التلاميذ الضعف والرخاوة ، ويميت فيهم مواهب الشجاعة والفتوة والاقدام

فلم أجد بداً بعد ذلك من أن أستحضر عندى مدرساً خاصاً كان يتردد على فى منزلى ، ومكثت كذلك بين مدرس وآخر ، وحدث أن زارنى مستشرق انجليزى فمكث عندى سبعة أشهر كنت أتلقى عليه بعض الدروس الحديثة . ثم سافر ونزل عندى مستشرق ألمانى ، فاستمر ست سنوات

فقلت لحمد باشا :

— أعرف انه كانت بينكم وبين المرحوم حفني بك ناصف مطارحات أدبية . فقال رحمه الله : كان أخي عبد الستار متزوجاً بباحثة البادية كريمة حفني بك ، وكان علاوة على ذلك صديقاً حميا لى . فى ذات يوم من سنة ١٩٠٨ أهدى الينا « رماناً » فبعثت اليه أشكره بهذه الابيات :

ما ئع الرمان من أقصى الصعيد دمت فينا مهديا فى كل عيد
حبذا فاكهة قد جمعت كل معنى من معانيها يفيد
فهى فى مطعمها فاكهة وهى فى باطنها در نضيد
وهى فى التشبيه تحكى صرة من دنانير بطرد فى البريد
أو كنهد ناهد من غادة عمرها عن خمس عشر لا يزيد

« وقد قابلنى بعد ذلك حفنى بك ، فسألته لماذا لم ترد على أبياتي كعادتك ، فابتسم وقال : « لأنك قلت دمت فينا مهدياً فى كل عيد » وأنا مش عاوز أعملها تانى

« ولما نجح ابنى « محمد » فى الشهادة الابتدائية أرسل حفنى بك الى تهنئة زجلية قال فيها :

خاد الشهادة محمد بيه عقبال ميأخذ الدبلومه
يروح بقى فى محرم بيه يدرس ولا يروحش فى نومه
واللا يروح يقرا فى شبرا مطرح ما كان « مجدى » يقرا
وان كان يروح يدرس بره فى لندره إيه راح يجرى

« فرددت عليه بهذا الزجل :

ألفين تشكر يا سيدى منى ومن ابنى محمد
لو كان يكون أمرى فى إيدى لازم أزورك متعمد
خاد الشهاده وجه فرحان وفى البلد عامل زيطه
من بعد ما كان واد كحيان بقى عامللى فلوطه
المدرسه اللى يروح فيها فى مصر هى الخديويه
أما اللى قلتنا عليها بعد الشهادة الثانويه

وللمرحوم حمد باشا أزجال أخري وأشعار فى المطارحة بينه وبين المرحوم حفنى بك ناصف يضيق المقام عن نشرها . وقد كان يميل الى الشعر البدوى ويفضله على غيره لسلامة فطرته وجلاء معانيه ومطابقته للحقيقة بلا مبالغة ولا تزويق . وقد عني بتأليف كتاب لم يطبع بعد ، يدعى « نهج البداوة » وقد أطلعني على طائفة منه . وفى هذا الكتاب يقارن بين الكلام البدوى ، والشعر الحضرى

طاهر ...

سجل الأيام

بقلم الاستاذ سامي الجريديني

— ١ —

قابل الثورة الروسية بما تقدمها من ثورات في التاريخ تر عجباً

فالثورة على الملكية في انجلترا كانت ترتكز على خدمة الشعب ، وكان قوامها الحرية في القول وفي الكتابة وفي التفكير . وكانت فوق كل ذلك حافزة الى القتال في سبيل هذه الحرية

فجيوش كرمويل تغلبت على قواد متعلمين في جيوش منظمة حتى اذا استتب له الأمر في الجزيرة جعل كلمة انجلترا العليا في كل العالم الخارجي

ذلك ان الثورة كان يقودها ايمان ويبعثها وحي المثل العالي

ثم كانت الثورة الامريكية فاذا بفئة قليلة تغلب فئة كبيرة . إذا بجيوش « خام » تنتصر على جيوش منظمة . ذلك انها ثورة قامت على مبدأ الحرية يقودها إيمان ويبعثها وحي المثل العالي

ثم جاءت الثورة الفرنسية فلم تبق ولم تذر . هدمت كل الماضي وأرادت أن تمحي ذكره . وسارت جيوشها ترد الجيوش الملكية المتألبة في أوربا على الجمهورية ثم مشت لاكتساح أوربا . وكان قوامها روحا عسكريا يبعثه ايمان بالحرية ويبعثه وحي المثل العالي

صحيح ان السبب الاصلي في هذه الثورات اقتصادي ، فالشعوب كانت تئن من الضرائب وتأبى أن تعيش في ذلة الفقر ولكنها في ثورتها نسيت المادة ولم تأخذ الا بالروح . فنادوا بالحرية وجاهدوا وقاتلوا في سبيلها . فكأن الجهاد لا يحفزه الا الايمان ، وكأن الحقيقة الابدية هي هي أن ليس بالخبز وحده يحيا الانسان . وانه مهما يغتني المرء ويثر فانه ان لم تسمو روحه وتقوده الى فوق يظل فقيراً مدقعاً

ولسنا من المؤمنين بان ما نادت به الثورات قد تحقق كما انه لا يخامرنا الشك بان القيادة في ساعات الاضطراب العام . والزمام في معظم الثورات ينتقلان من الأيدي الضعيفة والقلوب الطاهرة الى مخالب الأفاقين وأنياب النصابين فيطغى نجمهم ويتألق وتسير القوافل البشرية مغمضة العيون على ضوئه . ولكنه نجاح موقوت وفوز وهمي . فلا يلبث الروح الذي بعث الثورة من مكمنها الخفي البعيد أن يظهر ويهذب ما أفسدته زعامة الصعاليك الوصوليين

وانه ليطول بنا الشرح لو أردنا الاسهاب فها هو تاريخ الثورات التي ذكرناها ماثل يقرأ ويفهم وها هو تاريخ القليل من الثورات الشرقية يفسر التفسير نفسه لأنها ثورات حاولت أن تماشي تلك التي ذكرنا

فالمبدأ واحد . سبب يولد الاستياء والتذمر يمتد أصله الى الضيق المادي . ثم أمل ورجاء تقودها الحرية الى مراع خصبة . إن نزعت الروح القائم على الأمل والرجاء ماتت الثورة ووقف سير التقدم ، وهذا ما فعلته الثورة الروسية

فنحن الذين يؤمنون بالاشتراكية على انها القاعدة المثلى للنظام الاقتصادي لا نؤمن بها مادية محض مادة انما نجلها عن هذا ونرى بها سعادة البشرية العتيدة لأنها إذ تنظم المادة تبعدها عن أن تكون غرض الانسانية بل تحلها المحل الأخير من حاجيات الناس وترمي الى خلق انسانية همها الاكبر تحسين روح المرء وتنمية حياته الأدبية بعد استقرار حياته المادية

هذه هي الاشتراكية التي يقول بها مفكرو العالم الآن

وأما أتباع ماركس من لنين الى تروتسكي الى ستالين فقد شوهوا الاشتراكية والبسوها لباساً أسيويا تتريا لا يقوم الا على المادة وعلى التخريب

وعبثاً حاول العالم التمدين أن يدافع عنهم ويخلق لهم الأعذار ويفسح لهم في مجال التجربة ولكنهم وقد كشفت الحرب عوراتهم اذا بهم أبعد الناس عن أهلية الزعامة وأكفرهم بالاشتراكية الصحيحة . ذلك لأنهم أعداء الحرية مجردون من النزعة الانسانية عريقون في أصولهم الهمجية

فقد قال الذين حببوا الثورة الى الشعوب فيما مضى : « انكم غارقون في بحار الفقر والظلم قوموا تذوقوا طعم الحرية فيصفو لكم العيش فتشبعوا وتستمتعوا بالحياة . انهضوا حتى تكونوا أحراراً وقاتلوا في هذا السبيل »

فقام الناس وانتصرت الحرية حتى اذا هددها مهدد يوما من الأيام هبوا الى نصرتها زرافات ووحدانا . وأما هؤلاء البلاشفة فماذا قالوا وماذا فعلوا

قالوا للفلاح دونك الأرض اغتصبها وابطش بمن كان سيدها فانه قد هزل وضعف وسقط سوطه من يده . فقام وامتلك الارض . ولا بأس بما فعل حتى هنا

ولكنهم جعلوا حرب الطبقات قاعدة الاجتماع وجعلوا من هذا الفلاح عبداً يقوم على خدمتهم انهم حاولوا أن يحكموا المادة في كل شيء فنزعوا روح الفلاح وتركوه هيكلا هزيلا

وهاهم الآن بعد ان كانوا قد حركوه ليجعلوا منه سيداً في أرضه

وبعد ان ظن انه سينعم بالأرض لا يبرحها اذا بهم قبيل هذه الحرب يأخذون غلته ثم ما لبثوا أن دفعوا به الى مواطن الضرب والقتال

وفي سبيل ماذا ؟

انه كان يفهم القتال حتى يغتصب أرضاً اغتصبها من قبله الأشراف . وانه كان يفهم القتال فى سبيل مملكية تبهره زخارفها أو فى سبيل عقيدة تسطو على عقله طقوسها ولكنهم يريدونه ان يحارب الفنلنديين — لماذا ؟

ان الجيش الذي لا يجيش بصدره غرض مقدس يشعل نار الحماسة لمغلوب على أمره

وقد يكون مشعل هذه النار عبقرية عسكرية كعبقرية نابليون ، ولكنك اذا رأيت هؤلاء الروس الآن وقد تخلوا عن كل ما جعل الحياة جميلة فى الماضى ، وعن كل ما جعل التقدم الانسانى محبوباً فى هذا الجيل فألبسوا الدين والملكية والاشتراكية غير لباسهم التمدين ، فانهم لن ينجحوا فيما يحاولون وسيلحقون أعظم الاضرار بالنظام الاشتراكى الذى أصيب بهم

وقد يكثر عددهم ويرمون جحافلهم على فنلندا فينتصرون ، ولكنه سيكون نصراً يصمه التاريخ عاراً فى وجوههم ثم لا تلبث الحضارة أن تزيل هذا العار

فهؤلاء القوم فى فنلندا قد أعادوا تاريخ البطولة سيرتها الاولى

فبالامس كنا ولا يكاد الواحد منا يعرف موقع هذا البلد من الجغرافيا ، ولا تزال أسماء مدنها وقراها تستعصى على لساننا المبين حتى الآن ، فاذا بنا أمام شعب عقد العزم على التضحية فصار أحدهم بألف

وقد يكون صحيحاً ان مقاومة الروس ليست كمقاومة الالمانيين ، وان الطبيعة تساعد «الفن» على أعدائهم . ولكن القوم الذين عرفوا ان ينتفعوا من الطبيعة فيسخروها لأغراضهم والذين يعرفون أن يموتوا فى سبيل حضارتهم لخليقون بأن يبعثوا بعد الموت وجديرون بأن يفخر أحدهم ويقول انى ولدت فى فنلندا

— ٢ —

ولن يقف الاعجاب بالبطولة عند حد الكلام . فمن أعجب بالشىء حاول أن يحتذى مثاله

لذلك رأينا عالم الدول الصغيرة قد تغير واستبدلوا بمواقفهم مواقف أخرى

ان روح البطولة الذى انبعث من الشمال غير النفوس فى جميع البلدان السكندنافية الواقفة على الحياد وقوى عزائم بلجيكا وهولاندا ، فيما اعتزمتاه وكاد أن يؤثر على الداغرك لو كان ذلك فى حيز الامكان

ثم انتقل الى الناحية الاخرى من جنوب أوربا وشرقيها فأزال شيئاً كثيراً من الرعب المتسلط على عقول بعض البلقانيين وقلوبهم

— ٣ —

على أن للبلقان موقفاً شاذاً وليس بالغريب لأنه نتيجة طبيعية لتاريخ سكانه فى ماضيهم وفى سياستهم وفى اقتصادياتهم على التخصيص

فهناك دول ثلاث كبرى طامعة فى البلقان منذ القدم ، طمعاً يحفزه فى روسيا الرغبة فى التوسع للوصول الى البحر المتوسط مستعينة بالعناصر السلافية وما يبنى على هذه العنصرية من أحلام دينية وجنسية . ويدفعه فى المانيا حب التسلط على محصول البلقان المعدنى منه والزراعى ثم تصريف صناعتها بين سكانه ضاربة الى الشرق مخترقة تركيا فالعراق فبحر ايران ان استطاعت اليه سبيلا . ويحركه فى ايطاليا موقع جغرافى وجوار يمت بصلات عتيقة الى أيام روما وحلم فى خلق امبراطورية ايطالية جديدة

فايطاليا التى تنبطح أمامنا على خريطة أوربا ان تكون ما يريده لها موسولينى ان لم تكن آمرة ناهية فيما هو من شرقيها على الأقل فان شمالها وغربها مكشوفان لمن لا تستطيع أن تبادره العدوان . ولسنا نرى فى هجومها على الحبشة الا غلطة سيسجلها لها التاريخ فانها بعدت عن قواعدها وأثارت مخاوف انجلترا وهى لم تتسلط على البحار بعد ، دع عنك اهاجتها الرأى العام فى العالم فهذا لا يؤبه به الا يوماً أو بعض يوم ثم يعود الكون الى دورانه

هذا عن الدول الطامعة فى البلقان

وأما البلقان نفسه فما خطبه ؟

رومانيا غنية فى كل ما هو فى باطن أرضها وعلى ظهرها ولذا كانت طلبة الأقوياء الجائعين . ثم انها أغضبت هنغاريا إذ أقطعها الحلفاء فى معاهدة الصلح ترانسلفانيا وأثارت حفيظة بلغاريا بضمها دوبروجة اليها ولا تزال أعين الروس ترنو الى بسارابيا وما هو أبعد من ذلك

فتراها محاطة بالطامعين عرضة للافتراس عندما يكبو جوادها كبوته الاولى

ويوجوسلافيا ترتعد فرقا منذ ما جاورتها المانيا فى الشمال وتسىء الظن وأى اساءة فى جارتها الغربية ايطاليا التى لا تغتفر لها وقوفها دولة مستقلة ذات بطش مجرب فى موضع كان على القدر أن يعيده ايطالياً كما فى أيام الرومان

وبلغاريا تكره السرب أى اليوجوسلافيين لأخذهم جزءاً كبيراً من مكدونيا وتكره اليونان لأنهم لا يمكنوها من منفذ بحرى وتحقد على رومانيا وتضمر لها عداء مستعراً لا تخبو ناره الا بارجاع دوبروجة

واليونان مملكة جعلتها الطبيعة مبعثرة فى البحر ذات موانىء حسنة الموقع تصلح لأساطيل تتمكن من شرق البحر المتوسط وهى فى أمورها الداخلية لا تستقر على حال لشدة ما تنوء به من سيطرة ماضيها العظيم ومن تمسك أهاليها بفقه الكلام شأن معظم الشعوب الشرقية

وأما تركيا سيدة هذه الشعوب وأرضهم فيما مضى وسيدة المضيقين فى الماضى وفى الحال وفى الاستقبال فأشد البلقانيين مراساً وأقوامهم عزيمة وأعزهم نفراً لا تخرج من حرب حتى تدخل

أخرى . وهى فوق كل هذا أرض تنبت رجالا ان خانتهم الادارة المنتظمة فيما مضى فصدق النظر السياسى وبعد مرماه لم يخنهم قط

فهى حارسة المضيقين لم تذهل يوما عن أولية بديهية فى التاريخ ، والسياسة ان من ملك هذين المضيقين يتسلط على البلقان وعلى تلك الناحية من آسيا

ولكنها معرضة للعدو فى شواطئها الطويلة المكشوفة وليس لديها أسطول يضارع جيشها .

وظهرت ايطاليا بمطامعها الجديدة تهددها . وهنا بدأ الحظ يبسم لتركيا اذ هيأ لها أتاتورك

فهذا الداهية فى السياسة النابغة فى الحرب عرف كيف يقلب تركيا رأساً على عقب . البس قومه فى الادارة الداخلية لباساً جديداً ورمى باللباس القديم البالى عرض حائط الماضى

ثم جاء فى الادارة الخارجية يصادق جيرانه البلقانيين ويوفق بين المتنازعين منهم واذا بالدهر يمد له يد المساعدة اذ اتحدت مصلحته مع مصلحة انجلترا فى الدفاع عن البحر المتوسط ضد الطامع الداخل جديثا فى النعمة . ومن كالأسطول الانجليزى يحمى شواطىء الأناضول والبحر الاسود

فتم الاتفاق وعقبه مثله مع فرنسا

فوقفت ايطاليا عند حدها وعادت السليقة الرومانية تلجأ الى ما فى ماضيها وتقاليدها من فائدة ــ فتعلقت بأهداب بيتها المالك وانكمش موسولينى وأدرك الامر ادراك قومه . وسوف ترى عما قريب تفاهما بين تركيا وايطاليا يبدأ بخوف هذه من الاتفاق المذكور وينتهى بالاذعان للامر الواقع والمغنم يأتى عن طريق الفيئة القوية فى التوازن الدولى

هذا هو موقف البلقان وجيرانه من الحلفاء ومن المانيا

وأنت ترى ان كلمة الحلفاء هى العليا . والفضل للعقلية التركية وللأسطول البريطانى ولقائد القوات الفرنسية فى الشرق الادنى

— ٤ —

وقد كدنا ننسى ان هناك حربا قائمة فى الصين

اين بلغت اليابان فى انتصارها ؟ وهل غلبت الصين فى أقصى الارض ؟ وهل قدر لهم بعد غلبهم ان يغلبوا ؟

وكانوا قد قالوا لنا عقب الحرب الكبرى الأولى ان الوقعة المقبلة ستكون فى المحيط الهادىء وان نظام الثقل انتقل من اوربا الى هناك

فاذا بنا حيث كنا وكذب فلاسفة التاريخ والاجتماع وعلم البحار

إن الذين جعلوا المحيط الهادى قبلة العراك العتيد حسبوا الولايات المتحدة الأميركية وأهلها جزءاً من أوربا تتحرك لمثل ما تتحرك له أوربا وتمتشق الحسام كما امتشقته أوربا فى أيامها الغابرة ولا تزال كذلك حتى الآن ، ونسوا أن أميركا قارة لا دولة وأن هذه القارة تستغنى عن العالم كله

اقتصادياً وأن عقلية سكانها ليست واحدة ، وأنهم غارقون فى ديموقراطيتهم إلى الذقون ناعمون بحريتهم لم يعرفوا للاضطهاد وجهاً وما شاهدوا للضيق الاقتصادى أو للتعصب الدينى أو الجنسى خيالا . فكانت حكوماتهم فيما سلف من تاريخهم الجديد لا تعدو أن تكون أشبه بمجلس إدارة شركة مساهمة منها حكومة تقود الأمة إلى ما اصطلح الكتاب أن يسموه سياسة عليا

وليس معنى هذا أن بلادهم خالية من رجال مفكرين ينظرون إلى أفق واسع بعيد فان الحال على نقيض هذا فهى على اتساع التعليم العالى عندهم أنتجت رجالا يصح أن يكونوا قادة الشعوب فى كل مكان ، ولكن القارة واسعة يختلف تفكير أهل الغرب منها عن أهل الشرق ولايلتقى الفريقان على طريق واحد مع أهل الوسط . وهم كما قدمنا لم تعركهم السياسة ولا الحرب كما هو الأمر فى أوربا فصرفوا كل جهدهم الى الصناعة والزراعة والتجارة والعلم . ونعم ما فعلوا

ولكن قد أدرك أولو الرأى منهم أن العزلة مستحيلة فى هـذا العالم الذى ربط العلم أجزاءه بعضها إلى بعض . وإن العالم القديم لا ينجو من مرضه المزمن وأساته على ما هم عليه

وان هذا العالم القديم ليس أوربا فقط بل وآسيا أيضاً حيث قامت اليابان تقلد أوربا فتحاول السيطرة العالمية بادئة بالصين منتهية إلى حيث لا يعلم أحد . محتذية المثال الأوربى حذوك النعل بالنعل من جيوش وأساطيل وصناعة وإخلاف بالمواثيق

وليست الولايات المتحدة على وفاق معها لا من حيث المصلحة المادية فقط بل فى مثل الحياة أيضاً الأدبى منها والاجتماعى . فهى لا تناصب اليابان العداء جهرة ولكنها لن تصبر على نازية يابانية فى الشرق كما أنها لا تحب نازية الغرب

فشعب هذا مكانه من الحياة الاجتماعية ومن الثروة المادية لا يطمع فيما بيد الغير ولا يميل الى استئثار ، ولكنه بحكم نمو ثروته بامتداد صناعته وتجارته سيطلب أسواقاً خارجة عن القارة الشمالية وسيرسل سفنه تحمل أثقال البضاعة الى مشارق الأرض ومغاربها . ومن أرسل سفناً للتجارة جهز سفناً للقتال تعقب خطواتها

وفى الأقوال المأثورة أن معنى الحكومة هو النظر الى البعيد والاحتياط له

والا لما كان هناك من مبرر لوضع الأمة رجالا منها فى دست الحكم ، فعلى الوكيل أن ينظر فى حوائج موكله ما مسه اليوم وما هو متوقع بالغد

وقد تكون مهمة أولى الأمر سهلة فى ديار لم تتغلغل الديموقراطية فى أحشائها ولكنها أصعب من الصعب فى شعب كالشعب الاميركى ، مد له ماضيه رواقاً من الحرية الفردية ومهدت له الطبيعة فى بلد بكر كل أسباب النشاط وموارد الثروة

فاذا جاءت حكومة تطلب من شعب كهذا ما لا تستعين به على أسطول أو على جيش وعلى ما تتطلبه حرب هذه الأيام وقف فى سبيلها لأنه لا يدرك للطلب مبرراً فلم يهدده مهدد وليس له

مطمع فى الآخرين . لذلك كانت الحكومات الاميركية ما سبق منها وما هو الآن تحتال على شعبها كلما أزمت أزمة فى العالم فتقتنصها فرصة لتزيد فى تأهبها الحربى ملوحة بالخطر يهدد الشؤون الأميركية

هكذا فعلوا عندما ما بدأ الخطر اليابانى للعيان وظلوا على هذا وعلى خطر الحروب الاوربية حتى الآن . فرجال الدولة فى الولايات المتحدة — وليسوا هم الذين فى دست الاحكام فقط بل وفى كل مناطق التفكير — يعلمون أن القدر أعدهم ليتولوا الزعامة العالمية ولكنهم يسعون اليها عن طريق طويل يودون لو تسير الأمة كلها وراءهم فيه وهم لم يوفقوا بعد الى زعيم من الطراز الأول على غرار ريشيليو أو كرومويل . لذلك كانت خطواتهم بطيئة تظهر لنا نحن البعيدين أنها خطوات المتردد الذى لا يثق بنفسه . وفى الواقع أنها خطوات شجاع يفقد شجاعته اذا تلفت فلم ير قومه يحمون ظهره

ثم إن المبدأ الأميركى يختلف عن المبدإ الذى عرفته أوربا حتى الآن . فنظرهم الى تنظيم العالم قائم على التبسط فى التجارة وإطلاق عنانها بازالة الحواجز الجمركية ويريدون هذا التنظيم عاماً يشمل الدنيا وقد عودهم هذا النظر موقعهم فى بلادهم ونجاحهم فى توسيع صناعاتهم بجعلها آلة عظيمة كثيرة الانتاج غير مقصورة على حيز ضيق كما هى الحال عليه فى أوربا — هذا المبدأ يبعدهم عن السياسة الاوربية .واننا نرى فى الاتصال الذى بدأ به الرئيس روزفلت بايفاده رجاله يطوفون بأوربا تمهيداً لتلمس العقلية الاوربية — ما تكون عليه بعد الحرب وما هى عليه الآن

فان أنس من أوربا ميلا الى الاقلاع عن طرق الصلح القديمة والاطمئنان الى الأخذ بالمبدأ الاميركى وسيلة للانعاش الاقتصادى — وهو مبدأ نادى به الانجليز والفرنسيون والبلجيكيون من قرب — اذا وثق بالأمر سعي الى ضم الجهد الاميركى الى جهد الحلفاء ومن يلف لفهم من المحايدين فتضمحل النازية فى ألمانيا ثم لا يلبث هذا الاتحاد أن يوجه الى الشرق الاقصى فتذعن له اليابان إما طوعاً او بحد السلاح

واننا لا نرى كيف يخرج العالم من محنته هذه الا بفوز هذه المبادىء — المبادىء التى تمثلها الأمة الاميركية مع الانجلو سكسونيين والفرنسيين . فهى تستند الى تنظيم المستقبل لخدمة الجميع على خلاف النازية التى تريده مستقبلا جرمانياً خاضعا للأصول البروسية

سامى الجريديني

آلهة الحرب عند قدماء المصريين

بقلم الاستاذ محرم كمال

الأمين المساعد بالمتحف المصرى

تكلم الأستاذ محرم كمال فى مقال سابق عن الحرب عند المصريين القدماء . أما مقال اليوم فهو يتناول ناحية أخرى من نواحى الموضوع ، يقتصر فيها البحث على آلهة الحرب عند الفراعنة

كان للمصريين القدماء آلهة حرب ، شأنهم فى ذلك شأن من أتى بعدهم من الأمم كالاغريق والرومان وكانت هذه الآلهة تعادل فى قوتها وجبروتها الاله مارس وغيره من الآلهة التى على طرازه . وقد ورد ذكر آلهة الحرب المصرية فى كثير من النصوص المصرية القديمة ورسمت على جدران المعابد وغيرها من الآثار

الاله منتو : الاله الشديد ذو القوتين

وأهم هذه الآلهة جميعاً الاله « منتو » الذى وحد بعد ذلك مع الاله « رع » ، فأصبح يدعى « منتو رع » ، وكان يعبد فى جهات متعددة كطيبة ومداموود وأرمنت والطود ، ويستمتع بعدد كبير من الألقاب الرنانة . فقد ورد فى النصوص أنه « سيد طيبة وملك الآلهة ، والاله الشديد ذو القوتين » . وليس هناك من شك فى أن هذا الاله قديم جداً . فقد ورد ذكره فى نصوص الاهرام مع طائفة من الآلهة القديمة ، وهذا من شأنه أن يحملنا على الاعتقاد بأن عبادته كانت واسعة الانتشار فى عصر الأسرة السادسة . وقد قيل فى هذا النص إن الملك (مرنرع) قد خرج كالاله « منتو »

ولسنا نعرف شيئاً دقيقاً حتى الآن عن أصل هذا الاله أو عن مبدأ تاريخه ، ولكن عبادته لا بد انها كانت قديمة جداً كما يدلنا على ذلك النص السابق الخاص بالملك « مرنرع » والذى تبين منه أن « منتو » كان فى هذا العصر السحيق (عصر الأسرة السادسة) إلهاً كبيراً يتمنى المتوفى أن يتشبه به فى العالم الآخر

ويظهر الاله « منتو » فى المعتاد على هيئة رجل برأس باشق عليه تاج يتكون من قرص الشمس مع ريشتين . على أن هناك صوراً أخرى يظهر فيها هذا الاله برأسى باشق وقد أمسك فى يده اليمنى سلاحاً حربياً ، وهذا يتفق مع طبيعته كاله للحرب ، كما أن هناك منظراً آخر رسم فيه هذا



الاله ومعه حربة طويلة صنع حدها من الحديد أو البرونز يطعن بها أحد الاعداء المقيدين

على أن هذا الاله عندما عبد فى مدينة « زوت » (وهى الطود الحالية وتقع على مسافة ٢٠ كيلومتراً جنوبى الأقصر) تغير شكله نوعا ما ، وان لم تتغير طبيعته ، فقد ظل إلهاً للحرب ، ولكنه رسم على أنه رجل يعلو جسمه رأس ثور . فكان من الطبيعى أن نجده فى هذه الرسوم وقد أمسك فى يديه بعدد من الاسلحة كالقوس والسهام والهراوات والسكاكين وغيرها من أدوات الحرب والقتال

وقد ذكر هذا الاله فى وصف طويل لمعركة قادش ورد فيه أن الملك « رمسيس » الثاني أشرق كما يشرق الاله رع (الشمس) وأخذ أسلحة الأب « منتو » ، وما كاد يرى الاعداء أمامه حتى أغار عليهم كالاله «منتو» سيد طيبة ، وقد استل أسلحته فى يده واعتلى مركبته الحربية ووجهها الى قلب المعركة ، ففر الاعداء وكتب له النصر عليهم

الاله « منتو » بجسم بشرى ورأس ثور ، وهو يمسك فى احدى يديه عدداً من الاسلحة كالسكاكين والهراوات والسهام وغيرها من أدوات الحرب والقتال

وقد لقب الاله « منتو » فى كثير من النقوش بـ « الثور القوى » مما يجعلنا نرجح أنه لم يكن فى الاصل إلا تمثيلا أو رمزاً لقوة الثور وبطشه عندما ينازل أحد الاعداء ، بل ان هناك من يذهب الى أن الثور المقدس ، رمز الآله « منتو » فى معبد مدامود ، كان له عرين ، وكان هذا العرين معداً للنزال والقتال ، وقد ورد ما يؤيد ذلك فى أحد النصوص . ولكن لنا أن نتساءل بعد هذا عن أى نوع من أنواع النزال كان يتعرض له الثور المقدس ؟ فان نزالا حقيقيا قد يصيب الثور بشر لا شك فى أن وقوعه كان أمراً مستحيلا ، وعلى ذلك فاننا نكون محقين اذا اعتقدنا أن هذه المنازلات لم تكن إلا محاولات رمزية فحسب ، الغرض منها تمثيل القتال الذى دار بين منتو وأعدائه فى الاساطير ، يخرج منها الثور منتصراً على أعداء الشمس . ومما هو أبلغ فى الدلالة على هذا المعنى أن اسم مدينة مدامود المقدس وهو « حت عحات » معناه بيت القتال أو الحرب

أما معبد هذا الاله الرئيسى فقد أقيم منذ عهد الدولة الوسطى فى مدامود سالفة الذكر ، وهى مدينة تقع على مقربة من الكرنك . ويظهر أن هذا المعبد بدأه الملك « سنوسرت » الثانى أحد ملوك الأسرة الثانية عشرة وقد وردت فيه عدة رسوم للاله « منتو » بشكل الباشق وشكل

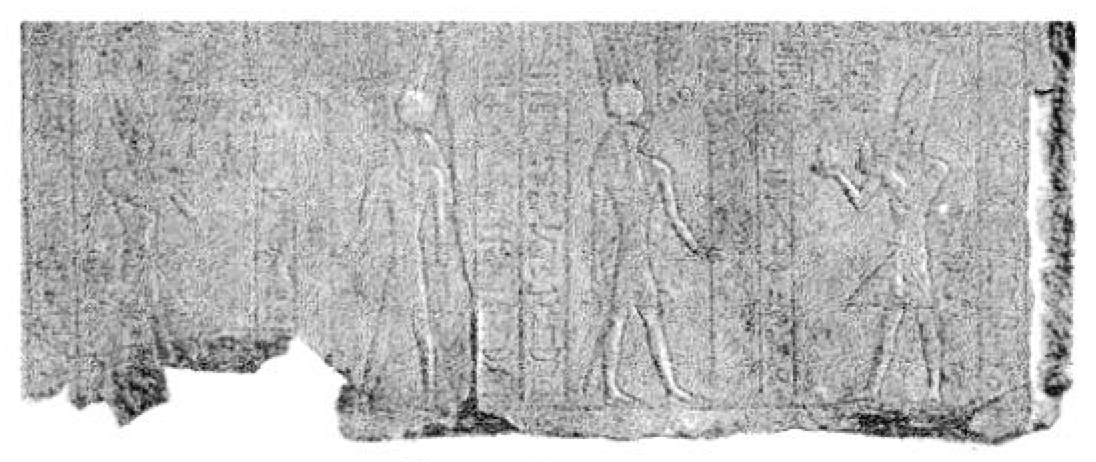
الثور أيضا . وقد لقب الاله فيه على أنه « سيد مدينة مدامود » ووصف بأنه « ثور مدامود القوى » ومما يجدر ذكره فى هذا المقام أن مدينة مدامود ، مركز عبادة الاله « منتو » فى هذه المنطقة ، كانت تنال اهتماما عظيما بشؤونها من الملوك الذين اشتهروا بالفتح والغزو وشن الحروب ، فهم الذين كانوا يشيدون ويوسعون فى مبانى معبد الاله « منتو » ، إله الحرب الذى كان يحميهم . وفى عصر الأسرة الثامنة عشرة لدينا ما يثبت أن الملك « تحتمس » الثالث الذى لقبه البعض بـ « نابليون » مصر القديمة ، قد أعاد بناء المعبد ووسعه من بعده «أمنوفيس» الثانى و «تحتمس» الرابع ، وأتى ملوك الأسرة التاسعة عشرة من بعدهم فأبدوا اهتماماً عظيما بهذه المنطقة حتى ان « سيتى » الأول و « رمسيس » الثانى أقاما فيها معبداً جديداً لهذا الاله شيداه من الحجر الرملى . أما فى عصر البطالسة فانه يظهر أن « بطليموس » الثالث وهو بطل مغوار فى الحروب هو الذى بدأ فى إقامة معبد جديد ، وتلاه « بطليموس » الخامس فبنى معبداً آخر لهذا الاله . ثم أتى الرومان من بعدهم فأكملوا نقوش المعابد وأضافوا اليها كثيراً من الزخارف التكميلية

وقد ورد فى بعض الأوراق البردية ذكر طائفة من الاحتفالات والولائم كانت تقام تكريماً للاله « منتو » إله مدامود فى عصر الأسرة الثالثة عشرة

وكان أحد هذه الأعياد يحتفل به فى المدة الواقعة بين ٢٦ و ٢٨ من شهر بابه ، ويتميز هذا الاحتفال بأن الاله كان يزور فيه القصر الملكى . ففى الصباح الباكر كان يخرج مندوب الملك فى احتفال رسمى قاصداً مدامود ، فاذا وصلها دخل المعبد حيث يقدم فروض التبجيل والاكبار للاله ثم يحمل تمثاله بكل مظاهر الأبهة والعظمة التى تصاحب المهرجانات المصرية القديمة حتى يصل الى القصر الملكي ، فيوضع التمثال فى قاعة فخمة يكون الملك والملكة وأمراء البيت المالك قد انتظموا فيها ، فاذا حل الاله بينهم بدأ

....

الالهة «سخمت» وقد ورد ذكرها فى أسطورة « هلاك البشر »



كتلة من الحجر وجدت بمعبد الاله « منتو » بمدامود عليها نقش يمثل الملك « امنمحيت سبك حتب » يقدم قرابينه للاله منتو ، فالى الشمال يقدم لبناً ، والى اليمين يقدم نبيذاً (الأسرة الثالثة عشرة)

المهرجان الملكى ، فافتتح بموسيقى رائعة ، وأخـذت المغنيات يشنفن الآذان بأصواتهن الرقيقة ، والعازفات والعازفون يطلقون من آلاتهم الموسيقية أنغاماً سحرية تبعث فى النفوس رهبة الدين وحرارة الايمان ، فاذا تم لهم ذلك بدأوا فى تقديم القرابين للاله وشفعوها بصلواتهم الحارة ، حتى يحين وقت عودة الاله ، فيرافقه موكب رسمي حتى يعود الى معبده بمدامود

ولم يكن هذا هو الاحتفال الوحيد ، فان احتفالا آخر كان يقام فى يومى ١٧ و ١٨ هاتور ، دون أن يحتاج الأمر فيه الى حمل تمثال الاله الى القصر . فقد كان يكتفى باقامة سلسلة من المآدب فى إحدى قاعات القصر الملكى ، يرأسها الوزير ويحضرها الموظفون والضباط مع نسائهم وعائلاتهم ، وتعزف فيها موسيقى فخمة يتخللها غناء رقيق

وقد استمرت هذه الحفلات تقام كتقليد لا يمكن إهماله فى العصور التالية ، مع شىء من الافراط ، إذ كان القوم يخرجون بعد الحفلة الدينية التى تقام فى المساء فى جماعات وقد ارتدوا ملابس العيد الفخمة فيهللون ويشربون ويغرقون فى المزاح حتى ساعة متأخرة من الليـل ، ولا يرتاح لهم بال إلا إذا أيقظوا النائمين ، هذا اذا غمض لأحد جفن فى مثل هذه الليلة !

هذا مجمل ماعكن أن يقال عن الاله « منتو » إله الحرب عند المصريين القدماء

الالهة سخمت : إلهة البطش والتدمير

أما الالاهة « سخمت » التي تمثل فى الأصل حرارة الشمس المحرقة ، فقد أراد البعض أن يعطيها صفة الحرب ، على اعتبار أنها إلاهة للبطش والتدمير ، وأن هذه الصفات قد وردت عنها فى إحدى الأساطير القديمة ، وهي أسطورة مشهورة تعرف بأسطورة « هلاك البشر » ، لا تخلو من طرافة ، لذا فاننا نلخصها فيما يلى من سطور :

« كان « رع » إلهاً قوياً عظيما استمر يحكم مصر زمناً طويلا ، الا أنه عندما شاخ بدأت تظهر عليه علامات الهرم ، فانحنى ظهره واضطرب جسمه ، وأخذت شفتاه ترتعشان ولعابه

يسيل . ويظهر أن الناس قد لاحظوا ذلك عليه ، فأخذوا يسخرون منه ويشيعون أن لحم الاله قد تحول الى ذهب ، وأن عظمه قد تحول الى فضة وشعره الى لازورد

« وما لبث الاله أن أحس بذلك فغضب ، وما كان يظن أن خدمه ورعاياه يسخرون منه . فدعا اليه باقى الآلهة وعقدوا مجلساً للشورى عرض عليهم فيه « رع » ماسمعه من عبارات السخرية وأظهر رغبته فى الانتقام . فقال أحد الآلهة ان الامر سهل لا يقتضى أكثر من القبض على هؤلاء العصاة المارقين ومحاكمتهم محاكمة شديدة رادعة . ولكن « رع » أشفق أن يرى الناس المحاكمة فيفرون الى الصحراء ويتركون بلادهم خاوية . وظل الآلهة يتبادلون الآراء فى هذا الشأن حتى استقر رأيهم على أن يصدر « رع » الامر لعينه ويبيح لها أن تنتقم له من الذين سخروا منه . فكان ذلك واتخذت عينه صورة امرأة لها رأس لبؤة وصارت تعرف بالالهة « سخمت »

خرجت إذن الالهة « سخمت » متعطشة الى الدماء والحرب ، وأخذت تجول فى الوديان والتلال والمدن ، وتفتك بالناس فتكا ذريعا حتى أصبحت البلاد تجرى أنهاراً من الدماء . فنظر « رع » الاله الطيب رقيق القلب الى العالم الذى خلقه وأبدعه وقد تهدم ، والى الناس الذين أوجدهم وقد قتلوا ، والى كل ما نظمه من منشئات وقد انقلب رأساً على عقب ، فأسف على ذلك أسفاً شديداً ، وانقلب أسفه الى ندم ممض ، وأراد أن يكتفى بهذه الضحايا فأمر الالهة « سخمت » أن تكف . لكنها كانت قد تعودت البطش والتنكيل فلم تقف ، بل مضت فى القتل والتدمير ، وما زالت فى طريقها تسير مسرعة حتى وصلت الى مصر الوسطى وأدركها الليل فنامت . وانتهز « رع » هذه الفرصة فاتخذ تدابير من شأنها أن تكف العين عن الاستمرار فى القتل والبطش . ذلك أنه أمر بصنع شىء يشبه الجعة (البيرة) لها تأثير مسكن ومنوم ، واتخذ منه مقادير ضخمة ، ثم أمر فأريقت فى جميع أماكن الدم حتى ارتفعت عن سطح الارض بمقدار عظيم . فلما استيقظت الالهة « سخمت » من نومها رأت الارض مغطاة بهذا الشراب الذى يشبه لون الدم ، فظنته دماً يجرى ، فابتهج قلبها حين رأت صورتها تنعكس فى أنهار الدم التى تسير فيها ، وفى لوثة الفرح الجنونى التى انتابها شربت من السائل الذى يجرى تحت قدميها ، وطاب لها مذاقه ، فأخذت تعب منه عباً حتى ارتوت ، ثم سكرت ، ثم نسيت ما كانت عليه من بطش وتقتيل ، فانصرفت عن الفتك وعادت الى القصر ، فاستقبلها « رع » أحسن استقبال ، وقرر أن يقدم اليها هذا الشراب فى أول كل عام حتى لا تعود الى القتل والتدمير ، وصار من عادة القدماء أن يقدموا ضحاياهم وقرابينهم لهذه الالهة فى كل سنة »

هذه هى الاسطورة التى جعلت من الالهة « سخمت » إلهة للبطش والتدمير ، ولعل فى هذا القدر كفاية عن آلهة الحرب عند المصريين القدماء

محرم كمال

نساء مجندات يقتحمن الجو والبحر والبر

يختلف دور المرأة فى الحرب الحاضرة عنه فى الحرب الماضية وما سبقها من حروب فى العصور السابقة . حقيقة إن التاريخ حافل بصفحات رائعة من البطولة تعتز بها المرأة ، ولكنها قصص فردية لنساء معدودات . فلقد كان الرجل بالامس يخرج الى الميدان للقتال ، وتظل هى فى البيت ترعى الاولاد وتعنى بهم ، أو تقوم بما تستطيع القيام به من أعمال كان يؤديها الرجل قبل خروجه للحرب

أما اليوم ، فالمرأة تلعب دوراً خطيراً لا يقل شأناً عن دور الرجل . الرجل يقف فى الصفوف الاولى يقاتل ، وهى فى الصفوف الخلفية تشد أزره ، وتمده بالمؤن والذخائر ، وتلهب من حماسته وتذكيها ، بل تكون وبنات جنسها صفوفاً من الاحتياطى المدرب لسد ثغرات الصفوف الاولى إذا جد الجد

اليوم وقد خلت المصانع من العاملين فيها ، وأقفرت الحقول من زارعيها ، ترى المرأة قد شغلت كل هذا ، نفضت عنها رداء البيت واستمدت من ضعف الانوثة قوة . . فهى فى المصانع تقوم بالصناعات الميكانيكية الدقيقة بمهارة ولنشاط وحنكة . وهى فى الحقول تزرع وتحصد تستعمل فى ذلك الآلات الزراعية بخبرة تامة ، وهى فى الطرق تقود السيارات بدربة ومهارة ، وهى فى ميدان المواساة ، تتفقد الجرحى بثيابها البيضاء ، تضمد الجروح بيديها اللطيفة الحفيفة ، وتواسى المصابين فتتلاشى آلامهم فى ثنايا ابتسامتها الوديعة ، وهى فى ميدان الحرب تحسن حمل السلاح وتجيد الرمى وتقود الطائرات الحربية ، وهى فى البحر كالبحارة سواء بسواء

وفى انجلترا اليوم جيش من النساء يربو على العشرين الف فتاة وامرأة ، فى سن السادسة عشرة فما فوق ، يتألف من فرق احتياطية مدربة خير تدريب على أعمال الجندية والطيران والبحرية . هذا غير اللواتى امتهن مختلف الاعمال الشاقة والدقيقة والفنية . كذلك الحال فى فرنسا . أما فنلندا فجيشها المسمى « لوتاس » – وقد تحدثنا عنه فى عدد سابق – يحارب بين صفوف الجنود فى رد عادية المغير ، كذلك فى روسيا ، فبين جيشها العامل فرق من النساء تقاتل بين صفوف الجند وتقود الطائرات الحربية . وفى مصر تطوعت الآلاف من الفتيات فى أعمال التمريض والاسعاف والانقاذ

وهكذا فى كل مكان ، تهيأت المرأة اليوم للغد ، فخرجت من دائرة الاسرة الى الميدان ، ناشرة راية الجهاد ، صابرة عاملة مجاهدة ، وقد أعدت نفسها للتضحية الكريمة فداء الاوطان



بحارة من النساء

حتى البحرية وما يكتنفها من أهوال ، أقبلت المرأة على الانخراط فى سلكها . وانك لترى هنا فريقاً من النساء يقوم بتدريبهن ضابط بحرى فى فناء الكلية البحرية بانجلترا تمهيداً لالحاقهن بسلك البحارة

سائقات ماهرات

هؤلاء من أول فوج من النساء البارعات في قيادة سيارات النقل الكبيرة ، سافر من لندن الى باريس لخدمة الجيش هناك



طيارات جريئات

وفن الطيران الحربي الذي يتطلب جرأة وشجاعة وأعصاباً قوية ، تهافتت عليه النساء ، وبرع منهن فيه عدد غير قليل في مختلف الدول . وترى بعض الطيارات الانجليزيات ، اثنتان منهن تستريحان ، بينما الأخريات يهيئن الطيارة للطيران





فلاحات !

برغم مشقة الفلاحة وما تحتاجه من صبر وقوة جسمانية ، فقد جالدت المرأة لها ، وعمرت الحقول المهجورة تفلحها وتعمل على إحيائها ، وتستعمل الآلات الزراعية كما ترى فى الصورة

يعددن البقول

كذلك المصانع التى تعد البقول فى علب محكمة ، امتلأت بالفتيات والنساء . وترى بعضهن فى أحد هذه المصانع يحركن الحبوب التى تتدفق من الآلة الخاصة بنزع قشورها ، تمهيداً لوضعها فى علب خاصة ، ثم إحكام غلقها لارسالها الى الجنود . أما القشور التى تنزع من هذه الحبوب وأوراقها فتستعمل كسباخ فى زراعة هذه الحبوب



ملابس الجنود من صنع النساء

اضطرت حالة الحرب مصانع الخياطة إلى توسيع أعمالها لسد حاجات الجنود من ملابس ، فاستخدمت آلافاً من الفتيات اللواتي يواصلن العمل بهمة لا تفتر لانجاز الطلبات بسرعة . وهؤلاء فريق من فتيات أحد مصانع الخياطة بلندن أثناء انهماكهن في العمل ، وقد تراكمت الى جوانبهن الأردية التي تم صنعها



مهندسات حاذقات

أقبل عدد غير قليل من الفتيات في لندن على الصناعات الميكانيكية الفنية التي تتطلب حذقاً ودربة ، للتمرين عليها عملياً حتى يجدنها فيحللن محل المهندسين الذين ذهبوا الى الميدان . وهذه احدى الفتيات تجري اختباراً على آلة دقيقة

مصرع ابن المقفع

بقلم الأستاذ طاهر الطناحي

ليس للملك أن يغضب لان القدرة من وراء حاجته ، وليس له أن يكذب لانه لا يقدر احد على استكراهه على ما لا يريد ، وليس له ان يكون حقودا لان خطره قد عظم عن مجازاة كل الناس (ابن المقفع)

ـ كأنك تحسب أنى لا أعرف موضع أكتب الخلق ، وهو ابن المقفع !..

قال ذلك ابو جعفر المنصور لوزيره وكاتبه أبى أيوب سليمان بن أبى سليمان وهو يؤنبه على كيده لخالد بن برمك ، وسعايته به عنده ، وقد ظهرت براءته مما نسبه اليه ، فقال ابو أيوب :

ـ الامان يا أمير المؤمنين . انى لاعلم ذلك ، وأعلم انه بك أولى من عمك عيسى بن على

فقال ابو جعفر :

ـ ففيم السعاية اذن بخالد بن برمك ، وقد صرفته عن الديوان ، وقلدتك اياه ، وأبعدته الى فارس حتى لا تتخوفه على محلك ، وجزيتك على سابق صنيعك أحسن الجزاء ، فقربتك منى ، ورفعتك فوق سائر الكتاب ، وأغضيت عن أكتب الخلق ، وتركته لاعمامى يستعينون بأدبه ، ويعتزون بفضله ، ويفاخرون بشهرته بين الناس

وكان أبو أيوب فى أيام مروان بن محمد كاتبا لسليمان بن حبيب والى « الاهواز » وقد وضع سليمان الارصاد على كل من يمر من عمال عبد الله بن معاوية الطالبى والى أصبهان . وكان أبو جعفر المنصور قد وفد على عبد الله بن معاوية فى ذلك الحين ، فأقامه على « كورة أيذج » فجبى أبو جعفر المال وحمله الى البصرة ، ولم يحمل الى ابن معاوية شيئا ، فلما وصل فى طريقه الى الاهواز لقيه رجال سليمان فقبضوا عليه ، وأخذوه اليه ، وكان أبو أيوب حاضرا ، فقال له سليمان بن حبيب :

ـ هات المال الذى اختنته لنفسك ...

فأجاب ابو جعفر :

ـ لا مال عندى !..

فدعا له سليمان بالسياط ، فقال أبو أيوب :

ـ أيها الامير توقف عن ضربه ، فان الخلافة ان بقيت فى بنى أمية فلن يسوغ للضرب

رجل من بني عبد مناف ، وان صار الملك الى بني هاشم لم تكن لك بلاد الاسلام بلادا

فلم يسمع له سليمان ، وضرب أبا جعفر اثنين واربعين سوطا حتى كاد يفيض ، فقام أبو أيوب وألقى نفسه عليه ، ولم يزل يسأل سليمان ويستعطفه حتى أمسك عن ضربه ، وأمر بسجنه ، فتحركت المضرية لضرب أبي جعفر وسجنه ، وتجمعوا وساروا الى السجن فكسروه ، وأطلقوه ، فخرج الى البصرة

ورعى أبو جعفر هذا الصنيع لابي ايوب ، فلما تولى الخلافة اتخذه في ديوانه وقربه اليه ، وخصه بتكريمه ، وصرف من أجله خالد بن برمك وزيره ، وقلده أعمال فارس ، ولم يزل أمر أبي أيوب يعلو ، ونجمه يسطع حتى تقلد الوزارة ، ودانت له السيطرة على جميع الدواوين والاعمال ، وأصبح من نفس أبي جعفر بمكان لا يدانيه فيه أحد من رجال الدولة ، حتى قالت العامة انه كان يسحر له ، ويتخذ دهنا يمسحه على وجهه اذا أراد الدخول عليه ، وضرب المثل بدهن أبي أيوب

وبلغ من مكانة أبي أيوب عند أبي جعفر المنصور ان أم سليمان الطلحية احدى زوجاته اتخذت له مجلسا في الصيف ، وجعلت فيه الرياحين والثلج وسائر الطيب ، فلما صار اليه أعجبه ببرده وحسنه ، ثم قال لها :

ـ ما انتفع بما أنا فيه ...

فقالت أم سليمان :

ـ ولم يا أمير المؤمنين ؟

فقال : « لانه ليس معي أبو أيوب ، فيحدثني ويؤنسني » فقالت : « يا أمير المؤمنين انما هيأته لسرورك ، فتبعث اليه »

فبعث أبو جعفر الى أبي أيوب ، فحضر ، فقال له :

ـ يا أبا أيوب كما رأيت طيب هذا الموضع ولذته ، لم أنتفع به حتى تكون معي فيه

***

كانت هذه مكانة أبي أيوب سليمان عند المنصور ، لذلك حرص على حفظها ، وتخوف غيره عليها ، وكان يعلم مكانة خالد بن برمك عنده ، وثقته به ، ومكانة أدب ابن المقفع من رأيه وتقديره ، فسعى ضد خالد حتى أخرجه من ديوان الخلافة ، وسعى ضد ابن المقفع حتى تهيأ له ما أراد

وكان دائم الخوف من أن يعيد المنصور خالد بن برمك الى الديوان ، فدأب على السعاية به وهو بفارس حتى نكبه ابو جعفر والزمه بدفع ثلثمائة ألف درهم ، ولم يكن لديه الا مائة ألف درهم ، ثم ظهرت فيما بعد براءته وكذب أبي أيوب ، فصفح عنه ، وهدد أبا أيوب بعزله قائلا :

ـ كأنك تحسب اني لا أعرف موضع أكتب الخلق ، وهو ابن المقفع !..

ساء أبا أيوب أن يظفر ابن المقفع بهذا التقدير ، وأخذ يدس له كما دس لخالد ، وكان

ابن المقفع يكتب وقتئذ لعيسى بن علي والي « كرمان »وعم المنصور فجاء يوما الى عيسى ، وقال له :

ـ دخل الاسلام قلبي ، وأريد أن أسلم على يديك

فقال عيسى :

ـ ليكن ذلك بمحضر من القواد ووجوه الناس

ثم حضر طعامه عشية ذلك اليوم ، فجلس ابن المقفع يأكل ويزمزم على عادة المجوس فقال له عيسى :

ـ أتزمزم وأنت على عزم الاسلام ؟

فقال ابن المقفع :

ـ اني لاكره أن أبيت على غير دين

وأسلم ابن المقفع ، وسمي نفسه «عبد الله» ، ثم انتقل مع عيسى بن علي بعد عزلهالى البصرة ، وكان واليها يومئذ أخاه سليمان بن علي ، فجعل يكتب لهما ، ويؤدب ابني أخيهما اسماعيل بن علي ، ويبعث بكتبهما الى أخيهما الرابع عبد الله بن علي ، وكان خارجا على أبي جعفر المنصور في الجزيرة والشام مطالبا بالخلافة لنفسه ، وقد بعث مرة الى ابن المقفع يستشيره ، فأجابه :

ـ لستأقود جيشا ، ولا أتقلد حربا ، ولا أشير بسفك دم ، وعثرة الحرب لاّ تقال؛ وغيريأولى بالمشورة في هذا المكان

وكان أبو جعفر بمكة حين مات أخوه أبو العباس ، فأخذ البيعة له بالعراق عيسى بن موسى واليالكوفة ، وكتب اليه والى عمال الدولة بذلك ، وفيهم عبد الله بن علي ، فرفض عبدالله مبايعته ، وبايع لنفسه بالخلافة ، واعتصم بالجزيرة والشام ، فخاف أبو جعفر ؛ وجزع جزعا شديدا ، فقال له أبو مسلم الخراساني :

ـ ما هذا الجزع وقد أتتك الخلافة ؟!..

فقال أبو جعفر :

ـ اني لاتخوف شر عبد الله بنعلي ، وشيعة علي بن أبي طالب

فقالأبو مسلم :

ـ لا تخفه ، فأنا أكفيك أمره ان شاء الله ، ان عامة جنده ومن معه من أهل خراسان وهم لا يعصونني ...

وخرج في جيش لقتال عبد الله بن علي وقد جمع اليه الجند والسلاح ، فلما علم عبدالله بخروج بطل الدولة العباسية اليه ، قبض على من معه من أهل خراسان وأمر بقتلهم ، فذبحواحتى لا ينضموا الى أبي مسلم الخراساني ، ثم خرج بجنده الى « نصيبين » وخندق بها ، وأقبل أبو مسلم ، فالتحم الجيشان ، وكان جيش عبد الله أكثر عددا ؛ فبقي القتال بينهما بضعة أشهر ، حتى ظفر أبو مسلم ، وفر عبد الله الى اخوته بالبصرة

علم المنصور بفرار عبد الله بن على الى البصرة ، واستنجاده باخوته ، فأرسل الى واليها سليمان بن على ليبعث اليه بأخيه ، فامتنع وأرسل هو وشقيقه عيسى بن على الى المنصور يطلبان له الامان ، فأعطى له الامان لكنه طلب شخوصه اليه ، فامتنع سليمان بن على واخوته ، فأمر أبو جعفر بعزله ، وأرسل سفيان بن معاوية المهلبى واليا على البصرة ، وهو من صنائع « أبى أيوب سليمان بن أبى سليمان » ، وألح عليه فى ارسال عبدالله، فخاطبهم فى ذلك ، فأبوا الا أن يوافق أمير المؤمنين على كتاب أمان له يكتبونه ، فرضى المنصور ، وكلف عيسى بن على كاتبه ابن المقفع أن يكتب كتابا شديد الحيطة ، بعيدا عن التأويل ، فكتب هذا الكتاب ، وفيه يقول :

« وان أنا نلت عبد الله بن على ، أو أحدا ممن أقدمهم معه بصغير من المكروه أو كبير، أوأوصلت الى أحد منهم ضررا ، سرا أو علانية ، على الوجوه والاسباب كلها تصريحا أو كناية ، أو بحيلة من الحيل ، فأنا نفيى من محمد بن على بن عبد الله ومولودلغيررشدة، وقدحل لجميع أمة محمد خلعى وحربى والبراءة منى ، ولا بيعة لى فى رقاب المسلمين ، ولا عهد ولا ذمة ، وقد وجب عليهم الخروج من طاعتى ، واعانة من ناوأنى من جميع الخلق ، ولا موالاة بينى وبين أحد من المسلمين ، وهو متبرىء من الحول والقوة ، ومدع ـ ان كان ـ انه كافر بجميع الاديان »

فلما قرأ أبو جعفر ذلك قال :

ـ اذا وقعت عينى على عبد الله بن على ، فهذا الامان له صحيح، لانى لا آمن أن أعطيه اياه قبل رؤيتى له ، فيسير فى البلاد ، ويسعى على بالفساد

ثم التفت فى غضب وغيظ وقال :

ـ ومن كتب له هذا الامان ؟..

فأجاب أبو أيوب :

ـ كتبه يا مولاى « أكتب الخلق » !..

فهز المنصور رأسه ، وقد أخذ الغضب من نفسه ، وقال :

ـ فما أحد يكفينيه ؟!..

وكان أبو أيوب يتهم ابن المقفع عند المنصور بأنه هو الذى يساعد عبد الله برأيه ويعاونه بكتبه ، ويحضه على مخالفته وحربه ، فلما سمع هذا القول منه وجد الفرصة للايقاع به وأعلم صنيعته سفيان بن معاوية والى البصرة ، وكان سفيان يحقد أيضا على ابن المقفع منذ سفر بينه وبين المسيح بن الحوارى والى نيسابور أيام بنى أمية ، فقد احتال ابن المقفع على سفيان وماطله حتى استعد المسيح وقاتله وكسر ترقوته وهزمه ، فعاد سفيان دون أن يخلف المسيح فى الولاية كما أراد

فلما وصله ما قاله أبو جعفر ، وكان يعلم ما يضمره أبو أيوب لابن المقفع من الحسد والخوف ، أخذ يتعقبه ، ويتحرش به، ويفترى عليه، حتى ضاق به ابن المقفع واستصغره

فكبر ذلك على سفيان ، وأضمر له شرا

***

وكان عيسى بن على ينيب ابن المقفع فى شؤونه ، ويكل اليه عظائم اموره ، ويرسله الى سفيان بن معاوية فى حاجاته ، فلما ساء ما بينهما امتنع عن السفارة اليه ، وأعرض عن الاتصال به . ثم كان لعيسى بن على ما اضطره الى رجاء ابن المقفع أن يذهب الى سفيان فى بعض شأنه ، فاعتذر ابن المقفع وألح عليه عيسى لانه لا يرى غيره أولى منه فى قضاء مهمته ، فقال له :

ـ وجه معى ابراهيم بن جبلة الكندى ، فانى لا آمن سفيان ...

فقال عيسى :

ـ كلا ، انطلق اليه ولا تخف ، فو الله لا يعرض لك وهو يعلم مكانك منى ..

فقال ابن المقفع :

ـ لا ، لا بد من ابراهيم ، فان صاحب الشر لا يسلم من شره أحد ، وان هو ضعف عن ذلك جاء الشر بسببه ، وان أهل الترات لا بد لبعضهم من اتقاء بعض

وذهب ابراهيم بن جبلة مع عبد الله بن المقفع ، فجلسا على باب الديوان ، وجاء عمر ابن جميل ، ابن عم ابراهيم فجلس اليهما . وانهم لكذلك اذا بغلام لسفيان يخرج ، وينظر اليهم ، ثم يرجع . وبعد هنيهة عاد الغلام ، فقال لعمر :

ـ يقول لك الامير ادخل الديوان ، فاجلس فيه ، فاذا انتصف النهار فمر بى ..

فقام عمر بن جميل ، فدخل الديوان ، ودخل الغلام ، ثم عاد ، فقال لابراهيم :

ـ يقول لك الامير ادخل اليه ...

فنهض ابراهيم بن جبلة ودخل الى سفيان . وبعد هنيهة عاد الغلام ، فقال لابن المقفع :

ـ يقول لك الامير ادخل ...

فقام ابن المقفع ، وبينما هو يسير داخل الديوان عدل به الى مقصورة أخرى بها عتاب المحمدى ، وشيرويه الملاديسى ، فأخذاه ، وأوثقاه بالقيود والاغلال

ولما دخل ابراهيم بن جبلة على سفيان ، قال له : « ايذن لابن المقفع »

فقال سفيان لغلامه : « ايذن له »

فخرج الغلام متظاهرا بالذهاب اليه ، ثم رجع يقول :

ـ لقد انصرف ابن المقفع ...

فقال سفيان لابراهيم :

ـ أنظر .. هو أعظم كبرا من أن يقيم وقد أذنت لك قبله ، وما أشك أنه قد غضب

ثم نهض سفيان ، وقال لابراهيم لا تبرح ، ودخل الى حيث اقتيد ابن المقفع فلما رآه قال له :

ـ وقعت والله !..

فأجاب ابن المقفع :
ـ أنشدك الله ..!
فقال سفيان :
ـ أمى مغتلمة ، كما ذكرت ، ان لم أقتلك قتلة لم يقتل بها أحد قبلك
فأجاب ابن المقفع :
ـ انك لتقتلنى ، فتقتل بقتلى ألف نفس ، ولو قتل ألف مثلك ما وفوا بواحد
ثم قال :

اذا ما مات مثلى مات شخص يمـوت بموته خـلق كثير
وأنت تموت وحدك ليس يدرى بمـوتك لا الصغير ولا الـكبير

فقال سفيان :
ـ والله يا بن الزنديقة لاحرقنك بنار الدنيا قبل نار الآخرة ..!
وأمر بتنور فسجر ، ثم أمر بقطع يمينه ، فقطعت وألقيت فى النار ، فقال ابن المقفع:
ـ ان أمر الآخرة والدنيا بيد الله ، هو يدبرهما ويقضى منهما ما يشاء
فقال سفيان :
ـ اسكت يا زنديق ...
وأمر بقطع يده اليسرى ، وألقيت فى النار ، فقال ابن المقفع :
ـ لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه
فقال سفيان :
ـ اسكت يا زنديق ، والله لتموتن شر ميتة
فقال ابن المقفع :
ـ ان الله خلق الخلق بقدرته ، وكتب عليهم الموت بعد الحياة
فقال سفيان :
ـ اسكت يا زنديق ، والله لتقطعن اربا اربا ، ولتجعلن رمادا تذروه الرياح
وجعل سفيان يأمر بقطع أجزائه ويلقيها فى النار الى أن احرقه ، ولم يترك له أثرا

***

لقى ابن المقفع مصرعه على يد هذا المتوحش الجاهل ، ثم دخل سفيان الى ابراهيم بن جبلة ، فحدثه ساعة ، ثم أذن له فى الخروج ، فلقى بالباب غلام ابن المقفع ، فقال له : « ما فعل مولاى » فقال ابراهيم : « ما رأيته »
فقال الغلام : « بلى ، فقد دخل بعدك » فقال ابراهيم : « ما رأيته » !
وأراد الرجوع الى سفيان ، فحجب ، فانصرف الى عيسى بن على ومعه غلام ابن المقفع يبكى ويصيح :
« قتل سفيان مولاى ... »

فقال عيسى : « ما هذا ؟ » فأخبره ابراهيم ما جرى ، فقال له :

ـ ارجع الى سفيان، فقل له خل عن ابن المقفع ان لم تكن قتلته ، فان كنت قتلته ، فوالله لاطلبنك بدمه ، ولا أدع في ذلك جهدا

فسار ابراهيم الى سفيان ، وأبلغه ما قاله عيسى ، فأجاب :

ـ ما رأيت ابن المقفع ..!

وصرفه ، ودعا بعمر بن جميل من الديوان ، وقال له :

ـ ألا تعجب من ابن عمك يأتيني برسالة عيسى ، يدعى اني قتلت ابن المقفع !..

فقال عمر :

ـ لا ذنب له فيما قال ، فانما أرسل برسالة فأداها

فقال :

ـ صدقت ، وما الرأي عندك ؟؟..

فأجاب عمر :

ـ ليس لكذوب رأي . ولا أدري ما أشير به عليك الا أن تصدقني ان كنت تقدر على ابن المقفع فلي رأي ، وان كنت لا تقدر عليه ، فلي رأي آخر

فقال سفيان :

ـ انه لا يرى أبدا ...

فقال عمر بن جميل :

ـ ان عيسى بن علي لا يقدر لك ها هنا على مضرة لأنك الوالي ، لكنه سيكلم أمير المؤمنين بالكوفة ، وليس أحد أخوف عليك من أبي أيوب سليمان ، فانه ان عاونه ضرك ، وان كف عنك رجوت ألا ينال عيسى منك ما يريد

وأمر عيسى بن علي قوما ، فنادوا في الطرق : « سفيان بن معاوية قتل عبد الله بن المقفع» وصار بنو علي الى المنصور يطالبون سفيان بدم ابن المقفع وأخبره عيسى ما وقع ، فاشتد على المنصور قتل « أكتب الخلق » ، وأرسل مولاه أبا الخصيب الى سفيان بن معاوية بكتاب يقول له فيه :

ـ يا ابن أبي سفيان قد وجهت اليك بأبي الخصيب بن روقاء ، فان كان ابن المقفع حيا، فادفعه اليه ، وأنت على عملك ، وان لم تدفعه اليه ، فقد أمرته بعزلك وبحملك

فقال سفيان لأبي الخصيب :

ـ ما أقدر عليه ...

فقيده أبو الخصيب كما أمر الخليفة ، وخرج مع سفيان رجال من أهله ، فأشار عليهم رجل أن يقابلوا أبا أيوب ، فيكلموه كلاما حسنا يرهبه ولا يسرفوا عليه ، فيحفظوه ، ولا يضعفوا في مخاطبته ، فيطمعوه ، ففعلوا

وجاء أبو أيوب الى سفيان في سجنه فلما رآه قال له :

ـ يا أبا أيوب أنا أعلم انى ان سلمت فبك اسلم ، وان عطبت فوالله انى وأهل بيتى نعلم انى بك عطبت ، وبرأيك قتلت ..

فارتاع أبو أيوب ، وقال :

ـ أنا ...

فأجاب سفيان :

ـ نعم ، لانك تقدر على أن تدفع عنى ..

فقال له أبو أيوب :

ـ لست ادع القيام بأمرك ...!

وذهب الى ابى جعفر المنصور ، فدخل عليه ، وقال :

ـ وماذا فعل سفيان بن معاوية يا أمير المؤمنين ، وقد كفاك شر من أبغضته ، ودفع عنك صنيعة بنى عمك

فقال أبو جعفر :

ـ لقد قتل « أكتب الخلق » وأحب الادباء الى ...

فأجاب ابو أيوب :

ـ أونسيت يا أمير المؤمنين ما كتبه ابن المقفع لعبد الله بن على فى طلب امانك ، وما اجترأ به على مقامك ، وما دسه لخلعك والبراءة منك ، وخروج الامة عليك

فقال ابو جعفر :

ـ لكن أدبه يشفع له ، وعلمه يجبر خطأه ، وسيرته فى الناس تستوجب له المغفرة ، وانى لاحله من تقديرى أعظم محل ، ومن اعجابى أكبر موضع

فقال أبو أيوب :

ـ ان الخيرة لك يا مولاى فيما وقع ، والسياسة لا تعرف شفيعا من الادب ولا تقديرا للعلم ولا حرمة لحسن السيرة وكريم الاخلاق

فامسك المنصور عن عقاب سفيان ، ثم أطلقه ، وأعاده الى عمله . وذهبت نفس ابن المقفع حوالى (١) سنة ١٤٢ هـ ضحية الحسد والحقد والسياسة وضغائن الامراء

طاهر الطناحى

---

(١) اختلف الرواة فى سنة قتل ابن المقفع والارجح انه قتل حول هذه السنة لا فى سنة ١٤٥ هـ لان سليمان بن على طالب مع اخوته بدم ابن المقفع ، وقد مات سليمان سنة ١٤٣ على ما ذكره الطبرى . اما ولادة ابن المقفع فالارجح ما ذكره الاستاذ كرد على من انه ولد فى عشر التسعين الهجرية أى حول سنة ٨١ أو ٨٢ أو ٨٥ لانه كان كاتبا لعمر بن هبيرة على «كرمان» فى أيام هشام بن عبد الملك ، وقد عزل ابن هبيرة سنة ١٠٥ ولا يعقل انه تولى هذه الوظيفة وسنه أقل من العشرين أو الخامسة والعشرين ، فتكون سنه حين مقتله فى نحو الستين

الرحلات القطبية - ما فائدتها ؟

للمكتشف القطبي سير هيبرت ويلكنز

أعدت الآن خمس حملات جديدة موجهة الى قطبي الارض لاجتياز ما حولهما من الاقطار ودراسة ما هناك من ظواهر الطبيعة • فما الداعي الى ذلك بعد أن طافت رحلات سكوت وشاكلتون وستيفنسون وبيرد وامندسون هذه الآفاق ودرست ما تنفرد به من الظواهر أليست هذه الرحلات الجديدة أشبه بمن يريد أن يجري وراء القطار الخاطف بينما هو جالس مستقر في احدى عرباته ؟

أي جديد يرجو الاميرال بيرد أن يكشف عنه ؟ ماذا تبغي ألمانيا أو الارجنتين مما تبذلانه من جهود شاقة وأموال طائلة ؟ لماذا تريد روسيا التي تمتد الى أقصى نقطة في شمال الارض أن تكتشف أقصى نقطة في جنوبها؟ لماذا يريد كثير من الرحالة أن يعودوا الى هذه الآفاق الرهيبة ، ولماذا أعددت أنا رحلتي الجديدة الى القطب الجنوبي ؟

هذه هي بعض العوامل التي تدعو الحكومات والهيئات الى اعداد الرحلات القطبية ، وتحمل بعض الرحالة على العودة الى أقاصي الارض كلما أتيحت لهم الاسباب :

في أقصى الجنوب من هذه الارض تمتد كتلة فسيحة من اليابسة قد تبلغ مساحتها خمسة ملايين من الاميال المربعة ، أي أنها تفوق في اتساعها الولايات المتحدة الامريكية وأقطار المكسيك معا • ومع أن هذه اليابسة مكسوة بالجليد أبدا الا ان في باطنها آبارا غنية بالبترول ومناجم مليئة بالفحم ، وكميات كثيرة من المعادن ، التي وان كان العالم في غنى عنها في هذه الآونة ، فمن المرجح أن يفتقر اليها ويتهافت عليها يوما من الايام ، ولا شك في ان هذه الكنوز داع من دواعي التسابق والتنافس بين امريكا والارجنتين وألمانيا وروسيا وبريطانيا واستراليا على اكتشاف هذه البقاع ورفع ألويتها فوق آفاقها

على أن ثمة أمرا أولى بأن يثير اهتمام العالم طرا بالاقطار القطبية ، وأجدى على العالم كله مما يختفي تحت طبقات الجليد والصقيع من معادن وأحجار ، وهذا الامر هو درس أجواء القطبين دراسة دقيقة قد تؤدي الى التغلب على ظواهرها وتوجيهها الوجهة الملائمة لمصلحة الانسان • والواقع أن هذه المصلحة تبرر ما ينفق في هذا السبيل من أموال وجهود وأرواح غالية

فالغاية المباشرة التي تسعى اليها حملة « بيرد » هي تمكين سيادة الولايات المتحدة

الامريكية على الانحاء التى كشفها الرحالة فيما مضى ، وهذا لا يتأتى الا اذا أقام بيرد فى تلك المناطق مراكز معينة يرفرف عليها اللواء الامريكى ، فأرسلته الحكومة الامريكية لينشىء هذه المراكز ويرسم حول المناطق التى كشفها الحدود والحواجز ، ولكن ما ان تقام هذه المراكز حتى يبدأ فيها علماء الرحلة دراسة الظواهر الجوية الحالية ، دراسة سوف تنتفع بها الانسانية كلها مدى طويلا ، وسوف تعوض ما تؤدى اليه هذه الرحلة من خسائر قد تتجاوز الاموال الى ما عداها ، وما تتطلبه من جهود بدنية وعقلية يعانيها جماعة من الابطال والعلماء

وقد كانت هذه الغاية أول ما أثار اهتمامى حينما بدأت رحلاتى الى القطب الشمالى منذ خمسة وعشرين عاما • وقد تاحت لى الظروف أن أتولى قيادة عدد من الرحلات القطبية لم يتح لغيرى من المكتشفين • فأمضيت زهاء عشر سنوات فى آفاق القطب الشمالى ، ثم أمضيت عشر سنوات أخرى مترددا على أرجاء القطب الجنوبى • ولم يكن كل قصدى من هذه الرحلات المضنية المخيفة ما فيها من متعة الرياضة أو من لذة المغامرة • بل كان أهم داع اليها ما اعتقدته من أن النتائج الاولى التى تسفر عنها جهودى وبحوثى سوف تؤدى الى مزايا اقتصادية عظيمة

وربما كانت تجارب حياتى الاولى فى استراليا هى التى وجهتنى الى استغلال جهودى فيما هو أجدى من أية رياضة وأولى من أية مغامرة • فطالما شاهدت وأنا صبى فى مزرعة أبى فى استراليا أخطار القحط تجتاح السهول الناضرة فتجعلها فيافى قاحلة • ولم يكن فى وسع أى انسان أن يتنبأ عن هذه التغيرات الخطيرة التى تطرأ على المناخ فتجعله تارة معين ثروة ورخاء ، وتجعله تارة مبعث جوع وشقاء • ولم يكن لأى انسان أن يفعل شيئا ازاء هذا المناخ المتقلب الغدار عسى أن يتقى الناس ما يؤدى اليه من مجاعات أو شدائد

فلما ذهبت الى المناطق القطبية وأمعنت فى البحث فى ظواهرها الجوية عدة سنين تبينت لى حقيقة خطيرة ، خلاصتها انه اذا استطعنا أن نضيف الى معارفنا الراهنة معرفة كاملة دقيقة بما يجرى فى الاقطار القطبية من تقلبات المناخ واتجاهات الرياح ، فسيكون فى وسع الانسان أن يتنبأ على وجه الدقة والتحديد بما سيطرأ على أحوال المناخ فى سائر أجزاء الكرة الارضية مدى عدة سنوات قادمة

وما أجل الفائدة التى يفيدها حينذاك الزارع ، والصانع ، والبحار ، والطيار ، بل ما أعظم المزية التى تكتسبها عند ذلك الحياة الاقتصادية فى جميع نواحيها• ولهذا أعتقد أن هذه الغاية ستوضع فى مقدمة المسائل الخطيرة التى يتجه اليها العالم وهو فى طريقه الى تحسين مرافقه المنتجة وترقية مستواه المادى

فأساس التنبؤ بمجرى المناخ فى المستقبل يقوم على أساس مراقبة الحالة الجوية الراهنة• وكلما كانت هذه المراقبة دقيقة وشاملة كان التنبؤ صحيحا وطويل المدى • وربما كانت تقارير « مكتب المناخ » فى الولايات المتحدة الامريكية أقرب التقارير الى الحقيقة ، ولكن

تنبؤاتها مقصورة على فترة قصيرة لا تتجاوز أسابيع قليلة وما ذلك الا لأن ملاحظتها مقصورة على مناطق معينة لا تدخل في دائرتها الاقطار القطبية النائية . هذا بينما لا يعرف المناخ هذه الحدود التى اتخذها الانسان فاصلا بين الاقطار ، بل ولا تلك التى وضعتها الطبيعة فاصلا بين القارات ، بل انه يتجاوز نطاق الكوكب الارضى كله ويتأثر بحالة الاجواء المحيطة ببعض الكواكب الاخرى

وقد كنا نظن فيما مضى أن قانون المناخ يبدأ من المنطقة الجليدية المحيطة بالقطب الشمالى . ولكن الملاحظة والتجربة أثبتتا أن تأثير هذه المنطقة لا يتعدى نصف ما يطرأ على المناخ من تغير واتجاه . أما أكثر هذا التأثير فينشأ من المنطقة الجليدية المقابلة أى التى تحيط بالقطب الجنوبى والواقع أن تأثير كل من القطبين فى المناخ يكمل تأثير القطب الثاني . فهما معا أشبه بالنور والظلام أو على الاصح مثل الذكر والانثى . فلا بد من اجتماع الاثنين معا ليتم منهما شيء كامل أو كمية معينة

وقد سئلت كثيرا عما اذا كنت أحسب أن فى امكان الانسان أن يسيطر ويوجه المناخ كيف يشاء ، بينما هو ينشأ من هذه الامواج العنيفة التى تضطرب بها طبقات الهواء الكثيفة التى تحيط بغلاف الارض كلها . ولكنى أقول ان هذه السيطرة وهذا التوجيه قد يكونان خطوة تالية يجب أن تسبقها خطوة أولى . وهى أن ندرس دراسة وافية أسرار هذا المناخ وأسباب اتجاهاته وتقلباته لنستطيع أن نتنبأ بها على صورة دقيقة وقبل حدوثها بفترة طويلة . وهذا لا يتأتى الا اذا جمعنا المعلومات اللازمة عن الحالة الجوية يوما فيوما ، وعلى مدى طويل لا يقل عن دورتين أو ثلاث دورات شمسية . وكذلك تبينا كل ما يتعلق بحركات الموجات الهوائية وهى تضطرب من مكان الى مكان ، ولا سيما فى اتجاهها من القطبين الى خط الاستواء منحرفة صوب الشرق شيئا ما . وهذا يقتضى دراسة طويلة ومثابرة على مراقبة الاحوال فى شتى فترات الليل والنهار ، وفى مراكز متعددة متباعدة بعضها عن بعض . ولهذا اقترحت فى سنة ١٩٢٠ أن ينشأ فى القطب الشمالى ٣٢ مركزا جديدا لهذه الدراسة وفى القطب الجنوبى ١٢ مركزا . وقد أجيب شطر من اقتراحى فقام فى المنطقة الشمالية ٣١ مركزا ، وأغفل شطر آخر فلم ينشأ حتى الآن أى مركز فى القطب الجنوبى

ولم يعد اذن من شك فى أن كثيرا من مرافق الزراعة والانتاج ، ونواحى الصناعة والتجارة ، وطرق النقل الجوى والبحرى فى جميع أرجاء العالم ، تحثنا وتكرهنا على أن نقبض بأيدينا على مفتاح « الكرة الارضية » ، أى على القطبين الشمالى والجنوبى ، بما ينقصنا من أسباب دراسة أجوائهما وكشف ظواهرهما ، فيما نقيم فيهما من مراكز الدراسة وما نرسله اليهما من رحلات الاستكشاف ، وهذا لا يتأتى عن طريق التنافس بين الدول والهيئات ، بل عن طريق التعاون والتآزر بينها جميعا

(خلاصة مقال للمكتشف القطبى سير هيبرت ويلكنز فى صحيفة ذى سبير الامريكية)

فى الفن المسرحى

هل عرفت مصر الفرعونية فن التمثيل ؟

بقلم الاستاذ زكى طليمات

مفتش شئون التمثيل بوزارة المعارف

منذ نصف قرن ونيف ، وفن التمثيل باللسان العربى يشغل جانبا من نشاطنا الادبى ، ففى مصر أقلام مصرية تعمل له من حيث ترجمة المسرحيات الغربية أو اقتباسها ، ومن حيث وضع المسرحية العربية والمصرية المحلية . وفى مصر جماعات تحترف التمثيل وتزاول مختلف فنون المسرح وصناعاته ، وقصارى القول فان فى مصر حركة مسرحية يقظة ، لعل من ابين مظاهرها قيام (الفرقة القومية) بمال الحكومة ورعايتها . الا أن المطلع على نواحى هذه الحركة ، وما تتنفس عنه من متناقضات ، أبينها انصراف السواد الاعظم من الجمهور عن غشيان دور التمثيل ، فى نفس الوقت الذى تعنى فيه وزارة التعليم جادة بنشر فن التمثيل وباتخاذه وسيلة لاذاعة محاسن اللغة العربية ليقف متسائلا : هل كان التمثيل فى مصر الحديثة ظاهرة مفتعلة ، هى وليدة الامس القريب ، أم انه كان مما شغل الذهنية المصرية فى عهد الفراعنة ، ثم اندثرت معارف هذا الفن وتقاليده فيما اندثر من نواحى الثقافة الفرعونية ، ذلك ما سنبينه فى هذا المقال

فكرة وجود مسرح فرعونى

ان احتمال قيام مسرح فى مصر الفرعونية أمر طالما شغل علماء الآثار منذ أواخر القرن الماضى ، وفكرة راودت أبحاث المؤرخين فاستبدت بتفكير البعض ، أو عبرت بذهن البعض الآخر ، مخلفة وراءها فى الحالتين تطلعا لا يتطامن وشكا لا يهدأ

وهذا الاحتمال مبعثه اقباس من أضواء قد تناثرت تومض بين الاسانيد القديمة المدونة باللغة الهيروغليفية على أوراق البردى ، وبين الرسوم المحفورة على أعمدة الهياكل وجدران المدافن ، وهذه الاقباس فى تناثرها هنا وهناك شعاع همل للباحث العابر ، وهى موضع تفكير ومبعث ايحاء للباحث المحقق من طلاب الحقائق

فمن أوراق البردى استخرج علماء الآثار تتفا من مناجاة ، ونصوصا لحوار ذى صبغة دينية يجرى بين أرباب الديانة الفرعونية

وفى الرسوم المحفورة على الاعمدة والجدران راع العلماء أوضاع جسمانية معبرة تسجل بعض الطقوس الجنائزية والشعائر الدينية

واذا كان ذلك الحوار يغلفه شىء من الابهام شحبت معه ، بعض الشىء، العواطف الانسانيه المجردة والخلجات النفسية الصريحة ، فان هذه الرسوم صريحة المعنى من حيث التعبير عن خفقات القلب وخلجات الروح

والحوار والحركة المعبرة من جوهر فن التمثيل

والحوار والتعبير بالحركة والاشارة فى مزاولة بعض الطقوس الدينيـة ، من مقومات المسرحية الدينية عامة Le drame liturgique, Le mystère ومن ثم انبعث احتمال قوى بأن طقوس الديانة الفرعونية وتقاليدها كانت تتضمن المسرحية الدينية

وقد دعم هذا الاحتمال ، ما أورده (هيرودتس) و (بلوتارك) (١) فيما كتباه مؤرخين عن مصر الفرعونية ، من أوصاف مسهبة عن حفلات خاصة ببعض المناسك الدينية الموقوفة على عبادة الاله (أوزيريس) ، كان يشترك فيها المتكلم الفرد والحوار مع الحركة والاشارة (٢)

ومن هذه الاوصاف ما هو خاص بطقوس عبادة هذا الاله وهى طقوس كانت تجرى فى شبه عرض تمثيلى بمعبد (أبيدوس) (٣)

وتتلخص فيما يأتى :

« يسير موكب عظيم يشيد بذكر انتصارات أوزيريس ، فكان يتقدم الموكب جماعة من الكهنة يحملون البيارق الحربية ، ويأتى بعد ذلك نفر منهم يحملون ناووسا يحوى تمثالا لاوزيرس ، واذ ذاك يعترض الموكب جمهور ، يمثل أعداء هذا الاله العظيم ، يحاول وقف مسير موكب الاله الظافر ، فتدور معركة بينهم وبين الفرق التى تتقدم الموكب تنتهى بهزيمة المعتدين ، ويستأنف الموكب بعد ذلك مسيره الباهر الى محراب المعبد . وهناك ، وبعد أن تغلق أبواب المعبد على الكهنة ، يجرى تمثيل مأساة أوزيريس وكيف

---

(١) هيرودتس وبلوتارك مؤرخان يونانيان زارا مصر فى سالف الزمان ، وكتبا عن تاريخها الشىء الكثير . الاول عاش فى القرن الخامس قبل الميلاد ، والثانى عاش فى القرن الاول بعد الميلاد

(٢) وردت فى كتاب (هيرودتس وديانة المصريين ـ مطبوع بباريس سنة ١٩٠٥) أوصاف مسهبة عن طقوس عبادة الاله أوزوريس . ومن بينها وصف للمعركة المقدسة التى كانت تجرى فى (بابريمس) ، وهى مدينة يظن انها كانت قائمة فى شرق الدلتا . وهذه المعركة لا تخرج عن كونها عرض واقعى كان يجرى فى فناء المعبد المصرى ، فيما بين المدخل والهيكل ، وكان يشترك فيه الكهنة والمتعبدون

(٣) هو معبد العرابة المدفونة ويقع بجوار البلينة بجرجا

اغتاله فى قصره أخوه سيث ، ورمى به الى النهر

بل ان هيرودتس ليذهب الى أبعد من ذلك ، اذ يقرر أن المسرح الاغريقى (١) فى مرحلته الدينية الاولى استمد مقومات كيانه من ذلك المسرح الدينى الفرعونى ، بدليل ان بعض الطقوس التى كان يزاولها الكهنة المصريون ، ويشاركهم فيها جمهور المتعبدين احياء لشعائر عبادة (أوزيريس) (٢) لا تختلف فى صميمها وفى بعض مظاهرها عن شعائر عبادة الاله (ديونيسيوس) ، اله الخمر والكرم ، وان هذين الالهين يتفقان فيما يرمزان اليه ، وهو حيوية الطبيعة ونضارة المرج

ويؤيد هيرودتس وجهة نظره هذه بأن الاغريق هم تلامذة الفراعنة ، لم يأخذوا عنهم الاتجاهات الاولى فى فنون النحت والنقش والتصوير فحسب ، بل أخذوا عنهم شيئا من عطر عقيدتهم الدينية ، وذلك باعتبار أن عقيدة خلود الروح وانتقالها من العالم الدنيوى الى مقرها الابدى وجدت أروع تعابيرها وأكمل عناصرها فى الديانة الفرعونية التى سبقت الديانة الاغريقية بقرون عدة

آراء بعض المؤرخين

الا أن هذا الاحتمال ، احتمال قيام مسرح دينى فى مصر الفرعونية ، لم يقبله عدد كبير من المؤرخين وعلماء الآثار • فناهض بعضهم الفكرة من أساسها ، ورماها بأنها ضرب من التخمين ولون من اللغو التاريخى ، وحجة هذا العدد من المؤرخين أن التنقيب فى حفائر مصر الفرعونية لم يكشف عن بقايا دار واحدة للتمثيل ، بل ولم يبرز الى النور أصلا مكتوبا لمسرحية فرعونية أيا كان نوعها

وهذه حجة لها وزنها من حيث المذهب التجريدى فى تقرير الحقائق •أما بعضهم الآخر فلم ير فى هذا الاحتمال أكثر من تلميحات مضطربة ناقصة لمسرح لم يتجاوز مرحلته البدائية ، وهى المرحلة المقصورة على المسخ والتقليد ، هذا بعد أن دفعوا آراء (هيرودتس) بأنها أقوال لا تماثل تمام المماثلة ما تنص عليه أوراق البردى خاصا بشعائر الديانةالفرعونية

وفوق هذا وذاك فقد زاد فى مناهضة هذا الاحتمال ما دأب عليه مؤرخو الاغريق من تقريرهم أن فن التمثيل ، سواء أكان دينيا أم دنيويا ، قد ولد ودرج وازدهر فى بلادهم ، وهذا تقرير أخذ به بعد ذلك ، جميع مؤرخى الادب المسرحى العام

الا أن هذا لا يمكن أن نبرئه من نزعة التحيز والقسوط ، وذلك لان الانسانية بمشاعرها وأخيلتها واحدة فى جميع شعوب الارض ، وان الاغريق وقدماء المصريين سواء أمام ناموس البشرية الذى لم يتغير ولن يتغير ، وهو ناموس فرض استواء أهل

(١) الاغريق هم قدماء اليونان

(٢) اوزوريس هو اله البعث عند قدماء المصريين ، وهو زوج (ايزيس) الهة المرج والحنطة

الارض قاطبة فى ألوان واحدة من الغرائز والطباع • ومن هذه الغرائز والطباع : غريزة التقليد والمحاكاة ، وطبع الافصاح والتعبير ، ومنها غريزة التخيل الذى ينسرح بايحاء من الذهن ، ويبلغ أوجه وكامل خصبه اذ يتمخض عن رؤى ، واذ يقيم من الوهم دنى يذكيها الحس وما هو رابض مقنع وراء الحس ، ويقوم كيانها المعنوى الذهن المبتكر لتقيم معبرا بين الواقع والوهم ، وبين المعلوم والمجهول ، ابتغاء الترويح عن النفس التى يمضها التشوف الى المجهول والتطلع الى ما وراء المادة

والتقليد والمحاكاة ، والافصاح والتعبير ، والتخيل والوهم ، وقد تألبت جميعا تسخر الحركة والاشارة والكلم فى الاعراب عن خلجات النفس ، انما هى أساس فن التمثيل فى مرحلته الدينية ، ثم فى مرحلته الدنيوية

اكتشافات أثرية ترجح وجود مسرح دينى

عند هذا الحد انتهت فكرة وجود مسرح فى مصر الفرعونية : احتمالات وظنون ، وأقباس من حقيقة تتقارب وتتباعد متأرجحة بين الشك واليقين

وحدث بعد ذلك فى أواخر القرن الماضى ، أن عثر العلامة الاثرى (ايرمان Erman) على نصوص منقوشة على بعض العاديات الفرعونية تنفس عن مسحة تمثيلية ، سماها Le monument de théologie memphite (صرح اللاهوت فى منفيس) • وهى فى مجموعها أناشيد مرسلة ، وضراعات وتوسلات ذات صبغة أسطورية يتخللها حوار بين أرباب الفراعنة

وتعالج هذه النصوص ناحية من النزاع الاسطورى الذى قام بين الاله (هورس) بن الاله (أوزيريس) ، وبين سيث (Seth) بشأن امارة مصر • ويفزع الخصمان الى حكم الاله جيب (Geb) اله الارض الذى يعمل على حسم النزاع بأن يجرى تقسيم القطرين الالهين (هوروس) و (سيث)• بيد أن (جيب) يعاوده الندم على ان خص (سيث) اله الشر بقسم طيب من وادى النيل ، فينقض حكمه الاول ويقضى بمنح امارة مصر كلها الى (هوروس) • وهنا يضطرب السياق وتختل القصة ، فاذا نحن أمام (هوروس) جاثيا يضرع الى الآلهة أن ينتشلوا جثة والدته (ايزيس) التى أغرقها (سيث)•••وتجيب الآلهة ضراعاته فاذا بالجثة قد انتشلت من النهر ووسدت بقعة من الارض ، واذا بالحياة تبعث من جديد فى جثة (ايزيس) ، واذا بمدينة (ممفيس) عاصمة الديار تقام على البقعة من الارض التى عادت فيها الحياة الى (ايزيس)

واذا جردنا هذه الحكاية من صبغتها الاسطورية ، وتجاوزنا عما يتخللها من حوار وضراعات وابتهال ، فاتنا نلمح شيئا آخر جديرا بالتنويه والتفكير ! ان الذهن الذى نسج حوادث هــذه الاسطورة قد تجاوز الاغراض الدينيــة الخالصة الى أغراض دنيوية

واجتماعية ... الاول منها والاخير ، اكساب مدينة (ممفيس) طابعا يميزها عن سائر المدن المصرية القديمة ، ويكسبها أفضلية عليها ، بدعوى انها البلد المقدس الذى حملت أرضه ، فيما مضى ، جسد الالهة (ايزيس) وانه على أديم هذه الارض عادت الحياة تدب فى الجسد البالى . و (ايزيس) الهة محببة الى قلوب المصريين

بعد هذا الكشف الاثرى رجحت بعض الشيء فكرة وجود مسرح دينى لدى الفراعنة، معينه الاساطير الدينية ، ومظهره بعض مناسك العبادة . وبهذا الكشف ظهر مصداق ما رواه بلوتارك(١) عن بعض الشعائر الدينية التى كان يزاولها الكهنة فى اليوم التاسع عشر من شهر Athyr ، والتى كان ينكرها قبل ذلك ، مناهضو احتمال وجود مسرح دينى لدى الفراعنة

وفى عام ١٩٢٨ أصدر العلامة الاثرى كورت سيت Kurt Seth سفرا(٢) يتضمن نتفا من مشاهد لمسرحية دينية ، ونصوصا من مذكرات أحد الكهان الذين كان يناط بهم اخراج المسرحيات الدينية فى المعابد الفرعونية . وقد استخرجت هذه النتف والنصوص من بعض أوراق البردى التى عثر عليها فى احدى مقابر الامبراطورية المتوسطة(٣)والتى انتهى المطاف بها الى متحف برلين للعاديات المصرية

وقد مثلت هذه المشاهد بمناسبة تولى الملك سيزوستريس الاول (١٩٨٠ - ١٩٣٥ قبل الميلاد) ، أى منذ ما يقرب من أربعة آلاف سنة ، والرواية تقع فى أربعين مشهدا ، ويشترك فى تمثيلها الكهنة وبعض حاشية الملك ، وكان يرمز فيها لبعض الآلهة بالطير والحيوان وبعض الجمادات ، وكان الممثلون يتزيون بالزى الذى يحسن التعبير عن هذه الاشياء

وحوادث هذه الرواية تدور حول أسطورة النضال المعروف بين الالهة : أوزيريس وايزيس وهورس وسيت ، والمقام يضيق بسرد تفاصيلها وطريقة اخراجها

والامر الجدير بالتسجيل هو أن هذا الكشف الاثرى الخطير جعل احتمال قيام مسرح دينى لدى الفراعنة حقيقة لا ترقى اليها الريب والشكوك ، ولا تفتقر الى ما يدعمها من أسانيد مادية لا سبيل الى انكارها . كما ان هذا الكشف أصبح حجر الزاوية لحقل جديد فى البحث الاثرى فى تاريخ مصر الفرعونية

---

(١) الباب التاسع والثلاثون وعنوانه (ايزيس وأوزيريس) . كما ورد ايضا فى كتاب « ملوك مصر وآلهتها » للمؤرخ موريه . طبع باريس ١٩١٦

(٢) اسم الكتاب (Papyrus dramatique des Ramesseum) طبعة ليبزج بالمانيا ١٩٢٨ ، ١٩٢٩

(٣) عثر على هذه الاوراق الاثرى الانجليزى كويبل Quibell فى سنة ١٨٩٦ اثناء تنقيبه فى بعض الحفائر بجوار معبد (رامسيوم) بمدينة طيبة ، ولكن علماء الآثار لم يلتفتوا اليها فى ذلك الوقت ولم يفطنوا الى قيمتها ، حتى قام كورت سيت الالمانى فكشف عن حقيقتها مستمدا العون على ذلك من مخطوطات أخرى على ورق البردى لم يكن قد أجرى تفسيرها

حوار المسرح الديني

بيد أن هذا الكشف ، وان قطع بوجود مسرح دينى لدى الفراعنة فانه لم يبن ابانة صريحة عن نص مسرحياته ولا عن أسلوب نسجها • ولم يورد الحوار الذى كان يجرى على ألسنة الممثلين تبعا للنص المكتوب للمسرحية، والحوار ، كما هو معلوم، دعامة المسرحية، ومنه ينفذ النقد الى تقدير حظها من القيمة الادبية ، والى تعرف اتجاهاتها الفنية

ولكن حدث بعد ذلك ان استخرج المسيو دريتون (مدير المتحف المصرى بالقاهرة) حوارا (١) صريحا لمسرحية دينية ، وردت مطموسة فى أكثر معالمها ، مبعثرة فى مجموعة من التعاويذ السحرية التى تغطى جوانب الحجر الجنائزى المعروف باسم Stèle Matternich

ويختلف ما كشفه درايتون عما انتهى اليه (كورت سيت) بانه حوار مما يجرى على ألسنة الممثلين ، وليس مذكرات وملاحظات فنية مما يدونه مخرجو المسرحيات

وموضوع هذا الحوار ، أو بالاحرى هذه المسرحية ، قصة معروفة فى الاساطير الفرعونية وتدور حول مأساة الاله (هوروس) الذى لدغته عقرب ، وكيف ان والدته (ايزيس) تهيب بالاله (توت) فى توسل ونحيب ان ينقذ ولدها من الشر الذى نزل به ، وكيف ان (توت) يتدخل فى الامر مستجيبا توسلاتها وينعم بالشفاء على هوروس

والمسرحية فى مضمونها دعاية للالهة عن طريق الاشادة بسلطانها فى محق الشر ونصرة الخير

***

وثمة كشف حديث فى هذا المضمار أتاه مصرى صميم من علماء الآثار !

ففى عام ١٩٣٧ كشف الاستاذ سليم حسن ، اثناء تنقيبه فى حفائر سقارة ، عن رسوم محفورة فى مسطبة Hernebkaou يرجع عهدها الى الاسرة الخامسة • وتمثل هذه الرسوم رئيس فرقة من الراقصين ، وهو قائم يعلم الرقص الجنائزى ، فترى الراقصات بين يديه وقوفا فى أوضاع منسقة جميلة ، فى حين انه يراجع اوراقا من البردى تحوى ولا شك بعضا من الملاحظات الفنية على الرقص وضروبه

وقد جاء هذا الكشف مؤيدا لكشف (كورت سيت) الالمانى من ناحية ان مخرجى المسرحيات ومنظمى الحفلات والرقص كانوا يرجعون فى مزاولة عملهم الى مذكراتهم الخاصة ، كما يفعل اليوم مخرجو المسرحيات ومشاهد الرقص فى دور التمثيل !

***

غير انه يلاحظ فى المسرحية الدينية لدى الفراعنة ـ وذلك فيما عثر عليه حتى الساعة ـ انها تنزع الى الرمز ، وان الغموض قد يلابسها فى بعض الاحايين ، وانها قد تنقطع بها

(١) فى العدد الرابع من السنة الاولى لمجلة « La Revue du Caire » الصادر فى نوفمبر ١٩٣٨ نص مترجم بالفرنسية لبعض هذا الحوار

فى سياق الحوادث أسباب المعقول والمنطق والتتابع والالتحام . كما يلاحظ أيضا ان سياق الحادثة الاصلية للمسرحية ، وهي الحادثة التى تستمد معينها من الاساطير الدينية ، كانت تتمشى مع السياق تارة وتنفصل أخرى ، حوادث دخيلة تنسجها مأساة ذهنية لا تتصل أحيانا بسياق الحادثة الاصلية للمسرحية الا ببعض عبارات مبهمة ، وكأنما وردت عمدا لتوخى الغموض والاغلاق !

بيد أن هذه المسرحيات ، على ما هى عليه ، عريقة فى عنصرها التمثيلى الخالص ، لانها تعمل على احياء صور من أحداث قديمة وردت فى الاساطير البعيدة ، واثارتها وتصويرها وعرضها بواسطة الحوار والحركة والاوضاع الجسمانية المعبرة

المسرح الشعبي عند الفراعنة

ولو وقف الكشف الاثرى عند هذا الحد لاقتصر أمر المسرح الفرعونى ، ولا شك ، على مسرحيات دينية قوامها الحوار والحركة المعبرة ، احياء لطقوس بعض شعائر العبادة الفرعونية ، ولانتهينا الى حقيقة واحدة لا مراء فيها ، وهى ان المسرح الدينى لدى قدماء المصريين قد سبق المسرح الدينى لدى قدماء اليونان ، وان مصر الفرعونية عرفت فن التمثيل الدينى قبل أن تعرفه اليونان

بيد أن هناك ما هو أعجب من هذا ..؟

فقد انتهى المسيو كوئتز M. Kuantz وكيل البعثة الفرنسية للتنقيب عن الآثار الشرقية، وذلك فى أثناء تنقيبه فى حفائر (ادفو) فى عام ١٩٢٢ ، الى الكشف عن شيءجديد، هو الاول فى نوعه ، منقوش على حجر جنائزى (Stèle) مما يقام لذكرى الموتى

على جوانب هذا النصب الذى أقامه ، تمجيدا للاله حوروس، تابع لاحد الممثلين الجوالين، سجلت عبارات غريبة ، هى :

« اننى أتبع استاذى وسيدى أينما ذهب دون أن أنصرف عن التمثيل ، فأنا أقف امام أستاذى وهو يمثل لابادله الحوار وأساعده . فاذا كان يمثل دور الاله مثلت دور الملك ، واذا أمات فاننى أبعث الحياة فى موتاه »

بهذا الكشف المنقطع النظير فى خطره تنفتح أمامنا أبواب عالم جديد ماكنا ندرى بوجوده

فقد اتضح بذلك انه كان فى مصر الفرعونية منذ ما يقرب من ٣٠٠٠ سنة (فى الاسرة الثانية عشرة) ممثلون يجوبون انحاء البلاد ليقدموا مشاهد للرقص وللغناء ، وفصولا من مسرحيات مشوقة ، يجتمع الناس لمشاهدتها ، اما فى الساحات العامة أو فى صحون الدور!

وبهذا انتهينا الى أن المسرح فى مصر الفرعونية ، التى سبقت حضارتها حضارة اليونان، كان يترك فناء المعابد الى الساحات العامة ، ليتملق مشاعر الشعب ويدخل التسلية عليه بمعالجة بعض مشاغله الدنيوية ، التى قد تتصل بشئون الالهة أو قد لا تتصل

وبهذا انتهينا الى ان التمثيل كان يجرى فى هذه المسرحيات بواسطة اناس من غير الكهنة ورجال الدين ـ كما هو الحال فى المسرحية الدينية الخالصة

وان هذا النوع من المسرحية الشعبية كان يحتاج فى تأديته الى أكثر من ممثل واحد ، بدليل ان الاستاذ ، أو كبير الممثلين ، كان يمثل دور الاله ، وتابعه يمثل دور الملك ، وكان لا بد من اشتراك ممثلين آخرين ، أو ماثلين (١) ليقوموا بأدوار الاشخاص الذين يقتلهم هذا الاله ! (راجع نص ما كتب على النصب الذى عثر عليه فى ادفو)

ولكن هل كشف التنقيب عن أصل صريح لهذا النوع من المسرحية ؟

لا ...

وقد يرجع ذلك الى أن أرض مصر ما برحت تحتفظ بثروتها من كنوز الحضارة الفرعونية وآثارها ، أو الى أن الحوار فى هذه المسرحيات الشعبية كان يرتجله الممثلون ارتجالا دون أن يرجعوا الى أصل مكتوب ، كما هو الحال فى الاغانى الشعبية أو الى أن البحث والاستقراء فى النصوص التى كشف عنها التنقيب الاثرى ، لم يتجه بعد وجهة صريحة الى تخليص ما يتسم من بينها بالطابع التمثيلى (الدراما) ، ولم يعن بفحصها وتقصيها على أساس ان المسرح كان من مظاهر نشاط الذهنية الفرعونية

فلا بد والحالة هذه من مراجعة هذه النصوص على هذا الاساس الجديد ، اذ لا يخفى ان من بينها ما يحمل نتفا متناثرة ذات طابع يمت الى المسرح بصلة واضحة أو غامضة

***

بقى أن نتساءل اين كانت تجرى هذه الحفلات التمثيلية ؟ وكيف ان التنقيب الاثرى لم يكشف عن بقايا دار واحدة للتمثيل ؟

والجواب على هذا ان المسرحيات الدينية كانت تمثل دائما فى فناء المعبد ، وكان لا يشهدها غير المتعبدين والكهان ، ومع هذا فقد لوحظ ان المعابد التى شيدت ابتداء من قيام الامبراطورية الثانية بطيبة ، كانت تحتوى على منصة مرتفعة من البناء تسورها حواجز قصيرة

اما المشاهد التمثيلية الشعبية فقد كانت تمثل فى الساحات العامة وفى صحون الدور

***

هذا كل ما يمكن ان يقال حتى الساعة عن المسرح الفرعونى القديم ، وهو قول وان كان جديرا بالتأمل والتفكير ، فانه ما برح تعوزه التفاصيل فى كثير من نواحيه ، ولكن الكشف الاثرى لم يعط بعد كلمته الاخيرة . ولنا ان نؤمل كثيرا فيما عسى أن يأتى به الغد القريب ، لا سيما وان البحث ، فيما هو رهن اليدين من الاسانيد الاثرية وفيما عسى ان تمخض عنه الكشوف الاثرية الجديدة ، سيتخذ منحى جديدا فى الاستقراء والتقصى بعد أن أصبح المسرح الفرعونى حقيقة ناهضة لا يرقى اليها شك ولا ريب

زكى طليمات

(١) الماثل هو الممثل الذى لا يتكلم فوق المسرح ، ويعرف باسم (كومبرس Comparse)

فلسفة الحرب الراهنة

للكاتب الانجليزى ا . ا . ميلن

يحسب الناس أن الحرب الدولية هى الحرب الطبيعية الشريفة ، فهى تثار فى سبيل المصلحة القومية ، ولا يقتل فيها الجندى أحدا من أبناء وطنه ، أما الحرب الاهلية فقد ألف الناس أن ينظروا اليها نظرة الازدراء والاستنكار ، ففيها يسفح الجندى دم أخيه ويقوض بناء عشيرته

ولكنى أنكر هذا الرأى وأنقضه . فانى أرى أن الحرب الاهلية أوهى سببا وأقل شرفا من الحرب الدولية . ورأيى هذا قائم على سببين : أولهما ، ان الحرب الدولية تثار فى سبيل فتح اقليم أو بسط سيادة ، أى فى سبيل المنفعة المادية ، أما الحرب الاهلية فتقوم بين فريقين اختلفا على رأى من الآراء ، فهى حرب فى سبيل غاية أدبية هى الدفاع عن الرأى . وثانيهما ، أن الحرب الاهلية هى دائما حرب شعبية ، أى ثورة الجمهور على حكم ينكره أو نظام يأباه ، فهى حرب فى سبيل تحرير الفرد والجماعة من الاغلال التى تصفدهما قسرا ، وفى سبيل افساح الطريق لهما ليختارا الحكومة التى يرضيانها

ولهذا فانه يبدو لى أن الحرب القائمة ليست حربا دولية بل حربا أهلية . فهى حرب مبادىء وآراء . هى ثورة يقف فيها الالمان صفا الى جانب الانجليز ، أو يقف فيها الانجليز صفا الى جانب الالمان . وذلك أنهم جميعا يناضلون في سبيل حريتهم وكرامتهم ، أسلوبا من الحكومة يأخذهم بالشدة والعسف ، وينكر عليهم الحرية والاستقلال . فهى ليست حربا دولية قائمة بين حكومتين . بل حربا أهلية قائمة بين أسلوبين فى الحكم متناقضين . أى بين الديمقراطية والطغيان ، أو بين الحرية والرق

فما هى الحرية التى تناضل الشعوب عنها ؟ ان الناس لا يفهمونها على وجهها الصحيح ، ولهذا كثيرا ما تشكل عليهم مميزاتها الواضحة . فعندما أقول انى أستطيع فى انجلترا أن أكتب فى الصحف ما أشاء ، على عكس سواى من الكتاب فى ألمانيا أو ايطاليا أو روسيا - أرى من يجيبنى قائلا : لا ، فان الصحف فى أيدى جماعة من أصحاب الاموال أو ذوى الاغراض ، فيأبون أن ينشروا ما يناقض مصالحهم أو آراءهم . ولكن هذه الاجابة خطأ . فليس ثمة ما يمنعنى من أن أنشىء صحيفة أنشر فيها آرائى كيف أشاء ، ان أمكننى أن آتى بالمال اللازم لانشاء هذه الصحيفة بأية طريقة . ألم ينشىء العمال

الفقراء صحفا عظيمة خاصة بهم ؟» وفى وسعى بعد هذا أن أنشر آرائى فى كتاب . على انه يجب أن ندرك أن ليس ثمة من حرية مطلقة ، بل هناك حدود لا يستطيع الانسان أن يتجاوزها ، ولو أطلقت له السلطة الحاكمة كل عنان . فليس هناك ما يمنعنى من أن أستمتع بحريتى فى أن أسبح فى النهر ، ولكن اذا كان تيار النهر جارفا لا أقوى على أمواجه المصطخبة ، فانى أفقد هذه الحرية مكرها . فليست الحكومة هى التى تحرم الانسان حريته فى البلاد الديمقراطية ، وانما يحرمه اياها افتقاره الى الوسائل التى تمكنه من استخدامها

فالحرية التى توفرها الديمقراطية هى حرية الانسان فى أن يعيش كيف يشاء وفق ما يملك من وسائل ، وما يرمى اليه من غايات ، وما يتاح له من فرص وظروف . وليس لهذه الحرية سوى حد واحد ، هو أن يبيح كل فرد لسواه أن يستمتع بما يستمتع به من الحريات والحقوق . فهى اذا ليست حرية مطلقة ، وهل يمكن ان ينتظم العالم لو أبيحت فيه للفرد هذه الحرية المطلقة ، كلا ، فنحن لا نحارب هتلر الا لأنه يريد أن يبيح لنفسه حرية لا رابط لها ولا حاجز ، فى أن يفعل ما يريد وينال ما يهوى. والواقع أن مهمة الديمقراطية هى أن تنظم حياة الجماعة تنظيما من شأنه أن يمنع حرية أى فرد فيها من أن تصيب أو تعوق حرية أى فرد سواه

علاقة الحكومة الديمقراطية بشعبها مثل علاقة النادى بالاعضاء الذين يؤلفونه ، فهى قائمة لتخدمهم وتنفعهم . أما علاقة الحكومة الديكتاتورية بشعبها فهى علاقة قيادة الجيش بمن ينتظم فى صفوفه من الجنود وبما يملك من ذخيرة ومؤونة ، أى أن الشعب قائم لخدمتها ومنفعتها . ولكن كيف يخدم الشعب حكومته ؟ لو لم تكن ألمانيا ومثيلاتها قائمة أمام أعيننا لما شق علينا أن نقول ان هذه الخدمة لا بد أن تكون خدمة عسكرية . لانه اذا كانت الحياة الفردية تضحى فى سبيل الدولة ، فمعنى هذا ان الدولة يجب أن تكون ذات حياة خاصة بها استمدتها من حياة الأفراد المضحاة . وكما أن حياة الافراد تقتضى التنافس فيما بينهم على الوسائل التى تكفلها وتحميها ، فكذلك حياة الدول تقتضى التنازع فيما بينها على أسباب وجودها ووسائل حمايتها . ولن يكون هذا التنازع فى سبيل مصلحة الشعوب ، فقد ضحت الدول بحياة شعوبهالتتخذ منها حياة لها ، وانما يرمى هذا التنازع الى اكبار شأن الدولة وتوسيع المدى الذى تبسط عليه سيادتها . فلا عجب حينئذ أن نرى هذه الدول تضن على الفرد فيها بالغذاء اللازم لتعد نفسها بما تريد من السلاح والذخيرة ، وأن نراها تحمل النساء كرها على الانسال ، لتتخذ من أولادهن جنودا يحققون أغراضها فى التوسع والسيادة

وهذا سبب ما تثيره هذه الدول من حروب . وثمة سبب آخر يقضى به نظامها السياسى ، وهو خضوعها لفرد واحد بيده أن يقرر سلامها أو يقذف بها الى نار القتال . فمن الآراء الشائعة أن لا سبيل الى الغاء الحرب لأن الطبيعة البشرية تدفع الناس الى

الكفاح والقتال • ولكنا نرد على هذا قائلين : اذا لم يكن فى الوسع مقاومة الطبيعة البشرية ، فليكن همنا تنظيمها وتوجيهها توجيها أكثر نفعا أو أقل أذى • فطبيعة الانسان تقضى عليه بأن يأكل اذا كان جائعا ، ولكن الانسان استطاع أن ينظم هذه الطبيعة فلا يأكل كل شىء ولو أضر به ، بل ينتقى ما ينفعه من أصناف الطعام • وهكذا الامر فى طبيعة النضال والكفاح ان لم نستطع أن نقضى عليها فلنعمل على توجيهها وجهة نافعة طيبة • والواقع ان الانسانية قد وفقت الى تنظيم هذه الطبيعة تنظيما نافعا ، والدليل على ذلك أن نظرة الانسان الى الحرب قد تغيرت عن ذى قبل تغيرا عظيما ، فلم يعد يمجد الحرب ويكبرها بل أخذ يكرهها ويمقتها ، حتى دعاتها لا يمتدحونها بل يقولون انها شر لا بد منه ولا غنى عنه • ولكن تغير نظرة الانسان الى الحرب لم تمنع بعض الدول من اثارتها ، لانه ليس لهذا الانسان صوت يسمع فى هذه الدول ، وانما الصوت الداوى هناك هو صوت قائدها أو حاكمها ، وكثيرا ما يكون هذا الصوت أجش منكرا لم تهذبه المدنية ولم يصقله تاريخ الانسانية الطويل ، فما زال يشبه الاصوات المنبعثة فى الآجام والفيافى ، وما زال يأمر الناس بالحرب والقتال ويدفعهم الى ساحاتها كرها وغصبا

ولكن هل نظل يائسين من الغاء الحرب واقرار السلام ؟ لقد كان العالم جميعه يؤمل أن تكون الحرب الماضية خاتمة الحروب ، وقد تراءى له ان هذا الامل قد تحقق حينا ما ، ولكن لم يلبث أن تبدد تاركا سحابة مظلمة من اليأس والتشاؤم • ولكن من الخطأ أن ندع هذه السحابة تنبسط فوق رؤوسنا وتنشر الظلام أمام أعيننا • بل يجب أن نؤمل كلما خضنا حربا انها سوف تكون نهاية عهد القتال وبشير عهد السلام ، على أن نتعظ بوقائع الماضى فلا نقترف الخطأ مرتين ولا نعدو وجه الحق الآن كما عدوناه فيما مضى

واذن فلنتساءل : لماذا أخفقت الحرب الماضية فى الغاء الحرب واقرار السلام ، اننا خضناها ولنا منها غايات معينة هى أن نقضى على غليوم وآل هوهنزلرن ، وأن نتخلص من النزعة العسكرية التى كانت تهددنا • وأعلنا حينذاك أن ليس بيننا وبين الشعب الالمانى أى نزاع • وقد حققنا غاياتنا فأقصينا غليوم وأسرته عن العرش ، وبددنا شبح التهديد العسكرى الذى كان يترصدنا ، وقامت فى ألمانيا حكومة ديمقراطية هادناها وصالحناها ، فأعقب ذلك سلام كنا نرجوه طويلا شاملا

ولكن ما أظن أن الرجل العادى يعرف كثيرا عن النهاية التى انتهت اليها هذه الحرب • انه لا يعرف منها غالبا الا أملاكا كانت ألمانيا قد اغتصبتها فردت الى أصحابها • والا تعويضات فرضت على ألمانيا فدفعت بعضها وماطلت فى بعضها وامتنعت عن الوفاء بأكثرها والا هذه الشعوب التى قررت مصيرها بنفسها فأنشأت دولا قامت على فكرة طيبة وان كان قد وقع بعض الخطأ فى تنفيذها السريع • ولكنه يجهل أو ينسى أشياء أخرى ، منها هذا العذاب المعنوى الذى ذاقته ألمانيا وهى مسوقة الى الهزيمة والتسليم ، وهذا الجوع الذى كاد يقتلها اثر الحصار المفروض عليها بحرا وبرا ، وهذا الرعب الذى شملها حينما

فقدت نقودها كل قيمتها . فكيف كنا نتوقع أن يظل الشعب الالمانى ساكنا راضخا بعد أن نفثت فيه النزعة الحربية من جديد ؟ وماذا كنا نريد منه الا أن يرى فى هتلر قديسا أو نبيا وقد جاء يبعث فيه هذه النزعة الحربية الدفينة ؟ فمهمتنا الراهنة اذن هى ألا نرتكب هذا الخطأ مرة أخرى . لقد أعلنا الآن صادقين مخلصين أن ليس بيننا وبين الشعب الالمانى المسترق لسطوة هتلر أى نزاع أو خلاف . فلنذكر هذا القول دائما ، وليتردد صداه فى آذاننا عندما تضع الحرب أوزارها . لكن رائدنا اذن : أن لا صلح مهما طالت الحرب ما بقى هتلر وأعوانه حكاما على ألمانيا ، وأن غايتنا مهما كان النصر هى تحرير الشعوب التى استعبدها هتلر ، وهى بولندا والنمسا وتشيكوسلوفاكيا بل ألمانيا كذلك

ثم ماذا ؟ عصبة من الشعوب الاوربية الحرة لا تقوم فى داخلها أية حواجز تعوق حرية التجارة أو تحول دون توزيع مرافق الثروة توزيعا عادلا . ولكن هذه العصبة بعدالتها وقوتها أملا تطمح اليه سائر الشعوب فينضوى اليها كل شعب تؤهله سياسته لذلك ، وتطرد منها كل دولة تخون الديمقراطية أية خيانة . وقد يبدو هذا متعذرا أو مستحيلا ، ولكنه سيتحقق يوما ما ، فتنجو الانسانية من هذا العالم الطائش المجنون ، هذا العالم الذى يكره الحرب ويحب السلام ، والذى يملك كل القوى المعنوية والمادية التى تمكنه من الغاء الحرب واقرار السلام ، ولكنه مع هذا يخضع لبضعة أفراد من رجال العصابات ، يذيقونه النكال والعذاب فى وقت السلام ووقت الحرب على السواء.

(خلاصة مقال للكاتب الانجليزى المعروف « ا . ا . ميلن »
فى صحيفة ذى فورتنيتلى The Fortnightly)

الوظائف

* نرى الكثيرين من الاغنياء يهتمون بأمر توظف ابنائهم ولا يرون الشرف الا فى الوظائف ، فمتى يسمعون انين الوطن وشكايته من هذا الداء العضال ـ داء السعى وراء الوظائف . اتركوا الابناء معشر الآباء فى الحياة الحرة، اتركوهم يخدموا الوطن ، ويخدموا انفسهم فى غير دائرة الوظائف ، اتركوهم احرارا غير مقيدين بقيود الرواتب. ابعثوا بهم الى الخارج ليدرسوا التجارة والصناعة ويؤسسوا فى البلاد المعامل والمصانع تزدادوا بذلك شرفا وفخرا

مصطفى كامل باشا

المجامع العلمية في الشام ومصر

من اواسط القرن الماضى الى اواخر الربع الاول من القرن العشرين

بقلم الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف

عضو المجامع اللغوية فى مصر وسورية ولبنان والبرازيل

تعنى وزارة المعارف الآن بتعديل مجمع فؤاد الأول للغة العربية بحيث تكون اغلبية اعضائه العاملين من المصريين حتى لا يتوقف عن العمل بسبب الاحداث الدولية . وهناك فكرة يدرسها ولاة الامور ترمى الى انشاء مجمع علمى على نظام المجامع العلمية فى اوربا

كان لكل أمة مجتمعات علمية وأدبية للثقافة والمناقشة والمفاخرة والمحاضرة وأشباهها تشحذ فيها القرائح وتتبادل الآراء لجلاء الحقائق ورفع منار الادب بحسب حاجاتها وتطوراتها وأذواقها . فتناولت هذه الاجتماعات العرب فى أيام جاهليتهم وما بعدها ، فأسسوا لمثل هذه الشؤون مجامع « ندوة قريش » و « عكاظ » و « دومة الجندى و «ذى المجاز » و «سوق الحيرة» و « مربد البصرة » و «سوق الكوفة» ، ثم ألفوا فى الشرق والغرب نوادى علمية منها «جمعية اخوان الصفا» و «المؤسسات للترجمة والتعريب والتأليف » فكثرت فيها المناظرات ومداولة المطارحات ومدارسة اللهجات وأساليب النقد والتأليف والنقل مما كانت له اليد الطولى فى ترقية اللغة وتهذيب ألفاظها وتوفير مؤلفاتها وتدوين آدابها وتاريخ نهضتها وانحطاطها الى أوائل القرن التاسع عشر

١ ـ الجمعية السورية

كان أول مجامع القرن الماضى هو مجمع بيروت ، أنشأه المرسلون الاميركيون سنة ١٨٤٧ باسم « الجمعية السورية » بمساعدة كبار العلماء كالدكتور كرنيليوس فانديك ، والمستشرق يوحنا ورتبات ، والشيخ ناصيف اليازجى ، وبطرس البستانى ، وهنرى دى فرست ، وابراهيم طراد ، وتشرشل بك الانجليزى ، والدكتور ميخائيل مشاقة ؛ وسليم نوفل .. الخ . وبلغ عدد أعضائها أكثر من خمسين ، نصفهم أعضاء عاملون فى بيروت ولبنان ، والباقون اكراميون فيها ، فتأسست للجمعية فروع فى دمشق وطرابلس وصيدا تولى رئاستها الدكتوران وليم طمسون وعالى سمث الاميركيان ، وبقيت الجمعية

نحو خمس سنوات عقدت فيها ٥٣ جلسة للمباحثات والمحاضرات ، وكان اجتماع أعضائها مرة فى الشهر ، وأحيانا مرة فى كل أسبوعين • ومن أعمالها تأسيس مكتبة للمطالعة حافلة بشتى المطبوعات ، وعرض أعمال بعض أعضائها على جمعيات المستشرقين فى أوربا لتتولى فحصها وطبعها

وقد تناول الدكتور عالى سميث أعمال هذه الجمعية فى أبحاث نشرتها « المجلة الاسيوية » ، وجمعت مجهودات أعضائها فى مجلد نشر عام ١٨٥٢ حوى خطبا وأبحاثا رائعة لبث روح الثقافة ونشر لواء العلم

فكانت هذه الجمعية أساس المجامع العلمية فى العالم العربى ، ولها الفضل فى بث روح النهضة العصرية فى نفوس العرب

وأرسل الدكتور عالى سميث كتابا الى « الجمعية الاسيوية الالمانية » سنة ١٨٤٧ يخبرها فيه عن انشاء هذه الجمعية ، مبينا نظامها ، وواصفا خزانتها ، ولا سيما المخطوطات التى يبلغ عددها ٥٢٧ مجلدا ، فدونت تلك الافادات فى مجموع أعمالها

٢ ـ الجمعية المشرقية

أنشأها الآباء اليسوعيون الذين كانوا يناظرون الاميركان فى أعمالهم ، وذلك فى بيروت فى مطلع سنة ١٨٥٠ • فكانت جلساتها أسبوعية ، توالت نحو سنتين • وأول جلسة عقدت فيها كانت فى ١٧ يناير سنة ١٨٥٠ وألقيت فيها خطب علمية وأدبية وتاريخية وأسسوا لها مكتبة نفيسة ، وكان رئيس هذه الجمعية الاب هنرى دى برونيار اليسوعى ، ثم الدكتور ابراهيم النجار ، الذى كان من طلبة مدرسة قصر العينى الطبية ، وبعده الشيخ الياس الدحداح • ومن أعضائها : الدكتور سوكه الفرنسى ، ونقولا منسى ، وداود برتران ، ويوسف كميد •• الخ

وكانت تلقى فيها المناظرات والخطب والمحاضرات ، منها ما ألقاه الدكتور سوكه بالفرنسية وكان يتولى نقله الى العربية نعمة الله فيانو وأهمها فى الطب ، وحفظ الصحة ، والطبيعيات كالجاذبية وخواص الهواء والقبة الهوائية

وأول خطاب فيها ألقاه نقولا منسى عن « العلم والجمعيات » ثم «حوادث تاريخ سوريا» ، وألقى داود برتران خطابا فى « علم الفلك والكواكب والاجرام السماوية » ، وراجى أده فى «الوقائع القديمة التى جرت فى وادى العاصى بحلب» و«حكومة يوشافاط ملك يهوذا» • ونعمة الله فيانو فى « نجاح الجمعيات »

ولم تطبع أعمال هذه الجمعية كسابقتها ، ولكن المرحوم يوسف اليان سركيس الدمشقى وقف على سجل أعمالها فى دير الآباء اليسوعيين

٣ ـ الجمعية العلمية السورية

خلفت الجمعية السورية الاولى سنة ١٨٦٧ ببيروت ، وأسندت رياستها الى الامير محمد أرسلان ، وانتظم فى سلك أعضائها عدد كبير من فحول الادباء والعلماء ، ثم انضم اليها بعض العظماء من استامبول والشام والاسكندرية والقاهرة ، مثل أمين بك رئيس كتاب السلطان عبد العزيز ، والبارون كرندل سفير بلجيكا فى استامبول ، وصفوت باشا وزير المعارف ، وفؤاد باشا الصدر الاعظم ، وميرزا حسين خان سفير ايران .. الخ ثم الحاج حسين بيهم وسليم البستانى وحنين الخورى (أمين الصندوق) وحبيب الجلخ (أمين المكتبة) و (المصححان) موسى فريج وسليم رمضان

وفى ١٥ يناير سنة ١٨٦٨ ، أصدرت الجمعية مجلة شهرية باسم « مجموعة العلوم » نشرت منها سبعة عشر مجلدا ثم عطلت ، وهى أشبه بمجموعة لاعمالها وخطبها يتخللها أخبار ونوادر وفكاهات أدبية . وكانت هذه المجموعة أرقى من مجموعة أعمال سابقتها (الجمعية السورية) وجاءت موضوعاتها أقرب الى حاجة البلاد لازدياد ارتقائها فى معارج العلوم وانتشار المدارس فيها وتأسيس المطابع والانكباب على تحصيل المعارف مع الميل الى الاطلاع والبحث

ولم يطل الوقت على هذه الجمعية حتى انفرط عقدها وعطلت أعمالها لعدم الاقبال اذ ذاك ، ولقلة المال الذى يحتاج اليه الاستمرار فى العمل

٤ ـ المجمع العلمى الشرقى

مرت فترة من الزمن فى بضع عشرة سنة ، والافكار تتجه الى انشاء جمعية علمية أوسع مما سبقتها الى أن ظهرت الفكرة سنة ١٨٨٢ بعناية صاحبى المقتطف ، والدكتور وليم فانديك وسليم باشا موصلى فعرضوا فكرتهم على أستاذيهم الكبيرين الدكتورين كرنيليوس فانديك ويوحنا ورتبات فألفوا « المجمع العلمى الشرقى » برئاسة فانديك وانتخبوا له أعضاء من كبار العلماء الذين نبغوا فى تلك الايام . مثل الشيخ ابراهيم اليازجى وسليم البستانى والدكتورين فارس نمر ويعقوب صروف وشاهين مكاريوس وجورجى زيدان . وكان من أعضاء المجمع فى مصر : شفيق بك منصور وادريس بك راغب وغيرهما . وبقى المجمع حيا بضع سنوات ثم عطل لاسباب مختلفة لا سيما بعد انتقال المقتطف وأصحابه الى مصر

وقد ألقيت فى هذا المجمع أبحاث شائقة وأنشأ الاعضاء مقالات مفيدة فى أغراض مختلفة ترمى الى ترقية العمران ولا سيما الصناعة والزراعة وعقد المقتطف أبوابا للاسئلة والاجوبة المتعلقة بحاجة البلاد الى ما يوفر ثروتها المعنوية والمادية

ومع رواج سوق التأليف والتعريب واصدار الصحف والمجلات لم يعن هذا المجمع

بالاوضاع والمعربات ، بل انحصرت تلك الابحاث فى المجلات والصحف التى ظهرت فى عهده فكانت بحوث بعضها تتناول تلك الاغراض للتعريب والانشاء ووضع المصطلحات وغاية ما جرى فيه مناظرات لغوية بين أعضائه

على أن هذا المجمع امتاز عما سبقه من المجامع باقامته حفلات سنوية عامة دعا اليها الجمهور ، وكان الرئيس يتلو عليهم أعمال المجمع وما يتعلق بذلك مما يعود عليه بالثبات والنجاح . وأول حفلة عرفناها أقيمت ليلة السبت ٢٥ مايو سنة ١٨٨٣ شهدها جم غفير من علماء بيروت ووجهائها ، وخطب فيهم رئيس المجمع الدكتور فانديك الخطبة السنوية التى نعى فيها المرحوم بطرس البستانى من مؤسسى المجمع ، ثم انتقل فى كلامه الى نصح القوم بمايجب اتخاذه لاستبقاء المجمع وترقية شؤونه

وأقيمت الحفلة السنوية الثانية فى ١٨ يونيه سنة ١٨٨٤ فى بيت الدكتور وليم فانديك فافتتحها الدكتور فارس نمر بخطاب فى « المجامع العلمية والمجمع الشرقى » وتناول الدكتور يوحنا ورتبات « التربية المدرسية » والدكتور يعقوب صروف « النور الكهربائى »

٥ ـ المجمع العلمى اللبنانى

فى صيف سنة ١٩٢٠ اجتمع فى بيروت لفيف من علمائها وأعيانها ، وقرروا انشاء مجمع فيها ولم يتح اخراج هذه الفكرة الى حيز الوجود الا فى أوائل سنة ١٩٢٨ حيث أصدر رئيس الجمهورية اللبنانية المرحوم شارل دباس مرسوما يقضى بتعيين أعضاء هذا المجمع ، الذى أسندت رياسته الى الشيخ عبد الله البستانى . وقد اجتمع الاعضاء فى ٩ مارس ، وافتتح المجمع بخطب وتلى القانون ثم تفرغوا الى عقد بقية الجلسات وقرروا اقتراحاتهم بشأن تقسيمهم الى دوائر اختصاصية ، وطبع بعض المؤلفات والمترجمات المفيدة ، وتكميل أجزاء « دائرة المعارف » للبستانى ، ووضع ألفاظ للمسميات الحديثة

٦ ـ بعض الجمعيات الاخرى

تأسست بعض جمعيات علمية لخدمة الادب وتعزيز العلوم فى بيروت ، منها « جمعية العلوم والفنون » الارثوذكسية فى أوائل النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، جرت فيها مباحثات علمية فنية وخطب وطنية . و « جمعية شمس البر » التى أنشئت سنة ١٨٦٩، وكانت خطابات أدبية انتظم فى سلكها كثير من الادباء ، وطبعت أعمالها وخطبها فى رسائل . و « جمعية زهرة الآداب » التى أسست فى بيروت سنة ١٨٧٣ ، وكان أعضاؤها من نخبة العلماء ، وألقيت فيها دروس فى الخطابة والتعليم وآداب البحث والتمثيل . وجمعية «الفنون الاسلامية» سنة ١٨٧٥ فى بيروت ، وقد جمعت لفيفا من علماء المسلمين وأدبائهم ، فأنشأوا مطبعة « ثمرات الفنون » و جريدة « ثمرات الفنون » أما فى دمشق فأنشئت بها « جمعية رباط المحبة » سنة ١٨٧٤ وكانت فرعا من « جمعية شمس البر » البيروتية،

ثم « الجمعية التاريخية » أنشأها نفر من أدباء دمشق وعلمائها سنة ١٨٧٥ ، وكان لها أعضاء مراسلون فى الخارج

٧ ـ المجمع العلمى العربى

على أثر نهاية الحرب العالمية وتأليف الحكومة العربية فى دمشق ، أسس هذا المجمع فى أواخر خريف سنة ١٩١٨ وكان يعرف باسم « الشعبة الاولى للترجمة والتأليف » ، ثم تحولت هذه الشعبة الى « ديوان المعارف » فكان رئيسها الاستاذ محمد بك كرد على ومن أعضائها الشيخ عبد القادر المغربى ، والشيخ طاهر الجزائرى ، وعيسى اسكندر المعلوف ، ووكل الى هذا الديوان الاشراف على كل ما يتعلق بشؤون الثقافة والتأليف ، وتأسيس دار للآثار وتعزيز المكاتب ولا سيما المكتبة الظاهرية . وفى عام ١٩١٩ صار ذلك الديوان « مجمعا علميا » برئيسه وأعضائه ، وبدأ يعالج الاوضاع العلمية والمصطلحات اللغوية بكد وحماسة ، وينقح الكتب المؤلفة والمعربة ويصحح أغلاط المستشرقين ، ويقتنى نوادر الكتب والمخطوطات لخزانته . ثم شرع فى ترميم المدرسة العادلية ، أعظم مدارس الشافعية بدمشق ليعيد اليها طرازها العربى القديم ، فأنجز ذلك وانتقل اليها المجمع متخذا اياها مقرا له بعد أن كان يجتمع فى قصر الحكومة الكبير فى المرجة ، وخص قاعات سفلية منها للمتحف الذى سعى الى تأسيسه ، وأضاف اليه ما كان يعثر عليه فى مدارس دمشق ، وقاعة أخرى للمحاضرات التى كان يلقيها أعضاؤه ، وعزز المكتبة الظاهرية وأفرد لها غرفا للمطالعة والمراجعة والبحث ، ونشر « مجلته » العلمية الادبية فظهر منها أربعة عشر مجلدا

واشتغل المجمع بالاوضاع اللغوية والمصطلحات العلمية والفنية ، فكان يطلب من دوائر الحكومة والمدارس ما تحتاج اليه من الكلمات فيقومها ثم يعرضها على ألسنة الصحف وفى مجلته ، مراعيا بذلك انسجام اللفظ ودقة الوضع وحسن الذوق ومطابقة المعنى ، فكان معظم تلك الاوضاع تستقبله الصحف والمؤلفون والمعربون والمدارس بكل طيبة خاطر ، ويذاع على ألسنتهم ولا سيما باب « عثرات الاقلام »

وقد تولى رئاسة المجمع الاستاذ محمد بك كرد على فالاستاذ الشيخ المغربى ، وبقى مدة قليلة بدون رئاسة الى أن انتخب الامير شكيب ارسلان رئيسا له منذ أشهر قلائل

وعلى الجملة فان مجمع دمشق كان على أتم نظام فى أعماله ، واعضاؤه فى كل قطر يراسلونه ويباحثونه ويعرضون عليه بعض أعمالهم ، ويكتبون الابحاث اللغوية على صفحات مجلته . فخدم بذلك اللغة وآدابها أجل الخدمات

مجامع مصر العلمية

أسس فى القاهرة « المجمع العلمى » فى عهد نابليون بونابرت ، على ان حاجة العربية الى الكتب الطبية والعلمية والفنية فى عهد ساكن الجنان محمد على باشا دعت الى تأليف

لجنة « للتعريب والتأليف » وترجمة الكتب للمدارس التى أسست للطب والبيطرة والصيدلة والهندسة والعسكرية فاشتغلت هذه اللجنة بنقل الكتب من اللغات الاجنبية ، وكان فى أوائل الذين عملوا فى ذلك يوسف فرعون وحنا عنحوزى وبطرس عنحوزى وغيرهم من السوريين الذين نزحوا الى ضفاف النيل وزاولوا خدمة الادب والترجمة . وجاء رفاعة بك طهطاوى وغيره فكانت اجتماعاتهم أشبه بجمعية علمية للوضع والتعريب ، ثم قام فى الاذهان انشاء « مجمع علمى » لخدمة التأليف والترجمة والصحافة . وسبقه الى ذلك تأليف « الجمعية الطبية » و « جمعية المهندسين » و «النادى الادبى» و « لجنة المصطلحات العلمية »

١ ـ المجمع الادبى

تألف من العلماء الاعلام : الشيخ الشنقيطى ، والشيخ محمد عبده ، والشيخ حمزة فتح الله وغيرهم ، فكانوا يجتمعون فى بيوتهم مناوبة للمباحثات واختيار ألفاظ للمصطلحات والدخيل من الكلمات ، ويلقون خطبا وينشرون بعض مقالات فى الصحف ، فكان عملهم هذا نواة المجامع العلمية التى تألفت فيما بعد

٢ ـ المجمع اللغوى الاول

كانت اليد البيضاء فى انشاء مجمع لغوى للمصطلحات ووضع مفردات علمية جديدة ، ومعجم عصرى ، وتهذيب لغة الصحف ، لنفر من كبار العلماء والادباء كالسيد توفيق البكرى ، وحفنى بك ناصف ، واحمد باشا حشمت وزير المعارف ، ومحمد بك المويلحى

وعقد المجمع جلسته الاولى فى يناير سنة ١٨٩٢ بسراى البكرى بالخرنفش ، وانتخب السيد توفيق البكرى رئيسا ، فافتتح المجمع ببحث عن المتنبى وأخلاقه المستنبطة من شعره ، وتلا عشر كلمات من المستحدثات الجديدة ، ووعد بأن يعرض فى كل جلسة عشر كلمات جديدة من ابتكاره ، مثل مرحى (لبرافو) وعم صباحا (لبون جور) والبهو (للصالون) الخ .. وفى الاجتماع الثانى تناول الرئيس موضوع « الوفاقات فى العادات » وهى اتفاق عرب الجاهلية مع الافرنج الآن فى بعض العادات والمشارب . وظلت الاجتماعات تنعقد مرة كل اسبوعين الى ان عطل جلساته (١)

٣ ـ المجمع اللغوى الثانى

ظلت فكرة انشاء مجمع أوسع تخطر للعلماء والصحفيين الى ان تألف المجمع اللغوى الثانى برياسة الشيخ محمد عبده ، وكان من أعضائه الشيخ ابراهيم اليازجي ، وسليمان

(١) راجع الصفحتين ٢٢١ و٢٦٥ من المجلد الاول من الهلال ، وصفحة ٢٦ من المجلد الثانى

بك البستاني ، وجورج بك زيدان ، والشيخ رشيد رضا وغيرهم ، ولكن حياة هذا المجمع كانت قصيرة فلم يجتمع سوى مرتين

٤ ـ نادي دار العلوم

تألف عام ١٩٠٧ برئاسة حفنى بك ناصف ، وعني بوضع بضعة آلاف لفظة جديدة شرت بعضها على صفحات مجلته ، ومما وضعه من أنظمته انه يراعى تفضيل الالفاظ التى سبقت الصحف والمجلات الى استعمالها فى أحد المعانى وكانت أفضل من غيرها

٥ ـ المجمع اللغوى العربى

فى حفلة بلوغ « المقتطف » السنة الاربعين من عمره ، برزت فكرة انشاء مجمع لغوى عربى ، وكان صاحب الاقتراح الاستاذ الجليل احمد لطفى السيد مدير دار الكتب فى ذلك الوقت ، وابدى ارتياحه في تخصيص احدى قاعات دار الكتب لاجتماع الاعضاء . وفى أوائل سنة ١٩١٧ التأمت هيئة المجمع من شيخ الجامع الازهر رئيسا ، ومن الاعضاء البارزين اسماعيل باشا عاصم ، والشيخ السكندرى ، ونور الدين بك مصطفى ، واحمد باشا لطفى السيد . وحددت أغراض المجمع وهى « خدمة اللغة العربية بوضع معجم يفى بحاجة الزمن ويشمل اصطلاحات العلوم والفنون والصناعات واستبدال الكلمات العامية والاعجمية بكلمات عربية صحيحة » . وجعل طريقته فى العمل شاملة لجميع الطرق التى تنازعت عليها الاحزاب فى اللغة قديما وحديثا . كما قدم كل من الاستاذ السكندرى والدكتور صروف مذكرة وافية ليسير المجمع عليها فى أبحاثه

ووزع العمل على لجان كانت تجتمع بصفة مستمرة وفى أوقات معينة باحدى قاعات دار الكتب وكثرت المباحثات واشتد الخلاف بشأن التعريب وكان أهم مباحث اللجان : رسالة فى أسماء المحراث وأجزائه للشيخ شريف ، ورسالة فى مصطلحات علوم الفلسفة الحديثة لمحمد أمين بك واصف ، ورسالة فى مصطلحات علم الكيمياء للشيخ احمد السكندرى ، ورسالة فى مصطلحات الصوفية للسيد رشيد رضا

وبقى العمل فى المجمع على نظمه الى أن عصفت به رياح الثورة المصرية عام ١٩١٩

٦ ـ المجمع المصرى اللغوى

وكانت فكرة الاوضاع وتأليف معجم للمصطلحات وتعزيز اللغة لا تزال تطوف بالاذهان لشدة الحاجة اليها فى كل مجتمع أدبى . وكان من أشد المتحمسين لفكرة ادريس بك راغب ، ونور الدين بك مصطفى فجمعا الادباء فى داريهما بحفلات حافلة وعرضا عليهم الفكرة فرحبوا بها ، ثم انتخب ادريس بك راغب رئيسا وأسس المجمع فى خريف سنة ١٩٢١ ، وتحدد الغرض من تأسيسه « ترقية اللغة العربية واحياء ما تدعو اليه الحاجة

خصوصا ما اندثر من مفرداتها ، وجمع المواد اللازمة لوضع معجم حسن الترتيب سهل التناول شامل للالفاظ المدونة فى المعاجم المتداولة ووضع كلمات للمسميات الحديثة والمصطلحات العلمية والفنية ونحوها مما تقتضيه حالة العمران وانتشار الحضارة »

وبقى المجمع يجتمع نحو سنوات ثلاث بدار ادريس بك راغب ثم فى المكتبة النورية بدرب الجماميز • وقد قسم الاعضاء الى عشر لجان تشتغل بوضع مصطلحات جديدة فى اللغة والراديوم والنباتات والرياضيات والفلسفة والاجتماع ، واستخرجت من المعجمات وكتب اللغة والادب الالفاظ العربية المقابلة للالفاظ العامية الدخيلة ليرجع اليها أعضاء اللجان الاخرى فى أوضاعهم ويعلقون عليها ملاحظاتهم اللغوية والفنية فترفع الى هيئة المجمع لتمحيصها

وتناقش الاعضاء فى كتب ورسائل منها : رسالتان الاولى فى النحت والثانية فى الاشتقاق للاستاذ عبد الله أمين ، وكتاب فى التهذيب بأصول التعريب للدكتور احمد بك عيسى ، ودراسة عن كتاب المخصص فى فقه اللغة للاستاذ مصطفى بك عبد الرازق • وانفرط عقد هذاالمجمع فى عام ١٩٢٤ بعد أن أدى للغة وآدابها خدمات جليلة

٧ ـ مجمع فؤاد الاول للغة العربية

وفى ١٣ ديسمبر سنة ١٩٣٢ صدر المرسوم الملكى بتأسيس مجمع فؤاد الاول للغة العربية ودعى الى الاشتراك فيه رسميا أبناء الناطقين بالضاد وطائفة من العلماء المستشرقين فتحققت بذلك الأمنية التى طالما جاشت بصدور أبناء الامم العربية جميعا ونضجت الجهود التى كانت معلقة فى الماضى على انشاء مجمع علمى منظم يمد اللغة العربية بالمصطلحات والكلمات الجديدة وينهض بمستوى الادب العربى

عيسى اسكندر المعلوف

موت ابليس

قالوا سمعنا فى البلاد قضية ... مضمونها ان قد قضى ابليس
فأجبت قد كان الذى خبرتم ... عنه وخرب ربعه ابليس

الشاب الظريف

أيتها النجمة ..

بقلم الاستاذ راجى الراعى

أيتها العين المرتجفة المتلألئة ، المختبئة بجفن الليل ، العالقة بهدب السماء ..
أيتها الكرة البراقة البادية فى علم الأفق الأسود الظافر ..
أيتها الرفيقة الأمينة التى تمتزج بليالينا وتواكبنا فى آلامنا وغرامنا وأمجادنا ..
أيتها اللؤلؤة الساطعة فى تاج الليل .. أيتها الماسة المشعشعة فى يأس الظلمة ..
أيتها اليد التى تشير الى جهلنا العاجز عن ادراك ما وراء هذا الأثير ..
أيتها الحارسة الامينة.. أيتها الشاهدة الكبرى التى تحمل فى صدرها أسرار الطائفات ..
أيتها الجبارة التى لا تقهر ..
أيتها الكامنة وراء عرش الله ، المعتصمة بالقبة الزرقاء ، المنصتة الى حديث الليل
أيتها المستيقظة والخلائق نيام ..
أيتها المتمردة على النور الفاتحة صدرها للظلام ، المبرمة معه عهداً لا يمحوه غير الله
أيتها النجمة .. يا هدف المسبحين واللاعنين .. ويا دليلة المسافرين .. ويا محيرة الكافرين ..

بينى وبينك هذا الأثير المضطرم بحنينى وأشواقى وأحلامى فهل جاءك نبأى ؟ وهل عرفت ما بى ؟ وهل أنت تحجمين .. ؟

هل منك خير يرتجى للناظر اليك .. وهل فى مقامك فى العلاء ما تحسدين عليه .. ؟

لقد حرت فى صدودك وعزلتك وترفعك عن هذه الأرض ، فهل هى العطرسة لعبت بعطفيك خمرها ؟ أم هو السأم طار بك الى ما وراء الأثير ؟ أم هو الجمال رفعك الى ذلك العرش ؟ أم هو افتتانك بالخالق جعلك من المقربين منه فى عليائه .. ؟

أيتها النجمة .. لمن أنت ؟ أللعظيم الذى يحسبك له ؟ أم للعاشق الذى يسامرك ؟ أم للفيلسوف الذى يحاول أن يستكشف ما فيك من أسرار ؟

أيتها النجمة ..

هذا الليل الذى يحتضنك يجور علىّ فى معظم أيامى فهل لك أن تكونى بينى وبينه رسول الحب والسلام،وهل لك أن تهمسى فى أذنه أن يخفف عنى وطأة الأحلام والآلام؟؟

راجى الراعى

شريط هوديني السينمائى
الذى أريد به هدم الروحية

بقلم الاستاذ احمد فهمى ابو الخير

مدير ادارة السينما بوزارة المعارف

يتضمن هذا البحث دفاعا عن « الروحية » . وقد تحدث فيه كاتبه الفاضل عن الشريط السينمائى الذى وضعته مدام هوديني فى محاولتها الاتصال بزوجها ، وكيف قضى عليه الوسيط الروحى فورد بتجاربه ، ثم ما كان من مسابقة مجلة سينتفك اميركان وفشلها فى هدم الروحية واتهام احد اعضاء لجنة المسابقة زميلا له بالغش والتدليس . والكاتب الفاضل ينحو فى بحثه منحى الاثبات ، ولكننا كما قلنا فى العدد الماضى ان هذا البحث جد خطير ليس من السهل الادلاء فيه برأى قاطع . ونحن اذ ننشر هذا المقال للحث على العناية بهذا الموضوع نفتح باب المناقشة على مصراعيه

كان هودينى الساحر الامريكي وسيطاً روحياً موهوباً ، ولكنه كان رجلا مادياً محباً لذاته . ينكر الوساطة لحاجة فى نفسه ، ويزعم أنه ساحر ليكسب من وراء ذلك المال الوفير . اختط لنفسه خطة هى التشهير بكل وسيط روحى لتبقى له وحده الزعامة والشهرة . وظل كذلك إلى أن قهرته ظروف الحال فتلاشت قوته الوساطية — لا قوة الشعوذة — شيئاً فشيئاً حتى عجز فى النهاية عن إتيان ما يعمله الوسطاء الروحيون

وكان قد عرض له منذ سنين شريط سينمائى فى بافالو التى هى مركز رئيسى للروحية فى الولايات المتحدة بأمريكا . وهذا الشريط كما تقول مس فانشون روير Miss Fanchon Royer التى رتبت تفصيلات إخراج الصور « مبنى على تجارب مدام هودينى فى محاولتها الاتصال بزوجها الميت »

ونشرت إحدى صحف بافالو ، إعلاناً يصف هذا الشريط بأنه « ديناميت روحانى » وأنه « يفضح بشكل مدهش تجار المعجزات المرعبين » ويقول أيضاً « إن مدام هودينى تقول الحق عن الوسطاء المخادعين » . وذهب رالف برسنج Ralph G. Pressing صاحب مجلة « سايكك أوبزرفر » الروحية وناشرها ، فقابل مس روير وأجرى معها حديثاً وصفته الصحف بأنه « مبارزة كلامية استغرقت ٤٥ دقيقة »

افتضاح المخادعين

فقالت مس روير لمستر برسنج إن الغرض من الشريط « كشف النقاب عن المخادعين الذين يستغلون المحزونين الغافلين » وأنه يهاجم الخادعين فقط . ولما سألها مستر برسنج عن السلطة

التى تخولها التمييز بين المخادع والصادق ، قالت : « حسبى معرفة مسز هوديني بخداع الروحيين كما فضحهم المرحوم زوجها »

وعندئذ قدم برسنج كراسة كتبها فرانسس ر . فاست Francis R. Fast يصف فيها الرسالة الشفرية التى بعث بها هوديني بعد وفاته إلى زوجته خلال الوسيط آرثر فورد . وأراها أيضاً صورة اعتراف مهرته مسز هوديني بامضائها تعلن فيه أن الرسالة فى جملتها وفى تسلسلها المتفق عليه هى الرسالة الصحيحة التى سبق لها هى وزوجها أن نظماها معاً . ولكن مس روير أنكرت صحة الامضاء على رغم شهادة اثنين من الصحفيين وثالث هو صديق لمسز هوديني كما تدل على ذلك الصورة الزنكوغرافية لذلك الاعتراف . فأبرقت مس روير على الفور إلى مسز هوديني فى هوليوود تسألها بيانا عن هذا « الاعتراف » ، فوصلها الرد من المشعوذ الساحر ادوارد سينت E. Saint وكيل مسز هوديني فى إدارة أعمالها ، وهذا هو نصه :

« إن مدام هوديني لا تنكر البتة إمضاءها الورقة ، ولكنك اذا أعدت قراءة مضمونها فانك لن تجدى فيها بشكل ايجابى أى إقرار بأى مصدر نفسى أو روحى للرسالة . وان الحقائق التى تعرفها مدام هوديني وحدها قد جعلتها تنكر مرات لا عداد لها أى اعتقاد فى صحة ما يسمونه رسالة فورد باعتبارها ذات أصل وساطى أو روحى . وعدا هذا فمدام هوديني لم تدع قط على الجمهور الوقائع الحقيقية »

ويستنتج من هذا الرد أنه ولو أن الرسالة الواردة من هوديني هى الرسالة المتفق عليها بينه وبين زوجته قبل مماته الا أن مسز هوديني ليست مقتنعة الآن بصدق ورود الرسالة من الجانب الآخر (أى عالم الروح) ، وأنها تظن أن آرثر فورد ربما يكون قد حصل عليها بوسيلة من وسائل الخداع . وهذا يتناقض تماما والموقف الذى وقفته مسز هوديني حينما اتهمت بأنها متآمرة مع فورد عند ظهور الرسالة

ويبدأ تاريخ رسالة هوديني هذه فى فبراير سنة ١٩٢٨ وكان ذلك خلال جلسة خاصة عقدها الوسيط فورد . وذلك أن فلتشر Fletcher وهو الروح المهيمن على فورد مضى يصف امرأة «ميتة» تدعى أنها والدة هارى فايس Harry Weiss الشهير بهوديني

وقالت روح أمه « لقد انتظر ولدى سنين كثيرة كلمة واحدة ولكنه عبثاً انتظر . وكان دائماً يقول إنه لو حصل على هذه الكلمة فانه سيؤمن . فالشفرة التى أفهمها لزوجته لا يمكن أن تجيئها من شخص آخر غيره هو نفسه . ولكن ظروف الحال فى الأسرة تضطرني لأن أبوح بهذه الكلمة الآن أولا ، فيصبح ولدى عندئذ حراً وقادراً على الكلام مفصحاً عما فى نفسه . وأما تلك الكلمة فهى : الصفح »

وزادت الروح أن زوجة هوديني هى الشخص الوحيد الذى يعرف هذه الكلمة

فلما أبلغت مسز هوديني ذلك أعلنت تقول إن ذلك كان « بين ألف حديث جرت حتى ذلك الوقت الحديث الوحيد الذي يتضمن كلمة السر الوحيدة المعروفة فقط مني أنا وهوديني وأمه . وأقول ان هذه الكلمة لو كانت أبلغت اليه قبل مماته لغيرت مجرى حياته »

البينة تثبت

وتضمنت الرسالة أموراً أخرى تختص بداخلية الأسرة ، وقد تأكدت مسز هوديني من صحتها . ثم لم يسمع بعد ذلك شيء حتى شهر نوفمبر من تلك السنة حيث بدأت تعقد سلسلة جلسات أعطيت خلالها رسالة هوديني الشفرية . واستغرقت هذه الجلسات شهرين ونصف شهر مع أنها كانت ثماني فقط ، وكانت الكلمة الأولى التي أعطيت هي روزابل Rosabelle . وأعطيت في الشهر التالي كلمة أخرى هي « أنظري » وقال فلتشرانها الكلمة السادسة في الرسالة الشفرية . ثم أعطيت عدة كلمات أخرى . وفي الجلسة الأخيرة التي انعقدت في يناير سنة ١٩٢٩ ، قال فلتشر: « هنا رجل يقول انه هاري هوديني ولكن اسمه الحقيقي اريش فايس Ehrich Weiss وهو يرغب أن ترسلوا الى زوجته بيتريس هوديني الرسالة الشفرية ذات الكلمات العشر التي اتفق معها على أدائها اذا تيسرت له سبل الاتصال . ويقول خذوا اليها هذه الرسالة حتى اذا ما آمنت بصدقها سلكت الخطة التي اتفقا عليها معاً قبل انتقاله . وهذه هي الرسالة الشفرية : روزابل — أجيبي — قولي — صلي — أجيبي — أنظري — قولي — أجيبي — أجيبي — قولي ! »

وقد أعلن هوديني أن هذه الرسالة الرمزية لا يعرفها أحد إلا هو وزوجته ، وأنه لا يعرفها أحد غيرها فوق الأرض ، وقال : « اني لأعلم انها ستكون سعيدة لأننا كلينا لم نكن نصدق مكنة ذلك »

ولم يكن هذا خاتمة حديث هوديني لأنه أصر على أن تحضر مسز هوديني جلسة مع آرثر فورد . وبعد ان أعاد على سمعها خلال الوسيط الرسالة الرمزية ردت عليه برسالة رمزية أخرى لا يفهمها غيرها . والرسالتان الرمزيتان (الشفريتان) يعطيان معاً كلمة واحدة فقط . وهذه الكلمة هي فحوى الرسالة التي يريد ابلاغها ، وقد أبى أن يذكر هذه الكلمة حتى تتم مسز هوديني الرسالة الشفرية برسالة شفرية من عندها هي النصف الثاني للرسالة كلها التي يريد الادلاء بها ، وذهب اثنان من الحاضرين الى مسز هوديني وأبلغاها الرسالة التي تسلماها ، ويلاحظ أن الحاضرين كلهم كانوا أغراباً بالنسبة لها

قالت مسز هوديني « إنها صحيحة » ووعدت أن تنفذ ما يريده زوجها ، وعلى مقتضى الخطة التي رسمها . وعلى ذلك ذهب آرثر فورد الى دار مسز هوديني وهناك عقد جلسة غيوبية . وما ان تكلم فلتشر حتى أعلن عن حضور هوديني وعن رغبته في إعادة الرسالة وإكمالها . وفعلا أعاد

الكلمات . وقال فلتشر مخاطبها «يقول هوديني ان الرسالة رمزية ومكتوبة بشفرة اصطلحنا عليها. وهو يريد أن يعلم منك أصادقة هي أم لا »

قالت مسز هوديني وهي ترجف : « نعم إنها صادقة »

قال فلتشر : « انه يطلب اليك أن تخلعي عن إصبعك خاتم الزواج وأن تخبري الحاضرين معنى كلمة روزابل »

فنزعت خاتمها وغنت على الفور أغنية حب قصيرة تتألف من أربعة أبيات من الشعر وتدور كلها حول كلمة روزابل . وهي كما يلي :

« روزابل ، حبيبتي الحلوة روزابل ! أحبك حباً يجل عن الوصف . لقد رميتني بسحرك واني لأحبك يا روزابل ! »

وبعد ذلك قال فلتشر : « انه يقول أشكرك يا حبيبتي ، ويضيف الى ذلك أن المرة الاولى التي سمعتك فيها تغنين هذه الاغنية كانت في المعرض الاول الذي مثلنا فيه معاً منذ سنين »

فوافقت مسز هوديني على ذلك

قال : « انه يبتسم وها هو يريني صورة ويسحب ستارة جانبياً ويقول إنك سحبت ستارة هكذا »

ويظهر أن هذا كان جزءاً من عملهما الخاص فوق المسرح لأنها قالت على الفور : « أنا الذي جذبت الستارة هكذا ، وما كان أشبهها اذ ذاك بستارة الموت التي أزيحت الآن »

قال فلتشر : « انه يقول ان الكلمات التسع التي تجاوز كلمة روزابل تعني بالشفرة المتفق عليها بينكما كلمة واحدة ، وان القراءة الاخيرة لهذه الكلمات هي : روزابل آمني ــ فهل هذا صحيح ؟ »

ففاضت دموع مسز هوديني وقالت : « نعم إنه صحيح »

وعندئذ ختم هوديني حديثه باعترافه القاطع بإيمانه قال : « أخبري الدنيا كلها أن هاري هوديني حي، وأنه سيبرهن على أنه حي ألف مرة أخرى . إنني الآن أحطم السلاسل التي تقيدني، وسأحجمنها في النهاية . أخبري كل أولئك الذين فقدوا إيمانهم بسبب غلطتي أن يفتحوا لأنفسهم من جديد باب الامل على مصراعيه ، وأن يعيشوا في دنياهم وهم يعلمون أن الحياة مستمرة متواصلة »

لك الله يا هوديني ، فلأنت اليوم أبلغ منك حياً !

ومنذ تلك اللحظة التي أعلنت فيها مسز هوديني أن الرسالة صادقة أصبحت هدفاً لمطاعن ومثالب كثيرة . ويقول فرانسيس فاست انهم حاربوها « بجميع الأسلحة ــ من الرشوة الى التهديد بدفع إتاوة والا الثلم والتشهير »

وقامت احدى الصحف الأمريكية فنشرت قصة خيالية ادعت فيها أن فورد اعترف أمام ثلاثة

من محررها بان الرسالة قد عرفت بطريق التدليس . وأن الشهود قد رشوا فشهدوا زوراً . ولكن مسز هوديني وقفت إذ ذاك موقف المرتاب النزيه ، ولم تجد بداً من القول بأن الرسالة هي المتفق عليها ، وكتبت اعترافها المنشورة صورته بالزنكوغراف وفيه تقول ما ترجمته :

« بقطع النظر عن جميع البيانات المخالفة أعترف بان الرسالة التي أعطانيها آرثر فورد ، في جملتها وفي تسلسلها المتفق عليه ، هي الرسالة الصحيحة التي سبق لي أنا وهوديني أن أعددناها معاً »

NEW YORK CITY
JAN. 9TH, 1929.

REGARDLESS OF ANY STATEMENTS MADE TO THE CONTRARY, I WISH TO DECLARE THAT THE MESSAGE, IN ITS ENTIRETY, AND IN THE AGREED UPON SEQUENCE, GIVEN TO ME BY ARTHUR FORD, IS THE CORRECT MESSAGE PRE-ARRANGED BETWEEN MR HOUDINI AND MYSELF.

Beatrice Houdini

WITNESSED,
Harry R. Zander
Minnie Chester
John W. Stafford

اعتراف مسز هوديني ممهوراً بامضائها وعليه امضاءات الشهود

تأبى انكار الرسالة

وحينما ألح عليها أصدقاؤها المقربون أن تنكر الرسالة لأن الاعتراف بها يذهب بجميع جهود زوجها قالت : « ان ما تم هو الذي أراده مني أن أصنعه ، وها أني قد صنعته . ولا شيء يغير اعتقادي وايماني الا اذا ثبت لدي الضد بشكل ما »

واتهمها العارضون بأنها خانت عهد زوجها وأظهرته للناس بمظهر الأحمق الأخرق ، فرأت أن ترد على تلك التهم والدسائس التي تدس لها . ولهذا بعثت الى الصحفي الأمريكي الشهير ولتر ونشل Walter Winchell بالخطاب القيم التالي :

« عزيزي مستر ولتر ونشل

« لا أبغي من وراء خطابي هذا شهرة فلست في حاجة اليها ، وانما أريد أن يعرف أصدقاء هوديني القدامى انني لم أخن له عهداً بل كنت عند حسن ظنه بي . وانني أكتب اليك أنت شخصياً هذا الخطاب لأنني أريد أن أؤكد لك انني لم أشترك في أي خداع ولم أساهم في أي تدليس . وأنهي اليك بخصوص تلك الجلسة الروحية انني منذ سنين وأنا أضرع الى الله وأبتهل ان أتلقى تلك الرسالة من زوجي . وكنت أتسلم كل يوم في غضون هاتين السنتين رسائل من جميع أنحاء المعمورة . فلو كنت أبغي شهرة لاخترت دون شك احدى تلك الرسائل المثيرة للعواطف . وحينما أنكرت تلك الرسائل واستنكرتها لم يفتح أحد فمه بكلمة الا كاتبوها ، فقد قالوا انني لم أجد من قوة أعصابي ما يجعلني أقرر الحق

« ولكن لما جاءت الرسالة الحقيقية ، وهي التي اتفقت أنا وهوديني عليها ، وقبلتها لأنها هي الرسالة الصادقة ، قوبلت بصيحات الهزؤ والسخرية . فلماذا ؟ ان أولئك الذين نددوا بالأمر كله قائلين إنه خداع وتدليس ادعوا انني أدليت الى مستر فورد بالرسالة . فاذا كان مستر فورد يقول

ذلك فانى أسمه بالكذب . ولقد أنكر مستر فورد بشدة انه قال هذا القول القبيح الشائن ، وانى لأميل الى تصديقه لأنى أعرف حق المعرفة ذلك الصحفى الذى كتب هذا

« ولقد قال آخرون ان الرسالة كانت شائعة يعرفونها من زمن . ولعمرى لا أدرى لماذا هم يقولون لى ذلك الآن على حين أنهم كانوا يعرفون أن قلبي يتحرق شوقاً لتلقى الكلمات الحقيقية من زوجي ؟ أما ما قيل عنى من الأقاويل الكثيرة فلست أملك وسيلة لاخبار العالم ما اذا كانت هذه القصص صادقة أم كاذبة ، لأنى لا أجد تحت تصرفى صحيفة تلبى طلبى . ولكل رأى هومبديه عن كيفية حصولى على الرسالة . وما كان لى أن أناقش هذه القصص المختلفة المتباينة كلها . ومع ذلك فحينما يتهمنى أى شخص بأنى بحت بالكلمات المتفق عليها بينى وبين زوجي المحبوب ، وهى الكلمات التى أجهدنا نفسينا طويلا فى وصفها لكي تقتنع بصدق مناجاة الأرواح ، فانى سأحارب وأحارب حتى تنقضى أنفاسى . واذا ادعى شخص أنى بحت بالشفرة فكل ما أستطيعه إزاءه هو أن أكرر أنه كاذب . ولماذا أريد أن أخدع نفسى ؟ إنى لست فى حاجة الى شهرة ، ولستُ أرغب فى اعتلاء خشبة المسرح ، ولا فى القيام برحلة أحاضر فيها كما تقول إحدى الصحف

« لقد يسر لى زوجي أرقه سبيل للعيش فلست فى حاجة لمال جديد . ولقد حصلت على الرسالة التى كنت أنتظرها من زوجي المحبوب . واذا لم أكن حصلت عليها بالطريق الروحى ، فليت شعرى بأى طريق حصلت عليها إذن ؟

« والآن وقد أنبأت العالم بأنى تسلمت الرسالة الصحيحة ، فكل فرد من هؤلاء يدعى أنه كان يعرف الشفرة ، ولكنه أحجم عن إخبارى بها . وقد تركوا كلهم المسألة لمستر فورد لكى يقوم هو باخبارى ، ثم بعد هذا أنهم بأنى أنا الذى أدليت بالكلمات . فيالهذا الخلط العجيب !

« وفى الختام أقول إن الله سبحانه يعلم ، وهودينى وأنا نعلم ، أننى كنت عند كلمتى له . وما كان لى فى الواقع أن أعنى بغيره فى هذا العالم ، ولكنى قد عنيت بشكل ما ، ولذا حررت هذا الخطاب »

لجنة السينتفك أميركان

والآن قد يسأل سائل وما علاقة هذا كله بالسينتفك أميركان ولجنة محكميها ؟ وقبل الرد على هذا السؤال لا بد من كلمة توضيح قصيرة . فالواقع أن هذه المجلة ومشايعيها يهاجمون الروحية فى غير نزاهة قصد وفى جرأة وتبجح . وهل بعد إنكار الأمر الواقع شيء ؟

لقد شكلت هذه المجلة لجنة محكمين من غلاة المعارضين للمذهب الروحى لكى يحكموا فى قضية الروحية وظواهرها . وأعلنت عن جائزة مالية للوسيط الذى يحكم المحكمون بأنه حقق هذه الظواهر . والظاهر أن السينتفك أميركان كانت هازلة فى جائزتها تلك . أيدرى القارىء

لماذا ؟ لأن خمسة من محكميها الستة ألفوا وكتبوا في الروحية ، وقد ألف بعضهم أكثر من ثلاثة كتب . وإخال أن السادس قد كتب أيضاً ولكن الحظ لم يسعدني بالعثور على شيء له . والأدهى من هذا أن أحد هؤلاء المحكمين قد اتهم زميلا له في اللجنة بمحاولة الغش والتدليس لتكون له الغلبة في مطاردة الوسطاء . وقد تحدثت عن هؤلاء المحكمين واحداً واحداً في مقدمتي للترجمة العربية التي قمت بها لكتاب « ظواهر حجرة تحضير الارواح » لمؤلفه الطبيب الدكتور باورز أستاذ الامراض العصبية في جامعة منيابوليس بأمريكا . ثم أيدري القارىء من هو ذلك العضو الذي اتهم بالغش والتدليس ؟ إنه صاحبنا هوديني غفر الله له . أما الثاني وهو الذي وجه الاتهام فهو الاستاذ مالكولم بيرد Malcolm Bird العالم المتبحر في العلوم الرياضية ، وعضو جمعية البحوث النفسية الأمريكية وأحد رجال السينتفك اميركان نفسها !



هاري هوديني الساحر الامريكي

ولقد مر بنا كيف أن هوديني كان في مماته أصدق منه في حياته ، وكيف برح به الندم على ما فرط منه مما لا ينفع معه هوس العارضين الآن للروحية ولا مدحهم هوديني ووصفه بأنه « ملاك النقمة السال سيفه فوق رؤوس الدجالين » حتى ولو كان المادحون ألف واحد وواحداً من أمثال الكاتب اللبق السيد « فيليب حتى »

بين هوديني وبيرد

كان هوديني في مطاردته الوسطاء الروحيين صغيراً جداً وقاسياً قسوة وحشية كما يقول الدكتور باورز . ولعل أظهر مثل للغدر والخبث هو ما قدمه عند ما حاول التنديد بالوسيطة القادرة الشهيرة مارجري زوجة الطبيب الدكتور كراندون ، وكشف خداعها الموهوم . ونترك تفصيل ذلك لمستر بيرد فقد قال في كتابه القيم « مارجري الوسيطة » ما يأتي :

« لن أعلق باسهاب على رواية هوديني لما حدث في جلسة الوسيطة مارجري وقد كان حاضراً فيها . والواقع أنه شاهد جملة أحداث لم يستطع أن يقدم لها تفسيراً سوى أنه قد أجرى مثلها . ونظراً لأنه لما لم يجد بداً من التسليم بصدقها اضطر لتقديم تفسيره هذا

« وفي خلال الجلسة التي دق فيها الجرس الموضوع في الصندوق أخذت صورة فوتوغرافية ظهرت فيها المواضع النسبية لجميع أيدي الحاضرين وأقدامهم ، وللصندوق وما الى ذلك ، كما ظهرت فيها أبعاد الصندوق . وحينما جاء هوديني ليدلي بتفسيره المحكم التلفيق عن كيفية حدوث ذلك الدق وجد أن الصورة الفوتوغرافية لا تتفق معه أبداً ولا تنطبق عليه بتاتا . ولذا رسم بالقلم

والحبر صورة تخطيطية غير فيها حجم الصندوق وموضعه فزيف بهذه الوسيلة الوقائع كل التزييف

« ولن أدلى هنا ببيان تفصيلى عن الغش الذى حاول هودينى ارتكابه مع هذه الوسيطة فى زيارته الثانية لها . وأكتفى بان أقول ان شخصاً ما قد أحدث خللا فى صندوق الجرس فجعله يحتاج لكى يدق الى ستة أمثال الضغط المعتاد ، وان شخصاً قد وضع عمداً فى قفص الوسيطة مسطرة مفصلية طويلة لكى يظهر للناس انها انما حاولت دق الجرس بها . ولقد اتهمت أنا نفسى هودينى كتابة وفى مواجهته بهذه الأعمال العدوانية الآثمة فلم يدافع قط عن نفسه . وكان مسلكه الشخصى فى هذه الجلسات أن يحول دون الحصول على بينة إيجابية تدل على الجرم الحقيق ، ولكن كان واضحاً كل الوضوح أن مارجرى لم يكن فى وسعها إتيان شىء من هذا حيث لم تكن لديها فرصة لاتيانه »

ويقول الطبيب الدكتور باورز إنه قد حدث فى هذه الجلسة ان ولتر Walter (الروح المهيمن على الوسيطة وهو روح شقيقها المتوفى) عندما حضر أعلن على الفور انه لن تحدث ظواهر فى تلك الليلة . ويروى أنه قال :

« افتحوا الخدر تجدوا فى ركن الصندوق مسطرة مطوية قد وضعها هودينى خلسة فيه ، يريد بذلك تكذيب الوسيطة باظهار التزييف فى أعمالها . وهو سيدعى بعد انتهاء الجلسة ان أخى قد أخفت هذه المسطرة فى فرجها ، ومهما كان سيتم من نقل الاشياء دون واسطة مادية ظاهرة فانه كان سيدعى انها تمت باستخدام المسطرة »

ثم وجه الكلام الى هودينى قال :

« انك يا هودينى تريد أن تجعل من هذا المكان جحيما فلا تحضر الى هنا مرة أخرى »

وما من حاجة الى القول بان الجلسة رفعت بعدئذ والاضطراب سائد ، وتلك كانت حيلة معروفة شائعة بين الغالبية العظمى من السحرة الذين يلجأون لأية وسيلة مهما كانت حقيرة ودنيئة لكى يكذبوا وسيطا ويندوا به

وبعد فهل ذكرت السينتفك أميركان رأى رجلها الأستاذ بيرد ؟ كلا انها لم تنشر شيئاً وسكتت لتلقى فى روع قرائها أنها ربحت قضيتها الخاسرة وما كان هذا ليتفق مع البحث العلمى النزيه فى شىء

الواقع ان هذا التحكيم كان مهزلة علمية وكان مأساة خلقية

فيا لضيعة العلم ويا لضيعة الاخلاق !

أحمد فهمى أبو الخير

الأقاصيص العجيبة

لصديق الشرق لافكاديو هيرن

بقلم الاستاذ علي أدهم

من اسباب تعقد الاحوال العالميـة فى العصور المتأخرة وتكاثر المشـكلات التى استأثرت بالنصيب الاوفر من مجهودات ساسة الامم واقطاب الحكومات ، الاحتكاك الدائم بين الشعوب المختلفـة والاجناس المتباينة والقوميات المتناكرة ، وقد يسرت الحضارة الحديثة وسائل التنقل ومهدت اسباب التقرب بين الامم المنتشرة فى نواحى الكرة الارضية ، ولكنها لم تستطع مع ذلك التغلب على العزلة الروحية وتلطيف أثر الفوارق الجنسية والخلافات القومية ، ويبدو ذلك فى صورة بارزة عند احتكاك الشرقيين بالغربيين ، وقد كان أكبر عائق فى طريق التفاهم المتبادل وتهوين اسباب الخلاف وتقريب وجهات النظر قوما من الاوربيين وكدهم أن ينظروا الى الشرقيين نظرة ازدراء وتنقص وهمهم استغلال الشرقيين والانحاء عليهم واذلالهم والتنديد بعيوبهم وتعرف مقاتلهم ، وكان يزين لهم جهلهم المطبق وغرورهم الصفيق ان الشرق عاطل من كل فضل مجرد من كل مزية ، وان أمره لا يستقيم وفساده لا يصلح الا اذا احتذى الغرب فى كل جليل ودقيق ، وأدار الطرف نحوه فى كل خطوة من خطواته وتنازل عن شخصيته ونبذ تقاليده

> لافكاديو هيرن ، أو « ياكوموكو يزومى » كما سمى نفسه باللغة اليابانية مستشرق ايرلندى الاصل ، أحب الشرق ، وتغنى بمحاسنه وأدرك حكمته ، وطاف بكثير من مدنه ، واستقر فى اليابان ، وهناك أحب فتاة يابانية ، فتزوج منها ، وتجنس بالجنسية اليابانية . وله لون جديد فى الاستشراق ، ومؤلفات كثيرة عن اليابان منها هذا الكتاب الذى سماه Kwaidan أو الاقاصيص العجيبة

ويمكن أن نعدد ثلاثة أنواع من أنواع التفوق كان يكثر من ترديدها الغربيون فى مجال المفاخرة والادلال ، ويعلنونها فى ثقة عمياء وادعاء عريض كأنها حقائق مقررة لا يأتيها الباطل ولا يتسرب اليها الشك ، أولها ادعاء التفوق الشعبى وذلك الاعتقاد الوهمى بمزايا الجنس الابيض ـ وبخاصة الجنس الابيض النوردى ـ وتفوقه على سائر الاجناس ، وقد ظهر فى أوربا بعض المفكرين اشتطوا فى تلك النظرية وأسرفوا فيها اسرافا ينم على التعصب الذميم وضيق العطن فضلا عن المغالطة وسوء القصد ، ومنها الاعتداد بالسيادة القائمة على تفوق الغربيين فى العلوم الطبيعية ومظاهر التقدم الذى أوجدته والاعتقاد بأن تخلف

الشرقيين فى أمثال هذه المسائل المادية المحضة أوضح دليل على تحلل أخلاقهم وانثلام عزيمتهم وهبوط مستواهم العقلى ، وثالثها الاعتقاد بالتفوق الدينى واعتبار الشرقيين الذين لا يدينون بالدين المسيحى قوما وثنيين لا قيمة لعقائدهم ولا غناء فى دينهم وان معتقداتهم ان دلت على شيء فانما تدل على ضعف الحاسة الاخلاقية وضيق الخيال والتعلق بالاوهام والخرافات

وقد أظهر الشرقيون من ناحيتهم انهم ميالون الى الاستفادة من حضارة الغرب الصناعية المادية ، وأبوا أن يسلموا بتفوق الغرب الاخلاقى ، وكان هذا من أسباب الكراهة المتبادلة والنفور المشترك

وقد كانت اليابان من أسبق الامم الشرقية الى اقتباس أساليب الغربيين والاغتراف من حضارتهم ولكنها ظلت مع ذلك محافظة على شرقيتها مستمسكة بتقاليدها ، وللشرقيين كما للغربيين اعتداد بأنفسهم واعتزاز بماضيهم ، فبعض الهندوس مثلا يعتقدون ان الروحية الحقة لم تظهر الا بأرضهم المقدسة ، والصينيون يعتقدون ان حضارتهم هى أرقى حضارة

وقد نشأت الى جانب الحضارة الاوربية الحضارة الامريكية ، وهى ولو انها مستمدة من الحضارة الغربية وقائمة على أساسها ولكنها مع ذلك لها مميزاتها وخصائصها وهى تمثل فى مجموعها نظرة نفعية للحياة وتؤمن بالقوة الآلية والقدرة الصناعية ، وقد جعل ذلك بعض الاوربيين الذين تبرموا بمادية حضارتهم يتجهون صوب الشرق ، وقد رأى هؤلاء ان أوربا قد بالغت فى العناية بحقائق الطبيعة وأهملت حقائق الحياة الداخلية حتى تمكن منها مرض القوة وداء المادية

والعلاقات بين الغرب والشرق فى العصر الحديث أكثر تعقيدا وتشعبا مما كانت فى عهد الدولة الرومانية ، لان الشرق الآن لا يشمل الشرق الادنى وحده ، وانما يشمل كذلك الشرق الاقصى ، وقد أخذ الشرقان يرفعان الرؤوس ويظهران الانفة من الخضوع والاستسلام ، وكان ذلك نتيجة محتومة لما عانياه من عنت الاستعمار وأخطاء سياسة بعض الامم الغربية ، وفى طليعة الامم التى صمدت للغربيين وتحدت ارادتهم اليابان ، وقد ظهر فى الغربيين حب التغلب والرغبة فى السيطرة وبسط النفوذ مزودا بالاسلحة الحربية الحديثة والوسائل العلمية فلم يكن لليابان بد من اتخاذ نفس هذه الاسلحة لتدفع عن نفسها غائلة الفقر المادى والمطامع الاوربية

وقد عمل فريق من الغربيين ذوى العقول الراجحة والقلوب الكبيرة والانسانية السامية المتعالية فوق الفوارق الجنسية والمذهبية على تقريب وجهات النظر بين الشرق والغرب وبذلوا جهودا موفقة لفهم العقلية الشرقية عن طريق الدراسات التاريخية واللغوية ، وقد أنارت بحوثهم أفكار الغربيين وصححت الكثير من مقاييسهم ، وقد شوه من جمال هذه الحركة بعض التشويه ان بعض الذين انتظموا فى سلكها كان يكمن وراء محاولاتهم العلمية غايات سياسية خفية وتعصبات مذهبية دينية شأن كل حركة كبيرة تلتقى فيها النزاهة بالمصلحة ، ولهذه الحركة فضل كبير فى احياء الحركات الفكرية فى الشرق وتعويد الشرقيين

أساليب البحث الحديث وطرائقه العلمية

على ان هناك لونا آخر من ألوان الاستشراق ، وأقصد به مجهود هؤلاء الكتاب الاوربيين الذين أعجبوا بالشرق اعجابا عظيما وشادوا بمآثره وتغنوا بمحاسنه واستطاعوا بلطف حسهم وصدق طبعهم أن يشخصوا الكثير من خصائص الشرق ويدركوا جانبا من حكمته ويلموا بنواح مختلفة من عقائده وأساليب تفكيره ، وقد فسر بعض هؤلاء الكتاب الروح الشرقية فى بادىء الامر تفسيرا خياليا ملونا بألوان غريبة ، وكان هذا التفسير الخيالى يعنى بالمظاهر ولا يتجه الى ما وراءها ، فالشرق كان فى نظر بعض هؤلاء الكتاب مهبط السلام والسكينة ومسرح الجمال والبهجة ومستراد الحياة السهلة المترفة والاحلام الذهبية ، ولكن سرعان ما ظهر فى آثار هؤلاء الكتاب طبقة أخرى اصح تقديرا ، وقد عرف كثير من افراد هذه الطبقة الشرق معرفة دراية وخبرة ودراسة عميقة منظمة ، وفى طليعة هؤلاء الكاتب الكبير لافكاديو هيرن

ولد لافكاديو هيرن فى ليكاديا بالجزر اليونانية فى ٢٧ يونيو سنة ١٨٥٠ وكان والده طبيبا ارلنديا فى الجيش الانجليزى ، وكانت أمه يونانية ، ومات أبواه فى صغره ، فتبنته احدى عماته وأنشأته نشأة دينية ، ولكنه سرعان ما أدرك انه لا يصلح ليكون من رجال الدين لميله الى التفكير والشك ولما يغلب على طباعه من المرح وحب الحياة والحركة ، وفى التاسعة عشرة من عمره رحل الى أمريكا ليجرب حظه ويكون مستقبله ، وزاول الصحافة مرة مصححا فى احدى الجرائد وأخرى مخبرا لجرائد شتى ، ثم التحق بهيئة تحرير احدى جرائد مدينة أورليان الجديدة ، وبدأت تظهر مواهبه ويتضح فنه وظل بها حتى سنة ١٨٨٧ ، ثم رحل الى جزائر الهند الغربية التابعة لفرنسا ، ولم تطل بها اقامته فقد ارتحل منها الى اليابان فى سنة ١٨٩٠ ، وهناك شعر بتقارب فى المزاج والنظر الى الحياة بينه وبين اليابانيين ، فتزوج من يابانية ودخل فى الديانة البوذية وتجنس بالجنسية اليابانية ، وتسمى باسم « ياكومو كويزومى » وعين استاذا للادب الانجليزى فى جامعة طوكيو وظل بها حتى أدركته الوفاة فى ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٠٤

واقامته الطويلة فى بلاد اليابان ، ومرونة عقله وشفوف أسلوبه وخياله الشعرى ، مكنه من أن يكون من أقدر مفسرى الروح اليابانية للغرب ، وقد ألم بالحياة اليابانية من جميع نواحيها الاجتماعية والسياسية والدينية ، وقد ترجم الى الانجليزية الكثير من الامثال اليابانية والاساطير والاشعار ووصف المناظر الطبيعية والحفلات الدينية والعادات المألوفة والتقاليد المتبعة وصفا شائقا ، وكتبه العديدة عن اليابان مراجع ثمينة ووثائق قيمة لمن يريد أن يعرف اليابانيين معرفة عميقة ويلم بعقائدهم الماما واسعا ، ومن أمتع كتبه كتابه الذى سماه « كويدن Kwaidan » أو الاقاصيص العجيبة وهو مجموعة من الاساطير اليابانية أضفى عليها من فنه وبث فيها من روحه ما زادها تعبيرا ودلالة على النفسية اليابانية وطبيعة معتقدات اليابانيين ، وقد اخترت من كتابه الاساطير الآتية وتحريت فى اختيارها الايجاز

(١) أقصوصة أوشيدوري

كان في ناحية تامورانوجو من أعمال مقاطعة متسي صياد ومربي بزاة اسمه سنجو ، ففي ذات يوم خرج يصطاد فلم يصب شيئاً ، وفي أثناء عودته الى منزله رأى عند مكان اسمه أكانوما زوجا من البط ذكرا وانثى ـ اسمه باليابانية أوشيدوري ـ سابحين معا في النهر الذي كان يهم باجازته ، وكان قتل هذا النوع من البط مكروها ، ولكن سنجو كان قد بلغ منه الجوع مبلغا كبيرا فرمى زوج البط فأصمى السهم ذكر البط وفرت الانثى الى الحلفاء النابتة في الشاطىء الآخر واختفت ، وحمل سنجو الطائر القتيل الى منزله وجهزه لطعامه

فرأى في نفس الليلة حلما مفزعا ، فقد خيل اليه ان امرأة حسناء جاءت الى غرفته ووقفت الى جانب وسادته وأخذت تبكي بكاء مرا حتى شعر بان قلبه يكاد يتقطع حسرات لبكائها ، ثم صاحت به : « لماذا قتلته ؟ أي ضرر أصابك به ... لقد كنا سعيدين معا في أكانوما فجئت وأرديته ! أي اساءة بدرت منه اليك ؟ أتدري ما فعلت وأي جرم وحشي ذميم ارتكبت ؟ لقد قتلتني معه لانني لا أرغب في الحياة بعده ، ولقد أتيتك لاخبرك بذلك » ثم عاودت البكاء والنحيب ، وكان نشيجها يخترق عظامه ، ثم قالت له بعد أن أنشدت شعرا في رثاء زوجها : « أنت لا تدري ماذا صنعت ، ولكنك عندما تذهب في الصباح الى أكانوما سترى » وبعد أن قالت ذلك عادت أدراجها وهي باكية

ولما استيقظ سنجو في الصباح بقي هذا الحلم ظاهر المعالم في ذاكرته وأخذ يفكر في كلماتها وقولها « عندما تذهب في الصباح الى أكانوما سترى » وصمم على أن يقصد الى هناك توا ليدرك حقيقة ما رآه في الحلم ، ويعرف أكان ذلك حلما أم أكثر من حلم ، ولما اقترب من شاطىء النهر أبصر أنثى البط سابحة في الماء متجهة نحوه وهي تحدق اليه تحديقا غريبا ، ثم شقت صدرها بمنقارها وماتت ازاء عينه

بعد ذلك حلق سنجو شعر رأسه وصار كاهنا

(٢) أقصوصة جي روكي زاكورا

في ناحية واكيجوري من مقاطعة ايو شجرة كريز عتيقة مشهورة اسمها جي روكي زاكورا أو شجرة كريز اليوم السادس عشر ، لانها كانت تزهر وتتفتح في اليوم السادس عشر من الشهر الاول من كل عام وكانت لا تزدهر الا في ذلك اليوم على خلاف عادة سائر أشجار الكريز التي لا تزهر ولا تنضر الا في الربيع ، وكانت جي روكي زاكورا تستمد الازدهار والنضارة من حياة ليست في الاصل حياتها اذ كانت تقيم في تلك الشجرة روح انسان

كان هذا الرجل من طبقة المحاربين وكان اسمه ايو ، وقد نمت الشجرة في حديقة منزله وكانت تورق وتزهر كل عام في الوقت العادي أي في أوائل الربيع وقد لعب تحت

ظلالها وهو طفل ، وقد علق آباؤه وأجداده بفروعها الفينانة شرائط بيضاء من الورق الملون مكتوبة بها اشعار مدح فصلا بعد فصل وجيلا فى آثار جيل ، وهو نفسه قد أوغل فى الشيخوخة وعاش بعد أولاده ولم يبق له فى الدنيا شيء يعزه ويؤثره بحبه سوى تلك الشجرة ، وحل الصيف فى عام من الاعوام فذبلت الشجرة وماتت ، فاشتد عليها حزنه وطال جزعه وتفجعه ، فبحث جيرانه المشفقون عليه عن شجرة كريز أخرى صغيرة وجميلة وجاءوا بها وغرسوها فى حديقته ظانين انه سيتسلى بذلك وينسى مصابه ويسلو الشجرة القديمة ، فشكرهم وتظاهر بالسرور ، ولكنه كان يخفى فى قلبه ألما داميا ، فقد كان حبه للشجرة الميتة حبا لا ينسى ولا تعفى عليه الايام

وأخيرا خطرت له خاطرة سعيدة ، وتذكر طريقة تعيد الى الشجرة الذابلة حياتها (وكان ذلك فى اليوم السادس عشر من الشهر الاول) فذهب منفردا الى حديقته وجثا أمام الشجرة الذاوية ، وأخذ يناجيها قائلا : « أتوسل اليك أيتها الشجرة ، أن تتقبلى دعائى وتعودى الى الحياة والنضارة ، لانى سأفديك بروحى » (وكان يعتقد ان الانسان يستطيع أن يهب حياته الى أى شخص آخر أو أى مخلوق كائنا ما كان ولو كان شجرة بارادة الآلهة) ثم نشر تحت الشجرة قطعة من القماش الابيض عليها مطارف عدة وجلس فوقها وانتحر على طريقة المحاربين عند اليابانيين (هاراكيرى) فحلت روحه فى الشجرة وجعلتها تزهر فى التو واللحظة

ولا تزال تزهر فى كل عام فى اليوم السادس عشر من الشهر الاول فى فصل الشتاء

(٣) أقصوصة أوتل

من أزمان طويلة خلت كان يعيش فى مدينة نيجاتا بمقاطعة اشيزين رجل اسمه ناجاو شوزى ، وكان والده جراحا ، وقد تعلم مهنة أبيه وخطبت له وهو فى نعومة أظفاره ابنة أحد أصدقاء أبيه واسمها أوتل ، واتفقت الاسرتان على أن يكون الزفاف بعد أن يتم ناجاو دراسته ، ولكن صحة أوتل أخذت فى الضعف وفى الخامسة عشرة من عمرها أصابها سل مميت ، ولما شعرت بدنو الاجل أرسلت الى ناجاو لتودعه الوداع الاخير

ولما ركع أمام فراشها قالت له : « يا خطيبى ناجاو ساما لقد كنت خطيبتك منذ طفولتك ، وكنت سأغدو زوجتك فى ختام هذا العام ، ولكنى سأقضى الآن نحبى والآله أدرى منا بما ينفعنا ، ولو اننى استطعت أن أعيش أعواما لكنت مبعث آلام واحزان لغيرى اذ لا استطيع بهذا الجسم الواهن الضعيف ان أكون ربة منزل ، وحتى لو أردت أن أحيا من أجلك لكان ذلك منى محض أنانية ، فأنا مستسلمة للموت راضية بحكم القضاء ، وأريد أن تعدنى بأن لا تحزن من أجلى وأن أفضى اليك بأن أكبر ظنى هو اننا سنلتقى ثانية »

فقال لها ناجاو باهتمام : « حقيقة سنلتقى ثانية هنالك فى تلك الارض الطاهرة النقية حيث لا يروعنا الفراق »

فأجابته في رقة : « لا، أنا لا أعنى تلك الارض الطاهرة النقية ، أنا أعتقد اننا مقدر لنا اللقاء ثانية في هذه الدنيا ولو أنني سأدفن غدا »

فنظر اليها ناجاو نظرة تعجب وذهول ، ورآها تبتسم لتعجبه ، واسترسلت تقول في لهجتها الرقيقة الحالمة : « نعم انا أعنى هذه الدنيا - في حياتك الحالية ياناجاو ساما على شريطة أن تريد ذلك ، ومن أجل أن يتم ذلك ، يجب أن أولد طفلة من جديد ، وأتدرج في النمو حتى أصبح امرأة ، ولذا عليك أن تنتظر خمسة عشر او ستة عشر عاما ، وانه لوقت طويل أيها الزوج الموعود ، ولكن سنك لا تتجاوز تسعة عشر عاما »

فقال لها في لين ورفق وهو يحاول أن يهون عليها ساعتها الاخيرة : «ان الانتظار من أجلك يا خطيبتي واجب استعذب القيام به وأجد فيه سرورا أيما سرور ، وسنبقى مرتبطين بعضنا ببعض حتى وجودنا للمرة السابعة »

فأجابته وهي تراقب وجهه « ولكنك تشك في الامر »

فأجابها « انى أشك يا عزيزتي لانى أخشى أن أعجز عن معرفتك وأنت في جسم آخر وباسم غير اسمك ، خبريني عن علامة أو اشارة أعرفك بها »

فقالت له « لست أملك ذلك ولا يدرى الا الآلهة والبوذات أين نلتقى ، ولكنى واثقة كل الثقة بأنى سأعود اليك اذا كنت لا تزال راغبا في لقائى ، فتذكر هذه الكلمات جيدا »

ثم سكتت عن الكلام وأطبقت جفنيها

وكان ناجاو يحب أوتل حبا خالصا فحزن عليها حزنا عميقا ، وصنع لوحة صغيرة ونقش عليها اسمها وحفظها في داره ، وكان يقدم لها القرابين كل يوم ، وأطال التفكير في الحديث الغريب الذى حدثته به قبل مماتها ، ولكى يسر روحها الراحلة كتب وعدا خطيرا بأنه سيتزوجها اذا عادت اليه في جسد آخر ، وختم هذا الوعد المكتوب بختمه ووضعه الى جانب اللوحة

وكان ناجاو الابن الوحيد لابيه ولذا كان من اللازم أن يتزوج ، ووجد نفسه مكرها على طاعة أمر أسرته ومرغما على قبول الزوجة التى اختارها له أبوه ، وبعد زواجه منها بقى على عادته في تقديم القرابين ازاء اللوحة ولم ين عن ذكر أوتل ولم يفتر حبه لها - ولكن على توالى الايام أخذ حبه لها يضمحل في ذاكرته حتى صار يشبه حلما من الصعب استحضاره واستعادة معالمه ومرت على ذلك السنون

وفي غضون تلك الاعوام أصابته أرزاء وخطوب ، ففقد والديه ، ثم فقد زوجته ، وفجع في ابنه الوحيد ، وألفى نفسه في الحياة وحيدا ، فهجر داره الحالية ليقوم بسياحة طويلة ينسى بها آلامه ويطفىء وقدة أحزانه

ففي يوم من الايام وقد أفضت به الاسفار الى مدينة أكاو المشهورة بينابيعها الحارة وجمال مناظرها دخل في خان للمبيت ، فجاءت اليه فتاة صغيرة لتقوم بخدمته فشعر

عندما وقعت عينه عليها بأن قلبه ينبض نبضا ويثب وثبا لم يعهده من قبل ، فقد كانت الفتاة تشبه أوتل شبها غريبا الى حد أنه شك في وجوده واتهم حواسه وخال نفسه في حلم ، ولما تولت عنه لاعداد الطعام والوقود وتنظيم الغرفة كانت كل حركاتها تعيد في نفسه ذكرى عذبة شهية،ذكرى تلك الفتاة المحبوبة التي عقد له عليها في صباه ، فطارحها الحديث فأجابته بصوت واضح رقيق أحزنته رقته وذكرته حزن الايام السالفة

فقال لها في تعجب ودهشة « أيتها الاخت ، انك تشبهين فتاة عرفتها في الايام السالفة وقد دهشت عند دخولك الغرفة في أول مرة فسامحي فضولي اذا سألتك عن موطنك وعن اسمك »

فأجابته في الحال بصوت خطيبته الميتة غير المنسي « اسمي أوتل وأنت ناجاو ساما زوجي الموعود ، وقد مت منذ سبعة عشر عاما وكتبت أنت وعدا بأنك تتزوجني اذا أنا عدت الى الحياة في هذه الدنيا بجسم آخر ، وختمته بختمك ووضعته في بيتك الى جانب اللوحة المنقوش عليها اسمي ، ومن أجل ذلك عدت اليك ثانية »

ولما فاهت بهذه الكلمات سقطت مغشيا عليها

تزوجها ناجاو وكان زواجهما سعيدا ولكنها لم تتذكر بعد ذلك ماذا قالته له ردا على سؤاله الذي وجهه اليها في أكاو ، ولم تتذكر شيئا عن حياتها السالفة ، ونسيت مولدها السابق الذي أشعلت ذكراه الخابية ساعة اللقاء الغريبة ، وأخذت هذه الذكرى في الغموض والخفاء ، وبقيت كذلك غامضة مبهمة

علي أدهم

النفوس الصغيرة

ـ هناك فئة من المصريين جعلوا اليأس علة عدم العمل ، وعلة الكسل ، فان سألتهم لم لا تقومون بعمل عمومي نافع للبلاد اجابوك نحن يائسون من مستقبل الوطن ، فبالله كيف يستطيع طبيب ان يحكم على عليل بعدم الشفاء قبل ان يفحص داءه ويعطيه الدواء

هي النفوس الصغيرة التي يخلق عندها الامل بكلمة أو بتلغراف ، ثم يستولي عليها اليأس بكلمة أو بتلغراف . اما النفوس العالية الكبيرة فيدوم فيها الامل ما دام الدم في العروق وما دامت الحياة . واي حياة ترضاها النفوس الشريفة مع اليأس . ايجمع المرء في جسم واحد الموت والحياة

مصطفى كامل

الهرم الأكبر

للاستاذ احمد محرم

سَلِ (الهرمَ) المخلّد بعد (خوفو) | أيضرع للخُطوب ويستكينُ ؟
خصيمُ الدّهرِ تستعصى ذُراهُ | على ما كانَ منهُ ، وما يكون
يُزلزلُ راجفَ الاحداثِ منه | وقورٌ في زلازِلها رَزين
فتى الدّولاتِ يُلهمها هداها | ويوقظها إذا غفتِ العيون
وينهى المالكينَ ، فلا غرورٌ | إذا قهروا الشعوبَ ، ولا فتون
نصيحٌ لا يغش ولا يُداجى | وقاضٍ لا يَضل ولا يخون
حِمى (فرعون) دُمر كل عالٍ | وهيبٌ بناؤهُ العالى المكين
تمر بهِ العصور فتستسرٌّ | يحاذر أن تَراه ومستبين
بناء العبقريةِ فى صِباها | بناء شبابها اللبق الفطين
تَدين له الصّواعق ، وهو راسٍ | بمصطدمِ الصواعق لا يدين

أبو الهول

أبو الهولِ راسٍ فوق مقعد عزّه | تهم إلى الشعرى بعصرَ مناكبه
أسرّت اليه حاجة النفسِ ، فانبرى | يخاطبها فى شأنها وتخاطبه
وألقت عليه كفّها ، وهو رابضٌ | يُراقب من آمالها ما تراقبه
له نظرات يرجف الدّهر حولها | وترهبها أحداثه ونوائبه
وما غلبَ الأقوام من ذى أريكةٍ | مهولِ القوى، إلا (أبو الهول) غالبه
أقام يهد المالكين ، إذا هوت | لهم دولة ، ألوت بأخرى جوانبه
يُطل على الآفاق ، والكون كله | مشارقه مذعورة ومغاربه
رماها به (فرعونُ) حتى إذا رَمى | هوى ملكه الأعلى، وزالت مواكبه
وعى من أحاديثِ الدهور وأهلها | حقائقَ لم ينبىء بها السفر كاتبه
ولن تجهلَ الأجيال تأريخ أمة | صحائفه أحشاؤه وترائبه
مثالك يا غولَ الممالكِ ناطقٌ | بما غاب عنّا بين جنبيك غائبه
طويت من الأسرارِ ما ذاع كله | فلم يبق إلا مركبٌ أنت راكبه



العلم والعالم

دراسة جديدة عن الحياة فى المريخ

يعكف جماعة من علماء الفلك « المتصوفين » على مراصدهم ليجيبوا عن هذا السؤال الذي أهمهم منذ عهد بعيد : هل الحياة مقصورة على هذه

حياة الانسان على الارض . فقد رأى خلال مرصده شبكة هندسية دقيقة من الخطوط الضيقة المستقيمة تصل بين بقع سوداء منتشرة على سطح الكوكب .



انسان المريخ كما يصفه الفلكيون

الصخرة الصغيرة التى يعيش عليها الانسان ، وهل هذه العوالم التى كشفتها المراصد ويبلغ عددها الآن ٦٠،٠٠٠،٠٠٠ عالم — هذا الى ملايين أخرى من العالم لما تبلغها المناظر الحالية خلو من الحياة ؟

واشهر هؤلاء العلماء الاستاذ « برسيفال لويل » الذي أقام بسهول « أريزونا » الامريكية مرصدا يدرس فيه المريخ ، فانتهى الى ان هذا الكوكب حافل بالحياة التى لا تفترق كثيرا عن

فقدر ان هذه الخطوط قنوات تجرى فيها المياه الى الواحات القائمة وسطح صحارى المريخ المقفرة وتبدو هذه القنوات واضحة فى أثناء فصل الربيع « المريخى » فاذا أقبل الصيف هناك أخذت هذه الخطوط تسود من أطرافها القطبية حتى تختفى جميعا عند خط الاستواء المريخى . وتظهر فى هذه الجداول الضيقة المياه المتسابة اليها من الطبقات الجليدية التى تغطى قطبى المريخ كما تغطى قطبى الارض ، وتتضح هذه المياه كلما

خضرت الارض الواقعة على شطآنها بما يكسوها من المزروعات في فصل الربيع . ويعتقد لويل أن هذه القنوات صناعية وقد شقت بأيدي سكان المريخ . وهم على جانب كبير من الذكاء مكنهم من مكافحة طبيعة المريخ القاسية حتى استطاعوا ان ينشئوا لانفسهم حياة على سطح كوكبهم . وتدل هذه الشبكة الدقيقة من القنوات التي يبلغ مجموع أطوالها عدة آلاف من الاميال ان سكان هذا الكوكب يقاربوننا في المعرفة العلمية والتنظيم الاجتماعي

على ان فريقا كبيرا من العلماء رأى أن نظرية لويل تقوم على أساس من التخيل والافتراض وأخذوا ينكرونها طويلا حتى جاءت البحوث الاخيرة مؤيدة لنظرية الحياة في المريخ معززة آراء لويل في أكثر أجزائها . وأهم هذه البحوث ما قام به الدكتور « تيودور دونهام » الفلكي بمرصد كليفورنيا وأذاع نتائجه منذ أسابيع قليلة وقد قال فيه ان الحياة ممكنة في أي كوكب مادام بعده عن الشمس مناسبا ، فانه ان كان شديد القرب منها حالت حرارتها دون قيام هذه الحياة ، وان كان عظيم البعد منها لم يستطع الحيوان ان يحتمل برودته الشديدة . وكذلك يجب ان يكون حجم الكوكب وثقله مقاربين لحجم الارض وثقلها حتى تكون حركة دورانه مناسبة للاحياء العائشين على سطحه . وهذه الشروط متوافرة في المريخ فليس ثمة ما يمنع قيام الحياة فيه

ويرى دونهام ان قوة الجاذبية في المريخ أقل منها في الارض بمقدار كبير . ولما كان ثقل هذه القوة هو الذي يعوق حركة الانسان ، فانه يرجح أن تكون حركة الانسان المريخي خفيفة نشيطة جدا . وهو يقول ان الفيل في المريخ يقفز ويجري بخفة الغزال على الارض . وان حجم الانسان هناك يبلغ حجم الانسان الارضي ثلاث مرات . أما قوته فقدر قوته ٢٧ مرة ، برغم ان أطرافه لينة ضعيفة كأطراف الطفل ، وذلك لضعف الجاذبية مما لا يقتضيه قوة عضلية كبيرة في السير أو في العمل . ولما كان الماء نادرا في أكثر شهور السنة . فان بطنه عظيمة جدا لانها تحتوي على عدة معدات ، واحدة منها للهضم والباقيات لاختزان المياه في فصل الري لفصول الجفاف . وصدره أضخم من صدر الانسان لان رقة الهواء الذي يتنفسه يقتضيه أن يستنشق منه كمية كبيرة ، وكذلك رأسه ضخم وأذناه عريضتان

وكذلك أثبت دونهام ان قطبي المريخ مكسوان بطبقات جليدية ، وانها تذوب في الربيع وتتجمد في الخريف ، وان أرضه تضرب الى اللون الاحمر فيما عدا واحات تنتشر هنا وهناك ويضرب لونها بين الزرقة والخضرة الا في فصل الصيف فانها تسود قليلا . وأثبت وجود شبكة من الخطوط الدقيقة تصل بين هذه الواحات الخضراء ، وأجاز أن تكون قنوات تجري بالماء وسط صحاري المريخ

نصف المخ لا فائدة منه

تكشف جراحة المخ الحديثة عن الاعاجيب . فمن كان يخطر له أن الجراح يستطيع أن يقتطع بمشرطه جزءا كبيرا من هذا المخ الذي يسيطر على حركات الانسان وعلى احساسه وعلى تفكيره دون أن يسبب أعصابه أو أعصابه أي أذى أو اضطراب؟ فلقد استطاع أحد الجراحين أن يقتطع نصف المخ الايمن كله ، لان دملا كبيرا سرى فيه وعطل وظائفه ، ثم ملأ نصف الجمجمة الذي أفرغه بمحلول دافيء من الملح ، فشفي المريض شفاء تاما لا يعتريه فيه أي ضعف أو شلل !

وقد أثبتت التجارب التي أجراها الاستاذ بيرون ستوكي جراح المخ بمعهد العلوم العصبية في نيويورك ان نصف مخ الانسان لا فائدة منه ! بل أثبت ان اكتفاء الانسان في بعض الحالات بنصف مخه خير من الابقاء على مخه كله !

أزال هذا الجراح البارع بمبضعه أحد جانبي الجزء الامامي من المخ ، أي من الجزء الذي تتركز فيه قوة الذكاء والتفكير ، فكانت النتيجة ان كثيرا ممن أجريت لهم هذه العملية الخطرة صاروا أسرع الى فهم الامور والى ابداء رأيهم فيها مما

كانوا حينما كانت أمخاخهم كاملة لم يقربهما الجراح . ومن الغريب انه وجد ان ازالة نصف المخ أصلح وأجدى من ازالة ربعه فحسب ، وان النصف الباقي أقدر على التفكير من ثلاثة أرباعه! ومما لاحظه ان ازالة أحد نصفي الجزء الامامي لا يؤذي الانسان ، ولكن ازالة جزء من كل من النصفين معا يترك المرء مصابا بحالة عصبية تتميز بالقلق والتغافل وعدم الاكتراث .

دم الانسان ليس وراثيا

من أسوأ الظواهر العلمية في السنوات الاخيرة تسخير العلماء في خدمة الساسة ، مما يؤدى الى احدى نتيجتين : اما اضطهاد العلماء المخلصين الذين يؤثرون الحقيقة العلمية على كل شيء مهما كان عظيما ، واما خضوع العلماء لسطوة الساسة وتزويرهم الحقائق العلمية ترويجا لمذاهبهم واتقاء لشرورهم .

فهذه نظرية « تفوق الجنس الآرى » التي قامت دعامة من دعائم السياسة النازية ، قد وجدت من العلماء من يلفق لها الحقائق ويزور لها البيانات اما مشايعة لرأيه السياسي على حساب ضميره العلمي ، واما استسلاما لسطوة الحكام الاقوياء الذين يكرهونه على ذلك اكراها . فنجد من هؤلاء العلماء من يحاول تبرير هذه النظرية « بيولوجيا » بادعائه ان الاجناس تختلف في دمائها ، وان كل سلالة يجرى في أجيالها نوع معين من الدماء .

ولكن الحقيقة المجردة على نقيض هذا تماما . فالطفل لا يرث قطرة واحدة من دماء أمه ، ذلك ان دم الحامل لا يختلط بتاتا بدم الجنين . والطفل يكون دمه بنفسه ، وتبدأ هذه العملية قبل مولده بثمانية أشهر ، ويظل طحاله طول هذه المدة مثابرا على انتاج الكريات الحمراء والبيضاء التي يتألف منها الدم . ثم يتباطأ الطحال في العمل بعد الميلاد فلا ينتج الكريات الحمراء ، بل يجعل من نفسه مقبرة تأوى اليه ما يبلى من هذه الكريات . وكذلك يشترك نخاع العظم مع الطحال في انتاج الدم اللازم للجسم منذ أن يكون جنينا



لا اختلاف بين الدماء التي تجرى في عروق الساميين والآريين والحمر والصفر والسود ، فكأنما كلها تنبع من قلب واحد وتصب في عروقهم على السواء

وتختلف مادة دم الطفل غالبا عن مادة دم أمه . وبالاحرى عن مادة دم أبيه . واذن فالوراثة ليست من العوامل المؤثرة في الدم . ومن الادلة الملموسة على ذلك انه في عملية نقل الدم للجرحى قد ينقل الى الرجل الابيض دما من رجل زنجي أسود أو صيني أصفر أو امريكي أحمر . والجراح لا يراعى في هذه العملية أجناس الناس ولا ألوانهم . وانما يراعى المواد المركبة منها دماؤهم وغالبا لا يتفق دم الابن مع دم أحد أبويه ، بينما يجد دما موافقا له من رجل يختلف عنه جنسا ولونا وقارة واصلا . هذا وليس للدم أي تأثير في لون البشرة ، ولو ملئت عروق زنجي بدم انجليزي لما ابيضت بشرته قليلا ، هذا الى ان الدم المنقول لا يبقى في الجسم أكثر من شهر يستهلك في أثنائه ويحل محله دم ينتجه الجسم . هذا ولا تعيش كرة الدم الحمراء غالبا أكثر من شهر واحد . ويفقد الجسم كل يوم قرابة ٣٠ ./. من كراته الحمراء

الطبقة الوسطى في اليابان

أهم مظاهر الحياة في الاقطار الصناعية الحديثة وجود طبقة وسطى ذات قوة هائلة في توجيه دفة السياسة وتكييف شئون الاقتصاد . ومع ان اليابان في مقدمة الدول الصناعية الا ان هذه الطبقة المتوسطة لم تظهر جليا بين الطبقتين الكبيرتين: العليا والدنيا . فليس في اليابان من يدفع ضريبة ايراد سوى نصف مليون نسمة ، مع ان هذه الضريبة تجبى ممن يربح ١٢٠ جنيها أو اكثر كل عام . ومع هذا فالحكومة لا تجبى شيئا قليلا لان في اليابان أفرادا يبلغ ربحهم السنوى ٣٠٠,٠٠٠ من الجنيهات

ولا يتجاوز عدد ملاك الارض في اليابان مليون نسمة ، أما عدد من يفلحون هذه الارض فيبلغ نصف عدد سكان الدولة . ولا يقدم الملاك لهؤلاء الفلاحين ما يلزمهم من البذور أو الادوات أو المال ، بل ولا من المعاونة والارشاد لانهم لا يقيمون في اراضيهم ، بينما هم يستولون على ٥٠ ./. أو ٦٠ ./. مما تنتجه املاكهم . فهم كملاك العصور الوسطى ، يعيشون متطفلين على مجهود الطبقة الدنيا من الفلاحين والعمال

ومن أبرز مظاهر الحياة الاقتصادية هناك ان الجزء الاكبر من الثروة ومن مرافق الانتاج في أيدي أسرات معينة ، مثل أسرة « ميتسوى » التي تؤجر في مصانعها ٨٠,٠٠٠ من العمال ، يستغلون ما تملك من مناجم الحديد والفحم والذهب وما تدير من شركات البواخر ومصانع الحرير والورق ويزرعون ما لها من مزارع فسيحة لانتاج القطن والمطاط والشاى والزجاج ، فضلا عما تملك من مصارف ومنشآت مالية عظيمة . و ٧٠ ./. من ثروة اليابان في يد ثلاث أسرات فحسب ، واليها الفضل في انشاء صناعة اليابان وتجارتها في سنوات قلائل . ولكن استئثارها بمرافق الثروة قد أدى الى هذا العسر الشديد الذي تعانيه غالبية الشعب هناك

المصرى قصير العمر

في القرن الثامن عشر كان متوسط طول عمر الانسان ٣٥ سنة . فزاد في القرن التاسع عشر الى ٤٥ سنة . أما الآن فهو ٦٠ سنة للرجل و ٦٤ سنة للمرأة . ومع ذلك فالانسان لا يعمر الآن قدر ما كان يعمر في الماضي . وتعتقد شركات التأمين على الحياة ان أقصى سن يبلغه الانسان هو ١٠٦ سنة ، وفي الولايات المتحدة الامريكية لا يبلغ سن المائة سوى ثلاثة اشخاص من كل مائة ألف نسمة

ومع ان المصرى ولود الى حد غريب . الا أن المرض يلتهم نسله بصورة مروعة . فان نسبة المواليد في مصر زهاء ٤٥ وليدا لكل ألف شخص، بينما تبلغ هذه النسبة في بريطانيا ١٧ وفي فرنسا ١٨ وفي ألمانيا ١٩ . أما نسبة الوفيات فتبلغ ٣٥ شخصا في كل ألف من السكان المصريين . فكانت النتيجة ان متوسط عمر المصرى قصير الى حد غريب، فهو للرجل ٢٤ سنة وللمرأة ٢٧ سنة. فاذا قدرنا ان الرجل لا يبدأ عملا نافعا الا في

سن الثامنة عشرة ، فان المصرى لا يعمل ولا ينتج الا مدة ست سنوات فحسب . أما متوسط عمر الرجل فى ألمانيا فهو ٥٦ سنة ، وفى انجلترا ٥٥ سنة وفى فرنسا ٥٢ سنة وفى ايطاليا ٤٩ سنة ، بل انه فى الهند ٢٤٫٧ سنة . فنحن نلد كثيرا ولكن نعمر قليلا ، فهل لنا أن نتساءل أيهما الافضل : ان يلد الانسان شخصا واحدا يبلغ سن الخمسين ، أم يأتى بخمسة اولاد يموتون جميعا فى سن العاشرة ؟!

الانفلونزا : وباء الشباب

تكثر الصحف العلمية الآن من ذكر الانفلونزا لان كثيرا من الباحثين فى تاريخ الطب يتوقعون ان يصاب العالم بوبائها قريبا . ومنهم من يعلل ذلك بأن هذا الوباء يأتى فى أعقاب الحروب الكبرى ويدلل على ذلك بما وقع فى أواخر الحرب الماضية من انتشار الانفلونزا فى جميع بقاع العالم . ومنهم من يرى أن وباءها ينتشر كل عشرين سنة فقد عم العالم فى سنة ١٨٨٩ . ثم أعاد عليه الكرة فى سنة ١٩١٩ ، وعلى ذلك فقد آن لجراثيمه ان تعبث فى جو الارض فى كل مكان

والذين يقولون بالرأى الاخير يذكرون ان احصاءات الوفيات تثبت ان ٨٥ ٪ ممن يموتون من الانفلونزا هم من الشبان والفتيات الذين يتراوح عمرهم بين السابعة عشرة والاربعين سنة ، أى فى السن التى يبلغ فيها الجسم أقصى منعته من الاصابة بالامراض وأقصى قوته على مقاومة ما يتتابه منها . ولما كانت الانفلونزا تجد مرتعها الخصيب فى مثل هذه الاجسام القوية ، فانها كلما فتكت بها انتظرت عشرين سنة حتى تتهيأ لها أجسام أخرى مثلها ترتع وتعبث فيها

على انه اذا كان فينا من يفرق من ان هذه السنة تجمع العاملين معا ، عامل وجود حرب وعامل مضى عشرين سنة ، الا ان له ان يطمئن الى أن الطب الوقائى قد ارتقى منذ الحرب الماضية رقيا عظيما ، سوف يمكن العالم من مقاومة هذا الوباء مقاومة فعالة

وجوه صناعية

ضحايا الحرب الماضية

خلفت الحرب الماضية فى امريكا وحدها قرابة ألف رجل بغير وجوه كاملة ، أى بوجوه أطيرت بعض أجزائها ، فتركت منهم من لا يرى ومن لا يشم ومن لا يتكلم ومن لا يمضغ ومن لا يبتلع . فقام الجراحون يحاولون اصلاح هذه الوجوه المشوهة بامدادها بما أطارته منها القذائف والنيران ، فأخذوا يصنعون من المطاط أنوفا وحلوقا وفكوكا بل وجلودا ، فضلا عن العيون واللحى والشوارب الصناعية

وكان الجراح الذى يريد أن يرقع وجها مشوها يلجأ الى صورته السابقة ليستدل منها على هيئة ذلك الانف أو تلك الاذن ، وقد ينجح الجراح حينئذ فى صنع عضو يشبه العضو المفقود ، أو يصنع عضوا جديدا يغير طلعة الانسان تغييرا تاما !

ولا شك فى ان هذا العمل من أسمى أعمال الطب ، كما ان هذا التشويه من أبشع آثار الحروب . فان الوجه المشوه هو أكبر عقبة تعترض طريق الانسان فى الحياة ، فتحول بينه وبين العمل الذى يعيش منه ، وبينه وبين الزوجة أو الصديقة ، وتنفر منه الناس فيأبون صداقته ، وتنغص عليه جميع اسباب الحياة . ولهذا فان اصلاح هذه الوجوه المشوهة يؤثر تأثيرا نفسيا عميقا ، ويفتح صدور أولئك الضحايا البائسة لما بقى لهم من الايام فى هذه الحياة القاسية .

وقد قال أحد أولئك الاطباء القائمين بهذه العمليات انه لم يشهد سرورا يعادل سرور أولئك المساكين عندما يستعيدون طلعاتهم الاولى ، بل ان منهم من ينتهز هذه الفرصة لاصلاح ما كان فاسدا فى وجهه الاول ، كهذا الذى صنعت له بشرة ملساء بدلا من بشرته الاولى التى كانت مشوهة بآثار الجدرى !

أدب الحرب

تدفع الحياة العصبية الانسان فى هذه الآونة الى ألوان معينة من الآداب ، من شأنها أن تخيل اليه أن ساحات الحروب ليست مثابة آلام ومبعث فواجع ، بل ميدان فسيح يلتمس فيه السلوى عن حياته الراكدة والعزاء عما منى به من اخفاق فى عهود السلام . وأمتع هذه الالوان الادبية هى أقاصيص الجاسوسية التى تخلق فى أذهان قرائها جوا من البطولة والمغامرة ، هذا الجو الذى لا يعرفه الجندى الحديث الذى يعيش فى عصر الحروب الآلية ، كما عرفه الجندى القديم الذى ذاق لذة المجازفة ومعنى الفداء فراح الكتاب يغذون خيالاتنا بقصص الجاسوسية التى تتطلب من الجرأة اكثر مما تتطلبه الحرب

ولهذا تحفل المكتبات الاوربية فى هذه الايام بشتى التآليف عن الجاسوسية ، ومنها ما ينحو نحو الخيال وحده ، ومنها مايتخذ مادته من التاريخ ومن أهم هذه الكتب ما وضعه الجاسوس الفرنسى « روبرت بوكار » وصدر بالانجليزية باسم « الخدمات السرية فى أوربا » وترجع قيمته الى ان مؤلفه اقتصر على ذكر الوقائع الثابتة دون ان يلجأ الى سوق الروايات واختلاق الاحداث ، ومع هذا فقد دل كتابه على صدق المثل القائل : ان من الواقع ما هو أغرب من الخيال

وهل أغرب من قصة ذلك الشاب الالمانى الذى تخرج فى الجامعة والتحق بالجيش ، فأبلى فيه بلاء حسنا ارتقى به فى درجاته ومنح رتبة « كابتن » الممتازة . ثم اصطفاه « روبرت » أمير بفاريا وأحد قادة الجيش الالمانى أمينا لاسراره ، حتى اذا أرادت ألمانيا التسليم كان أحد مبعوثيها الى جيوش الحلفاء للتفاوض والتهادن .. وبعد ذلك كله يتبين ان هذا الجندى كان أجيرا لانجلترا يمدها بالانباء العسكرية الدقيقة ، مقابل مبلغ طائل من المال يعيش به حتى اليوم عيشة البذخ والكسل التى قد ينقصها تأنيب ضميره على ما اقترفه من خيانة الوطن فى أحرج الاوقات

وهل أغرب من قصة « الكابتن هيلمر » الالمانى ، الذى ظهر على غرة فى لاتفيا حينما اجتاحتها كتائب الجيش الاحمر ، فألف جيشا من قوات دول البلطيق ومونه بالاموال التى جاد بها الشعب والاغنياء ، فصد الجيش الروسى وصار حاكما على لاتفيا . ولما أعلنت الهدنة استدعته ألمانيا بناء على طلب فرنسا ولكنه رفض العودة ، بل استدعى الى جانبه ثمانية من قواد المانيا وجمعا من ضباطها وعينهم رؤساء لجيشه الجديد الذى أخضع لاتفيا وأغار على استونيا وأراد به تأليف دولة كبرى تخضع لامره . وسك عملة وطبع « بنكنوتا » باسمه وسار سيرة الحكام المستقلين . فاضطرت بريطانيا ان تسير اليه بارجتين ، واضطرت فرنسا ان تجرد عليه حملة عسكرية لتعاون لاتفيا على التخلص من سطوته . فتنكر فى زى شحاذ وهرب الى هولندة وحينذاك قام عبد الكريم أمير الريف بثورته ، فاجتاز فرنسا يريد الذهاب الى مراكش لمساعدة الزعيم العربى ، ولكنه وقع فى قبضة الشرطة الفرنسية ونقل الى احد المستشفيات جريحا ، فلم يلبث أن فر هاربا الى لاتفيا حيث وقع فى يد الشرطة الالمانية ، ولا يدرى أحد الى أين انتهت هذه القصة الغريبة

هذه بعض القصص التى يشتمل عليها هذا الكتاب الشائق ، والذى يعد خير سلوى وعزاء يقرأه المرء فى هذه الايام

لماذا يضطهد اليهود ؟

اذا عددنا جرائم الحرية فى العصر الحديث وجدنا من بينها مشكلة اليهود تجاه المانيا النازية . فمنذ أسابيع قال هتلر فى خطابه : ان من أولى غاياتنا من هذه الحرب ان نخرج اليهود من أوربا ! فهل ثمة ما يبرر لزعيم الريخ ان يذهب فى حنقه على اليهود الى هذا المدى ؟ هذا هو الموضوع الذى يعالجه المؤرخ الاجتماعى «بيتنفيلد» فى كتابه الحديث عن « الالمان واليهود »

وقد كان فى الماضى للشعوب القديمة والمتوسطة ما يبرر مسلكها فى اضطهاد اليهود . فالمسيحيون يعتقدون انهم كادوا للمسيح وشيعته وان عليهم يقع وزر صلبه . وكذلك يعرف المسلمون انهم عادوا رسولهم وآذوه وائتمروا بأنهم واسلافهم ولهذا كان اضطهاد اليهود فيما مضى اضطهادا دينيا له ما يبرره من الروح السائد فى تلك العصور .

اما اضطهاد اليهود فى العصر الحديث فيرجع الى اسباب اقتصادية . وهى استئثارهم بكثير من المرافق المالية والتجارية التى تدر الربح العظيم دون أن تقتضى عملا شاقا ، على خلاف الاعمال الزراعية والصناعية التى تتطلب الجهد والمشقة ولا تأتى الا بأزهد الارباح . ولكن هل اليهود مسؤولون عن هذا ؟ يلقى هذا الكاتب الباحث تبعة هذه الحالة على بعض الشعوب الاوربية التى كانت تأنف من الاعمال التجارية فتترك ساحتها خالية ليستعمرها اليهود

فألمانيا التى تثور اليوم باليهود وتنكل بهم لانهم امتلكوا كثيرا من مرافق التجارة واعمال المال ، ظلت دهرا طويلا وهى تزدرى التجارة وتترفع عن اسواقها ليسمو ابناؤها الى مرتبة جنود الجيش أو ملاك الارض ، وبينما كان الالمانى مندفعا الى احدى هاتين الرتبتين المحرمتين على اليهودى . كان هذا المسكين جاهدا فى سوق التجارة حتى أيسر واثرى . فأى لوم فى هذا على اليهود حتى يلقوا ما يلقون من النكال ؟ وكذلك الامر فى أعمال الصحافة والتمثيل والموسيقى التى ترفع عنها الالمان وتركوها لليهود الضعاف

وكتاب « الالمان واليهود » هو أوفى بحث كتب فى هذا الموضوع الخطير . وهو يبين أن عدوان هتلر على الشعب اليهودى لم يكن الامقدمة لعدوانه على الشعوب الضعيفة ، ويبحث نظرية « الآرية » بحثا علميا واجتماعيا دقيقا يبين أخطاءها ومغالطاتها ، ويدرس النفسية الالمانية المتناقضة فى اعتقادها ان المانيا خلقت لتحكم العالم وتسوده وانها فى الوقت نفسه مستضعفة مظلومة لان الدول الاخرى لا تمكنها من السيطرة على العالم كما تهوى

مهمة جوبلز

تاريخ النازية أصدق دليل على قوة تأثير الدعاية . فهؤلاء الزعماء الذين نشأوا نشأة مجهولة ثم لم يلبثوا بين عشية وضحاها أن امتلكوا زمام شعب من أكبر شعوب العالم ، دون ان يكون لهم من مؤهلات الحكم وملكات السياسة ما يؤهلهم لهذه المهام الخطيرة ، انما اعتمدوا على الدعاية النشيطة العنيفة التى استهوت بل خدرت الشعب الالمانى فاسلمهم قياده وسار امامهم كما يسير القطيع امام راعيه

وبطل الدعاية فى المانيا هو الدكتور جوزيف جوبلز . وهو رجل موهوب فى فن الدعاية الى أبعد مدى . وما نحسب ان دولة من الدول وجدت داعية عظيما فى مثل ملكته وكفاءته . ولهذا كان له أعظم نصيب فى تشييد النازية وتدعيمها ، كما يبدو من كتابه الذى صدر اخيرا بالانجليزية معنونا باسم « نصيبى فى كفاح المانيا »

تقرأ هذا الكتاب فتروعك فيه هذه « الحيوية » الدافقة التى يتأجج بها صدر هذا الرجل . هى

حيوية الرجل الذى تحكمه اعصابه الحادة العنيفة ، والتى تكاد تصيبه « بصرعات » غريبة هى سر قوته ومصدر ابتكاره . فهو يتحدث مثلا عن هذه المهمة الخطيرة التى ألقاها عليه هتلر فى جلسة هادئة فى سنة ١٩٣٢ ، وهى مهمة « وضع برنامج لتعليم الشعب الالمانى تعليما من شأنه ان يجمع كل القوى المؤثرة فى الشعب فى يد واحدة مطلقة السلطة والتصرف » ولا شك ان هذا العمل من أخطر واعظم الاعمال ، فلو أفلح جوبيلز فى تحقيقه لدانت ألمانيا لهتلر واعوانه . ولهذا يقول جوبيلز : « ألقى على عبء هذا العمل . انه ميدان فسيح تتجاوز حدوده مقدرة كل انسان . انه عمل هائل يتطلب تحقيقه انفاق العمر فى جهد متصل وصبر عظيم . ويتطلب قوة ذهنية جبارة ومقدرة تامة على ادارة وسائل الدعاية الحديثة ، ادارة تشمل الشعب جماعة جماعة وفردا فردا » وقد توفق جوبيلز الى تحقيق هذه الغاية كما تدل على ذلك دلائل الحياة الالمانية التى يسيرها النازى وفق رغائبهم سيرة لا يرضاها أى شعب سوى الشعب الالمانى

ولا شك فى ان جوبيلز هو استاذ الدعاية فى العالم . ولكنه لا ينكر انه استمد كثيرا من ارائه فى الدعاية من زعيمه هتلر . والواقع ان كتاب « كفاحى » يدل على ان هتلر من أكبر خبراء الدعاية . وهو الذى يقول : « فى وسعك ان تجعل الشعب يظن السعير جنة والجنة سعيرا ، اذا أنت كررت عليه هذا القول مثابرا مخلصا »!

الروح الفنلندية

هؤلاء الذين تروعهم الروح الفنلندية ببسالتها وجرأتها فى الكفاح القائم بينها وبين العدوان الروسى ، سيجدون خير تصوير لهذه الروح الفذة فى رواية القصصى الفنلندى « أنتو سيبانن » التى صدرت بالانجليزية أخيرا

تروى قصة « بيت ماركو » هذه تاريخ الكفاح الفنلندى فى سبيل التحرير من نير الحكم الروسى الجبار منذ الثلث الاخير من القرن الماضى حتى تحقق استقلال فنلندا فى أعقاب الحرب الكبرى الماضية . ويتناول كل جزء من اجزائها الثلاثة مرحلة من مراحل هذا الكفاح العنيف الذى يتجلى فيه روح هذا الشعب الذى انحدر من الجبال الوعرة ثم نشأ وسط الغابات الرهيبة

وبطل القصة رجل ريفى يعيش بين الحقل والغابة هذه العيشة القاسية التى عرفتها فنلندا تحت حكم روسيا . فهى عيشة « الاقطاع » التى تخلصت منها أوربا الغربية منذ عدة قرون ، والتى لم يبق لها أى أثر منذ قامت الثورة الفرنسية الكبرى . اما روسيا « الاقطاعية » فقد فرضت هذا النظام على تابعتها فنلندا ، فأبقت هذا الشعب دهرا طويلا يعانى الوان الفقر والجهل والذل ، وتقوم فى طريقه نهضته الخرافات والاساطير التى تلازم دائما هذا النظام الاجتماعى العتيق . ثم يصور هذا الرجل وقد أيسر وأثرى منذ أن امتدت الطرق الحديدية بين بطرسبورج وهلسنكى ففتحت له بابا من ابواب الرزق الوفير بتمكينه من توريد الاخشاب الى العاصمة . فلما أثرى ابتاع كثيرا من املاك المقاطعة التى نشأ فيها وآل على نفسه ان يجعلها مقرا صالحا جميلا لاخلافه الفنلنديين لا يشاركهم فيها احد من الروسيين الدخلاء . وهنا يصور القصصى الفنلندى روح هذا الفلاح الذى يصله بالارض اوثق صلة ، والذى يحمله على التضحية والفداء

والقصة عمل أدبى عظيم . يبدو فيه امتزاج الروح المسيحى الذى يسيطر على الفنلنديين سيطرة عميقة ، بهذا الروح السمح اليسير الذى تتميز به كافة شعوب أوربا الشمالية . وهذا القصصى الفنلندى يعيد الى الاذهان استاذه العظيم « تولستوى » سواء من ناحية فنه القصصى أو من ناحية طابعه الخلقى . وتمثل القصة كذلك روح التشاؤم والاستماتة الذى يعمر القلب الفنلندى فيدفعه الى التضحية غير آسف أو محزون .

رسائل لورنس

بل ان الجاسوس الانجليزى لورنس هو اعجب رجل ظهر فى القرن العشرين . والواقع ان مغامراته فى الاقاليم العربية ، وتوفقه الى اشعال الثورة فيها . وتأليبها على تركيا وخليفتها وجمعها تحت لواء الحلفاء فى الحرب الماضية ، عمل رائع من أغرب مغامرات الجاسوسية ، رغم ان قوة لورنس لم تكن تعمل وحدها فى هذا الميدان الفسيح ، بل آزرتها فيه قوات أخرى من الدهاء السياسى ومن السخاء بالمال

وقد صدر أخيرا سفر عظيم اسمه « رسائل سرية من الجزيرة العربية » يشتمل على الوثائق والاسانيد التى تتعلق بأعمال لورنس فى تلك المناطق . وهو كتاب ضخم تباع النسخة العادية منه بأكثر من ثلاثة جنيهات « ثلاثة وستون شلنا » وتباع النسخة الممتازة منه بخمسة عشر جنيها !

وهذه الرسائل هى خير دراسة لحملة اللنبى على فلسطين ، وخير توضيح لمأساة الشريف حسين وتضحيته . وعرض « رسمى » للقضية العربية فى ذلك العهد ، علاوة على ما يلمسه القارئ من المتعة وهو يطالع مغامرات هذا الجاسوس الذكى الجرئ ، الذى تدل جميع الدلائل على انه كان مخلصا للقضية العربية راغبا اشد الرغبة فى الوفاء بما قطعه من العهود لرجالها وزعمائها

الشاعر الانجليزى بيرون

هل هو أحد المسئولين عن الحرب ؟

هذا سؤال غريب . ولكن نجد من يجيب عنه بالايجاب !

فقليل من الشعراء من يشارك اللورد بيرون فى تأثيره فى اكثر الآداب الاوربية . فهو استاذ جماعات كبيرة من الشعراء والادباء فى فرنسا والمانيا واسبانيا وروسيا واسكندناوه . وهو بطل الحركة « الروماتيكية » فى الادب الاوربى الحديث ، هذه الحركة التى سيطرت على الحياة الفكرية دهرا طويلا ، الى ان ازالها عن مكانها الاول الادباء الواقعيون المعاصرون . وبيرون — كما قال عن نفسه — هو « نابليون الشعر » ، فكان أثره عميقا وشاملا جميع الاداب الاوربية الكبرى

ولكن أثر بيرون أثر نفسى اكثر منه أثرا أدبيا . فما هو هذا الاثر ؟ هو بث روح التشاؤم التى تدفع الى الاستماتة . والواقع ان حياة بيرون مأساة من اعظم المآسى . فقد كان يشعر فى قرارة نفسه انه رجل آثم وان عليه ان يضحى تكفيرا عن خطيئته . ولعل مصدر ذلك هو هذه العلاقة المريبة التى قامت بينه وبين اخته . والتى أنبه وعذبه ضميره عنها فيما بعد ، فبعث فيه روح النقمة على الحياة واليأس من الاحياء ، ودفعه الى الطواف فى الارض قلقا جازعا يلتمس السلوى والعزاء . فروح بيرون يتلخص فيه عوامل اليأس والنقمة والتشاؤم

وقد كان أكثر الآداب تأثرا بالادب البيرونى هو الادب الالمانى حتى عميد هذا الادب « جوتيه » تأثر ببيرون رغم انه كان فى السبعين وكان بيرون شابا فى الثلاثين . وهينى أحد أعلام الادب الالمانى تلميذ من تلاميذ بيرون . يشاركه فى هذه التلمذة عشرات من الشعراء والقصصيين الالمان . وكل اولئك قد تطبعوا بطابع بيرون ، فقام أدبهم على اليأس والتشاؤم وعلى النقمة والقلق . وقد بثوا هذا الروح فى الشعب الالمانى ، فجعلوا منه شعبا متشائما ، يندفع الى التمرد والانتقاض غير متحفظ أو خائف ، كما فعل فى الحرب الماضية وكما يفعل فى الحرب القائمة

قد يبدو هذا غريبا ولكن ذلك ما يريد ان يثبته القائد « كيدريك هنتشل » فى كتابه الاخير عن أثر بيرون فى الادب الالمانى

الكتب الجديدة

ابحاث علم النفس فى التربية والتعليم

تصنيف شارلز سكنر وخمسة وعشرين عالما

ترجمة الاستاذ ادمون عبد النور

(طبع بالمطبعة العصرية بالقاهرة . صفحاته ٣١٨)

التربية فن ، وموهبة ، وعلم

فهى فن لحاجتها الى قوة الملاحظة والابتكار والتجديد

وهى موهبة لاعتمادها الاول على الاستعداد الشخصى لمن يزاولهـا . فمن لم يوهب هـذا الاستعداد ، فخير له ألا يكون مربيا

وهى علم لحاجة المربى الى معـرفة مختلف التجارب التى مارسها غيره من المربين والاطلاع على آرائهم وطرقهم المفيدة ، وقواعدهم المنتجة . وهى لاتصالها بعلم النفس لابد للمعلمين والمربين أن يكونوا على حظ وافر منه وبخاصة فى جانبه التعليمى ، وهو الجانب الذى يعد جديدا فى التعليم الحديث

وقد أصبحت بحوث التربية وعلم النفس فى تجدد مستمر ، وصار فرضا على كل مرب أن يتعهد عمله على الدوام بالدرس والاطلاع المتواصل شأنه فى ذلك شأن المهندسين والاطباء وغيرهم ممن تتجدد فنونهم وعلومهم بتجدد الابحاث وتقدم التجارب والافكار — وهذا الكتاب الذى ترجمه الاستاذ ادمون عبد النور ، وقدم له المربى الكبير الدكتور أمير بقطر من خير الكتب التى وضعت فى علم النفس التعليمى ، بل لعله أول كتاب من نوعه ، لانه يحوى آخر البحوث التى قام بها أكابر المتخصصين فى هذا العلم ، ولانه ليس من وضع مؤلف واحد ، بل هو من وضع ستة وعشرين عالما ومربيا فى أميركا ، وقد تناول كل منهم الناحية التى تخصص فيها ، وهو يبحث فى قوانين علم النفس الخاصة بالتربية والتعـليم . فيبين الاغراض الحقيقية للتربية ، ويكشف عن العوامل المؤثرة فى التعليم ، ويرشد المعلمين الى أحدث الوسائل الناجحة فى التربية الحديثة ، ويشتمل على ثمانية عشر فصلا — عدا ملحق فى مصطلحات علم النفس

فالمطلع من المربين على هذا الكتاب النفيس يلم الماما وافيا بأسرار مهنته ، ويتمشى مع الزمن ، ويصبح كما يقول الدكتور أمير بقطر « حية الوادى » يسير فى بيئته فى عز ومنعة

وقد استطاع الاستاذ ادمون عبد النور أن ينقله الى العربية نقلا مشوقا دقيقا ، وأن يلبسه من حلل اللغة الفصحى أبهى حلة . وأجملها . فهو يحملك بين فصوله فى موجة من لذة الاسلوب الادبى ، وفوائد البحث العلمى . ومما يزيد فى العناية بهذا الكتاب ويدل على قيمته ان قسم التربية بالجامعة الاميركية بالقاهرة أصدره بأشرافه . وجعله هدية هذا العام لمشتركى مجلة التربيـة الحديثة

ثورة الاسلام وبطل الانبياء ابو القاسم

للاستاذ محمد لطفى جمعة

(طبع بمطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه بالقاهرة . صفحاته ٥١٢)

قال الشيخ الرئيس ابو على بن سينا :

« يوجد رجال فى طبيعة طاهرة اكتسبت نفوسهم قوة بالطهر ، وبتعلقها بقوانين العالم العقلى . لذا ينالهم الالهام ، ويوحى اليهم العقل

المؤثر في سائر الشئون . ويوجد غيرهم لا حاجة بهم الى الدرس للاتصال بالعقل المؤثر ، لانهم يعلمون كل شيء بدون واسطة . هؤلاء هم اصحاب العقل المقدس . وان هذا العقل لمن السمو بحيث لا يمكن لكل البشر ان ينالهم منه نصيب »

ولعل هذا أبلغ ما قيل في سمو العقل البشرى وفي معنى النبوة ، بل لعل ابن سينا هو الذى تفرد بين العلماء والفلاسفة بتسمية العقل النبوى باسم «العقل المقدس» وكم لعلماء العرب وفلاسفتهم من «ثبات التفكير ما يتمشى مع تفكير علماء العصر الحديث . فالنبوة اشراق روحى الهى : « فليس النبي — كما قال مؤلف هذا الكتاب الاستاذ لطفى جمعة — انسانا كغيره من العظماء يقرأ تاريخه بالفكر الذى يلازمه المنطق ، ولكنه انسان كوكبى » . اعطى عقلا فوق مستوى العقلاء ، لا يبلغ اليه ذكاء الاذكياء ، ولا نبوغ النبغاء ، لانه علوى قدسى لا يمنح الا لمن اصطفاه الله من عباده ليخرجهم من ظلام نفوسهم الى عالم النور والفضائل العليا . ومن أجل ذلك كان الانبياء صفوة البشر ، وأحسن العظماء سيرة . وأجلهم تاريخا

فالاستاذ محمد لطفى جمعه حين يؤرخ للنبى محمد ولثورته الاسلامية الكبرى ، فهو انما يؤرخ لانقلاب خطير من أعظم الانقلابات التى وقعت فى تاريخ الانسانية . وقد عنى بان يكون تاريخه شاملا وافيا فتناول البلاد التى ظهر فيها الاسلام لاول مرة . وهى الجزيرة العربية ، فتكلم عن أوصافها وعن حياة سكانها ولغتهم من الناحية التاريخية والاجتماعية ، ثم تحدث عن ظهور الاسلام ، وما تقدمه من حوادث ، وعن شأن البعثة المحمدية ، والعرب والديمقراطية ، وعن طفولة النبى محمد ، وشخصيته ونسبه ، وسيرته . وقد عزز ذلك كله بشواهد التاريخ ، وصادق الروايات ، ومحكم الآيات القرآنية . والكتاب موضوع بلغة سلسة وأسلوب شائق

الوعى القومى

للاستاذ قسطنطين زريق

(طبعته دار المكشوف ببيروت . صفحاته ٢٣٦)

الاستاذ قسطنطين زريق معروف لقراء العربية بكتاباته ومؤلفاته القيمة . ومترجماته المفيدة . وهذا الكتاب الذى اصدرته له أخيرا دار المكشوف من أفيد كتبه . واهمها بل لعله من أهم الكتب التى تناولت الحياة القومية فى الشرق العربى وقد سماه « الوعى القومى » وهو يعنى به الشعور القومى الذى يدعمه الفكر وتعرف فيه الامة العربية ما تريد . وتسير الى مجدها وعظمتها بعزم صادق . وقد أشار الى ان هذا الوعى يقوم على معرفة ماضى الامة معرفة صحيحة . وفهم العوامل الطبيعية والتاريخية التى كونتها ، والكشف عن مصادر قواها الروحية الخاصة التى تمتاز بها عن سواها من الامم . ثم تناول بحوثا من أهم البحوث الاجتماعية . فتكلم عن المرأة العربية فى الحياة القومية ، والتربية القومية ، والقومية والجنس ، والقومية العربية والدين ، والتراث الثقافى العربى . والادب التوجيهى وحاجتنا اليه ، والثقافة الصحيحة وعناصرها ، وكيف نحمى الثقافة ، وازمة الروح والجهاد الاكبر . وقد قال فى فصل (الادب التوجيهى وحاجتنا اليه) :

« انى أعتقد اننا فى مرحلتنا الفكرية الحاضرة أشد ما نكون حاجة الى نوع من الادب يمكننا ان ندعوه الادب التوجيهى . كلنا يعلم اننا نعيش اليوم فى فوضى فكرية بعيدة المدى عظيمة الخطر . نتكلم بالسنة مختلفة ، وننشر آراء متباينة ، فتتصادم وتتنازع .. ويمكننا ان نرد هذه الفوضى الفكرية التى نتخبط فيها الى عوامل ثلاثة أولها ان العصر الحاضر هو عصر اضطراب فكرى وفوضى عقلية .. وثانيها اننا نعيش فى مرحلة انتقال من القديم الى الجديد . وثالثها تعدد الثقافات والانظمة التربوية »

وقد اصاب الاستاذ قسطنطين فيما دعا اليه من

حاجتنا الى هذا النوع من الادب . وفيما علق به الفوضى الفكرية السائدة في بلاد العربية .

عبث الاقدار

للاستاذ نجيب محفوظ

(طبعت بمطبعة المجلة الجديدة . صفحاتها ١٦٠)

« جلس صاحب العظمة الالهية ، والهيبة الربانية خوفو بن خنوم على اريكته الذهبية بشرفة مخدعه التي تطل على حديقة قصره المترامية الفناء — جنة منف الخالدة ذات الاسوار البيضاء — بين رهط من ابنائه وخاصته المقربين . وكانت عباءته الحريرية تلمع حاشيتها الذهبية تحت أشعة الشمس التي بدأت مرحلتها نحو الغرب ، وكانت جلسته هادئة وديعة ، فكان يسلم ظهره الى وسادة محشوة بريش النعام ويتكىء بمرفقه على نمرقة ذات غطاء من الحرير المنمنم بالذهب ، وقد تجلت آى عظمته في جبهته العالية ، ونظرته الرفيعة ، وتبدت قوته الخارقة في صدره الواسع ، وساعديه المفتولين . وانفه الاشم ، فاحاطت به مهابة من سن الاربعين ، وهالة من مجد الفراعين »

هذه هي السطور الاولى من تلك القصة الممتعة التي تتناول جانبا هاما من حياة خوفو بانى الهرم الاكبر . ومثل هذه القصة في القصص المصرى الذي تنتجه المطبعة قليل . فنحن في نهضتنا الجديدة ، أحوج ما نكون الى احياء ماضينا ، ومعرفة حياة آبائنا . واذا كنا بحاجة الى ترجمة عيون المؤلفات والقصص الاجنبية لتغذية النهضة الادبية والعلمية الحديثة ، فان حاجتنا الى احياء تراثنا الماضى أعظم ، لان شخصيتنا تتألف منه ومن الحاضر الذى نعيش فيه . وهذا التراث مزيج من الفرعونى والعربى . ولعل الامة المصرية هى الامة الوحيدة بين الامم التى تجمع بين مجدين وحضارتين من اعظم الحضارات الانسانية وهما حضارة الفراعنة العظماء ، وحضارة العرب الامجاد . ولذلك فكل مؤلف من المؤلفات التى تتناول ناحية من هاتين الحضارتين كهذه القصة التى بين يدينا جديرة بالالتفاف وجديرة بالتشجيع ، لاننا نريد ان تكون لنا شخصية ، والا تكون هذه الشخصية معارة من أمة أخرى بل مؤسسة على جهود آبائنا الماضية ، وجهودنا الحاضرة

ولقد اجاد الاستاذ نجيب محفوظ فى اختياره لهذه القصة التاريخية الطريفة كما أجاد فى هذا الاسلوب السلس الرشيق .

كتاب الدين والحج

وضعه الحاج عباس كرارة

(طبع بالقاهرة . صفحاته ٢٠١)

فى كل موسم من مواسم الحج يفد على الاماكن المقدسة بالحجاز طوائف المسلمين من مشارق الارض ومغاربها لتؤدى فريضة الاسلام ، واحدى قواعده الخمس ، وهى « الحج » وطبيعى ان الكثرة الغالبة من الوافدين على تلك الاماكن لم تسبق لهم رؤيتها ولم يعرفوا طرقها ، فهم بحاجة الى من يرشدهم . واذا كان المرشدون من أهل مكة وجدة كثيرين حتى اصبحوا طوائف وقفوا انفسهم على ارشاد الحاج الى مناسك الحج ، فان الحجاج بحاجة قبل سفرهم الى ان يقرأوا كتابا جامعا لاحكام هذه الفريضة والادعية المأثورة فيها ، والارشادات الصحية ، ووصف الاماكن المقدسة والطرق الموصلة اليها ، حتى يسهل عليهم اداء اعمال الحج حينما يصلون الى أماكنه ، ويتيسر لهم معرفتها ، وقد جمع هذا الكتاب النفيس كل الارشادات اللازمة كما جمع احكام الصلاة والزكاة والصوم ومناسك الحج ، وما يجب فيها من أعمال واقوال ، وزين المؤلف كتابه بصور جميلة لجدة ، ومكة ، والكعبة والحجر الاسود ، وبئر زمزم ، والصفا والمروة ، وجبل عرفات ، وحجرة العقبة بمنى ، ومسجد الخيف ، وجبل النور الذى يحوى غار حراء والمدينة المنورة ومسجد قباء ، والروضة الشريفة ، وقد طبع هذا الكتاب طبعا جيدا

بين الهلال وقرائه

التحضير للجامعات الانجليزية

(الكرك ــ فلسطين) المبشر الياس حتوش

هل تعترف الحكومة المصرية أو الفلسطينية بالشهادات التى تمنحها مدارس المراسلات ؟ وما هي الطريقة للحصول على درجة «المتريكوليشن» للالتحاق باحدى الجامعات الانجليزية ؟

(الهلال) لا تعترف حكومة مصر ولا حكومة فلسطين بما تمنحه مدارس المراسلات من الشهادات ومهمة هذه المدارس هى ان تمكن الطالب من الحصول على الشهادات التى يريدها عن طريق المراسلات . فيمكنك ان تتصل بها لتحصل عن طريقها على الدرجة التى تسعى اليها . وهى تعينك بعد ذلك على الالتحاق بالجامعات الانجليزية والحصول على درجاتها . ودرجة المتريكوليشن توازى درجة البكالوريا المصرية ، ولا تتطلب من القارىء العربى الا ان يكون متفوقا فى اللغة الانجليزية ليستطيع قراءة ما تتطلبه الدراسة الجامعية من المراجع الانجليزية

تاريخ الدخان

(ديروط ــ مصر) انور الصناديقى

كيف عرف العالم تدخين الطباق ؟ وهل التدخين نافع أو ضار ؟

(الهلال) الطباق نبات امريكى لم يعرفه العالم المتمدين الا بعد كشف امريكا . وكان أول من نقله الى أوربا « فرنسسكو فرنانديس » الذى أرسله فيليب الثانى ملك اسبانيا للبحث فى حاصلات المكسيك ونقل ما يزكو منها فى تربة أوربا . فحمل معه الى اسبانيا بذور الطباق وألقيت فى ارض أوربا لاول مرة سنة ١٥٥٨ . ثم نقل « جان نيكوت » سفير فرنسا الى البرتغال بذور هذا النبات الى الملكة كاترين دى مديشى . فبدأ ينتشر بعد ذلك فى ربوع العالم ، وقد كان الامريكيون يدخنون، فتعلم منهم البحارة الاوربيون ويقال ان أول انجليزى دخنه هو البحار « رالف لين » ومنهم من يقول انه المكتشف المشهور « سير رالى » الذى رآه أحدهم يبعث الدخان من فمه فحسب ان نارا اندلعت فى جوفه فسكب عليه وعاء مملوءا بالماء . ولم يطلب رالى حينما سيق الى المقصلة سوى ان يسمح له بتدخين بعض لفائف الطباق .

وكان الناس يزعمون ان الطباق نبات طبى يشفى المرض ويصحح الابدان . حتى ان سبنسر أطلق عليه اسم « الطباق السماوى أو الالهى » ولكن اكثر الاطباء فى الوقت الحاضر مجمعون على ان التدخين يؤذى الرئة والقلب ، ولا سيما ان أغلب انواع الدخان المعروضة فى الاسواق يخلط طباقها بمواد كثيرة تفسده وتزيد فى ضرره

تاريخ بيت المقدس

(ديروط ــ مصر) ومنه

ما تاريخ بيت المقدس ؟

(الهلال) المدن اما طبيعية واما صناعية . والاولى هى التى قامت لان موقعها الجغرافى يقتضى ان تقوم مدينة فيه . والثانية هى التى اختار الانسان موقعها وشيد فيه أبنيتها . والمدن الاولى لا يعرف غالبا مبدأ تاريخها ، لانها فى الغالب مجموعة من الاكواخ الصغيرة المتناثرة تكثر وتتجمع على مر العصور . ومثل هذه المدن « بيت المقدس » التى تقع عند التقاء الوادى الخصب بالصحراء الجرداء ، فهى محط القوافل التى تجوس خلال الصحراء بين الشام وما حولها من الاقطار شمالا وشرقا وجنوبا . وهى كذلك على

مقربة من شاطىء البحر . فتكاد تكون ميناء ترد اليه متاجر البحر الذي يصل شرق العالم بغربه . كما ان ما يحيط بها من تلال وهضاب يجعلها ذات مركز حربي ممتاز . ولهذه الاسباب قامت مدينة أورشليم منذ أقدم العصور . أما تاريخها المعروف فيبدأ في سنة ٢٥٠٠ ق . م . حينما هبط فلسطين قبائل سامية هاجرت من فجاج الصحراء العربية واستقرت في أرض فلسطين ، وقد نمت شيئا فشيئا الى أن غزا الفراعنة أرض الشام وجعلوا بيت المقدس احدى قواعدهم هناك فاتسعت مساحتها وازداد سكانها . وأخذت مسحتها الدينية في عهد الملك داود الذي بنى هناك مدينتين : احداهما على سفح التل الشرقي وهي المدينة الملكية ، والثانية على سفح التل الغربي وهي المدينة الشعبية . وقد أعد في الاولى المكان الذي أقام عليه ابنه سليمان معبده المشهور . ومنذ ذلك الحين صارت مدينة مقدسة عند معتنقي الاديان السماوية الثلاثة

اكتساب الجنسية المصرية

(براجواى ــ البرازيل) حليم النعسان

هاجرت من موطني لبنان الى البرازيل منذ خمس سنوات . وأريد أن أقضي بقية حياتي في مصر وأتجنس بالجنسية المصرية . فما هي الشروط التي تفرضها على الحكومة المصرية تحقيقا لهذا ؟

(الهلال) لا تمنع مصر الهجرة اليها منعا باتا ، ولكنها تحددها بشروط تتعلق بالنظام الداخلي فيها . ولا سيما فيما يتعلق بالمبادىء البولشفية . وفي وسعك ان تتصل باحدى المفوضيات أو القنصليات المصرية في أمريكا لتمنحك جوازا بدخول الاراضي المصرية اذا لم تجد في ظروفك ما يحول دون ذلك

اما الجنسية المصرية فلا تمنح للاجنبي الا اذا توافرت فيه الشروط الآتية :

١ ــ أن يكون بالغا سن الرشد بحسب قانون الدولة التابع لها

٢ ــ أن يكون قد أقام بمصر عشرة أعوام على الاقل ، ويمكن انقاص هذه المدة الى خمس سنوات باذن من وزير الداخلية

٣ ــ أن يكون له مصدر معروف من مصادر الرزق المباح

٤ ــ أن يكون حسن السير والسلوك

٥ ــ أن يكون ملما باللغة العربية

على ان منح الجنسية أمر جوازي فقد تجتمع هذه الشروط في أجنبي ما . ومع هذا ترفض الحكومة طلبه لاسباب تقدرها

التواريخ الهجرية والميلادية

(الهلال) يسألنا بعض القراء عن التواريخ الميلادية وما يوافقها من التواريخ الهجرية . ولما كان في وسع حضرات السائلين ان يرجعوا الى التقاويم لمعرفة هذه الايام التي تعنيهم وحدهم . ولما كان « الهلال » يعنى بالاجابة على الاسئلة التي يفيد منها سائر القراء ، فانه يكتفي بأن يذكر القاعدة الحسابية لتحويل السنين الميلادية الى سنين هجرية ، ليرجع اليها من يشاء . وهذه القاعدة هي :

$$\frac{١٠٠ \times (\text{السنة المراد تحويلها} - ٦٢١ر٦)}{٩٧}$$

فمثلا ١٩٤٠ م $= \dfrac{١٠٠ \times (١٩٤٠ - ٦٢١ر٦)}{٩٧}$

$$= \frac{١٠٠ \times ١٣١٨ر٤}{٩٧}$$

$$= \frac{١٣١٨٤٠}{٩٧} = ١٣٥٩ \text{ هـ}$$

رضاعة الطفل

(دمشق ــ سورية) سيدة

ما هي كمية اللبن التي يشير الطبيب بارضاعها للطفل ، وما عدد مرات الرضاعة في اليوم الواحد ؟

(الهلال) في الايام الاولى يرضع الطفل كل ٣ ساعات ابتداء من الساعة السادسة صباحا الى

الساعة التاسعة مساء أى يرضع فى اليوم الواحد ٦ مرات مدة كل منها ٥ دقائق فى اليومين الاول والثانى ثم تزاد بعد ذلك حتى تبلغ ١٥ أو ٢٠ دقيقة . ويلاحظ ان الثدى فى اليومين الاولين لا يفرز لبنا وانما يفرز سائلا اسمه «الكولوستروم» وهو الغذاء الوحيد للطفل فى ساعاته الاولى ، ويمكن ان يضاف الى ذلك ملعقة صغيرة من الماء الدافىء أو الينسون او الكراوية من وقت الى آخر . والطفل السليم لا يحتاج الى الرضاعة فى الليل بل ينام هادئا ، اما الطفل الضعيف فيستيقظ من آن الى آخر ويبكى وهذا يجوز ارضاعه قليلا مع مراعاة ان بكاءه قد يرجع الى سبب آخر غير الجوع . والاسراف فى الرضاعة مضر كما ان تنظيم اوقاتها ضرورى (يراجع كتاب حياة الطفل للدكتور مصطفى الديوانى)

شاعر الرباب

(الزقازيق — مصر) ابراهيم صيام الشيحى

فى أى تاريخ ظهر شعراء الرباب الذين يجوبون القرى والمقاهى الوطنية وينشدون فيها أقاصيص ابى زيد الهلالى وأمثالها ؟ وهل هذه القصص حقيقية أم من وضع الخيال

(الهلال) يرجع بعض المؤرخين بشعراء الرباب الى العصر الفرعونى . فالعالم الالمانى أرمان A. Erman يعتقد انمصر القديمة عرفت هذا الطراز من الشعراء ، بدليل ان القصص التى انحدرت الينا من هذه العصور القديمة لا تفترق عن القصص التى ينشدها شعراء الربابالمحدثون من حيث تناولها شخصيات تاريخية عرفتبالبطولة والمغامرة ، مع اسراف فى تصويرها واكبارها . فمن هذه القصص ما يتحدث عن قمبيزوعنتحتمس الثالث وعن ملك الرعاة أبافيس وقد قص هيرودت فى تاريخه طرفا من هذه الاقاصيص

ومن المؤرخين من يرى أن هؤلاء الشعراء ظهروا أول ما ظهروا فى بلاد المغرب ، فى عصر دول الطوائف التى عاشت فى غزوات ومجازفات ومنازعات أوحت الى الرواة والشعراء تسجيلها وانشادها اشادة بمجدهم وتنبا للدعوة اليهم

على ان المرجح ان يكون شعراء الرباب ظاهرة اجتماعية ، تقوم فى الاوساط البدائية التى تعيش على الغزو والحرب وتكبر الجرأة والمغامرة وتشيد بالكرم والجود . والدليل على ذلك ان الاغريق عرفوا هذا النوع من الشعراء عندما كانوا فى جاهليتهم الاولى ، وكان هؤلاء الشعراء يتخذون من أساطير الالياذة والاوديسة وأقاصيصهما مادة ما يروون وينشدون . وكذلك وجد هؤلاء الشعراء فى اوربا فى العصور الوسطى التى انتشرتفيها الفروسية وما يتبعها منابناء الحروب والمغامرات

أما القصص التى ينشدها هؤلاء الشعراء فحقيقية من حيث الاشخاص الذين تتناولهم مثل عنترة وابى زيد والزناتى والظاهر بيبرس . ولكن خيال الرواة والشعراء ، وهو خيال ساذج بدائى ، قد أسرف فى تصويرها وتمجيدها ، كما ملأها بالاساطير والترهات . وقد ناشد الدكتور طه حسين بك الادباء المحدثين ان يتعهدوا هذه القصص ، فيرووها فى أسلوب جديد عال ، ليغذوا الادب العربى « بالملاحم » التى ازدهرت بها الآداب الكبرى الشرقية والغربية

الأدب المصرى القديم

(القاهرة — مصر) احمد فتوح

أرجو ان تذكروا بعض المؤلفات الانجليزية أو الفرنسية التى تبحث فى الادب المصرىالقديم والتى تشتمل على آثاره الشعرية والقصصية

(الهلال) وضع علماء مصر القديمة فى هذا الموضوع الشائق اسفارا كثيرة نذكر قليلا منها :

(1) The Literature of the Ancient Egyptians by Budge.
(2) Popular Literature in Ancient Egypt, by Wiedemannn.
(3) Egyptian Tales Translated from the Papyri by Petrie.
(4) Contes Populaires de l'Egypte Ancienne par Maspero.

وكذلك كتاب Weigal عن الملك الشاعر اخناتون

فهرس الهلال

الجزء الخامس من المجلد التاسع والأربعين

أكاذيب السياسة والحرب

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

« ليس من السهل أن تكذب على شعب بأسره على الدوام ، فقد تستطيع أن تخدع بعض الافراد طول الزمن ، وتستطيع أن تخدع الشعب ردحا من الزمن، ولكن لا تستطيع أن تخدع كل الشعب طول الزمن . فانه لا بد أن يأتي وقت يعرف فيه أن طائفة من الساسة كانت تخدعه لغاية شخصية ، أو لمصلحة حزبية، فينقلب عليها ، وينزع ثقته منها ، فتتردى في السقوط » ابراهام لنكلن

اعلان جميع الحقائق السياسية أو الحربية مستحيل ، لان الدول تعتمد على الاسرار في اسلحة الحرب كما تعتمد عليها فى اسلحة النضال السياسى ، ولو بين الدول الصديقات

لكن الامر يتفاوت بعد ذلك من مجرد كتمان الحقيقة أو تأجيل نشرها زمنا من الازمان الى مزج الحقيقة بالكذب أو تبديلها بعض التبديل أو مناقضتها كل المناقضة بغير حساب

فالخبر الذى يقال للمتعلمين رجاء تصديقه والتأثر به غير الخبر الذى يقال للجهلاء واشباه الجهلاء

والخبر الذى يقال لاناس احرار فى سماعه وسماع نقيضه غير الخبر الذى يقال لاناس محجور عليهم مصدودين عن النفاذ الى اسباب الانتقاد والتفنيد

والخبر الذى يصادف الهوى غير الخبر الذى يعارضه ويستفز النفس الى الانكار

والخبر الذى يذيعه اليائس الذى أضاع ثقة الناس بكلامه غير الخبر الذى يذيعه رجل حريص على سمعته معتمد على دوام تلك السمعة وازديادها

ومن السهل بعد هذا ان نعرف طبيعة الاخبار التى تنشر فى معسكر الدكتاتورية وطبيعة الاخبار التى تنشر فى معسكر الديمقراطية اثناء الحرب والسلم على السواء

فلا شك فى ان للحرب حكمها فى مقدار ما يذاع من الحقائق وفى الاوقات التى تختار لاذاعتها سواء بين الامم الحرة أو الامم المسخرة للمستبدين.

الا أن الحد الأقصى الذى تسمح الاحوال للساسة الديمقراطيين ان يبلغوه لن يتعدى اخفاء بعض الحقائق فترة من الزمن تقضى بها الضرورات ، كما حدث فى الحرب الماضية من تأجيل الانجليز نشر الاخبار الخاصة باغراق بعض الدوارع الكبيرة اثناء الفترة التى كانت الحكومة التركية تردد فيها بين الاقدام والاحجام ، وكما حدث فى الحرب الحاضرة لامثال هذه الاسباب

اذ كل شيء في البلاد الديمقراطية بحساب ، وكل خسارة في الاموال والارواح عرضة لمناقشة البرلمان ومناقشة الصحف وحملات المعارضين ، فاذا ضاعت سفينة كبيرة أو بادت فرقة من الفرق فليس من المستطاع اسقاط حسابها الى زمن طويل • خلافا للدول الدكتاتورية التي بلغ الامر ببعضها ـ كما يحدث في المانيا ـ الا تنشر ميزانيتها ولا تعرض تفصيلاتها على النواب سنوات متواليات

بل قد يصعب في الدول الديمقراطية ابرام المعاهدات السرية التي يعتقد الوزراء انها تصطدم بالآراء الغالبة في الامة أقل اصطدام

ويحدث احيانا ان يقف عضو من الاعضاء في مجلسي البرلمان فيشكو « قلة الفرص الميسورة للمجلس لتمكينه من الاشراف على السياسة الخارجية » ويطلب الافضاء بالمعلومات الخفية التي يعرفها الوزراء وقد يرتبط بها مصير الحرب والسلام

ومع الغلو في هذا الطلب ـ كما هو ظاهر ـ تضطر الحكومة الى بيان معاذيرها وتسويغ خطتها ولو كانت من اقوى الحكومات واكثرها انصارا في المجلسين

ففي ابان الازمات التي سبقت الحرب الماضية حوالى سنة ١٩١١ أحس النواب الانجليز تيارات الخطر فقام واحد منهم «مستر سويفت ماكنيل» يطالب الحكومة بتمكينهم من محاسبتها على سياستها الخارجية ، ويزعم ان الوزارة تستأثر دون الامة بأمور قد تؤدى الى الحروب أو قطع العلاقات ، فلم ينكر السير ادوارد غراى وزير الخارجية البريطانية يومئذ حق العضو فيما طلب ولكنه قال ان الوزارة لن تستطيع ان تسلك مسلكا يؤدى الى حرب يشعر « الرأى العام » انها قائمة على غير اسباب ، وانها خليقة بالاجتناب أو ميسورة الاجتناب ، لانها ستطلب المال للحرب أو للتسلح فيمنعها المجلس اذا شاء وتؤيده الامة في هذه الحال • اما المعاهدات السرية واطلاع البرلمان عليها عند المفاوضة فيها او بعد الانتهاء منها فكل ماقاله الوزير انه يفضى بجميع الاسرار لو كانت تخص بريطانيا العظمى ولا تخص أمما أخرى معها ، وان الحروب لا تنشأ من المعاهدات وانما تنشأ من الطوارىء والظروف « ولو سألتم أحدا ممن اختبروا الاشغال أوكانت لهم علاقة ما بالمفاوضات بين اصحاب الاعمال واعضاء النقابات مثلا ماذا يكون لو أن الاقتراحات التي يستعد فيها احد الجانبين للهوادة والتسامح اعلنت من البداية بين الجمهور لقيل لكم ان هذا الاعلان خليق ان يحبط الرجاء في كل اتفاق • وهكذا الشأن في مفاوضات الشعوب »

واذا تركنا حرية البرلمان في مناقشة الوزراء واضطرارهم الى اظهار الحقائق المستورة والتفتنا الى حرية الكتاب والصحفيين في ابداء ما يعن لهم من الآراء فالمسألة هنا أصعب على الوزراء وأعضل ، والحجر على ما تخطه الاقلام وتفوه به الالسنة مشكلة أخطر في عقيدة الحكومة والشعب من مشاكل الافضاء والاعلان

أمامي كتابان صدرا منذ شهرين في البلاد الانجليزية احدهما عنوانه : « هل انتشار

الحرب ضربة لازب » « Must the War Spread » والثاني عنوانه : « هؤلاء الجرمان » « These German »

وكلاهما يعارض ما يشبه الاجماع من سخط الانجليز على الروس أو على الالمان ، واولهما يقول ان ما صنعه الشيوعيون فى فنلندة قد صنع الانجليز امثاله فى بلاد أخرى ، ويرمى حكومة بلاده بكلام لا فرق بينه وبين الكلام الذى يذاع كل يوم من موسكو وبرلين ، ولو أن شيوعيا أو نازيا خطر له ان يشرع فى تأليف كتاب على هذا النمط ولا نقول ان يطبعه وينشره ويتحدى به الناقدين لما أمن على حياته ولا على أهله وذويه . ولكن هذين الكتابين ان هما الا دليل على ما يكتب فى الصحف ويسجل فى المصنفات ، ولاسبيل الى الحجر عليه مع قيام الحرية الديمقراطية واشتهار الانجليز بحب الاصغاء لكل ما يقال ولا سيما من جانب الخصوم

فكيف تعيش الاكاذيب طويلا فى بلاد يباح فيها النقد والتفنيد على هذا المنوال ؟ وكيف لا يباح النقد والتفنيد على هذا المنوال فى بلاد تقيم حقها كله فى الحرب على استنكار الحجر والاستبداد ؟ لا جرم يضيق مجال الكذب « الرسمى » غاية الضيق فى امثال تلك البلاد

وسهولة الكذب فى الامة هى وحدها سبب كاف للشك فى كل ما يصدر عنها من الاخبار ، بل هى سبب لتسهيل الكذب على الدعاة انفسهم وتوريطهم فى اقاويل لا تستند الى اساس . فيصدقون الاخبار بغير تمحيص وينشرونها بغير تمحيص . ومن قبيل هذا ما حدث من اسراع الحكومة النازية الى تصديق الخبر الذى أبلغها إياه ضباطها عن اغراق السفينة الانجليزية حاملة الطائرات « آرك رويال » « Ark Royal » ثم اسراعها بترقية اولئك الضباط والاطناب فى وصف غزوتهم المجيدة بينما كانت الآرك رويال تمخر البحار وتتنقل بين المواني‌ء برهانا محسوسا على قيمة اخبار النازيين وتوكيدات الدعوة النازية . وللقاريء أن يتصور شعور الشعب الالماني بعد اطلاعه على جلية الخبر وقد قضى اياما ينظر الى صور البطل أو الابطال الذين قيل انهم اغرقوا السفينة الانجليزية منشورة فى الصحف ولوحات الصور المتحركة مزينة بالانواط والشارات ، ومحطات الاذاعة تعيد كل يوم وتبديء فى توكيد الخبر وتحدى المكذبين وسؤال البحرية البريطانية عن مكان السفينة ان كانت لم تهبط كما زعموا الى جوف الماء

وعلى هذا النحو اذاعتهم لاغراق « السفينة » كستريل Kestrel وليست هى بسفينة ولكنها نقطة برية للتدريب على الاسلحة البحرية تابعة لادارة الاسطول !

وعلى هذا النحو أيضا تعجلهم بتخفيف الاصابات التى لحقت بالمدرعة « جراف فون سبى » تكذيبا لاشاعات الصحف الانجليزية ، ثم تكذيبهم انفسهم بعد ثلاثة ايام فقط بتوجيه الاحتجاج الى حكومة ارغواى لانها أمرت المدرعة ان تغادر الميناء بعد مدة يسيرة لا تكفى لاصلاح العطب الكبير الذى اصابها ولجأت من أجله الى الميناء !

ومن الواضح ان حقائق الحرب والسياسة تعلن أو تكتم لغرض من ثلاثة اغراض أو لجميع هذه الاغراض مجتمعات : وهى التأثير فى الامة والتأثير فى العدو والتأثير فى المحايدين وفى العالم بأسره على قدر اتصاله بشئون القتال ، وكل أثر من هذه الآثار وبيل العاقبة اذا استخف الدعاة والساسة بواجب التمحيص والمراجعة قبل ازجاء الاقوال وترويج المزاعم • فاذا صدقتهم أمتهم فتلك هى حالة التفاؤل الكاذب التى يوشك أن تنقلب الى يأس شديد عند الاصطدام بالحقيقة ، واذا كذبتهم امتهم فتلك حالة الشك والتربص والانفضاض حيثما سنحت الفرص وتهيأت الاسباب • أما العدو والمحايدون فليس فى الاستطاعة اجبارهم على اخفاء الحقيقة ولا على صم الآذان عن السماع ، وليس اضيع من مقاتل لا يعول الناس عامة ولا يعول خصومه على ما يقول

وقد علم الوزير الانجليزى مستر شمبرلين انه يصيب النازية فى مقتل حين يسرد للالمان وللامم الاخرى مواضع الكذب الصريح المكشوف فى اقوال هتلر ووعوده العلنية للامم الاخرى ، فجعل خطابه الاول الى الشعب الالمانى والعالم بأسره بعد اعلان الحرب بيومين محصورا فى تعداد هذه الوعود واحدا بعد واحد والتعقيب على كل منها بكلمة واحدة وهى « وقد نقض عهده » He broke it

ثم تلاحقت الحوادث فعلم الناس حقا ان الموضوع الذى اختاره شمبرلين لابتداء الحملة به على هتلر قد كان احق الموضوعات بالابتداء ثم بالتكرار

فمنذ ذلك الحين عرضت اقتراحات للصلح والمساومة فلم يتعب الحلفاء فى اقناع شعوبهم ولا الشعوب الاخرى بضرورة رفضها لقلة الثقة بكل عهد يبرمه هتلر على طريقته فى ابرام العهود ، وليس فى وسع الشعب الالمانى نفسه ان يستغرب اصرار الحلفاء على ابرام الصلح مع حكومة غير الحكومة النازية التى لا يوثق لها بكلام • وقد كان بعض السلميين من الانجليز يخطب فى تحبيذ الصلح العاجل ويفند اسباب الحرب فأوشك ان يبلبل اذهان سامعيه لولا ان تصدى له سائل بسؤال موجز لا يتجاوز اربع كلمات : هل تثق بعهود هتلر ؟ فكانت هى فصل الخطاب

لقد كسب بسمارك بتحريفه برقية « ايمس » المشهورة ذلك الكسب المعروف فى حرب السبعين ، ولكنه مهد الاذهان لشكوك كثيرة فى البيانات البروسية ، فلما جاء بتمان هلفيج بعده فقال ان المعاهدات قصاصات ورق لم يخرج على السنة التى الفتها الامم من وثائق البروسيين ، ولما جاء النازيون حديثا فزعموا انهم ابلغوا البولونيين مطالبهم فرفضها البولونيون لم يشك أحد فى كذب ما ادعوه يوم ان ترددت الحقيقة وتبين ان المطالب المزعومة انما ارسلت الى السفير البولونى قبل اعلان اعمال العداء بساعتين اثنتين • فذهب الناس يقولون : انما هى « ايمس » جديدة ! وانما هى شنشنة نعرفها من أخزم ! وانما يضيف الخلف الى سجلات السلف دواعى جديدة للشك فى المواثيق والوثائق ، ولا ينقص من تلك الدواعى بحال

وهذا هو المقتل الذى لم تسلم منه المانيا القيصرية ولن تسلم منه المانيا النازية ، وسيظل هذا المقتل مكشوفا لخصوم المانيا ما دامت لا تفهم انه مقتل غير مأمون ، وان جميع حصونها لا تدفع عنها شرا وهذا الشر محيط بها من قبل الاعداء والاصدقاء على السواء

***

على أن حرية النقد ليست هى العنصر الوحيد الذى أوجب زيادة العناية بتصريحات الساسة وانباء الحكومات فى الزمن الحديث ، وجعل خدعة الحرب سلاحا ذا حدين قد يصيب الضارب كما يصيب المضروب ، اذ هناك عنصر آخر من عناصر الزمن الحديث يقضى بزيادة العناية بالتصريحات والانباء ويعكس الاكاذيب على اصحابها فى اقصر الاوقات ، وذلك العنصر الآخر هو سرعة انتقال الاخبار من اقصى الارض الى أقصاها على اجنحة الاثير ، فلا حاجة الى اكثر من لحظات معدودات لتمحيص الخبر الذى كان يحتاج فى الاجيال الماضية الى بضع سنوات ، وينبغى من أجل ذلك ان يفهم ساسة اليوم ان مراوغات الساسة الاقدمين التى استحقوا بها وصف الدهاء والحنكة ليست اليوم على شىء من دهاء ولا من حنكة ولا من براعة ، وتلك احدى النواحى التى تؤثر فيها المخترعات على الاخلاق وعلى الآداب العالمية وعلى مصير العلاقات بين الشعوب

وقد تختلف المقاييس فى نقد اخلاق الساسة المستبدين والساسة الديمقراطيين من وجهة القيم الانسانية ، فيرى فريق من الناقدين ان الاستبداد لا يمنع الحاكم ان يكون على خلق شريف ، ويرى فريق آخر ان الاستبداد يفسد اخلاق المستبدين افساده لاخلاق المحكومين الخاضعين ، الا ان الحقيقة التى لا ريب فيها ان الحاكم الديمقراطى مضطر الى الصدق ولو كان كاذبا لانه عرضة للانتقاد ، وان الحاكم المستبد مضطر الى الكذب ولو كان صادقا لانه لا يوفق بين ارادته وارادة محكوميه الا باخفاء بعض الامور وتزييف بعض الامور

فاذا صرفنا النظر عن القيم الاخلاقية والمقاييس الانسانية فضرورات الواقع وحدها كفيلة بالشك فى اقوال المستبدين والاطمئنان الى اقوال الحاكمين على سنة الحرية والنقد الصريح

عباس محمود العقاد

---

* كثيراً ما أقول فى نفسى : ما أفظع هذا العالم وما أشد تعسه لولا الاحداث والشبان ، وما أفقره إلى العواطف والفضائل الحقيقية لولا الشيوخ والمتقدمون فى السن (كولرج)

اضحك .. تضحك لك الأيام

بقلم الدكتور أمير بقطر

رئيس قسم التربية بالجامعة الاميركية بالقاهرة

في هذه الآونة التي يضطرب فيها العالم باهوال الحروب ، وكوارث الطبيعة ، ويترقب فيه الشرق ما قد ينزل به من حوادث — في هذه الآونة نحن أحوج ما نكون الى التفاؤل والابتسام لكل شدة ، واحتمال كل خطب بنفس مرحة قوية تتخذ من مرحها وابتسامها درءا تتقى به الاستسلام للضعف ، وتتغلب به على خطوب الايام ، اذ أن الضحك له أثره النفساني في سياق الآلام ، ونجاح الاعمال ، وتجديد القوة المعنوية في الانسان ، وذلك ما يتناوله الدكتور امير بقطر في هذا البحث النفيس « المحرر »

طلب الى «الهلال» منذ عامين — وقد كنت حينئذ في مدينة «فينزيا» — أن أكتب مقالا في موضوع «هل الحياة جديرة بأن نحياها ؟» ، وما كدت أفض الرسالة ، حتى أخذت «جندولا» من «سان ماركو» ، وقصدت الى قهوة في «الاكاديمية» يكاد يغمرها الماء من كل جانب ، وسطرت في جلسة واحدة مقالا ، استنفد من «الهلال» تسع صفحات • وقد قال لي عدة أصدقاء في ذلك الحين ، ان ذلك المقال أبلغ ما جادت به قريحتي ، وانني ما كنت لأستطيع أن أخط فيه حرفا واحدا ، لولا أنني كتبته وأنا سارح في جو من الخيال والجلال ، أغازل ملكة الادرياتيك ، وأداعب مظاهر الجمال • لست أنكر ان الكاتب لا يسعه الا أن يستلهم الوحي والنشاط الذهني في مكان ألبسته الطبيعة أبدع الثياب ، وخلعت عليه يد الفنان ما تفخر به العصور • بيد أن الحقيقة أن الموضوع كان قد أصاب هوى في نفسي ، لان فلسفتي في الحياة «اضحك تضحك لك الايام» لان «الحياة جديرة بأن نحياها»

الضحك المفيد

لست أعني أن يفهم القارىء هذا التعبير بمعناه الحرفي ، فانما أردت أن يتسع المعنى الى أبعد ما تراه العين في الافق • أريد أن يتناول الموضوع تلك الحالة الذهنية النفسية ،

التى تكون فيها الحياة أقرب الى البياض منها الى السواد ، والى التفاؤل والرجاء منها الى التشاؤم والخيبة ، والى الجنة والحياة منها الى الجحيم والموت . ولست أعنى ان يتجه ذهن القارىء الى المجون والاباحية والاستهتار ، والاسراف فى التفاؤل والتعلق بحبال الامل ، وبناء القصور فى الهواء ، و «القلاع فى أسبانيا» . ان فلاسفة هذا العصر الذين أعجب بهم ، ليسوا «ابيكوريين» ، ولاهم يؤثرون التفاؤل الى أبعد حد optimism ولا التشاؤم الى أبعد حد pessimism ، ولكنهم يتحدثون عن الوسط الذهبى ، وهى فلسفة فى الحياة ، أو حالة نفسية ، تتأرجح بينهما ، ويطلقون عليها كلمة جديدة نسبيا ، وهى meliorism

أسوق الى القراء حادثا واقعيا ، قد يحسبونه بدعة أميركية ، وما هذا الحادث الا قصة الفلسفة التى ألمحت اليها ، مثلها صاحبها على مسرح الانسانية وكأنه أرادها أن تكون عبرة لمن يعتبر

من سنوات قلائل استدعى مدير احدى الشركات التجارية الكبرى جميع سماسرة البيع فيها ، وطلب الى مدير أحد المسارح الكبرى فى نيويورك «مستر ايدن» ، أن يوافيه فى مركز الشركة ، وهناك عهد اليه بمهمة شاقة ، وحيدة فى بابها ، وهى أن يعلم هؤلاء السماسرة فن الابتسام والضحك . فتقدم اليه هؤلاء واحدا فواحدا ، وطلب الى كل منهم أن يبتسم ويضحك ، ثم انتقد ، وأصلح أخطاءهم المعيبة ، وأخجلهم ؟ وبين لهم الفرق بين الابتسامة الصناعية (أو «الاكليشيه» بتعبير مجلاتنا الهزلية) ، والحقيقية وبرهن لهم أن فى الاولى يضحك الفم وحده ، فى حين ان فى الثانية تضحك العينان والفم معا ، وان اللبيب لا تخفى عليه السماجة واللؤم فى الاولى ، والرشاقة والاخلاص فى الثانية . وبعد أسبوعين تخرج هؤلاء السماسرة من مدرسة الضحك ، ونزلوا الى حلبة العمل ، وبعد ثلاثة أشهر سجل مدير الشركة زيادة فى الارباح قدرها ١٥ ٪ .

أرنى رجلا يغنى فى أوقات العمل ، ويرتل فى ساعات الفراغ ، ويبتسم لزائريه ابتسامة صادقة ، وأنا أريك تاجرا رابحا ، وصانعا حاذقا ، وممثلا خفيف الروح ، وفنانا ماهرا . الطفل البرىء الساذج لا يفرق بين اللعب والعمل ، بين اللهو والجد ، لانه يعيش بالفطرة ، كذلك الرجل الحكيم الاغر ، البسام ، يزاول العمل بذات المرح والسرور والنشاط واللذة والرغبة التى يزاول بها شوطا من الجولف أو «البلياردو» أو «البردج» . يقول لنا علماء التربية ان المعلم الحقيقى هو الذى لا يحس التلاميذ فى حضرته بأنه انتقل بهم من ساحة اللعب الى قاعة الدرس ، لان الوجدان فى كل منهما ينبغى ان يكون واحدا . ألا نرى العالم الذى يواصل ليله ونهاره فى معمله ، يبحث عن « مكروب » تحت عدسة المجهر ، أو نجم من خلال المنظار ــ ألا نراه فى الواقع يرتد الى الطفولة والفطرة مدفوعا بتلك اللذة ، وذلك الشغف ، وهذا المرح الذى يدفع الطفل للعب ؟

من أجمل ما قرأت فى قصاصات بعث بها الى مرة صديق من انجلترا ، قصة رجل ضحوك ، ظلت أسارير وجهه تبرق ، ونواجذه تبدو الى آخر لحظة من حياته ، وطفق

يغلب عليه المرح ، وتفيض نفسه بالبشر ، برغم تباريح الزمان ، وذلك انه تناول ورقة وهو على فراش المرض ، وكتب وصيته ، باللهجة والمزاح والعبارة التي اشتهر بها في وقت الصحة ، وهذه هي الوصية : « لزوج ابنتي أترك كل ما لدي من حب واخلاص وتهنئة حارة ، اذ انه لم يحسن في حياته عملا كاختياره ابنتي زوجة له ، والى امرأتي أترك أولا صك الديون الثقيلة ، جزاء تبذيرها واسرافها • وأترك لها ثانيا عشيقها راجيا لهما الرفاء والبنين • وأترك لها ثالثا هذه الحقيقة الرائعة ، وهي ان زوجها لم يكن ذلك الغر الذي ظنته انه حسن النية الى هذا الحد ، فآوت الى خليلها تحت أستار الظلام آمنة مطمئنة • وأخيرا أترك الى دائني الستة الكرام رجاء واحدا ، وهوأن يحملوا رفاتي على ظهورهم الى مقري الاخير بعد موتي ، كما حملوا ديوني الثقيلة في حياتي »

وقالت الصحيفة التي روت هذه المأساة الواقعية تعليقا عليها ، ان ذلك الرجل قد اشتهر في حياته بذلك الروح الطروب الذي يرى به صاحبه النور في الظلام الحالك ، ويلمح به الصفاء في أشد الغيوم تلبدا ، وقد كتب تلك الوصية ، ومذارف عينيه تسيل بسكرات الموت ، ولكن المزاح البريء وعدم الاستسلام ، والنكتة الظريفة لم تفارقه حتى في تلك الساعة الرهيبة ، وكأنه ينشد : « حتى على الموت لا أخلو من الضحك »

ما أعظم الفرق بين هذا الرجل السعيد الشجاع ، الذي أبى الاذعان الى تصاريف القدر ، وحمل الى عالم الابدية متاعه المتواضع — الابتسامة — ما أعظم الفرق بينه وذلك الرجل « الوقور » الذي يجلس الى المائدة مقطب الوجه ، مشدود العضلات ، جامدا كالصخر ، وحوله زوجه وأولاده يتحدثون في همس ويأكلون في خشوع ، فاذا ما بدت على وجوههم ابتسامة ، زمجر ، كالاسد ، وأرغى وأزبد ، حتى اذا ما ولى « الكابوس » وجهه شطر الباب تنفسوا الصعداء ، واستعادوا حقهم الطبيعي من القهقهة والضحك والمرح!

الضحك والشيخوخة

ومما يستدر العطف ان ترى شابا في شرخ صباه دائم العبوس ، الى انقباض الصدر أقرب منه الى انشراحه ، يقبل على عمله في ضجر وملل ، فاذا مازحته ، أبى أن يطلق نفسه من عقال السأم • ولست أدري الى أين تلقي به خاتمة المطاف ، عندما تغزوه الايام ، وينشب الهرم فيه أظفاره ، فتجرده من شعره واسنانه واحمرار وجناته ، وتسلبه قوته وجماله فيصبح كالغوريلا في آخر أيامه ؟ جدير بمثل هذا الشاب أن يعلم ان الرجل الذي اذا خاطبته ابتسم ، واذا ضاحكته أمعن في الضحك ، لن تعرف الشيخوخة الى قلبه سبيلا ، فقد يتسع الخاتم الذي كان يوما ما يزين خنصره ، ولكن أصابعه تظل كما هي ، فخرا للجراح الماهر ، والكاتب الالمعي ، والرسام المبدع ، والموسيقي المطرب • وقد يمتلىء جبينه بتجاعيد كأخاديد المحراث ، ولكنه لا يكاد يفتح فمه بالحديث ، حتى يفتر ثغره ، وينبسط جبينه ، وما يكاد يستغرق في لذة عمله ، حتى يمهد ما رسم الزمان من خطوط

لقد عاب الناس «جرتنوج» الزعيم والشاعر الدانماركي،لانه أحب سيدة وهو فى العقد التاسع من عمره فأجابهم : « لئن كنت بحكم الايام شيخا ، فاننى لا أزال بقلبى ، ومرحى ، ووجدانى ، وحبى شابا فى عنفوان الصبا »

ولسنا نريد بهذا أن تجرد الانسان من عاطفة الحزن ، فانها نعمة قصدت بها الطبيعة كبح جماح البشر ، فضلا عن أن دموع الحزن ـ عند المرأة على الاخص ـ قد تكون أحيانا أحلى من دموع الفرح ، وأشد مجلبة للسرور ، ولكنا نريد أن تتزن فلسفة الحياة ، فلا يجنح صاحبها الى الاستهتار وعدم الاكتراث ، ولا يغالى منحدرا الى نهاية الطرف الآخر فينظر الى الحياة بمنظار أسود

التفسير العلمى للسرور

بعد هذا الحديث العام أريد أن أتقدم الى القارىء بالتفسير العلمى للسرور أو للكدر، انشراح الصدر أو انقباضه ، الارتياح أو السأم ، حتى يكون الموضوع مدعما بأكثر من مجرد آراء جدلية أو شخصية :

يقول علماء النفس ان كل ما نحس به يصل الينا اما من الخارج ، ككل مانسمع ونرى ونذوق ، ونشم ، ونلمس ، واما من الداخل كالحرارة ، والبرودة وحركة الدورة الدموية ، والجهاز التنفسى ، والامعاء ، وأعضاء التناسل وغيرها من «الاختبارات»

وهذه الاشياء التى نحس بها بلاانقطاع ، اما أن تسبب لنا ارتياحا ولذة ، أوانقباضاوألما، والحالة النفسية هذه ، لذة كانت أو ألما ، هى ما نسميها وجدانا • وان يكن الوجدان هذا حالة نفسية داخلية ، الا أن له فى معظم الأحيان مظاهر خارجية ، وهذه المظاهر هى ما نراها فى صاحبها من احمرارالوجه أواصفراره ، وابتسامته أوعبوسته ، وغيرها من الظاهرات البينة الخارجية التى تنبئنا عن الحالة النفسية الداخلية أو الوجدان ، كوقوف الشعر ، وخفقان القلب ، وانتفاض اليدين ، وارتعاش البدن • وهذه كلها ما يطلق عليها اسم انفعالات • فالانفعالات اذن هى التى تدل الناس على وجدان صاحبها ، اللهم الا اذا كانت مفتعلة • فالرجل الضحوك ، المرح ، كثير الابتسام ، لا بد أن يكون وجدانه (الا اذا كان متصنعا) مصحوبا باللذة والسرور ، ويطلقون عليه الكلمة العلمية euphoria والعكس يكون مصحوبا بالالم والغم despondency

ولما كانت عضلات الوجه ، كسائر عضلات الجسم ، تضمر وتموت atrophy لقلة الاستعمال ، فان الشخص الذى لا يبتسم أو يضحك كثيرا ، تضمر عضلات وجهه على ممر الايام ، ويكون هذا المظهر من مظاهر الوجدان (الانفعال بالضحك) سيء الاثر فى الوجدان ذاته • ولو وقفت المسألة عند هذا الحد لهان الامر ، غير ان هناك نظرية غريبة مؤداها ان الانفعالات قد تسبق الوجدان ، ومعنى ذلك اننا نضحك أولا ونحس بالسرور بعد ذلك ، ونذرف الدمع ثم نحس بالحزن • مثال ذلك « الذكر » فان الحركات البدنية

(الانفعالات) التى يأتيها هؤلاء الذين يشتركون فيه ينتج عنها الوجدان الدينى ، والممثل لا يتأثر بالموقف الا اذا بكى أولا ، أو غضب ، أو خاف ، والرجل الذى يدعى المرض ويتصنعه يكاد يدركه المرض • ومبتدع هذه النظرية (فى وقت واحد) كل من كارل لانج الدانيمركى ، ووليم جيمز الاميركى • ويقول لنا علماء الامراض العصبية ان معظم الذين يتوهمون انهم مرضى ، وهم ليسوا بمرضى hypochondriacs ممن لا يجنحون الى الابتسام وينظرون الى العالم بمنظار قاتم • ولا يخفى ان من الناس من يكون بالفطرة ميالا الى المرح والعكس بالعكس ، بيد أن للمران والعادة عظيم الاثر فى تعديل هذا الميل • وهنا نعود الى التفسير العلمى للوجدان والانفعالات ، فنذكر النظريات الآتية :

اولا ـ النظرية المنطقية ، ومؤداها ان الجهاز العقلى فى تأدية وظيفته ، اما ان يصادف عقبات فى طريقه ، أو تجرى الامور فى أعنتها على ما يرام • ففى الحالة الاولى يحس صاحبه بألم أو انقباض ، وفى الثانية يحس بسرور وارتياح

ثانيا ـ النظرية الطبيعية أو المادية ، ومؤداها ان الألم الناتج عن الانقباض وعدم الارتياح ككل ألم آخر ، هو نتيجة اتلاف للانسجة البدنية • والارتياح أو السرور على النقيض من ذلك هو نتيجة بناء للانسجة البدنية • فاذا ما وضعت أصبعك فى الماء الساخن أحسست بألم ، وما هذا الألم سوى نتيجة لازمة لاتلاف أنسجة بدنية (متصلة بالاوعية الدموية)• كذلك الألم الذى يتأتى عن حزن أو غم ، أو غضب ، أو كراهية ، أو حسد • وعلى النقيض من ذلك الرجل الذى يغلب عليه الضحك والانشراح ، فانه بذلك يعمل على بناء أنسجة وخليات جديدة فى جسمه • والناس الذين يمزجون حديث المائدة بالبسط والمزاح والضحك ، ينتفعون بالطعام من المادة الغذائية فيه أولا ، ومن بناء الانسجة بالمرح ثانيا

ثالثا ـ وهناك نظرية تكاد تكون مناقضة لسابقتها فى الظاهر ، ولكنها تؤدى المعنى ذاته ، وملخصها ان الوجدان الذى يتصل به ارتياح أو سرور ، يساعد الجسم على التخلص من الانسجة الميتة المتراكمة التى لا يحتاج اليها صاحبها ، والعكس بالعكس • وهذا يفسر ظاهرة الحالة النفسية التى يكون عليها الرجل الذى يتناول كأسا ، أو مقدارا معتدلا من الخمر • تكون هذه الكأس سببا فى التخلص من بعض الانسجة المتراكمة ، وينتج عن ذلك حس شاربه بانشراح الصدر والارتياح العام • ولما كان هذا الارتياح وقتيا ، فاننا لا نصف الخمر علاجا للانقباض

سر اتزان الامم الشمالية

ويقول العلماء ان ما نراه فى الامم الشمالية من الاتزان فى حياتهم ، وما يتصفون به من الخلق النادر ، وعدم الاستسلام للغضب وحدة الطبع ، والكراهية والحسد ، والخوف والانزعاج ، والشهوة والحب المتطرف ، وغيرها من الانفعالات القوية التى تفتك بصاحبها ـ كل هذا يعزى الى انهم دربوا ذواتهم منذ أجيال عدة على :

١ - الاستجابة الى المنبهات stimuli المفيدة ، أى تجنيد جيش من الاعصاب وتدريبها بالعادة والمران على أن تسلك هذا المسلك

٢ - تجنب كل ما يتأتى عنه اتلاف الانسجة بقدر الامكان • ومعنى ذلك عدم الاذعان لعوامل الحزن المفرط عند حلول الكارثة ، أو الغضب والكراهية ، وغيرها من الانفعالات التى ينتج عنها الألم وعدم الارتياح

ومن الغريب ان اسباب الانتحار ، تعزى كلها تقريبا الى اسباب تتصل اتصالا وثيقا بالاحوال التى جعلناها محورا للبحث ، الانتحار كما تصفه لنا الصحف والروايات ، يعزى الى الافلاس ، أو الفشل فى الحب أو الامتحان ، أو مرض مزمن • ولكن هذا لا يستند على أساس علمى من الصحة • اذ ان الانتحار قلما يكون نتيجة شىء واحد ، وانما يتسبب عن سلسلة طويلة من مثل هذه الاشياء ، وحوادث متراكمة ، من خيبة آمال ، وفشل ، وهموم ، وأحزان ، وغيرها من المسائل التى حذرنا القارىء من الاستسلام لها

***

ولما كانت الحياة الآلية فى المدن تدفع الناس الى التصنع ، وكبت الوجدان ، واشتغال البال ، وتحمل المسئوليات الجسام ، والسرعة فى انجاز الاعمال ، والهرع من عمل الى عمل ، ومن حفلة شاى الى وليمة راقصة ، ومن « كوكتيل » الى عشاء ، وغيرها من نواحى النشاط التى تثقل كواهلنا ، وتتعب عقولنا ، وتقلق أفكارنا ـ لما كانت هذه العيشة أمرا لابد منه ، كان لزاما علينا ان نتخذ لنا فى الحياة فلسفة سليمة ، نستطيع بواسطتها أن نسير دفة أعمالنا وحركاتنا وسكناتنا بحيث لا ترتطم سفينتنا بصخور المخاوف والهموم والعقد النفسية • وخير وسيلة لذلك كما قلنا المران منذ نعومة الاظفار • ومن هذا تتبين مسئولية الوالدين والمربين نحو الاطفال • فالطفل الذى يعيش فى بيت يسود جوه التشاؤم والعبوسة ، يشب كذلك ، والعكس بالعكس • وفى مقدمة الوسائل التى تعين صاحبها على اتخاذ فلسفة سليمة فى الحياة ، أن يتخذ له صديقا حميما يستطيع أن يسر اليه ما يشغل باله من هم وحب وكراهية ، وبهذا يفتح لاسراره منفذا يكون بمثابة صمام الامن لآلة بخارية • ويندر أن تكون هذه الصداقة الخالصة بعد سن الطفولة ، اذ ان الصداقة التى تنشب بين اثنين فى مدرسة ابتدائية أرسخ قدما من التى تتكون فى مدرسة ثانوية ، وقلما تجدى الصداقة التى تبدأ فى جو جامعى نفعا ، لمجيئها متأخرة

أمير بقطر

مختارات الهلال

كيف أدرس الرجال

للمؤرخ الكبير إميل لودفيج

أمضيت السنين فى دراسة صورجوتيه وبيتهوفن وبسمارك ونابليون ولنكولن ورمبرانت قبل أن أشرع فى ترجمة حياتهم . فكنت أضع صورة الرجل الذى أدرسه نصب عينى قائما على مكتبى شاخصا الى وجهى دائما، وكنت أتحدث اليه طويلا ، وأسأله عن شتى ما يعرض لى من الامور : أسأله عن رحلة أنوى القيام بها ، وأسأله عن كلب أريد شراءه وتربيته . وكنت أجلس معه أتناول الطعام على المائدة ، وأقعد الى جانبه أستمع الى الموسيقى يهدر بها الراديو . وكنت أحييه كلما أصبح الصباح أو أمسى المساء ، أى كنت على الجملة أحيا معه ممثلا فى صورته

وكنت فى خلال ذلك أسعى الى توثيق عرى الصداقة بينى وبينه بدراسة الوثائق الخاصة التى خلفها . فأدرس ما سجل مما جرى به لسانه من أحاديث ومحادثات أجد فيها اعترافاته الصريحة اليسيرة ، التى أفضى بها الى صديق يخلص له أو الى امرأة يحبها، عما يضطرب فى قرارة من الاغراض والمطامح وعما يختلج فى وجدانه من الآمال والمخاوف . ثم أبحث عن رسائله الخاصة التى أودعها أسراره فأتبين فيها شخصيته سافرة على حقيقتها . حتى اذا بلغت هذه الغاية بدأت أنظر الى أحاديثه الرسمية وأتخذها مادة من مواد الدراسة ، ذلك أن فى وسعه أن يكذب فى هذه الاحاديث كيف يشاء وأن يخفى نفسه فى طياتها اخفاء بارعا ، بينما يجب على أن أميط عن وجهه كل لثام ، وأن أبديه سافرا مما اتخذه من القناع خاليا مما أضفى عليه من الرواء

فمهمة المترجم الكبرى هى أن يكتشف الانسان العادى المختبىء فى هيكل البطل العظيم ، وأن يتبين الملامح الانسانية البسيطة مختفية وسط مظاهر العبقرية الآسرة . مهمته أن يمكننا من أن نرى نابليون نفسه ، أو بيتهوفن ذاته أخانا الكبير ، فعندئذ نبدأ نفهمه ونحبه ونقدره قدره الصحيح

وغاية المترجم أن ينشىء انسانا لا أن يصوغ تمثالا من النحاس . أن يجعل من هذا القائد البطل المنتصب فى المساحة الكبرى مصلت الحسام ، انسانا يحس ويشعر كما كان يحس ويشعر فى هذه الدنيا قبل أن يصير تمثالا جامدا

وفى سبيل هذه الغاية حاولت منذ عشرين سنة أن أبتكر فى «الترجمة» أسلوبا خاصا

شرع في اتخاذه كثير من الكتاب ، وهو عدم التفرقة بين حياة البطل العامة وحياته الخاصة ، بل بحثهما وعرضهما سويا فى وقت واحد • وبذلك ندرس قصة القلب الانسانى مسوقة فى أمثلة من عظماء الرجال ، وتتبين أنفسنا فى مرايا هؤلاء العظماء فنلتمس فيها عزاء عما نلقى من الصعاب وتشجيعا على ما نصادف من التوفيق • أذكر أنى لقيت صبياعاملا فى مدينة شيكاغو يقرأ كتابى عن «نابليون» فسألته عما يرى فيه فقال : « انه رائع يا سيدى ، فانى أشعر انى أمثل نابليون تماما »•فقلت : هذاهوخير من قرأ لى ، انه قارئى المثالى !

وثمة فارق بين ترجمة الاحياء وترجمة الموتى • فرسم صورة قلمية لرجل معاصر أشق على الكاتب من رسم صورة مثلها لرجل عاش فى الماضى • فقد أبوا على أن أقرأ رسائل موسولينى الغرامية • ورسائل روزفلت الى أطفاله حينما أخذت أترجم حياتيهما • ولكنى اذا كنت حينذاك قد افتقدت الوثائق والرسائل الخاصة فقد وجدت الشخص ذاته ماثلا أمامى أبادله النظر والحديث•ففى الاحاديث الطويلة التى جرت بينى وبين موسولينى فى روما وبينى وبين روزفلت فى واشنجتون أتيح لى أن أدرس « التعابير » التى يختلج بها وجهاهما والمعانى التى تنبىء عنها اشارات أيديهما • فوجدت موسولينى رجلا عاديا جدا اذا كنت معه على انفراد ، ولكن عندما انقطع النور الكهربائى ودخل أحد العمال لاصلاح أسلاكه ، انتصب موسولينى فى هيئة تمثيلية غريبة وظل خمس دقائق متوالية حتى انصرف العامل !

أما روزفلت فكان من أكثر الشخصيات التى درستها اتساقا مع طبيعته ومحافظته على اتزانه • وقد قلت له : « انى أفضل غالبا أن أكتب عن الموتى ولهذا يؤسفنى أنك ماتزال حيا ياسيدى الرئيس » • فضحك وهو يقول : « انى عائش برغم أنفى ! »

ومما يجعل الكتابة عن الاحياء شاقة دقيقة انهم يعيشون وسط عواصف من المدح والذم والاستحسان والاستهجان يثيرها عليهم أصدقاؤهم وأعداؤهم فى كل آن• ولهذا لما أصدرت كتابى عن روزفلت قرأت كثيرا من الامريكيين ينقدوننى ويلوموننى على أنى كنت أميل الى جانب رئيسهم أو زعيمهم ، ذلك انهم كانوا يصدرون فى نقدهم على ما بينهم وبين روزفلت من خصومة أو رأى مخالف

أما كتاب التراجم فى المستقبل فيمتازون عن زملائهم المعاصرين بميزة كبرى ، هى أنهم سيسمعون أصوات من يترجمون لهم من العظماء مسجلة على قرص الفونوغراف أو شريط اللاسلكى ، وسيرونهم يسيرون ويتحدثون ويعملون على صفحة الستار الفضى • ولو أمكننى أن أرى قيصر وهو يتحدث الى كليوباترا ، كما أرى دوق وندسور وهو يتحدث الى زوجته ، لاستطعت أن أميط اللثام عن سرهما الخفى

وأسلوبى فى الكشف عن حقيقة الرجل المعاصر الذى أريد أن أترجمه ، هو أن

أسوقه الى الحديث فى موضوعات لم يألف بحثها . فأستطرد بالرجل المالى الى الحديث عن فن نحت التماثيل،وأستدرج برجل الاعمال الى الحديث عن النظام الديكتاتورى ، وأطرق بالديكتاتور حديثا عن الحق أو العدالة ذلك انهم فى مثل هذه المواقف التى لم يألفوها لا يقدرون على حكم أعصابهم وتوجيهها كما يفعلون حين يطرقون الحديث فى الامور التى درسوها وخبروها ، فصار من اليسير عليهم أن يتكلفوا لها من الاوضاع أو يسوقوا فيها من الاكاذيب ما يخفى شخصيتهم الحقيقية وراء شخصية مصطنعة يرتدونها أمام الناس

وهذه الطريقة التى اتخذها لا تتأتى الا اذا مارسها الانسان يوما فيوما وسعى الى اجادتها واحسانها شيئا فشيئا . وكما أن أبرع عازف على البيانو يجب أن يجرى أصابعه عليه كل يوم فترة ما ، كذلك أروض نفسى على هذا الاسلوب من الدراسة النفسية العملية يوما بعد يوم . والواقع ان الشيء الوحيد الذى يحتاج اليه كاتب التراجم هو « الخيال » وهو لهذا أقرب الى الشاعر الذى ينفذ بخياله الى ما وراء الاستار المسدلة ، منه الى المؤرخ الذى يقلب بين يديه مواد أو صفحات جمعها من هنا وهناك

ودراسة الرجل العظيم لا يمكن أن تعد أهم وأجدى من دراسة الرجل العادى . وهل ملوك شكسبير وأمراؤه أهم وأمتع من خدمه ورعاعه ؟ ولهذا فانى أذكر أن فى حفلة عشاء كبرى أقيمت لى فى مدينة نيويورك فى العام الماضى ، اندفع الى شاب وألقى على هذا السؤال : « لماذا لا تكتب حياة رجل عادى ؟ ... ثم اختفى دون أن يسمع منى جواب سؤاله ، على أنى أعد هنا بأنى سأبدأ فى دراسة الرجل العادى ، رجل الشارع الذى لا نعرف اسمه والذى لم يكتب عنه أحد ، الرجل الذى لا شك فى أنه جوهر حياتنا الديموقراطية ، ودعامة ما نريد تشييده من صرح العدالة

(خلاصة مقال للمؤرخ المشهور اميل لودفيج فى صحيفة Talk)

---

* ليس ثمة ما هو أفظع من مشهد الشبان الذين هم أشبه شيء بالرجال فى الرذائل والمساوىء حالة كونهم أطفالا فى كل ما عدا ذلك . فهم يعرفون كل ما لا حاجة بهم الى معرفته ولا يعرفون شيئاً عن العلوم والفنون والدين القويم والآداب الصحيحة (ستودارد)

* ليس الشاب ثوباً نستطيع أن نلبسه يوماً ونخلعه ونخبئه للمستقبل يوماً آخر . بل الشباب ثوب لا بد لنا من لبسه باستمرار إلى أن يبلى — (فوستر)

الكذبُ الفنّى

بقلم الاستاذ عبد العزيز البشرى

أبريل شهر الكذب أو شهر الكذبة الكبرى ، فما يكاد يقبل حتى يتذكرها الغرب والشرق ، فما من شهر يستقبله الناس بالكذب والحذر من الكذب مثل هذا الشهر ، لولا أن بعض الساسة في هذا الزمان قد أفسدوا هذه العادة فأباحوا لانفسهم الكذب على الناس فى كل شهر ، ولو لم يكن شهر أبريل ! [المحرر]

لا شك فى أن الكذب يعد من الرذائل فى كل زمان وفى كل مكان . بل لا شك فى أنه من أخبث الرذائل جميعاً ، بل لا غرو على من يذهب الى أنه أخبث الرذائل جميعاً !

ولست أسوق هذا الحديث درساً فى الأخلاق ، فأشرح مزايا الصدق ومحاسنه ، وأورد مقابح الكذب ومآثمه ، فذلك أمر مفروغ منه من الازمان الطوال

وانما أريد أن أتحدث فى هذا حديثاً يسيراً لعله يجدى فيما قصدت اليه بانشاء هذا المقال

وبعد ، فأنت خبير بأن من يأخذ نفسه بفضيلة الصدق ويطبع عليها لسانه ، تراه يتأثم من مقارفة الكثير من الرذائل ، ويتحرج من إتيان ما يعيب الرجل الربىء : ذلك لأنه يخشى ، ان هو سئل ، الوقوع بين أمرين خيرهما شر ، وأحلاهما مر . وهما التورط فى الكذب ، وقد علم أنه رذيلة الرذائل ، وإما الصدق الذى يكشف من أمره ما لا يحب أن يصله الناس به ويعهدوه عليه

أما من راض نفسه على الكذب ، وأسلم زمام لسانه لهذه الرذيلة ، فهذا ، ولا ريب ، من وطن نفسه على مقارفة ما يشاء من المقابح ، ومعاطاة كل مايلذه من المآثم ، مستمداً الخلاص من الكذب ، وهو فى ظنه لا ينضب معينه ولا ينفد مدده ، غافلا عن أن حبل الكذب ، كما قيل ، قصير ، وأنه بحسب المرء أن تحصى عليه كذبة ، ثم كذبة ، ليتمثل دائما للناس كذابا لا يصدق أبداً ، ولو صدق ، ولا ينطق الحق مطلقا وان نطق !

وهذا من الجهة الفردية . أما من جهة المجموع ، فالأمر أجل وأخطر . وأرجو أن تستحضر فى ذهنك الآن قضية مسلمة سهلة واضحة ، وهى أن نظام الجماعات كله قائم على صحة النقل وفرض صحته ، سواء أكان المتحدث مترجماً عما فى نفسه أم راوياً عن غيره . على هذا يدور نظام الجماعات فى كل زمان وفى كل مكان ، إذ أن الأصل أن يصدق المتكلم ، كما أن الأصل أن يصدق السامع ، وعلى هذا الاساس تجرى المعاملات بين الناس فى مختلف الأسباب . وكذلك ينتظم شأن الجماعة ، ويقوم التعاون بين الأفراد على الاضطلاع بأعباء الحياة ، بحيث تنتظم منها وحدة يكون

الافراد منها بمنزلة الأعضاء من جسم الانسان

ولنقدر أن جماعة شاع فيها الكذب، وقل فيها الصدق ومطابقة الاخبار للواقع ، فان مما يلزم هذا ويتبعه فوراً أن يسود التكذيب الجماعة ، فلا يصدق أحد أحداً أو لا يكاد يصدقه ويركن الى قوله . فلعمرى ماذا يكون شأن الجماعة فى هذه الحال ، وكيف ينهض الناس بالأعمال المشتركة. وكيف يتم التعاون بين الأفراد ، والحياة الاجتماعية ، كما تعرف ، إنما هى تعامل وتبادل وتقارض. ومدار هذا كله الثقة العامة ، فاذا فقدت هذه الثقة ، والعياذ بالله ، انهدم كيان الجماعة ، وأصبح بنيانها الشاهق أنقاضاً على أنقاض !

هذا ، والكذب على قبحه قد يساغ فى بعض المواطن، إذا دعت اليه ضرورة . والضرورات ، كما قالوا ، تبيح المحظورات . وشأنه فى هذا شأن غيره ، فان الضرر الكثير لا يخلو من نفع قليل ، والشر الكبير لا يخلو من خير صغير . بل لقد يكون الكذب محموداً فى بعض الأحيان

ومن المواضع التى يسوغ فيها الكذب ، الكذب على الصغير ، إذا لم يكن من ذلك بد لتسكين ثورة نفسه ، والترفيه عنه ، وإدخال السرور عليه . ومن تلك المواضع الكذب للاصلاح بين الزوجين أو بين الصديقين ، على ألا ينجم عن ذلك ضر

ومن المواضع التى يحمد فيها الكذب ، بل التى ينبغى فيها اتخاذه وتعمده والالحاح فيه ، الكذب فى مكايد الحرب وخدعها . فان الصدق فى هذا ، بحيث يستغله العدو ويسلك منه إلى الظفر ، مما يلحق بالخيانة والاجرام . على أن من الناس من لا يأذنون لألسنتهم بالكذب ، مهما يكن الأمر ، ولقد يعوذون ، فى مثل هذه المقامات بالتوريات ، وقد قيل : فى المعاريض مندوحة

وعلى الجملة ، فانا نستطيع أن نشبه الكذب بالسم ، فانه إذا كان فى طبيعته القتل والفتك ، فلقد ينتفع بقليله فى شفاء العلل وإبراء الاسقام فى بعض الاحوال !

وبعد ، فانما يجر الناس الى الكذب أسباب شتى ، كما تختلف صور الكذب نفسه باختلاف طبائع الكذابين . ومن أهم ما يدعو الى الكذب ، وفى الصغار على وجه خاص، الخوف والتخلص من المسئوليات . ومن أهم ما يدعو اليه فيمن ارتفعت بهم السن، على وجه خاص أيضاً ، حب الظهور بألوان البطولات الزائفة لا ينفق فى سبيلها شىء من جهد أو مال ، أو استهداف لخطر ، أو تعرض لأذى من أى نوع كان ، وقد يدعو الى ذلك حب التجمل للناس، واستئلافهم ، والظهور بالاسراع إلى قضاء حوائجهم

وكيفما كان الأمر ، فان الكذب كثيراً ما يضحى غريزة وجبلة ، يعمد اليه من ابتلى به فى غير ما رغبة ، ولا رهبة ، ويصطنعه فى غير ابتغاء منفعة أو دفع مضرة . بل لقد يفعل هذا وهو يعلم أنه يضره ولا ينفعه . واذا عرفت غلبة العادة التى لصقت بالطبع واتصلت بالغريزة ، عرفت أن مثل هذا مجبور ماله فى الأمر خيار ! وبعد ، فالحديث فى الكذب وقبحه ، والكذبة وأثمهم ، شىء

يطول فى غير طائل ،وما للكذب المعتاد ، أعنى مجرد رواية غير الواقع سقناهذا الحديث ، وانما سقناه لغرض آخر جليل ، يستحق أن يقابل به مطلع أبريل :

وأرجو أن تعلم أن من الكذب كذباً فنياً ، وإننى أعنى هذه الكلمة بكل ما تحمل من معنى ، بل إننى لأمضى الى أبعد من هذا فأقرر أن هذا (الكذب الفنى) مما يمكن أن يضاف ، بحق ، الى طائفة الفنون الجميلة ، ويوضع فى صفها ، وينتظم فى سلكها ، إذ لا تجده يقصر عما يعطيك النحت أو التصوير أو الموسيقى من الأنس واستراحة النفس ، وما تثير فيك ، فى بعض الاحيان من الطرب ، وما تبعث من الأريحية ، بل ما تذكى من حسك ، وتنفذ من فطنتك

نعم ، هذا اللون من الكذب فن جميل ، له كل ما للفنون الجميلة من رائع الاثر ، وبالغ الخطر !

هو فن جميل لا يجيده ولا يبرع فيه إلا من رزق الطبع وأوتى الموهبة ، فاذا تكلفه من لم يؤت ذلك خرج سمجاً بارداً ثقيلا كشأن سائر الفنون الجميلة ، فى هذا ، سواء بسواء

وأول ما ينى عليه هذا الفن ان الاختلاق والتزيد فيه لا يضر بشىء ولا يؤذى أحداً ، على انه بالغ الغاية من الاعجاب والاطراف والاضحاك . ولعل من مميزاته الواضحة انه لا يحاول قهرك على التسليم بأنه أمر واقع لا ريب فيه ، بل انه ليعرض نفسه عليك عرضاً بسيطا ، وقد يتكىء فى معرضه على يمين متجلجلة متخلخلة ، ولك فى النهاية حكمك فى الرد أو فى القبول

وهذا الكذب الفني ليس ابن اليوم ولا ابن الأمس القريب ، بل انه قائم معروف ، وأصحابه المبرزون فيه معروفون كذلك من الزمان البعيد . ومن ذا الذى ينكر أبا حية النميرى مثلا أو ينكر فنه العظيم . ومن ذا الذى يزعم أن صنعة هذا الرجل مما يستطيع أن يتكلفه من شاء من العالمين ؟

أليس من التحف الفنية الجميلة قوله يحدث عن نفسه : سنح لي ذات يوم غزال فرميته بسهم ، فتيامن الغزال ، فتيامن السهم وراءه ، فتياسر الغزال ، فتياسر السهم وراءه . وما زال، فى عدوه ، يراوغ السهم بالتيامن مرة ، وبالتياسر أخرى ، والسهم يلاحقه كذلك، حتى أدركه ببعض الجبانات فصرعه !

ولا شك أن من القطع الفنية الرائعة ما حدث به هذا أبو حية قال : عن لى ظبى فرميته بسهم ، فانطلق الظبى وانطلق السهم وراءه ، ثم ذكرت بهذا الظبى حبيبة لى فعدوت وراء السهم حتى قبضت عليه قبل أن يبلغه !

واذا كانت حكاية (القزان) والكرنبة أو السمكة لا يزال لها رونق فى بعض الاسمار ، فاعلم أن هذا المعنى مسبوق من العصر القديم . قال الاصمعى : قال الخليل بن سهل : أعلمت أن طول رمح رستم كان سبعين ذراعا من حديد مصمت (١) فى غلظ الراقود (٢) فقلت هاهنا أعرابى له

(١) مصمت : لا جوف له ، أو كما تقول العامة (صب) (٢) الراقود : الدن الكبير (برميل)

معرفة ، فاذهب بنا اليه لحدثه بهذا . فذهبت به الى الاعرابي لحدثه : فقال الاعرابي قد سمعت بذلك ، وبلغنا أن رستم هذا كان هو واسفنديار أتيا لقمان بن عاد بالبادية ، فوجداه نائما ورأسه فى حجر أمه ، فقالت لهما : ما شأنكما : فقالوا : بلغنا شدة هذا الرجل فأتيناه ، فانتبه فزعا من كلامهما ، فنفخهما ، فألقاهما الى أصبهان ، فقبرهما اليوم بها . فقال الخليل : قبحك الله ما أكذبك! قال : يا ابن أخى ما بيننا من شيء إلا وهو دون الراقود !

ومن أبدع روائع النفاجين (١) ما روى من أن عاملا فى روسيا فى مصنع لتقديد اللحم ، لقى فرنسياً يعمل فى بلاده فى مثل هذا المصنع . فجعل كل منهما يكاثر بمصنعه ، ويهتف بعظمته وقوة آلاته إلخ حتى قال الروسى : إن مصنعنا تساق اليه قطعان الخنازير من هذه الناحية ، فلا تلبث بضع ثوان حتى تخرج من الناحية الأخرى لحوماً مقددة مصففة فى العلب ، عليها اسم المصنع وشعاره !

فقال الفرنسي : وما هذا ؟ فان مصنعنا ليزيد على ذلك بأنه اذا خرج بعض العلب فاسداً ردت ثانياً فخرجت من الناحية الأولى خنزيراً حياً سوياً !

ومثل هذا ما قيل من أن فرنسياً أقبل على صاحبه الروسى ، وجعل يحدثه عن شدة البرد فى بلاده ، قال : خرجت فى يوم من أيام الشتاء إلى إحدى الغابات ، فاعترضنى أسد ، فأسرعت وتسلقت شجرة باسقة ، وجلست على رأسها ، وكان خنجرى قد سقط عند أصلها ، وظل الأسد رابضاً الى جذع الشجرة فى ارتصادى وترقب افتراسى . ومن شدة الخوف قطر منى ماء ما لبث أن انعقد ، من عظم البرد ، قضيباً ثلجياً ، فتناولت به الخنجر ، وتدليت فشققت به صدر الأسد !

فقال له صاحبه الروسى : وما ذاك ؟ ! ان هذا ما يكون عندنا فى وقدة القيظ ! أما اذا كان الشتاء ، وخرج الناس فى الصباح الباكر لطياتهم ، أقبل بعضهم على بعض بالتحيات المعتادة . ولكن الكلام ينعقد على شفاههم فلا يهجس منه حرف واحد ، فاذا طلعت الشمس وخفت حدة القر ، رأيت آفاق الجو كله تتصايح بـ (صباح الخير ـ أسعد الله صباحك ـ أرجو أن تكون بعافية ـ صحتى جيدة وأنت ؟ ـ الى أين ؟ ـ الحمد لله ـ صاحبك التوفيق الخ الخ) ! ! !

* * *

وبعد ، فلقد كنت أحب أن أتحدث عن عباقرة (الفن الحديث) ممن أدركناهم ، وممن لا يزالون قائمين فى الحياة ، وأعرض لخواص (فنهم) وأشهر ما جادوا فيه من الطرف ، لولا أن الكلام قد طال . فاذا كانت فى العمر فسحة ، فلعلنا موفقون الى هذا فى أبريل المقبل ان شاء الله

عبد العزيز البشرى

(١) النفاج بتشديد الفاء : المدعى المفتخر بما ليس عنده ، وهو من يعبر عنه العامة في مصر بـ (المعار)



أغلال

قصة مصرية ، بقلم الاستاذ محمود تيمور

كنت أعيش فى « بنها » عيشة متواضعة ، متكسبا من مهنة المحاماة التى لم تكن تدر على إلا الربح القليل ، مقيما وحدى فى منزل ريفى فى ضاحية المدينة . وكانت حياتى مملة ، من الدار الى القهوة . أماكن موحشة ووجوه متشابهة ، ومناظر لا تتغير !

وعدت ليلة الى دارى متبرما ، وفى يدى رسالة من أخى القاطن بالقاهرة ينبئنى فيها باخفاقه فى مسعاه ، إذ كلفته البحث عن وظيفة لى فى احدى الوزارات ، وألححت عليه فى ذلك . وختم رسالته بقوله : إنه سيعيد الكرة ، ويؤمل أن يساعفه التوفيق ، فيجب أن أتذرع بالصبر . . .

دخلت الدار ، وطرحت الرسالة على المائدة ، وأشعلت مصباح النفط القذر ، وجلست أطالع الصحف

وباغتتنى حركة استرعت انتباهى ، فأرهفت أذنى ، فسمعت صوت تنفس ، وأيقنت فى الحال أن هناك شخصا فى الغرفة ، وأسرعت نبضات قلبى ، ولكنى نهضت وصرخت :

— اخرج ، وإلا أطلقت عليك الرصاص !

وتحركت حركة أتظاهر فيها باخراج المسدس الوهمى من جيبى الخلفى . وتذكرت فى هذه اللحظة أن السكين الصدئة المعدة لقطع الجبن ، التى لا أملك سواها سلاحا ، قابعة على الرف فى الحجرة المجاورة ...

وجعلت أصرخ وأنا أضرب بيدى على المائدة ، مكرراً قولى السابق . وبعد قليل ظهر رأس انسانى من تحت السرير ، وسمعت صوتا أشبه بصوت الصبيان يقول :

— أستحلفك بالله ألا تقتلنى يا سيدى !

وخطر ببالى أنه غلام من المشردين ، قد دخل المنزل فى أثناء غيابى ليسرق . فتزايل خوفى ، وتقدمت من السرير ، وأمسكت بأذن الغلام ، وشددتها وأنا أقول :

— ما الذى جاء بك الى هذا المكان ؟ تكلم !

وخرج الصبي وهو يتوسل إلى ألا أسلمه الى الشرطة ...

ولمست يدى صدره غير عامد ، ولمحت شعره الغزير المتهدل على منكبيه ، فصرخت فى عجب : أنت فتاة ؟

وكانت فى أسمال بالية قذرة ، يتوضح تحتها جسمها الهزيل . ووقفت أمامى ذليلة وهى تتمتم :

— أقسم بالله العظيم إنى لم أقصد سرقتك !

— إذاً لماذا أنت هنا ؟

وعدت الى مقعدى بجوار المائدة ، وجلست هى القرفصاء أمامى ، وضوء المصباح يغشاها .. وراعتنى منها أول وهلة عيناها الواسعتان السوداوان ينبعث منهما وميض خلاب . .

وبدأت تروى لى قصتها ، فاذا بها قصة مملة مفككة . وكانت تتكلم بلهجة مريبة . ولاحظت أنها كانت تعيد رواية بعض الحوادث ، فتخلط فيها ، وتحكيها على وجه آخر !

فجعلت أنقر على المائدة بأصابعى ، ثم صحت : « وأخيراً ؟ . »

— وأخيراً يا سيدى أنا فتاة بائسة ، ولكنى جلدة على العمل ، وأقوم بكل ما يطلب إلىّ من شئون البيت . .

وفهمت مرادها ، فأجبتها بلا إمهال :

— ليس عندى عمل لك ، ولكن يمكننى أن أعطيك منحة لوجه الله . .

وجعلت أفتش فى جيبى عن شىء ، فاقتربت منى ، وأهوت على ركبتىّ تقبلهما ، وهى تقول :

— بالله عليك لا تطردنى يا سيدى هذا المساء ! .. ليس لى مأوى أبيت فيه . .

ونظرت إلىّ فى توسل بعينيها الواسعتين ، فلم أجبها . وتراجعت هى فى صمت الى مكانها . وتملكنى بعض الوجوم ، أسلمنى الى شىء من التفكير . .

وقمت الى خزانة ملابسى ، فأخرجت منها جلباباً من جلاليبى القديمة ، ورميته الى الفتاة قائلا :

— هاك ثوباً تسترين به جسدك !

ثم ذهبت الى الحجرة المجاورة ، وأحضرت عشائى ، وبدأت آكل وأنا صامت مفكر . ثم تنبهت الى أنها لا بد أن تكون جائعة ، فناولتها شيئاً من الطعام ، فتقبلته بسرور ، وجلست تحت أقدامى تأكل كالهرة القنوع . وكانت بين فترة وأخرى ترفع بصرها الىّ مبتسمة . وسمعتها تتكلم فى إسهاب ، ولابد أنها عادت الى رواية بعض حوادث من حياتها ، كنت أسمع صوتها غير متتبع حديثها ، إذ شغلت بالتفكير فى أشياء أخرى ، وبدأت أشعر بانقباض لا أدرى له سبباً . .

ولما انتهيت من العشاء ، قمت وأنا أقول لها بلهجة الجاد :

— غداً صباحاً تتركين المنزل . أسامعة ؟

فأجابتنى فى ذلة وخضوع : سمعاً وطاعة

وأخذت تجمع صحاف العشاء ، وتنظف المائدة . وذهبت الى الحجرة المجاورة ، وسمعتها بعد قليل تغسل الأوانى

* * *

وفى الصباح استيقظت متأخراً ، إذ أصابنى فى أول الليل أرق . وتركت فراشى ، فوجدت

الفتاة منتظرة أوامرى ، فاستدعيتها لتحضر بعض ما يلزم لى ، فلبت طلبى فى خفة . ورأيتها لابسة جلبابي ، بعد أن قصت من أذياله ومن أكمامه ، وسوته على قدها فى ذوق ومهارة ، فكأنه فصل عليها من الأصل . . وكان وجهها نظيفاً ورائحتها طيبة . ووجدت الفطور على المائدة معداً أحسن إعداد ، وقصدت الى الحجرة المجاورة ، فتبعتنى بلا كلام ، ثم تقدمتنى آخذة بالابريق . متأهبة لصب الماء على يدى فأغسل وجهى

وعند ما انتهيت من طعامى وارتداء ملابسي ، وتهيأت للخروج ، دنت منى ، وقالت بلهجة المطمئن :

ـ أى صنف تريد أن أعده لك لطعام الظهر !

وكنت معتزماً أن أجيبها بأنى أتغدى دائماً فى الخارج ، ولكنى وجدت نفسى أقول :

ـ كل الأصناف عندى طيبة !

وناولتها قطعة من النقود ، ثم تركت الدار توا

ولما عدت فى وقت الظهيرة ، وجدت المنزل على غير عهدي به : كل شيء مرتب نظيف ، وعبق البخور يستقبل الداخل ، ولم ألبث ان امتلاءت أنفى برائحة الاكل الشهية ، ثم قدم لى غداء لذيذ لم أطعم مثله منذ سنين ، وشعرت بأنى أعيش فى جو جديد

وكانت « غندورة » مشرقة الوجه ، لا تفارق الابتسامة ثغرها . حقا انها لم تكن على شيء من الجمال ، ولكن كانت فيها جاذبية خفية تضطر المرء الى تحديق بصره فيها . .

وبعد ما انتهيت من الطعام ، قعدت على الأريكة ، وأشعلت لفافة ، وجعلت أتذوق التدخين فى شغف ، وجلست غندورة على الارض بجوار قدمى ، وجعلت تتحدث ، فأنصت لحديثها فى تشوق ، وبدأت أجد فيه بعض الطرافة ، مع انه لم يتغير عن حديث أمس . . وصدمتنى كذبة أثناء روايتها لحادثة من حوادث حياتها ، وقد كانت روتها لى أمس على ثلاثة أوضاع متباينة . فرفعت رأسى ، ونظرت اليها أريد أن أستدرك عليها ، فقابلتنى عينها الدعجاء ، فلم أفه بشيء ، وابتسمت لها ، ثم أملت رأسى الى موضعه ، وأنا أغالط نفسى ، وأنتحل للفتاة شتى المعاذير . .

* * *

وعدت مرة ذات مساء الى المنزل . فوجدت فتاتى تعد لى الفراش ، فباغتها بقبلة فى عنقها ، فأبدت لى استسلاما غريباً ، كأنها كانت تتوقع ما أقدمت عليه . .

وتواردت أيام ، ولم أعد أرى فى الدار تلك العبوسة القاتمة . وشعرت بأن أصحابى يضايقوننى وأن القهوة تمضنى ، فبدأت أقلل من ترددى عليها . . وقضيت أكثر أوقات فراغى فى المنزل أنعم بصحبة فتاتى وأستمتع بحديثها على ما فيه من تفاهة وسخف !

وكثيراً ما كنت أسائل نفسى : ألها أهل ؟ وأين موطنها ؟ وهل اشتغلت بالخدمة عند غيرى ؟

ولكنى لم أكن أهتدى الى أجوبة أطمئن اليها . وظل ماضيها يشوبه الغموض ، وعشت معها كذلك وأنا راض عن حياتى كل الرضا

* * *

وتواصلت أيام أخرى ، ووردتنى رسالة من عمدة « ميت فاضل » وكانت تربطنى واياه صداقة قديمة ، يدعونى فيها الى حضور حفل زفاف نجله . وأخبرت « غندورة » انى سأقضى الليلة فى « ميت فاضل » وسأعود غداً حين الظهر ، فبدا عليها أسف شديد . . ودعت لى بالسلامة فى الرواح والأوبة

وسافرت بعد العصر من « بنها » قاصداً « ميت فاضل » . وكان لا بد لى أن أبدل القطار فى طنطا ، فلما بلغتها وجدت رسول العمدة ينتظرنى ، وبادرنى باخبارى أن حفلة الزواج قد تأجلت لأسباب مفاجئة ، وان العمدة يعتذر لى فى خجل وتأسف ، فشعرت بأن حملا قد انزاح عن عاتق

وما إن اقتربت الساعة من العاشرة ، حتى كنت أمام دارى أعالج فتح الباب بالمفتاح الذى معى ، فوجدته مقفلا من الداخل بالمزلاج ، فجعلت أطرق ، وأنادى غندورة لتبادر بفتحه . ولكن لم يلب ندائى أحد . وطرق سمعى أصوات هرج ومرج مكتومة يتخللها همس ، فأنصت ما وسعنى ان أنصت ، ثم اندفعت أقرع الباب بشدة ودمى يغلى ، وكنت أصرخ قائلا :

— إفتحى والا كسرت الباب !

وطال مكثى وأنا أقرع الباب وأصرخ ، واعتزمت تحطيمه بأية وسيلة تكون .. وانفتح الباب فى هذه اللحظة ، وقابلتنى غندورة على عتبته وهى ترحب بى . ثم قالت :

— لقد أقفلت الباب بالمزلاج ، خشية اللصوص ، وكنت متعبة ، فنمت نوماً ثقيلا

فلم أنظر اليها . ودخلت مقطب الوجه صامتاً ، وأنا أرتجف ، فصادفتنى رائحة غريبة ، ووجدت الحجرة فى حالة يرثى لها ، ولا سيما فراشى ، كل شىء مهوش مختلط ، وطفقت أفتش تحت السرير والأريكة وفى الخزانة وخلف الصندوق ، وفى كل موضع تقع شبهق عليه . ولكننى لم أعثر على أحد . وكانت هى تسير خلفى كقطة أوجعها الضرب ، متظاهرة بمساعدتى ، ولسانها لا يكف عن الكلام ، أو كانت تعتذر عن خطأ ارتكبته ؟ أم كانت تستنكر ظنونى ؟ أم هى تسألنى عما أبحث ؟ لم أفهم شيئا مما تقول . كنت أسمع صوتها فقط . . وبعد ما انتهيت من تفتيشى فى الحجرة الأولى ، دخلت الحجرة الثانية ، وفعلت فيها ما فعلته فى السالفة ، ولكن بلا جدوى ، وجعلت أذرع الحجرات ذهابا وجيئة وأنا أفكر ، ويداى معقودتان على ظهرى . وبغتة اندفعت مهرولا نحو المغسل ، وهى ورائى ، فوجدت بابه مقفلا ، فدفعته بمنكبى ، فانكسر ، ودخلته على الأثر ، وكان مظلماً . ولكننى تبينت فيه بسهولة شخصاً جالساً القرفصاء فى حالة رعب وفزع ، فجذبته من ذراعه بشدة ، وأخرجته الى النور ، فاذا به فتى مراهق ذو ملامح ريفية حسنة ،

وكان وجهه شديد الامتقاع ، حتى خيل الى أنه على وشك الاغماء . وكان يردد متلعثما كلمات أشبه بكلمات الاستغفار .. أما هى فكانت تثرثر ، وكانت لهجتها لهجة استعطاف . ووقفت أنظر اليه وأنا صامت . وأخيراً أشرت الى الباب إشارة صريحة فيها عنف ، فخرج الغلام مهرولا ، وهو لا يصدق عينيه . . وماكاد يتوارى عن نظرى ، حتى قامت بى رغبة جامحة للحاق به ، وتحطيم عصاى على رأسه ، وعجبت لنفسى كيف لم أسلمه الى الشرطة ، أو كيف لم أشتمه على الأقل !

وحانت مني التفاتة الى الفتاة ، فرأيتها ترنو الى بنظرات كلها ضراعة ، وقلت لها على الفور :

— إجمعى أشياءك ، والحقى به فى الحال !

وأشرت الى الباب ، فطأطأت رأسها ، وسارت الى الحجرة الثانية بخطاً هينة . وسمعتها تعنى باعداد شىء ، وجلست على الأريكة وأنا أجفف عرق ، ومددت يدى الى الحقيبة التى أضع فيها أضابير القضايا المهمة ، وأخرجت منها إحدى القضايا ، وفتحتها أمامى ، ومضيت أقلب الصفحات ...

ورأيتها تعود حاملة طعام العشاء ، ووضعته على المائدة بالقرب منى ، ثم رجعت من حيث أتت .

وبعد قليل ظهرت ثانياً ترتب الحجرة وتنظفها ، وكنت أراقبها مراقبة دقيقة ، مع تظاهرى بدرس القضية . وفى لحظة كانت الغرفة على أحسن ما تكون نظافة وترتيباً . وامتلأ أنفى بعبق البخور الطيب ، ورأيت يدى تمتد الى الطعام ، وإذا بى آكل . . . وبعد قليل هدأت كل حركة بالمنزل ، وشاهدتها جالسة القرفصاء بجوار باب الحجرة ، ثم رأيتها تتحرك فى سكون ، وتتدانى من المائدة . وأخيراً شعرت يديها تلمسان قدمى وتدلكانهما ، وكنت أقلب ورق القضية أمامى فى اختلاط . وسرعان ما أحسست شعوراً ملتهباً يضطرم بين جوانحى ، وأمسكت رأسها بغتة ، وأدنيت وجهها منى وأنا أحدق فيها بانفعال ، وتمتمت فى همس مضطرب : « لماذا تجرأت على هذه الفعلة يا خبيثة ؟ »

فجعلت تقسم لى أنها بريئة ، فجذبتها نحوى وأنا أقول : « كذب وبهتان . . . كنت منذ لحظة بين ذراعى هذا الغلام المخنث ! »

واندفعت أقبلها فى تلهف ، فكأنى كنت أمزق شفتيها . وكانت وهى فى أحضانى ينبعث منها سحر عجيب يزيد اشتعال النار فى قلبى

***

وما فتئت الأيام تترادف . . .

وأيقنت أن لها علاقات غرامية بكثير من غلمان الحى ، فتقوم فى نفسى ثورة سخط وغضب ، وأمسك بها فأنهال عليها ضرباً وإيجاعاً . ولكن ما أسرع أن يتملكنى شعور ندم لاذع ، وبخاصة حين لاتشتكى ولاتتألم ، بل أراها تزداد إخلاصاً فى خدمتى ، وتهالكا فى العمل على راحتى وازداد تعلق بها ، فلا تطول غيبتى عنها حتى أشعر بحنين نحوها ، حنين غريب ممزوج

بكره ، فأهرع إلى دارى وأنا ساخط مغضب ، فاذا ما وقع نظرى عليها انصبيت شاتما لاعنا ، وهى أمامي خاضعة مستكينة لا تتحرك ولا تنبس . ثم أجلس على الأريكة ، فيستولى على شعور كره لنفسى ، فتتقدم منى فى هدوء وترتمى على الأرض قرب قدمى . . .

واستطعت مرة ان اطردها ، ووجدت على اثر ذلك برد الراحة . ولكن ما جاء الصباح حتى رأيتها تفتح الباب وتدخل ، فقابلتها بصمت ، وعادت الى عملها كأن لم يقع شىء . وكنت اراقبها وانا مغيظ . . . ولما جاءتنى بالفطور ، ووضعته على المائدة ، امسكت بيدها بشدة ، فنظرت إلى بعينيها الواسعتين نظرات وديعة وهى تبتسم ، فجذبتها نحوى ، واخذتها بين احضانى وانا اتمتم : « لم استطع النوم ليلة امس فى غيبتك يا غندورة ! »

وحاولت كثيراً ان انشىء علاقات غرامية بنساء حسان ، فكان إخفاق مروعا . . . وبدأت أشك فى نفسى وفى مبادئى ، أمريض أنا ؟ وماهو نوع هذا المرض ؟ وهل يوجدشىء اسمه سحر؟ وهل تمد لى هذه الفتاة شباكه ؟ . . . واضطررت ان استعين بامرأة عجوز ، قيل لى عنها إنها اشهر ساحرة فى المديرية ، ولكنها لم تستطع ان تعمل لى شيئا !

وعشت كذلك . وأنا لا أدرى أأحيا كباقى الناس حياتهم المألوفة ! أما أنا مستغرق فى سبات طويل ؟ وما هذه الفترة التى أجتازها من حياتى سوى أضغاث حلم غريب ؟!

وعدت مرة الى دارى مساء وأنا شبه محموم ، ورأيت غندورة تغلق الباب بعدى بالمفتاح ، شأنها فى كل ليلة . فنظرت حولى نظرة خبل واستغراب ، وخيل لى أن نوافذ الحجرة قد انقلبت الى طاقات صغيرة تتعاكس عليها قضبان غلاظ ، وأن الباب قد تحول من باب خشبى الى باب مصفح بالحديد يحمل قفلا كبيراً .

وتراءت لى غندورة فى صورة شخص جبار ، يحمل فى يده حلقة كبيرة من المفاتيح ، فصحت فى وجهها وأنا أدفعها : « ابعدي عنى ! »

واستلقيت على الفراش وأنا أرتعد ، فأقبلت غندورة بعد قليل ، وبيدها كوب ماء معطر بقطر الزهر ! فهممت بطردها ، فاذا بها تبتسم لى فى عذوبة وهى تقول : « أأنت الآن أحسن حالا ؟ »

فنظرت فى عينيها طويلا : وتمتمت : « على أحسن حال ! »

***

وتسلمت صباح أحد الايام رسالة مستفيضة من أخى ، فجعلت أقرأها فى اهتمام ، فاذا فيها يقول :

« ها قد أفلحت أخيراً فى مسعاى ، ووجدت لك وظيفة فى وزارة الحقانية يغبطك عليها أقرانك .. ستترك بنها وحياتها المضة ، وتعيش بيننا فى القاهرة عيشة البهجة والائتناس التى تصبو

اليها من زمن بعيد . . وهناك خبر لا يقل شأنا عن خبر الوظيفة ، هو أن أسرة بدر بك ترحب بمصاهرتك ، فقد فاوضت الأب فى الأمر ، واتفقنا على كل شىء . وتذكر أنك حدثتنى كثيراً عن ابنة بدر بك ، وأنك تعد زواجك منها ومصاهرتك لأبيها من أعز أماني حياتك ! »

وكنت أقرأ الرسالة ، وأنا أكاد أكذب ناظرى . وتركت الدار من ساعتى أجرى ، وذهبت الى المحكمة ، ثم الى القهوة ، ونشرت الخبر بين أصدقائى فى ضجة ومرح

وخرجت الى الحقول أستنشق الهواء بصدر رحب

ودعوت رهطا من أصدقائى الى الغداء فى أشهر مطاعم البلدة . وأمضيت معهم طول اليوم فى ضحك وائتناس . ولما عدت الى دارى مساء ، قابلتنى غندورة بابتسامة وديعة ، وقالت لى :

« لقد قلقت لتغيبك ، وانتظرتك طويلا للغداء . . »

فصحت فيها : « أنا حر فى تصرفاتى ، أتغيب الى الوقت الذى أريده ، وآكل فى المكان الذى يعجبنى . . »

وجعلت أكرر قولى « أنا حر . حر فى تصرفاتى . . لا تتدخلى فيما ليس من شأنك ! »

وكانت غندورة تنظر الىّ فى دهشة ، ثم رأيتها تنسل منكمشة الى الحجرة المجاورة ،وجلست على الأريكة وأنا أتضاحك

ولما جاءتنى بالطعام ، كنت أهدأ حالا من قبل . فقلت لها بلهجة طبيعية أو تكاد :

— لقد دعانى جمع من رفاقى الى الغداء . . هذا سبب تغيبى . . على انه يجب ألا تقلقى على الى هذا الحد . .

فابتسمت ، ثم جلست كعادتها عن كثب من قدمى ، وطفقت تحدثنى فى سكينة أحاديثها اليومية ، فلم أصغ الى حرف مما تقول ، بل كنت هائما فى تفكير مضطرب . وأخيراً رفعت رأسى ، وقلت لها مقاطعاً : « اسمعى يا غندورة . . سأسافر الى مصر بعد أيام . . وسأتغيب فيها أسبوعاً »

فغمغمت وهى تدلك قدمى : « أسبوعاً .. !! »

— عندى أعمال مهمة . . ولا سيما لأنى لم أر أخى منذ مدة طويلة

وكان صوتى متغيراً ، ولاحظت ان تدليكها قد اختل نظامه بعض الشىء . . . ولبثت صامتة منكسة الرأس ، منهمكة فى عملها . وبرمت بنفسى ، وتابعت كلامى ، وانا احاول ان اظهر بالمظهر الطبيعى ، وقلت : « ربما امتدت إقامتى اكثر من اسبوع . . . من يدرى ؟ »

وقامت « غندورة » متمهلة ، وقالت بصوتها المستضعف : « أتريد ان اجهز لك كوبا من الشاى ؟ »

فأمسكت برهة ، ثم اجبتها : « لا بأس ! »

ولما جاءتنى بالشاى ، وارادت ان تعود ، استوقفتها ، ثم قلت : « تعالى واجلسى . . . »

فأذعنت لأمرى ، وجلست فى موضعها المختار عند قدمى ، وبدأت اصب الشاى ، وكان لقرقرته نغمات اشعرتنى شيئا من الرهبة . . . ومددت يدى الى غندورة وجعلت الاطف رأسها ، ثم قلت : « وانت ماذا تفعلين فى اثناء غيبتى ؟ »

-- سأنتظرك حتى تعود

وشرعت اشرب الشاى وانا صامت ، وتلاطمت فى رأسى الأفكار . وكانت غندورة قد عادت الى تدليكها وهى صامتة ايضا . . وبعد حين قلت : « ألا تفضلين الذهاب الى اهلك ؟ »

— ليس لى اهل !

فجذبت رجلى من بين يديها ، وقلت فى لهجة جافة : « لقد اوهمتنى انك ذات اهل واقارب كثيرين ! »

فأجابتنى بانكسار وذل : « بل الأمر على العكس ، لقد أكدت لك انى يتيمة ليس لى فى الوجود أحد ! »

فخالجنى الشك فى اعتقادى . . . ورأيت غندورة تقوم على مهل ، متجهة نحو الغرفة الثانية ، وكانت تمسح عينيها بذيل ثوبها . كنت اراقبها بنظرات المخبول ، وقلبي تتنازعه شتى العواطف !

ودخلت الحجرة ، واقفلت الباب خلفها ، وقمت فى غرفتى اروح واغدو ، ويداى معقودتان على ظهرى . وكنت كلما اقتربت من باب الحجرة الاخرى ، خففت من خطواتى ، وانصت . . . ثم اعاود سيرى . . . وظللت كذلك وقتا ما ، وكان السكون الشامل يبسط جناحيه على الغرفة المجاورة . وساورتنى افكار غريبة ، وجعلت انصت طويلا على بابها ، وانا مضطرب . لم اعد أسمع تنفسها . . . واخيراً فتحت الباب ، ودخلت عجلان اقول : « غندورة . . . اين انت ؟ »

ورأيتها ممددة على فراشها الارضى ، بعيدة عن نور المصباح الضئيل يغشاها الظلام . فهرعت اليها ، وأخذت رأسها بين يدى ، وأدنيت وجهها من وجهى ، وجعلت أتسمع أنفاسها البطيئة وأنا أقول : « غندورة . . . أأنت بخير ؟ »

فمدت يديها فى سكون وهى مغمضة العينين ، ولفتهما حول عنقى ، وجعلت تهمس بكلمات غرام وهى تدنى رأسى من وجهها ، حتى تلامست شفتانا . . .

* * *

ومرت أيام ، وحياتى تزداد قلقا وحيرة ، والكآبة تحيط بى من كل جانب ، ففقدت بشاشتى وفى صبيحة يوم من الايام ، استيقظت من النوم وأنا أكاد أختنق ، وقصدت على الفور الى المائدة ، وكتبت رسالة الى أخى ، شكرت له فيها اجمل الشكر مسعاه الجليل ، وأظهرت له فرحى

بوظيفتى الجديدة ، وبزواجى من كريمة بدر بك . وأخبرته بأنى عقدت العزم على ترك بنها بعد ثلاثة أيام . وعينت له موعد وصولى . . وتناولت طعام الافطار على عجل ، ثم خرجت من الدار، ومضيت أودع الرسالة صندوق البريد

وقضيت اليوم كله مع بعض الاصدقاء ، ودعوتهم الى الغداء والشراب ، وكنت أكثر من الصخب والضحك . وأحسست ان رفاقي بدأوا يتململون من صحبتى ، ويستثقلون طيشى .. وعدت الى دارى وقابلتنى غندورة بابتسامة مغتصبة ، ووجه كاسف . وراعنى منها صمتها الطويل ، واجتنابها مرآى . ولما جاءت إلى بالطعام ، وقفت بعيدة عن المائدة منكسة الرأس . وقالت وصوتها لا يكاد يسمع :

— اقترحت على ياسيدى أمس ان اذهب الى أهلى مدة غيابك ، وقد فكرت فى الامر وقبلته.

فنظرت اليها متعجبا وقلت : « ولكنك يتيمة بلا أهل . . ألم تقولى ذلك أمس ؟ »

فأخذت تدعك يديها ، وقالت : « اقصد انى سأذهب الى معارف .. أقارب من بعيد .. »

وقمت اليها ، ورفعت رأسها امامى ، وكانت ملامحها متغيرة ، إلا أن عينيها كانتا محتفظتين بوميضهما الجذاب الساحر . فأملت رأسها الى صدرى وقلت :

— هل اخبروك بشىء عنى . . قولى !

— كلا . . . لا شىء

وانفجرت تبكى ، وهى متشبثة بصدرى ، ثم قالت بصوت خافت متقطع :

— لن أكون عقبة فى سبيل سعادتك !

— ولكنى لن اتركك قبل ان اطمئن على مستقبلك ، سأمنحك مبلغا وافراً من المال يساعدك على الزواج

وتركتها تبكى على صدرى برهة ، ثم كفكفت عبراتها ، وذهبت لتحضر لى بقية ألوان الطعام ، وجلست آكل وأنا صامت افكر . وارتمت غندورة على الارض بجوار قدمى ، وبعد صمت قليل قالت : « لقد وجدت محلا سألتحق به بعد سفرك ! »

فاستيقظت من تفكيرى ، وقلت : « محلا ؟ »

— محلا اخدم فيه ...

— عند من ؟

— عند مؤمن افندى تاجر الغلال !

— بهذه السرعة ؟

— ان الرجل يعرفنى من قديم ، وهو اول سيد خدمت عنده !

(البقية على صفة ٧٢٦)

سجل الأيام

بقلم الاستاذ سامى الجريديني

(١)

ان كانت هذه الحرب نزاعاً لا هوادة فيه بين مبادىء يدين بها الجرمانيون و بين مبادىء أذاعها الحلفاء فلا يرجى للصلح الذي يلوحون به ظهور

وكيف يتم صلح بين دولة قامت ترفع عقيرتها وتنادى بأنها هى دون سواها أهل بأن تتزعم العالم وبأن تخضع غير الجرمان لثقافتها ولحكمها كرهوا أم أرادوا وبين دول تقول ان الحق فوق القوة وأن لكل شعب ـ بله كل فرد ـ حق تقرير حريته ومصيره

ويخيل الينا أن النازى قد جاهدوا اليهود وشنوا عليهم الغارة العالمية لأنهم ينازعونهم دعوى شعب الله الخاص . فاليهود يزعمون أنهم شعب اختاره الله منذ الأزل واختصه بحبه دون كل الشعوب فقام النازى ينكرون عليهم هذه الدعوى ويقولون بل نحن الذين اختارهم الله ولنا لا لغيرنا الاستئثار بملكوته الارضى والسماوى

وقد كانت هذه الدعوى الجرمانية كامنة فى صدور الالمانيين يظهرونها فى حرب بعد أخرى ويبشرون بها قومهم فى السلم بتؤدة وهوادة . أما الآن فقد كشفوا القناع كأنهم وثقوا بأن العالم استعد لها وبأن فى وسعهم وضعها محل التنفيذ بعد ان كانت فى عالم النظريات . ولكنه ـ لحسن الحظ ـ لم يتح للعالم حتى الآن أن يتأمر عليه شعب واحد . ذلك لأن طبيعة الاشياء تأبى ذلك

فالطبيعة منوعة بخلقتها . وهى تجمع فى صعيد واحد القوى والضعيف والجميل والقبيح والكبير والصغير والذكر والانثى كأن التوحيد عدوها ومن عادته الطبيعة غلب على أمره مهما تمرد وأبى

ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة . سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا

وحاول ناس غير الالمانيين هذه المحاولة من قبل فما أفلحوا

فقد قامت أكثر من امبراطورية فيما سلف من الدهر وهمت بالعالم تجمعه تحت كنفها فلم تمكنها الطبيعة من ذلك

وهل نضرب الأمثال فى نابوليون وشارلمان ودولة الرومان ودولات أخرى ؟

إنها كلها تاريخ مكتوب مر على العالم فى دوراته فكانت العاقبة انفراط عقد الكلمة الواحدة

الى كتلات متفرقة متنوعة . فاذا سلمنا جدلا بان قد يتهيأ للجرمانيين الفوز على أعدائهم واخضاع العالم لسلطانهم فانهم لا يلبثوا أن يتنازعوا أمرهم بينهم وأن تتفرق كلمتهم ويصبحوا دولا شتى تناوىء احداها الاخرى ، كما كان الماضى هكذا يكون المستقبل

ولكن دعوى النازى هذه ليست إلا صيحة أو ذريعة يتلمسونها ابتغاء وجه جمهورهم يقودونه الى الذبح حتى يتم لهم ما يحلمون به من التسلط فى رقاب الناس

فان كان لهؤلاء القوم رماح يعرضونها فان لأبناء أعمامهم رماحا أطول وأشد

ولقد عادوا الى نغمة تغنى بها غيرهم من عباد التحكم والتسلط فقالوا إننا لا نريد لأنفسنا شيئاً وانما نبغى رفع استبداد انجلترا عن العالم

إننا نريد حرية البحار للجميع فلا يملك الانجليز دون سواهم معابره وأبوابه

وهى شنشنة لا تصمد للامر الواقع . فتاريخ انجلترا مع البحر تاريخ يخضع للحاجة الملحة للطعام والعزم . فالبحر طريقهم ـ لا طريق سواه ـ سلكته سفنهم آتية بطعامهم ذاهبة ببضاعتهم ، وهل يعاب على السمك انه لا يستطيع الحياة فى غير الماء

وما ذنب الانجليز اذا كانوا بدأوا أمة صغيرة فقيرة فاجتهدوا وركبوا البحر فى سبيل الكسب وهم أولو عزم وصبر وجلاد فجاهدوا الذين وقفوا فى سبيلهم ؟ نعم انهم فتحوا دياراً غير ديارهم وملكوا رقاب أقوام ليسوا منهم . ولكن الامر تم فى زمن مضى لم تكن نظرية حرية الشعوب وحقها فى المساواة قد بلغت أشدها . وأما الآن فانهم كما نراهم وضعوا الاستعلاء جانباً وبدلوا بالصداقة والتحالف ما كان تحكماً أو استئثاراً

حتى لو ذهبنا الى أبعد من هذا وقلنا ان انجلترا مسيطرة على العالم فانه لا يلبث المنصف أن يحكم لها لا عليها . فليس فى السيطرة الانجليزية من ضرر فهى بعيدة عن استعباد الناس أو ابتزاز الارزاق ، وما سيطرتها الا تبادل منافع

ألا تراها حرة الأسواق فى جميع امبراطوريتها فما تشتريه الام انجلترا من الابنة البعيدة تشتريه بسعر عالمى مثلها مثل أى دولة أخرى من الدول ، ولم تقلع عن هذه السياسة الامن عهد قريب إذ رأت الدنيا كلها تسير فى طريق اقتصادية قومية منكرة

فهل تقابل سياستها هذه بسياسة الدول الأخرى ؟ . ان اليوم الذى تزول فيه سيطرة انجلترا ـ إن أردت تسمية نفوذها العالمى سيطرة ـ فذلك يوم لم تصب هذه الارض بكارثة أشد منها

ولكن العالم اليوم غيره بالامس

ألا ترى الدول كلها ما عدا طاغية الجرمانيين تنادي بجامعة أمم تسوى أمورها بينها طبقاً للحاجة الاقتصادية ولمبادىء الأخذ والعطاء . وان فى العلاقة التى بين بعض أجزاء الامبراطورية الانجليزية والبعض الآخر لمثلا يضرب فيما يجب أن تكون عليه علاقة دول الأرض الأخرى فيما بينها

(٢)

لذلك أصبحنا نبسم عن غير سرور إذ نسمع دعاة النازى يعدون شعوباً صغيرة بتحريرها من السيطرة الانجليزية كأنهم يريدوننا أن نغمض أعيننا عما يفعلون

ولو صدقوا لمدوا يدهم الى فنلندا على روسيا . فهذا شعب لا يزيد عدد سكانه عن ولاية من الولايات الجغرافية حسنت علاقته بالألمانيين فيما مضى وتثقف بثقافتهم وخضع لنفوذهم وأخذ العون منهم عند ما نزع استقلاله من الروس

فما بالهم حالفوا عدوه وعدوهم ومكنوه من هؤلاء الابطال ومن بلادهم يمتد سلطانه منها الى اسكندنافية كلها لو لم تكن الغاية الاستعانة بالروس حتى يخلو لهم وجه الأرض كلها يتبأون منها حيث يشاءون ؟ . ويلوح لنا أن جبروتهم قد طغى على عقول دول الشمال فأعماهم عن رؤية الحقيقة

فهذه الدول التى كنا ظننا انها ستنتمر للروس انكمشت ذعراً من ضغط الالمانيين وتخلت عن فنلندا . وهى قد غرها ماض كله متاع دنيا من تجارة رابحة وسلم دائم فأبت أن تتبعه بحرب تكتوى بنارها وتخرب ديارها . وأخافها الجيران الأشداء من الجنوب فرأت الخضوع أقنى وأنفع

ولكن الشعوب التى لا تضحى بشىء ليست أهلا بأن تنال شيئاً . فان كانت دول الشمال ترى فى فوز الروس والنازى ضمانا لحريتهم وأمناً لكيانهم فلهم ما يريدون

أما وقد علم الناس منذ القدم حتى الآن انه ان طغى السيف فلا يرده إلا سيف أقوى منه ، وانه ان ضاع استقلال فنلندا اليوم فاستقلال البقية السكندنافية ضائع غداً فيكون هذا الشعب الراقى المقيم فى شمال أوربا قد ضحى بالآجلة فى سبيل العاجلة وآثر خضوعا يأمن فيه تخريب الديار على حرية لا يعادلها فى الحياة ثمن

ففوز مبدأ الحلفاء فوز لكل شعب صغير . هذا أمر لا نزاع فيه . فما بال هذه الشعوب تفر من نجدة مسعفيها وتستكثر البذل فى سبيل بقائها

ليس الجواب على هذا السؤال بالسهل . فقد تتعدد الاسباب وقد تقود المطامع الفردية بعض الاعمال الدولية ، وقد تغلط السياسة وهى عرضة للغلط والخطأ ما دامت يسيرها الكتمان والعمل من وراء ستار

ولكننا نرى أمراً واحداً جلياً كان ولا يزال محور الشر فى العالم ـ هو هذا التجرد عن المثل العليا ونبذ الغاية الروحية فى السعى فى هذه الارض والاخذ بالمادة والتعلق بالمادة وتكييف الحياة على المادة

هذا فقر فى الحضارة الحالية سيلحقها التراب

بل هو ترف فى متاع الدنيا واذا أترف الناس فسقوا فحق عليهم القول فدمروا تدميراً

فهؤلاء الذين يساومون على الحق ويبيعون سلعة الحرية ويشترون ليسوا أهلا لأن يتولوا مكان الرأس وما اليه بين الأمم

ان المحايدين الذين لا يعرفون أن يقفوا وقفة تتفق مع تاريخهم ومع مطامعهم فى المستقبل ومع روح الحضارة العتيدة لا يغنيهم موقفهم هذا عما يهيئون أنفسهم له مهما يثروا ومهما يقتنوا من تجارة الحرب . ان الزعامة ـ قل ان الخروج من صفوف الصعاليك الى مراتب السادة ـ لا يكون الا بالبذل والاستعلاء على روح « السمسرة » الى سماء المثل العليا

ولسنا نضع الحلفاء ـ رجالا ونساء ـ أرباب سياسة وأصحاب أموال ـ فى القمة من حيث هذا المبدأ السامى . ولكننا نأخذهم بأقوالهم وبأفعالهم وبما يقتضيه بقاؤهم ونسجل عليهم مع العالم كله ما أذاعوه بياناً لأغراض الحرب فهم لن يستطيعوا النكوص على أعقابهم فى تنفيذ ما تعاقدوا مع شعوبهم والشعوب الغربية عليه . دع عنك أنهم قاموا يذودون عن هذا المبدأ وأقاموا جماهيرهم سياجاً على حياضه لأنه يتفق مع تربيتهم الديموقراطية ومع مصلحتهم المادية

وهم لن يعقدوا صلحاً مهما مهد له الممهدون إلا إذا نالوا السلام الذى ينشدون . وإلا ضاعت عليهم الدنيا وانتحروا . فليس من شيء هادم لمتين الخلق كاقدامك على الأمر ثم الوقوف دون بلوغك به غايته

(٣)

وكان الشيطان قد أنسى هتلر ذكر ربه فكفر به، وأقام مع شيعته للشبيبة الألمانية ديناً يمت الى جاهليتهم بأسباب منها هذا الصليب المعكوف

أما الآن وقد خاب أمله فى نصر كالبرق الخاطف فقد عاد الى ذكر ربه فوقف خطيباً فى قومه يستمد من العناية الالهية العون ويقول إنها لن تتخلى عن أبنائها الجرمانيين

وما آمن الرجل وما اهتدى وانما يفعلها ابتغاء وجه الجالس على عرش بطرس بروما عساه أن يعطف على وزير خارجيته فيقابله توصلا الى رضاء الكثلكة عنه فكأنه قد فارقته جرمانيته التى لا تحسب للقوى المعنوية حساباً وكأنه تعلم من التاريخ الذى يباهى بدراسته أن من قاوم الكرسى الرسولى البطرسى فقد نطح صخرة فلم يضرها وأوهى قرنه . ومن قبل أبى أول عباقرة الحرب وآخرهم بأحد البابوات أسيراً فى افينيون ثم ما عتم أن خضع لسلطانه واعترف بروحانية نفوذه

على أننا مهما نقل عن خوف اسكندنافية من ألمانيا ومن روسيا ومهما نصف جزع البلقان منهما ومن جوارهما الرهيب فلن ننثنى عما نراه فى ايطاليا . انها لن تساعد المانيا ولن تدخل الحرب فى نجدتها

وقد كتبنا هنا فيما سبق من هذه الفصول أن ايطاليا لن تحارب الحلفاء الا اذا أضاع موسولينى صوابه أو تحطمت الحليفتان المتضامنتان

فأما وقوة انجلترا وفرنسا آخذة فى الازدياد براً وبحراً وهواء ولم تنل منهما ألمانيا ، وأما وعبقرية موسوليني وسليقة الشعب الايطالى على أتمهما فلن تخرج روما عن حيادها الآن

وان خرجت فليس الى نجدة شريك المحور . وسيظل ميكافيلى يداعب بسمرك ويراود دزرايلى حتى يظهر تفوق الحلفاء ظهوراً قاطعاً فتسكت الحيلة ويتم الاتفاق

(٤)

وقد أكثروا فى هذه الأيام من ذكر القانون الدولى . فمرة يتهم الألمانيون بخرقه وتارة ينسبون الى الانجليز هتك ستره وأما فى الواقع ونفس الأمر فليس هناك من شيء اسمه قانون دولى عام بالمعنى الذى نعرفه فى القوانين الأخرى

فلم يقم البشر حتى الآن قانوناً مرعى النصوص الا أقاموا من ورائه قوة من الشرطة تنفذ أحكامه وقد تهيأ لهم هذا الأمر فى بلد واحد وبين أفراد سكانه

وأما أن يكون هناك نص دولى عام على أمر معين فأين هى القوة التى تنفذه

إن القوى هو الذى يضع نصوص القانون الدولى وهو الذى يخلق « السابقة » مستنداً الى المبدأ القائل إن الضرورة تبيح المحظور والى مبدأ أبعد مدى وأعرق فى الطبيعة أساً هو مبدأ الدفاع عن النفس والمال

فما بالك والحال حال حرب وهى تنافى روح القانون وتنقضها ؟

فاذا رأيت الآن تمسكا بمبدإ نص عليه فى القانون الدولى العام فما ذاك الا استدراراً لعطف الرأى العام ذريعة الى تهييجه وقيامه على المعتدى

وقد يكون للناس بعض الأمل فى مبدإ جمعية الأمم فانه مبدأ قائم على ما فى الانسانية من ضمير حى صالح يردع عن الشر غير متأثر من خوف القوة

ولكن الرئيس ولسن أراد شيئاً وأراد الآخرون أشياء أخرى فوصلنا الى ما نحن عليه الآن من همجية تجتاح الأرض وما عليها

على أنه إذا كانت الحرب الماضية لم تفد وكانت عقيمة العقبى فقد يكون فى هذه الحرب سبيل إلى وضع النظام الخليق بالحضارة . فقد تعلم الناس أن الايثار أنفع من الأنانية وأن التضامن الاجتماعي أبقى وأتقى من التزاحم

عندئذ يعلم الناس عظمة ولسن — هذا الرجل الذى ضحى به قومه الأقربون وهزأ به الاجانب البعيدون — ثم ما لبثوا كلهم أن اعترفوا بعبقريته وهكذا فعلوا من قبل بالأنبياء

سامى الجريديني

الحرب لا تهدم الحضارة ولا تجلب الفقر

بقلم جيوفرى كروثر

رئيس تحرير صحيفة الايكونومست

لا يسع الباحث الاقتصادى الا أن ينكر الحرب ويؤثمها حين تلقى به الى عالم مرتبك يستبيح قواعد الاقتصاد المقررة ، اذ يرمى نظامه الى أن يكره كل فرد عادى على أن يبذل من الجهد ضعف ما كان يبذل ، وان يستهلك من الناتج نصف ما كان يستهلك ، وتجرى خطته على ان المستهلك الذى كان له ان يختار ما يشاء من أجود المنتجات ، يعسر على قبول انتاج ما هو أقل قيمة وجودة ، والاكتفاء بكمية ضئيلة منه لا تكاد تفى بضرورة حياته

ولكنا برغم هذا الانكار والتأثيم ، نريد أن نبحث ذلك القول الشائع على كل لسان والدائر فى كل مكان ، وهو أن نتائج الحرب الاقتصادية لا تقتصر على ما تحدثه من التخريب وما تذهب به من الضحايا فى أثناء اشتعالها ، بل تخلق حالة من الفقر والضيق تستمر بعد انتهائها آخذة بخناق الامم جيلا أو أكثر من جيل ، وان هذه الحرب الحالية لا بد أن تنتهى بتخريب العالم سواء عقد لواؤها لفريق الديموقراطية أو لفريق الديكتاتورية • فمنذ سنوات قرر بلدوين « ان أية حرب جديدة تقوم فى الغرب معناها نهاية الحضارة التى شيدناها وعرفناها » • ومنذ شهور أعاد روزفلت هذا القول حين ناشد الشعب الامريكى ان « يجعل من نفسه قلعة تعتصم فيها الحضارة الاوربية من نيران الحرب الموقدة فى أراضيها » !••

ولو صدقت هذه النبوءات المتشائمة ، لكان معناها ان هذه الشعوب المتحضرة تعبث عبث الجنون حين تثير الحروب وتندفع الى ساحاتها ، لانها عندئذ لا تناضل فى سبيل ترقية الانسانية وتمكينها من حياة افضل وأجدى ، بل لا تدع العالم باقيا على حالته الراهنة بما فيها من حسنات ومزايا ، وانما تسعى بالعالم الى حياة تتأرجح بين حالين أحلاهما مر : حرب كلها خطوب ونكبات وضحايا ، وسلم يعمه الفقر والشدة والفوضى

ولكن فى هذا المقال أريد أن أدحض هذه النبوءات • أريد أن أثبت ان وادى الموت الذى تتأرجح فيه هذه الحرب انما يفصل بين شاطئين تقوم على كل منهما حياة رخية آمنة ينتج فيها الانسان وتزدهر فيها الحضارة ، وان الانسان يحارب ويناضل ليعبر هذا الوادى الرهيب الى حياة مقبلة ، أوفر انتاجا وأكثر حرية وأصح نظاما من الحياة القائمة • وأدلتى

على هذا استقيها من الحرب الماضية ، وما أسفرت عنه من نتائج مشهودة • وهل ثمة أصدق من أمثلة تضربها لنا الحرب الكبرى التي اشتركت فيها جميع الدول الكبرى وأكثر الدول الصغرى ، ودامت أربع سنوات طويلة خربت فى اثنائها جميع مصادر الثروة والانتاج ، وقتلت فيها زهرة الشباب فى جيل كامل ، ثم تركت ثلثى القارة الاوربية فى أقسى حالات الشدة والضيق والفوضى • فلو كانت الحرب تسفر عن فقر طويل المدى أو عن انقاص حضارة مهدمة ، لكانت الحرب الماضية أولى الحروب باثبات صحة هذا الكلام ، فلننظر الى نتائجها على ضوء الوقائع والارقام

فى سنتى ١٩١٩ و١٩٢٠ كانت اوربا محطمة مأزومة بغير جدال • ولكن آثار هذا التحطيم وهذه الازمة لم تمتد اكثر من عام أو عامين حتى يمكن أن يسفرا عما يزعمه المتشائمون من « تحطيم الحضارة » و « الفقر الدائم » وما شابه ذلك من آثار عميقة الاثر طويلة المدى فى الحياة الاقتصادية • ذلك انه لو كانت هذه الحرب قد خلفت فيما خلفت « فقرا » كهذا الذى يتحدث عنه المتشائمون ، لوجدنا آثاره باقية فى الحياة الاقتصادية فى سنة وسطى كسنة ١٩٢٤ أى بعد قيام الحرب بعشر سنوات • ولكنا نجد ان الدخل الاهلى ـ وهو أصدق معيار للثروة والانتاج ـ لم يكن فى سنة ١٩٢٤ أقل منه فى سنة ١٩١٤ ، بل لقد كان الانجليزى العادى يصيب حينذاك دخلا أكبر من الدخل الذى كان يصيبه فى بدء الحرب • فأين هو « الفقر » الذى تخلفه الحرب اذا كنا لا نجد له أثرا بعد انقضائها بسنوات قلائل ؟

قد يقال : ولكن الحرب قد وقفت التقدم المادى فى انجلترا عشر سنوات كاملة ، فقد كان الدخل الاهلى فيها يزيد كل عام بمعدل ١/٢ ٠/٠ أو ١ ٠/٠ من مقداره ، فاذا ظلت عشر سنوات دون ان تضيف الى دخلها شيئا ، فمعنى ذلك انه قد نقص بما يتراوح بين ٥ ٠/٠ و ١٠ ٠/٠ عما كان يجب أن يبلغه فى سنة ١٩٢٤

ومع ان هذا الاعتراض البسيط يدل على أن فكرة « الحضـارة المهدمة » و « الفقر الدائم » فكرة خاطئة تماما ، فانه يقوم على تجاهل مسألة مهمة حيوية وهى ان ساعات العمل فى الصناعة الانجليزية نقصت فى سنة ١٩٢٤ بمقدار ١/١٠ ما كانت عليه فى سنة ١٩١٤ ، ومعنى هذا أن العامل الانجليزى بدلا من أن يزيد دخله المادى بمقدار ١٠ ٠/٠ قد نقص ما يبذله من الجهد بهذا المقدار ، فلو انه أنفق من الجهد ما كان ينفق قبل ذلك بعشر سنوات ، لزاد دخله فى سنوات الحرب وأعقابها كما كان يزيد فى عهد السلام على السواء ، أى أن التقدم الاقتصادى لم يقف ، بل تحول من جانب الى جانب ، فبدلا من أن يؤدى الى زيادة الثروة أدى الى توفير الراحة

ربما يعترض على ذلك بأن أرض بريطانيا لم تكن ساحة حرب وعراك ، فلم تمتد اليها يد التخريب والتدمير فيما عدا بضع قنابل تافهة انتثرت هنا وهناك • فلننظر اذن الى حالة فرنسا التى عاثت الحرب بالتخريب فى أكثر أجزائها ، فتركت جانبا كبيرا من أقاليمها

الآهلة خلوا من سكانها ، وكثيرا من آفاقها الزراعية الخصيبة جرداء من النبات والحيوان . فماذا نرى في حياتها الاقتصادية بعد ان انجابت عنها غاشية الحرب القائمة ؟ انا نجد في سنة ١٩٢٥ أن الانتاج الصناعي في صميم تلك المناطق التي تركتها الحرب مدمرة مجدبة قد زاد عما كان عليه قبل الحرب زيادة كبيرة تبلغ ١٢ ٠/٠ في انتاج الفحم ، ٢/١ ١٣ ٠/٠ في انتاج الحديد الخام ، ٢٠ ٠/٠ في صناعة الصلب ، ٢/١ ٢٨ ٠/٠ في صناعة غزل القطن . ولا نجد في تلك السنة أثرا واضحا على أن الحرب قد مست مقدرة الشعب على الانتاج أو على الاستهلاك بشيء من التعطيل أو الانقاص

على ان بريطانيا وفرنسا كانتا غالبتين ، فماذا كان أمر الدولة المغلوبة ؟ لقد قضت ألمانيا فترة طويلة حتى استطاعت ان تنهض من الهوة التي تردى فيها نظامها الاقتصادي ، نتيجة الخسائر الفادحة التي منيت بها في عهد الحرب ، ولا سيما بعد ان طوقها الحلفاء بالحصار البحري الشديد ، وكذلك نتيجة التضخم المالي الفظيع الذي انساقت اليه بعد انتهاء الحرب بخمس سنوات . ولكن في سنة ١٩٢٩ أصدر الاقتصادي الامريكي الاستاذ جيمس آنجل كتابه « نهوض المانيا » فأثبت فيه ان دخل الشخص الالماني قد زاد في المتوسط بنسبة ٢/١ ١٥ ٠/٠ عما كان عليه قبل قيام الحرب . نعم ، ان هذه الزيادة لم تشمل جميع طبقات الشعب على حد سواء ، فقد ضحى « التضخم النقدي » بالطبقة المتوسطة في سبيل انقاذ طبقتي الممولين والعمال ، ولكن الشعب الالماني في الجملة لم يكن بعد انتهاء الحرب بعشر سنوات أفقر مما كان يوم أن شبت نار الحرب ، بل زاد دخله زيادة كبرى برغم ما استهدفت له ألمانيا من خسائر كبرى ، وبرغم تضخم نقدها تضخما شاذا أو جنونيا ، وبرغم ما كانت تدفعه حينذاك من تعويضات ومغارم حربية باهظة

هذه هي النتائج الاقتصادية في الدول الثلاث الكبرى التي خاضت ميادينها . ويجب الا نعجب لهذه النتائج التي تخطىء كثيرا اذا كنا نتوقع ما يناقضها . ومرجع هذا الى ان مقدرة النوع الانساني على الانتاج تتوقف قليلا جدا على نظام الحكم القائم ، أو على اتساع مساحة الدولة ، أو على وفرة مواد الانتاج الاولى . ولكن هذه المقدرة تعتمد أكثر الاعتماد على كمية « القوة » التي تساعد الانسان على الانتاج ، أي على عدد « الاحصنة الميكانيكية » التي يجدها بين يديه معدة لتمكينه من مباشرة الانتاج

وقد كانت الحرب الماضية مخربة جدا اذا أطلقنا كلمة التخريب في معناها الشائع على الألسنة العامة ، ولكن اذا قصرناها على ما يتعلق « بالقوة المنتجة » وحدها ، فانا نجد آثار هذه الحرب بسيطة ضئيلة . وكل ما حدث هو ان تحول مجرى هذه القوة المحركة الى انتاج أدوات الحرب ومعدات القتال ، ولكن لما انقضت الحرب ، كانت هذه القوة المحركة ما تزال قائمة منتجة على حالتها ، فأعيدت الى دائرتها الاولى

(من مقال لجيوفري كروثر رئيس تحرير صحيفة الايكونومست في صحيفة ذي نيويورك تايمز)

المصرى خارج بلاده

بقلم الاستاذ محمد كرد على

وزير معارف سورية الاسبق

رأيت في المنام (١٩ رمضان سنة ١٣٥٨ ، ١ ديسمبر سنة ١٩٣٩) صديق أحمد شوقى بك أمير الشعراء ، فقص علي قصة رجل مصرى رآه في طرابلس الشام ، أعجب به . قال : « ان الاقدار ساقت هذا الرجل الى ذلك الثغر فأعجبه جماله فاتخذه موطناً له نحو خمسين سنة واشتغل بالمحاماة فعاش في رفاهية واغتنى وصار له مقام بين أهل وطنه الثانى »

هذا ما علق بذهنى من هذا الحلم — وأنا ما بنيت آمالى على الاحلام قط ولا كفرت بها ولا آمنت — ولكن ذكرنى هذا الكلام بموضوع كان يتردد على خاطرى من مدة طويلة وهو « المصرى خارج بلاده » ، فقلت أكتبه هنا فهو لا يخلو من طرافة ونفع فأقول :

ترك جيش ابراهيم باشا ابن محمد على الكبير فى الديار الشامية وما اليها ألوفا من المصريين أصبحوا بعد حين من الدهر كأهل الشام فى مناحيهم ، على نحو ما كان من بضعة ألوف من المصريين وردوا على فلسطين قبل الحملة المصرية وكانوا السبب الظاهر فى إعلان محمد على باشا الحرب على والى عكا بل على الدولة العثمانية ، لأنه طلب إرجاعهم الى مصر فأبى الوالى على محمد على اعادتهم محتجاً بأن مصر والشام شيء واحد وكلتاهما تابع للدولة . وهؤلاء المهاجرون الأول تفرقوا فى أنحاء فلسطين وأحالتهم بودقتها شاميين . والغالب ان المهاجرين فى الدور الاول والدور الثانى لم يجدوا أيام هجرتهم فرقاً كبيراً بين عيشهم فى بلادهم الأصلية ، وعيشهم فى بلادهم الجديدة ، ان لم تكن الشام يوم هاجروا أرق من مصر

ولولا انك تلمح فى سحنات أهل غزة ويافا وحيفا وعكا مثلا تلك السمرة الجميلة وتسمع فى بعض أسمائهم لفظ « المصرى » لقلت انهم شاميون من عشرات البطون

قص على صديق شكرى العسلى ، وكان قائم مقام قاش من عمل ولاية قونية فى آسيا الصغرى إنه رأى كتلة كبيرة من المصريين فى تلك الولاية من بقايا جيش ابراهيم باشا المصرى ما زالوا الى اليوم الذى رآهم فيه يتكلمون بلهجتهم المصرية كأنهم فارقوا مصر بالأمس مع انهم نزلوا فى صميم بلاد الترك وأتت ثلاثة أجيال على هجرتهم

وهـــذا ذكرنى بما قاله أحد علماء المسرحيات من الاوربيين من أن قوة التمثيل فى العربى

شديدة جداً حتى انك لو أسكنت قبيلة عربية فى وسط أوربا وغبت عنها أعواما طويلة وعدت تتعهدها لما ألفيتها انصبغت بصبغة الارض التى نزلتها بل تشهدها قد صبغت هى من كان فى جوارها من أهل البلاد الأصليين بصبغتها العربية ونشرت بينهم لغتها وبعض عاداتها . وقد سأل أحدهم بيرلوتى الاديب الفرنسى قبل وفاته أى الأمم أحب اليك قال العرب لأنهم لم يغيروا أخلاقهم منذ أربعة آلاف سنة

وما أدرى ان كان تم على أيدى المهاجرين المصريين فى أرجاء قونية شىء مما ارتآه المستشرق فى العرب فعربوا من بجوارهم . وعلى كل فانهم يصفق لهم لأنهم قضوا قرنا فى أرض الترك وما زالوا عن لغتهم وعاداتهم ، هذا مع ان الأمية كانت غالبة عليهم على الأرجح . وروايتى عنهم هذه ترد الى أواخر عهد العثمانيين . ولست أدرى ان كان ذاك القبيل من المصريين قد احتفظوا بشىء من لغتهم على عهد الكماليين ، فان هؤلاء حاربوا فى أرضهم كل ما ليس بتركى

كان لى غرام منذ القديم بالبحث فى خصائص الشعوب ، وبالطبع كان لمبحث الشامى والمصرى المقام الأول فى نفسى ، أنظر التأثير الذى أحدثه الاقليم فى السحنة واللغة والخلق والعادة . وأمثل الآن لذلك بخمسة أشخاص من أهل مصر عرفتهم معرفة جيدة فى أرضنا . وكان الاثنان الأولان من أخلص أصدقائى ، وقد عملا فى التجارة مدة حياتهما ، والثالث صاحب مشروعات ، وعمل الرابع فى الزراعة ، والخامس حوذى صاحب مركبة مازال حياً يرزق . رأيت المصريين اللذين اشتغلا بالتجارة فى دمشق مثالا نادراً فى الرجال ، يعرفان الجد كثيراً ويعرفان الهزل كثيراً . وكان كلاهما مولعاً بالمطالعة يطالع ليل نهار ويقرأ كل ما تصل يده اليه من الكتب والصحف ، ومن المطالعة ألما بأشياء ماكان واحد من عشرة آلاف من سكان البلد يعرف مثلها أو نصفها . فكانت معلومات الواحد منهما لاتقل عن معلومات صحافى راق لو كان كل منهما يحسن لغة أجنبية ، وماكان الاول يكتب ما يعن له بل يقيد فى دفاتره ما يستحسنه فقط من كلام غيره ، واسمه عبد الرؤوف المصرى (الرفاعى) والثانى اسمه محمد المصرى ، وهذا اعتاد الكتابة ومرن عليها فكان يكتب كتابة يقل الغلط النحوى والصرفى فيها ، وقد تعلم بالسليقة وسار مع الطبع

اشتغل عبد الرؤوف بتجارة الطرابيش ، وكان غريبا فى أموره وأطواره ، وما تزوج إلا بعد أن ذرف على الستين ، وعاش أكثر من أربعين سنة فى دمشق ولم يتعلم لفظة واحدة من لهجتها ، وما نزل عن لفظة واحدة من لهجته المصرية ، هذا مع شدة اختلاطه بأهله وأقاربه ، وكلهم من أهل هذه الديار ، وهم لا ينطقون بكلمة واحدة باللهجة المصرية اللهم إلا ان كان معه ليسروه فقط ، ويظهر عليها التصنع والكلفة

وجاء محمد المصرى دمشق يافعاً وامتزج بأهل الميدان من أحياء دمشق وعمل فى التجارة ، وعاشر أهل البادية والحوارنة والدروز والغوطيين والجبليين ورأيته بعد نحو خمس وأربعين

سنة من هجرته شامياً صرفا لا يستطيع عشرة منجمين حذاق أن يكشفوا أمره ، ويعرفوا انه مصرى الا اذا حكموا عليه بمصريته من خفة روحه ونكتته الحاضرة . وقد كان يكتب فى أسلوب الهزل فى الجد مقالات أنشرها له فى جريدة المقتبس يتناول فيها الأحوال الحاضرة ، ويبنيها على منامات ومشاهدات ، ويقدم لها مقدمات عجيبة ، يعرض فيها بالوالى وبحكومته ورجاله . فتحدث مقالته من التأثير ما لا تحدثه عشر مقالات أفرغت فى قالب الجد يكتبها السياسيون والاداريون والحقوقيون

وكان الوالى أشد ما يكون تأثراً من مقالاته لانه لا يقدر أن يجد له فيها مأخذاً يستطيع به مؤاخذته ليسوقه الى القضاء ويحاكمه على ما يلحق به من إهانة يزعمها ، ويعرف الوالى ان تأثير ما يكتبه « الميداني » وهذا الاسم كان توقيعه فى الجريدة شديد الوقع فى نفوس العوام . وما خلت حملاته من تأثير فى إسقاط ذلك الدور المنحط ، وكان الخاصة والعامة سواء فى الاعجاب بما يكتب الميدانى لجمعه فى كتابته بين دعابة مصر وهذور الشام

والرجل الثالث اسمه خورشيد وهبي بك من مهندسي الرى بمصر أتى هذه المدينة وهو فى الثامنين وعاش فيها أكثر من ثلاثين سنة واقتنى أملاكا فى سفح قاسيون بدمشق ، وكانت لى به صلة أكيدة وصداقة دامت مدة طويلة . وابتاع قرية فى وادى العجم اسمها بويضان وقدر انه بالحفر عن الماء يجده لأن القرية كانت بين جبلين ، وفى الجبال مخازن المياه ، وهما جبل الشيخ حرمون وجبل الدروز . والغالب انه نظر الى بعد ما بين الجبلين فى الخريطة وما قدر البعد الحقيقى بينهما . فأنفق أموالا طائلة ولم تنبجس المياه . والقرية التى حاول انباض المياه فى أرضها من أشح القرى بمياهها ، وأرضها صخرية قاسية

وقال لى ان نيته كانت أن ينشىء هناك مدرسة زراعية مجانية لتعليم أولاد الفلاحين ، وانه كان ذات يوم الى نصفه فى التراب يحفر والماء لايجيبه وقد اشتد غضبه فخاطب المولى تعالى ، وقال له: « أنت مطلع يا رب على سريرتى وتعرف انى أقصد بهذا العمل خدمة الفقراء فلماذا تضن علىّ بالماء » وهكذا لم يوفق بعد بذله مبالغ عظيمة وجهد دل على همة شماء . والنجاح غير مقدور لكل أحد

كان خورشيد وهبي على جانب من الذكاء والفضل ، وكان من جهة أخرى يعمل أعمالا لا تصدر عن أطفال وتنبىء ببساطة زائدة ، وكان غيوراً على مصلحة البلد الذى نزله الى أبعد حدود الغيرة ، يشارك فى مسائله العامة فيرأس مثلا لجنة مقاطعة الترامواى والكهرباء ويبين عن مرونة ومعرفة ودؤوب على ماوسد اليه برغم تقدمه فى السن ، يقصد بذلك خدمة المدينة ومحاربة الافرنج الذين يكرههم مع أنه صرف فى انكلترا اثنتى عشرة سنة من أيام حياته وتعلم هناك ، وهو على مناح انكليزية . وبلغنى أنه حرم ابنه المصرى إرثه وأعطاه لسبطه الدمشقى ذلك لأنه كان يكره زوجته المصرية ويحب الشامية . وكثيراً ما عمل الحب فى رجل تزوج اثنتين فأنكر أولاد

الأولى واستهام بأولاد الثانية . وقد أشرت اليه غير مرة ألا يحرم ابنه فأبى وتجهم لى قائلا إن أمه آلمته وآذته

استفدت من عشرة خورشيد بك أشياء كثيرة . ومما قاله لى إنه كانت بينه وبين أحمد عرابى باشا صاحب الثورة المصرية المشهور صداقة متينة فى بلدة ذكرها لى فأنسيتها . قال وكان عرابى برتبة ملازم فكان يختلف اليه رجل انكليزى ويتحدثان فى خلوة ساعات ، وبقى الانكليزى على هذه الحالة سنين مع عرابى

والمصرى الرابع الذي عرفته كان فلاحاً فى قريتنا ، وأبوه من قبله عرفته وأنا فتى ، واسمه عبد المجيد المصرى استخدمته سنين فى مزرعتى مرابعاً ، وكنت آمنه على الأنبار والبيدر والعلف والبزار واللبن وعلى السقيا والحرث والكرث وأثق به فى حساب العملة ومحاسبة الفلاحين وأصحاب المواشى وغيرهم . فكان فى غيبتى وحضورى نمطاً واحداً فى الاستقامة والتدقيق ، كأن المال ماله ، يعمل كل هذا ولا يمن ولا يثرثر ، ولا يقول تعبت وعملت كما هي عادة معظم الفلاحين المستخدمين عندنا . وكان صالحاً براً لا يقطع صلاته ويتعمد أن يصلى مع الجماعة اذا كان فى القرية لا فى الحقول والغيطان ، وكان يصوم أياماً من السنة فوق الايام المفروضة عليه ، ويمتاز عن أهل طبقته فى القرية بكثير من الصفات التى تكاد تكون مفقودة فيهم وهى الامانة . وكنت اذا أراد عيالى ركوب الدواب من القرية الى دمشق اختاره من بين زملائه عندى لمرافقتهم لما كان عليه من التهذيب وقلة الفضول . وبقى الطابع المصرى بادياً فى سحنته ولا أثر فيه ولا فى أبيه للهجة المصرية لأنهما سكنا القرية منذ زمن طويل على ما يظهر .

والمصرى الخامس محسن المصرى الجوذى وهو اليوم فى الخامسة والسبعين وله اتصال بأسرة الشيخ محمد بخيت مفتى الديار المصرية سابقاً وبيت الشيخ المهدى العباسى المشهور ويحفظ لهما قصصاً ، وكان الشيخ بخيت يعطف عليه ويعاونه بمبالغ من المال لا يستهان بها . تزوج بشامية ورزق أولاداً كلهم اليوم شوام

جاء هذه المدينة منذ خمس وأربعين سنة ، ويتكلم باللهجتين المصرية والشامية على السواء ، والمصرية أشد ظهوراً فيه ، وأكثر خصائصه ماثلة فيه ، يفيض بالكلام فى الدقيقة التى أركب فى عربته حتى لأحاذر بعض الاحيان أن يستهويه الكلام فيغفل عن ضبط حصانيه ، أو يفلت اللجام من بين يديه ، فتقع فى نهر أو جدول أو تصير الى هوة أو منعرج ، يورد علي النكات المستملحة ويشفعها بلفتات ليسمعنى ، وهو على المقعد الأمامى صوته ، ويرى صورتى وأرى صورته . وحدث عن سروره إذا ذكرت له أشياء عن مصر الحديثة ، وكم كان سروره لما عرف أنى من أصحاب الشيخ بخيت وأعرف أشياء كثيرة عن العباسى ، ويسر جداً أنى أقدر النكتة قدرها فى أكثر ما يورد على سمعى . وأظنه أنه أدرك أني انقبضت لما قصه علي مرة من رؤيته فى الليل وهو

يسوق عربته أولئك الصالحين فى مشهد الاربعين بصالحية دمشق ، وجنازة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . وأظن هذه الخيالات وليدة الحشيش فى نفس تحب أهل التقوى فى أصل فطرتها

ويشبه مشوارنا الى القرية كل مرة مشوار صاحبين متحابين أحدهما راكب والثانى سائق . وحالى معه تذكرنى بما كان يقوله لنا أستاذنا الشيخ طاهر الجزائرى : « اذا أردتم أن تنتفعوا بالعوام فلا تظهروا أن بينكم وبينهم فروقاً كثيرة ، بل أوهموهم أن الفرق قليل بينكم وبينهم لايبلغ أكثر من درجة أو درجتين » . وسائقنا هذا أعامله على ذلك ، فيزيد فى الصالى ولأولادى ، وأعامله أيضاً بما تستحقه قريحته وحافظته ويوازى حديثه واكثاره

ليس لدينا إحصاء يركن اليه لمعرفة عدد المصريين اليوم فى سورية ولبنان والمقيد عند قنصل مصر فى بيروت نحو أربعة آلاف ، على ما كان حدثنى بذلك القنصل صديقى محمد بك حامد فيما أذكر ، وأكثرهم يحترفون حرفاً دنيئة . وكان عدد المصريين قبل الاحتلال الانكليزى فى مصر كثيراً جداً ، أدركت بقاياهم فكان منهم القراء والمغنون والآلاتية والسواس والسماسرة والمنجمون والمهرجون والطبالون والطباخون والحوذيون والفراشون . وكان جمهورهم يومئذ يهاجر فى طلب الرزق ينشدونه من أقرب طرقه ، قل فيهم التجار . وتقل هجرة الطبقة العالية هجرة قطعية . وربما كان انقطاع الطبقة الراقية عن الهجرة من مصر من زمن دخول القطرين تحت راية الدولة العثمانية . وكان الشاميون والمصريون على عهد المماليك سواء فى الجنسية والتابعية . وكانت الجنسية يومئذ جنسية الاسلام الواسعة ، لا هذه الجنسية الضيقة التى نسجنا بها على منوال الغربيين . كان القاضى المصرى يعين فى الشام والشامى يقضى بين الناس فى مصر . والعالم المصرى يدرس فى مدارس دمشق وحلب والقدس كما يدرس العالم الشامى فى مدارس القاهرة ومدارس الصعيد والوجه البحرى

ولطالما تمنيت لو زاد امتزاج المصرى بالشامى أكثر من الآن ليعرف أحدهما الآخر معرفة اكيدة ، وفى هذا الامتزاج من الفوائد الاقتصادية والاجتماعية ما لا ينكر محله ، وستزيد غداً الحاجة الى هذا التمازج بعد أن نمت نفوس مصر فزادت خمسة أضعاف على ما كانت عليه قبل ستين سنة ، حتى كادت تضيق بعض ارجائها بسكانها ، وهم يحتاجون الى مرتزق ، وصناعاتهم تحتاج الى مصرف . وقد تم بعد تحسين الرى كل شيء فى الاعمال الزراعية أو كاد ، وانشأت مصر لها صناعة كصناعات الحرير والصوف والكتان والسجاد والجلود وغيرها . واقرب الاقطار الى تصريفها الديار الشامية (فلسطين وسورية ولبنان) وهى تروج عندنا لعدة اعتبارات حتى ولو فاقتها الصنائع الغربية بمهاودة اسعارها وجمالها احياناً ، وان كانت النفاسة غالبة على ما تصنعه المعامل المصرية

ان الحالة الاقتصادية ستضطر المصرى فى وقت قريب الى الخروج عن عزلته فيهجر بلده فى طلب الرزق . وها اننا نرى كثيراً من المتعلمين التعليم الابتدائى والوسط والعالى من المصريين متبطلين لا عمل لهم . ومع هذا نرى المصرى كالفرنسى لبدأ حتى اليوم لا يحب ان يغادر بلده ، لاعتقاده انها اجمل بلاد العالم ، لا يهنأ له عيش فى غيرها ، ويغلط بزعمه من يهاجرمنها ويهجرها . واعتقد ان اصحاب الصنائع الحرة فى مصر اذا جربوا الهجرة الى الديار الشامية هجرة قطعية او مؤقتة سيحمدون غب هجرتهم . وأفضل بادىء بدء أن يكون المهاجرون من الطبقة الممتازة ، فان لهؤلاء فى كل أمة وفى كل بلد سلطاناً على النفوس لا يكون مثله أبداً لأرباب الطبقات الأخرى . فقد رأينا ما كان من منافع القنصليات المصرية فى بعض عواصم أوربا وأميركا وآسيا ومدنها المشهورة ، وإن مصرلتنفق نحومئة ألف جنيه مسانهة على وكلائها وقناصلها فتجني بها من الفوائد المادية والمعنوية ما لا يعرفه الا من يحسن تقدير هذه الامور . وكما أن الأمة يمثلها أبناء طبقاتها الراقية ، فكذلك كل أمة لا تعرف كما يجب إلا فى أرضها وديارها

نريد أناساً من أهل الطبقة العالية من أهل مصر يقيمون بيننا على الاقل أكثر أيام السنة ، ويهاجرون الينا مهاجرة قطعية ، يقتنون المزارع ويعمرون القصور والدور ، وينشئون المتاجر والمصانع والمخابز ، ويكون لهم من الصفات التى تألف وتؤلف ، ولشخص واحد من أرباب القدوة الحسنة يؤثر مالا تؤثره الجماعة ان كانوا من أخلاط الزمر

قلت للسيد عبد الرحمن الكواكبي (صاحب أم القرى وطبائع الاستبداد) هل فى حلب من الرجال أمثالك كثير ، قال : عشرون رجلا ، فقلت له : انى أعرف حلب كما أعرف ما فى جيبي ، إنها لم تنبغ غيرك ، وما أظنني مهما فتشت فى أعطافها وأطرافها أجد لك عدلا فى الشهباء . فضحك والمصلحة تقضى علينا الآن أن يهاجر الينا العيار العالى من المصريين لينتفع منا وننتفع منه ، يكون من الطبقة الموقرة المحترمة كما كان ذاك المحامي المصرى الذى أقام فى طرابلس الشام وقص عليّ شوق قصته

محمد كرد على

ليس الشباب عصر التمتع باللذات فقط بل هو العصر الذى نطمح فيه الى ما هو فوق طاقتنا ، ونتطلب فيه كل بعيد صعب المنال . فاذا تقدمنا فى السن شعرنا بالخيبة والاخفاق . وإذ ذاك نضطر الى التقليل من مطامحنا وجعلها أقرب الى الامكان وأكثر انطباقاً على مقتضيات الاختبار (لورد لفربول)

الشعب الاميركي
فى الحرب الحاضرة

بقلم ستيوارت تشيز

تنفرد الولايات المتحدة الامريكية بموقف ممتاز يوفر لشعبها ما لايتهيأ لسائر الشعوب فهو الشعب الوحيد الذى يستطيع أن يقرر بكامل حريته وارادته أن يخوض غمار الحرب أو يجنح الى جانب السلم ، اذ ليس ثمة ما يكرهه على أن يجرى على خطة تنافى حريته أو تناقض مصلحته شأن كثير من الشعوب

وانك حين تأخذ خريطة العالم لتنظر الى دوله الكبرى ، ترى أن انجلترا واليابان ليستا سوى جزر صغيرة تقوم على انفراد وسط البحار ، وان ألمانيا وفرنسا وايطاليا ليست الا أشطارا من قارة تجاورها وتحيفها أشطار أخرى متنافسة ، وان كلا من هذه الدول الخمس الكبرى يمكن أن يوضع داخل ولاية واحدة من الولايات الامريكية ، كولاية «تكساس» مثلا ، أما الولايات المتحدة الامريكية فتنبسط رقعتها فى أرجاء قارة فسيحة ، يحمى أحد جانبيها محيط مساحته ثلاثة آلاف من الاميال ، ويحمى جانبها التالى خمسة آلاف ميل أخرى من المياه، فهى فى مأمن مدى عدة سنين قادمة من الطائرات المغيرة بالقذائف والسموم . وهى على سعة رقعتها وترامى أطرافها متآلفة الولايات موحدة الاجزاء ، فلا تنطوى حدودها على شىء من الخصومة أو العداء ، ولا تقوم فى أراضيها حواجز الضرائب والمكوس ، ولا تشتمل احدى ولاياتها على أقلية مضطهدة نافرة تريد أن تشق لها طريقا خاصا بها وأن تقرر لنفسها مصيرا معينا لها . فهى بمنأى عن هذه المشاكل الكبرى التى تئن منها أوربا أنينا نسمعه تارة خافتا فيما يقوم من المكائد ويحدث من الازمات ، ونسمعه تارة مدويا فى قصف القذائف وتدمير المدائن

وكيف يكون الامر لو صارت أمريكا مثل أوربا ؟ اذن لرأينا أجزاءها تضم عشرين أو ثلاثين دولة مستقلة ، تتنازع فيما بينها لتجعل كل منها حياتها الاقتصادية آمن وأرخى من حياة سواها ، بما تسلبه من جيرانها من مصادر الثروة وأسباب الانتاج ، دون أن يسفر هذا التنازع عن أمر سوى بطالة الايدى العاملة وإرهاق الممولين بالضرائب وخلق الازمات العنيفة المتتالية . واذن لصار نصف هذه الشعوب خاضعا لسطوة الحكم الديكتاتورى الذى يحول سهولها الخصيبة ومدائنها العامرة مصانع تنتج من الحديد والنار ما يغرق وجه

الارض بالدماء الانسانية • واذن لرأينا أرض أمريكا قد استحالت خنادق وأخاديد تقوم فيها خطوط «ماجينو» و «سيجفريد»فتجعل من أهليها المتآلفين المتوادين أعداء ألداء متحفزين • واذن لرأينا هذه الولايات القائمة فى داخل القارة تقاتل وتحارب لتصل الى شاطىء البحر ، ورأينا تلك الولايات الممتدة على البحر تقاتل وتحارب لتنفذ الى سهول الداخل••اذن لاقترفت امريكا كل ما تقترفه الآن أوربا فى السلم والحرب على السواء !

ان الامريكيين لا ينكرون اعجابهم بالشعوب الاوربية ولا يخفون قدرهم لمستواها فى الحضارة ، ولكنهم يأسون بالغ الاسى على ان هذه الشعوب لم تندمل فى أجسامها جراح النزاع والقتال منذ أنسقطت روما ، فقد مضى ألف وخمسمائة عام دون أن تهدأ فيها ساحة الحرب أو يغمد فيها سيف التقتيل • وبذلك صار التكوين السياسى لهذه الشعوب منافيا لما بلغته حضارتها من الرقى والقوة ، ولم يعد فيها شعب واحد تنطوى حدوده على كل ما يكفيه من مصادر الثروة الوافرة،وقلت فيها الدول التى تسلك مع جيرانها مسلك التعاون والحسنى الذى يمكنها من أن تستورد منها ما تستكمل انتاجها الداخلى • ولهذا فان ما ينشب بين دول أوربا من الحرب انما تثيره العوامل الاقتصادية أكثر من أن يقيمه اختلاف الآراء وتناقض المذاهب • والواقع ان أوربا الآن ليست الا مشكلة خطيرة من مشاكل الفوضى السياسية والاقتصادية ، التى لاعلاج لها ولاخلاص منها الا بايجاد أسلوب ما من أساليب التوحيد الاقتصادى الذى حققته أمريكا فمكنها من أن تكون أغنى شعوب العالم وأوفرها انتاجا ، وأكثر دول العالم استفادة بالنظام الديموقراطى وما يوفره من حرية وعدالة

***

ولكن ما هو موقف أمريكا فى هذه الحرب ؟ أو ما هى المهمة الملقاة على عاتق الشعب الامريكى فى هذا الوقت العصيب ؟

ان أمريكا لا تستورد من أوربا واردات حيوية لا تنتظم بدونها حياتها الراهنة ، ولا تصدر أمريكا من منتجاتها سوى كمية ضئيلة لا تتجاوز ٤ أو ٠٥/٠من دخلها الاهلى ، بينما تستهلك سوقها المحلية ٠٩٥/٠من مجموع انتاجها ، فهل ثمة ما يبرر أن تندفع أمريكا الى الحرب القائمة حرصا على واردات لا حاجة بها اليها ، أو خوفا على صادرات ما أيسر أن تستغنى عنها ؟ ان الامريكى يرفض أن يعبر المحيط الى حيث يموت وسط غابات أوربا أو فى مجاهل آسيا دفاعا عن أمر لا يقدم ولا يؤخر فىحياة أمريكا الاقتصادية

لقد أقرضت أمريكا حلفاءها فى أثناء الحرب الماضية عشرة «بلايين» من الدولارات فلم تسترد من هذه القروض الا جزءا زهيدا • ثم عادت فأقرضت بعد الحرب كثيرا من الحكومات والهيئات قروضا بلغت أربعة عشر «بليونا» من الدولارات ، ولكن من المقرر أنه قدضاع عليها من هذه القروض زهاء عشرة «بلايين» بين العجز والمماطلة • ومعنى هذا أنأمريكا أخذت من منتجات مناجمها وآبارها ومن مصنوعات عمالها وآلاتها ما قيمته

عشرون «بليونا» من الدولارات وقذفت بها عبر البحر الى الشاطىء الاوربي دون أن تأخذ لذلك أى ثمن أو جزاء

فهل تجد أمريكا من تجارتها الخارجية ، أو من أموالها المستثمرة فى أوربا ، سببا ما يبرر اشتراكها فى المعركة الكبرى الدائرة الآن فى العالم القديم ؟

على أن كثيرا من الناس يريدون أن يجدوا فى ناحية اقتصادية أخرى حجة تبرر دخول أمريكا الى ساحة الحرب القائمة ، وهى تمكين أمريكا فى حالة اشتراكها فى الحرب من استثمار أموالها المدخرة التى لا تجد فى وقت السلم سبيلا الى العمل والانتاج • ولكن هل يجوز أن يرسل مليون أمريكى الى هذا المذبح الرهيب لا لأمر الا لاننا بلغنا من الغباء درجة جعلتنا نستطيع أن نمول الموت والحرب ولا نستطيع أن نمول الحياة والعمران ؟ وهل يرضى الناس أن يخرجوا من أزماتهم المالية سائرين فى طريق أغرقت أرضها بالدماء وتناثرت فى جوانبها الاشلاء

الواقع أن ليس من سبب أو عذر اقتصادى يجيز لامريكا أن تساق الى المعركة القائمة، ولكن هل يجوز لامريكا أن تقف على الشاطىء الغربى للمحيط الاطلسى متغافلة عن هذه الخلافات الفكرية أو المعارك المذهبية التى تقوم على شاطىء المحيط الشرقى ؟

انهم يقولون ان الحرب دائرة بين القوات الديمقراطية والقوات الديكتاتورية • واذ كانت الولايات المتحدة الامريكية دولة ديموقراطية ، فقد حق عليها أن تقف الى جانب شقيقاتها الديموقراطيات تشد أزرهن وتنصر قضيتهن بتحطيم ما يتهدد الحرية من الاخطار التى تؤججها وتثيرها الديكتاتوريات • ولا شك أن هذه الحجة تبدو قوية جذابة ، ولكن ألا ترى الخط الفاصل بين الديموقراطية والديكتاتورية يتعرج ويتأرجح فى هذه الايام ، حتى ليكاد يتغير وفقا لما تنشره الصحف من الانباء ؟ أعنى انه ليس من المستحيل أن نستيقظ ذات صباح فنجد موسولينى ذاته ، موسولينى مؤسس الفاشستية ومنشىء النظام الديكتاتورى ، قد وقف الى جانب الدول الديموقراطية يحارب ويكافح هتلر زميله وقرينه فى الديكتاتورية

ان مهمة أمريكا في هذه الحرب أعظم من ذلك وأسمى • فليست لها مطالب أو مطامع اقليمية ، اذ ليس لها فائض من السكان تريد تصديره خارج حدودها ، ولا هى تطمع فى اقليم أوسع من اقليمها المترامى الاطراف • وليس الشعب الامريكى من هذه الشعوب التى تسيطر عليها النزعة الحربية فتمسها بجنون الكبرياء والبغضاء ، ولم تقم بينه وبين أى شعب قريب أو بعيد عداوة تقليدية يسعى الى اذكاء نارها • وليست أمريكا فى حاجة الى أن تثبت للعالم مدى قوتها ، فالعالم جميعا يشهد لها بتفوقها المادى والمعنوى على السواء فيما حققته من أسباب الرخاء ومظاهر الاتحاد • واذن فلتكن غايتها ومهمتها فى هذه الحرب أن تحافظ على الحضارة الانسانية التى تجد الآن فى أمريكا مستقرا تأوى اليه من هذه النار الموقدة فى أرجاء أوربا

(خلاصة مقال بقلم ستيورات تشيز فى صحيفة كومن سنس)

١٢٠ يوماً فى متاحف أوربا الحربية

بقلم النقيب عبد الرحمن زكى
أمين المتحف الحربى

بين ذكريات الفتح والبطولة الحربية من ولنجتون وفوش الى فردريك وخير الدين بربروسه

لما شرعت وزارة الدفاع الوطنى فى إنشاء متحف حربى يمثل تاريخ الجيش المصرى ، ندبتنى لزيارة المتاحف الحربية بأوربا . فأعددت برنامجاً شمل زيارة انجلترا وفرنسا وإيطاليا وألمانيا وبلجيكا وأونجاريا (المجر) ورومانيا وتركيا . وفى كل تلك البلدان ، راعنى ما شاهدته من عناية بمتاحف الحرب ، عرف القوم ما لها من أثر فى بث روح التحمس للجيش والاعتزاز بالقومية فى أوضح صورة وأيسرها

شاهدت بعض الدول قد اختارت أهم قلاعها التاريخية ، لتقيم فيها متاحفها العسكرية . كما أنشأ لها البعض الآخر مبانى رائعة مطبوعة بالطابع الحربى . واتخذ البعض من قصور الملوك والأمراء القدماء مقراً لها . ولم يقصروا الفائدة على عرض الملابس التاريخية أو الاسلحة القديمة أو التماثيل والصور والنماذج ، بل جعلوا فيها معاهد للتاريخ القومى بما يلقى فى ردهاتها من محاضرات مفيدة فى تاريخ البلاد العسكرى والتحدث عن تطور الأسلحة المنوعة

ولم يقف اهتمام الدول الكبيرة بالمتاحف الحربية عند هذا الحد ، ولم يكتفوا بمتحف حربى واحد يقام فى العاصمة ، بل شاهدنا ان كل مدينة كبيرة لا تخلو من متحف حربى . كما رأينا لكل سلاح من أسلحة جيوش بعض البلدان متاحف خاصة بتاريخ السلاح أو الفرقة، فأقامت بعض الدول متاحف خاصة بالحرب الأوربية الأولى كانجلترا وفرنسا ، وأقامت بعض الدول الاخرى متاحف لتسجيل ذكرى أهم وقائعها الحربية التى أحرزت بها وحدتها أو استقلالها كايطاليا وبلجيكا

متاحف الحرب فى إيطاليا

ولنصف الآن ما رأيناه فى متاحف الحرب الايطالية

لم أشاهد فى رومة متحفاً خاصاً بالجيش الايطالى ، بل زرت عدة متاحف يمثل كل منها تاريخ فرقة من فرق الجيش الايطالى ، ومن أهمها :

١ ـ المتحف التاريخي لسلاح الكاربنييرى الملكي ويديره جنرال

٢ ـ المتحف التاريخي لسلاح الجراناتيرى الملكى وأمينه جنرال

٣ ـ المتحف التاريخي لسلاح البراسيليرى الملكى وأمينه عميد

٤ ـ متحف سلاح المهندسين . وقد ألحقت به مكتبة تاريخية فنية نفيسة ، وشيد له بناء جديد على طراز القلاع القديمة ، وأمينه كولونيل . وهذا المتحف يعتبر معهداً للدراسات الفنية الحربية

وقد امتازت هذه المتاحف الاربعة بما عرض فيها من مجموعات التماثيل العسكرية والصور التاريخية الثمينة ، ومن محراب لذكرى قتلى الجنود الذين استشهدوا فى ميادين القتال ، وقد نقشت على جدرانه أسماؤهم

٥ ـ متحف الاسلحة القديمة بقلعة سنت انجلو القديمة . ويحتوى على مجموعات نفيسة من أسلحة القتال والحصار التى عرفت فى العصر الوسيط ، وصور جيوش الممالك التى تألفت منها ايطاليا

وفى أثناء إقامتى برومة زرت معرض الامبراطور أوجستوس (Mostra Augustea) بمناسبة الاحتفال بذكراه . فشاهدت فتوحاته وأعماله وآثاره ممثلة فى النقوش والنماذج والصور والتماثيل التى عنى بوسائل عرضها . كما زرت معرض الفاشستية وهو نموذج ناطق بقوة أساليب الدعاية الحديثة

وفى فيرنزا (فلورنسه) زرت معرضاً أقيم للاسلحة القديمة (Mostra delle Armi Antiche) اشتركت فى إقامته جميع دور الآثار الايطالية . كما عرضت فيه مجموعات خصوصية للهواة . وقد أعدت ٢٧ قاعة عرض فيها خير التحف وأندرها للآلة الحربية التى كان يستعملها المحارب منذ تأسيس رومة حتى حروب نابليون

وقد أثارت نفسى مجموعة من الاسلحة الحربية الشرقية البديعة رأيتها فى المتحف الوطنى بالمدينة

مدينة للفن فى قلعة

ولما غادرت فيرنزا ووصلت الى ميلانو زرت قلعة سفورزسكو (Castello Sforzesco) التى تحتوى على عدة متاحف وطنية كان من أهمها متحف البعث الايطالى (Risorgimento) والمتحف الحربى الحديث (Museo di guerra) . وقد نظم على أحدث أسلوب ، وامتاز بجمال دواليبه . وكان أهم ما لفت نظرى تلك الدواليب المعدنية التى احتوت كلها بطاقات تحمل أسماء الجنود الايطاليين الذين استشهدوا فى ساحات القتال والذين حازوا أوسمة البطولة

وفى تورينو زرت مرتين المتحف الملكى للاسلحة القديمة (Armeria Reale Antica) التى اشتهرت مجموعاتها بقيمتها النادرة . وهذا المتحف يشغل قصراً واسعاً ويشرف على أعماله جنرال متقاعد . وقد شاهدت فى هذه المدينة بمتحف المدفعية الوطنية أكبر مجموعة إيطالية للاسلحة النارية

من برن الى باريز

ثم قصدت برن ذات الموقع الطبيعي الجميل ، وهناك علمت من أمين المتحف الوطنى الدكتور زيللر (Dr Zellar) بوجود مجموعة من الاسلحة القديمة بالمتحف الوطنى بجنيف . فقصدتها بعد دراسة مجموعة « البارون موزر » من الاسلحة الشرقية بمعاونة الدكتور . وأخيراً وصلت الى باريز

وكانت المفوضية المصرية قد اتصلت بوزارة الدفاع الوطنى ، فسهلت مهمتى لدى متحف الجيش الفرنسى بالانفاليد . وهو معهد لدراسة أمجاد الجيش الفرنسى فى جميع عصوره

فى كل مكان من هذا المتحف ترى روائع الفن العسكرى ممثلة فى مئات من الصور التى تحدث عن مجد الجيش الفرنسى وانتصاراته وتضحياته . وما تلك الأعلام القائمة والمنشورة التى يحني لها المرء رأسه إجلالا وخشوعاً ، ما هي إلا بنود الجيش تحت قيادة نابليون . . هذا علم الفرقة الثامنة وذاك لواء الحرس الامبراطورى ، وتلك بذلة المارشالية الرسمية وعصاتها ، وها هو جواد الامبراطور وسيفه وأوسمته .. كلها ذكريات للمجد . وها هى ردهة كليبر القائد الكبير وبهاءات السيوف والخناجر والرماح والعلامات كلها تعبر عن عظمة فرنسا الحربية

ان الانفاليد ليتلو « اللوفر » كمتحف ، لكنه يفوقه فى مكانته الوطنية . فهو تاريخ لأقدم الجيوش الأوربية الحديثة . ومجموعة صوره وتماثيله لم أرها فى متحف آخر

وكل من يزور متحف الجيش يحج الى مقبرة نابليون العظيمة

وفى قلعة فنسين (Château de Vincennes) يقوم متحف الحرب الكبرى الذى يتبع لجامعة باريز . وتشرف عليه جمعية تاريخ الحروب الماضية . وأهم مشتملاته هى الصور والتماثيل والنقوش وأعمال الخزف والقطع المعدنية التى عملت أثناء الحرب . ولعل أهم شىء فى هذا المتحف هو مكتبته التى تحتوى كل مصنف ومؤلف كتب فى أية لغة من لغات العالم . ولهذه المكتبة فهارس مبوبة على أحدث الوسائل العلمية

وزرت متحف وسام الشرف (لجيون دونير) الذى يمتاز بجمال معروضاته . كما شاهدت فى قصر فرساى أعظم الصور الزيتية التى تخلد تاريخ الجيش الفرنسى

ولقد صادف وجودى بباريز ان افتتح معرض بونابرت فى مصر (Bonaparte en Egypte) الذى أعده اتحاد متاحف باريز فى قصر الاورنجرى بحدائق التويلرى المطلة على الكونكورد . ومن أهم معروضات هذا المعرض مجموعة الاسلحة والنياشين وأدوات القتال التى استعملت فى الحملة الفرنسية فى مصر . كذلك أزياء الضباط والجنود وخاصة ما كانت لبونابرت وقواده . فقد عرض نموذج للفرس العربى الذى كان لنابليون ، ونموذج للجمل الذى استخدمه فى رحلته الصحراوية من أبى قير الى الجيزة . وقد مثلت الحياة الاجتماعية فى مصر خلال تلك الفترة تمثيلا واضحاً بمجموعات

من الصور واللوحات والنماذج . وعرضت مجموعة أصلية من كتاب وصف مصر ونموذج طبق الأصل لحجر رشيد

فى بروكسل

وغادرت باريز ونفسى تواقة الى متاحفها وآثارها الجميلة . ولكن البرنامج يقيدنى . . فالى بلاد البلجيك

ومتحف الجيش البلجيكى يضرب به المثل فى نموه السريع .. ويرجع هذا الى الحرب الكبرى التى أمدته بمعظم مجموعاته . وأهم ما لفت نظرى مكتبته النفيسة فى شتى العلوم الحربية القديمة والحديثة ، فهى مرجع أبحاث الجيش البلجيكى ، وكذلك المحفوظات العسكرية وهى منهل التاريخ الحربى للبلجيك

ولقد شعرت بسرور لا حد له عندما رأيت الجيش المصرى ممثلا بين جيوش العالم فى القسم الخاص بالجيوش الاجنبية . وقد افتتح القسم المصرى منذ أعوام ، وعرضت فيه أزياء الجيش المختلفة وأسلحته وصوره ومنتخبات من المطبوعات العسكرية باللغة العربية

أما متحف الأسلحة القديمة ، فمقره فى بورت دى هال (Porte de Hal). وقد شاهدت فيه بعض الخوذات والدرقات المصرية فى عهد السلطان الناصر ، وكذلك بعض الاسلحة . ويجب أن أذكر أيضاً متحف ليبج الحربى ومجموعاته فى المدافع والأسلحة النارية معروفة

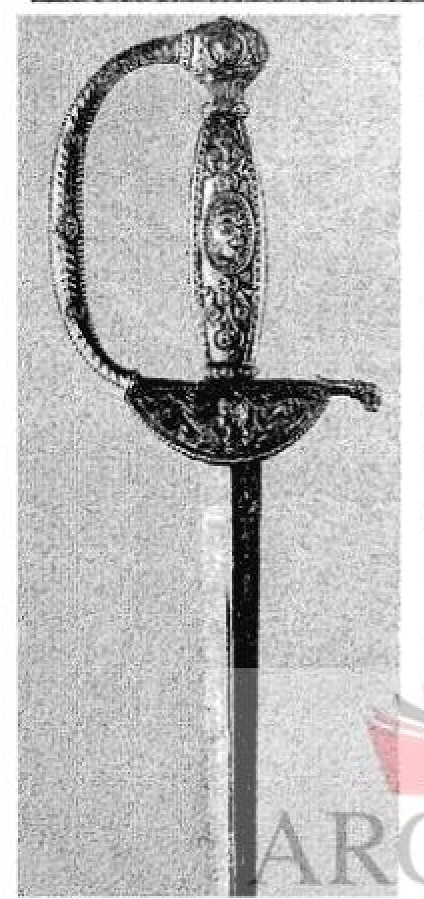
٥٩ متحفا حربيا فى انجلترا

وقبل ان أصف ما شاهدته من المتاحف الحربية فى لندن ، أذكر حقيقه هامة لا يفوتنى تسجيلها ، وهى أن بالجزائر البريطانية ٥٩ متحفاً حربياً موزعة بين المدن الكبيرة والصغيرة . ولم يتسع وقتى الا لزيارة المتاحف الآتية :

١ ـ متحف أسلحة الخدمة (R. U. S. Museum) وقد أسس عام ١٨٣١ . وهو خير المتاحف الحربية التى تبين تطور تاريخ الجيش والأسطول والطيران، ولا سيما فى خلال القرن التاسع عشر. وهذا المتحف قد ازدحم منذ سنوات بمعروضاته التى تكاد تكون مكدسة فى طابقيه . وهو الشىء الذى يشغل رجاله منذ زمن . ومكتبة المتحف من أغنى ما شاهدته بين المكتبات العسكرية ويشرف عليها « كابتن »

٢ ـ متحف الحرب الامبراطورى بلامبث (Imperial War Museum)

فتح للجمهور عام ١٩٢٩ ، ونقل الى مكانه الحالى فى عام ١٩٣٦ . وانى أعد هذا المتحف أعظم ما شاهدته بين المتاحف الحربية ، ويفوق الانفاليد فى وسائل العرض ، بل رأيت الفرق واضحاً بين تنظيم الاثنين . هذا المتحف يصور جهود الامبراطورية البريطانية فى الحرب العظمى .



السيف الذى كان يحمله نابليون بونابرت فى موقعة استرليتز (متحف الاسلحة بباريس)

وأهم ما احتوته أقسام المتحف محفوظاته الفوتوغرافية التى أخذت صورها لكل شبر من ميادين القتال فى الميدان الغربى أو الدردنيل أو سوريا والعراق . . الخ . كذلك الخرائط العسكرية المرشدة لجميع البقاع الحربية . وهذا المتحف يعتبر معهداً لدراسة الحرب الكبرى لاسيما من الناحية البريطانية

٣ ـ متحف المدفعية بووليتش (Woolwich) وأمينه مدير معهد أبحاث المدفعية . وهذا المتحف أقدم المتاحف الحربية فى انجلترا ، فقد أنشىء فى عام ١٨١٩ ونمت مجموعته بدرجة سريعة وتمثل تقدم فن المدفعية فى العالم

٤ ـ متحف برج لندن (Tower of London) . وكان لزاماً علىّ ان أقابل السير شارلز فوكس أمين القلعة ، فهو أول أخصائى انجليزى فى الأسلحة القديمة ، ومشهور بين أمناء المتاحف بتضلعه وتعمقه فى هذا الموضوع ، فألقى إلىّ محاضرة نفيسة فى نفائس القلعة . وأهم ما لفت نظرى هناك ، المدفع العثمانى الضخم الذى استخدمه السلطان محمد الفاتح عند ما استولى على الاستانة

وقد كان الجنرال ايرنسيد رئيس بعثة أركان حرب الامبراطورية منذ وقت قريب أميناً للقلعة

٥ ـ المتحف البحرى فى جرنوتش

هذا المتحف خير صورة تمثل عظمة البحرية الانجليزية التى تسود بحار العالم . فالمتحف البحرى مرآة لمجد بريطانيا البحرى منذ عصر الملكة اليزابث الى اليوم

فكلما تنقلت بين ردهات المتحف البحرى رأيت آثار البحرية الانجليزية وتاريخ رجالها وقطع أسطولها ، فألمح تطورها حقبة بعد حقبة

هذا ولكل آلاى من آلايات الجيش الانجليزى متحف خاص بتاريخه . وهذه المتاحف موزعة بين المدن الانجليزية

المتاحف الالمانية

ثم انتقلت الى المانيا عن طريق هولندا ، فشاهدت فى المتحف الحربى (Zeughaus) ببرلين تاريخ الجيش البروسى مصوراً على جدرانه الداخلية ، منذ حداثته الى تأسيس الامبراطورية التى أعلنها

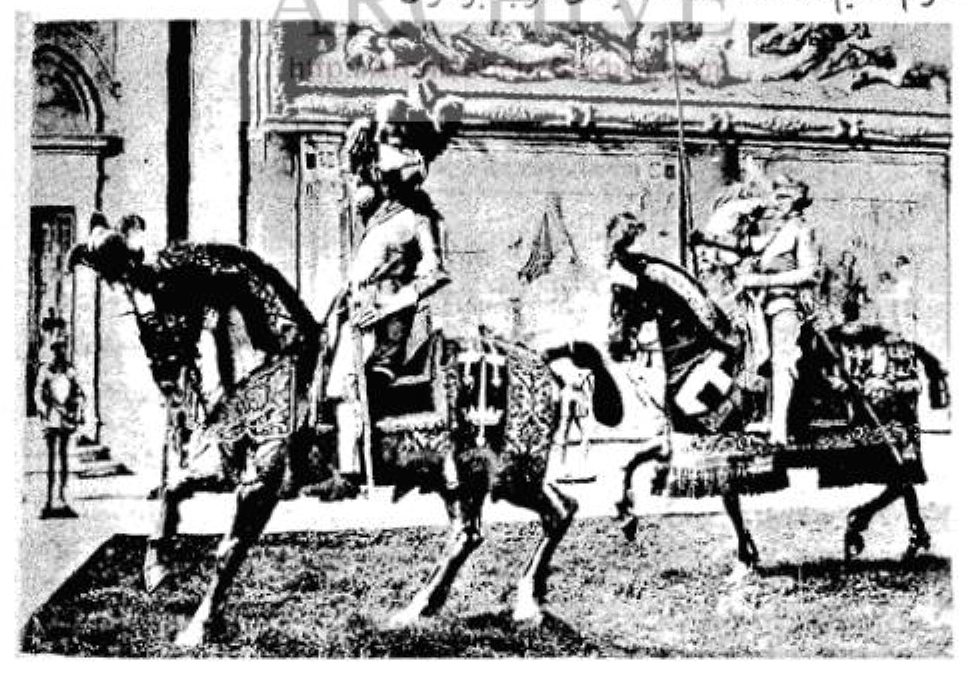


لوحة فنية تمثل الجنرال بونابرت فى موقعة أركولا . وهى بالمتحف الوطنى بامستردام

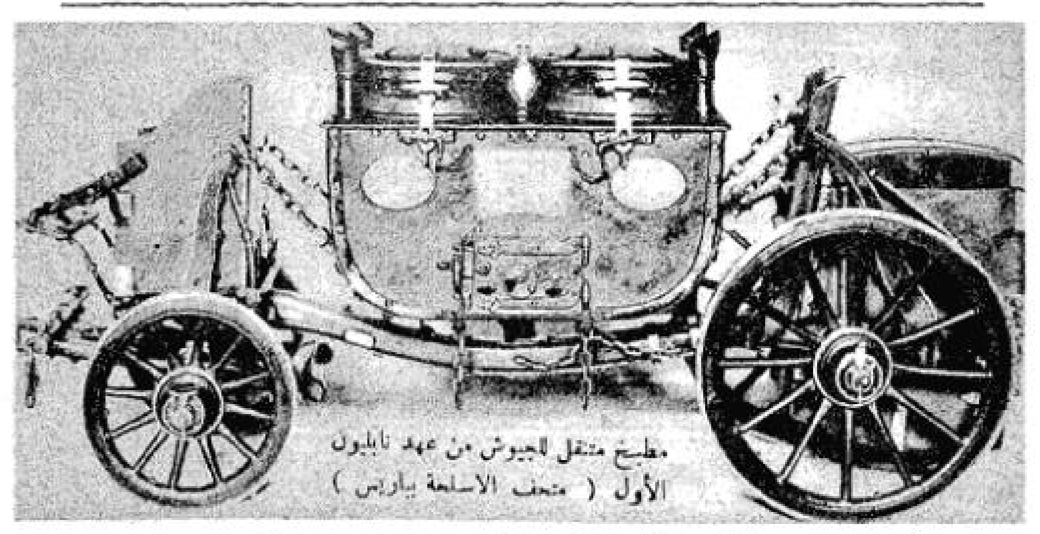
بسمارك . والمتحف فى الوقت نفسه معرض لتاريخ الاسلحة الحربية ، وبه مجموعة نفيسة من الملابس المعدنية والزرد والأسلحة البيضاء الشرقية . وهناك ينتهزون الفرص أحيانا لاقامة معارض عسكرية يعرضون فيها تاريخ الجيش فى مناسبة من المناسبات أو ذكرى من الذكريات

وفى درسدن التحف العسكرى الخاص بتاريخ جيش سكسونى . ويقع فى ضاحية المدينة على مقربة من دار المحفوظات العسكرية . وشاهدت فى متحف درسدن الوطنى ثانية مجموعات العالم فى الأسلحة القديمة ، وقد عنى بعرضها عناية دقيقة

ولما قصدت ميونيخ ، زرت متحف الجيش البافاري ، ويقوم أمامه نصب الجندي المجهول . وهذا التحف من أهم التاحف الحربية فى العالم ، وينفرد بوسائل العرض الطريفة التى قام بتنفيذها الدكتور أوكلشتين الذى استقدمته تركيا منذ أعوام لتنظيم متحف الأسلحة القديمة فى طوب قبوسراى



فارسان بالملابس الحربية القديمة والدروع المعدنية والزرد . وهما معروضان بمتحف الاسلحة القديمة بفلورنسا



مطبخ متنقل للجيوش من عهد نابليون الأول (متحف الاسلحة بباريس)

ورأيت فى متحف الجيش النمسوى فى فينا الذى يقوم فى وسط عسكرى بحت ، السترة العسكرية التى كان يرتديها ولى عهد النمسا لما اغتيل فى سيراجيفوا فى يونيو ١٩١٤ . وكذلك آثار الرصاص فى السيارة التى كان فيها لما اغتاله الطالب برنسيب

من براجا الى بودابست

ولما وصلت الى براجا الوديعة بعد حديث فى القطار مع قائد فرقة عن متحف قوات تشيكوسلوفاكيا ، زرته فى اليوم التالى ، فوجدته حديث البناء يقوم على رابية تشرف على المدينة وقد ألحقت بالمتحف المحفوظات العسكرية التاريخية ، وهو فى نظرى يعد مثالا كاملا لما يجب أن تكون عليه المتاحف الحربية الحديثة ، فان طراز البناء وعمارته الخارجية وتنسيق الأقسام علاوة على وسائل العرض التى اتبعت فى تنظيمه . . . كل ذلك فريد فى نوعه ، يجد فيه الزائر طرافة جذابة ، اذا علم القارىء أن تاريخ الجيش التشيكوسلوفاكى قصير يبدأ من عام ١٩١٨



جانب من قاعة الملابس المعدنية الحربية بالمتحف الوطنى ببودابست

والمتحف الحربى فى بودابست يقوم فى أجمل مناطق المدينة القديمة ، فى قصر تاريخى تحيط به أروع المناظر المطلة على الدانوب . وقد رأيت


فى المتحف الحربى ببرلين : فريق من التلاميذ يشاهدون اجزاء سيارة مدرعة من سيارات الحرب الكبرى الماضية

العمل جارياً فى تنظيم الدور الثالث ، ولفت نظري الى البساطة فى وسائل العرض . والمتحف صورة للجيش المجرى لا يتصل بتاريخ الأسلحة القديمة التى لها مجموعة فى المتحف الوطنى . وفى بودابست لا أنسى مناظر الوطنية التى ترى أثرها فى كل مكان

وفى بوخارست زرت متحف رومانيا الحربى الذى يطل على حديقة كارول (Parcul Karol) وهو فى مبنى متواضع خلف قبر الجندى المجهول وشعلة البطولة

استانبول الجديدة

ثم انتقلت الى استانبول لتمضية الأيام الأخيرة من البرنامج . وفى أثناء زيارتى لأهم آثار المدينة « متحف أياصوفيا » علمت أننى بالقرب من المتحف العسكرى (Museci Askeri) ، فقصدته فى الحال وقابلت أمينه الكولونيل شكرى بكر ومساعده ، فهلا مهمتى . وبعد ما رأيت المدافع القديمة التى تقوم فى حديقة المتحف ، بدأت زيارتى له ، فرأيت فيه أفخم مجموعة من السلاح الشرقى والاعلام وأدوات الموسيقى والصور مكدسة فى دواليبها تكديساً لا يكاد يريك منها شيئاً . ولم أر شيئاً يبين تطور الجيش الحديث ، فعلمت أن لذلك متحفاً حربياً جديداً فى أنقرة

وشاهدت فى متحف « طوب قبوسراى » (Top Kapu Saray) أفخم مجموعة من الاسلحة المصرية التى اشتهرت بها مصر فى عهد سلاطينها المماليك . رأيت أسياف السلاطين برقوق وقايتباى وطومان باى والغورى ، فعدت بذكرياتى الى ماضي بلادنا المجيد

ولن أنسى زيارتى للمتحف البحرى فى قاسم باشا . وعلمت من أمينه أنه سيحتفل بوضع حجره الأساسي يوم الاحتفال التذكارى بوفاة أمير البحر خير الدين بربروسه منشىء البحرية العثمانية . وقد احتفل بتلك الذكرى أثناء زيارتى ، فزرت مقبرته

***

هذا بعض ما شاهدته من المتاحف الحربية . . . التى عني بها القوم بدافع الرغبة فى الاحاطة

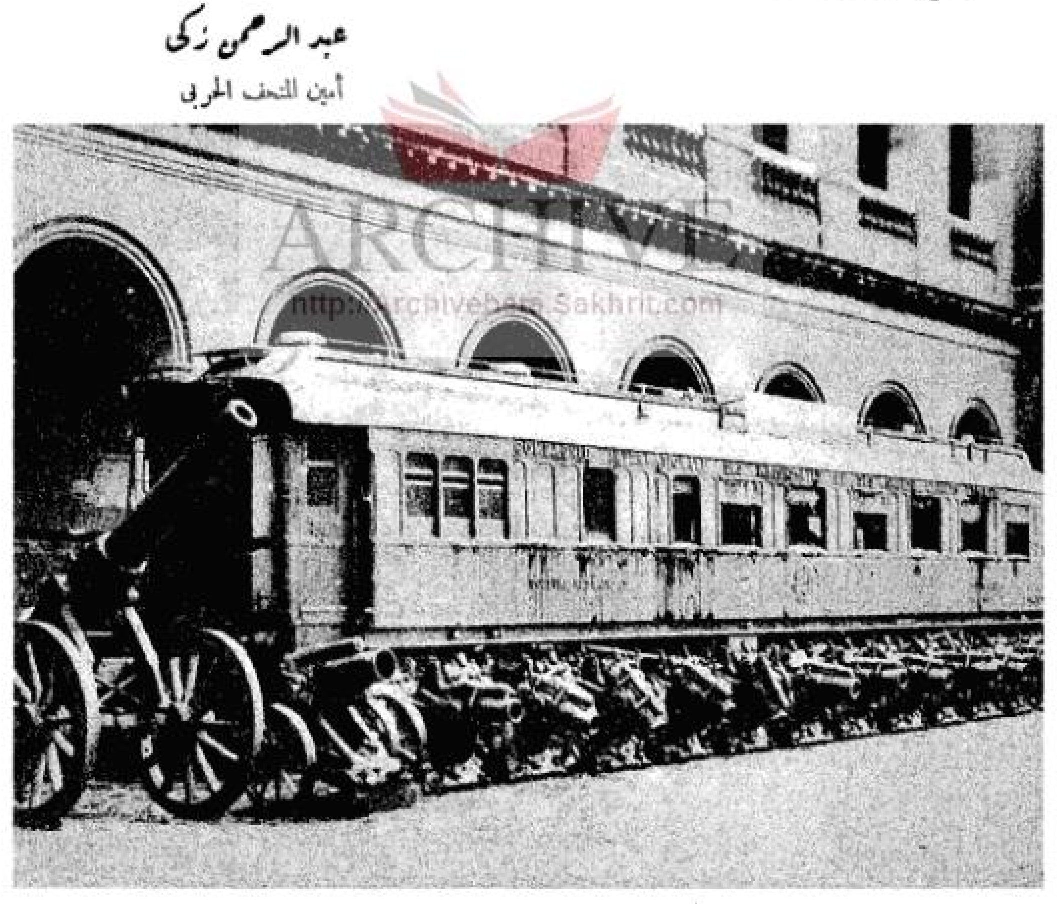
بتاريخ جيوشهم ، فما تاريخ الجيش الا تاريخ الوطن ، ومعرفته هى الخطوة الأولى لحب الوطن والتفانى فى خدمته

وأدهشنى ولع القوم فى المحافظة على تراث الاسلاف ، لأننى أكاد أتصور كل مخلفاتهم العزيزة قد أودعوها فى أبهاء متاحفهم ليستخرجوا منها دروساً وعبراً للأجيال المقبلة ، وما أنفع الدروس والعبر تستقى من تراث الاسلاف . .

ولم يقنعوا بتراث أسلافهم ، بل تراهم قد حصلوا بمختلف الوسائل على أندر الأسلحة الشرقية من درقات وسيوف وزرد وخناجر وغيرها مما جلبوه من تركيا وفارس والشام ومصر والهند وبلاد الشرق الأقصى . وعرضوه فى دور تحفهم . وكم أسفت على خروج تلك النفائس من موطنها وهى عنوان كامل للفن الشرقى

وهم لم يقصروا عنايتهم بالعرض فقط بل أخرجوا منها دراسات وأبحاثاً علمية يستفيد منها مؤرخ الفن ومحبه على مدى العصور

عبد الرحمن زكى
أمين المتحف الحربى

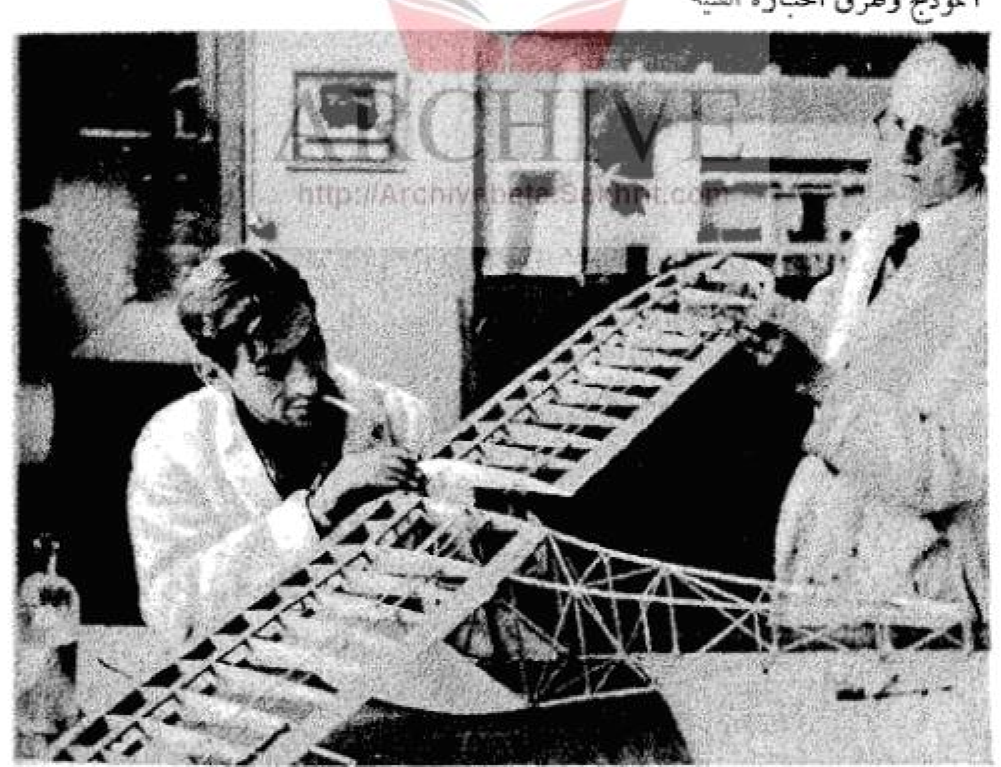


عربة السكك الحديدية التاريخية التى امضيت فيها شروط الهدنة فى عام ١٩١٨ (متحف الانفاليد بباريس)

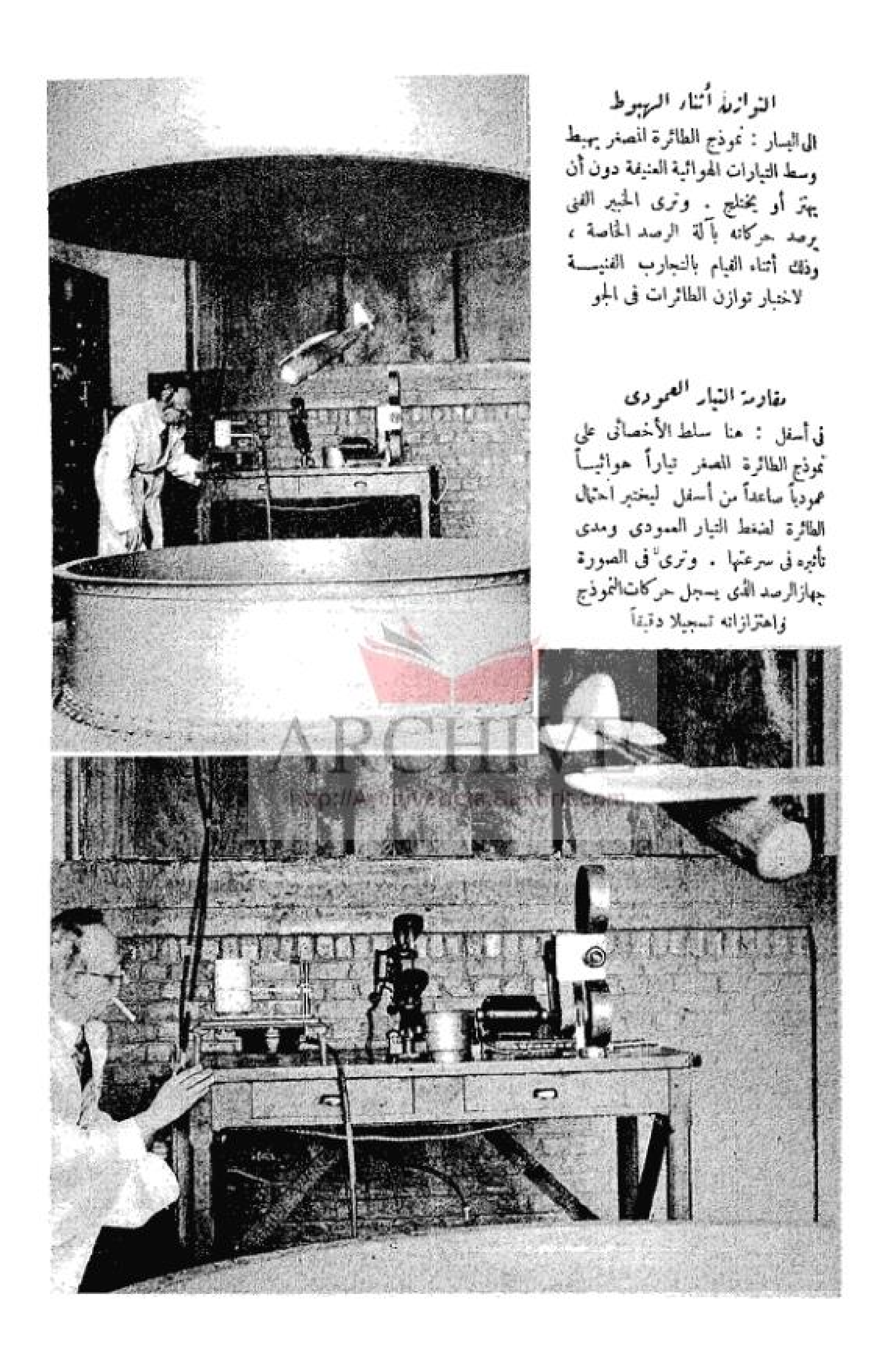
تجارب لاختبار الطائرات

يراعى مهندسو الطيران عند صناعة الطائرات أن تكون من حيث التوازن فى الجو والقدرة على التصعيد والهبوط ومقاومة جميع التيارات الهوائية فى غاية الدقة والكمال . لذلك جعلوا هذه الاعتبارات الفنية الميكانيكية فى المقام الأول فى مصانع الطائرات ، وعكفوا على ابتداع شتى الاختراعات التى تضمن للطيار سلامة طائرته مهما تكن العواصف هوجاء والتيارات الهوائية متلاقية فى شبه إعصار

ومما يساعد على ضمان التوازن فى الطائرة ما عمد اليه مهندسو الطيران فى فرنسا من صنع نموذج مصغر للطائرة قبل صنعها ، وهذا النموذج تتناوله أيدى الخبراء وتجرى عليه الاختبارات للتثبت من صلاحيته ، فتزنه أولا بميزان دقيق ، ثم تسلط عليه تيارات هوائية مختلفة من جهاز خاص لاحداثها ، وهذه التيارات بعضها عمودى والبعض جانبي يصدر عن الجهاز فى زوايا مختلفة ، كل هذا والخبراء يراقبون النموذج مراقبة دقيقة ، ويسجلون كل حركة من حركاته وكل اهتزازة من اهتزازاته بأجهزة خاصة . ويقيسون سرعته « بكرونومتر » خاص لذلك ، حتى اذا ما ثبت أنه صمد لجميع التيارات وصعد وهبط دون أى خلل أو اهتزاز ، اتخذوه أساساً لهيكل الطائرات وبنوا عليه أسرابهم الجوية . وترى فيما يلى صوراً أخذت فى أحد مصانع الطائرات فى فرنسا لهذا النموذج وطرق اختباره الفنية



تبين هذه الصورة طريقة تركيب الجناحين على النموذج المصغر للطائرة التى ستجرى عليها التجارب

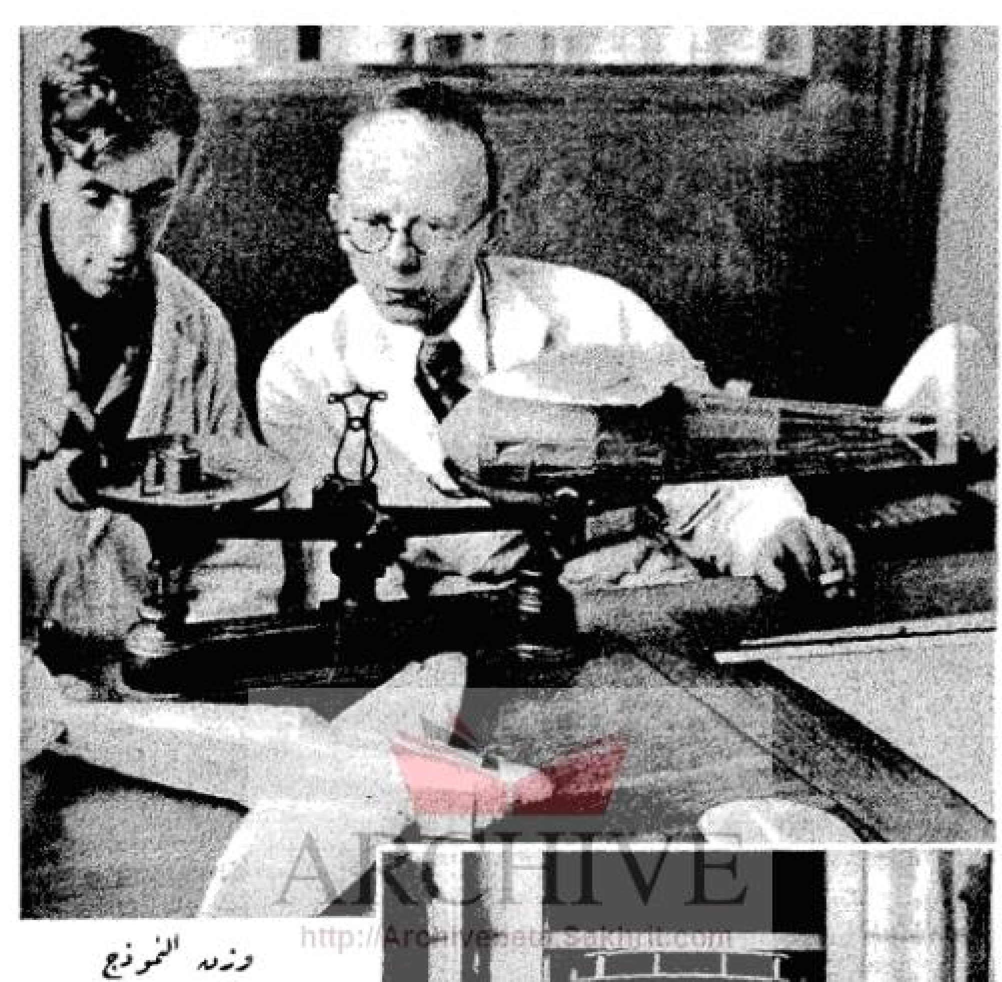


التوازن أثناء الهبوط

الى اليسار : نموذج الطائرة المصغر يهبط وسط التيارات الهوائية العنيفة دون أن يهتز أو يختلج . وترى الخبير الفنى يرصد حركاته بآلة الرصد الخاصة ، وذلك أثناء القيام بالتجارب الفنيـــة لاختبار توازن الطائرات فى الجو

مقاومة التيار العمودى

فى أسفل : هنا سلط الأخصائى على نموذج الطائرة المصغر تياراً هوائياً عمودياً صاعداً من أسفل ليختبر احتمال الطائرة لضغط التيار العمودي ومدى تأثيره فى سرعتها . وترى فى الصورة جهاز الرصد الذى يسجل حركات النموذج واهتزازاته تسجيلا دقيقاً



وزن النموذج

فى أعلى : خبيران من خبراء صناعة الطائرات فى فرنسا يزنان نموذجاً مصغراً لاحدى الطائرات قبل إجراء التجارب عليه . وترى الى جانب الميزان هيكلا آخر لنموذج مصغر

جهاز توليد التيارات

الى اليمين : الجهاز الخاص الذى يولد مختلف التيارات الهوائية العنيفة التى تسلط على النموذج لاختبار قدرته على التوازن فى الجو ودرجة احتماله للاعاصير، وذلك أثناء القيام بالتجارب الخاصة باختبار توازن الطائرات فى مصانع الطيران الفرنسية

رأى جرىء معروض للمناقشة

للعلم لغة خاصة يجب أن نتلقاها كما هي

بقلم الاستاذ نقولا الحداد

للعلم لغة خاصة به لا يمكن أن تتصرف بها أمة من الأمم بمقتضى قواعد لغتها — الالفاظ العلمية والفنية كالاعلام لا يمكن التصرف بها في أية لغة — اخضاع لغة العلم للغتنا تعسف فى طلب العلم ، وتكييف لغتنا لكي تطاوع لغة العالم اعنات لعقولنا — لا وطن للعلم . وانما العالم كله وطنه

لقد جربت الجامعة الامريكية فى بيروت تدريس العلوم والطب باللغة العربية ، وألف بعض أساتيذها معظم العلوم الطبية وغيرها بهذه اللغة

وبذلوا كل مجهود فى جعل العربية وعاء للحقائق والنظريات العلمية الحديثة ولا سيما الطبيعية والطبية . فما نجحت التجربة ، واضطروا الى العدول عنها الى اللغة الانكليزية

ومثل هذه التجربة حدثت فى مدرسة الطب المصرية لأول عهدها فلم تنجح

والآن تجرب هذه التجربة فى مدرسة الشام الطبية أيضا ولا نظنها ناجحة ، بل هى أكثر عرضة من سابقتيها للفشل

ولابد أن يسأل القارىء على الفور : لماذا ؟

والجواب : « لأن للعلم لغة خاصة به لا يمكن أن تتصرف بها أمة من الأمم بمقتضى قواعد لغتها ومعجمها ، فلغة العلم ليست انكليزية ولا فرنسية ولا المانية ولا ايطالية الخ حتى يمكن أن تكون عربية أيضا ، بل هى لغة قائمة بنفسها — لغة العلم — يجب ان تستوعبها أى لغة كما هى ان كانت تستطيع أن تلين لها وتخضع لأحكامها . فان عزّت المرونة على لغة قوم استحال على القوم أو تعذر عليهم أن يزكنوا الحقائق العلمية بواسطة لغتهم ، ووجب عليهم أن يتلقوا العلم باللغة التى تلين للغة العلم وتستطيع الاندماج بها واهتضامها والاغتذاء بها

تكاد تكون الألفاظ العلمية والفنية كالأعلام التى لا يمكن التصرف بها فى أية لغة ولا ترجمتها من لغة الى أخرى . فكما انك لا تستطيع أن تغير لفظ محمد وعلى وفريدريك وفيكتور بنقله من لغة الى أخرى ، ولا يمكنك ترجمة اسم العلم من لغة الى أخرى ، كذلك لا تستطيع أن تغير لفظ

راديو وراديوم وأوكسيجن والكترون بنقله من لغة الى أخرى . بل عليك أن تنقله بحرفه ولفظه كما تنقل اسم يوسف وهتلر وموسوليني

فالواقع ان كل من يكتشف حقيقة علمية يضع لها اسماً حسبما يروق له ، كما ان كل والد يسمى مولوده بالاسم الذى يشاء . وقد يختار صاحب الفكرة أو الحقيقة المكتشفة لفظاً كان فى الأصل لمعنى يقارب معنى الحقيقة التى سماها به كاسم « راديوم » مثلا للعنصر الذى اكتشفه كورى وزوجته . ولكن الراديوم أصبح علماً لذلك العنصر ولا قيد له بمعنى الاشعاع Radiation الذى نحت الاسم « راديوم » منه

لذلك لما جعلت لغات أوربا تتداول معنى الراديوم لم تترجمه أمة من أممها الى لغتها بالالفاظ التى تعبر عن معنى الاشعاع ، بل نقلته كل منها بحرفه ونطقه الى لغتها . كذلك الامر فى الراديو والتلفون والتلغراف والفونوغراف و و الى مالا نهاية له من الالفاظ التى وضعت للحقائق المكتشفة . فكل أمة من الأمم اقتبست اللفظة الموضوعة للحقيقة العلميـــة أو الفنية كما هى الى لغتها كما وضعها مكتشف الحقيقة العلمية أو النظرية أو المخترع أو المستنبط . وبعض الألفاظ منحوتة من أسماء أصحاب الاكتشافات أنفسهم مثل بلهارزيا وغيرها مما لا يحضرني ذكره الآن ولا متسع من الوقت لاستقرائه

فكيف يمكن ترجمة بلهارزيا الى أية لغة ؟ حتى ان بعض الافعال منحوتة من أسماء مكتشفين مثل Pastorization أى التعقيم بحسب تعليم باستور . أفليس من السخف أن تحاول كل أمة أن تنحت من لغتها لفظة للبلهارزيا مثلا أو لعنصر الهيليوم ؟ ان كل أمة مضطرة برضاها أو على الرغم منها أن تأخذ اللفظة كما وضعها واضعها الذى اكتشف مسماها أو اخترعه أو استنبطه

لذلك اذا كان أحد يفكر أن ينحت من اللغة العربية لكل لفظة علمية أو فنية أو ما اليها لفظة عربية تقابلها فانما هو يفكر فى المستحيل . واذا كان الاستاذ مظهر يقول ان هناك ٤٠٠ر٠٠٠ كلمة أجنبية فى عالم النبات يراد من المجمع اللغوى أن يضع لها مترادفات عربية ، فكل من الكيمياوى والفسيولوجى والبكتيريولوجى والمهندس والكهربائى والميكانيكى الخ يقدم للمجمع مثل هذا العدد أيضاً

يمكنك أن تضع ما تشاء من الألفاظ العربية لكل لفظة افرنجية من الاصطلاحات العلمية والفنية التي نحن بصددها . بل يمكنك أن ترتجل لها من الالفاظ ما تشاء ارتجالا من غير تعمل النحت ، ومن غير اعتبار للاشتراك بين اللفظين بالمعنى ، ولو كان هذا العمل يستغرق قرنا أو قرونا . ولكن ماذا تكون النتيجة ؟

تكون النتيجة أحد أمرين : إما اننا نكون قد أقمنا حجاباً بيننا وبين الأجانب فلا تبقى صلة لثقافتنا بثقافتهم . وأعني اننا لا نعود ندرى بماذا يستجد عندهم من التطورات العلميـــة ولا م

يدرون بما يستجد منها عندنا ، ان كان لنا نصيب من القدرة على التجديد . وحينئذ تصبح الثقافة عندنا مستنقعاً راكد الماء آسنه . أعنى أن العلم عندنا يجمد فى الحالة التى وصلنا اليها ولا يعود يتقدم ، بل لا يلبث أن يفسد . هذا هو أحد الأمرين

وإما اننا نضطر أن نتعلم احدى اللغات الافرنجية الاكثر شيوعاً والأغنى علماً لكى نطلع فيها على العلوم الحديثة ومستطرفاتها (يعنى أننا ندرس العلوم فيها مع دراستنا لها بلغتنا) لكى نبقى على اتصال بالثقافة العالمية العامة ونستطيع اقتباس كل مستطرف فيها . وهذا يضطرنا أن نضاعف مجهودنا فى تحصيل العلم بلغتين

فكأننا نضطر أن ندرس فى مدرستين : الواحدة عربية والاخرى افرنجية ، وان نستذكر لكل حقيقة علمية أو فنية لفظين أحدهما عربى والآخر افرنجى . وهذا يستلزم أن نعيش عمرين ، وأن يكون لنا عقلان وذكاءان . وبالتالى يجب أن نكون عباقرة الزمان . والا استحال علينا أن نخوض غمار هذه الحياة بسفينة العلم

إذن ، كيف نتدارك هذين الامرين المستنكرين ؟

قد تقول : لا بأس من تعريب الألفاظ العلمية والفنية ، أى إدخالها الى لغتنا العربية كما هى بتعديل قليل فى صياغتها بحيث يسهل تصريفها حسب أصول لغتنا . وقد أجاز المجمع اللغوى التعريب عند الضرورة

المجمع اللغوى اضطر أن يجيز التعريب لأنه وجد نفسه أمام أمر واقع . فلا يستطيع أن يحظر تعريب جميع الاصطلاحات الأجنبية التى تعد بمئات الألوف . هو مضطر لاجازة التعريب للاسباب التي قدمناها . والا تعاقبت أجيال على المجمع فى محاولة جعل لغة العلم عربية بحتة من غير أن نفرغ من هذه المهمة لان المكتشفات العلمية متوالية بلا انقطاع

أما وقد ظننا اننا وجدنا حل المشكلة بتعريب الاصطلاحات العلمية والفنية ، أي بنقلها بلفظها كما هو الى لغتنا ، فعلينا أن نتساءل : هل تهضمها لغتنا ؟ وهل يمكن تلك الألفاظ الأجنبية أن تندمج فى لغتنا بسهولة كما تندمج فى اللغات الأوربية ؟

كلا ، بل بينها وبين لغتنا تنافر لا يسهل تداركه

فقد رأينا كتاب العلم عندنا يضطرون إن يفسروا الألفاظ العربية التى نحتوها للاصطلاحات العلمية الجديدة بألفاظ افرنجية كقولنا مثلا « كهرب » Electron وجزىء (Molécule) الى غير ذلك

وقد رأيت فى الكتب التى ألفها الاستاذ الكواكبي أستاذ الصيدلة فى كلية الطب العربية فى الشام أمثلة كثيرة من هذا ، فكأنه يفترض أن تلميذه يعرف اللغة الاجنبية أكثر من لغته ،

فيفسر له ألفاظ لغته بألفاظ افرنجية . فلماذا هذا العنت ؟ أليس أسهل عليه وعلى تلميذه أن يدرسه باللغة الافرنجية ؟

لا أقصد بهذا النقد الاستاذ الكواكبي بالذات بل اتخذته مثلا لكل كاتب علمي، (وأنا أيضاً) إذ يضطر أحيانا أن يردف اصطلاحه العلمي العربي بلفظ افرنجي يفهمه من يعرف الافرنجية . ولكن من لا يعرفها يبق مراد الكاتب مغلقا عليه

ثم رأينا اننا عند استعمال الاشتقاقات نضطر الى اقتباس الأسلوب الافرنجي فى التعريب . مثال ذلك نقول :

حديديك وحديدوس لقاء Ferric, Ferrous والحامض الكبريتيك والكبريتوس فى مقابل Sulphoric و Sulphurous الى غير ذلك

وقد أذكرني هذا الأمر بحذلقة أحد الكتاب ، اذ أراد أن يضع كلمة عربية واحدة مرادفة لسيكولوجيا فقال « نفسولوجيا » ، فبينا هو يحاول ترجمة سيكولوجيا عرب نصفها . فلماذا لا يعربها كلها ؟ وأية صيغة عربية تماثل لوجيا ؟ الا اذا كان يريد أن يدعى أن كلمة لوجيا المنحوتة من «لوغوس» اليونانية هي فى الاصل عربية : Laugus (لغة)

وسبب هذا التنافر بين لغتنا والاصطلاحات الافرنجية هو أن لغتنا من طينة غير طينة اللغات الاوربية بل هي بعيدة عنها كل البعد ألفاظاً ونحواً وتصريفاً واشتقاقا وأساوبا فضلا عن انها تختلف عنها صرفا وهجائيا أيضاً . ولذلك يتعذر علينا إدماج الألفاظ الافرنجية فيها ونضطر الى التعنت فى التصريف

على أن الأمر خلاف ذلك فى لغات أوروبا ، فهى متشاركة فى كثير من الالفاظ ، متشابهة فى أساليب الاشتقاق والتصريف ، فلا يتعذر على أية لغة فيها اهتضام أية لفظة دخلت عليها من لغة العلم ، ولا سيا لأنها جميعها تكتب بحرف واحد تقريباً

وإذا كانت لغتنا معجزة فى صرفها ونحوها ، وطلابها يتمرمرون من بذل الجهود وقتل الوقت فى دراستها ، والطلبة الحديثون الخائضون غمار العلوم الحديثة المتكاثرة صاروا يكرهونها لأن دراستها تستنفد من جهودهم ما لا يبقى شيئاً من نشاطهم لدراسة العلوم ــ إذا كان هذا هو شأن لغتنا فى الصعوبة فكيف نستطيع ترويضها لمطاوعة الاصطلاحات العلمية والفنية الحديثة ؟

ولعل الأتراك يجدون فى تعليم العلوم العليا بلغتهم (كما استشهد العلامة الدكتور منصور فهمى بك) صعوبة أقل مما نجد نحن بسبب أن لغتهم تكتب الآن بالحرف الأفرنجي . ومع ذلك سل الاتراك يجيبوك أنهم يجدون صعوبة كلية فى تتريك لغة العلم ، وأنهم مضطرون أن يفرنجوا تركيتهم العلمية رويداً أى أنهم يدمجون الالفاظ الاجنبية العلمية والفنية بلغتهم كما هى . فهم ينبذون الآن الألفاظ العربية من لغتهم ويقتبسون بدلها ألفاظاً إفرنجية قائلين « وداعاً أيها الشرق »

واذا انتقلنا الى الشرق الاقصى ولا سيما اليابان التي نعجب بتقدمها السريع وجدنا أنها لم تضح بمصالحها تعصباً للغتها . فلما وجدت مشقة عظمى في ترجمة العلم الى لغتها ، وضعت لغتها وراء ظهرها واتخذت اللغة الانكليزية أداة لثقافتها . فهي تعلم أحداثها جميع العلوم الدنيا والعليا بالانكليزية ، وأصبحت اللغة الوطنية لغة البيت والسوق فقط ولكنها ليست لغة العلم والثقافة والفن . لماذا ؟ — لأنها وجدت أن لغتها الوطنية ليست مطواعة للعلم الحديث . ولم تشأ أن تضيع مجهود ناشئتها في طلب العلم مرتين وهي تقتصد بكل شيء : بالوقت والجهود . لذلك آثرت أوسع اللغات انتشاراً وغنى بالعلم على لغتها . وربما كان هذا الايثار من أسرار نجاحها السريع

إن هذا الجهاد الحيوي قد تضاعف في هذا العصر كثيراً . وأصبح الفرد مضطراً إلى بذل نشاط عظيم حرصاً على بقائه في الحياة وجرياً في مضمارها . ولذلك هو مضطر أن يقتصد بنشاطه ما أمكن لكي يستطيع الجهاد من غير أن تهن قواه ويسقط في المضمار

يرى الاجتماعيون المفكرون أن المجتمع الانساني صائر الى تقرير لغة واحدة عامة تتفاهم بها جميع الأمم وتتخذها أداة للثقافة العامة وواسطة للتعامل العام تفادياً لبذل الجهد العقلي والعملي في تعلم اللغات المختلفة بغية تفاهم الامم بعضها مع بعض . فاذا كان هذا هو مصير النظام الاجتماعي فكأننا باصرارنا على أن نتلقى العلم الحديث بلغتنا ، وهي غير صالحة له ، نقاوم هذا التيار الاجتماعي الطبيعي وهو تيار لا يقاوم

ان العلم الحديث هو من ثمار مجهودات الاوربيين العقلية وهم الذين وضعوا أسماء هذه الثمار . فهل نستنكف أن نقتبس هذه الأسماء في حين نتمتع بهذه الثمار ؟

يوم كان العرب يستنبطون ويخترعون ويكتشفون كانوا يضعون الاسماء لمكتشفاتهم ومستنبطاتهم وكان الافرنج لا يستنكفون أن ينقلوها عنهم كما هي من غير نحت مرادفات لها في لغاتهم فنقلوا الى لغاتهم ألفاظ : الجبر . والسمت . والنظير والمقنطر الى غير ذلك من الاصطلاحات العلمية ولا سيما الفلكية . واليوم دور الافرنج . هم يستنبطون ويضعون الأسماء والاصطلاحات لمستنبطاتهم ونحن نتمتع بفوائدها . فلا يكبر علينا أن نقتبس ثوب العلم عنهم كما نأخذ العلم نفسه منهم وكما أخذنا الأزياء عنهم أيضاً . لا وطن للعلم وانما العالم كله وطنه ، وله لغة خاصة به . فمن رام أن يتلقنه فعليه أن يتلقنه بلغته وإلا بقي جاهلا

إن إخضاع لغة العلم للغتنا تعسف في طلب العلم . وتكييف لغتنا لكي تطاوع لغة العلم إعنات لعقولنا في تفهم العلم ، لأن لغتنا غير صالحة لاستيعاب العلم الحديث بسبب أن مصدره من أوربا واصطلاحاته وأسماء أشيائه أوربية . فلا نستطيع أن نتعلمه بلغتنا بالسهولة التي نتعلمه بها في احدى اللغات الاوروبية . فلماذا هذا التعصب الأعمى وليس فيه مصلحة لنا بل فيه مشقة وعناء ؟

نقولا الحداد

عاطفة الحب

منشأ جرائم النساء

هل كان القدماء صادقين فى أساطيرهم حين اتخذوا المرأة رمزا للجريمة ؟ فانا نشهد ونقرأ ما يثبت أن المرأة الضعيفة قد تكون أقسى قلبا وأغدر يدا من الرجل ، فهؤلاء نساء الثورة الفرنسية يجلسن فى ساحات باريس ينسجن «بأيديهن» بينما رؤوس الاشراف تهوى من فوق المقاصل وتتدحرج تحت أقدامهن دون أن تعتريهن رجفة الالم أو يلم بهن مس من الخوف ، وهذه احدى فتيات ذلك العصر ـ شارلوت كورداى ـ تستل الخنجر المسموم وتغمده فى صدر « ماراه » زعيم الطغاة بينما يغتسل فى حمامه ، دون ان يروعها الموقف أو ترهبها الجريمة ، وهذه الصحف تذيع علينا كل يوم أنباء نساء قتلن ازواجهن الذين يحبونهن ويعولونهن لا لامر الا اجمع المبالغ التى أمنوا بها على حياتهم فى شركات التأمين ، ونساء أخريات يهجرن بل يقتلن أطفالهن ليخلو لهن سبيل الحياة مع رجل احببنه أو يدفعهن دافع الغرام أو الغيرة الى القاء السوائل الكاوية تشوه وجوه احبائهن ومنافساتهن!

فكيف أمكن ان تسكن هذه القسوة البالغة وما تتأتى عنه من جرائم منكرة قلب هذا الجنس الذى تتمثل وتتركز فيه أسمى عناصر « الحب » و « التضحية » و « الجمال » ؟

ان هذا التناقض فى طبيعة المرأة يسهل تفسيره وتعليله اذا قدرنا هذه القوة الغريزية التى تحكم كيان المرأة ، وهى ان المرأة ناقصة من الوجهة العاطفية وانها فى حاجة الى حب الرجل ليكمل نقصها هذا

منشأ هذه الحالة هو ما أودع فى المرأة من المقدرة على الانسال والانتاج . فسواء أكانت متزوجة أم بغير رجل ، وسواء أكانت أما أم لم تنتج أحدا ، وسواء أكانت مستقلة بأمرها أم معتمدة على سواها فى حياتها ، فانها لا تستطيع ان تغفل ما يضطرم فى كيانها من قوى الانتاج التى تدفعها دفعا عنيفا الى التماس الرجل الذى لا غنى لها عنه لادارة عجلة الانتاج وتحقيق غاية الامومة . ومن هنا تقوم علاقة المرأة بالرجل ، ومن هنا تنشأ عاطفة الحب فى المرأة . وهذه العلاقة وهذا الحب هما مصدر فضائل المرأة ومنبع مزاياها ، ذلك ان ما تناله المرأة من حب الرجل وما تفيده من علاقتها به من اكمال جوانب النقص فى حياتها العاطفية ، يحملها على أن تدفع ما يقابله ويوازيه بمنح زوجها وولدها من ذات نفسها ومن معين عاطفتها ما يخلع عليها صورة الزوجة المحبة والام الرءوم . ولكن احرم المرأة من

هذا الحب وجردها من هذه العلاقة ، فسرعان ما ترى أدنى خصالها وأقسى طباعها قد برزت من قرار نفسها وبانت للاعين فى صورة الرذيلة المنكرة أو الجريمة المروعة

أى أن فضائل المرأة وحسناتها ليست الا ثمنا تدفعه للرجل الذى يمنحها حبا يكمل نقصها . فان ضن عليها وحرمها من هذا الحب اختفت هذه الفضائل والحسنات وحلت محلها الرذائل والجرائم !.. وليس الحب مقصودا لذاته عند المرأة الطبيعية ، فما تراه الا وسيلة الى غاية معينة ، وما تعده الا شجرة ترجى ثمرتها ، وهذه الغاية هى تحقيق عملية الانتاج وهذه الثمرة هى النسل المنشود

على اننا يجب ان نستدرك فنقول انه ليس من الضرورى ان تعود كل امرأة حرمت حب الرجل الذى يحرث أرض أمومتها ، الى طبيعة الانسان الاولى التى لا تتحرج من الرذائل ولا تهيب الآثام ، فثمة عوامل التعليم والذكاء والثقافة والتربية التى تكبت فى كثير من النساء المحرومات فورة الرذيلة وتكبح جماح الجريمة

واذا عقدنا مقارنة بين الرجل والمرأة تبينا وجوه الخلاف بينهما فى عاطفة الحب ومظاهرها . فالرجل حيوان « ذاتى » يقصر تفكيره وشعوره على نفسه دون سواه ، ويستطيع غالبا ان يحقق مبدأ « الاكتفاء الذاتى » فلا يفتقر ـ من الوجهة العاطفية ـ الى غيره . ولهذا فان « الابوة » لا تبلغ من نفسه ما تبلغه « الامومة » من نفس المرأة ، وليس ثمة مايضطره الى أن يغلو فى قيمة الحب أو الجنس غلو المرأة فى قدرهما ، بل انه يستطيع ان يستغنى عن هذين الامرين لان الرغبة فى الانتاج لا تفرض عليه سطوتها قدر ما تفرضها على المرأة . أى ان الرجل لا يبلغ من النقص العاطفى الدرجة التى تبلغها المرأة ، فهو اذن ليس فى حاجة الى من تكمل نقصه مثل حاجتها الى من يسد الثغرة المفتوحة فى حياتها العاطفية

والواقع ان الرجل يستطيع ان يتنكب طريق الحب والجنس دون عناء شديد . ويستطيع ان يمارسهما أو يتجنبهما دون ان يطرأ تغير كبير ملحوظ على اسلوب معيشته ، أو مجرى مستقبله ، أو فلسفته العامة فى الحياة . ويستطيع ان ينال أقصى حظ من متع الحياة دون ان يمد يده ليقتطف ثمرة واحدة من الثمار المدلاة فى شجرتى الحب والجنس . فثمة مايغنيه عنها فيما يصيبه من متع العقل ولذات الذوق ، وما يحققه من السعادة عن طريق الثروة أو القوة أو الجاه . ذلك ان الرجل عالم قائم بذاته ، تنطوى جوانحه على ما يغنيه عن العالم الخارجى جميعا

أما المرأة فليست على حظ كبير من « الذاتية » فعواطفها لا تتركز فى داخل نفسها ، بل تعيش على ما حولها من الاشخاص والاشياء . وقد خلقتها الطبيعة على هذا النظام العاطفى لتعدها لرعاية شخص منفصل عنها بما يلزمه من الحب والجهد والتضحية ، وهذا الشخص هو طفلها . وهذه العاطفة التى لا تستقر فى داخل المرأة بل تفيض منها على ما حولها ، هى التى تجعلها شديدة الحب لابيها وأمها فى سن الطفولة ، وساعية الى الزواج والامومة

في سن الشباب ، وباذلة نفسها لطفلها بعد ذلك . بل هو الذي يحملها على ان تغدق الحب على كل مايتصل بها سواء أكان حيا أم جمادا ، فتراها تضفي من معين عاطفتها على زوجها وطفلها ، وعلى كلبها وطائرها ، وعلى ملبسها وحليها ، وعلى هدية تقدم اليها أو آنية في بيتها . فهي دائما تبحث هنا وهناك عن انسان أو حيوان أو جماد تصب عليه عواطفها التي لا تجد في داخل نفسها المكان الذي تلقاه وتستقر فيه عواطف الرجل

هذه هي عاطفة الحب في المرأة وهذا هو مبلغ قوتها التي تدفعها الى الجريمة اذا هي حرمت أو جردت منها ، فهل اذا أباحت المرأة المحرومة من الحب لقوات الشر الكامنة فيها ان تظهر وتطفو ، نجدها تتخذ في اظهار قسوتها أو اجتراح آثامها اسلوبا معينا من أساليب الاجرام ؟

لقد وجد علماء الاجرام ان المرأة تنفرد بطرائق خاصة في ارتكاب الجرائم ، وهي تتفق غالبا مع اسلوب حياتهن وضعف اجسامهن . فخطابات التهديد جريمة نسوية شائعة لسهولة تنفيذها واتفاقها مع ما يمتاز به تفكير المرأة من مكر ودهاء . وتثبت الاحصاءات ان آلافا من الرجال تقترف ضدهم هذه الجريمة النسائية في كل عام ، فترسل اليهم خطابات الاتهام بعدوانهم على الفتيات العذارى فيضطرون الى دفع ما يطلب اليهم من المال اتقاء لما يلحقهم من الفضيحة والتشهير . كذلك اختطاف البضائع المعروضة في المتاجر اسلوب من اساليب النساء في الاجرام ، ولعل مصدرها ان رغبة المرأة في الملبس والزينة تبلغ بها احيانا الى درجة الطيش والرعونة . وبث السم في الطعام والشراب هو الطريق الذي تسلكه المرأة المجرمة عادة للتخلص من عدوها ، ويقال ان كل سفاح من الرجال تقابله مجرمة من مجرمات السموم . وكان يقال فيما مضى ان جرائم العنف والقوة نادرة بين النساء ، فقل فيهن من تلجأ الى ما يلجأ اليه الرجل من اطلاق النار أو غمد الخنجر والسكين ، ولكن أنباء الجرائم في الوقت الحاضر تخيل الى المرء ان المرأة لم تبد تتهيب تلك الوسائل بل صارت تجارى الرجل في اتخاذها

والخلاصة ان المرأة ذات طبيعة مزدوجة . فجسمها الرقيق ينطوي على ملاك ووحش معا . وتستطيع ان تستخرج هذا الملاك اذا أرضيت المرأة ارضاء عاطفيا ، وأيسر طريق لذلك هو طريق الحب ، فحينئذ تجد هذه المرأة هرة وديعة أليفة لا تحجم عن أن تضحي بنفسها في سبيلك . اما ان منعت هذا الحب وحولته الى غيرها ، ولم تعبأ بارضاء عاطفتها من أي طريق آخر ، فسوف يثب منها الوحش الكاسر الذي يعاديك ويناضلك

(خلاصة مقال بقلم الدكتور لويز بيتش في صحيفة Your life الامريكية)

العلاج الروحى

كما يراه الدكتور ادوين فردريك باورز

بقلم الاستاذ احمد فهمى أبو الخير

مدير ادارة السينما بوزارة المعارف

الدكتور ادوين فردريك باورز هو أستاذ علم الأمراض العصبية بجامعة منيا بوليس بامبركا ، وهو أحد العلماء المشهورين ببحوثهم فى عالم الأرواح . وقد ألف كتابا باسم « ظواهر حجرة تحضير الأرواح » قام بنقله الى العربية الاستاذ احمد فهمى أبو الخير ، يصدر قريباً . ونحن ننشر منه هذا الفصل لقراء الهلال

عرف العلاج الروحى منذ أقدم العصور فى التاريخ بأنه عامل من عوامل منع الموت وتخفيف المرض . وكان الكهنة الأقدمون رجال طب فى الغالب ، كما أنهم كانوا رجال دين ، وظلوا وحدهم الأطباء حتى عصر بقراط . وكان هؤلاء الكهنة يعالجون المريض برقيته وإسهاله وتقيئته (وهذا علاج لا بأس به) ، وكانوا كذلك يعالجون بالصلاة والصوم والطعام الخفيف والوضوء والرياضة والتعريق . وكانوا يعتقدون — ككثيرين من أطباء القبائل المتبربرة فى الوقت الحاضر — أن المرض فى الأصل مظهر من مظاهر وجود الجن أو الشياطين أو الارواح الخبيثة الشريرة التى تكون قد اتخذت من جسم المريض الضحية مسكناً لها ومقاماً . وكانت تتضمن الرقى الكهنوتية فى الغالب إتيان أمور مضجرة فى الواقع للعفريت الغازى كدق الطبول والصياح ، وكالطبخات الكاوية وإطلاق البخور

ولا تزال نرى مظاهر هذه الخرافة فى حلقات الزار ومناشط بعض المشايخ والقساوسة من أمثال إطلاق البخور ، أو زجر روح شرير ، أو تطهير منزل مسكون بالأرواح الشريرة ، أو إبعاد التأثيرات السيئة فى المعابد من جوار المذبح خلال تأدية الطقوس الدينية

ويقول الدكتور باورز : « كنت فى أيام شبابى أضحك ساخراً مستهزئا بذلك الرأى القائل بأن الأرواح الخبيثة الشريرة المؤذية غير المتجسدة قد تحدث ، فى ظروف خاصة ، اضطرابات جسمية أو عقلية خطيرة لبعض الناس . وكنت أحمل فى احدى يدىّ كتاب بوخنر (Buchner) المسمى « القوة والمادة » وفى اليد الاخرى كتاب هيكل Haeckel المسمى « لغز الكون » وأسخر من الرأى القائل بأن أى روح ابتداء من يسوع المسيح الى العمة ماريان تستطيع أن

تساعد على إزالة بقايا « الثوب الطيفى الرث البالى » الذى ترتديه الآن ، أو أن تزيل من العقل ذلك السم الروحى الذى يحول التفاعلات العقلية العادية الى هذيان البلاهة والعته أو الى خبل الجنون القاتل ، أو الى يأس المالنخوليا المفجع »

ولا يستطيع شخص ذكى أن ينكر أن هناك سبباً لمعظم الأمراض التى تصيب الانسان ، وآه لو يعرف هذا السبب ! ونحن نعلم أن عشرات من الجراثيم تحدث الأمراض المميزة لها اذا كان النشاط الفاجوسيتى phagocytic (أى المختص بالخلية الآكلة) للدم منخفضاً ، أو كان المريض ضعيف المقاومة

ونعلم أن الغذاء الناقص — وعلى الأخص ذلك الذى تنقصه بعض الفيتامينات أو الأملاح المعدنية — يحدث لا محالة كساحا أو بلاجرة pellagra (أى خشونة الجلد كالقشف) أو اسقربوطا ، أو أى الأمراض التى تنشأ من فقدان هذه المواد الخاصة . ونعلم أنه اذا كانت تنتهك بعض القوانين الاساسية لعلم الصحة ، أو كانت فقرات العمود الفقرى قد انزاحت عن مكانها الصحيح ، أو كانت هناك أية بؤرة للعدوى فى مكان ما من الجسم ، فان أمراضاً معينة قد تظهر وتنمو . ونعلم أنه بالطب الباطنى أو الجراحة أو طب الاسنان أو طب العظام ، أو بالعدسات الكاسرة ، أو بطاعة قوانين علم الصحة ، أو بتجنب الافراط فى جميع صيغه ، أو بغسل القولون ، أو بالعلاج الفسيولوجى أو العلاج الكهربائى — قد تحدث معجزات . ويعرف الدكتور باورز أيضاً من تجاربه الطويلة أنه قد يمكن الحصول على نتائج مدهشة فى الحالات الوظيفية والعصبية باستخدام العلاج النفسى أو الايحاء المغناطيسى

ويقول : « قد برهنا أيضاً فى أمثلة لا تحصى على صدق المثل اللاتينى القديم القائل Mens sana in corpore sano أى العقل السليم فى الجسم السليم . فنحن قد عالجنا فعلا ألوف حالات الخلل العقلى بتطهير الأخرجة البرازية ومراكز العدوى فى الجسم ، وبما يسميه الطبيب الدكتور دى لانى Dr. O. M. De Laney وهو من كبار الجراحين فى نيويورك ستى « تعقيم الدم » — برفع درجة حرارة الجسم الى درجة ١٠٢ أو ١٠٥ على مقياس فهرنهيت . ثم إبقائه فى حرارة الحمى هذه ساعة أو أكثر فى كل جلسة

« فباستخدام طريقة العلاج هذه ، التى هى من أرقى طرق العلاج ، قد أمكن إبراء كثير من الأمراض المعدية فى وقت قصير مدهش القصر ، بل ان بعضاً من تلك الحالات الباثولوجية — من أمثال الشلل العام (الناجم عن لين المخ) والالتهاب المفصلى والعصبى ، ومرض النوم ، وكثير من الأمراض الأخرى المزمنة أو المستعصية تستجيب للعلاج بتلك الحرارة الحمية المرتفعة . ولكن بقطع النظر عن جميع معجزات العلاج التى تتم فى دنيانا هذه كل يوم ما زالت هناك معجزات أخرى فى إبراء المريض والأعرج والأكسح والأعمى لا يمكن تعليلها ولا ينفع فيها العلاج الطبى أو الجراحى

أو السيكولوجي أو الاهتزازى ـ وهى أنواع العلاج التى نحن بها ضريبون فى أيامنا هذه

« تبقى بعد ذلك ألوف الحالات التى لم يجد فيها أشهر الأطباء وأشدهم تنطساً أدنى بارقة أمل ، والتى تم فيها مع ذلك شفاء المرضى واستعادتهم الصحة والعقل خلال معجزة من معجزات الصلاة والابتهال أو العلاج القدسى . ومن لغو القول أن تنسب هذه النتائج الى تأثير الايحاء لأن كثيرين ممن عولجوا بهذه الطريقة ونقهوا كانوا واقعين فى سبات عميق حينما بدأ المصلون صلاتهم وابتهالهم بجوار سررهم . وقد حدث فعلا فى حالات أعرفها أنا شخصياً أن ابتهل المبتهلون الى الله أن يمنح المريض مساعدة قدسية (وهذا نوع آخر من العلاج الروحى) ، وكان ذلك فى اجتماع كنسى ضم بعض أصدقاء المريض المحتضر ، وعقد فى مكان يبعد أميالا عن مكان المريض ، بل حدث مرة أن عقد الاجتماع فى مدينة أخرى نائية تقع فى منتصف القارة (١)

« وليس ثمة تفسير ممكن لشفاء هؤلاء المرضى الذين كانوا على وشك الموت بالايحاء المغناطيسى أو العلاج الايحائى ما لم نسلم أن الوعز قد نقل عن بعد (أى بالتلبثى telepathically) . ومع ذلك فانى أعتقد أن أى متدرب على العلاج بالايحاء ، خبير بما تتضمنه عملياته السيكولوجية ، يسلم على الفور بأن مثل هذا الوعز الموحى به مباشرة الى المرضى ـ كما يعمل عادة الأطباء والممرضون وأفراد الأسرة والأصدقاء فى موقفهم المفرح المشجع الذى يقفونه إزاء مرضاهم هؤلاء ـ يكون ذا تأثير أقوى من الوعز أو الايحاء الذى قد يجىء خلال المسالك الدقيقة المظلمة الخاصة بالتلبثى (أى نقل الافكار عن بعد)

« بل ان أوثق صيغ العلاج لن تجدى فتيلا فى مثل هذه الحالات . وانى أبيح لنفسى أن أقول هذا القول لما لى من خبرة طويلة بالايحاء المغناطيسى فى معالجة الامراض الوظيفية والعصبية ، ومن ثم كانت لى معرفة بأصول هذه الطريقة وحدودها ـ والمسألة تنحصر فى الحصول على درجة تلق أو أخذ ملائمة وعلى ارسال الايحاءات اللازمة بأسلوب مخلص مقنع . ولهذا تكون النتائج التى يحصل عليها منوم مغناطيسى فعالة كتلك التى يحصل عليها أى منوم مغناطيسى آخر . ومن المسلم به فى جميع حالات اختلال مجموعة الاعصاب السمباتوية أنه يمكن الحصول على نتائج مرضية ، وعلى الاخص اذا أمكن وضع المريض فى حالة أعمق من الحالة الشبيهة بالنوم المغناطيسى أو بحالة التلقى اللينة pliantly receptive condition وأقرب كثيراً الى حالة التخشب catalepsy . ومع ذلك فحينما تستجيب فى الغالب هذه الأمراض العصبية أو الأمراض الناشئة من التحول الغذائى فى الخلايا للايحاء استجابة ملائمة ، فلا يمكن أن ينازع أى معالج سيكولوجى من المحافظين ـ ابتداء من بريد

(١) عقب القائى محاضرتى « عالم الروح فى ضوء العلم الحديث » فى جمعية أصدقاء الكتاب المقدس فى يناير الماضى أخبرنى قسيس مصرى محترم بحادث مريض فى مدينة قنا شفى بالصلاة فى ديسمبر الماضى وقال إن الحادث معروف لدى حضرات أطباء قنا

Braid ومول Moll وشاركو Charcot وليبو Liebeault الى المعاصرين من أطباء الامراض العصبية والعقلية الذين يستعملون هذه الطريقة عند لزوم استعمالها ـ فى أن المريض الذى يشكو من حالة باثولوجية ناجمة عن غزو جرثومى أو عن تغيرات خلية انحطت عن جنسها يستطيع أن يتوقع مساعدة مادية ما تجيئه من الايحاء . ومع ذلك فالمرضى الثلاثة الذين سأتحدث عنهم قد برئوا تماماً من أمراض يؤكد كل طبيب نابه أنها أمراض مستعصية لا يمكن شفاؤها مطلقاً

ثلاثة مرضى

« وأول هؤلاء المرضى كان فى آخر أطوار الالتهاب الرئوى يهذى هذيان المحتضر . وأنذر خمشه المفجع الضعيف لدثار الفراش ببدء ظهور المنظر الاخير في تلك المأساة التى نسميها حياة

« وجاءه صبح ذلك اليوم قسيس طاعن فى السن كان قد عمده منذ ثلاثين سنة ، ثم أجرى له فيما بعد طقوس التثبيت الكنسية ، ليجرى الطقوس الكنسية الاخيرة ويصلى للمريض بجوار سريره . ومع ذلك فبعد مضى ساعة او نحو ذلك ودون ظهور ادنى سبب هدأت هذه الاصابع التى كانت جد مشغولة فى فك الحبال التى تربط هذا الرجل بشاطىء هذا المستوى من الوجود ، وسكنت حركتها فوق الدثار . ووقف الهذيان المتقطع ، وبعد ان تنهد وقف ذلك التنفس السريع اللاهث مخلياً الطريق لتنفس عميق متزن . وما هى الا بضع دقائق حتى فتحت العينان ، وعاد الشعور اليهما عقب ذلك مباشرة ، وتلا ذلك شفاء سريع مدهش محير (١)

« وقد علمنا بعد انه فى تلك اللحظة التى ادار فيها شارون Charon قاربه عائداً الى الشاطىء المظلم ، كان ذلك القسيس الذى وفد على المريض فى ذلك الصباح ليتمم الجواز لذلك السفر الطويل جاثياً امام المذبح يصلى للعذراء ولوليه سان جوزيف لكى يتوسطا فيلغيا ذلك الجواز فى ذلك الوقت . . .

« واما المريض الثانى الذى اختبرت حالته بنفسى فقد اعلن اثنا عشر طبيباً ان مرضه مستعص لا امل فى شفائه . وقد كان مريضا بالسكر ، ومضى عليه فى مرضه سنون ، وكانت حالته خطرة للغاية . وقد كانت نسبة السكر فى البول اربعين فى الالف ، فضلا عن ظهور جمرات كبيرة ودمامل كثيرة فى جسمه ، وقد وقع اخيراً فى سبات عميق لم تستطع حقن البيكربونات الشرجية إيقاظه منه . (وكان هذا قبل ان يستكشف الانسولين بسنة او سنتين) . وقال الطبيب المعالج لأفراد الاسرة إن من العبث استدعاءه ثانيا لأنه هو والاطباء الذين استشارهم قد عملوا كل ما فى مقدور الطب

(١) روت مجلة سايكك نيوز حادثاً أبلغ من هذا لطفل مريض بالالتهاب الرئوي ، وكان أطباؤه قد قطعوا الأمل فى شفائه . ولكن الطفل عولج علاجاً روحياً ، أجرت له الأرواح فيه عملية جراحية غير منظورة ، فانبثق البلغم بعدها من إحدى أذنيه ثم انتظم التنفس ونقه المريض

« وحدث ان كان افراد اسرة المريض وكثيرون من صحبه روحيين . فلما اخبروا بحال المريض اجتمعوا على الفور فى منزل احدهم . وبعد ان صلى رئيس الجماعة حضر روح من الارواح ـ وكان فى حياته الارضية طبيبا شهيراً ـ وحدثهم ذلك الروح الطبيب بالبوق قائلا انه سيعمل كل ما فى وسعه لانقاذ صديقهم وصديقه ايضا . وقد علمت بعد ان المريض فى خلال بضع ساعات قد افاق من سباته ، وعاد الى صوابه مرة اخرى . وفى ظرف اسبوع شفيت الجمرات والدمامل تماما ، وخلا بول المريض من السكر تماما . وقد تحققت من صدق المسألة كلها فى حينها . وبعد ذلك بعدة سنين اخبرني الطبيب الذى عالج المريض الميئوس من شفائه ان المرض لم يعاوده بتاتا »

ويعلق الدكتور باورز على هذين المثلين فيقول :

« فى هذين المثلين تعين نوع المرض ، وتحقق منه الفحص الاكلينيكى الميكروسكوبى الكيماوى . فلا يمكن من ثم ان يدعى طبيب بارع لبق وجود سبب هستيرى لمجموعة الاعراض المرضية تلك . وقد كان علاج الارواح لهذين الرجلين علاجا قويا خاصا . ولا يمكن أن تنسب هذه النتائج لأى نوع من الشعوذة مهما كانت متقنة »

بعد ذلك انتقل الدكتور باورز يصف حالة المريض الثالث قال :

« وأما المريض الثالث فكان امرأة ، وكان مرضها عقلياً . أصابها جنون الانتحار والقتل بعد أن لازمتها ملانخوليا سنة أو أكثر بسبب موت والدها . ولم يترك طبيب الأمراض العقلية وسيلة لم يتبعها مع هذه المرأة . وأدخلت فى النهاية مستشفى الامراض العقلية لكى يحال بينها وبين إيذاء نفسها أو غيرها من الأسرة . وكان لهذه المريضة شقيقتان روحيتان تقيمان فى أنديانا بوليس Indianapolis فلما بلغهما أن شقيقتهما قد أدخلت مستشفى الأمراض العقلية ثارتا ، لأنهما تعتقدان كما يعتقد الكثيرون ـ وأنا منهم ـ أن الجنون المستعصى يعتبر عادة شراً من الموت

« وذهبتا على الفور تطلبان المدد من شيعتهما . واستمر عقد الجلسات الروحية الصغيرة كل ليلة . وطلب الى الأرواح المعالجة أن تعمل ما فى وسعها لانقاذ هذه السيدة ، وقام بالعلاج من الارواح هنديان . ويسرني أن أقول إن هذين الروحين الهنديين قد أتقنا عملهما العلاجى إتقاناً يفوق الوصف . فان هذه السيدة التى كان ميئوساً من شفائها خرجت بعد بضعة شهور من المستشفى لشفائها ، وظلت سليمة العقل بعد خروجها (١)

---

(١) يرى بعض الاطباء كالدكتور كارل ويكلاند أن الجنون ينشأ من استحواذ روح خبيث على الشخص المريض فيحدث اضطرابا واختلالا فى اهتزازاته . وهو يعالج ذلك بوسيط الفيبوبة أو بالكهربائية الاستاتيكية ، فتنتظم الاهتزازات فى الحالتين ويعود العقل بعد طرد الشخصية المستحوذة . ويتبع الدكتور الكسندر كانون طريقة الكهربائية الاستاتيكية لا فى حالات الجنون فقط بل فى كل أوجاع الرأس

« من الممكن بطبيعة الحال برغم الانذار المفجع بنتائج العلة ، وهو الانذار الذى يقدمه أطباء العقول . أن تكون السيدة قد شفيت شفاء ذاتياً أى من تلقاء نفسها ، وأن يصادف وقوع العلاج من جانب ذينك الروحين الهنديين حدوث هذا الشفاء التلقائى . ولكنى أرى أن هذا الشفاء الذى تم انما يرجع الى الروحين الهنديين ، والى منبع الوجود الاعظم الذى هما مجرد آلتين خاضعتين له

« واحتج طبيب أو اثنان من أصدقائى ــ والاطباء مشهورون بالامعان فى المادية والشك ــ قائلين ان استرداد هذه لحالتها العقلية يرجع بلا شك الى الايحاء الذي وجهه اليها الأطباء والممرضات فى المستشفى . وقد رددت على هذا الاعتراض بان المجنون لايمكن أن ينفذ اليه الايحاء. والايحاء الوحيد الممكن الذى يفيد فىهذه الحالات العقلية هو الايحاء بتأثير النوم المغناطيسى . ولا يمكن أن يقع فى النوم المغناطيسى مريض مجنون . ويكون المجنون الهائج أقل قبولا للنوم المغناطيسى، أو هو على الاقل لا يمكن أن يتأثر بطريقة بريد Braid أو نانسى Nancy أو شاركو Charcot أو أية طريقة أخرى نعرفها نحن الغربيين . لأنه لكى نؤثر فى شخص مغناطيسياً وجب ضمان حدوث نوع من السبات ونوع من الأخذ أو التلقى . وهذا التعاون غير ممكن حينما يكون الشخص مختل العقل . ومعظم القادة الدينيين ــ وكذلك عدد من الانبياء ــ قد وهبوا القدرة على العلاج الروحى أو هم قد اشتهروا بذلك

« وهناك مثل قديم يقول لا دخان بلا نار . ولما كانت شعوب البشر أجمعين ــ من الاغريق ذوى العقول الراجحة والمدارك السامية الى قبائل أواسط أفريقيا المقيمين فى الادغال ، ومن كهنة هايتى Haiti السحرة الى أحجى الرجال والنساء عقلا فى أيامنا الحاضرة ــ يعتقدون فى صحة العلاج الميتافيزيقى أو هم يمارسونه فعلا ، فلا يوجد ثمة شك فى صدق هذه الظاهرة

« بل حتى المزارات أو ما يسمونها بالاماكن المقدسة تساهم بنصيب كبير من البينات فى هذا النقاش ، فمزارات سان آن دى بوبر Ste. Anne de Beaupré وسيدة لوردز Lady of Lourdes والقبلة (يريد الكعبة) التى يقدسها المسلمون فى جميع أنحاء العالم ويحجون اليها ، وضفاف نهر الجانج ، وعشرات الكنائس والمعابد والآبار والعيون وغير ذلك قد اعتبرها الناس في كل مكان مهبط معجزات عظيمة لا تحصى

« بل حتى تلك الرواية الجميلة التمثيلية ــ رجل المعجزات ــ التى مثلت منذ سنين على خشبة المسرح وفوق شاشة السينما قد سلم الناس بأن لها فى الواقع أساساً متيناً ، وذلك لأن « رجال المعجزات » الذين من هذا الطراز المعروف أصبحوا يظهرون من آن لآن فى جميع أنحاء العالم المتمدين وغير المتمدين . ولن نعرج هنا على قوى العلاج الروحي العظيمة ، وما أبداه المعالج الأعظم السيد المسيح من الدلائل والبينات على صدقها وعظيم تأثيرها ــ وما أبداه كذلك بعض

تلاميذه فى هذا الصدد وان كان مدى ما أظهروه أقل كثيراً مما أظهره السيد المسيح . وأما أن السيد المسيح قوى معجزة فى العلاج الروحى ، وأنه استطاع أن ينتهك قوانين الجاذبية ــ حين مشى على الماء ــ وانه كان يعرف تمام المعرفة ويحذق أتم حذق أبرز فنون الوساطة الراقية جداً فواضح لكل من يدرس العهد الجديد في ضوء البحث الروحى الحديث »

العلميون والعلاج الروحى

« وعاف العلماء العلميون الماديون بطبيعة الحال أن يسلموا بوجود أية قوة معالجة لا تمت بصلة الى الوسائل الطبية أو الى تأثير الايحاء الذاتى أو غير الذاتى ، مع أنه توجد ألوف الحالات التى ثبتت صحتها ثبوتاً قاطعاً ، وكلها تشهد بفائدة الصلاة . أو التدخل القدسى ، أو العلاج بروح غير منظور تفوق قدرته قدرة البشر ، فاقتنع أخيراً أشد العلماء العلميين شكا وارتياباً بمكنة وجود قوة معالجة ما خارج الجسم ولا تمت بصلة ما الى أية عملية طبية أو عقلية معروفة »

ولعل من المناسب هنا أن نذكر رأى الطبيب العالمى الدكتور الكسيس كاريل Dr Alexis Carrel الجراح الكبير والعالم العلمى ذو الشهرة الواسعة العالمية الذى يعمل الآن فى معهد روكفلر . وقد نال الدكتور كاريل سنة ١٩١٢ جائزة نوبل فى الطب والفسيولوجيا . وهو عدا ذلك باحث نابه وذو آراء مبتكرة جريئة ورجل ذو عقلية كاملة لا تتهم . قال بصدد الصلاة فى كتابه « الانسان المجهول أمره » ما يلى :

« قد تحدث بعض المناشط الروحية فى أنسجة الجسم وأعضائه تعديلات تشريحية ووظيفية معاً . ونشاهد هذه الظواهر العضوية فى عدة حالات من بينها حالة الصلاة . ويجب أن نفهم أن الصلاة ليست مجرد تلاوة ميكانيكية للادعية ولكنها تسام صوفى أو انهار الوعى واستغراقه عند التأمل والتمعن فى قانون ينفذ فى دنيانا ويتجاوزها معاً . ومثل هذه الحالة السيكولوجية ليست مفهومة . وهى غير معقولة لدى الفلاسفة والعلميين ومحظورة عليهم . ولكن الظاهر أن الشخص البسيط يحس بالله سبحانه كما يحس بحرارة الشمس أو كما يشعر بعطف صديق . والصلاة التى تليها تأثيرات عضوية هى صلاة ذات طبيعة خاصة . فالأولى هى خالصة منزهة عن الهوى فالانسان فيها يقدم نفسه لله ، ويقف بين يديه كأنه لوحة من القماش أمام النقاش أو قطعة من الرخام أمام المثال ، ثم هو فى الوقت نفسه يسأل الله فضله واحسانه فيسأل قضاء حاجاته وحاجات اخوانه فى الألم والشقاء ، والمريض الذى كتب له الشفاء لا يصلى لأجل نفسه عادة ، ولكنه يصلى لأجل غيره . لأن مثل هذا النوع من الصلاة يتطلب إنكار النفس إنكاراً كاملا ــ أى أنه يتطلب نوعاً أرقى من الزهد . ويكون متوسطو الحال والجهلة والمساكين أقدر من الأغنياء ومن المتنورين على هذا النكران الذاتى . وحينما يكون للصلاة هذه الميزات فانها تخلق ظاهرة غريبة ــ انها تأتى بمعجزة

« ولقد آمن الناس فى جميع البلدان وفى جميع العصور بوجود المعجزات والشفاء السريع الذى يصيب المرضى فى أماكن الحج وفى بعض المزارات ، ولكن هذا الايمان اختفى بتاتاً أمام قوة العلم الدافعة خلال القرن التاسع عشر ، واستقر الرأى عندئذ بشكل عام لا على أن المعجزات لم توجد بتاتاً بل على أنها مستحيلة الوجود . ولما كانت قوانين الديناميكا الحرارية تقول باستحالة الحركة المستمرة فان القوانين الفسيولوجية تعارض المعجزات . وهذا لا يزال موقف معظم الفسيولوجيين والأطباء . ولكن ازاء الحقائق المشاهدة خلال الخمسين سنة الماضية لا يمكن أن تظل قائمة وجهة النظر هذه . ولقد سجل المكتب الصحى فى لوردز أهم حالات العلاج المعجز . وقد بنينا رأينا الحالى بخصوص تأثير الصلاة فى الحالات الباثولوجية على ما شاهدناه من المرضى الذين برئوا على الفورمن أمراض مختلفة متعددة كالتدرن البريتونى والأخرجة الباردة والتهاب العظام والجروح القائحة والذئبة lupus والسرطان الخ .. وتختلف عمليات العلاج قليلا فى شخص عنها فى آخر . فأحياناً يحدث ألم حاد يعقبه احساس فجائى بالشفاء . وبعد بضع ثوان أو بضع دقائق أو بضع ساعات على الأكثر تجف الجروح وتختفى الأعراض الباثولوجية ، وتعود الشهية . وأحياناً تختفى الأمراض (الاضطرابات) الوظيفية قبل أن تنقه الأمراض الباثولوجية ، وقد يبقى تشويه الهيكل العظمى ، كتحدب الظهر الناتج من مرض بوت Pott ، أو الغدد السرطانية يومين أو ثلاثة بعد علاج المرض الأساسى نفسه . وتمتاز معجزة العلاج الروحى بسرعتها فى عمليات الابراء العضوى . ولا شك أن التئام الجروح بالعلاج الروحى أسرع منه بالعلاج العادى . والشرط الوحيد الذى لا يمكن الاستغناء عنه لحدوث ظاهرة الابراء هو الصلاة . ولا حاجة لأن يقوم المريض نفسه بالصلاة او حتى ان تكون له عقيدة دينية ما . ويكفى ان يقوم بالصلاة لأجله شخص آخر بجواره . ولأمثال هذه الأمور دلالتها العميقة ، فهى تظهر حقيقة بعض علاقات ــ لا تزال طبيعتها مجهولة ــ بين العمليات السيكولوجية والعضوية . وهى تثبت الأهمية المحسوسة للمناشط الروحية التى يهمل بحثها كل الاهمال علماء الصحة والأطباء والمربون والاجتماعيون مع أنها تفتح للانسان دنيا جديدة »

هذا هو أثر الصلاة فى الابراء لا لف فيه ولا دوران ينطق به طبيب عالمى مجرب . أفلا يرى الذين تهكموا على الصلاة وأثرها فى الابراء أنه قد خانهم التوفيق ؟

أحمد فهمى أبو الخير

مدير ادارة السينما بوزارة المعارف

لعنة الفراعنة

رسائل غريبة ترد الى المتحف المصرى

بقلم الاستاذ محرم كمال

الامين المساعد بالمتحف المصرى

حدثت فى السنوات الاخيرة عدة حوادث غريبة نسبها الغربيون الى غضب ارواح قدماء المصريين الذين تنبش قبورهم . وقد اشتهرت باسم « لعنة الفراعنة » . وقد ورد على المتحف المصرى أخيرا عدد من الرسائل الغريبة ينسب مرسلوها ما شاهدوه من حوادث مزعجة الى هذه اللعنة

حينما توفى فى أمريكا الاستاذ « بريستد » ـ وكان من كبار المشتغلين بتاريخ مصر القديم ـ كتبت صحف أمريكا وأوربا عن موت هذا العالم الفجائى ونسبته الى لعنة توت عنخ أمون ، قائلة ان «بريستد» كان ممن اشتركوا فى أعمال المقبرة ، وممن حضروا كشف اللفائف عن جثة الملك الراحل ، فهو بموته الفجائى قد ذهب ضحية لتلك اللعنة المشئومة

ولما مات المستر هوارد كارتر عادت القصة القديمة الى الشيوع ، ومن ثم أضيف اسما هذين الاستاذين الى جدول أسماء الذين تصرمت حبال حياتهم من جراء تلك اللعنة

وفاة كارنارفون

وأول من اصابته اللعنة ، هو اللورد كارنارفون نفسه ، الذى كان عقد امتياز الحفر باسمه ، والذى كان يدير الحفائر ويمولها

ولكن ما هو السبب فى اصابة اللورد باللعنة ، ولماذا اختصته بالذات دون غيره ممن اشتغل فى المقبرة ؟

يذكر الجميع أن مقبرة توت عنخ أمون اكتشفت فى نوفمبر سنة ١٩٢٢ غير أن غرفة الدفن التى كانت تحوى جثة الملك بقيت مغلقة وظل بابها مسدودا حتى فبراير سنة ١٩٢٣ كان منتصف الساعة الثانية بعد ظهر يوم الجمعة ١٦ فبراير سنة ١٩٢٣، وكانت الشمس

ترسل أشعتها المحرقة فى هذا الوقت على أرض مجدبة جرداء فتجعل منها آتونا ملتهبا ، وكان نحو العشرين من الاشخاص ، بينهم الاستاذ برستد ، يستعدون فى هذه اللحظة لدخول المقبرة ليقوموا بهدم باب غرفة الدفن ، أى ذلك الباب المسدود المختوم الذى ظل أربعة آلاف سنة مغلقا مختوما لم تمسسه يد بشر

حان الوقت واكتمل الجمع ، كان كل شيء فى المكان يبعث الرهبة ، كان الملك العظيم الذى ظل آلاف السنين هادئا مستقرا فى سباته العميق على وشك أن تزعجه أصوات البشر ، كانت روحه التى ترفرف على ارجاء المكان لا شك غضبى مستاءة ، مستاءة من تلك الجلبة التى كان يحدثها الجمع ، غضبى من ذلك الضحك الذى كانت تتجاوب به أرجاء المكان ، وتلك الدعابات التى كان يتبادلها بعض أفراد هذا الجمع وهم ينزلون درج المقبرة

فى تلك اللحظة الرهيبة أراد اللورد كارنارفون أن يمزح فاذا به يقول : « اننا لا شك مقيمون حفلة موسيقى وسمر فى ذلك المكان الذى سننزل اليه داخل المقبرة »

كانت هذه الدعابة ، التى قد تكون غير مقصودة ، وهم مقدمون على مثل هذا العمل الرهيب ، حقيقة محزنة ، فقد دلت نوعا ما على الروح التى كان ينزل بها اللورد ، فى تلك اللحظة ، الى المقبرة ، فماذا كانت النتيجة ؟

لم تمض ستة أسابيع على الوقت الذى فاه فيه اللورد بدعابته السابقة حتى كان كارنارفون مسجى على سرير الموت بعد أن لدغ فى وجهه

كنارى هوارد كارتر

ولم يكن هذا هو الحادث الوحيد الذى لابس اكتشاف المقبرة ، فقد سبقه حادث آخر نقصه فيما يلى :

كان لهوارد كارتر عصفور من النوع المعروف بالكنارى يملأ عليه البيت غناء جميلا ، ففى اليوم الذى اكتشف فيه باب المقبرة الخارجى دخلت حية من النوع المعروف بالكوبرا الى المنزل ففتكت بالعصفور ثم التهمته غذاء لها • ومن المعروف عن ثعبان الكوبرا انه كان رمزا لملوك الفراعنة وانهم كانوا يضعون هذا الرمز على جبينهم ، ملتصقا الى التاج ، ليدل على قوتهم وعلى انه يحرسهم ضد أعدائهم ، وقد ورد فى النصوص الدينية ما ترجمته أن هذا الثعبان يبصق نارا تصلى أعداء الملك ، ومن ثم فسر الكثيرون ممن يعتقدون بالخرافات هذا الحادث بانه انتقام روح فرعون ممثلة فى الثعبان المقدس رمزها الملكى ، من مكتشفى المقبرة ، ممثلين فى هذا الطائر الذى يعتبر دليل السلام فى البيت الانكليزى

هذا الحادث الذى أسلفنا ذكره تلاه موت اللورد كارنارفون بعد مدة لم تتجاوز الشهرين

رسائل غريبة الى المتحف المصرى

منذ ذلك الوقت أخذ الكثيرون ممن يزورون مصر يعتقدون فى لعنة الفراعنة وانتقام

الارواح وينظرون الى الآثار نظرة وجل وتقدير • ومنذ ذلك الوقت بدأت الخطابات ترد علينا من جميع أنحاء العالم ، ففى ابريل سنة ١٩٢٦ ورد الينا كتاب بدون توقيع من انكلترا مرفق به قطعة من لفائف جثة محنطة يقول فيه كاتبه أن القطعة التى يرسلها جلبت مصائب عدة على عائلة غنية ومحترمة جدا هناك ، لذلك فانه يعيدها راجيا دفنها فى مصر • ولقد احترمت مصلحة الآثار رغبته فأمرت بدفنها فى الشاطىء الغربى من الاقصر ، بجوار مقابر القرنة

وتلا ذلك كتاب آخر وصلنا فى فبراير سنة ١٩٢٧ ومعه تمثال صغير يقول عنه مرسله انه اشتراه عند مروره ببور سعيد أثناء عودته من الهند الى انكلترا ، يعيده لان زوجته تعتقد أن هذا التمثال لم يجلب لهما غير سوء الحظ منذ اقتنياه ، فقد ساءت صحتها منذ عادت الى وطنها ، وهو قد أصيب بالشلل • ثم يستطرد الرجل فى كلامه فيقول ان زوجته تظن أن أحوالهما قد تتحسن اذا أعيد هذا التمثال الى وطنه ، ثم يختتم كتابه بأنه لا يعلم قيمة هذا التمثال الفنية ، وانما يرجو المصلحة اذا قررت انه عديم القيمة الا تعيده اليه بأى حال

وفى اكتوبر سنة ١٩٣٣ تسلمنا كتابا يعيد به مرسله مجموعة من الخرز يقول عنها انها أعطيت له من صديق أخبره انها قد جرت عليه سوء الطالع ، وبما أن النحس قد لازمه منذ دخلت فى حوزته فهو يردها للمتحف راجيا أن يزول عنه سوء الحظ وتجرى حياته بعد ذلك فى مجراها الصحيح • ومن الغريب انه أمضى كتابه بالكلمات الآتية (شخص يظن انه لا يعتقد فى الخرافات !)

وفى ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٣٥ تسلمنا كتابا يعيد به مرسله تمثالا صغيرا أطلق عليه كلمة « مومياء » ابتاعه من مصر فى مارس السابق ــ يعيده لانه يعتقد ان انكلترا لا توافق هذه المومياء كما يقول ، وهو يأمل أن تكون المومياء أسعد حالا حين تعود الى وطنها مصر ، ثم يتابع الرجل كلامه فيقول ان الامر قد لا يدخله شىء من الاعتقاد بسوء الحظ ولكنه يرى أن أموره قد ارتبكت منذ مارس الماضى فهو يفضل لذلك أن تعود « المومياء » الى وطنها الاصلى

ولعل أطول كتاب تسلمناه فى المتحف هو ما ورد لنا فى ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٣٥ من انكلترا أرفق به مرسله حجرا قال عنه انه أهدى اليه منذ عامين ، وان هذا الحجر اشتهر بانه يجلب سوء الطالع ، وهو يرده للمتحف لانه ، ولو انه لا يعتقد بهذه الخرافات ، الا أن المصادفات تلعب دورا خطيرا خارقا للعادة ، فهو لا يداخله الشك لحظة فى أن طالعه قد أصبح نحسا منذ دخل هذا الحجر فى حوزته ، وهذا الامر هو نفس ما شكا منه أصحاب الحجر السابقون ، لذا فهو يعيده للمتحف لانه يعلم ان الحجر قد جلب من مصر

ولسنا نحب فى هذا المقام أن نتناول هذه الاقاصيص بالتعليق أو التفسير، فكل أمر يمكن تفسيره تفسيرا طبيعيا ، وللمصادفات شأن كبير فى أحوال البشر ، على اننا نضع أنفسنا

هنا فى مقام الرواية فحسب ، وعلى هذا الاساس نقص على القراء قصة طريفة أخرى

المومياء المشئومة

هناك فى المتحف البريطانى قطعة يطلق عليها عامة الشعب كلمة « مومياء » ولكنها فى الواقع قطعة من غطاء تابوت خشبى تمثل وجه الميت . فهذه القطعة العادية من الخشب أثارت ، وما زالت تثير حولها فى كل يوم ضجة جديدة بآلاف القصص والحوادث التى تروى عنها

فالتابوت الخشبى الذى أخذت هذه القطعة منه اشتراه فى الاصل المستر دوجلاس مورى Douglas Murray ولم يمض على شرائه اياه غير بضعة أيام حتى أصيبت ذراعه بطلق من انفجار بندقيته اضطر على أثره لبتر الذراع جميعها . ثم ان السفينة التى حملت هذا التابوت الى انكلترا غرقت فى الطريق وتحطمت ، كما تحطمت العربة التى نقلته من الميناء ولم تقف سلسلة المصائب المتابعة عند هذا الحد بل ان المنزل الذى أودع فيه التابوت بعد ذلك احترق ، ثم أريد تصوير التابوت فاستدعى مصور ماهر أخذ صورة له ، غير انه مات منتحرا بعد ذلك بايام قليلة

على ان السيدة التى ورثت هذا التابوت تقص حكايات غريبة عن المصائب التى احاطتها منذ دخل فى حوزتها ، فقد مات زوجها وتبعه عدة أفراد من عائلتها ، ثم أرادت أن تروح عن نفسها بالسفر بحرا فغرقت فى البحر ، ولم تنج الا باعجوبة ، اذ انها ظلت طوال ليلة متعلقة بصخرة كبيرة حتى أقبل الصباح فوجدت من انقذها

استمرت سلسلة الحوادث متتالية فعولت السيدة على ان تهدى ما بقى من التابوت الى المتحف البريطانى ، آملة أن تهدأ ثائرة الروح التى تحتله وتحميه هناك ، وكان لها ما أملت ، اذ هدأت الروح بعد ذلك واقتصرت على عقاب من يستخف بها ، فقد حدث ان سيدة زارت هذا المتحف فى يوم من الايام واظهرت استخفافا بالمومياء ، فكان نتيجة ذلك ان سقطت على درج المتحف الخارجى فالتوت ساقها . وخطر لاحد الصحفيين أن يكتب مقالا لاذعا عن هذه المومياء ملأه بالسخرية منها ، فمات بعد ذلك بأيام قليلة

نحن الآن فى مقام الرواية فحسب ، وعلى هذا الاساس يجدر بى أن أقص قصة طريفة شغلت صحف انكلترا طوال شهرين هما مارس وابريل من عام ١٩٣٧ ، وخلاصة القصة ان اللادى سيتون قرينة السر الكسندر سيتون حضرت لزيارة مصر عام ١٩٣٦ ، وعندما كانت تزور الجيزة سمعت بمقبرة فتحت منذ مدة وجيزة ، ولقد اعترفت السيدة فى حديث لها بانها كانت تسمع عن الآثار التى تباع فى بعض الحوانيت فى مصر وان معظمها مزيف ، فأغرت المرشد على النزول خلسة الى المقبرة وأخذ قطعة من العظام منها لقاء مبلغ زهيد من المال أعطته للمرشد

ولكنها لم تكد تعد الى وطنها حتى مرضت ثم اعترى زوجها مرض شديد مرتين اقتضى

اجراء عملية جراحية له ، وتبع ذلك أن شبت النار مرتين بحالة غريبة فى منزلهما فى أدنبره ، وروى بعض الضيوف كذلك انهم شاهدوا شبحا غريبا متشحا بالبياض يجول فى المنزل ليلا مرارا كثيرة

وكان هناك وعاء زجاجى داخل خزانة فوجد محطما ، وحدث فى صباح أحد الايام أن سقط الصندوق الزجاجى الذى وضعت به قطعة العظام من فوق المائدة ، ولم يكن بجانبها أحد ، فتحطم الزجاج ولكن لم تصب قطعة العظام بأذى • وقد رفض الخدم النوم فى المنزل لانهم شاهدوا الشبح غير ليلة حتى حرمهم لذة النوم

وتلقى السر الكسندر نحو ثمانين طلبا لاخذ قطعة العظام ، ولكنه صمم على الرفض ، فقد حدث أن أعطى قطعة العظام الى طبيب مرة فانكسرت رجل خادمته فى الليلة الاولى وهى تحاول الهرب من الشبح المتشح وقد دب الرعب فى قلبها ، فرد الطبيب الامانة فى اليوم التالى

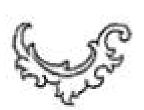
وقد قالت اللادى سيتون لمندوبى الصحف : « أرى انه ينبغى على الا أحضر عظاما من مصر ، وأود الآن أن أعيد القطعة الى قبرها • وعندى ان هناك شيئا كثيرا من الحقيقة فيما يروونه عن اللعنة التى تحل على أولئك الذين ينقلون العظام من مقرها الاخير »

وقد نشرت جريدة « الديلى ميل » بتاريخ ٦ ابريل سنة ١٩٣٧ رسالة لمكاتبها فى أدنبره ذكر فيها حوادث أخرى غريبة وقعت فى اليوم السابق فى دار السر الكسندر فقد وجدت زهرية للورد مقلوبة على البساط وقد انتثر منها على الارض رشاش يشبه الدماء

وقد أخبر السر الكسندر المكاتب انه اضطرب لهذا الحادث لان سيدة كانت فى ضيافته فى الليلة السابقة تحمل قدحا فى الغرفة نفسها فقفز من يدها وكاد يصيب السقف قبل ان يسقط على الارض

قد تكون هذه الحوادث أمثلة من الهذيان Hallucination أو الوهم Illusion على نحو ما يحدث للمصابين بالامراض العصبية ولكن تتابعها على هذا الشكل أمر لا يخلو من الغرابة

محرم كمال



يقظة الشعور القومى

منذ أوائل القرن التاسع عشر الى الآن

بقلم حضرة صاحب السعادة أحمد شفيق باشا

رئيس الديوان الخديو السابق

دعت الجامعة الاميركية بالقاهرة سعادة احمد شفيق باشا لالقاء محاضرة عن يقظة الشعور القومى فى مصر ، وهى أبلغ ظاهرة فى النهضة المصرية الحديثة ، وقد استقصى سعادته فى هذه المحاضرة نشأة هذه اليقظة وأسبابها ومراحلها منذ عهد الحملة الفرنسية الى اليوم . ومع انه اوجز القول ايجازا لضيق الوقت ، فقد استطاع أن يعطينا صورة حقيقية للشعور القومى فى جميع أطواره ، وان يسجل فيها أهم الحوادث ، فكانت سجلا تاريخيا هاما ، ومرجعا دقيقا لمؤرخى النهضة الوطنية فى مصر وفى هذا العدد ننشر القسم الاول من هذه المحاضرة القيمة

يجد المؤرخ صعوبة كبيرة حين يتحدث عن يقظة الشعور القومى بمصر فى هذه الفترة لانه يقف أمام حركات تتشابه فى ظواهرها ، ولكنها تختلف فى ماهيتها ، وتحتاج الى دقة ويقظة فى الفحص عنها . والموضوع يحتاج فى الالمام السريع به الى أضعاف الوقت المخصص لهذه المحاضرة ، لذلك كان لا بد من الاختصار الشديد فيها . أما التفصيلات فقد أودعتها كتابى الجديد الذى أطبعه الآن باسم « أعمالى بعد مذكراتى » ولتيسير البحث قسمته حسب العهود السياسية

كان حكم المماليك وحكم الاتراك قبلهم قد أخمد كل احساس بالشعور القومى ، وذلك لان الحكام لم يكونوا يحفلون بشعور الشعب ولا مطالبه ، فلما جاء الفرنسيون لم يجدوا قوة تصدهم الا جيوش المماليك . وسرعان ما تغلبوا عليها . ومع هذا عنى الفرنسيون بملق الشعور الدينى لدى الاهالى لانه أكثر ظهورا من الشعور القومى ، فاستقبلهم الاهلون على أمل أن يكونوا خيرا لهم من حكامهم السالفين . وكان المنتظر أن تكون ثمة علاقات حسنة بين الفاتحين والمصريين ، لو لم تتدخل السلطات الفرنسية فى شئون لا عهد للاهالى بها ، وتضطرهم لدفع بعض الضرائب التى لم يسمعوا عنها ، ومما زاد الامر سوءا تكليف العلماء تعليق شارات الحكومة الفرنسية على منازلهم فلم يذعنوا لذلك ، ومن هنا كانت ثورة القاهرة المشهورة

عهد محمد على

أما أول حركة تذكر فى باب الحركات الشعبية ، فهى انه فى شهر مايو سنة ١٨٠٥ اجتمعت الطوائف المختلفة من علماء وتجار وأعيان ، وساروا فى شوارع القاهرة الى مقر محمد على بهيئة مظاهرة فخمة منادين بسقوط الاتراك ومعلنين تولية محمد على زمام أمورهم وارسلوا للباب العالى يطلبون اقرار ذلك فأقره

والواقع اننا لا نستطيع القول بأن مبعث هذه الحركة هو الاحساس بالعزة القومية ، فقد كان الدافع عليها هو احساس المصريين فى القاهرة بظلم الاتراك والمماليك وايذائهم للمصريين ، وسلبهم أرزاقهم فضلا عما لمسوه من عطف محمد على عليهم وتقربه منهم ، ولا سيما من السيد عمر مكرم نقيب الاشراف ورجال الازهر

عهد اسماعيل

ويعتبر عهد اسماعيل تتمة لعهد جده فى كل شىء ، وقد حدثت فى أواخر عهده بعض حوادث يبدو عليها طابع اليقظة القومية ولكنها فى الواقع كانت بعيدة عن ذلك . من هذا قيام الضباط فى ١٨ فبراير سنة ١٨٧٩ بمظاهرة ضد النظارة المختلطة التى ألفت لضمان الديون المطلوبة للاجانب ولم يكن اسماعيل راضيا عنها

فقد كانت حالة هؤلاء الضباط سيئة جدا من الوجهة المالية لتأخر مرتباتهم ثمانية عشر شهرا ، وزادت النظارة آلامهم باستدعاء ضباط انجليز من الهند للقيام بمسح الاراضى المصرية ، ورأى ضباط الجيش ان هذا لا يتفق مع مصلحتهم ، وانه اعتداء عليهم وهم أعرف بطبيعة البلاد فوق ما هم فيه من ضنك ، فقاموا بمظاهرتهم هذه متأثرين بتلك الدوافع ، واعتدوا على نوبار باشا رئيس النظارة ، وعلى ريفرس ولسن ناظر المالية ، وفضلا عن ان السبب لم يكن الا شخصيا . فقد كان المفهوم ان الخديو يؤيدهم فى هذه الحركة بدليل ان البكباشى لطيف بك سليم رئيسها أفرج عنه بعد يومين ، وكانت له علاقة مصاهرة مع شاهين باشا صديق اسماعيل وناظر الحربية

وبعد ذلك شكلت نظارة محمد توفيق باشا وبينها الناظران الاجنبيان اللذان كانا كل شىء فى الحقيقة ، وعز على اسماعيل ان تشل سلطته بعد أن كانت مطلقة ، فعزم على معاكسة هذين الناظرين ، وقام أتباعه بقيادة السيد على البكرى وشاهين باشا وكتبوا عرائض وقع عليها العلماء والاعيان والتجار وبطريرك الاقباط وحاخام اليهود ، يطلبون فيها عزل الناظرين الاجنبيين ، ويتعهدون بضمان ديون الحكومة بأملاكهم الخاصة . وقالوا ان هناك حزبا وطنيا يمثله هؤلاء الموقعون وسموا عريضتهم (باللائحة الوطنية)

والواقع ان هذه الحركة انما كانت بارادة اسماعيل ، وتحت بصره ، لان الشعب كان لا يزال بعيدا عن مثل هذه الحركات

ولربما تكون هذه الحركة سببا من أسباب يقظة الشعور القومي بعدها ، ولكنها في ذاتها لم تكن منبعثة عن هذا الشعور

وفي أواخر عهد اسماعيل قدم مصر السيد جمال الدين الافغاني المعروف بشدة التحمس في دعوته ، والتف حوله جماعة من المستنيرين ، يتلقون تعاليمه ، ويسمعون خطبه التي تحضهم على الشعور بشخصيتهم، والانتباه لقوميتهم

وقبيل عزل اسماعيل قام السيد جمال الدين على رأس وفد من مريديه الذين تشبعوا بتعاليمه ، وطلبوا من قناصل الدول ومن شريف باشا رئيس النظار تنازل الخديو اسماعيل وتولية توفيق الذي كان متصلا بالسيد جمال الدين

ولقد قال السيد ان وفده الذي ذهب به يمثل « حزبا وطنيا في مصر » في حين لم يكن هناك حزب ، بل جماعة يتلقون ارشاداته الوطنية

على أن قوة أخرى تناصر جمال الدين في دائرة أوسع بين الشعب ، تلك هي جريدة « أبو نضارة زرقا » أنشأها في مصر رجل يهودي اسمه « جيمس سنوا » وكان يحررها باللغة العامية ويضمنها تنديدا بسياسة اسماعيل الذي سماه « شيخ الحارة » وبالهيئة الحاكمة وانتقادا لتصرفات الحكومة وتنبيها للجمهور نحو حقوقه بصورة فكهة جذابة ، وكان ما في هذه الجريدة من الفكاهات يعمل عمله في نفس الشعب ويوقظ شعوره

ولقد أحس اسماعيل بخطر الصحيفة ، فأبعد صاحبها ومنع صدورها في مصر

عهد توفيق

وفي أوائل عهد توفيق وقعت الثورة العرابية • وهي أكبر حركة عرفتها مصر حتى ذلك العهد ، ولكنها على اتساعها لم يكن مبعثها الحقيقي اليقظة في شعور الامة ، بل سببهاشعور الضباط المصريين بمحاباة عثمان رفقي الجركسي ناظر الجهادية لبني قومه على حساب المصريين ، وذلك بسنه قانونا يمنع الضباط المتخرجين من «تحت السلاح» أن يكونوا أمراء ألايات • وكان معظم المصريين من هؤلاء ، فقاموا بمظاهرة في أول فبراير سنة ١٨٨١ طالبين عزله • فأجاب الخديو ملتمسهم ، مما قوى الامل في نفوسهم • وكانت هذهالحركة مقصورة على من في القاهرة وضواحيها من ضباط الجيش

ولما تحرجت الحالة بين الضباط والخديو بسبب غلوهم في مطالبهم ، فكروا في أن يضموا اليهم عناصرأخرى من العلماء والاعيان والتجار لشد أزرهم ، فأعلنوا في مظاهرة ٩ سبتمبر سنة ١٨٨١ أنهم يعبرون عن أماني الامة ، ويريدون مجلسا نيابيا • وادعوا أن فيمصر «حزبا وطنيا» يطالب بذلك في حين لم يكن هناك حزب بهذا الاسم

ولكن هذهالحركة التي بدأت لاسباب شخصية كان لها أثر قوي في ايقاظ الشعور بعد ذلك ، مما جعل الشعب يتصل بالاحوال العامة ، وشجع الصحف على الكتابة في الموضوعات التيتهمالاهالي بلهجة لم تكن تستطيعها من قبل

الا أن الاحتلال الانجليزى سنة ١٨٨٢ لم يبق على شىء من هذا بل ختم على كل شعور وقضى على الوطنية الوليدة ، فنام الشعب تحت تأثير الضغط الشديد من الايدى الاجنبية فى الادارة المصرية

واستمرت الحال كذلك فى السنوات العشر التى قضاها توفيق بعد الاحتلال

عهد عباس

تولى عباس والمصريون يعرفون أنه تربى تربية حرة فى معاهد أوربا وانه غير مستريح لسياسة والده مع المحتلين ، ويرددون فى هذا الصدد حادثة معينة

ذلك انه حينما حضر من دراسته فى اجازة العام الذى سبق توليته ، سأل بعض رجال الحاشية عن سير الامور العامة ، فعلم منهم أن الامور تجرى وفق سياسة المعتمد البريطانى التى ينفذها رئيس النظار مصطفى فهمى باشا بدقة

فاجتمع بوالده ولاحظ على هذه السياسة ، فأجابه توفيق : « يا بنى أنت لا تزال حدثا لا تدرك مرامى الشئون السياسية »

هذه الرواية وأمثالها جعلتهم ينتظرون خيرا من الامير الجديد ، ويتحمسون له ، فعند ذهب أول مرة لتأدية صلاة الجمعة فى مسجد الحسين تزاحم الناس فى الطرقات المؤدية الى المسجد ، وتهافتوا عليه مصفقين ، وفكوا الخيول من العربة وقادوها الى الجامع

وقد كان الامير عند حسن ظن شعبه به ، فما كاد يتولى الحكم حتى بدأ خطة جديدة مع المحتلين

وكان أول اصطدام لهم معه فى عام ١٨٩٣ ، حينما أقال مصطفى فهمى باشا من رئاسة النظارة لما كان يعلمه فيه من شدة ميله للانجليز ، وأقام بدله حسين فخرى باشا ، فهاج اللورد كرومر وطلب من حكومته أن تطلق يده فى التصرف ، فأجابته لما أراد ، وواجه الخديو بشدة مؤيدا بخطاب من وزير خارجية انجلترا ، فاضطر سموه الى التقهقر ، واستبدل بفخرى باشا رياض باشا

وكان الاصطدام الثانى فى السنة التالية حينما ذهب الخديو للحدود الجنوبية واستعرض فرق الجيش المصرى ، فانتقد بعضها بصفته قائدا أعلى للجيش ، وكان هذا البعض تحت قيادة الانجليز ، فثار كتشنر باشا السردار وأيده كرومر بأوامر وردت له من حكومته وطلب الترضية ، فاعتذر الخديو بعد أن لم يجد بدا من ذلك

وما كانت هاتان الحادثتان الا لتزيد الخديو قوة على قوته ، وذلك ان الشعب أحس بعداء الانجليز لاميره ، فالتف حوله وقوى شعوره بالوطنية ضد المحتلين ، ولم يقف الامر عند هذا الحد ، بل ان جماعة من ضباط الجيش فى السودان ألفوا جمعية سرية لمعاضدته وايصال أخبار الجيش اليه باسم (جمعية المودة)

ظهور مصطفى كامل

ولما زار عباس مدرسة الحقوق ، ألقى الطالب مصطفى كامل بين يديه خطبة ترحيب ظهرت فيها وطنيته وفصاحته فأعجب به . ولما كانت أوجه التشابه الوطنية بين الاثنين متوفرة ، مال كل منهما للآخر ، وكان هذا من حظهما معا

وقد سافر مصطفى كامل الى فرنسا لاتمام دراسته بتشجيع من الخديو ، وعاد منها فى سنة ١٨٩٥ وكان فى سن العشرين ، فقربه عباس اليه وعاضده بنفوذه وساعده بالمال ، وتعاهدا سرا بالعمل للوطن ، واجتمعا مرارا فى مسجد الشيخ التبرى بالقرب من سراى القبة ليرسما الخطط الوطنية

ولمساعدته ألف الخديو لجنة سرية من بعض الشبان الممتازين بالوطنية ممن تخرجوا فى المدارس العالية بفرنسا وهم :

اسماعيل الشيمى بك ، ويوسف صديق بك ، ومحمود سالم بك القضاة بمحكمة المنصورة المختلطة . وانضم اليهما كاتب هذا الفصل ، وزميله مسيو « روليه بك » السويسرى السكرتير الخاص للخديو ، ومسيو «جافيو» نائب الجالية الفرنسية بمصر الذي كان على اتصال بممثل فرنسا المركز « دورفرسو » المعضد لسياسة الخديو ضد الاحتلال عملا على استرداد النفوذ الفرنسى بمصر

وقررت هذه اللجنة القيام بالدفاع عن مصالح مصر ضد الغاصبين بالنشر فى الصحف وبالخطب التى كان يلقيها مصطفى كامل فى مصر وأوربا ، فأعجب به السياسيون وشجعوه فى مطالبه ولا سيما مدام «جوليت آدم» الكاتبة الشهيرة فى فرنسا التى اعتبرته ابنا روحيا لها

ولا عجب فان مصطفى كامل كان شابا ملتهبا مملوءا قلبه بالغيرة الوطنية وعلى استعداد تام للعمل بجرأة وتعقل ، كل هذه الصفات كانت تثير الحماسة وتجتذب اليه القلوب

حادثة دنشواى

ومما ساعد مصطفى كامل فى جهاده وهز الشعور القومى هزة عنيفة تلك الحادثة التاريخية المشهورة «حادثة دنشواى» فقد اعتمد عليها فى تشهيره بالسياسة الانجليزية ، وطاف بلاد أوربا حتى انجلترا منددا بسياسة الانجليز مظهرا شناعة هذا الحادث الذى جاء مناقضا لدعاوى الانجليز من أنهم حماة الانسانية ودعاة العدالة ، وتفتحت عيون الفلاحين لهذه القسوة ، وغلا مرجل الغضب فى نفوسهم ، وقللوا بعدها من رفع الشكاوى والالتماسات لدار العميد البريطانى

وقد أثرت جهود مصطفى كامل بتأييد عباس فى مدى اثنتى عشرة سنة ، فاضطرت انجلترا الى سحب عميدها فى مصر اللورد كرومر ، واستبدلت بسياسة العداء القديمة مع الخديو سياسة الوفاق الجديدة على يد غورست

ظهور الاحزاب السياسية

وقد استمر مصطفى كامل فى جهاده منفصلا عن الخديو ، ولكن تحمسه الشديد جعل جماعة من كبار الرجال الذين يسمون بالمعتدلين أصحاب المصالح الحقيقية يفكرون فى تأليف حزب يعمل بسياسة معتدلة هادئة • وسمى حزب الامة • ولم يكن هؤلاء الرجال على وفاق كذلك مع الخديو بل كان يعزى اليهم أنهم من أصدقاء اللورد كرومر كما أنهم من أصدقاء سعد وشقيقه

وكان لسان حال الحزب « الجريدة » ورئيس تحريرها الاستاذ احمد لطفى السيد باشا ولكن هذه الجريدة لم تكن تتأخر عن نقد ما لا تستحسنه ولو كان من عمل الانجليز أنفسهم ، فمثلا نشرت بقلم رئيس تحريرها سلسلة مقالات نقدا لدانلوب وسياسة التعليم فى وزارة المعارف

وعقب ذلك انتهز الشيخ على يوسف هذه الفرصة وكان منافسا لمصطفى كامل ، وحسن للخديوانشاء حزب جديد يعمل فى ظل سياسة الوفاق،فتم تأليف حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية فى ديسمبر من السنة المذكورة ، وكان لسان حاله جريدة « المؤيد »

وكان مصطفى كامل يعمل حتى ذلك الوقت مع جماعة من أنصاره ، ولكن ظهور الحزبين السابقين وميل الخديو الى سياسة غورست استفزه الى تأليف « الحزب الوطنى » رسميا ، وتم ذلك فى الوقت نفسه ، وعقدت الجمعية العمومية فى تياترو زيزينيا بالاسكندرية فقوبل تأليفه بالرضاء العام والتحمس العظيم ، واتخذ جريدة اللواء لسان حال له

وقد كان لهذا المجهود المتواصل العنيف أثره فى صحة مصطفى كامل فقضى وهو لا يزال فى عنفوان شبابه فى فبراير سنة ١٩٠٨ فاهتزت مصر لوفاته وكانت جنازته مظهرا من مظاهر الوطنية الرائعة

مد أجل امتياز قناة السويس

وفى هذه الاثناء عرضت هذه المسألة الهامة التى تعتبر مقياسا لتقدم هذا الشعور ، وهى من الحوادث الفذة فى تاريخ الحياة النيابية بمصر • فعندما عرضت الحكومة بايعاز من الانجليز هذه الفكرة هاج لها الرأى العام هياجا شديدا دل على يقظته واهتمامه بالشئون العامة ، ومنحت النظارة الجمعية العمومية حق البت فى هذا المشروع بصفة استثنائية على أن يتولى سعد زغلول ناظر المعارف اذ ذاك عرض اقتراح الحكومة والدفاع عنه ، وذلك نظرا لقوة تأثيره واقناعه ، ووضوح شخصيته واعتباره من الرجال الوطنيين• وقد قبل المغفور له سعد باشا هذه المهمة ، وعرف فى هذا الوقت أنه قبلها ليكسب للجمعية هذا الحق ، اطمئنانا منه الى رأيها الذى كان واضحا بالرفض ، وبعد عدة مداولات وبحوث

قررت الجمعية بالاجماع عدم الموافقة على المشروع ، فكان ذلك انتصارا للوطنية المصرية والكرامة القومية ودليلا على يقظة الشعور

قوة الروح الوطنية وأثرها

وكان الشعور القومي قد أخذ يزداد شدة منذ انفصال مصطفى كامل من الخديو وظهور الاحزاب بواسطة ما كانت تنشره الصحف فى هذا الوقت بلهجة شديدة ضد المحتلين وضد الخديو نفسه ، حينما مال لسياسة الوفاق ، وكان أشدها فى ذلك صحف الحزب الوطنى ، وفى هذا الوقت صدر ديوان شعر بعنوان «وطنيتى» لصاحبه الاستاذ على الغاياتى فيه كثير من الدعوة الى الثورة وتحبيذ الجرائم السياسية

ولما كثرت الكتابات بهذه اللهجة الشديدة ، رأت نظارة بطرس باشا باتفاق مع غورست أن تقيد حرية الصحافة ، فبعثت قانونا للمطبوعات كان قد سن فى سنة ١٨٨١ وكان شبه مهمل فى أيام كرومر • ولكن بعث قانون المطبوعات لم يزد الصحف الا شدة فى لهجتها ودعوة حارة الى فك هذه القيود

مقتل بطرس غالى باشا

وقد كان لهذه الحوادث الهامة أثرها فى البلاد ، فقام شاب متحمس هو « ابراهيم ناصف الوردانى » واعتدى على حياة بطرس غالى باشا رئيس النظارة • ومما يدل على تمكن الروح العدائية فى نفس هذا الشاب وتغلغل الدعاية الحزبية فى عقله ، أنه لم يهرب بعدالاعتداء ، ولم يحاول عند محاكمته انكار الدوافع الحقيقية التى دفعته الى ارتكاب ما ارتكب

وقد كان مقتل بطرس باشا وعدم الموافقة على مد أجل قناة السويس سببا فى عدول غورست عن مشروعاته التى جاء لينفذها كتوسيع اختصاص مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية لاعتقاده ان الاقدام على هذه الخطوة يشجع المصريين على طلب ما هو أكبر منها فى وقت التهيج والالتهاب

وان المماطلة تميت هذه الروح أو تضعفها ، ولكن كان غير ذلك ، فزاد الوطنيون شعورا بحقهم ، وطلبوا دستورا وبرلمانا كالذى كان فى عهد توفيق قبل الاحتلال البريطانى • وقدمت هذه المطالب لنظارة محمد سعيد باشا الذى خلف بطرس باشا

انتهاء سياسة الوفاق

وفى سنة ١٩١١ توفى « السيرألدون غورست » وخلفه اللورد كتشنر ، وكان لهذا التعيين معناه وهو التحول من سياسة الوفاق الى سياسة الشدة ، فاستبد بكل شىء وكان يطوف بالاقاليم كأنه الحاكم الشرعى وانزوى الخديو فى قصره

وظلت هذه الحال حتى سنة ١٩١٤ فحدثت أزمة وزارية ، اذ استقالت نظارة محمد سعيد باشا ، فطلب كتشنر من مصطفى باشا فهمى أن يؤلف النظارة ، وأشار عليه بأن يأخذ فيها احمد حلمى باشا لان كتشنر وعده بها نظرا لسوء حالته المالية

فأبدى مصطفى باشا رغبته فى أن تترك له الحرية فى اختيار زملائه ، وكانت هذه مفاجأة للوردكتشنر بعد ما أصبح الحاكم بأمره ولا سيما من رجل الانجليز مصطفى باشا ، فاضطر أن يطلب من الخديو التدخل لحل هذه الازمة فتقدم سموه وأشار بتعيين رشدى باشا ، وبهذا انحلت الازمة وظهر نفوذ الخديو كحاكم شرعى

وعقب هذا قام برحلة فى الاقاليم تجلى فيها الشعور الوطنى والالتفاف حوله ، وهب الوطنيون من جديد يرددون دعوتهم للحياة النيابية والدستور على صفحات الجرائد • وخصوصا جرائد الحزب الوطنى ، ويجدون من الخديو عطفا على مطالبهم

ورأى الانجليز مصانعة الرأى العام واجابة شىء من مطالب الوطنيين ، فعدل قانون مجلس شورى القوانين تمهيدا لانتخاب الجمعية التشريعية فى مجال أوسع من مجال المجلس السابق ، ومن دلائل يقظة الشعور القومى فى هذا الوقت الاهتمام الظاهر من الشعب بالانتخابات اهتماما لم يكن منتظرا

وقد رشح سعد زغلول باشا نفسه ، ونشر بيانا انتخابيا لاول مرة فى تاريخ الحياة النيابية بمصر ، موضحا خطته ومبادئه ، وحذا حذوه بعض المرشحين ، وتمت الانتخابات فى اهتمام ظاهربها ، وحيوية كبيرة فى شعور الامة ، واختير سعد باشا وكيلا منتخبا للجمعية •ومن هذاالوقت اعتبر الوكيل عن الامة والمعبر عن شعورها

ومن الادلة المشرفة أن خياطا ساومه أحد المرشحين لاعطاء صوته له مقابل عشرة جنيهات فأبى، ولما سمع سعد باشا بالخبر ، اصطحب معه وفدا من النواب فى مقدمته على شعراوى باشا ، ومحمود باشا سليمان وذهبوا لتهنئة هذا الخياط الفقير الذى أبى أن يبيع ضميره بالمال ، وضرب للشعور بالكرامة القومية مثلا رائعا فى هذا الوقت

وفى أواخر سنة ١٩١٤ أحدثت انجلترا بمصر انقلابا خطيرا بسبب نشوب الحرب ، فعزلت الخديو وأعلنت الحماية على مصر ، وعينت الامير حسين كامل سلطانا عليها والخديو غائب فى أوربا • وقد قوبل هذا الانقلاب بالامتعاض من الشعب

ولما كانت الاجتماعات محظورة والافواه مكممة ، والصحف لا تنشر شيئا الا ماترى الرقابة نشره ، وسيف الاحكام العرفية مصلتا على الرقاب ، فانه لم تصدر اشارة من أحد بالاستحسان لما وقع أو الاستهجان

غير أنه عندما أخذت السلطة العسكرية تمس كيان الفلاح الاقتصادى ، وأخذت قطنه وحبوبه بأسعار محددة،وأضافت الى ذلك جمع الرجال بطرق اجبارية باسم التطوع غلت مراجل الاستياء واستعدت للانفجار

احمد شفيق

[البقية فى العدد القادم]

شهرة الكتاب

للاديب الامريكي « شيرود آندرسون »

في أية جماعة من الكتاب الناشئين تجد فريقا يكتب لانه يريد أن يكتب فحسب ، وتجد الى جانبه من يكتبون لا لشيء سوى أن يكونوا كتابا ينالهم ما يخيل اليهم من ذيوع اسماء الكتاب وامتيازهم على سائر الناس

ولكني أقول لهذا الفريق من الشباب ان الشهرة لا تتأتى الا الى قلة من الكتاب لا يقام لها حساب ، أما جموعهم الغالبة فأسماؤهم كأسماء عامة الناس مغمورة مجهولة

لنفرض انك كاتب تكتب هنا وهناك مجدا مثابرا • ثم تصير مؤلفا فتصدر كتابا تتلوه كتب أخرى • وتذيع الصحف أسماء كتبك ، وقد توفق الى نشر صورتك في بعض المجلات •• ثم تذهب لتلقى الناس في أنديتهم ومحافلهم وقد خيل اليك انهم جميعا يعرفونك ويقرأونك ولكن لا يلبث الواقع أن يصدمك حين لا تجد أحدا منهم قد قرأ شيئا مما جهدت في كتابته

ومن أين تأتيك الشهرة ؟! حينما صدر كتابك الاخير أرسله ناشره الى جماعة من الكتاب يرجوهم أن يقرأوه ويقرظوه عسى أن يروج • ولكن أتحسبهم يقرأونه •• فأنت ذاتك قد جاءتك كتب من زملائك الكتاب لتقرأها وتنقدها ، فقلت في نفسك انني ان قرظتها وامتدحتها فلا بد ان يردوا الجميل تقريظا وامتداحا لكتبي ، فلافعل •• ولكنك مع هذا لا تقرأ هذه الكتب •• بل تدفع بها الى حماتك لتطالعها وتقرظها ! هذا هو الواقع ، واني أقرر انهذه هي طريقتي في نقد ما يأتيني من الكتب !

على ان المهم في الامر هو أن تذيع اسمك في كل مكان كما تهوى • واذن فأنت تذهب مع زملائك الكتاب في كل سبيل فيه دعاية واعلان • فهم قد قالوا عنك ان « أسلوبك رائع » ولكن بعد أن دفعت الثمن بقولك عن أحدهم ان « تفكيره عميق » وعن آخر ان « خياله بديع » • وما دام قد قيل عنك انك رائع الاسلوب ، فلا بد أن يكون جميع الناس قد انتبهوا الى اسمك ، ولا بد أن يلقوك أينما سرت معجبين مغتبطين •• ولكن ، يا للاسف ! قليل منهم قد سمع هذا الاسم ، وقليل منهم قرأه ونسيه حالما قلب الصفحة التي أمامه

قدمني أحدهم ذات مرة الى طبيب قائلا : « مستر شيرود اندرسون المؤلف المشهور » فبدا على الطبيب انه لو ظهر بمظهر من يجهل هذا « المؤلف المشهور » لاتهم بقلة الاطلاع وضعف الثقافة ، فقال في نفسه : لا بأس من أن أكذب هذه المرة ثم أجاب :

ـ نعم . نعم . انني أعرفه . فقد استمتعت حقا بكثير من مسرحياته

فشكرته برغم ان ليست لى مسرحيات كثيرة أو قليلة ، والظاهر انه حسبنى أحد اثنين من كتاب المسرح ، فأخذ جزءا من اسم مكسويل أندرسون ، وجزءا من اسم روبرت شيرود !

فاذا وقع أحد الناس فى مثل هذه الورطة ، ورطة تعريفه بكاتب لم يقرأ له شىء ولم يسمع باسمه ، فالافضل أن يتخلص منها بادعاء الصمم أو ضعف السمع .. ولكن قد لا تصلح هذه الطريقة دائما فينبغى للكاتب أن يتلطف فيخلص هذا المسكين مما وقع فيه .. فلنفرض انك مؤلف وان اسمك سميث . فيلقاك أحدهم فيقول : « أهلا مستر سميث . انى سعيد بأن ألقاك وأتعرف اليك » ولا تحب أنت ان تحرجه بتذكيره انك مؤلف أو كاتب . ولكن خبيثا من الحاضرين يثب فيما بينكما قائلا لصاحبك : « مستر سميث من كبار المؤلفين . وطبعا قد قرأت بعض ما كتب » . وهنا يقع المسكين فى هذه الورطة ، فاذا بنظرته تزوغ ، وبصوته يختلج ، أيكون مؤلفا مشهورا ولا يعرف عنه كثيرا ولا قليلا .. سيتهمه الحاضرون بالجهل ، فكيف « يغطى » الموقف الا بالكذب والادعاء !

فرجائى الى من يقرأ هذه الكلمة من الكتاب ان يترفقوا بالناس قليلا . ساعدوهم على الخلاص من هذه المواقف الحرجة التى تلقون بهم اليها . لا تكرهوهم على أن يقترفوا الاكاذيب التى قد تزيد موقفهم حرجا . قولوا لهم شيئا عما كتبتم بدلا من أن تدعوهم فى غمرة الخجل والحياء . فلنفرض أن احدكم كتب قصة عن رجل مالى مثلا ، وان كنت على يقين من انه ليس فيكم أحمق ليكتب مثل هذه القصة ، فليس ثمة أية علاقة بين القصصيين والماليين حتى لو كانت علاقة اقتراض واستدانة ، ولكن لنفرض انه كتب هذه القصة ، وانه قدم الى أحد من الناس على انه قصصى ، وان هذا المسكين اضطر انقاذا للموقف أن يقول انه قرأ « قصصه المدهشة » ـ عندئذ لا يليق بهذا القصصى ان يدع الرجل فى هذا الموقف الحرج المخجل وهو يحاول ان يكد ذهنه ويؤلف قصة ما ينسبها اليه ، بل ليقل له شيئا ييسر له هذه المهمة كأن يقول : « اظن ان الرجل المالى الذى وضعت عنه قصتى الاخيرة رجل شاذ الاخلاق » . وسوف يحس حينئذ ان المسكين قد استعاد جأشه قليلا حين عرف الموضوع الذى تدور حوله قصتك ، ولكن لن تهدأ ثائرته حتى تذكر له شيئا آخر ، اذكر له اسم المدينة التى وقعت فيها القصة ، أو اذكر له ان هذا المالى قد هرب مع زوجة أحد موظفيه ، أو غير ذلك من وقائع القصة .. خفف عنه هذا الكابوس الذى ألقى على صدره حين عرف انك مؤلف !

أذكر انني دعيت ذات مرة مع كاتب آخر هو « رنج لارندر » الى حفلة فى مدينة نيو أورليانز . وقد خشى من دعانا أن نلقى الناس وهم يجهلون كل شىء عنا وعن مؤلفاتنا فنلقى من هذا ما يؤلمنا أو يسيئنا . فسبقنا الى مكان الحفلة وأعلن جمهورها انه سيزورهم الليلة « المؤلفان المشهوران لارندر واندرسون » وما لبثنا أن أقبلنا فسمعناه يشير الينا قائلا :

عا هما المؤلفان المشهوران قد أقبلا .. لقد فعل الرجل هذا الجميل المشكور ، ولكن نسى النقطة الاولى في الموضوع ، وهى أن يذكر لجمهور الحفلة أسماء مؤلفاتنا وشيئا عما فيها . لقد نسى ذلك فأساء الى مدعويه اساءة كبرى ، لمستها فى هذا الظل القاتم الذى انتشر على وجوههم جميعا حينما أقبلنا عليهم . لقد كانوا ينظرون الينا بعيون مختلجة مضطربة حائرة. لقد أخذ كل منهم ينظر الينا ثم يتهامس مع جاره همسا غريبا . ولم ينقذهم من هذا الموقف الحرج الا امرأة عجوز نهضت من بين الحاضرين وتقدمت الى قائلة :

« انى مسرورة جدا يا مستر أندرسون للقائك . وكنت متلهفة على هذه المقابلة منذ عهد بعيد » ثم صمتت صمتا عميقا وكأنها تريد منى أن أقول شيئا يريحها ويريح أولئك المضطربين المتهامسين . ولكن خاطرى لم يسعفنى حينذاك وساد الصمت فترة أخرى ، ثم قالت : « ان كتابك الاخيرجميل جدا وممتع حقا » . ونظرت الى وكأنها تناشدنى أن أذكر لها اسم هذا الكتاب . ولكن ذهنى تبلد وخاطرى توقف، وصار الموقف أشد حرجا. ولكن « لارندر » أنقذنى وأنقذها ، فترفق وتلطف قائلا : «لعلك تقصدين قصة(جاتسبى الكبرى) » . واشهد انه لم يكد يذكر ذلك حتى أشرقت طلعتها الفانية بنظرة ارتياح وسرور ، بل نظرة تقدير للجميل وعرفان بالمعروف . لقد أسدانى زميلى صنيعا طيبا ، فأوليته صنيعا مثله ، وذكرت للعجوز انه مؤلف قصة « الاخت كارى » وأسرعت المرأة فأبلغت المدعوين جميعا اسمى القصتين ، فكأنما كانوا فى تيه فهديناهم الطريق السوى ، أو كأنما كانوا غرقى فانتشلناهم من غمرتهم .

هذا هو شأننا نحن الكتاب . وانى لالقى من يعرفنى فيسألنى : فيم تفكر الآن وعم تعتزم أن تكتب قريبا . ويكون الواحد منا يفكر فى ضرس يؤلمه ويريد ان يحشوه ، أو فى مبلغ من المال يريد أن يشترى به عربة جديدة . ولكنه يتكلف الجد ويتصنع الوقار ويقول بلهجة الاستاذية : « اننى أضع الآن تاريخا للحرب الاهلية فى أمريكا »ان الموضوع خطير ، وان اللهجة التى ألقى به وقورة . فاذا بهم يقولون : يا له من مؤلف ! ويا له من عظيم !

هذا هو كل عزائنا ، أما أن نلتمس الشهرة والذيوع ، أما أن نبغى التفوق على الناس والتميز من عامتهم وأوساطهم ، فهذه هى الخديعة التى تغرر بعقولنا منذ كنا شبانا .. ومع هذا فما زلت أجد من الشباب من يريد أن يكون كاتبا .. أليس هذا عجيبا !

(مترجمة بتصرف عن مقال للاديب الامريكى شيرود أندرسون فى صحيفة « ذى ساترداى ريفيو اوف ليترتشر (The Saturday Review of Literature)

أناشيد الجيش المصرى فى السودان

ذكريات حربية منذ ٤٠ سنة

بقلم النقيب مصطفى حلمى عزب

المدرس السابق بالمدرسة الحربية بالقاهرة

النقيب مصطفى حلمى عزب من ضباط مصر القدماء الذين خاضوا المعارك الحربية ، وشهدوا وقائع استرداد السودان من سنة ١٨٩٦ الى سنة ١٨٩٩ وهو يتحدث فى هذه الذكريات عن أناشيد الجيش المصرى فى ذلك الوقت، ويروى طرفاً من مشاهداته فى هذا المقال الطريف

الاناشيد قطع من الشعر الفصيح أو الزجل ملحنة لتؤدى معانيها بالموسيقى للاغراض التى وضعت لها . فمنها الوطنية، ومنها المهدئة لاعصاب المرضى، ومنها المثيرة للاشجان والعداوة والبغضاء ، ومنها الاناشيد التعبدية فى جميع الاديان ، ومنها المشجعة على اقتحام المخاطر ، والموقدة للحماسة فى الصدور وهى الاناشيد الحربية التى تنشد فى الحفلات والمناسبات العسكرية المختلفة كسفر الجنود وعودتهم ، وسيرهم فى ميادين القتال أو لتذكار الانتصارات فى الحروب

ومن يسمع موسيقى المتوحشين والهمج الذين يعيشون على الفطرة الاولى ، يجدها خليطا من أشد الاصوات رهبة للسامع ، فطبلها يمثل زمجرة الرعد مع هرير النمر ، وأبواقها تحكى زئير الاسود ، واجتماع هذه الاصوات يقع أشد الوقع على السامعين

وأناشيد هؤلاء الهمج التى تصاحب عادة موسيقاهم عبارة عن تكرار كلمات المفاخرة بالانتصار فى الحرب أو الفوز فى الصيد أو ترنيمات العبادة التى يقدمونها لاسلافهم طلبا للخير أو لطرد الارواح الشريرة التى يخافونها فى كل حين

وقد وجد على الآثار المصرية جنود يسيرون فى صفوف منظمة ، وفى مقدمتهم فرقة من رجال الموسيقى ، مما يدل على ان هؤلاء الجنود يمشون بأناشيد حربية لتقوية الروح المعنوية فى نفوسهم ليزدادوا قوة فوق قواهم الطبيعية ، وكذلك كانت سائر جيوش الدول القديمة ولكل أمة فى العصر الحديث أناشيد حربية خاصة بها تذكر فيها أيام انتصاراتها فى التاريخ

وفى أثناء تجريدة استرجاع السودان من سنة ١٨٩٦ الى سنة ١٨٩٩ كانت فرق الموسيقى تصاحب الكتائب فى السفر من بلد لآخر سيرا على الاقدام ، وكانت تؤدى وظيفتها

بأن تبث روح الهمة حين التعب فى المشاة على الاقدام . ولقد كانت الحيوانات المرافقة لنا تنتعش بسماعها دقات الطبول وأنغام الموسيقى ، فيعلو صهيلها كأنها تشعر بانتهاء تعب اليوم

وكانت أدوار الموسيقى خليطا من الاناشيد الاوربية والتركية والمصرية والسودانية التى حفظتها (نوتة الموسيقى) من عهد محمد على باشا الكبير فى أضابير ادارة الموسيقى فى الجيش ، ولكن لم تكن الجنود تحفظ شيئا من كلماتها الا بعض الاناشيد السودانية مثل قولهم :

يا الله الدايم ـ كريم الله الدايم ـ أمر الخديو جا ـ خليفه جنزروه

والاصل أمر الخليفة جا ـ ابو عنجه جنزروه ـ وجنزروه قيدوه بالحديد والجنازير أما ابو عنجه فهو أحد قواد الدراويش

ومثل قولهم : الطير يحوم فوق الرمم ـ ومعها كلمات أخرى من نفس المعنى

وأعترف باننى ما فهمت المعنى الحربى لهذا النشيد الا فى عصر يوم ٢٤ نوفمبر سنة ١٨٩٩ يوم قتل الخليفة عبد الله التعايشى فى موقعة (أم دبريكات) فى صحراء كردفان ، فقد عينت لالتقاط الجرحى من بين القتلى ، فوجدت جوارح الطير تحوم فوق الرمم بل وتمزق الاجساد وتفقأ العيون فذكرت عندها قول عنترة العبسى :

لى النفوس وللطير اللحوم ولـلوحش العظام وللخيالة السلب

ومن العجيب اننا كنا نهتدى الى الجريح بسهولة حيث لا تقف الطيور فوقه ولا بجانبه لان الجريح يطرد الطير مهما كان جرحه مميتا وما دام فيه نفس يتردد

وللعساكر السوادنيى الجنس أناشيد كثيرة باللهجة العربية السودانية ، كانوا يرددونها فى وقت السفر ، وقد نسيتها لطول العهد بها، ولكن اغلبها كان موضوعا لجيوش الدراويش كما كنا نسميهم ، أو المهدية كما كانوا يسمون أنفسهم

أما الجنود المصريون من أبناء الصعيد والدلتا ، فلم تكن لهم أناشيد حربية ، وكانوا يستعيرون ما يردده عمال المبانى وحفر الترع ونقل الفحم من أهل الصعيد أو بعض أناشيد جمع القطن ونثر السماد فى مزارع الدلتا

فاناشيد الصعايده مثل : « حمام يا اسكندرانى » و « سلامات من الغيبات » و «على المورده قابلونى »

وأناشيد البحاروه مثل : « سالمه يا سلامه » و « دلال يام حلق طاره » و «يا عزيز عينى وانا بدى اروح بلدى » و « يا ام ليه تبكى عليه ، وانا مسافر الجهاديه »

وهى كلمات سخيفة تزيد فى شجون النساء بقدر ما تنتقص من خماسة الرجال

أما الاناشيد الحربية المسجلة بالعلامات الموسيقية ، فلا أعرف منها ما له معنى مكتوب الا نشيدا واحدا كان قد وضعه المرحوم الميرالاى على بك حيدر منذ خمسين سنة عقب

فشل جيش الدراويش بقيادة الامير عبد الرحمن ولد النجومى (١) فى هجومه على حدود مصر الذى انتهى فى واقعة توشكى فى ٣ اغسطس سنة ١٨٨٩

ومطلع هذا النشيد هو :

يا ولد النجومى .... (٢) ابشر بالهجوم مع الانهزام ـ سردارنا عوايدك الله ينصرك

ومع انه نشيد حربى فلم تكن تحفظه الجنود وقت التجريدة ، وانما كانت تعزفه الموسيقات فقط

وهناك بعض الاناشيد الموسيقية العربية مثل المفاخر ومارش عباس وكلها دعوات وليست ذات معان حربية

أما الاناشيد التركية (٣) فأشهرها نشيد عثمان باشا الغازى بطل (بليفنا) الذى قاوم الحصار الروسى ، ولم يسلم الا بعد نفاد ذخائره ، فهذا النشيد عبارة عن جمل باللغة التركية كلها فخر بما فعله جيش الغازى فى حربه ، مختلطا بأصوات الاسلحة النارية بتمثيلها بالنقر على الطبول

وفى اعتقادى ان أحسن الاناشيد الحربية ما سهل حفظه على الجنود فيرددونه مع الموسيقى أو بدونها ، ويكون ذا غرض ظاهر بين ألفاظه

ومن الاناشيد العسكرية اللازمة للجيوش المنظمة ـ نشيد الوداع ـ لينشد عند سفر الوحدات العسكرية . وفى الوقت الحاضر يستعمل الجيش المصرى نشيدا انجليزيا حربيا يسمى « مارش الوداع »

وقد وضعت النشيد التالى الذى هو مع سهولة تحفيظه للجنود سائغ للتلحين ، ليدل على معناه (الوداع للجيوش) ، تعزفه الموسيقى وحدها أو ينشده الجنود فى غياب الموسيقى ، وهذا هو :

المذهب

وداعـا وداعـا اسـود الوغى　　　رجال الدفاع رجـاء الوطن

---

(١) هو والد حضرة صاحب العزة الميرالاى عبد الله بك النجومى ياور حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق وقد كان وقتها طفلا رضيعا

(٢) حذفت الكلمات العدائية مما كانت تستلزمه حالة الحرب بين الاخوين المتخاصمين فى ذلك ومن رأيى ان انتصارات المصريين على السودانيين فى استرجاع السودان أو انتصار السودانيين (الدراويش) فى ثورتهم على المصريين لا تحسب من مفاخر أى منهما على الآخرين ، وبالمثل لاتحسب انتصارات ابرهيم باشا على الاتراك فى الاناضول لانها فى الحقيقة كانت ثورة الابن على ابيه طلبا للاصلاح الداخلى

(٣) ان الاتراك من أغنى الامم فى كثرة الاناشيد الحربية لكثرة ايام انتصاراتهم فى أوربا وآسيا حتى الآن ، ولذلك فهم يعتنون بتحفيظ اطفالهم وطلاب المدارس الحربية كثيرا من هذه الاناشيد

وداعـا وداعـا حمـاة الحمى وعودا بعون الـه السما
فصـدوا العـدو بسفك الدما دم الجنـد للنصر نعم الثمن

وعودوا الينـا بطيب المنى ونصر قريب يعيد الهنا
فتسمو وتزهو البلاد لنا ويرضـى المليـك كثير المنن

عليكم جميعا سـلام الاخـاء ومنكم نروم كريم الوفاء
فترضى البـلاد عظيم الرضـاء قلوب البـلاد لديكم سـكن

وداعـا وداعـا الى الملتقى وعودوا كراما ليوم اللقا
ونجم البلاد بكم مشرقا وقيتم جميعا عـوادى المحن

تهليل الاقتحام

وليس هذا التهليل من الاناشيد الحربية ، ولكنه من كلمات الجنود فى الحرب ، فعند اقتحام المواقع الحربية تهلل به الجنود بصرخات هائلة ليزلزلوا المدافعين الرابضين فى خنادقهم ، فيفقدوا حماستهم وقد يولون الادبار منهزمين . وهذه الصرخات تنفع الهاجمين أنفسهم لانها تصم آذانهم عن أصوات النيران المقذوفة عليهم

وفى معظم جيوش أوربا يقولون « هوراه » وهى فى الحرب كلمة حماسية ، وفى السلم تحية تكريمية يفهمون معانيها المختلفة فى كل حال

وفى الجيش المصرى يقولون « يوها » فهل أصلها « يا هو » لا أدرى ما أصلها ولا معناها

وفى بعض مراجع التاريخ الاسلامى كان هجوم الجيوش الاسلامية العربية مصحوبا بتهليل (الله أكبر) مكررا

أما الجيوش التركية فمن أقدم أزمانها الى الآن وتهليلها واحد هو (الله ــ الله) مكررا

والمعلوم ان الكلمة المؤثرة القوية هى التى يفهمها قائلها . وكلمة « يوها » غير مؤثرة لانها غير مفهومة

ومعالى وزير الدفاع الوطنى خير من يختار الكلمة اللائقة التى يفهمها جنود مصر عند الاقتحام فتؤثر التأثير المرغوب

اليوزباشى مصطفى حلمى عزب

من المحاربين القدماء

تطور فكرة السلام العالمى

بقلم الاستاذ فخرى ابو السعود

نشبت الحرب ، وتغلب شيطان الشر على ملاك الخير والسلام ، وفشل دعاة هذه الفكرة الانسانية العليا فى تنفيذها بين الامم . فمتى نشأت هذه الفكرة ، ولماذا نشأت ، وكيف تطورت الى أن وصلت الى حالتها الراهنة - ذلك ما يعالجه كاتب هذا المقال

لحاجة الانسان الى التعاون ورغبته فى حسم الفوضى والدفاع عن نفسه ، كون منذ أقدم عصوره مجتمعات ظلت تنمو حتى انتهت فى فجر التاريخ الى مرحلة الدولة التى تراوح صغرا وكبرا ، ثم وقف عند هذه المرحلة لم يستطع أن يخطو الى المرحلة التالية لها والنهاية الطبيعية لترقيه السياسى والاجتماعى ، وهى الدولة العالمية التى تجمع البشر جميعا وتقطع دابر الحروب وتوطد السلام الدائم ، وظلت فكرة السلام العالمى أمنية تجيش بها الصدور لم تخرج الى حيز التنفيذ بعد

وانما تعذر تنفيذ الفكرة على جمالها ونفعها الواضح ونزوع أكثر الناس اليها لما يعترضها من صعاب ترجع تارة الى النفوس البشرية وما ركب فيها من حب الغلب والاستئثار بكل الخيرات ، وما طبعت عليه من الطمع والخوف والغيرة ، وترجع تارة الى الفوارق الجغرافية والجنسية واللغوية والدينية وبعد المسافات ، لذلك تلاشت أحلام المفكرين الذين طمحوا الى تشييد طوبى عالمية ، وفشلت مجهودات الساسة والغزاة الفاتحين الذين هموا بتحقيق تلك الاحلام ، وتبين جليا أن تحقيق فكرة السلام العالمى تحتاج الى تربية طويلة للشعوب واعداد للاذهان

كانت الدول الشرقية الكبيرة التى قامت فى العصر القديم كمصر وآشور وفارس شديدة الاعتداد بقوميتها ، شديدة الاحتقار لغيرها والبطش بجيرانها ، لم يفكر حاكموها قط فى انشاء دولة عالمية على أساس من المساواة بين الناس وان عملوا دائما على تأسيس امبراطورية ذات حدود مترامية ، يكون لهم ولأممهم فيها السيادة والغنم ، وللمغلوبين الذل والغرم ، فكانت الحروب مستعرة والرق فاشيا والعلاقات الدبلوماسية السلمية بين الدول تكاد تكون منعدمة

وكان للدين فى تلك الدول المنزلة الاولى ، وعلى ألسن أنبيائها ومصلحيها الدينيين وفى تعاليمهم ظهرت أول دعوات السلام العالمى بغض النظر عن الجنسية والاخاء الانسانى بلا

تفرقة . ففى مصر نادى الملك اخناتون باله واحد لا شريك له يدين له المصريون وغير المصريين جميعا ، لاعتباره الجميع أناسا متماثلين واخوانا متساوين ، وان كانت نزعته العالمية هذه قد أغضبت قومه حتى عفوا آثار مذهبه بعد مماته . وفى التوراة ترد فقرات تتحدث عن يوم منشود لا تشهر فيه أمة فى وجه أمة سيفا ، وتغدو مصر وآشور واسرائيل اخوات ثلاثا متحابات وان عجت التوراة فى مواطن أخرى بتمجيد اسرائيل والتنبؤ باليوم الذى تدين فيه الأمم لاورشليم وهى صاغرة كما امتلأت ديانات كونفيوشس وزرادشت وبوذا بمبادىء الاخاء والسلام والمحبة وان لم يحل ذلك دون اشتعال الحروب بين أتباعهم وأممهم أجيالا

أما اليونان فكانوا أشد فى العصبية القومية ايغالا ، وفى الاستعلاء على الأمم امعانا ، كانوا يعدون غير الاغريق برابرة . ثم كانت كل مدينة اغريقية تستعلى على المدن الاخرى وتطمح كبراها الى اخضاع الاخريات ، وحبذ ارسطو فى كتاباته ذلك الشقاق ، ورضى عن الرق الذى كان أساس المجتمع الاغريقى ، ولم يناد بوقف الحروب بل عدها سنة طبيعية ، ومجد الموت فى سبيل الوطن ، وكذلك فعل افلاطون الذى أنشأ فى مدينته الفاضلة طبقة من المقاتلة ، ولم يخطر بباله أن السلم العالمى شىء يمكن توطيده

وما زالت هذه العصبية المحتدمة والنزعة العسكرية المفرقة حتى دفعتا ببلاد الاغريق الى حرب البلوبونيز المدمرة التى دامت ثلاثين عاما ، خرجت منها البلاد منهوكة القوى ، فوقعت فى يد الاسكندر المقدونى الذى رأى الهلينين جميعا فى حاجة الى يد حازمة تنشر بينهم النظام والسلام ، بل طمح الى ضم الفرع الأسيوى من الجنس الآرى ، وتوحيد الفرس والاغريق معا فى دولة عالمية تضم ما بينهما وما حولهما من الشعوب المتمدينة ، فعمل على نشر الثقافة اليونانية ، وانشأ المدن والطرق فى أنحاء امبراطوريته ، وشجع التزاوج بين الفرس والاغريق ، واتخذ هو نفسه الملابس الفارسية ، بيد أن دولته ما لبثت أن تفككت بموته الباكر ، ولو عاش طويلا لكان لها شأن آخر

ولم تزل الحروب الطاحنة منذ القدم تزهد الناس فى القتال لما تعقب من الوبال ، فتنشط على أثرها الحركات السلمية ، فنشطت هذه الحركات فى بلاد اليونان عقب حرب البلوبونيز وغيرها ، وكان أرفع المنادين بالسلم صوتا « زينون » القبرصى المولد معاصر الاسكندر ومؤسس المذهب الرواقى ، وقد انتشر هذا المذهب فى روما الناهضة ، واعتنقه بعض أباطرة الدولة الرومانية ، ومنهم مارك أوريل ، فكان لتعاليم الرواقيين السلمية أثر فى خطة روما تجاه الأمم الاخرى

لم ينزع الرومانيون الى انشاء دولة عالمية كالتى تصورها الرواقيون ، بل كانوا يرون الحرب علاقة طبيعية بين الشعوب ، فاذا تم لهم الغلب على أمة ربطوها بروما برباط من السيادة يختلف توثقا من اقليم الى آخر ، ومنحوا أبناءها حقوقا بجانب واجباتهم ، وقد

نشرت الدولة الرومانية السلام فى ربوعها المترامية أحقابا ، وان لم تكف عن القتال دفاعا عن حدودها وذودا للبرابرة عن أطرافها ، وكثيرا ما أدخلت هؤلاء فى نطاقها وكسبتهم الى جانب السلم والمدنية

بيد أن الحروب الداخلية والثورات وظلم الطبقات لم تمح من ربوع الدولة ، وكان من جراء هذه المفاسد أن تهيأت الاذهان لقبول الديانة المسيحية التى اقترن ظهورها بقيام الامبراطورية ، واقترن انتشارها باضمحلال الامبراطورية تدريجا . وقد نادت المسيحية بالسلام العالمى والاخاء التام بين الناس بلا فارق والمحبة والمساواة ، ثم اقترن انتصارها وصيرورتها الدين الرسمى بانقسام الامبراطورية الى شرقية وغربية ، وباتحاد الديانة والدولة ، فقدت المسيحية كثيرا من نقائها الاول ، اذ صارت لها سلطة كسلطة الأباطرة ، وارتدت تضطهد مخالفيها ، وصار أتباعها لا يأنفون من امتشاق الحسام من أجل الدولة ، ومن ثم لم توفق الكنيسة الى نشر السلام العالمى الذى كان أول تعاليم السيد المسيح

وبسقوط الدولة الرومانية الغربية فى أيدى البرابرة الشماليين، بدأت العصور الوسطى، وعاشت فكرة الدولة الرومانية فى غرب أوربا بعد سقوط روما ، وظلت الاذهان متشبثة بفكرة الدولة العالمية ، وأدى ذلك أولا الى ارتفاع كنيسة روما الى مقام عال وظهور البابوية ، ثم أدى ثانيا الى احياء الدولة العالمية على صورة جديدة هى الدولة الرومانية المقدسة التى كانت حاضرتها فى فرنسا تارة ثم فى ألمانيا ثم فى النمسا ، ولكن لا البابوية ولاالدولة الرومانية المقدسة تمكنت من نشر السلام والاخاء ، بل ظلت أوربا طوال العصور الوسطى تعج عجيجا بالحروب بين الاشراف والامراء والملوك ، بل احتدم الصراع بين البابوية والامبراطورية نفسيهما

وفى الوقت نفسه استقلت الدولة الرومانية الشرقية فى عاصمتها القسطنطينية استقلالا سياسيا ودينيا ، وسادت بين أوربا الشرقية وأوربا الغربية طوال العصور الوسطى قطيعة سحيقة الهوة ، وظهر الاسلام فى تلك العصور واقتنص العرب أملاك الامبراطورية الشرقية فى آسيا وافريقيا ، لان الاسلام على دعوته الى السلام والتآخى كان يحض على الجهاد فى سبيله ونشر دعوته ، وساد العداء طوال العصور الوسطى بين هذه القوى الثلاث المتميزة كل منها بدياناتها : أوربا الغربية التابعة للكنيسة الرومانية ، وأوربا الشرقية التى تدين لكنيسة القسطنطينية الارثوذكسية والشرق الادنى الذى يسوده الاسلام ، وتجلى ذلك العداء فى أجلى صوره فى الحروب الصليبية التى ختمت تلك العصور

كان الدين متحدا والدولة فى العصور الوسطى : فالخليفة فى بلاد المسلمين يتقلد السلطتين الدينية والزمنية ، والبابا فى أوربا الغربية ينتحل لنفسه سلطة فوق سلطة الاباطرة والملوك ، وكذلك الشأن فى الدولة البيزنطية ، وكان أتباع كل دين أو مذهب يكفرون الآخرين أو يستحلون قتالهم حتى يدينوا لهم ، فكما كان المسلمون يجاهدون

فى سبيل دينهم بقتال الروم غربا والترك والصفد شرقا ، كان أتباع البابوية ملوكا وأشرافا يخدمونها بقتال العرب أو الساراسن كما يسمونهم ، أو محاربة برابرة السلاف الوثنيين

الدين والدعوة للسلام

لم يكن الناس فى العصور الوسطى يرون فى الدين داعية سلام كما هو فى حقيقته ، وجل ما يظهرون به تمسكهم بأهداب الدين مقاتلة غير معتنقيه . وفى نفس الوقت كانت ربوع كل دولة من تلك الدول الثلاث تجيش بالانشقاقات الدينية والحروب الاهلية ، فكان الامراء الاقطاعيون فى فرنسا وانجلترا وألمانيا وغيرها لا ينقطعون عن التفانى ، ولا يكادون يصيخون الى دعوات البابا ، وكانت الدولة الاسلامية نهب المنافسات بين العلويين والامويين والعباسيين ، ونهب المذاهب المشتجرة والفتن المستعرة كفتن الزنج والقرمطة ، وجملة القول أن الدين الذى انما غايته الاولى نشر السلام ، كان من أكبر دواعى الشحناء والخصام

بلغ الصراع الدينى غايته كما تقدم القول فى الحروب الصليبية ، وبعدها تغيرت رقعة العالم المتمدين وحالته ، فتلاشى العنصر العربى نهائيا من عالم الحكم والسياسة ، وتلاشت الدولة الرومانية الشرقية ، وورث الترك ملك الاثنين ، وأفاقت أوربا الغربية من دياجير العصور الوسطى ومن عمايات التعصب الدينى ، فنشطت الآداب والعلوم وقام الاصلاح الدينى وهجرت الفكرة الصليبية ، وتقلص سلطان البابا وتوطدت الملكيات فى فرنسا واسبانيا وانجلترا وغيرها . وبالجملة كان عصر النهضة العظيمة ، وعندها نظر الناس الى مسألة السلام نظرة جديدة

شعر الاوربيون الغربيون بما بينهم من صلات وثيقة فى الجنس والدين والفكر والعلم والادب : فهم جميعا وارثو حضارة الاغريق والرومان،وهم جميعا مسيحيون ، والحركات العلمية والادبية والفنية التى كانت تنتشر فى أمة كانت سرعان ما تعم سواها ، كالطرازين القوطى والرومانسكى فى عالم العمارة مثلا ، واللغة اللاتينية كانت لغة عالمية بينها . فرأى المفكرون منهم وجوب توثيق الصلات بين أمم غرب أوربا جميعا حتى يسود بينها السلام ، وتنتفى الحروب التى كانت مستعرة ، تمزق أنحاءها وتعرقل مساعيها فى سبيل التقدم

وأشهر من طرقوا هذا الموضوع فى أعجاز العصور الوسطى ومستهل النهضة ثلاثة : أحدهم أديب عظيم هو « دانتى » الايطالى ، والآخر سياسى هو الفرنسى « بيير دوبوا » مشير فيليب الجميل ، والثالث مصلح دينى انجليزى هو « ويكليف » ، وكان هؤلاء وغيرهم يحسون أن عهد الدولة العالمية ممثلة فى البابوية أو الدولة الرومانية المقدسة قد غبر ، وأن بين الشعوب من الفوارق فى المشخصات ما تستحيل معه الدولة العالمية الموحدة السلطة والقوانين ، فدعوا الى اتحاد الدول والامارات فى اتحاد عام مع احتفاظ كل منها باستقلالها ، ونادوا بمنع الحرب الا فى النهاية القصوى

بيد أن أولئك المفكرين حتى حين معالجتهم هذه الغاية الانسانية العليا ، لم يكونوا يستطيعون التخلص من عصبيتهم الدينية ونعرتهم القومية ، فدانتي ودوبوا في المشروع الذي رسمه كل منهما للاتحاد الاوربي المنشود قصرا الامر على مسيحيي غرب أوربا ، أما الترك في شرقها وغيرهم من الامم غير المسيحية فكان حلالا بل واجبا قتالها ، ومن جهة أخرى يجعل دانتي للايطاليين في اتحاده الدولي المكانة العليا ، ويجعل عاصمته روما المدينة الخالدة ، على حين يجعل دوبوا النفوذ الاكبر في اتحاده للفرنسيين ، لانهم في نظره أصلح الشعوب للحكم لانقيادهم لداعي العقل ، وتنكبهم سبل الشهوات والعواطف الجامحة ، وكذلك فعل «توماس مور» الانجليزي من رجال النهضة في يوتوبياه، فبينا يسخر من مطامع ملوك فرنسا في ايطاليا ، يبيح لابناء جزيرته الخيالية التي ليست الا صورة لانجلترا استعمار بقاع أمريكا واخضاع أهلها

وانما امتاز بالتسامح وسعة الفكر من رجال النهضة كبيرهم ارزمس الهولندي ، فانه وان دعا الى اتحاد مسيحي ، حمل على الحرب حملة شعواء ، ولم يستبح مقاتلة الترك الا دفاعا في النهاية القصوى بعد أن تفشل كل المساعي السلمية ، فاذا وقعت الحرب لزم تجنب سفك الدماء ما أمكن ، ومن أقواله في هذا الصدد : « اذا كان غرضنا الحقيقي أن نوسع أطراف دولتنا ، وكانت ثروة تركيا هي مطمعنا ، فلم نكسو جشعنا الدنيء باسم المسيح ؟» وهو يرى أن الحرب لا تثمر خيرا لاحد، وأن التحكيم بين كل متنازعين واجب، والوصول الى حل مرض ممكن لتوافر الرجال ذوي الحكمة والكفاءة ، والمجالس والبرلمانات ذوات المقدرة والنفع ، ويقول ان الحرب ليست جميلة الا في عين من لم يرها

مشروع سولي للسلام

ظلت الفروق الدينية سببا للجفوة لا بين مسيحيي اوربا وبين الترك والشرقيين عامة فقط ، بل بين الاوربيين أنفسهم وبين أبناء الوطن الواحد حتى بعد عهد النهضة ، فقد أدى الاصلاح الديني الى حروب أهلية ودولية عنيفة في ألمانيا وفرنسا وغيرهما ، ولم تخمد نار الحروب الاهلية الدينية في فرنسا الا على يد هنري الرابع في أواخر القرن السادس عشر ، وقد اتعظ وزيره العظيم « سولي » بما شاهد من آثار الحروب في فرنسا والخارج ، فاتجه ذهنه الى توطيد السلم بنشر العدل والمساواة والتسامح بين شعوب أوربا، فوضع لذلك « مشروعه العظيم »

يرى سولي أن تتحد دول أوربا في جماعة تفض المنازعات وتحفظ السلام ، ويرى أن تكون الدول متناسبة القوة ليتوطد بينها التوازن ، وهو لذلك يقترح على هنري أن يساعد الامارات العديدة الخاضعة لآل هبسبرج على التحرر الذي تطمح اليه ، لينقص سلطان الامبراطور الهائل الذي ينبسط على أكثر بقاع أوربا ، ولكنه يشترط على ملك فرنسا الا يحتفظ لنفسه بشبر من الارض التي يحررها ، ويقترح عليه أن يعطي المثل للأمم الاخرى

فيعلن أن ليس لفرنسا مطامع فى الخارج، وانه مستعد لقبول التحكيم فى كل مطالبه ومشاكله الدولية ، وهو يحذر ملوك فرنسا عامة من الاندفاع الى الحروب ، لان فرنسا لم تكسب من الحروب الخارجية والاهلية فيما مضى نفعا ، ولن تكسب من ورائها فى المستقبل الا عداء الامم وضغينتها فى الخارج ، وارهاق الاهلين بالضرائب فى الداخل

وبينما سولى يبذل الجهد فى اقناع الملك بمشروعه العظيم لسلام أوربا الغربية الدائم ، اغتيل الملك وقبر المشروع ، واندلعت نيران الحرب في أوربا وأشدها هولا حرب الثلاثين سنة في ألمانيا ، واندفع ملوك فرنسا من بعد ولا سيما لويس الرابع عشر الى الحروب التى كسبت فرنسا من ورائها عداء الأمم وفداحة الضرائب ، وانما خلف سولى على تعهد فكرة السلام الدولى مفكر هولندى عظيم هو « جروتياس » مؤسس القانون الدولى الذى قام بسفارات كثيرة فى فرنسا وانجلترا ، وهالته فظائع حرب الثلاثين ودفعته الى الكتابة فى العلاقات الدولية قال : « لقد لاحظت فى سائر بقاع المسيحية اباحية يخجل منها المتوحشون، اذ يستل الناس السلاح لاتفه الاعذار ، وحالما تعلن الحرب لا ترعى حرمة لقانون الهى أو بشرى ، ولا يكون هناك الا غضب أعمى جائح ، كأنما قد أطلقت أيدى الجميع فى ارتكاب كل أنواع الجريمة » ويرى جروتياش انه كما أن استتباب القوانين في دولة من الدول لا يكون حتى ينظر الناس الى أبعد من مصالحهم الشخصية ، فكذلك الحال فى العلاقات بين الدول ، ويقترح عقد مؤتمرات دولية من حين الى آخر لحسم النزاع

كتب جروتياس مؤلفاته فى أوائل القرن السابع عشر والحرب الثلاثينية فى عنفوانها ، وفى أواخر ذلك القرن ، وقد انتهت تلك الحروب بصلح وستفاليا الدولى وتأهب لويس الرابع عشر لحروبه الطويلة ، تناول موضوع السلام الدولى الكاتب السياسى الانجليزى «وليام بن» الذى أسس مقاطعة بنسلفانيا بأمريكا وعرفت باسمه ومارس فيها مبادئه السلمية، وقد اقترح فى كتاباته انشاء مجمع أو برلمان أو اتحاد بين الدول يقوم بالحكم فى منازعاتها، ويكون ذا سلطة تمكنه من تنفيذ قراراته

روسو واتحاد الدول الاوربية

وفى القرن الثامن عشر كان أكبر المنادين بالسلام العالمى « روسو » الذى كان مربيا عظيما يرى ان الغرض من التربية اعداد الفرد للعيش فى المجتمع ، ويرى ذلك الاعداد أول واجبات الدولة،كان روسو وطنيا يمجد الوطن ، ولكنه يطمح الى ما وراء ذلك ، يطمح الى الدولة العالمية التى تنفى الحروب وتبسط السلام ، لان خروج الافراد من الحال الطبيعية الى تأسيس المجتمعات هو تطور نهايته المنطقية تأسيس المجتمع العالمى ، والوقوف عند مرحلة الدولة شر من الحال الطبيعية الاولى ، لان اجتماعنا فى الدولة بعدد محدود من البشر يجعلنا أعداء لسائر البشر ، ولان التطاحن بين الدول أشد هولا من الفوضى بين الافراد

لذلك كان روسو ينادى بانشاء اتحاد للدول الاوربية أشد توثقا من التحالف وأقل توثقا من الاتحاد الفدرائى ، وكان يرى أن اتحادات كثيرة قد نجحت فى أوربا كالاتحاد الالمانى والاتحاد الهولندى والاتحاد السويسرى ، بل كان يرى الامم الاوربية جميعا مجتمعا متحدا من شتى وجوه فكرية لموقعها الجغرافى المتقارب ، وماضيها المشترك ، وتوشج علاقاتها التجارية ، وتعاون أدبائها وعلمائها وفنانيها فى ترقية الثقافة والمعرفة الانسانية . فكان مما يؤسى له أن تظل تلك الامم الشقيقة فى تفان مستمر لجشع ملوكها الذين لايربحون مع ذلك شيئا لان الحرب لا تفيد أحدا

ظهر معظم دعاة السلم فى أوربا من أواخر العصور الوسطى الى النهضة الى القرن الثامن عشر فى فرنسا وهولندا وانجلترا ، لانهـا كانت أسبق من غيرها الى التوحد السياسى والرفاهية المادية ، فكان فى فرنسا دوبوا وسولى وروسو وغيرهم ، وظهر فى هولندا ارزمس كبير النهضة ، وجروتياس مؤسس القانون الدولى ، وابراهام ويكفورت أول مؤلف فى الدبلوماسية ، وفى انجلترا نادى ويكليف ووليام بن وبيرك بالسلام ، أما أسبانيا فان قتالها ضد المسلمين أحقابا وامتداد سلطانها فى الامريكتين فى مستهل النهضة ، وامتداد ملكها فى أوربا تحت ملوك الهبسبرج ، كل ذلك بث الروح الحربية فى أبنائها وجعلها توجس من كل حركة سلمية قد تؤدى الى انتقاص أملاكها كما كان يرمى مشروع سولى العظيم . وأما ايطاليا فكانت متطاحنة منشقة نهب الغارات الاجنبية ، فظهر فيها ميكيافيلى داعية حرب لا سلام ، مجد الحرب وعدها أكبر وسائل الامير ، وخول له من الوسائل ما هو أشد هولا ، كل ذلك لشدة شعور ميكيافيلى بحاجة ايطاليا الى أمير قادر ينهضها ويوحدها بأى ثمن

وكذلك كانت ألمانيا منشقة على نفسها متفككة تطحنها الحروب الدينية ومنازعات الامراء ، فظلت فى مؤخرة الامم الى القرن الثامن عشر ، وحتى مصلحها الدينى الكبير لوثر وافق على الحروب وعدها وسائل طبيعية لعقاب الظالمين والمخطئين ، وكذلك كانت روسيا لتعرضها لغارات البرابرة الاسيويين متأخرة حتى كان أكثر المفكرين السياسيين ينفونها من حظيرة المجتمع الاوربى الذى يشيدونه فى مشروعاتهم السلمية

دعاة السلم فى العصور الاخيرة

فلما كان القرن الثامن عشر ، ضمت ألمانيا صوتها الى أصوات دعاة السلم ، ونادى به من فلاسفتها «كانت» ، ومن أدبائها «جيتى» ، وكان كانت يرى أن نفس الرغبة فى منع الفوضى التى دفعت الافراد الى تكوين الدولة ، ستدفع الدول الى تكوين مجتمع دولى ، وأن شرور الحرب هى التى ستعلم الناس بالتجارب المرة ما كانوا جديرين أن يعرفوه بغير ثمن فادح ، وكان لا ينادى بالمجتمع العالمى والسلام فرارا من أهوال الحرب فحسب ، ولكن لعلمه بأن ملكات الانسان العالية لن تزدهر حتى يتوطد السلم ، وأما جيتى فقد عرف بحبه

للأمم جميعا وهيامه بالآداب الشرقية ومحبته للفرنسيين حتى ابان الصراع بينهم وبين بلاده حتى أتهم بنقص عاطفة الوطنية

وفي القرن التاسع عشر بعد حروب نابليون أصبحت دعوة السلام عامة ، وسمع فيها صوت روسيا من جانب ، وأمريكا من جانب آخر ، فكان تولستوي من أكبر مبشري السلام، بل من جانب روسيا جاء أول مشروع رسمي للسلام يعده ملك كبير ، فقد كانت مشاريع السلام الى ذلك العهد أحلاما في رؤوس الكتاب وبعض السواس ، والملوك لا يصغون الى شيء من ذلك ولا يتبعون الا داعي الجشع ، وان كان الكثير منهم قد ندم بعد فوات الوقت على تهوره في الحروب ، منهم لويس الرابع عشر الذي أوصى ولي عهده باجتناب الحروب ، وبمثل ذلك أوصى نابليون ابنه فيما كتب في منفاه ، وقد وصف فردريك الاكبر بلاده بعد حرب التسع السنوات وصفا مؤسيا

كان قيصر روسيا أول ملك دعا الدول الى الاتحاد لنشر السلام وفض المنازعات ، وسمي مشروعه بالحلف المقدس ، ولم ينجح تمام النجاح لعدم تهيؤ ساسة الدول الاخرى للفكرة • وفي خلال القرن التاسع عشر عقدت مؤتمرات دولية كثيرة ساعدت على حل مشاكل كثيرة وان لم تقطع دابر الحروب ، وعقدت مؤتمرات أخرى لتقييد التسلح ، وأنشئت محكمة لاهاي الدولية ، وما زال ساسة الولايات المتحدة من القرن الماضي الى الحاضر يقودون خطى الدول الاوربية الى السلام والتعاون ، ويضربون لها في ذلك المثل بعقد المؤتمرات وابرام المواثيق ، وبنزعهم التحصينات على طول الحدود بينهم وبين كندا ، وبفضل ساستها أنشئت جمعية الأمم الحالية على ما بها من مواطن الضعف ، وقد صار حلم الاوربيين اليوم أن يفوزوا عما قريب بولايات أوربية متحدة ، كالولايات الامريكية المتحدة

فخري أبو السعود
المدرس بمدرسة الرمل الثانوية

كذا خلقت

للمرحوم طانيوس عبده

عي الحسناء مهما سدتموها ... ابت بالطبع الا ان تسودا
يقيدها القوى بكل قيد ... فيكسر ضعفها تلك القيودا
كذا خلقت فان حبت تمادت ... وان كرهت تجاوزت الحدودا

طانيوس عبده

العالم في سنة ١٩٧٠

نبوءات عن تطور العلم والمجتمع فى ثلاثين عاما

من اليسير على العلماء أن يتنبأوا عن مصير العالم بعد ثلاثين عاما ، فان أكثر المخترعات والمكتشفات التى سيشهدها الجيل الحالى فى خاتمة حياته ، قد بذرت الآن بذورها ولم يعد على العلماء الا تعهدها ببحوثهم وتجاربهم . وهذه هى أهم المكتشفات العلمية وما يصحبها من الظواهر الاجتماعية ، التى يتنبأ اثنان من كبار علماء الاجتماع والكيمياء بظهورها فى سنة ١٩٧٠

الطعام : سيتبين الانسان تأثير ألوان الطعام المختلفة فى تمكينه من أداء وظائفه العضوية أولا وتكييف ظواهره النفسية ثانيا . فقد بدا أن حب الام يتوقف على ما فى الغذاء من مادة المنجنيز ، وان اضطراب الاعصاب نتيجة نقص الكلسيوم والفوسفور فى الطعام ، وان اخصاب المرأة لا يتيسر اذا لم يتوفر فى غذائها الفيتامين ، وسينصرف هم الباحثين فى تأثير الغذاء على وظائف الاعضاء وحالات النفس الى استنباط أنسب الاغذية للغدد ذات الافراز الداخلى ، لانها قوام مشاعر الانسان وعواطفه وانفعالاته . أما «الحبوب» التى تحتوى على خلاصة مركزة من الطعام تغنى الانسان عن الواجبات الثقيلة التى تتخمه، فسوف تكون من النعم التى ينعم بها الانسان حينذاك . وكذلك تكثر الاطعمة المحفوظة من الفواكه والخضراوات والالبان ويؤثرها كثير من الناس على الاطعمة الطازجة. وسيكون الغذاء أكثر ملاءمة للجسم ، فتقل الامراض الناشئة عن سوء التغذية

الزراعة : ينتج الفلاح الآن ما يكفى طعاما لثمانية عشر شخصا ، أما فى خلال النصف الثانى من هذا القرن فسيستطيع أن يطعم ستة وثلاثين فردا ، ذلك أن القوة المكانيكية التى قهرت الصناعة فى القرن الماضى ستقهر الزراعة فى القرن الحالى ، وكذلك يزداد تطبيق البحوث العلمية على وسائل الانتاج الزراعى فتستخدم الاسمدة والعصارات الكمياوية فى تغذية مختلف النباتات ، وقد بدأ تطور انتاج الارض بفضل الكيمياء منذ سنوات ، فصرنا نشهد شجرة « الطماطم » الواحدة تنتج ثلاثين رطلا ، فالى أى مدى تبلغ ثروة العالم اذا سار انتاج المزروعات على هذا القياس ؟ على ان استخدام الآلة واتخاذ العلم فى حقول الزراعة لن يجعل الريف ميدانا صناعيا تقوم فيه المصانع

الكبرى ، وانما يؤدي الى نشر الرخاء بين أبنائه والى رفع مستواهم المادي

وثمة تطور آخر في الزراعة هو اتخاذ منتجات الحقول مواد للصناعات بدل قصرها على أطعمة للانسان والحيوان • فاذا استثنينا مواد الغزل والنسج كالقطن والتيل فاننا نجد أنه لا يتجاوز ما يتخذ في الصناعة سوى ١/٢ ٠/٠ من كميتها ، أما الجزء الغالب منها فيذهب الى جوف الانسان والحيوان ، بينما تعتمد الصناعة على المنتجات الطبيعية في الغابات • ولكن سوف تتغير هذه الحال بعد ثلاثين سنة ، فنجد سيقان النباتات وقشورها وأليافها تتخذ في صناعة الورق والالواح وبعض الانسجة ، ونجد منتجات الارض مصدرا يستمد منه الكحول الرخيص الذي قد يتخذ وقودا للسيارات

وسائل النقل : سيتجه العالم الى اتخاذ المعادن الخفيفة في صناعة وسائل النقل ، فنجد سيارات وطيارات خفيفة عظيمة السرعة وقليلة الاستهلاك من الوقود • وسيكون للنقل الجوي أوفي نصيب من بحوث العلماء وتجاربهم ، فنجد الطيارات التي تجرى على الارض تارة وتطير في الهواء تارة • ونجد الافراد يؤثرون اقتناء الطيارات على السيارات، وتصير في متناول الطبقة الوسطى • وسيؤدي تيسير الطيران الى انشاء خطوط جوية في المدن الكبرى تنافس خطوط السيارات و « الترامواياب » العامة • ويترتب على هذا تغيير هندسة البيوت ، لتكون سطوحها محطات يصعد منها الناس الى الطائرات المتابعة • وكذلك تتطور صناعة الطائرات من حيث مقدرتها على مقاومة ضغط الهواء ، فتزداد سرعتها ، وتطول مسافات طيرانها ، ولا يشق عليها أن تتفادى السحب وقمم الجبال وتيارات الهواء• ولن تتطلب المسافة من نيويورك الى كندا أكثر من ثماني ساعات • ومعنى هذا أن تتطور العلاقات الدولية فتضطر أمريكا الى اتخاذ أهبتها لصد الغارات الجوية التي قد توجهها اليها أوربا أو آسيا

المناخ : بدأ العلماء يبحثون في توليد مناخ بارد يخففون به حرارة الصيف أو حرارة المنطقة الحارة •وبذلك قد يؤدي في المستقبل البعيد الى تغيير مجرى الحضارة ، فقد اتجه الانسان منذ عهدالفراعنة الى الآن ، الى توليد مناخ حار يقاوم به برد الشتاء أو برد الآفاق القارسة ، ولهذا ظلت الحضارة قائمة ومنتشرة في هذه المناطق

أما عن توليد الحرارة فسيظل في المستقبل القريب بطريقة المدافيء الميكانيكية أو الكهربائية ، ولكن بدأت تجارب العلماء في سبيل امداد البيوت بالحرارة وبالقوة بواسطة موجات اللاسلكي القصيرة

وسيكون تكييف هواء المساكن والمباني العامة من أهم الظواهر ، فيعيش الناس في بيئة مريحة صحية في الصيف وفي الشتاء على السواء

ويدخل في موضوع المناخ تحويل الليل نهارا في كثير من المصانع وحلقات الرياضة وطرق المواصلات • وكذلك سيزداد المرء استفادة من أشعة الشمس في البلاد التي

يكثر فيها السحاب والضباب ويطول فيها الليل والشتاء

القوة والكيمياء : فى سنة ١٩٧٠ يستغنى عن قوة الانسان العضلية ويلقى العبء كله على القوة الآلية • ولكن لن يتيسر فى هذه الفترة الوجيزة استمداد القوة من الشمس أو من أمواج البحر أو من ذرات الهواء ، فما زالت بحوث العلماء بعيدة من هذه الغاية القاصية ، ولكن سينتشر حينذاك استخدام آلة ديزل ، ويزداد انتاج « الجازولين » ويستخلص الزيت من الفحم ، ويكثر ويرخص انتاج الكحول ، ويمكن اتخاذ كثير من المواد التافهة وقودا للآلات ، وبذلك تعظم القوة المحركة فى العالم

أما فى الكيمياء فسيكون أكثر التطور فى صناعة المنسوجات ، فنجد معاطف مصنوعة من الزجاج ، ونجد ملابس صوفية مستخرجة من اللبن ، ونجد جوارب من الفحم وأنسجة حريرية من الخشب ، وملابس صيفية من المطاط • ونحن نشهد اليوم نواة هذه المخترعات فى معامل العلماء ، ونرى بعض المصانع يحاول اخراجها منذ الآن

صناعة النسج: والواقع أن العالم يجتازثورة فى صناعة النسج • فهذه دودة القز صارت عقيمة لا معنى لبقائها ، ما دام العلماء قد استطاعوا أن يستخرجواأنسجة حريرية من الفحم بل من الماء بل من الهواء ! وهى أنعم وأمتن وألين من الحرير الطبيعى ذاته !وقد بدأيقبل علينا اليوم الذى تصير فيه المنسوجات الطبية اما غالية لا يقدر الكثيرون على شرائها ، واما أقل صلاحية للجسم من المنسوجات المصنوعة من خيوط الزجاج التى هى أدق من خيوط العنكبوت وأمتن من أسلاك الصلب ، ويمكن أن تصنع منها بذلاتنا ومعاطفنا بل ملابسنا الداخلية

هذا وقد تبطل صناعة الغزل وصناعة النسج ، وذلك اذا أمكن ابتكار طريقة لتحويل بعض المواد الكيمياوية الرخوة الى صحائف لدنة ذات مسام تشبه الأنسجة التى نرتديها • وفى تجارب العلماء ما يحمل على الظن بأن هذا ليس مستحيلا

الاجهزة الاتوماتيكية : هذه الاجهزة بسيطة من الناحية العلمية ولكنها عظيمة الفائدة من الوجهة العملية • وقد انتشرت فى السنوات الاخيرة فظهرت الاجهزة التى تقبض على السارق عند اقتحامه بيتا أو متجرا ، والاجهزة التى تعطى شارات الخطر عند شبوب حريق ، والاجهزة التى تتولى بيع بعض الاشياء مقابل دفع أثمانها • ولكن ستتطور هذه الاجهزة تطورا كبيرا بعد ادارتها بقوة الكهرباء ، وقد بدأت الآن تستخدم فى ميادين سباق الخيل ، وفى اختبار المصنوعات لمعرفة الصالح منها والفاسد ، وفى فتح الابواب وحراستها ، وغير ذلك من الاعمال حتى باتت تهدد آلاف العمال بالبطالة

التليفيزيون : أما فى ميدان اللاسلكى فستنتقل المسارح الى البيوت بفضل التليفيزيون• وسيفتح هذا الجهاز طرقا جديدة لبث الدعاية ونشر الاعلان فى ميدان السياسة وسوق

التجارة على السواء . وسيدخل فى معاهد التعليم حيث تكون لوحته ضرورة من ضرورات المدارس الحديثة

وستقوم « الصحافة اللاسلكية » التى تذاع أخبارها وتطبع صفحاتها فى كل بيت على حدة بواسطة الاذاعة اللاسلكية . وقد كان الراديو أكبر مظاهر الاختراع فى الثلث الاول من القرن العشرين ، وسيكون التليفزيون أهم هذه المظاهر فى الثلث الثانى من هذا القرن

الطب : فاذا استراح الانسان من البيئة المحيطة به تحول يلتمس الراحة فى داخل نفسه بتحسين صحته وتقوية بنيته . ومن المؤكد ان أهم نواحى التطور الطبى فى الاعوام القادمة سيقوم على مادة « السلفانلاسير » ومشتقاتها التى أتت بالمعجزات . وستكون هذه المادة الحرب التى يعلنها الاطباء على الامراض المتوطنة وعلى الاوبئة المعدية على السواء . ومن المرجح أن يستطيع العلم خلال السنوات الثلاثين القادمة أن يقتنص جميع الجراثيم التى تثير الاوبئة الكبرى مثل الطاعون والملاريا ويخلص العالم من ارهابها . وكذلك قد يتوفق الاطباءالى انقاذ الانسانية من الامراض التى لازمت حياتها الحديثة وعاشت فى أجسامها الى درجة مخيفة ، وأهمها الامراض السرية المختلفة

تحسين النسل : ومن الاهداف التى يرمى اليها العلماء الآن التطور بالنسل نحو التقدم والارتقاء ، ولا شك فى أن النسل بعد ثلاثين سنة سيكون أكفأ وأقوى وأسعد من النسل الحالى ، بفضل ما يبذله العلماء الآن فى دراسة هذه الغدد العجيبة التى تؤثر فى مقدرتنا العقلية ، وفى نشاطنا ، وفى شجاعتنا ، وفى حالتنا العصبية ؛ وفى حالات الشذوذ التى تنتابنا ، وفى مقدرة النساء على الحمل ، وفى الحياة الشهرية للمرأة ، وفى كل مايتعلق بحياتنا العضوية والنفسية من ظواهر القوة والضعف

وكذلك يتجه العلماء الى دراسة حالات الحمل والولادة دراسة يقصد بها تنظيم هذه المسائل وتمكين الانسان من توجيهها الى الوجهة التى يريدها ، فلا تبقى فى يد الطبيعة وحدها بينما يقف الانسان جاهلا أمرها وعاجزا عن فهمها

اطالة الحياة : وسوف تنقضى الفترة التى تعيش فيها جمهرة الناس جائعة فى غذائها ، متعبة فى مسكنها ، ناقصة فى ملبسها ، وكذلك ينتهى ذلك العهد الذى تكثر فيه وفيات الاطفال الى درجة خطيرة . وبذلك تطول أعمار الناس فيستمتعون بالحياة فترة طية . وينشط الاطباء من ناحية أخرى الى محاربة أسباب الضعف والمرض ، وتأخير عوامل الكهولة والوفاة ، وذلك بالمحافظة على القلب والكلى والكبد ، وبتغذية خلايا الجسم غذاءها الملائم الوافى . فلا ينقضى ثلاثون عاما حتى يطول متوسط عمر الانسان ، وتصير حياته فى هذه الدنيا تستأهل ما ينفق فيها من جهد ومال

(عن مقالين نشرهما فى مجلة ذى نيويورك تايمز الاستاذ وليم أوجبرن استاذ الاجتماع بجامعة شيكاغو والاستاذ فيرناس استاذ الهندسة الكيمياوية بجامعة ييل)

العلم والعالم

تغيير مناخ العالم

ميدان جديد للبحث العلمي والعمل الهندسي

كان الاديب الفكه « مارك توين » يقول : « كل منا يتحدث عن المناخ شاكيا أو متأففا ، ولكن ما من أحد فينا يعمل شيئا لتغيير المناخ » . وكان الناس يضحكون من هذه السخرية اللاذعة ولكن ما كان فيما مضى موضعا للضحك والسخرية بدأ يصير اليوم ميدانا للعلماء والمهندسين ، الذين يضعون الآن وسائل عملية لتغيير مناخ العالم

ففي سنة ١٩١٢ اقترح المهندس الانجليزي « كارول رايكر » مشروعا لتلطيف مناخ الجانب الشرقي من امريكا الشمالية ، ينشر الدفء في هذه الارجاء التي يعاني سكانها شدة البرد في الصيف والشتاء على السواء . ومن المعروف ان هذه المنطقة هي ملتقى تيارين بحريين ، أحدهما يتدفق من المنطقة القطبية حاملا برودتها الثلجية الشديدة وهو تيار لبرادور ، وثانيهما يخرج من خليج المكسيك قريبا من المنطقة الاستوائية متشبعا بحرارتها وهو المعروف بتيار الخليج .

وهذا التيار الثاني يشبه نهرا استوائيا يجري وسط مياه المحيط متجها صوب الشمال ، ويبلغ عرض هذا النهر اربعين ميلا ، وعمقه ألفين ومائتين من الاقدام ، وسرعته حوالي ثلاثة أميال في الساعة ، وهو يحمل من الحرارة اكثر مما يمكن انتاجه بحرق ٢٫٠٠٠٫٠٠٠ طن من الفحم في كل دقيقة : . فهذا التيار الحار يستطيع ان ينشر الدفء التام في المنطقة التي يجري فيها ، لولا ان تيار لبرادور القطبي يعترضه بثلوجه وبرودته يسلبه حرارته ويجعله قليل الجدوى على الساحل الامريكي



خريطة للجانب الشرقي الاوسط من امريكا الشمالية ، وترى التقاء تياري لبرادور والخليج حيث يقترح المهندس الانجليزي كارول رايكر مشروعا لابعاد تيار لبرادور البارد لينشر تيار الخليج الدفء في ساحل امريكا الشمالية الشرقي

واذن فما يريده ذلك المهندس الانجليزي هو ابعاد تيار لبرادور عن المنطقة الساحلية وتركها خالية لتيار الخليج وحده . فهل يمكن ذلك ؟ نعم . اذا لاحظنا انه على مسافة مائتي ميل من رأس نيوفوندلند البارز في المحيط توجد منطقة ضحلة تعرف « بالجسور الكبرى » Grand Banks

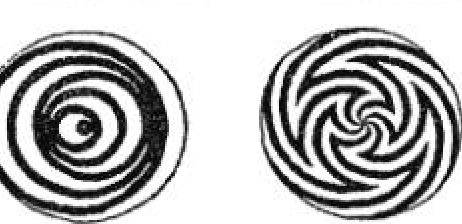
التى تكونت من الرواسب المختلفة الآتية مع هذين التيارين العظيمين والمتخلفة من هذا المكان الذي يتلاقيان فيه ويتصادمان . وقد صارت هذه الجسور « هضبة » فسيحة من الرمال والصخور ، يبلغ علوها فوق المحيط خمسة عشر الفا من الاقدام ، ولا تنخفض عن سطح الماء بأكثر من مائتي قدم . فلو بنى فوق هذه الهضبة حائط أفقي لاستطاع ان يحجز تيار لبرادور عن المنطقة التى تقع جنوب نيوفوتلند ، ولا ضطر الى ان يتحول الى وسط المحيط بعيدا عن الساحل الامريكى وبذلك يخلو الميدان لتيار الخليج الدافىء فينشر حرارته على الجانب الشرقى من الولايات المتحدة وكندا ، هذه الحرارة التى تكفل تغيير الحياة الاقتصادية والاجتماعية فى هذه المنطقة تغييرا عظيما

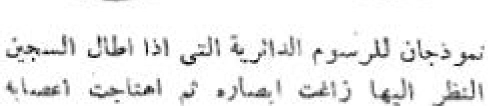
ولا يقتضى هذا المشروع الخطير اكثر من ٣٨٫٠٠٠٫٠٠٠ من الجنيهات . ذلك انه ليس من الضرورى اقامة حائط تحت الماء بل يكفى القاء كميات عظيمة من الصخور تلتقط المواد الغرينية التى يحملها التياران ، فلا تنقضى ثلاث سنوات حتى تتكوم وتعلو فتبلغ سطح الماء وتقوم حاجزا وسط المحيط — بل يرى صاحب هذا المشروع انه يكفى القاء حبل عظيم من الاسلاك فيلتقط المواد الغرينية ويجمعها حوله فى شبه حائط كبير ، وفى هذه الحالة لا يقتضى المشروع سوى ١٦٫٠٠٠٫٠٠٠ من الجنيهات ، وهو مبلغ زهيد اذا قيس الى جانب نتائجه المادية الخطيرة

جهنم العلمية

غرائب التعذيب العقلى

لم يفت ارتقاء العلم اية ناحية فى الحياة حتى ناحية « التعذيب » فصار يقوم على قواعد وأصول من بحوث العلماء وتجاربهم ، فأنشئت « جهنم العلمية » التى يشهد الناس فيها أقسى انواع العذاب والنكال ، دون ان يمس اجسامهم سوط





نموذجان للرسوم الدائرية التى اذا اطال السجين النظر اليها زاغت ابصاره ثم اهتاجت اعصابه

أو سكين أو جذوة نار أو ما شابه ذلك من أدوات التعذيب ووسائله . ذلك ان « جهنم » هذه تقوم على أساس الحقيقة التى اثبتها علماء النفس ، وهى ان العذاب العقلى أشد وأقسى من العذاب البدنى ، ذلك ان لهذا حدا يقف عنده فلا يزيد احساس الانسان به بل يتناقص ، بينما ذلك العذاب يشتد ويقوى يوما بعد يوم حتى ينتهى بالمرء الى اسوأ درجات الخبل والجنون

فما هى « جهنم العلمية » ؟ هى الاسم الذى اطلق على تلك المحابس الغريبة التى وجدت فى سجون برشلونة منذ عهد قريب ، والتى يقال ان جماعات الشيوعيين كانوا يعذبون فيها اتباع الجنرال فرانكو تعذيبا عقليا رهيبا دونه أى عذاب بدنى مهما كانت فظاعته .. وطريقة هذا التعذيب أن جدران تلك المحابس وسقوفها كانت منقوشة بنقوش غريبة الخطوط والدوائر ، متعاكسة الالوان والاضواء ، بحيث اذا أطال السجين النظر اليها زاغت أبصاره ثم اهتاجت اعصابه ثم انتابته نوبة الضيق والصداع ، ثم لا يلبث ان تختل قواه العقلية ويلم به طائف الجنون

فهذان رسمان بسيطان من تلك الرسوم اذا أمعنت اليهما النظر طويلا بينما أنت تحرك هذه الصفحة ذات اليمين وذات اليسار حركة دائرية ، فانك لا تلبث ان ترى الخطوط ملتفا بعضها حول بعض والدوائر متداخلة احداها فى الاخرى ، حتى لا تؤدى هذه الحركة بعد دقيقتين الى ضيق

كثير من ضعاف الاعصاب بل الى احساسهم بالدوار أو الصداع . فكيف يكون الامر اذا كانت كل ناحية ينظر اليها الانسان منقوشة بنقوش اكثر تعقيدا من نقوش هذه الدوائر ، فضلا عن تلوينها بألوان براقة متعاكسة يزيغ منها بصر الانسان ؟

قد يقال : ولكن فى وسع الانسان ان يتجنب النظر الى هذه الرسوم باغماض عينيه . ولكن معذبيه كانوا يضطرونه الى فتحها دائما اما بقطع أجفان الاعين واما بوضع حلقات معدنية تباعد بين الجفن الاعلى والاسفل دائما . ومن المعروف كذلك ان الانسان اذا نظر الى قرص الشمس فترة طويلة ثم خفض ناظريه فانه لا يلبث ان تتراءى أمام عينيه « بقع » بيضاء لامعة . وكذلك اذا أطال النظر الى هذه الرسوم البراقة فانها تثبت على شبكة العين وتظل تتراءى لها مستطويلة بلونها الاول أو بلون قريب منه

وكم يكون العذاب اشد قسوة حين كانوا يضيفون الى ذلك تعذيبا عقليا آخر طريقه حاسة السمع ، اذ يضعون السجين فى محبس لا تنفك الطبول تقرع فى ارجائه ليل نهار قرعا عنيفا منتظما لا نغم له ولا اتساق . وقد كان أكثر السجناء يصاب بمس الجنون بعد قضاء ساعتين اثنتين فى هذه المحابس العجيبة . ومن الغريب ان الذى رسم نقوش تلك السجون لم يكن الا رساما يوجوسلافيا مجهولا هو « الفونسو لوريك كيك » ، ولكنه أثبت انه على علم تام بحقائق علم النفس التى ترى فى العذاب العقلى نكالا لا تقاس به شدة العذاب البدنى

جاليليو : راعى النجوم

يخيل الى الناس ان حياة الفلكى أو الرياضى او الكيميائى حياة جافة جرداء ، لا يلذ للمرء أن يقرأ عنها ما يلذ له حين يقرأ عن حياة السياسى



جاليليو ، الرجل الذى كافح وناضل ، واخفق وتوفق ، واحب وكره ، وعاش ملء حياته عيشة العشاق والمغامرين

أو القائد أو الشاعر أو المغامر . ولكن « فن الترجمة » ارتقى فى هذه السنين ارتقاء حمل المؤرخين على أن يبرزوا الجانب الانسانى فى حياة العلماء ، فيجلون منها صفحات حافلة بأقوى العواطف والانفعالات مما يجعل هؤلاء العلماء العاكفين على معاملهم أو مراصدهم عكوف الزهاد العابدين ، اخوانا لنا نحبهم ونقدرهم ونتأثر خطوهم فى الحياة

فهذه قصة « راعى النجوم » التى كتبها الاديب المجرى « زولت دى هارسانى » عن الفلكى الخالد « جاليليو » تقرأها فتحسب انك لا تقرأ حياة رياضى أمضى عقود حياته بين الارقام والمناظر ، بل حياة رجل كافح وناضل ، وأخفق وتوفق ، وأحب وكره ، وعاش ملء حياته عيشة العشاق أو المغامرين . فها هو صبى خامل قد يئس منه أبوه واحتسبه خائبا وعاطلا ، وهو تلميذ قد اجمع مدرسوه على حمقه وغبائه ، وها هو طالب فى جامعة بيزو يدرس الطب فلا يفقه منه شيئا لانه يكرهه ويزدريه ، وها هو يحاول ان يلقى بنفسه فى اليم لينتحر غريقا لعجزه عن كسب

حياته . ولكن ها هو يظهر ملكة ناضجة فى الرياضة حين يخطىء مبدأ من مبادىء ارسطاطاليس وها هو يخترع جهازا علميا جديدا ، فلا يلبث ان يتسامع به الناس فتدنيه اليها «بيانكا كابيلو» دوقة توسكانى ، فلا تكاد عين جاليليو تقع عليها حتى يولع بها حبا رغم انها تكبره بعشرين عاما، ويظل يذكرها طول حياته رغم انه احب غيرها مرارا ورغم انه تزوج وانجب كثيرا

وكان ذلك العصر مليئا بالمكايد والمذابح والاضطهادات ، فلم يستقر جاليليو فى مكان بل طوف بين فلورنسا وبيزا وبادوا ملقيا آراءه الرياضية الجديدة على طلاب الجامعات بها . ثم يمرض ويعتكف فى بيته فترة يقرأ خلالها كتاب « كوبرنيكس » الذى أثبت فيه ان الشمس وليست الارض هى محور الكون معارضا بذلك الآراء العلمية والدينية السائدة منذ عهد بطليموس وارسطاطاليس . وقد وجد جاليليو ان آراء زميله متفقة مع آرائه ، ولكنها تناقض الآراء المقررة السائدة ، ففى الجهر بها خروج على رجال الكنيسة ورهبان الاديرة . وها هو أحد اصدقائه يقص عليه قصة حرق أحد اولئك الخوارج فيروعه الوصف ويرعبه الموقف ، ويظل يذكر ذلك كلما أراد أن يعلن آراءه فى الرياضة . ولكنه عالم يؤثر الحق على كل شىء ، حتى على « الكثلكة » التى يدين بها ويمجدها .. هذه أزمة نفسية عنيفة يجيد المؤلف تصويرها وتحليلها ولا يدع شيئا من خلجات قلبه وعقله المتعارضة معا . ويخترع جاليليو فى خلال ذلك «التلسكوب» فتكرمه الجامعات وتقدره الكنيسة ويستدعيه البابا ويباركه . ولكن صورة ذلك الرجل الذى احرق لاتزال تساور عقله ، حتى اذا ما اعلن رأيه فى دوران الارض وفى ان الشمس هى مركز الكون سيق الى المحاكمة فلم يستطع الا ان يرغم لسانه على النطق بكذب آرائه متمتما بعد ذلك قائلا : ولكنها تدور !

ولم يفت المؤلف خلال ذلك ان يجول فى عقل ذلك الرياضى العظيم فيعرض مختلف النظريات الرياضية السائدة حينذاك ، ويتتبع تطور آرائه الجديدة التى انتهت الى رأى يعد من الاسس الاولى فى الحركة العلمية الحديثة

هل تصلح أمريكا للديموقراطية ؟

لا خلاف بين علماء الاجتماع والسياسة فى أن الشعب الراقى من وجهة الثقافة العامة ومن جهة الرخاء المادى ، يجب أن يقيم حكومته على أساس الديموقراطية اذا لم يكن ثمة اضطرابات سياسية فى الداخل أو فى الخارج تكرهه على أن يخضع لحكومة تقوم على النظام الديكتاتورى الذى قيل انه ضرورة تلجأ اليها الشعوب حينما تعصف بها الازمات السياسية . ولكنا مع هذا نجد كثيرين من علماء امريكا ومثقفيها ينكرون على الشعب الامريكى ، الذى يفوق أرقى شعوب العالم فى مستواه الثقافى والاقتصادى ، صلاحيته للنظام الديموقراطى

فقد استفتى ثلاثمائة وخمسون من كبار الطلاب فى جامعة كاليفورنيا فيما اذا كان الشعب الامريكى أهلا للنظام الديموقراطى ، فأجاب ٦٢ ٠/٠ منهم بأن كل ثلاثة من الامريكيين فيهم واحد لا يصلح للاشتراك فى هذا النظام الشعبى الدقيق ، وكان منهم من هو أكثر تشاؤما فقال ١٦ ٠/٠ منهم ان نصف الشعب لا يستأهل الديموقراطية ، وأجاب ١١ ٠/٠ بأن ثلاثة أرباع الشعب لم يبلغوا المستوى الذى يؤهلهم لهذا النظام الرفيع

على ان مجمعا من مجامع « النفسيين » الخبراء بعقلية الشعب ونفسيته ، كانوا أكثر من أولئك الطلاب انصافا للشعب الامريكى، فقرر ٨٠ ٠/٠ منهم ان تسعة أعشار الشعب الامريكى لها من الكفاءة والثقافة ما يمكنها ان تساهم بنصيبها فى اقامة حكومة ديموقراطية صحيحة

الحركة الفكرية

كريستوفر كولمبوس

للأديب الفيلسوف مادرياجا

قلما يظفر المرء فى هذه الايام التى ذاع فيها « القصص التاريخى » ذيوعا استأثر بكثير من أقلام المؤرخين والادباء ، « بترجمة تاريخية يجتمع فيها البحث التاريخى والمراجعة العلمية الى جانب العرض الادبى والعبارة البيانيـة ، اجتماعها فى هذه الترجمة العظيمة التى أصدرها أديب اسبانيا وفيلسوفها«سلفادور دى مادرياجا» عن بطل اسبانيا الخالد « كريستوفر كولمبوس »

فجانب من هذه الترجمة يعد دراسة نفسية دقيقة لهذه النوازع الغامضة العنيفة التى دفعت كولمبوس الى التطلع الى ما وراء البحار حيث كان يلتمس ارضا جديدة يرفرف عليها لـواء المسيحية الكاثوليكية ، وفى الوقت نفسه يشق طريقا الى الهند والصين حيث الحاصلات والخيرات التى تقوم عليها تجارة أوربا ورفاهيتها حينذاك . وجانب آخر منها عرض تاريخى لحياة كولمبوس وجهاده ، ومنها نعرف انه اسبانى الاصل وليس ايطاليا كما يزعم عامة المؤرخين ، وقد هاجرت اسرته من اسبانيا الى البندقية فى ايطاليا ردحا من الزمن ثم عادت الى وطنها . ومنها نعرف انه يهودي النشأة وليس كاثوليكيا أصيلا ، وقد اعتنقت أسرته المسيحية فى خلال حركة من حركات الاضطهاد الدينى التى اشتهرت فى التـاريخ الاسبانى . وهنا يعرض المؤلف الفيلسوف هذه الحركات الدينية العنيفة وما يصحبها من ضروب التعصب والاضطهاد والتنكيل ، عرضا فيه شرح وتفسير للطبع الاسبانى الذى ما يزال يجنح من حين الى حين الى جانب العنف والقسوة والعدوان



كريستوفر كولمبوس

ثم يستطرد من هذا الى رواية رحلات كولمبوس المختلفة ، وما سبقها من سعى الى الملوك والامراء ليمده منهم من يمده بالمال ويؤازره بالرجال ، وكانت اولى تلك الرحلات الى جزيرة « آيلنده» فى شمال أوربا حيث قضى سنتى ١٤٧٦و١٤٧٧ وهناك تحدث الى أهلها الذين كان منهم من يعرف اللغة اللاتينية فعلم انه منذ ثلاثة قرون سار فريق من بحارتها وصياديها غربا فى عرض المحيط الى ان وصلوا بعد شهور طويلة الى قارة فسيحة خالية من السكان وغنية بالحاصلات ، فزاده هذا يقينا بأن على الجانب الآخر من « بحر الظلمات » تقوم قارة كبيرة لعلها قارة آسيا التى يبغى الوصول اليها عن هذا الطريق أو لعلها قارة جديدة أخصب أرضا وأوفر خيرا من آسيا نفسها . ولكنه لم يقم برحلته الاولى الى هذا العالم الجديد الا بعد خمسة عشر عاما حينما أعد له فرديناند وايزابلا ملكا اسبانيا

اسباب الرحيل وزوداه برسالة الى «خان الاكبر» الذى كانا يجهلانه قدر ما يجهله سفيرهما كولمبوس . وقد أراد المؤلف ان يصور كيف يلقى الرحالة هذا السلطان الشرقى وكيف يتحدث اليه عن بلاده وملكيها ، ولكنه لم يستطع ان يسهب طويلا لان كولمبوس لم يصل الى الشرق ولم يلق « خان الاكبر » بل اكتشف قارةجديدة هى نصف العالم بأسره . ثم يتحدث المؤلف عن رحلات كولمبوس الثلاث الاخرى وما لاقى فيها من عناء الى ان مات وهو لا يعلم انه كشف عالما جديدا ، بل كل ما حسبه انه شق طريقا جديدا الى الهند والصين

ويجمل مادرياجا فى خاتمة الكتاب وصفا لكولمبوس فيقول : «انه كان مجموعة من المتناقضات النفسية : كان يجمع فى الوقت الواحد بين الجرأة والجبن ، بين الانانية والكرم ، بين الصراحة والمخادعة ، بين الكثلكة واليهودية ، بين العبقرية فى القيادة البحرية والعجز والقصور فى الزعامة بعد ان ينزل الى الشاطىء . . . انه جملة من الفضائل يتخللها كثير من النقائص . انه رجل عظيم ، ومرجع عظمته الى اخلاصه لآرائه وتفانيه فى أداء رسالته فى الحياة »

وقد أصدر مادرياجا كتابه هذا بالانجليزية التى يعد هذا الاديب الاسبانى فى مقدمة من يجيدون عبارتها وأسلوبها

الثقافتان الاغريقية والعبرية

قصة تمثل نزاعهما التاريخى

كان حوض البحر الابيض المتوسط فى نهاية القرن الاول مسرحا لمعركة فكرية كبيرة تناضلت فيها الثقافتان الاغريقية والعبرية معا . وكانت وقائع هذا العراك تجرى فى تلك المدن الكبرى التى يتمثل فى جامعاتها أو انديتها أو معاهدها الحكومية الرقى الثقافى الذى شمل ايطاليا واليونان ومصر وسورية حينذاك . ولكن هذه الثقافة الراقية كانت تصحبها عقيدة مزعزعة ، فكان أشراف الرومان يتقلبون بين العقائد والمذاهب كما يتقلبون بين خليلاتهم وسراريهم ، وكانت هذه الموجة تطغى فتلم بعقول الجمهرة أو العامة وتلقى بها وسط شقى الرحى الدائرة : شق يمثل الروح الدينى الموروث عن الاسلاف والراسخ بقوة التقاليد ، وشق يمثل النزعة الفكرية التى أثارها فلاسفة الاغريق والتى تتطلبها نهضة الحياة فى تلك الايام

وقد كانت هذه المعركة منشأ ذلك النزاع العنيف الذى استمر القرون الطوال ولم ينته الا عندما بدأت النهضة العلمية الحديثة ، أى النزاع بين العقل والدين وما تخلف عنه فى ميدان البحث الفلسفى طوال العصور الوسطى

وكم يلذ للمرء ان يقرأ تاريخ هذه المعركة الفكرية ، ولكن ما أعظم اللذة التى يظفر بها اذا أتيح له أن يقرأ هذا التاريخ مسوقا فى قصة شائقة ، كتلك القصة التى أخرجها أخيرا المؤرخ الفيلسوف « ميلتون ستاينبرج » واتخذ لها عنوانا : « كورقة ذابلة » وعرض فيها اسباب هذه المعركة ونواحيها ونتائجها عرضا روائيا طريفا

أدار المؤلف قصته حول شخصية تاريخية وردت فى « التلمود » مرارا وهى شخصية اليهودى « اليشع بن أبوياه » . نشأ ذلك الرجل نشأة اليهودى المتشبع بعقائد دينه وتقاليد قومه . ولكنه وجد موجة الفكر الاغريقى تأخذ من كل جانب فلم يستطع ان يسلم منها . فقرأ هوميروس وأحبه ، ودرس فلاسفة الاغريق وتعلق بهم . وهو فى الوقت ذاته يدرس التوراة وما اليها من أسفار اليهودية ، ويرقى فى مناصب قومه الدينية حتى يصير عضوا من أعضاء مجلسهم الدينى الاعلى . وهنا تصطدم فى ذهنه القوتان : قوة التفكير الاغريقى وقوة العقيدة الدينية ، ويعانى من جراء

هذا الاصطدام ما يعاني الرجل الساعي الى الحق من ناحية والمخلص لدينه من ناحية أخرى ، ويزيد من هذا العناء أزمات نفسية تلم به من جراء زواج فشل وقع فيه وحب محرم اقتحم عليه قلبه ، فينتهي به الامر الى ان ينكر دينه ويؤثر تفكيره، فيطرد من ساحة اليهودية ويسعى في البلاد جازعا شريدا

ثم يستقر في احدى المدن عاكفا على دراسة العقيدة اليهودية على ضوء الفلسفة الاغريقية ، فيتبين ما بينهما من الفوارق الكبيرة التي يجملها فيلسوف أغريقي يسأله فيما بين الامرين من خلاف . فيقول : ان اليهود لا يعرفون شيئا مما تعرفونه انتم من « مرح البدن وفرحته » ومن « تقدير الجمال لذاته » . ولا ينعمون بشيء مما تنعمون به من الحرية في البحث والسؤال . وفي التحري والاستقصاء ، وفي استنكار ما لايرضى عقولكم من الآراء والاشياء . ان لشعبي عقائده الموروثة المقررة ، وهو يأخذ نفسه بقبولها دون بحث أو سؤال ، وهذا حسن ما دام المرء مؤمنا مصدقا . ولكن ما ان ينفذ الشك الى نفسه مرة واحدة ، ويضطر حينئذ الى ان يبحث عن العقيدة الصحيحة ، حتى تصبح حرية التفكير والاستقصاء أمرا لا غنى عنه . وقد تحطمت عقيدتي عندما بدأت ادرسها ، فوجدت نفسي مكرها الى ان اختار أحد اثنين : اما الدين واما العقل ، فآثرت الثاني وجحدت الاول

ولكن اليشع لا يطمئن نفسا الى هذه النتيجة . ثم انه يظل ردحا من الزمن عاكفا على دراسة الفلسفة ، مبشرا بها بين قومه وشيعته ، ويجد في هذه الفلسفة مبررا ومعينا على ما قام بينه وبين زوجة حاكم فلسطين من الهوى ، ولكن لاتلبث حبيبته هذه ان تموت ولا يلبث زوجها ان يضطهد غريمه ، فتسود الحياة في عينيه حين يجد نفسه منفيا من وطنه ، منبوذا من قومه ، مقصيا عن صحابه ، محروما من رحمة ربه ! فيعترف في خاتمة حياته بأن الذهنية الاغريقية على عظمتها ورقيها لا يمكن ان تبرأ من القسوة والعنف ومن الوحشية والانانية . واذا به لا يصبر على الحياة في هذه الدنيا ، فيولي وجهه شطر الصحراء حيث يبتغي السلوى والعزاء ولو في الموت تكفيرا عن كفره وجحوده

حياة جوهر لال نهرو

من نقائض الحركة الوطنية الهندية ان الشعب الهندي لا يزال في مؤخرة شعوب العالم معنويا وماديا ، اما الزعماء الهنود ففي مقدمة الزعماء العالميين ثقافة وسياسة وتفكيرا . فهذا أحدهم جوهر لال نهرو يعد من أضخم الناس ثقافة واصعهم تفكيرا ، ويقول عنه الكاتب الانجليزي « جون جنتر » في كتابه « في آسيا » ان قليلا من الكتاب الانجليز من يجيد العبارة الانجليزية الرصينة اجادة هذا الهندي الصميم

وسيصدر جوهر لال نهرو قريبا ترجمة حياته باللغة الانجليزية ، يعرض في اثنائها قصة الحركة الوطنية في الهند وما قطعته من اشواط في الماضي وما ترمي اليه من اهداف في المستقبل . ويجمل في خلالها الحياة العامة لهذا الشعب الكبير وما يعترض طريق نهضته من عوائق الجهل والفقر والتفكك والمنازعات . وقد اصدر « نهرو » منذ بضع سنين ترجمة لحياته فكانت أهم تعبير عن سعي الهند في سبيل الحرية وسبيل الارتقاء ، وقد أزمع اكمالها باضافة ما وقع له في السنوات الاخيرة وما طرأ على الحركة الوطنية من تحوير وتعديل . ولا شك ان كل من يعنيه أمر الحياة السياسية في الشرق ، بل كل من يريد ان يدرس جانبا من اخطر جوانب السياسة العالمية ، يجب ان يقرأ تاريخ هذا الزعيم المفكر

الكتب الجديدة

الايام

الجزء الثاني

للدكتور طه حسين بك

(طبع بمطبعة المعارف بمصر . صفحاته ٢١٢)

ترجمة الانسان عن نفسه « Auto-Biography » من امتع الدراسات وأحب التراجم الى القراء . وقد كثرت هذه الترجمة وتعددت في العصر الاخير . وازدادت مع هذه الكثرة رغبة القراء فيها واستمتاعهم بعناصر تحليلها وما فيها من شعور صادق واعترافات وآمال واحلام .

و « الايام » الاولى عن طفولة عميد الادباء في الشرق العربي الدكتور طه حسين بك اشهر من ان تعرف ، وامتع من ان تحلل ، وفيها من الشعور الصادق والتحليل والترجمة عن تلك النفس الكبيرة الزاخرة بالعواطف النبيلة الصادقة ما يمس أوتار القلوب ويهز المشاعر هزا .. وهو في « ايام » شبابه ودراسته اعمق وامتع ، وريشته فيها ريشة الفنان الكبير وقلمه قلم الاديب الذي لا يشق له غبار .

وانت اذا شرعت في قراءة هذا الكتاب لاتدعه حتى تتمه . فهذا الشاب الذي « اقام في القاهرة اسبوعين أو اكثر من اسبوعين لا يعرف من امره الا انه ترك الريف وانتقل الى العاصمة ليطيل فيها المقام طالبا للعلم مختلفا الى مجالس الدرس في الازهر » ، يحدثك عن مسكنه ومأكله ومشربه والطرقات التي تفضي الى صحن الازهر حديثا كله سحر ، ثم يعود بك الى غرفة هي « غرفة النوم وغرفة الطعام وغرفة الحديث وغرفة السمر وغرفة القراءة والدرس » .. ويزور معه « الحاج فيروز » الذي يتفرغ اليه طلاب العلم « اذا تقدم الشهر أو تأخر المرتب ليقرضهم القرش والقرشين » .. ثم يعاود الحديث عن الازهر حين يملأ النسيم المترقرق في صحنه قلب الطالب الشاب عند صلاة الفجر امنا وأملا . ولماذا وفد اليه .. « ليتلقى شيئا لم يكن يعرفه ولكنه كان يحبه ويندفع اليه دفعا ، طالما سمع اسمه وأراد ان يعرف ما وراء هذا الاسم ، وهو العلم .. » « وكان يشعر شعورا غامضا ولكنه قوي بان هذا العلم لا حد له وبان الناس قد ينفقون حياتهم كلها ولا يبلغون منه الا أيسره . وكان يريد ان ينفق حياته كلها ، وان يبلغ من هذا العلم أكثر ما يستطيع ان يبلغ مهما يكن في نفسه يسيرا » . ثم يصف لك حلقات العلم في الازهر وانتظار الطلاب لاساتذتهم حول هذا العمود أو ذاك ، فاذا اقبل الاستاذ استمعوا اليه « في هدوء وفتور يشبهان هدوء الشيخ وفتوره .. »

وعلى هذا المنوال يترقرق حديث الدكتور كالماء السلسل الى ان يقطع الصلة بينه وبين الازهر في دخيلة نفسه واعماق ضميره وان يكن مقيدا في السجلات ، ويلتحق بالجامعة المصرية القديمة تاركا الازهر ومن فيه . وكلما أحسسنا اللذة والاسترسال عاجلنا بلمسة من تلك اللمسات التي تفيض بالألم والعذاب . ثم يحس انه آلمنا فيعود الى الاسترسال والى تصوير القاهرة القديمة ، قاهرة المعز وبيبرس التي لا تزال حافظة لعهدها القديم . ومن خلال عذاب الطالب الشاب وتأملاته تلمس نواحي تلك العبقرية التي ظهرت فيما بعد وافتتحت في عالم الادب العربي عهدا جديدا وشادت مدرسة جديدة كلها علم وفضل

سيرة احمد بن طولون

تأليف ابى محمد عبد الله بن محمد المديني البلوى . حققها وعلق عليها الاستاذ محمد كرد على

عنيت بنشرها المكتبة العربية بدمشق

(طبع بمطبعة الترقى بدمشق . صفحاته ٤٠٠)

الاستاذ محمد كرد على من كبار الباحثين العاكفين على الآثار المطبوعة والخطية من زمان طويل . وهو فى ذلك اشبه بعلماء المشرقيات

وان من نافلة القول ان نسهب فى اهمية « المشرقيات » وما تتطلبه من علم واسع وصبر جميل وخبرة طويلة بالوثائق والمخطوطات وانواع الخطوط وتاريخها وما يجد الباحث على هوامش المخطوط من « الحاق » وتعليقات ، وكل ما يمت الى هذا العلم الجليل بسبب قريب أو بعيد ، فان علم الخطوط والمخطوطات Paleography أصبح له فى الدراسات العلمية والجامعية مكان الصدارة فلا ينسب اليه الا كل عالم جهبذ أو محقق دقيق

والمخطوط الذى نحن بصدده ليست له الا نسخة واحدة . وهذا يزيد من قيمة العمل الذى قام به الاستاذ كرد على ، فان مقارنة المخطوط بامثاله تسهل عمل الناشر وتهديه الى الصواب فى أكثر الاحيان ، أما العمل فى نسخة واحدة فيتطلب مجهودا مضاعفا ويستغرق فى التمحيص وقتا جد طويل . فاذا اضفنا الى ذلك ان المخطوط كتب فى القرن الثالث الهجرى ، وانه غير منقوط فى عهد كان النقط فيه يعد سبة للقارىء وتحقيرا لعلمه وفضله ، استطعنا ان نحكم على عمل الاستاذ الفاضل بانه عمل علمى من الطراز الاول

والمخطوط يتناول عصرا من ازهر عصور تاريخ مصر الاسلامى ، عصر ابن طولون وسيرته الفيحاء فى طفولته وشبابه وولايته على مصر ، تنتقل فيه بين القاهرة وبغداد والثغور الاسلامية ، وتسرح خيالك فى ابهاء القصور وميادين القتال ومجالس الدولة وحلقات الانس والسمر . وتدرس طبائع النفوس وما تكن احيانا من خيانة وما تعلن من نبالة وطيب عنصر ، وحيثما كنت تهيمن عليك شخصية ابن طولون الفذة وتطالعك ألوان دهائه وقدرته كرجل دولة وصنو كفاح . وفى هوامش الكتاب يجرى قلم الاستاذ كرد على السيال بكل طريف متين من الابحاث اللغوية والحقائق العلمية التاريخية

وفى ذيل الكتاب فهارس دقيقة لمراجع التصحيح والتعليق ، ولاسماء الرجال والنساء والامم والجماعات ، وللبلدان والبحار والانهار والاماكن . مما يضفى عليه ثوبا علميا قشيبا نحن فى مسيس الحاجة اليه والى اشباهه

وقد اسدت المكتبة العربية بدمشق بنشرها هذا المخطوط النفيس والتعليق عليه خدمة من أجل الخدمات العلمية للتاريخ المصرى الاسلامى خاصة والتاريخ والثقافة الشرقية عامة

نظام القضاء فى مصر

من الفتح الاسلامى الى الفتح العثمانى

للاستاذ ابراهيم جلال بك

رئيس محكمة المنيا الاهلية

(طبع بمطبعة صادق بالمنيا . صفحاته ٣١)

هذه رسالة قيمة فى تاريخ القضاء فى مصر من الفتح الاسلامى الى الفتح العثمانى للباحث المدقق الاستاذ ابراهيم جلال بك رئيس محكمة المنيا الاهلية ، يزيد فى قيمتها العلمية ان المؤلف قاض فهو « يسبح فى مياهه » ويصدر فى شتى ابواب القضاء « احكاما » صائبة بروية القاضى المحنك وعلى اساس من « الحيثيات » متين

والرسالة تتناول تاريخ القضاء فى مصر من عام ٢٣ هـ . بتولية قيس بن ابى العاص القضاء المصرى فى ولاية عمرو بن العاص الاولى على مصر . فالشوط التاريخى الذى قطعه المؤلف كما ترى طويل . ولما كانت دراسة ناحية معينة

من التاريخ الاسلامى عامة تقتضى ادمان الاطلاع فى المادة التاريخية باجمعها ، الامر الذى يعرفه كل من عالجوا التأليف فى التاريخ الاسلامى ، فقد وجب علينا ان نحمد للمؤلف الفاضل مجهوده العلمى الذى بذله فى تأليف هذه الصفحات الاحدى والثلاثين

وفى الرسالة ثبت للقضاة المصريين وشىء من تاريخ كل قاض ، وشرح لتطور القضاء فى العصور الاسلامية المختلفة ، وفصل عن مجلس القضاء بالقاهرة عندما استحدث الظاهر بيبرس البندقدارى نظام القضاء ذى المذاهب الاربعة ، وكيف ان كل قاض عين له مفت خاص . ثم يتحدث عن تأليف كل محكمة ونظام العمل فيها ، وانواع الجرائم والعقوبات وتطبيقها ، ويأتى بنبذ مختارة عن الدراسات الفقهية بمصر واعلام القضاة البارزين . وفى آخر الرسالة شرح لاسباب انحلال القضاء المصرى فى عصر العثمانيين اعتمد فيه المؤلف على ما كتبه ابن اياس مؤرخ تاريخ مصر العثمانى . فالرسالة جيدة وجديرة بالاقتناء وبخاصة لرجال القضاء فى مصر والشرق الاسلامى ، ويا حبذا لو اتخذها الاستاذ المؤلف اساسا لكتاب كبير فى الموضوع نفسه لان دراسة القضاء الاسلامى ما تزال فى حاجة الى المزيد

علم الصحة

للدكتور عبد الواحد الوكيل بك

(طبع بمطبعة فتح الله الياس نورى واولاده بمصر . صفحاته ٥٨٦)

جرت العادة فى الكتب الطبية على ان تكون لغتها وتعبيراتها علمية لا يطيقها الا الاطباء وخاصة القراء . والقليل من هذه الكتب يمكن ان تتناوله ايدى جمهرة الناس وتفهمه . وكتاب علم الصحة هذا من تلك الكتب القليلة التى تفيد الخاصة ويفهمها الجمهور ، ففائدته من تلك الناحية محققة . واقتناؤه مستحسن ليكون بمثابة «طبيب منزلى » يلجأ اليه المريض ورب الاسرة عند الحاجة

والكتاب فى طبعته الثانية يشتمل ــ فضلا عن معلوماته العامة ــ على برامج تدريس الطب لمعاهد الممرضات والمولدات والزائرات الصحيات والمعاونين الصحيين والمعلمين وطلاب الخدمة الاجتماعية . وبه ١١٨ شكلا ورسما بيانيا فى مختلف المسائل الطبية ، فضلا عن ابحاثه المفيدة فى التغذية الصحية التى اصبحت تشغل بال الكثيرين فى عصرنا الحاضر . وعلى الجملة فهو سفر طبى ضخم يعد بحق مرجعا من أهم المراجع الطبية فى لغة الضاد

ديوان الكاظمى

المجموعة الاولى

(طبع بمطبعة ابن زيدون . صفحاته ٣٦١)

لما توفى السيد عبد المحسن الكاظمى فى عام ١٩٣٥ روع العرب فى وفاته وتساءل الناس فى حسرة : ترى على تضيع آثار هذا الشاعر العظيم بين صحائف المجلات والجرائد ؟ ومن ذا الذى سيجمعها والسيد رحمه الله كان ينظم احيانا على البديهة ويرتجل القصائد الطوال ارتجالا ؟ وهل توفر السيد على جمع شتات ديوانه فى حياته وهو الذى كان لا يكاد يفرغ من شئون معاشه حتى تطالعه ربة الشعر ، فلا يكاد ينظ. حتى تعاوده حاجاته المادية . لكن كريمته البارة السيدة رباب الكاظمى ما لبثت ان عنيت بعد وفاة ابيها بجمع شعره ، فحمدنا لها تلك المأثرة على الادب العربى

وقد عنى بنشر المجموعة الاولى من الديوان حضرة السيد حكمت الجادرجى نائب قنصل العراق العام بدمشق ، وقدم له معالى الاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق بقوله ان السيد الكاظمى « كان شاعرا بفطرته ، وبنوع من الوراثة » وان بينه وبين الشريف الرضى نسبا وملامح فى شعره واخلاقه . وقدم له الاستاذ

الكبير عباس محمود العقاد بقوله انه « كان من العربية فى بيته وبين اهله وذوى قرباه ، لاتكلف ولا مبالغة ، ولكن لا اهمال مع ذلك ولااعراض»

وانه لمن اشق الامور على الكاتب ان يتحدث عن شاعر فحل ترك للادب العربى تراثا خالدا كالسيد الكاظمى فى مثل هذا المكان الضيق .

غير انه لا يفوتنا ان نقول ان شاعر العراق ونزيل مصر كان شاعر البداوة ، وصفاء النفس، والبساطة ، وجوهر الشعور دون العرض والزخرف

ولا شك ان جميع الذين ساهموا فى جمع شعر الكاظمى قد استجابوا للهفة محبى السيد والمعجبين باشعاره فى الشرق العربى واشتياقهم الى قراءة قصائده الفذة مجموعة فى ديوان . وعسى ان نرى فى السنين القليلة المقبلة مجموعة ثانية وثالثة ، وعسانا نتلقى من حفاظ شعر الشيخ الجليل بعض ما لم يعثر عليه من شعره الى الآن، فليس ضياع الشعر الجيد من هينات الامور ، وليس احب لدينا من المساهمة فى الوصول الى اقصى ما يمكن جمعه من آثار الشاعر الفطرى المطبوع

التصوير والنحت فى القرن الخامس عشر

تأليف الاستاذ محمود صدقى الجباخنجى

(طبع بمطبعة لنشونى بالقاهرة . صفحاته ١٠٤)

الاستاذ محمد صدقى الجباخنجى من خيرة الفنانين المصريين الذين لهم آثار قيمة فى فن الرسم والتصوير ، وقد ألف هذا الكتاب فى المدرسة الايطالية ، وقال فى مقدمته : « ان كانت المؤلفات الفنية فى العالم العربى فى حاجة الى مجمل عن تاريخ الفنون الجميلة فى أوربا ، فالمدرسة الايطالية أول المدارس التى تستحق عناية الكاتب والقارىء . واذا اعتبرنا ان الفنان هو اجدر من يقدر على الخوض فى الحديث عن فنه فان الشرف الذى يعود عليه بالاستماع الى حديثه فى اطمئنان وثقة هو خير مكافأة له على جهده فى استيفاء ابحاثه ، فان الشباب المثقف اقدم اول كتاب عن فن التصوير والنحت فى ايطاليا فى القرن الخامس عشر فى مختصر من القول »

وقد بدأ المؤلف هذا الكتاب بفصل نفيس عن التصوير فى ذلك القرن ، وعن التطورات التى اعتورته ، وعن اساليب الفنانين ، الذين كانوا يعيشون فيه ، وعن مميزاتهم ، ثم تناول مدارس التصوير الشهيرة فى ذلك القرن ، وهى مدرسة فيرينسا ، ومدرسة سيينا ، ومدرسة ماركا ، واومبرا ، وباردفا ، وفينيسيا ، وفيشينزا ، وفيردنا ، وايجيليا ، ولومباردا ، وتكلم عن كل مدرسة بايجاز مفيد ، كما ارخ لكبار الفنانين فى ذلك القرن مثل بياتو انجيليكو ، ومازدلينو ، وبيترو فرانشيسكى وغيرهم

ثم عرض لوحات فنية جميلة لاشهر هؤلاء الفنانين ، ومنها لوحة عذراء النجمة ، وآدم وحواء ، ومريم العذراء وطفلها ، وتعميد المسيح، والعائلة المقدسة ، وآلهة الجمال ، وبهجة الربيع

كتب أخرى

(الاجتهاد فى سبيل الاتحاد) كتاب نفيس للمرسلين البولسيين فيما حدث من الانفصال وما بذل من المساعى لاعادة الاتحاد بين الكنيستين الشرقية والغربية من القرن التاسع حتى الآن ، وضعوه ونشرته زميلتنا الغراء « المسرة » هدية لقرائها بمناسبة الذكرى المئوية الخامسة لمجمع فلورنسا (١٤٣٩-١٩٣٩) . وقد طبعته مطبعة القديس بولس بحريصا وصفحاته ١٥٨

(الميثاق العربى الوطنى) وهذه كلمات قيمة للامام محمد الحسين آل كاشف الغطاء فى الدين والوطنية والاخلاق جمعها ونشرها الاستاذ عبد الغنى الخضرى ورصد ريعها لمدرسة الحجة كاشف الغطاء العلمية . وقد طبعت بالمطبعة الحيدرية بالنجف الاشرف

الدم يشرب

(بغداد ــ العراق) جوزيف شوال

١ ــ هل من ضرر اذا شرب الانسان دما آدميا ؟

٢ ــ هل يموت الانسان اذا نقص من دمه ملء زجاجة كبيرة ؟

٣ ــ هل يغلى دم الانسان اذا غضب غضبا شديدا ؟

(الهلال) ١ ــ لا شك فى ان الدم الملوث بجراثيم الامراض . أو المنساب من جسم معتل موبوء ، يؤذى شاربه أذى بالغا ، ولكنه لايصاب بضرر اذا أخذ جرعة من دم جسم سليم . ومن المعروف ان الذين يضلون فى الصحراء قد يضطرون الى جرح أجسامهم وامتصاص بعض دمائهم عندما يأخذهم الظمأ القاتل . ومن الامراض العقلية ما يدفع بالمصابين بها الى تجريح أجسامهم وارتشاف دمائهم

٢ ــ قد يفقد الانسان نصف كمية الدم الجارى فى عروقه دون ان يموت . وهذه الكمية يتراوح مقدارها بين ٥ ٠/٠ و ٧ ٠/٠ من وزن الجسم فانتقاص ملء زجاجة من الدم لا يميت الانسان ولكن قد يضعفه اذا كان هزيلا أو مريضا بالانيميا وهى فقر الدم . على أن انتقاص بعض الدم قد يأتى بفائدة ، ولهذا يلجأ بعض المرضى الى هذه الديدان التى تمتص الدماء ، كما يلجأ آخرون الى الاطباء أو الى الحلاقين لتجريحهم واسالة بعض دمائهم

٣ ــ درجة حرارة الدم لا تتغير بتغير الانسان بين حالات الفرح والغضب والهدوء . والحرارة التى تسرى فى الجسم عند شدة الغضب مصدرها سرعة حركة الدم وما يصيب المعدة من الاضطراب

هل الثقافة لازمة للاديب ؟

(القاهرة ــ مصر) طالب جامعى

قرأت تاريخ شكسبير . فوجدت ان هذا الشاعر الذى يعد أعظم شعراء العالم لم يكن على حظ ما من الثقافة ، فاعتقدت ان الثقافة ليست لازمة للاديب أو للفنان الموهوب . فهل تقروننى على رأيى ؟

(الهلال) الادب ــ كما قال نقاد العرب ويؤيدهم النقاد المحدثون ــ هو الاخذ من كل شىء بطرف ، أى ان يكون الاديب مثقفا ثقافة شاملة مع التعمق والتخصص فى النواحى التى يستمد منها مادة أدبه . كالتاريخ ان كان قصصيا تاريخيا ، أو الاجتماع والسيكلوجيا ان كان قصصيا اجتماعيا ، والدين والفلسفة ان كان قصصيا فلسفيا وهكذا .. على ان الثقافة لا تخلق أديبا مهما عظم نصيبه منها ، لان الاديب قبل كل شىء فنان وهبته الطبيعة الملكات التى يتطلبها فهم الحياة من ناحية وتصوير الحياة من ناحية أخرى . ولكن ملكات الاديب قد تضعف أو تموت اذا لم يغذها بالدراسة الواسعة والاطلاع المتواصل فالثقافة غذاء الاديب وان لم تكن مصدر حياته

ولم يكن شكسبير على غير حظ من الثقافة . فقصصه تدل على انه وعى جيدا نواحى الثقافة المعروفة فى عصره ، كتاريخ اليونان والرومان وأسفار الرحالة ومذاهب المفكرين المعاصرين . حتى خيل الى بعض نقاده ان رواياته لا بد ان تكون من وضع رجل عظيم الثقافة مثل الفيلسوف العالم « بيكون » . ومع هذا فقد انقضى العصر الذى كان الاديب يكتفى فيه بثقافة بسيطة ، وصرنا فى عصر معقد يجب أن يصيب فيه الاديب أعظم حظ من الثقافة . وانك تقرأ الآن اديبا كويلز

أو شو تقراهما يتحدثان كما يتحدث الاخصائى فى جميع فروع الثقافة فمن التاريخ الى الاقتصاد الى الميكانيكا الى الكيميا الى الدين الى التربية الى السيكلوجيا . وتقرأ جوته أو مترلنك فتجد عالمين عظيمين من علماء التاريخ الطبيعى . وادباء اليوم لا يسبحون بين الافلاك ولا يعيشون فى أبراج عاجية ، بل يعيشون بين الناس ويدرسونهم ويصفونهم ويحلون مشاكلهم فيجب ان يفهموا الدنيا فهما واسعا صحيحا وهذا لا يتيسر دون ثقافة عظيمة

انواع المستعمرات

(القاهرة — مصر) يوسف جاد الحق

تقرأ فى الصحف ان الهند تريد « الاستقلال الذاتى » . فما معنى هذا ؟

(الهلال) الاستقلال الذاتى الذى تسعى اليه الهند هو استقلالها فى ادارة الشئون الداخلية وفى توجيه كثير من أمور السياسة الخارجية على نحو ما تفعل كندا واستراليا مثلا . واذا نظرنا الى اجزاء الامبراطورية البريطانية ، وتتبعنا تطور تاريخها السياسى والاقتصادى ، وجدنا انها تنقسم قسمين : مستعمرات مثل رودسيا وتنجنيقا والكمرون وممتلكات مثل كندا واستراليا ونيوزيلنده وجنوب افريقية . وهذه الممتلكات مستقلة استقلالا تاما فى شئونها الداخلية ، فلها وزاراتها وبرلماناتها وقوانينها ، كما انها تكاد تكون مستقلة تمام الاستقلال فى سياستها الخارجية ، فلها ان تشارك بريطانيا فى الحرب أو تقف منها ومن أعدائها موقف الحياد . وكل ما يربطها ببريطانيا هو « التاج » الذى يبسط لواءه على جميع اجزاء الامبراطورية . كما أن العلاقات الاقتصادية بين بريطانيا وممتلكاتها لا تقوم على اساس العلاقة بين الحاكم والمحكوم بل تنظمها محالفات وضعت على اساس من التعاون والاتفاق . اما المستعمرات فتخضع لبريطانيا مباشرة ، ويدير شئونها حكام بريطانيون ، كما ان سياستها الخارجية موكولة الى الوزارة البريطانية . فما تريده الهند هو ان ترقى الى مستوى هذه الممتلكات ، فتستقل فى ادارة شئونها الداخلية وتظل جزءا من الامبراطورية يستمتع بما يستمتع به سائر الاجزاء من مزايا سياسية واقتصادية عظيمة . ويلاحظ ان الهند ليست الآن فى مستوى المستعمرات ، بل هى — من الوجهة السياسية — أرقى من المستعمرات وأدنى من الممتلكات . ولهذا اختصت بوزارة مستقلة ولم توكل شئونها الى وزارة المستعمرات ولا الى وزارة الممتلكات

الشرب والاكل معاً

(دمشق — سورية) مشترك

ما رأى الطب فى شرب الماء فى اثناء تناول الطعام ؟

(الهلال) كثير من الناس يتعودون فى الطعام عادة سيئة مضرة ، هى الاستعانة بالماء على ابتلاع الطعام ، فبدلا من ان يمضغوا اللقمة مضغا جيدا يسهل على المعدة مهمة هضمها يجرعون جرعة من الماء يتزلق معها الطعام

ولكن اذا أحس الانسان بالظمأ فى اثناء الاكل ، فالاصح ان يشرب من الماء ما يروى ظمأه . وليس صحيحا ان الماء يعطل عملية الهضم اذا شرب فى اثناء الاكل ، ولكنه يعطلها اذا شرب بعد الاكل بأقل من ساعتين

وتؤدى عملية الهضم الى تحويل ٨٠ ٪ من كمية الطعام الى ماء . وهذه النسبة موجودة فى اللبن وفى الفاكهة وفى الخضراوات . ولكن اذا تناول الانسان طعاما مجففا أو مركزا فيحسن ان يعاون المعدة على هضمه بكمية من الماء ، والا اضطرت المعدة الى امتصاص ما يلزمها من الماء من الدم . فالشرب القليل فى اثناء الاكل مستحب ، كما انه بعد الاكل بأقل من ساعتين معطل لعملية الهضم

أغـــــلال

(بقية المنشور على صفحة ٦٣٥)

ونظرت اليها شزراً ، وقالت لها فى لهجة مبتورة : « حسنا ! »

وكان هذا كل ما تبادلناه من الحديث فى تلك الليلة ، واستيقظت فى غدى مبكراً ، وقصدت الى دار « مؤمن افندى » تاجر الغلال ، وكنت أعرفه ، وهو شاب مرح ألوف للهو ، وله مغامرات موفقة مع النساء . فلما رآنى رحب بى ، وبعد مقدمة صغيرة قلت :

— أتعرف فتاة تسمى غندورة !

فصمت قليلا ، ثم قال :

— ذات العينين الواسعتين ، أجل ، أعرفها جيداً ، لقد كانت خادمة عندى !

قال ذلك وهو يبتسم ، فلم اجد من نفسى دافعا للابتسام . وسألته :

— وهل خدمت عندك طويلا ؟

— بضعة اشهر ...

وكان يلعب بسلسلة ساعته ، وهو ما زال يبتسم . وشعرت بأنه يكتم نكتة أو خبراً شائقا يريد الافضاء به إلى . فأسرعت فى الكلام ، لأصده عن غرضه ، وقلت : « ولماذا تركت خدمتك ؟ »

فاهتز فى مجلسه ضاحكا ، واشتدت مداعبته لسلسلة ساعته . وشعرت بأن إجابته على سؤالى الاخير ستنفجر كالقنبلة أمامى ، ولمت نفسى على سوء اختيارى للسؤال . وعجبت لماذا ورطت نفسى فى الحضور بلا داع . وقلت فى تحد ظاهر : « لماذا أخفيتَ عنى كل هذا ؟ »

فنظر إلى متعجباً ، وقال : « ومن أين لى ان أعلم بأنك مهتم بهذا الأمر ؟ »

ولا أدرى كيف تطور الحديث بيننا ، فألفيت نفسى أحتد مع صديق ..

وتراشقنا بألفاظ جارحة ..

وأمضيت اليوم مختفياً عن الأنظار ، أجول فى القرى المجاورة ، وفى المساء عدت الى دارى منهوك القوى مغموماً . وجاءتنى غندورة بالطعام ، ولما أرادت أن تغادر الحجرة استوقفتها وقلت : « أقسم بالله انك مسرورة من سفرى ! »

فرفعت عينيها الواسعتين ، وقالت : « أنا .. ؟ ! »

— وانك تنتظرين ساعة رحيلى بفارغ صبر ، لتذهبي عند مؤمن افندى ! .. هـذا شىء لا يهمنى بالطبع ، إنما كنت أنتظر منك وفاء أكثر من ذلك على كل حال .. لن أفكر فى انقاس مكافآتك .. كلتى واحدة !

— أؤكد لك يا سيدى

فقاطعتها قائلا : « ان صداقتك به قديمة .. من يدرى ؟ .. ربما .. »

ولم أتمم جملتى ، بل استطردت أقول : « متى قابلته ؟ »

— أمس ، لأكلمه بشأن استخدامي ..

— واليوم ؟

— لم أترك عتبة الباب !

— كذابة .. هل تظنين اننى غبى لأصدقك ؟

وساد الصمت بيننا لحظة ، وقمت اليها فجأة ، وجذبتها من شعرها ، وأنا أقول : « اعترفى لى بحقيقة العلاقة التى بينك وبينه ! »

— أقسم لك انه لا ..

— اخرسى يا لئيمة ، يا منكرة الجميل .. غداً ستفارقين منزلى .. أسامعة ؟ .. لن أقبلك يوما واحداً بعد الآن فى خدمتى .. سأطردك طرد الكلاب ، وستخرجين من بيتى كما جئت بخرقتك القذرة .. أسامعة ؟

وتركتها ، وقد سكنت ثائرتى ، وشملنى ارتياح ، وذهبت الى الأريكة أجلس عليها . أما هى فقصدت الى باب الحجرة الثانية ووقفت بجواره وهى مطأطئة الرأس ، وأشعلت لفافة ، وبقيت أدخن وأفكر فى شتى الأمور : تركى بنها ، زواجى من كرعة بدر بك ، مؤمن افندى ..

وطالت جلستى ، وبدأت أتثاءب .. وتناولت الجريدة وأخذت أتفرج فى صفحتها المصورة ، ثم تمددت على الأريكة ، والصحيفة بين يدى ؟ وبعد قليل أحسست يدين تربتان قدمى فى رفق وهوادة .. وأغمضت عينى وأنا أبتسم ..

* * *

وأمضيت اليومين الباقيين فى منزلى ، أعد معدات الرحيل ، وكنت كثير الصمت والتفكير ، لا أكلم غندورة الا فى الأمر الضروري ، وتولانى كر... ...أم ..

ولما حل يوم السفر ، استيقظت من النوم مبكراً ، وتركت المنزل أبغى التنزه واستنشاق نسيم الصباح . ووجدت نفسى أقترب من دار البريد ، ودخلتها فى عجلة ، وتناولت ورقة من أوراق البرقيات ، وكتبت فيها :

« خيرى افندى عبد المجيد بشارع مصطفى باشا فاضل بالقاهرة . ألغيت سفرى والتفاصيل بالبريد
أسعد »

وناولت الورقة عامل البرقيات ، ونقدته ما طلب . وخرجت وأنا أجفف عرقى .. واتجهت الى دارى ، منكس الرأس ، أمشي وئيد الخطا ..

محمود تيمور

فهرس الهلال

الجزء السادس من المجلد التاسع والأربعين

جهود الملك فؤاد
فى الاصلاح الاجتماعى

بقلم كبير من رجال القصر الملكى

فى هذه الآونة التى ينشط فيها الاصلاح الاجتماعى فى مصر وتقوم به وزارة خاصة ، رأى الهلال أن يتحدث لقرائه عن جهود خالد الذكر الملك فؤاد الأول فى شتى نواحى الاصلاح . وقد جاء ذلك فى مناسبة ذكرى وفاته الرابعة فى ٢٨ أبريل الماضى . وقد طلبنا الى كبير من رجال القصر أن يتفضل بكتابة هذا المقال القيم الذى تناول فيه ناحية لم يعرفها الكثيرون عن هذا العاهل العظيم الذى لم تشغله الازمات السياسية عن بذل راحته وجهوده فى سبيل مجد قومه طيب الله ثراه

كان من فضل ربى وتوفيقه أن نلت شرف الخدمة فى معية الملك فؤاد رحمه الله حوالى خمس عشرة سنة منها تسع وهى الأخيرة من حياته المباركة كان لى فيها شرف الاتصال بجلالته فراعتنى أعماله وراعتنى آراؤه كما راعتنى وطنيته الرزينة العاقلة ، تلك الوطنية التى تبنى على الاساس المتين . تبنى للمستقبل وهى غير عابئة بمديح يرجى أو بعاجل ثمرة تجنى ، كما راعنى فى ذلك الخلق المتين أن كبير الأمور وخطيرها ما كان ليثنى جلالته عن أعمال تبدو فى ذاتها ضئيلة أو ان كانت هامة فهى على الأقل غير عاجلة الانتاج

التاريخ شاهد بأن حكم الملك فؤاد رحمه الله اقترن منذ بدايته فى سنة ١٩١٧ بتطور السياسة فى مصر تطوراً خطيراً . إذ انه ما كاد ينقضى العام الأول على ارتقائه عرش آبائه وأجداده ، حتى عقدت الهدنة (١١ نوفمبر) ثم تقدم بعض رجالات مصر (١٣ نوفمبر) الى العميد البريطانى بمطالب كان لها أجل الأثر فى مستقبل البلد

سيبين التاريخ يوم تسمح الظروف ويجيز العرف ما كان من نصيب الملك فؤاد فى الحركة الوطنية وما كان له من أثر فعال فى هذه الناحية أو تلك من هذه الحركة فى حفظ البلد مما كانت تستهدف له من خطر . فمنذ الساعة الاولى وهو يبذل الجهد تلو الجهد فى سكون لتوجيه الحركة التوجيه الحكيم المنتج . وكان فى الوقت نفسه يعنى بكافة المرافق فى بلده الامين

كانت البلاد قائمة على قدم وساق والاضطرابات تترى من أقصى الصعيد الى ساحل

البحر ، وكان جلالته وهو يقدر خطورة الموقف ويسعى جهده ليحول دون نكبة مصر لا ينا يفكر فيما عساه أن يعمل لخير مصر من الناحية العلمية أو العملية

ففى سنة ١٩٢٠و١٩٢١ بدأت تتجلى عنايته بالازهر الشريف وبالمعاهد الدينية ويدخل عليها ما يرى من تعديلات نافعة ويهتم أجل الاهتمام بتحويل الجامعة المصرية القديمة إلى جامعة رسمية . وكان فى الوقت نفسه يعنى بما يجمع فى القصر من محفوظات تاريخية . وكان يعمل لدعوة المؤتمر الجغرافى الى الانعقاد فى القاهرة عام ١٩٢٥ بعد أن دبت فى الجمعية الجغرافية بفضله روح جديدة وحياة قوية . ويهتم كذلك بتمهيد الطريق لمؤتمرات أخرى تعقد فى مصر

كان يعنى بالمؤلفات التاريخية ، يشجع رجالها وينفق عليها عن سعة ويتبرع بما يطبع منها على نفقته الخاصة للجمعية الجغرافية تبيعه وتفيد من ثمنه

كان يحث سراة البلد وأغنياءه على التبرع بشيء من مالهم للجمعيات العلمية والخيرية ويثيبهم على ذلك بما يشيد بفضلهم من رتبة رفيعة أو نشان . فرأينا جمعية الاقتصاد السياسى والتشريع وجمعية علم الحشرات تبنيان لها ما يرى اليوم فى شارع الملكة نازلى من بناءين شامخين على طريق الترام يظلان العلماء الذين يختلفون اليهما باحثين منقبين

سافر رحمه الله وطيب ثراه الى أوربا فى سنة ١٩٢٧ فى زيارات رسمية الى بعض الدول فكان يجمع الى القيام بمهمته الرسمية حرصه على ألا تفوته فرصة تتاح للتردد على متحف فنى أو معرض صناعى علّه يجد فيه ما يستفيد منه ويفيد به مصر . وكان فى الوقت عينه يتتبع عن كثب مفاوضات المغفور له ثروت باشا مع السير أوستن تشمبرلن ويمد وزيره الاول بنصائحه الغالية وارشاداته الثمينة . وكان فى تلك السنة فى فيشى يتصل بالمستشرق الشهير البارون ديرلنجيه ويفاوضه فى عقد مؤتمر للموسيقى العربية فى القاهرة . كما انه فى تلك السنة عينها اتفق مع المسيو جبرائيل هانوتو على إصدار تاريخ شامل لمصر من أقدم العصور الى وقتنا الحاضر

وفى سنة ١٩٢٩ سافر للمرة الثانية الى أوربا فكان شأنه رحمه الله هذه المرة كما كان فى المرة السابقة . رأيته رحمه الله عقب وصوله من الاسكندرية الى جنوا يهتم بتفاصيل الزيارات الرسمية التى كان ذاهباً اليها فى المانيا وتشيكوسلوفاكيا وسويسرا وفى الوقت نفسه يطالع باهتمام تقرير المسيو كلاباريد عما شاهده فى مصر خاصاً بالتعليم وأساليبه . فلما حط رحاله فى انجلترا للاستفسار عن صحة الملك جورج الخامس الذى كان مريضاً اذ ذاك وكان حضرة صاحب المقام الرفيع محمد محمود باشا يفاوض المستر هندرسون فى شأن المعاهدة بين مصر وانجلترا

أخذ جلالته يتتبع سير المفاوضات ويقابل رجال السياسة الانجليز . لم يتوان جلالته عن زيارة متاحف لندرة ومعارضها بل انتهز أيضاً فرصة وجوده هناك للاتفاق مع الاستاذ دودويل على تأليف كتاب فى تاريخ مصر فى عهد المغفور له محمد على باشا الكبير ولدعوته للشخوص الى مصر ليطلع على كنوز محفوظاتها ويستوحيها فيما يشيد بمجد مصر ويظهر عظمتها للملأ أجمع

وفى سنة ١٩٣٠ لم يحل مرض أليم اعتراه إذ ذاك دون اهتمامه بانشاء جمعية علم أوراق البردى واهدائها مجموعة من أوراق البردى تبلغ قيمتها نحو الف جنيه والتبرع لها بألف أخرى نقداً لتستعين بها على ضروريات حياتها الأولى . وكان فى الوقت نفسه شديد الاهتمام بجمعية الاسعاف فأمرنى بالذهاب الى سكرتير الجمعية العام المهندس دى كاسترو لأطلب منه أن يضع خريطة للقطر المصرى يبين عليها مراكز الاسعاف الموجودة ويدل على الجهات التى لابد من إنشاء مراكز بها . ثم أخذ جلالته فى أوائل سنة ١٩٣١ ينفذ مشروعه الخاص بمؤتمر الموسيقى العربية حتى انعقد المؤتمر فعلا فى شهر مارس من السنة التالية . كما أنه كان شديد الاهتمام بانشاء المجمع الملكى للغة العربية فأخرج مشروعه الجليل إلى عالم الوجود فى السنة التالية

اشتد المرض بجلالة الملك الراحل فى صيف سنة ١٩٣٤ وتحرجت السياسة بين مصر وانجلترا . وكان المندوب السامى مسافراً بالاجازة فانتدبت وزارة الخارجية البريطانية المستر بترسون رئيس القسم المصرى بها ليقوم مقامه ، وعين صاحب الدولة أحمد زيور باشا رئيساً للديوان الملكى ، الى غير ذلك مما نذكره جميعاً من جسام الحوادث فى ذلك العهد . وكنت مرضت قبل ذلك مدة طويلة لم أستطع خلالها أن أتشرف بالمقابلة الملكية الى أن كان يوم ١٢ نوفبر سنة ١٩٣٤ . فى ذلك اليوم استدعيت الى قصر المنتزه العامر فألفيت جلالة الملك رحمه الله فى قاعة الاستقبال فى دائرة الحرم وهو ضعيف هزيل شاحب اللون مما عاناه من الآلام. وما ان مثلت بين يديه وهنأته بشفائه وسلامته حتى ابتدرنى سائلا : « ما حال المحفوظات التاريخية ؟ وأى شوط قطعتم فى ترتيبها ؟ وهل ثم من جديد فى المؤلفات الجارى طبعها هنا وفى أوربا ؟ وما حال الجمعية الجغرافية وأخواتها ؟ لقد أقعدنى المرض طوال المدة الماضية ولكنى لم أفتأ أفكر فى أعمالنا . وافنى عاجلا بمذكرة عما جرى فى كل هذا » . فأطعت الأمر وانصرفت وكان المغفور له توفيق نسيم باشا فى مكتب التشريفات ينتظر الأمر بتأليف الوزارة

هذا قليل مما وعته الذاكرة . ولا شك أن غيرى من رجال القصر فى ذلك العهد يذكرون أكثر منه وأهم بحكم ما كانوا يشغلونه من مراكز سامية خطيرة

(٠٠٠)

الملك فؤاد

أحسن مثل للعاهل المصلح

بقلم الماجور بولس نيومان

جلالة الملك فؤاد ملك واسع الثقافة ، واسع الاطلاع ، ولوع بتشجيع العلوم والفنون والألعاب الرياضية ، وهو مع هذا ملك بلاد عريقة فى التقدم والحضارة

وجلالته كان أحسن مثل للملك البار برعيته ، العامل لمصلحة بلاده . ومعظم خدماته لشعبه انما هى فى سبيل البر به ، ورفعة مستواه ، ففازت مصر فى عهده بنعم سابغة . وقد صارت القاهرة بفضل عنايته من عواصم البلاد الكبرى ، وأصبحت من خيرة البلدان التى تقام فيها المؤتمرات الدولية ، وقد كان شديد الاتصال بشعبه ، يحضر حفلاته العلمية والادبية والرياضية ، ويوزع الجوائز بيده

وروحه الديمقراطية فى مقابلة الماثلين لديه تغمرهم بعطفه ، وتشعرهم بالاطمئنان اليه ، وتزيل من نفوسهم التصنع الذى يمقته جلالته ، وحديثه صريح خال من الكلفة والغموض

أما معارفه ، فتشمل العالم كله . والدرجات الكثيرة التى حازها من الجامعات المختلفة انما حازها باستحقاق ، لا لكونه ملكا ، بل لعلمه وسعة ثقافته وفضله .

وقد سار جلالته فى الاصلاح ورائده خدمة بلاده ورخاء شعبه

وجلالة الملك فؤاد جدير باعجاب الاجانب بما نشأ عليه من روح ديمقراطية وبما غذى به نفسه من العلوم والمعارف الواسعة

ولقد كنت كلما تتبعت أعماله التى ينهض بها جلالته فى سبيل رفاهية شعبه مع كثرة الدسائس السياسية والاحتلال الاجنبى ، ازددت إعجابا بشجاعته وبقلبه الكبير ، وبتفاؤله الدائم ، وقد قابلت جلالته وحادثته مراراً ، فلم أره يوما ما حتى فى أشد الازمات السياسية محرجاً ضعيف الرجاء ، بل لقد كان يقول :

« ان المثابرة مع الصبر والتأنى ، والايمان والثقة برعاية الله تؤدى حتما الى الفوز »

السياسيون الأدباء
في الوقت الحاضر

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

للادب أثره العظيم فى الحياة العامة ، فهو لا يتناول العاطفة والشعور وحدهما ، بل يمتد الى كل ناحية من نواحى الفكر الانسانى ، وقد زادت الحاجة اليه فى عصرنا الحاضر ، فالسياسى والمالي والاجتماعى ، فى حاجة الى جمال الاسلوب ، وقوة التعبير ، وقد لمعت فى عالم السياسة اليوم أسماء لبعض كبار الساسة امتازوا عن غيرهم بأسلوبهم الادبى ، وقوة تأثيرهم في النفوس ، حتى يصح أن نسميهم السياسيين الادباء ، وهم الذين يتحدث عنهم الكاتب الكبير الاستاذ عباس محمود العقاد فى هذا المقال النفيس (المحرر)

بين السياسة والأدب نسب قديم يتجدد فى العصور الحديثة ولعله سيتجدد فى جميع العصور

فى الزمن الماضى كان السياسى أو الوزير كاتباً للملك يكتب له رسائله ويسجل عهوده ومواثيقه ويكتم أسراره ، فكانت أدوات الوزارة كأدوات الكتابة والأدب فى جملتها ، وكان الوزراء على الاكثر ينشئون ويؤلفون ، وقد ينظمون ويخطبون

وفى الزمن الحديث أصبح السياسيون طائفتين مختلفتين : إحداهما طائفة الوزراء والساسة فى الأمم النيابية الحرة ، والأخرى طائفة الوزراء والساسة فى الأمم التى غلب عليها المستبدون والطغاة ودعاة المذاهب المناقضة للديمقراطية

وكلتا الطائفتين لا تستغنى عن الكتابة والخطابة أو عن الادب فى نوع من أنواعه

فالوزراء والساسة فى الأمم النيابيــة يخاطبون الناخبين ويكتبون لهم فى الصحف ويشرحون برامجهم فى الكتب والرسائل ولا غنى لهم عن حسن التعبير ولو كانوا يبسطون مسائل المال والحرب التى قلما يعنى أصحابها بالبلاغة وتجويد الاسلوب

وقد يبدو للنظرة الأولى ان الحكام المستبدين لا يحتاجون الى مخاطبة الجماهير ولا يعنون بالكتابة والخطابة كما يعنى بهما الحكام النيابيون المعولون على أصوات الناخبين ومشيئة القراء والسامعين

أما الواقع المشاهد فهو أن المستبدين أحوج الى نشر الدعوة من الحكام الدستوريين، لأنهم على قدر ما يسلبون من حرية الأمم ورخائها يحتاجون الى اقناعها وتخديرها وتحسين ما ليس بالحسن من أحوالها وتقبيح ما ليس بالقبيح من أحوال جيرانها

ولهذا يمكن أن يقال ان ما نشر من مؤلفات ستالين ولنين وتروتسكي وهتلر وجوبلز وروزنبرج يربى أضعافا مضاعفة على جميع مانشر من كتابات الرؤساء والوزراء الدستوريين فى بلاد العالم بأسره . وقد قيل فى إحصاء أذيع عند بلوغ ستالين الستين من عمره أن جملة النسخ التى طبعت من جميع آثاره الكتابية والخطابية قد بلغت مائتين وسبعين مليونا موزعة بين لغات الرعايا الروسيين . أما هتلر فشراء كتابه مفروض على كل طالب عال وكل عروس وكل موظف فى الحكومة ، ونسخه المكتبية والجيبية تبلغ الملايين وان لم تقارب رواج رفيقه ستالين !

***

وفى الأمم النيابية قلما تخلو الوزارات من أديب أو مشتغل بالشؤون الأدبية

ففى الوزارة البريطانية اليوم شرشل وايدن وكان فيها إلى وقت قريب دف كوبر وزير البحر السابق وعدو هتلر وصديق فرنسا المشهور

ولا شك أن شرشل أقدم زملائه اشتغالا بالأدب والدراسة والتاريخ ، وأسلوبه فى الكتابة والخطابة لا يجاريه أسلوب وزير فى العصر الحاضر ولا سيا فى العبارات التصويرية والنكات اللاذعة والكلمات المثيرة التى تحفز الهمم وتشحذ العزائم . وقد نشر بعض المجلات كلمات له فى خطبه الأخيرة على طريقة الشعر المنثور فاذا هى لا تختلف عن قصائد الحماسة فى الوقع والرنين


ولستون تشرشل

ولا تنحصر كتابة شرشل ولا اطلاعه فى غرض محدود . فهو يطلع على أفلاطون كما يطلع على الفلسفة الحديثة ، وهو يصور بريشته كما يعنى بدراسة التصوير ، وقد ألف سيرة لأبيه وسيرة لجده الأعلى مارلبرو وسيرة له هو فى شبابه تكلم فيها كثيراً عن غزوات السودان ، وراسل صحيفة المورننج بوست من افريقية الجنوبية أثناء حرب البوير فاشتهر بين المراسلين العالميين ، ودون

تاريخ الحرب الماضية تدويناً هو أقرب الى الأدب والتاريخ منه الى سجلات الساسة والوزراء ، ونقد الأدباء فكانت له نظرات صائبات فى شتى الموضوعات ، ونحسب أن ما كتبه عن برنارد شو هو أصدق ما كتب عن هذا الأديب بقلم من الأقلام

ومن طرائف المصادفات أنه ألف وهو فى الثالثة والعشرين رواية سماها سافرولا Savrola وتخيل فيها ثائراً حراً فى أمة من أمم البلقان يتمرد على دكتاتور طاغية وينهض لانصاف المظلومين ، وتخيل من مناظرها أسطولا يقتحم البواغيز فى تلك الجهات الاشتراك فى النضال القائم هناك

ثم تشاء المقادير أن يكون شرشل بعد ذلك هو مرسل الاسطول الى الدردنيل في الحرب الماضية ! وتشاء أن تجمع فى يديه أعنة القتال لضرب هتلر طاغية العصر الحديث . فهل كانت رواية سافرولا حلماً فسرته الأيام هذا التفسير العجيب ؟

أما إيدن فاهتمامه بالأدب الشرقى — ولا سيما الفارسى — معروف ، وعنايته بالتصوير عناية ناقد أوشك أن ينقطع للنقد فى هذه الفنون ، وله إحاطة حسنة بالأدب الفرنسى الحديث ثم بالآداب الأوربية على التعميم ، ويقول الراوون عنه انه فى اجتماعه الأول بالوزير الفرنسى ليون بلوم لم تنقض عليهما سويعة حتى ألفيا نفسيهما بعيدين من جو السياسة غارقين فى حديث عن الكاتب الفرنسى مارسل بروت

ولا يقل دف كوبر اهتماما بالأدب الفرنسى الحديث عن زميله ايدن بل ربما كان أعظم اشتغالا به وأكثر توفراً عليه

وله كتاب ممتع عن السياسى الفرنسى تاليران ، وكتاب واف عن القائد الانجليزى هايج ، ومجموعة رسائله وخطبه التى جمعت بعنوان « الحرب العالمية الثانية فى مطلعها » من وثائق العصر التى تعين على فهم الأزمة الأخيرة كل من يريد الاستقصاء

على أن الساسة الذين تقلدوا رئاسة الوزارة البريطانية من شمبرلين الى بلدوين الى لويد جورج قد ساهموا جميعاً فى عالم الكتابة والاطلاع بنصيب حسن وان لم يفرغوا لهما من الوقت ما أفرغه أولئك الوزراء

فشمبرلين دائم الاطلاع على شيكسبير وبعض القصاصين المحدثين ، وشكواه الاولى من هتلر فى هذا الصدد انه لم يكن يدع له وقتاً للفراغ من قراءة كتاب كما قال فى إحدى الخطب


نيفل تشمبرلين

منذ شهور ، وأسلوب هذا الوزير الخطير فى خطبه وبياناته أسلوب جامع مانع رصين لا ينفذ منه الماء كما يقولون فى وصف كل بيان دقيق

و بلدوين كثير الاستشهاد بالأدباء والشعراء ، ولويدجورج لا يطلع كثيراً ولـكنه يكتب بأسلوب صحفى مشوق لقرائه بما يتخلله من الفكاهة تارة والغارات الشعواء تارة أخرى

ولعلنا نقصر فى هذا الباب ـ باب الكلام على الساسة الادباء ـ إذا لم نذكر فقيد الادب والسياسة لورد تويدزموير Tweedsmuir حاكم كندا السابق أو جون بوشان كما اشتهر بين الزملاء والقراء

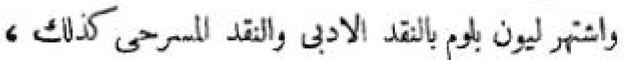
فهو وان لم يكن بقيد الحياة الآن يعد من أدباء العصر الحاضر لانه لم يفارق الحياة إلا فى أوائل هذا العام . ولا خلاف فيما نعتقد انه كان أكبر أدباء الساسة جميعاً بين أبناء عصره سواء فى بريطانيا العظمى أو فى الديار الغربية الاخرى : كان قاصاً ناقداً مؤرخاً واسع الاطلاع حسن المحاضرة مديناً لأدبه لا للسياسة وحدها فيما بلغ من مكانة بين رجال الثقافة والحكومة ، ورواياته التاريخية لا تقصر عن الطبقة الاولى من طراز هذه الروايات

***

أما أدباء الساسة الفرنسيين فى زماننا فأشهرهم ادوارد هريو وليون بلوم ، وكلاهما مسموع الصوت فى سياسة بلاده وان كانا بمعزل عن المناصب الوزارية


ادوار هريو

وقد اشتهر هريو بكتبه الحماسية التى كانت تبعث النخوة وتضرم الغيرة فى إبان الحرب الماضية وفيما بعدها ، ولكنه اشتهر قبل ذلك بنقده الأدبى وكتابه عن مدام ركامييه وأصدقائها . وزار مصر والشرق الادنى أخيراً فكتب عنها رسالة موجزة عنى فيها على التخصيص بالبعثة العلمية أيام نابليون وما بقى الى هذا العهد من آثارها


واشتهر ليون بلوم بالنقد الادبى والنقد المسرحى كذلك ،

وذاع له كتابه عن ستندال منشىء التحليل السيكولوجى فى الروايات الفرنسية ، وكتابه عن الزواج وهو الذى أشار فيه على الرجل والمرأة ألا يتزوجا قبل انقضاء الشباب الاول ليدخلا حظيرة الزواج وقد فرغا من عبث الفتوة وعرفا ما فى الزواج من ألفة الروح ووفاء الصداقة

***

وايطاليا تخالف البلاد الديمقراطية فى قيامها على النظام الفاشي الذى يعطى الزعماء ما ليست تعطيه النظم الدستورية

وتخالف البلاد النازية والشيوعية فى قيام ملك عليها يرجع اليه أمر الحكومة العليا ، وقيام كنيسة فيها لا يستطاع الاغضاء عن نفوذها

ولهذا نرى الدعوة الايطالية على اختلاف مع دعوة النازيين والشيوعيين واختلاف مع دعوة الديمقراطيين والدستوريين . فالسنيور موسولينى يؤلف رواية عن نابليون ويؤلف كتابا عن نشأته هو ونشأة نظامه ، وهو فى آثاره الكتابية وسط بين من يقنع الناخبين ومن يوحى المشيئة من عنده ولا ينتظر إلا السمع والطاعة ، وهو كذلك وسط بين إغراق البلد بكتب الدعوة على طريقة الشيوعية والنازية ، وبين من يكتفى بشهرته التأليفية وحدها على طريقة الحكام الديمقراطيين

***

وسيتجدد النسب بين الادب والسياسة فى العصور المقبلة كما أشرنا فى بداية المقال ، ولكننا نحب أن نفرق بين الادب والسياسة وان تسنى الجمع بينهما لأفراد من الوزراء والادباء . فهما على كل حال ميدانان لا ميدان واحد . وقد تتصل بينهما مجازة العبور ولكنهما مع هذا يظلان ميدانين لا يتفقان فى المعالم والحدود

فالادب منوط بالانسان الخالد الذى يشمل الراعى والرعية والقديم والحديث والسر والعلانية والواقع الماثل والخيال البعيد . أما السياسة فمناطها الناس فيما يرجع إلى الحكم وتقلباته . وشتان الميدانان ، وشتان الناس والانسان !

عباس محمود العقاد

مشاكل الحب والحضارة الحديثة

بقلم الدكتور أمير بقطر
رئيس قسم التربية بالجامعة الاميركية بالقاهرة

ان « الهلال » بفرضها على هذا الموضوع ، قد خرجت عن حد المألوف ، اذ أن « العقلاء » من المؤلفين ومديرى المجلات «الرزينة الجدية المتزنة» لايخصون مقالا برمته عن « الحب » ، كما ان كاتب هذه السطور ليس من الشعراء ، أو كتاب الادب الخيالى و « الرومانس » . على انى آمل ألا أكون مخطئا ، اذا حملنى الاعتقاد على ان المقصود، أن يكون الكلام هنا اجتماعيا علميا ، لا شعريا خياليا . والتمس من القارىء معذرة لخوضى موضوعا أحرى به ان يتناوله الشعراء ، كما أن أشعة رنتجن والغازات السامة ، أحرى بها ان يبحثها العلماء

الحب والشهوة

فى مقدمة ما يريد الناس التساؤل عنه هو التفريق بين الحب والشهوة،أو بعبارة أخرى، هل هناك ما يسمونه بالحب الافلاطونى Platonic ؟ ان النظريات التى أثارها فرويد ومن تبعه من العلماء قد أوقعت الكثيرين فى حيرة واختلاط ذهنى لا مزيد عليه . فالمذهب الفرويدى فى علم النفس لا يفرق بين الحب والشهوة ، اذ انهما ثمرة الغريزة الجنسية ، وهذه الغريزة تنشأ منذ نعومة الاظفار بمولد الطفل ، وهى القوة الفعالة التى توجه المرء فى الحياة ، التى أطلق عليها العلماء شتى الاسماء(١) ، وقد فزع العالم على الاخص عندما أعلن فرويد ان حب الطفل لوالديه خصوصا الذكر لامه ، والانثى لابيها يشمل عنصرا جنسيا،على ان فرويد أبان فى مؤلفاته الاخيرة معنى هذا القول ، وهو ان الغريزة الجنسية قبل اكتمالها تشمل ميولا عدة ، ولا تأخذ هذه الميول فى التفرق بعضها عن بعض الا تدريجيا

ويفرق العالم الانجليزى المدقق هفلوك اليس بين الحب والشهوة ، فيعتبر الثانية ظاهرة فيزيولوجية ، والاول مزيجا من الصداقة والشهوة ، وقال عالم آخر ان الحب هو الغريزة الجنسية بعينها كما تظهر فى مراكز المخ العليا (أى مراكز التفكير وحل المعضلات والابتكار)

---

(١) سماها برجسون élan vital وشوبنهور will to live ومكدوجل hormic energy وفرويد libido وادلر self-regard و افلاطون Eros

ولذلك يبدأ مشوبا بالانانية ، ولكنه لا يتم الا بالغيرية ، ولايعقل أن يكون الحب شهوة وحسب،اذ ان علماء الحيوان يؤكدون لنا ان بعض الطيور ، ذكورا كانت أو اناثا ، تموت كمدا لفقد أزواجها•وقد عرف الفيلسوف هربرت سبنسر الحب فى كتابه فى علم النفس برده الى عدة عناصر ، منها الشهوة ، والحس بالجمال ، والعطف ، والاعجاب ، والاحترام• ومن الغريب انه كان من العيب الفاضح عند قدماء الاغريق ، أن يتحدثوا عن حب الرجل للمرأة أو العكس ، ولم يبدأوا بالخروج عن هذا التقليد والكلام عنه علنا،الا فى العصر الذى أزهت فيه حضارة الاسكندرية الاغريقية • وأغرب من ذلك ان أولئك الاغريق القدماء كانوا يتحدثون علنا عن حب الذكر للذكر والانثى للانثى ، حتى ان أحدهم أراد التكلم عن فتاة اسبرطية كان يحبها ، فقال لمحدثه تأدبا ان له بين غلمان اسبارطة صديقا من الجنس اللطيف،ولم يجرؤ أن يتحدث صراحة انها فتاة

ويفهم من نظرية فرويد فى الاعلاء ضمنا ان الرجل المتزن يستطيع أن يحتفظ بالحب، ويتخلص من الشهوة•وتتلخص نظرية الاعلاء sublimation هذه فى « السمو بالرغبة ـ أو الشهوة ـ وتحويل القوة الكامنة فيها الى ناحية أخرى من نواحى النشاط الانسانى، كالتأليف والابتكار والاختراع » ، مثال ذلك دانتى وصديقته بياتريس ، وفجنر وصديقته متيلدة ، فقد حيل بين كل منهما وصديقته ، فلم تطفأ فيهما جذوة الحب ، فكتب دانتى الفردوس،ووضع فجنر القطعة الموسيقية الخالدة « ترستان »

على ان فرويد لم يخف علينا حقيقة مؤلمة ، وهى ان الذين يستطيعون السمو بالعاطفة أو الاعلاء ، هم أكثر الناس رقيا ومدنية ، وأكثرهم سلامة فى الجسم والعقل ، وان السواد الاعظم من الناس يعجزون عن كبت شهواتهم ، فينغمسون فيها ، أو يكبتونها بعد أن يتكبدوا فى سبيل ذلك أشد الآلام ، فيختل توازنهم ، ويصابون بالهستيريا ، أو النيورستانيا ، أو ما هو أشد منهما من ألوان الجنون•ولما كان السواد الاعظم من الشعب لن يقرأ هذا المقال ، فاننى أجد نفسى فى حل من ذكر هذه النقطة ، اذ اننى أكتب لتلك الاقلية التى أومأ اليها فرويد

الثورة الجنسية

من أكبر حوادث التاريخ وأشدها أثرا فى حياة الانسان ، الثورة الصناعية غير ان أحدث مظهر من مظاهر الثورة الصناعية ، هو الثورة الجنسية ، أى اماطة اللثام عن حقيقتها ودرسها دراسة علمية ، والتحدث عنها فى صراحة لا مرآة فيها•ولا عجب اذا قيل ان ثلاث حوادث تاريخية فزع لها الناس هلعا ، وهى ما كشفه لنا العالم الايطالى جاليليو عن دوران الارض حول الشمس ، وما أعلنه العالم الانجليزى دارون من نظرية التطور (وان الانسان من أصل قردى) ، وما أفضاه لنا فرويد عن حقيقة الغريزة الجنسية والعقل الباطن وأسرارهما الدفينة

ومن مظاهر الثورة الجنسية هذه ، ثلاثة أشياء جديدة تحت الشمس ، وهى استقلال المرأة الاقتصادى ، وطول الفترة بين سن البلوغ وسن الزواج ، ومنع الحمل بطرق صناعية سهلة فى متناول الجميع. وقد كان لظهور هذه الاشياء أثر كبير فى تطور الحب ، وتغير العلاقة بين الرجل والمرأة

كان الناس الى عهد قريب ـ ولا يزال أكثرهم ـ فى جميع البلدان المتمدينة ، يعتقدون ان الحب ، والرغبة الجنسية ، والزواج ، والتوالد ، كلها سلسلة متصلة الحلقات ، وان التحدث عن الرغبة الجنسية أو التفكير فيها بين الزوجين لا يليق بالاسر العريقة المحافظة على التقاليد ، وقد بلغ الاسراف فى هذه الفكرة حدا ، جعل الكثيرين من سكان الشمال يعتقدون ان اتصال الزوجين جنسيا لا يليق الا للتناسل وانه يحرم بتاتا اذا كان الغرض منه اشباع العاطفة أو الرغبة الجنسية ، ولم ينج بلد من بلدان العالم من ظل هذه الفكرة ، فان الاسر العريقة المتوسطة فى مصر مثلا تأبى أن يبدو من الزوجين ما يشتم منه جنوح ظاهر الى رغبة جنسية ، فلا تمضى على الزوجين شهور أو سنوات قليلة حتى تصبح هذه الرغبة نسيا منسيا ، وقد تقتل وهى بعد فى المهد

ونتج عن ذلك تناقض فى الحياة . فعاش الزواج والبغاء جنبا الى جنب ، ووجد عباد اللذات الجنسية فى البغى ما عجزت عنه الزوجة العفيفة الوديعة المتمنعة ، وأخذ رقاص الساعة يتأرجح بين عبادة العذارى ، وتقبيل البغايا ، ورضيت الزوجة أن تتقبل من الزوج فضلات الحب ، بعد أن فازت البغى بأطايبه ، ورضى الرجل أن تتمزق عواطفه بين حب زوجته المجدب ، وبين قبلات البغى القذرة ، ورضى الشاب الاعزب أن يقسم وجدانه بين عبادة العذراء ، عروس المستقبل بغير أن يراها ، وبين الغانيات المستهترات ، فى الملاهى والحانات

الادب الجنسى

لم يرض المفكرون فى العصر الحديث بهذا التناقض وأبى النشء أن يظل على هذه الحالة ، فظهر من العلماء والكتاب ورجال الدين وقليل من الاطباء من جاهر بآراء حرة صريحة جريئة ، ومنهم من كان حريصا ، حذرا فيما أدلى به من الآراء ، ومنهم من كان مجازفا متطرفا ، ومنهم من كان أمينا ، متزنا ، وقد اندس بين هؤلاء بطبيعة الحال نفر من تجار الادب ، الذين سودوا القرطاس بكلام جنسى سخيف كاذب ، مثير للشهوات ، محط للاخلاق ، مثل ما يباع ببضعة فرنكات على ضفاف السين فى باريس. ومن أمثال العلماء هفلوك اليس ، وكربتر ، وشرايز ، ودنلوب وروبنسون ، وجرونبرج ، وفيلدنج ، وفرويد ، ويذكر القراء الدكتورة مارى ستوب التى ألهت الحب الزوجى ودللت على وجوب الحرص على الرغبة الجنسية بين الزوجين ، اذ انها فى نظرها مظهر للجمال والاعتزاز الذاتى

ومن المتطرفين فى آرائهم الفيلسوف الرياضى برتراند رسل وزوجته ، ومن آراء الثانية ان حياة المرأة ثلاث مراحل ، المرحلة الاولى قبل الزواج وفيها تترك الفتاة حرة فى حب من تشاء والاتصال بمن تشاء ، وأن تمارس فى هذه الفترة وسائل منع الحمل . والمرحلة الثانية فى السنوات الاولى للزواج ، وفيها يلزم أن يقصر اتصالها الجنسى على زوجها لانجاب البنين والبنات ، والمرحلة الثالثة تكون فيها حرة تحب فيها غير زوجها اذا أرادت مع ممارسة وسائل منع الحمل كما فى المرحلة الاولى ، وهذه النظرية المتطرفة لا يقبلها أحد بالطبع ، ولا تستقيم عمليا فى الحياة كما نعرفها . ويعتقد برتراند رسل ان الشاب أو الشابة بين عاملين : الاول الرغبة الجنسية ، والثانى التقاليد المرعية ، ولما كان اشباع الاولى يتعارض مع الثانية ، فان المشكلة فى نظره تعتبر غير قابلة للحل ، ويفهم من هذا ضمنا انه قليل الثقة بنظرية الاعلاء sublimation . ومن أغرب ما ذكره هفلوك اليس فى هذا الصدد ان فى مقدمة المفكرين فى الاعلاء « ابن الصحراء المصرية أبا مكاريوس » (ولعله يريد أنبا مكاريوس)

وهناك طائفة كبيرة من رجال الدين فى أوربا وأمريكا ، ممن وضعوا موضوع الحب والمشاكل الجنسية على بساط البحث ، فتحدثوا لنا فى صراحة وجرأة . ويذكر القراء منهم جون موط ، وشرود ادى ، من فحول الخطباء ، وقد خاطبا ألوف الشبان فى القاهرة (ملهى الكورسال قبل هدمه) وأسيوط ، وترجم أقوالهما الشيخ مترى الدويرى . ولهذين الخطيبين مؤلفات فى الموضوع فريدة فى بابها ، ولا نذكر خطيبا مثلهما تنفذ أقواله فى أفئدة الشبان ، وتصيب مواقع وجدانهم فيعيشوا فترة من الزمن على الاقل عيشة سليمة بريئة . وهناك « جراى » الانجليزى صاحب الكتاب الشهير « الرجل والمرأة والله » ، وهناك السيدة ستوارت صاحبة كتاب الشخصية من الناحية النفسية والدينية

ومما يؤسف له ان الاطباء ظلوا جامدين زمنا طويلا وكانوا آخر من جرؤ على كشف أسرار الموضوع ومخاطبة الشباب بالصراحة المعروفة والامانة العلمية التى تنتظر من أمثالهم

وفاتنا أن نذكر كاتبا آخر متطرفا ، كان لمؤلفاته أكبر أثر فى حياة ألوف الرجال والنساء ونعنى به القاضى لندزى الامريكى ، الذى حكم فى عشرات الالوف من القضايا الاخلاقية ، فدفعته تجاربه الى المجاهرة بأن الزواج يلزم أن يكون تجريبيا ، أى ان الفتاة ينبغى أن تعيش فترة من الزمن مع شاب عيشة زوجية ، فاذا أنسا فى ذاتيهما وفاقا عقد الزواج بينهما نهائيا ، والا بحث كل عن رفيق آخر وهكذا دواليك . وقد أثارت مؤلفات القاضى سخط الكثيرين ، ولكنه لم يعدم أنصارا ، ولا تزال كتبه فى رواج

فرويد

بيد أن فرويد هو بلا شك زعيم أولئك العلماء فانه برغم ما وجه اليه من أشنع التهم

والانتقادات،زاول مهنته أكثر من أربعين عاما بحساب ثماني الى عشر ساعات يوميا ، حتى فذ أساتذيه بيير جانيه وشركوه وتلاميذه ادلر ويونج وشتيكل وصرح للملأ في غير مرآة أو خجل ، ان المدنية الحديثة تحدو بالمرء أن يكبت رغائبه ـ وأساس هذه الرغبات جنسية ـ بعكس الرجل الفطرى الذى يكاد يشبع هذه الرغبات حال قيامها ، وتنتج عن ذلك تصادم بين هذه الرغبات والضغط الاجتماعي ، فكثرت الامراض العصبية والهموم والمتاعب ، اذ أن الحياة فى الحضارة الحديثة توازن بين اشباع الرغبات وكبتها • وصرح فرويد ان للشباب فى العصر الحديث الخيار بين العادة السرية ، والبغايا، والزهد والامتناع ، والحب الحر ، والزواج•ولما كان الاخير هو المثل الاعلى ، وكان بلوغه عسير المنال لتعقد الحياة الحديثة ، فقد اضطر الى اختيار ما قبله (وهو الحب الحر)•وقد جاهر فرويدبمالم يجاهر به أحد قبله ، خصوصا فيما يأتي :

(١) ان العادة السرية لا يفر منها ٢ أو ٣٠/٠ من النساء والرجال•وانها نتيجة طبيعية للقوة الجنسية ، وبذلك أنقذ الشبان من تلك الاكاذيب الخادعة التى كان يلجأ اليها الكتاب تخويفا للنشء ، والقاء للرعب فى قلوبهم ، فيصابون بأمراض عصبية مستعصية•ولكن فرويد لم يحبذ هذه العادة الذميمة ، وانما على النقيض من ذلك قال انها مضعفة للشخصية اذا استسلم لها صاحبها ، وان الاعلاء والحب البرىء والعلاقة السليمة ، تحت اشراف الوالدين والمربين هى خير علاج لهذه العادة

(٢) ان الشذوذ الجنسى منتشر بين الرجال والنساء وبين جميع الطبقات حتى أرقاها ، والقليل منه يعزى الى طبيعة صاحبها ، وأكثرها ينسب الى سوء البيئة

(٣) ان القول بأن الامتناع الجنسى يسبب جنونا أو اختلالا فى الجهاز العصبى أمر مبالغ فيه ، اذ ان الرجل السليم لا يضره الامتناع ، والذين عندهم استعداد للامراض العصبية ، أكثر الناس عرضة للجنون والاصابة بهذه الامراض بسبب الامتناع ، كما انهم عرضة لها بسبب الافراط فى الاتصال الجنسى • وقد وجهت الدكتورة الشهيرة كترين ديفس الى ألف امرأة متعلمة من خريجى الجامعات هذا السؤال : هل الامتناع الجنسى مضر بصحة المرأة ، فأجابت٦٢٠/٠ بكلا•و ٣٧٠/٠ بنعم(١) وسأل ميروسكى فى كولونيا ٨٦ طبيبا اذا كانوا قد اتصلوا اتصالا جنسيا قبل الزواج فأجاب الجميع ما عدا واحدابنعم ، ولكنهم أجمعوا على ان الامتناع لا يضر الا عددا قليلا من الناس

(٤) العقل الباطن والعاطفة الجنسية (٥) الاحلام والعاطفة الجنسية (٦) الامراض العصبية والعاطفة الجنسية (٧) الشذوذ الجنسى بأنواعه الخ الخ

(١) ووجهت اليهن سؤالا عن العادة السرية (وكلهن غير متزوجات) فأجاب ٦٥ ٠/٠ منهن انهن كن يمارسنها يوما ما او مازلن

الحب والفروق الجنسية

من الفروق بين الرجل والمرأة فى الحب ، ان الاول يتأثر بعواطف الرعاية والحراسة والحماية ، فى حين ان المرأة تتأثر بغريزة الامومة ، فيكون حبها مزيجا من العطف والحنان والصبر والرقة وكثيرا ما يتجه نحو الدين والجمال والفن

ومنها ان مراكز الشهوة فى المرأة أكثر توزيعا وعددا منها فى الرجل ، ولذلك يكفى المرأة اشباعا لغريزتها الجنسية أن يجالسها الرجل أو يضع يده فى يدها أو يحادثها بما تحب بعكس الرجل ـ وأبدع ما قيل فى هذا الموضوع ما جاء فى خطاب من عالمة ألمانية لصديقها قولها « ان الطريق الوحيد الى حواسى هو قلبى ، ولكن أرجو المعذرة اذا قلت لك ان الطريق الى حواسك أقصر من ذلك بكثير »

ومنها ان المرأة أحرص من الرجل فى انتخاب رفيقها (زوجها) وأشد أمانة واخلاصا له ، ولكن هفلوك اليس يقول ان هناك أقلية من النساء كالرجال مولعة بالتنويع ، وتستطيع أن تحب رجلين فى آن واحد ، وتفذ الرجل فى ذلك بفضل ما لديها من صفات الكياسة والرقة

ان الرجال والنساء ميالون على العموم الى عدم التعدد فى الزواج بعكس ما يزعم البعض من ان المرأة تحب الزواج بواحد بطبيعتها monogamous وان الرجل بطبيعته يحب الزواج بأكثر من واحدة polygamous ولكن الحقيقة ان عددا من الرجال والنساء يميل الى الاتصال جنسيا بأكثر من واحد poly-erotic

مشاكل الحب الاجتماعية

لقد خلقت لنا الحضارة الحديثة مشاكل عدة ، أكثرها جنسية ، ويتبعها مشاكل أخرى اقتصادية واجتماعية وأخلاقية . الشاب الذى لا يزال يعيش فى عصر الفطرة ، يزف الى عروسه الصغيرة ، حالما تتحرك فى أحشائه عاطفة الحب ، وبذلك تحل مشاكله قبل أن توجد . أما الشاب فى البلاد المتحضرة ، فيظل يقاتل هذه العاطفة وتقاتله الى أن يتزوج فى سن متأخرة وقد لا يتزوج أبدا . وما يقال عن الذكر يقال عن الانثى . وقد زاد المسألة تعقيدا دخول المرأة ، حتى المتزوجة ، فى حلبة الاعمال ، واستقلالها اقتصاديا ، فاتصلت بالرجل ، وتوطدت العلائق بينهما ، والطبيعة الانسانية ضعيفة فى كثير من الاحايين ، فنشأ بين الرجال والنساء ، مهما تباينت أعمارهم ، حب حر ، وقد مهدت الحفلات والولائم والمآدب والمراقص والاندية المجال لهذا الحب ، فخرج عن المألوف أحيانا ، وطغى على التقاليد والآداب العامة والشرائع والاديان أحيانا ، بيد ان التربية الصحيحة الحقة ، والتقاليد السليمة العريقة فى الاسر والجماعات ، لم تعدم الوسائل للتغلب على كثير من مشاكل الحب والعاطفة الجنسية ، فسمت بهما الى أوج الابتكار والتأليف والاختراع والرسم والتصوير ، وبلغت بهما ذروة العلوم والفنون . وقد عجز عدد ليس بقليل من أبناء الحضارة

الحديثة وبناتها ، عن هذه التعلية وهذا السمو ، وفشلوا فى كبت هذه العواطف الثائرة ، أوكبتوها بثمن باهظ ـ آلام مبرحة ـ فاختل توازنهم ومرضت عقولهم وأصبحت الحياة فى عيونهم جحيما لا يطاق ، وعمد بعضهم الى الانتحار

وليس معنى هذا ان حياة الفطرة تؤثر على حياة الحضارة ، وانه خير لنا ارجاع عقرب الساعة الى الوراء ، ان الشجاعة لا تبدو فى الهرب من الحقيقة ، وانما تظهر فى مجابهتها والوقوف أمام الصعاب وجها الى وجه • ان كل ما نراه أمامنا من مطايب الحضارة الحديثة علومها وفنونها ، ما هو الا ثمرة ذلك الجهاد المتواصل بين غرائز الرجل العاقل الحكيم والتقاليد المرعية ، وما هو الا نتيجة لهذا القتال العنيف الذى تدور رحاه بين العواطف الجامحة والضغط الاجتماعى ، بين القلب والعقل ، ان الحضارة الحديثة كما يقول علماء التحليل النفسانى هى ثمرة الامراض العصبية ، وقصدوا بذلك ان العلماء لم يخترعوا ما اخترعوا ، ولم يبتكروا ما ابتكروا ، الا بتعلية الغرائز خصوصا الجنسية منها ، ولولا هذا الاختراع وذلك الابتكار وذلك التأليف ، لكانوا استسلموا لتلك الغرائز فلم يبتكروا شيئا أو كبتوها بمشقة فأصابهم جنون أو مرض عصبى ، ان فى العقل الباطن صراعا مميتا ، والفرق بين السليم والمريض ان هذا الصراع يقفز من العقل الباطن ، ويقرب من العقل الواعى

وقد تمكن الناس فى البلدان التى بلغت أقصى درجات الرقى والحضارة ، أن يكيفوا علائق الحب بين الرجل والمرأة تكييفا لا يتعارض كثيرا مع التقاليد والآداب العامة ، فلا تبدو سخيفة شاذة بغيضة كما نراها البلدان التى فى دور الانتقال • ولكن رغم كل ذلك فان مشاكل الحب والعاطفة الجنسية لا تزال بعيدة عن الحل الصحيح ، وستظل كذلك ما دامت الطبيعة الانسانية ، فاذا ما توصل العالم الى هذا الحل مات الاختراع واختفى الاجتهاد ورجعنا الى حياة الغابات والادغال

أمير بقطر

عن الأساليب الغربية

« انا لن ندرك المبادىء التى عليها نبنى مستقبلنا حتى نسمو فوق بلبلة الساعة التى نحن فيها ونحاول استنشاق الهواء الأنقى فى جو التأملات الهادئة »

« ينثنى فى اللحظة المواتية ليختطف النصر من مخالب الهزيمة »

السير جون هامرتون

الاهداء والاستهداء

بقلم الاستاذ محمد كرد على

وزير معارف سورية الأسبق

وضع العلامة الاستاذ محمد كرد على مذكرات خاصة ، ضمنها كثيراً من الحوادث الاجتماعية والادبية التى مرت به خلال سنى حياته الحافلة ، وقد بعث الينا بهذا الفصل الطريف من هذه المذكرات النفيسة ، وقد جمع فيه الى الفكاهة نقداً هادئاً ولكنه لاذع للمهدين والمستهدين من رجال الحكم وأعيان القوم

وشاء ربك أن ينشأ (م . حش . ب بك) من بيت يحب ربه أنْ يُهدى اليه . وكان قاضياً ، ورجائى أن يكون من قضاة الجنة لا من قضاة النار . فنشأ ابنه على حب الاهداء والاستهداء ، ونسى بعد حين عادة الاهداء وأتقن عمل الاستهداء . وأهدى صاحباً ، أول نشأته ، صندوقا من التفاح، وادعى انه من حديقة بيته فى الزبدانى . وهو لا يملك فيها داراً ولا عقاراً ولا مزرعة ، ليوهم مهديه انه لم يكن استهداء ، بل هو من ماله وصلب حاله . فأجابه صديقه بالشكر جوابا داعبه فيه ، فأظهر انه ما أحب منه هذه الدعابة ، وحلف ألا يهديه ولا يهدى غيره بعدها شيئا . أخذ من مداعبته بما أغضبه حجة لينقطع عن الاهداء طول العمر . وخلاصة ما كتب له صديقه ، وكان غوطياً من أهل غوطة دمشق : « انى أردت أن أقابلك على هديتك ، كما جرت عادة الناس ، وتطلعت ذات اليمين وذات الشمال فى الأرض التى أورثنيها أبى فلم أر غير صنفين من الحاصلات : التبن والشعير ، وهما أجدر بالتقديم الى البغال والحمير . وشجيرة القنب ، وهو لا يستخدم فى غير الشنق والحرق ، فان كنت ترغب فى استهداء شىء منها فأنا على أتم الاستعداد وأرسل المقدار الذى يلزمك عن طيبة خاطر »

ودار الفلك دورته ، وعمل هذا المهدى على بعض بلاد الجزيرة ، فعرف أهلها ، أو عرفهم هو بنفسه انه يحب الاستهداء ، فأهدوه حتى كادت تستنزف هداياه وجدهم ، فما هى إلا أشهر معدودة حتى صدر الأمر بنقله الى عمالة أخرى بعيدة ، أرادت الدولة بهذا النقل ألا يفوت سائر عمالاتها عدله واصلاحه ، لأنه كان حيث ينزل لا يفكر فى الاستهداء بقدر ما يفكر فى نشر العلم ، وفتح المدارس وعمارة الطرق ، وإبطال الرشوة ، وإمتاع الفلاح بحقوقه ! ولما آذنت ساعة الرحيل كتب الى صديق له من المشتهرين أو المستهترين بحب الاستهداء (فخ بك) : ان أهل تلك

العمالة - التي قضى بين أهلها أياماً عدها من أمتع أيام حياته ، لأنه ما خلا فيها يوماً من استهداء شيء - هم فقراء بالنقد أغنياء بالماشية ، إذا أحبوا أن يهدوا المولى عليهم هدية يهدونه مما حوت اسطبلاتهم وحظائرهم : بقراً ، حميراً ، خيلا ، بغالا ، خرافا ، تيوساً ، معيزاً ، دجاجاً ، طيوراً ، إلى ما شاكل ذلك من الحيوانات والدواجن . وانه اجتمع له من هـذه الاصناف قطعان كبيرة يتعذر عليه نقلها الى مقره الجديد ، وليس يرى فى ناحيته من يشتريها ، ويدفع له ولو ثمناً زهيداً فيها ، ولا تسمح نفسه بارجاعها الى أهلها ، وسأل صاحبه أن يمن عليه برأى يخرجه من ورطته ، لينتفع بما كسبه من المال الحلال !

وعين الله ترعى هذا الفاضل الكامل الذى ضرب الرقم القياسى لكل مستبد أو مرتش على اختلاف فى الأسماء ، ولشد ما صرف وكده ، وبذل ما أوتيه من ذكاء ودهاء فى اختراع طرق توصله الى غرضه . وكانت له مزية لا تنكر عليه ، وربما عدها بعض أترابه ضعفاً ودناءة ، وما هى إلا تفضل وتساهل . ذلك أنه ما كان يحب أن يشق على المهدى ، فان كانت المسألة تحتمل عشر ليرات قنع منه بخمس ، وان كانت تساوى خمساً رضى منه بنصفها ، لاعتقاده ، وهو من دارسى الاقتصاد السياسى ، بأن الربح القليل من الكثير أعود على فاعله من الربح الكثير من القليل . حقيقة ان خطب الرجل سهل ونفسه متواضعة . كان مرة محافظاً فى احدى العواصم فوضع جعلا مقرراً على كل من له علاقة به ، ليحمل اليه ولو اناء من لبن رائب وعشرين رغيفاً من الرقاق ، وطبقاً من الزبد أو القشدة ، وما شاكل ذلك من المأكول الذى يجود عندهم ، ويخرج من أرضهم ، أو تعمله أيديهم .

فانظر بالله ما أطيب هذه النفس ! وكان اذا زاد ما يصرفه من هذه الاصناف عن طعامه يبيع الفضل ويجعله نقداً فى صندوقه ، وقاعدته ان الساقية الجارية خير من النهر المقطوع ، وانه اذا اقتصر على الأخذ من المسائل الكبرى يفوته جعل المسائل الصغرى . العدل يتقاضاه وهو من أكبر الغيراء عليه ، أن يساوى بين الجميع فى القضاء والاقتضاء . ولولا أن الله حبب اليه المقامرة فى بعض الليالى ، وكان يخسر فى أكثر ألعابه ، لخلف ثروة عظيمة لا يخلف نصفها عشرة من أقرانه مجتمعين . هذا مع كل هذه القناعة فى الأخذ ، والضنانة فى العطاء !

وارتقى هذا البطل المغوار ، وعين الله عليه ، بهذه الصفات النادرة ، وأصبح له من السلطان ما يستطيع معه أن يضر وينفع فى الأمور الكلية ، فأغلى الجعالة والهدية ، ورفع ثمن كل قضية . واستنجد به أناس من المشتغلين بالدفاع عن حقوق الناس . كانوا أقصوا بدعوى سوء حالهم وجهلهم ، فأخذته الشفقة عليهم أكثر مما أشفق على حقوق هذه الامة ، لأن المجموع فى نظره أغنى من الفرد ، فهم لذلك أحق بالرعاية ، فعلمهم ساعة من علمه اللدنى ، وأفاض عليهم من أدبه الكسبى ، وأرجعهم على بركة الله الى ما كانوا عليه ، وما أخذ من أفرادهم ما يشق عليهم أداؤه ،

بل كان مجموعه حسناً بلغ ثمانمائة دينار ، ثم انه أخذه على أن يؤديه كما قال الى رئيسه المسيطر عليه بتمامه ، وكان هو واسطة خير ليس غير ورضي أن يخدعهم لوجه الله لأنه كان دائما يقصد بمثل هذه الخدم وجه الله !

وقد تناول ما تناول وقلبه مطمئن بالايمان ، ونفسه تحدثه ، والله أعلم بالسرائر وبان ما أتاه كان رحمة بهم وبالقضاء ، وفي عمله إحقاق للحق ونصرة للعدل !

ومن عجب أمر هذا الرجل المولع بالاستهداء أنه نوع الاساليب فى أخذها ، وما ترك فرصة تفلت من بين يديه ، وكل ما يساوم عليه تكون عقباه الانتفاع بشيء يأخذه على سبيل الذكرى لتواضعه ، ومن تواضعه انه لا يجوز كسر خاطر أحد يقدم اليه شيئا مهما قل

وهو الى هذا يحب أن يظهر بالعلم ، وأن يتستر بالأدب ، وليس أشق عليه من رؤية أحد يتفرد دونه بشهرة ، أو تكتسب له مكانة فى أندية العلماء ، ويرى أن تفوقه فى هذا الباب لا يكون إلا باسقاط أرباب هذا الشأن ليخلو له الجو ، ويستأثر بالصيت الحميد دونهم. وكان يسره ألايذكر أحد بمحمدة ، ويدعو الى الاعتدال فى تقريظ الممدوحين ، حتى يكون الناس كأسنان المشط فى الاستواء . وهو اذا كان يحب الاقتصاد حتى من أموال مهديه ، فكيف لايحب الاقتصاد فى مدح من يعدهم منافسيه . وما أدرى أين تعلم مكارم الاخلاق أفي مجالس الذكر عند اخوانه أهل طريقته الدينية ، أم مع اخوانه الماسونيين الذين ارتقى الى أعلى درجات رتبهم وبرز أى تبريز فى محافلهم . ومن مزاياه أن كل مفعول جائز ، وأن للمرء أن يعمل كل ما يريد ، لا يصده عن سبيله صاحب قوة ، ولا مصطلح من عادة وخلق ، وانه إذا جاز سرقة مال الغير فمن أيسر الأشياء أن يسرق أفكار الغير ويغير على ألقابه فينتحلها غير خجل ولا وجل . وعلى كثرة معرفته نسى أن المرء لا يأخذ أكثر من جرمه ، وأن من واجب العاقل أن يقف حيث وضعته الفطرة ، وأن من نجح فى ناحية يستحيل عليه أن ينجح فى جميع النواحى ، وانه إذا تعلم فرعاً من فروع المعارف البشرية ، بطول الزمن وكثرة التمرين ، يتعذر عليه أن يتعلم مثلا علم الأخلاق ويعلمه . . وصياد الدينار غير صياد العلم ، ومن الصعب الجمع بين طرفين متباعدين، والاحتيال على سلب الناس ثم الانفاق عليهم بالاخلاق الفاضلة

مسكينة هذه الامة بليتها بالجهلاء كبليتها بالمتعلمين ، ومصيبتها بالمعممين « التجبين » كمصيبتها « بالمطربشين » و « المتبنطلين » وربما كانت البلية بالمتعلمين أفظع لأن المتعلم يعرف كيف يضر ويؤذى . وكيف يهدى ويستهدى

وكم فى الخلائق من إذا تأملت فيهم يعجبك ظاهر حالهم ، واذا خبرتهم تلتمس نفسك ، تراهم على حسن سمت وجميل وقار ، وتستمع من أفواههم ألفاظ المروءة والشرف والصون فاذا فحصت نفسيتهم فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم

وتكرم بعض المعلمين والمديرين فعاملوني كما عاملوا أكثر أسلافي وأخلافي بالهدايا يقدمونها ، وكنت أردها اليهم ناصحاً لهم ألا يعودوا إلى إتيان ما لايليق صدوره من طبقتهم ، ومنهم من كنت أدفع أجرة عن هديته حتى أعيدها اليه . ومن أجمل ما رأيت من ضروب الاهداء هدية صاحبي محمد افندي حاجي قولي من تجار حلب ، زار المجمع العلمي العربي وأعطاه إعانة دفعها للآذنين يشترون بها بذلاصيفية ، وما جاء الشتاء حتى رأيته يرسل إليّ صندوقاً من سمك بحيرة الريحانية ، وكان هو ضامناً لها ، فرأيت بعد التردد الكثير قبولها والمقابلة عليها ، وماذا أرسل بدلها ، وليس عندي تفاح الزبداني ولا دراق الغوطة ، فقام في نفسي أن أهديه بدل هذه الألطاف كتباً ورسائل ، وأحببت أن تكون من الجنس الذي يتيسر له الاستفادة منه ، ويتسلى بها آونة فراغه. وكانت هديته السمك تتكرر مرتين أو ثلاث مرات في كل شتاء ، ودام الضمان ثلاث سنين ، فكنت في المرات الأخيرة في حرج من قلة الظفر بكتب تروق صاحبي وتنفعه ، وخفت أن تنفد من حوانيت الوراقين في مصر والشام . ولما انتهت مدة الضمان هنأته وهنأت نفسي ، وحمدت الله على النجاة من هدايا السمك اللذيذ ، وإرسال كتب تلذ مطالعتها في مقابلها . وسألت صاحبي اذا كان ربح من أسماك بحيرة الريحانية فقال إنه خسر ، وعين مقدار الخسارة فكانت عظيمة ، فقلت له : أصلحك الله . وقع العجز في ربع ضمانك لكثرة ما أهديت من هذا السمك الذي تلذذ به عشرات من أصحابك ، أتقنت فن الاهداء ، ولم تتعلم كصاحبي ذاك فن الاستهداء ، فكان شأنك ما رأيت

***

إن كان يقل في الأمم الصلحون ، فان في أمتنا يكثر المفسدون ، واذا كانت هناك اختراعات تنفع المجتمعات وتنشل الدول ، فان هنا اختراعات تضر بالمجتمع الانساني وتدك معالم الدول . وما عهدنا عندنا مخترعا اخترع ما ينفع ، ولدينا عشرات يخترعون في الشر فقط ، يفسدون ولا يصلحون

وهذا الرجل طلب صداقتي وأنا لا أعرفه (نعم بك) وخدمني على العهد التركي خدمة أنقذني بها من معضلة ، وبت أرقب الأيام لأكافئه على جميله ، وسعيت لما حانت الفرصة باسناد منصب كبير اليه ، تولاه وهو لا يصدق أنه يبلغه . وكان غاية ما عرفت من حياته يومئذ أنه يحسن عمله ، لا يأتي ما يؤاخذ عليه ، متوسط الذكاء ، وفي طبقة الموظفين كثيرون مثله

وما تربع في الدست حتى حدثته نفسه أن السعادة أقبلت ، وأن من لايغتنم الفرص يضيع الحزم ، فشمر عن ساعد الجد ، الى أقصى حد ، ورجع الى فطرته ، فأظهر ما كان يكتمه من مذهبه ، وتجلت فيه عادة الاستهداء ، فأخذ بالكبير والصغير ، فكان له فيه اختراعات ومكتشفات ، واطرح كلمة خذ ، وأتقن كلمة هات . وساعده ديوانه أن كان متشعب الجنبات ،

كثير الاموال جم الصادرات والواردات ، وكونه عارفاً بصناعته تخرج فيها من البزرة كما يقول الترك ، وأتقنها قبل أن يبلغ الحلم بحكم الضرورة ، وعرف بمرور السنين مداخلها ومخارجها ، كما عرف أهلها كبيرهم وصغيرهم . أما معلوماته فما زادت عن معلومات المدرسة الابتدائية ، وكان يصطنع الرزانة ويتعمد الوقار ، ويسكت فى المجالس ، ويبسم كأنه يفهم كل ما يلقى فيها ، وهو بعض منسياته ، على حين لا يمتاز عن العامة بمعلوماته الا لأنه يتقن عملية الجمع والطرح والضرب والقسمة

وزعمت لك أنه أتقن فن الاستهداء ، وله فيه مخترعات ومبتدعات ، أما الاهداء فما عرفه ، اللهم إلا ما كان من ورائه رد عادية غريب عن منصبه ، أو الاستشفاع الى رجل له يد باسطة فى تأخير أموره وتقديمها ، أو سيطرة على منصبه من بعيد أو قريب ، وأحب أن يقوى فى ذاته فلم ير خيراً من الاعتصام بالماسونية فاتخذها مجناً يتترس وراءه ، فيدرأ به عن نفسه العوادى ، وأخلص فى خدمتها حتى وصل الى أرقى درجاتها ، ونال أعظم مراتبها وأوسمتها ، واقترح على يوماً أن أدخل فى جمعيته فتوسد إلى الوزارة بعد أربعة أيام ، فقلت له : انى ما توليت منصباً الى الآن باستظهارى بجمعية ولا بجماعة ، وأولى ثم أولى ألا أكون شيئاً من أن أدخل فى شىء لا أريده للوصول الى شىء قد أريده وقد لا أريده . وأحب أيضاً ألا يخلينى من معاونته فتوسط لى باعطاء جريدتى « المقتبس » ألف ليرة فقلت له : إنك تعلم أنى فى هذه الأيام لا أتدخل فى شؤون الجريدة ، وأسرة أخى عندها ما يكفيها ، وكان عرض هذا المبلغ على أخى أحمد قبل وفاته فأبى قبوله . وعرفت أن المترجم له لا يحسن الاهداء الا اذا كان لك مال غيره ، وفى سبيل تلويث سمعة من لم يتلوثوا ، من باب ودت الزانية لو كان كل النساء زانيات

وأزيدك أن الرجل ما عرف معنى للصدقة طول عمره ، ولا عطف على بائس عائلى ، ذلك لأن قلبه ما أحب إلا معبوداً واحداً هو المال . ومن قواعده أن ما دخل عليه من النقد لا يخرج من صندوقه الا الى المصارف والمخابىء فى داره ، ويرى أنه لا يتناسب مع منزلته أن يبتاع شيئاً من السوق فيأتيه بكل ما يحتاج اليه أولئك الذين قضت الأقدار عليهم أن يصبحوا تحت يده يصرفهم ويتصرف بأمورهم طوع أمره

ومن اختراعاته فى الاستهداء أنه اذا جاء لاستلام عمل جديد يرسل منشوراً الى من هم تحت إشرافه من العمال فى الأرجاء يقول فيه إن بيته يحتاج فى سنته الى ست صفائح من السمن ويرجو أن ترسل اليه مصحوبة بقائمة ثمنها : فيأتيه السمن هدية من كل مكان ، حتى تغص داره بما ضمت من الصفائح ، وغمى بسمنها أغنى مما يملك تاجر كبير

هذا الى ما يطلبه من كل مأمور من الحاجات الاخرى ، وهو على رأس كل سنة وفى الايام الاولى من كل موسم يجدد طلب السمن ، ويطلب الصفائح منه ، ومرءوسوه يبيضون صحائفهم

معه بأن يدروا عليه كل ما يطلب وما لا يطلب من حنطة وخراف وأوز ودجاج وطيور وأسماك وزيت وعسل وبيض وفاكهة وبقول . فان فاض ما عنده منه عن حاجته ، وحاجته منه قليلة جداً ، اتجر بما اختزنه ولا يعرضه فى السوق على أيدى سماسرة بررة الا اذا ارتفعت الاسعار ، وخاف على الفقير الجوع ، فيبيعه نكاية بالخائفين من التجار والمضاربين !

أرأيت بهذا انه وضع جعلا على كل واحد له به شبه اتصال ، ومهر فى استخراج الهدايا وتطبيق أساليب الاستهداء مهارة زائدة ، وهو أبداً يجد ولا يتوانى فى الاستخراج ، والجد ينبض الماء من الحجارة . والكتمان منه وممن يعطيه أصل النجاح فى هذا الباب ، وكل سر جاوز الاثنين شاع . وله مع من كانت يده كزة لا تندى بشىء أسلوب منتج للاهداء : يبدأ بتهديده تهديداً خفيفاً . كأن يقول انه مقصر فى عمله ، أو أن المستشار تكررت على مسامعه الشكوى من تقصيره ، وقلة معرفته ، وجهله بوظيفته ، وانه حاول هو رد هذه الشكاوى ، وهو يجهد ليقيه العزل أو النقل، فيهرول المهدد البائس من ساعته ويدفع له هدية من الورق أو الورق أو من تلك الاصناف التى تمون بيت صاحبه طول السنة ، فيستغرق مايعطيه إياه راتبه أشهراً ، ويضطر المسكين الى الرجوع على أرباب المصالح ليسد عجز ميزانيته الخاصة ، بما حوته جيوبهم وغرمه إياه رئيسه الجليل

وصاحبي هذا يؤمن بالله واليوم الآخر ، ويمارس من أركان الأسلام ما لا يكلفه مالا ، يصلى ويصوم . أما الزكاة والحج فلا ، ويعتقد الى هذا بنعيم الآخرة إلا انه يفضل عليه نعيم الدنيا . ولدوام هذا النعيم تراه يضن بالدانق لا يبذره كيف اتفق . وما وصل الى سمعى انه دعا أحداً الى طعامه ، ويفضل أبداً أن يتناول من طعام غيره ، وكيف يعمل حتى تتكرر له المآدب ، ولاينقطع سندها عنه ولو فى الاسبوع مرة أو مرتين ؟ ولبلوغ ذلك هداه ذكاؤه الى اختراع كان من جملة ما سجل من اختراعاته . وذلك أنه لما كان يستطيب طعام الناس أكثر من طعام بيته رأى أن يعود مرءوسيه الكرم فأنشأ يدربهم عليه ، ويستطعمهم بأن يقول لأحدهم : إن أهل بيتك يا هذا يجيدون طهى الصنف الفلانى . ومن الغد يطبخ له فيدعى اليه أو يحمل الى داره مع أطباق أخرى لذيذة يقدرون أنه يستطيبها . ويقول لآخر : بلغنى أن الصنف الفلانى من الطعام يحسن حريمك تحضيره ، وأنت يافلان ، ممن كان الحجاب بينه وبينه مكشوفاً بعض الشىء ، متى تدعونا الى دارك ثانية ، فقد طال العهد بآخر أكلة أصبناها من طعامك الشهى ، ومنهم من يكلفهم أن يخرجوا به الى الحدائق والمتنزهات أيام العطلة مع ثلة ممن اعتاد قبول دعوتهم ، فيجشم الداعى نفقات تدخل الضيم على وفره ، الى غير ذلك من ضروب التطفيل والتدجيل

اللصوص يسرقون على الاكثر فى الليل من يحاولون سرقته ، وهذا يسرق ليله ونهاره ، وقريحته لا تفتأ تملى عليه اختراعات فى هذه السبيل . وهو لا يبالى بما يقول فيه مستخدموه فى سرهم من التغالى فى هذه الدناءات

وسألت بعض العارفين عمن أخذ هذا المحتال دروسه الأولى فقال إنه أخذ عن أستاذه (بس بك) أعظم لصوص عصره ومصره . وكان هذا قابضاً سنين طويلة بيد من حديد على ادارة فيها كل أسباب الاستهداء وأخذ الاموال بالحق والباطل ، وكان مخترعاً أيضاً إلا أن اختراعاته محدودة يجتزىء بضروب قليلة منها ، يتبرع بها كثيراً ، وما وفق لما طلب الا بمشاركته لرؤسائه في المغانم وتهيئته لهم كل ما فيه مباهج حياتهم . وبينا كان الموظفون لا يتناولون في الدور الحميدي رواتبهم القليلة بصورة مطردة ، وبينما كان أرامل المتقاعدين ويتاماهم لا يأخذون ما يتبلغون به كانت تسول له نفسه أن يقتطع من رواتبهم مقداراً معيناً يعرفه الصيارف . واذا كان في نساء المتقاعدين ذات الجمال يشفع لها حسنها فيعف عن راتبها ولا يعف عن عرضها . ومات وخلف ثروة كبيرة ماجمع مثلها أعظم الخائنين ، وقد أنفق في حياته النفقات الموجعة ، وعاش عيش الملاك ، وارتكب كل محرم ، واحتقب كل اثم

هذا الاستاذ البارع خلف ذاك التلميذ الأبرع ، وما مات من خلف ، وكلاهما لم يترك ذكوراً يذكرونه بالرحمة ، وخلف مئات ممن سلبهم نعمتهم يجأرون الى السماء ، في كل صباح ومساء ، ألا يبارك الله له فيما أخذ واقتطع ، وأكل وبلع . وكانت عاقبة الأول تبديد كل ماجمع ، وستكون مثلها عاقبة الثاني ان شاء الله

دمشق محمد كرد علي



الدولة المثالية

سئل سبعة من حكماء الاغريق في وليمة أقامها لهم «برياندر» عن الدولة المثالية ، فقالوا على التوالي :

صولون : « هي التي يحيق الأذى الذي يصيب أقل فرد فيها بمجموع أهلها »

بايس : « هي التي لا يعلو فيها شيء على القانون »

تيلز : « هي التي أغنياؤها ليسوا في غنى فاحش وفقراؤها ليسوا في فقر مدقع »

أنا كارسيس : « هي التي تمجد فيها الفضيلة وتمتهن الرذيلة »

بيتا كوس : « هي التي تمنح فيها ألقاب الشرف للطيبين دون الأشرار »

كليوبولوس : « هي التي يخشى فيها الناس اللوم أكثر مما يخافون العقاب »

تشيلو : « هي التي يراعى فيها القانون أكثر من كلام الخطباء »

لماذا تزوجت بعد الاربعين ؟

بقلم الاستاذ عبد الرحمن صدقى

كان الكاتب الكبير الاستاذ عبد الرحمن صدقى مضربا عن الزواج ، راغبا عنه ، ثم شاء الله القدير على كل شىء أن يبث فى نفسه الشجاعة والاقدام على هذه المسئولية الكبرى التى يحجم عنها العزاب ، فاذا به ينقلب زوجا بارا صالحا بعد أن كان عازبا زاهدا قانتا .. واذا هو من أشد الناس ايثارا للحياة الزوجية وتحبيذا لها،وفى ذلك تعزية جميلة للمتزوجين وحافز للمترددين (المحرر)

سؤال محرج ، وليس الحرج كله فى أصل عبارته ، بل الخطر عندى فى لفظى الاضافة فى قولكم «بعد الاربعين» فأنا محتج ، ومحتج أشد الاحتجاج ، اذ لا بد من احتجاجى مبتدئا ، ثم أنا ماض بعد اثبات احتجاجى هنا الى الاجابة على سؤالكم مع ما فيه من الاضافة

كاتب هذه السطور يخاف الحياة . وفى هذا السر الكمين فى احجامى عن الزواج . وهذا الخوف كنت أكتمه عن الناس ، بل أكتمه عن نفسى ما استطعت ، ومن ثمة ترون كيف اضطرنى سؤالكم الى مواجهة نفسى به واستطلاع جوابها عنه . ونفسى تحسن الكتمان، ولكنها ان تحدثت لم تصطنع مواربة ، ولقد همست الى جوابها بعد تمنع ، انه الخوف من الحياة

وما لى فى هذا دفاع الا انه طبعى ، فطرنى عليه من فطر النسم وركب الغرائز . واذا كان لى أن أعقب فحسبى أن أنبه مخلصا الى ان الخوف من الحياة غير الجبن ، فالجبن انما هو الخوف من الموت ، وأما الخوف من الحياة فهو اشفاق المرء من امتهان المقادير التى لاحكم لاحد عليها ، واستذلال الضرورات التى لا غنى لحى عنها ، ومن ثمة قد يجمع المرء بين الخوف من الحياة ومجابهة الموت . ثم ان الخوف من الحياة طبيعة فى المفكرين الذين يؤثرون الاستغراق فى التجريدات الذهنية والسبحات الروحية ، فان الاشتباك مع الحياة فيما يقتضى الجهاد المادى يشغلهم عن الفراغ للتأمل الفكرى

أضف الى هذا ان متاع الحياة لم يعد كله رهن المرأة . فقد تعددت أسباب المتاع وتنوعت أذواقه واتسعت آفاقه من أثر التعليم والثقافة وبفضل ما استحدث العلم من مستكشفات ومخترعات ، فهذه لذة السياحة ــ مثلا ــ أصبحت من تقدم المواصلات وسرعتها واعتدال نفقتها ميسورة مأمونة ، ينتقل المرء موفور الراحة فى أنحاء العالم كأنما يسرى على بساط الريح فى عالم الاحلام يطالع من البدائع كل مستطرف جديد لا عهد له به، ثم هذه متعة الصور المتحركة « السنما » ، وقد استوفت اليوم عدتها ، واستكملت

أدواتها ، واجتمع لها كل جاذب محبب من تمثيل صادق وصوت ناطق وتصوير شائق وفكرة رائقة فافتتن بها الخلق لتغلغلها فى نفوسهم وامتزاجها بكل وشيجة من نسيج كيانهم ، حتى دخلت فى عداد لوازم الحياة وضروراتها عندهم • ثم هنالك غير هذه وتلك مشاهد فنية ، وسماعيات موسيقية ،ومطالعات تسمح بها المطابع منوعة منمقة ،وبالجملة لذات لاحصر لها تنازع الحياة الزوجية فتنتها ،وتزاحمها مكانتها التى كانت لها عند الناس من قبل

فهذان العاملان : المزاج الخاص الذى عليه طبعت وهو الخوف من الحياة ، والظروف العامة للعصر من حيث تعدد أسباب المتاع بما بسطت مستكشفات العلم ومخترعاته من أفق الحياة ـ هذان العاملان هما اللذان صرفانى طوال هذه السنين عن الزواج

وهنا ولا شك يملك القراء العجب ، ويتساءلون : فما بالك اذن تزوجت ؟! أترى تغير مزاجك ؟! وظروف العصر ، أتراك تزعمها هى أيضا قد تغيرت وصارت حالنا غير الحال ؟!

وجوابنا عن ذلك بالنفى ، فالخوف من الحياة ما زال عنى ولن يزول ، والعلم لا يفتأ يوسع من أفق الحياة العصرية وينوع من متاعها

ـ اذن كن عند صراحتك ، وقل ، لماذا تزوجت ؟

وجوابى : خدعت ، غلبت حيلة الحياة على حيلتى

كنا منذ اثنى عشر عاما نجاور أرملة وفتاتين ، فوقع ما يقع عادة بين الجيران من تزاور ، وكان مشهد العدد العديد من كتبى يحملها الحمالون الى هذا المسكن الجديد مثار اهتمام هذه الاسرة ، فقد وضح لى بعد التعارف ان الاسرة من فريق الحالمين الواقعين تحت سحر الكلمة المطبوعة ، فالفتاة الكبرى تقرأ فى الديانات على اختلافها ، وتتعمق فى الالهيات ، وتؤمن بالسحر ، وتعكف على دراسة علم النجوم ، وتراجع فى مصنفات الطب ومركبات الادوية والعقاقير ، والصغرى تشارك اختها فيما تطالع بعض المشاركة ، ولكنها بطبعها أميل الى الشعر ، والقصة العميقة شعورا وتفكيرا ، والفصول الادبية العالية ، والنقد التحليلى ، والمؤلفات فى علوم الأجتماع والفنون الجميلة • وأما الوالدة فلا تقاس الى بنتيها من حيث التعليم والتحصيل ، ولكنها مثلهما ولعا بالقراءة أو الاستماع لها ، وعلى الاخص بالمذاكرة فى الروحانيات ، وهى من هذه الناحية اقرب الى كبرى بناتها

والقارىء لا محالة يعرف من هذا الوصف اين موقع الخطر ، على أنه بقى كامنا يرصدنى اثنتى عشرة سنة كاملة ، كنت فى اثنائها آنس منى اهتماما بأن أقرىء الصغرى ما أقرأ ، ثم أخذت هى نفسها بمثل هذا ، فجعلنا نتقارض الكتب ، وكنا نتفق فى عادة هى التأشير على مواضع الاحسان فيها ، فاذا بنا نتلاقى فى هذه المواضع ونتكاشف ونتسارر ، واذا بنا نزداد مع كل كتاب يقينا بأن قد وافقت نظرتى نظرتها ، وطابق احساسى احساسها

على ان الزواج لم يكن فى خاطرى ، والله العليم بما كان فى خاطرها • وقصارى علمى

انه كان ثمة أكثر من خاطب تقدم الى طلبها اكثر من مرة فى هذه الفترة • فهى ايضا ليست من هواة الزواج

ومرضت والدة الفتاتين ، فاذا ميلى للصغرى يتخذ سبيل ظهوره فى صورة العطف والمواساة لها ، وطال المرض ، فبرح الخفاء واتضح الهوى ، وألفت نفسى التفكير فى الزواج ، ثم قضى الله قضاءه فكان أمر الزواج مقضيا

وأحب ألا أدع هذه المناسبة ، دون أن أعلن ما وقر فى نفسى من مشاهداتى المتكررة ، ثم من تجربتى الشخصية الاخيرة ، عن موضوع « ازمة الزواج » فيما يقال عندنا ، فان علاجها الذى بلوته في الآخرين كما بلوته فى نفسى ، هو ان يطلق للجنس الآخر بعض الحرية للعمل ، فان الفتى لا يطلب الزواج اليوم ، بل يجاهد نفسه لاجتنابه لعدة عوامل فعالة : منها الضيق المالى مع ارتفاع مستوى المعيشة ، ومنها توفر الملذات من حسية ومعنوية مع تقلب الهوى واستطراف الذوق ، ومنها الكثير غير ذلك • فاذا ترك الفتى لنفسه فما هو بالمتزوج ، فان الزواج تضحية ولا شك من جانب الرجل ، ومن جانبه وحده فى معظم الاحيان ، ولن ينجع فى اقناعه فرض الضرائب على العزاب ، وتمييز المتزوجين من ذوى العيال ، وما الى ذلك من المؤثرات الخارجية • بل لا بد من حيلة دخيلة تفعل فعلها الداخلى ، واما هذه الحيلة فلا علم لنا بها نحن الرجال لاننا لسنا من أهلها ، وانما هى للجنس الآخر • فاذا نحن سامحنا لهن فى الاختلاط بعض الشىء ، وخلينا لهن من فضل الحبل ، بعد تلقينهن هذه القصيدة « الرجل الذى يحترم المرأة يتخذها زوجا لا خليلة » ، وسنح الصيد ، فانهن لا شك قانصات زوجا ، ومهما كان من احتراسه وعقله فانهن غالباته على حذره ، خادعاته عن نفسه !

***

وبعد ، فلا اكتم القارىء انى مع حمدى للزواج ، لا أحب غمط العزوبة ، فهى أوفى ضمانا للوحدة التى لا يتم بدونها العمل العظيم

على ان عزائى عن فقد وحدتى ، أننى وفقت الى اختيار رفيقة الحياة التى لا اضطر أن أحط من مستواى الفكرى لالتقى معها فى صعيد واحد ، بل التى يحدونى محضرها الى حفز قواى واطلاق العنان لجناحاى ، ليطالعنى تهلل الرضى عن زوجها فى طلعتها ، وبريق الاعجاب والحب فى نظرتها ، وأشعر انى معها أتقدم على نفسى وأفوقها

عبد الرحمن صدقى

المرأة المثالية

« المرأة المثالية عندى هى المرأة التى هداها سعد الطالع الى زوج مثالى »

بوث تاركنجتون

تحية - و - تهنئة

أرسل الاستاذ كاتب مقال « لماذا تزوجت بعد الاربعين » الى الشاعر الكبير الاستاذ عباس محمود العقاد حق الحلوى bonbonnière المعتاد توزيعه على المدعوين وخاصة الاخوان فى الاعراس ، وشفع الهدية بالابيات الآتية :

هذى هدية عرسى — الى « فتى » عين شمس
عدوى تثاؤب عمرو(١) — فى يومنا مثل أمس
يا أسوة ما تأسى — قد جاء وقت التأسى

صدقى

١٩٤٠/٢/٤

فجاءته هذه الابيات :

الى الاخ (أو الاب) عبد الرحمن صدقى :

لم يغن ترسك شيئا — فهل سينفع ترسى ؟
اذا تزوج « صدقى » — فلست أضمن نفسى
ولست أنجو ولو فى — دار « المعرى » حبسى
فاهنأ بعرس اختيار — بعد اختبار ودرس
راضت شماسك حبا — والحب رائض شمس
وطوعتك بسحر — من عطفها لا بيأس
لولا فضائل فيها — ما كنت صاحب عرس

العقاد

---

(١) اشارة الى بيتى ابى العلاء المعرى فى شأن امتناعه عن الزواج :

تواصل حبل النسل ما بين آدم — وبينى ، فلم يوصل بلامى باء
تثاءب عمرو اذ تثاءب خالد — بعدوى ، فلم تعدينى الثؤباء

موازنة بين موسوليني وهتلر

بقلم الاستاذ على أدهم

أصدر الكاتب العالمى اميل لودفيج كتابه الاخير « اتحاد مقدس جديد » وقد وازن فيه بين موسوليني وهتلر موازنة تصورهما تمام التصوير فى الاخلاق والسياسة والاغراض ، وقد استخلص الاستاذ على ادهم هذا المقال من هذا الكتاب القيم . وهو يعطى صورة جلية لكل من هذين الزعيمين اللذين يختلفان فى جميع الصفات والطباع ، وان جمعت بينهما ظروف السياسة الدولية (المحرر)



نشأ موسوليني وهتلر بين قوميهما في ظروف جد مختلفة . فموسوليني ابن حداد ، وكان يقف على الكور وهو طفل ويساعد اباه فى تشكيل الحديد المصهور ، وفى المساء كان يستمع الى الاحاديث التى تدور بين والده واصدقائه العديدين عن الثورة والتبرم بالنظام السائد . وقد كان والده من اولئك الساخطين الناقمين الذين يشعلون الحماسة ويستغضبون الناس . ولما مات ابوه شيعه أهل بلده جميعا الى مثواه الاخير ، وقد علم اصدقاؤه الثورويون ابناءه نظرية ماركس ومذهب الفوضوية ، فاستطاع موسوليني فى ابان نشأته ان يطلع على نشرات مصادرة ورسائل ممنوعة ، وزاول مهنة التدريس . ولما بلغ الثامنة عشرة بدأ يشق لنفسه طريقا في زحمة الحياة ويعول اسرته ، والقى فى السجن لاتهامه بالتحريض السياسى ، ثم فر الى فرنسا واشتغل بناء . وتقلبت به الاحوال بعد ذلك فعانى ضروبا من الشدائد ، فنام مرات تحت القنطرة فى جنيف ، وطرد من سويسرة ، وعاش بعد ذلك حينا خاملا متخفيا فى جنوب التيرول ، ثم عاد الى بلده وهناك اعيد الى السجن . وقد قال عن نفسه انه عرف بين سن العشرين والسادسة والعشرين احد عشر سجنا . وخلال تلك السنوات العاصفات كان يؤلف الروايات ويحرر النشرات علاوة على المقالات السياسية . وكان قبيل الحرب الكبرى صاحب اكبر الجرائد الاشتراكية النزعة فى ايطاليا

اما هتلر فقد كان بين الخامسة عشرة والخامسة والعشرين من سنه « بوهيميا » ومصورا فاشلا لا يستطيع النجاح فى أى امتحان • وكان خاملا فاتر الهمة ليس فيه ما يدل على انه من ذوى المواهب او ان له قدرة على الابتكار • وكان يعيش مما تنفقه عليه أمه الارملة • وقد ابعد من مدرسة الفنون لانه لم يستطع ان يحسن الرسم او يجيد التخطيط • ولم يعرف بعد ذلك مهنة يزاولها أو لونا آخر من ألوان الفن يتقنه • وظل سنوات يعيش عيشة الكفاف دون ان ينمى اطلاعه ويسمو بمداركه

ولما قامت الحرب كان شخصا مجهولا • وسره ان يجد له عملا فى الجيش وذلك على خلاف نظيره الايطالى الذى كان حينذاك قوى النفوذ الى حد انه ارغم ايطاليا على دخول الحرب عن طريق حزبه وجريدته ، فموسولينى فى ايطاليا ممن خلقوا الحرب ، أما هتلر فانه ممن خلقتهم الحرب

وعقب انتهاء الحرب وجد موسولينى الفرصة سانحة لتأليف الحزب الذى يوليه القوة ويمنحه النفوذ التام • وقد استطاع بلوغ غايته بعد ثلاث سنوات ، ففى سنة ١٩٢٢ كان الحزب من القوة والسطوة بحيث ان مسيره الى روما قلب الحكومة القائمة وارغم الملك على دعوة الزعيم من ميلانو ليتولى زمام الحكم

من ذلك التاريخ صار موسولينى النموذج الذى يحتذيه هتلر ، فلما اوجد موسولينى التحية الرومانية التى لها أصول فى ايطاليا استوردها هتلر الى المانيا ، ولما البس جنوده القميص الاسود استحدث هتلر لبس القميص الرمادى ، ولان موسولينى سمى نفسه « الدوتشى » اطلق هتلر على نفسه لقب « الفهرر »

وقد احتذاه كذلك فى المسائل السياسية : فموسولينى بالغ فى اظهار خطر الشيوعية ليرعب الناس ويجلبهم الى صفه ، وقد كانت مصانع قليلة فى يد العمال قبل مجيئه بعامين، اما فى المانيا فقد كانت قد انقضت عشرة أعوام على آخر ثورة للشيوعيين الالمان لما وضع هتلر اساس نهوضه على مكافحة الشيوعية والقضاء عليها

فكيف وصل الى النفوذ ؟ الانه اكتسب خبرة فى ايام الحرب ؟ لقد استطاع موسولينى بطبيعته القوية ان يمتاز فى الميدان ويبرز ، اما هتلر فليس فى سجلات فرقته شىء عنه ولا يعرف عنه فى معرض الشجاعة والاقدام الا انه نجا بجلده فى نوفمبر سنة ١٩٢٣ فى ميونخ فى الوقت الذى أصيب فيه كثير من اصدقائه

فمن اين اذن جاءه النجاح واسعفه التوفيق اذا كان لا شبابه الضائع ولا مواقفه فى الحرب قد أعدته للقيام بالعمل الذى يباشره ؟

سبب ذلك الظروف التاريخية ورد الفعل القومى ، فقد يسر ذلك للالمانى الصعود الى مدارج القوة اكثر مما يسر لضريبه الايطالى

كانت ألمانيا منهزمة فى أول ظهور هتلر ، اما ايطاليا عند ظهور موسولينى فقد كانت منتصرة ، وظلت محتفظة بنظامها الملكى الديمقراطى ولها برلمان قد عدل تعديلا غير

جوهرى . وموسولينى لم ينتقص حقوق الملك ولم يمس سلطان الكنيسة ، أما فى ألمانيا فقد هرب اثنان وعشرون من الامراء ليلا وحل محلهم قادة شعبيون غير مدربين ، وكان عليهم ان يحتملوا العبء ويقودوا السفينة فى ظروف صعبة ، وذلك فى حين ان الايطاليين كانوا شاعرين بالانتصار وبأن بلادهم قد اتسعت رقعتها وتحققت غاياتها . وكان الالمان يشعرون شعور المنهزم الذى فقد كل شيء حتى الشرف ، والشعب الذى احتمل الجوع أربع سنوات فى حصنه المرهوب كان يواجهه مستقبل عابس قاتم لا يلتمع فى نواحيه أمل، ولم تنجد الأقدار ألمانيا فى تلك الفترة برجل عبقرى يستولى على مصائرها ويسير بها وانما كان يقود المانيا طائفة من الرجال الامناء

وكان عمل الجمهورية التى لا تحمد عليه هو اقرار معاهدة فرساى ، وكان عمل المعارضة الذى تشكر عليه هو مهاجمتها !

وكان الالمان فى أشد حاجة الى من يؤكد لهم انهم لم يهزموا الا بسبب الغدر والخيانة ، وقد نجح هتلر لانه حمل عن كاهل الشعب هذا العبء

ومن أقوى اسباب نجاحه اختياره اللحظة « السيكلوجية » للعمل ، فقد خلص الالمان من « مركب النقص » الذى كان يحز فى نفوسهم

وعندما تسلم هتلر مقاليد السلطان كان رجال ثلاثة امناء قد عملوا جميعهم على تحطيم معاهدة فرساى ، وهم راتناو وسترسمان وبرونتج ، وكانت العقوبات الثلاث الصارمة التى فرضها المنتصرون على ألمانيا ــ وهى احتلال ارض الراين والتعويضات ومنع التسليح ــ غير معمول بها

ولم يصب الحكم النازى فى سنواته الاولى نجاحا يذكر ، وكان لابد له من ان يحمل غيره اخطاءه . وقد أصابوا ذلك فى اليهود الذين لا حامى لهم . وقد مات فى الحرب اربعة عشر ألفا من اليهود ، ولكن هتلر أمر بمحو اسمائهم من سجل ذكريات الحرب . وقد وجد نزعة كراهة الساميين فقواها وشجعها لانه يفهم العقلية الالمانية

وسبب العداء بين الالمان واليهود هو ما بينهما من اوجه الشبه ، واليهود من ناحيتهم يعجبون بالالمان ويفهمون الفكر الالماني ، والكتب السبعة التى كتبت عن جيتى كتبها يهود، وكلا الشعبين يلتقى فيه النزعة العملية مع حب الموسيقى والواقعية مع الفلسفة ، وكلاهما يفضل ان يصوغ حياته على قالب من القوالب بدلا من ان يتركها تنمو نموا حرا مطلقا ، وهما الشعبان اللذان ادعيا انهما « شعب مختار » ، انما الفرق بينهما يتجلى فى حب اليهود للمساومة وحب الالمان للحرب ، فى حين ان الخيانة كما يبدو فى اساطير الامتين من محتكرات الالمان

وتأثير هتلر قائم على قدرته الخطابية ، فالمانيا لم يكن بها خطيب ذائع الشهرة خلاب البيان ، وكان ملوكها وقياصرتها لا يخطبون الشعب ولا يتحدثون الا الى الافراد القلائل ذوى المراكز السامية ، وذلك فى قصورهم أو على الموائد فى الحفلات ، وكان الوزراء

لا يتحدثون الا في « الريشستاغ » ولم يخطب بسمارك الناس لاول مرة الا بعد سقوطه وبلوغه السبعين . ولم يكن بين زعماء الاحزاب خطيب مفوه

بمجيء هتلر جاء الخطيب الذي سحر الالمان وخلب البابهم وملأ اسماعهم وقلوبهم ، وذلك لان خطبه تلائم موسيقى واجنر الحبيبة الى نفوسهم ، ففيها الصياح والعويل والارنان، وفيها تنويم الاحساسات وتخدير المشاعر ونقل الانسان الى جو تبدو فيه سطوة الارباب وصنائع الابطال واعتداد الشعب بنفسه وافتخاره بامجاده ، وهتلر من المعجبين بواجنر القادرين لما في موسيقاه من الجمع بين الفخامة والغموض والبراءة والوحشية ، وهذه الصفات نفسها هي التي تجعل خطب هتلر شديدة الايحاء قوية التأثير في نفوس الالمان . وهتلر يتصور عمله في الحكم من حيث هو فصل من فصول اوبرا واجنر

اما موسوليني فانه يستمد مثله الاعلى من التاريخ لا من المسرح ، وعندما يرسل موسوليني خطبه من قصره فان صوته الذي يرن رنين المعدن يصل الى سامعيه في جمل بسيطة طبيعية اشبه بضربات المطرقة ، فينصرف الناس الى بيوتهم وهم يقولون : « اننا نفهم هذا الرجل وهو على حق » ولكن هتلر عندما يتحدث يخيم على سامعيه ضباب ويرتفع صوته خلاله حتى يصير اجش ويستحيل صرخات وتنهدات ، فيذهل سامعيه ويعطل مداركهم ، فيعودون الى بيوتهم وهم يقولون : « اننا لم نفهم شيئا مما قال ، ولكنه لا بدان يكون قد نطق بالا وابد » وموسوليني يخطب قوما كل منهم قد ولد خطيبا ، وهذه الحقيقة لم تمكنه من ان يأخذ الناس على غرة ، وانما اكتسبهم الى قضيته بالتدريج ، والفرق بين هذين النوعين من الخطابة ان الاولى واضحة معقولة والثانية صوفية غامضة ، والاولى تلائم موسيقى فردي والثانية توافق موسيقى واجنر

وموسوليني قليل الحديث عن نفسه ، اما هتلر فانه دائم الحديث عن نفسه . وهو يتصور التاريخ المعاصر من حيث هو تعبير عن شخصيته . ومن الحقائق الدالة في تاريخ المانيا تسليمها قيادها مرتين لرجلين دائبي الصخب والتهديد

وكتاب هتلر المسمى « كفاحي » حافل بعبارات الكراهة والاعتداء ، وموسوليني ليس بالرجل الدمث الاخلاق فهو كذلك يمقت اعداءه ولا يهادنهم او يتسامح معهم ، ولكنه بناء منشىء وقد ساس ايطاليا مدة ثلاث عشرة سنة دون ان يعلن حربا أوربية ، ولكن هذا متعذر على رجل مثل هتلر

وموسوليني رجل تام الرجولة ورب أسرة كبيرة . وهو يجيد قيادة السيارة ويحسن الطيران ويحمل الفأس ، اما هتلر فانه لا يخرج للرياضة ولا يستطيع ان يمتطي جوادا أو أن يقود سيارة ، وهذا هو المنتظر منه بعد شبابه الحالم . وهو لا يحسن سوى تنظيم الاحزاب وحبك الدسائس ، وقد اجاد فن قيادة الاحزاب وهي لاتستلزم غير هاتين الصفتين

وكتابة موسوليني تسهل قراءتها مترجمة . وهو يستحضر اخيلته من الطبيعة ، أما هتلر فلغته رديئة ولا تكاد ترى له تعبيرا طريفا او صورة مبتكرة . والفاظه دارجة مبتذلة

لا تضيئها سوى حرارة الكراهة والحقد ، وهو يجهل ادب جيتى ، وليس فى كتابه ما يدل على معرفته بشاعر آخر من شعراء الالمان

وموسولينى له آراء جديرة بالنظر فى شكسبير ، وعندما يتحدث عن الفن لا يخلط ولا يهرف ، وقد عرف كيف ينمى ثقافته ، واجاد الفرنسية والالمانية وألم بالانجليزية فى حين ان هتلر لم يتعلم لغة أخرى • وموسولينى شديد الرغبة فى التعلم والاستيعاب ، واما هتلر فدأبه ان يعلم • وكل زائر يتلقاه موسولينى يسأله اسئلة تدل على الفهم والتبصر ويعرف منه اشياء قيمة ، اما هتلر فانه لا يتيح لزائريه فرصة الحديث ويظل هو يثرثر ويقلب عينيه وينقر على الزجاج بأصابعه ثم يصرفهم فجأة من حضرته • وعقل موسولينى له طبقتان : الطبقة السفلى يخاطب منها الجماعات ، والطبقة العليا يستمد منها التفكير ويسخر بها من تلك الجمل الرنانة التى تستهوى الجماهير ، اما هتلر فانه يؤمن ويصدق بكل السخف الذى يقذفه على اسماع الجماهير

وهتلر كثير المخالطة للممثلين والاجتماع بهم ، وهذا يفسر ولوعه بالمفاجآت المسرحية ، اما موسولينى فهو متفرغ لاعماله ولا يختلط بالمجتمع ولا يدعو الزائرين الى محل اقامته

وهتلر يبشر بنظرية تفوق الجنس ، وموسولينى كان يسخر من ذلك ، وقد عطف اخيرا على تلك النظرية وأراد أن يتلمذ فيها لهتلر ولكنه مع ذلك لم يزعم ان شعبه وجد ليحكم الدنيا ، وهو لذلك يستطيع ان يساير سائر شعوب الدنيا دون ان يسطو بها ويعتدى عليها ، فموسولينى مرن لدن أما هتلر فانه صلب صارم

ويزعم الزاعمون ان هتلر وموسولينى قد زادا شعبهما ثقة بالنفس • وهو زعم غريب عندما نقدر انهما منعا حرية الكلام • ولكن الواقع ان منع حرية الكلام اشد خطرا على الالمان منها على الايطاليين ، فالايطاليون شعب كثير النقد فهم من ثم فى حاجة الى ان يتشبعوا بشىء من روح النظام ، اما فى المانيا فان هتلر بدلا من ان يترك لهم الحرية أخذ يلزمهم باتباع اقصى حدود النظام ــ وهم بطبيعتهم اكثر شعوب اوربا نظاما

وقد أصاب موسولينى فى الايطاليين شعبا لم يكن يجيد الحرب منذ قرون فحاول ان يخلق منهم ابطالا محاربين على طريقته ، اما هتلر فقد وجد احب شعوب أوربا للحرب وقد عانوا الهزيمة فأخبرهم ان شرفهم الضائع لا يعاد اليهم الا بالحرب ، وهذا ما كانوا يريدون ان يسمعوه

وموسولينى سياسى وساخر غير مخدوع فى الطبيعة الانسانية ، أما هتلر ففيه النزعة الصوفية ، وهو يحاول ان يخلع على نفسه برد النبوة ، وستكون خاتمة هتلر ــ لا خاتمة موسولينى ــ مثل نهاية نابليون الثالث

على أدهم

آداب المسرح

بقلم الأستاذ سليمان نجيب

مدير الأوبرا الملكية

هذه خلاصة المحاضرة القيمة التي ألقاها الأستاذ الفنان سليمان نجيب مدير الأوبرا الملكية بقاعة يورت التذكارية بالجامعة الاميركية ، بالقاهرة . وقد لمس فيها نواحي النقص الذي يشكوه العارفون في آداب المسرح الحديث

كيف ننقل فنون المسرح ؟

أدب المسرح شيء جديد على قومنا . وهم في حاجة الى الالمام به . وإن شئتم تعبيراً أوفى قلت إننا في حاجة إلى إنشائه وابتكاره ابتكاراً

فاذا تقرر لدينا ذلك وجب علينا أن نرجع الى جونا وبيئتنا وطابعنا الخاص ومميزاته ، ثم نرجع الى أصول هذا الفن عند الأمم التي أخذناه عنها ، فنعرض هذه الاصول على أصولنا ونأخذ منها مايلائمنا ونحور فيها على ما يتفق وطبيعتنا وآدابنا حتى نستخلص من كل ذلك ما يصبح عندنا قانوناً محترماً نأخذ أنفسنا به حتى يصير من طبعنا لا نتكلفه ولا نحس له قيوداً

والمصدر الذي سأرجع اليه في تقرير الأصول التي نأخذ عنها أدب المسرح هو نظام المجتمعات الفنية في مصر في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن ، مقارنا اياها بآداب المسرح عند الفرنسيين بنوع خاص ، لأنهم الشعب الذي أخذنا عنه مباشرة مسرحنا الحديث

كانت المجتمعات الفنية عندنا في القرن الماضي تشمل مجالس الغناء ، ومجالس سماع القصص ، ومجالس تلاوة القرآن ومجالس الاذكار

مجالس الغناء

لندع كل ما كان يعمد اليه المغنون والموسيقيون المشتركون معهم من حسن الاستعداد والعناية التامة بضبط أدوارهم والتمرن الكامل على أدائها فذلك شيء يشترك فيه جميع الفنانين في ذلك العهد ومرجعه بل سببه الاول هو يقظة الجمهور وتلك الآذان المرهفة الحساسة التي تنتقد الباطل النحط المزيف وتدرك الغلطة الضئيلة التافهة . وسبب آخر هو احترام الفنان لفنه وعنايته به

ولنأخذ في أدب المغني والموسيقي اذا جلس للناس يسمعهم ويطربهم ، فأول واجباته أن يختبر

الامزجة اختبار العارف الخبير ، يضع أنغام يرسلها على سبيل اصلاح الآلات وضبطها . ومن هنا يستطيع أن يمتزج بالجمهور امتزاجا روحيا فيرسل أنغامه وفق الاهواء والمشاعر . حتى كأن السامعين يشاركونه فيه بأرواحهم ، وهو يوزع أنغامه على الحاضرين جميعا فى لباقة وظرف حتى ليخيل الى كل منهم أنه انما يغنيه وحده ، ويسكب الموسيقى فى أذنيه وحده

إنه يحافظ فى جلسته أمام الجمهور على الأدب نحو الجمهور . فلا يتكىء اتكاءة تنافى هذا الادب ، ولا يضع ساقا فوق الاخرى على مثال تشمئز منه النفوس

وكان أكثرهم يبدأ غناءه بنشيد خاص يرتله مع فريقه يفتتح به الحفلة ويرجو لها بركة وخيراً ويمناً ، أو يحيي الحضور ويلمس رقيق احساساتهم

ولقد درج المرحوم الشيخ سلامة حجازى على هذا التقليد حيث كان يبدأ حفلاته بنشيد مع أفراد فرقته فيه هذا المعنى الى جانب تحية رقيقة لولى الامر فى البلاد ، ينشدونه جميعاً وقد توسطهم عميدهم وهم متدثرون بعباءات فضفاضة حمراء تحجب تحتها ملابس التمثيل

فوق هذا لقد كان أولئك الأمجاد عبده ومحمد عثمان وسلامة حجازى على خلق عظيم

مروءة يضرب بها المثل ، ونجدة هى الاولى من نوعها ، واحترام لأنفسهم كان يضطر أعظم العظماء الى احترامهم ورفعهم الى المكان اللائق بهم

وقد كان معظم حفلات الغناء فى الأفراح . فكان المدعوون يتناولون عشاءهم بعد أذان المغرب ولا يبدأ الغناء قبل الساعة العاشرة مساء . فاذا انتهى العشاء قام المدعوون جميعاً الى السرادق الكبير وأخذ كل منهم مجلسه والجميع فى أبهى ملابسهم بحيث لا يجوز لامرىء أن يحضر حفلة إلا فى لباس خاص قد أعده لذلك . وفى هذا ما يشابه تقيد الافرنج بلباس السهرة فى أمثال هذه الحفلات . ويلبث الناس يتجاذبون أطراف الحديث والنكات المستملحة حتى يشيع فى الجو المرح والسرور ، حتى إذا دخل المغنى تلقوه بالترحيب والتصفيق وسكنت كل حركة وخفت كل صوت واستعدوا لتلقى هذا الفن الجميل بكل جوارحهم

لقد كان منهم من أولع بالشراب ، وهؤلاء كانوا يأوون إلى ناحية منعزلة ، فاذا ظهروا حافظوا جهدهم على اتزان البدن واللسان ، وويل لأحدهم اذا رفع صوته ولو بكلمة إعجاب !

مجالس القصاصين

أما مجالس القصاصين وهم الذين كانوا يسمونهم المحدثين ، فانها أقرب الى ما نحن فيه من أدب « التياترو » ، لأن موضوعها انما هو القصة

لقد كانت هذه المجالس فريدة فى نوعها ، وكانت تنعقد فى قهواتنا البلدية حيث يجلس المحدث على دكته العالية ، ويجلس الجمهور على المقاعد التى تملأ أنحاء القهوة . ثم يلقى المحدث قصته القاء نغما

مع تمثيل المواقف التى يمر بها ، ومنهم من كان يستعين بالربابة عند إنشاد الشعر

ولابد أن تتوفر فى « المحدث » شروط ضرورية ، فيجب أن يكون جهورى الصوت حسن الأداء ، وقد نبغ من بينهم رجال كانوا أقرب إلى الممثلين فلا تفوتهم صغيرة ولا كبيرة فى التعبير بالملامح والاشارات وتنغيم الصوت . ومنهم من أوتى القدرة على تغيير صوته بحيث كان يتلو حواراً بين أبى زيد الهلالى وعبده أبى القمصان فيخيل إلى السامع أن رجلين يتكلمان

أما الجمهور فقد كان إقباله عظيما على هذه المجالس ، وكان تأثره عظيما بها ، وقد بلغ من اندماج الجمهور فى القصة انه كان ينقسم أحزاباً ، كل حزب يناصر بطلا من أبطال القصة ، ويشتد بينهم الجدال فى فترة الاستراحة ، فكل يشيد بذكرى بطله ، ولا يخرجهم من غوغائهم الا عودة المحدث إلى القصة فاذا الجميع سكوت كأن على رؤوسهم الطير

أتصدقون مثلا أن سامعى قصة عنترة العبسى كان يبلغ بهم التأثر انهم كانوا يقيمون عرساً وزينة وطبولا وغناء عند ما يصل المحدث إلى الموضع الذى يتزوج فيه عنترة من عبلة بعد ما يلقى فى سبيلها من عنت وإرهاق ؟ !

أما مجالس القراءة والأذكار فلا يختلف جمهورها وفنانوها عما ذكرنا إلا فيما يحيط بها من جلال الدين وتأثيره مما يجعلها أعمق أثراً فى النفوس

تقاليد العصر وآدابه

والآن نستطيع أن نستخلص من كل هذا :

أولا ــ أن الفنانين كانوا على جانب عظيم من الاحتفاظ بالكرامة ومراعاة الأخلاق العالية

ثانياً ــ كان الجمهور يحترم مجالس الفن ويحتفل بها احتفالا عظيما

ثالثاً ــ كان ذلك الجمهور على درجة من الجهل فى مجموعه ، حتى اضطر الفنانون الى اتخاذ منبه ينبه الناس الى السماع ويدلهم على محاسنه

ولبث هذا المنبه الذى كانوا يسمونه المطيب الى عهد قريب

وقد اصطلح القوم على أن يكون من تقاليد هذه المجالس ارتداء أحسن الملابس ، والمحافظة على المواعيد بحيث لا يتأخر أحد عن بدء الحفلة ، وتجنب الانصراف فى أثناء الاستماع

وكل من خالف أصلا من هذه الأصول يعد خارجاً يستحق اللوم

أفلا ترون معى أن آداب المسرح لم تخرج قط عن هذه الأصول فى أى بلد من البلاد ؟ وهلا ترون ان اختيار أحسن الملابس لهذه الحفلات يعادل التقيد بلباس السهرة عند الأمم الغربية ؟

آداب المسرح الجديد

إن آداب المسارح عند الأمم الغربية لا تتنافر فى قليل ولا كثير مع أصولنا وآدابنا ، بيد أننا

فى حل من أن نأخذ بهذه القواعد التى وضعوها ونحمل أنفسنا على قانون لا نحيد عنه قيد أنملة ، وأود أن أجعل من كلمتى هذه ربطا لتلك الأصول والتقاليد ليرجع اليها شبابنا المثقف

وهذه الأصول نلخصها فيما يلى :

أولا — احرص على أن تصل الى المسرح قبل الميعاد بدقائق ففى هذا راحة لك واحترام للممثل وللدار

ثانياً — اطلب برنامج الليلة لتعلم شيئا عما ستشاهده

ثالثاً — اخلع معطفك وضعه فى مكانه الخاص لتستريح فى مقعدك وتريح جيرانك

رابعاً — اجتهد أن تعرف مكانك بالتقريب من رسم الصالة الموجود في شباك التذاكر لتسهل للموظف المختص مهمته ومهمتك

خامساً — اذا كان معك سيدة فلا تتقدمها بل سر بجانبها ولا تجلس الا اذا جلست هى

سادساً — ليس كل ما يعرض أو يقال على المسرح وفق هواك واستحسانك فاحتفظ بانتقاداتك الى فترة الاستراحة ولا تحادث جارك ولو همساً . ان هذا يضايق الممثل ويضيع على المحيطين بك لذة السهرة

سابعاً — لا تغادر مقعدك أثناء التمثيل الا مضطراً

***

أما وقد وصلنا الى هذا فلنعمل جمهوراً ومتفرجين على تنفيذ ما قلنا ، ولنعمل نقاداً ومحبذين على أن تنزه أقلامنا وتنهض بأكبر واجب فى فرض آداب المسرح وقوانينه

ان هذا الفن مريض فواجبنا كمتصلين به واجب شاق . ولعلنا نذكر تصريح المسيو اميل فابر مدير الكوميدى فرانسيز سابقاً والذى جيء به ليعالج الكسر الذي يشكو منه فن التمثيل والمسرح فى مصر . فقد قال : « ليست عندكم دور مسارح أهلية . قبل أن تفكر الحكومة فى تكوين فريق يجب أن تبنى مسرحاً ... ممثلوكم أبطال لأنهم يقومون بواجبهم دون تهيئة الجو الذى يخلق المنظر اللازم المتفق مع فكرة الرواية . انهم أبطال لأنهم يؤدون أدوارهم بين « دردشة » المتفرجين و « قزقزة » اللب ، وضجيج الترام وصفير « المترو » . أما ممثلاتكم فآسف أن أقرر أن مستوى الكثير منهن دون مستوى الرجال بمراحل »

ثم ختم حديثه معلقاً على ميزانية الفرقة القومية بقوله :

« وما قيمة الـ ١٥٠٠٠ جنيه لتقويم المسرح المصرى والنهوض به ؟ »

أنا لا أردد هذا لأثبط الهمم وأسم البئر . كلا ! ولكن يجب أن نذكر عيب الأمس وانتقاد العارفين لنصل الى كمال الغد ، ولنرى طريق النجاح ونتجه اليه

سليمان نجيب

لماذا انضمت تركيا الى الحليفتين

ولم تنضم الى المانيا ؟

لماذا انضمت تركيا الى جانب الحليفتين ولم تنضم الى ألمانيا حليفتها فى الحرب الكبرى الماضية ؟ سؤال طالما ردده الكثيرون وبخاصة فى الشرق حيث الاثر الذهنى للتحالف التركى الالمانى لا يزال قويا عند الذين عاصروا حرب عام ١٩١٤

ولقد كان فريق من ذوى الادراك السياسى لا ينتظرون عقد محالفة اكتوبر سنة١٩٣٩ بين تركيا والحليفتين ، أو على الاقل كانوا لا يتوقعون ابرامها بتلك السرعة.فلما أبرمت ذهبوا الى ان ابرامها كان نصرا للحليفتين وبخاصة انجلترا ، وظنوا ان تركيا ستندم على مافرطت فيه وحشرت نفسها بدون مبرر فى حرب أو تهيؤ لحرب لا ناقة لها فيها ولاجمل، ويقولون : هل نسى الترك معارك الدردنيل وما لاقوه من «ألبيون» من اعنات ودسائس وتقطيع أوصال دام أجيالا بعد أجيال ؟ مما يعيد الى الذاكرة تاريخ العداوة بين هاتين القوتين اللتين تنازعتا مناطق النفوذ فى شرقى حوض البحر الابيض وما يلى ساحله شرقا مما يسميه الالمان Hinterland وذهب بعضهم الى ان ساسة الترك نسوا فيما نسوه سياسة زعيمهم أتاتورك عندما تسرعوا بالتحالف مع أكبر أعدائه

وقد تحدث كاتب هذا المقال فى كل ذلك مع بعض الشخصيات التركية الواقفة على بواطن الامور.فكان جوابهم بكل صراحة انهم «نسوه» كل هذه السخائم والعداوات حقا.نسوها عامدين لا متناسين.نسوها عندما وضعوا جمهوريتهم على دعائم السلام وأساس التفرغ للتمدن والعمران . ونسوها أخيرا بوحى من أتاتورك وتوجيه منه وارشاد . وان عصمت اينونو وسراج أوغلو عندما قبلا التحالف مع انجلترا وفرنسا كانا واثقين من ان أتاتورك كان يعقدالمحالفة نفسها وبكامل نصوصها لو انه كان فى حينها حيا يرزق.بل انهم يذهبون الى أبعدمن ذلك ، فيقولون ان أتاتورك نفسه هو الذى وضع «هيكل» المعاهدة فى الجلسات الطويلة التى عقدها مع ادوارد الثامن المتنازل عن عرشه فى زيارتهلاستامبول. وضعها علىظهر يخته الخاص فى جلسات جمعت بين داهيتين يعدان من أفذاذ التاريخ الحديث.ولعل الذين يذكرون هذه الزيارة الملكية أدركوا فى حينها ان ادوارد كان فيها أكثر من ملك يزور بلدا صديقا ، وانه كان «سفيرا» فوق العادة لبريطانيا.سفيرا يقدر على ما يعجز عنه أدهى السفراء . وانه كان ينظر بعيدا حينما رأى الحرب وشيكة الوقوع

لقد كانت عقيدة أتاتورك التى دافع عنها الى النفس الاخير من حياته والتى تعتبرجوهرا لكامل نظرياته فى السياسة والحرب هى السلام الابدى للاتراك والحرب للدفاع عن النفس وكان رحمه الله يرى ان أكبر غلطة وقع فيها سلاطين آل عثمان من قديم الزمان هى انهم

استبدلوا بأمتهم سيوفا تقف صامدة للغرب وتواجهه مواجهة حربية للدفاع عن الاسلام أولا والشرق الادنى ثانيا • وكان يرى ان سلوكهم طوال أيام دولتهم الدائلة كان مشوبا بالتحرش والمناهضة والعناد•وان تحرشهم وعنادهم بلغا قصاراهما ضد انجلترا ذات المصالح الحيوية الكبرى فى الشرقين الادنى والاقصى•وان هذا التحرش قد يكون مقبولا ومعقولا فى عهود القوة والقدرة ، ولكن كيف يستساغ فى عهود التأخر والاضمحلال ووشك الفناء ؟ وما بال تركيا وهى تجود بالنفس الاخير تتعرض لاكبر قوة عرفتهاالعصور الحديثة كأنها ما تزال تركية ياوز سليم وسليمان العظيم ! ومع من ؟ مع حليف مهماتكن قدرته المادية وجبروته فان النظرة الفاحصة تبين عن هيكله القائم على أمر غير معقول• ومن أجل ماذا ؟ لا شيء ! اللهم الا اذا اعتبرنا الانتحار شيئا وما نظن ان الاتحاديين كانوا فيالانتحار يطمعون•فلو ان سلاطين آل عثمان لم يقبلوا تلك السياسة الخرقاء واقتصروا من أول عهدهم على التفرغ لسياسة تركية صميمة تنتظم الشعوب التركية دون العربية وتسير واغلة فى الشرق الاوسط حتى بلاد المغول وحدود الصين دون الشرق الادنى بعراقه وشامه ومصره ومغربه ، لكان ذلك أجدى وأحرى ألا يثير عداوة الدول الغربية ذوات المصالح التجارية الاستعمارية فى حوض البحر الابيض وما يفضى اليه من طرق توصل الى الهند والشرق الاقصى ، فان منطقة الشعوب التركية تكاد تكون فى نجوة عن مصالح الغرب الحيوية ، وتؤلف «فجوة» لا مطمع لاحد فيها وفى ملئها الخير كلهلبنىعثمان

***

بقى أن ندرس موقف الترك من ناحيتين لا يسهل تجاهلهما ، ونعنى بهما الصداقة التقليدية بين تركيا من ناحية وفرنسا وبريطانيا العظمى من الناحية الاخرى•ثم الحالة النفسية لتركيا الجمهورية ورجالاتها ممن عاصروا عهد السلطنة ولا يزالون ربابنة للسفينة التركية وسط عواصف السياسة الهوجاء

فأما الصداقة التقليدية بين تركيا وفرنسا فقديمة العهد ترجع الى عام ١٥٣٥ عندما عقدت معاهدة الصداقة والتحالف بين سليمان القانونى وفرنسوا الاول•والخطابالتاريخى الذى بعث به سليمان الى ملك فرنسا أشهر من أن يعرف•ثم تسير العلاقات بين الدولتين على أسس الصداقة والتعاون طوال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، وتتجلى تلك الصداقة بصفة خاصة فى المهمة التى أوفد من أجلها السفير الفرنسى فيللنوفVilleneuve الى استامبول للعمل على احباط السياسة الروسية النمسوية التى كانت ترمى الى السيطرة على البلقان على حساب تركيا•ولم تفتر العلاقات الفرنسية التركية الا بعد ضعف السلطنة العثمانية ضعفا جعل الفرنسيين ينظرون اليها نظرتهم الى الصديق الميئوس منه • ولولا ذلك لما اشتركت فرنسا مع انجلترا وبقية الدول الطامعة فى «الرجل المريض» فى العمل على تقسيم ممتلكاته•أما الحملة الفرنسية على مصر ومساعدة الفرنسيين لمحمد على فكانت أعمالا عدائية قصدت بها انجلترا أكثر مما كانت ترمى الى ضعضعة قوة الامبراطورية

العثمانية واضعاف شأنها. فلما استفاق «الرجل المريض» من غشيته بعد حرب الاستقلال كانت فرنسا ثاني دولة تقدمت الى الحكومة الكمالية بالعون والصداقة. فلا عجب اذن أن يميل الترك الى الناحية التي فيها فرنسا

وأما الصداقة مع انجلترا فقديمة العهد كذلك . انما هي ليست صداقة بالمعنى الذي يفهم من الصداقة الفرنسية بل صداقة تمليها المصلحة قبل كل شيء.. وهي ترجع الى حكم الملكة اليصابات. وقد اتخذت في مطالع القرن السابع عشر قالبا تجاريا عندما أسست «شركة الليفانت» البريطانية لتنشيط التجارة مع حوض البحر الابيض - وكان معظمه اذ ذاك في يد العثمانيين. فلما استفحلت قوة الروسيا في أواخر القرن الثامن عشر وشعر الانجليز بالخطر الذي يهدد المضيقين قام الوزير البريطاني وليم بيت في سنة ١٧٩١ مدافعا عن الترك قائلا لحكومته ان من مصلحتها الحيلولة دون انهيار الامبراطورية العثمانية. ومنذ ذلك العهد والعلاقات البريطانية التركية قائمة على هذا الاساس. وقد ساعدت انجلترا تركيا أكثر من مرة للابقاء على كيانها ضد الروس وضد محمد علي. واذا صح ما يتكهن به بعض الباحثين من أن الروسيا البلشفية لبست برد القيصرية أو كادت ، واذا كان مولوتوف قد وضع حدا لنطاق البلشفية العالمي حقا وجعله نطاقا روسيا باتفاقه مع الالمان، فليس من المستحيلات أن تعود جذوة امتلاك الدردنيل والبسفور الى التألق ، وعندئذ تعود بريطانيا فتلعب دورها التقليدي المعهود مع الرجل الصحيح البدن. في هذه المرة

أما ألمانيا فما هي مظاهر الصداقة التقليدية بينها وبين تركيا ؟ لاشيء.. الا الاعجاب برقي الشعب الالماني وبالمدنية الالمانية في حد ذاتها ، والبعثات العلمية الى برلين في مطالع القرن العشرين ، ثم دفاع السفراء الالمان عن تركيا في مؤتمر السفراء قبيل الحرب العظمى ، ثم اهداء الترك بارجتين حربيتين - وقد قيل في صدد هذا كلام كثير يؤخذ منه انه لم يكن اهداء وانما كان تنازلا اضطراريا لظروف حربية قاهرة . ثم ذكريات سود لتضحيات الحرب العظمى وما أفضت اليه من انكسار وشنار

كل هذا يؤثر في الحالة النفسية للترك بلا جدال. وليس أقوى من العامل النفساني في توجيه سياسة الشعوب اذا كانت شواهد الحال كلها تؤيد اتجاهه. ولن يعدم الباحث في التاريخ العثماني صدورا عظاما من رجالات تركيا كان حلمهم الذهبي الصداقة والتعاون مع بريطانيا العظمى بخاصة - وأبرز مثال لهم مصطفى رشيد باشا. وما تفاهم أتاتورك والسير برسي لورين على أهداف السياستين التركية والبريطانية ببعيد عن الاذهان

احتمالات السلام والحرب

وقد سار أتاتورك وسار الترك من ورائه على هدى هذه الصداقة التقليدية وما توحيه من التأثير النفساني. فوجدوا أنفسهم ازاء معسكرين أحدهما لاخوف منه والآخر منه كل الخوف

فان بريطانيا العظمى وفرنسا ليس لهما فى تركيا الجديدة مطمع بعد انكماشها عقب الحرب الماضية ، بل على العكس من ذلك يهمهما بقاء تركيا حارسة على المضيقين. وهذا هو المعسكر الذى لاخوف منه

وفى مقابل ذلك تجد معسكرا مؤلفا من روسيا ذات المطامع المعروفة فى تركيا والبلقان وألمانيا التى لولا تفضيلها «سور الحياد» على خطوط الجد لاجتاحت البلقان وهددت سلامة تركيا ، وايطاليا التى صرح زعيمها أكثر من مرة بأنه يريد أن يتوسع شرقا ، والتى تكاد تصل قذائف مدافعها من جزيرة رودس وسائر جزائر الدوديكانيز الى ساحل الاناضول الجنوبى. وهذا هو المعسكر المخيف

وعلى ضوء هذا التقسيم يسير الترك على أحد وجهين :

أولا — السلام ومعاملة جميع الدول معاملة لا تفضيل فيها ولا ترجيح

ثانيا — اذا لم يكن من الحرب بد فالاولى محالفة الدولتين اللتين لا مطمع لهما فى بلادها

فأما السلام فلا يزال قائما فى تركيا. وسيتمسك الترك به حتى ينقطع خيطه الاخير. وأما الحرب فقد بسطتها معاهدة التحالف التى وقعت فى انقرة فى ١٩ اكتوبر سنة ١٩٣٩

متى تدخل تركيا الحرب ؟

تدخلها بطبيعة الحال اذا هاجمتها احدى الدول الاوربية. وفى تلك الحالة تنضم اليها كل من بريطانيا العظمى وفرنسا للدفاع عنها (المادة الاولى من معاهدة التحالف)

وتدخلها اذا وقع تعد من دولة أوربية وأفضى هذا التعدى الى اشتعال الحرب فى حوض البحر الابيض المتوسط واشتركت كل من بريطانيا العظمى وفرنسا فى هذه الحرب (المادة الثانية ، الفقرة الاولى). فاذا حصل التعدى وأفضى الى الحرب واشتركت تركيا فيها ، انضمت اليها كل من بريطانيا العظمى وفرنسا (المادة الثانية ، الفقرة الثانية)

وتدخلها اذا اعتدت احدى الدول الاوربية على احدى الدولتين اللتين ضمنتهما كل من بريطانيا العظمى وفرنسا فى ١٣ ابريل سنة ١٩٣٩ وهما رومانيا واليونان ، وأفضى هذا الاعتداء الى تدخل مسلح من جانب كل من بريطانيا العظمى وفرنسا باعتبارهما ضامنتين لسلامة هاتين الدولتين (المادة الثالثة). والا فتقف تركيا موقف الحياد المشبع بروح العطف على كل من بريطانيا العظمى وفرنسا (المادة الرابعة)

وفى ذيل المعاهدة « بروتوكول » نصت الفقرة الثانية منه على ان الروسيا تستثنى من الدول الاوربية التى نصت المواد السالفة على احتمال تعديها على حوض البحر الابيض أو على دولتى البلقان المضمونتى السلامة

فكأن تركيا ستحمل السلاح عند حدوث حرب فى حوض البحر الابيض ، أو عند وقوع اعتداء على رومانيا أو اليونان من دولة أوربية غير الروسيا ويفضى هذا الاعتداء الى دخول كل من بريطانيا العظمى وفرنسا الحرب فى البلقان

م . م . ت

سجل الأيام

مواقف الدول المحايدة من الحرب

بقلم الاستاذ سامى الجريديني

الدانمرك

ان الذين قرأوا رواية هاملت لشكسبير يذكرون أنه كان ولى عهد الدانمرك وأن عمه الذى اغتصب عرش أبيه وزوجته كان يود أن يبعث به الى انجلترا ويشير اليها كولاية تدفع له الجزية وتساعده على اغتيال هاملت

ويذكرون أن حروب الدانمرك كانت مع النرويج ومع بولندا وكانت كلمة الدانمرك العليا

ولقد جاء عليها زمن سادت اسكندناوة وأجلست على عرشها ملكا جمع ممالكها الثلاث وضم اليها جزءاً من بروسيا

وكانت قبائل الجرمان أشبه بقطاع الطرق منهم بشعوب منظمة فلم يكن يحسب لهم حساب الا اذا استأجرهم أحد الأمراء واستعملهم على غزواته

وظهر بعدذلك نفوذ الجرمانيين فى السويد فكانوا يؤيدونها على الدانمرك وانجلترا تشد أزرها الى أن قلبت لملك الدانمرك ظهر المجن وحاربتها

وأخذ الجرمانيون يزحفون على الدانمرك تارة بالتزاوج والمعاملة وأخرى بالقوة حتى منعوها البر ووجهوها البحر

وكان الدهر قد بدأ يبسم لانجلترا فأخذت تغرى السويديين بالدانمرك من ناحية وتناوئها هى من ناحية بغية الحد من سلطانها البحرى

الى أن كان نابوليون فأخضع أوربا وضرب نطاقاً حولها على ألا تعامل انجلترا

فكانت السفن فى الشمال تسير بحراسة الأسطول الدانمركى يمنعها من الدنو الى الشواطىء الانجليزية وكان هذا فى أوائل أيام نلسون وأوائل سنى القرن التاسع عشر . فهجم هذا العبقرى الفرد على الأسطول الدانمركى وعدد سفنه أقل فبطش به وقبره فى اليم

ثم ما لبث بعد بضع سنين حتى هاجم عاصمتهم كوبنهاجن وأخذ منهم أسطولهم كله مخافة أن يأخذه نابوليون

ولم يكن نلسون أمير الأسطول الأول فى هذه الموقعة فان القيادة العليا كانت لأمير اسمه باركر ويجىء نلسون بعده

فلما احتدم القتال وكانت السفن الدانمركية تفوق الانجليزية عدداً وكانت تحميها حصون ميناء كوبنهاجن وأخذت بعض السفن الانجليزية تغرق أو تتعطل أصدر باركر هذا أمره الى نلسون أن كف عن القتال وارجع . فوضع نلسون منظاره على عينه العوراء حتى لا ترى اشارة الأمر وظل يهاجم الأعداء حتى قضى وطره وقضى على العدو القضاء المبرم

وهكذا زالت الدانمرك من حكم دول الحرب وبقيت بعد ذلك تعمل فى الزراعة والصناعة ونقل البضاعة عبر البحار فأثرت وساد عليها روح الحياد ـ قل روح الخوف ـ حتى الساعة

فأنت ترى أن عواطفها القومية لا تجيش حباً للانجليز اذ يقرأون تاريخهم ثم جاورهم الجرمان وأخذوا منهم وأعطوهم ـ تجارة ومالا ونساء ورجالا ـ ورأوا الآلة الحربية الهائلة على أبوابهم فكتبوا على أنفسهم ميثاقاً الا يحاربوا

وقد يكون الصواب فيما فعلوه فانهم وقد صغر شأنهم فى البحر وكان البر مملوءاً شعباً جرمانياً وعزماً ونشاطاً وكانت تعاليم التضامن الاجتماعى قد حلت منهم محلا طيباً ـ رأوا أن المجد باطل وأن الوطنية قبض الريح وأن نقطتهم فى البحر الجرمانى أجدى عليهم وأتقى وربما كانوا قد آمنوا بانجيل هتلر القائل أن الخير كل الخير فى فناء الشعوب الصغيرة واندماجها فى الكبيرة . وقد يعينهم على هذا الايمان أنهم لوثريون ـ وهكذا الالمانيون

السويد

أما السويد فأمرها غير أمر الدانمرك

فانها ظلت دولة حرب تدفع جيرانها بقوة ساعة الى الشرق وساعة الى الجنوب حتى حازت جيوشها شهرة واسعة وحتى عد أحد ملوكها من كبار القواد العالميين

ثم ظهر نابوليون

ولما كان يحطم تيجاناً باليمين ثم يوزع غيرها باليسرى . ولما كان قائده برنادوت ممن يستأهل الترقية ـ إما عن جدارة وأهلية أو إبعاداً له وتبرماً به ـ أقطعه بلاد السويد فبقى فيها ونسله حتى الآن

وقد عرف هذا الفرنسى ابن الثورة وأحد أتباع نابوليون أن يستبق عرشه دون كل الذين عرشهم عبقرى الزمان

فكان اذا طلب منه نابوليون نجدة يأباها عليه . أو رأى نجم نابوليون آفلا انقلب يزيد له فى كيل السقوط حتى قالوا ان للجيش السويدى معظم الفضل فى معركة ليبزج اذ تألبت الأمم كلها على نابوليون

وهكذا حتى اذا أخذت أوربا تعيد عروشها الى ما كانت عليه قبل النيزك البونابرتى أرجعت الى كل ذى تاج تاجه الا برنادوت هذا فبقى سويدياً حتى الساعة

ثم جاء عصر الصناعة والحديد السويدى خير ما تنتجه الأرض منه فأخذ القوم بعوامل الصناعة والتجارة والنقل وسايروا جيرانهم واتخذوا الحياد دستورهم فاغتنوا بعد فقر ورفعوا مستوى المعيشة فى بلادهم عما هى عليه فى كل العالم واطمأنوا

يريدون أمراً ويريد المتحاربون أموراً أخرى

فهتلر يبغى الحديد إما طوعاً أو كرهاً . والحلفاء يبغون منعه عنه . والمسألة مسألة موت أو حياة : فماذا تصنع السويد

أما نحن فنريدها صامدة للجرمانيين مؤيدة للحلفاء فى القول وفى الفعل

فاذا قيل لنا ما السبب فى ذلك أجبنا لأننا نحن أيضاً بعض هؤلاء الحلفاء تضامنا معهم فى الضراء ونريد كلمتهم العليا وفئتهم الغالبة وفى ذلك خير لنا من كل الوجوه

فاذا تذبذب السويديون ونادوا بالحياد قلنا انها لعبة مكشوفة فأن هذا الحياد مأرب المانيا اذ ينقل اليها الحديد عبر البر السويدى من الشمال الى الجنوب بسكك حديدية تحل محل ما يفوتها من حصر الشاطىء النرويجى

والانجليز عقدوا النية على منع هذا الحديد ، ولن يتساهلوا بعد اليوم مع حياد يناصر المانيا

المعارك البحرية فى الشمال

إننا لا يخامرنا شك بأن هذه المعارك التى دارت بين المانيا وانجلترا فى المياه السويدية والنرويجية والدنمركية آية من آيات الفخاخ التى لا يتقنها بشر اتقان أمراء البحر الانجليزى فقد نصبوا الفخ فوقع هتلر فيه ولن ينجو إلا وقد هرب معه بخته

فانه عند ما رأى الحلفاء أن الضغط الاقتصادى يخف على المانيا من ناحية اسكندناوة فى الشمال ومن ناحية البلقان فى الجنوب عقدوا النية على تشديده ، فأخذوا ينادون انهم سيمنعون الحديد



الربان هتلر : ما كنت أحسب أن العواصف ستكون بهذه الشدة . . (عن جريدة الصنداى اكسبرس)

السويدى من الذهاب الى المانيا وانهم سيضيقون الخناق على بترول رومانيا فظن النازيون انهم سابقوهم الى اسكندناوة فجاءوا خلسة واحتلوا بعض موانيها ونقلوا جيوشهم وأملوا خضوع النرويج كخضوع الدانمرك . وما فطنوا ان اجتياح البحار ليس مثل اجتياح البر وان الانجليز يريدونهم أن يخرجوا ما يريدونه من سفن الى عرض اليم فتم لهم ما أرادوا وبطشوا بالسفن الألمانية

وسوف نرى أن هذه الضربة البحرية ستعقبها ضربات وان الحديد السويدى امتنع على النازيين سواء أرادت السويد أم لم ترد

وهكذا تحصر المانيا من الشمال وتفقد هيبتها بفقد الكثير من سفنها فيخلو البحر للاسطول الانجليزى يقوى سلطانه فى البحر المتوسط فيجبر ايطاليا على الاذعان للحصر ويدفع البلقان الى مقاومة الجيوش الالمانية أو الروسية

الحصر البحرى

فليس الحصر البحرى وحده هو القاضى فى النهاية على المانيا بل ولابد من ضربات تقع على المحصورين مرة بعد أخرى خارج الحدود الفرنسية المتحصنة فى اسكندناوة الآن وفى البحر الاسود وفى البلقان غداً حتى اذا بلغ اليأس من هؤلاء البروسيين مداه هجموا على خط ماجينو أو حاولوا اختراق هولاندا والبلجيك فتدنو آخرتهم

فان قيام النازية وقف على استمرار النجاح فاذا فشلوا والحصار مضروب عليهم كفروا بربهم هتلر وحاق به الهلاك

موقف الروس

وترى الناس مختلفين فى أمر الروس . فبعضهم يراهم عاملا فاصلا فى هذه الحرب وبعضهم لا يرى منهم خيراً يرجى

ولكن الحقيقة ان جيشهم وان كان قد فشل فى أوائل الحرب الفنلندية فانه عاد واستعاد سمعته وأظهر جنديهم انه صبور على القتال وعلى الجوع وعلى العرى وانه اذا حسنت قيادته كان فى عداد الجيوش القوية

ولكنه تفقده القيادة العليا فهذه لا تكون إلا اذا توفر للجيش قواد متعلمون يحسنون الاضطلاع بالتبعات ويؤتون نعمة الابتكار . لذلك قال النقاد الحربيون ان الجيش الأحمر يحسن للدفاع فى داخل الحدود الروسية ولا يصلح أداة للهجوم

على انه مهما قيل فيه فانه اذا تقمصت روح بطرس الاكبر فى ستالين وبدا له أن يمتد نحو المضايق وقف له الجيش التركى وهو أكفأ منه قيادة وحسن إدارة تساعده قيادة الجنرال فيجان

وجيشه الكبير . ثم انه يعرض روسيا للضرب من القوقاز وهى جبهة قوية من ناحية الترك ضعيفة من ناحية الروس بعد التعديل الاخير الذى اتفق الاتراك عليه مع البلاشفة

أما إذا بقى ستالين بلشفياً يضع المبادىء التى ينادى بها موضع العمل فانه لن يحارب لا هنا ولا فى الشمال فان سياسته الشيوعية قائمة على ترك أوربا الرأسمالية تضعف ويقوم بعضها على البعض الآخر فتتهيأ التربة لزرع بذور تعاليمه



موسولينى (لستالين) : قد تساهلنا معك الى هذا الحد . أما بعد ذلك فلا . !

(عن مجلة نيوز ريفيو)

ولكنه لا يكفى الحلفاء أن يقف الروس محايدين بل لا بد لهم من ضمان قطع المورد من الزيت المعدنى عن المانيا

فاذا وقف الروس غير مقاتلين وظلوا يمدون المانيا بما تحتاجه ومكنوا لها فى سككهم الحديدية تصلح ما أفسدته إدارتهم فيها وتنقل لهم الزيت والطعام كانوا عاملا يطيل أجل هتلر فيطول أجل الحرب

لذلك كانت مثلى السياسات أن يحمل الحلفاء ستالين على الحياد التام لا يمد يداً الى المانيا وذلك إما بتخويفه أو بالقاء العداوة بينه وبين هتلر فى ناحية من نواحى مطامعه . وليس هذا بالامر اليسير

البلقان

واننا نرى فى البلقان مفتاح هذا الباب الذى أوصدته الجبهة الغربية ، فاذا اقتنع البلقانيون بأن فوز الحلفاء فوز لهم يضمن استقلالهم فى السياسة والاقتصاد واذا وفق الحلفاء بأن يمنعوا التصدير الى المانيا عبر البلقان كان موقفهم هو الأعلى

فانه إما أن يسكت الالمانيون ويحترموا حياد البلقان فينال الحلفاء نصيبهم من الحصر أو أن يثوروا ويهاجموا ليأخذوا بالقوة ما مُنع عنهم فى الحياد فتحرمهم الحرب التى يندفعون اليها الموارد الاقتصادية وتعد جبهة قتالهم مداً آخر فتسوء عاقبته عليهم

ولا يحرك هؤلاء البلقانيين شيء مثل قوة الحلفاء تظهر ظهوراً واضحاً فى البحر والهواء والبر وهى قد بدت طلائعها فى اسكندناوة الآن . وموارد معايشهم يغدق عليهم منها وهذا ميسور للحلفاء لولا هذا الضغط يأتى من المانيا تارة ومن روسيا كرة ومن ايطاليا مرة أخرى



الآله « مارس » يدق طبول الحرب ...
(عن جريدة النيويورك تيمس)

فان الحاكم بأمره فى ايطاليا سيظل يروح ذات اليمين اليوم وذات الشمال غداً الى أن تبدو له قوة الأسطول الانجليزى الفرنسى ساحقة ماحقة فيقلع عن التهويل ويتضامن مع الشعب الايطالى ومع المصلحة الايطالية فيترك شريكه فى محوره ينحدر الى الهاوية وحده

فانه إذا نُصب الميزان بعد الحرب للعلم بمن كان السبب فى إضرامها لحق موسولينى النصيب الاكبر فلولاه ما اجترأ هتلر على النمسا فتشيكوسلوفاكيا فبولاندا ولكنه حمى ظهره يظن أن القوة الانجليزية سائرة الى الاضمحلال وهيأ نفسه لاقتسام تركة جون بول . فاذا به الآن يصحو والأمر كما نراه ـ سيادة على البحار لا ينازعها منازع وتفوق فى الهواء آت لا ريب فيه فيقول الحلفاء :

ملكنا الجو حتى ضاق عنا كذاك البحر نملأه سفينا

اليابان فى الشرق الاقصى

أما اليابان فى الشرق الاقصى فسيدة الموقف الآن ومهما يقال عن إنهاك الصينيين لقواها البرية فانها ذات حول وطول فى تلك البحار وقد شغل الأسطول الانجليزى عنها الآن وبقى الأسطول الأمريكي ، فهل يستطيع دفعها أم هل تستطيع هى قهره ليخلو لها وجه الشرق كله

هذا سر ستكشفه الأيام عما قليل

سامى الجريديني

مختارات الهلال

ونستون تشرشل

ربان الامبراطورية الاول ، ومؤرخها الاول

جسم ممتلىء جم النشاط • رأس كبير مستدير • جبهة عريضة بارزة • شعر ينبئك انه كان فى عهد الشباب أشقر • وعينان كأن فيهما جمرا

كثير الاختفاء فى عالم الديمقراطية البريطانية التى عودتنا الا تظهر رجالاتها الا ساعة الخطر • فاذا برز من عزلته ايقنت ان فى غد أمرا

يعمل فيخيل اليك ان دولاب العمل يدور وتسمع لدورانه ضجيجا • ويتكلم من منبر مجلس العموم فكأنما يدق بالمطارق دقا • وتنصت له امبراطورية بأكملها فى انتظار كلمات النمر البريطانى الذى افعى وهم بالوثوب

صريح لا يعرف المراوغة • يقول انه يجب القضاء على هتلر • فيعجب هتلر بصراحته ويقول انه يحبه أكثر من تشمبرلين الذى يريد القضاء عليه ولكنه لا يصرح بما فى نفسه

دعاه تشمبرلين ليتولى وزارة البحر ، فأيقن العالم ان بريطانيا قد وطدت العزم نهائيا على تحطيم الفوهرر وتابعه بمليونى طن من القوة البحرية يوجهها الربان الاول أبى شاء

الحرب كالدماء تجرى فى شرايينه • وحب الوطن عنده صورة حية لمجد الامبراطورية التى صاغها كيلنج فى أشعاره الخالدة ، والتى بناها رالى ونلسون وولنجتون وكل هذه النجوم المتألقة فى سماءبريطانيا المرعدة المبرقة • انه يحب بريطانيا التى بنت مجدها على مائجات البحار ، وفى مجاهل افريقيا ، وتحت ظلال هياكل بوذا • يحبها حب متيم • ويتكلم فى الوطنية فكأنك تستمع الى نجوى فارس من فرسان الزمان القديم

يمثل الطراز الاصيل من الارستقراطية البريطانية ، وتنحدر الى صلبه دماء جده العظيم « مالبرو » • ويجيد فنون الحرب البرية والبحرية ، والشئون المالية ، وتاريخ بريطانيا ، والرسم ، والسباكة ، والبناء ، والطبخ ، وتخطيط الحدائق ، واللغة الفرنسية •• وهو الى ذلك صاحب قلم من امتن اقلام الانجليز ، ومرتب من أكبر ما ناله صحافى ، وله فى عالم التاريخ جولات موفقات

احتك فى منزل والده « بهذه المئات القليلة من الاسر التى حكمت بريطانيا عدة اجيال ورأتها تصعد الى قمة المجد » على حد قوله• ثم درس فى ايتون ، وهارو ، وكلية ساندهرست الحربية• ثم حارب فى كوبا ، والهند ، والسودان، واشتغل مراسلا حربيا فى حرب البوير • ولما برز حادث « أغادير » المشهور فى عام ١٩١١ عين وزيرا للبحرية • لبعد الاسطول

اعدادا سريعا للحرب » فكان عند حسن ظن بلاده به ، وادخل على الاسطول المدافع من عيار خمس عشرة بوصة ، واكثر فى بناء الطرادات الخفيفة والمدرعات السريعة • وفى عام ١٩١٥ ترك وزارة البحر وذهب يقاتل فى فرنسا • ثم عاد فى عام ١٩١٧ الى وزارة التموين • وها هو ذا يعود الى وزارة البحر فى مستهل الحرب العالمية الثانية

عاصر عهدين للحرب بينهما بون شاسع : عهد الحروب التى كان العماد فيها على امجاد الفروسة ونبالة البطولة فحسب ، وعهد الحروب الحديثة التى حلت فيها آلات الدمار محل الجندى أو كادت ، فاصبحت « علميات كيميائيين يلبسون النظارات أو قواد طائرات ومدفعيين فى أيديهم عجلات القيادة والاطلاق » • وغدت هجمات كوكبات الفرسان البديعة هجمات مقيتة لدبابات من حديد كالقلاع ، واصبح الطيار يصب القذائف والغازات على الآمنين من عل بعد ان كان المقاتلون يتلاقون وجها لوجه ، وسيفا لسيف

وقد كان تشرشل فى مجلس العموم وهوفىالسابعة والعشرين من عمره • وخطبه فيه قطع ادبية مختارة ونماذج بارعة لمستوى انشائى سياسى رفيع • اسمع قوله : « انى أرى ثمة شيئا واحدا هو ان المانيا تسلح بسرعة وعنف وتوسع لم تبلغه امة من الامم من قبل • فلماذا كل هذا التسلح ؟ انه لم يقصد به الى المزاح • ان الدلائل كلها تشير الىخطر قريب الوقوع • انى اخاف على سلام العالم كلما رأيت المانيا تستكمل قوتها وتدرع بعدة الحرب الرهيبة التى رأيناها فى عام ١٩١٤ • ان اللهب الاحمر يلتمع من خلال سحائب الغم والقتام • فهل آن لنا ان نستعد ؟! »

أجل •• انها كلمات من نار • لم تلبث غير قليل حتى ملئت يده بأسطول بريطانيا العظمى • وما لبثنا غير قليل حتى سمعنا دوى قذائفه فى مياه نهر لابلاتا حيث انتحرت بارجة الجيب «جراف فون سبى » وفى مياه النرويج حيث خسر الاسطول الالمانى ثلث اطنانه ، وفى الاعماق راحت غواصاته تتخذ سبيلها فى البحر سربا

ومن عجب ان هذا الرجل الذى يتفوه بالقذائف والنار اذا عاد من عمله الى منزله الريفى فى «تشارتويل» بالقرب من لندن يجلس الى كتبه وقلمه ومحبرته وريشته ، فيقرأ ويؤلف ويرسم اللوحات البديعة ، ويملى على ستة سكرتيرين مقالاته وفصوله فى الادب، وفى تاريخ بريطانيا ، وفى سير العظماء

عصامى • فقد ورث ابن عمه دوق مالبرو الثروة كلها فظل ونستون يكدح ويجد ، حتى اصبحت مشروعاته الصحافية تدر عليه مائة الف من الجنيهات كل عام

كان قبل الحرب يمضى ساعات قلبه فى منزله الريفى ، ومنه ينطلق الى مجلس العموم ليقذف تشمبرلين بقذائف معارضته من مقاعد المحافظين الخلفية • وهو الآن لا يزال بساعات قلبه رفيقا ، ومنها ينطلق الىوزارة البحرليقذف هتلر بمدافعه منعيارست عشرة بوصة ، ثم يقول لددلى باوند اميرال الاسطول البريطانى : أحسنت !

(مقال مستخلص من عدة مقالات فى مجلات انجليزية مختلفة)



ونستون تشرشل
فى أحد مواقفه الخطابية

رجال الشهر

قواد الاساطيل المحاربة هم رجال الساعة بلا جدال . فان المعارك البحرية التى دارت رحاها فى مياه البلطيق والنرويج فى أواسط الشهر الماضى هى بمثابة معارك المارن فى الحرب العظمى الاولى . ويرى القراء على هذه الصفحة صور رجال الاساطيل الثلاثة : البريطانى والفرنسى والالمانى . ففى أعلى صورة جمعت بين السير ددلى باوند أميرال الاسطول البريطانى (إلى اليمين) والاميرال فرانسوا دارلان أميرال الاسطول الفرنسى فى دار اميرالية البحر بلندن ، وتراهما يتناقشان وخريطة العالم بينهما . وإلى اليمين صورة الجنرال اميرال رايدر اميرال الاسطول الالمانى



أكبر بارجة فى العالم

هى البارجة البريطانية « هود » ننشر صورتها بمناسبة المعارك البحرية الاخيرة . حمولتها ٤٢٠٠٠ طن ، وسرعتها ٣٢ عقدة فى الساعة ، بنيت فى عام ١٩٢٠ وأدخلت عليها تجديدات كثيرة بعد ذلك ، مزودة بثمانية مدافع من عيار ١٥ بوصة ، واثنى عشر مدفعا من عيار ٥ بوصة ، و ٤ مدافع من عيار ٤ بوصة



منظر رائع لأحد خلجان النرويج التي تسمى « فيوردز » وترى كيف تحيط الجبال بالخليج وتسوره . وفي مثل هذا « الفيورد » دارت رحى المعارك البحرية الأخيرة وأنزل الانجليز قواتهم البرية لنجدة النرويج

ملوك الشمال الثلاثة

(اقرأ سجل الايام)



عميد ملوك اسكانديناڤيا « جوستاف الخامس » ملك السويد . جلس على العرش فى عام ١٩٠٨





فى أعلى : هاكون السابع ملك النرويج وشقيق كرستيان العاشر ملك الدنمرك ، تولى الملك فى عام ١٩٠٥ . وتعشق السلام والديموقراطية فضرب بشعبه للعالم مثلا رائعا فى المدنية وحب السلام . فلما اضطر الى الحرب كان من أبطالها وقوادها المخلصين



إلى اليمين : كرستيان العاشر ملك الدنمارك وايسلندة . تولى الملك فى عام ١٩١٢ .

ذئب أنقرة

من خلال عدسة السينما

ياله من وجه ! ويالها من نظرة نارية ..! إن ذئب أنقرة كمال أتاتورك يبدو هنا فى أحد مواقفه الخالدة إبان حرب الاستقلال وحوله فريق من ضباط أركان حربه . وقد أخذت هذه الصورة وبقية الصور المنشورة على هاتين الصفحتين من الفيلم الذى عرض فى القاهرة أخيراً عن أبى الترك وزعيمه الاوحد فى مختلف أدوار حياته



مائدة بسيطة

إلى اليمين : المغفور له كمال أتاتورك يتناول طعامه البسيط على المائدة التى تراها وقد خلت من كل مالذ وطاب إلا من لونين اثنين



أتاتورك الفلاح

إلى اليسار : صورة طبيعية لكمال أتاتورك التقطت له في مزرعته بالقرب من أنقرة . وترى ناظر زراعته وهو يبسط له بعض المشروعات الزراعية

في استقبال بعثة روسية

في أسفل : كمال أتاتورك (مصطفى كمال إذ ذاك) في استقبال بعثة حربية سوفيانية وفدت لزيارة ميادين القتال إبان حرب الاستقلال . وترى في يسار الصورة زميله وخليفته في رياسة الجمهورية عصمت اينونو ، وحولهما نفر من ضباط أركان الحرب يحيطون بالمبعوثين الروسيين



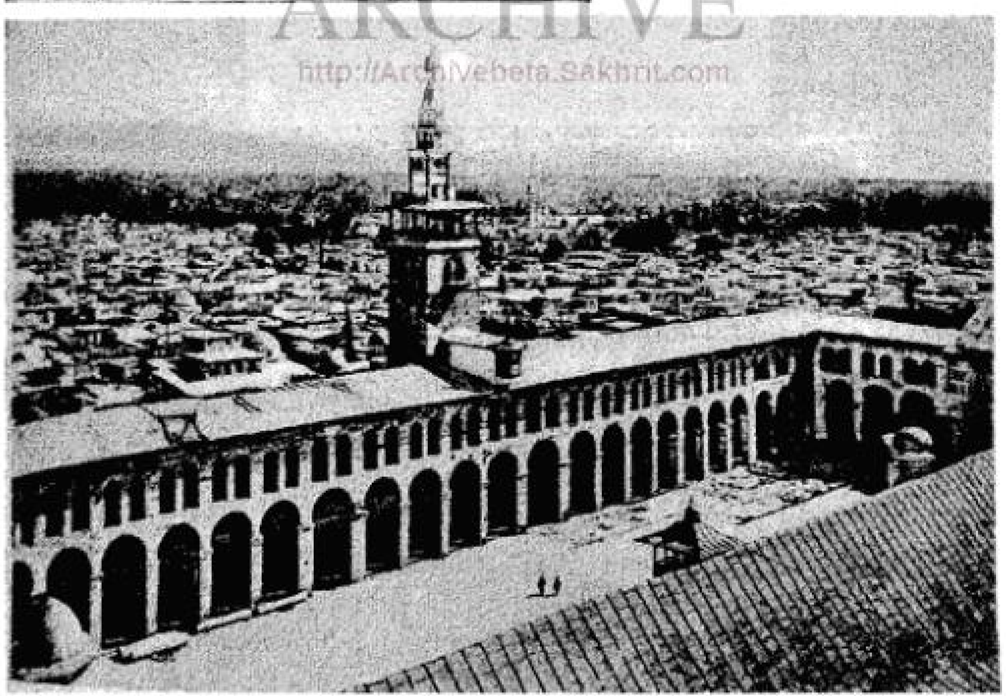
أول خلفاء بنى العباس

« وكان أبو العباس عبد الله بن محمد جميل الوجه ، مشرق الطلعة ، أقنى الأنف ، جعد اللحية ، طويل القامة »

المؤرخون

[اقرأ قصة ألف شهر في الصفحة التالية]

في أسفل : منظر عام لدمشق الشام والجامع الأموى . وكانت عاصمة الدولة في عهد دولة بنى أمية التي حكمت ألف شهر كاملة (اقرأ قصة ألف شهر)



ألف شهر

بقلم الاستاذ طاهر الطناحى

ودخل الكنيسة عامر بن اسماعيل قاتل مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية بعد معركة بوصير ، بالجيزة وقد وهن الليل وانهزمت جيوش ظلامه ، فاذا بخادم لمروان شاهر السيف يحاول الدخول الى بناته ونسائه ـ وكن بها مختفيات ـ فاستوقفه عامر ، وسأله :

ـ من أنت ، وماذا تصنع ، والى أين ؟

فأجاب الخادم :

ـ أنا مولى مروان ، أوصانى سيدى اذا هو قتل أن أدخل الى بناته ونسائه بالكنيسة فاضرب أعناقهن

فقال عامر :

ـ بل نحن نضرب عنقك ..!

وأمر من معه بقتله ، فقال لهم :

ـ دعونى ،ولا تقتلونى،فانكم والله ان قتلتمونى فقدتم ميراث رسول الله،وشعار خلفائه

فقال عامر لاصحابه :

ـ خلوا عنه ، ولا تقتلوه . وسننظر ما يقول ..!

قال الخادم :

ـ ان كذبت فاقتلونى .. هلموا فاتبعونى

فخرجوا من الكنيسة وتبعوه الى ظاهر قرية بوصير ، فكشف لهم موضعا بين الرمال فاذا فيه شعار الخلافة «البردة والقضيب والمخصر» قد دفنها مروان بن محمد حتى لاتؤول لبنى العباس ، فأخذها عامر بن اسماعيل ، ثم عاد الى الكنيسة ، فوجد بها متاع مروان وبناته ونساءه ، فجلس على أريكة مفروشة له ، وأكل من طعامه فخرجت اليه ابنة مروان الكبرى « أم مروان » فقالت :

ـ يا عامر ان دهرا أنزل مروان عن فرشه حتى أقعدك عليه ، فاحتويت مجلسه ، وأكلت طعامه ، وغلبت على أمره ، لقادر أن ينزلك هذا المنزل ، ويغير ما بك ..!

فلم يجبها عامر ، ومضى فى طعامه وشرابه فى نهم ولذة ، وهو يتمتم :

ـ دهيد ياجوانكان .. دهيد يا جوانكان

وهو ما كان يصيح به حينما قتل مروان فى المعركة . ثم نهض ممتلئا وحمل البردة والقضيب والمخصر ، وساق بنات مروان ونساءه الى قائد جيش العباسيين بمصر صالح ابن على (عم أبى العباس) ، فلما دخلن عليه تكلمت أم مروان ، فقالت :

ـ يا عم أمير المؤمنين . حفظ الله لك فى الدنيا والآخرة نحن بناتك وبنات أخيك ، فليسعنا من عفوكم ماوسعكم من جورنا

فأجاب صالح :

ـ اذن لا نستبقى منكم أحدا رجلا ولا امرأة ، فقد حكمتم فينا الف شهر ، واقترفتم يا بنى أمية من الآثام ما تلحقكم سبته آلاف الاعوام

فقالت أم مروان :

ـ يا عم أمير المؤمنين وليسعنا عفوكم ...

فقال صالح :

ـ ألم يقتل أبوك بالامس ابن أخى ابراهيم بن محمد الامام فى محبسه بحران ؟. ألم يقتل هشام بن عبد الملك زيدا بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب ويصلبه فى كناسة الكوفة ، ويقتل امرأته بالحيرة على يدى يوسف بن عمرو الثقفى ؟ . ألم يقتل الوليد بن يزيد يحيى بن زيد ويصلبه بخراسان ؟ . ألم يقتل عبد الله بن زياد الدعى مسلمة بن عقيل ابن أبى طالب بالكوفة ؟

فقالت :

ـ يا عم أمير المؤمنين ، وليسعنا عفوكم

فقال :

ـ ألم يقتل يزيد بن معاوية الحسين بن على ، على يدى عمرو بن سعيد مع من قتل بين يديه من أهل بيته ؟ . ألم يخرج بحرم رسول الله (ص) سبايا حتى ورد بهن على يزيد كما يرد بنساء الكفار

فقالت :

ـ وليسعنا عفوكم يا عم أمير المؤمنين

قال :

ـ ألم يبعث عمرو بن سعيد برأس الحسين الى يزيد بن معاوية على رأس رمح يطاف به كور الشام ومدائنها حتى قدموا بها دمشق ، كأنما بعث برأس رجل من أهل الشرك؟!

فقالت أم مروان :

ـ وليسعنا عفوكم يا عم أمير المؤمنين

قال :

ـ ألم يوقف يزيد بن معاوية حرم رسول الله (ص) موقف السبى يتصفحن جنود أهل الشام الجفاة الطغام ، ويطلبون منه أن يهب لهم حرم رسول الله استخفافا بحقه صلى

الله عليه وسلم ، وجرأة على الله عز وجل وكفرا لأنعمه • فما الذى استبقيتم منا أهل البيت !؟

فقالت :

ـ وليسعنا عفوكم ياعم أمير المؤمنين

فقال صالح :

ـ أما العفو ، فنعم قد وسعكن ، فان أحببت زوجتك من ابنى الفضل بن صالح وزوجت أختك من أخيه عبد الله

قالت له :

ـ ياعم ، وأى أوان عرس هذا ؟!• بل تلحقنا بحران نأوى فيها الى دارنا

فقال :

ـ اذن تذهبن الى حران

ونهضت بنات مروان ونساؤه للخروج ، فاذا بسليمان بن هشام بن عبد الملك (ابن عم مروان) ومعه أبو عون عبد الملك بن يزيد داخلان على صالح يحملان رأس مروان ، فأعولن بالبكاء وقلن :

ـ وأنت أيضا يا سليمان ••!

فلما رآهن سليمان اشتد عليه وبكى ، فقال له أبو عون :

ـ الحمد لله الذى شفى صدرك قبل الموت من مروان

والتفت اليه صالح بن على ، وقال :

ـ الحمد لله الذى أظفرك به،ولم يظفره بك • هل لك يا أبا أيوب أن تذهب الى أمير المؤمنين أبى العباس بكتابى وبالبردة والقضيب والمخصر ، وبما هيأه الله على يديك وشفى به صدرك ، فيفعل بك خيرا ، ويعرف من نصحك ما أنت أهله ؟

فرضى سليمان بن هشام ، وخرج مع يزيد بن هانىء الى أبى العباس برأس مروان وشعار الخلافة وبعض الاسرى

وبعث صالح بنات مروان ونساءه الى « حران » فلما دخلنها وجدن قصرهن قد هدمه عبد الله بن على عم أبى العباس وقائد جيوشه بالشام وفلسطين ، واحتوى ما فيه من متاع ورياش وأموال ، فعلت أصواتهن بالبكاء والنحيب

***

كان سليمان بن هشام موتورا من بنى عمه منذ ضربه الوليد بن يزيد مائة سوط ، وحلق لحيته ، ونفاه الى عمان وحبسه بها • وكان الوليد صاحب لهو ومجون ، وقد أفسد على نفسه بنى عميه هشام والوليد بن عبد الملك ، وأحفظ عليه جنده من اليمانيين بانتصاره للنزاريين وعصبيته لهم ، وكانت اليمانية أكثر جند أهل الشام ، وأشدهم بأسا • وقد دبت

بينهم وبين النزارية العصبية منذ أثارها الكميت بن زيد الاسدى - من أسد بنى نزار - بايعاز من أبناء أبى طالب

فقد أتى الكميت يوما الى أبى جعفر محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب، فأنشده قصيدة مدح بها أهل البيت ، فلما بلغ فيها قوله :

وقتيل بالطف غودر منهم بين غوغاء أمة وطغام (١)

بكى أبو جعفر،وقال : «يا كميت لوكان عندنا مال لاعطيناك ، ولكن لك ما قاله رسول الله (ص) لحسان بن ثابت ، لا زلت مؤيدا بروح القدس ما ذبت عنا أهل البيت»

وخرج الكميت فأتى عبد الله بن الحسين بن على ، فأنشده،فقال له : « يا أبا المستهل ان لى ضيعة أعطيت فيها أربعة آلاف دينار . وهذا كتابها وقد أشهدت لك بذلك ، فأبى الكميت،فقام عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، فأخذ ثوبا جلدا فدفعه الى أربعة غلمان ، ثم جعل يدخل دور بنى هاشم ويقول : « هذا الكميت قالفيكم الشعرحين صمت الناس عن فضلكم ، وعرض دمه لبنى أمية ، فأثيبوه بما قدرتم ، فكان الرجال والنساء يطرحون الدنانير والدراهم والحلى ، فجمع ما قيمته مائة ألف درهم ، وجاء بها الى الكميت ، فقال :

- يا أبا المستهل أتيناك بجهد المقل ، ونحن فى دولة عدونا ، وقد جمعنا هذا المال فاستعن به على دهرك

فقال الكميت :

- بأبى أنت وأمى قد أكثرتم ، وأطيبتم . ما أردت بمدحى اياكم الا الله ورسوله ، ولم أكن لآخذ لذلك ثمنا من الدنيا ، فاردده الى أهله

فجهد به عبد الله أن يقبله ، فأبى ، فقال له :

- ان أبيت أن تقبل ، وأردت عوننا ، فقل شيئا تغضب به بين الناس لعل فتنةتحدث، فيخرج من بين أصابعها ما يعجل بعدونا

فقال الكميت قصيدته التى فضل فيها نزارا على قحطان ، وأغضب بها اليمانية ، ومطلعها:

ألا حييت أعنا يا مدينا وهل ناس تقول مسلمينا

فرد عليه دعبل بن على الخزاعى بقصيدته التى مطلعها :

أفيقى من ملامك يا ظعينا كفاك اللوم مر الاربعينا

فكان ذلك سبب قيام العصبية بين النزاريين واليمانيين . وهى العصبية التى انحاز فيها الوليد بن يزيد ، ومروان بن محمد الى قومهما بنى نزار ، واستغلها العباسيون استغلالا سياسيا وحربيا فى تفريق جند بنى أمية وتمزيق شملهم ، والقضاء على دولتهم

***

(١) الطف موضع قرب الكوفة ، وما أشرف من ريف العراق

وكان سليمان بن هشام ، وابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك ينكران هذه العصبية ويرميان الوليد بن يزيد بتفرقة أنصار بنى مروان ، ويتهمانه بالفسق والزندقة ، حتى حملا الناس على الفتك به ، فتآمر على قتله جماعة من قضاعة واليمانية ، وأتوا خالد بن عبد الله القسرى - وكان الوليدقدعزله من ولاية العراق وخراسان - فدعوه الى أمرهم، فلم يجبهم ، فسألوه أن يكتم عليهم ، فوعدهم ألا يسمى منهم أحدا

وأراد الوليد بن يزيد الحج فى ذلك الحين ، فأتاه خالد بن عبد الله ، وقال له :

- يا أمير المؤمنين أخر الحج هذا العام

فقال الوليد :

- ولم ؟!..

فكتم عنه ، ولم يخبره ، فأمر بحبسه ، وأن يستأدى ما عليه من أموال العراق،ثم دفعه الى يوسف بن عمر ، فعذبه وقتله . فثار اليمانية ، واجتمعوا على قتل الوليد ، وحشدوا جندهم ، وصبحته خيلهم ، فالتقى بهمَ فى ضواحى دمشق ، وقاتلهم قتالا شديدا . ثم صاح رجل منهم :

- اقتلوا عدو الله قتلة قوم لوط .. ارموه بالحجارة

فلما سمع الوليد ذلك ، ورأى انصراف الجند عنه دخل قصره بالبحراء ، وأغلق بابه ، فتبعه الجند وأحاطوا به ، وجعل يزيد بن الوليد لمن يأتى برأسه مائة ألف درهم

ولما اشتد الحصار دنا الوليد من باب القصر ، وقال :

- أما فيكم رجل شريف له حسب وحياء أكلمه ؟!..

فقال يزيد بن عنبسة السكسكى :

- كلمنى .. يا أخا المجون

فقال الوليد :

يا أخا السكاسك . ألم أزد فى أعطياتكم ؟ . ألم أرفع المؤن عنكم ؟ ألم أعط فقراءكم، ألم أخدم زمناكم ؟

فقال ابن عنبسة :

- انا ما ننقم عليك فى أنفسنا . ولكن ننقم عليك انتهاك ما حرم الله ، وشرب الخمر، ونكاح أمهات أولاد أبيك ، واستخفافك بأمر الله

فقال الوليد :

- حسبك .. فلعمرى ، لقد أكثرت وأغرقت . وان فيما أحل لى لسعة عما ذكرت

ثم غادر الباب ، ودخل القصر ، فأخذ مصحفا ، وقال :

- يوم كيوم عثمان بن عفان ..!

وفتح المصحف وجلس يقرأ . فعلا الجند الحائط ، وعلى رأسهم يزيد بن عنبسه ، فنزلوا اليه وسيفه بجانبه ، فقال له ابن عنبسة :

ـ نح سيفك يا وليد ..

فقال الوليد :

ـ لو اردت السيف لكان لى ولك حال غير هذه ..!

فتناول ابن عنبسة سيف الوليد ، وأخذ بيده يريد المؤامرة به ، فنزل من الحائطمنصور ابن جمهور ويزيد بن عبد الملك ، وعبد السلام اللخمى ، والسرى بن زياد ، فضربه عبد السلام على رأسه بسيفه ، وضربه السرى على وجهه ، وتنحى ابن عنبسة عنه، فتعاورته سيوفهم ثم قطع عبد السلام رأسه ، وسلخ آخر جزءا من جلده ، وقطع ثالث كفه اليسرى ، وتسابقوا الى يزيد بن الوليد ليبشروه ، وينالوا منه ما وعد . ففرح يزيد، ونصب الرأس على رمح ، وأمر فطافوا بها مدينة دمشق ، وبايع الناس لليزيد فى ذى الحجة سنة ١٢٦ ، فاخرج ابن عمه سليمان بن هشام من سجن عمان

ومن هنا اضطرب حبل بنى امية ، وهاجت الفتنة فى بيتهم ، وأتاحوا الفرصة لغلبة بنى العباس ، وعلو شأنهم ، والجهر بدعوتهم التى جاهدوا فيها ، وعملوا لها فى خراسانوالعراق منذ ست وعشرين سنة حتى عظم خطرها بقيادة عبدالرحمن بن محمد ابىمسلم الخراسانى

***

وكان مروان بن محمد بارمنيه حينما قتل الوليد بن يزيد ، فلما بلغه مقتله وخلافةيزيد بن الوليد أبى مبايعته ، واظهر الخلاف له ، وخرج فى جيش الى الجزيرة مطالبا بدم الوليد ، ومنحازا الى أهل حمص الذين ثاروا على اليزيد ، وطالبوه بدم خليفتهم المقتول ، فبعث يزيد بن الوليد الى مروان ، فصالحه على ان يوليه الجزيرة ، والموصل ، واذربيجان ، فقبل مروان ، وبايعه بالخلافة ، وكاد يستتب له الامر لولاان المنية عاجلته ، فمات بعد شهرين وعشرة أيام من خلافته

وبلغ مروان موت يزيد ، ومبايعة اخيه ابراهيم بالخلافة ، فانكر البيعة وخرج مطالبا بالخلافة ، وانضم الى أهل حمص ، فارسل اليه ابراهيم بن الوليد جيشا يبلغ مائة وعشرين الف فارس ، على رأسه سليمان بن هشام . وجاء مروان بن محمد بجيش يبلغ ثمانين الف فارس ، والتقى الجيشان « الامويان » واستمر القتل بينهما ، وتطايرت نفوس القتلى من الفريقين . وكان مروان مجربا مكايدا ، فهزم سليمان ، وقتل من جنده سبعة عشر الفا ، وأسر مثلهم ، وفر سليمان بن هشام مندحرا الى دمشق . فتبعه مروان بجيشه فجمع ما كان فى بيت المال ، وخرج مع ابراهيم بن الوليد المخلوع الى تدمر . ثم استأمنا مروان، فامنهما ، وعادا . ولكن سليمان عاد فنقض البيعة لمروان ، وفر الى العراق وانضم الى جيش الخوارج ثم الى جيوش بنى العباس

***

كانت ايام مروان بن محمد ايام فتن وحروب بينه وبين سليمان بن هشام ، وبينه وبين

الخوارج ، وبينه وبين اليمانية ، وبينه وبين عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، وبينه وبين جيوش العباسيين

ورأى العباسيون ان الفرصة مؤاتية ، وان الوقت قد آن لظهورهم ، وقد اضعفت الفتن بنى أمية ، وانهكت الثورات والحروب مروان بن محمد الجعدى ، ودبت العصبية بين جنوده النزاريين واليمانيين . وكانت الشيعة قد بايعت محمدا بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب المعروف بابن الحنفية - على طلب الخلافة بعد تنازل الحسن بن على عنها لمعاوية بن ابى سفيان سنة ٤١ هـ ، وعرضوا عليه قبض زكاتهم لينفقها فى ذلك ، فبقى ابن الحنفية اماما لهم حتى ادركته الوفاة ، فأوصى بها الى ابنه عبد الله بن محمد ، فبايعته الشيعة فبلغ سليمان بن عبد الملك - وكان الخليفة فى ذلك الحين - فبعث اليه ، وأعد له فى أفواه الطرق رجالا معهم أشربة مسمومة ، وامرهم اذا خرج من عنده أن يعرضوا عليه الشراب فكان كلما مر بموضع قام اليه رجل يقول له :

- هل لك فى الشراب يا بن بنت رسول الله ؟

فكانت نفسه توجس منهم ، فيأبى قائلا :

- بارك الله لكم ...

حتى اذا كان فى آخر الطريق خرج اليه رجل من خبائه ، فقال له :

- هل لك فى شربة من لبن يا بن بنت رسول الله

فوقع فى نفسه ان اللبن مما لا يسم ، فشرب منه ثم مضى ، فلم يلبث ان أحس السم يسرى فى جسده ، فقال : « انا لله وانا اليه راجعون » وطلب ان يذهبوا به الى « الحميمة » حيث ينزل آل العباس ، فحملوه الى « محمد بن على بن عبد الله بن عباس » فاخبره ما أصابه وقال له :

- ان مت يا بن عمى ، فاحمل الامر ، واطلب الخلافة لاهل بيتك

وأشهد على ذلك جمعا من الشيعة ، ثم مات

وكانت سنة مائة من الهجرة ، فكان بدء الدعوة لبنى العباس ، فبعث محمد بن على ، مولاه ميسرة الى العراق ، وابا محمد الصادق عكرمة السراج ، ومحمد بن خنيس ، وحيان العطار الى خراسان ، واوصاهم بالدعاء لبنى العباس من أهل البيت ، فلقوا من لقوا ، واقاموا اثنى عشر نقيبا بها ، منهم سليمان بن كثير الخزاعى ، وقحطبة بن شبيب الطائى ، وموسى بن كعب التميمى ، وخالد بن ابراهيم ، فكتب اليهم محمد بن على كتابا ، وضع فيه مثالا يسيرون عليه جميعا فى الدعوة

وبقى محمد بن على يبعث من الحميمة الى خراسان بكتبه ورسله سرا ، حتى جاءته الوفاة ، فاوصى الى ابنه ابراهيم بن محمد بالامامة من بعده ، فاشتهر بابراهيم الامام

واصل ابراهيم دعوة ابيه ، وجعل يكاتب نقباءه سرا ، حتى نما أمرهم ، وكثر انصارهم ، وأشخص أبا مسلم الخراسانى رئيسا عليهم من قبله ، وكان شابا شجاعا داهية كيسا .

فاشتد على نقباء خراسان ان يولى ابراهيم على شيوخهم شابا حديث السن ، وجاء سليمان ابن كثير وقحطبة بن شبيب وبعض النقباء ، ومعهم ابو مسلم فى موسم الحج ، فقابلوا ابراهيم الامام بمكة ، واحتكموا اليه فى أمر ابى مسلم ، وتوليته اياه امارة الشيعة بخراسان مع صغر سنه ...

وكان ابو مسلم قد اتصل بمحمد بن على والد الامام يوم كان قهرمانا (وكيلا) لادريس بن ابراهيم الجعلى ، وعرف الامام ولاءه لاهل بيته ، ووثق بكياسته وقدرته وحسن دهائه ، فاختاره رئيسا للشيعة فى خراسان ، فلما اقبل النقباء يحتكمون اليه فى أمره ، ابى عزله ، وقال لهم :

ـ من اطاع ابا مسلم ، فقد اطاعني ، ومن عصاه ، فقد عصاني

ثم التفت الى ابى مسلم ، وقال :

ـ يا ابا مسلم انك رجل منا أهل البيت ، فاحفظ وصيتي : انظر هذا الحى من اليمن فاكرمهم ، فوالله لا يتم هذا الامر الا بهم ، وانظر هذا الحى من ربيعة ، فانهم معهم ، وانظر هذا الحى من مضر ، فانهم العدو الغريب الدار ، فاقتل من شككت فى أمره ، ومن وقع فى نفسك منه تهمة

فقال ابو مسلم :

ـ ايها الامام ، فان وقع فى انفسنا من رجل هو على غير ذلك أحبسه حتى نستبينه ؟

قال ابراهيم :

ـ لا .. السيف السيف .. لا تبق العدو بطرف .. وايما غلام بلغ خمسة اشبار ، فاتهمته فاقتله ، ولا تخالف هذا الشيخ (يعنى سليمان بن كثير)

وقام ابراهيم فاعطى ابا مسلم لواء يدعى « الظل » وراية تدعى « السحاب » فعاد ابومسلم بمن معه الى خراسان ، ونزل فى منزل سليمان بن كثير فى قرية « سفيذنج » . وكانت ليلة الخامس من رمضان سنة ١٢٩ فعقد شيعة بنى العباس لابى مسلم اللواء على رمح طوله اربع عشرة ذراعا ، وعقدوا الراية على رمح طوله ثلاث عشرة ذراعا ، وهم يتلون :

« أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وان الله على نصرهم لقدير »

وتأولوا « الظل » بان الارض لا تخلو من الظل ابدا ، وكذلك سوف لا تخلو الارض من خليفة عباسى ، وتأولوا « السحاب » بانه منتشر فى الارض ، وكذلك دعوة بنى العباس سوف تنتشر فى سائر البلاد

وكان على خراسان من قبل بنى امية وقتئذ « نصر بن سيار » وكان بطلا شجاعا شاعرا ، لكنه كان مشغولا بحرب اليمانية والخوارج ، فاستفحل أمر دعاة بنى العباس فى خراسان ، وعظم شأن ابى مسلم ، فجهر بالدعوة ، وبعث الى نصر بن سيار كتابا يقول فيه :

« من عبد الرحمن بن محمد الى نصر بن سيار

« أما بعد ، فان الله تباركت أسماؤه ، وتعالى ذكره عير أقواما فى القرآن ، فقال :

واقسموا بالله جهد ايمانهم ، لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم ، فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا ، استكبارا فى الارض ، ومكر السيء ، ولا يحيق المكر السيء الا باهله ، فهل ينظرون الا سنة الاولين . فلن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا »

فاشتد هذا الكتاب على نصر ، وهاله ان يبدأ أبو مسلم بنفسه ، وقد كان بالامس يخاطبه بلقب الامير ، وقال :

ـ هذا كتاب له جواب ..!

وبعث مولى له يقال له « يزيد » لمحاربة ابى مسلم ، فوجه اليه مالك بن الهيثم الخزاعى فهزم يزيد وأسره ، ثم وجه ابو مسلم خازم بن خزيمة الى « مروروز » في جيش كبير ، فاستولى عليها وقتل عامل نصر بن سيار ، فرأى نصر تفاقم الامر ، ونمو الدعوة العباسية نموا سريعا ، فبعث يستنجد مروان بن محمد ويحذره بابيات منها :

أرى خلل الرماد وميض نار   ويوشك ان يكون لها ضرام

فكتب اليه مروان يعتذر بما يعانيه من حروب وفتن وثورات ، ويقول : « .. ان الشاهد يرى ما لا يرى الغائب »

فقال نصر لاصحابه : « أما صاحبكم فقد أعلمكم أن لا نصر عنده »

وخرج بمن معه من « مرو » الى نيسابور هاربا من جيوش ابى مسلم ، فاتبعه قحطبة بن شبيب ففر الى جرجان ، فسار وراءه ، فخرج منها الى الرى ، ثم الى ساوة بالقرب من همدان فمرض بها ، ومات كمدا

***

وكان ابراهيم الامام يكاتب ابا مسلم الخراسانى ، ويوجه اليه بأوامره وارشاداته مع رسله ، وكان ابو مسلم يبعث اليه باخباره ، وما ظفر به من الغلبة والنصر ونجاح الدعوة ، فوكل مروان بن محمد عيونا بالطرق ، فقبضوا على رسول أتى من قبل أبى مسلم الى ابراهيم بكتاب يخبره فيه بما آل اليه أمره ، فأتوا به الى مروان ، فتناول الكتاب وقرأه ، ثم رده اليه ، وقال :

ـ لا تخف . كم دفع لك صاحبك ؟

فقال الرسول : « كذا وكذا درهما .. »

فقال له مروان :

ـ هذه عشرة آلاف درهم لك ، وامض بكتابك الى ابراهيم ولا تخبره شيئا مما جرى ، وخذ جوابه وائتنى به

ففعل الرسول ، وتأمل مروان كتاب ابراهيم الامام الى ابى مسلم يأمره بالجد والاجتهاد فاحتبس الرسول ثم ارسل الى عامل البلقاء ان اذهب الى « الحميمة » وائتنى بابراهيم بن محمد موثقا فى خيل كثيف ، ففعل

وجيء بابراهيم بين يدى مروان ، فسأله عن الكتاب والرسول ، فانكر فاخرجهما مروان له ، وقال :

ـ يا منافق .. أليس هذا كتابك ، وهذا رسولك ..

واغلظ له القول ، فأجابه ابراهيم بمثل قوله ، وقال له :

ـ يا امير المؤمنين ما أظن الناس يرون منك الا حقا فى بغض بنى هاشم

فقال مروان :

ـ أدركك الله باعمالك يا منافق .. اذهبوا به الى السجن ، فان الله لا يأخذ عبدا عند أول ذنب .. اذهبوا به مذموما ..

فدفعوه الى سجن حران ، وكان فيه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، والعباس بن الوليد بن عبد الملك، وقد ظفر بهما مروان ، فبقى معهما سجينا

ثم بعث اليه من قتلوه فى السجن ، فدخلوا عليه ليلا هو وزميليه فاوثقوهم ، ثم ادخلوا رأس ابراهيم فى جراب به مسحوق ، فاضطرب ساعة ثم خمد ، وجعلوا على وجهى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، والعباس بن الوليد مخاد وقعدوا فوقهما فاضطربا ، ثم بردا ..!

***

بلغ آل العباس بالحميمة قتل عميدهم ابراهيم الامام ، فخافوا نقمة مروان ، وخرج بهم ابو العباس عبد الله بن محمد الى العراق ، وكان أخوه قد أوصى اليه بعده ، فلما وصل الكوفة وجد جيوش ابى مسلم قد دخلت العراق ، وغلبت عامله عمر بن هبيرة ، واقامت حفص بن سليمان(ابوسلمة الخلال) على الكوفة فى المحرم سنة ١٣٢ وسموه « وزير آل محمد » اذ كان من قبل كاتبا لابراهيم بن محمد الامام

ولما وصل ابو العباس وآله الكوفة انزلهم ابو سلمة دار الوليد بن سعد ، وكتم امرهم نحو شهرين ثم ظهر للناس ابو العباس ، فبايعوه بالخلافة فى ربيع الآخر سنة ١٣٢ هـ

وكان قحطبة بن شبيب أحد قواد ابى مسلم قد وجه ابا عون عبد الملك بن يزيد الى « شهرزور » من نهاوند فتغلب ابو عون على عثمان بن سفيان عامل الامويين وقتله بناحية الموصل . وبلغ مروان مقتل عثمان ، ومبايعة ابى العباس ، فاقبل من حران حتى نزل على نهر دجلة بالموصل وحفر خندقا ، فبعث اليه ابو العباس بجيش على رأسه عمه عبد الله بن على ، ومعه سليمان بن هشام بن عبد الملك ، فانهزم مروان بن محمد على نهر الزاب وغرق كثير من جنده وأصحابه وفيهم ابراهيم بن الوليد المخلوع،ففر الى حران،فأقام بها عشرين يوما ونيفا ، حتى دنا منه عبد الله بن على فرحل باهله وما بقى من جنده الى قنسرين ومنها الى حمص ، ثم الى دمشق ، فاتبعه عبد الله ، ففر منها الى الاردن ، ودخل عبد الله بن على بجيشه دمشق الشام ، فقتل عاملها الوليد بن معاوية واستولى عليها ثم اتجه الى الاردن ، فخرج منه مروان الى فلسطين ، فأتبعه عبد الله ، فرحل مروان من فلسطين الى مصر ،

فوجد أكثر أهلها قد اعتنقوا الدعوة العباسية ، فانحاز الى الجيزة ، وأحرق الجسرين والدار المذهبة التى بناها عبد العزيز بن مروان ، ونزل بمن معه قرية بوصير ، وكان فيهم كاتبه عبد الحميد بن يحيى . فلما اشتد عليه الخطب ، واستشعر الضعف قال لعبد الحميد :

ـ قد احتجت ان تصير مع عدوى ، وتظهر الغدر بى ، فان اعجابهم بأدبك ، وحاجتهم الى كتابتك تدعوهم الى حسن الظن بك ، فان استطعت ان تنفعنى فى حياتى ، والا لم تعجز عن حفظ حرمى بعد وفاتى

فقال عبد الحميد :

ـ ان الذى أشرت به انفع الامرين لك ، واقبحهما بى ، وما عندى الا الصبر حتى يفتح الله عليك أو أقتل معك ، ثم قال :

أسر وفاء ثم أظهر غـدرة فمن لى بعذر يوسع الناس ظاهره

وكتب عبد الحميد الى أهله ينعى نفسه ، وبعث عبد الله بن على من فلسطين أخاه صالح بن على ومعه ابوعون عبد الملك بن يزيد وسليمان بن هشام وعامر بن اسماعيل فى جيش لمحاربة مروان بن محمد بمصر ، فدخلوها ورحب بهم كثيرمن أهلها ، فالتقى بهم مروان على النيل ، ونشب القتال بين الجيشين طول اليوم ، فانهزم مروان ، فاتبعه ابو عون وسليمان بن هشام بمن معهما الى قرية بوصير ، وحاصروه ، فاحرق ما حوله من علف وطعام وخيام واخفى بناته بالكنيسة ، وعبأ جنده ، وقال لهم :

ـ ان الجزع لا يزيد فى الاجل ، وان الصبر لا ينقص الأمل

وخرج بمن معه ، فلما رأى كثرة عدوه ، وقلة اصحابه نزل عن فرسه ، فوثب رجل اليه فأخذه ، فقال له مروان : « أكرمه ، فانه أشقر مروان ... » .

ثم كسر غمده ، وحمل على الجند ابى عون وسليمان ، وحملوا عليه ، وكسروا اغماد سيوفهم ، وصاح عامر بن اسماعيل : « دهيد يا جوانكان .. دهيد يا جوانكان ... »

فكأنما صبت نارعلى مروان وأصحابه ، فاندحروا وطعنه عامر بسيفه فقتله فى ذى الحجة سنة ١٣٢ ، وأمر سليمان بن هشام بطلب المنهزمين ، فأسروهم ، وفيهم عبد الحميد بن يحيى الكاتب

ودخل الكنيسة عامر بن اسماعيل بعد المعركة ، فاذا بخادم لمروان شاهر السيف يحاول الدخول الى بنات مروان ونسائه ليضرب اعناقهن كما أوصاه بذلك سيده ..

وهم عامر بقتله ، فقال الخادم : « دعونى ولا تقتلونى .. » ودله على ميراث رسول الله ، وشعار خلفائه .. وساق بنات مروان ونساءه الى صالح بن على .. فوسعهن بعفوه ، وبعث بهن الى « حران » فلما دخلنها علت اصواتهن بالبكاء والنحيب ..

وقدم سليمان بن هشام ويزيد بن هانىء الى « ابى العباس » ومعهما رأس مروان وكاتبه عبد الحميد بن يحيى ، والبردة والقضيب والمخصر ، فلما وضعت الرأس بين يديه سجد وأطال السجود ثم نهض ، فنظر الى رأس مروان وقال :

ـ الحمد لله الذى لم يبق ثارى قبلك ، وقبل رهطك . الحمد لله الذى أظفرني بك ، وأظهرني عليك .. ما ابالي والله متى طرقني الموت

ثم أمر بعبد الحميد بن يحيى الكاتب فدفع الى عبد الجبار بن عبد الرحمن ، فعذبه وثلة فكان يحمي طستا ويضعه على رأسه ، وما زال يفعل به ذلك الى أن مات

***

بقي سليمان بن هشام اكرم الناس عند ابى العباس لحسن بلائه مع قحطبة ، واعانته لعبد الله بن على ، وقيامه على قتال مروان بن محمد واعانته على زوال ملك بني أمية

فلما كان ذات يوم وقد جلس ابو العباس يحادث سليمان ويضاحكه اذا برجل يدعى « سديف » من موالي بنى العباس قد أقبل وناوله كتابا ، فقرأه ، فاذا فيه ابيات يحرض فيها على قتل سليمان منها :

اصبح الملك ثابت الاساس ... بالبها ليل من بنى العباس

طلبوا وتر هاشم فشفوها ... بعد ميل من الزمان وباس

لا تقيلن عبد شمس عثارا ... واقطعن كل نخلة وغراس

فتغير وجه أبو العباس ، ونهض وهو يقول لسديف : «نعم .. وسننظر في حاجتك»

وعلم سليمان بن هشام بما حواه الكتاب ، فخاف الغدر به ، وهرب مع ابنه الى الجزيرة وهناك ثار على ابى العباس وخلعه ، فبعث اليه بجيش فهزمه وأسره هو وولده ، فلما جيء به اليه قال سليمان : « الامان يا أمير المؤمنين . ولتسعني مغفرتك .. »

فقال ابو العباس : « كلا .. لقد جلت خطيئتك عن المغفرة »

ثم قال لجنده : « اقتلوه ، واصلبوه على باب الكوفة .. »

فقال سليمان :

ـ أولم يغفر لى بلائي في جيشك ، واعانتي لك على عدوك ، وقدومي برأس مروان اليك ؟! ..

ـ ذلك على الرغم منك . ولو ظفرت بنا أهل البيت لكنت لنا أول الظالمين

ـ لو كان ذلك يا أمير المؤمنين ، لكانت لى معكم حال أخرى

ـ أو لم تخرج علينا بالامس ، وتخلع طاعتنا ، كماخرجت على من سبقنا من بنى قومك ؟!

ـ ان الملأ من انصارك كانوا يأتمرون معك على قتلى

ـ كذبت ...

ـ كلا .. ولو بقيت معك لم آمن غدرك . أتذكر يوم سديف ؟

ـ نعم ، ولو بقيت معى لم آمن خيانتك وغدرك ، فان امرءا يخون قومه ، ويغدر بنى عمه لجدير بألا يأمنه الناس

طاهر الطناحي

امريكا تخطب ود الحجاز

كان اكتشاف حقول البترول الخصيبة فى الجزيرة العربية نعمة كبرى هبطت على هذا الاقليم الجدب الفقير الذى يقف على انفراد وسط سوار من الدول التى تحميها أو تستعمرها بريطانيا وفرنسا وايطاليا ، والذى يقوم مركزا حربيا خطيرا فى عرض أقصر طريق يصل بين شرق العالم وغربه • ولولا هذا البترول الذى سيجعل من مملكة ابن سعود اقليما غنيا الى حد ما ، لظلت من الوجهة الاقتصادية صحراء يخيم الفقر على جميع أسباب حياتها ، لان الزراعة فى هذه الفيافى ليست مصدرا من مصادر الانتاج ، ولان مورد ثروتها الثانى وهو الحج الى مكة والمدينة يجتذب من الفقراء أكثر مما يجتذب من الاغنياء القادرين على الانفاق والاسراف

وقد أثبت موقف ابن سعود فى بيع حقوق استخراج البترول من آبار بلاده انه من أشد الحكام الظاهرين على المسرح الدولى حزما فى ادارته ومن أبعدهم نظرا فى مستقبل الامور • فقد لقى أمامه كثيرين ممن يريدون شراء حق استخراج البترول الذى تفتقر اليه جميع الدول الكبرى لتحرك به رحى الحرب الدائرة ، فرأى انه طالما يسعه أن يبقى هذه الدول متنافسة فيما بينها تظل تصادقه وتؤازره جميعا ، أما ان أسرع فقرر منح احداها وحرمان سائرها من هذا الامتياز فالارجح أن يجعل الجزيرة العربية بديلا من بولندا ، أى أول ساحة تتقد فيها نار الحرب الكبرى الثانية

وقد أرادت بريطانيا أن تخطب ود ابن سعود خطبة فخمة رائعة ، فبعثت اليه فى سنة ١٩٣٨ بشقيق ملكتها « ايرل آثلون » وزوجته « الاميرة أليس » • فرد هذه الخطبة بحفلة أقامها لضيفيه وحاول فيها العشاء لاول مرة مع احدى السيدات جهرا ، دون أن يمنح الانجليز الامتياز الذى أرادوه • ثم بدا للناس فترة ما ان ابن سعود يميل الى جانب ايطاليا ولكن لم يلبث موسولينى أن أظهر أطماعا لم يرتح اليها عاهل الحجاز • ودعا اليه ألمانيا بعد ذلك ليعزز موقفه ويؤكد حياده بين جميع الدول المتنافسة • وكذلك تقدمت اليه اليابان التى تفتقر الى البترول كل الافتقار ، والتى أذاع وزيرها المفوض فى مصر فى ابريل سنة ١٩٣١ أن ابن سعود منح بلاده جميع حقوق استخراج البترول من الجزيرة العربية رغم ان الاتفاق بينهما لم ينته الى نتيجة ما • وكانت فرنسا من الدول الساعية وراء بترول الحجاز أيضا • ولكن ابن سعود لم تصله بالفرنسيين وشيجة وثيقة من المودة الا منذ عهد قريب

وأخيرا قرر ابن سعود فى أغسطس الماضى أن يمنح امتياز استخراج البترول الى

أمريكا ، اذ وجد فى شركة « ستاندرد أويل أوف كليفورنيا » السبيل الى ما يريده لمملكته من السلامة والامان . فقد قرر جهرا ان اليابانيين عرضوا عليه من المال أضعاف ما قدمته له الشركة الامريكية على أن ينالوا ثلث الحقوق التى منحها لهذه الشركة فحسب! ولكنه رفض لان سداد نظرته فى شئون السياسة كان أقوى من رغبته فى كسب المال . وقد حصل من الشركة الامريكية على مقدم من المال قدره ١٫٥٠٠٫٠٠٠ دولار ذهبى على أن يتقاضى ٧٥٠٫٠٠٠ دولار عن كل سنة تمضيها الشركة فى البحث عن البترول ، ثم يزداد هذا المبلغ بعد توفقها الى استخراج البترول على أن تنال منه بلاد الحجاز القسط الذى يفى بحاجاتها . ومن الواضح انه شعر بأن ثمة شيئا أثمن وأجدى من الذهب ، وهو حماية استقلال المملكة السعودية بما للولايات المتحدة الامريكية من المكانة الممتازة والهيبة المشهورة . وقد كان على حق فى حسابه ان هذه الشركة الامريكية ستهيىء له سبيل الاستفادة بمكانة امريكا وهيبتها ، فانه لم يكد يمنحها امتياز البترول حتى أسرعت الحكومة الامريكية الى ندب وزيرها المفوض فى مصر للعمل فى المملكة السعودية . هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى فان ابن سعود لا يخشى ـ كما قد يخشى حاكم من حكام أمريكا الجنوبية أو الوسطى ـ أن تحاول الولايات المتحدة الامريكية التدخل فى شئون بلاده النائية عنها تدخلا سياسيا يمس شيئا من حريتها . وهكذا استطاع أن يربح ربحا ماديا عظيما ، دون أن يعرض حريتها واستقلالها لاى خطر سياسى من قريب أو بعيد ، بل وفق فى الوقت ذاته الى أن يرجح كفة الحجاز فى الميزان السياسى للشرق الادنى

***

يبدو ابن سعود كما يجب أن يبدو زعيم عربى . فهو فارع القوام ، أشم الأنف ، نافذ النظرة . وقد أقام مملكته وشيدها بما أوتى من الجراءة الفذة والفروسية الرائعة . فكان يتقدم على صهوة جواده طليعة رجاله المحاربين ، وينام وجانبه الى جانبهم فى مغامرات الصحراء بين الرمال والرجام . وهو مع هذا من أكثر الحكام أخذا بأسباب الحياة الحديثة ، فجيشه يجرى الآن على متون سيارات أعدت خصيصا للسير فى فجاج الصحراء ، ويعنى بأحدث أسلحة الحروب ومن بينها الدبابات . وقد دفعته حماسته العملية الى أن يضىء مكة بالكهرباء والى أن يعد السيارات الكبيرة لنقل الحجيج الى المدينة المقدسة . ولكن مكانته كزعيم وراثى لطائفة الوهابيين تحمله على أن يتمسك الى أقصى حد بأصول النسك والزهد التى تتخذها الطائفة المتشددة فى العقيدة والعبادة . فمع انه تزوج لدواع سياسية عدة زوجات الا انه اتبع القاعدة الدينية التى تقضى بالا يأوى الرجل أكثر من أربع زوجات فى وقت واحد . وما زال مع هذا يحفظ ذكرى حب أم ولديه البكريين التى توفيت فى سنة ١٩١٩

ومع انه استولى على مملكته ووسع أطرافها بقوة السلاح الا انه لم يكن محدثا فى الملكية والزعامة كما كان الملك زوغو مثلا . ولما كان العرب يهتمون كثيرا بأمر الاصل

والحسب فقد شد أزر ابن سعود انه ينحدر من صلب الامير العظيم محمد ابن سعود منشىء الأسرة السعودية وسيف الوهابيين. وقد تسلم ابن سعود السلطة فى سنة ١٩٠١ وما زال فى سن الحادية والعشرين عقب أن تحطمت مملكة أعمامه اثر ما شجر بينهم من الخلاف والنزاع ، فهجم على الرياض وتسور قصورها ليلا وليس معه سوى خمسة عشر رجلا اقتحموا المدينة وقهروا جنودها ، ونصب ابن سعود نفسه منذ تلك الليلة حاكما على نجد. ولما مات ابن راشد الذى كان الاتراك يؤيدونه ويؤازرونه فى سنة ١٩٠٦ خلا له الجو من كل منازع ومنافس

وفرغ منذ ذلك الحين الى توحيد الجزيرة العربية ، بالغاء نظام القبيلة القائمة على الزعامة والعصبية ، واستبداله بروح قومى واسع المدى راسخ الاساس. وقد أنشأ لتحقيق هذه الغاية مستعمرات زراعية يستقر فيها الناس على نظام من الحياة يخالف حياة البدو والرعاة التى تحكمها تقاليد القبائل المشتتة المتنازعة

وقد أخرج الاتراك من شرق الجزيرة العربية فى سنة ١٩١٣ ، وفى السنة التى تليها شارك بريطانيا فى حرب تركيا ، وأنشأ بينه وبين بريطانيا علاقات طيبة دائمة ، فعقد معها معاهدة صداقة سنة ١٩١٥ كما اتخذ له أصدقاء خلصاء من «بناة الامبراطورية البريطانية» الذين وصلتهم به أسباب المعاملة. ولكنه تبين من بادىء الامر انه يجب أن يتولى بنفسه ، لا بريطانيا رعاية حقوقه ومصالحه. فقد شهد ، خائفا حذرا ، فى أثناء سنى الحرب الماضية قوى عدوه الملك حسين تضرب أوتادها فى أرض الحجاز بمساعدة رجل انجليزى هو لورنس. ثم رأى فى سنة ١٩١٩ اللورد كيرزون يتوسط بينه وبين عدوه ، فيقرر أن يخلى ابن سعود بعض أجزاء الحجاز لتحتلها الملك حسين. ولكن ابن سعود لم يكفه أن يتجاهل هذه الوساطة ، بل تقدم بجيوشه ليبيد بها جيوش الأسرة الهاشمية. وفى ذلك العام ضم اليه عسير ، وفى سنة ١٩٢٤ غزا الحجاز ودخل الطائف وأرغم الملك حسينا على أن يعتزل العرش. ثم دخل مكة وحاصر المدينة واستطاع أن يعلن نفسه ملكا على الحجاز. وضم نجد والحجاز معا وألف منهما المملكة السعودية فى سنة ١٩٣٢ وعند ذلك وجد ان بريطانيا وقد لقيت نفسها أمام الامر الواقع لم يسعها الا أن تقبله وترضاه

ولم تكن هذه المداعبة التى أجراها ابن سعود بشأن بترول بلاده مع ذلك المحور القديم الذى كان يمتد بين ألمانيا وايطاليا واليابان الا اشارة أراد بها أن يخدر أعصاب بريطانيا ألا تذهب فى الامر الى غاية بعيدة قد تنافى غايته . وقد أرسل فى الصيف الماضى الى فرنسا رسالة عنيفة بشأن ما اقترح من تحويل سورية المنتدبة عليها فرنسا الى مملكة يتولاها الامير عبد الله أمير شرق الاردن وأحد أفراد الاسرة الهاشمية خصمه القديم . وهكذا أثبت ابن سعود انه حاكم مستقل بأمره وبملكه عن كل سلطان أو تأثير أجنبى ، وانه حازم الامر قوى الشكيمة فى توجيه سياسة مملكته الوجهة التى يرى فيها صالحها وكرامتها

(خلاصة مقال للماجور ماكفرلند فى صحيفة The Living Age الامريكية)

كلمات خالدة

لبطل الوطنية : مصطفى كامل باشا

ـ ان الذين يهبون قواهم واعمارهم لبلادهم لا يحسبون لاشخاصهم وجودا مستقلا عن المبدأ الذى يعملون لنصرته ، بل يندمجون فى المبدأ نفسه ، فكل تحية تهدى اليهم فهى تحية اليه

ولذلك استقبل دلائل الحب والميل التى تظهرونها نحوى على انها اكرام لاشرف مبدأ قام ويقوم فى خدمة الانسان الا وهو مبدأ « احياء الوطن وردمجده واستقلاله اليه »

ـ ان العامل الواثق من النجاح يرى النجاح امامه كأنه امر واقع • ونحن نرى الآن هذا الاستقلال المصرى ، ونبتهج به ، وندعو له كانه حقيقة ثابتة وسيكون كذلك لا محالة

ـ انا لو تخطفنا الموت من هذه الدار واحدا بعد واحد لكانت آخر كلماتنا لمن بعدنا « كونوا اسعد حظا ، وليبارك الله فيكم ، ويجعل الفوز على ايديكم ، ويخرج من الجماهير المئات والالوف بدل الآحاد للمطالبة بالحق الوطنى والحرية الاهلية ، والاستقلال المقدس »

ـ ان مصر جنة الدنيا ، وان شعبا يسكنها ويتوارثها لاكرم الشعوب اذا أعزها، واكبرها جناية عليها وعلى نفسه اذا تسامح فى حقها ، وسلم ازمتها للاجنبى

ـ ان الوطنية واحدة لا تتعدد • وقد يضل الانسان فى أمور كثيرة ، ويخطىء فى مسائل عدة ، ولكن اذا كان هناك شعور لا يضل الرجل فيه ، ولا يخطىء ابدا فى تقديره وتكييفه واظهاره بكل مظاهره فهو الشعور الوطنى

ـ اذا صح التسامح فى بعض الامور ، وفى ظروف معينة ، فان التسامح فى الوطنية اعدام لها وقضاء عليها ، وان من يتسامح فى حقوق بلاده ولو مرة يبقى أبد الدهر مزعزع العقيدة سقيم الوجدان

ـ ان الحكومة الصالحة العاملة لخير الرعية هى التى تلتقط الحقيقة أنى وجدتها وتعمل بالرشد والصواب ، ولو كان خصمها هو مرشدها ، فهى تزداد قوة على قوتها ، ونفوذا عند الرعية اذا اتبعت رأى خصمها متى كان حقا ، لانها تثبت بذلك انها حكومة خير ورشاد لا حكومة طيش واهواء

كتاب الشهر

حقوق الانسان

للكاتب الانجليزى هـ . ج . ويلز

بقلم الاستاذ محمد محمد توفيق

الكاتب الانجليزى هـ . ج . ويلز أشهر من أن يعرف ، فهو فى طليعة الكتاب العالميين الذين زودوا الثقافة البشرية بكم عظيم من « الفكر » فى كتاباتهم وأبحاثهم . بدأ حياته بقصص قصار قائمة على نظريات علميـة . ثم استهوته الأبحاث المطولة فأجاد فيها وأبدع ، فى تعمق وبعد نظر وحسن توجيه للتفكير الانسانى والغرائز البشرية ، حتى بلغت ثقة القراء فيه انه يكفى أن يعرف القارىء ان هذا الكتاب لويلز حتى يقرأه باطمئنان وثقة بأن المؤلف قد أرضى ضميره ولم يبد فى أمر رأيا إلا بعد طول درس وتمحيص

والمستر ويلز الآن فى شيخوخة توهنها الأمراض ويسمها الضعف والهزال . وقد كاد بسبب ذلك أن يختم حياته الأدبية مؤثراً الهدوء والراحة على إجهاد الفكر فى متابعة الكتابة والتأليف بيد انه لم يكد يسمع بنبأ اعلان الحرب حتى انتفض من فراشه ليتزعم الحركة الفكرية التى تستقبل الحرب فى شىء من الهلع والتوجس . وانتهزها فرصة طيبة ليعمل على نصرة الانسان فى معركة الحياة المادية التى رانت على القرن العشرين ، وألف كتابه هـذا الذى لا نتردد فى عده وثيقة تاريخية لا تقل أهميتها كثيراً عن « الماجنا كارتا » التى قيد بها الانجليز طغيان ملوكهم و « حقوق الانسان » التى أعلنتها الثورة الفرنسية فى مستهل عهدها

وأثر هذه الوثيقة لن يظهر الآن فيما نرجح . أجل انها أحدثت فى الأوساط المثقفة ضجة . ولكن ليس على الضجة يقوم الاصلاح الاجتماعى ولا على الأوساط المثقفة . انه لن يقوم الا على الجماهير وعلى العقيدة والايمان . فنحن لا نستبعد أن تكون هذه الوثيقة أو ما يشاكلها انجيلا للعالم عند ما تفرغ الشعوب المتحاربة ما فى جعبتها من كل ما هو علوى فتشعر بالفراغ فتهب عليها نسمات الايمان من جديد ، وعندئذ يتساءل المتحاربون فى شىء كثير من الحسرة والندم — لماذا نحارب ؟

ومثل هذا الانجيل لن يؤمن به الناس حتى يحاربوا ويفنوا فى الحرب كل شىء عليهم عزيز . كأن قد كتب على البشرية ألا تؤمن بالحق حتى تصلى نار الباطل ، وحتى الايمـان بالحق بعد

الكوارث والحروب لن يلبث حتى يراوده الشك ثم الالحاد فتحتاج البشرية لكوارث أخر وحروب نكباء ونقص فى الأموال والأنفس لتعود الى حظيرة الايمان . وما نحسب البشرية بقادرة على الثبات فوق صخرة الايمان أبداً ، فهى لن تنفك فى ايمان ثم إلحاد ، ثم كوارث تفضي إلى ايمان ، ثم إلحاد يفضى الى كوارث ، وهكذا حتى يقضى الله أمراً كان مفعولا

وكأنا بويلز لا يدرك الى هذه الساعة ان « حقوق الانسان » التى وضعها لن يؤمن بها الناس إلا بعد حرب طويلة الأجل عالمية التدمير . ودليلنا على ذلك إشارته فى صفحة ٧٧ الى أن الكثيرين ممن قرأوا مبادئه العشرة لم يبدأنهم تبينوا أهميتها ، وانه كان يحتاج دائما الى المقدمات يشرح فيها أغراضه كلما تقدم بها الى معارفه وأخصائه . وقد عزا ذلك الى أن « حقوق الانسان » مركزة مضغوطة لا يدرك قارئها أن وراء كل كلمة منها حقاً طبيعياً لانسان مهضوم الحق ، وانها لو شرحت أو كتبت بتوسع فان درجة فهم الناس لها تزداد تبعاً للشرح والتوسع . ونسى ويلز فى تسرعه بنشر كتابه ان حاجة الانسان الى الشىء هى التى تجعل الشىء مقبولا ومعقولا . وان هذه « الحاجة » لم يحن وقتها بعد ، وان الانسان الآن لا تزال تستهويه الحرب وان يكن يدرك مدى فظاعتها فالانسان فارس بطبعه ، وانه لن يفهم حقوقه أو يحاول فهمها حتى تقصم الحرب ظهره وحتى يعم الجوع والعرى والخراب كل مكان

ان حقوق الانسان التى أعلنتها الجمعية التشريعية فى مستهل الثورة الفرنسية الكبرى كانت أشد تركيزاً من الصيغة التى وضعها ويلز ، ودرجة فهم الشعب الفرنسى من الناحية الثقافية كانت بلا جدال أقل من درجة فهم القراء الآن . ولكن ذلك لم يحل دون « فهم » الشعب الثائر لحقوقه بحذافيرها برغم كونها مركزة لدرجة التبلور

ونحن إذا أمعنا النظر فى تلك الحقوق وجدناها لا تقل نفعاً للانسان عما جاء به ويلز ، فقد أعلنت الوثيقة الفرنسية ان جميع الناس قد ولدوا أحراراً ولهم أنصبة فى الحقوق متساوية ، وان غاية كل حكومة صيانة حرية الناس وملكية الأفراد وتأمينهم على حياتهم ومقاومة كل ظلم لهم أو اضطهاد ، فضلا عما فيها من نص على أن الحكومات تمثل الشعوب ومن أجل راحة الشعوب تعمل . فصلب الحقوق أو متنها واحد عند رجال الثورة الفرنسية وعند ويلز . والماجنا كارتا لا تقل فى جوهرها عما ذكرنا . والانسانية لا تزال بخير فيما نعلم . والانسان الذى قال عنه سوفوكليس فى القرن الخامس قبل الميلاد أنه لا جديد عليه ولا محال إلا الموت ، ولطالما وجد العلاج لجميع أمراضه التى لم يكن ينجع فيها علاج ، هو هو الانسان الذى يعيش الآن . وعقدتنا أنه أخذ من حقوقه بالقدر الذى يستحقه ، وسينال قسطاً جديداً من الحرية والعدالة والمساواة عند ما يستحق « الترقية » ، فكما تكونون يولى عليكم

أجل لم يأت ويلز بشيء جديد في جوهر حقوق الانسان . ولكن يجب ألا ننسى أن له فضل تفسيرها وشرحها فهو في ذلك مجتهد وعمله جدير بالتقدير إلى أبعد حدود التقدير . انما الذى نأخذه عليه هو تسرعه في مطالبة الحكومات باقرار وثيقته الانسانية وإحراجه الحكومة البريطانية بمطالبتها بالاعتراف بها كبيان لغرض الحلفاء من الحرب . وكان جديراً بمقامه كعالم وكمؤرخ كبير أن يعلم أن جان جاك روسو الذى كان بمثابة الوحى لرجال الثورة الفرنسية لم يقر أفكاره بشكل رسمى « حكومى » ، انما الذى أقرها هو الشعب وفى حالة فوران وثورة اجتماعية كبرى . فلينتظر إذن ريثما تصل الانسانية المحاربة الى درجة الغليان ، ولاشك أن مبادئه ستكون مصدراً ووحياً للجماعة السعيدة التى ستقر « حقوق الانسان » فى القرن العشرين عندما تنضج الثمرة فى حرارة الموسم وإبانه

إن قول ويلز « دعنى أقل قبل أن يصبح القول مستحيلا . . » فيه قلق ليس من شيم قادة الفكر

* * *

فلنسم عمل ويلز إذن « تفسيراً لكتاب حقوق الانسان » أو طبعة ثالثة أو رابعة له . طبعة منقحة فيها اضافات تتمشى مع تطور المدنية الانسانية

ولنسمه أيضاً « انجيلا » جديداً للاشتراكية المعرقة فى القدم

أما ما قيل من أن مبادئه هى المسيحية بعينها ، وأما إشارته هو إلى أنها قد تمت الى الاسلام أو الموسوية أو البوذية بصلة قريبة أو بعيدة ، فمن تحصيل الحاصل ، فان الأديان فيها الحل الأبدى لمشاكل البشر كلها لو أن الناس يؤمنون

فى القرون الوسطى عرفت الانسانية شيئا اسمه « الفروسية » وجوهره دفاع الفارس النبيل عن كل ضعيف ذى حق مهضوم ، فويلز وغيره من دعاة الاشتراكية « فرسان » بهذا المعنى الاصطلاحى ، كرسوا حياتهم للدفاع عن الانسانية المعذبة

ان الغذاء ، والصحة ، والتعليم ، والعمل ، والامن ، والحرية لا غنى عنها للانسان الحديث ، ولا ينبغى أن يناقشه فيها أحد ، بل يجب أن تكون من بديهيات الامور

أما كيف دافع ويلز عن هذه البديهيات فجوابه فى كتابه الذى نحن بصدد عرضه . والحق انه كتاب عجيب . . تستطيع أن تقرأه من أوله ، وتستطيع أن تقرأه من وسطه ، كما تستطيع أن تقرأه من آخره ! والعلة فى ذلك العجلة . كأنه يقول : فلنكن نحن أول من يعلن حقوق الانسان قبل أن يفوت الاوان !

والكتاب يبدؤك بالخطاب الذى وجهه ويلز الى رئيس تحرير جريدة التيمس وشرح فيه

تبلبل الافكار بسبب الحرب ، وعاد بذاكرته الى الحرب الماضية والى ما كان ينتظر منها من خير يصيب الانسانية ، وكيف ان المصلحة العامة اصطدمت بالأنانية فجاءت عصبة الامم فقيرة عديمة النفع عديمة التأثير لا قدرة لها على مقاومة تيار التسلح الجارف ، شديدة المحافظة على الاوضاع الراهنة ، قليلة التحمس دبلوماسية النزعات والاهواء . وان الحرب الحالية لن تفضى الى خير البشر حتى تناقش المشاكل العالمية بكل حرية وجرأة

ويلى تلك الرسالة خطاب آخر الى رئيس تحرير الجريدة نفسها وفيه يقول ويلز ان ما نشر فى رسالته الاولى قد أحدث ضجة . وان الشيء الذى أجمع عليه الناس كبارهم وصغارهم هو طلب نشر أغراض الحلفاء من الحرب والاجابة عن هذا السؤال الخطير ـ لماذا نحارب ؟ وفى الوقت نفسه يكاد يجمع الرأى العام على استحالة إنشاء ما يمكن أن يسمى أغراض الحرب وأهدافها فى الظروف الحاضرة . ويقول ان المخرج الوحيد من هذا المأزق والتناقض هو اتباع ذلك التقليد القديم الاصيل فى الشعوب البرلمانية التفكير . . أعنى اعلان الحقوق . فقد تعودت انجلترا فى مختلف أطوار تاريخها أن تصدر اعلانات لحقوق الناس تقام عليها دعائم الحياة الاجتماعية والسياسية وتقوم كالعرف بين الناس وكالقانون إزاء الحكومات ، وانه هو ونفر من أصدقائه قد تواضعوا على وضع مشروع لحقوق الانسان يناسب العصر الحديث ويتمشى مع مطالب الساعة ويصلح كيانا لأغراض الحليفتين من الحرب ويقيمها على أساس من الأمل والتفاؤل . وفى ذيل تلك الرسالة ينشر ويلز « حقوق الانسان » فى صيغتها الأولى فتجىء مبتسرة وفى حاجة الى التعديل والتنقيح

***

والكتاب ـ بعد ـ يتألف من فصول عديدة هى بمثابة التنقيح والشرح والتعليق على مواد حقوق الانسان التى أعلنها ويلز أولا على صفحات التيمس . وقد أظهرت تلك التعديلات ميزة الأناة فى مثل هذا العمل الكبير الذى لا يمكن القاء القول فيه على عواهنه ، والذى يعترض المشرع فيه ألف عقبة وعقبة كل منها يحتاج الى إمعان النظر والتأمل والرجوع الى تراث البشرية فى عالمى التاريخ والقانون

وللقانون المنقح الذى وضعه لحقوق الانسان مقدمة تنص على ما جرى من تبدل فى حياة البشر المادية فى القرن الأخير مما يمكن أن يسمى ثورة اجتماعية ، وتقول ان الاختراعات والاكتشافات قد بدلت وسائل النقل والاتصال بين الشعوب والدول وكادت تمحو بعد الشقة فيما بينها ، وان القوة الميكانيكية قد جعلت طاقة البشر على التعاون والتنابذ والايذاء والاضطهاد والانتفاع بعناصر الطبيعة أو تدميرها أضعاف ما كانت عليه فى العصور السابقة ، وبخاصة فى الثلث الأخير من هذا القرن ، حتى يمكننا أن نقول انها بلغت الآن القمة . لذلك أصبح من الواجب الحتمى العمل على أن تساير حياة الانسان وتنظمه هذه التطورات الخطيرة . فقد أرغم الانسان على العمل الجماعى

الحكومات وأصبح فريسة لنهم الشركات ورجال الأعمال الباحثين عن الربح وحسب . أرغم على ذلك بجهالة وبطاعة عمياء وبتضحية جلى بالسعادة والرفاهية . وان تلك القوة الجاهلة الغشوم قد هيمنت أو كادت على مختلف مظاهر النشاط الروحي والعقلى كالديانة والتعليم والصحافة وتوجيه العلوم والآداب . لذلك تضخم العدوان وانكمشت الحرية ، حرية الفكر والقول . وانحدرت الى الدرك الأسفل من الحضيض ، وتركت الحكومات وشأنها تخطت خطوات جبارة شطر الاستبداد الذى لا وازع له ولا دافع ولا منازع ، وقتلت هذا المجال الحر للفكر الفردى الذى عليه وحده يقوم النشاط الانسانى والسعادة البشرية ، فأصبحنا نتوقع أعمال العنف والفوضى من تلك الشعوب التى تخضع لنير حكوماتها عند ما لا تطيقه وتبلغ الروح الحلقوم ، وبذلك يضيع تراث هذا القرن هباء منثوراً ، يضيع الى الابد ، عند ما نشهد انحلالا اجتماعياً لا ضابط له ولا حد يقف عنده . ولقد جرت العادة فى البلاد الديموقراطية البرلمانية على الحد من تركز السلطات باعلان الحقوق الانسانية اعلانا شاملا حاسماً . فجرياً على تلك السنة وهذا التقليد لن يجد المفكر ظرفا أنسب من الظرف الحالى لاعلان مثل هذه الحقوق . وبذلك لا تتاح الفرصة للذين يريدون أن يبنوا مستقبل الشعوب فى ظلام الليل الدامس ، بل تعلن حقوق الانسان فى نور الصباح الوضاح وتسلك الانسانية سبيل ثورة اجتماعية لها صفة الدوام والرقى والتجدد

وفيما يلى يجد القارىء ترجمة دقيقة لتلك الحقوق التى تمثل الصراع الذى ظل أجيالا بين الشعوب والحكومات ، وقد صيغ ويلز فى قالب عالمي بعيد عن كل مظهر إقليمى أو شعبى :

النص الكامل لحقوق الانسان

(١) يعد كل انسان شريكا فى ميراث جميع مصادر الثروة ، والقوة ، والمخترعات ، والفرص المتاحة التي ادخرها آباؤنا وأجدادنا ، وله الحق ، دون مراعاة لفوارق الجنس أو اللون أو العقيدة أو الرأى ، فى الحصول على ما يلزمه من الغذاء والغطاء والعناية الطبية التى تتيح له استغلال أقصى كم من النشاط الجسمانى والعقلى وتحفظه وافر الصحة من مهده الى لحده

(٢) ينبغى أن ينال كل انسان قسطا كافياً من التعليم يؤهله لأن يصبح عضواً مفيداً فى المجتمع مهتما بشؤون عشيرته ، كما ينبغى أن يتاح له التخصص فى التعليم مما يؤهله للتساوى مع غيره بمواهبه الغريزية فى خدمة الانسانية ، وأن يتيسر له الحصول على ما يلزمه من المعلومات العامة طوال أيام حياته ، وأن يتمتع بكامل حريته فى المناقشة والاجتماع والعبادة

(٣) يجب أن يترك كل انسان حراً ليختار أية مهنة مشروعة وأن ينال من الأجر ما يعادل حاجة العمل اليه وما يضيفه هذا العمل الى الخير العام . كما يجب أن يتاح له العمل بأجر ، وأن تترك

له حرية الاختيار حين يتاح له أكثر من عمل . وله أن يقترح عملا يناسبه ويكون له حق مناقشة طلبه علناً وجهرة فى حالتى القبول والرفض

(٤) يجب أن يكون له الحق فى بيع أو شراء أى شىء يباح بيعه وشراؤه قانونا ، بدون أن تكون ثمة قيود مميزة لسواه عليه ، وبالكميات والاحتياط الذى يوائم الخير العام

(٥) لكل انسان أن يتمتع بحق الحماية البوليسية والقضائية ضد العنف الفردي والتجريد والارغام والارهاب ، وأن تسرى هذه الحماية على كل ما يمتلك من متاع بوجه شرعى

(٦) يتمتع كل انسان بحرية التنقل فى مختلف أنحاء المعمورة على حسابه الخاص . ويعتبر منزله الخاص أو محل سكنه أو حديقته ذات المساحة المعقولة قلعته وحرمه فلا يدخلها أحد الا باذنه . وله الحق فى التجول فى أى ريف أو أرض غير ذات زرع أو جبل أو حقل أو حديقة فسيحة ، أو ما شاكل ذلك ، وعلى سطح البحار والبحيرات والانهار فى مختلف أنحاء الأرض ، على ألا يكون وجوده ذا طابع مدمر لشيء مفيد ، أو يكون فيه خطر على حياته أو ضرر أكيد لأبناء عشيرته

(٧) فيما عدا الذين تقرر جهة اختصاص لا ريبة فيها ان فى اطلاق سراحهم خطراً على أنفسهم أو على الآخرين نتيجة شذوذ عقلى ، وبشرط إعادة النظر فى هذا القرار مرة كل عام ، لا يجوز حبس أى انسان مدة تتجاوز ستة أيام اذا لم يكن متهماً بمخالفة قانونية معينة . ولا يجوز حبسه أكثر من ثلاثة أشهر بدون محاكمة علنية . وفى تلك الحالة الاخيرة يجب اطلاق سراحه عند انقضاء المدة المقررة اذا لم يحاكم ويحكم عليه فى أثنائها . كما لا يجوز تجنيد أحد ولا تسخيره فى أية خدمة أخرى اذا أبدى اعتراضاً على ذلك بوازع من ضميره

(٨) برغم جواز تعرض الانسان للنقد الحر من أبناء جنسه ، فانه ينبغى له أن يحصل على الحماية الكافية من الاتهامات الباطلة والتشويه فى الحقائق مما قد يؤلمه أو يؤذيه . ويجب أن تكون البيانات الحكومية والمعلومات الادارية الخاصة بالموظف فى متناول يده ورهن درسه . ولا يجوز أن تبقى أية « دوسيهات » سرية فى أية مصلحة حكومية ، بل يجب أن تكون جميع « الدوسيهات » قريبة المتناول من الشخص المختص ، وأن تمحص وتصحح اذا طعن هو فيها . إن « الدوسيه » ليس إلا مفكرة . ولا يجوز اتخاذه بينة حتى يتثبت مما جاء به فى محاكمة علنية

(٩) لا يجوز إرغام أى إنسان على أى لون من ألوان التشويه البدنى أو التعقيم الا بموافقته وهو متمتع بكامل حريته . ولا يجوز التهجم عليه الا للحد من عنفه هو . ولا تعذيبه بالضرب ولا بأية عقوبة أخرى . ولايباح سجنه فى أماكن بالغة الهدوء أو بالغة الضوضاء ، ولا فى أماكن قاتمة الظلمة أو ساطعة الأضواء بنية احداث الاختلال العقلى عنده ، ولا فى أماكن موبوءة أو عفنة عطنة أو غير صحية ، ولا فى صحبة أناس قذرين أو موبوئين . ولا يجوز اطعامه برغم

أنه ولا منعه من الموت جوعاً اذا كانت هذه مشيئته . ولا ينبغى ارغامه على تعاطى المخدرات ولا تقديمها اليه دون علمه أو موافقته . وأن يكون الحد الأقصى لعقابه السجن لمدة لا تتجاوز خمسة عشر عاماً ، أو الاعدام

(١٠) تحدد البنود والمبادىء التى يشتمل عليها هذا الاعلان بشكل أوسع فى قانون دائم لحقوق الانسان يكون فى متناول يد كل انسان . ولا يجوز التجاوز عن هذا الاعلان ولا الخروج عنه مهما تكن الدواعى لذلك . انه بمثابة التوحيد لسائر اعلانات حقوق البشر السالفة . وهو القانون الأساسى للانسانية فى عصر جديد

***

وللقانون خاتمة تحظر التعرض لتلك المواد بأية معاهدة أو قانون آخر قبل أن يعرض القانون على الناس جهاراً ويؤخذ فيه رأى كل انسان بالغ عاقل بطريقة أخذ الأصوات أو عن طريق النواب الذين يمثلون الجماعات تمثيلا صحيحاً . وتنص أيضاً على أنه لا بد فى الشئون التى تهم مجموع الناس ـ من أخذ أصوات الأغلبية ، وألا يتاح لأية هيئة أو مصلحة حكومية أن تمنح من السلطة ما يخولها حق التعرض لمواد حقوق الانسان مهما تكن الدوافع قوية . ويجب أن تكون مراحل التشريع علنية ، وألا تعقد المعاهدات سراً فتفضى الى انتقاص من حقوق الأفراد والجماعات والهيئات . وينبغى الاعتراف بأن ثمة مصدراً واحداً للسلطة هو الأمة ، وطالما كانت الحياة نقلة من الآباء الى الأبناء ، فينبغى ألا يسلم جيل من الأجيال القادمة هذا التراث الانسانى لأحد أو ينتدب عنه أحداً فى تنفيذه أو التعرض له بانتقاص أو امتهان

***

بقى أن نتحدث عن « التأثير » الذى تركه هذا الاعلان لحقوق الانسان فى أنفسنا ، ذلك بأن يسأل كل قارىء نفسه هذه الأسئلة الثلاثة :

١ ـ هل أثرت حقوق الانسان فى نفسى تأثيرها فى الشعب الانجليزى الذى آمن بالماجنا كارتا ، أو فى الشعب الفرنسى الذى آمن بحقوق الانسان التى أعلنتها الثورة الفرنسية ؟

٢ ـ هل الحكومات الآن مستعدة للاعتراف بهذا القانون ؟ واذا لم تكن مستعدة ، فهل لديها القدرة على مقاومة المطالبة الاجماعية بتلك الحقوق ؟

٣ ـ هل كان ويلز موفقاً فى اختيار الظرف المناسب لاعلان حقوق الانسان ، أم تراه تسرع باعلانها قبل أن يحين الأوان ؟

محمد محمد توفيق

المدنيون يكيفون حياتهم

كما تشاء الحرب الحديثة

لم تبد مرونة الانسان في تكييف نفسه وحياته وفق ما يطرأ عليه من الظروف العنيفة الشاذة كما بدت في هذه الآونة في لندن وباريس وبرلين ، حيث أخذ المدنيون من سكانها يروضون أنفسهم على هذه التغييرات التى مست أو عدلت كل مظهر من مظاهر حياتهم اليومية حين بدأوا يواجهون ما جد من الحالات والمشاكل منذ نشبت هذه الحرب الدائرة

الطعام مقيد ..

وكانت عادات الناس في المأكل والمشرب أول ما بدت فيه آثار الحرب ، ففي ألمانيا ، التى كانت تحدد كمية المستهلك من الطعام قبل نشوب الحرب ، اتسع نطاق تحديد بطاقات الطعام فشمل جميع ضرورات الحياة الاولى من شتى ألوانه • ولم يستثن من هذا النظام المرضى والحوامل ولا الوالدات والمواليد ، وكل ما أتيح لهم ان يتقدم أهلهم سواهم في الوقوف امام مخازن الطعام • بل الحيوانات نفسها أخذت تعانى ندرة الطعام ، اذ لا بد أن يكون للخيول وللابقار وللخنازير وللدواجن بطاقات تدخل بها الى مزاود علفها ! وكذلك الحيوانات الاسيرة في حدائق الحيوانات تلقى من الجوع ما دفع الحكومة الى ان تفرض على صائدى الحيوان والطير ان يخصصوا بعض صيدهم لحدائق الحيوانات • واما في انجلترا فقد قصر نظام توزيع الطعام في بادىء الامر على الزبد واللحم والسكر ، ولكن ينتظر توسيع نطاق هذا النظام شيئا فشيئا • ولم تتخذ فرنسا حتى الآن نظام تحديد كمية المستهلك من الطعام ، ولكن فنجالا من القهوة فيها يعد ترفا لا يقدر عليه الا الموسرون•• كما ان الشعب لا يأكل اللحم فيها الا مرتين كل اسبوع في يومى الجمعة والاثنين

وكذلك الملابس ..

وما سرى على الطعام سرى على اللباس • فللفرد في ألمانيا في كل سنة كمية معينة من الملابس لا يستطيع ان يتجاوزها • وتتحدد هذه الكمية بمجموعة من البطاقات تمثل مائة وحدة • فالمعطف الجلدى الواقى من المطر يساوى خمسين وحدة ، والبذلة تقدر بعشرين وحدة ، وكل خمسة مناديل تساوى عشر وحدات ، واللباس الصوفى قيمته أربعون وحدة، والقميص يساوى خمس عشرة وحدة ، وهكذا •• ومع هذا فمن الصعب ان يشترى المرء

ملابس جديدة اذ يجب على المشترى ان يبين على ظهر بطاقته ما عنده من الملابس ليرى البائع أيحق له أن يشترى شيئا جديدا أم لا ٠ وللحكومة موظفون يطوفون بالبيوت ليتحققوا مما كتب على ظهر البطاقات من البيانات والارقام ، فاذا وجدوا فى بيت أحدهم لباسا قديما يمكن اصلاحه وارتداؤه رفضت البطاقة التى يقدمها لشراء لباس جديد ! هذا الى انهم فى صناعة الملابس الجديدة يتخذون من الملابس البالية كل ما يستطيعون ، فضلا عما يراعونه من الاقتصاد فى قماشها مما أدى الى اخراجها على نمط يكاد يخالف ما ألفه الناس كأن يقتصد من « البنطلون » جيب ويكتفى بجيب خلفية واحدة

ولكن قد تستطيع الاسرة ان تخفف قليلا من شدة هذا النظام المفروض على الملابس اذا مات أحد أفرادها ، اذ تستطيع حينذاك أن تضيف الى كل فرد فيها ملبسا جديدا هو لباس الحداد الذى تشتريه بعد تقديم شهادة الوفاة ! ولكن اكتشف فيما بعد ان كثيرا من الناس كانوا يقترضون شهادات الوفاة هذه من أصدقائهم ومعارفهم ليحصلوا بها على كمية من الملابس السوداء ، فكلف التجار بأن يؤشروا على هذه الشهادات بعد أن يبيعوا بها ما يلزم لاهل المتوفى وحدهم من الملابس ٠ وكذلك ادخل نظام بطاقات الملابس فى بريطانيا حيث لا يجد النساء الآن من ألوان الجوارب مثلا سوى عشرة ألوان بدلا من هذه الالوان الستمائة التى كن يتخيرن منها قبل الحرب ٠ أما هذه التنورة القصيرة التى يلبسها الاسكتلنديون فقد منع صنعها وبيعها ، لانها تشتمل على كمية كبيرة من الصوف الذى تفتقر اليه مرافق أخرى ، ولانها أقل من الاردية الاخرى فى الوقاية من الغازات السامة أو المحرقة

والنظافة بمقدار

وقد قبل الناس عن طيب خاطر هذا التضييق المفروض عليهم فى الطعام واللباس ، ولكنهم تذمروا كثيرا حينما امتد خناق هذا النظام الى اسباب الراحة والنظافة ٠ ففى ألمانيا حددت كمية المستهلك من الفحم فأمرت الحكومة أصحاب المنازل الا يمدوا سكانها بالماء الساخن الا فى يومى الجمعة والسبت وحدهما ، فقل استحمام الناس واغتسالهم ٠ ولما شكت ربات البيوت فى المانيا من قلة الصابون خرجت عليهم الصحف النازية بمقالات طويلة فى طرق الاستفادة من حصتهن الضئيلة من الصابون ، وذلك بالاحتفاظ بزبد الصابون فى وعاء يغتسل منه أفراد العائلة ، وبوضع قطعة الصابون فى كيس يغتسل به فلا يذوب الصابون سريعا ، وبجعل موائد الطعام عارية من غطائها القماش الذى يتلوث ويغسل كثيرا ، وبالاكتفاء بماء غلى فيه ماء اللبلاب الذى يخرج زبدا كزبد الصابون !

أما السيارات فقد أودعت حظائرها منذ أن قيد استهلاك البترول بأشد القيود ، ولا يسمح فى ألمانيا بتسيير أية سيارة الا اذا كانت تسعى الى عمل وافقت عليه الحكومة ، ولا يمكن شراء أية سيارة جديدة الا بعد استصدار اذن رسمى

تلافى اخطار الظلام

وأبدى المدنيون فى الدول المتحاربة فطنة عظيمة فى التغلب على المشاق والاخطار التى يتعرضون لها عند اطفاء أنوار المدن حذرا من الغارات الجوية. وقد كانت هذه الاخطار فى بادىء الامر عظيمة جدا ، حتى انه فى الاشهر الاربعة الاولى من الحرب بلغ عدد الوفيات الناشئة عن حوادث الطرق ٤٫١٣٣ وفاة ، بينما لم تتجاوز خسائر الاسطول البحرى والكتائب البرية والقوى الجوية فى تلك الفترة ٢٫٥٠١ قتيلا ! وقد أدت هذه الحالة الخطيرة الى التقليل من فترات اطفاء الانوار ، على انه قد وضع نظام جديد للاضاءة فى لندن يتبين به المشاة أرجاء الطريق دون أن تنبعث منه أضواء تستدل بها الطائرة المغيرة على أهدافها . وكذلك أدى هذا الظلام الذى يغمر برلين ليلا الى كثير من حوادث الصدام بين السيارات ومركبات الترام ، فقطعت المواصلات أو حددت حركة المرور فى كثير من شوارعها وميادينها

وقد أدت هذه الاخطار والمصاعب التى يتعرض لها الناس فى الليالى المظلمة الى الافتنان فى زينة النساء والرجال . فشاع بين النساء اتخاذ أطواق من القماش الابيض الناصع يزين بها رؤوسهن ، أو أحزمة من المعدن الابيض تتوسطها قطع حمراء قانية ، أو قلائد وأساور ذوات أجراس . وكذلك شاعت بين الرجال شرائط للقبعات وأحزمة للسراويل ناصعة البياض . ونشطت فى برلين صناعة الازرار والادوات المأخوذة من الفوسفور الذى يشع ضوءا فى الظلام يحول دون الاصطدام . ويرتدى رجال المرور فى طرق برلين المظلمة معاطف وقبعات وقفازات مصنوعة من مادة فوسفورية يتبين المارة والعربات ضوءها الواضح . وظهرت فى لندن سيارات ذات ستائر معدنية لا يتسرب منها شعاع الضوء الموقد فى داخلها فصار فى وسع الرجل المكدود أن يتسلى فى سيارته بقراءة صحيفة أو كتاب فى أثناء عودته الى منزله . واخترع أحدهم أداة يتبين بها المرء ثقب الباب عندما يدخل الى بيته فى الليل الحالك ! وابتكرت فرنسا أزياء للسهرة تزينها زهرات ذات أكمام كهربائية مضيئة ، وكذلك ظهرت فيها عصى للرجال تختبىء فيها شعلات كهربائية يمكن اضاءتها

وفتحت الغارات الجوية بابا للاخصائيين فى التجميل الذين يعالجون الآن فى لندن وباريس أكتاف السيدات التى انحنت قليلا أو تصلبت بشرتها شيئا ما ، تحت ثقل الكمامة الواقية التى يحملنها ! وهم يعالجونها بتمرينات رياضية خاصة وبتدليك هذه الاكتاف الرقيقة الناعمة !

(خلاصة مقال بقلم برنارد بوستال فى صحيفة Current History الامريكية)

« ان الغنى لا يغير طبائع الناس ، بل يكشف النقاب عنهم » ريكوبونى

« اذا أضعت الثروة لم تفقد شيئاً . واذا أضعت الشجاعة فقدت كثيراً . واذا أضعت الشرف فقدت كل شىء » مثل هولندى

العَادات الفرعونية

الباقية فى مصر الى الآن

بقلم الاستاذ محرم كمال

الامين المساعد بالمتحف المصرى

تنتشر فى كل أمة من الامم مجموعة من العادات والتقاليد يزاولها الافراد فى كل وقت كأمر طبيعى سهل ميسور لا يمكن أن يكون مجالا للبحث والمناقشة ، وشأننا فى مصر شأن باقى الامم ، فنحن نجد أنفسنا محاطين بطائفة من العادات نراها ونلمسها فى كل يوم منبثة بين طبقات مختلفة من الامة هى السواد الاعظم من أهل هذه البلاد ، بحيث أصبحت هذه العادات والمعتقدات دستورا عند العامة فى المدن وجميع أهالى القرى من الفلاحين والمزارعين

الشمس والشجر

من المعروف ان قدماء المصريين كانوا يعبدون الشمس واستمرت عبادتها زمنا طويلا • ولكن أثر عبادتها لا يزال ظاهرا بيننا الى اليوم • ففى بعض قرى الوجه البحرى لا يزال يقسم الاهالى بالشمس فيقولون : « وحياة الشمس الحرة » وفى جهات أخرى يحلفون بالشمس فيقولون : « وحياة البهية الى تطلع من جبلها »

ومظهر آخر من هذه المظاهر يتضح فى عادة رمى السن الى الشمس ، فيقول الصبى : « يا شمس يا شموسه ــ خدى سن الحمار وهاتى سن الغزال » • أما البنت فتقول : « يا شمس يا شموسه ــ خدى سن الجاموسة وهاتى سن العروسه •• »

وقد وحدت الشمس عند قدماء المصريين مع الجعل ، فسميت (خبرع) ، والى الآن نجد أهالى بعض جهات الصعيد اذا مرض أحدهم بالحمى المسببة عن خبطة الشمس ، خاط الى طرف ثوبه جعلا ليأخذ الحمى

وكما كان المصريون يعبدون الشمس فانهم كانوا يعبدون انواعا مختلفة من الاشجار كشجر الجميز والسنط والنخيل • وكانوا يعتقدون ان الالهة هاتور أو نوت قد حلت فيها• وفى كثير من الرسوم نرى الميت وقد وقف أمام شجرة برزت منها الالهة وهى تقدم له مائدة ، عليها قرابين مختلفة • فأثر هذه العبادة لا يزال موجودا فى مصر يزاوله كثير من المسلمين والاقباط على السواء • فشجرة المطرية التى تعرف بشجرة العذراء هى

بلا شك خلف لشجرة هليوبوليس المقدسة التى كانت تحل فيها الالهة ويعبدها المصريون القدماء . وفى احدى قرى الفيوم شيخ اسمه الشيخ صبر دفن فى مكان لا تقوم فيه سوى شجرة كبيرة يحج اليها كل ذى حاجة يريد قضاءها من أهالى البلاد المجاورة ، ويأتى لها المرضى من كل فج عميق آملين الشفاء من أمراضهم ، فيدق كل مريض فى جذعها مسمارا يلف عليه خصلة من شعره ، فاذا فعل هذا اعتقد انه سيشفى من مرضه لا محالة . وكذا العاقر اذا فعلت هذا اعتقدت انها « حاتحبل على طول وتجيب ولد »

فهذه الاشجار - وبخاصة الجميز - لا تخلو منها جبانة حديثة فى مصر أو ضريح من أضرحة الاولياء والمشايخ . وتعتبر الشجرة وأغصانها مقدسة ، أما أوراقها وفاكهتها فلها قيمة محترمة . ولطالما سأل عامتنا من أولاد البلد من يعرفونهم من الاجانب قبل ان يعتزموا السفر ومغادرة البلاد اذا كانوا قد أكلوا جميزا - فاذا ردوا بالايجاب استبشروا وتفاءلوا خيرا وهم يقولون : « كل من يأكل الجميز يرجع مصر تانى »

وثم مظهر آخر من مظاهر هذه العبادة هو وجود اسماء مدن مصرية حديثة تدل على ذلك . مثلا - الجميزة ، السنطة ، النخيلة .. الخ

القط والثعباد والتمساح والقرينة

وللقطط الآن عند العوام منزلة خاصة ، فهم يرعون جانبها ويحسنون معاملتها ويتجنبون ضربها ، وهم يعتقدون ان الارواح والجان يتلبسون اجسام هذه القطط ويظهرون بأشكالها ، وتفسير هذه الافكار والمعتقدات الغامضة هى ان القطط كانت احدى معبودات المصريين القدماء يعبدونها باسم الالهة (باستيت)

ويعتقد العوام من الناس ان لكل منزل ثعبانا يحرسه . فهذا الاعتقاد يرجع الى ان المصريين القدماء كانوا يعبدون احيانا ثعبانا كبيرا يظنون فيه الخلود ويعتقدون انه يسكن حقلا أو غابة أو كهفا أو جبلا يقوم على حمايته . ولدينا بالمتحف المصرى تمثال ثعبان وجد بمعبد أتريب (بنها الحالية) ووضع هناك لحمايته

اما ما تجده أحيانا معلقا على أبواب المنازل من تماسيح محنطة فان هى الا بقية من بقايا عبادة هذه الحيوانات فى عصر الفراعنة ، اذ كان التمساح الها عبدوه وسموه « سبك »

ويعتقد العوام الآن ان لكل شخص اختا تحت الارض أو قرينة تولد معه ، فهذا الاعتقاد ورثاه عن الفراعنة الذين كانوا يعتقدون ان كل شخص له روح أو قرين اطلقوا عليه «كا» وكان هذا «الكا» يعيش معه ، فاذا مات تبعه الى المقبرة مع جسد الميت ، ويظل حالا فيه ولا يفنى بفناء الجسم

العادات الفرعونية الباقية

هذه كلمة عاجلة عن المعتقدات - أما العادات فكثيرة لا يدركها حصر . فنقتصر على ذكر أهمها :

الاستكثار من الذرية

يحرص الفلاحون فى القرى على الاكثار من الاولاد والنسل حتى تكون لهم عائلة كبيرة وذرية ، وهم يبكرون فى الزواج بدرجة يستغربها الكثيرون ـ فهذه عادة ورثناها ايضا عن المصريين القدماء . قال الحكيم المصرى « آنى » فى وصية الى ابنه : « اتخذ لنفسك زوجة وانت صغير حتى تعطيك ابنا تقوم على تربيته وانت فى شبابك وتعيش حتى تراه وقد اشتد وأصبح رجلا ـ ان السعيد من كثرت ناسه وعياله فالكل يوقرونه من أجل ابنائه » أفليست هذه الكلمات بألفاظها ومعانيها هى التى نسمعها كل يوم من أفواه المسنين من الفلاحين يوصون بها اولادهم ليل نهار ؟

الميل الى وظائف الحكومة

ونحن نعيب على مواطنينا تمسكهم بوظائف الحكومة وتعلقهم بأذيالها ونحتقر قولهم : «من فاته الميرى اتمرغ فى ترابه» ولكننا ننسى أو نتناسى اننا ورثنا هذه العقلية عن أجدادنا فقد ورد فى النصوص الفرعونية صورة خطاب كتبه أب لابنه يقول فيه : «بلغنى انك أهملت دراستك وسرت وراء ملاهيك ، فهل تريد أن تكون فلاحا تشقى وتكدح ؟ لاتكن فلاحا ولا تكن جنديا ولا تكن كاهنا بل كن موظفا يحترمك الجميع ويمتلىء منزلك خدما وحشما وتتربع فى مجلس الثلاثين الى جانب رجال البلاط » .

ولطالما هزأنا بآلاف الموظفين وما يبدونه من ضروب المداهنة والمصانعة للرؤساء ابتغاء مرضاتهم ، ولكننا نسينا أن هذا الداء مولود فينا توارثناه عن الآباء والاجداد . ألم يقل الحكيم «بتاح حتب» الذى عاش منذ خمسة آلاف سنة : « انحن أمام من هو فوقك ، أمام رئيسك فى شئون الادارة الملكية حتى يستمر بيتك مفتوحا ويستمر رزقك ومرتبك جاريا ولا تعصه فان عصيان من بيده السلطة شر مستطير » .

كراهة الموظفين للاغتراب

وننادى الآن بالويل والثبور وعظائم الامور اذا انتقل الموظف الى جهة بعيدة غير مرغوب فيها، ولكن يجب ألا نلام على ذلك ، فان الاغتراب قد ولد فينا كرهه حين ولدنا وورثناه ضمن التركة التى خلفها لنا الاجداد . ألم يشك هذا الموظف المسكين الذى نقل من بلده منفيس منذ أربعة آلاف سنة فكتب يقول : «انى أجلس هنا بالجسم بينما تطير روحى الى منفيس حتى تطمئن على الاحوال هناك وتستقر . انى أجلس هنا ولست بمستطيع أن أقوم بعمل ، أى الهى بتاح ، احضر الى وخذنى الى منفيس ودعنى أراها حتى ولو من بعيد ! » .

التمسك بالمظاهر

ثم ان الكثير مما نشكوه من عيوب يجرى فى دمائنا بحكم الوراثة من آبائنا الاقدمين

فتمسكنا بالمظاهر الكاذبة وما تحتمه من تبذير شديد عيب فينا قديم . ألا تخبرنا النصوص بأن الملك رمسيس الثالث الذى كان يعطى ١٨٥٠٠٠ كيس من القمح سنويا للمعابد ، هو بعينه الذى كان لا يستطيع أن يرسل خمسين كيسا من القمح شهريا لعماله فى الجبانة وقد كانوا يتضورون جوعا

كرم المصريين

أما كرم المصريين واسرافهم فى الولائم والافراح فهما موروثان أيضا ، فلطالما شهدت قاعات منازل الاثرياء فى عصور الفراعنة ولائم رائعة يدعى اليها عشرات الصحاب والخلان وتتخللها الموسيقى والرقص والغناء . وكان المصريون لا يدخرون وسعا ، كما نفعل اليوم ، فى تقديم كميات وافرة من اللحوم وألوان مختلفة من ألذ أنواع الطعام ، اذ كانت تقاس عظمة الداعى بكمية ما يقدمه من طعام ـ فاذا حان وقت الطعام غسل كل مدعو يده قبل الاكل ، اذ يتقدم الضيف الى رجل يصب على يده الماء من ابريق فى طست يشبه كلاهما الطست والابريق اللذين نستعملهما اليوم تماما ، فاذا فرغوا من أكلهم غسلوا أيديهم أيضا كما نفعل اليوم

احتقار الفلاح وتعذيبه

أما احتقارنا للفلاح فهو قديم ، وقد وردت فى رسوم المقابر الفرعونية مئات الرسوم التى تهزأ به وتسخر منه . وكان اذا تأخر فى دفع ما على أرضه من ضرائب أتته جباة الاموال وطرحوه أرضا وأوسعوه ضربا بعصيهم حتى يدفع ! أفلم يكن هذا هو النظام المتبع فى جباية الاموال الى عهد قريب ؟

عادات الغناء والموسيقى

وهناك مئات من العادات الصغيرة نراها كل يوم دون أن نلقى اليها بالا ، فالمغنى البلدى لدينا، والمقرىء وهو يتلو القرآن كلاهما يضع احدى يديه على خده وهو ينشد ، فهذه العادة وردت لها عشرات الرسوم فى الآثار المصرية القديمة ، بل ان نفس المزمار (الزمارة) التى يستعملها المغنون فى القرى هى بعينها التى كانت تستعمل فى عصور الفراعنة

ثم ان التصفيق بالايدى لمصاحبة الغناء أخذناه عن المصريين القدماء . وكذا (الطرقعة) بأطراف الاصابع عند الرقص ورثناها عنهم أيضا . وكان المصريون القدماء يفضلون من المغنين والعازفين من كان أعمى لا يبصر ، ونحن لا نزال الى الآن نفضل من المقرئين من كان كفيف البصر . أما عادة وضع القلم على الاذن ، وهى التى يزاولها كل يوم مئات من كتبة المحال التجارية والمحصلين وجباة الاموال (الصرافين) فى القرى والاقاليم فهى عادة انحدرت الينا من كتبة قدماء المصريين الذين كانوا يضعون الاقلام على آذانهم

بل ان عادة اظهار الاعجاب بحسن صوت المغنى أو المنشد أو اظهار الفرح العظيم بأن

يطوح الشخص ملابسه أو طربوشه فى الهواء هى أيضا عادة فرعونية . فقد ورد فى نصوص الاهرام وصف لوصول الملك بعد موته الى العالم الآخر حيث «وجد الآلهة فى انتظاره متدثرين بملابسهم ومتعلين نعالا بيضاء ، فما كادوا يرونه حتى ألقوا بملابسهم ونعالهم من الفرح وصاحوا قائلين : ان قلوبنا لم يدخلها الحبور والفرح الا عند مقدمك»

السحر والسحرة

أما ما ندعوه الآن بالسحر فقد ورثناه بأكمله عن المصريين القدماء . فقد اشتهرت مصر فى قديم الزمان بالسحر ، والى الآن لا تعدم قرية من قرانا ساحرا تغدق عليه خيراتها وتضع فيه ثقتها ويستمتع فيها بنفس النفوذ والثقة اللذين كان ينعم بهما سحرة العصور القديمة

كان المصرى القديم يلجأ الى الساحر اذا أراد التخلص من عدوه ، وتخبرنا النصوص بأن الساحر كان يعذب هذا الشخص بما يطلقه عليه من أحلام مزعجة وأشباح مرعبة وأصوات مستغربة ، بل ان الساحر كان يسلط عليه الامراض فتنهك قواه وتهد بدنه . وكان الساحر قادرا على أن يجعل النساء يتركن أزواجهن ويتعلقن بأذيال من يريده هو من رجال وان كانوا موضع كرههن من قبل . وكان الساحر يطلب فى مثل هذه الاحوال لكى ينجح عمله أن يؤتى له بقليل من دم الشخص المطلوب أو قلامة من أظافره أو خصلة من شعره أو قطعة قماش من ثياب يكون قد لبسها ـ فاذا حصل على ما طلب صنع تمثالا من الشمع بشكل الشخص المطلوب (العمل له) ووضع فى التمثال أو استعمل فى صنعه الاشياء التى أخذها ، فاذا تم له ذلك ألبس التمثال ملابس كالتى يرتديها الشخص نفسه حتى يشبهه تمام المشابهة ، ثم يجرى عليه طائفة من الاعمال السحرية ، فكان اذا دق مسمارا فى التمثال أصيب الشخص بمرض . واذا قرب التمثال من النار أصابت الشخص حمى خبيثة . واذا طعن التمثال بسكين قتل الشخص أو جرح ، ويظل الساحر يزاول أعماله حتى يقضى على الشخص الذى يريده ! وقد ورد فى النصوص ان هذا النوع من السحر قد استعمل ضد الملك رمسيس الثالث ولكنه اكتشف الامر وقبض على هؤلاء السحرة وصادر ما وجده لديهم من تماثيل الشمع التى صنعت بشكله(١) أفليس هذا النوع من السحر وعمل التماثيل من الشمع أو الطين ووخزها بالابر والدبابيس هو الذى يستعمله الدجالون فى القرى والاقاليم الآن ؟

وكل ما لدينا من غرام بالتمائم والتعاويذ والاحجبة كحجاب الحب والكره والحفظ ، وآلاف التمائم التى تعلق فى رقاب الاطفال حتى تطول أعمارهم ، كل هذه ان هى الاعادات ورثناها عن أجدادنا القدماء الذين كانوا لا يسيرون خطوة الا والتمائم ترافقهم وتحميهم ، وزيارة واحدة للمتحف المصرى تطلعكم على آلاف التمائم التى استعملها المصريون القدماء

(١) ورقة « هاريس » البردية السحرية وورقة « تورين » البردية القضائية

الاعتقاد فى تأثير العين

ويقرب من هذا اعتقاد العوام منا اعتقادا جازما بالعين وقوة أثرها . فاذا جلست الى رجل من العوام حدثك كيف ان هناك فئة من الناس لا تكاد ترى شيئا تعجب به حتى يحصل له حادث ما ، ومن هنا نشأت فكرة تعليق الصحون على مداخل المنازل أو قرون الاغنام أو عروسة القمح على الابواب ، وكذا طائفة من التمائم نراها معلقة على العربات وسيارات الاغنياء منا والمثقفين بشكل خرز أو قلائد توضع دفعا للعين — فهذه الخرافة ورثناها أيضا عن مصر القديمة ، فقد وجد فى مكتبة معبد الاله حوروس فى ادفو كتاب مملوء بالرقى والتعاويذ لطرد العين الشريرة . كما ان هناك أنشودة معروفة للاله تحوت يرجع تاريخها الى الدولة الحديثة وقد ورد فيها ما يأتى : « أيها الاله تحوت ! اذا كنت تحميني لم تبق بي حاجة الى الخوف من العين »

الاوقات المنحوسة

ويعتقد العوام عندنا ان هناك ساعات من النهار بل أياما مخصوصة لا يحسن بالمرء أن يأتى فيها عملا لانها منحوسة — فهذا الاعتقاد فى الايام سعدها ونحسها قديم أيضا اذ كان المصريون القدماء يعتقدون ان الايام تكون سعيدة أو منحوسة طبقا لما وقع فيها من حوادث سعيدة أو كريهة فى أساطيرهم الدينية ، فاليوم الاول من أمشير الذى رفعت فيه السماء ، وكذا اليوم السابع والعشرون من هاتور الذى عقد فيه صلح بين الالهين حوروس وسيت وتراضيا فيه على اقتسام العالم ، كانا يومين كلاهما سعد وبركة . أما اليوم الرابع عشر من طوبة الذى بكت فيه ايزيس ونفتيس على اوزيريس فقد كان يوما منحوسا . وكان هذا الاعتقاد من القوة فى العصر الفرعونى بحيث ان كثيرا من الاعمال كالبدء فى سفر بعيد أو عقد صفقة تجارية أو ما اليهما كان يؤجل من أجل هذه الاسباب . وما زلنا الآن بعد مضى خمسة آلاف سنة نؤجل أشغالا لهذا السبب عينه

تعليق البصل

وقد اعتدنا فى ليلة شم النسيم أن نعلق البصل فوق الاماكن التى ننام فيها أو نضعه تحت الوسادة ، وفى الصباح نكسر البصل ونشمه . وفى بعض القرى يعلقون هذا البصل على باب المنزل . فهذه العادة مصرية قديمة ، اذ كان الناس فى عيد الاله «سكر» اله الموتى فى مدينة منفيس يدورون حول جدران هذه المدينة وقد علقوا البصل حول رقابهم ، كما كانوا يعلقون البصل حول أعناقهم فى الليلة التى تسبق هذا الاحتفال

محرم كمال

الامين المساعد بالمتحف المصرى

البنوك المركزية

هى قطب الرحى فى نظام الدولة المالى

بقلم الاستاذ فؤاد محمد شبل

البنوك المركزية هى قطب الرحى فى نظام الدولة المالى ، وهى بمركزها الخاص تهيمن على جميع مناحى البلد الاقتصادية . وقد رأينا بمناسبة التفكير فى تحويل البنك الاهلى المصرى الى بنك مركزى ان ننشر هذا المقال القيم للاستاذ فؤاد محمد شبل الاخصائى فى الشئون التجارية بوزارة الخارجية

١ - وظيفة البنوك المركزية فى الحياة الاقتصادية

يمكننا تعريف البنك المركزى بأنه بنك البنوك ، فهو يقدم للبنوك الاخرى أى البنوك الخاصة نفس التيسيرات التى تمنحها تلك البنوك لعملائها . وتقوم الوظيفة الرئيسية للبنك المركزى على توجيه السياسة المالية للدولة بأن يتخذ من حين لآخر من الاجراءات المناسبة ما يكفل سير الامور فى محيط دوائر المال والاعمال على قدر ما يمكن من الارتباط والاتساق مع هذه السياسة . والبنك المركزى مخول عادة لامتياز حيازة مودعات الحكومة وهو امتياز يدر عليه أرباحا وفيرة . بيد ان الغاية الاخيرة للبنك المركزى ليست استدرار الربح فغرضه الاسمى اتباع أنسب طريق يراه متفقا ومصلحة البلاد حتى ولو كان فى اتباعه لها اقلال من أرباحه وعندما يعتنق البلد سياسة مالية خاصة يبذل البنك المركزى جهده لتوفير الاسباب المؤدية لتحقيق هذه السياسة

ولقد أصبح جل الحكومات والبنوك المركزية فى الوقت الحاضر مرتبطا ارتباطا وثيقا فيما يتصل بمناحى سياسة البلاد المالية العامة ، ونراها تتعاون لجعلها نافذة الأثر . وتتجلى مساعدة الحكومة للبنك المركزى لاداء رسالته فى الحياة الاقتصادية للدولة ، فيما تقدمه له من معاونة فى حالات كثيرة . فلا شك ان ما تتخذه الحكومة من سياسات مالية له أثره على أعمال البنك ، فحجم الديون الحكومية له أثره على أسعار الفائدة ، ودوائر الاعمال يتأثر نشاطها بالمبالغ التى تنفقها الحكومة على المشروعات العامة من آن لآخر ، كما ان المدى الذى تذهب اليه الحكومة فى تقييد الوارد أو الصادر من البضائع وعرقلة الحركات

الدولية لرأس المال الحر ، كل هذا له أثره فى الحالة المالية العامة وبالتالى على أعمال البنك
وتختلف قوة سيطرة الحكومة على البنك المركزى باختلاف البلاد • ففى بعض البلاد ليس البنك المركزى سوى تابع يخضع خضوعا تاما لما تمليه عليه الحكومة ، وفى البعض الآخر لا مندوحة للحكومة من اصدار تشريع خاص يخضع له البنك لينزل عند رأيها، وهذا ما يتطلب ألا يكون البنك ملكا تاما للحكومة ، وهذه الطريقة أثبتت الحوادث عظيم فوائدها ، ولهذا فان معظم البنوك المركزية لا تمتلكه الحكومة وان كانت تحوز جزءا كبيرا من أسهمه ، أما الجزء الاعظم من الاسهم فيمتلكه الافراد

ولعل أخطر ما يجابه البنك فى سياسته المالية ، مسألة اختياره بين السعى لجعل المستوى العام لاثمان الحاجات أو الدخول النقدية ثابتا ثباتا مناسبا ، وبين أن يتخذ من الاجراءات من حين لآخر أوفقها وأنسبها لتعزيز النشاط والعمل وتفادى حدوث انهيار عام • واننا لا نرمى الى المفاضلة بين ميزات أو نقائص أى من هذين النهجين بل نرنو الى ايضاح أى منهمافىاستطاعة البنك المركزى سلوكه لتمكينه من أن يجعل السياسة المتبعة نافذة الاثر

فعندما يجد البنك ان الاحوال العامة ومصلحة البلاد تتفقان وسياسة تنشيط الاحوال الاقتصادية العامة ، يجارى البنك السوق فى تخفيضه لسعر قطعه (أدنى سعر تخصم به كمبيالات الطبقة الاولى) ويرجع السبب فى ذلك بوجه خاص ، الى ان البنك يرى انه من العبث الاحتفاظ بهذا السعر فى مستوى سعر السوق وانه اذا احتفظ بالسعر العالى فيؤدى هذا الى حركة نزوح النقد منه

أما فى حالة اتباعه سياسة مقصودة لتنشيط الاحوال الاقتصادية فهنا يتجه مجهود البنك الى العمل على زيادة كمية النقد فى البلاد • والزيادة فى كمية النقد يصحبها عادة هبوط نسبى فى أسعار الفائدة القصيرة الاجل ، ويرجع ذلك الى ان النقود الزائدة عن الحاجة تصل الى التداول من خلال الزيادة فى القروض وهذا يصحبه بالتالى خفض هذه البنوك أسعار الخصم لديها ترغيبا للمنظمين وغيرهم فى زيادة مقترضاتهم منها • أما اذا نقصت كمية النقود الموجودة فى البلاد فانه يصحب هذا النقص ارتفاع سعر الفائدة وهبوط الاثمان وانخفاض الدخول النقدية وبالتالى الحد من النشاط الاقتصادى • وقد يكون من المستغرب أن يعمد البنك الى تقليل كمية النقود طالما ان هذا يؤدى الى كساد الاعمال وتفشى العطل بين العمال • يعمد البنك الى ذلك فى حالة ما اذا رأى أن تخفيض الدخول النقدية ضرورى محافظة على الاحتياطى الذهبى وابقاء لمعيار الذهب فى البلد ، كما انه قد يعمد الى ذلك عندما يخشى الناس حدوث تضخم نقدى ، فمثل هذا الاجراء يدعو الى عودة الثقة الى النفوس ، وأخيرا قد يقوم البنك بهذه السياسة فى فترة «فورة» حيث يرى انه ان لم تصد هذه الفورة فقد تنقلب الى انهيار عنيف

ولكن كيف يستطيع البنك احداث تغيير فى مجموع كمية النقود الموجودة فى الدولة ؟ للبنك المركزى عادة حق اصدار أوراق النقد ، فاذا كان ما يصدره من هذه الاوراق

هو الوسيلة الاساسية للدفع فمجرد زيادة الاصدار كفيل باضافة كمية أكثر من أوراق النقد الى الموجود منها فعلا فى التداول فى البلاد ، ويتم ذلك عن طريق شرائه الاوراق المالية وخصمه للكمبيالات ، وعلى العكس من ذلك اذا ما أراد تقليل حجم النقود فى البلاد فانه يعمل على سحب أوراقه النقدية من التداول عن طريق بيعه أوراقا مالية فى حوزته أو خصم ما يمتلكه من الكمبيالات

بيد انه فى معظم البلاد الحديثة اليوم ، تتكون الوسيلة الاساسية للدفع من ودائع البنوك التجارية ، فكيف يتيسر للبنك المركزى اذا احداث تغير فى مجموع كمية النقود الموجودة فى التداول ؟

تحتفظ البنوك التجارية عادة بنسبة مناسبة بين ودائعها وبين أرصدتها النقدية فاذا كانت أرصدتها النقدية تتكون اطلاقا من البنكنوت الذى يصدره البنك المركزى ، فان احداث تغير فى الحجم الاجمالى لهذه الاوراق لا بد وأن ينتج عنه تغير فى مجموع ودائع البنك . ولما كان الجمهور يرغب فى أن يحتفظ الورق النقدى الذى فى حوزته بقيمته وقتا ما ، فمن ثم تأخذ الزيادة فى المصدر من البنكنوت طريقها الى الارصدة النقدية للبنوك التجارية . ومن الجهة الاخرى فان البنكنوت المسحوب من التداول بواسطة البنك المركزى ينزع بالتبعية جزءا من الارصدة النقدية للبنوك التجارية . وعلى ذلك فاذا ما احتفظت البنوك التجارية بنسبة بين رصيدها النقدى ورصيد ودائعها قدرها ١ : ١٠ مثلا فان كل زيادة قدرها مليون جنيه بنكنوت تقابلها زيادة قدرها ١٠ ملايين جنيه ودائع . كذلك الحال اذا ما حدث نقص قدره مليون جنيه فى البنكنوت فان هذا يقابله نقص فى الودائع قدره ١٠ ملايين جنيه

على ان الواقع فى معظم الاقطار الآن يختلف نوعا ما عما بسطناه آنفا وهو أكثر تعقيدا من ذلك . فمعظم البنوك المركزية مطالبة بمقتضى القانون أن تحتفظ بحد أدنى من الذهب (أو الفضة أو النقد الاجنبى حسب الاحوال) مقابل البنكنوت ، وعلى ذلك فليس فى وسعها التوسع فى اصدار البنكنوت الا اذا أصبح فى يديها مقدار أكثر من المعدن . بيد انها فى وسعها على الرغم من ذلك ـ احداث تغييرات كبيرة فى مجموع الودائع المصرفية حتى وان لم يطرأ تغيير ما على عملية الاصدار ، وذلك لان للبنوك التجارية أرصدة كبيرة فى البنك المركزى ومن ثم ففى استطاعة البنك المركزى فى أى وقت تغيير أرصدة البنوك لديه من الودائع ، فهو عندما يشترى أوراقا مالية أو أذونات يحصل عليها بشيكاته هو ويودع البائعون هذه الشيكات لدى بنوكهم الخاصة التى تزيد ودائعها فى البنك المركزى بقيمتها ، وبالعكس عندما يبيع البنك المركزى أوراقا مالية فان المشترين يدفعون الثمن عن طريق سحب شيكات على بنوكهم الخاصة فتنقص ودائع البنوك فى البنك المركزى بهذه الكمية . وتنعت عمليات شراء وبيع الاوراق المالية المتقدمة بـ « عمليات السوق المفتوحة » ، وذلك لان البنك المركزى يمارسها فى السوق المفتوحة

وعلاوة على ما يقوم به البنك المركزى من تنظيم النقد والائتمان من خلال شرائه وبيعه الاوراق المالية وفتح الاعتمادات وعملية اصدار الورق النقدى ، فهناك ميدان آخر يمارس فيه البنك وظيفته وذلك عن طريق سياسة سعر الخصم

فمعظم البنوك المركزية تنشر أسعار خصمها من وقت لآخر وهذا السعر قابل للتغير فالارتفاع يكون مصحوبا عادة بارتفاع أسعار خصم الاوراق والديون القصيرة الاجل فى البنوك التجارية ويظهر هذا الارتفاع على شكل هبوط فى قروض البنك وبالتالى ضمور ودائع البنك. وبالعكس هبوط سعر البنك يعقبه هبوط فى هذه الاسعار وبالتالى امتداد حجم ودائع البنك . وتجارى البنوك التجارية - فى الغالب - البنك المركزى عند رفعه سعر خصمه اذ أنها تخشى اضطرارها الى الالتجاء اليه للاقتراض منه عند حاجتها الى ذلك وما يصيبها من خسارة من جراء تباين السعرين

وفضلا عن عمليات السوق المفتوحة والتغييرات التى يحدثها البنك المركزى فى سعر الخصم ففى قدرته التأثير على أحوال الدولة الاقتصادية عن طريق اسداء نصائحه وابداء رغباته للبيوت المالية وله من النفوذ والقوة ما يحملها على النزول عند رأيه. ومن هذا يتبين لنا ان البنوك المركزية هى قطب الرحى فى نظام الدولة المالى ، وهى بمركزها الخاص تكاد تهيمن على جميع مناحى البلد الاقتصادية ، فهى المنظمة للائتمان وهى المرجع الاخير فى الاقراض ، وهى التى توجد التناسق بين جميع عناصر النظام الاقتصادى

٢ - نظم أشهر البنوك المركزية

أولا - بنك انجلترا

نشأ بنك انجلترا فى أول أمره مؤسسة خاصة فى عام ١٦٩٤ نتيجة لقرض عقدته الحكومة مع مؤسسى البنك فى هذه السنة ، وخولت لهم الحكومة الحق فى اصدار الاوراق النقدية بقيمة هذا القرض دون أن يكون لها غطاء ذهبى ، ومن ذلك نشأ حقه فى اصدار البنكنوت. وما برح البنك مؤسسة خاصة بمعنى الكلمة يمتلكه مساهمون تدر عليهم أسهمهم ربحا ويدار بواسطة محافظين معينين من قبلهم

وانه وان كان بنك انجلترا بعيدا بعدا تاما عن سيطرة الحكومة من الوجهة الادارية ، فان العلاقات بينه وبين وزارة المالية وثيقة العرى عظيمة الارتباط فى كل ما جل ودق من سياسة الدولة المالية . وهذا التعاون الوثيق بين الحكومة والبنك يستند بعض منه الى قيام البنك عادة مقام الحكومة فى كثير من المسائل المالية الحيوية كما انها ومصالحها المختلفة تودع حسابها الجارى فى البنك . واذا ما رغبت الحكومة فى الاقتراض من الجمهور فانها تعهد الى البنك بالقيام بجميع العمليات التى يتطلبها اتمام القرض المطلوب بل وكثيرا ما تقترض الحكومة من البنك نفسه

وفضلا عن قيام بنك انجلترا بوظيفة بنك الحكومة فان لديه حسابات البنوك والبيوت المالية الكبيرة الاخرى • وتعتبر هذه البنوك ودائعها فى بنك انجلترا أساسا لالتزاماتها نحو الجمهور وبيوت الاعمال الاخرى فتزيد بزيادتها وتنقص بنقصها ، كما تسوى العمليات المالية بين البنوك وبعضها البعض عن طريق البنك • يضاف الى هذا انه أصبح له السلطة التامة على النظام النقدى فى انجلترا • وبهذه السلطات الثلاث التى يمارسها البنك (بنك الحكومة ـ بنك البنوك ـ منظم النقد) ، أصبح بنك انجلترا مشرفا اشرافا كليا على جميع أجزاء النظام المالى البريطانى • والبنك دائما فى مركز يسمح له بادراك السياسة التى تنوى وزارة المالية انتهاجها كما أن له من القوة ما يمكنه من الضغط على الحكومة وحملها على انتهاج اية سياسة يراها محققة للمصلحة العامة

ويخالف بنك انجلترا كثيرا من البنوك المركزية الاخرى فى انه لا يتبعه عدد من الفروع منبثة فى أرجاء البلاد • وليست له صلات تجارية مع الجمهور • وهو ينحو ـ الى أقصى حد ـ نحو تركيز أعماله كمنظم للنقد وكبنك للحكومة والبنوك الاخرى والبيوت المالية الرئيسية فى حى المال (السيتى) فى لندن • ونتيجة لهذا لا يدفع بنك انجلترا فوائد على المودع عنده من الاموال ، وهو بالتالى لا يبذل أدنى محاولة لاجتذاب ودائع الجمهور اليه كماتفعل البنوك الاخرى • فهو فى الواقع لا يطمح فى تحقيق أقصى ربح لمساهميه ، وهذه السياسة يباركها ويزكيها حملة أسهمه الذين يتكونون أصلا من البيوت المالية الكبيرة وكبار الماليين فى حى الاعمال فى لندن

ثانيا ـ بنك الفدرال ريزرف (البنك المركزى للولايات المتحدة)

النظام المصرفى فى الولايات المتحدة فذ فى صفاته وذلك راجع الى السمات المميزة لاقتصاديات هذا البلد • فليس ثمة بنك مركزى واحد يشرف على النظام المالى والاقتصادى كما هو الحال فى انجلترا وألمانيا وفرنسا وغيرها • فهناك اثنا عشر بنكا يعتبر كل منها بنكا مركزيا فى دائرة اختصاصه وله الحق فى انشاء فروع له فى هذه الدائرة • ويؤلف بين هذه البنوك ويوجد التناسق بين أعمالها ادارة خاصة هى الـ Federal Reserve Board لها الاشراف المطلق الاعلى على السياسة المصرفية للولايات المتحدة الامريكية

والنظام المصرفى فى الولايات المتحدة حكومى الى درجة كبيرة وليس أدل على هذا من ان الادارة العامة للفدرال ريزرف تتكون من سبعة أشخاص معينين مباشرة من قبل الحكومة الفدرالية (الاتحادية) كما ان البنوك الاثنى عشر ـ من الجهة الاخرى ـ نصفها عام والنصف الآخر خاص • ولتنسيق سياسة البنوك الاثنى عشر وجعلها على اتصال وثيق بادارة الفدرال ريزرف Federal Reserve Board هناك مايدعى بالمجلس الاستشارى الفدرالى Federal Reserve Council الذى يتكون من اثنى عشر عضوا يمثلون الاثنى عشر بنكا وهذا المجلس ينعقد بانتظام للتشاور مع ادارة الفدرال ريزرف Federal Reserve Board ويجب

ألا يعزب عن البال ان هذه الادارة ليست فى حد ذاتها بنكا وليست لها علاقات مباشرة مع الجمهور فهى تقوم فحسب ببعض الاعمال التى تعهد الى البنوك المركزية فى البلاد الاخرى ولها خاصة السلطة المطلقة فى الاشراف على النظام النقدى للبلاد.

وعلى ذلك فان الوظائف التى تمارسها البنوك المركزية فى البلاد الاخرى موزعة فى الولايات المتحدة الامريكية بين مجلس الفدرال ريزرف Federal Reserve Board وبين البنوك الفدرالية الاثنى عشر.

٣ ـ البنك الاهلى ومشروع تحويله الى بنك مركزى

فى ٢٥ يونيه سنة ١٨٩٨ صدر أمر عال بانشاء البنك الاهلى المصرى وتضمن هذا الامر منح امتياز اصدار ورق النقد مدة بقاء شركته وهى خمسون عاما تنتهى فى سنة ١٩٤٨. ولقد قسم القانون الاساسى ـ الذى اعتبر جزءا من الامر العالى المشار اليه ـ هذا البنك الى فرعين كل منهما منفرد ومستقل عن الآخر تمام الاستقلال. أحدهما مهمته اصدار ورق النقد والآخر قيامه بالاعمال المصرفية العادية.

وقد حددت المادة الرابعة من القانون الاساسى السالف الذكر وظائفه بأنه يقوم باقراض الحكومتين المصرية والسودانية والمجالس البلدية والهيئات العامة فى مصر والسودان، وخصم الاوراق التجارية فى مصر المستحقة لاجل لا يتجاوز سنة، وتقديم سلف بضمان أوراق مالية وبضائع ومعادن نفيسة، وفتح حسابات جارية لاشخاص مقيمين بمصر والسودان وقبول الودائع وفتح الاعتمادات وشراء الكمبيالات المسحوبة على مصر من الخارج أو العكس، والمساهمة فى سندات أو أسهم منشآت الائتمان فى مصر والسودان والشركات المصرية، ومزاولة جميع العمليات التجارية والمالية والصناعية ما خلا العمليات العقارية أو الخاصة بمشروعات فى الخارج.

وقد عينت المادة الخامسة من قانونه الاساسى شروط اصدار ورق النقد وهى أن يودع غطاء ذهبيا يساوى نصف ما يصدره من هذا الورق وأن يستعمل لغطاء النصف الباقى أوراقا مالية تعينها الحكومة. ولقد أدى قيام الحرب الكبرى الماضية الى تهافت الافراد على سحب الذهب من البنك الاهلى فازاء ذلك لم تجد الحكومة بدا من فرض السعر الالزامى لاوراق البنكنوت حماية للرصيد الذهبى من جهة ولانتظام تداول البنكنوت من الجهة الاخرى. ويلاحظ انه بقى الشرط الخاص بالاحتفاظ بنسبة الخمسين فى المائة من الغطاء الذهبى قائما مع الترخيص للبنك فى أن يحتفظ برصيده الذهبى فى خزائن بنك انجلترا بدلا من خزائنه فى مصر. وفى شهر اكتوبر سنة ١٩١٦ أخطر بنك انجلترا البنك الاهلى بأن ضرورات الحرب جعلت تقديم الذهب الضامن للبنكنوت المصرى غير مستطاع، وعلى أثر ذلك ولاستحالة الحصول على الذهب من جهة أخرى أصدرت الحكومة المصرية فى ٣٠ اكتوبر من السنة نفسها قرارا يقضى باعفاء البنك الاهلى من الشرط القاضى بأن

يكون نصف الاحتياطي من الذهب ورخصت له بأن يستبدل بالذهب أذون الخزانة البريطانية. وبذلك أصبحت مصر تسير على نظام الصرف بالاسترليني وأصبح الجنيه المصرى مرتبطا بالجنيه الاسترليني وشاطره السراء والضراء وناله ما نال هذا من الخير والشر . دون أن يكون لمصر دخل في هذا الارتباط

ولقد حدت وظيفة البنك الاهلى في اصدار أوراق النقد ـ خاصة ـ ببعض الباحثين الاجانب الى القول بأن هذا البنك يقوم بما ترجوه مصر من بنك مركزى . ويرد على هذا بأن البنك الاهلى هو في حقيقة الامر بنك تجارى يضع نصب عينه توزيع أكبر قدر ممكن من الارباح على مساهميه وهو بهذه الصفة كثيرا ما وجد نفسه مضطرا لاتباع سياسة تتنافى مع واجب البنك المركزى الذى يضحى بمصالحه الخاصة في سبيل المصلحة العامة كما تبين لنا ذلك من استعراض الاسس الاقتصادية للبنك المركزى

هذا كما ان من أهم وظائف البنوك المركزية الاشراف على الائتمان وتوجيهه لما فيه مصلحة البلاد ، وهو ما لم يستطعه ، فليس للبنك الاهلى من النفوذ والقوة ما يمكنه من هذا . ويضاف الى ما تقدم انه بموجب قانون العملة الحاضر فان كل من لديه ما قيمته مائة ألف جنيه استرليني له الحق في تحويلها في فرع الاصدار في البنك الاهلى المصرى الى جنيهات مصرية أو العكس بسعر ثابت هو ٩٧٫٥ قرشا . وظاهر من ذلك عجز مصر عن السيطرة على خروج الاموال منها ودخولها اليها ـ في الاوقات العادية ـ وبالتالى عجز البلاد عن تنظيم النقد بما يتفق ومصلحة البلاد ، وهذا يقودنا الى الكلام على نقائص النظام المصرفى في مصر التى أوجبت التفكير في انشاء بنك مركزى

فأهم ما يؤخذ على البنوك الاجنبية في مصر ـ التى هى عماد النظام المصرفى المصرى ـ الصلة الوثيقة بينها وبين المؤسسات المالية في الخارج . وفي الواقع ان معظمها اما فروع لبنوك في الخارج أو تتلقى وحى سياستها المالية من الخارج ، ومن ثم تتعرض السياسة المالية المصرية لمؤثرات خارجية كثيرا ما تعمل على احاقة الضرر بها ، فقد تتبع هذه البنوك سياسة مالية خاصة مستلهمة الوحى من مصادرها الاصلية في الخارج وتكون هذه السياسة تتنافى ومصلحة مصر ولا تتفق مع حاجاتها ومطالبها . ولا حيلة للاقتصاد المصرى في دفع ما قد يصيبه من الاخطار من جراء ذلك . ولسنا بهذا نحاول الغض من قيمة الخدمات التى أدتها البنوك والمنشآت الاجنبية وعلى رأسها البنك الاهلى المصرى للاقتصاد المصرى فهى التى وضعت أسس النظام المصرفى في مصر الذى عاد عليها بفوائد جليلة ولكننا نرنو أن تكون الاداة المصرفية في مصر أكثر تمشيا مع ما تقتضيه مصلحة البلاد وأكثر تناسقا مع حالتها الاقتصادية الحاضرة وان تكون السياسة التى تتبعها هذه البنوك متفقة مع مصلحة مصر فحسب

وهذا كله جعل الحاجة ملحة الى وجود بنك مركزى في البلاد يوجد التناسق بين أجزاء

النظام الاقتصادى ويعمل على احكام ربط هذه الاجزاء بعضها ببعض بما يكفل قوة هذا النظام وانتظامه واستقراره وتوجيه الائتمان فى البلاد بما يحقق مصلحتها ويكفل مستوى أعلى من التعاون بين البنوك القائمة في مصر ، وهنا يظهر أمامنا طريقان الاول تحويل البنك الاهلى الى بنك مركزى والثانى ايجاد مؤسسة جديدة تقوم بوظائف البنك المركزى على نحو ما هو جارفى البلاد الاخرى

والواقع ان البنك الاهلى من أقدم البنوك فى مصر وأوسعها خبرة بالشئون المالية المصرية عامها وخاصها وقد نال عن جدارة واستحقاق تقدير وثقة الدوائر المالية الاجنبية والمصرية لمتانة مركزه وسلامة تقاليده وطول مرانه مما يزكى مسألة تحويله الى بنك مركزى

بيد انه يعترض على هذا بأنه من أول مستلزمات البنك المركزى أن يكون ذا صفة وطنية بحتة ويسعى لتحقيق المصلحة العامة قبل أى اعتبار آخر . وهذا ما لم يفت الحكومة فقد أسفرت المفاوضة مع البنك على الاتفاق على تعديل عدة مواد من قانونه الاساسى على صورة تكفل تحويل جميع أسهم البنك الى أسهم اسمية ابتداء من وقت صدور القانون على ألا يحل ٢٥ يونيه سنة ١٩٤٨ حتى تكون جميع هذه الاسهم قد تحولت الى اسمية ، وأن تصبح أغلبية أعضاء مجلس ادارة البنك من المصريين وأن يكون رئيس مجلس الادارة مصريا بعد أن تنتهى مدة المحافظ الحالى وأن يقتصر التوظيف على المصريين منذ صدور التشريع الا فى الاحوال الاستثنائية مع موافقة وزير المالية ، وأن تلغى أخيرا لجنة لندن المنصوص عليها فى البند العشرين من نظام البنك القديم

على انه قد يعترض على هذا أيضا بأن العنصر الاجنبى فى البنك ما زال قويا ، ويرد على هذا بأنه لو فرض وأنشىء بنك مركزى جديد ، فهذا يستوجب عدم السماح للبنوك والمنشآت المالية الاجنبية بالمساهمة فى المشروع حتى تصبح صبغته مصرية بحتة ، وهذا من الصعب تحقيقه لافتقار السوق المحلية الى رأس المال المصرى الصميم ، وانه لا يمكن انشاء بنك مركزى لا تشترك فيه منشآت مالية وتجارية تكون فى الواقع الجزء الاعظم من البناء الاقتصادى المصرى

على انه يجب ألا يعزب عن بالنا من الجهة الاخرى السلطات العظيمة التى سيظفر بها البنك الجديد مما يجعله المهيمن على جميع مناحى البلاد الاقتصادية والتجارية والمالية

نخلص من ذلك الى القول بأن عملية تحويل البنك الاهلى الى بنك مركزى تعود على البلاد بمزايا لا شك فيها ، بيد انه يجب أن يكون سعى البلاد متجها الى تمصير هذا البنك تماما ادارة ورأس مال وتوجيها فى آخر الامر . وبذلك تجنى البلاد ثمرات قيام بنك مركزى يوجد التناسق بين جميع عناصر النظام الاقتصادى ويوجه السياسة المالية لها الى ما فيه خير الوطن ومجده

فؤاد محمد شبل

ايطاليا : بين الحرب والسياسة

ماذا أسر موسولينى لصديقه لافال !



لايصدق موسولينى سوى فرنسى واحد اذا تحدث اليه فى أمر الحرب والسياسة . وهذا الرجل هو « بيير لافال » الذى اتخذ فى أثناء رئاسته الوزارة الفرنسية ابان الحرب الحبشية سياسة مكنت ايطاليا من قهر الحبشة وفتحها . وقد لقيت هذه السياسة ـ التى عطلت ما اعتزمته عصبة الامم حينذاك من عقاب ايطاليا عقابا اقتصاديا أو عسكريا ـ أشد انتقاد وأقسى استنكار . ولكن الآن يتبين الفرنسيون بعد انقضاء أربع سنوات ان خطة لافال انما كانت محاولة موفقة يراد بها حطم محور برلين روما ، وحصر ألمانيا فى أوربا الوسطى حصرا منيعا خانقا

فلما قامت الحرب الدائرة الآن أرادت فرنسا أن تعرف خطة ايطاليا تجاهها : هل تجازيها عرفا بعرف وعونا بعون ، أو تقابل الحسنة بالسيئة والجميل بالنكران ؟ فأوفدت اليها فى أغسطس الماضى صديق زعيمها «لافال» دون أن يذكر أى شىء عن هذه الرحلة فى صحف فرنسا وايطاليا ، بل دون أن يدرى بأمرها سوى قليل من الواقفين على مجرى الامور فى باريس وروما . ففيم تحدث الزعيم الايطالى والسياسى الفرنسى ، وماذا أسر كل منهما لصديقه من آراء ونوايا ، قد يبين من خلالها مجرى الحرب والسياسة فى الايام القادمة ؟

يقول الواقفون على مجرى الامور فى باريس ان ما قاله لافال لموسولينى يقرب من هذه الكلمات :

«بنيتو ! انك تعلم انى صديقك منذ عهد بعيد ، وانى أخلص الود والوفاء لايطاليا .

فكلانا يستطيع أن يتحدث الى صديقه حديثا صريحا ، ولهذا أوفدتنى حكومتى الى هنا لاتبين الى أين تريدون أن تذهبوا اذا ما دارت الحرب

«انا نحن الفرنسيين نريد أن تصلنا بالايطاليين أطيب الصلات وأوثقها . فلا نريد أن تريق قطرة دم واحدة على ما بيننا وبينكم من حدود الجوار . ولكنكم قدقطعتم شوطا طويلا فى هذا الطريق الذى يسمونه محور روما وبرلين . ويجب أن نعلم الآن عند أية مرحلة تريدون أن تقفوا من مراحل هذا الطريق . فاذا دخلتم الحرب عرفنا مايجب علينا أن نعمله وكذلك اذا وقفتم خارج ساحتها دون أن تعلنوا حيادا صادقا أكيدا ، لا حيادا يضطرنا الى أن نربط جيشا كبيرا على الحدود الفاصلة بين ايطاليا وفرنسا وبين طرابلس وتونس ، فانا نستطيع حينذاك أن نعرف كيف نعمل . فاناسنضطر أن نعد مثل هذا الحياد الزائف الكاذب حربا أعلنتموها علينا ، وعندئذ سنحارب جيوشكم وسنتعقب قواتكم فى البر وفى البحر وفى الهواء . وسنضرب عليكم سورا من الحصار ، وسنقطع ما بينكم وبين مستعمراتكم من سبل الاتصال ، انا نعلم اننا لا نستطيع فى القريب العاجل أن ننفذ الى داخل ألمانيا من خلال خط سيجفريد ، ولكنا نعلم اننا نستطيع أن ننفذ الى ايطاليا من كثير من الجهات . فماذا ترى وماذا تقول ياصديقى القديم »

ولا يعرف سوى القلائل من الواقفين على أسرار السياسة الفرنسية الايطالية اجابة موسولينى على سؤال لافال ، ولكن الفرنسيين الذين يؤهلهم مركزهم للكلام الصحيح فى هذا الموضوع يعتقدون ان موسولينى أجاب بما يقرب من هذه الكلمات :

« بيير ! صديقى القديم ! ليس للايطاليين حق يبرر لهم ان يحاربوا فرنسا ، حقا ، ان لنا مطالب اقليمية معينة يجب الا نسوف طويلا فى اقرارها . ولكن ما زلت اعتقد انه يمكن تسوية هذه المطالب بالوسائل السلمية

« وأما عن برلين فقد حاولنا ان نميل بها الى جانب القصد والاعتدال . فالكونت شيانو يبذل كل ما يسعه من الجهد ليمنع ألمانيا من مهاجمة بولندا . وكذلك نصح جورنج « الفوهرر » بأن يتئد فى خطته ولا يغلو . ولكن جماعة « ربنتروب ـ جوبيلز ـ هملر » قد تسوق علينا الحرب يوما ما . وقد نصحنا هتلر بأن تعهداتنا فى هذه الحالة لا تتطلب منا ان ننزل معه الى ميدان القتال

«أما عن محور روما ـ برلين فلم يعد اليوم كما كان منذ بضعة أيام . ذلك ان ميثاق برلين موسكو قد غير كل شىء . ولم يؤخذ رأينا أو مشورتنا قبل ان يعقد الريخ حلفه مع السوفيت ، هذا الحلف الذى هدم وحطم ما بين ايطاليا والمانيا من ميثاق مقاومة الشيوعية . ونحن الايطاليين لا ننوى ان نساق الى حرب يمكن فى النهاية ان تؤدى الى تقرير الشيوعية وحدها وتأييد موسكو على حساب سواها . واذن فاذهب الى باريس ، يا عزيزى بيير ، وقل لحكومتك ان ايطاليا تنوى ان تتخذ فى الحرب القادمة سياسة عدم القتال »

ومهما تكن الالفاظ التى ذكرها موسولينى فقد كان مخلصا صادقا فى حديثه . فلما

عاد لافال الى باريس ووضع تقريره عن بعثته ، بدأت العلاقات الفرنسية الايطالية تستبدل توترها بالهدوء والمسالمة ، وأخذت الصحف الفرنسية تتناول كل ما يتعلق بايطاليا من الامور بكثير من الحذق والحصافة . وتبين المراقبون السياسيون فى فرنسا ان هذا الفرنسى الصامت المكتئب الذى قيل انه يجرى فى سياسته على أسلوب تجار السجاد فى مراكش من الدهاء والمثابرة ، قد أحرز نصرا سياسيا عظيما

ولكن موسولينى لم يعلن ان ايطاليا ستكون فى الحرب القادمة دولة « محايدة » بل دولة « غير محاربة » ولا شك ان « الدوتشى ذاته » لا يستطيع ان يقرر الى أى مدى يستطيع ان يثابر على هذه الخطة ويحتفظ بهذه السياسة ، لانه يريد ان يزن سياسته يوما بعد يوم بميزان التطورات الدولية التى لا تستقر على حال . فيجب عليه اذن أن يفكر تفكيرا متعدد الوجوه ، يتناول علاقات ايطاليا بألمانيا ، وبالدول الديموقراطية ، وبروسيا ، وبتركيا ، وبالبلقان . وفضلا عن ذلك فليس ثمة من يعرف كما يعرف موسولينى ان انسب الاوقات لتحقيق مطالب ايطاليا الاقليمية هو الوقت الذى تقف فيه بمنأى عن القتال بينما الدول الكبرى تصلى النيران وترضى الحلفاء والمحايدين !

(من مقال بقلم هنرى وولف فى مجلة Current History الامريكية)



هذه الحرب ..

« ان فى هذه الحرب شيئاً أجل وأعظم من مجرد القتال بين الجيوش المتطاحنة . شيئاً أبعد مدى من الصراع فى الجو بين « باصقات النار » البريطانية والطائرات الألمانية من طراز « هينكل » . شيئاً أبسل من الكفاح المميت بين الغواصات والمدمرات . ان هذه الحرب صراع بين عناصر الخير والشر . والذى نريد تحديده هو أى هذين العنصرين سيتملك نفوس الشعوب والأناسى »

ل . هوربليشا

يقظة الشعور القومي

منذ أوائل القرن التاسع عشر الى الآن

بقلم حضرة صاحب السعادة احمد شفيق باشا

رئيس الديوان الخديو السابق

نشرنا فى العدد الماضي جانبا من هذه المحاضرة النفيسة التى ألقاها سعادة احمد شفيق باشا بالجامعة الاميركية بالقاهرة مستعرضا أبلغ ظاهرة من مظاهر النهضة المصرية الحديثة . ويجد القارئ فيما يلي بقية هذا البحث القومي الفريد

بعد الهدنة

كان المصريون ينتظرون اليوم الذى تضع فيه الحرب اوزارها لترد اليهم بريطانيا الامانة التى تحت يدها وهي الاستقلال

ولكن وقعت الهدنة وظلت الاحكام العرفية باقية ولم يبد ما يدل على اجابة الاماني المصرية

وقبل ذلك كان جماعة من كبار رجال مصر قد اتفقوا على تأليف وفد ينوب عن المصريين للمطالبة بحقوقهم ، وعلى رأسه سعد باشا وتم التوقيع على وكالة هذا الوفد من عدد كبير جدا من الامة رغم وجود الاحكام العرفية ومحاربة السلطة الانجليزية للحركة وجمعت له الاموال فى فترة قصيرة عن طريق التبرع مما يدل على يقظة الشعور القومي بدرجة عظيمة . وقرر الوفد السفر الى فرنسا لحضور مؤتمر فرساى وانتدب ثلاثة من اعضائه هم : سعد زغلول باشا ، وعلى شعراوى باشا ، وعبد العزيز فهمي بك لمقابلة السير ونجت القومسير البريطاني فى دار الحماية للمطالبة بالحقوق المصرية

وفى يوم ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ قابلوا السير ونجت لطلب الاذن فى السفر الى مؤتمر فرساى وعند مقابلتهم له قال على شعراوى باشا : « اننا نريد أن نكون اصدقاء للانجليز صداقة الحر للحر ، لا العبد للسيد .» فأجابه فى دهشة : « اذن انتم تطلبون الاستقلال ؟ » فرد سعد باشا قائلا : « ونحن له أهل . وماذا ينقصنا ليكون لنا استقلال كباقي الامم المستقلة ؟ » وبعد حديث طويل صرح لهم بأنه سيستشير حكومته . وفيما بعد لم يرخص العميد البريطاني للوفد بالسفر برغم تأييد وزارة رشدى باشا لهذا الطلب

فاستقالت الوزارة احتجاجا على ذلك المنع • ولم يتقدم أحد لتولى الوزارة مدة نفت انجلترا اعضاء الوفد الى مالطة وحملتهم تبعة بقاء البلاد بلا وزارة ، وكان هذا فى مارس سنة ١٩١٩ ، اعتقادا بأن هذا الضغط يطفىء الشعور الآخذ فى التوهج والاشتداد

الانفجار والثورة الكبرى

تردد نبأ اعتقال اعضاء الوفد فى انحاء القاهرة يوم حدوثه فبدأت النفوس تهيج ، وانتشر الخبر بسرعة فى انحاء البلاد والناس بين مصدق ومكذب • وكأنما كان نبأ اعتقال هؤلاء الزعماء ونفيهم لمالطة نذير الثورة العامة فى جميع ارجاء القطر أو شرارة ألقيت على مستودع البارود فاشتعل دفعة واحدة وانفجر

وفى وقت واحد قام الاهالى فدمروا خطوط السكك الحديدية وعطلوا التليفونات والتلغرافات منعا لاتصال القوات الانجليزية فى انحاء البلاد كأنما كانوا على تفاهم تام ، وكأنما هى خطة مدبرة بين الجميع ، ووصل الحال الى ان بعض المدن والمديريات اعلنت استقلالها وألفت حكومة داخلية فيها ، وأضرب الموظفون والعمال فى السكك الحديدية وسواها من طرق المواصلات وامتنع المحامون عن مزاولة قضاياهم فعطلت أعمال المحاكم

وخرج القضاة بملابسهم الرسمية وألفوا مظاهرة فخمة اعلانا لاستيائهم فكان لهذا المنظر روعة فائقة وأثر فى النفوس عظيم

وبرزت المرأة المصرية من خدرها ، فاشتركت فى المظاهرات الوطنية بشكل لم يسبق له مثيل تحت زعامة السيدة الجليلة والوطنية القديرة هدى هانم شعراوى • وذات يوم كانت تقود مظاهرة كبيرة من السيدات • وعند وصولهن الى منزل سعد وجدن هناك قوة مرابطة من الانجليز لمنعهن من المسير • وقد حاصرتهن القوة وصوب احد الجنود بندقيته لهن ، فتقدمت الزعيمة منه وقالت له « ليكن لمصر اليوم (مس كافل) ثانية ، فخجل الجندى وبعد قليل انسحبت القوة

ولم يمنع المتظاهرين من شبان الوطن وشيبه واطفاله رصاص الرشاشات التى كانت تحصدهم حصدا ، وكثيرا ما استشهدوا وهم يهجمون للاستيلاء عليها

وبلغ من عظمة هذا الشعور ان المكارية ورعاع القوم كانوا يمنعون الطلاب من تعريض أرواحهم للهلاك ويفتدونهم بانفسهم فى مقدمة الصفوف لان الطلبة هم عدة الامة

وكان سكان البلاد من مسلمين واقباط ، متضامنين فى هذا الشعور القومى فنسى الجميع الفوارق الدينية فى يوم الهول العظيم

ولما رأت السلطات البريطانية ان وسائل الشدة لا تكبح هذا الشعور الجامح ولا تميت هذه النفوس التى لا يزيدها التقتيل الا استبسالا • رأت أن تفرج عن الزعماء المعتقلين بمالطة ، وتسمح لهم بالسفر لاوربا لعل ذلك يرضى شعور الامة ويطفىء من حدة هذه الثورة ، وقد تم ذلك فى ابريل سنة ١٩١٩

وبينما الوفد فى أوربا قائم بالمدافعة عن حقوق مصر كانت الحالة فى داخل البلاد مضطربة غاية الاضطراب . لذلك أرسلت انجلترا لجنة برياسة اللورد ملنر لفحص اسباب الثورة

وكان مما أدهش اللورد ملنر ان الاهالى بما فيهم الامراء قاطعوه مقاطعة تامة وقد ظن ان هذه المقاطعة لا بد ان تكون مدبرة ، ولكن الواقع كان غير ذلك ، اذ ان الشعور القومى الفياض هو السبب فى توافق الناس جميعا فى تصرفاتهم

ولم يستطع اللورد ان يحصل على أية معلومات الا من بعض الوزراء وبعض كبار الموظفين وقد راجت اشاعة بأن اللورد مر فى طوافه بفلاح فى الحقل فقرب منه متلطفا وسأله : « ماذا تزرع ؟ » ولما أخبر باسم اللورد وعرف سؤاله كان جوابه : « عندك سعد باشا اسأله فأنا مقاطعك »

الافتخار بالقومية المصرية

وفى هذا الوقت بلغ الشعور بالقومية المصرية ذروته العليا ، ورفع المصريون رؤوسهم مباهين بمصريتهم مفتخرين بانتسابهم لوادى النيل ، واذكر اننى فى هذا الحين كنت فى سويسرة مع جماعة من المصريين ممنوعين من العودة الى الوطن ، ولما وصلتنا اخبار الثورة المصرية منشورة فى جريدة «الدبيا» الفرنسية ، طفرت الدموع من عينى ، ولم أكن أدرى أهذه دموع الاسى على القتلى والجرحى من المصريين ، أم دموع الفرح بهذا البعث الجديد فى روح الشعب القومية

وقد أحس ملنر ولجنته بعظمة هذا الشعور فعرفوا عن المصريين ما لم يكونوا يعرفونه ، وعادوا لبلادهم بعقيدة جديدة

وبعد عودته أرسل الى سعد باشا فى باريس يطلب قدومه الى لندن للمفاوضة فى المطالب المصرية . وقد انتهت المفاوضات بمشروع ملنر المعروف فأرسل به سعد مع بعض اعضاء الوفد الى مصر لعرضه على الشعب الذى أظهر تفوقا فى فهم المسائل السياسية بابداء التحفظات على هذا المشروع وعندئذ رفض ملنر النظر فى هذه التحفظات فانقطعت المفاوضات

ومما يدل على بلوغ هذا الشعور ذروته الاحتفال الهائل الذى استقبل به سعد باشا ورفاقه عند عودتهم من أوربا بعد مفاوضات سعد وملنر . ومن الفكاهات ذات المغزى الكبير أن الشطار «النشالين» أعلنوا فى هذا اليوم انهم ابتهاجا بعودة المنفيين ، وحتى لايعكر على المحتفلين أى معكر قد قرروا عدم مزاولة مهنتهم فى هذا اليوم ويومين بعده ، ومن الغريب تنفيذ قرارهم بحيث لم يعرف أن أحدا فقد نقوده مع الازدحام الشديد

ولقد ظلت الامة كلها كتلة واحدة فى شعورها حتى شهر مايو سنة ١٩٢١ . ولكن مما يؤسف له أن هذا الاجماع الرائع الذى أجبر الانجليز على احترامه سرت فيه عوامل الانشقاق حتى انتهت بانفصال بعض أعضاء الوفد عنه

تكوين الأحزاب الحديثة

كان قد بقى من الاحزاب الثلاثة القديمة ـ الحزب الوطنى ولكنه فى أثناء الثورة كان مندمجا فى كتلة الامة التى كانت مجموعة واحدة . فلما بدأت المفاوضات اعتزل الحزب الوطنى برأيه القائل بعدم المفاوضة الا بعد الجلاء ، ولكن كتلة الامة كانت وراء الوفد سليمةقوية ، مقتنعة بمبدئه القائل بالعمل لاستقلال مصر والسودان بكل الوسائل المشروعة

ولما انشق بعض أعضاء الوفد على سعد باشا فكر عدلى باشا وثروت باشا فى تأليف حزب جديديسمى حزب الاحرار الدستوريين يتحد مع الوفد فى الغاية ويختلف عنه فى السبيل اليها وتم تأليفه فى ٣٠ اكتوبر سنة ١٩٢٢

وقد كان هم هذا الحزب معاضدة وزارة ثروت باشا الذى جاء بتصريح ٢٨ فبراير من السنة المذكورة وألف لجنة من ثلاثين عضوا ليس بينهم أحد من الوفديين لوضع الدستور ، وكان الوفد يعتبر التصريح نكبة على مصرويسمى لجنة الدستور بلجنة الاشقياء اذ كان الخلاف على أشده بين الفريقين

ولكن الامة فى مجموعها كانت ممثلة فى الوفد فلما أجريت انتخابات سنة ١٩٢٤ فاز فيها الوفديون بأغلبية ساحقة تكاد تكون اجماعا

وفى ١٠ يناير سنة ١٩٢٥ تألف حزب « الاتحاد » وكان من أهم أغراض مؤلفيه اضعاف نفوذ الوفد وتقوية نفوذ بعض الجهات الرئيسية التى كانت تخشى توسع الوفد

وفى ١٧ نوفمبر سنة ١٩٣٠ تألف حزب الشعب بعد ما استبدل اسماعيل صدقى باشا دستورا جديدا بدستور سنة ١٩٢٣ يضيق من سلطة الامة . ومهمة هذا الحزب مناصرة الدستور الجديد وتأييد النظام الذى قام على أساسه

اثر هذه الأحزاب فى هبوط الشعور القومى

اذا كان للحزب الوطنى عند تأليفه سنة ١٩٠٧ أثر طيب فى اثارة الشعور القومى . فقد كان لهذه الاحزاب الجديدة عكس ذلك الاثر ، وذلك لتفرق مجهود البلاد ورأيها على جملة جهات ومع ان كتلة الامة ظلت ممثلة فى الوفد فانها لم تعد بالنسبة التى كانت عليها سنة ١٩٢١ قبل الانقسام أو سنة ١٩٢٤ عند أول انتخاب

وقد أضعفت المناوشات الحزبية حدة الشعور الوطنى ، وظل راكدا الا فى فترات قصيرة كان يعود فيها الى الاشتداد ومن هذه الفترات :

اولا ـ يوم اجتماع المؤتمر الوطنى سنة ١٩٢٦ ، ذلك المؤتمر الذى اجتمع فيه الوطنيون والوفديون والدستوريون ورجالات البلاد وكبراؤها تحت رياسة سعد باشا ، لمناهضة حزب الاتحاد ، الذى كان يتولى الحكم اذ ذاك ، وللدفاع عن الدستور المهدد والبرلمان المعطل

وقد أفلح هذا المؤتمر ، واضطرت الوزارة الى النزول على ارادته فارتفع ترمومتر الشعور القومى على أثر هذا الانتصار

ثانيا ــ ارتفعت حرارة هذا الشعور ، عقب استقالة المغفور له ثروت باشا سنة ١٩٢٧ وتولى النحاس باشا الوزارة وتقديم « قانون الاجتماعات والمظاهرات » للبرلمان وكان يراد به توسيع حرية الشعب فى القيام بهذه الاجتماعات ، فعارض المندوب السامى ذلك ، وأرسل بلاغا للوزارة بسحب القانون ، فرفضت أول الامر ، فابتهج الوطنيون بهذا الموقف ، وغلا الشعور العام ، ولكنه هبط بعد ذلك حينما عمد النحاس باشا لتأجيله

ثالثا ــ فى سنة ١٩٣٠ عندما أجرى صدقى باشا الانتخابات فقاطعها الوفديون والدستوريون ، وعندئذ اصطدمت قوات الحكومة بكثير من المظاهرات فقتل بعض المتظاهرين وجرح عدد منهم ، وكانت البلاد جميعها تغلى فى أيام هذه الانتخابات ، حتى اضطرت الحكومة الى تدخل الجيش بكامل هيئته للمحافظة على النظام

رابعا ــ فى نوفمبر سنة ١٩٣٥ وكان المغفور له نسيم باشا فى الوزارة تؤيده الاغلبية الوفدية ، وقد ألغى دستور سنة ١٩٣٠ الذى اصدره صدقى باشا ، وكان المفهوم ان هذه مقدمة لاعادة دستور سنة ١٩٢٣ ، ولكن الانجليز ظلوا يقيمون العقبات فى طريق اعادته ، وفى يوم ١٧ نوفمبر القى وزير خارجية انجلترا « مستر هور » تصريحا فى مجلس النواب البريطانى يفهم منه ان الظروف لا تسمح باعادة هذا الدستور فى الوقت الحاضر

عندئذ انفجرت الثورة مبتدئة من ساحة الجامعة المصرية والجامعة الازهرية ثم بقية المدارس على اختلافها وخر الشهداء صرعى من الطلبة يهتفون باسم الوطن . وكادت تمتد الثورة الى طبقات الشعب الاخرى كما حدث فى سنة ١٩١٩ لولا ان الايام لم تطل فسرعان ما ضغطت جموع الطلبة على زعماء الاحزاب المتنافرين المتخاصمين فاضطروهم لترك التنابذ بينهم واعلان استعدادهم للوفاق ثم ازداد الضغط حتى اضطر الانجليز الى تبليغ نسيم باشا انهم لا يعارضون فى عودة الدستور ، وانهم على استعداد للمفاوضة مع جبهة متحدة من الاحزاب لتسوية المشاكل المتعلقة بين البلدين ، وعقد معاهدة صداقة ومحالفة

وزارة على ماهر باشا

عندئذ أوحى الى نسيم باشا بالاستقالة فتلاه على ماهر باشا الذى بذل جهودا جبارة موفقه فى جمع الكلمة بين الاحزاب ، والاصلاح بينها جميعا وبين السراى ، فتألفت الجبهة المتحدة من الاحزاب كلها ومعها الحزب الوطنى ثم دارت المفاوضات بين الجبهة وبين ممثلى انجلترا حتى انتهت بعقد المعاهدة بعد أن عجز كل حزب عن عقدها منفردا منذ أيام الثورة الاولى . وفى هذه الفترة كانت الحماسة بالغة أشدها فنظمت القصائد وألقيت الخطب وأنشدت الاناشيد والاغانى الحماسية ومن بينها النشيد القومى الذى تسمعونه الآن

احمد شفيق

العلم والعالم

وفاة العلامة الفرنسي ادوارد برانلي

أمضى العالم الفرنسي الكبير ادوارد برانلي في هذه الحياة ستة وتسعين عاما (٢٣ اكتوبر ١٨٤٤ - ابريل ١٩٤٠) ، اعتكف في اكثرها وسط معمله البسيط بالمعهد الكاثوليكي في باريس باحثا كاشفا في انحاء العلوم الطبيعية ، فكان استاذ العلماء في بحوث الكهربائية والمغناطيسية التي يقوم عليها كثير من المخترعات المهمة مثل التليفون والتلغراف السلكي والموتور الكهربائي ، وكان

فقيد العلم ادوارد برانلي

رائد الباحثين والكاشفين في اللاسلكي اذ ظل جهازه قوام البحوث التي قام بها ماركوني فيما بعد لنقل الاصوات على امواج الهواء

ومع ان اسم برانلي ظل مقصورا على اوساط علمية ضيقة النطاق ، ولم يتعداها كما تعدتها اسماء اديسون وماركوني وانيشتين الى المحيط الشعبي الفسيح ، الا أن اسمه ظل وسيبقى يتصدر

قائمة العلماء والكاشفين الذين ابتكروا نظرية اللاسلكي واخرجوا أجهزته الاولى ، ففي سنة ١٨٩٤ ارسل العالم الانجليزي « اوليفر لودج » أول رسالة لا سلكية ، وكانت بينه وبين برانلي خصومة أو منافسة علمية ، ولكنه أعلن ان هذه الكلمات ترسل بفضل الجهاز الذي اخترعه برانلي . وبعد ذلك بخمس سنوات اذاع ماركوني من انجلترا تلغرافه اللاسلكي المشهور الذي قال فيه: « يرسل مسيو ماركوني الى مسيو برانلي تحياته وتمنياته الفائقة ، بواسطة تلغراف يعبر بحر المانش من ضفة الى ضفة بغير سلك يسري فيه ، وترجع هذه النتيجة الطيبة الى حد بعيد الى الاعمال المجيدة التي أداها مسيو برانلي »

وكان برانلي مثال العلماء المخلصين المجاهدين ، فظل منذ شبابه الى شيخوخته عاكفا على العلم جاهدا في سبيل البحث ، فبعد ان نال في مطلع سنه درجة « الاجريجاسيون » في العلوم الطبيعية من مدرسة المعلمين العليا في باريس وعين استاذا في بورج ثم في السوربون ، اذ به يبدأ دراسة الطب وينال درجتها ويتقدم برسالة قيمة في مادة الهيموجلوبين وكرات الدم الحمراء ، ولكنه يعود الى التفرغ لبحوث الطبيعة مختصا بدراسة الكهربائية والمغناطيسية التي انفق فيها مدى حياته الطويلة ، محتجزا نفسه في معمل بسيط جاد له به أحد الاغنياء . ومع انه عاش ومات فقيرا لم يكسب شيئا من وراء بحوثه التي أتت لسواه بآلاف مؤلفة من الاموال ، الا أن فرنسا لم تبخس علامتها الكبير حقه من التمجيد والتعظيم ، فانتخبته عضوا في الاكاديمية العلمية في سنة ١٩١١ ، ومنحته نيشان اللجيون دونير

من درجة الصليب الكبير ، ثم شيعته الى مثواه الاخير فى حفل مهيب كرمت فيه الحكومة والامة العلم والعلماء

دراسة فى جغرافية مصر

لعل أوفي ما كتب عن مصر من الوجهتين الجغرافية والجيولوجية كتاب أصدره أخيرا الدكتور جون بول ، الذى يسميه بعضهم « أب الجغرافية المصرية الحديثة » ، فقد فرغ لدراستها فى اثناء عمله فى الحكومة المصرية عهدا طويلا فصار ثبتا يرجع اليه وحجة يعتمد عليها ، بدليل هذه الدراسات الثمينة التى ألقاها أمام الجمعية الجغرافية الملكية فى لندن عن صحراء ليبيا وعن منخفض القطارة وغير ذلك من الشئون التى تعنى بها مصر حين آن لها ان تستغل جميع آفاقها وتستثمر كافة كنوزها

وهذا الكتاب يختص بدراسة وادى النيل دراسة جيولوجية وجغرافية مؤيدة بالصور والخرائط والرسوم البيانية التى بلغت درجة الكمال فى دقتها ووفائها

يبدأ الكتاب ببحث عام فى جغرافية مصر الحالية تتبين منه انه لا يزرع سوى نصف مساحة الدلتا التى تبلغ ٢٢٫٠٠٠ ك٠ م٠ أما نصفها الثانى فضائع بين برك مستنقعة وأرض بائرة ٠ كما ان الارض المزروعة تتناقص خصوبتها وتتحول أرضا صماء شيئا فشيئا ، نتيجة تزايد الماء فى باطنها وارتفاع مستواه لاهتمام مصر طول تاريخها « برى » الارض دون « صرف » الماء

ثم يتناول الكتاب تاريخ مصر الجيولوجي منذ أن كانت أكثر اراضيها غارقة تحت مياه البحر ، بدليل هذه الحفريات البحرية التى نجد ملايين منها فى ارجاء الصحارى المصرية ٠ وقد انتهى هذا العصر منذ ثلاثين مليون سنة حين بدأ ينحسر البحر وتبدو الارض وتنبت فيها الاشجار ويظهر عليها الحيوان ٠ ثم تكون النيل منذ عشرة ملايين من السنين ، ولكن مياه البحر عادت منذ خمسمائة ألف سنة فغمرت مصر حتى بلغت موضع اسوان الحالى واتصلت مياه البحر الابيض بمياه البحر الاحمر ، وكان فى وادى النطرون حينذاك نهر جار بالمياه العذبة

أما ظهور الانسان فى وادى النيل فيرجع الى خمسين ألف سنة قبل الميلاد ، ومن المحتمل انه وفد اليه من ايطاليا أو صقلية فقد كانتا متصلتين بأفريقيا عدة مرات فى اثناء عصور ماقبل التاريخ٠ ولم تكن ليبيا صحراء قاحلة بل كانت سهولا تغمرها الامطار وتسكنها قبائل نجد آثارها فى تلك البقاع التى لم تتحول صحراء جرداء الا منذ عشرة أو ثمانية آلاف سنة قبل الميلاد

ويعالج المؤلف مشكلة زوال كثير من فروع النيل القديمة التى كانت متشعبة فى ارجاء مصر الشمالية ، ويبحث أقوال العلماء فى حدوث زلازل فى تلك المناطق قلبت قيعان الانهار وردمتها ، وأقوالهم فى تراكم الطمى فى باطنها حتى علت أراضيها وتحولت عنها المياه ، ويقدر مبلغ ارتفاع سطح الدلتا والنسبة بينه وبين مستوى البحر طوال عصور التاريخ

ويفرد فصلا خاصا بمنطقة الفيوم وبحيرة موريس التى حسبها هيرودوت مستودعا حفره الفراعنة بأيديهم لاختزان مياه النيل وقت الفيضان وتصريفها وقت « التحريق » ٠ ويبين أن نصف مياه البحيرة يضيع بالتبخر ويقدر هذه الكمية الضائعة بمائة وثمانين سنتيمترا من ارتفاع المياه فى كل عام ٠ ويثبت ان بحيرات مصر لم تكن مالحة الماء فيما مضى ملوحتها الحالية التى تنفر منها الاسماك ، بل كانت عذبة تروى الارض ، بدليل وجود آثار ساقية ماء على حافة بحيرة مريوط كانت تنقل منها الماء الى الارض التى تجاورها ٠ والخلاصة ان هذا المرجع الثمين قد شرح على أوفى وجه جيولوجية مصر وجغرافيتها شرحا لا يستفيد منه طالب العلم والاستاذ فحسب ، بل يعتمد عليه القائمون على كثير من شئوننا الهندسية والاقتصادية

القطب الجنوبى ملىء بالبترول

أعلم الناس بالقطب الجنوبى هو الرحالة الامريكى العظيم « الاميرال بيرد » الذى يضرب الآن فى تلك الآفاق والمجاهل ليكتشف اراضيها ومناجمها وكنوزها المطمورة . وهذه هى المرة الرابعة التى يذهب فيها بيرد الى القطب الجنوبى وكانت أولى رحلاته اليه فى سنة ١٩٢٦ حين استقل طائرة هبطت به هناك ، وتلتهـا رحلة أخرى فى سنة ١٩٢٨ مع الرحالة ويلكنز (الذى قرأ له قراء « الهلال » فى مارس الماضى مقالا عن الرحلات القطبية) ، ثم رحلة ثالثة فيما بين سنتى ١٩٣٣ أو ١٩٣٥ ، وفيها أقام شتاء كاملا على حافة القطب الجنوبى فعاد مقتنعا بان المنطقة القطبية الجنوبية من أغنى مناطق العالم جميعا

يقرر بيرد انه يمكن ان يستخرج من القطب الجنوبى كميات عظيمة من البترول والفحم تكفى الولايات المتحدة الامريكية مدى مائة سنة كاملة . واكثر هذه الخيرات يقع عند الحافة الشمالية للمنطقة الجنوبية ، أى لا تبعد عن رأس «هورن» الذى تنتهى عنده أمريكا الجنوبية باكثر من ستمائة ميل ، فلن يمضى وقت طويل حتى يتوفق الانسان الى استخراجها واستثمارها

واذا كان البترول أهم مادة فى العصر الحالى فقد أسرع « الكونجرس » الامريكى فألف لجنة لاعداد رحلة علمية للكشف عن بترول القطب الجنوبى وتقدير وسائل استخراجه . فالبترول وحده يمون ثلثى حركة النقل فى جميع انحاء الدنيا . والبترول أكبر اسباب النزاع السياسى الناشب بين الدول المختلفة ، حتى يمكن ان يقال ان الحرب الدائرة كفاح فى سبيل البترول . وأغنى دول العالم به هى الولايات المتحدة الامريكية فهى تملك ٥٩ ٪ من كميته العالمية اذ تنتج منه ١٢٣ مليون طن فى كل سنة مقابل ٣ ملايين تنتجها الامبراطورية البريطانية وثلاثمائة ألف تنتجها ألمانيا وثمانية وسبعين ألف تنتجها فرنسا

والعالم حديث العهد بالقطب الجنوبى اذ كانت أول رحلة اليه فى سنة ١٨٩٨ وهى التى قام بها البارون البلجيكى « دى جيرلاش » وبلغت نفقاتها خمسة عشر ألفا من الجنيهات مقابل ألف ألف من الجنيهات خصصت لرحلة الاميرال بيرد الاخيرة . وتعاقبت الرحلات بعد ذلك الى القطب الجنوبى وتنافست فيهـا مختلف دول أوربا وامريكا . فصارت هذه المنطقة القطبية التى تبلغ مساحتها ستة ملايين من الاميال المربعة مجال نزاع بين كثير من الدول التى أخذت كل منها تحدد لنفسها منطقة ما وترفع عليها علمها وتطلب الى الدول الاخرى الا تتعدى حدودها ! وتوجد الآن فى قطبى الارض خمس رحلات مختلفة تسعى كل منها الى بسط لواء دولتها على بقعة من تلك البقاع التى سيكون لهـا فى المستقبل القريب شأن اقتصادى عظيم

قصة الافيون

أصدر الدكتور « روبرت هيل » كتابا اسمه « عاقبة الافيون The Trail of Opium » وروى فى احد فصوله قصة هذا الوباء الوبيل الذى كان العقبة الكبرى فى سبيل نهوض شعوب كبيرة عريقة كالشعب الصينى

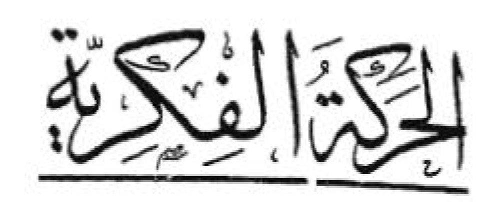
وقد رجع بهذه القصة الى أول أدوارها ، فذكر انه وجدت لوائح أثرية تثبت ان السامريين عرفوا هذه المادة منذ ستة آلاف من السنين ، وانهم كانوا يطلقون على شجرتها اسم « شجرة الفرح » اذ كانوا يلتمسون فيهـا ما يخدرهم ويغيبهم عن حياتهم فترة ما ينسون فيها مشاكلهم أو يتخففون فيها من أعبائهم . وكذلك اتخذه أطباء الشعوب القديمة مخدرا لمرضاهم ينسيهم بعض الاوجاع فى اثناء المرض او اثناء الجراحة ، بدليل ان ابقراط الحكيم (٤٦٠ــ٣٥٧ ق . م .) كان يلح على تلاميـذه الا يكثروا من تخـدير مرضاهم وجرحاهم بالافيون وما ماثله من المواد المخدرة ، اذ كان اول من رأى الخير فى الدواء الطبيعى مثل الحمية فى الطعام والحياة فى الهواء

الطلق وتغير البيئة والمناخ . وكانت شجرة الافيون تزرع فى جميع الاقطار الشرقية ، فتعلق أهلوها بهذه المادة التى كانوا يمتصونها عصيرا يستخلصونه من براعم الشجرة مباشرة ، أو يأكلونها جافة بعد تيبيس هذا العصير وصنعه أقراصا . ثم صار الافيون مادة تجارية رائجة السوق ولا سيما فى الاقطار الاسلامية حيث حرم الدين الخمور ، فانقلب عامة المسلمين وجهلاؤهم الى الافيون يلتمسون فيه الاسكار والتخدير . وكذلك كانت السفن الاسلامية خلال القرنين العاشر والحادى عشر تنقل كميات وافرة من الافيون الى مختلف الاقطار الاوربية حيث كانوا يسمونه « دواء النسيان »

ثم انتقلت تجارة الافيون الى ايدى الملاحين الاوربيين ، فاستأثرت بها سفن « البندقية » دهرا طويلا دام حتى القرن الخامس عشر . ثم خلفهم فيها البرتغاليون حين انتقلت اليهم امارة البحار . ويلاحظ ان تجارة الافيون كانت تتبع دائما الشعب الذى يملك ناصية الملاحة ويتولى سيادة البحار . ولهذا انتقلت بعد ذلك الى الهولنديين عندما انتقلت اليهم امارة البحر ، حتى اذا جاء القرن السابع عشر وانبسط سلطان انجلترا فوق المسالك البحرية العالمية صارت الى تجارها وملاحيها تجارة الافيون التى ـ كما يقول المؤلف ـ « عاونت على كتابة فصل جديد فى تاريخ انجلترا ، لانها كانت عاملا أساسيا فى توجيه السياسة الاستعمارية »

وقد تركزت تجارة الافيون خلال القرنين الماضيين فى الصين التى قاسى شعبها من هذا البلاء ما لم يقاسه شعب سواه . ولا شك فى أن الشعوب الاوربية كانت هى المسئولة عن هذه المأساة التى تعانيها الصين من جراء انتشار الافيون بين ابنائها . فيقول المؤلف انه لما قامت «شركة الهند الشرقية » أخذت تشجع انتاج الافيون فى الهند لتبيعه الى الاهالى نقدا أو مقايضة وتجبى من وراء ذلك الارباح الطائلة ، دون أن يقدر رجالها التبعة الخطيرة التى يلقيها عليهم التاريخ من جراء ذلك الربح الآثم

ثم احتكرت الشركة انتاجه فى سنة ١٧٨١ فزادت كميته زيادة كبيرة اضطرتها الى البحث عن اسواق خارجية ، فاتجهت انظارها الى الصين حيث مئات الملايين تحيا فى ضيق وخمول حياة تدفعها الى الاقبال على الافيون . ومن المؤسف ان اداريا كبيرا مثل « وارين هيستنجس » يقول « ان للحكومة ان تبيح التجارة الخارجية فى الافيون » فيحمل بذلك وزرا كبيرا فى افساد الشعب الصينى وتحطيم قواه البدنية والمعنوية . ومن المؤسف كذلك انه لما حلت شركة الهند فى سنة ١٨٣٤ وتولت الحكومة الانجليزية ادارة أعمالها لم تبطل انتاج الافيون وتصديره الى الصين ، بل ظلت تباشرهما وتشجعهما دون ان تشير الى ذلك « رسميا » وأخيرا نفد صبر حكومة الصين على هذه الحالة ، فاضطرت فى سنة ١٨٣٨ ان تقرر اعدام كل صينى يشترك فى تجارة الافيون أو تهريبه ، واتخذت لتنفيذ هذا القرار ساحة علنية يقطن حولها الاوربيون . ولكن هؤلاء لم يمتنعوا عن تجارتهم المجرمة ، فلم تلبث ان وقعت المناوشات بينهم وبين طوائف الشعب المستنيرة من الطلاب والشباب . وعند ذلك نهض بالمستون فى البرلمان الانجليزى منددا بالتجار الانجليز الذين يزاولون هذه التجارة الآثمة مطالبا الحكومة الا تتعهدهم بشىء من رعايتها أو حمايتها . ولكن لم تلبث ان قامت «حروب الافيون» فهوجمت سفن الانجليز المحملة بكمياته ، واطلق هؤلاء النار على الجماعات الصينية المتظاهرة ، وظل الشعب الصينى فى كفاحه ضد اولئك التجار الآثمين حتى أعلن « جلادستون » امتعاض حزبه من سيرة الحكومة فى هذا الشأن فعقدت هدنة ومحالفة مع الصين فى سنة ١٨٤٢ وبمقتضاها دفعت الصين غرامة حربية قدرها ٤ر٢٠٠ر٠٠٠ من الجنيهات ، وتنازلت عن ميناء هونج كونج الذى يعد الآن قاعدة حربية خطيرة ، وفتحت بعض موانيها الشهيرة للسفن الانجليزية



سلمى لاجرلوف

قلما نجد فى الحياة الادبية ، كما نجد فى الحياة السياسية ، « زعيما » يمثل مجموع الادباء ويقودهم ، ويتزعم الانتاج الادبى ويوجهه . ففى كل أدب راق مدارس ومذاهب شتى ، ولكل أديب ملكته وثقافته وأسلوبه ومنحاه .. ولكن هذه الزعامة الادبية تحققت فى الادب السويدى الذى كان يمثله ويوجهه الوجهة الادبية « سلمى لاجرلوف » التى استوفت حياتها فى اثناء الشهر الماضى عن واحد وثمانين عاما ، بعد ان سادت وقادت الحركة الادبية السويدية اربعين أوخمسين عاما

وقد اجمع الادباء والنقاد على ان ادبها وحده هو الذى يعد أو يسمى « أدبا سويديا » خالصا من شوائب الاجنبى والدخيل . فقصصها التى ترجمت الى زهاء اربعين لغة حققت لها صيتا عالميا واسع النطاق وجمعت حولها افواج المعجبين فى اقطار العالم الاربعة ، وقد ظلت حافظة طابعها القومى الاصيل الذى يتلخص فى تمجيد الارض واعزاز الاسرة والايمان بقوى الطبيعة ، كما يتضح فى أكبر وأهم قصصها « جوستا برلنج ساجا » التى كتبتها فى مطلع شبابها . وكانت «سلمى» تمتاز فضلا عن هذا بالروح «الفيكتورى» كما يقول الانجليز ، ويعنون به روح الاخلاص فى كل كلمة تقال وكل عمل يؤدى ، روح تأدية الواجب مهما اقتضى من بذل وتضحية وفداء ، روح تمجيد الفضائل المقررة الموروثة عن الاسلاف ، أى الروح الذى تشيد به الشعوب ــ كما شيد به الشعب الانجليزى فى اثناء عصر الملكة فيكتوريا ــ أمجادها وقوتها . ولا شك فى أن هذه الاديبة العظيمة قد بثت فى اثناء حياتها الطويلة هذا الروح العظيم فى ضمير الشعب السويدى ، وان كانت شياطين الحرب والسياسة فى هذه الآونة كفيلة بتقويض ما شاده ملائكة الخير والفضيلة فيما مضى !

ولم تمت سلمى لاجرلوف الا بعد حياة مليئة حافلة . بدأتها فى أسرة اضطرها الفقر الى بيع بيتها القديم الذى حافظ عليه الآباء دهرا طويلا ، فحز هذا فى نفسها وكان له أثر عميق ولد فى الفتاة الناشئة حب الوطن وتقديس الوطن ، فظل هذا الشعور الدفين قوة زاخرة تنساب فى ثنايا ما انتجته من قصص واشعار . وبدأت عملها طبيبة تشهد المرضى والموت بعينيها فى كل ساعة فاستقر فى دخيلتها شعور من الحزن والاسى كان يتبدى فى انتاجها جميعا . ولم تركن الى حياة السويد بل طوفت فى كثير من أقاليم العالم فاتسعت آفاق ثقافتها وتفكيرها ، وتبينت كثيرا من خطايا الانسانية ونقائصها ، فعزز هذا كله ملكتها الاصيلة وأعانها على ان تكون اعظم ، وان لم تكن اشهر ، أديبة فى العصر الحديث ، ومكنها من ان تكون أول امرأة تنال جائزة « نوبل » الادبية ففتحت بابها من بعدها لاربع نساء أخريات هن أميرات الادب الاوربى الحديث

وجميل ان نذكر ان ثمة أديبة سويدية أخرى يؤهلها انتاجها الممتاز الى ان تخلف « سلمى » فى مكانتها العالية ، وهى « مجدا رينهارت » التى صورت فى قصتها الوحيدة « الطغيان » الفظائع المروعة التى تقارفها الشركات الاوربية والامريكية فى استغلال خيرات الصين ، وكيف انها تنشر المخدرات والسموم بين الطبقات الدنيا وتحرضها على تناولها وادمانها لتفتك بقوتها

المعنوية فلا تنهض لاسترداد حقوقها أو المطالبة باصلاح شئونها . وكيف تفسد اخلاق اعيانه وموظفيه بالرشوة فيطلقون ايدي هؤلاء الرأسماليين في ابتزاز الشعب وارعاقه ، وكيف تستعين هذه الشركات بحكوماتها القوية على تنفيذ اساليبها الوضيعة وتحقيق مآربها المنكرة في اذلال هذا الشعب الذي تحالف عليه الاعداء من كل جانب

أسرار الدعاية الالمانية

أضيف الى اسلحة الحرب الحديثة سلاح رابع فصارت : الجيش والاسطول والطيران والدعاية . وقد ابتكرت بريطانيا هذا السلاح الجديد في



الدكتور جوبلز وزير الدعاية الالمانية

الحرب الماضية ، فأنشأت ادارة خاصة بالدعاية اسندتها الى لورد نورثكليف ، وأمدتها باقلام جماعة من كتابها وصحفييها البارزين ، منهم المفكر الداعية هـ. ج. ويلز ، ورئيس تحرير التايمز ويكهام ستيد ، فجمعت هذه الدعاية الرأى العام العالمي حول الحلفاء يؤيدهم ويناصرهم ، وعبرت بالشعب الامريكي عرض المحيط ليحارب في صفوفهم دفاعا عن قضيتهم ، ثم ألبت الشعب الالماني على قيصره غليوم وسارت به الى فرساي ليسمع الشروط التى أعدها وأملاها أعداؤه !..

ولكن لم تكد تنقضي الحرب حتى اغفلت بريطانيا ادارة الدعاية اغفالا تاما ، بل اعلنت الحكومة في البرلمان ان الدعاية اداة « غير مشرفة » لم تلجأ اليها في الحرب الا كرها !

ولكن هتلر كان أحذق وأدهى ، فما تولى الحكم حتى انشأ في وقت السلم وزارة كبرى للدعاية أسند أمرها الى الدكتور جوبلز ، وأغدق عليها المال حتى قيل ان ميزانيتها تبلغ الآن عشرين مليونا من الجنيهات ! ولا شك انه كان مصيبا وموفقا في هذا كما يبدو من الكتاب الطريف الذي أصدره أخيرا الكاتب الانجليزي فيرثون ماكنزي تحت عنوان : « هنا يكذب جوبلز » ، فقد عرض فيه الدور الخطير الذي أدته الدعاية الالمانية في ميدان السياسة الدولية طوال السنين الاخيرة التى حطمت فيها دول وأذلت فيها شعوب بشيء واحد هو الدعاية التي يسميها بعضهم حرب الاعصاب ، وعرض فيه كذلك المهمة الكبرى التي تؤديها الدعاية في هذه الحرب التى تتطلب بسط الحجج والاعذار اكتسابا للحلفاء والاعوان ، كما تتطلب تثبيت فؤاد الشعب على الصبر والكفاح وحطم القوى المعنوية في الاعداء بنشر الانباء المثيرة عن اقتصادياتها وحربياتها

ويؤكد المؤلف ان دعاية جوبلز نجحت في ألمانيا نجاحا باهرا ، ولكنها فشلت في خارج حدودها فشلا ذريعا ، ولا يسأل عن هذا الفشل سوى هتلر اذ مرجعه الى ما اتخذه من سياسة نقض المواثيق واخلال المواعيد ، فلم يعد ثمة من يثق بأمره أو يركن الى كلمته

وفي الكتاب فصل خاص بالدعاية الالمانية في العالم الاسلامي ، فيؤكد الكاتب انه اودع في بنك درسدنر بالقاهرة ثلاثون ألفا من الجنيهات لنشر الدعاية في مصر وما جاورها من الاقطار ، وان ادارة المخابرات البريطانية حصلت على صور

فوتغرافية لشيكات دفعتها هيئات الدعاية الالمانية لبعض الشخصيات البارزة فى العالم العربى

نقد الكتب فى الصحف

فرجينيا وولف تحمل عليه وتطلب الغاءه

أكثر الجرائد والمجلات يخصص « عمودا » أو « بابا » لعرض ما يصدر من المؤلفات عرضا يتمشى مع الروح الصحفى السريع . فتذكر اسم الكتاب والمؤلف والناشر ، وتعدد أبواب الكتاب أو تلخص موضوع القصة ، وتقتبس طرفا من المقدمة وتشير الى شىء من المراجع ، وتبدى رأيا عاما فى أسلوبه وعبارته . فهل تخدم الصحافة بذلك الحركة الفكرية أو تسىء اليها ؟

ترى كبيرة الاديبات الانجليزيات فرجينيا وولف أن هذا العرض الصحفى ليس خلوا من أية فائدة فكرية فحسب ، بل انه يؤدى الى اضعاف الحركة الفكرية وتثبيطها . ولهذا تطلب الى الصحف ، فى رسالتها الجديدة التى سمتها « العرض » ان تكف عن عرض الكتب ونقدها ، لتخدم بذلك القراء والكتاب على السواء ؟

لماذا ؟ لان الكتاب الواحد تتناوله بالعرض خمسون أو ستون من الجرائد والمجلات ، فيلقى القارىء أمامه خمسين أو ستين ناقدا يقول بعضهم انه كتاب رائع مجيد ويؤكد بعضهم انه لايساوى شيئا . فيتحير ويتبلبل بين الرأيين اللذين يؤيد كل منهما عشرات الصحف والنقاد ، وتؤدى به هذه الحيرة والبلبلة الى الاعراض عن الكتاب الذى كان من المرجح ان يشتريه ويقرأه لو لم يكن هؤلاء النقاد المتعارضون . وثمة شىء آخر هو أن كثرة الكتب وضيق الصحف جعل عرض الكتب فيها سريعا وجيزا الى حد يرى عنده القارىء الكتب أقل من حقيقتها فيزدريها ويتجافاها ثم تتساءل الكاتبة بعد ذلك تساؤل الانكار : هل وجد أحد من الكتاب فى عرض كتبه كلمة صحح له خطأ أو كملت له نقصا أو دلت على موضع فائدة ما ؟

ولكن من الواضح ان هذه الكاتبة القديرة . التى يرى نقاد الادب ان اسلوبها أصح وأبلغ الاساليب الانجليزية المعاصرة ، تجنت كثيرا على نقاد الادب الصحفيين : فتعارض آراء النقاد صحيح ، ولكن الواقع ان كل قارىء فى الغالب يعتمد على ناقد واحد تبين بالتجربة التوافق بين رأييهما ومزاجيهما فهو يعتمد عليه دون رجوع الى آراء الآخرين ، وهل ثمة من يقرأ جميع ما يصدر من الصحف والمجلات حتى يخشى عليه من تعارض آراء كتابها ونقادها المختلفين ؟ ومع هذا فالمرء عرضة للحيرة والبلبلة فى كل أمر من أمور الحياة . ما دام ثمة صحف شتى متعارضة وثمة كتاب كثيرون متناقضين . وصحيح ان عرض الكتب سريع ووجيز ، ولكنه يهدى القارىء على كل حال وسط هذا الخضم الزاخر من المؤلفات التى تصبها المطابع فى كل ساعة ، ويجب الا ينظر الى عرض الكتب فى الصحف على انه « نقد أدبى كامل » بل هو على الاصح بمثابة اعلان مجانى عن الكتب والكتاب . وقارىء الجريدة فى حاجة الى صفحة ادبية قدر حاجته الى صفحة مالية ، فكما ان هذه تحمل اليه انباء المال مشفوعة بآرائها ونصائحها ، فكذلك تلك تنقل اليه انباء الحركة الفكرية مقرونة بانتقاداتها ونصائحها

التاريخ يفسر الروح الالمانى

دراسات الباحثين الاجتماعيين تؤيدها احداث التاريخ المتتالية تثبت ان الشعب الالمانى يجمع فى آن واحد طرفى النقيض : فهو قد بلغ ارقى مراتب الحضارة بدليل من انجب من الفلاسفة

والعلماء من الشعراء والموسيقيين الذين تقدموا بالانسانية اشواطا فى طريق الحضارة ، وما برح فى الوقت ذاته يضطرم بروح القسوة والعنف والطغيان الذى انحدر اليها غير منقوص ولا مصقول من عصور الهمجية الاولى .. فكيف أمكن ذلك ، كيف أمكن ان تجتمع الحضارة والوحشية فى قلب واحد وذهن واحد ؟

هذا هو السؤال الذى عرض له بالجواب المؤرخ الانجليزى « هيرتشو » فى كتابه الحديث « ألمانيا المعتدية » . وليس فى الكتاب شيء من الحرب والسياسة كما قد يبدو من العنوان ، ولكنه عرض للتاريخ الالمانى مشروح الآثار والنتائج من الوجهة الاجتماعية ، مسوق فى وضوح وبراعة شهدهما قراء « الهلال » فى مقال ترجمناه منذ شهور عن الاستاذ هيرتشو بعنوان « ألمانيا : أشور العصر الحديث »

فالقبائل « التيوتونية » التى تنحدر منها أكثر شعوب أوربا الغربية والشمالية تستوى جميعا فى شهوة الدم ورغبة التخريب ، لا فارق فى ذلك بين أسلاف الانجليز والالمان والفرنسيين الذين عدموا الامبراطورية الرومانية وقوضوا حضارتها المشيدة . ولكن سرعان ما تفرقت بهم طرق التاريخ : فمنها قبائل اتخذت بقايا هذه الحضارة المهدمة واختلطت بالشعوب المقهورة ، وتعاونت معها على انشاء شعوب مستقرة وحضارات جديدة . ومنها قبائل أخذتها العزة بقوتها وغلبتها فأنفت من أن تمتزج بالرومان المندحرين ونفرت من الحضارة الرومانية المنهزمة التى وقفت عند ضفاف الرين . وهذه القبائل هى التى انحدر منها الالمان والايرلنديون فظلوا حافظين لروح الحرب والسطوة ولطابع الغزاة المكافحين ، بينما انحدر الانجليز والفرنسيون من القبائل الاولى التى جنحت الى الحضارة فشذبت اظافرها وصقلت خشونتها

ثم جد عامل آخر زاد الالمان ولوعا بالحرب وتمجيدا للكفاح ، بينما مال بابناء عمومتهم وجوارهم الى ايثار الحياة الهادئة المستقرة فى كنف السلام . هذا العامل هو تأخر الالمان فى تحقيق وحدتهم القومية الى عهد حديث جدا بينما استطاع الانجليز والفرنسيون ان يحققوها منذ خمسة قرون . ذلك ان نظام الملكية عند الالمان لم يكن وراثيا مستقرا كما كان فى انجلترا وفرنسا ، بل كانت ملكيته انتخابية يتنازعها الامراء والاشراف بقوة السلاح ، فظلت الحرب ناشبة بينهم تذكى القسوة وتوقد نار الكفاح . وكان فى ارتباط ملوك ألمانيا بالامبراطورية الرومانية المقدسة ما يشغلهم عن التفرغ لاصلاح شئون رعاياهم وتمكينهم من الاستقرار والتعمير وقد ظلت الحروب قائمة فى ارجاء ألمانيا الى ان تمخضت عن بروز بروسيا وزعامتها ، وقام فيها فردريك الاكبر الذى انهض ألمانيا الى مستوى الدول الكبرى متخذا فى سياسته مبادىء « مكيافلى » بحذافيرها ، فكانت « القوة والخديعة » احدى سلاحيه البتار . وقد جعله نجاحه قدوة يتمثلها أخلافه من ملوك ألمانيا وزعمائها ، فسار على منواله بسمارك وحقق آماله فى توحيد ألمانيا وقهر فرنسا ، واتخذ طريقه هتلر وجماعة النازى عسى ان يبلغوا ما يريدون من سيادة العالم وامتلاك الدنيا . فصار حتما على العالم ان يثبت ان سياسة العنف والخداع لم تعد تليق بالحياة الحديثة الراقية كما لاقت بحياة القبائل البادية المشتتة . والكتاب مؤيد بأقوال المفكرين والسياسيين الالمان التى تثبت انه لم يتجن على الحقيقة ولم يزورها حتى أثبت ان روح الحرب والقسوة الذى دفع القبائل الجرمانية الى تخريب الحضارة الرومانية هو نفس الروح الذى يدفع بألمانيا الحالية الى أن تعيث فى العالم حربا وتدميرا

الكتب الجديدة

صلة الاسلام باصلاح المسيحية

للاستاذ أمين الخولى

(طبع بمطبعة الازهر . صفحاته ٨١)

معالجة مثل هذا الموضوع ليست من هينات الامور . انها تقتضى الباحث النظر فى جوهر الاديان ذاته ، ثم فى تاريخها ، مع الاحاطة بالتاريخ العام والفلسفة ، يضاف الى ذلك المنطق السليم والعرض العلمى المجرد عن الهوى و لتحيز . وفى كل أولئك برز الاستاذ امين الخولى اذ حزم فى تلك الرسالة جهوده العلمية الطويلة فجاءت من أبرع ما قرأنا من الابحاث القصار

وقد لمس الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى فى مقدمته القيمة للرسالة نقطة الارتكاز فى هذا البحث البكر الطريف لمسا علميا رفيعا عندما قال : « فالاستاذ لا يدعى ان الاصلاح المسيحى ثمرة مباشرة للمعارف الاسلامية تفردت تلك المعارف بايجادها ولولاها لما وجد الاصلاح ، بل يصرح بان الاصلاح كان نتيجة لعوامل كثيرة اجتماعية ودينية وغيرها . وغاية الامر ان المعارف الاسلامية كانت تحمل العناصر التى يمكن ان تصاغ منها امنية المصلحين ، وانها جذبت الابصار اليها ووجهت العقول نحوها ، وخلقت مزاجا أعانهم على ما اختاروه »

فهذا الذى بسطه الاستاذ الاكبر يعتبر خلاصة لهذه الرسالة الفريدة . فالاستاذ الخولى يحدثنا اولا كمؤرخ ، ويعرض خروج الاسلام لمواجهة المسيحية على شواطىء البحر الابيض المختلفة ، « فما زال حتى رده بحيرة اسلامية أو تكاد ، فاحتكم فى شواطئه الشرقية والشمالية والجنوبية ، وألقى جرانه غربا بالاندلس ، واستقر فى تلك المواطن أزمنة تختلف طولا وقصرا » . ثم يحدثنا عن الحروب الصليبية ووقوع الاسرى من الجانبين ومختلف ادوار الاتصال المادى والمعنوى بين المسلمين والنصارى ، فاذا فرغ من ذلك — وما هو بقليل ولا يسير — استخلص لنا ما كان للمسلمين والعقل الاسلامى الصريح المبنى على المنطق الواضح من أثر فى الغض من سلطان الكنيسة وتحرير العقل الغربى من جمود القرون الوسطى مما أدى الى الرجوع الى الكتاب المقدس وحده دون آراء المجامع والآباء وتراث التقاليد ، وافضى — على حد قول المؤلف — الى اعطاء كل مسيحى حق تفسير الكتاب . فالرسالة كما ترى شوطها طويل وما تتطلبه من العمق لا يتيح لغير المتمكنين من علمهم الخوض فى ابحاثها

والرسالة بعد مشتقة من بحث ألقيت خلاصته فى مؤتمر تاريخ الاديان الدولى السادس الذى انعقد فى بروكسل من ١٦ الى ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٣٥

رحلة الباخرة « مباحث »

مع بعثة السير جون مورى

للدكتور حسين فوزى

(طبع بدار الطباعة المصرية . صفحاته ١١٨)

ليس جوب البحار بالشىء الجديد فى حياة مصر ، فمصر الفرعونية سادت شرقى البحر الابيض والبحر الاحمر باكمله وتوغلت فى المحيط الهندى وحملت الى تلك الاقطار البعيدة مدنيتها وعادات أهلها . ومصر العربية ثم مصر فى عهود المماليك كان لها فى التجارة الشرقية شأو كبير . والبحارة المصريون من قديم الزمان اشتهروا

بالبراعة وشدة المراس ، يعرف ذلك كل من قرأوا تاريخ البحرية المصرية فى عهودها المختلفة فلما جاء محمد على الكبير نهض بالاسطول المصرى تلك النهضة العظيمة واعاد له مجده القديم

وفى هذا الكتاب الذى وضعه الدكتور حسين فوزى مدير معهد فؤاد الاول للاحياء المائية والمصايد وعضو بعثة مورى العلمية فى رحلة المحيط الهندى يشتم القارىء نسمات البحر المالحة التى تذكرنا بمجدنا القديم وتحيى ما كاد يندثر من سيرة الملاح المصرى . اما هدفه الاصلى والشىء الذى كان جديدا حقا فى نهضتنا الحديثة ، فهو ان مصر اعارت بعثة مورى سفينتها « مباحث » التى عليها درست البعثة اغوار المحيط الهندى وطبيعة صخوره واحياءه المائية ، وان اثنين من ابناء مصر ساهما فى تلك الدراسات العلمية الجليلة الاهمية هما الدكتور حسين فوزى والاستاذ عبد الفتاح محمد المعيد بكلية العلوم .

وقد قدم معالى سابا حبشى بك وزير التجارة والصناعة الكتاب بقوله : « واخيرا يعود العلم المصرى الى بحار الهند ترفعه سفينة صغيرة ضباطها وبحارتها مصريون ، ولا تحمل الى بلاد « البونت » غزاة فاتحين وانما تقل نخبة من الباحثين يذرعون البحار لكشف مجاهل اعماق الماء وتوسيع افق العلم ، ولا تتسلح بالحراب والتروس وانما عدتها شباك الصيد والاجهزة الدقيقة التى ترسم قاع المحيط » . وثمة كسب آخر لمصر هو اطلاق اسم المغفور له الملك فؤاد صاحب الايادى البيض على العلم والعلماء على احدى الهضاب التى اكتشفتها البعثة فى المحيط الهندى ، واطلاق اسم «مباحث» على سلسلة الجبال المغمورة بين شاطىء السند وراس الحد ، واسمى عضوى البعثة المصريين على بعض الاحياء المائية . كل ذلك يدعو الى الاغتباط حقاً، فقد رأينا اليوم الذى تساهم فيه مصر الحديثة بعلمائها فى عمل علمى جليل كدراسة أغوار المحيطات

والكتاب — فضلا عن كونه دراسة علمية من أعمق الدراسات — يمتاز بطرافة معلوماته عن مراحل سفر البعثة ، والاقطار التى زارتها ، والشعوب التى احتكت بها ، والحياة الاجتماعية على ظهر السفينة . وفيه صور طريفة وتقارير مستفيضة عن سلوك البحارة المصريين وما بذلوا من جهود شهد بها اعضاء الرحلة الاجانب وقدرها العالم العلمى ، جهود عبر عنها المؤلف الفاضل بقوله : « لقد أدى المصريون واجبهم نحو رايتهم وبلادهم »

وانا لننصح كل مصرى يريد ان يخدم بلده يوما ما بقراءة هذا السفر النفيس ليرى كيف تكون الجهود العلمية وكيف يكون تواضع العلماء، وليتبين كيف ان الوطنية الصادقة والغيرة العلمية رفعتا اسم مصر ولواء مصر فى العالم العلمى وعلى موج المحيطات

ديوان ماهر

(طبع بمطبعة مصر . صفحاته ١١٤)

الاستاذ رشدى ماهر شاعر عميق الشعور . والقومية المصرية لها فى ديوانه المقام الاول . يشدو بعظمة مصر فتجىء قصائده رصينة قوية . وهو يعالج شتى مواطن القصيد ببراعة فائقة وخيال مركز مخالفا بعض الشعراء الذين تذهب اخيلتهم فى كل واد

ويعجبنا فى شعره القصد فى القول والصدق فى الوصف والتعبير والميل الواضح الى البساطة والبعد عن التعقيد ، فهو من دعاة « السهل الممتنع » ، وشاعريته يألفها القارىء من أول قصيدة يطالعها له

وفى الديوان مقطوعات قصار تنافس المطولات فى الجودة . وقد ضمنها الشاعر نظراته فى الحب والجمال والفلسفة . واليك واحدة منها :

يا رب فيم خلقتنى من طينة
سوداء ثم تريدها بيضاء
وخلقت هذا الجسم من هذا الثرى
وتشاء الا ان يكون ضياء
وجبلت منى الروح وهى من الهوى
وتريدها الا تكون هباء

يارب كيف تريد ما كونت من
وحل يشع طهارة وصفاء
وتريده جسدا يرف قداسة
وتقى وانت ملأته اهواء

الحضارة الاسلامية

فى القرن الرابع الهجرى
نقله الى العربية الاستاذ
محمد عبدالهادى ابو ريده

(طبع بمطبعة لجنة التأليف
والترجمة والنشر ـ صفحاته ٤٥٤)

هو كتاب نفيس نشره المعهد الخليفى للابحاث المغربية . ألفه باللغة الالمانية الاستاذ آدم متز استاذ اللغات الشرقية بجامعة بال بسويسرا ، وترجمه الى الانجليزية أحدعلماء الهند ، وهاهو ذا يترجم الى العربية فيضاف الى تراثنا الادبى سفر جد نفيس

وقد قال الاستاذ احمد امين فى مقدمة الكتاب ان المؤلف « قد أحاط بنواحى الحضارة الاسلامية من سكان ومال وادارة وتجارة وعلم وفن وسياسة واجتماع ، وكشف ببحثه عن نواح غامضة أخذ يعالجها فى صبر وأناة حتى جلاها ، وكانت طريقة معالجته تكاد تقتصر على جمع النصوص الكثيرة المتعلقة بالموضوع من مصادر متعددة ، والاكتفاء بها ، من غير ان يدخل شخصيته وآراءه فى المسائل الا فى القليل النادر » . ويعلل الاستاذ هذا النقص وبعض الغموض الذى يعتور عبارات الكتاب احيانا بأن المؤلف قد عاجلته منيتـه والكتاب فى مسوداته لم يبيضها ولم يضعها فى شكلها الاخير

وقد بذل المترجم الفاضل جهدا كبيرا فى معارضة النصوص المترجمة على اصولها العربية ، وفى البحث عن المخطوطات والكتب التى نقل عنها المؤلف كثيرا من اقواله وذلك بالرجوع الى فهارس المكاتب الاوربية للمطبوعات والمخطوطات فضلا عن تصحيحه لبعض الاخطاء فى النصوص والمراجع . كل ذلك جهدحميد يبشر بالخيرالكثير. فليس أحب الينا من ان تطبع كتبنـا وآثارنا العلمية بالطابع العلمى الدقيق

النظام الاقتصادى فى فلسطين

تأليف الاستاذ سعيد حماده

(طبع بالمطبعة الامريكانية ببيروت ـ صفحاته ٧٩٤)

لجامعة بيروت الامريكية واساتذة جامعةبيروت الامريكية ذكر عطر واياد على العلم لا تمحى . وفى كل يوم نرى لابناء هذا المعهد الجليل ابحاثا فريدة فى مختلف ميادين العلوم والفنون

وهذا الكتاب مؤلف باللغة الانجليزية ثم نقله مؤلفه الى العربية . وهو يبسط امامك شئون فلسطين الاقتصادية بقلم رجل الاقتصاد الضليع فتخرج منه وقد المت بكل شاردة وواردة من ضروب النشاط الاقتصادى لهذا القطر الشقيق. ولا عجب فمؤلفه استاذ الاقتصاد العملى بجامعة بيروت ، وقد عهدت اليه دائرة الابحاث فى العلوم الاجتماعية بالجامعة فى وضعه مع كتابين آخرين فى شئون سوريا ولبنان والعراق ، والغاية من هذه الكتب كما يقول حضرته فى مقدمة كتابه : « ان نقدم الى القراء بحثا عاما شاملا عن النظم والاحوال الاقتصادية فى بلدان الشرق الادنى العربى بما فيها سـكانها ومرافقها الطبيعيـة ومعداتها الرأسمالية ونظمها الزراعية والصناعية والتجارية والمالية »

وقد اجاد الاستاذ الفاضل فى كتـابه كل الاجادة ، وسد بمؤلفه الثمين فراغا كبيرا فى عالم المؤلفات الاقتصادية ، فان الشرق الادنى العربى لا يزال فى مسيس الحاجة الى البحوث الاقتصادية فى شتى مرافقه ، وبخاصة فى تلك الايام التى اتخذت فيها الاقتصاديات المكان الاول فى النشاط الانسانى . ولن تجد الشعوب الشرقية دليلا أوفى ولا مرشدا اشد نفعـا من امثال هـذا البحث الاقتصادى الجليل القائد فى مطالع نهضـتها الاقتصادية بعد فترة النهوض السياسى

نداء المجهول

للاستاذ محمود تيمور

(طبع بمطبعة الاتحاد ببيروت . صفحاته ١٦٠)

« وكانت الجبال الشامخة تحيط بتلك البقعة الوادعة كأنها حراس يخفرونها . والوادى البعيد منبسط امام الفندق بزروعه المختلفة الالوان . وعلى سفح الجبل قطعان الماشية ترعى الحشائش الجافة التى تنبت فى جرأة عجيبة بين الصخور »

فى تلك البقعة السحرية تبدأ هذه القصة العجيبة ــ قصة نداء المجهول ــ ومن الفندق الريفى الصغير على سفح الجبل تنبثق حوادث القصة فى انسجام وسحر ، ويفاجئنا الكاتب بالانجليزية الحسناء التى لما تنطفىء جذوة جمالها والتى سرق قلبها من قبل انسان ، والتى تمور حولها هالة من الغموض السحرى فتندفع النفس الحالمة محاولة اكتناه السر الدفين .. السر المجهول

والقصة كما نعرف عمادها « الحبكة الفنية » ــ او ان شئت فسمها « التصميم الفنى » . ثم يأتى دور التحليل النفسى ، والاسلوب . وفى هذه كلها تتجلى مقدرة الاستاذ تيمور ككاتب قصصى موهوب يعمل فى هدوء وينتج انتاجا هادئا كنسمات الربيع تسرى رخاء فى دعة ولين

والقصة من منشورات دار المكشوف ببيروت

ليالى الملاح التائه

للاستاذ على محمود طه

(طبع بمطبعة شركة فن الطباعة بالقاهرة . صفحاته ١٥٢)

الاستاذ على محمود طه من شعراء مصر المجيدين وديوانه الذى بين ايدينا غنى بالشعور زاخر بالعواطف ، ينثرها الشاعر اشتاتا ، ثم يجمعها بخيوطه الذهبية فتتألف منها القصائد والاغانى والاناشيد . وينتقل بك ما بين مغانى وادى النيل وبحيرات أوربا وشطآنها و « جنادل » البندقية ولياليها الحسان ، ويطالعك بالوجوه السمر والبيض والحسان الغيد فيجود شعره ويحلو ، وله بعد ذلك جولات بارعات فى عالم البطولة كمصرع الربان فى لجج البحار ، وقصائد فى افراح العرش وشتى المناسبات القومية

والديوان ــ بعد ــ طبعة ثانية لديوان الملاح التائه اضاف اليها الاستاذ قصائده الجديدة فاضحت فى ثوبها الجديد ديوانا يجدر بكل محب للجمال ان يقتنيه

كتب اخرى

(رسالتى ، أو انات) كتيب حسن يعرض فيه مؤلفه الاستاذ محمود جبر رسائل وقصائد فى شتى نواحى الحياة . وقد كتبها المؤلف الفاضل باسلوب جيد مؤثر . طبع بمطبعة الاتحاد بصفاغة . صفحاته ٥٩

(الشهب) مقالات وابحاث وطنية بقلم الاستاذ محمد باهر صدقى ، ضمنها المؤلف آراءه فى الحركة الوطنية المصرية بقلم الوطنى المخلص لبلاده . طبع بمطبعة الاعتماد بمصر . صفحاته ٤٠

(مبادىء القراءة الفريدة) كتاب علمى نفيس فى مبادىء القراءة وضعه مؤلفه الاستاذ شريف النشاشيبى مدير مدرسة عكا الثانوية بفلسطين على اسس علمية قويمة وبطريقة تسهل القراءة على الاطفال الناشئين . طبع بمطبعة المعارف بمصر . صفحاته ٧١

(وجيده) قصة اجتماعية قوية بقلم الاستاذ شعبان فهمى اثبت بها ان له مستقبلا حسنا فى عالم القصة المصرية صفحاتها ٢٧٦

(صفاء) قصة عاطفية حسنة الاداء قوية الاسلوب بقلم محمد حسين مصطفى مبروك افندى الطالب بكلية الحقوق ، نرجو ان تكون باكورة اعمال ادبية جيدة لرجل القانون مستقبلا . طبعت بمطبعة الشرق الاسلامية . صفحاتها ٨٠

بين الهلال وقرائه

أين نشأت الأديان الكبرى

(كركوك – العراق) علي عبد الكريم

لماذا انتشرت جميع الديانات من الجزيرة العربية ؟

(الهلال) لم ينشأ في داخل الجزيرة العربية من الاديان الكبرى سوى الدين الاسلامي الذي يدين به ١٣ر٤٠١٪ من البشر في الوقت الحاضر أما المسيحية التي يدين بها ٣٤ ٪ من مجموع سكان العالم فقد نشأت بين بيت المقدس وروما . والكونفوشيوسية ويبلغ معتنقوها ١٨ر٢ ٪ من البشر نشأت في الصين ، والبوذية التي يدين بها ١٢ر٨ ٪ من العالم نشأت في الهند . وكذلك نشأت في بادية الشام الديانة اليهودية التي يقرب عدد معتنقيها من عشرين مليون نسمة

ويمكن ان يقال ان أكثر الديانات الكبرى نشأت في بيئة صحراوية ، وهذه البيئة التي تتيح للانسان أن يتأمل الطبيعة الكبرى ويشرب نفسه روعتها وجلالها ، فينشأ مفطورا على التأمل ، مأخوذا بعظمة الخلق ومقدرة الخالق ، على ان الشرق مهد الحضارات القديمة ، والاديان مظهر من مظاهر الرقي الاجتماعي . ومن هنا سبق الشرق الغرب في ظهور الاديان كما سبقه الى نور الحضارة والعمران

المسيحية والاسلام في اوربا

(كركوك – العراق) ومنه

لماذا انتشرت المسيحية في اوربا أكثر مما انتشر الاسلام فيها ؟

(الهلال) اقتحم المسلمون ابواب اوربا مرتين في التاريخ ، وكادوا يدينون شعوبها لدينهم الاسلام ، لولا اشتغال المسلمين بحروبهم الاهلية، فاضعف ذلك جيوشهم الفاتحة . فحينما عبر المسلمون من افريقية واستوطنوا الاندلس لم يكن ثمة ما يمنع ان ينفذ الدين الاسلامي الى صميم أوربا اقليما بعد اقليم ، غير انهم انهزموا في معركتي تور وبواتييه فأقام المسيحيون حاجزا من جبال البرانس حال دون بلوغ الاسلام الى وسط أوربا وشمالها . وحينما سارت جيوش العثمانيين غربا حتى اخضعت دول البلقان ووقفت على أبواب فينا واتجهت شمالا الى بولندا وروسيا كان من المرجح ان يشمل الاسلام جميع تلك البقاع الفسيحة جيلا بعد جيل ، ولكن العثمانيين لم يوفقوا في حروبهم دائما بل لحقهم الضعف والتفكك ، ولو انتصر الاندلسيون على شارل مارتل ، وكان للعثمانيين سياسة حسنة مستقرة، لزاحم الاسلام المسيحية في مقرها واجتذب اليه كثيرا من شعوب اوربا في الشرق وفي الجنوب، فليس في أصوله وتعاليمه ما يجعله خاصا بشعب دون شعب

أغنى رجل في التاريخ

(طنطا – مصر) صابر السيد جودة

من هو أغنى رجل ظهر في التاريخ ؟

(الهلال) يضرب الناس المثل بقارون في الغنى . وقارون هذا هو ملك الليديين وقد نشبت بينه وبين الفرس حروب ومعارك . فاستقدم منجما لينبئه عن نتيجة حربه مع اعدائه ، وأعطى هذا المنجم هدية هي هرم مكون من ١١٧ قطعة وزن كل منها ٤٠٠٠ رطل وبعضها من الذهب الخالص ، وعلى قمة الهرم أسد من الذهب وزنه ٨٠٠ رطل . ورصع هذا كله بالجواهر والماسات النادرة . وقد قدر هيرودوت صاحب هذه الرواية ثمن الهدية بمبلغ مليونين من الجنيهات !

ولكن مثل هذه التقديرات يؤلف فيها الخيال والاسراف جزءا كبيرا . فان هيرودوت هذا قدر ثروة رمسيس الثالث بمائة الف مليون من الجنيهات . وقال انه شيد حصنا حصينا ليكتنز فيه هذه الاموال العظيمة ! على ان الفراعنة كانوا يملكون ثروات عظيمة ، وان شئت فقل كان فرعون يملك ثروة المملكة كلها . وهذه كنوز توت عنخ أمون تدل على مبلغ الغنى الفاحش الذي بلغه هذا الفرعون

وكذلك كان النبي سليمان عظيم الغنى ، ومن المؤرخين من يقدر دخله السنوى بأربعة ملايين من الجنيهات . وكذلك كانت معاصرته ملكة « سبأ » ذات ثروة طائلة وذات عرش عظيم . وأباطرة الرومان أمثال نيرون وساروانابالوس امتلكوا ثروات تضرب بها الامثال فى جميع العصور . أما الاسرات الغنية التى تتحكم فى ماليات الدول والشعوب فلم تظهر الا فى العصر الحديث عندما اخذت التجارة المالية مكانتها العالية فظهرت أسرات روتشيلد فى اوربا ، وروكفلر ودى بونت فى أمريكا ، وميتسوى فى اليابان

خسائر الحرب الماضية

(الموصل ــ العراق) نور الصبان

ما هى أصح الارقام التى تبين خسارة العالم من الارواح والاملاك فى الحرب الماضية ؟

(الهلال) أصح التقديرات عن خسائر الحرب الكبرى الاولى ــ كما يقولون فى هذه الايام التى قامت فيها الحرب الكبرى الثانية ــ ان العالم خسر فيها ٩٫٠٠٠٫٠٠٠ من الجنود ، منهم ١٫٦١١٫١٠٤ ألمانى ، و ١٫٤٢٧٫٨٠٠ فرنسى و ٩١١٫٠٠٠ نمسوى و ٨٠٧٫٤٥١ انجليزى و ٥٠٧٫١٦٠ ايطالى ــ وان عدد الجرحى والمشوهين وذوى العاهات الدائمة بلغ ٢٠٫٢٩٧٫٥٥١ نسمة ــ وانه تخلف عن هذه الحرب تسعة ملايين من الاطفال اليتامى وخمسة ملايين من النساء الارامل ــ أما الخسائر المادية فتقدر بسبعين الف مليون من الجنيهات خسر المحايدون منها ما يبلغ أربعمائة مليون من الجنيهات !

ولا شك فى ان هذه الحرب ان طالت لتكونن أكثر ضحايا فى الارواح واكثر خسائر فى الاملاك . ويكفى ان تقدر ان بريطانيا كانت تنفق فى اليوم الواحد من ايام الحرب الماضية مليونا من الجنيهات ، أما فى هذه الحرب فتنفق كل يوم ستة ملايين من الجنيهات !

كعبة المنصور

(جنين ــ فلسطين) عبد القادر يوسف

ورد فى الجزء الثانى من كتاب تاريخ آداب اللغة العربية لمنشئ الهلال ما يلى : « كان العباسيون يرون تقديم غير العرب ويودون التخلص من العرب والاستغناء عن جزيرة العرب حتى حبب بعضهم الى المنصور ان يستبدل الكعبة بما يقوم مقامها فى العراق وتكون حجا للناس ، وفعل ولم يفلح »

فعلى أى سند اعتمد المرحوم جورجى زيدان فى ايراد هذه الرواية الغريبة ؟

(الهلال) اعتمد منشئ الهلال على كتاب من أهم وأوثق كتب التاريخ الاسلامى ، وهو تاريخ الطبرى ، فقد ورد فى الجزء التاسع فى صفحة ١٧٩ ما يلى : « ومن هذه السنة (١٤٣ هـ) بنى المنصور لاهل البصرة قبلتهم التى يصلون اليها فى عيدهم بالحمان وولى بناءه سلمة بن سعيد بن جابر وهو يومئذ على الفرات والابلة من قبل أبى جعفر »

وقد عرض الدكتور محمد حسين هيكل باشا فى كتابه « فى منزل الوحى » لهذه الرواية فى سياق حديثه عما حاوله غير واحد من أولى البأس والسلطان فى عصور مختلفة من صرف الناس عن الكعبة فذهبت كل محاولاتهم هباء ، فقال : « ولما اهتم عبد الملك بن مروان بعمارة قبة الصخرة فى جوار المسجد الاقصى وبالغ فى زخرفتها ظن بعضهم انه يفعل ذلك ليصرف أهل مصر والشام الى حج القبة والمسجد الاقصى وذلك اذا تمت الغلبة لابن الزبير فرد الملك الى الحجاز والى أهل بيت

النبى . أما وقد تمت الغلبة لبنى أمية وبقى الناس يحجون البيت العتيق ويولون وجوههم شطره فالمسلمون فى ريب مما نسب الى عبد الملك بن مروان من هذه المقاصد . وهم كذلك فى ريب مما ظنه بعضهم من ان المنصور العباسى بنى القبة الخضراء الى جوار قصر الذهب الذى شاده ببغداد وانه بالغ فى زخرفتها ليولى الناس وجوههم شطرها ، اذ لم يرد فى التاريخ من أعماله ما يؤيد هذا الظن »

الرحالة المسلمون

(بغداد – العراق) سليمان الجنيدى

من هم أشهر الرحالين المسلمين ؟ وما أهم الرحلات التى أدوها ؟ وما أهم المؤلفات التى خلفوها ؟ وهل يمكن الاعتماد على هذه المؤلفات ؟

(الهلال) اشتمل التاريخ الاسلامى على اسماء كثيرين من الجوابين نذكر منهم :

(١) ياقوت الرومى (١١٧٩–١٢٢٩) مؤلف القاموس الجغرافى التاريخى المشهور « معجم البلدان » الذى أتى فيه على وصف كل ما وقعت عليه عيناه فى رحلاته الثلاث الى أرجاء العالم الاسلامى وما جاورها من الاقاليم ، وضمنه كثيرا من تراجم الناس فى اثناء ذكره للبلاد التى ولدوا فيها أو نسبوا اليها

(٢) المسعودى الذى ارتحل الى بلاد فارس سنة ٩١٥ م ثم الى الهند والتبت وجزيرة سرنديب (سيلان) ثم عاد الى الغرب فزار بلاد الروم وسوريا وفلسطين ومصر والسودان ، ووصف جميع هذه الاقطار فى كتابه المشهور « مروج الذهب »

(٣) البيرونى الرياضى الفلكى العظيم ، وكان رحالة جوابا فى سبيل الفلسفة والعلم ، فسافر الى الهند وأقام فيها حينا درس فيها أرضها ومناخها وأهلها ، وكتب فى ذلك كتابا نفيسا هو « تاريخ الهند »

(٤) ابن جبير الذى جاب بلاد المشرق مرتين باحثا منقبا ، وكتب فى ذلك « رحلة ابن جبير » التى تمتاز بطلاوة أسلوبها وجزالة عبارتها كما تمتاز بصدق وصفها ودقة روايتها

(٥) ابن بطوطة (١٣٠٤ – ١٣٧٧) وهو اشهر الرحالة المسلمين فقد قام بثلاث رحلات فطوف فى جميع الاقاليم المعروفة فى أيامه منها مراكش والجزائر وتونس وطرابلس، ومنها مصر والشام والحجاز ، ومنها بلاد العراق والعجم والاناضول ، ومنها اليمن وعمان والبحرين والاحساء ، ثم خراسان وتركستان وافغانستان والهند والصين وسومطرة ، ثم السودان ومجاهل افريقيا الوسطى . وكتابه من امتع واحفل كتب الرحلات ، وقد لا يعيبه سوى شىء من الاسراف والاغراب احيانا يقصد منه الى تشويق القارىء

(٦) وكذلك قام الامير الفارسى ابو الفداء برحلات كثيرة تحدث عما رآه فيها فى مؤلفاته التاريخية والجغرافية النفيسة

ومن الطريف ان نذكر ان أول كتاب اسلامى فى الجغرافية هو كتاب « البلخى » واسمه «صور الاقاليم» وقد كتب فى أول القرن الرابع الهجرى . ووضع فى ذلك الوقت كتاب آخر اسمه «مسالك الممالك » للرحالة الفارسى « الكرخى »

وقد بدأ اهتمام المسلمين بالجغرافية منذ ان ترجموا كتابى بطليموس فى الجغرافية وفى الفلك فكانا أساسا لاكثر ما كتبوه بعد ذلك فى هذين الموضوعين

ولا يمكن الاعتماد على جميع ما ورد فى هذه المؤلفات ، فكثير من الرحالة لم يكونوا سوى تجار أو مغامرين تنقصهم الثقافة العلمية ولا تعنيهم الحقيقة الخالصة ، فكانوا يسوقون الروايات الغريبة ولا يتحققون من كل ما يلقى على اسماعهم ، فجاءت بعض اقوالهم محشوة بالاخطاء التى تبلغ أحيانا درجة السخف ، على انها فى الجملة تمثل مرحلة من أعظم مراحل الجهاد الانسانى التى يجب علينا ان نشيد بها ونذكرها مفاخرين

فهرس الهلال

الجزء السابع من المجلد التاسع والأربعين

الأحتمالات المنتظرة
لامتداد الحرب الأوربية

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

« ان البلاد المهددة تقع الآن فى ثلاثة مواطن ، وهى الشرق الاقصى ، وحوض البحر الابيض ، وحوض الدانوب ، وأبعد هذه المواطن من الخطر فيما يبدو لنا اليوم هو الموطن الذى يؤدى اقتحامه الى دخول الولايات المتحدة ، وتعزيز سلاح الصين ، والخوف من غدرات الشيوعيين ، وهو الشرق الأقصى »

امتدت الحرب فى شهر مايو الى هولندة و بلجيكا ولكسمبرج ، وكانت لامتدادها أسباب متعددة لا يدل سبب واحد منها على ان هتلر يملك وقته واختياره ، أو يستطيع الثبات للحصار المطبق عليه . بل تدل جميع هذه الاسباب على انه فى ضيق شديد من ذلك الحصار ، وانه مدفوع الى الحركة ولو لم يكن على ثقة من العقبى

نعم ان اعتزازه بنجاح السلاح الجوى فى حملة النرويج الجنوبية قد يكون من الاسباب التى سولت له الهجوم على هولندة وبلجيكا راجياً أن يخدر هاتين المملكتين بما رأتا من بوادر نجاحه فى الشمال فلا تقدم احداها على كفاحه والوقوف فى وجهه ، ولا يضطره اجتياحهما الى جهد يعرقل حركاته

ويلحق بهذا السبب تأثير الأزمة الوزارية التى أوشكت أن تشغل لندن وباريس فى أوائل الشهر الماضى ، وقيل فيما قيل أثناء مناقشاتها ومساجلاتها كلام كثير عن قوة الجو عند النازيين وأثر هذه القوة فى الغارة على النرويج . فخطر لهتلر ان بريطانيا العظمى قد ألقت ذراعيها الى جنبيها من الاعياء والندم ، وان الدول الصغيرة لن تعول على نجدتها بعد ما ظهر لها من اعيائها وندمها ، واختلط عليه الامر بين أزمة وزارية فى بلاد نيابية وبين انقلاب حكومى فى بلاد الاستبداد ! فحسب الفرصة سانحة لا يسمح الزمان بمثلها ولا يحسن به أن يفلتها من يديه . نعم ان هذا سبب من الاسباب السريعة التى عجلت بالحملة على هولنده وبلجيكا ولكسمبرج . ولكن لماذا فكر فى الحملة ؟ ولماذا بحث فى أسبابها ودواعيها ؟

أتراه كان يفكر فيها لو كان قادراً على المطاولة واثقاً من عجز الحصار عن التضييق عليه ؟
أتراه كان يفكر فيها لو كان فى سعة من الشرق والشمال كما قال دعاته واعتقد بعض المفترين بالأكاذيب النازية ؟

انه ما كان ليفكر فى الحملة لو لم يكن مدفوعاً اليها بما يخشاه من عواقب الحالة الاقتصادية أو الحالة النفسية فى بلاده ، ولو لم تكن هذه الخشية ضرورة لا تحتمل الارجاء ولا إطالة النظر فى العواقب ؟ ومنها أن ينفتح أمام الحلفاء الباب الذى ودوا لو ينفتح لهم منذ زمن طويل ، ومنها أن يكسب الحلفاء زيادة مليون من الجنود فى صفوفهم ، وزيادة العدد والموارد التى يملكها الهولنديون والبلجيكيون ، ومهما يكن من قوة الدولة فهى خليقة ألا تضيف هذه الزيادة الى قوة خصومها ما لم تكن على اضطرار شديد . أما ان قيل ان احتلال هولندة والبلجيك مقدمة لاحتلال الجزر البريطانية نفسها . فبماذا تكون الغارة على الجزر البريطانية ؟ أبالأسطول الذى ذهب نصفه ؟ أم بالطائرات والمظلات وليست المسألة ألعوبة من ألاعيب الحلقات البهلوانيـة فى ساعات الفراغ ؟ أما الهجوم على فرنسا فلماذا يستعجله ولا يفكر فى إعيائها بالانتظار والتسويف كما تمنيه لو كان فى يده أن يطيل الانتظار ؟ وماذا لو فشل وليس الفشل بمستحيل ! . فالضرورة هى الدافع الأعظم لهـذه الحركات الهوجاء وهى السبب المقدم على جميع الأسباب أو هى السبب الداعى الى التفكير فى الأسباب الاخرى

وعلى هـذا الأساس ينبغى أن ننظر الى ما يلى من مفاجآت الهجوم ، واحتمال الامتداد فى ميادين القتال . فما هى قبل ذلك هذه الميادين ؟

ان الدول التى لا تزال باقية « خارج الميدان » تنقسم الى ثلاثة أقسام :

قسم الدول المطموع فيها كالسويد والمجر ورومانيـا وبلغاريا وسائر الدول البلقانية . وقسم الدول الطامعة فى غيرها أو التى لها مطالب تنتظر الفرصة لاغتنامها ، كالروسيا وايطاليا واليابان . وقسم الدول التى تدخل الحرب اذا دخلتها غيرها ، كالولايات المتحدة وبعض الجمهوريات الامريكية ، وهى تقترب من الحرب كلما اقتربت منها الروسيا واليابان خاصة

والقسم الاول وهو قسم الدول المطموع فيها لا يدخل الحرب باختياره ، ولا يمنعه الآن أن يذهب فريسة المطامع إلا أن الدول الطامعة فيه متنازعة عليه

فألمانيا تود لو هجمت على السويد ، ويمنعها أن الروسيا لا تقبل السيطرة الالمانية على شمال البحر البلطى بعد ما جاهدت فى الحرب الفنلندية جهادها العنيف

والروسيا تود لو هجمت على السويد ، ويمنعها أنها تتوقع ثورة العالم كله عليها إذا وصلت الى الشواطىء الاطلسية ، وربما ثار عليها النازيون فى مقدمة الثائرين . كذلك المجر يطمع فيها الالمان ويتقون غضب الطليان ، وقل مثل ذلك فى معظم بلاد البلقان

فالدول المطموع فيها إذن فى أمان ما دام هذا النزاع قائما عليها بين الطامعين . وسنرى فيما بعد بعض العوامل التى تسيطر على هذا النزاع فتبقيه أو تعدله أو تتجه به الى وجهة أخرى

أما قسم الدول الطامعة فهى لا تهجم على البلاد التى تطمع فيها الا اذا ترجح عندها جانب السلامة والفوز بالغنيمة . فاليابان مثلا تود لو تستولى على المستعمرات الهولندية وعلى أستراليا وجزر الفيليبين . ولكن ماذا تصنع بغدرات الروسيا ولعلها تغدر بالمانيا نفسها ؟ وماذا تصنع بالولايات المتحدة ؟ وماذا تصنع بالحلفاء اذا صارحتهم بالعداء وأطلقت أيديهم في مساعدة الصين بالمال والسلاح وهى بغير هذه المساعدة المكشوفة ترهق اليابان ؟

والروسيا تود لو زحفت على رومانيا والقوقاز . ولكن ماذا تصنع بمخزن البارود فى البلقان ؟ وماذا تصنع بهجوم الجيوش والسفن على البحر الاسود و بالغارات الجوية والبحرية على آبار النفط ومراكز التصدير فى الجنوب ؟ وماذا تصنع بالقوى الكثيرة التى تتألب عليها فى آسيا الغربية وأوربا الجنوبية ، وقد يكون الطليان من هؤلاء المتألبين ؟

وايطاليا تود لو أدركت مطالبها فى الحرب الحاضرة . ولكن ماذا تصنع بالطرق المقفلة فى البحرين الابيض والأحمر ، وبالتجارة المعطلة التى تلقى بها تحت رحمة النازيين ؟ وماذا تصنع بالحلفاء وهم محيطون بها من شتى الجوانب فى القارتين الأوربية والافريقية ؟ وماذا تصنع بألمانيا لو خرجت من الحرب ظافرة أو قادرة على المناجزة ؟

هذه هى العوامل التى تمسك بالميزان من كفتيه ، فما الذى يرجح احدى الكفتين ؟

الذى يرجح إحداها « أولا » أن يشتد ذلك الضغط الذى دفع النازيين الى الغارة على هولندة وبلجيكا فلا يبقى لهم غير أمل واحد وهو أن يخبطوا خبط عشواء ولا يبالوا غضب الحلفاء والأولياء عسى أن يختلط الحابل بالنابل وأن تنساق الدول الى الحرب فجأة بعد الاحجام عنها فيكون منها فريق مع النازيين وفريق عليهم ويصعب الاتفاق على خطة واحدة فى هذا المعترك الجهنمى فينفرج الخناق بعض الشىء عن أكظامهم أو يهلكوا مع غيرهم ما داموا هالكين يائسين

و « ثانياً » أن يتبين التعب على كل من المعسكرين المتقاتلين ، وحينئذ تبدأ المساومة

العملية على أن يقبل الفريقان ما كانا ينكرانه ويعارضان فيه وهما قويان . ومعنى المساومة العملية أن تغير الدولة الطامعة على أقرب البلاد منالا منها ثم تترقب من الفريقين أن يتسابقا الى الاعتراف لها بالغنيمة ، رجاء اكتساب ولائها واتقاء عدائها

و « ثالثاً » أن يغلب أحد الفريقين غلباً مفلجاً يؤذن بالغلبة الحاسمة ، وحينئذ يقترب المتباعدون من الحرب للاجهاز والاقتسام . وقد تقترب الولايات المتحدة فى هذه الحالة لنصر الحلفاء

وخلاصة ما تقدم بين هذه الاحتمالات المتشابكة المتراكبة أن البلاد المهددة تقع الآن فى ثلاثة مواطن ، وهى الشرق الأقصى ، وحوض البحر الأبيض ، وحوض الدانوب

وأبعد هذه المواطن من الخطر فيما يبدو لنا اليوم هو الموطن الذى يؤدى اقتحامه الى دخول الولايات المتحدة وتعزيز سلاح الصين ، والخوف من غدرات الشيوعيين ، ونعنى به الشرق الأقصى . وأقرب منه الى الخطر حوض البحر الأبيض ، لأن الغنيمة فيه على قربها محفوفة بالعواقب الوخيمة التى ترجح جانب الانتظار على جانب الهجوم

وأقرب من هذا وذاك حوض الدانوب ، فقد يتفق الروس والألمان على الهجوم فيه معتقدين أنهم يكرهون إيطاليا على تقرير موقفها السريع بهذا الهجوم المفاجىء

فان لم يتفق الروس والألمان لأن الروس قادرون على الانتظار غير مضطرين إلى العمل العاجل ، فهذا لا يمنع الألمان أن يهجموا فى اتجاه المجر ولا سيما اذا توقفوا أو ارتدوا فى الميادين الغربية . وحجتهم يومئذ أمام ايطاليا وروسيا أنهم مكرهون على العمل هناك ما لم تعجل إحداهما بنجدتهم فى ميدان يشغل الحلفاء ، وهم على كل حال لا يحتاجون الى تلك الحجة لأنهم فى الواقع مكرهون لا يطيقون الصبر الا وهم بين خطر الثورة الداخلية واطباق الأعداء من جميع الأنحاء

ولا نذكر سويسرة هنا لأنها فى وضعها الحاضر امتداد للميدان الغربى مسألته كمسألة التقديم والتأخير فى الموعد الذى يختار للهجوم من بعض المواقع فى ذلك الميدان

ولا يغب عنا بعد كل هذا أن النازيين مغامرون ومضطرون ، وأن المغامرة وحدها كفيلة بالاخلال بكل حساب . وكذلك الاضطرار ولو لم تصحبه المغامرة ، فكيف وهما مجتمعان ؟

١٩٤٠/٥/١٢ عباس محمود العقاد

الدرس الذى تعلمته من الوزارة

للوزراء السابقين :

على الشمسى باشا ، احمد لطفى السيد باشا ، مصطفى عبد الرازق بك

تتوالى الوزارات ويتقلد مناصب الحكم عدد من كبار الرجال المعروفين ، فما هو الدرس الذي استفاده هؤلاء الرجال من الوزارة ؟ . وما هو شعورهم أثناء توليهم لها ، ثم ما هو شعورهم بعد تخليهم عنها ؟ . وكيف ينظرون الى هذا المنصب ! وهل يجب أن يكون من سياسة الاحزاب العمل للوصول اليـه ، وما رأيهم فى تخفيض المرتبات الحالية للوزراء ؟ ؟ ذلك ما أردنا أن نعرضه على قراء هذا العدد من الهلال ، وقد تفضل بالاجابة على هذه الاسئلة حضرات أصحاب السعادة : على الشمسى باشا ، احمد لطفى السيد باشا ، مصطفى بك عبد الرازق

كلمة على الشمسى باشا

« الوزراء فى مصر أنصاف آلهة .. »

لم أكن قبل أن أتولى الوزارة موظفاً فى الحكومة . ولم أختبر تلك التقاليد التى سار عليها الموظفون منذ أمد بعيد . فقد تعلمت فى أوربا وسافرت اليها وأنا فى الخامسة عشرة من عمرى ، ومكثت بها عدة سنوات ، فتأثرت بالعادات الأوربية ، فلما استدعيت لتولى الوزارة كانت عندي مفاجأة ، وشعرت بأننى مقدم على حياة جديدة

وقد اشتركت فى وزارة المرحوم سعد باشا زغلول، ثم فى وزارة المرحوم عدلى باشا الائتلافية ثم فى وزارة المرحوم عبد الخالق ثروت باشا ، ثم فى وزارة رفعة مصطفى النحاس باشا الأولى ، فأتيح لى فى هذه الوزارات كلها أن أختبر الحياة الوزارية ، وأن أستخلص منها العبرة ، وهى : أن حسن التعاون بين الوزير ورجال وزارته يشجع الموظفين على القيام بخدمة البلاد على أحسن وجه ، مادام هذا التعاون قائما على الرغبة والاخلاص ، لا على الهيبة والتملق

ولا يمكن أن تتحقق هذه الحال التى تستفيد منها الأمة الا إذا كان الوزير عادلا بين موظفيه ، لا يقرب فريقاً دون فريق ، ولا يخص طائفة بما يحرم منه الطوائف الأخرى ، بل ينشر المساواة بينهم فى الحقوق والواجبات

ومن حسن الحظ انى توليت وزارة المعارف بعد عدد من الوزراء الذين ساروا على هذه

الخطة ، وأذكر منهم المرحوم أحمد زكى أبو السعود باشا ، فقد خلف وراءه مجهوداً صالحاً ، وروحاً طيبة ، فلم آسف انى سرت على خطته ، واستعنت بها فيما وضعته من برنامج اصلاحي للتعليم . واذا ذكرت هذا الوزير القدير ، فلأنه توفى الى رحمة الله

ولا أخفى عنك أن الوزارة كما تبث فى بعض الأحيان الغرور فى النفس ، تبث أيضاً الخجل فى نفس من لم يتعود مظاهرها الضخمة الموجودة فى بلادنا ، فالوزراء فى مصر أنصاف آلهة ، يحف بهم الخوف والاجلال الرهيب ، بخلاف الحال فى البلاد الغربية التى يختلط فيها الوزراء بأبناء الشعب ، ويقابلون بالاحترام المعتاد الذى لا يشوبه خوف ولا وجل ، ويجلسون فى النوادى وفى بعض البلاد فى المقاهى ، ويدرسون أحوال بلادهم عن كثب

وأذكر انى اعتزمت السفر يوماً الى الاسكندرية فى أوائل عهدى بالوزارة ، فما كدت أدخل المحطة حتى شاهدت صفين من رجال البوليس يستقبلاننى ، وأبصرت عن بعد قروية تحمل ابنها على ذراعها ، وكانت مسافرة فى القطار نفسه ، فما كادت تقرب من مكان هذا الاستقبال حتى زجرها الجنود ، فتأثرت جداً ، وقارنت بين حالتها وهى تدفع أجر سفرها ، وحالتى وأنا أسافر مجانا ويقام لى هذا الاستقبال العظيم ، وقد خجلت حقا من هذا المشهد ، وأسرعت مهرولا ، وكدت أتعثر فى خطواتى ، ولفت ذلك نظر عدلى يكن باشا ، وكنت مسافراً معه فى ذلك اليوم ، فلما وصلت اليه وهو واقف أمام صالون القطار ابتسم ، وقال :

— ما هذا الخجل البادى عليك ؟

فقلت له : « ما تعودت كل هذا . . »

فضحك رحمه الله ، وقال : « لأنك جديد . . ! »

وقد صدق عدلى باشا . فقد شاءت الايام ، وشاءت عدوى الحكم أن أتعود هذه المظاهر ، وهذا الاجلال الرهيب . . !

* * *

أما شعورى بعد ما تخليت عن الوزارة ، فاني لا أقدر أن أصفه ، لأنى خرجت أنا وزملائى من الوزارة الاولى على إثر حادث السردار ، ومن الوزارة الأخيرة على إثر الاقالة فقد أقيلت وزارة النحاس باشا بعد أزمة سياسية ، فاذا كنت شعرت فى ذلك الحين بشيء ، فهو أنه قد خف عنى عبء كبير

وقد أردتم رأيي فى تخفيض المرتبات ، وعندي انه يجب على الحكومة أن تخفض نفقاتها الضخمة ، فان مظهرها لا يتفق وما تعانيه الغالبية العظمى من الشعب من البؤس والفاقة . ومن الغريب أن الطبقتين الغنية والمتوسطة مع سوء أحوالها الاقتصادية تعدان من أكثر الطبقات إسرافا ، فهما تنفقان على الدوام أكثر من دخلهما ، وتهتمان بالأبهة والمظاهر قبل الاهتمام بضرورياتهما . والحكومة صورة مصغرة من حالة الشعب ، فهى تهتم بالمظاهر ، وتنفق عليها بسخاء

فى وقت نحن أحوج فيه الى إصلاحات صحية وعمرانية واجتماعية وانسانية

فاذا شئنا أن نقوم بهذه الاصلاحات كلها فلا بد لنا من تدبير المال ، ولا يمكن هذا التدبير الا إذا خفضت الحكومة نفقاتها الباهظة ، ووضعت سياسة مالية رشيدة تتمشى مع أحوال البلاد

كلمة أحمد لطفى السيد باشا

« الناس لا يغفرون للوزراء أنهم وزراء . . ! »

لا أستطيع أن أعين درساً خاصاً استفدته من الوزارة ، فقد توليتها مرتين ، أو ثلاث مرات ـ إن شئت أن تجعل وزارة محمد محمود باشا بعد تعديلها وزارتين ـ وفى كل هذه المرات كانت الوزارة عندى جزءاً من الحياة ، فهى لا تختلف من حيث التعليم والاستفادة عما يمر بنا كل يوم من تجارب ودروس . وربما كانت تجربة صغيرة أو حادث بسيط من الحوادث اليومية يترك فى النفس أثراً كبيراً يلازمه طول حياته

وأذكر أننى ـ وأنا طالب ـ كنت ذاهباً لأغسل فمى بعد الطعام . وقبل ذلك أشعلت سيجارة ، فالتفت زميل لى وقال : « شرب الدخان قبل غسل الفم مضر » فأخرجت السيجارة ، وغسلت فمى . ومن ذلك اليوم وأنا لا أدخن سيجارة بعد الطعام إلا ذكرت هذه الحادثة . .

على أن الوزارة علمتنى أن الناس لا يغفرون للوزراء أنهم وزراء . فالوزراء يحملون من المسئولية ما تنوء به ظهورهم ، وهى مسئولية تقلقهم آناء الليل وأطراف النهار : ومع أن الوزراء عندنا ليسوا كالوزراء فى الدول الأوربية التى تمر بهم محن دولية ومشكلات سياسية عظمى كمشكلات الحرب ، بيد أن مسئولية الوزارة أشق من كل المسئوليات ، فالوزير يشعر بأنه مسئول عن كل صغيرة وكبيرة من أمور الدولة ، سواء أكان ذلك متعلقاً بالوزارة التى يتولاها ، أم بالوزارات التى يتولاها زملاؤه بحكم أنهم جميعاً متضامنون فى الحكم

فاذا حدثت جريمة من الجرائم الكبرى لا يهتم بها وزير الداخلية وحده . واذا وقعت أزمة مالية لم تقلق وزير المالية فقط . واذا حدثت مشكلة دولية لم يعن بها وزير الخارجية دون زملائه ، بل تعنى بها الوزارة كلها ، وتشغلهم صعوباتها

هذا الى الواجبات الاجتماعية والبرلمانية الملقاة على عاتق الوزراء ، فالناس كما قلت لا يغفرون للوزراء أنهم وزراء ، لذلك فهم مضطرون الى ارضائهم

وكان الوزراء فى الزمن الماضى يحضرون أعراس الكبراء ومآتمهم ومتوسطى الشعب . فقد كانت العادة أن تكتب على بطاقة الدعوة أن حفلة العرس أو التأبين « تحت رعاية الحضرة

الفخيمة الخديوية » فكان الوزراء مضطرين الى حضورها ، ولا يغتفر لهم عدم حضورهم مهما كانت الظروف . وقد تغيرت هذه الحالة الآن ، فصار الوزراء لا يحضرون هذه الحفلات ، ولكنهم أصبحوا مسئولين أمام أعضاء البرلمان مسئولية سياسية ومسئولية اجتماعية أيضاً ، وتضاعفت مسئولياتهم ، فصاروا مرهقين بكثير من الواجبات

فالناس يغبطون الوزراء على مناصبهم ، ولكنهم لو شعروا بما يشعر به الوزير من قلق وهم ومسئولية خطيرة لتضاءلت غبطتهم ، وأشفقوا على الوزراء . وإني أصارحكم أن اليوم الذي اعتزلت فيه الوزارة قد شعرت فيه بحرية ما كنت أشعر بها وأنا وزير ، وأحسست براحة لم أذقها ، وأنا في هذا المنصب الخطير

وقد سألتم : هل يجب أن يكون تولى الوزارة من سياسة الأحزاب ، واجيبكم أن لكل حزب سياسي برنامجاً إصلاحياً يريد تنفيذه ، وأهم أداة لتنفيذ هذا البرنامج هو الحكم ، فليس تولى الوزارة مما يحط باخلاص الأحزاب لأوطانها ، ولا مما يشوه أغراضها السياسية ونواياها الحسنة

أما تخفيض مرتبات الوزراء في مصر ، فليس عملا كبير الفائدة للدولة . على أن هذه المرتبات في رأيي ليست كبيرة بالنسبة لمراكزهم وواجباتهم . وقد رؤي أن ضخامة مرتبات الموظفين ليست من ارتفاع مرتبات الوزراء وأمثالهم ، فهؤلاء طائفة قليلة ، وانما هي من المرتبات التي يأخذها السواد الأعظم من صغار الموظفين . وهي مرتبات صغيرة لا تكاد تفي بحاجتهم ، وإن كانت في مجموعها ضخمة . وليس من السهل تخفيضها إلا إذا قل عدد الموظفين . وكل تخفيض في الوقت الحاضر يؤثر تأثيراً سيئاً في الحالة الاقتصادية في البلاد ، لأن هذه المرتبات تقوم في مصر بدورها في الانعاش الاقتصادي . وهي وإن كانت مأخوذة من الأهالي ، فانها تعود اليهم فيما يحتاج اليه الموظف من حاجات العيش ، ومطالب الحياة

كلمة مصطفى عبد الرازق بك

« لم تغير الوزارة شأناً من شؤوني .. »

تمر بالانسان كل يوم تجارب يستفيد منها سواء أكان وزيراً أم غير وزير . وما أحسب أن الوزارة كانت في حياتي من أظهر دروس التجارب التي استفدتها ، إلا من ناحية واحدة ، وهي ناحية الصلات التي تقوم بين حاكم ومحكوم ، فانني خرجت من عمل الاستاذية بالجامعة ، وهو العمل الذي تكون الصلة فيه بين الاستاذ والطالب على أساس التعاون العقلي ، وعلى نوع من التعاطف يشبه جداً ما بين الآباء والابناء

ولعلى حاولت أن أجعل الصلة بين الرئيس والمرءوس فى الوزارة تشبه هذا النوع الذىأشرت اليه بمقدار ما تحتمله طبيعة الأعمال الوزارية ، وما قامت عليه من تقاليد الزمن الطويل

أماشعورى بتولى الوزارة ، فلا أخفى انه كان فىأول الامر شعوراً بمسئولية عظيمة مفاجئة، تستدعى مجهوداً ضخماً لتحمل تبعاتها على وجه كامل . ولم أكن أتهيب مركز الوزارة ولكننى كنت أخاف ألا تسعدنى قوتى على النهوض بأعبائها ، خصوصاً أنى دخلت الوزارة فى أعقاب عام دراسى تقاضانى مجهوداً مضنياً ، وكنت فى العام الذى قبله لم أجد فى أيام البطالة الجامعية راحة ، لأن أحداثا ألمية صادفتنى فى تلك الأيام ، فعكرت عليّ صفائى

واذا كنت دخلت الوزارة مجهوداً متعباً ، فانى فارقتها عليلا أو شبه عليل لكثرة ما أنفقت من جهد . وأظن أن هذا الوصف المجمل يمثل ما شعرتُ به من راحة حين خرجت من الوزارة

ليس معنى ذلك انى خرجت من عمل الى عطلة ، فان ما استقبلنى من شواغل الحياة بعد خروجى من الحكم لا يقل عما كنت أكابده فيه ، لكن الوزارة وظيفة أيضاً ، وفيها كل ما فى الوظائف من قيود تجعل شواغلها ومتاعبها أقسى مما يلقى الانسان فى الميدان الحر من مشاغل ومتاعب

ولقد كنت منذ دخلت الوزارة أحاول جهدى ألا تكون سبباً فى تغيير أى شأن من شئون حياتى ، حتى لا أشعر حين أتخلى عنها بفارق بين حالتى الاولى والثانية . وأحسبنى وفقت الى ذلك ، فلم يتغير شأن من شئونى ، ولم يعترنى شعور طارىء حين أقبل صباح لم أذهب فى ضحاه الى دواوين الوزراء

وقد سألتم عن سعي الاحزاب الى الوزارة ، وعن تخفيض مرتبات الوزراء

ورأيى أن جهاد الاحزاب السياسية للوصول الى الحكم من طبيعة التنافس الوطنى فى خدمة البلاد ، فكل حزب سياسى يسعى الى تحقيق برنامجه الاصلاحى ، وليس هناك من وسيلة الى ذلك الا اذا تولى الحكم ، أو تولاه طائفة تنفذ هذا البرنامج ، فيقوم بتأييدها . وقد شاهدت مصر منذ حركتها السياسية الأخيرة هذين النوعين

أما تخفيض مرتبات الوزراء ، فقد سبق لوزارة محمد محمود باشا أن خفضتها ، فوفرت من مرتب كل وزير خمسمائة جنيه فى العام ، وكان هذا العمل من الخدمات الوطنية ، ولم يحدث أى اضطراب فى الميزانية ، فاذا أريد تخفيض هذه المرتبات بعد ذلك تعين تخفيض ما يليها من المرتبات الأخرى ، إذ أصبحت الفوارق قليلة بين مرتبات الوزراء الحاليين ومرتبات كبار الموظفين ، ثم بين هؤلاء ومن يلونهم ، وهكذا . فاذا انخفضت هذه المرتبات وجب أن تنخفض المرتبات التى تليها ، أى وجب إعادة النظر فى مرتبات الموظفين الحاليين جميعهم . وأعتقد أن تخفيض مرتباتهم فى هذه الحال يؤدى الى اضطراب فى حياتهم العائلية ، واضطراب فى الحياة الاقتصادية العامة

الرأى العام الأميركى والحرب

بقلم الدكتور أمير بقطر

ما يخشاه الرأى العام الاميركى ـ اوربا لا تفهم اميركا ـ اسراف الحلفاء فى التفاؤل بمساعدة اميركا ـ الحرب البيضاء والحرب السوداء ـ من للحلفاء ومن عليهم ـ ترمومتر الرأى الاميركى العام ـ النتيجة

ان تيار الرأى العام الاميركى يتجه اتجاها قويا نحو الحلفاء ، ويعطف على قضيتهم ، بل قضية الانسانية بأسرها ، الا أن موقف اميركا بازاء الحرب يشوبه التردد والحذر والحيطة • وقد أصبح الرأى العام الاميركى يخشى الحرب والسلم ، ويخشى الهزيمة والنصر ، لاى من الطرفين المتحاربين على السواء • يخشى ان يخذل الحلفاء ، فتكتسح الفاشيزم اميركا ، ويخشى ان تخذل المانيا فتكتسح الشيوعية أوربا الوسطى ومنها تمتد الى اميركا • ويخشى انكسار بريطانيا ، فيجر ذلك الى انهيار التجارة الاميركية • ويخشى انتصار المانيا ، فتستحيل جنوبى اميركا فاشية ، وبعدها الولايات المتحدة

يخاف الرأى العام ان تدخل اميركا الحرب ، فلا تمضى أسابيع حتى تصبح حكومة دكتاتورية ، لا فرق بينها وبين حكومة ايطاليا • ومتى وضعت الحرب أوزارها تزداد الحالة سوءا ، فتدب فى البلاد الفوضى الاقتصادية كما حدث فى ايطاليا سنة ١٩٢٢ ، وفى المانيا سنة ١٩٣٣• يقولون ان الحرب العالمية الكبرى كلفت اميركا ٣٣ الف مليون ريال ، وبلغ ما اقترضته الدولة الاميركية ٢٢ الف مليون ريال ، فاذا ما اشتبكت اميركا فى حرب جديدة، بلغت نفقاتها على الاقل من ٧٥ الى ١٠٠ الف مليون ريال ، وأثقل كاهل البلاد بدين دائم ، ورزح الاهلون تحت سلطة استبدادية لا هوادة فيها ، واقيمت على الارباح الخاصة رقابة لا تعرف رحمة ولا شفقة ، وهبطت أجور العمال وتضاعفت ساعات العمل ، وزادت الضرائب شدة وفداحة

يحس الرأى العام الاميركى بأن نظام الاشراف الجديد « New Deal » الذى لجأ اليه الرئيس روزفلت يشتم منه رائحة الفاشية ، وليس ثمة ما يدنى اميركا من هذا النوع من الحكم سوى الحرب• ومن رجال الاعمال فى اميركا من لا يفرق كثيرا بين الانظمة الدكتاتورية ، ونظام روزفلت المومأ اليه ، حتى ان مجلة اميركية فسرت انظمة الحكم تفسيرا جمع بين الهزل والجد ، فجاء مطابقا للواقع أو كاد • قالت المجلة ان معنى الفاشية

هو ان يكون لاحدهم بقرتان ، فيتكفل باطعامهما ، بشرط ان تستولى الدولة على اللبن . ومعنى النازية هو ان تستولى الدولة على البقرتين وتعدم المالك أو تسجنه اذا قاوم . ومعنى الشيوعية ان تستولى الدولة على البقرتين ، وتعطى المالك قليلا من اللبن متى استطاعت . ومعنى الاشتراكية ان يعطى المالك احدى البقرتين الى جاره . ومعنى نظام روزفلت الجديد ان يعدم المالك احدى البقرتين ، وتدفع له الدولة فى نظير ذلك اعانة مالية (اشارة الى اعانة المزارعين) . اما الرأسمالية فى هذه الحالة فمعناها ان يبيع المالك احدى البقرتين ويشترى بدلا منها عجلا للانتاج

ويخشى الرأى العام الاميركى ان تدخل اميركا الحرب فى جانب الحلفاء فيعاد تمثيل الدور الذى مثل فى الحرب العالمية الكبرى ، على غير ما تهوى اميركا . فقد ظلت فى ذلك الحين عامين ونصف عام متمسكة بالحياد ، وقد ظل الحلفاء فى خلال تلك الفترة يرمونها بألسنة حداد ، ولما أن ألقت دلوها فى الدلاء ، وكتب للحلفاء النصر ، أنكروا فضلها وجحدوا جميلها، وقالوا عنها ما قيل

سوء تفاهم بين الحلفاء والاميركان

قال كاتب أميركى مرة ان الاميركى يحاول أن يتفهم العقلية الانجليزية ، ويريدها ، ولكن قلما يفلح ، أما الانجليزى فلا يفهم العقلية الاميركية بتاتا ، ولا يحاول ، ولا يريد. وهذا القول على غرابته يكاد يصيب كبد الحقيقة ، ويتفق بحرفيته مع الواقع.وفيما يتعلق بالحرب الحاضرة يتصف الانجليز بصفتين لا يستطيع الاميركى فهمهما ، أولاهما النظر الى حالة معينة بمنظار أسود ، وثانيهما التقليل من أهمية ما يحرزون من النصر ، وما هم عليهمن المقدرة والكفاية.مثال ذلك انهم كانوا يتذمرون عندما جزع ابان اتفاقية مونيخ وصرح ان انجلترا ليست مستعدة لمواجهة الطوارىء ، لم تكن بريطانيا بهذا المقدار من الوهن . بيد ان الاميركان ، لجهلهم الخلق الانجليزى ، أخذوا الكلام على علاته ، وهولوا فى قوة ألمانيا الجوية ، ولم يدركوا الا أخيرا ان « الاسد البريطانى له أجنحة لا يعادلها فى القوة مثلها فى أوربا » ، وقد اتضح لهم ان متوسط عمر الطيارة الالمانية العاملة ثلاثون يوما

اعتادت أوربا ، حتى فى القرن العشرين ، أن تتجاهل الحضارة الاميركية ، خصوصا العلمية والادبية منها ، اللهم الا ما كان منها غريبا شاذا ، وما يصلح للهو والتسلية . ونتج عن ذلك أن تأصلت فى الاميركان سياسة العزلة والاكتفاء فى كل شىء حتى المسائل العلمية والادبية. ومما يدل على تأصل هذا الخلق فيهم ان عشرات الالوف من طلبة المدارس الثانوية فى أميركا طلب منهم مرة تعريف بعض المفردات اللغوية ، وكان بينها كلمة «أجنبى» « alien » وقد جاء معظم الاجابات دائرا حول هذا المعنى « الاجنبى هو ذلك الذى يقطن الجانب الخاطىء من أحد المحيطين (١) وبالرغم من عطف الاميركى على ابن

---

(١) « On the wrong side of either of the oceans »

عمه الانجليزى فانه يؤثر الحرص على العزلة فلا الرئيس روزفلت ولا أعضاء «الكونغرس» ولا الطلبة يريدون أن يخوضوا غمار حرب أوربية الا مرغمين • ولعل انتشار جماعات السلام بعد الحرب العالمية قضت على روح المجازفة والفروسية فى الشباب الاميركى.

يضاف الى ذلك ان الاميركان لا يعجبهم ما يكتب عنهم فى الصحف الانجليزية • حقيقة ان « جون بول » أشد عناية بأخبار «العم سام» منه بأى بلد آخر ، غيران أكثر ماتنشره صحف انجلترا عن أميركا ، لا يتناول السياسة أو العلم أو الثقافة ، وانما يكاد ينحصر فى الاجرام، والمسائل الجنسية ، والحوادث الشاذة التى يلهو بها الرعاع ، ويتفكه به غير المفكرين ، ومعنى ذلك ان فضائح هوليوود تسدل حجابا كثيفا على ميدان السياسة فى واشنطون• واذا ما استثنينا جريدتين بريطانيتين ، فان سائر الصحف البريطانية لها مراسلون فى نيويورك لا فى واشنطون• ومن الغريب ان الديلى هرالد الانجليزية ، الذائعة الشهرة ، وجريدة العمال ، لامراسل لهما فى أميركا البتة• ووكالة روتر لا يوجد لها سوى خمسة موظفين فى واشنطون يعنون بالاخبار الجدية ، فى حين ان لها فى نيويورك ٢٣ موظفا لالتقاط الاخبار التى تلعب بعواطف العامة لمجرد اللهو والتسلية • وما يقال عن انجلترا يقال مثله مثنى وثلاث ورباع عن فرنسا ، ففى هذه الاخيرة كلمة أميركى عند رجل الشارع مرادفة لكلمة مضحك أو شاذ أو غريب الاطوار

هذا كله يشوب عطف الرأى العام الاميركى على الحلفاء• ولكن رغم هذا وذاك فان كراهية الدكتاتوريات تجعل الاكثرية تحبذ سياسة روزفلت وميله للتدخل بشىء من الاعتدال والاتزان ، وتشجيع الحلفاء ، وتقدير قواتهم الحربية فوق الحقيقة• وفى هذه النقطة نجد المجال فسيحا لسوء التفاهم أيضا • فالرأى العام الاميركى يريد ان يكون الحلفاء أشد حزما وصرامة وعنفا فى معاملة الالمان والطليان واليابان ، وأن يكونوا أشد خفة وأكثر سرعة فى تقرير المسائل وتنفيذها ، والانقضاض على العدو بالجملة• ولما كانت الصحافة الاميركية تؤثر أن تغذى الرأى العام بما يجب قراءته ، فانها كثيرا ما تنتقد الحلفاء بأقوال لاذعة لما يبدو منهم نحو العدو من البطء والمبالغة فى الحرص على المبادىء الانسانية

هذا من ناحية أميركا ، أما من ناحية انجلترا فان سوء التفاهم فى هذه المسائل يبلغ أقصى حدوده ، فيعجب الانجليز لما يسدده الاميركان نحوهم من سهام النقد ويقولون فى صراحة : « ان أميركا تنتظر من الحلفاء فى خططهم الحربية أن يلجأوا الى وسائل هوليوود السينمائية ، فيهجمون على العدو بجميع وحدات الاسطولين الجوى والبحرى ، وينقضون عليه كالصاعقة مرة واحدة ، وبذلك يزينون للمحايدين منظرا مسرحيا بالغا حد الجمال والابداع ، فيتفرج عليه النظارة بغير مقابل وبغير أن يشتركوا فى التمثيل ولو فى أدوار قليلة الاهمية » • ويحنق الاميركان كلما بدا من الحلفاء أقل ميل لحديث الصلح ، كما حنقوا عليهم للتوقيع على اتفاقية مونيخ لان هذه ومثيلاتها فى نظرهم دليل قاطع على عجز الحلفاء عن الدفاع عن الديمقراطية

المبالغة فى تفاؤل الحلفاء بمساعدة اميركا

يقرأ الحلفاء بين السطور احيانا أكثر مما ينبغى ان يقرأوا ، مبالغة فى التفاؤل بمساعدة اميركا اياهم ، ومن الناحية الاخرى يقول الساسة الاميركان أحيانا أكثر مما ينبغى ان يقولوا ، فتهب فى مكان واحد ووقت واحد ، أهواء متباينة ، ضغطا وحرارة ، ويتكون منها جو صاخب ، شاذ ، مضطرب . فبينما كنا نسمع سفير اميركا فى انكلترا « Kenedy » يهجو الدكتاتوريات فى خطبة القاها فى سكوتلندا ، وسفيرها فى فرنسا « Bullitt » يطعن فى هتلر وموسولينى ، ويتحدث عن الروابط المستحكمة بين اميركا والحلفاء ، اذا بنا نسمع فى ١٠ سبتمبر الماضى روزفلت يصرح للصحفيين بأنه « لا توجد روابط أدبية بين اميركا وديمقراطيات أوربا ، ومن يعتقد غير ذلك يكون مخطئا ١٠٠ ٠/٠ » ومع ذلك كله اندفع الحلفاء نحو فوهة المدفع فى برجتسجادن ، وهم واثقون ان اميركا ستنهض فى الحال لنجدتهم ، وقد عيل صبر صحفى انجليزى مرة فصاح فى وجه زميل له اميركى غاضبا يقول : « يخيل الى ان اميركا لن تمتشق الحسام حتى ترى لندن تشتعل بالنار »

وكلما حدث ما يدل على ان اميركا فى سبيلها الى العزلة ، تجاهلت صحف انجلترا الكبرى المسألة ، وكأنها لم تكن ، فالديلى اكسبرس تقلل من اهميتها ، والديلى هرالد تصرف النظر عنها فى بضعة سطور . أما التيمس اليومية ، والديلى تلغراف ، والديلى ميل فتجاهلها مرة واحدة ، وقد لا يقرأ ما يقوله محرر الابزرفر المحنك اللبق « Garvin » بين السطور الا القلائل ، اما المنشستر جارديان ، ومراسل الصنداى تيمس ، فيقولان الحقيقة . كذلك المجلتان الاسبوعيتان سبكتيتور ، ونيو ستيتسمان ، ولكن قراءهما قليلون

ومن الغريب ان ساسة الانجليز يجهلون الفلسفة الاقتصادية المبنية عليها سياسة العزلة فى اميركا ـ تلك الفلسفة التى ينادى بها أشهر كتاب اميركا الاقتصاديين أمثال ستوارث تشيس (وقد خصصت للقراء فى أول عهدى بمجلة الهلال حديثا عن بعض كتاباته) وجون فلن وجيروم فرنك . وأغرب من ذلك ان كتاب الانجليز يجهلون ان تشارلس بيرد رحالة القطب الجنوبى الشهير من انصار العزلة ، كما يجهل الانجليز فى مصر الكتاب والمفكرين وسائر المشتغلين بكل شىء آخر غير السياسة . وقد قرأنا مرة ان هذا هو السر فى نجاح الانجليز وفشلهم على السواء

أما عن فرنسا ، فقد خطب السفير الاميركى « Bullitt » مرة فى باريس قائلا انه من المستحيل ان يتكهن أحد عما اذا كانت اميركا تخوض غمار الحرب أم تبقى على الحياد ، وفى اليوم التالى ، ظهرت صحف باريس فى عنوانات بارزة ، وكأن السفير أكد بأن اميركا ستخوض غمار الحرب يقينا فى جانب الحلفاء . وقد كانت جميع الصحف فى هذا الخطأ سواء ، وعلى الاخص ليجور والفيجارو والايبوك من صحف اليمين ، وسيسوار والاوفر من صحف اليسار ، والجريدة الشيوعية (الانسانية) التى أغلقت ، والجريدة

الكاثوليكية الطان بريزيان • وقد جارى الكتاب في الخطأ الصحفي الشهير الذي يحرر مقالاته تحت الامضاء المستعار « جاك فرنساليه » مراسل صحيفتي باري سوار وباري ميدي

الحرب البيضاء والحرب السوداء

لاول مرة في تاريخ الحروب يتحدثون عن الحرب البيضاء ، والحرب الشهباء ، والحرب السوداء • فاما الحرب البيضاء فهي حرب «الاعصاب» أي التهديد بالقوة، مع عدم استعمالها، وهذه هي الحرب التي أظهرت فيها المانيا براعة حربية معدومة النظير ، فابتلعت بها النمسا وتشيكوسلوفاكيا والدانيمركة ، بغير ان تهرق في الاستيلاء عليها الدماء • وهي الحرب التي خاضت غمارها ايطاليا في الاستيلاء على البانيا ، وهي الحرب التي يخشى عدد ليس بقليل من الدول المحايدة ان تلجأ اليها روسيا والمانيا وايطاليا واليابان • وهي في الحقيقة ليست حربا بالمعنى المألوف ، ولكنها عدوان القوى على الضعيف ، وسكوت الضعيف لعلمه ان المقاومة عبث لانه « يرى العنقاء تكبر أن تصاد ••• » أما الحرب الشهباء فيقصد بها استعمال القوة لتغذية حرب الاعصاب لا للحرب الفعلية • والحرب السوداء هي تعبئة القوة الحربية بأسرها وتوجيهها لغزو العدو الى أن يسلم أو ينتصر

وهناك لون جديد آخر من الحرب ، يكاد يكون جزءا من الحرب البيضاء أو حرب الاعصاب ، أو تكون هذه جزءا منه ، وهذا اللون الجديد ما أطلق عليه الفرنسيون اسم « الدبلوماسية المسلحة » • ويدرك القارىء مغزى هذه الحرب ، اذا علم ان معظم النجاح الذي لاقته ألمانيا في وسائل السلب والنهب والغزو والفتح والاستهتار بالقانون الدولى ، يعزى الى الوسائل الدبلوماسية ، وحيل ممثليها السياسيين ، وخداع وزير خارجيتها ، ووزير الدعاية فيها ، وما يتبع ذلك من الاتفاقيات التجارية والحربية • وقد جاء اسم « الدبلوماسية المسلحة » خير ما ابتدع من العبارات الحربية الحديثة

وهنا نعود بالقارىء الى الرأى العام الاميركي فنقول ان أكبر مراسليها الصحفيين في الخارج أمثال السيدتين دوروثي طمسون ومكمرك يعطفون بحكم ميولهم الطبيعية ووظائفهم معا على قضية الديمقراطية مع شدة أمانتهم في نقل الاخبار الاوربية الصحيحة الى مواطنيهم • وقد سئل الصحفي البارع ولتر ديورانتي مراسل نيويورك تيمس في روسيا منذ عهد لينين وما قبل ذلك ـ سئل أخيرا عن قوة روسيا الحديثة ، فقال بكل صراحة ، على غير ما يريد الاميركان ان يسمعوا ، ان روسيا أقوى في رجالها ومعداتها مما يتوهم الكثيرون • ويميل ساسة الاميركان اليوم الى الاعتقاد ان اميركا لا يحتمل ان تشتبك في حرب بيضاء ، ويغلب على الظن انها تشتبك في حرب أوربية شهباء ، ولكن لا مندوحة من اشتباكها في حرب اوربية سوداء • وقد كانت هذه الاخيرة غير محتملة الوقوع قبل غزو النرويج ولكسمبورج والاراضي الواطئة ، ولكن شبحها يدنو تدريجيا يوما بعد الآخر

من الحلفاء ومن عليهم

اميركا هى الوحيدة فى بلدان العالم التى تستخدم لقياس الرأى العام أداة علمية تكاد توازى البارومتر والترمومتر دقة ، ولا أعرف ما يقرب من هذه الاداة العلمية سوى كتاب علمي ظهر أخيرا فى انجلترا ولم أقرأه ، واسمه « Planning » اما هذه الأداة التى تفحص الرأى العام الاميركى فى مسائل شتى ، وتقدم للعالم النتيجة مفصلة بالارقام ، فهى معهد جالوب « Gallop Poll » الذى انشىء سنة ١٩٣٥ . وها أنذا أضع أمام القراء بعضا من هذه النتائج التى توصل القارىء الى صميم الموضوع :

فى سنتى ١٩٣٥ و١٩٣٦ كان رأى ١٣٠ مليون اميركى يتلخص فى ان اميركا يجب ان ترفض امتشاق الحسام بالاجماع ، وان نصف الناس يعتقدون انه فى استطاعة اميركا ان تبقى بعيدة عن الحرب ، وان ٧٠ ٪ من الرأى العام يأبى التدخل حربيا أو اقتصاديا فى شئون أمة أخرى لصد عدوان مقيد عليها ، وان ٥٠ ٪ يأبى معاملة المحاربين تجاريا ؛ وان ٤٠ ٪ يميل الى حظر تصدير السلاح

فى سنة ١٩٣٧ أخذ الرأى العام فى التحول قليلا ومال لدراسة الشئون الخارجية ولكن العزلة بلغ الميل اليها حده ، غير ان ٧٠ ٪ اعتقدوا ان اميركا أخطأت فى دخول الحرب الماضية ، و٦٦ ٪ اعتقدوا انه يحسن عدم دخولها فى حرب جديدة . ولام الناس بالاجماع المانيا وتسلحها ، وانضم ٥٥ ٪ من الناس الى انجلترا و١١ ٪ الى فرنسا

وبعد استيلاء هتلر على النمسا صرح ٤٦ ٪ من الرأى العام بأن اميركا لا بد ان تحارب المانيا قريبا ، وأبى ٩٠ ٪ تصديق ما قطعه هتلر على نفسه من الوعد بأن لا مطمع له بعد ذلك

نتيجة هذا البحث

تخشى اميركا الحرب للاسباب التى سبق ذكرها ، وتخشى عجز أمهر السياسيين عن وضع اتفاقية فى نهاية الحرب الحاضرة تضمن السلام العالمى لان اتفاقية أيا كانت لن ترضى جميع الدول بعد هذا التعقد وسوء الحالة التى وصل اليها العالم . ورغم هذا كله فان دخول اميركا الحرب أمر لا بد منه ، وذلك بالقياس فى حالتين :

اولا فى الحرب العالمية الكبرى ، فقد لبثت البلاد تنادى بالعزلة سنتين ونصف سنة حتى اندفعت فيها من حيث لا تدرى

وثانيا فى مسألة تحريم الخمور ، فقد ظل الرأى العام مضادا لالغاء التحريم عدة أعوام ، وظل المفكرون وانصاف المفكرين والسواد الاعظم من الناس عامة يناضلون فى ابقاء التحريم ، حتى اندفعوا مرة واحدة نحو الغائه من حيث لا يعلمون

وهذا هو الخلق الاميركى بعينه

أمير بقطر

نحن الانجليز

بقلم الايرل بلدوين

ان الانجليزى بخير ما ظل قانعا بما اودع الله فيه من كونه انجليزيا • فان حاول ان يكون شيئا آخر أخذت متاعبه فى الظهور

وان من المؤرخين من يذهب الى ان تقليدنا الفردى للفرنسيين هو الذى ذهب بنا ضحية لوليم الفاتح وافضى الى هزيمتنا فى معركة هاستنجس • فليكن ذلك بمثابة التحذير لنا حتى لا نقلد أى شعب آخر تقليدا فرديا • ولنقنع بأنفسنا ولنرض بأن نظل بريطانيين

ولقد خلق الانجليزى للازمات والشدائد • نعم قد يبدو عدم اكترائه بماجريات الامور عندما تسير الحياة الهوينا • بيد انه فى ساعة الشدة جاد رصين

الشعوب الاخرى تنوء تحت اعبائها وهو لا ينوء ولكن يرغى ويزبد • وبذلك يحتفظ بجهازه العصبى سليما قويا • فترى اعصاب الشعوب الاخرى تتحطم فى ساعات الخطوب بينما تقف اعصابه هو للحادثات وتصمد

قد لا يرمى الانجليزى ببصره الى بعيد • وكثيرا ما لا يصيخ الى النصح والتحذير ولا يستعد لحادثات الزمان • ولكنه اذا اعتزم امرا أوغل فيه حتى الممات ، فى بسالة تبلغ حد التهور

وهذه الاخلاق هى التى صنعت الانجليزى الذى نراه،ومكنته من بناء تلك الامبراطورية التى نعرفها

والانجليزى يعرف كيف يواجه النكبات بوجه بسام • وقد أعلن عن موهبته هذه بشكل باهر فى الحرب • ولراسكن كلمته الخالدة برغم كل ما قال فى نقد ابناء جنسه : « ان الضحكة الانجليزية انقى واصدق ما يصب من هذا المعدن • والله وحده يعلم كم يدين الوطن لهذه الضحكة ! » ان فى هذه الكلمة كما عظيما من الصدق • فان الشعب الذى يعرف كيف يضحك ، ينقذه هذا المرح من شرور الحياة وآثامها فى عالمى السياسة والاخلاق

ولن تجد فى شعب من شعوب الارض ما تجد فى الانجليز من الشخصية الفردية • اننا شعب افراد وأمة أخلاق • وان تخليد هذه « الفردية » لامر جوهرى لتخليد النوع والجنس • ان اليوم الذى تصقل فيه هذه النتوء وتفقد تلك الهبة السماوية لهو اليوم الذى نقول فيه على قوتنا السلام

(عن كتاب « انجلترا » للايرل ستانلى بلدوين)

عباقرة الفن

بقلم الاستاذ عبد العزيز البشرى

بمناسبة مقدم شهر ابريل من هذا العام ، أرسلت في (الهلال) مقالا عن الكذب ورذائله ، وآثاره الشنيعة فى حياة الأفراد والجماعات . وألممت (بالكذب الفنى) ، ونظمته فى سلك الفنون الجميلة . وفى غاية المقال رجوت أن أتحدث عن (عباقرة الفن) اذا بسط الله فى عمرى ، وأحياني الى ابريل من العام المقبل ، وبذلك قدرت انى قد أرحت قلمى من حديث الكذب والكذابين حولا كاملا اذا لم يكن هذا الوعد نفسه من احدى كذبات ابريل . على ان (دار الهلال) لم تر لى ولا لقلمى هذه الراحة التى اطمأننت الى الوعد بها ، فسرعان ما اقتضتنى الوفاء بهذا الوعد منجزاً فى الحال . واعتذرت فلم تعذر ، واستقلت فلم تقل ، ولا أدرى لماذا ؟ . وبعد لأى بدا لى أن أفعل ، فقد لا يبسط فى العمر ، وقد يقصر الأجل عن موعد الوفاء ! . اذاً فقد قضى علينا أن نقول اليوم فى (عباقرة الفن) ، ولنقصر القول على بعض من أدركناهم وعشنا فى بعض زمنهم ، رحمة الله عليهم أجمعين

قبل أن نقص ما هيأناه لهذا المقال من القصص ، نعيد ما سبق لنا أن ذكرنا في مثل هذا المقام من أن الكذَبة (الفنيين) ليسوا جميعاً على غرار واحد ، ولا يلزمون موضوعاً مشتركا . بل إن منهم لأخصائيين ، تجرد كل منهم فى مطلب ، وحبس سعيه وجده عليه لا يعدوه الى غيره . أما رأيت الأطباء كيف يتخصصون : هذا للأمراض الباطنة ، أو لأمراض المعدة منها ، أو لأمراض الصدر دون غيرها ، وهذا للاعصاب ، وهذا للجراحة ، وهذا للحنجرة والأنف ، وهذا للعيون الخ الخ . وكذلك (عباقرة الفن) ، منهم من اختصت عبقريته بالحديث فى الطعام . ومنهم من اختص بالبطولة والفروسية فى القتال والصدام . ومنهم من لا يعدل ولهُ النساء عليه وغرامُهن به أىّ غرام ، وهو يضن على الآلاف منهن بالنظرة ، ولا يبرح يضرم فى صدورهن نار الغيرة ، ويذيب كبودهن من شدة الوجد والحسرة . والمسكين وخمسة من سكرتيريه قد استهلك نهارَهم وليلَهم فض الرسائل الغرامية يسطع أريجها ، ويتضوع في الحى والأحياء المجاورة عبيرها ، حتى لو صبت أوعية أكبر (فابريقات) الروائع العطرية فى العالم ، ما فعلت فى الجو فعلها ، ولا نشرت فى الأفق العريض مثل شذاها وطيبها . وهذه الرسائل كلها قد جادها الشغف والولوع ، بالعارض الهتان من سخين الدموع ، حتى اذا فرغ المسكين المرهق بالحاح ربات الحجال ، المضنى بمطاردة

جميع ملكات الجمال ، تراه قد أرخى جفنه ، ورمى بنظرة ساحرة تسلك أعصى الكبود ، وتذيب الحجر الجلمود !

وهناك اخصائيون فى غير هذا وذاك . على أن هذا لا ينفى أن هناك من عباقرة (الفن) من لم يلتزموا موضوعاً ، ولم يتخصصوا فى أمر ، فهم كبعض أطباء الريف المصرى ، يعالجون كل مرض ، ويطببون كل علة . فمن رمد عين ، الى التهاب جلد ، الى شق دمل ، الى تجبير عظم ، الى توليد حامل ، الى انسداد أنف ، الى تمدد كبد ، الى التهاب صدر ، الى وجع بطن ! . فهؤلاء الفنانون العموميون (ان صح هذا التعبير الشائع) يضربون فى كل مجال ، ويأتون فى كل مقام بأبدع المقال . فهم أغنى الناس اذا ذكر الغنى ، وهم أشجعهم اذا دار الحديث فى الشجاعة ، وهم الأجزل مائدة ، والأشهى طعاماً اذا مال القول الى الطعام والدسم ، وما يحدث الكظة ويدعو الى البشم ، وهم أشغل الناس لقلوب النساء اذا جرى ذكر الهوى ، وما تفعل الفرقة والنوى ، وكيف تصنع بالعاشقات تباريح الجوى . فاذا جاء حديث أولياء الأمور وكبار الحكام ، فخذ ما شئت من تهافتهم عليه ، وتبارىهم فى الزلفى اليه ، واستشارتهم برأيه فى المهمات ، واتباعهم لنصحه فى الأحداث الملمات . وهكذا . . .

والعجيب فى أمر هؤلاء جميعاً أنك تجدهم حاضرى الذهن ، حافلى الخاطر ، مستيقظى الذاكرة ، لا يند عنهم كبير ولا صغير ، ولا تنشز عليهم شاردة ولا واردة ، ولا يغيب عن ذاكرتهم شىء مما وقع لهم فى الماضى الطويل ، مهما دق أمره ، وهان قدره . فما يكاد أحدهم يسمع فى المجلس الكلمة يهتف فيها هاتف بتقدم أحد فى باب من هذه الأبواب ، إلا انبرى من فوره يشيد بماله هو من السبق والتقدم ، ويستشهد على هذا بالقصص المسبوكة المحبوكة ، يرويها متدفقاً غير متحبس ولا متوقف ، ولا متلجلج ولا متتعتع ، ولا مستعين بتنحنح ولا بتسعل ، كأنما يصدر حديثه عن المؤنس (موسيقى القرب) ، لشدة اتصاله ، وعدم الشعور بانقطاعه ولو مدة جر النفس !

وكان لى صديق ، رحمة الله عليه ، يتملح بهذا الكذب . وما برح من نشأته يوالى هذا ويدأب عليه ، حتى صار له عادة وجبلة . وكثيراً ما سمعت منه أنه اذا لم يكذب لا يستريح عامة يومه ! . على أن كذبه كان حلواً عذباً يشعر من فوره بأنه كذب

كنت أمشى معه فى صدر إحدى الليالى وقت الغلس ، والجو أدنى الى الظلمة ، وكان وقتئذ طالباً فى إحدى المدارس العليا ، إذ انصب عليه رجل لا أدرى ولا يدرى هو من أين طلع ولا من أين هبط . بادره بطلب دين له عليه . وقبل أن يتم الرجل مسألته ، عاجله صاحبى مقسما على أنه ليس معه الا الريال (مسحة الجزمة) ، فانصرف الرجل عنا وهو يضرب كفاً بكف ! يالطيف ! . . .

واشترى ذات يوم قميصاً وأرانيه ، وجعل يدلنى على جودة قماشه وحسن تفصيله ، فقلت له : بكم اشتريته ؟ قال بجنيه مصرى ! ولكننى رأيت مكتوباً على عنقه : P.T. 50 فقلت له يا أخى -

لقد كتب أن الثمن خمسون قرشاً . فأجاب فوراً : بل هي خمسون (نصف فرنك) !

وسافر فى بعض السنين الى أوربا ليقضى أشهر الصيف ، وسلخ أكثر المدة فى انجلترا ، ثم عاد سالماً ، وجعل يروى ما وقع له من طرائف الحوادث ، وهى كثيرة جداً تثقل العدّ والحساب . وكان أطرفها حقاً أن إحدى نجوم السنما فى لندن (وهى ممثلة ذائعة الشهرة بالجمال والفن معاً) أحبته وكلفت به كلفاً شديداً ، فكانت تقصر عليه كل أوقات فراغها ، تصاحبه فى نزهاته ، وفى غشيانه لدور الملاهى ، وتمضى معه لشهود ما يجتمع لشهوده ، من المعاهد والمعابد والمكتبات ، ونحو ذلك ، حتى لقد تركت قصرها الفخم لتبيت معه فى نزله . فلما آذن الصيف بالادبار طالعها بنية السفر والقفول الى بلاده ، فتعلقت به وجعلت تبكى وتستعبر ، وتنشج أشد النشيج وأوجعه ، وتضرع اليه أن يبقى ، على أن تعوضه مما يخسر من ترك عمله فى مصر عشرات الأضعاف ، وهو يتأبى ويتجنى ، حتى اذا يئست من مقامه ، صممت على ترك عملها فى انجلترا والشخوص الى مصر ، رِجلها مع رِجله !

وما زال بها يدفعها عن هذه النية الخطيرة ، فلا تتقلقل ولا تتحلحل . الى أن خوفها نقض التزامها للشركة التى تعاقدت معها ، وما يلزمها من تعويضات جسيمة . ثم سكنت على أن تلحق به الى مصر بمجرد انتهائها من عملها . وكذلك استطاع أن ينفلت من بين يديها . وكذلك خلا له وجه الطريق الى مصر !

انتظروا ، يا معشر القراء ، فان الرواية لم تتم فصولا

بعد قدومه ببضعة أشهر لقيته ذات يوم فقال : ألم أحدثك حديث ممثلة السنما الانجليزية ؟ فجمعت ذاكرتى ثم قلت : بلى ! قال : لقد ذهبت ليلة أمس فى جماعة من صحبي الى دار سنما (كذا) فاذا صاحبتنا تمثل فى احدى الروايات المعروضة ، وما إن رأتنى حتى انفلتت من موقفها فى الرواية ، وأقبلت نحوى حتى ملأت وحدها وجه الشاشة ، وحجبت كل ما يليها ، وانحنت انحناءة بديعة ، وهى تبتسم ابتسامة أبدع . ثم جمعت أطراف بنانها ، ولثمتها لثمة طويلة ، ثم فرقتها مومئة إلىّ بها ، ما تبالى النظارة ولا أصحاب الدار ، ولا أولياء الشركة فى سبيل الغرام . أرأيت يافلان اخلاصاً كهذا الاخلاص وغراماً كهذا الغرام ؟

فحلفت له بكل مؤثمة من الأيمان بأنه ما كان من يوم أرسل آدم وحواء الى الأرض الى اليوم ، ولا يكون من اليوم الى ساعة ينفخ فى الصور اخلاص يدانى هذا الاخلاص ، ولا غرام يبلغ عشر هذا الغرام ! ! !

ولندخل الآن فى البطولات الاختصاصية (إذا صح هذا التعبير) ، ولنجعل حديثنا الأول منها فى البطولة العسكرية ، فهى الاشكل بحال العالم فى هذه الأيام :

فلان بك ، رحمة الله عليه ، انحدر من ناحيتيه ، من أصل تركى ، أو تركى وشركسى . وكان

أبوه الباشا ممن حكموا فى مصر ، واقتنوا الضياع ، وشيدوا القصور ، وتركوا لورثتهم فوق ذلك ، جلائل الأموال

وحصل صاحبنا من العلم فى أول نشأته مالا أظنه يزيد على ما تلقنه المدارس الابتدائية ، اللهم إلا ما حصله من اللغة التركية ، فلقد كان يحذقها كدأب أمثاله من (أولاد الذوات) فى ذلك العهد ، بحكم بيئتهم ، وكثرة حديثهم بهذه اللغة مع آبائهم ، وأمهاتهم ، وجواريهم ، و (أغواتهم)

وقضى أبوه ، وأزلّ له بالارث ما قضى الشرع من تلك الضياع والبيوت والجوهرات والدنانير . وكان ذلك شيئاً كثيراً (١) . وكان كلفاً شديد الكلف بالدولة التركية ، لا يرى جيشاً أقوى من جيشها ، ولا أسطولا أضخم من أسطولها (وان كان محجوباً عن الانظار الآن) ! ولا سياسة أحكم من سياستها ، أما الحديث فى (المابين) ورجال (المابين) ، والسلطان وما أدراك ما السلطان ، فذلك شيء لا تتطاول الى وصفه الاقلام

شغل هذا ذهنَ الرجل حتى استغرقه ، وملك عليه جميع حواسه واستهلكها استهلاكا ، فلا يحتويه مجلس ، فى داره أو فى دار غيره ، أو فى المقهى ، أو فى قطار السكة الحديد ، الا تحدث فى هذا وأسرف فى وصف ما رأى من عظمة تركيا ، ودهاء ساستها ، وقوة جيشها ، وضخامة أسطولها أيضاً !

ثم بدا له فجمع نحو أربعين غلاما أفرغ عليهم ثيابا عسكرية تركية ، ودعا برجل من أساتذة الموسيق ، فقام على تعليمهم ، وغريبهم فى فنون الموسيق التركية ، وجاءهم بأحسن الآلات ، وزودهم بأكثر ما دون من (النوتات) . وأقام لهم داراً واسعة فى احدى ضياعه ، فاذا أقبل عيد جلوس السلطان أو عيد ميلاده ، أو غير ذلك من المناسبات ، دعا بالموسيق الى القاهرة . فجعلت تطوف عازفة بشوارعها الكبرى ، وهو يتقدمها وعليه الحلة العسكرية التركية . على أنه كان متواضعاً ، فلا يضع على كتفه إلا شارة أمير اللواء (ميرالاى) التى نالها (بكل استحقاق) فى أثناء خدمته فى الجيش العثمانى ، وما أبلى فى حروبه الكثيرة ، بعد تخرجه من المدرسة الحربية هناك ، متفوقا على الاقران فى الامتحان !

وهنا أرجوك ، يا سيدى القارىء ، ألا تكون فضولياً فتسأل : متى كان سعادته فى القسطنطينية ، ومتى انتظم فى المدرسة الحربية ، ومتى غزا وقاتل ، إذ هو لم يغب عن عيون أهل مصر فى يوم من الأيام ؟ لا تكن ، بالله ، فضولياً ، فتوجه الى نفسك أو الى غيرك مثل هذه الأسئلة . وأنت ، على كل حال ، حر فى تقبل الحديث وفى رده ، ولا ضير فى هذا الرد على أحد ، ولله در العامة إذ يقولون فى مثل هذا المقام : (البايرة على بيت أبوها) !

وبعد ، فقد عرفت أن صاحبنا قائد عسكرى من أمهر قادة الجيش التركى ، وما عرض أحد

(١) لقد أضاع الرجل كل هذا ، ولم يبق له ما يساوي درهما واحداً

بين يدى مجلسه لذكر موقعة حربية حديثة ، الا هتف بما أبلى فيها وجاهد ، ونازل وجالد ، وما نصب للعدو من كمين ، وما أوقع بهم من الشمال ومن اليمين

على أن من واجب الانصاف أن نقرر أن الرجل لم يكن قائداً عسكرياً برياً فحسب ، بل لقد كان ، فى بعض الأحيان ، قائداً بحريا من أمهر أمراء البحر ، ولقد أذكر أنه ضمنا به مجلس فى قيام الحرب الكبرى الماضية ، وجرى ذكر الغواصات، وكيف يعصف (تربيدها) بالسفن عصفاً ؟ فقال اسمعوا : لقد كنت أقود ذات يوم طراداً تركياً فى الدردنيل ، فرمته احدى غواصات الحلفاء (بتربيد) فنسف وغرق من فيه فى الحال ، ولم يبق منه الا أنا وترجيلق (الشيشة) يحملنا لوح من الخشب . ولبثنا على هذه الحال اثنتيعشرة ساعة ، حتى أنقذتنا سفينة عابرة ، وكانت (الشيشة) هى ساوتى فى هذه الساعات المهولة !

فقال له خبيث من الحاضرين : ألم تنطفىء (الشيشة) يا فلان بك فى كل هذه المدة ؟ فأجاب من فوره : (ما انا كنت بكركر فيها) !

ومن أروع عبقرياته التى لا تلحق أبداً ، والتى تعز على طول الزمان وتعصى ، اننا كنا فى بعض الأمسية نسمر فى دار قريب له ، وكان معه أكبر أولاده ، وكان ذلك فى أثناء حرب البلقان سنة ١٩١٣ على ما أذكر ، وجعل الحاضرون يهتفون بفضل رؤوف بك قائد الطرادة حميدية ، ويشيدون بجرأته ومهارته ، وفعله الأفاعيل بطرادته ، فقال : ألا تعرفون ان رؤوفا هذا هو ابنى ؟ فلم يتداخلنا شك فى أنه يعنى أنه تلميذه ، تخرج عليه فى المدرسة البحرية ، فلعله كان أستاذاً فيها أيضاً . ومن يدرى ؟ فلما قلنا له فى ذلك ، قال : بل ابنى من صلبى لا تلميذى ، فقال ابنه ، وكانت سنه تبلغ نحو الثامنة عشرة : وهل سبق لك يا أبى أن تزوجت غير (نينتي) ؟ فأجابه فى عنف وغضب : بل هو ابنى من أمك . اخرس بق واخرج من هنا . فتولى الفتى ساكتاً مبهوتا !

وأظن أن هذا أيسر جزاء لمن لا يعرف شقيقه الاكبر !

* * *

رحمه الله ومن مات من رصفائه الأجلاء ، وبسط فى أعمار تلاميذهم من الأحياء ، حتى يبلغ (الفن) على ألسنتهم ما هو مقدور له من القوة والنماء

عبد العزيز البشرى



قصة الامبراطوريات

فى خمسة فصول

تمثل على مرسح الحياة الاوربية فى هذه الآونة مأساة من أروع مآسى التاريخ ـ مآسى قيام الامبراطوريات وسقوطها ـ التى مثلت على مرسح أوربا الحربى مرات متتالية منذ أن تحطمت روما القديمة الى أن انقدت الحرب الراهنة ، واختلفت مشاهدها وتغير ممثلوها فى كل مرة من مرات التمثيل ، دون أن يصيب روح المأساة وقوامها أى تبديل أوتحوير منذ عهد قيصر الى عهد هتلر

تتألف هذه المأساة من خمسة فصول تتعاقب على هذا الترتيب :

الفصل الاول : يبدأ بموجة من النشاط العنيف والثورة العاتية يحسها الشعب أو الامة ، متفجرة غالبا عن عقيدة أوحى بها ملك جديد أو زعيم ناشىء ممن أوتوا قوة السحر والاسر الغامضة ، فيوقد فى قلوب الافراد نار الوطنية ولهيب الآمال . وقد تؤدى هذه الحركة وقتا ما الى زيادة نشاط الشعب وقوة الدولة ، فيجرى على الاداة الحكومية ما يلزمها من اصلاح وتتلافى الامة ما سلف منها من أخطاء

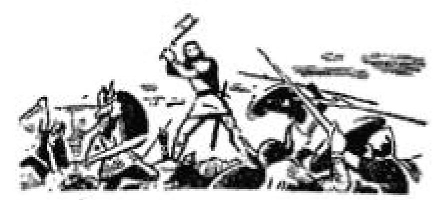
الفصل الثانى : واذ كان من العسير أن يتحقق لهذا الشعب القوى الناهض ما يرجوه



١ ـ نمت جمهورية روما وامتدت أطرافها حتى صارت الامبراطورية الرومانية ، ولكن لم تلبث أن تحطمت وتفتتت تحت الغارات العاتية التى شنتها عليها القبائل المتبربرة ، وخصوصا قبائل الهون تحت امرة الطاغية أتلا ، فى أوائل التاريخ المسيحى



٢ ـ اضطربت شئون أوربا واختلت أمورها منذ سقطت روما ، فانفتحت ابوابها لفرسان الاسلام الذين اقتحموا أسبانيا ونفذوا الى فرنسا ، الى أن صمد لهم شارل مارتل فى معركة تور سنة ٧٣٢ وارجعهم أدراجهم وراء الجبال الاسبانية



٣ ـ أراد ملك الفرنجة شارلمان أن يبعث الامبراطورية الرومانية ، فسير كتائبه شرقا حتى اجتاحت بولندا ، وارسل جيوشه جنوبا فاقتحمت اسوار روما .. ولكن لم يكد يفارق الحياة حتى تمزقت هذه الامبراطورية اربا بين أخلافه ، فاستقل كل منهم بناحية فى أوربا



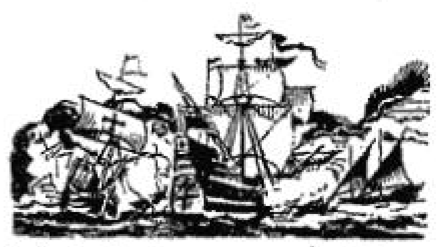
٤ ـ دفع ملوك انجلترا فى القرن الخامس عشر الشعب الانجليزى الى حرب فرنسا وغزوها . فسارت جيوشهم فى أراضيها شوطا اثر شوط، حتى وقفت لهم « جان دارك » فى مقدمة الصفوف الفرنسية عند أورليانز واضطرت الغزاة بعد قليل الى أن يجلوا عن أرض فرنسا

عاجلا من الرخاء الشامل ، فانه لا يلبث أن يضج ويقلق وينهض لمطالبة زعيمة باصلاحات أخرى ومعجزات جديدة. واذ كان هذا الزعيم من ناحية أخرى مسرفافى أطماعه متهورا فى سبيل تحقيقها ، فانه لا يحجم عن توجيه عيون شعبه الجائع الطامح الى ما يجاوره من شعوب وأقطار. فهو يخطب شعبه قائلا : ان أموالهم ومواردهم ستكون ملكا ومتاعا لكم عما قريب ... فهيا نعد العدة لحربهم وقهرهم بالجيوش المؤلفة والاسلحة الوافرة !

الفصل الثالث : يصيرفيه الشعب معتدا بالسلاح ، مكتمل القوى ، بادى الخطر. فيعدو على أضعف الامم التى تجاوره اما بالحرب والغزو واما بالتهديد والاكراه ، وسرعان ما يلتهمها معقبا عليها بأمثالها. فتضخم امبراطوريته الناشئة يوما فيوما وتترامى أطرافها هنا وهناك ، حتى تحس الدول الكبرى التى تجاورها انها بدأت تستهدف لاخطار هذه



٥ ـ اندفعت الكتائب التركية فى صميم أوربا خلال القرن الخامس عشر . واجتاحت الدول ودكت المعاقل حتى وقفت جيوشهم بأبواب فينا . فاجتمعت أوربا عليهم فى حلف واحد تحت امرة القائد البولندى سوبيسكى وردت الاتراك الى مناطقهم



٦ ـ اقامت أسرة هبسبورج امبراطورية عظيمة على دعائم القربى والمصاهرة . ولكن قوة فيليب الثانى امبراطوراسبانيا وحامى الكاثوليكية سرعان ما تحطمت حين تحطم اسطوله «الارمادا» أمام أسطول انجلترا الناشئة فى عهد الملكة اليزابيث

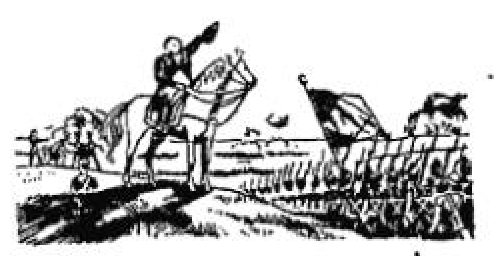
القوى الجارفة ، فلا تجد سبيلا الى اتقاء عدوانها الا أن تتجمع معا فى اتحاد وثيق،والا أن تشيدمن القوى الحربية ما يعصمها مما يتحيفها من الاخطار

الفصل الرابع : هذا هو التمهيد للمأساة القادمة • اذ يلقى زعيم الشعب الطامح نفسه وسط نذر بحرب رهيبة يقيمها عليه أعداؤه الاشداء الحلفاء ، فتأخذه العزة بقواته المشهورة وبحروبه الماضية فينساق الى القتال محنقا مغيظا حيث يستفز أعداءه الى ضربه الضربة القاصمة•وقد يعتريه الخوف فيشفق على نفسه من أخطار هذه الحرب الكبرى ، ولكنه لا يستطيع أن يجنح ويركن الى السلم الا قليلا ثم يلقى ببصره الى الحرب كرها وغصبا • ذلك ان شعبه يعانى حينذاك من الضيق ، بل يتميز من الغيظ ، الى درجة لا يمكن الوقوف عندها آمنا راضيا•فقد رأى الضرائب المفروضة عليه تتضخم ، ومستوى حياته ينخفض ويهوى الى حد الارهاق ، اذ ان نفقات المغامرات الحربية التى قام بها تفوق دائما أرباح الغزوات التى توفق فيها ، كما ان الاحتفاظ بجيش قائم دائم يمتص دماء الحياة الاقتصادية من كيان الشعب فى كل آن•ولا سبيل الى انقاص هذا الجيش الزاخر والا تعرض الزعيم لثورة داخلية يتألب فيها الشعب على حكمه ويأتى فيها على نظامه ، أو تعرضت الامة لحرب من الخارج يثيرها الجيران طلبا للثأر أو صدا لسيل العدوان• وهكذا يقع الشعب أسيرا فى هذه الشبكة المعقدة التى تنصبها له السياسة «الامبراطورية» الجامحة ، ويجب أن يظل الشعب مع هذا هادئا ساكنا مسلما أمره لملكه أو لزعيمه• وليس من وسيلة لتحقيق هذين الجانبين معا الا كسب معارك جديدة وفتح أقاليم أخرى• واذا فها هو يسير الى الحرب مكرها ويجرى الى ساحتها مندفعا

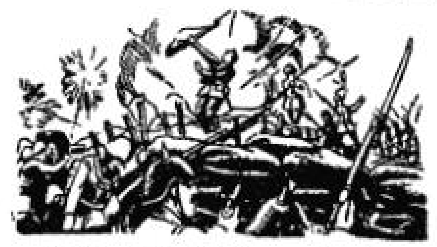
الفصل الخامس : يبدأ هذا الفصل بدوى الحرب وقصف القتال ، فقد شبت الحرب



٧ ــ غزا بطرس الاكبر فى القرن الثامن عشر دول البلطيق وضمها تحت لواء روسيا • وحارب السويد وهزمها فى معركة «بولتافا» وعاشت هذه الامبراطورية ردحا من الزمن ، ولكن لم تنج مما جرى على كل امبراطورية سبقتها من عوامل الاضمحلال

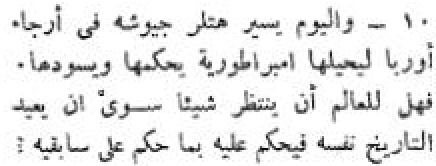


٨ ــ أما نابليون فقد شاد امبراطوريته فيما بين سنتى ١٧٩٩ و ١٨١٠ ، فضمت فيما ضمت ايطاليا والمانيا واسبانيا والاراضى المنخفضة وبولندا • ولكن ولنجتون فى معركة واترلو وضع حدا لحياة هذه الامبراطورية ، فمات نابليون على صخرة نائية فى المحيط



٩ ـ ولم تجد عبر التاريخ شيئا عند غليوم الثاني . فأراد في سنة ١٩١٤ ان يحقق «مصير ألمانيا الامبراطوري » . ولكن الحرب الكبرى الماضية انتهت بعد ان فقدت ألمانيا ما كان لها من أملاك ، ثم تركتها تعاني حتى الآن آثار الهزيمة المنكرة





١٠ ـ واليوم يسير هتلر جيوشه في أرجاء أوربا ليحيلها امبراطورية يحكمها ويسودها. فهل للعالم أن ينتظر شيئا سوى ان يعيد التاريخ نفسه فيحكم عليه بما حكم على سابقيه ؟

التي لن تقف رحاها حتى يستوفي أحد العدوين حياته في خلالها. وهذا العدو غالباهو « الامبراطورية الناشئة » فينتهي أمرها الى الهزيمة والاندحار . واذا توفقت هذه الامبراطورية الى الظهور على عدوها في معارك القتال ، فان أمد انتصارها لا يطول كثيرا اذ سرعان ما تثور في داخلها عوامل الهزيمة والاخفاق ، نتيجة ما يأخذها من الفقر والشدة ومايعتريها من الجمود والاعياء اثر ما أبلت من كفاح عنيف ضد قوى مجمعة أكثر عددا وأشد بأسا وأوفر ثراء . وقد كانت هذه نهاية الامبراطوريات العظيمة التي شادها الاسكندر وقيصر وجنكيزخان برغم ما كسبوا من معارك فاصلة وما فتحوا من أقاليم فسيحة

ويجدر أن نلاحظ انه كلما تقدمنا في سفر التاريخ الى عصرنا هذا زادت دورة الأيام عجلة وقصرا. فكان قيام الامبراطورية وسقوطها في العصور القديمة يستغرق بضعة أجيال بل عدة قرون ، أما اليوم فان سنين قلائل يمكن أن تجمع طرفي الامبراطورية من يوم نشأتها الى يوم اندحارها . فامبراطورية نابليون لم تستغرق منذ أن بدأ فتوحه الى أن شهدهزائمه أكثر من عقدين اثنين. وها نحن نعاصر كفاحا جديدا في سبيل انشاء امبراطورية جديدة ، فهل لا تدلنا شواهد التاريخ المتكررة على ان هتلر يمثل الآن الفصل الخامس من فصول هذه المأساة التاريخية المروعة ، وان هذه الرواية الجديدة لا بد أن تكون أقصر أمدا وأقرب ختاما مما سبقها من روايات ؟

لنتريث قليلا فنعلم مرة أخرى ان التاريخ يعيد نفسه من حين الى حين ، وان الستار الذي أسدل في خلاله مرارا يتأهب لان يسدل مرة أخرى عما قريب !

(مقال بقلم البرت كار في صحيفة « Christian Science Monitor »)

رأى صريح في التعليم الالزامي

بقلم الدكتور زكي مبارك

« اهتمام الحكومة بصب ابناء الشعب فى قالب واحد جهد ضائع ، وهو تبديد للثروة القومية »

حضرة الاستاذ محرر الهلال

أرجو ان يتسع صدر مجلتكم الغراء لكلمة صريحة يوحيها الحرص على سلامة البلاد من الانحراف الذى تصير به الاوهام حقائق فى بعض الاحيان

وهذه الكلمة قد تؤذيني ، لانها تصورني بصورة من يقاوم نشر التعليم بين جميع الطبقات ، وفي ذلك ما يشجع بعض خصومي على مناوشتي بلا ترفق ، باسم الغيرة على المنفعة القومية

وما أقدمه اليكم ليس بجديد الا من حيث التفاصيل ، أما الفكرة فى جوهرها فقديمة عندى ، وقد شرحتها فى بعض المسامرات بنادى المعارف فى بغداد ، ثم شرحتها مرة ثانية فى مدرسة فاروق الاول بين جماعة من اقطاب التربية منهم الاساتذة الاجلاء عبد السلام الكرداني وشفيق غربال وعبد الواحد خلاف

على أني استطيع مصاولة من تحدثه النفس بتزييف الرأى الذى أدعو اليه فى هذا المقال الجرىء : فقد صرح وكيل وزارة المعارف امام مجلس النواب بأن من حق الوزارة ان تقف قليلا لتنظر مبلغ النفع الذى غنمه المجتمع من المضى فى تعميم التعليم ، ومعنى ذلك أن هذه مشكلة قومية تحتاج الى درس عميق ، فمن حقى ومن حق جميع المشتغلين بخدمة الوطن فى الميادين العلمية ، بل من واجبنا جميعا ان نساعد وزارة المعارف على درس ما يحيط بمشكلة التعليم الالزامي فى نزاهة واخلاص

وأسارع فاقرر ان العلم وسيلة لا غاية ، فالعلم لا يراد لذاته الا عند طوائف قليلة من المجتمع ، وهى طوائف أعدتها المقادير لترقية المواهب الانسانية ، ولا تخلو منهم أرض ولا جيل ، وهؤلاء لا يهمنا أمرهم فى هذا المقال ، لانهم لا ينتظرون التوجيه الا من مواهبهم الذاتية

انما يهمنا الكلام عن العلم الذى تفرضه الدولة على جميع الافراد لتحقق لهم أكبر نصيب من النفع ، وأنا أرى ان العلم حين يبذل لجميع الناس قد يصل بهم الى نوع من الترف يضر أكثر مما يفيد

يجب ان يكون مفهوما بصراحة ان الجمهور يتعلم ليعيش ، وتلك هى الغاية الاصيلة من اقبال الجمهور على العلم ، فان تسبب العلم فى تعطيل المعاش فهو أقبح من الجهل ، وهو عبء يبهظ الكواهل بلا نفع ولا غناء

ويجب أيضا ان نفهم ان جهودنا فى تعميم التعليم قد تذهب ادراج الرياح اذا لم تكن استجابة لاشواق وطنية يهتف بها ضمير الشعب كما يهتف بالشوق الى العدل والحرية

فهل يشعر الجمهور المصرى فى أعماق ضميره بانه يجب على كل أب ان يحبس ابنه فى المدرسة الاولية بضع سنين ؟

أفى الحق أن الفلاح الفقير والصانع البائس والعامل الاجير يشعرون بان من الواجب أن تخلو حيواتهم من أطفالهم باسم العلم ليرجعوا الى مساعدتهم على العيش بعد أعوام وقد ذاقوا لذة الترف واللين وفقدوا القدرة على الخشونة المطلوبة لحياة المزارع والمصانع ؟

أفى الحق ان الطفل الذى نروضه على النظافة والاناقة بضع سنين يصلح بعد ذلك لصحبة الفأس والمحراث فى الحقول ، أو يصلح لحمل الاثقال اذا اشتغل عاملا تحت امرة المقاولين ، أو صانعا ينحت الحجر ويصهر الحديد ؟

ضمير الشعب لا يهتف بالدعوة الى تعميم التعليم ، كما يهتف بالدعوة الى الحرية والعدل، وانما نقلت الدعوة الى تعميم التعليم نقلا حرفيا عن بعض الامم الاوربية والامريكية ، فهى بضاعة وردت من وراء البحار ولم يتسامع بها الشعب الا عن طريق الجرائد والمجلات

من السهل ان يقول باحث كالدكتور طه حسين بوجوب تعميم التعليم ، ومن السهل على أمثاله أن يوصوا باعطاء كل فرد نصيبه من العلم لتتحقق المساواة بين جميع الافراد

ولكن هذه الفكرة لا يحسها الشعب ، وهل صدرت هذه الفكرة الا عن رجال لم يكتب لهم الاتصال الا بجمهور واحد هو جمهور المياسير من سكان الحواضر ؟

فى مصر جماهير كثيرة جدا ، وكذلك الحال فى جميع البلاد ، ولا يمكن الطب لادواء هذه الجماهير الا اذا راعينا ان كل جمهور يحتاج الى دواء خاص

فمن اين عرف الداعون الى تعميم التعليم ان ضمير الشعب يوجب ان يحبس جميع الاطفال فى المدارس الاولية بضع سنين ؟ ان ضمير الشعب لا يؤمن بغير مواجهة الحياة فى المزارع والمصانع ليشعر الآباء بأن الابناء يعاونون بسرعة على تحقيق غايات المعاش ، ومن قال بغير ذلك فهو متأنق يسره أن نحتفل بدفن آخر أمى كما احتفلت بذلك بعض أمم الشمال

وسيأتى يوم قريب أو بعيد تنعدم فيه الامية فى مصر ما دامت وزارة المعارف مسئولة أمام الشيوخ والنواب عن ذلك المطلب الظريف ، ولكن ذلك اليوم سيكون من الايام

القاسية فى التاريخ ، لاننا لن نصل اليه الا بعد ان نقوض المجتمع ابشع تقويض

ان التعليم فى مصر وفى كل أرض يغير الاطفال والشبان من حال الى احوال ، التعليم فى جميع الاقطار يمضى بالمتعلمين الى حياة الترف ويوحى اليهم حب المدن وبغض الريف، ولا يمكن لامة ان تعيش فى قوة وحيوية اذا جاز لها أن تروض ابناءها على حب المدن وبغض الريف ، لان الريف هو الذخيرة التى نعتمد عليها فى تكوين الزراع والصناع والجنود ، والريف فى مصر هو أطيب ما نملك لانه عدتنا الاصيلة ولانه الملاذ عند الكوارث

وهل انتفعت فرنسا بتعميم التعليم ؟

ولكن هل عمم التعليم فى فرنسا حتى نضرب بها الامثال ؟

فى فرنسا نحو عشرين فى المئة من الاميين ، ومع ذلك أحست بازمة شديدة فى حياتها الزراعية فهى تعتمد على ناس من ايطاليا وبولونيا لتأمن شر الخراب الذى يهدد المزارع

وقد بدأنا نشعر فى مصر بمثل الازمة التى يعانيها الفرنسيون ، فالريف المصرى فى هذه الاعوام يعانى الكرب من تمدن الفلاحين ، وقد صار من عادة كل فلاح ان يشرب الشاى ويغشى القهوات ويسمع الراديو ، وبذلك صارت الفلاحة عنده أمرا بغيضا لا يقبل عليه غير الاغبياء !

وما رأيكم فى الشبان الذين يتخرجون فى كلية الزراعة وهم يعدون بالمئات أو الالوف؟ كان المظنون ان يكون هؤلاء زراعا نافعين ، فهل حققوا ذلك الظن الجميل ؟

وكيف وهم يتمنون جميعا ان يكونوا موظفين يتذوقون الخمود فى المكاتب والدواوين؟

وانما كان ذلك لان التعليم بطبيعته ينفر من الحياة الزراعية والصناعية ويروض أهله على حياة الترف البغيض

وانما ذكرت المتخرجين فى كلية الزراعة لان علومهم قامت على اساس ترغيبهم فى الحياة الزراعية ، ومع ذلك ظلوا عبيدا للحياة المدنية التى تعرف لذات السهرات ، والتى تأنف من الانس بصحبة المواشى والفؤوس والمحاريث

فكيف تكون مصاير الاطفال الذين تشغلهم بقشور التعليم بضع سنين اذا قهرتهم الحياة على خشونة العيش فى الحقول ؟

نحن نعرف مصاير هؤلاء الاطفال المساكين ، فعهدى بهم يتشهون هجر الريف لتصح لهم المباهاة بانهم من أهل المدنية ولو كلفهم ذلك قبول العيش الخسيس

ان الشخصية الخلقية قد انحطت فى مصر بسبب شيوع التعليم ، فالمتخرج فى مدرسة أولية يرى نفسه من الاشقياء ان عجز أهله عن وصله بالمدارس الابتدائية والثانوية ، والمتخرج فى مدرسة ثانوية يرى نفسه من التعساء ان قصر به الحظ عن دخول احدى الكليات ، وحملة الدرجات العالية لا يرضيهم الا ان يكونوا من كبار الموظفين ، فان لم تصح أحلام أولئك وهؤلاء فالدنيا عبء ثقيل لا خلاص منه الا بالانتحار أو الموت

تلك هى الشخصية الخلقية التى تعانيها مصر فى هذه الايام

فأين عهدنا بالفلاح المؤدب الذى لا يعرف من العلم غير واجباته الدينية والذى يأنس بمواشيه اكثر مما يأنس الحضرى برؤية الغانيات فى المشارب والمراقص ؟

وأين عهدنا بالمتعلم الصادق الذى يرى الانس كل الانس فى صحبة القلم والكتاب ؟

قولوا كلمة الحق مرة واحدة يا بنى آدم من أهل هذه البلاد ؟

هل تشعرون حقيقة بان دنياكم تعرف شيئا من اعتدال الموازين ؟

هل بقيت البشاشة فى الريف كما كانت لعهد الآباء والاجداد ؟

وهل بقيت الرغبة الصحيحة فى طلب العلم كما كانت الى عهد قريب ؟

وكيف تكون الرغبة فى العلم ونحن نسوق اليه من يرغب ومن لا يرغب بلا تفرقة بين الاذكياء والاغبياء ؟

وعمن أخذنا هذه البدعة وهى بعيدة كل البعد عن الفطرة ؟

أفى الحق ان الدنيا لا تعمر الا اذا صار أهلها جميعا من العلماء ؟

سأمضى الى آخر الشوط لامزق أوهام بعض الناس اشنع تمزيق

يقال اننا نعلم الشعب كله ليساير الحياة الادبية والعلمية والفنية

آمنت وصدقت

ولكن ما رأيكم اذا قلت ان المتعلمين عندنا لم يقيموا الدليل على انهم أهل لذلك الظن الجميل ؟

فى مصر من الموظفين والمعلمين والمحامين والمهندسين والاطباء ما يقرب من ثلثمائة ألف فأين يقع هؤلاء مما تريدون فى مسايرة الحياة الادبية والعلمية والفنية ؟

وما هو الكتاب الذى استطاع صاحبه ان يبيع منه ألفى نسخة فى العام الواحد لهذه المئات من الالوف ولو بلغ ذلك الكتاب من الجودة ما بلغ ؟

فى الازهر وحده سبعمائة مدرس ، فكم عدد الطبعات التى ظهرت من « رسالة التوحيد» للشيخ محمد عبده وهى فى موضوع يتحمس لدرسه الازهريون أجمعون ؟

وكلية الحقوق تخرج فيها مئات وألوف ، فكم عدد الطبعات التى ظهرت من « شرح القانون المدنى » للمرحوم فتحى زغلول ؟

وقد ارتجت مصر لوفاة مصطفى كامل منذ نحو ثلاثين سنة ، ومع ذلك لم تنفد طبعة الكتاب الذى ألفه شقيقه على فهمى كامل فى ترجمته ، فقد وجدته معروضا للبيع فى احدى مكاتب الاسكندرية ، وكان يجب أن يطبع فى العام عدة مرات لو كان المتعلمون يقرأون

والى أين صارت خطب سعد زغلول ؟ هل طبعت غير مرة واحدة ؟

وأين كتاب « المرأة الجديدة » الذى ألفه قاسم أمين ؟

قولوا الحق ، أيها الناس !

قولوا ان تعميم التعليم لم يصل بكم الى الغرض المنشود لانه لم يصدر عن حاجة

أحسها الشعب ، وانما هو تقليد فى تقليد

وما الموجب لتعذيب أبناء الامة فى المدارس اذا صح انهم لا ينتفعون بالتعلم وهو توجيه الى مسايرة الحياة الادبية والعلمية والفنية ؟

نحن نتعسف ونتكلف

نحن نريد ان يقال اننا على رأس الامم العربية فى العلوم والآداب والفنون

ونحن بالفعل فى مقدمة الامم العربية ، ولكننا لم نصل الى هذه الغاية النبيلة بتعميم التعليم ، وانما وصلنا بفضل جهود الافراد الذين هدتهم مواهبهم الى التمكن والتفوق

فمصر اليوم زعيمة الامم العربية بفضل خمسين أو ستين رجلا برعوا فى العلوم والآداب والفنون ، وهم فى الاغلب من الذين بنوا مواهبهم بأيديهم ولم يكن للحكومة عليهم فضل، وهل تستطيع الحكومة خلق العلماء وفى موظفيها الكبار من يبخل على نفسه بكتاب ثمنه خمسة قروش ؟

الرأى كل الرأى ان نرجع الى الفطرة فنترك الفلاحين فى حقولهم ، والصانعين فى مصانعهم ، ونترك حياة العلم لاهل الرغبة والشوق من الذين أعدتهم المقادير للتسلح بأسلحة التعليم والتثقيف

السياسة الحق هى فى التوازن الصحيح ، ولا يتم التوازن الا يوم يكون فى الحياة فاضل ومفضول وراجح ومرجوح ، فكل دعوة الى المساواة بين الحظوظ العلمية لن يكون لها نصيب غير الاندحار لانها خروج على الفطرة والطبع

من واجب الحكومة ان تعلم أبناء الشعب جميعا ، ولكن كيف ؟

تعلمهم فى مناطقهم بحسب ما توحى به ظروف العيش ، فيكون لسكان الشواطىء علوم، ولسكان القرى علوم ، ولسكان المدن علوم ، وقد يتم ذلك وهم أميون لا يقرأون ولايكتبون

اما اهتمام الحكومة بصب ابناء الشعب فى قالب واحد فهو جهد ضائع ، وهو تبديد للثروة القومية ، ثروة السواعد الشداد التى يمحقها الترف واللين ، وهما غاية التعليم المبذول فى هذه الايام

اما بعد فهذه كلمة صريحة ، وهى وصيتى الى أمتى ، فان نشرها محرر الهلال فذلك واجبه فى تأييد من يهتف بكلمة الحق ، وان طواها فله عذر مقبول هو مسايرة المجتمع ، ولكن الى متى نترك المجتمع فريسة للاوهام والاضاليل ؟

نحن الذين ضللنا المجتمع حين أوهمناه ان المواطن الكامل هو الذى يقرأ ويكتب ليتابع أخبار لندن وروما وباريس وبرلين ، فلنقل مرة واحدة ان الرجل قد يكون مواطنا كاملا وهو لا يعرف غير ما تقع عليه عيناه من دخان المصانع وغبار الحقول

ايها الجهلة من الزراع والصناع والجنود ، انتم عماد الوطن وبفضل جهلكم يعيش العلماء

زكى مبارك

مطالعات فى الكتب

التوسع الالماني في جنوب اوربا الشرقى

بقلم الدكتور ف . بورخناو

لا شك ان ألمانيا شديدة الاهتمام بجنوب أوربا الشرقى • ولكن يجب أن تعرف أولا ان الامبراطورية الالمانية الجديدة لا تحد مطامعها بحدود معينة ، ولا توجهها وجهة خاصة فخطرها يمتد الى سائر الجهات • انما يمكننا أن نقول بشىء من التبسط انها تجعل حدودها مبدأ لكل توسع جديد ، وهى فى ذلك تخالف توسع الامبراطوريات الاسبانية والبرتغالية والهولندية والبريطانية والفرنسية والايطالية • نعم انها تطمع فى ميراث بريطانيا وفرنسا فيما وراء البحار • بيد ان هذه المطامع « المحيطية » على حد تعبير الباحث الالماني هاوشوفر تؤجلها ألمانيا حتى تحل مشاكلها الاوربية أولا • فان ألمانيا التى تقع فى القارة الاوربية لا يعقل ـ فضلا عن انها لا تؤمل هى ـ فى سيادة ما وراء البحار قبل سيادة أوربا نفسها

ولعل النازيين أنفسهم لا يطمعون فى سيادة أوربا كلها بطريقة مباشرة • وفى هذه الحالة تصبح السيادة عن طريق غير مباشر موقفهم الوحيد • فضلا عن ان سياسة ألمانيا العنصرية تقف حجر عثرة فى سبيل تلك السيادة • فان الالمان لا يعقل أن يساووا التشيك بأنفسهم مثلا فى لغتهم وتقاليدهم • وهم فضلا عن ذلك لا يقبلون ادماجهم فيهم حتى لا يعكروا نقاء العنصر الآرى وصفاءه • ولم يبق لهم بعد ذلك الا أن يتخذوا سبيل الارغام وفرض السيادة فرضا • وهنا أيضا تقف مشكلة تفوق عدد الطبقة التى سيحكمونها على عددهم حجر عثرة فى سبيل مطامعهم ، ومن هنا تبدأ مشاكل الامبراطورية الالمانية الجديدة

وقد اعتمد الالمان على الدعاية فى تنفيذ برامجهم ، ولكن من الخطأ أن نؤمن بأن الدعاية تسهل كل الامور • ولن تؤثر الدعاية ـ مهما تبلغ حد الاتقان ـ فى نزع العداوة المتأصلة فى نفوس التشيك مثلا ضد العدو الالماني

ثم ان الالمان يضعون مذهبهم النازى وطرائقهم فى الحكم نصب أعينهم فى كل توسع يقدمون عليه ، ويفرضون أسلوبهم الحكومى على الاقطار الاخرى ، ومثل هذه السياسة لا تنجح فى كل مكان • ولكن طريقتهم فى صبغ أساليبهم البلشفية فى التوسع بالصبغة الوطنية ـ فى عصر أصبحت فيه الوطنية دينا للشعوب ـ مكنتهم من النجاح فى الوقت الذى فشلت فيه الاساليب البلشفية العالمية

وللتوسع وجه آخر • فان ألمانيا بحصولها على ستين فى المائة من محصولات بلغاريا

جعلتها تعتمد عليها الى حد كبير.ولكن يجب ألا ننسى ان العلاقات التجارية الحادةلاتصنع الاصدقاء.وقد يصدق القول بأن التوسع الاقتصادى هو عماد التوسع الالمانى ، ولكن هذا التوسع لن يكون الاسمنت الذى تصب فيه القوالب المتينة.فان أثمان المحصولات تدفع على حساب المصدرين أنفسهم.وألمانيا لا تدفع أثمان الواردات نقدا وانما تقدم بقيمتها بضائع ألمانية.وهى لا تتعامل بسخاء الا مع الذين يقدمون لها ما هى فى مسيس الحاجة اليه من الواردات.ولما كانت ألمانيا الفقيرة لاتستطيع أن تقدم الضمانات المالية الكافية ، فان معظم الحكومات والمصارف والمصدرين فى جنوب أوربا الشرقى أصبحوا يميلون الى قطع علاقاتهم التجارية مع السوق الالمانى ، فانهم لا يكادون يرتبطون مع ألمانيا برباط يجعلهم مقيدين بتصدير معظم حاصلاتهم اليها حتى يقعوا تحت طائلة نظام التبادل العينى barter methods ، فى حين ان المصدرين يريدون النقود قبل كل شىء. لذلك لا نشك فى انهم سيتخلصون من عبء هذا التبادل بمجرد حصولهم على العميل الذى يقدم لهم أثمان حاصلاتهم نقدا

فاذا انتقلنا الى التوسع الحربى والسياسى وجدنا ألمانيا تعتمد كل الاعتماد على التهديد المباشر فى ارهاب شعوب أوربا الجنوبية الشرقية.وثمة طريقة أخرى هى تقديم الاسلحة الألمانية لهذه الشعوب الراغبة فى تعزيز جيوشها ، وبهذه الطريقة فى التسليح تصبح هذه الشعوب مقيدة بنوع واحد من الاسلحة تعتمد فى كل معداته وقطع تغييره وطرق استعماله الفنية على الجيش الالمانى ، وتصبح مرغمة على مجاراة ألمانيا فى ميادين التنافس الدولى. وقد استغلت ألمانيا العداوات القديمة بين شعوب البلقان فاستعملت هذا السلاح الماضى بكل نجاح ، وساعدها وقوع بعض شعوب جنوب شرقى أوربا تحت طائلة اليهود والحركات النازية بين الشباب والشيوعية بين طبقة الفلاحين

ونود أن نختم هذا البحث ببسط أحد الفروق الهامة بين الامبراطورية الالمانية الجديدة والامبراطوريات القديمة كالامبراطورية البريطانية : فان الامبراطوريات نالت ما نالته من مجد وفتوح عن طريق القضاء على الحركات الوطنيـة فى الاقطار التى ضمتها وحكمتها ، بينما تعتمد ألمانيا فى فتوحها على ايقاظ هذه الحركات أولا لدرجة الحدة ، فاذا ما توقدت وأوشكت بالشعوب على الثورة تقدمت ألمانيا بجحافلها لاحتضان تلك الحركات الوطنية الجديدة وتبنيها.فهى اذن تبنى أمبراطوريتها الجديدة على دعامة من الحركات الديمقراطية الشعبية

بيد ان هذه الاساليب قد تفشل اذا لم تقبلها هذه الشعوب ، أو اذا تقدمت ألمانيا آخر الامر وبسطت سيادتها الفعلية عليها.وستعمد ألمانيا الى الاحتلال اذا أحست من هذه الشعوب نية المقاومة ، وتنقلب عدوا لا حليفا يتبنى الحركات القومية اذا رأت انها تهجرها وتفتح ذراعيها لقوة دولة أخرى

(خلاصة الفصل السابع من كتاب الامبراطورية الالمانية الجديدة « The New German Empire » لمؤلفه الدكتور ف. بورخناو « Dr. F. Borkenau »

موسيقى واجنر

أثرها فى تكوين هتلر ومبادئ النازى

بقلم الكاتب الالمانى أوتو توليتش

ثارت الحرب الكبرى الماضية من جانب ألمانيا مظهرا أو نتيجة لآراء فيلسوفها فريدريك نيتشة الذى دعا الى خلق انسان أعلى تتجاوز رغبته فى القوة حدود الخير والشر ، فلا يبالى بأيهما يأخذ والى أى النجدين يسعى!

أما الحرب الكبرى القائمة فكانت من جانب ألمانيا مظهرا أو نتيجة لموسيقى فنانها ريتشارد واجنر ، الذى بعث فى موسيقاه الحياة القديمة : حياة الآلهة المتحاربين والابطال المتناضلين والمردة الجبابرة والشياطين الاشداء ، حياة العقائد الوثنية والملاحم البدائية التى تمجد العنف والقسوة وتعيش فى جو الرعب والوحشة وتستسلم لقوى الكفاح والاستماتة

ذلك ان آثار واجنر وان بدت لنا نحن الاجانب عن ألمانيا مجرد أوبرات عظيمة أبدعها فنان عبقرى ، الا انها تتحول عند الجماهير الالمانية الى حقائق مشهودة محسوسة تنفذ وتقر فى مناطق « اللاشعور » من أذهانهم وقلوبهم . فلا عجب أن تصير هذه الموسيقى مبعث الوحى ومنشأ الالهام



هتلر يستمع لموسيقى واجنر فيتخيل الحياة الجرمانية الاولى: حياة الآلهة المتحاربين والابطال المتناضلين فى الادغال . .

عند من أقاموا حركة الاشتراكية الوطنية ـ التى تسود وجه ألمانيا هذه السنين ـ على دعائم الاساطير والخرافات الالمانية الغابرة

فكثيرا ما قال هتلر لصحبه : « ان من يريد أن يفهم ألمانيا الاشتراكية الوطنية يجب عليه أن يفهم أولا موسيقى واجنر ». والواقع ان هذا النظام الذى استمده منشئوه ومفكروه من عقيدة البطولة وشريعة الكفاح التى سيطرت على الحياة الالمانية القديمة ، لا يمكن التفكير فيه مستقلا منفصلا عن موسيقى واجنر التى تمثله وتعبر عنه

ولا سرف اذا من أن يقال : ان الحرب القائمة كانت فى البدء أوبرا موسيقية أبدعها واجنر، ثم أخذها هتلر فأحالها حقيقة واقعة مغبرة الوجه كاشرة الانياب !

كان واجنر أول فنان جاهد فى مزج الفن والحياة معا ، فكانت موسيقاه مزيجا من الشعر واللغة والفلسفة والاجتماع والسياسة. ذلك انه كان يسعى عن طريق فنه الى انقاذ الحياة الالمانية وتخليص الشعب الالمانى مما يستهدفان له من أخطار المدنية الحديثة

وقد اجتمعت فى هذا الفن عناصر الحركة الفكرية العنيفة التى كانت منذ بدء القرن التاسع عشر تسعى لفصل ألمانيا من أوربا انقاذا للشعب الالمانى من الحضارة الغربية

وقد ساهم فى هذه الحركة الفكرية جماعة البارزين من فلاسفة ألمانيا وفنانيها خلال القرن التاسع عشر ، حتى انتهت الى نيتشه فبلغت أقصى قوتها فى كتاباته الموقدة بنار التمجيد للحياة الالمانية الاولى وبلهيب الانكار للحضارة الغربية الحديثة. وقد اختلف هؤلاء الفلاسفة والفنانون فى توجيه حملتهم وصوغ آرائهم ، ولكنهم التقوا جميعا عند غاية واحدة هى خلق حالة عصبية أصابت الشعب الالمانى جميعا هى حالة المرض بحب الوطن وتقديسه ، التى تسمى فى الطب النوستالجيا Nostalgia وقد أدرك هؤلاء المفكرون والفنانون غايتهم فأمرضوا الشعب الالمانى بمرض الحب « الامبراطورية الالمانية المقدسة التى تحكم العالم وتسود الانسانية » !

ثم جاء واجنر فغذى وقوى هذه الحركة الفكرية مدى أيام حياته. فقد غرس الاساطير الجرمانية فى ذهن الشعب الالمانى ، ونفذ بها الى منطقة « اللاشعور » من تفكير كل فرد ألمانى ، ونجح فى ذلك أكثر مما نجح سواه من فلاسفة ألمانيا ومفكريها ومؤرخيها ، ذلك انه لم يقدم هذه الاساطير فى الاسلوب العلمى الغامض الذى لا تستسيغ الجمهرة الغالبة برودته وجفافه ، بل فى هذا الاسلوب الشائق الرائع الذى يقتحم منافذ النفوس فيوقظ فيها ما يشاء من مشاعر ويثير فيها ما يريد من العواطف

واذا كان هتلر قد اقتنص آراءه أينما وجدها هنا وهناك ، فيمكن أن يرجع كل مبدأ من مبادىء الاشتراكية الوطنية الى مصدر ما من مصادر من سبقه من المفكرين. ومع ان هذه الاشتراكية الوطنية قامت على أساس من مبادىء سياسية واجتماعية معينة ، الا ان لها دعائم أقوى وأرسخ من هذه المبادىء هى هذه العواطف القومية والاساطير الموروثة التى جعلتها أكثر من حركة سياسية أو اجتماعية ذات أغراض وأهداف ، بل أحالتها

حركة شبه دينية لا يستطيع أن يفهمها ويتبينها « أولئك الذين لا يؤمنون بألمانيا »! وقد كان واجنر مصدر هذه العناصر العاطفية وهذه الاساطير القومية التى تتدفق من موسيقاه غزيرة عنيفة ، مؤثرة أخاذة

كان واجنر اذا رجل فن وخيال ، ولكن الساسة أحالوه رجل وطن وقتال

وقد ظل هتلر يقدر ويكبر واجنر مدى حياته ، ذلك انه شهد فى عهد شبابه احدى أوبراته ـ لوهنجرين ـ فى مسرح احدى مدن النمسا ، فكتب فيما بعد فى « كفاحى » : « لقد أسرتنى فجأة وسحرتنى توا هذه الموسيقى. ان حماستى لواجنر فى سن الشباب كانت فائرة زاخرة لا تعرف الحدود. وانى أشعر الآن انى كنت سعيدا وموفقا اذ انجذبت الى موسيقى واجنر منذ نشأتى الاولى ، فدفعتنى الى أن أستزيد منها فيما بعد يوما فيوما » ، وقد شهد هتلر مئات من أوبرات واجنر متنقلا من آخر المقاعد فى أصغر المسارح الى مقاصير الملوك فى أعظم الاوبرات. وظل اسم واجنر فى الحالين ماثلا فى ذهنه مثول الاعجاب والاجلال ، فلما تولى أمر ألمانيا أقاموا له تمثالا فى مدينة ليبزج حيث ولد الموسيقى العظيم. والذين ترجموا حياة هتلر وتتبعوها يقولون ان قلبه لم يعلق الا بامرأة واحدة كان لا يخشى أن يتحدث عن حبها جهراً، وهذه هى السيدة ويفريد واجنر أرملة ابن الموسيقى الذى نفذ الى قلب هتلر منذ صباه ! وهكذا كان واجنر بالغ الاثر فى قلب هتلر وذهنه على السواء ...

ومع ان هتلر لم يؤت حاسة موسيقية بلغت من الدقة ما يمكنه من حفظ الانغام واعادة الالحان ، الا انه قد ألم بأوبرات واجنر الماما دقيقا فلا يفوته أى تحوير يحدث فيها دون أن يسأل وينتقد. وأهم ما يأسره من موسيقى واجنر انها « فن ألمانى خالص صميم » يعبر أدق وأقوى تعبير عن العقائد الالمانية التى انتقل بها هتلر من مسرح التمثيل وردهة الموسيقى الى ميدان السياسة وحلبة القومية ، فصارت الاساطير الغابرة التى ابتكرها الشعب وأذاعها الرواة ، حقائق راهنة يأخذ بها الساسة ويدعو اليها الزعماء ، وصارت هذه الاقاصيص الشائقة التى يقصها الآباء على الابناء ويتناقلها الناس وهم يتحدثون ويسمرون ، أحداثا جليلة رهيبة يفزع الناس من وقائعها وآثارها ويخشون ما تسفر عنه من نتائج وعواقب ، ذلك انها منبع ما يأخذ الشعب الالمانى فى هذه السنين من كبرياء واعتداد قوامهما الغلظة والقسوة والانانية ، ومن حب للحرب وتمجيد للكفاح لا تزعزعهما الاهوال المروعة والدماء المسفوحة ، ومن قومية مسرفة وكراهة للاجنبى غالية تدفعانه الى ضروب الهوس والجنون فى العدوان والاضطهاد ، أى ان هذه الموسيقى التى ترقى بالانسان الى أسمى مراتب الرجولة والبطولة ، هى التى هوت بالالمان الى مستوى الوحش الهائم فى الغابة حيث يجرى وفق شريعة الادغال ..!

(من مقال بقلم الكاتب الالمانى أوتو توليتش فى صحيفة ذى نيويورك تايمز مجازين)

سجل الأيام

مقاصد الحكام بأمرهم من هذه الحرب

وخطاياهم التى ستقضى عليهم

بقلم الاستاذ سامى الجريديني

أما وقد شمرت هذه الحرب الشعواء عن ساقها وجدت وجد المتحاربون ـ الجرمانيون سعياً الى إقامة ملكهم على العالم ورفع عنصرهم الى السيادة العظمى . والحلفاء ذباً عن كيانهم وإبقاء لهذه الحضارة التى طبعوها بطابعهم أن تميد بها الأرض ـ فقد حق أن ننظر الى خطة النازيين وزعيمهم حتى يتبين الرشد من الغى

يخطىء من يقول لك أن هتلر هو زعيم الجرمانيين غير منازع

إن الزعامة فى جرمانيا كانت ولا تزال للجيش . ومن قال الجيش عنى قواده وهيئة أركان الحرب فيه . ومن ذكر هؤلاء ظهرت له الهيئة الحاكمة فى بروسيا ورجال الصناعات الكبرى فى المانيا

هذه هى القيادة الجرمانية . وهى هيئة لم تنفك لحظة منذ الهدنة التى عقدت فى سنة ١٩١٨ عن العمل لاحياء الجيش والأخذ بالثأر

فلما اشتد النزاع فى المانيا بين الاحزاب وامتد نفوذ هتلر حتى



الانسانية تحمل صليبها المعقوف وعلى جبينها اكاليل « المنجل والسنديان » ... فى طريقها الى الفناء ...

« عن مجلة النيويورك تيمس الاميركية »

طغى أو كاد على الحزب الآخر الذى كان ينازعه الزعامة رأى رجال الجيش والمال فى هتلر بواقا يستهوى الجماهير فمدوه بالمال حتى اذا ما كان عام ١٩٣٣ أو ما اليه نظروا فاذا فى المانيا زعامة تقول بالاشتراكية الوطنية ولكن بعض أفرادها يريد أن يخضع الجيش له والبعض الآخر ـ وعلى رأسه هتلر ـ متردد لا يجزم بشيء

وماكان للجيش الالمانى أن يخضع لزعامة مدنية تقول بالاشتراكية

فراودوا هتلر عن ايمانه الاشتراكى الذى كان ينادى به وعن عقائد أوحي له بها فى السجن فوضعها فى كتابه وعرضوا أن يؤيدوه بالجيش اذا خضع هو للجيش . فتم الأمر وقضى هتلر وأعوانه على الذين كان يخشى بأسهم وكانوا أعوانه واخوانه بالامس

وعندما شهرت الحرب على بولونيا انتقلت السلطة الى أيدى رجال الجيش

فهتلر وغليوم الثانى من قبل ـ ليسا إلا صورة يحركها الجيش

كذلك هذه التعاليم العنصرية وهذه الخطط الحربية فى البحر وفى البر ليست من شيء ان لم تكن من وحى رجال الحرب والفلسفة والتعليم فى المانيا منذ أيام فردريك حتى اليوم

وما هتلر الا زعيم ضُحى قبله بزعماء آخرين كما اقتضت الحال

ذكرنا هذه المقدمة كى يتبين قصدنا للقارىء . عندما نقول هتلر أو النازى ، فالروح العسكرية المتحكمة فى المانيا نعنى . وهى روح بلغت ذروة العتو الآن وما كان أغنانا عنها وعن مقارعتها لو سمع الانجلو سكسون لصوت فرنسا وعبقرية حسها يوم الهدنة

على انه اذا كان الانجليز قد أخطأوا واستمروا اخطاءهم فظلوا يهمون فيه حتى سنة ١٩٣٦ فان هتلر قد أخطأ وستكون عاقبة خطاياه وبالا عليه وعلى أمته وعلى جزء غير صغير من هذا العالم

أولى خطايا هتلر

ورأس الخطيئة وسبب الشر فى النظام الالمانى هذا الايمان بتفوق عنصرهم على العناصر الاخرى فى العالم ـ وينعتونها بالدنيا

وقد يكون فى الشعب الجرمانى ميزات تؤهله لحضارة تقوم على خدمة الانسانية جمعاء كعبقرية التنظيم والنظام وحب البحث العلمى واحترام الفن والأدب . ولكنهم سلطوا على هذه روحاً فرضتها عليهم بروسيا وأسيادها العسكريون . فهؤلاء القوم عاشوا دهرهم على حساب من استضعفوه من جيرانهم وظلوا سنين طويلة يغزون وينجحون بما كان يعهده لهم الخلاف بين فرنسا والنمسا تارة وبين فرنسا وانجلترا كرة أخرى الى أن استقر بهم النجاح حيث كانوا فى سنة ١٩١٤

ولا شيء أنجح من النجاح اذا وقع

فغلبت هذه الروح العسكرية القائلة بالقوة الغاشمة وبلا شيء غير القوة الغاشمة الجرمانيين على عقولهم واحتلت كل معاقل العمل الانسانى فيهم

وها هو هتلر تتقمص فيه هذه الروح وتجد أرضاً خصبة فى استياء القوم من معاهدة فرساى فكأنه صار لسان الجرمانيين كلهم

ولكنها روح لا تستطيع البقاء

لأنها على خلاف مع روح العصر

وما هو روح العصر ؟

هو هذه الفكرة الانسانية التي نمت وكادت تعم العالم من ناحيتيه الأدبية والمادية

أما من الناحية الادبية فلأن العالم يسير بمجموعه على هدى مبادىء المساواة وعلى نور ضم بنى آدم ورفعهم الى مستوى عقلى يخدم فيه العلم كل الافراد فلا أثر فيه لتفوق عنصري لا وجود علمى له أو لتفوق ينبعث من عقيدة أو جنس

فقد مضى الزمن الذى أتاح لقواد عسكريين أو مشعوذين سياسيين أن يقودوا الناس لتقتيل الناس قولا بأنهم مبعوثون لهذا أو سعياً وراء مجد باطل قائم على الفتح

هذه مبادىء جربت منذ القدم فما نفعت أحداً . وانحرف الناس عنها وأخذوا يبثون روح الخدمة عساه يحل محل روح الاستعلاء

ولم يبق الا هذه الحرب تُشن الآن تأييداً لهذه النظم العتيقة وستكون الأخيرة من نوعها بلا ريب

أما من الناحية المادية ولعلها أشد وقعاً وأبعد أثراً فلأن الناس قد علموا بعد تجربة طال عليها الدهر أن النزاع على مافى العالم من مادة الطعام وللاستمتاع متوفر للجميع

وان الحرب فى سبيل اشباع فئة من بني آدم على حساب فئة أخرى لم تجد ولم تنفع بل كانت تجدد حقبة من الزمن بعد أخرى

فبدأت النظم الاشتراكية تنمو وأخذت التعاليم الاشتراكية تحتل مقامها فى جميع أنحاء العالم بغية حل المشكلات الاقتصادية حلا يوفر الحروب والفقر على الناس

فلن يستطيع البروسيون مهما جهدوا أن يمنعوا هذا السير . وسيعلم هؤلاء القوم دعاة القوة الهمجية حين تصيبهم الخيبة الاولى أن الجرمانيين أنفسهم فى مقدمة الشعوب التى تقول بحضارة مشتركة لا يعيش فيها الغرس العسكرى

والدليل على هذا أن الاحزاب التى قامت فى المانيا بدأت كلها اشتراكية النزعة الى أن كثر عددها وتنازع الزعماء أمرهم بينهم واختلفوا فاقتنصتهم اليد البروسية العسكرية الرأسمالية ودفعتهم فى سبيلها

ان هذا النظام القائم الآن على الجبروت وتصعير الخدود وازدراء الآدميين الا من كان نازياً

سيهدم من أساسه لانه ليس من طبيعة الاشياء ولأنه لا يلبث أن يفشل مرة واحدة حتى تراه سقط وكان سقوطه عظيما

فلا يغرنك هذا البطش المنظم وهذا النظام الذى لا يرمى الا الى البطش فانه لن يعيش كثيراً

وقد يقول قائل ان فتوحات التاريخ الماضية قامت على القوة وعلى القوة الغاشمة فقط فلم لا يعيد التاريخ نفسه الآن ؟

صحيح أن الفتح قام على القوة ولكنه لم ينجح مرة واحدة الا عند ما كان الخصم المغزو ضعيفاً ضعفاً ماديا فى سلاحه وضعفا أدبياً فى أخلاقه

وأما الغزاة الذين بطشوا بشعوب حرة قوية فما لبثوا أن هدمت عروشهم وباءوا بالفشل وقد كفانا التاريخ ذكر أسمائهم

فاذا اعتز البروسيون بقوتهم اليوم فان أعداءهم أعز نفراً وأشد شكيمة ولا ينقصهم شيء من معدات الحرب الحديثة

الخطيئة الثانية

على اننا ندع هـذا الاعتبار جانباً ونأخذ بالاعتبارات الوضعية من جغرافيا وتقاليد عنصرية تاريخية كان لها أثر عظيم فيما تقدم وما تأخر من الحروب

وهى عوامل أخذها الالمانيون بالجد ونظروا اليها بعين الاعتبار

فهم يقولون لك أن الجغرافيا التاريخية أو تاريخ الجغرافيا يتحكم فى مصائر الشعوب

فانظر الى خريطة أوربا تر الجزر البريطانية تقفل نافذة البحر على المانيا

وانظر الى المـانيا تر الطبيعة قد وضعتها والبحر غرب منها لا تستطيع التوغل فيه الا اذا اصطدمت بانجلترا وكان حتما عليها أن تمر فى طريق شمالى تسده اسكندناوه

فـكأنها رجل أراد أن يبنى بيتاً فتطلع ليرى خير الطرق اذا استقر بناؤه على أساس

ان كان حكيما فانه لا يجعل باب خروجه بحيث يصطدم بحائط الجار ويلجأ الى ناحية أخرى

فان رغبت المانيا المتربعة فى وسط أوربا العاجة بالجرمانيين أن تخرج الى الفضاء وجب عليها أن تفتتح طريقا لها فى الغرب حيث البحر تقفله انجلترا بوضعها الجغرافى أو تتجه شرقا وجنوباً حيث الصقالبة

فأى الطريقين أسهل وأى الخطتين المثلى ؟

لقد أجاب الألمانيون على ذلك فى كتبهم وفى تاريخ اتجاه شعوبهم وفى سلسلة لم تنقطع من حروبهم

فقد بدأوا يجمعون الجرمانيين فى صعيد واحد من أوربا فلما أصبحوا فى عداد الدول الكبرى

فيها اصطدموا بالصقالبة من ناحية وباللاتين من ناحية أخرى

فصاروا فى حيرة كيف يتوجهون . لاييممون شطر البحر . انهم ان فعلوا ذلك وقفت انجلترا فى وجههم وقد كانت ولا تزال قوة لا تقاوم

أم يهمون بفرنسا أو بالروسيا أو بالاثنتين معاً

وقد كان الرأى الذى أجمعوا عليه زمناً طويلا أن مجالهم الحيوى فى الشرق حيث أوكرانيا وأن مطيتهم هى روسيا حيث الأرض خصبة بالمعادن والغلال ويدفعون شعبها الى آسيا

وقد كان هتلر على هذا الرأى فى كتابه ولعل تساهل الحلفاء معه فى مونيخ كان بقصد توجيهه الى الشرق يأمنون شره فى الغرب وتقع الواقعة بينه وبين الروس

ولكن الزعماء العسكريين البروسيين رأوا غير هذا

فهذه الفئة الحاكمة فى بروسيا وبالتالى فى جرمانيا ويدعونهم « يونكر » صقلبية الأصل ترى أن الروسيا سهلة الانقياد لهم يحكمونها بصناعتهم وباحتياجها الى كل موارد التفكير والتنظيم عندهم وأنها لقمة سائغة لاستعمارهم السلمى لا حاجة لهم بفتحها ومناوأتها العداء ظاهراً ـ وأنهم اذا أرادوا ملكا عالمياً حق عليهم مهادنة الروس فانهم عبيد عتيدون ، ومناوأة الانجليز يحطمون أسطولهم ويستبقون الى اختطاف سلطانهم

فلما انقاد غليوم الثانى الى رأيهم وجهز أسطولا يبغى به تحطيم انجلترا كانت الحرب العالمية وكلنا يعرف عاقبتها

وظن الألمانيون أن فى وسعهم أن يعودوا الى الخطة الأولى من ترك انجلترا والذهاب بفتحهم الى الشرق . هكذا كان الرأى السائد . ولكن « اليونكر » هم هم . لا يتعلمون ولا يرجعون عن عقيدتهم

ورأوا الغفلة فى انجلترا تمد لهم فى سبل قوتهم حتى تعود سيرتها الأولى فأعادوها واستعلوا وطغوا وصارت كلمتهم العليا وهم لا يكادون يصدقون . فرسخ فى ذهنهم أن قد دنت ساعة انجلترا وآذن ملكها بالزوال فانها لو كانت ذات عزم ونظر صائب لما سمحت لهم بالقيام بعد السقوط

فسهل عليهم اقناع كل مخالف لهم فى ألمانيا بأن سياستهم القديمة هى المثلى ـ محاسنة الروسيا ومهاجمة انجلترا وانما بالطائرات هذه المرة لا بالأساطيل

فقد قال قائلهم إن سيادة الجو ـ اذا تمت لنا ـ غلبت سيادة البحر ، وبطش العقاب بالسمك .

لذلك كنا نرى همهم كله منصرفاً الى هذه السفن الهوائية يكثرون منها ويعظمون

وبدا لهم الآن أن الفرصة سانحة . وأن سلطان جدهم غالب على أمره . فكانت هذه الحرب . وهى خطيئة اقترفوها فى حق أنفسهم وفى حق البشرية . فهذه الكثرة الهوائية فى متناول الحلفاء إن لم يكن اليوم فغداً

ولكن القوة البحرية ليست بسهلة المنال . فلا تبنى الأساطيل فى يوم وبعض يوم . والقوة الجوية مهما يعظم شأنها لا تنال من قوة بحرية أو قوة برية ليست عاطلة من الطائرات

هذا هو خطأ هتلر .

وهذا هو الأمر الذى سيأتى عليه



البلقان على رقعة الشطرنج ...

« عن جريدة الديلى ميرور الأنجليزية »

إنه طاول شعباً تمتد فروعه فى كل العالم . قوى الشكيمة . صحيح العزم . غنى الموارد يحتكرها ويمنعها عدوه

وليست الغلبة فى حرب كهذه لجيش يجتاح بلداً الآن وأخرى غداً تؤيده قوة عسكرية شحذت لمثل هذه الوقائع — انما الغلبة لمن كانت له مثل هذه القوة فصبر وصابر وظل وراء خصمه عدله فى جبهات القتال ويضعف عسكره وعصره فلا يأكل كفافه ولا يستطيع إعداد آلات قتاله حتى اذا خارت قواه اجاءته الضربة القاضية الأخيرة . هكذا فعل القوم مع غليوم وهكذا فعلوا بفيليب الاسبانى وهكذا سيفعلون

ان تحول بروسيا على انجلترا ومحالفتها الروس قاض عليها فى ناحية أخرى

فهى ان خرجت من هذه الحرب مدحورة أو منصورة خرجت مرتعاً خصباً لتعاليم ومبادىء مهما قيل فيها فانها على خلاف مبادىء البروسيين العسكريين وتعاليمهم . فتصبح منهلا عذباً يستسيغه ستالين فيغترف منه ما يشاء

ولعلها حيلة من هتلر وأعوانه الذين لايزالون يؤمنون بالاشتراكية لكي ينتقموا من أسيادهم « اليونكر » فى نهاية الشوط

سامى الجريدينى

ملعون هذا الزمان الذى يقود فيه الحمق أولئك الذين لا يبصرون

وليم شكسبير

الموسيقى الروحية

موسيقى شجية تعزفها الارواح

بقلم الاستاذ احمد فهمى ابو الخير

مدير ادارة السينما بوزارة المعارف

هذه الموسيقى نوع أخاذ خلاب من الظواهر الروحية الكثيرة الشيوع على نقيض مايعتقده الناس فيها • بل هى شائعة حتى بين طلاب الميتافيزيقا والبحاث فيما وراء المادة • ولقد أهملت هذه الظواهر من جانب البحاث ، ولم يعن - فيما نعلم - ببحثها جديا وتبويبها الا العلامة الايطالى الروحى الاستاذ ارنستو بوزانو « Ernesto Bozzano » فقد تصدى للبحث فى هذه الناحية ، ثم نشر نتائج بحوثه فى كتابه الشائق « الظواهر الروحية ساعة الموت » وقد نشر هذا الكتاب فى الاصل باللغة الايطالية سنة ١٩٢١ ثم نقل الى الفرنسية سنة ١٩٢٣ ، وعاد فأشار اليها فى كتابه القيم الذى صدر سنة ١٩٣٩ واسمه « تأثير غير المتجسدين فى حياة الانسان » ، وقد قام المعهد الدولى للبحث الروحى بلندن بترجمة هذا الكتاب الى الانجليزية ونشره

وقد قسم بوزانو هذه الظواهر الموسيقية الروحية الى ستة أقسام ، وسنلخصها فيما سيجىء مستعينين بتلخيص الطبيب الدكتور جورج لندسى جونسون فى كتابه القيم « المسألة الكبرى والبينة على حلها »

موسيقى روحية بمساعدة وسيط

يتضمن هذا القسم عدة أقسام فرعية • فأحيانا تعزف الموسيقى مباشرة فوق آلة كآلة الاكورديون أو البيانو كما حدث فى جلسات الوسيط دوجلاس هوم Douglas Home أمام سير وليم كروكس وكثيرين غيره • وكما حدث فى جلسات الوسيط فرانك دكر « Frank Decker » أمام الطبيب الدكتور باورز استاذ الامراض العصبية فى جامعة منيابوليس بأمريكا وبعض الصحفيين • وكانت الآلة المستعملة هى الهارمونيكا حيث بدت للحاضرين كأنما عزفت على نفسها بنفسها • وأحيانا بدون آلة موسيقية كما حدث مع الوسيط الكاتب والمؤلف الشهير وليم ستينتون موسى « W. Stainton Moses » واحيانا بمساعدة الوسيط مباشرة ولكن بشكل آلى تلقائى كما كان يحدث مع الوسيط أوبرت « Aubert » الموسيقى

وكانت المقطوعات التى عزفت فى حضور الوسيط موسى عظيمة بنوع خاص ، ففى بعض جلساته قلدت الارواح أصوات عدد كبير من الآلات الموسيقية كالعود والقانون

والبوق والبيانو والكمان والاجراس • وقد عزفت بعض المقطوعات الموسيقية والضيوف على موائد الشاى • وكانت الانغام عالية واضحة بشكل يبعث على الدهش ، وعدا ذلك أعطيت براهين لاثبات شخصيات العازفين المتوفين

والى القارىء حادثة مأخوذة من كتاب «الروحية الحديثة» لمؤلفه كابون « E. W. Capon » ففي ذات ليلة بينما كان جماعة من أصدقاء المؤلف جالسين عنده فى حجرة الاستقبال دعيت سيدة للغناء • فما ان بدأت غناءها حتى سمعوا موسيقى جميلة تصحب الغناء • وكان نغم الموسيقى كنغم العود الا انه كان متناهيا فى الحسن والرقة • ويقول مؤلف الكتاب ان من المستحيل وصف تلك الانغام بالكلام لانه لا توجد آلة موسيقية فيما يعلم تستطيع تقليدها • وفى مرة أخرى بدت الانغام التى صحبت الغناء كأنها أصوات الملائكة • وفى مرة ثالثة جلس الوسيط نفسه للعزف على البيانو مع جهله بالعزف وأصول الموسيقى جهلا تاما • ومع ذلك فقد عزف من الالحان أشجاها مظهرا من ضروب الفن أعجبها وأعجزها ، فكأنما هو الموسيقى بادرفسكى أو الموسيقى باشمان • وقد اكدت الكاتبة الشهيرة اماهاردنجز « Emma Hardings » هذه الحادثة فى كتابها المسمى « الروحية الامريكية الحديثة » لانها كانت حاضرة وسمعت بأذنيها هذه الالحان

وفى بعض الجلسات التى عقدناها هنا فى القاهرة كان الوسيط وهو واقع فى الغيبوبة يغنى بلغة غريبة مع موسيقى الفونوغراف الصامتة • وقد طلبت الى حضرة الاستاذ مصطفى رضا بك رئيس معهد الموسيقى ، وقد كان حاضرا يوما ، أن ينصت الى الغناء والى أنغام الفونوغراف فقال لى ان الغناء والانغام متوافقان توافقا غريبا • ويلاحظ أن الوسيط أمى جلف من احدى قرى مديرية اسوان

وفى الجلسات التى عقدناها خلال شهر مارس الماضى بدأت تفد علينا من عالم الروح أرواح شخصيات مصرية من مختلف الطبقات ، وكان وسطاء الجلاء البصرى يصفونها لنا وصفا دقيقا مع عدم معرفتهم كثيرين من هذه الشخصيات ، وحضر من المطربين المصريين والمطربات الشيخ سلامة حجازى وعبد الحى حلمى ومحمد عثمان والسيدة ألمظ والراقصة امتال التى لم تكن عرفت بعد أنها انتقلت الى عالم الروح ، وما زالت تظن انها فوق خشبة المسرح تؤدى دورها فى الرقص • وقد وعدتنا الارواح الحارسة بتنبيهها ، وبأنها ستسمعنا يوما ما غناء هؤلاء جميعا مباشرة بعدما تهذبت موسيقاهم بما اكتسبوه من موسيقى عالم الروح • وانا لمنتظرون

موسيقى روحية تسمع عن بعد

حالات هذا القسم نادرة نسبيا لانه للحصول على رسالة موسيقية بالتلبثى تحتم على متلقى الرسالة نفسه أن يكون ذا أذن موسيقية أو يكون هو نفسه موسيقيا • وأن تكون تصوراته الموسيقية متوافقة مع تصورات العامل الروحى • وفيما يلى مثل منقول من كتاب

«المجهول» تأليف العالم الروحي الفلكي الفرنسي الشهير كاميل فلامريون. وهذا المثل قد رواه العالم الفاضل مسيو ألفونس برجيه « M. Alphonse Berget » الدكتور في العلوم، والمساعد في معمل السوربون، وأحد الممتحنين في كلية العلوم بباريس. قال: « كان لامي في طفولتها صديقة عمياء اسمها اميليا كبرى أبناء ضابط قديم برتبة كولونيل في الدراجون. وكانت هذه البنت تقيم مع جدها وجدتها. وكانت موسيقية بارعة وطالما غنت هي وأمي. وعندما بلغت الثامنة عشرة دخلت ديرا في ستراسبورج. وكانت تراسل والدتي باستمرار، ثم انقطعت كتبها أخيرا. وكان قد مضى على رهبنتها في هذا الدير حوالى ثلاث سنوات. وصعدت أمي الى الطابق العلوي يوما لتبحث عن شيء. وفجأة دخلت تجري في حجرة الجلوس وهي تصرخ بصوت عال، ثم وقعت مغميا عليها. فلما استعادت وعيها قالت وهي تبكي «ما أفظع هذا. لقد توفيت اميليا لاني سمعتها تغني بطريقة لا يمكن أن يغني بها الاشخص ميت» ثم أغمي عليها ثانية»

ويعلق فلامريون على هذه الحادثة بقوله: «ان صديقة مدام برجيه لا بد أن تكون في لحظة موتها قد فكرت تفكيرا شديدا في صديقتها القديمة. فسارت الموجة المخية بشكل ما فأحدثت فيه صورة لصوت يغني بنغمة شجية. ولكن كيف حدث ذلك؟ وبأية طريقة حدث هذا ما يجب أن نعترف بجهلنا اياه. ولكننا في الوقت نفسه اذا أنكرنا وجود تأثير حقيقي روحي بين المخين لمجرد عجزنا عن تفسيره فان هذا الانكار يكون أمرا غير علمي».

وليس ثمة أدنى شك في حدوث هذه الموجة المخية وتأثيرها في مستقبلها بجملة طرق. فأحيانا خلال السمع، وأحيانا بطرحها صورا منظورة، وأحيانا خلال عضو الشم، وقد حدث للطبيب الدكتور جورج لندسي جونسون حادث تأثر فيه البصر والسمع بهذه الطريقة وذلك خلال سياحته في نروج، وخلاصة هذا الحادث انه وهو جالس في الفندق رأى شبح زميله في الرحلة تتقاذفه الامواج، وسمعه يطلب النجاة. ثم اختفى المنظر والصوت وقام لفوره يبحث عن زميله. وفي اليوم التالي عثر الباحثون على جثة هذا الزميل. وهذا يؤيد ما يقوله الطبيب العالمي الدكتور ألكسيس كاريل الذي أحرز جائزة نوبل في الطب والفسيولوجيا، فقد قال في كتابه الروحي القيم «الانسان المجهول أمره» ما يأتي:

«في كثير من الحالات قد يتصل فرد بآخر ساعة الموت أو عند الخطر العظيم. ذلك ان الشخص المحتضر أو الذي يقع ضحية حادث ما، يظهر لاحد أصدقائه بمظهره العادي حتى في حالة مالم ينته الحادث بالموت، ويسكت هذا الشبح لا ينبس بشيء عادة، وأحيانا يتكلم معلنا عن موته»

وبهذه المناسبة أقول ان لي صديقا فاضلا من أطباء الامراض الصدرية المصريين الحاليين حدث له منذ عهد قريب حادث يؤيد ما ذهب اليه الدكتور كاريل. وذلك ان من بين المرضى الذين يعالجهم صديقي هذا سيدة أنهكها مرض السل. وفي ذات يوم وهو في منزله بشارع عماد الدين مستلق على سريره وفي حالة صحو رأى هذه السيدة تدخل عليه في

حجرة نومه. فقام دهشا يحييها ثم قال لها «ما الذى جاء بك الآن من المصحة ؟ » . فقالت «لقد برئت من مرضى وجئت أقدم لك شكرى على جميل عنايتك»

وما ان أتمت هذا القول حتى سلمت وخرجت. ولكنها لم تخرج من الباب الذى دخلت منه بل من باب الشرفة واختفت على الفور ، وهنا تنبه صديقى وقام على الفور يسأل المصحة بالتلفون عن هذه السيدة فقيل انها توفيت من لحظات . وبعد ساعة جاءه ولدها يطلب اليه امضاء شهادة الوفاة !

موسيقى روحية تسمع فى الاماكن المهجورة

مثال ذلك ما وقع للفتاتين مس لامونت « Miss Lamont » ومس موريسون « Miss Morrison » أثناء سيرهما فى حدائق فرسايل فقد شعرتا فجأة باحساس غريب يتملكهما ثم رأتا المنظر أمامهما يتغير فجأة. ولاحظتا ان خدم الحديقة يرتدون ملابس غريبة أخاذة ، وان الآلات التى بأيديهم من طراز غريب لم ترياه من قبل. وقد لاحظتا معا ان هذا اللباس يشبه لباس الفرنسيين أيام الثورة الفرنسية . وحينما تقدمتا الى البتى تريانون « Petit Trianon » رأتا سيدة جالسة على أحد مقاعد الحديقة منهمكة فى الرسم والتصوير ، وكانت تشبه كل الشبه صورة الملكة مارى انطوانيت. وفجأة خرج خادم من باب التريانون ثم أغلقه ، فسمعتا صوت اغلاقه ! ثم أسرع الى السيدة وهمس فى أذنها. وبعد ذلك سمعتا موسيقى جميلة تعزف

وقد تحرتا بعد ذلك فى مكتبة باريس فوجدتا رسوما لما رأتا من ملابس. والاغرب من هذا انهما وجدتا النوتة الموسيقية للمقطوعات التى سمعتاها

ومن أظهر الامثلة لهذا النوع من الموسيقى الروحية ما حدث فى خرائب الدير الموجود فى جمسيج « Jumièges » بنورمانديا فى يوم ٦ يوليه سنة ١٩١٣ ويقول راوى الخبر واسمه ارنستين آن « Ernestine Anne » بأنه وصل الى هذه الجهة حوالى الساعة الثالثة بعد الظهر ، وبدأ جولانه بين هذه الخرائب الشاسعة التى يقال انها أجمل الآثار فى نورمانديا كلها. والدير مبنى على شكل صليب. ويقول الراوى « سمعنا فجأة كلنا ـ وأنا من بين السامعين ـ انشاد جوقة من المرتلين خيل الينا ان انشادهم صادر من فضاء مفتوح دل ما فيه من الحطام على انه كان فى الاصل الموضع الذى اعتاد أن يقف فيه المرتلون. وكان الترتيل مشجيا بهياء أما التلحين فكنت أعرفه. وأما الكلمات فكانت لاتينية ، ولكنا لم نستطع تمييزها. ولقد سمعت أبى يقول «يوجد رهبان يرتلون فاستمع الى ترتيلهم». وانقطعت الموسيقى بعد ذلك فورا. وكان ذلك من الغرابة بحيث جعلنى أظن اننى كنت متخيلا. ولكننى لم أكن هناك وحدى ، بل كان معى أبى وأمى وأختى ـ وهؤلاء كلهم سمعوا الترتيل ، وشهدوا على ذلك كتابة فيما بعد. وأكد أبى ان الموسيقى أرقى من أية موسيقة كنسية أخرى سمعها فى حياته »

موسيقى روحية منفصلة بتاتا عن الموت

يستمتع بهذا النوع من الموسيقى الروحية جماعة المتصوفة وأصفياء النفوس حين ينغمر وعيهم في نوع من القدسية. وأعرف من بني وطني المصريين اثنين وهبا هذه الهبة ، ولم يأذنا لي بذكر اسميهما .

فأما الاول فمن رجال القانون ، وهو محام نابه قدير متعمق في بحوثه الروحية والصوفية وفي تعاليم اليوجا. اذا حدثك عن هذه الموسيقى راح ببلاغته يصف لك نشوته اذا سمعها فنسي نفسه وما حوله ، وهطلت في بعض الاحيان دموعه من حنان اللحن وجمال الايقاع وخلابة النغم. ويختم وصفه اياها بقوله « انها تجل عن الوصف »

وأما الثاني فمن رجال السيف ، كان حين تعرفت به يشغل منصب الحكمدار في احدى مديريات الصعيد جمعتني به المصادفة مرة في نادي الالعاب بعاصمة تلك المديرية ، وكنت منتدبا للعمل في احدى لجان الامتحان هناك ، وكان ذلك قبيل ظهور الترجمة العربية التي قمت بها لكتاب «على حافة العالم الاثيري » الذي ألفه رئيس المعهد الدولي للبحث الروحي بلندن. وقد جرنا الحديث الى عالم الروح والعلم الحديث. والواقع ان حضرة الضابط لم تكن له دراية قط بهذا النوع من البحوث. ولا أظن انه من المتصوفة المتنسكين. وقد قال لي في شيء من الاستغراب انه كلما استلقى على سريره ليلا لينام يسمع موسيقى غريبة لا يجد لها مثيلا . فيقوم الى النوافذ يفتحها يريد استكشاف مصدر الصوت ، حتى اذا أعياه الامر أغلقها وراح ينصت في سكون حتى تنقطع ، وبعدئذ ينام

ولم تهييء لي الفرصة التبسط في الحديث لاتعرف ظروفه وحالاته ، واكتفيت بأن قلت له انها موسيقى من عالم الروح ، وانه بما يسمعه من هذه الموسيقى يقدم لنفسه (على الاقل) أكبر برهان على بقاء الحياة بعد الموت

وتوجد أمثلة لهذا النوع من الموسيقى في الكتاب القيم الذي ألفه العالم الكلاسيكي الروحي الشهير الاستاذ مايرز (١) « F. W. Myers » واسم هذا الكتاب « الشخصية الآدمية »

موسيقى روحية بجوار سرير المحتضر

الامثلة هنا كثيرة جدا واكثر مما يتوهمه الناس . ويمتاز هذا القسم من الموسيقى الروحية بأنه لا يسمعه المحتضر وحده بل يشاركه السمع كثيرون من الموجودين

(١) الاستاذ مايرز هو العالم الذي أنشئت اشادة بذكره في كلية ترنتي بجامعة كمبردج تلمذة حديثة لدراسة العلم الروحي الحديث . وسينفق على هذه التلمذة من مال أوصى به لهذا الغرض من يدعى ف. و. بروت . وقد حدث الانتخاب لهذه التلمذة في مايو الماضي وستبدأ الدراسة في اكتوبر القادم

بجواره • وهذا يذهب بكل ما يريب بصدد التوهم وضلالة التصور • وفي الحادثة التي سنرويها هنا لم يسمع الحاضرون الموسيقى ولكنها مع ذلك حرية باهتمام القارىء • والحادثة تتعلق بوفاة ذلك المنكود الحظ الصغير دوفن« Dauphin »:هو لويس السابع عشر الذي سجنه رجال الثورة الفرنسية خلال « حكم الارهاب » • وقد أدلى بهذا البيان السجانان اللذان قاما على حراسة الامير وهما لازن وجومين ، وهو مثبوت في الكتاب الذي ألفه بوشزن« Beaucheane » المسمى « حياة الشهيد لويس السابع عشر وموته » وقد جاء فيه : « وحلت ساعة الموت ، ولاحظ جومين أحد سجاني الصبي انه هدأ وسكت فسأله أتتألم هو ؟

قال ـ نعم لا زلت أعاني ألما ولكنه غير شديد كسابق عهدي به • ولكن ما أجمل هذه الموسيقى !

فدهش السجان جومين وسأله ـ من أي اتجاه تسمع الموسيقى ؟

قال ـ انها آتية من فوق رأسي

قال ـ وهل سمعتها منذ زمن طويل ؟

قال ـ منذ ان كنت أنت راكعا • ألا تسمعها ؟ أصغ • أصغ

وفتح الصبي عينيه الواسعتين البراقتين دهشا ، وحاول ان يرسم اشارة بيده الصغيرة الضعيفة

فتأثر السجان من حالة الصبي ، ولم يشأ أن يفسد عليه هذا الخيال اللطيف (كما توهم) وادعى انه يسمع الموسيقى مثله

وما هي الا دقائق حتى عمت الصبي رعشة من التأثر ، وبدا كأن وجهه يضيء من السرور ، وقال بصوت مملوء بالعاطفة : انني أسمع صوت أمي العزيزة بين الاصوات التي أسمعها

وحينما افلتت كلمة (أمي) من فم الصغير المحتضر بدا وكأن آلامه كلها قد تلاشت واختفت من وجهه نظرة الجزع ، ولكن الناظر اليه كان يستطيع ان يدرك انه مستمر يصغي دهشا الى الموسيقى وان كان السجانان لم يسمعا شيئا • وبعد ذلك بقليل سأله السجان الآخر كيف هو الآن وهل يحتاج شيئا ؟

قال ـ ترى هل سمعت أختي هذه الموسيقى السماوية فسماعها اياها قد يسرها كثيرا • ثم أدار وجهه نحو النافذة ، وفجأة خرجت من فمه صيحة فرح ، ثم التفت الى السجان وقال ـ لدي شيء أريد أن أقوله لك

فاقترب لازن وأمسك بيده الصغيرة على حين مال الصبي برأسه الى الامام كأنما يريد الكلام • ولكن سبق السيف العذل فقد كان انتهى كل شيء • لقد لفظ الصبي آخر أنفاسه »

موسيقى روحية تسمع بعد وفاة شخص

هذه الحادثة مأخوذة من الجزء الثانى من كتاب « أشباح الاحياء » لمؤلفه العلامة مايرز سالف الذكر . وهي خاصة بما حدث عند وفاة والدة مستر ل« Mr. L » أحد أساتذة كلية ايتون . وقد كان فى الحجرة ساعة وفاتها اشخاص آخرون

فبعد وفاة مسز ل . سمعت ابنتها صوتا موسيقيا هادئا جميلا جدا كأنه غناء صادر من ثلاث بنات . وسمع الطبيب نفس الغناء ، فأسرع الى النافذة وأطل منها ولكنه لم يجد شيئا . وسمعت الآنسات جميعهن هذه الموسيقى أى أن الحاضرين جميعهم ما عدا ابنها قد سمعوا الغناء

وكتب الطبيب ردا على استفسار قال : « انني اذكر ذلك الحادث تماما . فلقد أرسلوا فى طلبى عند منتصف الليل ، وبقيت مع المريضة الى ان توفيت فى منتصف الساعة الثالثة صباحا . وبعد وفاتها بقليل سمعنا أنغاما موسيقية جميلة كتلك الصادرة من عود . وقد ملأت هذه الانغام الجو . فأسرعت الى النافذة ولكنى لم أر شيئا . ومن المدهش كثيرا أن أولئك الذين كانوا خارج الحجرة سمعوا هذه الاصوات كما سمعتها . ومما تجدر ملاحظته أن ابن المتوفاة ــ وقد كان حاضرا ساعة وفاة أمه ــ لم يسمع شيئا البتة ، وتلك بينة عظمى على ان الصوت لم يصدر من أى شخص كان يغنى خارج المنزل »

***

تتضمن هذه الاقسام الستة اكثر من مائتى حالة جمعها شخصان اثنان فقط . وهذا يدل على أن الموسيقى الروحية لا بد أن تكون شائعة نسبيا بين الاشخاص الروحيين . ومما يؤسف له اننا عاجزون عن الادلاء ببيان يفسر لنا منشأ هذه الموسيقى . وفى رأيى انه لا تفسير لهذه الموسيقى الا انها من غير عالمنا الارضى ، وأن التعليل الروحى لها هو التعليل المقبول المعقول

احمد فهمى ابو الخير

مدير ادارة السينما بوزارة المعارف





رنسا
تش العام
وال جاملان
كر فيجان في
يو ١٩ مايو


الجنرال ماكسيم فيجان رئيس أركان حرب الجيش الفرنسي والقائد العام لجيوش الحليفتين في فرنسا جالساً على مكتبه

حياة فيجان في سطور

١٨٦٧ ــ ولد في بروكسل في ٢١ يناير

١٩٠٢ ــ مدرس في معهد الفرسان في سومور

١٩١٢ ــ ليفتنانت كولونيل في فرقة الهوسار الخامسة في نانسي ، ومدرس في معهد الدراسات الحربية العليا في باريس

١٩١٣ ــ حائز لوسام اللجيون دونور من رتبة شيفاليه

١٩١٤ ــ رئيس أركان حرب الجيش التاسع تحت قيادة فوش العظيم (٢٩ أغسطس)

١٩١٥ ــ حائز لوسام اللجيون دونور من رتبة أوفسييه

١٩١٦ ــ جنرال لابريجيد

١٩١٨ ــ ماجور جنرال لجيوش الحلفاء (٦ مارس) . حائز لوسام اللجيون دونور من رتبة كوماندور

١٩١٩ ــ سكرتير عام للجنة الحلفاء الحربية في مؤتمر فرساي

١٩٢٠ ــ رئيس البعثة العسكرية الفرنسية الى بولونيا (يوليه ــ أغسطس) وحائز لوسام اللجيون دونور من رتبة جراند أوفسييه

١٩٢٣ ــ المفوض السامي الفرنسي في سوريا (١٩ أبريل)

١٩٢٤ ــ عضو في مجلس الحرب الأعلى . مدير معهد الدراسات الحربية العليا . وحائز لوسام اللجيون دونور من رتبة جراندكروا

١٩٣٠ ــ رئيس أركان حرب الجيش الفرنسي (١٢ يناير)

١٩٣١ ــ وكيل مجلس الحرب الأعلى . مفتش عام الجيش . وعضو في الاكاديمية الفرنسية (١١ يونيه)

١٩٣٥ ــ أحيل الى الاستيداع لبلوغه السن القانونية

١٩٣٧ ــ عضو مجلس إدارة شركة قناة السويس

١٩٣٩ ــ القائد العام لجيوش الحليفتين في الليفانت

١٩٤٠ رئيس أركان حرب الجيش الفرنسي والقائد العام لقوات الحليفتين في فرنسا



غارة جوية

لم يكن يحسب أحد أن الطائرات ستلعب هذا الدور الهام في أعمال التخريب والتدمير.. ولكن هكذا شاءت الحرب الحديثة. وترى على هذه الصفحة منظراً رائعاً لاحدى طائرات القنابل البريطانية تقذف قنابلها على أحد المطارات في النرويج، وترى المطار وقد اشتعلت فيه النيران

الاميركيون يبنون ..

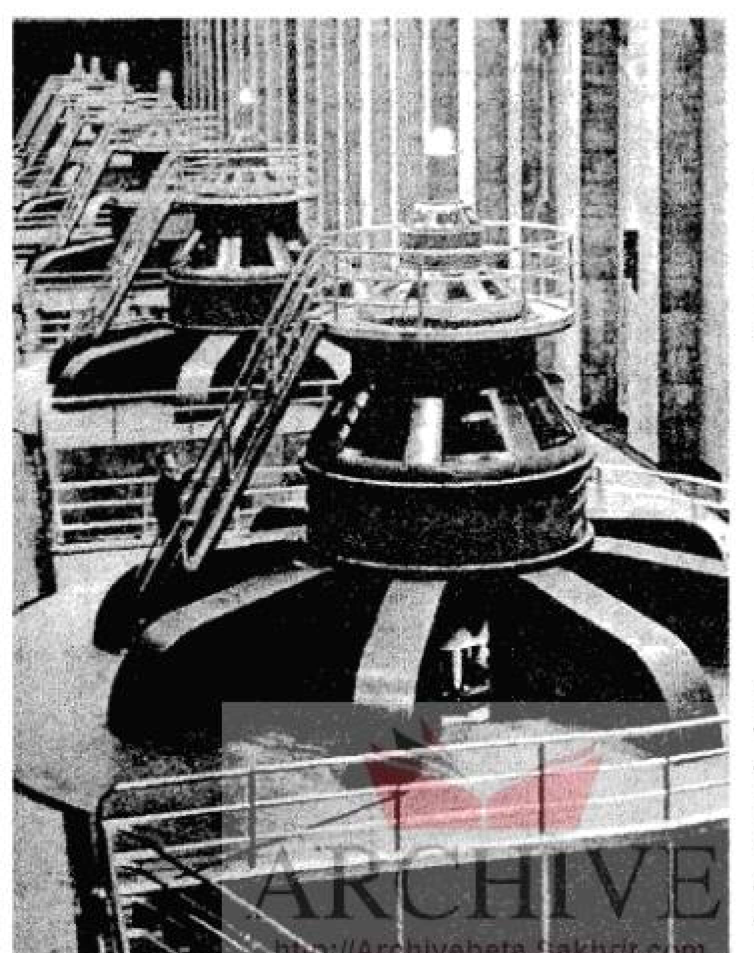
وأوروبا تدمر !.

في هذا الزمن العصيب الذي آلى فيه البشر على نفسه ليدمرن تراث الدنية وليشعلن نار الحرب حتى تبلغ عنان السماء ، يظل الاميركيون عاكفين على الخير والعمران ، ولا يعلنون الحرب إلا على الفقر والخراب والارض البوار . ويجد القارىء على هذه الصفحات صوراً لبعض المشروعات الزراعية الجبارة التي توفر على إنشائها مكتب إصلاح الأراضي البور الاميركي ، ويبلغ عددها ٣٢ مشروعاً تؤدي الى خصوبة حوالى ثلاثة ملايين من الأفدنة في غرب الولايات المتحدة الاميركية ويكفي — تمجيداً لهذا العمل الكبير — أن نذكر أن هذا المكتب مد ٦٦ر١٩٫٠ ميلا من القنوات ، وبنى ١٤٢ خزانا ومستودع مياه تختزن ٦١٠ر٤٢٤ر٤٢ ياردات مكعبة من الماء.. وشق أكثر من ثلثمائة نفق ، ومد ٢١٦٤ ميلا من الطرق ، و ١٥٩ ميلا من السكك الحديدية ، و ٤٥٠٠ ميل من الاسلاك التليفونية ، كل ذلك في مدة لاتتجاوز أربع سنوات . وكانت النتيجة المباشرة لهذه الجهود العمرانية الموفقة أن اتسع أفق العيش أمام ٨٧٣٫٠٠٠ مزارع جديد التحقوا بأكثر من خمسين الف مزرعة جديدة ! تلك عظة من عظات السلام نسوقها في زمن الحرب والذعر والقتام لعل فيها عزاء للضمير الانساني الذي يندب مصائر الشعوب

مدافع السلام !

هذه الانابيب من « عيار ١٨ » قدما رفعت فوهاتها الى أعلى لتتلقى تدفق مياه نهر كولمبيا وتحملها الى مولدات الكهرباء في خزان « جراند كوليه » الذي بناه مكتب إحياء الأراضي البور الاميركي





مشروع الكهرباء

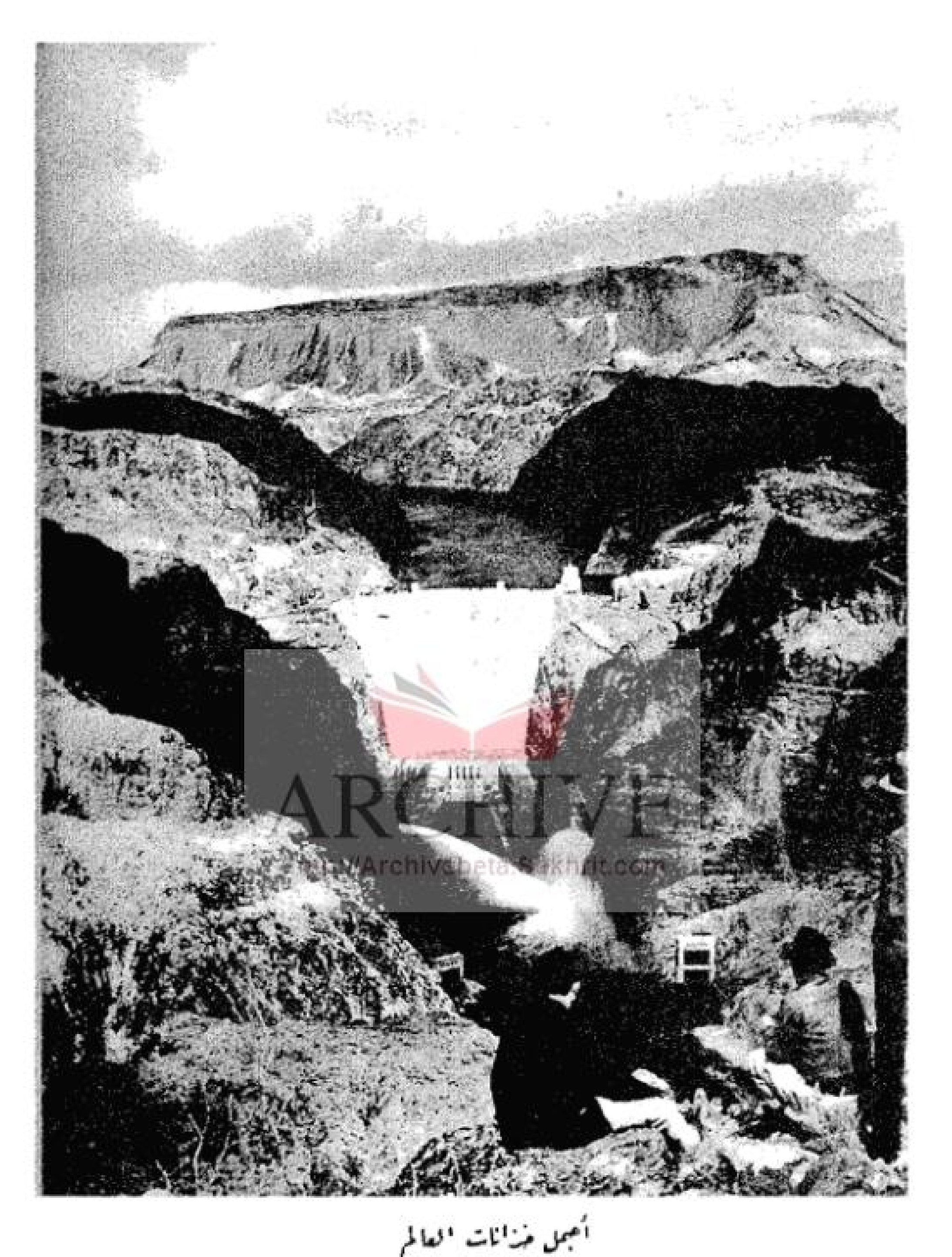
الجبار: مولدات الكهرباء الضخمة في خزان «بولدر» بالولايات المتحدة، وهي أقوى ما عرف الى الآن فانها تولد ١٣٠ مليون كيلو وات في الشهر



اخصاب الصحراء

منظر عام لحقل في جنوب كاليفورنيا كان صحراء قاحلة فاستحال الى جنة بجهود مكتب إحياء الاراضي البور الاميركي. وترى منابت الزرع وقد وضعت فوقها «مظلات» واقية من حرارة الشمس ريثما تنمو وتشتد





أجمل خزانات العالم

هو خزان « باركر » الذى بناه مكتب إحياء الاراضى الامريكى على بعد ١٥٥ ميلا جنوبى خزان « بولدر » على نهر كولورادو . وهو يتصدى لبليون جالون من الماء فى اليوم . ونرى هنا منظراً رائعاً له يزرى بأجمل المناظر الطبيعية



جمال المرأة – بريشة الرسام « آمتي »
(إقرأ قصة « النساء » في الصفحة المقابلة)

من قصص الادب والتاريخ

النساء

بقلم الاستاذ طاهر الطناحى

ـ العجب ممن لا يريد أن يزداد علما ، ويختار أن يزداد جهلا ..!

فقال أبو بكرالهذلى :

ـ وما تأويل قولك يا أمير المؤمنين ؟..

قال أبو العباس السفاح :

ـ يترك الرجل مجالسة عاقل أريب ، ويدخل الى امرأة أو جارية ، فلا يزال يسمع لغوا ،ويشهد نقصا ، ويرى سخفا ...

فقال أبو بكر :

ـ أصبت يا أمير المؤمنين ، وبذلك فضلكم الله يا بنى هاشم على العالمين ، وجعل منكم خاتم النبيين

وعصفت الريح ، فأذرت ترابا وقطعا من الحجارة والآجر من سطح الدار الى المجلس ففزع الحاضرون ، وفزع أمير المؤمنين . وأبو بكر الهذلى شاخص نحو أبى العباس لم يتغير كما تغير غيره ، ولم يهرول كما هرول سواه . فقال له أبو العباس السفاح :

ـ لله أنت يا أبا بكر . لم أر كاليوم .. أما راعك ما راعنا ؟!..

فقال الهذلى :

ـ يا أمير المؤمنين ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ، وانما للرجل قلب واحد، فلما غمره السرور بحضور أمير المؤمنين لم يكن فيه لحادث مجال

قال أبو العباس :

ـ لكن الخضراء قد انقلبت على الغبراء .. أوما شعرت بهما ؟!..

فقال الهذلى :

ـ ان الله اذا تفرد بكرامته أحد ، وأحب أن يبقى له ذكرها جعل تلك الكرامة على لسان نبى أو خليفة . وهذه الكرامة قد خصصت بها ، فمال اليها قلبى ، وشغل بها فكرى، فلما انقلبت الخضراء على الغبراء ما شعرت بها ولا أحسست منها فزعا

قال أبو العباس :

ـ أحسنت يا أبا بكر ، لئن بقيت لك لأرفعن منك وضيعا لا تطيف به السباع، ولا ينحط عليه العقاب

ووصله بجائزة سنية ، ثم انفض المجلس ، وانصرف الهذلى ، وما كاد يبرح دار الخلافة حتى أقبل خالد بن صفوان ـ وكان أبو العباس قد بعث فى طلبه ، وأعجبه ماسمعه عن بلاغته ، وحسن مؤانسته ، فلقيه الهذلى ، فقال له :

ـ أهلا بواعظ هشام ، ومساير الايام ، ومشايع الحكام ...

فقال خالد :

ـ ومرحبا بأنيس الامام ، ومزخرف الكلام ، ومصيب المرام ...

واستأذن خالد بن صفوان على أبى العباس ، فأذن له ، فدخل ، فاذا بالخليفة جالس وحده ، وقد تهيأ لحديثه ، واهتم بأمره ، فلما رآه رحب به وأدناه ثم قال له :

ـ يا خالد قد وعظت هشام بن عبد الملك حتى كدت تخرجه عن ملكه ، وتلحقه بالزاهدين . وما أريدأن أتخلى عن أمرى ، وقد رفعته السيوف ، وسقته الدماء . وأرى أن هذا الامر لا يقوم لبنى العباس ان أنا فرطت فيه وانصرفت عنه . فما تقول فى رجل يتبرم بنفسه ، ويريد لها منفرجا ؟

فقال خالد :

ـ يا أمير المؤمنين انى فكرت فى أمرك وسعة ملكك ، وتفضيلك منادمة الرجال على النساء ، ورأيت أنك قد ملكت نفسك امرأة واحدة ، تتحكم فيك وانت الخليفة ، وتفرض ارادتها عليك ، وتحرمك مما احله الله لك من متع الدنيا ، ولذات الحياة ، فان مرضت ، مرضت ، وان غابت عنك ، غبت عن النساء ، وصرفت نفسك عن سواها من كرائم الاحرار وكواعب الجوارى وما لهن من جمال وأخبار وأحوال

فقال أبو العباس :

ـ وكيف ذلك يا خالد ؟..

قال :

ـ ان منهن يا أمير المؤمنين الطويلة الفرعاء ، والدقيقة الهيفاء ، والغضة البيضاء ، والبضة السمراء ، والبربرية العجزاء من احرار الشام ومولدات المدينة ، يفتن بحديثهن ، ويأسرن بمؤانستهن

فقال أبو العباس :

ـ ايه يا بن صفوان ...

قال خالد :

ـ وان من مولدات البصرة واحرار الكوفة المهفهفة الغيداء ، والمخصرة الحسناء ، والرشيقة العيناء ، والقسيمة الدعجاء ، ذوات الالسن العذبة ، والقدود المستضعفة ، والاعطاف الواهنة المستظرفة

فقال أبو العباس :

ـ ايه يا بن صفوان •••

قال :

ـ وان من الفارسيات النحيفة الحلابة ، والسمينة الجذابة ، واللطيفة المؤنسة ، والرفيقة المبهجة ، ذوات الاعين المكحلة ، والاصداغ المزرفنة ، والازياء الملونة ، والنظرات الآسرة

فقال أبو العباس :

ـ احسنت يا بن صفوان ، ثم ماذا ؟••

قال خالد :

ـ وان من التركيات الغانية الشقراء ، والفاتنة الحمراء ، والوضيئة الرائعة ، والوسيمة الباهرة ، والناعمة الناضرة ، والمعطال الساحرة

فقال أبو العباس :

ـ احسنت يا بن صفوان ، ثم ماذا ؟••

قال :

ـ وان من المصريات الفارعة السمراء ، والخمرية اللعساء ، والسمينة المكتنزة ، والرقيقة المتزنة ، والصبيات الكواعب ، والفتيات الضاحكات اللواعب ، ذوات اللحاظ السارق ، والحب المتأجج الدافق

فقال أبو العباس :

ـ ويحك يا خالد •• ما نفذ الى نفسي كلام أحسن مما سمعته منك اليوم ، فأعد على كلامك ، فقد وقع مني موقعا•••

فأعاد عليه خالد أحسن مما قاله ، ثم انصرف •••

***

انصرف خالد بن صفوان من المجلس وبقي ابو العباس السفاح واجما مفكرا فيما سمع، ومرت مدة زادته وجوما وتفكيرا ، ودخلت زوجته ام سلمة المخزومية ، فوجدته على هذه الحال ، فقالت له :

ـ انى لانكر حالك اليوم يا أمير المؤمنين ، فهل حدث أمر تكرهه ، أو أتاك نبأ ارتعت له ؟••

قال :

ـ لم يكن من ذلك شيء •••

ـ اذن ففيم تفكر ، وماذا يهمك ؟

فسكت ابو العباس ، وجعل ينزوى عنها ، فألحت عليه ، فاعرض ، فازدادت الحاحا ، ولم تزل به حتى أفضى اليها بما قاله خالد بن صفوان ، فقالت :

ـ وماذا قلت لابن الفاعلة ؟!••

قال :

ـ سبحان الله ينصحنى وتشتمينه ؟!٠٠

قالت :

ـ أو تظنها نصيحة !٠٠٠

قال :

ـ نعم ٠٠٠

فصاحت أم سلمة :

ـ أوه ٠٠ أو لم تقسم لى ألا تقرب غيرى ؟٠٠

وخرجت باكية مغضبة ٠٠٠

***

وكانت أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة المخزومى هى الزوجة الوحيدة التى اصطفاها ابو العباس لنفسه ، واصطفته لنفسها قبل أن يتولى الخلافة ٠ وقد كانت زوجة لهشام بن عبد الملك بن مروان الخليفة الاموى ، ثم مات عنها ٠ فبينما هى ذات يوم اذ مر ببابها ابو العباس السفاح ، وكان شابا جميل الوجه ، طويل القامة ، وسيم الطلعة ، فسألت عنه ، فنسب لها ، فارسلت اليه مولاة لها تعرض عليه أن يتزوجها ، فقال لها :

ـ أنا مملق ، لا مال عندى ، فلا استطيع الزواج

فبعثت اليه بسبعمائة دينار ، وأنبأته ان يتقدم بخطبتها الى أخيها ، فقبل ابو العباس وأسرع الى أخيها ، فقدم له خمسمائة دينار مهرا لها ، وبعث اليها هدايا بمائتى دينار ، وتزوجها وحظيت عنده ، وأقسم لها ألا يتزوج سواها ، ولا يتسرى ولا يقرب جارية أو حرة ، فولدت منه « محمدا » و « ريطة » ، وغلبت عليه غلبة شديدة ، فصار لا يقطع أمرا الا بمشورتها ، ولا يأتى شيئا الا اذا رجع اليها ، حتى أصبحت قبل الخلافة سيدة الاسرة ، وبعد الخلافة سيدة الدولة

وكانت أم سلمة تعرف خالد بن صفوان منذ كانت زوجة لهشام بن عبد الملك ، وكانت تنكر عليه اغراءه لهشام ، وتقربه منه طمعا فى أعطيته ، وقد نقمت منه ما اراده بزوجها من الخروج عن الخلافة ، والزهد فى الحياة ، والانقطاع الى العبادة ٠فقد حضر خالد مجلس هشام بن عبد الملك يوما ، فقال له هشام :

ـ حدثنى يا بن صفوان من أخبارك

فقال خالد :

ـ انى لا أجد شيئا أبلغ ولا أجمع من ذكر قصة لملك خلا من الملوك ، فان أذن أمير المؤمنين أكرمه الله ، حدثته

قال هشام :

ـ هات يا بن صفوان ٠٠٠

فقال :

ـ كان فيما خلا من الزمان ملك بسط الله له فى الجسم والمال ، فخرج ذات يوم متنزها الى بعض ضياعه ، وصعد جوسقا له ، فأشرف على أرض قد أخضلها ربيع ضاحك كان شبيها بربيع عهدك هذا يا أمير المؤمنين فى خصبه وعشبه ، وكثرة رخائه وخيره ، وابتسام أزهاره ، وحلاوة مطلعه وحسن بره ، فنظر الى ما اعطاه الله من الضياع والاموال والمتاع ثم قال لمن حوله :

ـ لمن كل هذا ؟

فأجابوا :

ـ لك ايها الملك ...

فقال :

ـ هل رأيتم مثل ما أنا فيه ، وهل أوتى أحد أحسن مما أوتيته ؟..

فأجابه رجل من أهل العلم والحكمة :

ـ أرأيتك ايها الملك هذا الذى أعجبك ، وعظم به كبرك .. هو شيء كان لك ، ولم يكن لغيرك ؟ . أو هل كان لغيرك فزال عنه اليك ، ثم هو صائر الى سواك كما صار اليك ؟

قال الملك :

ـ بل هو كما ظننت ومثلت ..

فقال الحكيم :

ـ فانى أراك أعجبت بما يفنى ، وزهدت فيما يبقى ، وسررت بالقليل

قال الملك :

ـ ويحك .. فكيف المطلب ، وأين المهرب ؟

قال الحكيم :

ـ احدى خصلتين : اما أن تقيم فى ملكك تعمل بطاعة ربك على ما ساءك وسرك ، واما أن تضع تاجك ، وتذكر ذنوبك ، وتلحق بالخلاء فتعبد الله حتى يوافيك اجلك فتظفر بما يصغر دونه ملك الدنيا

فقال الملك :

ـ سأرجع الى نفسى فى الاختيار

وكان اليوم التالى ، فوضع الملك تاجه ، ولبس أطماره ، ولحق بالجبل ...

فلما سمع هشام بن عبد الملك هذه القصة من خالد نكس رأسه طويلا ، وبقى مفكرا مغموما ، ودخل على زوجته أم سلمة ، فقالت له :

ـ مالى أراك مفكرا مهموما يا أمير المؤمنين ؟!

فسكت وأبى أن يخبرها بما فى نفسه ، فألحت عليه ، فأخبرها بما قاله خالد بن صفوان فبعثت اليه تقول :

ـ يا بن الفاعلة ، أفسدت على أمير المؤمنين لذته ، ونغصت عليه شهوته ، وزهدته في متاع الدنيا ، ونعيم الملك

فأجاب الرسول :

ـ قل لام سلمة ، ما أردت الا خيره ، فاني عاهدت الله ألا أخلو الى خليفة الا نبهته ونصحته ...

***

وتوفى هشام بن عبد الملك ، وانتقلت أم سلمة بعده الى ابى العباس السفاح ، وانتقلت الخلافة اليه ، واصبحت زوجة خليفة عباسى ، كما كانت زوجة خليفة أموى وصار لها عند ابى العباس الحظوة الكبرى ، والمكانة العظمى ، وكان يتفاءل بها ، ويسمع لآرائها ، على الرغم من سوء ظنه بالنساء ، وانصرافه عنهن ، وتفضيله لمجالسة الرجال

وانتقل خالد بن صفوان مع الايام . فصار جليسا لابى العباس السفاح ، كما كان نديما لهشام بن عبد الملك ، وبعث ابو العباس يوما فى طلبه ، وكان ضيقا بنفسه ، فافضى الى خالد بما يجد ، فتأمل خالد فى أمره ، ثم جعل يصف له محاسن النساء ويروى له أوصاف العربيات والفارسيات والتركيات والمصريات ، وابو العباس يستزيده حتى قضى فى ذلك وقتا ونهض منصرفا ، فبقى الخليفة مكتئبا مغموما ، ودخلت عليه « أم سلمة » فرأته على هذه الحال ، فسألته ، والحت فى سؤالها حتى أنبأها بما قاله خالد ، وبما قدمه اليه من نصيحة ، فقالت له :

ـ أو تظنها نصيحة ...

قال :

ـ نعم ...

فصاحت أم سلمة :

ـ أوه .. أولم تقسم لى ألا تقرب غيرى ؟

وخرجت باكية مغضبة حاقدة .. وكان خالد بن صفوان قد خرج من مجلس ابى العباس مسرورا مبتهجا بما أدخله على نفس الخليفة ، وما رأى من استحسانه لقوله واعجابه بوصفه ، فما كاد يستقر فى داره حتى جاءته غلمان ام سلمة ، فظن ان جائزة مقبلة من أمير المؤمنين فأسرع لاستقبال الغلمان ، فقالوا :

ـ اين خالد بن صفوان ؟

فقال لهم :

ـ هأنذا خالد ...

فما كاد يتم قوله ، حتى سبق اليه أحدهم بهراوة ، فضربه بها ضربة قوية ، فوثب خالد الى داخل بيته واغلق بابه ، وامتنع عنهم ، ومكث اياما لا يخرج منها ، وطلبه ابوالعباس مرارا ، فلم يذهب .. حتى كان ذات يوم فاقتحم الدار بعض الجند ، وقالوا :

ـ أجب أمير المؤمنين ، والا قتلناك ...!

فايقن بالموت ، وذهب معهم ، فلما دخل على ابى العباس اذن له بالجلوس ، فنظر خالد ، فاذا باب عليه ستور قد ارخيت ، وحركة خلفه

فقال له ابو العباس :

ـ يا خالد لم أرك منذ أيام فما منعك ؟...

ـ كنت عليلا يا أمير المؤمنين

ـ لا ، وشفاك الله ...

ثم قال ابو العباس :

ـ انك يا بن صفوان ، قد رويت لى من اوصاف النساء ما لم يطرق مسمعى قط ، فاعده على ...

فقال خالد :

ـ نعم يا أمير المؤمنين . قد رويت لك أن العرب اشتقت اسم « الضرة » من الضر ، لانها تضر سواها ، وتتعب زوجها . وان الرجل ما تزوج غير واحدة حتى كان فى جهد وجهاد ...

قال ابو العباس :

ـ ويلك لم يكن هذا فى الحديث !...

فقال خالد :

ـ بلى يا أمير المؤمنين ، وأخبرتك ان الثلاث من النساء كأثافى القدر يغلى عليهن ..

قال ابو العباس :

ـ برئت من قرابتى برسول الله ان كنت سمعت هذا منك !..

قال خالد :

ـ واخبرتك أن الاربع من النساء شر وبلاء لصاحبهن ، يشيبنه ، ويسقمنه ، ويهرمنه..

فقال ابو العباس :

ـ ويلك .. وتكذبنى !..

قال خالد :

ـ وتريد قتلى يا أمير المؤمنين !..

قال ابو العباس :

ـ لا . واستمر فى حديثك ...

قال :

ـ وأخبرتك أن ابكار الجوارى رجال فى أزياء نساء ..

فضحك ابو العباس ، وضحكت من كن خلف الستور ضحكا سمع بالمجلس ..

ثم قال خالد :

ـ نعم ، واخبرتك أن بنى مخزوم ريحانة قريش ، وأنت عندك ريحانة من الرياحين ، وتطمع فى احرار النساء وغيرهن من الاماء

فقيل له من وراء الستور :

ـ صدقت يا خالد والله وبررت ، بهذا حدثت أمير المؤمنين ، وقد نسيه !..

فقال ابو العباس :

ـ قم قاتلك الله وأخزاك ، وفعل بك وفعل ..

فقام خالد مهرولا ، وقد أيقن بالحياة .. وما كاد يستقر فى داره حتى لحق به رسل ام سلمة المخزومية ومعهم عشرة آلاف درهم ، وتخت ، وبرذون ، وخادم فقدموها له ، وهم يقولون :

ـ هذا جزاء « صدقك » !.. واياك وأوصاف النساء ...

طاهر الطناحى

عبقرية الامم ، وسلاح العلم

إن الذى جَعَلَ الزَّمانَ مُؤدِّباً   جعلَ الحوادثَ للشعوبِ كتابا
والناسُ تعوزُها العقولُ ، فتستوى   فى الجهلِ من شَهِدَ العظاتِ وغابا
العبقريةُ فى الحياةِ لأمَّةٍ   تلدُ العقولَ ، وتُنجِبُ الألبابا
سَلبُ الشعوبِ لِمن يُقلِّبُ حولها   ظُفُراً مِنَ العلمِ العتيدِ ، ونابا
العلمُ إن حَمَتِ الضراغمُ مُلكَها   مُلكٌ أعز حمىً ، وأمنعُ غابا
أرأيتَ مَن أخذَ الحياةَ بحقها   وسعى لها سَعيَ الرجالِ ، فخابا ؟

احمد محرم

كيف تقوى ذاكرتك

يشكو كثير من الناس ضعف ذاكرتهم • ذلك ان الذاكرة القوية أمر لا بد منه لكل امرىء يريد تيسير حياته بين عامة الناس ، ولان نسيان الامور التافهة البسيطة كثيرا مايؤدى الى أمور تنغص حياة الانسان ، وقد تقيم العقبات الكبيرة فى طريق حياته العادية

ومقدرة عامة الناس على التذكر ضعيفة تافهة الى حد يضحك وان كان يدعو الى الاسف والاسى • فالشىء الوحيد الذى تتوقع ان تتذكره كل سيدة فى مقتبل أمومتها هو التاريخ الذى بدأ فيه اطفالها يمشون أو يتكلمون ، ومع هذا فقلما نجد هذا التاريخ ثابتا فى ذاكرات الامهات بعد انقضاء شهور قلائل • فقد درس أحد الاساتذة حالة ٢٥٢ طفلا فوجد ان ٤٩ ٠/٠ من أمهاتهم هن اللاتى يذكرن التاريخ الذى بدأوا فيه يمشون وحدهم و٣٦ ٠/٠ منهن يذكرن الوقت الذى بدأت تنبت فيه لاطفالهن اسنانهم الاولى ، و٩ ٠/٠ منهن يذكرن وزن أطفالهن عندما أتموا السنة الاولى من أعمارهم •• هذا مع ان اولئك الاطفال لم تكن سنهم حين سئلت امهاتهم تجاوز الشهر الحادى والعشرين !

ومن أبسط واضمن الطرق لتقوية الذاكرة « محاولة تذكر الاشياء » أول ما يسمع بها المرء أو يقرؤها أو يراها • فعندما « يحاول الانسان ان يتذكر » تقوم ذاكرته بأداء مهمتها خيرا مما تقوم به عندما يدعها وشأنها بغير معاونة

فطبق هذه القاعدة فى كل مرة تمر فيها على أمر تريد تثبيته فى ذاكرتك ، فاذا عرفك أحدهم بشخص ما فقل لنفسك : « يجب ان أحاول تذكره ! » فستجد حينئذ انك تذكره خيرا مما كنت تذكره لو لم تقل هذه الكلمة التى اعانت ذاكرتك على عملها

وان ما تقرأ فى الصحف أو ترى فى السينما أو تسمع فى الراديو أو تتحدث عنه مع الناس ، كل هذا يمكن ان تتذكره مدة أطول وعلى صورة أكمل اذا بذلت جهدا ينشط الذاكرة ، وهذا الجهد يشمل اربعة اشياء : التعزيز ، والتكرار ، والاستعراض ، والارتباط

فتعزيز الذاكرة بمعونة خارجية يمكنها من الاحتفاظ بذكرياتها ، ويقدر أن قوتها على تذكر المرئيات تزيد بمقدار ١٥ ٠/٠ بعد انقضاء اسبوع كامل اذا نحن لم نكتف بمشاهدة هذه المرئيات بل ذكرنا اسماءها لانفسنا بصوت مرتفع • وقد قدر أحد علماء علم النفس ان مقدرة الأنسان على تذكر ما يقرأ تزيد قوة وتطول مدة اذا أمضى ٤٠ ٠/٠ من الوقت فى القراءة و٦٠ ٠/٠ منه فى تكرار ما قرأ بصوت مرتفع • فنطق اسم الشىء الذى تريد أو يجب ان تذكره يساعد على تقرير أثره وتوكيد وقعه فى الذاكرة ، اذ ان هذا الاثر

او الوقع يأتى عن طريق عدة حواس : العينان واللسان والاذنان

أما التكرار فهو أقدم الوسائل التى تتخذها المدارس فى تذكير تلاميذها • وعن طريقة تعلمنا جدول الضرب وحفظنا اناشيد الصلاة ، وما زالت الاشياء التى كررناها فى صبانا راسخة فى اذهاننا

وقد اثبتت مئات « المعامل النفسية » ان ما يزول من الذاكرة بعد انقضاء يوم واحد يمكن ان يثبت فيها مدى اسبوعين أو اكثر اذا نحن كررناه عدة مرات بعضها فى صمت وبعضها بصوت مرتفع ، فان ذلك يعين الى حد بعيد على الصاقها بالذاكرة خلال الفترة الاولى التى يسهل فيها النسيان السريع

ويمكننا ان نتخذ طريقة التكرار فى تذكر اسماء من نلقاهم من الناس ووجوههم • فاذا قدمنا الى شخص ما فيجب ان نكرر اسمه فى الحديث عدة مرات وان نحاول فى الوقت ذاته ان نتذكره دائما • ويسهل على ذاكرتك مهمتها فى هذه الحالة ان تتهجى حروف اسمه ولو كان اسما عاديا شائعا • وتدل التجارب على اننا اذا كررنا الاسم ثلاث مرات فانا نذكره ضعف ذكرنا اياه لو كررناه مرة واحدة

اما الاستعراض فهو التذكر بعد انقضاء وقت ما • وهذه الطريقة خير مساعد للذاكرة على تذكر وجوه الناس • وقد ساعدت كثيرا من التجار على ذلك اذ قضى بعضهم بضع دقائق كل يوم فى اثناء انتظارهم القطار أو تناولهم الطعام فى الرجوع الى مذكراتهم حيث يستعيدون الوجوه والاسماء التى مرت بهم فى خلال التجارة ، فأجمع هؤلاء التجار بدون استثناء على أن هذه العملية اليسيرة قد أعانت ذاكرتهم على تذكر ما يمر بها من العملاء فترة طويلة • ويمكن للطلاب وللموظفين ان يتخذوا طريقة الاستعراض ـ كما اتخذها التجار ـ فى تذكر دروسهم وأعمالهم

فاذا تذكرنا الشيء جيدا فى الساعة الحاضرة وجب ان نثابر على تعزيزه وتكراره واستعراضه من آن الى آن حتى نستطيع ان نتذكره تذكرا شاملا دقيقا مدى طويلا

ثم يأتى دور الارتباط ـ أى ربط الشيء بشيء آخر • فانا اذا لم نصل الامور بعضها ببعض فسنجد ان الذاكرة قد صارت كسلة المهملات تنتثر فيها الاشياء انتثارا نجهد ـ أو نعجز ـ فى استخراج ما نشاء منها • فيجب اذن ان نربط ما يمر بنا من الامور التى نريد تذكرها بما سبق ان استقر فى ذاكرتنا مما تربطه به صلة ما

فاستعن بطريقة الارتباط على تذكر الاسماء والوجوه • فاذا قابلت شخصا ما فاربط نطق اسمه أو صورة وجهه باسم قريب من بك أو بصورة شبيهة تعرفها ، او بشخص يشبهه فى أمر ما ويجاورك فى المسكن أو يزاملك فى العمل • وربط ما يجد بما سبق يفيد الذاكرة من وجهين : جعل الجديد شديد الرسوخ فيها أولا ، واستخراج ما كمن فيها من الذكريات السابقة ثانيا

(خلاصة مقال فى مجلة باريد من كتاب « قوة الذهن » للدكتور دونالد ليرد)

السلام الأبدي

على اية قاعدة يقوم؟

بقلم الاستاذ نقولا الحداد

هل تبطل الحرب ، وهل يقوم سلام ابدى على الأرض ؟ ذلك ما عالجه الاستاذ نقولا الحداد فى هـذا البحث الممتع العميق

يقول أنصار الديموقراطية ان الحلفاء يحاربون لكى يقطعوا دابر الحرب . وقد سمعنا هـذا اللحن المطرب فى الحرب الماضية . والآن نأسف ان دابر الحرب لم يقطع ، والحرب تجددت . وهذا الحلم لم يتحقق ، ونؤكد انه لن يتحقق بهذا الأسلوب

والقول ان الحرب تحسم الحرب انما هو سفسطة جازت على سواد الناس الذين كانوا يبررون تعبئة الجيوش على أمل أن يحسموا الحرب بحرب

قد لا تحسم الحرب الحروب إلا اذا سحقت دولة واحدة جميع الدول ، وأبادت جميع الأمم ، ولم تبق فى الوجود إلا أمة واحدة لا منازع لها . فتملك الأرض كلها وتنمو وتتكاثر فيها وحدها الى زمن . وبعد الزمن الطويل تتفرع تلك الأمة الى أمم وثم يعيد التاريخ نفسه

وانما يمكن أن تقمع الحروب من غير إفناء الأمم اذا اجتثت أسبابها من جذورها . واذا كان الصلح القادم لا يبنى على إزالة الاسباب فلا يتأيد السلم فى العالم حتى ولا الى زمن قصير . فلنبحث عن أسباب الحرب على الاطلاق ، وعن أسباب الحرب الحاضرة على الخصوص

اسباب الحرب على العموم موجودة فى تنازع المنافع الاقتصادية . والرأسماليون هم المسئولون عنها لانهم متهمون بالتحريض عليها بغيـة الانتفاع منها استعمارياً ، ولأنهم يشاغلون العمال بها عن الثورة ضد الرأسمالية

وأما اسباب الحرب الحالية فيمكن ردها الى صيغة معاهدة فرساى اولا ، والى كيفية تكوين جمعية الأمم ثانيا

أما معاهدة فرساى فلا ريب انها كانت جائرة على الأمم المغلوبة . وقد اعترف كثير من كتاب الحلفاء وخطبائهم وساستهم بجورها

وأما جمعية الأمم الحالية التى كان الغرض من إنشائها ان تكون فصل الخطاب وقاضى القضاة

لتدارك جميع اسباب الحروب فقد فشلت ، لأنها لم تنشأ جامعة لجميع الأمم ولا نظمت كحكومة الحكومات كما كان يفهم من وضعها . لم تكن هذه الجمعية إلا تحالف بعض الدول ضد دول أخرى . وما دام هناك ضدان فهما عدوان يوجس كل منهما من الآخر . إذن لم يكن بد من الاستعداد للحرب ومن نشوب الحرب . فنشبت

فكل من معاهدة فرساي وهذه الجمعية زرعت الحقد فى قلوب الدول التى لم تكن أعضاء فى الجمعية والتى كانت تعتقد ان الجمعية أنشئت لمناهضتها ومناصبتها العداء

ثلاث طرق لتلافى الحروب

لنبحث الآن فى الطرق التى يمكن ان تخمد فيها الحرب خموداً تاما ويتأيد فيها السلم الى زمن طويل . هناك ثلاث طرق :

الطريقة الاولى ، التوازن الدولى ، أى ان الدول الكبرى تنقسم الى حلفين متعادلين فى القوى الحربية . وكل حلف يقف بالمرصاد للحلف الآخر . فلا يطمع هذا بأن يقضى على ذاك ، بل بالأحرى يتهيب منازلته . وقد كان هذا التوازن الدولى ضامنا للسلم فى الزمن الماضى آجالا قصيرة . ولم يضمن دوامه لأنه يكون مقلقلا . ناهيك عن ان قلة الطمأنينة فيه كانت تضطر الدول أن تتبارى فى التسلح ، وهذا التبارى انما هو ضرب من الحرب لأنه وان لم يسفك دماء الأمم فقد كان يسفك قواها . فالتوازن الدولى لم يؤيد السلم بالمعنى المراد بل كان يسوف الحرب تسويفا لا تطمئن فيه أعصاب الامم . إذاً ، هذه الطريقة لا رجاء فيها للسلم

الطريقة الثانية هى أن ينتصر حلف من الدول على حلف آخر فيسحقه سحقاً ، ويستعبده إن لم يبده إبادة تامة . ثم ينقسم هذا الحلف على بعضه فتنتصر فيه دولة واحدة وتسحق الدول الاخرى وتستعبد سائر الامم أو تبيدها وتبقى هى وحدها ، مالكة الارض . هذا كان حلم مخترع «السوبرمان» ولا يزال حلم خلفائه الالمان ، وهو حلم ليس مستحيل التحقيق لأنه مطابق لسنة تنازع البقاء ، وانما هو بعيد التحقيق جداً ، ولا يمكن أن يتحقق إلا بعد أن تتداول النصر فيه الأمم زمناً طويلا . ولا تبقى أخيراً الا الأمة التى نصرها التوفيق لا التفوق فى الذكاء والدهاء

فهذه طريقة لا يرجى منها سلم أيضاً . وما هى الا ممارسة سنة تنازع البقاء وبقاء الافضل . وهى سنة بطيئة جداً فى الأحياء العليا ، وأبطأ جداً في المملكة الانسانية ، فنضرب عنها صفحاً . ناهيك عن انها ليست أمراً انسانياً ، وليست فيها السعادة التى تنشدها الامم . وما من أمة يرتاح ضميرها اليها ، ولا شعب يضمن لنفسه الفوز فيها إذا كان يبتغيها ، وانما تبتغيها طائفة من قادة الامم تولت وكالة ابليس على الارض

الطريقة الثالثة : هى الطريقة المعاكسة للطريقة الثانية على خط مستقيم ، أى طريقة التضامن

والتعاون (ضد التنازع) لأنها الطريقة المتفقة مع خطة الارتقاء

كل خطوة من خطوات الارتقاء تبتدىء بتنازع متنازعين من الأحياء . فالفريق الذى يتفوق بمزية التعاون بين أفراده يكون أنجح فى مضمار هذا التنازع فيتغلب على الفريق الآخر ويطرده من أمامه أو يبيده ويحل محله . وبهذا التفوق يعد مرتقياً درجة من درجات الرق

فى هذا السبيل تسير الانسانية الآن . والى نظام التعاون والتضامن فيما بينها تتجه ، والى الانتظام فى هيئة واحدة ستصل . وستصل سريعاً لوفرة وسائل الاتصال المادي والعقلى والروحى من مواصلات ومكالمات ومطبوعات ومنشورات الخ

فالأساس الذى يبنى عليه سلم العالم الدائم هو تنظيم هذا التعاون والتضامن بين الامم بحيث تصبح جميعاً كأمة واحدة مشتركة فى الاستغلال والاستهلاك على قدم المساواة تقريباً

فكما أن المملكة الواحدة مؤلفة من أقاليم أو ولايات مستقلة بعضها عن بعض استقلالا داخلياً وكل اقليم أو ولاية مؤلف من مقاطعات ، هكذا يمكن أن تؤلف مملكة الانسان من ممالكه الحالية وأن تكون لها حكومة عليا تسيطر على جميع حكوماتها . أى ان الكرة الأرضية تصبح مملكة واحدة ذات دولة واحدة هى سيدة الدول . بهذا المعنى يجب أن تنتظم جمعية الامم ، وبغير هذا المعنى فهى نظام خائب فاشل

أنشئت جمعية الامم الحالية على قصد أن تكون بهذا المعنى الذى شرحناه ، ولكنها ما تكونت حتى ظهرت كأنها محالفة بين الدول المنتصرة فى الحرب الكبرى مع دول صغرى كانت موالية لها . لم تنشأ لكى تضمن سلاماً أو عدالة ولا لكى توزع سلاحاً ، بل لكي تضمن لكبرى دولها سيطرة على دول أخرى . فكانت جمعية أمم ضد أمم . مع ذلك لا نغمط فضلها . حسبها نفعاً أنها نبهتنا الى عيوبها لكى نعرف كيف نصلحها

دولة الدول وحكومة الحكومات

كيف ينبغى أن تنظم الجمعية لكى تكون جمعية الامم جمعاء لا جمعية بعض أمم ، ولكى تكون حكومة الحكومات وفى يدها ميزان العدل لكى توزع العدل على جميع الأمم ، ولكى تضمن سلام العالم ضمانة تامة أكيدة دائمة ؟

أولا ـ يجب أن تكون كل أمة بلا استثناء عضواً فيها . تجبر على العضوية فيها إجباراً (ان كان لها غرض فى الانفراد) بحكم جميع الأمم الأخرى وبسلطانها . ولا تستطيع أمة أن تعتزلها بوجه من الوجوه ، كما لا تستطيع مديرية من المديريات المصرية أن تستقل عن الدولة المصرية

ثانياً ـ يؤلف مجلس جمعية الأمم أو حكومة حكومات الامم من مندوبين عن كل أمة ، ولا تعين هؤلاء المندوبين حكوماتهم تعييناً ، بل كل أمة تنتخب نوابها فى هذه الهيئة العليا كما تنتخب

نوابها فى برلمانها بحيث يكون كل مندوب مستقلا عن حكومة بلاده فلا سيطرة لها عليه . إذاً تكون جمعية الأمم هذه برلمانا أعلى لجميع الأمم . وهذا البرلمان الأعلى يعين منه هيئة الادارة السياسية العامة وهيئة أخرى للقضاء وهيئة لتنظيم الأمور الاقتصادية وهيئة لحفظ الأمن الخ . ويجب أن تتساوى جميع الأمم فى عدد النواب من غير اعتبار لجسامة الأمة بحيث لا يكون لامة كبرى امتياز على صغرى تستطيع أن تهضم به حق غيرها ، بهذا التساوى فى التمثيل النيابى تضمن حقوق الامم الصغيرة ولا تهضم حقوق الامم الكبيرة

ثالثاً — تكون حقوق الامم فى هذه الحكومة متساوية ولا تفاضل فيما بينها . ولا عبرة لجسامة أية أمة الا فى توزيع الواجبات وتقسيم المنافع بحيث يتساوى أفراد الامم على اختلاف جنسياتهم بالاستغلال والتمتع

رابعاً — يجب أن توضع تحت سيطرة هذه الحكومة العليا قوات عسكرية وأسلحة كافية لحفظ الامن بين الامم . وهذا يستلزم ان تجرد الدول من معظم أسلحتها بحيث تفوق قوة الحكومة العليا القوات الباقية لكبرى الدول ، فلا تعود دولة كبري قادرة على مناهضتها

تؤلف القوات العسكرية من جميع الامم بالتساوى بحيث لا تستطيع جنود أية أمة أن تتمرد لاجل مصلحة أمتها

تجبي نفقات هذه الحكومة العليا من جميع الدول بنسبة جسامتها

خامساً — يجب أن يلغى الاستعمار وأن تعطى كل مستعمرة راقية استقلالها التام وأن تكون عضواً فى الجمعية كسائر أعضائها ولها من الحقوق وعليها من الواجبات كدولة قائمة بنفسها

وأما المستعمرات التى لا تزال منحطة فتوضع تحت وصاية حكومة الحكومات العليا وهذه تقيم لها إدارة تحت إشرافها وتساعد أهلها على ترقية أنفسهم وتمدينهم الى ان يبلغوا من الرقى ما يخولهم الاستقلال التام

سادساً — تكون أبواب جميع الممالك والبلاد التى كانت مستعمرة مفتوحة لتجارة جميع الامم بلا استثناء . وأما المواد الخام التى هى مطمع الدول المستعمرة فتوزع على جميع الامم توزيعاً مناسباً لعدد أهلها ولحاجة صناعتهم

بالاجمال نقول : تزال جميع أسباب التنافس الاستعمارى بين الدول بواسطة تقسيم المنافع الاستعمارية بين الجميع

هذا مجمل نظام حكومة الحكومات التى نحن بصددها ، والتى لا تزال نسميها الى الآن « جمعية الامم » وهو نظام يتراءى انه نظرى لا عملى ، وقد يتراءى لكثيرين انه مستحيل التحقيق

ولكن على الذين ينظرون اليه هكذا ان ينظروا الى اعتبارين جوهريين لا بد منهما : الاول ان كل نظام فى المملكة الانسانية كان فى مبدئه نظريا ثم صار عمليا . والنظام الجمهورى بقى نظرية

خيالية ألوف السنين حتى أواخر القرن الثامن عشر . والآن أصبح نظاما عمليا مستقراً

والاعتبار الثانى ، وهو الاهم ، هو انه يستحيل ان يتوطد السلم بين الامم إلا بواسطة هذا النظام سواء أكان نظريا او عمليا . فاذا كانت بعض الدول الكبرى تظل مكابرة متبرمة من هذا النظام ومقاومة له بزعم انه يحط من مقامها ويقلل من هيبتها ويضيع من مزاياها ومنافعها الى غير ذلك فان ما تضيعه فى التسليح وفى الحروب هو اضعاف اضعاف ما تضيعه فى هذا النظام . ومهما خسرت انكلترا وفرنسا او المانيا مثلا فى هذا النظام فلا تخسر كل يوم بضعة ملايين من الجنيهات كما تخسر الآن فى هذه الحرب . على انها لن تخسر بهذا النظام شيئا ما دامت المنافع توزع بنسبة عدد افراد الامة وأهليتهم . بل يحتمل جداً ان هذا النظام (الذى يعد بدء نظام اشتراكى) ينيلها من المنافع أكثر مما تنال الآن ، وينيل سائر الامم الصغرى والمستعبدة منافع لم تكن حاصلة عليها من قبل من غير ان تخسر الامم التى كانت تستعمرها وتستغلها شيئا

فى هذه الحرب التى لم تقع الى الآن فيها معارك عظيمة خسرت المانيا فى تسليح نفسها أكثر مما كانت تكسبه من مستعمراتها التى تبكى عليها الآن . وانضنك شعبها فى الاستعداد الحربى اضعاف ضنكه فى فقدان المستعمرات . والامر كذلك بشأن انكلترا وفرنسا

ان تنافس الدول فى الاستعمار واقتتالها لاجله ظهر للحاسبين والخبيرين جنونا مطبقا ، لانه يمكن الحصول على المنافع الاستعمارية من غير هذا التنافس . وقد أصبحت الدولة التي تتحفز للحرب لا تقصد بالغزو والفتح جر المغنم الاقتصادى بل تقصد اغتنام المركز الحربى ، كأن الحرب نفسها أصبحت غاية لاواسطة . فروسيا غزت فنلاندا لاجل اغتنام مواقع حربية لا لاجل استغلال البلاد. وتركيا بذلت جهدها لامتلاك الاسكندرونة لا لاستغلالها بل لاغتنام مركزها الحربى الممتاز . وهكذا تجاوزت الحروب غاية الاستعمار الى غاية الحرب نفسها . أى ان الدول تحارب لاجل الحرب لا لاجل المغانم الاقتصادية أو لاجل الفقر ، بل بالعكس تفتقر فى الاستعداد للحرب وتجوع لاجل الفوز فى الحرب . فهل جنون أسخف من هذا الجنون ؟

إذن ، كيف يمكن تحقيق هذا الحلم الجميل فى حين انه يتراءى نظرية متعذر حدوثها أو هو مستحيل

مؤتمر دولى تأسيسى

يعقد أولا مؤتمر تأسيسى دولى من بعض الدول المحايدة الكبرى : من الولايات المتحدة الأميركية وايطاليا واليابان على الأقل . مندوب أو مندوبان فقط من كل منها . وهذا المؤتمر يضع مشروع البرلمان الدولى الذى يعتبر « حكومة الحكومات » . والذى تؤلف منه الهيئات المختلفة لادارة مصالح الأمم السياسية والاقتصادية والقضائية الخ

ثم تدعو هذه الهيئة التأسيسية جميع الأمم لارسال مندوبين عنها لمؤتمر عام لكى يبحثوا المشروع وينقحوه ويقروه

قد تتخلف بعض الأمم عن حضور هذا المؤتمر العام ، فيكفى أن تجتمع فيه أكثرية الأمم لكى تضع دستور السلطة الدولية العليا ، حتى متى أقرته تستدعى بقية الأمم لانتخاب مندوبيها اليه . والأمة التى تتخلف عن الاشتراك فى هذا النظام الجديد تعد متمردة ومستحقة العقوبة ، ثم ترغم على الخضوع له . فان لم يتكون هذا المؤتمر من أكثرية الدول ، فيعد المشروع كله فاشلا . ويعلل فشله حينئذ بأن الامم لم تنضج بعد نضجاً اجتماعياً كافياً لاقتناعها بأن سلام العالم يبقى مزعزعاً ومقلقلا وأن الأمم تبقى فى جحيم من ويلات الحروب اذا لم يتم هذا النظام الدولى الذى يخضع الدول لسلطة دولية عليا توطد السلم وتقمع كل حرب

بعبارة أخرى ، فى هذا المؤتمر العام تجد الأمم جمعاء نفسها بين أحد مصيرين : إما انصياعها جميعاً الى النظام الدولى الذى نحن بصدده ، أو استرسالها فى الحروب التى تفنى فيها بعضها بعضاً . ومهما كان من حمقها فلا بد أن يوجد بين مندوبيها العدد الكافى للاقتناع بهذين المصيرين فيختارون الصالح منهما ويقتنع به سائر الامم . والامم ، لا قادتها ، أصبحت الآن مقتنعة بأن لا بد من أحد هذين المصيرين خيراً كان أو شراً . فلا تستسلم بعد الآن لتغرير قادتها اذا ابتغوا لها شراً

ولا بد من أن تقوم لدى هذا المشروع الخطير الشأن عقبات طبعاً . وأهمها اثنتان قد تكونان سبب فشله اذا لم تتغلب النيات الصالحة على النيات الشريرة ، واذا لم تبذل له التضحيات الغالية بغية الحصول على سلام أغلى منها وأنفع

العقبة الاولى نزع السلاح وهى أصعب عقبة ، والثانية التنازل عن المستعمرات وتركها تقرر مصيرها بأنفسها تحت سيطرة « دولة الدول » العليا

لتذليل هاتين العقبتين يكفى أن يشرح السلميون (محبو السلام ودعاته) للملأ المقارنة بين عواقب الاسترسال فى التسليح وعواقب نزع السلاح ، وبين الخسائر من جراء التمسك بالمستعمرات واجتناء الارباح من التنازل عنها . وهو موضوع دقيق يشغل مقالا آخر سنعالجه . فقد ينجلى فيه أنه ليس عسيراً أن تقتنع الدول المتنازعة أملاك الله بأن التنافس فى التسلح والتفانى فى الحروب مضيع لمستعمراتها أولا . ثم انه مضن لها جميعاً ومبيد لهذه المدنية التى قضى الجنس البشرى ألوف الاجيال فى إنشائها

ان الذى يبنى الصرح الجليل ثم يدكه الى الحضيض بلا سبب وجيه يعد ولا شك مجنوناً جنوناً مطبقاً ، فهل هذا العقل الانسانى العظيم يرتكب هذا الحمق الجسيم ؟

سبحان الله

نقولا الحداد

في مصر ذهب وبترول وحديد
وثروة معدنية لا يستهان بها

بقلم حسن صادق بك

وكيل وزارة المالية للمساحة والمناجم

في هذا المأزق العصيب ، وفي تلك الايام التي تهدد فيها الحرب بقطع طرق المواصلات وغلو الحاجات غلوا فاحشا ، يسرنا ان يقول لنا كاتب هذا المقال ــ وهو اكبر اخصائي مصري في شئون المناجم والتعدين ــ ان مصر لديها الكفاية مما تحتاج اليه الصناعة المصرية في عهدها الجديد

حبت الطبيعة مصر بثروة صخرية ومعدنية خليقة بان تنال العناية التي تستحقها حتى تكون البلاد قد استفادت من كل ما فيها من موارد . وقد كان لهذه الثروة شأنها في قيام مدنية مصر القديمة ، كما ان الدلائل لا تعوزنا للتأكد من ان الجزء الاكبر من الخامات التي استعملوها في هذه الصناعات كالذهب والنحاس ومواد الصباغة والصياغة قد استنبطوه من مناجم الصحارى المصرية التي كانوا يبذلون عناية خاصة في استغلالها

على انه بعد ان دالت دولة الفراعنة وعدا على البلاد الانحلال السياسي اندثرت الصناعات القديمة ، فاهملت المناجم المصرية واسدل على الصحارى المصرية ستار كثيف من النسيان لم يرفع عنها بعد ذلك الا في فترات قصيرة متقطعة ابان الحكم العربي الاسلامي

الى ان اتيح لمصر باعث نهضتها الحديثة رأس الاسرة العلوية الكريمة ، فرأى بثاقب نظره ان لا حياة للبلاد حياة قوية عزيزة الا باحياء الصناعات فيها ، فعمد الى الاستفادة من كل موارد البلاد ، واستقدم لذلك من اخصائيي علماء الغرب من جابوا الصحارى المصرية باحثين منقبين بين صخورها فاماطوا اللثام عن بعض ما تحتويه من معادن

على ان ظروفا مختلفة حالت دون الاستفادة من هذه الثروة المعدنية ، الى ان كان مطلع القرن الحالي فاتجهت رؤوس الاموال الاجنبية الى الصحارى المصرية وبدأت اعمال البحث التي انتهت الى عمليات استغلالية كثيرة

عروق الذهب

واول ما يتجه اليه النظر معدن الذهب . وكان هو اول ما نال عناية الانسان في عصوره الاولى ، وقد كانت مصر في عهود الفراعنة اهم البلاد انتاجا للذهب في العالم . وكان ملوك البلاد المجاورة يسعون للحصول من فرعون مصر على بعض ما يملكه من ذهب

وقد كان المصريون القدماء شديدى الدقة فى البحث عن العروق الحاملة للذهب فى جبال الصحارى المصرية ، ولم يتركوا عرقا واحدا الا استغلوه • ولا تنكر ان ما استغل فى العصور الحديثة من مناجم الذهب المصرية كان على غرار اعمال القدماء ، ولم يتح حتى الآن لانسان ان يكشف عن عرق واحد لم يسبقه قدماء المصريين لاستغلاله

فلما أعيد فتح مناجم الذهب القديمة فى اوائل القرن الحالى استمر استغلال بعضها استغلالا متصلا حتى عام ١٩١٩ ، فبلغ مجموع ما انتجته نحو ٨٥٫٠٠٠ اوقية من الذهب الخالص كانت قيمتها نحو ٣٥٠٫٠٠٠ جنيه تقريبا • وقد وجد القائمون باستغلاله انهم كلما تعمقوا فى باطن المناجم زادت نفقاتهم مع قلة الانتاج ، فأهملوها

حتى اذا كان عام ١٩٣٥ بعد ان تركت العملة الانجليزية عيار الذهب وتبعتها فى ذلك العملة المصرية وارتفع سعر الذهب بخطوات سريعة ، رأينا فى ذلك فرصة لاعادة استغلال بعض مناجم الذهب المصرية • فاختير من بينها منجم الذهب القديم بجبل السكرى وقامت فيه مصلحة المناجم بأعمال بحث جدية تحولت عام ١٩٣٧ الى اعمال استغلالية • وقد اصبح ما تنتجه من هذه المناجم نحو ٤٠٠٠ اوقية قيمتها حوالى ٣٠٫٠٠٠ جنيه سنويا ، يصرف على استغلالها نحو ٢٠٫٠٠٠ جنيه • ولن يمضى وقت طويل حتى تكون الحكومة قد استردت النفقات التى تكلفتها فى تجهيز المنجم بالمهمات والآلات اللازمة له

ولم يكن الغرض من استغلال منجم السكرى هو مجرد الحصول على ايراد مباشر للحكومة ، بل قصد به الى غرضين : الاول تهيئة الظروف لتمرين موظفى مصلحة المناجم الفنيين على الاعمال الاستغلالية لكى يكونوا اكثر قدرة على مراقبة عمليات التعدين التى يقوم بها الافراد والشركات فى الصحارى المصرية • وقد اصبحوا فعلا على كفاية ومقدرة يشهد لهم بها جميع المشتغلين بشئون التعدين فى القطر المصرى • والغرض الثانى اقامة البرهان العملى على امكان استغلال بعض مناجم الذهب المصرية حتى يقدم الافراد على استغلال بعض هذه المناجم • وفعلا قد بدأت الحياة تدب مرة أخرى فى مناجم الذهب المصرية • واذا استمرت الظروف الحالية من حيث ارتفاع سعر الذهب فقد تنشط مناجم الذهب المصرية لتساهم مرة أخرى بنصيبها فى زيادة الثروة الاهلية • ومصلحة المناجم جادة الآن فى العمل على تحقيق هذه الغاية

مناجم الفوسفات

واذا اتبعنا الترتيب الزمنى لاكتشاف المعادن المصرية وجب ان يأتى الفوسفات بعد الذهب ، اذ يرجع العهد باستغلاله الى عام ١٩٠٨ عندما فتحت مناجم الفوسفات بمنطقة سفاجة على شاطىء البحر الاحمر

والفوسفات صخر تكون من تراكم عظام حيوانات بحرية فى عصور جيولوجية قديمة • ولما كانت العظام تحوى نسبة مرتفعة من الفوسفور فان هذه الرواسب تصلح سمادا

للزراعات . وقد بلغ مجموع ما تنتجه المناجم المصرية فى كل عام اكثر من نصف مليون طن تصدر كلها للخارج حيث تحول الى سوبرفوسفات وهو السماد المعروف . والذى يدعو الى هذا التحويل ان الفوسفات الطبيعى غير قابل للذوبان فيقتضى الامر تحويله بمعالجته بحامض الكبريتيك الى مادة قابلة للذوبان وهى السوبرفوسفات قبل استعماله . ولما كان القطر المصرى يفتقر الى معامل لحامض الكبريتيك (اللهم الا المصنع الصغير الذى أنشىء منذ بضع سنين بكفر الزيات) كانت الضرورة تقضى بتصدير كل الفوسفات الخام المصرى الى الخارج

على انه لا يخفى ان الزراعة المصرية فى حاجة الى كميات لابأس بها من السوبرفوسفات واذا كان مصنع كفر الزيات ينتج الآن نحو ٣٠٫٠٠٠ طن من هذا السماد فالمجال متسع لانشاء مصنع أو مصانع أخرى لاكمال هذا النقص . وهى ناحية من نواحى الصناعة مضمونة الربح لا يعوزها سوى رأس المال لتنفيذها

آبار البترول

وربما كان البترول من أهم المنتجات المعدنية بالقطر المصرى . واذ كانت هذه البلاد تفتقر افتقارا تاما للفحم الحجرى فقد جاء اكتشاف البترول بالاراضى المصرية لسد هذا النقص فى مادة الوقود التى بدونها لا يمكن ان تقوم قائمة لزراعة ولا لصناعة . على اننا نلاحظ انه بينما تقاسى البلاد من آن لآخر صعوبات فى الحصول على حاجتها من الوقود لانقطاع الوارد من الفحم الحجرى وارتفاع سعر الكمية القليلة التى تصل الينا منه فى بعض الظروف ، نرى احجاما لا مبرر له عن التحول من الفحم الى المازوت . وقد بدأت الظروف الحالية ترغم المترددين على التفكير جديا فى هذا التحويل . ونرجو ان ينتهى ذلك الى الاستفادة التامة من مواردنا البترولية المحلية والاكتفاء باستعمال الفحم الحجرى فى الضرورات التى لا يمكن الاستغناء عنها

ومع ان وجود زيت البترول بالاراضى المصرية كان معروفا من قبل ، وان آبارا حفرت فعلا حوالى عام ١٨٦٠ ، الا انه لم يبدأ استغلال البترول الا فى عام ١٩١١ بمنطقة جمسا ولو ان الانتاج كان اذ ذاك ضئيلا فلم يزد فى أى عام على ٥٠٫٠٠٠ طن تقريبا . حتى كان عام ١٩١٤ عندما اكتشف حقل الغردقة فجاء اكتشافه فى الوقت المناسب قبيل ابتداء الحرب العالمية السابقة . وسرعان ما زاد الانتاج حتى بلغ فى عام ١٩١٧ نحو ١٤٠٫٠٠٠ طن ، فخفف هذا الانتاج من شدة وقع الحرب وما سببته من تعذر ورود الفحم والبترول من الخارج . ثم زاد الانتاج باستمرار حفر آبار جديدة فى منطقة الغردقة حتى بلغ اقصى انتاجها فى العام حوالى ٣٠٠٫٠٠٠ طن . وقد بلغ مجموع ما انتجته حقول الغردقة حتى الآن حوالى ٥ مليون طن . على ان للحقول البترولية اعمارا محدودة تبلغ فيها اقصى انتاجها ثم يتناقص هذا الانتاج تدريجيا حتى يقف تماما . ولما كانت الغردقة قد ظهرت

عليها عوامل الضعف منذ عام ١٩٣٤ وبدأ انتاجها يتضاءل ، بدأت الحكومة تفكر فى سبيل لتنشيط البحث عن البترول فى الصحارى المصرية . ذلك انه رغم ما بذلته هى وبذله كثير من الشركات ، ورغم ما انفق على هذه العمليات جميعا من أموال نقدرها بما لا يقل عن ثلاثة ملايين من الجنيهات ، مضت مدة طويلة لم تكتشف فيها حقول بترولية جديدة . وكانت فى الوقت نفسه قد بدأت وسائل البحث تتطور تطورا علميا فبدل ان كان يقتصر الباحثون على الظواهر الجيولوجية السطحية بدأوا يستفيدون من الخواص الطبيعية للصخور للوقوف على حقيقة ما بباطن الارض . وهذه هى الوسائل التى يعبر عنها بالوسائل الجيوفيزيكية .

فلكى تشجع الحكومة الشركات والهيئات المختصة على اجراء مثل هذه الابحاث فى الصحارى المصرية عدلت من شروط البحث والاستغلال بحيث جعلتها اكثر مطابقة لهذا النوع الجديد من البحث مع عدم التفريط بما للحكومة كصاحبة الارض من الحقوق على ما قد ينتج من هذا السائل . وفعلا كان لهذا التعديل احسن الأثر فى اجتذاب اربع من اكبر الشركات العالمية الانجليزية والامريكية للانفاق على هذه الابحاث فى جميع الصحارى المصرية . وقد كان من أول بشائر النجاح اكتشاف حقل غارب على شاطىء خليج السويس فى أواخر عام ١٩٣٨ ، وقد جاء هذا الاكتشاف ايضا فى الوقت المناسب ليحول دون مجاعة فى الوقود كانت لا بد واقعة بسبب الحرب الحالية .

وقد بلغ ما انتجته الحقول المصرية عام ١٩٣٩ نحو ٦٦٦٫٠٠٠ طن ، وستبلغ حوالى مليون طن عام ١٩٤٠ . ونرجو ان تسفر الابحاث الاخرى عن نتائج مماثلة فتصبح هذه البلاد فى مأمن لعدد كبير من السنين من أن يعوزها الوقود اللازم لحياتها وزراعتها وصناعاتها .

والبترول الخام يجب ان يعالج بطرائق مختلفة للحصول على منتجاته المختلفة . لذلك اقامت شركة « الانجلو اجبشيان اويلفيدز » بالسويس معملا كبيرا لتقطير هذا الخام وتكرير منتجاته . كما اقامت الحكومة المصرية معملا صغيرا يتناول علاج ما تؤديه الشركات المنتجة من أتاوة عينية لاستخراج المنتجات اللازمة لمصالح الحكومة المصرية . وبفضل هذين المعملين اصبح جميع البنزين والمازوت والاسفلت الذى يستهلك فى القطر المصرى منتجات محلية . واذا كانت لا تزال تعوزنا كميات كبيرة من الكيروسين (الغاز الابيض) ومن زيت الديزل فذلك لان ما تستهلكه البلاد منهما اكثر مما يوجد فى الخامات المصرية الناتجة . ولهذا يلاحظ ان أسعار البنزين والمازوت والاسفلت لم تزد بعد الحرب الا زيادة بسيطة يرجع أغلبها الى رفع رسوم الانتاج على بعضها . اما الارتفاع فى أسعار الكيروسين والديزل فناشىء من أن الجزء الاكبر منهما مستورد من الخارج وقد زادت تكاليف النقل البحرى والتأمين ضد اخطار الحرب زيادة فاحشة . ومع ذلك فقد راقبت الحكومة الاسعار مراقبة دقيقة ولم تترك للشركات ان تحصل الا على الربح التجارى المعقول . ولذلك

نرجو ان نلفت نظر جميع القائمين باعمال تقضى استعمال محركات آلية ان يضعوا مشروعاتهم على اساس استعمال المنتجات البترولية كلما كان ذلك مستطاعا اذ ان البترول بفضل وفرته فى مصر هو الوقود الطبيعى لهم

مناجم الحديد

اما الحديد فقد اكتشف فى مناطق مختلفة موزعة فى مختلف جهات الصحراء الشرقية، بعضها على مقربة من البحر الاحمر والبعض الآخر على مقربة من وادى النيل . ورغم ان الكميات التى كشف عنها البحث فى هذه المناطق جميعا تكفى فى كل واحدة منها لاقامة صناعة للحديد ، الا ان هذه الصناعة فى حاجة الى الوقود بقدر حاجتها لخام الحديد. ولما كانت مصر يعوزها الفحم الحجرى فقد بقيت هذه الخامات الحديدية مهملة اللهم الا اكاسيد الحديد الموجودة قرب اسوان حيث استغلها المهندس المصرى المعروف لبيب نسيم افندى فى صناعة الاصباغ . على ان ما يستغله منها لهذا الغرض لا يعدو الف طن فى كل عام وهى كمية ضئيلة اذا قيست بملايين الاطنان الموجودة من هذه المادة

ولما كان توليد كميات كبيرة من الكهرباء الرخيصة لا يقوم الا على اساس استعمال مساقط المياه لهذا انحصر التفكير فى صناعة الحديد فى مصر على الاستفادة من خامات الحديد باسوان دون غيرها من باقى الخامات فى البقاع الاخرى وذلك لقربها من موقع الخزان . وقد كان الامل الذى بدا قبل الحرب فى تحقيق هذا المشروع العظيم مما جعلنا نرتقب قرب قيام صناعة للحديد فى مصر ونرجو الا تطول الظروف التى تؤدى حتى الآن الى ركود هذا المشروع الحيوى الكبير

معادن أخرى ثانوية

وهناك معادن ثانوية أخرى تدخل فى صناعة مختلف انواع صلب الحديد وكلها موجودة فى القطر المصرى بكميات خليقة بالاستغلال

فالمنجنيز - وهو من أهم المعادن اللازمة فى صناعة انواع الصلب الممتازة الصلابة - يوجد بكميات وافرة بشبه جزيرة سينا ، وقد بدأ استغلاله بها عام ١٩١٨ ، وتتراوح الكميات الناتجة من تلك المناجم ما بين ١٠٠ و٢٠٠ الف طن فى العام ، وهذه الكميات تصدر باكملها للخارج ، ولو اتيحت اقامة صناعة محلية للحديد لوجدت فى هذا المعدن عونا كبيرا لصناعة الانواع الجيدة من الصلب

كذلك معادن الولفرام والتيتانيوم والمولبدنيت والكروم والزركون قد استكشفت كلها واستغل بعضها على نطاق ضيق ، وكلها تدخل فى صناعة الحديد

والنيكل هو ايضا من المعادن التى يرجع الكشف عنها فى الاراضى المصرية الى نحو عشرين سنة مضت ، ذلك انه قد وجد بجزيرة الزبرجد بالبحر الاحمر ، وقد استغل فيها

فعلا منذ عام ١٩١٢ واستخرج منه عام ١٩١٤ نحو ٢٣٣ طن ، كما اعيد استغلاله فيها عام ١٩٣٧ فانتج ٢٧٥ طنا ، وفى عام ١٩٣٨ بلغ الناتج نحو ٦٣٠ طنا . ويرجع السبب فى عدم التوسع حتى الآن فى استنباطه الى ان المصانع الاوربية التى تستعمله تجد كل ما تحتاج اليه منه فى مناجم كندا والنرويج ، فلم يجد القائمون بالعمل فى المناجم المصرية الطلب الكافى الذى يشجعهم على زيادة الانتاج

كذلك قد اسفرت البحوث التى قام بها بعض موظفى القسم الجيولوجى بمصلحة المساحة والمناجم عن وجود معدن النيكل فى مناطق أخرى بالصحراء المصرية ، كما ان لبيب افندى نسيم قد اعلن عن عثوره على معدن النيكل فى نقط قام هو الآخر ببحثها . كل هذا مما يشير الى وفرة وجود هذا المعدن بالصحارى المصرية ، ونرجو ان تتوافر قريبا الظروف الاقتصادية الملائمة للاستفادة منه

ولا يسعنى قبل ان اختم حديثى الا ان انوه بوجود معادن أخرى لها قيمتها ، نذكر من بينها معدن الطلق الذى تصنع منه البودرة البيضاء ، وقد استكشف فى بعض المناطق القريبة من البحر الاحمر منذ أقل من عشر سنين فأدى اكتشافه الى اكتفاء البلاد بحاجتها منه بعد ان كانت تستورد كل حاجتها من الخارج . بل لقد اصبحت مصر الآن بفضل هذا الاكتشاف من بلاد تصدير هذا المعدن

ومعادن الزنك والرصاص ، وقد استغلت فى بعض المناطق القريبة من البحر الاحمر ابان الحرب العالمية الماضية ثم اعيد استغلالها ما بين سنتى ١٩٢٧ و١٩٣٠ ولكنها اهملت بعد ذلك . وقد تكون الظروف الحالية ملائمة لتقدم بعض اصحاب رؤوس الاموال لاستغلال هذه الخامات الثمينة ولو لسد حاجة البلاد المحلية منها

وأخيرا نذكر الزبرجد ، وهو الحجر الكريم الذى يمتاز ما يوجد منه بجزيرة الزبرجد بالجودة والنقاوة ، وهو بلونه الاخضر الجميل خليق بان يلقى عناية خاصة فى صناعة المصوغات المصرية . وقد كان استغلال مناجمه بجزيرة الزبرجد نشيطا من عام ١٩١٠ حتى عام ١٩١٤ ، اذ تراكمت منه عند الشركة المستغلة كميات لا بأس بها . وقد حاولت كثيرا ان تدعو لاستعماله فلم تلق التشجيع الكافى فاقفلت المناجم رغم وفرة ما بها من هذا الحجر الكريم

حسن صادق

العلم والعمل

انا نجل العلم . والعلماء أول من يجل
لكن للعمل التقدم فى القياس وفى المثل
كم فائق فى العلم لا يقوى على ضبط العمل

مرسى شاكر الطنطاوى

المثل الأعلى للدولة الحديثة

بقلم الاستاذ فخرى ابو السعود

يدهى أن الدولة انما وجدت لتوفير السعادة للفرد ، اذ مال الانسان بطبعه الى التعاون مع بنى جنسه لتحقيق مطالبه ودفع الغوائل عن نفسه . وخير الدول هى تلك التى تحقق للفرد ذلك الغرض . وفى المقال التالى يعرض الكاتب شروط الدولة الصالحة ويبسط جوهر الديموقراطية الحديثة

قاسى الانسان بلاء كثيرا فى العصور الماضية من جراء نقص النظم السياسية التى اختارها لنفسه أوالتى قادته اليها المصادفات والظروف الجغرافية ، وما اختلط بها من جهل الحاكمين والمحكومين ومن طمع أرباب السلطة وجشع الاقوياء.فشهدت العصور السالفة ملكيات مستبدة قامت لتوفير سعادة الافراد فارتدت حربا على الافراد ، وشهدت طبقات استأثرت بالسلطة والثروة دون غيرها وأذاقتها النكال ، وشهدت ألوانا تقشعر لها الابدان من اهراق الدماء واهدار الحقوق ومصادرة الحريات وخنق الافكار واضطهاد الآراء والعقائد

فى أرض يونان

عرف اليونان نظم المدن الحكومية المستقلة بعضها عن بعض.وكانت الديمقراطية تسود فى كثير منها ، ولكنها كانت ديمقراطية يداخلها فساد كثير ويصحبها الرق وتشتعل فى ظلها الحروب بين هاتيك المدن المتنافسة ، حتى جاء نظام الملكية المستبدة على يد الاسكندر المقدونى يقضى على تلك الفوضى المختلطة وينشر النظام.ولكن نظام الملكية المطلقة فى بلاد الاغريق وغيرها من بلاد الشرق والغرب قد عرف له مثالبه ، عرف بالتجربة ان السلطة المطلقة التى لا يؤاخذها مؤاخذ سرعان ما تعتقد فى أحكامها العصمة والتنزه عن الخطأ ، وسرعان ما تعدبقاء الامر فى يدها ضروريا لسلامة الدولة ، وترى مصالحها فوق مصالح المحكومين ، ويدب الترف والفساد فى قصورها ، وتندفع تدريجيا الى توسيع نفوذها ومصادرة كل حرية للرأى واخماد كل نقد أو اعتراض

وعرف اليونان فى بعض أطوار تاريخهم وعرف الرومان وغيرهم نظام الارستقراطية حيث تنفرد طبقة دون طبقة بالثروة والعلم والسلطة.وذاك نظام له ميزاته ولكن مثالبه كثيرة والفساد سريع اليه ، اذ يندفع أبناء تلك الطبقة الممتازة مثل اندفاع الملكية المطلقة الى الاستبداد بعامة الشعب وتقديم مصالحهم على غيرها وتوسيع مدى امتيازهم وتحكمهم

يوما بعد يوم • ويكون امتيازهم بامتلاك الثروة مساعدا لهم على استرقاق من لا يملكونها • ثم عرف الرومان نظام الامبراطورية المترامية الاطراف فلم يكن تاريخها الا صراعا مؤلما مستمرا للاحتفاظ بكيانها دون عاديات الفناء التى تتعاورها من الداخل والخارج ، ناسية فى أثناء ذلك كل النسيان الغرض الاول لقيام الدول ، وهو سعادة الفرد

وفى ظل هاتيك النظم جميعا قاست المجتمعات صنوفا من المساوىء والبلايا من تحكم القوى فى الضعيف والغنى فى الفقير والسيد فى العبد ، ومن سطوة الدولة على آراء الناس ومعتقداتهم ولا سيما الدينى منها•وأروع أمثلة ذلك اضطهاد أباطرة الرومان للمسيحيين فى أول انتشار تلك الديانة ، ثم اضطهاد أخلافهم للوثنيين بعد ذلك حتى هاجر من هاجر من علماء الوثنية الى فارس وغيرها من بلاد المشرق ، ثم الحروب الدينية الاهلية التى استعرت فى فرنسا واسبانيا وألمانيا على عهد النهضة الحديثة

دروس وعبر للانسان الحديث

ما زالت تلك الدروس الغالية الثمن تعظ الانسان حتى انتهى الى النظام الحديث للدولة الذى يمتاز على سالف الانظمة بما استفاده الانسان من تلك التجارب•وما زالت مع ذلك تخالطه نقائص وعيوب هى من أثر الماضى وتراثه الوخيم ، لم يتلقن الانسان بعد دروسها ولم يع مواعظها ، ولم يبلغ تململه من مغباتها حد الثورة عليها والاقلاع عن عقائده وتقاليده الخاطئة التى تفرض عليه تلك النظم فرضا ، ولم يتنبه الا خيرة المفكرين والباحثين فى السياسة الى تلك المثالب ، فهم ينادون باصلاحها فتلقى دعوتهم من الاعراض أو الاستنكار ما تقابل به كل دعوة جديدة ، والزمن كفيل بتحقيق كل الدعوات واطراد ذلك الرقى

عرف الانسان حديثا ان خير الدول تلك التى تقوم على أساس من وحدة جغرافية تصحبها وحدات فى القومية والشعور والمصالح ، ويتولى الحكم فيها لا فرد مستبد ولا طبقة ممتازة بل الشعب بأكمله ، ويتساوى الناس فيها أمام القانون فى حقوقهم وواجباتهم، وتسود فيها الحرية بشتى ضروبها ــ من حرية الفكر والاجتماع والمهنة والمسكن والحرية الشخصية وحرية العقيدة الدينية والسياسية ــ وتتقيد فيها الحكومة بشتى القيود التى تكف غائلتها عن حقوق الأفراد وتصرف وجهتها دائما الى استصلاح أحوالهم•وبالجملة غدا الناس اليوم أشد شعورا بالغرض من الدولة وأشد مطالبة للدولة القائمة بتحقيق الغرض من قيامها وأسرع الى مؤاخذتها وردها ان حادت عن أداء مهمتها•ولم يعد الحكم حقا مكتسبا ولا موروثا لفرد أو فئة كما كان فى سالف الدهور

غدا الشعب فى العصور الحديثة لا يؤله حاكميه كما فعل القدماء ، ولا ينصاع فى صمت لما يأمرون ، ولايرى السلطة حقا لفريق منه دون فريق•انما صارت الحكومة لدى الشعوب الراقية هيئة من الهيئات العامة الكثيرة التى تقوم على التعاون وترمى الى مصلحة المجموع

كالشركات والجمعيات الاقتصادية والصناعية وغيرها ، يراقب الشعب أعمالها ويشارك فيها وينقدها ويقومها ويحد سلطتها ما استطاع ، لا يسمح لها بالتدخل فى شؤونه الا فى الضرورة القصوى

فالدولة وسيلة لا غاية فى نفسها ، وسيلة لتحقيق السعادة للفرد وتهيئة التعاون بين الأفراد • وسعادة الفرد فى تمتعه بكل حرياته التى تهبه اياها الطبيعة وحقوقه التى تولد معه•ولكن اجتماعه بغيره وتعاونه معه يدعو الى تنظيم علاقاته بالآخرين حتى لا تصطدم حريات فرد بحريات غيره ، ولا تطغى حقوق هذا على حقوق ذاك•وهذا التنظيم يستدعى حدا من حريات الفرد وحقوقه ، ويستدعى تحميله بعض الواجبات فى نظير ما يتمتع به فى المجتمع من مزايا • وواجب الدولة تنظيم هذه العلاقات وتنسيق هذه الحقوق والواجبات دون أن تحد من الحريات حدا لا توجبه الضرورة القصوى ودون أن يستفيد القائمون بالحكم فائدة خاصة

شروط الدولة الصالحة

فأول شروط الدولة الصالحة أن تدع للافراد أوفر قسط ممكن من الحرية ، لان الانسان بطبعه يعشق الحرية ، ولان الحرية لازمة لنشاطه الفكرى ونجاحه المادى•ثم ان حرية الفكر والاجتماع لازمة لاطراد رقى المجتمع وتوثق العلاقة بين الشعب والحكومة وتوفر الحكومة على أداء واجبها نحو الشعب ، لان الحكومة التى تريد مخلصة خدمة مصالح الشعب وتحقيق رغباته لا بد لها أن تعرف ما تلك المصالح والرغبات•ولا سبيل الى معرفتها الابالاصغاء الى صوت الشعب ممثلا فى كلامه وخطابته وكتبه وصحافته واجتماعاته• ويمكن تقدير مدى اخلاص الحكومة فى خدمة شعبها بمقدار الحرية التى تتركها له فى نقدها•ولن تقيد حرية الفكر فى دولة الا أن تكون هناك مساوىء يراد حمايتها ، وامتيازات جائرة يخشى عليها صوت العدل

ولن تتوطد الحرية فى دولة حتى تتوطد معها المساواة : لانه اذا كانت هناك طبقة ممتازة على غيرها بامتلاك الثروة والحق فى الحكم فانها ستوفر على مصالحها الخاصة وتعمل جهدها لغبن الطبقة المحرومة ، ومن ثم تجب المساواة بين جميع الطبقات والافراد فى حق الملكية والعمل والاشتراك فى الحكم•والمساواة السياسية والاقتصادية والاجتماعية تسير عادة جنبا الى جنب ، فان الطبقة الفقيرة المعدمة لن يقام لرأيها وزن فى الحكم ،كما ان الطبقة المزوية عن الاشتراك فىالتشريع والتنفيذ ستهمل مصالحها الاقتصاديةوالاجتماعية عند وضع القوانين وتنفيذها

ان المساواة بين الناس فى الحقوق أمر بدهى تقضى به طبيعة الاشياء ، اذ كان الناس جميعا منذ يولدون متشابهين طباعا وغرائز ورغبة فى التمتع بالحياة•فواجب أن تمنح لهم جميعا الفرص اللازمة لذلك التمتع كل على قدر استطاعته على ألا يجور على غيره•

على انهم مختلفون ذكاء واقتدارا. وهذا الاختلاف الطبيعي وحده هو الذي يجب أن يعين الفرق بينهم لا القوانين التعسفية التي تضعها الدولة تحابي بها طبقة أو طائفة أو عنصرا أو جنسا أو اتباع مذهب خاص. وقد كان عدم المساواة في شتى عصور التاريخ من أكبر أسباب الثورات

فاذا تحققت هذه المساواة بين الافراد في الحقوق السياسية والاجتماعية كانت الديمقراطية. فالديمقراطية قرينة الحرية والمساواة ، وكلها من ميزات الدولة الحديثة ومن شروط تأدية الدولة الغرض الذي قامت من أجله منذ أقدم العصور وهو اسعاد الفرد. والحكم الديمقراطي هو الحكم الطبيعي الذي أفسدته على الانسان شتى العوامل التاريخية في قديم العصور ، حتى هدته اليه تجارب القرون ودروس الماضي - أي بعد أن بلا ما بلا من تحكم الفرد وتعسف الطبقات

تعريف الديمقراطية

الديمقراطية هي أن يشترك الشعب كله في تدبير شؤونه. وبهذا وحده يضمن أن تدار تلك الشؤون على ما يريد . وهذا يتأتى في العصور الحديثة بوسائل تزداد توطدا : منها ان للشعب كله الحق في انتخاب حاكميه واعادة انتخابهم في فترات متقاربة حتى لا تطغيهم السلطة ولا تأخذهم العزة ولا يعودوا في نظر أنفسهم غاية في أنفسهم ولا يبعد بهم غرور السلطة عن مشاعر المحكومين ورغباتهم ، ومن تلك الوسائل ابداء الآراء في المجتمعات وعلى صفحات الكتب والصحف. ومنها اللامركزية في الحكومة - وهي سنة تزداد توطدا في الامم الراقية

فانه لما كان الغرض من الحكومة تدبير شؤون الافراد ، وكان الافراد في جهة من جهات الدولة أدرى الناس بشؤونهم ورغباتهم ، كان بدهيا أن يترك لهم تدبير كل ما يخصهم ولا يتعداهم الى غيرهم ، فان قيامهم هم بأنفسهم بذلك ضمان لتحقيق رغباتهم على الوجه الاكمل ، ومشاركتهم في وضع النظم والقوانين يجعلهم أحرص على تنفيذها واطاعتها ، واضطلاعهم بأعباء الحكم يكسبهم خبرة سياسية تجعل منهم مواطنين صالحين. والقوانين المفروضة من سلطة مركزية بعيدة هيهات أن تتوخى من حاجات الاقليم ما تتوخى القوانين المحلية ، ومهما قصد منها النفع فان القوانين التي يضعها أبناء المقاطعة بأنفسهم أنفع

ومبدأ اللامركزية هذا لا يتبع في الدول الراقية في شأن المقاطعات المختلفة فحسب بل في شأن الهيئات والفئات المختلفة أيضا ، كالمؤسسات الدينية والعلمية والنقابات الصناعية والتجارية واتحادات أرباب المهن المختلفة. كل هذه تترك لها الحكومة استقلالا داخليا كبيرا ، تنظم شؤونها وتتحرى مصالح أفرادها ، ولا تتدخل الحكومة الا بقدر ما يلزم لرعاية المصلحة العامة ، ولا تحتفظ الحكومة المركزية بعد هذا الاستقلال الكبير

الذى تحظى به الحكومات المحلية والهيئات الا بالعام من السلطات والتشريعات التى تمس البلاد بأجمعها

والدولة الحديثة على هذا النحو تجمع بين محاسن النظام الملكى الذى عرف فى الشرق القديم حيث تتجمع السلطة فى يد مركزية تنشر النظام والوحدة ، وبين نظام المدن الحكومية الاغريقية حيث ينظر أبناء المدينة أو الاقليم فى شئونهم بأنفسهم • تجمع الدولة الحديثة القائمة من جهة على أساس القومية ، ومن جهة على أساس اللامركزية الحكومية ، بين محاسن ذينك النظامين وتتجنب مساوئهما

الشعب فى الدولة الحديثة

والشعب فى الدولة الحديثة رغم مشاركته الى ذلك المدى البعيد فى ادارة الحكومة لا يمنحها ثقته المطلقة ولا يستنيم الى ترك حرياته فى يدها،انما يقيم عليها الارصاد والعيون، ويحف سلطتها بشتى القيود•ومن وسائله فى ذلك الفصل بين السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية ، فقد أثبتت تجارب الماضى ان الحكومة التنفيذية لا تحسن القيام على التشريع ولم تتناول وضع القوانين وتطبيقها يوما الا نتجت عن ذلك مساوىء ومضى موظفوها فى سبل التعسف والتحيف للشعب والتزيد من السلطة • ثم من وسائل الحد من سلطة الحكومة فصل القضاء عنها وضمان استقلاله • والقضاء فى الامم السكسونية مفزع الشعب من الهيئة التنفيذية ، ان بغت على حقوقه كانت الهيئة القضائية حكما بينهما

فالمثل الاعلى للدولة الحديثة هو ان يتولى الشعب نفسه حكم نفسه بمشاركته فى الحكومة الى أقصى مدى ممكن ، وبرقابته عليها ، وتمام حريته فى انتقادها ، وبتعاونه واياها على اصلاح المساوىء واستنباط خير أساليب الحكم والاجتماع • والدولة التى هذه حالها لا بد أن تكون ديمقراطية تسود فيها الحرية والمساواة وتنعدم فيها الفوارق فى الامتيازات والحقوق • وآية الدول المتقدمة التى اقتربت كثيرا من ذلك المثل الاعلى تصاغر تلك الفروق بين الافراد والطبقات ، على حين تبدو تلك الفروق بين علية القوم وسفلتهم ضخمة هائلة فى الدول التى ما تزال أقرب الى طراز العصور القديمة منها الى المثل الاعلى الحديث

العلم دعامة الحرية

وليشارك الشعب فى حكم نفسه على هذا النحو لا بد من شرط أساسى هو حسن تعليمه • فالجاهل لا يقدر قيمة الحرية ان أعطيت له ، ولا يعرف كيف يجاهد من أجلها ان هو سلبها، ومهما كانت حرياته وحقوقه السياسية فانه ما بقى على جهله سيفقدها شيئا فشيئا حتى يرتد عبدا لمن هم أعلم منه وأقدر • ومن ثم كان نشر التعليم من أول واجبات الدولة الحديثة ، وكان التعليم الالزامى من خصائص هذه الدولة • ولا ريب فى أن الزام الفرد بالتعلم حد من حريته يضاف الى الحدود الاخرى ،ولكنه حد له مايبرره

ولكى يثمر التعليم ويؤدى الى اخراج مواطنين صالحين يجب أن تكون حرية الفكر

والتسامح لا ضيق الذهن والتعصب رائد القائمين به . يجب الا يثبت في ذهن الناشيء أن أمته خير الامم ، وأن تاريخها لا يحتوى الا على مفاخر ، وانها لم تخطيء يوما ، وان أنظمتها كاملة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، فان أمثال هذه التعاليم تخرج ذهنا مغلقا لا يطمح الى اصلاح ولا يوافق على تغيير

ان التسامح قرين الحرية ، واتساع الذهن شرط أساسي للترقي . فالمرء لن يستحق الحرية ولن يعرف قيمتها حتى يسمح لغيره بها . ولن يتلافى عيوبه وأخطاءه حتى يدركها ويعترف بها . ومن ثم وجب أن ينشأ النشء على سعة الذهن والتسامح . وكلما توطدت الحرية واتسع نطاق التعليم في الدولة بطل الحجر على حرية الفكر والثورة على آثار بعض الكتاب أو الشعراء أو المصورين أو العلماء بحجة منافاة آثارهم للتقاليد أو الديانات . ولم يعد الشعب يفرق من كل ما يخالف عقائده ، أو يندفع الى محاربة من يخالفها ، بل يتقبل جديد الافكار بصدر رحب ، فان كانت حقا قبلها واستفاد منها ، أو باطلا أعرض عنها في غير جلبة ، فقد أثبتت تجارب الماضي أن ما يعد اليوم هرطقة أو اباحة يصبح في الغد أحيانا عقيدة راسخة أو حقيقة عادية

وليس ما يتعلمه الفرد في صغره هو كل ما يوجه فكره في مقبل حياته ، بل قد جدت في الدولة الحديثة عوامل شديدة الاثر ، منها الصحافة ، ومنها الراديو . هذان يوجهان الرأى العام بما ينشران من الحقائق التي يمليها الاخلاص أو الاكاذيب التي توحي بها الدعاية . وكلما تنورت حكومة دولة وانتشرت الحرية في الشعب وتشرب الديمقراطية الصحيحة تغلبت الحقائق على الاباطيل في تكوين الرأى العام فيه . وكل جهد في حسن توجيه الرأى العام وتغذيته بالحقائق وتحذيره من الاباطيل جهد غير ضائع ، لان الرأى العام كما يتضح مما تقدم هو الذى يحكم في الدولة الحديثة ، وأيا كانت النظم السائدة في دولة فان الرأى العام مرجع الحكم فيها . ولن تدوم الحرية والمساواة والديمقراطية في الدولة الا اذا واصل الرأى العام سهره عليها وأبدى استعداده للدفاع عنها

هذه الدولة المثالية — التي تقرب منها الدول الحديثة وتبعد كل على حسب حظها من الرقي السياسي والاجتماعي — التي تسود فيها الحرية والديمقراطية والمساواة ، ويقوم فيها الشعب على شئون نفسه ، وتعمرها حرية الفكر والتسامح . هذه الدولة خطوة أكيدة شعر أهلها أو لم يشعروا نحو الدولة العالمية المرجوة . ففي مثل هذه الدولة يثور الرأى العام على الحرب وينفر من فكرة استعباد الشعوب الاخرى ويميل برغبة انسانية أكيدة الى مصافاة تلك الشعوب والتفاهم معها والتعاون واياها . فكل خطوة تخطوها الدولة نحو الحرية والمساواة والديمقراطية يخطوها العالم نحو الدولة العالمية . وفي تلك الدولة العالمية تحتفظ كل دولة بمشخصاتها الحالية احتفاظ كل مقاطعة فيها بحكومتها اللامركزية

فخرى ابو السعود

أصدقاء الزرع والإنسان
من الطير والحشرات والحيوان

بقلم حسين عنان بك

وكيل وزارة الزراعة

إن من نعم الله على الانسان أن يسر له من الطير والحشرات والحيوان أصدقاء يكافحون معه مختلف الآفات الزراعية . والتوصل الى استخدام أصدقائنا هؤلاء يعد من قبيل الاكتشافات العلمية . وقد تفضل الأخصائي الكبير صاحب الامضاء بكتابة هذا المقال النفيس للهلال ليظهر القراء — والزراع منهم على الخصوص — على تلك الناحية الخطيرة من نواحي إنتاجنا الزراعي

الطيور

للطير المقام الاول بين الحيوانات الفقرية التى تأكل الحشرات بسبب تعدد أنواعه وكثرة أفراده وما وهبه الخالق من قدرة على الطيران وسرعة تجمعه فى الاماكن التى تغير عليها الحشرات حيث يتوفر غذاؤه منها

وغير خاف ان الكثير من الطير يتغذى طوال شهور الصيف على الحشرات ولا يأكل الحبوب إلا فى الفصول التى تقل فيها الحشرات أو تختفى . كما انه من المعروف أن كبار الطير ما عدا الحمام واليمام تغذى صغارها غذاء حيوانياً صرفا يتكون من صغار الحشرات ويرقاتها بقطع النظر عن نوع الغذاء الذى يتناوله الطير الكبير نفسه

وقد شاهدت أثناء غارة الجراد الاخيرة على مصر وفود أنواع معينة من الطير من أماكن بعيدة وتجمعها فى عدد كبير فى المناطق التى نزل بها الجراد ، وان الطير المعروف بأبى العنز كان يتبع أسراب الجراد فى طيرانها وينقض عليها من الجو فيلتهم الكثير من أفراد السرب

وقد درس مورى «H.E. Moreau» فى سنة ١٩٣٠ أنواع الطير التى تجمعت فى إحدى البقاع الافريقية التى ظهر فيها النطاط فى جموع كثيفة فأحصى من الطير ثلاثة وستين نوعاً فى هذه الساحة الموبوءة

ومن المشاهدات العادية للزراع فى مصر سير أسراب أبى قردان فى الحقول خلف المحراث وعقب الرى لالتقاط الديدان والحشرات التى يخرجها المحراث فوق سطح الأرض أو يرغمها الرى على الصعود فوق سطحه

وأنواع الطير التي تتغذى على الحشرات كثيرة ومنتشرة في جميع بلدان العالم . ولذلك اهتمت مصر وكثير من الممالك بوضع قيود لصيد الطير تحول دون قتل الطيور النافعة

الحشرات

ومن الحشرات أنواع تعيش متطفلة على الحيوان الأليف والانسان، ومن أمثلتها يرقات النغف الانفى التي تعيش داخل الجيوب الانفية في الضأن والجمال والخيل والحمير والبغال ، والشعران أو برغش الجبل ، وقمل الانسان والحيوان . ومنها ما هو شديد الخطر على المحاصيل والزرع والشجر فيكبد الممالك الزراعية خسائر سنوية تقدر بعدة ملايين من الجنيهات غير ما ينفق في مقاومتها من الجهد والمال

والآفات الحشرية مصدر الشر ومنبع الضر . وهي نقمة يعمل العالم كله متعاونا على التخلص منها بوسائل زراعية وميكانيكية وكيماوية . كما يستخدم حشرات أخرى تتطفل أو تفترس الحشرات الضارة ، وهي الطريقة البيولوجية أو استخدام الاعداء الطبيعية

وقد استطاعت ممالك مختلفة محاربة بعض الآفات الحشرية الخطيرة بهذه الطريقة البيولوجية ، ومن الأمثلة البارزة ما حدث في كاليفورنيا إذ انتشرت حشرة البق الدقيق الاسترالي « Icerya purchasi » على البرتقال والليمون بدرجة شديدة جداً ، فأوفدت وزارة الزراعة الامريكية عالما لدراسة أعداء هذه الحشرة في موطنها الأصلي وهو أستراليا ، فاكتشف خنفساء الفيداليا « Vedalia cardinalis » التي تفترسها ونقلها من سدني الى لوس انجلوس ، فلم يمض على دخولها كاليفورنيا خمس سنوات حتى قضت على وباء البق الدقيق الاسترالي

وقد استفادت الممالك الاخرى التي انتشر فيها البق الدقيق الاسترالي بهذه الخنفساء المفترسة فأدخلت الى فلوريدا وجزائر هواى وزيلندا الجديدة وأفريقيا الجنوبية والبرتغال وايطاليا ومصر وسوريا وجنوب فرنسا وجزيرة مالطة

وسر نجاح الفيداليا هو شدة نشاطها في طورها اليرق وطورها البالغ وبحثها عن البق الدقيق الاسترالي الساكن على الاشجار ، كما أنه ليس لها أعداء من جنسها ، وهي ميزة كبيرة الاهمية

ومن الأمثلة الاخرى ما حدث في جزائر هواى اذ سطت حشرة ماصة تعرف بقافذة الورق « Leaf hopper » واسمها العلمي بركنسيلا ساكاريسيدا « Perkinsiella saccharicida » على مزارع القصب وأضرت بها ضرراً كبيراً ، فاستوردوا من كويترلاند وجزائر فيجي في سنتي ١٩٠٥ و ١٩٠٦ حشرتين من عائلة « تشالسيدى » تتطفلان على بيض قافزة الورق ، ولكنهما لم يحققا آمال الزراع الى أن استورد مير « Muir » في سنة ١٩٢٠ بقة من فيجي وكوينزلاند تفترس بيض

هذه الآفة فقضت عليها ولم تبق منها غير القليل الذى لا يحدث ضرراً يذكر بمزارع القصب

وقد قام مير هذا برحلات أخرى طويلة لاستجلاب عدو طبيعي لسوسة تثقب عيدان القصب وتقتلها ، فوفق بعد محاولات عديدة الى نوع من ذباب « التا كينا » فى غيانا الجديدة يتطفل على هذه السوسة ، ونقله الى جزائر هواى فقضى على هذه السوسة وأنقذ مزارع القصب من شرها

وقد أحضر مير من جزائر الفلبين الى جزائر هواى سنة ١٩١٦ نوعاً من الزنابير الانفرادية فقضى على خنفساء « انومالا اورنيتالس » التى كانت شديدة الفتك بالقصب ، ونجح اوسبرن « Osborn » فى استئصال البق الدقيق الذى يصيب أشجار الأفوكادو والتين والتوت والجوافة وجوز الهند بواسطة طفيل من عائلة تشالسيدى « Chalcids » استحضره من المكسيك الى جزائر هواى سنة ١٩٢٢

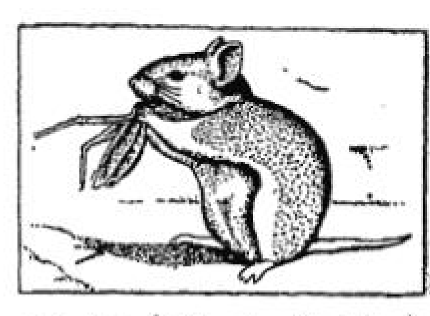
وقد استوردت طفيليات من عائلة برا كونيدى « Braconids » الى جزائر هواى من استراليا وجنوب وغرب أفريقيا لمحاربة ذبابة الفاكهة « Ceratitis capitata » فأنقصت ٥٦٪ من الاصابة بهذه الذبابة

ومن أهم أمثلة كاليفورنيا مقاومة أنواع من البق الدقيق بواسطة أبي العيد الاسترالى « Cryptolæmus montrouzieri » والحد من شر أخطر آفات الموالح وهى الحشرة القشرية الكاليفورنية السوداء

وتبذل الآن جهود كبيرة فى الولايات المتحدة الأمريكية لمقاومة ثاقبة الذرة الأوروبية « Pyrausta nubilalis » التى تفتك بالذرة فى مساحات واسعة بلغت ٩٣ ألف ميل مربع فى سنة ١٩٣٦ ، وذلك باستخدام طفيليات من العائلتين اكنيومونيدى « Ichneumonidae » وبرا كونيدى « Braconidae » ، كما تبذل جهود أخرى لمقاومة الخنفساء اليابانية التى تأكل أوراق وثمار التفاح والخوخ والخضروات وأشجار الظل والمراعى . ولم تكلل هذه الجهود بالنجاح التام الى الآن

وتقوم الولايات المتحدة الأمريكية أيضاً بمجهود جبار لمقاومة حشرة الكودلنج موث « Codling moth » التى انتشرت من أوروبا الى جميع البلدان التى تزرع التفاح فى مساحات واسعة ، والتى تتحمل الولايات المتحدة الأمريكية وحدها خسارة سنوية بسببها تقدر بمبلغ ثلاثة ملايين من الجنيهات . ومع أن الولايات المتحدة تعتمد على الرش بالمواد الزرنيخية لمقاومة هذه الآفة فقد استوردت أنواعاً مختلفة من الطفيلية التابعة لرتبة الغشائية الأجنحة « Hymenoptera » وذباباً من عائلة « Tachinidae » وحشرة التريكوجراما « Trichogramma » للاستعانة بها فى مقاومة هذه الآفة

وإنه ليسرنا أن مصر لم تغفل هذه الناحية من البحث إذ استوردت خنفساء الفيداليا


فأر الجراد الذى يفترس كثيراً من الحيوانات

والكربتوليمس وغيرهما لمقاومة البق الدقيق والحشرات القشرية واستوردت ولا زالت تستورد طفيليات ومفترسات هامة لمحاربة دودة اللوز القرنفلية ودودة ورق القطن والبقة الخضراء ومن التفاح الصوفى وأنواع المن الأخرى ، ونرجو أن نبلغ بهذا العمل درجة النجاح التى وصلت اليها الحالات التى سبق ذكرها فى الممالك الأخرى

الحيوانات

يقوم كثير من الحيوانات الثديية « Mammalia » بخدمة غير مباشرة للانسان لأنها تتغذى على الحشرات . ومن الحيوانات الثديية قسم معروف بأنه آكل الحشرات يسمى « Insectivora » وأهم أنواعه الفأرة العمياء « Mole » و « Shrews » وهى تأكل عدداً لا يحصى من النمل والديدان السلكية والديدان القارضة ويرقات الخنافس

والوطاويط تأكل جميع أنواع الحشرات صغيرها وكبيرها خصوصاً مايطير منها ليلا كالناموس

والفأر عدو النطاط « Grasshopper mice » يتغذى صيفاً وخريفاً على المواد الحيوانية الخالصة ومعظمها من النطاط والجراد

والجربوع « Squirrel » يتغذى على الديدان القارضة والديدان السلكية وأنواع النطاط

كما أن أنواع الدببة تأكل الحشرات بشراهة ولكن الانتفاع بها فى مقاومة الحشرات غير ممكن بطبيعة الحال . . .

* * *

والآن وقد ضربت أمثلة للخدمات التى يسديها بعض الطير والحشرات والحيوان للزراع فمن الواجب أن نشكر الله أولا ثم نوالى السعى والبحث ونبذل الجهد دون هوادة ولا تواكل لمقاومة الآفات الحشرية بالوسائل المعروفة ومن خلفنا أصدقاء يساعدوننا فى الظلام وعقول وعلماء منتشرون فى جميع البلدان يعملون على محاربة الآفات الحشرية باستخدام الأعداء الطبيعية . والعالم كله يرجو التوفيق لهم لأن النجاح فى هذا العمل يعود بالخير العميم على العالم كله

صبحى عناد

كنت سجيناً فى « التمارك »

بقلم توماس فولى أحد بحارة الباخرة البريطانية « دوريك ستار »

كان على أن أقف فى « عش المراقبة » فى السفينة « دوريك ستار » فى الثانى من ديسمبر ساعتين من الثانية عشرة الى الثانية ، أنا توماس فولى البحار الانجليزى الذى لم يعد الى وطنه منذ ستة عشر عاما

وكانت باخرتنا متجهة من كيبتون الى فريتون ، وعلى مسيرة أربعمائة ميل غربى لوانجو

كان يوما صحوا بديعا، ولم أر شيئا لمدة ساعة تقريبا، كل شىء هادىء ، حتى البحر. فما بالنا نسمع فى الدقيقة العشرين بعد الواحدة صدى فرقعة شديدة أفقدتنى توازنى واهتزت لها جنبات السفين !

ـ انها غواصة ! لا بد اننا أصبنا بطوربيد !

وبعد قليل سقط شىء فى البحر على بعد مائة ياردة منا .. انها قذيفة !

هال القبطان الامر فأصدر أوامره القصار بصوت جهورى، فرأيت البحارة يتجمهرون حول مدفع السفينة ويصوبون فوهته شطر الناحية التى سقطت فيها قذيفة العدو المجهول. فتركتهم وعدت الى صفحة الماء أتفحصها بمنظارى

يا للعجب ! أين هى الغواصة ؟ ولماذا لم تطلق علينا طوربيدا جديدا !

بيد ان عجبى لم يطل، ها هى أنوار تنبعث من الافق الغربى، ومن تكون صاحبة هذه الانوار ان لم تكن بارجة الجيب «الاميرال شير» ، هذا الوحش الكاسر الذى راح يذرع المحيط الهندى على ما سمعنا ، والذى لا تكاد تنجو فريسة من بين براثنه

تحدثت بالتليفون مع القبطان وأطلعته على هواجسى، فسرعان ما انطلقت دوريك ستار بأقصى سرعتها محاولة الافلات.. ولكن ممن ؟ ان قذيفة أخرى تسقط على بعد خمسين ياردة منا، ان هؤلاء الالمان بارعون فى التصويب. القذيفة الاولى على بعد مائة ياردة، وهذه أقرب منها . لا شك ان الثالثة ستسقط فوق رؤوسنا.. ونحن لا نستطيع الهرب فأقصى سرعتنا اثنتا عشرة عقدة والبارجة الجهنمية تسير بسرعة ثلاثين عقدة ولدينا مدفع واحد من عيار ٤ر٧ بوصة ، والبارجة لديها عدة مدافع من عيار ١١ بوصة المارد !

السفينة تقف فى عرض المحيط، وصوت القبطان الاجش ينادى «اهجروا السفينة»

فيندفع البحارة جميعا الى سفن النجاة.وأسأل أنا القبطان عن مصيرى فيأمرني بمغادرة «عشى» واللجوء الى القوارب.فأنزل الى القارب واذا بي أجد زملائي وقد حزموا أمتعتهم وبعض القوت والطباق ، في انتظار أسوأ العواقب.وعددهم واحد وستون نفسا.ومن عجب أن تضحكنا بعض النكات اذ ذاك ، نحن الواقفين قاب قوسين من مصير مجهول !

***

كيف دنت البارجة منا دون أن نشعر ؟ ويا للمنظر ! ان هذا الشيطان يشق العباب نحونا كالسهم وله في الهواء أزيز.جميلة والله تلك القطعة البحرية.غبراء الهيكل أول وهلة ، صفراء خضراء في بعض أعضاء جسمها الرشيق.ولها سحر وفتنة لولا مدافعها المصوبة شطرنا بفوهاتها الضخام ..

وما تلك اللوحة التي تكاد تلتهمنا بما فيها من تهديد ووعيد ؟ « عطلوا الجهاز اللاسلكي والا أطلقنا النار ! » ترى هل أوقف مهندسنا اللاسلكي جهازه ؟ وأين هو الآن ؟

بحارة البارجة يأمروننا أن نعود الى ظهر سفينتنا . فما معنى ذلك؟ أتراهم ينوون اغراق السفينة ونحن فوقها فيبتلعنا اليم ؟ أصارحكم القول اننا عدنا الى سفينتنا المنكوبة ووقفنا صفا على مرمى مدافع العدو وفي نفوسنا حسرة ..

وصعد الينا خمسون من الالمان.هرع معظمهم الى أركان الباخرة وجوفها ليودعوها الديناميت والمفرقعات.وجاءنا ضابط فسجل أسماءنا ، ثم أصدر الينا بالانجليزية الامر التالي :

ـ سأمهلكم عشر دقائق تحزمون فيها أمتعتكم وبعض الطعام والادوات.وفي تلك الأثناء يضع البحارة الالمان المفرقعات في السفينة ، فاذا ما انقضت الدقائق العشر نسفناها. أما أنتم فسأنقلكم الى الجراف شبي

جراف شبي .. وكنا نظنها الاميرال شير !

***

وعلى ظهر البارجة كانت تنتظرنا مفاجأة أخرى.فقد قرأنا في احدى لوحاتها كلمة «دويتشلند»..فهل هي الاميرال شير ، أم جراف شبي ، أم دويتشلند ؟ بيد اننا تبينا حقيقة الامر عندما قرأنا كلمة جراف شبي منقوشة على ملابس البحارة.اذن هي خدعة ألمانية قصد بها الى التضليل ، فكل قطعة من بوارج الجيب الثلاثة هي الاميرال شير ، وهي جراف شبي ، وهي دويتشلند جميعا وفي مكان واحد !

وفي الحمام الذي دعينا اليه سمعنا دوى القذائف يترى.انها المدافع الضخمة تقوم بمهمتها الرهيبة.والانفجارات في دوريك ستار تتوالى.ونحن بحارتها نودعها من طاقة صغيرة في جدار الحمام ، وفي نفوسنا أسى عليها شديد

ما أمتن هيكل هذه الباخرة المنكوبة..وهل كانت تصمد لشيطان البحر أكثر من أربع

ساعات لو انها كانت تقاتل ؟ لقد خيل الينا ان الدوريك ستار تصارع الموت وتغالبه بعدما هجرها ربانها.فيا للذكرى !

***

كل شيء على ظهر البارجة نظيف رشيق.الابيض أبيض صارخ.والاصفر أصفر فاقع، والمستشفى الذى ساقونا اليه عنبر كبير ممتلىء بالاسرة النظيفة ، وكل قطعة ، وكل جهاز أو آلة روعى أن تكون من معدن رقيق ، لتسابق البارجة الصغيرة فى سرعتها أكبر بوارج العالم «هود» ، والالمان يعاملوننا ببرود لا يخلو من أدب.بيد انهم لا يكلموننا.وهم معذورون فهذه أوامر ينفذونها.بيد انى سألت أحد الضباط عن اختلاج البارجة عند اطلاق أحد مدافعها ، فأجابنى ان ذلك لا يقاس الى ارتجاجها الشديد عندما تطلق مدافعها جميعا. أو لم أقل ان كل شيء فيها رقيق ؟!

على ان الشيء الذى لم نعرفه بعد هو المصير.ترى أيان المصير ؟ لم يحدثنا أحد فى شأنه ، حتى سألت أحد حراسنا ، فقال :

ـ ستظلون على ظهر البارجة بضعة أيام

ـ وبعد ..؟

ـ وبعد ذلك ستنقلون الى احدى النقالات

***

البارجة جراف شبى تسير بسرعة كبيرة الى .. أين ؟ لسنا ندرى.وان نكن موقنين انها تحاول الفرار قبل أن تلحق بها قطع الاسطول البريطانى

وهى كلما رأت فريسة قذفتها بالقنابل ، ثم تابعت الفرار بعد ايداعها فى قاع المحيط ، وعلقت فى احد أركانها اكليلا من الغار عليه اسم الفريسة الجديدة

لم أر الكابتن لانجسدورف الا مرة واحدة.انه رجل شهم فقد سمح لنا بالتريض على ظهر البارجة ثلاث مرات كل يوم.فكنا نلتقى ثمة ببعض ضحايا السفن الغريقة من البريطانيين

الكابتن لانجسدورف متوسط القامة ، حليق اللحية ، نشيط ، وله نظرات حزينة حالمة.يحمل وسام الصليب الحديدى ، وتتبين من ملامحه أول وهلة انه نبيل وجنتلمان

واذاعات الراديو الالمانى لا تكاد تنقطع . وقد رقصنا على نغمات احدى الاذاعات البريطانية فسر منظرنا البحارة الالمان

وعقد أحدنا صداقة مع بحار ألمانى وتبادلا العناوين ليشربا نخب صداقتهما بعد الحرب فهل يا ترى سيعيشان ليحظيا بمتعة هذه الكأس !

وأخيرا ، فى اليوم السابع من ديسمبر قيل لنا :

ـ استعدوا . سنلتقى باحدى النقالات وسننقلكم اليها

***

اذن هذه « التمارك » النقالة الالمانية التى تحمل علم النرويج بقصد التضليل ، والباخرة البيضاء الرشيقة من حمولة سبعة عشر ألف طن

نحن الآن فيها وضباطنا لا يزالون فى الجراف شبي . وعددنا ثلثمائة من ضحايا بارجة الجيب وقد نقلونا الى الطابق الثالث من النقالة بعد أن أنذرونا بأنا أسرى حرب فلا ينتظر أن نعيش عيشة الترف

كل هذا جميل . ولكن الذى لا يطاق هو أن تحرم من التدخين ، فاذا حاولته وجب عليك انتحرق الشاى المجفف فى غليونك ، أو تشترى السجائر خلسة من الحراس الالمان كل سيجارتين بقميص أو سروال ! والشيء الجيد الوحيد فى التمارك هو الشاى . واشهد انى شربت فى اوائل سجنى فيها شايا لم اشربه فى حياتى قط . والشيء الرديء الوحيد فيها هو الصابون اللعين الذي حاولنا عبثا ان نستخرج منه رغوة فلم نفلح

اما قبطان السفينة فقد خطب فينا فى اليوم التالى لوصولنا وتحدث عن النصر الذى يؤمل فيه الالمان ، فلما أحس منا شيئا من السخرية راح يصخب ويلعن ، ويقول انه يمقت الانجليز من قرارة قلبه . وقد اجتر هذه العداوة من تجاربه فى الحرب الماضية التى كان فيها أسيرا

وقد وقع علينا اثم سخرنا منه . فانه لم يلبث حتى انقص رياضتنا اليومية من ثلاث مرات الى مرتين ، ثم الى مرة واحدة ، ثم الى مرة كل يومين . وراح يعاقب الذين يدخنون منا بالسجن الانفرادى فى برميل زيت يعيش فيه السجين على الخبز والماء . ولما تبين ان احد السجناء القى رسالة فى البحر مودعة فى علبة من المعدن وفيها تفاصيل عن حقيقة السفينة التمارك ، منعنا من الرياضة ثلاثة ايام ، وحرم علينا الاستحمام فى اثنائها

ولا تسل عن فرحنا الجنونى عندما ابلغنا تجار السفينة أن حادثا خطيرا حدث لجراف شبي ، وذكر فى حديثه موتفديو ، واجاكس ، واشيل ، واكستر .. لم يقل لنا ماهو هذا الحادث . ولكنا ايقنا ان معناه خاتمة المطاف للقرصان الجهنمى

ايقظ هذا النبأ الامل فى نفوسنا . ولكن سرعان ما طارت حمامته وذوى غصنه ، وراحت التمارك تسير فى خطوط متعرجة من جنوب اميركا الى جنوب افريقا ، ومن ثم غربا الى نيوفوندلاند فى طريقها الى هامبورج ، الى الاسر حتى تضع الحرب اوزارها . وفى كل مرحلة تتخذ التمارك اسما جديدا ، وتلون نفسها بلون جديد ، فى سرعة تعد من المعجزات ، والعلم النرويجى يرفرف عليها تضليلا للرقابة البريطانية !

وقد اوشكنا ان نلتقى باحدى قطع اسطولنا . ولكن الربان افلت بسفينته . وراح سجانونا الالمان يقولون لنا فى كثير من السخرية ان الاسطول البريطانى يغط فى نوم عميق

فلما بلغنا مياه النرويج الاقليمية وجاء رجال الحراسة النرويجية لتفتيش الباخرة — وكنا مسجونين فى عنبر السفينة — رحنا نرفع عقائرنا بالصياح ونحدث ضوضاء لا يمكن

الا أن يسمعها المفتشون .. ولكن هيهات ، فقد ذهب صياحنا ادراج الرياح ، وعاد القبطان يصب علينا جام غضبه من جديد

***

وعلى حين غرة صاح احدنا ـ وكان يطل من طاقة العنبر : « لقد جاء الاسطول لنجدتنا!» فابقنا بالنجاة وانتعشت نفوسنا . وفى تلك الاثناء انطلقت التمارك باقصى سرعتها محاولة الافلات ، ولكنها اصطدمت بشيء فوقفت فجأة واحدث وقوفها رجة شديدة ..

اذن نحن على وشك الغرق . فهل سيسعى الالمان فى انقاذنا ؟

كلا .. انهم على العكس وضعوا امام بابنا مفرقعات تنفجر فى وقت معين . وها نحن اولاء نسمع دقات الساعة الرهيبة منذرة بالانفجار والموت .. ولك ان تتصور هلعنا اذ ذاك

ولكن صاحبنا الذى بشرنا بالنجاة اول مرة عاد يصيح :

ـ لقد وصلت النسافة ايها الاخوان . وقفز منها احد الضباط الى السفينة .. وبعده بحار .. وثالث .. ورابع .. نجونا نجونا ! ان رجال النسافة احتلوا التمارك !

ولا تسل عن فرحنا الجنونى اذ ذاك . وصياحنا . ومعانقتنا بعضنا البعض ..

الطلقات تنبيء بالمعركة الدائرة بين سجانينا ومنقذينا . والثوانى تمر كالساعات الطوال ونحن فى العنبر على أحر من الجمر .. ترى أينتصر الالمان على سلاح الاسطول .. أم تظل المعركة دائرة حتى تنطلق المفرقعات فى الساعة الموعودة ؟

ولكن الله سلم . فها نحن نسمع وقع اقدام تهبط سلم العنبر ، وآذاننا المرهفة تتلقى صوتا حبيبا ينادى :

ـ هل هنا احد من البريطانيين ؟

فصحنا جميعا بصوت كالرعد :

ـ نعم .. هنا مئات منا !

ـ حسن .. لقد جاء الاسطول البريطانى لنجدتكم ممثلا فى النسافة كوزاك ..

وإذا الحب لم يرم ..

لا تظنّوا أن الغرام وإن بنـّا م وبنتم يقضى عليـه الصـد
دون سـلوان حبكم زفراتٌ لافحاتٌ لهـا ضرام ووقد
هان عندى الزمان بؤسى ونعمى وتساوى نحسٌ لدىَّ وسعد
وإذا الحب لم يُرم فسـواء عذّب الوصـل أو أمرّ البعد

شهاب الدين سعد بن محمد بن الصيفى التميمى

رمسيس الثالث

يدمر أسطول (أقوام البحر) في معركتين حاسمتين

بقلم الاستاذ محرم كمال

الامين المساعد بالمتحف المصرى

لعل أول المواقع البحرية التى سجلها تاريخ مصر القديم ووردت رسومها مفصلة على جدران المعابد هى المواقع العظيمة التى قام بها الملك رمسيس الثالث أحد ملوك الاسرة العشرين ضد جوالة البحار من أهل الشمال . وقد عنى هذا الملك بتسجيل تفاصيلها على جدران معبده بمدينة هابو ، وكان من أثر هذا أن أمكننا معرفة الشىء الكثير عن هذه المواقع

تولى الملك رمسيس الثالث العرش والبلاد فى أحوال دقيقة ، ولكن ما توافر للملك الجديد من الشباب وقوة المراس والحزم ، كانت كلها صفات دفعت بالبلاد الى الامام . فلم يكد يعتلى العرش حتى أعاد تنظيم الجيش ووضع من القواعد للتجنيد ما فرض على كل مصرى الخدمة العسكرية ، فقوى بذلك جيشه وتحسن نظامه ، وأمكنه بعد ذلك أن يواجه ما صادفه من مشاكل كان يستدعى حلها تدخل القوة المسلحة . فان شعوب البحر الابيض الشماليين - وقد اصطلح المصريون على تسميتهم « أقوام البحر » - كانوا قوما ثائرين بطبيعتهم لا يقر لهم قرار ، وكانوا فى هذا الوقت على الأخص يزدادون تمردا حتى انهم بدأوا يظهرون فى جموع متزايدة فى الجهات الجنوبية ، وبدأ زحفهم الى الجنوب يزداد شدة والحاحا . ويمكننا ان نذكر اسمى شعبين تميزا لهما بما أبدياه من نشاط فى هذا الزحف ، وهما شعب ثكل وشعب بلست كما ورد ذكرهما فى النصوص المصرية

فأما البلست فيظهر انهم احدى القبائل الاولى التى كانت تسكن جزيرة كريت ، وزملاؤهم الثكل قد يكونون احد الفروع التى انحدرت عن أقوام كانوا يسكنون صقلية . فهذه الشعوب ، التى انضمت لها أقوام أخرى مثل شردن ووشش وشكلس ، وصلت فى زحفها جنوبا الى سوريا ، وتمكن كثير من هؤلاء المهاجرين من الوصول حتى مياه نهر الاورنت (العاصى) ومملكة أمور . ليس هذا فحسب ، بل ان بعضا منهم كانوا أكثر تمردا وجرأة وشجاعة فوصلوا بسفنهم الى الدلتا ، وكانوا يترقبون الفرص للقيام بحملات ينهبون فيها ويسلبون ما وصل الى أيديهم ، وقد أمكنهم ، بالاتفاق مع زعماء الليبيين ، غزو انحاء الدلتا الخصبة الغنية وسلبها . ومع ان كثيرا من هؤلاء الزعماء قد غلبوا على أمرهم أمام سطوة الفراعنة ، كمروى ملك الليبيين الذى قهره منفتاح فرعون مصر ، فانهم كانوا

شديدى المراس دائمى الثورة على فراعنة مصر • وواحد منهم هو الذى يهمنا أمره ، هو تمر الذى كان ملكا لهم فى عصر رمسيس الثالث ، فهو الذى اشترك مع « أقوام البحار » فى تدبير أمر الثورة على رمسيس ، وهو الذى قاد الحملة على مصر

فقد خرج تمر هذا بجيوشه برا وبحرا ، يساعده ويشد أزره « أقوام البحر » الذين ذكرناهم ، وأخذوا يتقدمون فى الجزء الغربى من الدلتا ، فبرز اليهم فرعون (رمسيس الثالث) والتحم معهم فى معركة حامية الوطيس على مقربة من بلدة سماها فيما بعد باسمه « أوسر مارع مرى أمون (رمسيس الثالث) قاهر بلاد تمح (أى ليبيا) » • وفى هذه المعركة دمر رمسيس أسطولهم ورد جيوشهم بعد أن كبدهم خسائر فادحة

غير أن هذا الهدوء لم يستمر طويلا ، فان الشعوب البحرية الشمالية التى عاونت الليبيين فيما سبق فى حروبهم ، انبعثت فيها روح الحياة والثورة من جديد ، فأخذوا يزحفون جنوبا الى بلاد سورية ، برا بعربات ثقيلة غريبة الشكل تجرها الثيران ، وبحرا باسطول كبير رابط على الشواطىء السورية • ولما كان جيش المغيرين كامل التسليح ومتفوقا فى فنون القتال فان حكومات المدن السورية لم يمكنها المقاومة ، وبذلك اجتيحت بلاد الحيثيين الواقعة فى شمال سورية ، وزالت سطوة الحيثيين فى هذه البلاد الى الابد

واستمر المغيرون فى زحفهم بعد أن تعدوا « أرواد » الواقعة على الشاطىء الفينيقى ، واجتازوا وادى نهر الاورنت حتى بلغوا مملكة أمور واجتاحوها، وكان أسطولهم البحرى يعاون الجيش البرى فى القتال • وهذا الاسطول هو الذى خرب المدن الواقعة على شاطىء كلكيه الغربية وشواطىء سورية حتى بث فى الناس روح الذعر والهلع

فلما تحرجت الحالة ووصلت الى هذا الحد قام فرعون مصر ، رمسيس الثالث ، ليحمى أمبراطوريته ويذود عنها ، فحصن حدوده السورية ، وجمع أسطولا قويا وزعه على الموانى الشمالية « السورية » التى تدخل ضمن أملاك أمبراطوريته • وتحدثنا النصوص التى لا تزال ظاهرة على جدران معبده بمدينة هابو كيف انه حصن مدخل كل مرفأ بمدرعات حربية وبوارج ضخمة وسفن عظيمة زودها برجال شجعان وجنود من خيرة أبناء مصر كانوا كالاسود الذين يزأرون على قمم الجبال••• وكنت أنا (أى رمسيس الثالث) كالاله منت (اله الحرب) واقفا أمامهم لاريهم كيف اتفنن فى القتال • لقد كنت شجاعا باسلا ، واثقا من قوتى وبأسى ، معنيا بشئون جيشى فى حومة الوغى »

وفى الواقع لقد صدق رمسيس فيما قال ، فانه هو الذى قاد جيوشه بنفسه الى سوريا ، وهو الذى رمى بكل ما يملكه من قوات ضد المغيرين • وترينا نقوش معبد مدينة هابو جيوش فرعون وهى تنقض على خطوط الاعداء وتستولى على عرباتهم التى كانت تنقل نساءهم واطفالهم وبضائعهم

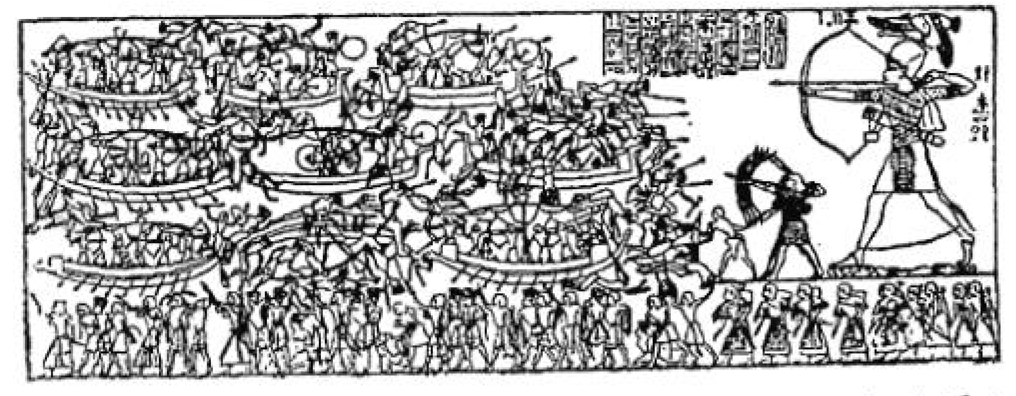
وعندما تم له النصر فى هذه المعركة البرية أسرع هذا الملك المغوار ، رمسيس الثالث ، الى شاطىء البحر ليشترك فى المعركة البحرية الكبرى التى كانت تدور رحاها بين سفنه

وأسطول شعوب البحار على مقربة من احدى الموانى الفينيقية الشمالية . وكان رمسيس قد زود أسطوله بفرقة هائلة من خيرة رماة السهام المشهورين ظلوا يطلقون على سفن الاعداء نارا حامية بددتهم قبل أن يتمكنوا من الاقتراب من الاسطول المصرى ، وظلت نيران الجانب المصرى تتزايد وتقوى بطوائف أخرى من أشد رجال الرماية المصريين حشدهم رمسيس على طول الشاطىء ووضعهم تحت قيادته الشخصية لتعزيز حملته البحرية ، وهذه الطوائف كانت تطلق نيرانها من الشاطىء حيث عسكرت وتجمعت على أسطول الاعداء ، فكانت نيرانها معززة للنيران التى كان يطلقها الاسطول المصرى على اسطول الاعداء . عند ذلك ساد الهرج والمرج بين سفن العدو واضطرب نظامها فتقدم الاسطول المصرى ليستولى رجاله عليها . وهنا نترك نصوص معبد مدينة هابو تصف المعركة فتقول : « ولقد استولى الرعب على قلوب رجال سفن الاعداء وأخذوا يتساقطون تحت وابل سهام رجالنا ، وطارت نفوسهم جزعا وتساقطت اسلحتهم فى البحر ، وأخذت نيراننا تصليهم وتحصدهم حصدا ، وملأت اشلاؤهم البحر حتى قذفتها الامواج الى الشاطىء . ولقد سحبنا من بقى منهم حيا الى الشاطىء وقتلناهم وكدسنا جثثهم فيما لهم من سفن حتى ملأوها . وألقينا بمتاعهم وأشيائهم فى الماء حتى يكون فى ذلك عبرة لغيرهم وذكرى »

بهاتين المعركتين ضرب رمسيس الثالث أعداءه ضربة قاضية مكنته من توطيد سيادته على أملاكه الاسيوية الممتدة شمالا على الاقل الى بلاد أمور ، وصارت الامبراطورية المصرية فى آسيا فى أمان تام ، وعاد رمسيس الى مقره بالدلتا ليستمتع بالهدوء بعد النصر المبين

ولقد كانت هاتان الموقعتان البحريتان أول المواقع البحرية التى سجلها لنا التاريخ ، وكانت لهما ، كما هو الشأن فى المواقع البحرية ، نتيجة حاسمة فى مجرى الحرب

محرم كمال



المعركة البحرية الاولى بين رمسيس الثالث واقوام البحر كما صورتها النقوش المصرية المعاصرة . وترى فرعون يقود حملة السهام بنفسه ، كما ترى بعض سفن الاعداء مقلوبة مدمرة والسفن المصرية تصليها بالسهام فى اليسار

الجانب الاقتصادى للنازية

بقلم الاستاذ فؤاد محمد شبل

في هذا المقال يعالج الكاتب الجانب الاقتصادى للنازية وكيف افضى الى الحرب بطبيعة نظرياته ومطامع المشرفين على تنفيذه « فانه ما دام انتاج السلعة الانتاجية لا يستخدم في النهاية في انتاج سلع تسد حاجة الشعب الاستهلاكية مباشرة ، فان هذا الانتاج ينصرف الى غرض واحد هو الاستعداد للحرب »

يستمد النازى تعاليمهم الاقتصادية كتعاليمهم السياسية من الروح الحربية المسيطرة على الشعب الالمانى ، هذه الروح التى تطبعه بطابع النظام الدقيق وتعلمه الخضوع خضوعا تاما لسلطة عليا تسيطر على افكاره وافعاله وتسيره وفق مشيئتها وتكيفه حسب ارادتها

والفكرة الاساسية للنازية الابقاء على نظام الملكية الخاصة وشد أزرها ، وروح نظامها ملاحظة الصناعة لا ادارتها • وهى فى ذلك تخالف الشيوعية التى تحرم الملكية الخاصة وتسيطر على الصناعة واقدارها سيطرة تامة • وترى النازية أن رب العمل الرأسمالى والعامل وكل المواطنين بصفة عامة ما هم الا خدام الدولة التى لها أن تفرض على كل فرد منهم أوامرها ومشيئتها فى سبيل صالح مجموع الامة • ويقوم رب العمل ــ فى حدود عمله ــ بدور الزعيم (فوهرر) والممثل للاقتصاد القومى ، ومن ثم تخوله الدولة سلطة خاصة فى علاقته مع العمال الذين ينحصر واجبهم ــ كأعضاء فى الاقتصاد القومى ــ فى الامتثال والاذعان لأوامر رب العمل دون اعتراض • ويتفرع من ذلك ، أن تمردهم وشوزهم واقدامهم على الاضراب والاعتصاب أمر تراه الدولة تحديا لها يحق لها مقاومته بكل قوة • ولما كان لرب العمل هذه السلطة المطلقة التى يلتزم العمال باطاعتها فليس له ، من الجهة الاخرى، أى حق فى تعطيل العمل ، اذ ان هذا يحيق الضرر بالانتاج القومى • فاذا ما نشأ خلاف بين العمال وأرباب الاعمال فان الدولة تدخل للتوفيق بين الفريقين المتنازعين بواسطة محاكم خاصة لهذا الغرض يلتزم الفريقان بالنزول على حكمها

الزارع عماد الدولة

تقضى المبادىء النازية بوجوب اعتبار الزارع الالمانى عماد الدولة من الوجهة الاقتصادية ورمزا لتقاليد العنصر الجرمانى من الوجهة الاجتماعية ، وعلى ذلك يجب أن تتضافر كل طبقات الشعب لمعاونته والاخذ بيده ، فرواج الصانع والتاجر يتوقف فى الحقيقة على رواج حالة الزارع ، ومن ثم اتخذت الحكومة كثيرا من التدابير للوصول الى هذه الغاية

أهمها عدم جواز الحجز على الملكيات الصغيرة ، وحصر الارث الزراعى فى الابن الارشد ـ وهو ليس بالضرورة الابن الاكبر بل الابن الاقوى على ادارة واستغلال الملكية الزراعية. وتقضى التعاليم النازية ألا يكون الزارع تاجرا لان التجارة فن والزراعة فن آخر ولايجوز أن يصبح الحقل وهو مورد الثروة الزراعية بورصة للمضاربات ، وقد نتج عن هذا تدخل الحكومة لتحديد اسعار المحاصيل الزراعية لتضمن للزارع من جهة ربحا مضمونا عن طريق نقابة التموين وفروعها ، كما حددت فى الوقت نفسه مستوى للاثمان التى يبيع بها تاجر الجملة لتجار التجزئة والاسعار التى يبيع بها تجار التجزئة للمستهلكين ، وبذلك ضمنت ربحا معقولا لطبقات الزراع والتجار كما حمت الجمهور فى الوقت نفسه من استبداد التجار الجشعين

اقتصاد حربى

زاد انتاج الصناعة بعد تولى النازى أزمة الحكم زيادة جسيمة . وكانت الزيادة فى سلع الانتاج أعظم منها فى سلع الاستهلاك . كما زاد عدد المشتغلين تبعا لذلك . بيد ان مستوى المعيشة هبط . وهنا يجب ان نقرر الحقيقة الآتية : وهى انه ما دام انتاج السلعة الانتاجية لا يستخدم فى النهاية فى انتاج سلع تسد حاجة الشعب الاستهلاكية مباشرة فان هذا الانتاج ينصرف الى غرض واحد هو الاستعداد للحرب . والواقع ان النازى اكثر من الاعمال العامة ذات الطابع الحربى ، فبنى عدد عديد من الطرق الحربية والمطارات ، وبذل مجهود عظيم فى تنشيط صناعة الطائرات ، وزيد من هذا النوع من المصانع التى يمكن تحويلها عند الاقتضاء الى مصانع أسلحة أو للمنتجات الكيمياوية ، وأعيد تجهيز مصانع المحركات ، وحولت معسكرات العمال الرياضية الى معسكرات للتدريب العسكرى

تلافى الجوع لكسب الحرب

وهذا النشاط فى الميدان الاقتصادى يرد الى عقيدة رجال العسكرية الالمانية الذين يؤمنون بأن ألمانيا لم تهزم عام ١٩١٨ بسبب انكسارها فى ميدان الحرب ولكن للجوع الذى دفع شعبها الى الثورة ثم الى التسليم . لهذا أصبح من الضرورى عندهم انه كى تكسب ألمانيا حربها المقبلة للاخذ بالثأر ، عليها أن تضع نفسها فى مركز يحول دون جوع سكانها المدنيين الى الدرجة التى تحملهم على الانتقاض ، ودون عوز قواتها المحاربة لمعدات القتال . ولاكتساب هذه الحصانة غدا من ألزم اللزوميات زيادة انتاج المواد الغذائية بأى ثمن . وهذا أمر وان وافق هوى رجال العسكرية الالمانية ، الا انه لم يصادف ترحيبا من لدن الاقتصاديين الالمان عامة (ولا سيما الدكتور شاخت) والمستصنعين خاصة ، لما يترتب عليه من زيادة تكاليف الصناعة الالمانية وبالتالى قصورها فى ميدان المنافسة فى الاسواق الخارجية وبالاخص وسط وشرق أوربا . اما عقبة المواد الاولية فقد بذلت ألمانيا

قصارى جهدها فى تخزين الكثير منها مضحية فى ذلك بالقليل الذى لديها من العملة الاجنبية ، ومن الجهة الاخرى قامت بعض الصناعات البديلة مثل صناعة استنباط البترول من الفحم وغيرها من الصناعات التى تعتبر عملا من الوجهة التجارية خاسرا

مشروع السنوات الاربع

ويتجلى مجهود ألمانيا للاستكفاء الاقتصادى فى مشروع السنوات الاربع الذى قدمه هتلر نفسه الى الريخستاج فى سبتمبر عام ١٩٣٦ معلنا ان الغرض منه أن تكفى ألمانيا نفسها تماما من جميع المواد الاولية اللازمة فى غضون اربعة أعوام دون اللجوء الى الاستيراد من الخارج • وفى اكتوبر من السنة نفسها نصب المارشال جورنج قيما على تنفيذ المشروع واعطى له الحق فى اصدار ما يشاء من القوانين واللوائح والاوامر الادارية لانجاز هذه الغاية•وبعد أيام قليلة أعلن جورنج تقسيم المشروع الى أقسام ستة : هى انتاج المواد الخام ، توزيعها ، عرض العمل ، الانتاج الزراعى ، الاشراف على الاسعار ، تنظيم العملة الاجنبية • وتبع هذا تعيين مشرف على حركات الاسعار (الهر فاجنر) مهمته الحيلولة دون ارتفاع الاسعار نتيجة لتطبيق المشروع • وبعد ذلك بقليل نشر جورنج طائفة من الاوامر الغاية الأخيرة منها اخضاع جميع عمال ألمانيا الفنيين لنظام من الملاحظة والتنظيم العسكرى قريب الشبه جدا من ذلك النظام الذى طبق عليهم خلال الحرب الماضية

ولقد صاحب تنفيذ هذا المشروع حظر استهلاك بعض انواع الانتاج وتقليل انتاج البعض الآخر • وحسبت طاقة الارض على انتاج أنواع المحاصيل الزراعية المختلفة او تربية الحيوانات ، فشجعت زراعة الاصناف التى تدر غلة أوفر بتكاليف أقل نسبيا كالبطاطس والخضروات والبنجر اكثر من تشجيع المنتجات الحيوانية • ومن ثم أنقص استهلاك جميع المنتجات التى من أصل حيوانى عدا السمك والارانب ، وشجع استهلاك المنتجات النباتية• هذا وقد ارغم المستهلك على تقليل استهلاكه للفاكهة ما دامت تستورد من الخارج ، كما أنقصت بقوة واردات المنتجات التى تستورد بالنقد • أما التى تستورد مقابل بضائع ألمانية فقد سمح بها بعض الشىء • ولم يقتصر الامر على ذلك بل بلغ الحال أن عين للمستهلك ما يجب عليه شهريا أن يأكله وما يجب عليه تجنبه ، وأعطيت له قائمة تامة من الاطعمة التى يجب عليه تقليل استهلاكه منها أو تجنبه أو الاستعاضة عنه بالاطعمة البديلة • مثال ذلك عليه أن يأكل كمية أقل من لحم البقر والعجول والخنزير والزبدة وشحم الخنزير والمرجرين وزيوت الطعام والشحوم بأنواعها والخضراوات المستوردة من الخارج والجبن الدسم • وله أن يستمر على استهلاك ما اعتاد استهلاكه من الاصناف الآتية وهى : البيض والدواجن وطيور الصيد والحبوب بأنواعها والارز والكاكاو ومعظم الفواكه والفاصوليا والعدس والالبان والعسل ، وله ان يستهلك مقادير اكثر من البطاطس خاصة والسكر والمربى وأنواع الجبن والخضروات المنتجة محليا والاسماك والارانب

وليست مسألة تنظيم الطعام الا جانبا واحدا من خطة النازى للاستكفاء الاقتصادى • فثمة وجه آخر للمسألة الا وهو كفاية ألمانيا نفسها من المواد الاولية باستنباطها محليا • فاستنبطوا البترول الصناعي والمطاط الصناعي ، وعالجوا الالياف النباتية لتحل محل القطن، وأكثروا من انتاج التيل والكتان للاستعاضة بهما عن القطن كذلك • وهكذا بذلوا جهودا جبارة لاحلال المواد الصناعية وغيرها محل المواد الاولية الاصلية التى تستورد من الخارج ولا قدرة للبلاد على انتاجها محليا • وانه وان كانت ألمانيا قد نجحت فى هذا المضمار نجاحا بعيد المدى ، الا انه واجهتها عقبتان : الاولى عظم تكاليف هذه المنتجات الصناعية ، والثانية قلة احتمالها وسرعة تلفها • وبدهى ان استهلاكها يحمل بين طياته ارتفاعا هائلا فى تكاليف المعيشة

اقتصاد مسير

وهكذا نشأ فى ألمانيا النازية اقتصاد « مسير » وصل الى أقصى حدود مبدأ الاقتصاد الاهلى اذ أصبحت الدولة هى المالك الاصلى لجزء كبير من الجهاز الاقتصادى ، وأصبح نشاط هذا الجهاز يعتمد الى مدى هائل على طلبات الحكومة للتسلح وللاعمال العامة وعلى اكتتاباتها لانشاء أدوات الانتاج • واصبحت الحكومة هى التى تصرح بعمل هذا أو ذاك وتمنع هذا أو ذاك وتنظم الاجور لتجعل نفقات الانتاج فى أوطأ مرتباتها ، وتشرف على الاسعار لتحافظ على قوة العملة الشرائية • كما غدت الحكومة هى التى توجه التجارة الى أى جهة تريدها وتعاون الزراعة الى الحد المرغوب لديها • وأخيرا تكيف النظام النقدى حسبما تريد وطوعا لارادتها لا تبعا لحاجة الانتاج والاستهلاك وفقا للقوانين الاقتصادية المقررة ، ففى سبيل تشجيع تجارة الصادر انشأوا ما يمكن أن تدعوه « بالمارك التجارى » يبلغ سعره ضعف سعر المارك الرسمى ، كما ابتدعوا فكرة المارك المسجل لتشجيع السياحة فى بلادهم واستجلابا لصكوك الدفع الاجنبية • وصفوة القول أن الادارة الحكومية تمكنت من أن تقبض على جميع المرافق الاقتصادية بيد من حديد فاقت فى شدتها ما عرف عن أى دولة رأسمالية أخرى فى عصر من العصور

ومن ذلك يتضح أن ألمانيا النازية كانت قبل نشوب الحرب بلدا موجها توجيها تاما نحو الاستعداد للحرب ، والى هذا الاستعداد يعزى توازنه ووقوفه على قدميه ، وبالتالى فانه لا يناسب حالة السلم الدائمة وقد يتعرض للانهيار اذا ما مست هذه الدعامة بسوء • وكان هذا الاقتصاد يعتمد الى قبيل الحرب على حركة تسلح هائلة وعلى حركة استثمار رؤوس الاموال فى صناعات قصد بها الاستغناء عن بعض الواردات الاجنبية • بيد ان هذه العملية عظيمة التكاليف فضلا عن صعوبتها • وهى فى الواقع تتضمن انتاجا بتكاليف عالية بالنسبة للوارد الاجنبى ، وهو يعتمد على بقاء مستوى المعيشة فى حدود واطئة ، وذلك لان ارتفاعه يزيد الطلب على الواردات ويحرم المنتج الوطنى من الارباح التى تشجعه

وترغبه فى مواصلة زيادة الانتاج • وانه وان كانت هذه الطريقة تتيح للمنتج أرباحا عالية ، الا انه ليس فى مكنته انفاقها على الاستيراد من الخارج أو احتجازها لديه • ولما كان ميدان طلب المستهلكين محدودا لانخفاض مستوى الاجور ، فلا محيص للدولة من اقتراض الارباح الزائدة وانفاقها فى الاغراض العامة • وهذا أمر مرهون بقاؤه بالحد من الواردات عن طريق زيادة انتاج السلع البديلة التى يحتاج اليها المستهلك ، فضلا عن استمرار الدولة فى ايجاد الاغراض العامة التى يحتفظ تنفيذها بنشاط الاداة الصناعية للدولة • والامر الثانى ذو أثر خطير للغاية اذ انه يضع فى يد الدولة حافزا اقتصاديا ايجابيا يدعوها الى التسلح الهائل الذى هو وسيلة موافقة لاستيعاب العمل فى المشروعات العامة

***

ولا ريب أن أمة تبذل جزءا كبيرا من ثروتها القومية على انشاء المعدات الحربية لا بد لها عاجلا أم آجلا أن تستخدم هذه المعدات اما فى الحرب واما فى بيعها للدول الاخرى • وكلما افقرت نفسها داخليا لتكون قوية من الوجهة الحربية كلما كانت حاجتها ملحة للتوسع الخارجى لسببين : الاول لانه يجب تبرير نفقات التسلح هذه لهؤلاء الناس الذين يعيشون فى فاقة استلزمتها نزعة التسلح هذه ، وثانيا لارضاء هؤلاء الذين يقدسون القوة ويعتقدون فى امكان اجتناء عائد اقتصادى من ورائها

وهذا الاعتقاد يظهر بجلاء فيما يسود تفكير زعماء النازية • فتارة هم يحلمون بالسيطرة على شرق وجنوب أوربا سيطرة تجعلهم سادة أوكرانيا وتمكنهم من تشييد قوتهم الاقتصادية فى انحاء أوربا الشرقية ، وطورا يمنون النفس بالاتجاه جنوبا الى البحر المتوسط والشرق الادنى وبذلك يبسطون نفوذهم الاقتصادى على البلقان وآسيا الصغرى وجميع أراضى أوربا الوسطى • بيد انهم يطمحون أكثر من أى شىء آخر فى الحصول على مستعمرات وانشاء امبراطورية استعمارية تهىء لهم التفوق المالى والاقتصادى على انجلترا وتتيح لهم أسواقا لتصريف انتاج ألمانيا الصناعى كما تزودهم بالمواد الاولية الرخيصة • ويدللون على ذلك بأن عظمة انجلترا المالية ترجع قبل أى شىء آخر الى امبراطوريتها ، فلماذا لا تنسج ألمانيا على منوالها ؟

بيد أن هذا كله لا يتأتى الا بالحرب • وهذا ما حدث فعلا من نشوب الحرب الحاضرة التى يكتوى العالم بسعيرها ، والتى توشك أن تكون أشأم عليه من الحرب السابقة وأضل سبيلا

فؤاد محمد شبل

الراديو والصحافة

يتنازعان زعامة الرأى العام

يرى كثيرمن الناس ان قوة «الراديو» فى الوقت الحاضر تفوق قوة «المطبعة» فى نقل الآراء واذاعة الافكار ، وان «اللاسلكى» هو القوة الخطيرة التى أصبحت تكون الرأى العام وتوجه السياسة الداخلية عن طريق الانتخابات البرلمانية

فهل هم على حق فى هذا الرأى ؟ انا نجد الجواب الدقيق عن هذا السؤال فى هذه الدراسة الكاملة التى قامت بها أخيرا «مدرسة الشئون العامة والدولية بجامعة برنستون الامريكية» بحثا فى أثر الراديو فى تكوين الرأى العام ، فقد وضعت هذه الدراسة الواقعية بعد أن عقدت آلافا من المقابلات بين طلاب المدرسة وأساتذتها وبين آلاف من الافراد يمثلون جميع الطبقات وموزعين فى جميع الجهات ، واتخذت فيها أحدث الوسائل وأدق الاساليب فى استقصاء الحقائق وتحرى الوقائع

أبانت هذه الدراسة أن لاشك فى عظم الجمهرة التى تسمع اذاعات الراديو ، فتسع من كل عشر عائلات أميركية تملك أجهزة الراديو

ولكن ثمة فوارق عظيمة بين طبقات الناس فى «كمية اصغائهم» الى اذاعة اللاسلكى . ومرجع هذه الفوارق الى ما تختلف فيه هذه الطبقات من مقدار الدخل ومستوى الحياة المادى ، ومن مقدار التعليم ومستوى الحياة الفكرى

وهناك ما هو أهم من كمية الاصغاء وهو «ما يصغون اليه» دون سواه ، وقد حللت هذه الدراسة برامج الاذاعة التى تنافس ما تنشره الصحافة ، أى البرامج التى تذيع الآراء والانباء ، وشروح الاخبار ، والافكار السياسية . فانتهى هذا التحليل الى نتيجة طريفة وهى انه كلما كان مستوى التعليم منخفضا كان عدد المقبلين على هذه البرامج قليلا ، والعكس بالعكس ، فالطبقات المثقفة تكثر من استماع هذه البرامج مع انها تقرأ مثلها فى الصحف كل يوم . فكثرة الجمهور تصغى الى ذلك المذيع الهزلى الذى يشكو زوجته أو حماته ، والى سلسلة الروايات التى تعدد شدائد الاسر ومشاكلها ، وقلما تصغى هذه الجمهرة الغالبة الى الاحاديث السياسية والمحاضرات الثقافية ودراسات الشئون العامة

ومن الخطأ أن نبالغ فى تقدير أثر اذاعات الراديو السياسية فى الوقت الحاضر . فقد ثبت ان أحاديث روزفلت ذاته لا تصل الى جمهور يبلغ الجمهور الذى يسمع الاذاعات الهزلية ، فلا تذيع خطبه ـ الا ما يلقى منها فى ظروف شاذة ـ سوى ثلث أجهزة

الراديوفى أمريكا ، رغم ان روزفلت أقوى شخصية أمريكية فى مرحه وسحره واستمالته. ومن المعروف ان أكثر أنصار هتلر وناخبيه من الطبقة الاقتصادية الدنيا ، ومع هذا فلا نجد من هذه الطبقة من يستمع الى خطبه وأحاديثه سوى شخص واحد من كل أربعة أشخاص يملكون أجهزة الراديو بينا نجد نصف الطبقة العليا التى لا تؤيده كثيرا تسمع خطبه وتصغى الى أحاديثه. ذلك ان الطبقة المتعلمة المثقفة التى تستطيع أن تنال ما تشاء من الآراء عن طريق القراءة لا عن طريق الاستماع ، تصغى الى المحاضرات والاحاديث التى يذيعها الراديو ضعف ما تصغى اليها الطبقات التى يعجزها تفهم السياسة عن طريق الصحافة أو بواسطة المؤلفات. ويبدو هذا الفرق أوضح وأكبر كلما كانت الاحاديث المذاعة جدية الموضوع تتطلب التفكير والتروى

ولكن اذا كانت أغلبية الشعب لا تعنى بالاذاعات السياسية ، فما معنى هذه المائة ألف خطاب التى انهالت على « الكونجرس » الامريكى فى اثناء بحثه قانون الحياد اثر ما اذيع فى الراديو من خطب اعضائه واحاديثهم ؟ يلاحظ فى اجابة هذا السؤال ان القسم الغالب من عامة الناس الذين يستمعون الى اذاعات اللاسلكى السياسية هم من هذا الطراز الذى يستجيب سريعا لما يلقى اليه من الآراء ولما يوعز اليه من الافكار . فسرعان ما تنفذ الى اذهانهم الخطب التى يذيعها عليهم الراديو ، فلا يلبثون ان يعيدوا كتابتها ويبعثوا بها على انها من بنات أفكارهم !

والمعلنون التجاريون يعلمون ان الراديو هو أقوى الوسائل تأثيرا فى العقول الطفلة التى لم ترق الى درجة النقد والتمحيص . وقد استطاع أحدهم ان يحصل على ٥٠٠ر٠٠٠ رسالة ردا على ما يذيعه من اعلانات ، بل بلغت الرسائل الواردة الى أحد هؤلاء المذيعين ٢ر٥٠٠ر٠٠٠ رسالة ! فلم يكن اذن شاذا ولا غريبا — كما حسب أعضاء الكونجرس — أن ترد اليهم ١٠٠ر٠٠٠ رسالة فحسب فى اثناء بحثهم القانون الخطير الذى يتوقف عليه حياد أمريكا أو الزج بها فى معمعة الحرب الدائرة

ولم يقصر بعض الساسة فى اتخاذ الراديو وسيلة من وسائل المنافسة والمضاربة ، فقد استعان به رجال « تكساس » بأمريكا فى دعوة الجمهور الى مناصرته وتأييده . ولكنه لم يكن يتحدث الى سامعيه فى أمر السياسة والانتخاب الا قليلا ، بل كان يغنى لهم بعض الأغانى البسيطة ، وينشد لهم مقطوعات من الشعر ، ويتحدث الى ربات البيوت فيما يعنيهن من الامور ، حتى اذا عرف أن عددا كبيرا من أهل المدينة ينصتون اليه ويتابعونه قدم اليهم رجلا أعمى فأذاع عليهم ان صاحبهم يريد ان يرشح نفسه محافظا للمدينة ، وسألهم رأيهم فى هذا الترشيح : هل يقدم عليه أو يحجم . فلم يلبث ان تلقى فى اسبوع واحد ٥٤ر٤٤٩ خطابا تدعوه الى ترشيح نفسه وتعده بالتأييد والمؤازرة ، ولما جاء يوم الانتخاب فاق عدد الاصوات التى نالها مجموع الاصوات التى أخذها كل خصومه بثلاثين ألف صوت !

ولهذا يخيل الى المرء ان الراديو سيكون مصدر خطر عظيم اذا استخدمه « المهيجون

الشعبيون ـ الديموجاجيون ، مستعينين بأبرع وأذكى المذيعين • وربما يكون هذا صحيحا ولكن الراديو يحمل فى نفسه وسائل تصحيح اخطائه واسباب تلافى اخطاره • ذلك ان الديموقراطية الفعالة تعتمد على نشر المعرفة واذاعتها ، فهى تتطلب ان يقف اكبر عدد ممكن من الناس على أكبر كمية من الحقائق المتعلقة بمشاكل الوقت الحاضر • وخير الوسائل لنشر المعرفة واذاعتها هى الكلمة المطبوعة فى الصحف وفى الكتب ، وقد ثبت ان اذاعة اللاسلكى تزيد فى كمية القراءة أى فى ميل الناس الى الاطلاع

فكيف ذلك ؟ أثبتت الدراسة التى قامت بها جامعة برنستون ان فى كل مائة من الاسر التى تملك اجهزة التقاط الاذاعة اللاسلكية نجد سبعين أسرة تصغى الى انباء الراديو وتثابر على استماعها ، وتستوى فى تقدير هذا جميع الطبقات على ما بينها من اختلاف فى الثروة والثقافة • وابانت هذه الدراسة فضلا عن هذا انه كلما كان المرء مقبلا على استماع انباء الراديو كان أكثر تفضيلا لمطالعة الصحف • أى انه كلما زاد الراديو فى طلعة المرء الى معرفة الانباء وتشوقه الى استقاء الأخبار ، صار أقل اقتناعا بما يذيعه عليه الراديو من انباء مقتضبة موجزة ، وأكثر رغبة فى التوسع فيها والتيقن منها • أى ان استماع الانباء فى الراديو يحول من لم يألفوا قراءة الصحف الى أناس يحبون مطالعتها وتتبعها

بل ان الراديو بما يزيده فى سامعيه من حب الاستطلاع يوسع الدائرة التى ألفوا ان يحصروا قراءتهم فى نطاقها • ويتبين هذا من دراسة برامج الاسئلة والالغاز التى يذيعها الراديو ، فقد وجد أن هذه البرامج التى تنظر اليها الطبقات العالية على انها ألاعيب للتسلية والتلهية ، تعد فى الطبقات الدنيا مصدرا من مصادر المعرفة والثقافة فتدفع مستمعيها الى البحث فى شتى الكتب والصحف عن أجوبة هذه الاسئلة وحلول هذه الالغا ز

وكذلك يدفع الراديو بالناس الى مطالعة الكتب • فقد قررت عشرات المكاتب ان الاقبال على كتبها قد زاد زيادة كبيرة اثر ما اذيع فى الراديو من نقدها

وثقة الناس بالكلمة المطبوعة أكبر من ثقتهم بالكلمة المرسلة فى الهواء • فقد أثبتت دراسة جامعة برنستون ان خضوع الراديو لرقابة الحكومة او اشرافها من شأنه ان يجعل مذيعيه ينظرون الى الامور نظرة الرجل العادى الذى لا ينقد ولا يهاجم أمرا ألف الناس قبوله وارتضاه ، ولا يمدح أو يدافع عن أمر أجمع الناس على انكاره واستهجانه

ولن يستطيع الراديو ان يستأثر دون الصحافة بثقة الناس ، ولن يحل الاثير يوما ما فى المحل الذى شغلته المطبعة منذ قرون طويلة• ذلك ان الذين ألفوا «القراءة» واجادوها يرونها أنفع لهم وأجدى عليهم من الاصغاء • ومن الآراء الشائعة المقررة ان المرء يستطيع ان يمعن تفكيره ويركز ذهنه فى اثناء القراءة اكثر مما يستطيع فى اثناء الأصغاء • فاذا كان الاصغاء اسهل وايسر ، فان الفائدة التى تعود من القراءة أكبر واجزل

(خلاصة مقال لادوين مولر فى صحيفة ذو نيو ريبلك The New Republic)

العلم والعالم

الحديد والبترول يحددان اتجاه المانيا الحربى

الحديد

كان غليوم يقول : اينما توجد مناجم الحديد تتجه انظار ألمانيا . وجاء هتلر فحث سعى الالمان الى مناطق الحديد الذى زادت حاجتهم اليه ، فقد صارت الحروب الميكانيكية تستنفد كميات هائلة من الحديد فى صناعة السيارات والدبابات والطائرات والبوارج المختلفة . كما ان ألمانيا فقدت جزءا مهما من المناطق الغنية بالحديد التى كانت تمتلكها قبل الحرب الماضية

وتعتمد ألمانيا الآن فى صناعة الحديد أكبر اعتماد على ما تستورده من الاقطار الخارجية . فالاحصاءات تدل على انها فى سنة ١٩٣٨ استخرجت من مناجمها ٣ر٣ مليون طن من الحديد بينما استوردت من الخارج ١٢ مليونا من الاطنان اى انها يجب ان تستورد اربعة امثال ما تنتج لتستطيع ان تدون حياتها الصناعية فى وقت السلم، دع عنك وقت الحرب وما يستدعيه من تنشيط حركة الانتاج وتكريسها لصناعة الاسلحة والذخائر

هذا الى ان الحديد الالمانى ردىء الصنف الى حد يجعل ألمانيا اشد اعتمادا على الحديد الاجنبى . فالاخصائيون يقدرون جودة الحديد الخام الذى تخرجه ارض المانيا بنسبة ٣٠ ٪ فحسب ، فيجب اذن ، وفاء بحاجاتها الصناعية ، ان تستورد من الخارج خمسة امثال ، لا اربعة امثال ، ما تنتجه من الحديد

والسويد هى المنجم الاول الذى يمد المانيا بحديدها . فمنه تستورد ثلثى الكمية التى تستهلكها وهو حديد عالى الصنف تبلغ درجة جودته ٦٥ ٪ ، حتى ان ما ينتج من طنين من الحديد الالمانى الخام لا يزيد عما ينتج من طن واحد من الحديد السويدى الخام

ولا شك فى ان الاخطار المحدقة بالسويد الآن انما هى نتيجة وفرة الحديد الجيد فى أراضيها « فجبل الحديد » الشهير بها هو اهم مصادر رخائها فى وقت السلام ، ولكنه متجه انظار الطامعين فيها فى هذا الوقت العصيب . فالمانيا تريد ان تستولى على هذه المناجم السخية بالحديد، وان تضع ايديها على طرق النقل بينها وبين السويد . وهذا الحديد يصدر عن سكندنافيا الى ألمانيا اما فى بحر البلطيق واما فى بحر الشمال، آتيا من ميناء « لولا » على خليج بوثنيا أو من مدينة نارفيك فى النرويج . والطريق الثانى أهم وأجدى : لانه أقصر ولا يتجمد فى فصل الشتاء . ولهذا نشبت الحرب فى اسكندنافيا سعيا من المانيا الى الاستيلاء على هذا الطريق والى ابتزاز حديد السويد غصبا

البترول

وكما ان الحديد يفسر الحرب التى شنتها ألمانيا على اسكندنافيا ، فكذلك يفسر البترول الحرب التى قد يعلنها هتلر على البلقان

ذلك ان المانيا تستمد البترول من الاتى مصادر :

١ ــ آبارها المحلية وهى ضئيلة الانتاج فلم تتجاوز كمية بترولها فى سنة ١٩٣٨ ، ٥٥٢٫٠٠٠ طن . وهذا البترول ردىء الصنف فيستخدم اكثره فى « تزييت » الآلات

٢ ــ ما تستخلصه من الفحم بالطرق الصناعية وقد بلغت كميته فى السنة الماضية ٣٫١٠٠٫٠٠٠

طن خصص أكثرها وقودا لطائرات الاسطول الجوى

٣ ــ الوارد الاجنبى وهو أعم واوفر من المصدرين السابقين ، ففى سنة ١٩٣٨ كانت كمية الاستهلاك الالمانى من البترول ٦٢٧ر٦٬٠٠٠ طن استوردت منها المانيا ٧٩١ر٤٬٠٠٠ طن وكانت ألمانيا تستورد اكثر هذه الكمية من اربع دول : فنزويلا والمكسيك والولايات المتحدة ورومانيا ، وتستورد باقى حاجتها من هولنده وبلجيكا وايران والهند الشرقية وبيرو وروسيا

العدد : لغة العلم

هذا عنوان كتاب طريف أصدره اخيرا الدكتور « توبياس دانزيج » وحلل فيه نشأة « العدد » عند الانسان البدائى وتطور فكرته واسلوبه فى مختلف الشعوب والعصور

يقول المؤلف انه قبل ان يهتدى الانسان الى « العدد » الذى لم ينشأ الا بعد ان ارتقى ، كانت له ملكة يمكن ان تسمى « حاسة العدد » يهتدى بها الى ما يضاف او ما ينقص من اية مجموعة صغيرة يملكها او يراها ، وهذه الحاسة موجودة عند الحيوان الى حدما ، فاذا كان فى عش الطائر اربع بيضات واخذت واحدة منها لم يتنبه الى ما حدث من النقص ولكنه يتنبه اذا أخذت بيضة أخرى ، أى ان حاسته لا تفرق بين الاربعة والثلاثة ولكنها تفرق بين الاربعة والاثنين

وما زالت توجد قبائل كثيرة فى جزر البحار الجنوبية وفى اواسط افريقيا وجنوب امريكا لم تبلغ بعد درجة العد على الاصابع فهى اذا مجردة من كل فكرة عن العدد . واثبتت دراسة القبائل البدائية فى استراليا ان قليلا من افرادها من يدرك اكثر من الاعداد الاربعة الاولى ، وان اذكاهم لم يبلغ بعد الى العدد السابع . وقبائل البوشمان فى افريقا تعرف ثلاثة اعداد فحسب وهى : واحد واثنان وكثير . ومن الغريب ان لغاتنا ما زالت تحتفظ بكلمات تدل على ان اسلافنا لم يكونوا ارقى فى مراتب العدد من هؤلاء البوشمان المتوحشين . فالعدد ثلاثة فى اللغة الانجليزية Three أو فى اللاتينية Tres له معنيان : ثلاثة وكثير . أى ان اجدادنا لم يفهموا سوى العددين الاولين ثم يختلط عليهم ما زاد عليهما فالثلاثة كالاربعة كالعشرة كالمائة :

واول طريقة اكتشفها الانسان « للعد » هى الاصابع . وما زالت اسماء الاعداد الاربعة الاولى عند كثير من القبائل هى اسماء الاصابع الاربعة الملتصقة ، اما الرقم خمسة فاسمه اسم اليد كلها . ولا شك اننا اتخذنا العدد عشرة اساسا لاعدادنا لان لنا عشرة اصابع . على ان من الشعوب من اتخذ العدد خمسة اساسا ذلك انه اكتفى بالعد على اصابع احدى يديه فحسب بينما كانت اليد الاخرى مشغولة بحمل السلاح الذى لم يكن يفارق الانسان البدائى . وثمة شعوب اخرى اتخذت العدد عشرين اساسا للتعداد لان اسلافهم كانوا يعدون على اصابع ايديهم وارجلهم معا ، وهذا شأن الهنود الهائمين فى غابات امريكا الوسطى

وتطور « الحساب » فى عصور التاريخ على الطرائق المتبعة . فعملية « الضرب » التى يؤديها الآن طفل فى الخامسة لم يكن يستطيعها عند الاغريق والرومان ، على ما بلغوا من رقى ذهنى عظيم ، سوى رجل على جانب من الذكاء والفهم ، وقد ظل هذا التعقيد حتى نهاية العصور الوسطى كما يبدو من المثال الآتى : اذا أراد رجل فى القرن الثالث عشر ان يضرب ١٣ × ٤٦ فانه يسلك هذا الطريق الطويل المعقد :

٢ × ٤٦ = ٩٢

٤ × ٤٦ = ٩٢ × ٢ = ١٨٤

٨ × ٤٦ = ١٨٤ × ٢ = ٣٦٨

٣٦٨ + ١٨٤ + ٤٦ = ٥٩٨

فليقارن القارىء هذه الطريقة التى تتطلب ذكاء ومرانا على الطريقة البسيطة التى يتخذها اطفالنا الآن !

اعظم تلسكوب فى العالم

جميع علماء الفلك يترقبون هذا التلسكوب العظيم الذى سيقام قريبا على جبل « بالومار » فى كليفورنيا ، بعد ان امضى جماعة من علماء الهندسة والطبيعة اثنىعشر عاما فى صنع اجزائه . ويبلغ طول قطر مرآة هذا التلسكوب مائتى بوصة كاملة ويبلغ سمكها ستا وعشرين بوصة وزنتها عشرين طنا ، وتبلغ قوتها الابصارية قدر قوة العين الانسانية ستة آلاف او سبعة آلاف مرة. وقد فرغ عشرون من علماء الضوء ومهندسيه لصناعة هذه المرآة مدى ثلاث سنوات ، فصار فى الامكان ان يرى من خلالها ثلاثة او اربعة أمثال ما يرى من خلال مرآة اعظم منظار فلكى موجود الآن ، وهو تلسكوب « باسادينا » القائم على جبل ويلسون فى امريكا

ويقدر العلماء ان عدد الاجرام السماوية التى سترى من خلال هذا التلسكوب هو ١٫٥٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ جرم ، بينما لا يزيد ما تراه العين المجردة الحادة عن ستة آلاف من النجوم . ومع ان بعد هذه الاجرام عن الارض لن يكون باديا للعين الا ان الصور التى يمكن ان تؤخذ من خلاله ستبين ان القمر يبدو فى هذا المنظار وكأنه لا يبعد عن الارض بأكثر من اربعة وعشرين ميلا

دفاع عن الزنوج

أصحاب نظرية تفاوت الاجناس يرون الجنس الزنجى أقل ذكاء واضعف فكرا من الجنس الأبيض ، ويقيمون هذا الاتهام على امرين : أحدهما اجتماعى وهو خضوع الزنوج للبيض وضعف شأنهم فى جميع مناحى النشاط الانسانى، وثانيهما عضوى هو ان الزنوج ينقصهم جمال الجسم ودقة الملامح فهم سود البشرة مجعدو الشعر غلاظ الشفة واجسامهم عارية من الشعر

ولكن غالبية العلماء مجمعون على فساد هذه النظرية التى لم توضع الا تحقيقا لاغراض قومية ومآرب سياسية لا تمت الى العلم بسبب ما . وقد كتب احد الباحثين « آشلى مونتاج » دفاعا حارا عن الزنوج فند فيه هذه الآراء السابقة . فأما عن ضعف شأن الزنوج سياسيا واجتماعيا فلا صلة بينه وبين ضعف ذكائهم او قلة تفكيرهم ففى الوقت الذى غزا فيه قيصر الجزر البريطانية فوجد اهلها قبائل تهيم فى الغابات كانت للزنوج دولة مستقرة وتجارة واسعة وحضارة معروفة . فهل كانت أمخاخ البريطانيين مخلوقة من مادة فاسدة ثم تحولت فجأة الى مادة صالحة تفيض ذكاء ونبوغا حين هيأت لهم ظروف التاريخ والسياسة ان يتصلوا بالعالم الخارجى ويسافروا فى البحار ليثروا ويتحضروا ويسودوا . واما عن سواد البشرة فمرجعه الى مقدرة الجسم البشرى على التكيف وفق البيئة التى يعيش فيها ، فبيئة الزنوج تسفعها الشمس اللافحة فلا بد من احتمائها بهذه الطبقة السوداء التى ترد عنها اشعة الشمس بينما صار الانسان ابيض البشرة فى المناطق الباردة ليصل الى جسمه اكبر كمية من اشعة الشمس الخافتة هناك . ولو كان بياض البشرة مظهر رقى او ذكاء لكانت القردة فى مستوى الاوربيين رقيا وذكاء فبشرتها بيضاء ناصعة . وكذلك سعة انف الزنجى وقصرها مرجعها حاجته الى استنشاق كمية من الهواء اكبر من الكمية التى يستنشقها الابيض ذى الانف الضيق الطويل . اما عن تجعد شعره وغلظ شفته وخلو جسمه من الشعر فليس فيه اى دليل على انحطاطه ، فحدائق الحيوان أمامنا تثبت ان الرجل الابيض يشارك القرد أو الغوريلا فى الملامح ، فكلاهما مرسل الشعور رقيق الشفاه ، وكلاهما مغطى الجسم بطبقة من الشعر !

نعم ان الزنجى اصغر مخا من الابيض بخمسين سنتيمترا مكعبا . ولكن اى شىء فى هذا اذا عرفنا ان بعض انواع الانسان فيما قبل التاريخ كانت ذات مخ يكبر مخ الرجل الابيض الحالى بمائتى سنتيمتر مكعب . فهل كان هذا الانسان

البدائي الذي عاش منذ اكثر من خمسين الف سنة اذكى من الانسان الابيض ، أم ان الذكاء أمر لا علاقة له بحجم المخ مطلقا ؟

نفقات الحروب الحديثة

بلغت نفقات الحروب لاول مرة رقما فلكيا كما يقولون في الحرب الكبرى الاولى ، اذ بلغت في بريطانيا وحدها في كل يوم من ايام سنة ١٩١٤ مليونا من الجنيهات ، وفي سنة ١٩١٥ ثلاثة ملايين وفي سنة ١٩١٧ سبعة ملايين

واذا صح ان نقيس أهوال هذه الحرب الكبرى الى هول تلك الحرب الكبرى الاولى قياسا ماليا ، فلنقدر انه اذا كانت نفقات اليوم الواحد من أيام المرحلة الاولى في حرب سنة ١٩١٤ بلغت مليون جنيه ، فهي تبلغ في السنة الاولى من الحرب الحالية ، كما اعلن وزير الخزانة البريطانية ، ستة ملايين من الجنيهات

وقد كانت الحروب النابليونية التي اجتاحت ارجاء اوروبا ردحا طويلا اولى الحروب التي ارهقت خزائن الدول وفرضت الضرائب ارهاقا قاسيا ، فقد انفقت انجلترا في خلال السنوات العشرين التي لم تهدأ فيها يوما واحدا عن كفاح عبقري الحرب حتى أوردته موارد الهزيمة والاندحار ٦٤٠٫٠٠٠٫٠٠٠ من الجنيهات . واذ لم يكن لموارد الدولة حينئذ قبل بهذه المبالغ الباهظة فقد ابتكر لها وزير انجلترا الفذ « وليم بت » موردا جديدا . هو ضريبة الدخل التي تعد أهم موارد الدولة في العصر الحديث ، ذلك انها ضريبة مرنة يمكن ان تكيف في يسر وعجلة وفق مطالب الدولة ، بخلاف ضرائب الارض والبناء مثلا فهي جامدة لا تتيسر زيادتها لمقابلة حاجة البلاد الا في نطاق حدود ثابتة تعينها مقدرة الارض على الانتاج ومقدرة زارعيها على تصريف منتجاتها

واثبتت بريطانيا خلال ادوار تاريخها انها أقدر الدول على تمويل الحرب تمويلا سخيا . فقد كان دينها الاصلي في سنة ١٩١٤ لا يتجاوز ٦٥٠ مليون جنيه ، فاذا به يتضخم حتى يقفز في سنة ١٩١٩ الى ٧٥٢٧ مليونا من الجنيهات ، على ان ثلثي هذا المبلغ العظيم كان قروضا عقدتها بريطانيا واوفت باكثرها في سني السلم التالية . وكذلك كلفتها بعض الحروب السابقة نفقات طائلة ، فحملتها حرب الاستقلال الامريكية قرابة مائة وعشرين مليون جنيه ، وحرب القرم ثمانين مليونا ، اما حرب البوير فقد استنفدت من خزائنها مائتين وثلاثين مليون جنيه !

خريطة ثمنها ٣٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه !

خمسون طائرا يحلقون الآن فوق أرجاء الولايات المتحدة الامريكية ، كلما كان النهار صافيا مشرقا لا يحجب الارض فيه سحاب أو ضباب ، وذلك لتصور هذه الولايات التي تبلغ ثلاثة ملايين من الاميال المربعة تصويرا فوتوغرافيا تتكون منه فيما بعد خريطة كبرى من طراز جديد لا يخفى فيه طريق في مدينة أو جانب من قرية أو قناة في مزرعة أو كوخ في غابة . وقد قدرت نفقات هذا المشروع بخمسة عشر مليونا من الدولارات . ومع كثرة عدد الطائرات المخصصة لهذا المشروع وحده فانه لن ينتهي قبل مضي بضع سنوات

أما مقياس الرسم فهو بوصة واحدة لكل ١٦٦٦ر١ قدما . ولهذا فستكون مساحة هذه الخريطة أكثر من خمسمائة قدم مربع ، وتلتقط الطائرات صورها على ارتفاع ١٤٠٠٠ قدم ، ثم توضع الصور جنبا الى جانب لتؤلف منها خريطة واحدة تمثل أمريكا في هذا العصر أدق تمثيل ، فتكون أحسن دليل جغرافي الآن ، وأصدق مرجع تاريخي في المستقبل



البروفسور مرجليوث

توفي في أواسط مارس الماضي البروفسور مرجليوث عن واحد وثمانين عاما . وكان يشغل منصب استاذ اللغة العربية فى جامعة اكسفورد منذ عام ١٨٨٩ . وقد كتبت عنه جريدة التيمس مقالا بمناسبة وفاته ننشر خلاصته فيما يلي :

كان مرجليوث من فحول علماء المشرقيات ، والمرجع الاخير فى اكسفورد للمسائل الاخلاقية الدينية والمسائل الانسانية التى يغمض فهمها . وقد ناقشه بعض أدباء العربية فى آرائه ، فمنهم من ناصره ومنهم من خطأه ، فلا عجب اذن ان فقدت اكسفورد بفقده ركنا من أهم أركانها ونجما كان يسطع فى سمائها

انحدر دافيد صموئيل مرجليوث من أصل عبرى بولونى ، وكان أبوه من طائفة المبشرين الانجليكيين على الرغم من أصله اليهودى ، وقد نشأ فى حياته متمشقا المثل العليا التى أملتها اليهودية ، ناقما على الصهيونية ، عدوا لدودا لوعد بلفور المشهور . وقد ولد عام ١٨٥٨ ، وكان من أنبغ الطلاب الذين شهدتهم كلية ونشستر ، وظل بهذه الكلية الى أن اشتغل بالتدريس وأظهر تفوقا فى اللغات الشرقية

ومما اشتهر عنه انه كان يعامل تلاميذه كأنهم زملاؤه ، ويولى آراءهم عناية أكثر مما يوليه اياها بعض الاساتذة المساعدين ، وفى اثناء تدريسه فى «نيو كوليدج» نال وسامى اكسفورد القديمين ، ثم راح يولى اهتمامه الدراسات الشرقية وحاز فى حقل الشرقيات معظم الجوائز التى خصصت لهذه المادة ، ثم رقى الى درجة زميل ، وصار محاضرا ، فأستاذا

امتاز مرجليوث بوفرة ابحاثه ، وكفايته العلمية ، ولم يعقه عن تفهم اسرار اللغة العربية وآدابها أى عائق . كان يتكلم هذه اللغة بلسان ذلق ، أما لهجته ونطقه فانهما يختلفان نوعا عن اللهجة والنطق العربى . وقد نالت أبحاثه فى عالم الادب والدوائر الجامعية التقدير الذى هى جديرة به ، وأهم المؤلفات التى قام على طبعها من كتب العرب كتاب ياقوت الحموى « معجم الادباء » وقد قضى فى دراسته أعواما . والى جانب ذلك اهتم مرجليوث بالتعليق على آراء ارسطاطاليس ، وشرح الديانات القديمة ، ومكن قراء الانجليزية من التعرف الى شخصيات رائعة فذة ، كشخصية أبى العلاء المعرى ، والتماوندى ، والبحترى ، والمناظرة بين أفكار متى بن يونس القنائى ، وأبى سعد السيرافى ، وترجم جزءا من كتاب «التمدن الاسلامى» للمرحوم جرجى زيدان

وفى أثناء دراسته لاعمال هؤلاء المفكرين العرب ، تمكن مرجليوث من الحصول على معلومات قيمة ، وكون فكرة خاصة عن نمو العقيدة الاسلامية منذ نشأتها . وبعض هذه المعلومات والافكار أوضحه فى محاضرته التى ألقاها بلندن عام ١٩١٣ وطبعتها الجامعة على نفقتها فى السنة التالية

ويتضح من مراجعة مؤلفيه الذائعى الصيت : « محمد ونشوء الاسلام » و « العقيدة المحمدية » اللذين نشرتهما مكتبة الجامعة فى سلسلة مطبوعاتها . انهما مشبعان بروح المؤرخ جيبون ذات الاسلوب اللاذع ، غير ان مرجليوث كان يحتفظ خلف أفكاره بقلب حار ، وعواطف متجانسة ، مع سعة اطلاع ، واتصاف بحيوية البحث ، والمناقشة بروح التسامح العلمى ، مما دعا الى أن تكون بحوثه ومؤلفاته مستساغة لدى تلاميذه وقرائه

وخلال تعاونه فى العمل مع « دين بانسميث »

فى وضع « المعجم السرياني » تزوج مرجليوث من ابنته عام ١٨٩٦ وتعهد بأن يعاونها فى اتمام هذا المعجم ، وقد اقتضاه هذا العمل أكثر من ربع ق.ز.

« ارارات »

قصة عن الارمن

الشعب الارمني قليل العدد ضعيف الجانب ولكنه عزيز القومية شديد المراس . ومثل هذه الشعوب يحفل تاريخها بالوقائع والاحداث التى يجد فيها القصصى التاريخي حقلا خصيبا . وقد ظهرت فى امريكا قصة تاريخية طريفة عن هذا الشعب المكافح بعنوان « آرارات » نسبة الى جبل فى المنطقة التى يسكنها الارمن فى الجنوب الشرقى من البحر الاسود وبحر الخزر . وتبدأ هذه القصة الواقعية فى سنة ١٨٩٥ حين عملت سيوف العثمانيين فى رقاب الارمن ، فهجرت احدى قبائلهم قريتها تحت امرة مبشر امريكى عاش بينهم واستأثر بثقتهم . وبلغت القبيلة حدود روسيا حيث سعى المبشر الى اسكانهم هنالك فعاشوا واستقروا . ثم تقفز القصة الى السنة الاولى من الحرب الماضية حين بدت للارمن صورة الاستقلال فترة ما ثم لم يلبث ان طغى عليها شبح المطامع والمكائد الاستعمارية فضاع هذا الشعب وسط الاتفاقات التى عقدت بين تركيا وروسيا وانجلترا وفرنسا . ثم تستطرد القصة الى الحديث عن طيار روسى مغامر يروع المناطق الواقعة على حدود روسيا وتركيا بمجازفاته الجريئة الى ان يقع أسيرا فى يدى احد رؤساء القبائل ، ثم يفر منه الى ان يلتقى بالمبشر الامريكى فيعاهده على مساعدة الارمن وانقاذهم ، ويتعاونان معا على تخفيف ويلات أراملهم وايتامهم . ويشرح الكاتب فى تضاعيف هذه القصة تقاليد الشعب الارمني وقوميته ويتحدث عن الروح الوطنى المتمكن من رجاله ونسائه واطفاله جميعا

متحف تولستوى

أقيم فى موسكو متحف خاص بعميد الادب والفكر الروسى « تولستوى » ، وجمع فيه كل ما كان مشتتا من رسائله ومخطوطاته وصوره وآثاره ، فصار يضم زهاء مائة الف صفحة مما خطه بقلمه من القصص والكتب التى يتبين من دراستها ومتابعتها كيف كان يكتب ويؤلف ، وكيف كان يكون افكاره ويحورها ، وكيف كانت تتطور قصصه وكتبه حتى تنمو وتكمل . ويضم المتحف كذلك مجموعة كبرى من الرسائل التى خطها فى اثناء ثمان واربعين سنة ، وزهاء ثلاثين ألف رسالة وردت اليه من جميع انحاء العالم ولا سيما فى الفترة التى كان يتزعم فيها التفكير الاوربى بأسره . ومن أثمن ما فى المتحف مذكرات زوجه التى تكشف عن جوانب كثيرة من هذه النفس العظيمة ، فقد كانت علاقته بزوجه فى سنيه الاخيرة جزءا من فلسفته العملية ، كما يبدو فى قصته الصغيرة « أغنية كرتيزر » التى شرح فيها آراءه فى طهارة القلب الذى يأثم ويدنس كما يأثم البدن ويدنس

كنوز الصين الفكرية

تنهال على أمريكا فى هذه الايام آلاف من المؤلفات والمخطوطات الصينية القديمة التى ظلت سجينة فى مكاتب أصحابها عشرات القرون الى أن غزت اليابان هذه الاقاليم وصارت هذه الكنوز والنفائس عرضة لاخطار التلف أو الحرق أو السلب ، فأخذ أصحابها يبيعونها للمكاتب وللجامعات الامريكية التى ستجد فيها مجالا واسعا لدرس الفلسفة الصينية والدين الكونفوشيوسى وبحث حضارة هذا الشعب العريق الذى خشى على كتب الحكمة والفلسفة أكثر مما خشى على روحه ودمه ، لانه الشعب الوحيد ــ كما يقول الفيلسوف برتران رسل ــ الذى يؤثر الحكمة على الخبز !

« كفاحى » الروسى

وثيقة سياسية خطيرة يكشف عنها المؤرخون

يمكن ان تطلق كلمة « كفاحى » التى اتخذها هتلر عنوانا لكتابه المشهور على كل رسالة أو وثيقة تشرح وتحدد سياسة دولة ما ، ذلك ان السياسة الهائجة التى جرت عليها ألمانيا والحرب المنكرة التى اوقدت نارها ان هى الا صفحات من كتاب « كفاحى » أخرجت من حيز التفكير الى دائرة التنفيذ ، فلا بأس اذن من ان تتخذ هذه الكلمة اسما لتلك الوثيقة السرية التى وضعها بطرس الاكبر فى بدء القرن الثامن عشر توضيحا وتوجيها لسياسة روسيا المقبلة ، والتى نقب عنها وجهر بها بعض المؤرخين المعاصرين حين حاروا فى أمر روسيا الحالية وما تتخذه من سياسة فى هذه الآونة العصيبة

وبطرس الاكبر هو « القيصر الذى وضع روسيا فى خريطة اوربا » كما يقول المؤرخون ، قد غذاها بالحضارة الغربية ودفعها الى المساهمة فى شئون اوربا . واذ كان من المفكرين من يرى ان روسيا انما حسبت دولة اوربية بحكم غلطة جغرافية توارثها الناس ، وانها ليست الا دولة آسيوية فى نظامها وسياستها وتقاليد حكومتها وشعبها ، الا أن ضخامتها ، التى جعلتها وحدها تضاهي سائر اوربا مجتمعة قد قضت على اوربا ان تقيم للسياسة الروسية حسابا دقيقا

فما هى اذن سياسة روسيا ؟ لقد أوضحها بطرس الاكبر فى وثيقة سرية دفنت فى محفوظات قصر بترهوف الى ان سرق الفرنسيون نسخة منها فى سنة ١٧٥٧ . وقد اذيعت هذه الوثيقة الآن فكأنما كان بطرس يقرأ صفحات المستقبل التى يريد ان يسطرها اليوم ستالين ، اذا استثنينا اعتزازه بالجيش الروسى وتوهمه انه كفيل بتحقيق سياسة روسية واسعة النطاق فى انحاء أوربا . والواقع ان شواهد التاريخ تثبت ان روسيا تخفق دائما اذا اعتمدت على جيشها برغم ضخامته . فهو اكثر جيوش العالم فوضى وتمردا واقلها دربة واخلاصا ، ولكنها قد تنجح حين تعمد الى سياسة الدسائس التى مارستها واتقنتها فيما مضى ، وما زالت تلجأ اليها عسى ان تعوضها شيئا من فشلها العسكرى المتواتر فى ادوار تاريخها

يقول بطرس فى وثيقته : « ان روسيا تستطيع ، ويجب عليها ، ان تخضع اوربا التى تتألف من شعوب مفككة كادت ان تبلغ سن الشيخوخة الفانية ، فأخذت تصاب بخرف الكبر وبلاعته . فمن الطبيعى اذن ان يسهل قهرها واخضاعها لشعب قوى ناهض فى ابان شبابه وعنفوان قواه »

فما سبيل روسيا الى ذلك ؟ هو ألا تترك فرصة دون ان تنتهزها لتتدخل فى شئون اوربا ومشاكلها ، ولا سيما ما يتعلق منها بجارتها ألمانيا التى يجب ان توجه اليها أولى ضرباتها . وهذه هى الخطوات التى تتبعها حتى تبلغ غايتها فى قهر أوربا شعبا تلو شعب :

« قسموا بولندا .. فاذا هبت القوى المجاورة لمقاومة هذا التقسيم ، فهدئوها وترضوها باقتسام بولندا اشطارا بينكم وبينهم

« ثم اجتزئوا لانفسكم من السويد أكبر جزء تستطيعون . ولا بأس من أن تستفزوها لمهاجمتكم حتى يكون لكم عذر فى حربهم واخضاعهم

« ثم وسعوا املاككم تجاه بحر البلطيق من الشمال وصوب البحر الاسود من الجنوب

«واقتربوا من القسطنطينية قدر ما تستطيعون . وانفذوا بعدئذ الى الخليج الفارسي . وأحيوا ان استطعتم طريق التجارة الروسية فى حوض البحر المتوسط خلال أرض الشام . وبذلك تشقون طريقكم الى الاقاليم الهندية المرموقة

« فاذا اتممتم امتلاك بولندا وتقسيم السويد واخضاع تركيا وفارس ، ثم صارت موانئ بحر البلطيق والبحر الاسود ملك سفائنكم واعددتم بعد ذلك جيشا قويا موحدا ، فاتركوا خطة الحرب واتخذوا خطة السياسة . اتجهوا اولا الى قصر فرساى ثم اقصدوا الى قصر فيينا (وقد

كانا في عهد قيصر يحكمان اكبر القوى الحربية في أوربا) وذلك لتغروهم بان يقتسموا معكم ملك العالم جميعا

« فان قبل أحد القصرين هذا الاقتسام ، وهو لن يسعه الا ان يقبل اذ يحسبه تحقيقا لاطماعه من أقصر سبيل ، فاتخذوه وسيلة الى تحطيم القصر الثانى ، حتى اذا خلا لكم وجه عدو واحد شرعتم فى حطمه على انفراد بحرب مروعة لا اشك فى انها تنتهى بانتصار روسيا وانكسار عدوها . اما ان رفض القصران عرض روسيا ، فعليها ان توقع بينهما بالمكائد حتى تنشب بينهما الحرب التى تدمرهما معا » فينفتح طريقهما للكتائب الروسية التى رسم لها بطرس خطة مفصلة تغزو بها عاتين الدولتين الكبيرتين : دولة هبسبورج ودولة البربون

ويختم بطرس الاكبر هذه الرسالة قائلا :

« لقد أخذت زمام روسيا وهى جدول بسيط من الماء ، وهأنذا أتركها وقد صيرتها نهرا طافيا ، وعلى خلفائى ان يجعلوا منها بحرا مائجا هائجا يستطيع ان يروى ويخصب ارض اوربا التى اجدبت ، وحينذاك تغمر مياهها سائر الارجاء برغم هذه السدود التافهة التى تقيمها هنا وهناك الايدى الهزيلة المرتعشة ، وذلك اذا استطاع خلفائى ان يوجهوا مجرى الماء ويحسنوا اطلاق التيار »

فهل يريد خلفاؤه المعاصرون ان يحققوا هذه الامانى ؟ هل يدل اقتسام بولندا بين روسيا وألمانيا، ثم اجتياح فنلندا وامتلاك موانى البلطيق، على ان ستالين بدأ ينفذ هذا المشروع الخطير الذى ظل مائتى سنة مطويا وسط الوثائق والاسانيد ؟

ان ستالين يتخلى منذ بداية هذه الحرب عن الآراء والمبادىء التى وضعها فى سنة ١٩١٧ فى رسالته الموسومة باسم « الماركسية والمسألة القومية والاستعمارية » والتى أكد فيها ان نجاح الثورة البولشفية العالمية يتوقف على اصرار روسيا على ان يكون لكل أمة حق تقرير مصيرها، وان اخفاق هذه الثورة مرهون باليوم الذى تتخلى فيه روسيا عن هذه السياسة وتشارك الدول الرأسمالية فى سياسة الغلبة والاستعمار . وكان يرى ان اكبر خطر تتعرض له البولشفية هو ان تبدو للناس فى صورة المحارب فى سبيل الفتح والسيادة ، فتفقد الثقة التى وضعت فيها حين ارجعت كتائبها من ارض فنلنده وارمينيا وحين تخلت عن نفوذها فى ايران ومنغوليا احتراما لاستقلال هذه الاقاليم

اما وقد تخلت روسيا عن هذه السياسة التى تحدث عنها ستالين ، وعادت تجرى على سياسة الحرب والفتح والاستعمار ، فقد آن للساسة ان يقدروا ان خطتها المقبلة ليست الا تنفيذا لهذه الوثيقة السرية الخطيرة التى تركها قيصرها بطرس الاكبر

تبسيط اللغة الانجليزية

فى اثناء السنين العشرين التى انقضت بين الحرب الكبرى الاولى والحرب الكبرى الثانية ، أى فى هذه الفترة التى يسمونها « السلم الكبير» سخرية من هذه الحياة التى جعلت السلم أمرا عارضا والحرب حالة دائمة — فى اثناء تلك الفترة خيل الى العالم ان الحرب قد صارت ذكرى من ذكريات الماضى التى لن تتجدد ولن تعود ابدا ، وان على الانسانية الجديدة ان تنظم أمورها وفق حياة السلم التى ستنعم بها الى ابد الآبدين ، فأخذوا يفكرون فى انشاء نظم عالمية تجمع شعوب الأرض معا على تفكير واحد وشعور مشترك بينها جميعا

ومن هذه النظم التى فكروا فى انشائها لغة عالمية تتحدث بها جميع الشعوب فيما يكون بينها من علاقات ، فوضعوا لغة « الاسبرانتو » التى انتشرت ردحا من الزمن حتى قررت بعض حكومات اوربا الشمالية ان تكون مادة الزامية فى مدارسها . وكان الداعى الى وضع لغة جديدة هو ان اللغات القائمة كثيرة المفردات معقدة القواعد مملوءة بالشواذ ، فلا سبيل الى معرفتها الا بعد دراسة طويلة ومجهود كبير لا يقدر عليهما الا من يتوفر على التعلم وقتا طويلا

ولكن أحد اللغويين الانجليز – الاستاذ اوجدين بجامعة كمبردج – استطاع ان يبسط اللغة الانجليزية تبسيطا تاما حتى يمكن لكل امرىء فى اثناء شهر واحد ان يتكلم ويكتب بها فى أى موضوع يشاء

اختار هذا اللغوى ٨٥٠ كلمة انجليزية رأى انها تكفى للتعبير عن اية فكرة يريدها الانسان تعبيرا صحيحا كاملا . ومن هذه الكلمات ٤٠٠ اسم ، و ٢٠٠ صفة مادية ، و ١٥٠ صفة معنوية ، و ١٠٠ كلمة متفرقة يمكن بها تأليف هذه الاسماء والصفات فى الجمل التى تريد تكوينها . وقد اتخذ من الاجرومية الانجليزية جمع قواعد بسيطة يمكن بها استخدام الكلمة الواحدة فى التعبير عن عدة معان مختلفة ، دون ان يكون فى ذلك ما ينافى المألوف من التراكيب الانجليزية

واذ كان الفرد العادى يستطيع ان يحفظ ثلاثين كلمة فى ساعة واحدة . ففى وسعه اذا خصص ساعة من كل يوم لدراسة الانجليزية ان يحفظ هذه الكلمات وينطقها ويكتبها فى أقل من شهر واحد ، ويستطيع بعد ذلك ان يتحدث او يكتب الى أى فرد فى هذه الدنيا مهما اختلف بلداهما وتباينت لغتاهما

ويمكن ان نقرر فائدة هذه اللغة العالمية المبسطة اذا عرفنا ان الانجليزية هى اوسع لغات العالم انتشارا . فهى اللغة الرسمية لحكومات تسيطر على خمسمائة مليون نسمة ، وبها تذيع ٥٧ ٠/٠ من محطات الاذاعة اللاسلكية وتصدر بها اكثر من نصف الجرائد والمجلات فى العالم . فجدير بكل امرىء أن يعرف هذه اللغة ولو على اساس الطريقة المبسطة التى لا تكلفه جهدا ولا وقتا

كتاب العصابات فى الصين

أخذ أدباء الصين وكتابها ينتظمون فى عصابات ثائرة كما ينتظم سائر الرجال والشبان فى الصين فى عصابات تناضل غزاة وطنهم من الجيوش المنظمة والكتائب المصفوفة . وتطوف هذه العصابات من الكتاب سرا فى ارجاء البلاد مستترة تارة وراء اسدال الظلام ومستخفية أخرى بين الصخور ووسط الآجام ، ومستهدفة دائما لاقسى الاهوال واعنف الاخطار

فما هى هذه العصابات ، ولماذا تألفت ، والى أين تسعى ؟

هى جماعات صغيرة من الكتاب ألفها العالم الكاتب الصينى « شيلى وانج » الذى لقى حتفه أخيرا فى اثناء حملة جردتها العصابة التى يقودها ، وذلك ليساهم ادباء الصين من الشعراء والقصصيين والصحفيين والاساتذة فى أداء الواجب الوطنى المفروض على الجندى والاديب على السواء ، وذلك بأن يسعوا فى ارجاء الصين الى جانب العصابات المحاربة فيغذوا رجالها الغذاء الفكرى الذى يذكى فيهم نار الحرية والوطنية ويثير فيهم روح التضحية والفداء

فهم يشاركون الجنود المحاربين فى جبهات القتال ، ويشاطرونهم انتصاراتهم وهزائمهم . ليصوروها فى شعرهم وقصصهم وكتاباتهم تصويرا يقوى الروح الصينى على الحرب والنضال ويضعف اثر الدعاية اليابانية النشيطة التى تبث بين جماهير الصين تثبيطا لعزائمهم

وتريد هذه العصابات الادبية ان تجمع من « الفولكلور » الصينى فى اثناء هذا الكفاح العنيف الذى دام وسيبقى أمدا طويلا ، قصة كبيرة أو قصيدة طويلة تكون « الياذة الصين » التى تمثل روح الشعب العريق الحكيم وتصور ابطاله المجاهدين فى شبكة الجنود او فى لباس المدنيين . وبذلك يتكون من هذه الملحمة الكبرى المأساة الانسانية الخالدة بما فيها من طغيان الاقوياء وكرامة الضعفاء وبما فيها من جشع الاغنياء وتضحية الفقراء ، حتى اذا ترجمت هذه الملحمة الى سائر اللغات ونشرت فى جميع معاهد الدراسة واوساط الثقافة كانت خير مرب للانسانية الجديدة التى يجب ان تنتفى فيها دوافع الشر والجشع وتزكو فيها اسباب الخير

الكتب الجديدة

التشريع والقضاء

قبل انشاء المحاكم الاهلية
للاستاذ عزيز خانكى بك

(طبع بالمطبعة العصرية . صفحاته ٥٦)

الاستاذ عزيز خانكى بك اكثر رجال القضاء فى مصر انتاجا . ومؤلفه هذا هو المؤلف الثامن والعشرون من سلسلة ابحاث له فى كافة الشئون القضائية وبعض المسائل الاقتصادية والتاريخية

وهو فى هذا الكتاب يلقى ضوءا قويا على ناحية غامضة من نواحى تاريخ مصر القضائى من عصر محمد على الكبير الى عصر اسماعيل . وقد استقى معلوماته كما تبينا عن مصادر اصلية جديرة بالثقة ، فقد رجع الى مجموعات الاوامر العالية الصادرة عن ديوان محمد على الكبير وعباس الاول وسعيد ، والى مختلف اللوائح الصادرة فى سنوات متعددة من هذه الفترة الطويلة من تاريخ الاسرة المحمدية العلوية ، واظهرنا على ما لا نكاد نتصوره الآن من جعل كافة السلطات مركزة فى يد حاكم البلد يصدر فيها أوامره فتنفذ بحذافيرها دون أخذ رأى المجالس النيابية ولا المجالس الخاصة

وكاتب هذه السطور يقدر أكثر من غيره المجهود العلمى الذى بذله خانكى بك ، فمثل هذا البحث اذا اريد به ان يكون كاملا يتطلب الرجوع الى آلاف مؤلفة من الوثائق المودعة فى قلم المحفوظات التركية بسراى عابدين وفى دار المحفوظات العمومية . واستيعاب هذه الوثائق لا يتأتى الا بمعرفة اللغة التركية ، والاستاذ خانكى بك على ما نعلم من اقطابها . ثم ان له من المامه الواسع بالقانون ما يؤهله دون غيره من المؤرخين لدراسة هذا الموضوع الجليل

بيد اننا نأخذ على عزته نسبة انشاء ديوان الوالى الى محمد على الكبير ، فان انشاء هذا الديوان بالشكل الذى وصفه يرجع الى عام ١٥١٧ م عندما فتح سليم الاول مصر . ثم ان قانون « السياسة نامه » الذى نظم به محمد على الادارة المصرية وضع فى عام ١٢٥٣ هجرية لا ١٢٥٠ كما ذكر عزته . ولعل ذلك غلطة مطبعية تصحح فى الطبعة الثانية

ولا شك ان عزيز خانكى بك قد سد بهذا المؤلف الثمين ثغرة كان لا بد من ملئها فى نهضتنا العلمية الراهنة . وكتابه هذا خليق ان يقرأ باوفر عناية من رجال القضاء بخاصة والاوساط المثقفة بعامة

تاريخ الاندلس

فى عهد المرابطين والموحدين
الجزء الاول
ترجمه وعلق عليه
الاستاذ محمد عبد الله عنان

(طبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . صفحاته ٢٧٧)

هذا الكتاب القيم من منشورات المعهد الخليفى للابحاث المغربية . وضعه المؤرخ الالمانى يوسف اشباخ الذى ينتمى « الى المدرسة التى عنيت منذ أوائل القرن التاسع عشر بدراسة التاريخ الاندلسى على ضوء المصادر العربية » ومؤلف كتابى «تاريخ الامويين فى اسبانيا» و «تاريخ اسبانيا والبرتغال فى عهد سيادة المرابطين والموحدين » وغير ذلك من كتب التاريخ الاندلسى . وقد ظهر هذا

الكتاب لاول مرة بمدينة فرانكفورت بين سنتى ١٨٣٣ و١٨٣٧ ، ويمتاز على غيره من كتب التاريخ الاسلامى بدراسة المصادر النصرانية الى جانب المصادر الاسلامية وتمحيص الروايات التى وردت فى كلا المصدرين تمحيصا دقيقا . وترجمة الاستاذ عنان له ترجمة علمية من الطراز الاول، وهوامشه وشروحه وفهارسه لها قيمتها التاريخية الجليلة . والكتاب يتحدث أولا عن تاريخ الممالك النصرانية منذ اتحاد مملكتى ليون وقشتاله ، ثم يورد تاريخ الدول الاسلامية التى قامت على انقاض الدولة الاموية فى اسبانيا ، ثم يحدثك عن حروب الطوائف بمؤازرة النصارى حتى افتتاح ألفونسو السادس لطليطله ، وعن نشأة المرابطين واسباب عبورهم الى اسبانيا،ثم سيادتهم فى شبه الجزيرة الاسبانية . ويعالج بعد ذلك اضمحلالهم وظهور الأسبان عليهم مما أدى آخر الامر الى ازال الستار على عهد من ازهر عهود المدنية الاسلامية

ازهار الرياض فى اخبار القاضى عياض

الجزء الاول

ضبطه وحققه وعلق عليه الاساتذة
مصطفى السقا وابراهيم
الابيارى وعبدالحفيظ شلبى

(طبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .صفحاته ٣٧٢)

« كتاب ازهار الرياض فى اخبار عياض من خير ما ألف فى ادب المغاربة ، نرجو ان ننشر بنشره اية فخار من مجد علماء الاسلام ، وان نضيف الى الادب العربى الخالد صفحة مشرقة من الادب المغربى الزاهى الالوان ، وان نضع بين يدى العلماء والنقاد خير الوثائق وانفس المصادر التى يعتمد عليها فى تاريخ الآداب » . بهذه الكلمة قدم الناشرون الافاضل لهذا الكتاب النفيس الذى ألفه شهاب الدين احمد بن محمد المقرى التلمساني مؤلف «نفح الطيب فى غصن الاندلس الرطيب » وصاحب اليد البيضاء على تاريخ الاندلس وتاريخ الفرع الغربى من المدنية العربية الاسلامية فى شمال افريقة . ألفه بين سنتى ١٠١٣ و١٠٢٧ للهجرة « اذ كان قد نزح عن وطنه لاسباب سياسية واتخذ فاس مقرا له . وكان الباعث له على تأليفه رغبة اهالى بلدة تلمسان فى التعريف بالقاضى عياض عالم المغرب الاوسط وقاضيه الاشهر » . ونشره ناشروه عن نسختين خطيتين مودعتين بدار الكتب المصرية وثالثة محفوظة فى تونس ، وضبطوه وحققوه وعلقوا عليه بطريقة علمية صحيحة والمام واسع بدراسة المخطوطات

والكتاب قطعة من صميم الادب الاندلسى والعلم المغربى ، يعطيك صورة حية للمترجم له ويمر بك من خلال حادثات الاندلس قبيل الجلاء وفى ابانه. مع ذكر طائفة من اخبار لسان الدين بن الخطيب الذى وضع المؤلف من اجله كتابه التالى « نفح الطيب » . وقد سد المعهد الخليفى للابحاث المغربية « بيت المغرب » بنشره هذا الكتاب والكتابين التاليين فراغا كبيرا فى عالم المؤلفات الاسلامية . والفضل فى ذلك راجع الى مولاى الحسن بن المهدى العلوى مؤسس المعهد الخليفى بتطوان وبيت المغرب بمصر

الانسان ـ ذلك المجهول

عن الدكتور كاريل

بقلم الاب بولس سويد المخلصى

(طبع بمطبعة الرهبانية المخلصية بصيدا . صفحاته ١٨٦)

نقل هذا الكتاب الى العربية وبسط فيه خلاصة آرائه وفلسفته الاب المحترم بولس سويد المخلصى استاذ الادب العربى بالمدرسة البطريركية بيروت . وهو يحدثنا فى مقدمته عن المؤلف ، فيقول : « انه فرنسى دعاه معهد روكفلر الطبى اليه ،

تلبى دعوته ، وانصرف الى ابحاثه وتجاربه التي يعرفها له جلة أهل العلم ، وحسبك ما لمعهد روكفلر من الشهرة العالمية العظيمة . ويحاول الدكتور كاريل الآن الاهتداء الى سر الحياة ، لتجديدها واطالتها ما استطاعت الطبيعة، وارجاء الهرم أو ازالته ، فيظل الجسم والعقل في شدتهما صفائهما ويكون الشباب الدائم ! »

وما الحضارة .. وما نصيب الانسان منها أو نصيبها منه ؟ يقول الدكتور كاريل انها لا تلائم الانسان ، فلقد انستة انه انسان . هى من الانسان وليست فيه ، اذ هى مادية قد طغت عليها المادة فأغرقت النفس والعقل فى ظلمات اعماقها ، وليس الانسان مادة فقط . فأين حظ نفسه ؟ واين من يقدر عالم النفس ويتجرد لاكتشاف خبايا هذا العالم الرحب اللانهائى ؟

و « الانسان . ذلك المجهول » مؤلف من مقدمة وثمانية فصول : فى ضرورة معرفة ذواتنا ، وعلم الانسان ، والجسم وانواع نشاطه الفسيولوجى ، وانواع العمل أو النشاط العقلى ، والوقت الداخلى ، والوظائف التكيفية ، والفرد ، وتجديد الانسان .. وقد قدمها الاب الفاضل تقديما لا هو بالترجمة الحرفية ، ولا هو بالعرض والتلخيص المحض ، بل بطريقة بين هذه وذاك ، وتمشى مع طبيعة تفكيره الخصب فصب خلال ابحاث المؤلف نظرات صائبات فى العلم والفلسفة ، والناسوت واللاهوت،فجاء عمله من أجل الاعمال الفكرية التي قرأناها لعالم شرقى حديث

وقد قدم للكتاب الاستاذ أمين نخله بك تقديما حسنا ، وحمد لمترجمه وناقده دفاعه بين يدى المؤلف « عن حصة الشرق من تاريخ الفكر » واشادته « بفلاسفة القطعة الصفراء من خريطة الكون ، وهم الذين بيضوا وجه الجنس الانسانى فى علوم المنقول والمعقول ، ووضعوا أساس التفكير فى المكشوفات والمغيبات ، أيام كانت أوربا نفسها فى جاهلية لا تميز فيها بين الليل والتراب ! »

وصفوة القول ان هذا الكتاب مما تروق مطالعته لعشاق الفكر الرائق والجولات الفلسفية فى عالمى المادة والروح ، وهو حرى ان ينال اكبر قسط من العناية بين قراء العربية

فلسفة الطب

للدكتور حسنى سبح

(طبع بمطبعة الجامعة السورية . صفحاته ١٠٧١)

فلسفة الطب ، أو علم الامراض العام ، كتاب ضخم ، او ان شئت فسمه دائرة معارف طبية . ألفه الدكتور حسنى سبح استاذ الامراض الباطنية ورئيس المعهد الطبى العربى بدمشق ، وسماه فلسفة الطب « لخطر ما تتضمنه موضوعاته من الاسس التى ترتكز عليها دعائم هذه الصناعة ، والتى لا غنى لمزاوليها وناشئتها عن التزود بها ليستنيروا على كشف غوامضها ، وللاطلاع على كنه العلل والادواء والاحاطة بآلية أحداثها ، وتمهيد السبيل الى درء اخطارها ومعالجتها » . فهو اذن كتاب طبى مدرسى . وهو الى ذلك قريب المتناول من جمهرة القراء لطرافة معلوماته وبساطة عرضها العلمى . وقد طبعه مؤلفه طبعة اولى فنفدت ، وهو الآن يقدم لنا الطبعة الثانية منقحة وفى ثوب جديد

والكتاب يتناول الطب وغايته ووسائله ، واسباب الامراض ، وارتكاس البدن نحو الاسباب الممرضة ، والتغذية والتبادل الغذائى ، وتطور الاغذية العضوية ، ومختلف الابحاث فى الامراض العصبية ، والمعوية ، والنحافة والبدانة الخ .. وفى آخر الكتاب معجمان احدهما عربى فرنسى والآخر فرنسى عربى لمختلف المسميات الطبية . وثبت بأهم المصادر الطبية التى يمكن الرجوع اليها للتوسع فى فرع من فروع البحث عند الحاجة

والكتاب جدير بالاقتناء وبخاصة لطلاب الطب والاطباء . ونحن لا نشك فى ان القراء من غير أهل الصنعة سيخرجون من قراءته باوفر الفائدة لما احتواه من معلومات تهم الخاص والعام ،

وطبيب المستشفى ورب الاسرة الذى يجب ان يكون « طبيبا » الى حد من الحدود

رحلة الوزير فى افتكاك الاسير

شرها نشرا علميا وعلق عليها الاستاذ الفريد البستانى

(طبع بمطبعة الفنون المصورة بيوسكا العرائش بالمغرب · صفحاته ٢٧٢)

كل ما يؤلف أو ينشر عن موضوع المغرب وعلاقاته باسبانيا وتراث المدنية الاندلسية فهو مفيد وله قيمته التاريخية والادبية التى لا سبيل الى الشك فيها · وهذا الكتاب الذى نشره الاستاذ الفريد البستانى بتشجيع من معهد الجنرال فرانكو للابحاث المغربية كانت الحاجة اليه شديدة ، فهو يعطينا صورة بكرا لما قام من العلاقات بين المغرب واسبانيا فى عهدى مولانا اسماعيل بن الشريف وكرلوس الثانى فى سنة ١١٠٢ م ١٦٩٠ – ١٦٩١ م

والوزير الذى وضع الكتاب بعد رحلة سياسية فى بلاد اسبانيا هو محمد بن عبد الوهاب الغسانى وظاهر من العنوان ان كتابه فى « افتكاك الاسير » أى أسرى المسلمين فى اسبانيا ، بيد ان لبحثه لونا آخر علميا ، فقد وجهه مولاه ايضا « ليبحث فى الخزائن الاندلسية عما ابقاه المسلمون هناك من كتب الاحكام » وفى هذا ما فيه من دلالة على ان السفارة كانت علمية بقدر ما كانت سياسية

وقد اعتمد الاستاذ الناشر فى عمله على ثلاثة مخطوطات ، الاول فى تطوان ، والثانى مخطوط بنى بوزين ، والثالث مخطوط مكتبة مدريد الاهلية · ثم ذيل المخطوط بجداول وفهارس جغرافية وتاريخية تحتوى على اسماء المدن والقرى والاماكن والاعلام الوارد ذكرها بهذه الرحلة ، مع ما يقابلها فى الاسبانية · وشرح الكلمات الاجنبية والدخيلة والتعبيرات الاعجمية التى سمعها المؤلف فرواها على علاتها واثبتها على اعجميتها ، ثم شرح الالفاظ والتعابير الوضعية المصطلح عليها فى المغرب · وحدثنا عن لغة الرحلة فقال ان انشاءها مضطرب ركيك فقد نهج المؤلف نهج كتاب الدواوين فى عصره ، ثم انه وقع فى هفوات تاريخية وبسط امورا مشوهة عن النصرانية وتعاليمها وعن الرهبنة وقوانينها ، « ودون سفسطات مضحكة نظن ان بعضها من تلاعب النساخ لما فيها من تحريف وتصحيف »

والكتاب يعد عمل علمى حرى بالتقدير · ونحن نرجو ان نسمع اكثر من ذلك عن جهود المغرب العلمية

كتب أخرى

(خطابان خطيران) هما نص الخطابين اللذين القاهما فى الحفلة الادبية التى اقامها معهد الدروس المغربية بتطوان فى ٢٠ يونيه سنة ١٩٣٩ كل من المفوض السامى الاسبانى فى المغرب والفيلسوف الكبير الاستاذ امين الريحانى بمناسبة انتخاب الاستاذ الريحانى مديرا شرفيا لتلك المؤسسة العلمية · وقد نشرهما معهد الجنرال فرانكو للابحاث العربية الاسبانية تقديرا لادب الريحانى وفضله

(افكار مؤمنين فى حقائق الدين) هذا هو الجزء الثانى من الابحاث الدينية الفريدة التى ينشرها كل من الشيخ عبد الله القيشاوى والقس الفريد نيلسن ، وهو خاص بموت السيد المسيح وقيامته · طبع بالمطبعة الاميركانية ببيروت · صفحاته ٢١٤

(لذكراك) يا لها من مأساة مؤثرة ! ان هذه المرثيات ما بين نثر وشعر تقف مثلا عاليا لوفاء الزوج لزوجه · وقد كتبها الاستاذ خليل السكاكينى بقلم دامع وقلب بالأسى عميد · طبعت بالمطبعة العصرية بالقدس · صفحاتها ٧٩

بين الهلال وقرائه

الالتهاب السحائى

(كوراسو ـ أمريكا) أميل سعيد

ما هو المرض المعروف بالافرنجية Meningitis وما هي اعراضه ؟

(الهلال) هو مرض الالتهاب السحائي الذي اما ان يصيب خلايا المخ ، واما ان يصيب العمود الفقرى ، واسمه الشائع بين الناس هو الحمى الشوكية المخية التى انتشرت فى مصر منذ بضع سنين وروعت سكان كثير من مناطقها

والغلب من يصيبهم اطفال دون سن العاشرة وان كان كثيرا ما يصيب الكبار . وهو اما ان يهجم على المريض فجأة واما ان يصيبه تدريجا فى فترة قد تبلغ ثلاثة اسابيع . واعراضه همود يصيب الجسم مصحوبا بكثير من التعب والعناء . وصداع يزداد فى الليل فلا يطيق المريض رؤية الضوء اللامع او سماع الصوت الشديد ، وفقد للشهية وتهييج فى المعدة يؤدى الى قىء شديد . وترتفع درجة الحرارة ويقل النبض ويضطرب التنفس

وهو من الامراض الخطيرة التى يجب ان يعزل فيها المريض عن خلطائه ويعرض على الطبيب الاخصائى فورا ، وقد توفق الطب الى علاج هذه الحمى فى ادوارها الاولى

قواميس المترادفات

(يافا ـ فلسطين) الياس فرج المنير

ما هى أحسن المصنفات فى اللغة العربية للمترادفات والاضداد ؟

(الهلال) جميع كتب فقه اللغة العربية معاجم نفيسة للالفاظ المترادفة والمتضادة . ويمكن ان تذكر من هذه الكتب : (١) فقه اللغة للثعالبى وفيه جمع الالفاظ المترادفة او المتقاربة سويا وبين الفرق بين كل لفظ وآخر وكيف يتدرج ويتفرع بينهما المعنى (٢) كتاب « اساس البلاغة » للزمخشرى وهو دراسة لغوية فى الالفاظ والمعانى المترادفة او المتشابهة ، تمكن دارسها من الوقوف على اسرار اللغة وتبين خصائص العربية (٣) معجم ابن سيده المعروف باسم « المحكم » وقد هذب حديثا فجاء هذا المهذب من افضل الكتب عونا للكتاب والمنشئين الذين يريدون الوقوف على جميع الالفاظ المتقاربة فى موضوعها أو المترادفة فى معناها (٤) وثمة كتاب حديث سهل التناول دقيق الترتيب هو كتاب « الالفاظ الكتابية » للاب لويس شيخو ، وثم كتاب خاص بالاضداد هو كتاب « الاضداد فى اللغة »

الامثال العربية

(يافا ـ فلسطين) ومنه

هل جمعت الامثال العربية فى كتاب ما ؟

(الهلال) عنى بعض المؤلفين بجمع ما تناثر فى كتب الادب المهمة بجمع الامثال العربية المشهورة وبيان منشئها وشرح معناها ، ومن هذه الكتب مجمع الامثال للميدانى وامثال الشرق والغرب للبستانى

ولى عهد العراق

(حمانا ـ لبنان) ق . م

من ولى عهد العراق ؟

(الهلال) هو صاحب السمو الملكى الامير عبد الاله القائم الآن بالوصاية على صاحب الجلالة الملك فيصل الثانى الى ان يبلغ سن الرشد

ثقافة جلالة الملك فاروق الاول

(منارة سنجانيب — السودان) على شوقى شعبان

هل كان حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الاول يدرس القانون الدولى والشريعة الاسلامية على رفعة على ماهر باشا وفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ المراغى ؟

(الهلال) يتحدث جميع الذين يتشرفون بلقاء جلالة مليكنا المعظم من العلماء المصريين والاجانب بأن من جوانب الميراث العظيم الذى تلقاه جلالته عن والده الملك العبقرى المغفور له فؤاد الاول جانب الذكاء المتألق والنظر الثاقب يعززهما العلم الغزير والثقافة الواسعة . وتبدو هذه الملكات والمواهب فى الحكمة السديدة التى يدير بها جلالته شئون الحكومة والامة ، وفى النظرة الصادقة التى يوجه بها دفة الدولة وسط شئون هذا العالم المرتبكة والمحيرة . وذلك كله بفضل جوهر الذكاء النير وعنصر التوفيق الخالص مؤيدا بثقافة واسعة ألمت بشئون العالم السياسية والاجتماعية ، ومباركا بثقافة دينية صادقة تغذيه فطرة الدين وطبع التقوى . وقد استعان جلالته بجميع من حوله من الرجال فى اشادة هذا البناء الثقافى . وكان من هؤلاء الاعوان الخلصاء رفعة على ماهر باشا وهو من رجال القانون والتشريع والسياسة البارزين ، وفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ المراغى حجة الاسلام فى العصر الحديث

اخر ما تراه العين

(القاهرة — مصر) ا. صفوت

هل آخر منظر تراه عين الانسان قبل موته مباشرة يطبع عليها ويمكن رؤيته ؟

(الهلال) هذه الفكرة الشائعة بين الناس مصدرها بعض كتاب القصص البوليسية . فقد تخيلوا انه اذا واجه أحدهم شخصا ما وقتله ، فان صورة القاتل تنطبع على شبكة عين القتيل ، واستطاعوا من ذلك ان يكشفوا عن الجانى بهذه الفكرة الطريفة

والفكرة فى ذاتها صحيحة اذا عرفنا ان عين الانسان تشبه الآلة المصورة . ولكن اذا تعرضت لوحة الآلة المصورة للضوء مدة طويلة فان الصورة المطبوعة عليها تختلط بصور أخرى كثيرة فلا يستطيع المرء ان يتبين منها شيئا ، وكذلك عين الانسان تنطبع عليها صورة ما ، ولكن بقاءها مفتوحة يطبع عليها صورا أخرى تختلط بالصورة الاولى وتمحوها . ولما كانت عين القتيل لا تغمض عقب قتله مباشرة بل تظل مفتوحة تستقبل ما يمر بها من الصور الكثيرة ادركنا وجه الخطأ فى تخيل اولئك القصصيين . هذا وتظل العين صالحة لاستقبال الصور بعد الموت مدة طويلة . واذا فرض ان العين اغمضت بعد الموت مباشرة وانها ظلت محتفظة بصورة القاتل غير مختلطة بصور أخرى ، فليس فى وسع احد ان يتبين هذه الصورة لا بعين مجردة ولا من خلال اى منظار

الجرح والعمر

(دمشق — سورية) مشترك

هل صحيح انه كلما كان الانسان شابا اندملت جراح جسمه سريعا ، وكلما تقدمت به السن لم تندمل جراحه الا بعد مدة طويلة ؟

(الهلال) انسجة الجسم فى سن الشباب لينة رخوة ونموها سريع مستمر . ولهذا كان من السهل ان تلتئم سويا فيندمل الجرح الذى يصيبها على عجل . أما اذا تقدمت السن وصارت هذه الانسجة جافة بطبيعة النمو ، فان جرحها يظل داميا أو مفتوحا مدة طويلة قبل ان تلتئم عليه . وقد لاحظ الطبيب الفرنسى « ليكومت دى نوى » فى اثناء علاجه جرحى الحرب الماضية انه لو اصيب شاب فى العشرين وشيخ فى الاربعين بجرحين متشابهين تماما فان الشاب يبرأ فى نصف المدة التى يبرأ فيها الشيخ . فكأنما يمكن قياس عمر الانسان بالمدة التى تلتئم فيها جراحه

فهرس الهلال

الجزء الثامن من المجلد التاسع والأربعين

صفحة

الحرب الحديثة
وما تلقيه على الشرق العربي من دروس

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

خير الدروس – بل أجمع الدروس كلها – ان نخرج من الحرب الحديثة ونحن عالمون ان الميدان « ميدان الانسانية » لا يتأتى لأحد في المشرق أو في المغرب ان ينعزل فيه . . .

تلقى الحرب الحديثة على الشرق العربى دروساً حديثة :

أولها فيما نعتقد أن يعنى الشرق العربى بمعانى هذه الحرب ودلالاتها وعواقبها . فيرى فيها شيئاً أكثر من اصطدام معسكرين بأدوات القتال ، لأنها فى الواقع ملتقى الاصطدام فى كثير من المشاكل الفكرية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية قبل أن يبلغ بها الامر الى الميادين الحربية

وما من أمة يصح أن يقال انها توقعت الحرب الحديثة حقاً ما لم يكن فيها من خيرة أبنائها من يعرف لماذا تقع ومن الذى يسأل عن وقوعها من الاشخاص والجماعات

فنحن لا نؤمن كما يؤمن الماركسيون بأن الاشخاص قليلو الأثر فى تسيير أعمال الأمم وتقليب أدوار التاريخ . بل نؤمن بأن تبديل الاشخاص يقدم ويؤخر فى تبديل الحوادث ، وان الأمة قد تختار زعيماً يقودها الى تعزيز روح الحرب كما تختار زعيماً يقودها الى تعزيز روح السلم والاسباب الاجتماعية فى الحالتين واحدة أو متشابهة . فكان جائزاً جداً أن يقود الامة التركية – مثلا – فى جهادها الحديث رجل عسكرى لا يقنع بطرد الاعداء كما قنع الزعيم العظيم مصطفى كمال ، بل يرمى الى استرداد أقطار الدولة العثمانية التى من حوله ويغامر فى ذلك بما يغير وجه التاريخ فى الشرق الأدنى وفى الشرق بأجمعه وفى العالم كله ، دون أن يحتاج ذلك الى تغيير الاسباب التى دعت الى اختيار الزعيم العسكرى فى مكان القيادة

ولهذا يتوقف ادراك الحرب الحديثة وادراك معانيها وعواقبها على ادراك « نفوس » بعض من الزعماء والساسة قد يعدون بالعشرات . فمن الذي يقول ان حذر الروسيا ليس فيه الكثير من طبيعة الحذر والدس فى نفس ستالين ؟ وان مراوغات ايطاليا وجعجعتها ليس فيها الكثير من طبيعة المراوغة والجعجعة فى نفس موسولينى ؟ وان « وحى » هتلر كان يظهر فى السياسة الألمانيـة بهذا المظهر لو كان القابض على دفة المانيا رجلا مثل هندنبرج أو أوتو شتراسر ؟

هذا الى جانب المسائل الاجتماعية والفكرية التى كان لها شأن فى إضرام الحرب الحديثة وبعضها راجع الى مائة سنة و بعضها راجع الى مئات

وكل هـذا ـ أو معظم هذا ـ كان مجهولا بين جمهرة الشرق العربى جهلا يقرب من الاحساس بالعدم الذى لا يعرف له وجود

وفى الوقت الذى كانت المطابع الأوربيـة تقذف الينا بثبوت الـكتب وفيها أسماء العشرات بل المئات من الاسفار القيمة التى تدور حول بواعث الحرب وعواقبها ودراسات النفوس والعقول العاملة عليها كنا نبحث عن أثر هذا الطوفان الفكرى الجارف بين أبناء الشرق العربى فلا نرى كتابا من كل ألف كتاب يصل الى أيدى القراء . حتى لو أن هـذه الحرب كانت ناشبة فى المريخ لا فى الـكرة الارضية لـكان موقفنا منها فى تلك الحالة وموقفنا منها الآن على حد سواء !

ومن هنا تركت الحرب صدى فى جوانب الشرق غير صداها الطبيعى الذى كان خليقاً بها أو كانت خليقة به لو اننا تتبعناها فى مقدماتها ودرجنا معها على خطواتها

ومن هنا نخشى أن يمر بنا هذا الحادث العظيم فى تاريخ بنى الانسان دون أن نستفيد منه حق الفائدة ودون أن نجنى منه ما ينبغى أن يجنى

وانى لمتنبىء من الآن بأقوال القائلين بعد عشر سنين أو بعد عشرين سنة من الذين سيكتبون ليقولوا : ليتنا كنا صنعنا وليتنا كنا لم نصنع ! وما كان أغنانا عن هذا وما كان أجدرنا بذاك

***

وثاني هذه الدروس ـ وهو قريب من الأول ـ أن نتعود تقدير المسائل من ناحيتها العالمية لا من الناحية « المحلية » وكفى

وأقول المحلية ولا أقول « الوطنية » عمداً للتفرقة بين المعنيين وبين نتائج التقديرين المختلفين

فاننا لو كنا نقدر المسائل من الناحية الوطنية لارتفعنا بها عن الحصر فى مكانها المحدود وزمانها الموقوت ، وربما كان هذا المكان المحدود مكان إقليم صغير أو مكان عشيرة صغيرة ، أو ربما كان هذا الزمان الموقوت زمان مصلحة هينة تتناول بعض الأحزاب أو بعض الأفراد ، ولا تمتد من ورائهم الى مصلحة أوطان وبلاد

ولهذا جاءتنا الحرب ونحن ـ ونعنى نحن أبناء الشرق العربى ـ لا نعرف ما نستطيعه مجتمعين وما نستطيعه بالاتفاق بيننا وبين الدول الكبرى . ومضينا فيها وجبة بعد وجبة وسقفاً بعد سقف كما يمضى الصعلوك الذى لا يأكل على المائدة ولا يبيت فى الدار الواحدة مرتين

* * *

والدرس الثالث يتمم الدرس الثانى ولا يناقضه كما قد يبدو من النظرة الاولى

فنحن مطالبون بأن نقوم على أقدامنا لكى نقوى على حفظ الصلة بيننا وبين أمم العالم من كبيرها الى صغيرها ومن قريبها الى بعيدها

ومن ثم كان تقديرنا المسائل من الناحية العالمية مستلزماً أن نضمن الكفاية الداخلية ، وأن نصبح قادرين من جانب العيش ومن جانب المعرفة ومن جانب القوة على تقويم أودنا وتزويد أنفسنا بأنفسنا والاعتماد على ما عندنا حين ينقطع عنا ما عند غيرنا

والجمع بين الامرين غير عسير

فليس فى وسعك أن تستغنى عن العالم كله ، ولهذا وجب أن ترتبط من العالم بالناحية التى تصلح لك أو التى فيها لك الأمان والسلامة

وليس فى وسعك أن تعتمد على العالم فى كل وقت وفى كل حالة ، ولهذا وجب أن تملك بين يديك بعض الأحيان ما يكفى ويغنى . سواء انفردت وحدك أو عملت مع الأقربين الذين هم منك فى حكم البيئة الواحدة

* * *

على أن الدرس الأهم من جميع هذه الدروس أن نشعر بالحاجة اليها والسعى فى طلبها ، وأود أن يكون هذا سهلا ممهد الأسباب ولا يكون كما يرى بعضهم بمثابة تغيير الطبيعة وتكليف النفس فوق ما فى وسعها

فنحن قد يذهب بنا التعاظم حتى يخيل الينا أحياناً أن الحضارة الاوربية ستفلس وتنقرض بعد الحرب الحديثة وترجع الدنيا الى ما نحن فيه أو مثل ما كنا فيه قبل بضعة قرون

والحضارة الاوربية ليست حضارة أمة واحدة ولا حضارة جيل واحد بل هى خلاصة الحضارات الانسانية منذ كانت فى العالم معرفة وثقافة ومعيشة مدنية ، وفيها من بغداد ومنف وطيبة بمقدار ما فيها من روما وأثينا و بيزنطة . فلو قيل لأحد : دونك هذه الحضارة فاعزل منها ما هو أوربى محض وما هو عالمى من جميع الامم لما استطاع

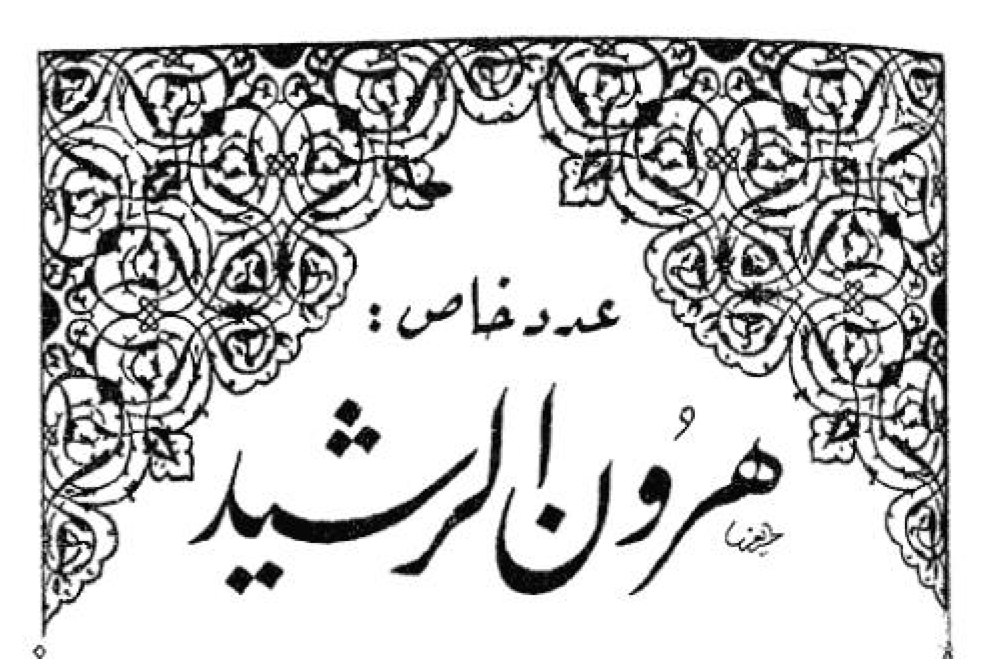
أيقال انها حضارة أوربية لانها حضارة العلم الحديث ولان الاوربيين هم مخترعو السلاح ومسخرو العلم الحديث فى القتل والقتال ؟ !

ان قيل هذا فماذا صنعنا نحن ـ اسم الله علينا ـ بالعلم الذى كنا نعرفه قبل ألوف السنين؟ ما عرفنا شيئا يسمى شحذ الحديد حتى عرفنا شيئا يسمى السيف بمئات الأسماء والاوصاف . . ودللناه وترنمنا به وأنشدنا له القصائد والألحان !

وهكذا يقال فى كل مخترع وكل معرفة وكل سلاح ، ونحن معلمو الأمم فى هذا المضمار كما كنا معلميهم فى مضمار الحكمة والدين والعبادة

فخير الدروس ـ بل أجمع الدروس كلها ـ أن نخرج من الحرب الحديثة ونحن عالمون أن الميدان « ميدان الانسانية » لا يتأتى لأحد فى المشرق أو فى المغرب أن ينعزل فيه ، واننا نحن قبل غيرنا مطالبون بتعميم الجانب الانسانى وتأييده فى حركات السياسة العصرية ، لأننا اذا اعتمدنا على جانب الأثرة وانحصرنا فى حدودنا القريبة كنا أول الضائعين بين أثرة الاقوياء وأغراض الطامعين التى لا تنحصر فى مكان

عباس محمود العقاد



هو عدد خاص من « الهلال » كنا أعددناه فى أول عامنا الصحفى ولكن حالت ظروف الحرب واضطرارنا الى التحدث عنها دون ظهوره والآن – ولم يبق على عامنا هذا إلا العدد الذى بين أيدى القراء والعدد الذى يليه – فقد آثرنا أن نقدم عددنا الخاص لقراء العربية بعد هذا العدد مباشرة ، لعل فيه انفساحاً لضيق النفوس ، وترويحاً لها فيما نحن موشكون أن نستقبله من تطورات أو حادثات

ومن ذا الذى يروح عن نفوس القراء فى هذه الايام العصيبة غير « هرون الرشيد » ، وأخبار هرون الرشيد !

إن هذا الخليفة الفذ بين خلفاء الاسلام ، يقف فى كل زمان ومكان رمزاً حياً لعظمة الشرق ، وقوة الشرق ، وروح الشرق . . وقد تناولته بالتحليل والدرس طائفة من أكبر كتاب العربية فى مصر والشرق العربى

ونحن نرجو أن نكون باصدار العدد القادم عنه قد حققنا أمنية طالما تمناها الكثيرون ، وأن نكون قد ختمنا عاماً صحافياً موفقاً لنبدأ عاماً جديداً سعيداً

التطورات الاجتماعية المنتظرة
بعد الحرب الحاضرة

بقلم الدكتور أمير بقطر

رئيس قسم التربية بالجامعة الاميركية بالقاهرة

أخذت الحرب الحاضرة لوناً جديداً يميزها عن سائر الحروب الماضية . وهذا اللون الجديد سيكون له أثره فى تطور الحياة الاجتماعية في شعوب العالم . وقد أبان الدكتور أمير بقطر فى هذا المقال النفيس ما لهذه الحرب من أثر فى تطور الخلق الدولى ، والنظام الديمقراطي ، والاقتصاد الأهلي ، والآداب العامة ، والمدنيـة الحديثة التى تقوم على عناصر التغيير وعدم الاستقرار

الحوادث التاريخية الجسام والتطورات الاجتماعية ، كالمواد الكيمائية ، تتفاعل بعضها مع بعض. فالحروب والثورات تليها عادة تطورات اجتماعية خطيرة ، كما أن هذه التطورات تعقبها الحروب والثورات ، وهكذا دواليك تأخذ بعضها بتلابيب البعض . فالحروب الصليبية ، والثورة الصناعية ، والنهضة العلمية ، والثورة الفرنسية ، وحروب نابليون ، والحرب العالمية الكبرى ، كلها تمخضت عن تغييرات فاصلة حاسمة ، في السياسة والعلم ونظام الحكم والأخلاق والآداب العامة والحياة اليومية ، كما أن هذه التغييرات الفاصلة الحاسمة التى تناولت جميع مرافق الحياة ، كانت شديدة الوقع فى الأمم والأفراد ، فسرعان ما تمخضت عن ثورات وحروب . وقد كان هذا التفاعل فى الماضي بطيئاً كسائر الأشياء . أما الآن فقد أصبح التطور والتغير كالازياء تتمشى وسرعة الطيارة فى الجو ، والرسالة التليفونية والبرقية فى اسلاك الكهرباء ، والاشارة اللاسلكية فى ذرات الاثير . ومن العبث ان نتوقع ثباتا فى الخلق والنظم الاجتماعية والسياسية فى عصر يستطيع فيه مصنع واحد ان يخرج ثلاث سيارات فى الدقيقة الواحدة ، أو عشرة آلاف سيارة فى اليوم ، أو الف طيارة فى كل ٢٤ ساعة ، وأن يستطيع مصنع آخر ان يعد فى الساعة الواحدة ٢٠ الف مصباح كهربائى مصفوفة مرتبة فى صناديقها على أهبة الشحن ، وأن تستطيع قاذفة القنابل أن تلق مائتى قنبلة فى الدقيقة الواحدة ، وأن تستطيع دولة واحدة ان تسير مليوني جندى دفعة واحدة ، وتنظم مؤونة هذه الجحافل وذخيرتها وسلاحها ، وزادها ودواءها وكساءها . إزاء ما بدا فى الحرب الحاضرة من العجائب ، ما عسى ان نتوقعه من التغييرات الاجتماعية الخطيرة التى تطرأ على الأمم والافراد ؟

أولا — من ناحية الحرب والسلام والخلق الامى

من أقوال اللورد كتشنر فى الحرب العالمية الكبرى « الاعتدال فى الحرب غباوة ، فاذا ما خضنا غمارها وجب ان نوطد العزيمة على ربحها بأى ثمن كان، فلا الحقوق الشخصية، ولا شرف الفروسية، ولا وخز الضمير ، يلزم ان يكون حائلا بيننا وبين النصر » وقال نلسون قبل ذلك بنصف قرن « إن أشد الاجراءات الحربية جرأة أكثرها مدعاة للامن والطمأنينة والأمل بالنصر » . وقد طغت مبادىء العدل والانسانية على مثل هذه الأقوال ، ونشرت ألوية السلام فى البلدان الديمقراطية وتغنت جماعات السلام بمبادىء السلام ، وانتظم فى عضويتها الملايين ، وتناسى الناس المثل الانجليزى القائل « اذا أكلت مع الشيطان فلتكن ملعقتك طويلة » وتناسوا كذلك تلك العاطفة الحيوانية الوحشية التى لا يزال الانسان يكنها نحو أخيه الانسان رغم العلم والنور والمدنية، تلك العاطفة الغاشمة الفظة القاسية التى كان يتصف بها أجدادنا من ذوات الأربع منذ مئات الالوف من سنين مضت

يقولون ان الكذب مباح فى ثلاثة : الحرب والصيد والانتخابات ، بيد أن بعض الشعوب قد غالت أخيراً فى احترام القانون الدولى ومراعاة الآداب الاجتماعية ، فكادت تروح ضحية غيرها من الشعوب التى لا ترعى للصدق حرمة ، ولا للامانة ذمة ، والتى جاهرت فى مناسبات شتى أن « الآداب الاجتماعية لا يمكن تطبيقها على الشئون الخارجية »

إن الأصل فى حياة الشعوب القومية السلام والثبات والطمأنينة . والحرب والقلق والجزع شذوذ وشر لابد منه . غير أن بعض الشعوب قد خرجت بعد الحرب العالمية الكبرى الماضية عن هذه القاعدة ، فأصبحت الحرب جزءاً من الحياة العامة لا يتجزأ ، فأعدت النشء ، ذكوره وإناثه للحرب ، ووضعت موارد الدولة الزراعية والصناعية ، ومنابع الثروة المادية والعلمية ، كلها وقفاً على الحرب . وقد أدرك أخيراً فقط محبو السلام ، أن السلام سراب يهلك الذين يستهويهم خياله الظمآن عطشاً ، والاطمئنان انتحار ، وأدرك محبو الديمقراطية أخيراً فقط أن الشعوب الدكتاتورية ما كانت تجرؤ أن تشهر سيفها الملطخ بدماء الأبرياء فى وجه الانسانية بأسرها ، لو لم ينم حماة الديمقراطية عن حسن نية ، وطيب سريرة — لو لم يناموا ملء الجفون، والشاعر الطغرائى يناديهم بأعلى صوته فى لاميته المشهورة :

حب السلامة يثنى هم صاحبه عن المعالى ويغري المرء بالكسل

لولا هذا وذاك لما حاول الطغاة أن يعيدوا الى الحياة الامبراطورية الرومانية ، والامبراطورية الرومانية المقدسة ، فى حين أن مائة عام كانت تفصل بينهما ، حينما كانتا على قيد الحياة

فهل تسفر الحرب الحاضرة عن تطور فى الخلق الدولى ، والعلائق الأممية ، والاتجاه العام نحو الحرب والسلام ؟

نت أظن أن الشعب البريطاني مثلا يعمد الى الغدر والخديعة التي طالما وقع فريسة لها على يد الغير ، ولكنه سيكون أشد حذراً في المستقبل وأقل سلامة في النية . بيد أني أعتقد أن العالم كله سيجعل البنادق والقنابل عمدته ، و « السيف أصدق أنباء من الكتب » شعاره . لا يعقل أن يرجع العالم القهقرى ، فيتخذ الكذب سياسته ، ولكن يعقل كثيراً أن يستمسك بقول نطق به سليمان الحكيم من نحو ثلاثة آلاف سنة مضت . ألا وهو « فخر الشباب قوته » ، ويبعد كثيراً أن يأخذ كلام المسيح بحرفه « من ضربك على خدك الايمن .. » أو ما يقرب من ذلك

ثانياً ـ من ناحية النظام الديمقراطي

ليس ثمة نظام يتفق ومبادىء العدل والانسانية وأساليب الحرية والاخاء ، أحسن من نظام الحكم الديمقراطي . بيد أن هناك عاملا قويا شديد البأس ، كاد يضرب هذا النظام البديع ضربة قاتلة . ألا وهو عامل السرعة الذي أومأت اليه في صدر هذا المقال . وعامل السرعة هذا ، الذي لا مفر منه في القرن العشرين ، لا يتفق بتاتا والديمقراطية كما هي ، وانما هو على النقيض من ذلك ألد أعدائها . إذ كيف يتسنى لاجراءات وأعمال وقرارات ، يلزم أن تنفذ على جناح السرعة ، أن تبقى رهينة مناقشات عقيمة ، ومجادلات لا طائل تحتها ، قبل أن تخرج من حيز القول الى حيز العمل ؟

كانت مناقشات مجلس العموم والأعيان في انجلترا الى عهد قريب جداً ، تنشر برمتها في أظهر مكان في كبريات الصحف اليومية ، فاذا بها اليوم قد أصبحت من خمول الذكر ، ما جعلها تنشر مقتضبة في ناحية قصية من النواحي الخفية في الصحيفة ، ومع ذلك لا يكاد يقرؤها أحد ، وقبل ان رمزي مكدونالد في وزارة العمال المعروفة عين لجنة من ١٢ عضواً ، جعلها صلة بين البرلمان والوزارة ، وكادت قراراتها السريعة الحاسمة تقضي على البرلمان والوزارة معاً . وقد مضى على ولايات أمريكا المتحدة عشرة شهور . تطرح فيها على بساط البحث في الكونجرس ، المسائل الملحة الخاصة بمساعدة الحلفاء وانتشال الامم الضعيفة من مخالب النسر ، وقد اجتيحت هذه الامم واحدة بعد واحدة ، ولم يقرر الكونجرس بعد ما يشفي غليلا . وكاد العالم بأسره يصدق تلك العبارة البالغة حد التهكم والسخرية التي فاه بها ذلك الطاغية المعروف ، ألا وهي « الديمقراطية مزرعة (حظيرة) للفراخ ، يسمع فيها الجميع ساكنيها بالكاكأة في آن واحد »

والحرية ، وهي ألمع درة في تاج الحكم الديمقراطي ، يبالغ في تفسيرها مبالغة تشل يد الحكام ، فلا يستطيعون الضرب بيد من حديد على العابثين بها ، الذين يتخذونها سلاحاً يعيثون به في الأرض فساداً . وكاد العالم يصدق تلك العبارة التهكمية التي فاه بها طاغية آخر ، ألا وهي « الحق أن الناس قد سئموا الحرية » . وما قيل عن الحرية يقال عن النظام والتنظيم . ونظرة واحدة الى

الحوادث الجارية ترسم لنا بصورة جلية الفوضى والنظام ممثلتين أحسن تمثيل

ولست أريد القارىء أن يفهم المسألة على غير ما قصدت أن أقول . لسنا نرضى بالحرية بديلا ، ولسنا نرضى بالنظام البرلمانى بديلا ، ولسنا نرضى أن نكون عبيداً للنظام . أرقاء للتنظيم ، آلات صماء للسرعة وما يتبعها من الظلم والعدوان . وانما نقول أن هذه الأداة الديمقراطية ، لابد أن تمشى والعصر الحاضر ، فيتناولها الكثير من الصقل والتعديل ، سرعة وتنظيما ، وتحديداً جديداً لمعنى الحرية ، وستسفر الحرب الحاضرة عما أقول

ثالثاً – من الناحية الاقتصادية

أما ان البؤس ، والفقر المدقع ، والقحط ، والشقاء ، وضيق العيش ، وغيرها من الويلات ستضرب أطنابها فى بلدان العالم خصوصا ما تأثر منها بالحرب الحاضرة ، فأمر لا شك فى وقوعه أسوة بما يحدث إثر سائر الحروب . إلا أن عوامل البؤس فى هذه المرة ستظل ناشبة أظفارها عشرات عديدة من السنين . وستقبض الحكومة بيد من حديد على موارد الثروة ، وتثقل كواهل ذويها بالضرائب الفادحة ، وتتغلغل فى الحياة العامة ، فتقاسم ذوى اليسار أرباحهم ومواردهم ، وتضيق الخناق على كبار رجال الاعمال والصناعة والزراعة ، فتتدخل فى ادارة مصانعهم ومزارعهم ومتاجرهم ودور أعمالهم ، حتى تكون رقابتها الصارمة كفيلة بابتزاز أكبر نسبة من أرباحها . وبتعبير أوضح ستضطر الحكومات ، حتى أشدها ديمقراطية ، بالأخذ بشىء من المبادىء المشتركة بين الفاشية والنازية والشيوعية المعروفة اليوم

ستفعل الحكومات هذا مرغمة ، إذ أن ضياع الثقة الدولية ، وحذر كل دولة من جاراتها وغير جاراتها من الدول القوية ، وما استولى على الأمم من الذعر والجزع أخيراً – كلها تضاعف من التزامات الأمم الدفاعية ، ومسئولياتها الجسيمة فى التسليح والعدات الحربية . وسيظل العالم زمنا طويلا على الأقل ، تعيش أممه كما كانت تعيش القبائل الهمجية ، فى العصور الوحشية ، دائمة اليقظة والسهر ، خشية أن تسطو عليها غيرها من القبائل ، أو أن يداهمها جيش من البدو الرحالة ، أو أن يغزوها فى جنح الليل فوج من الوحوش الضارية . وقد تحاول بعض الدول أن تحالف بعضها مع بعض ، خصوصا الصغيرة منها ، ولكن محاولاتها ستضيع فى الغالب عبثا ، اذ أن الحوادث الأخيرة قد أظهرت أن اعتماد دولة على أخرى أمر محفوف بالشكوك . وينتج عن هذا كله أن تتقارب الطبقات الاجتماعية بعضها من بعض فى مستوى العيش ، وتكاد تزول الارستقراطية ، وتكثر الطبقة المتوسطة ، ويرتفع مستوى الحياة بين أحط الطبقات ، ولكن الأغلبية الساحقة من السكان فى كل أمة يكونون أقرب الى شظف العيش ، وألم الحياة ، ومشقة الكسب ، منهم الى الرغد والراحة وطمأنينة البال

رابعاً — من الناحية الخلقية

دل تاريخ الحروب على أنه سرعان ما تضع الحرب أوزارها حتى تكتسح بلدانها موجة طاغية من الانحلال الأدبي والتفكك الخلقي ، خصوصاً في أعز ما يتمسك به الناس عادة من العناصر ، وأشد ما يحرصون عليه من المبادىء . وكلما اشتدت أهوال الحروب ، وامتد أجلها ، واتسع نطاقها ، اشتد انهيار المبادىء ، واتسع انحلال الآداب الخلقية . وليس هذا بغريب من الناحية العلمية ، إذ أن الطبائع الانسانية الأصيلة الوحشية ، التي صقلتها المدنية بعض الصقل ، وهذبتها التربية بعض التهذيب ، تأخذ في الظهور في أبشع صورها ، وأخشن ملامسها ، كلما طعنت الأزمات طمأنينة الانسان في الصميم ، وهددت كيانه . وهذه الحرب لا بد أن يختل في ختامها ميزان العالم من الرجال والعتاد ، فتصبح الملايين من النساء بغير رجال ، ويصبح الملايين من الأطفال بغير آباء ، وتباع الكرامة وعزة النفس بأبخس الأثمان ، وينسى الأفراد ذلك الارث الصالح ، والتراث الغالي من المبادىء الخلقية التي جاءت الينا أباً عن جد ، فحرصنا عليها طويلا ، وامتشق الكثيرون منا الحسام ذوداً عن حياضها

ستظل هذه الفوضى أعواماً لا يعلم إلا علام الغيوب عددها ، وتظل العناصر الاجتماعية تتفاعل كمواد الكيمياء حتى يصفو المزيج ، ويتزن السائل وتعود المياه الى مجاريها الى حين ، ويعود الناس الى صوابهم فيسعون الى ذلك الارث الخلق الغالي ، ويستقر بهم الأمر الى ان تهب على العالم عاصفة أخرى هوجاء ، بيد ان هذه التطورات الاجتماعية ، وهذه التغيرات التي كانت تتناول الحياة من جميع وجوهها ، كانت تجيء بطيئة في الماضي ، ولكنها لن تكون كذلك في المستقبل . والأمة الحكيمة هي التي تشيد سياستها القومية على أساس الحركة والسرعة ، إذ أن كل ما في العالم اليوم يتخذ هذا الاتجاه ، ومن العبث ان نتوقع الاستقرار طويلا . كتب المربي الفيلسوف وليم كليترك منذ اثني عشر عاماً كتاباً عنوانه « مدنية دائمة التغير وتربية دائمة التغيير تلائمها » أبان فيه ان النشء ينبغي ان يعد إلى حياة اجتماعية دائمة التطور والتغير ، لا حياة مستقرة ثابتة ، وكأنه رسم لنا الحياة في القرن العشرين كحياة القبائل الرحل ، يضاف اليها عامل السرعة . ومما شدد عليه في هذا المؤلف أن مناهج الدراسة التي ترسم لأبناء المستقبل طريق الحياة ، يلزم ان تزول عنها صفة الاستقرار ، ويلزم ان يكون المربون وأولو الأمر على أهبة الاستعداد دواماً أن يتحركوا بها على عجل ، كلما تحركت القافلة الاجتماعية . وما يقال عن التربية يقال عن الدبلوماسية والسياسية والأحوال الاقتصادية والمبادىء الاخلاقية وسائر النواحي الاجتماعية

أمير بقطر

الجغرافيا توجه السياسة

بقلم الدكتور محمد عوض محمد

وكيل كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

عبارتان جغرافيتان ـ الحرب الحاضرة والجغرافيا ـ أثر الجغرافيا في سياسة روسيا ـ موقع بريطانيا الجغرافي وأثره في توجيه سياستها ـ المخترعات الحديثة وأثرها في تلطيف العوامل الجغرافية

لا نريد أن نسرف في القول ، بأن نزعم ان الجغرافيا هي الموجه الوحيد للسياسة اليوم ، فنحن في زمن يتسلط فيه أفراد قلائل على مصير شعوب عظيمة ، فيعملون على توجيهها بما توحي به أوهامهم أو آراؤهم أو شهواتهم ، التي لا تستند دائما الى عقل حصيف ، أو رأي سديد ، أو فهم صحيح للاحوال والعوامل الجغرافية

وبرغم هذا فاننا كثيرا ما نسمع من أفواه المستبدين ما يشير الى أن سياستهم تمليها الظروف الجغرافية القاهرة • والحقيقة ان تلك السياسة تكون مما أملاه فهمهم الخاص للظروف الجغرافية ، لكي يظهروا للعالم ان رغباتهم وشهواتهم ترتكز الى أسس طبيعية ، لا مفر منها • وان هذه العوامل الطبيعية ترغمهم على اتباع سياسة لا يقدرون على اجتنابها

عبارتان جغرافيتان

وعلى سبيل المثال نسوق هنا عبارتين ، اشتهرتا في الاعوام الاخيرة : الاولى عبارة المجال الحيوي للشعوب ، وهي عبارة جغرافية بحتة • معناها ان كل شعب له الحق في مساحة من الارض يعيش فيها عيشة رغدة بدرجة معقولة • وليس في هذه العبارة أدنى بأس ما دامت تؤول تأويلا صحيحا • ولكنها عبارة ذات صفة مرنة ، قابلة لان تؤول تأويلا يتجاوز حد العقل ، فمن الجائز ان تفسر بأن شعبا يرى انه خير الشعوب وأعظمها لا بد له أن يسيطر على العالم ، ويتحكم في مصير الامم • لان الارض كلها هي مجاله الحيوي

والعبارة الاخرى التي نوردها على سبيل المثال هي ما يردده بعض رجال السياسة ، بأن ايطاليا سجينة في البحر المتوسط •• هذه أيضا عبارة جغرافية معناها يسير مفهوم ، وهو ان اتصال ايطاليا بالعالم الخارجي لا يكون الا عن طريق بوغاز جبل طارق وقناة السويس ، وليست ايطاليا وحدها هي التي تنطبق عليها هذه الحال • بل تشاركها في هذا جميع شعوب البحر الابيض المتوسط بما في ذلك دول البلقان • وليس على ايطاليا ضرر ،

ولا يعلم انها أصابها ضرر من ان تجتاز تجارتها قناة السويس وممر جبال طارق • فقد استطاعت رغم هذا ان تستولى على الحبشة وان تؤسس امبراطورية فى شرق افريقية • وما دام العالم ينعم بنعمة السلام ، فليس على ايطاليا ضير فى أن يكون بينها وبين العالم الخارجى مضيق مثل جبل طارق ، أو قناة كقناة السويس ، ولو ان ساسة ايطاليا وجهوها نحو السلم بدلا من توجيهها نحو الحرب ، لكان البحر المتوسط بحيرة ايطالية كما هو بحيرة فرنسية وبريطانية وتركية الى آخر ما هنالك من الدول والشعوب

وهكذا نرى ان العوامل الجغرافية توجه السياسة ، سواء وجهتها توجيها حسنا ، أو توجيها خاطئا ، ففى الحالة الاولى تكون السياسة نتيجة حسن فهم للجغرافيا ، وفى الثانية تكون السياسة وليدة سوء الفهم ، وغلبة الشهوات الجامحة • ومن الجائز ان يكون طريق أمة من الامم الى الأسواق التجارية مارا بأرض أجنبية ، فالعقل يقضى فى هذه الحالة بمصادقة سكان هذه الارض والتودد اليهم ، والحمق والجهل قد يشيران بقهرهم والتسلط عليهم ، والعامل الجغرافى واحد فى كلا الحالين ، ولكنه يوجه الشرير نحو الاثم والبغى ، ويوجه التقى وجهة السلم والامن

فسويسره ليست سجينة فى البحر المتوسط فحسب ، بل انها سجينة فى بحر سياسى هائل ، اذ تحيط بها ثلاث من أكبر الدول وأخطرها ، وقد أملت عليها هذه الظروف الجغرافية القاهرة ، أن تلزم سياسة الحياد الدقيق ، وان تبذل كل ما فى وسعها من جهد لكى تكون على صداقة ووفاق مع جاراتها القوية

فان قيل ان سويسره انما سارت هذه السيرة لانها دولة صغيرة ، فان السياسة الشريفة لا يمكن ان تقاس بمقياسين واحد للصغير وآخر للكبير ، اللهم الا فى عالم تسوده الشهوات ويتحكم فيه الظلم والجور • وليس للجغرافيا بهذا شأن ، ومع هذا فان سياسة الصداقة والسلم قد جعلت من سويسرة قطرا سعيدا يعيش سكانه عيشة ناعمة راضية

الحرب الحاضرة والجغرافيا

بدأت الحرب الحاضرة فى ظروف ذات طابع جغرافى صرف • اذ نشأت حول الخلاف على دنزج • ولكى ندرك كيف نشأ هذا الخلاف فى عام ١٩٣٩ ولم ينشأ قبل ذلك لا بد لنا أن نرجع قليلا الى الاعوام السابقة • فان ألمانيا النازية ، خيل لها منذ عام ١٩٣٣ انها « مطوقة » فعلى حدودها الشرقية بولونيا صديقة فرنسا ، وفى الجنوب تشيكوسلوفاكيا حليفة فرنسا ، والنمسا حليفة ايطاليا ، يوم كانت ايطاليا غير راضية عن ألمانيا • وفى الغرب فرنسا نفسها

هذه الحالة التى سماها دعاة ألمانيا بحالة « التطويق » هى حالة جغرافية لم يكن منها مفر ، فلكل قطر فى العالم جيرانه الاقربون • وقد تملى حالة التطويق هذه ان يعمل رجال

السياسة على مصادقة الدول المجاورة . ولكن من الجائز أيضا ان تتجه السياسة الى قهرها والتغلب عليها

وقد بدأت ألمانيا سياستها بالتودد الى بولونيا ، وعقد محالفة معها، فاضعفت بذلك الروابط التي تربط بولونيا بفرنسا ، وكان لا بد من التودد الى ايطاليا لكي يسهل الاستيلاء على النمسا ، وقد تم لالمانيا كل هذا ، ثم انصرفت بعد ذلك الى غزو تشيكوسلوفاكيا واخضاعها للنفوذ الالماني ، وبعد ذلك تحولت ألمانيا نحو بولونيا مطالبة بدنزج ، وبالممر البولوني لكي تصل ما بين بروسيا الشرقية والغربية

ولم يكن حرص بولونيا على الممر وعلى ان تظل دنزج ميناء حرة ، حبا في السيطرة على جزء من الارض ليست له في ذاته قيمة كبيرة ، بل كان كل ما ترمي اليه أن تضمن لنفسها منفذا الى البحر ، وقد اعترفت لها ألمانيا نفسها بهذا الحق

وهنا نرى حالة جغرافية واحدة توجه سياسة دولتين ، لان لكل منهما مصلحة أو مطمعا في هذه البقعة الصغيرة المحدودة ، ولو ان هذه المشكلة عولجت بالاناة والصبر ، لما كان حلها بالشيء المستحيل

ان ألمانيا « المطوقة » كانت تحيط بها من جميع النواحي دول صغيرة ، ما عدا فرنسا ، وحليفتها ايطاليا . وهنا لا بد لنا أن نذكر أن من أهم الاسس في الجغرافيا السياسية تقسيم العالم الى دول كبيرة وأخرى صغيرة . وقد اتحدت فكرة « التطويق » من جهة ، وفكرة « المجال الحيوي » من جهة أخرى ، فتولد منهما السياسة التي مضت ألمانيا في تنفيذها بدقة منذ الحرب وقبل الحرب ، وهي السياسة التي ترمي الى قهر الدول الصغيرة والتحكم في مصيرها — للقضاء على « التطويق » ، ولافساح « المجال الحيوي » للشعب الالماني — وقد رأيناها تنفذ هذه السياسة بكل دقة قبل الحرب واثناء الحرب ، فضمت اليها النمسا وتشيكوسلوفاكيا ، ثم استولت على بولونيا ، ودانماركه ونروج وبلجيكا وهولنده ، ولولا خوف الاشتباك بروسيا لما ترددت في غزو بلاد السويد في الشمال ودول البلقان في الجنوب

أثر الجغرافيا في سياسة روسيا

وروسيا من اشهر الامثلة على أثر الجغرافيا في التوجيه السياسي ، وموقعها الجغرافي يرينا هذه الحقيقة واضحة كل الوضوح . تطل روسيا في أوربا على بحار ثلاثة : المحيط المتجمد الشمالي ، والبحر البلطي ، والبحر الاسود . وجميع موانئها يتجمد ماؤها في الشتاء ، وتتعطل فيها حركة الملاحة مدة تتراوح بين شهرين او ثلاثة كما هي الحال في موانيء البحر الاسود ، وستة اشهر أو سبعة كما هي الحال في البحر البلطي . وفوق هذا نرى البحر البلطي ذا مخرج ضيق ، بين ألمانيا واسكندناوه ، والبحر الاسود ذا مخرج ضيق جدا في البسفور والدردنيل وتسيطر عليهما الجمهورية التركية اليوم ، والدولة العثمانية فيما مضى ..

وموقع روسيا هذا فى وسط المنطقة الباردة ، قد وجه سياستها دائما الى محاولة الوصول الى المياه الدافئة ، والموانىء المفتوحة طول العام ، ورغبتها الشديدة فى أن تسيطر على المضائق التى تصل البحر الاسود بالبحر المتوسط • دفعها فى العهد القيصرى لان تشن الحروب على تركيا زمنا طويلا ، طمعا فى الاستيلاء على استنبول والبسفور والدردنيل ، وبهذا تحقق رغبتها فى الحصول على المياه الدافئة ، وعلى مفتاح البحر الاسود

وقد حالت الدول الاوربية دون بلوغ روسيا هذه الامنية ، كما حالت بينها وبين التوسع نحو الغرب ، ولهذا نرى الاستعمار الروسى قد اتجه نحو الشرق ، فبسطت روسيا نفوذها على سيبريا حتى المحيط الهادى ، وكذلك استولت على بلاد التركستان والقوقاز • ولكنها لم تنس رغبتها القديمة فى الاتجاه نحو الجنوب

وبعد الحرب الكبرى عام ١٩١٨ حرمت روسيا موانئها على البحر البلطى ، ولم يبق لها من هذه الموانىء سوى ليننجراد ، وبهذا تعقدت المشكلة الجغرافية أمام روسيا السوفياتية ، اذ فقدت الشطر الاكبر من سواحلها على هذا البحر • ورأت حكومتها الحالية فى العام الماضى ان الفرصة سانحة لاسترداد ما فقدته فى هذا البحر ، فاتجهت سياستها الى محالفة ألمانيا ، وبسط نفوذها على دول البحر البلطى مثل لتوانيا ، واستونيا ، وليتوانيا ، حتى اضطرت لان تحارب فنلنده ، لكى تستولى على بعض المواضع الهامة على السواحل الفنلندية

ولا يزال حلم روسيا بالزحف نحو الجنوب قائما ، لم يضعفه مر السنين ، ولا تبدل الحكم من النظام القيصرى الى النظام السوفياتى • وعادت روسيا مرة أخرى تتجه نحو البلقان ، تعقد مع شعوبه المحالفات التجارية ، وتنشىء العلاقات السياسية ، التى انقطعت منذ عشرين عاما ، بسبب النظام البلشفى

موقع بريطانيا الجغرافى وأثره فى توجيه سياستها

ان روسيا دولة قارية برية تحتل مساحة متصلة من اليابس ، مترامية الاطراف ، ونقيضها فى هذا دولة بريطانيا ، وهى دولة بحرية خالصة ، وجميع خطوط الدفاع ، ونقط الارتكاز تستند جميعها الى قوة الاسطول البريطانى ، الذى لم ينشأ فى جميع العصور أسطول يضارعه فى القوة • وبفضل هذا التفوق البحرى أمكن الدفاع عن هذه الامبراطورية الواسعة التى تتناول فى اتساعها كل بحر وكل محيط وكل قارة من القارات

ان هذه السياسة البريطانية ، التى اتجهت دائما نحو الانتشار الى ما وراء البحار ، والى التفوق البحرى ، واهمال القوى البرية • هذه السياسة قد أملتها حالة بريطانيا الجغرافية

يعيش الشعب البريطانى فى جزر مجاورة لقارة أوربا ، ولكنها منفصلة عنها ، فاستطاع أن ينتفع كل الانتفاع بمجاورة تلك القارة ، والاشتراك التام فى حضارتها ورقيها ،

ولكنه ظل زمنا طويلا فى معزل تام عن اضطراباتها ومشاجراتها ومنازعاتها ، لا يشترك فيها الا بقدر يسير ، يمكنه من الاحتفاظ بتوازن القوى فى أوربا ، دون أن يحاول التسلط على شبر واحد من أرضها

وفى سواحل بريطانيا الواسعة ذات الموانىء الطبيعية العديدة ، استطاع الشعب البريطانى ان ينمى فى نفسه تلك المواهب والاستعدادات ، التى جعلت منه أعظم الشعوب البحرية فى كل عصر وفى كل اقليم • ولم يكن بد من أن يتجه هذا النشاط البحرى نحو العالم الجديد ، فأسست فيه مستعمرات هاجر اليها البريطانيون وأسسوا فيها دولا جديدة مثل كندا واستراليا ، وكذلك مستعمرات للتاج ، لم يستعمرها البريطانيون ، ولكنهم جعلوا منها أقطارا يتسع فيها نفوذ بريطانيا السياسى والتجارى

وهكذا قضى الموقع الجغرافى ، وطبيعة بريطانيا الجغرافية ، بأن يصبح الشعب البريطانى شعبا بحريا قبل كل شىء يطلب التوسع والمجد فيما وراء البحار • وكان لهذا كله أثره فى سياسة بريطانيا الاوربية ، التى ظلت زمنا طويلا تنفر من كل ارتباط سياسى دائم بالدول الاوربية • فالعزلة الجغرافية أملت العزلة السياسية ، وليس من السهل ان تتحول هذه الحال طفرة ، اذا اقتضت ظروف جديدة ان تتحول وتتبدل

المخترعات الحديثة واثرها فى تلطيف العوامل الجغرافية

وهنا لا بد لنا من أن نشير الى ان العوامل الجغرافية قد تلطف من تأثيرها وقوتها ظروف جديدة ، وعوامل بشرية طرفة • وهذه العوامل هى بوجه خاص المخترعات البشرية الحديثة كالطائرات والسفن الحربية ، والغواصات وغيرها ، ففى الزمن القديم كانت الصحارى والبحار والجبال ذات قوة عازلة مانعة ، ولكنها اليوم فقدت كثيرا من منعتها ولو انها لم تزل عاملا جغرافيا خطيرا • فالصحراء اليوم ليس من العسير اجتيازها والجبال قد فقدت بعض ما لها من صفة المنعة ، والبحار الواسعة لا تدرأ العدو وتقهره • ونستطيع ان نقول ان المحيطات قد أصبحت اليوم بمثابة البحار فى العصور السالفة ، والبحار أصبحت كالبحيرات ، والمضايق كالقنوات والخنادق ، أما البحيرات والانهار فانها أصبحت ذات خطر حربى ضئيل

فى الزمن القديم استطاعت مدينة صور أن تحتمى بجزيرتها ، وتتحدى جيوش الاسكندر الظافرة تسعة اشهر • وفى العصور الحديثة كانت بريطانيا معتصمة بجزيرتها فى شبه عزلة ، كانت تتحدى فيها جيوش نابليون الجرارة ، وقواته الضخمة العظيمة

أما اليوم فان هذه العزلة ليس لها وجود ، ومضيق دوفر تجتازه الباخرة السريعة فى أقل من ساعة ، وتجتازه الطائرة فى دقائق • وقد أعلنت الحكومة البريطانية منذ بضعة عشر عاما ان حدود بريطانيا اليوم واقعة على نهر الرين • ولكن هذه الحقيقة التى اقتنعت بها الحكومة ، لم يستطع الشعب البريطانى ان يعتادها بسرعة • ولذلك لم تستطع الحكومة ان

تقرر انشاء جيش كبير ، وان تقرر الخدمة العسكرية الاجبارية الا منذ وقت قريب

ان التفوق البحرى البريطانى - وليد الظروف الجغرافية - لم يفقد خطره ، بل لا يزال من أهم العوامل وأجلها فى السياسة والحرب ، ولكنه قد أملى على بريطانيا سياسة دفاعية ، ليس للقوات البرية فيها شأن خطير ، وقد خطب وزير التموين البريطانى فى اليوم الثانى عشر من الشهر الماضى ، فقال :

« ان سياسة بريطانيا الحربية وضعت على أساس ان كل حرب كبيرة يمكن أن تدار بأسطول كبير ، وسلاح للطيران عظيم ، وجيش صغير يوجه الى أوربا . وأسست الحركة الصناعية كلها - الى وقت قريب - على هذه الفكرة . فأضيعت بذلك بعض السنين قبل الحرب والاشهر الاولى منها .. وهذا الموقف لا يمكن اصلاحه حالا ، ولكن بذلت الهمم بعد ذلك لزيادة الانتاج الى أقصى حدوده » (١)

هذه السياسة القديمة التى أشار اليها الوزير كانت بقية من بقايا العهد السابق . وقد أخذت بريطانيا اليوم توجه جهودها نحو سياسة حربية جديدة ، وسيكون للقوات البرية من غير شك فيها مكان خطير

***

ان ألمانيا تهدد بريطانيا بالغزو ، وقد سبق ان هددت الجزر البريطانية بالغزو مرات عديدة ، ولكن هذه التهديدات لم تكن فيما مضى تلقى سوى السخرية ، لان البحار المحيطة ببريطانيا ، بالاضافة الى أسطولها القوى ، قد اكسبتها منعة حربية تتحطم دونها كل محاولة مهما كانت قوية جريئة

هذه البحار لم تفقد قوتها الدفاعية ، بل لا تزال عاملا حربيا خطيرا ، ولكن مبتكرات الحرب الجديدة تجعل من اللازم الا يقابل هذا التهديد بالسخرية والاستهزاء ، بل لا بد من اعداد القوات البرية لمواجهته والتغلب عليه الى جانب القوات البحرية والجوية

***

هذه خلاصة موجزة ، للاثر الجغرافى فى التوجيه السياسى ، وقد اكتفينا فيه بضرب أمثلة بطائفة من الدول الكبرى دون الدول الصغيرة ، ولكن ليس من الصعب على القارىء أن يطالع فى الخريطة كيف تأثرت سياسة كل دولة بظروفها الجغرافية الطبيعية ، ولكن يجدر بنا ان نذكر دائما ان الانسان دائب منذ اقدم العصور على اخضاع الطبيعة لارادته . وانه قد مضى فى هذا الاتجاه الى مدى بعيد ، وان هذا التقدم له أثره فى تلطيف المؤثرات الجغرافية وتعديلها

محمد عوض محمد

---

(١) من جريدة المصرى يوم الجمعة ١٤ يوليو

كيف نتقي أهوال الحروب ؟

بقلم الاستاذ عبد العزيز البشرى

بين القوى المعنوية التي كثيراً ما تقهر القوى المادية قوة لو ان الجماعات والأفراد اخذت النفوس بها ، وراضتها عليها لامكنها في سهولة ويسر ان تتقي كثيرا من الاخطار — هذه القوة هي : الصبر ، والاحتمال

حين اعلنت هذه الحرب ، ودخل في التقدير العام ان مصر قد تكون هدفا من أهدافها ، جعلت أفكر وأطيل التفكير فيما عسى أن تدرأ به عن نفسها ، وتدافع المغير عن أرضها ، وتكفل به الامن والسلامة للوادعين الساكنين من أذى ما يعتريهم من الجو في هذه الحروب الحديثة من كل مدمدمة قاصفة ، ومزلزلة خاسفة ، ومن كل كاوية حارقة ، ومن كل سامة خانقة

جعلت أفكر في هذا وأطيل التفكير ، وكان أول ما انحط اليه الفكر ، بالضرورة ، هو اعداد العدة ، واتخاذ الاهبة ، من تجييش الجيوش ، وامدادها بالسلاح والعتاد ، وتغذيتها بالوسائل التي نضج بها العقل ، وتمخضت عنها التجارب ، وانتهى اليها الفن الحربي ، سواء في الحاق الاذى بالعدو ، وفي اتقاء أذى العدو

وهذا ما تمضي فيه الحكومة جادة جاهدة ، فوق ما تأخذ به الاهلين من الرياضة على النظام في أوقات الشدة ، وتدريب الكثيرين منهم على حسن المعونة في الاحداث

ثم ماذا ؟

اللهم ان هذا كله وأضعاف أضعافه لا يقي البلاء ، ولا يكفل السلامة والنجاء ، والالكان أضمن لهذا وأكفل ، أولئك الذين أعدوا للحرب ، وللسلامة من ويلات الحرب ، ما لا يتصوره العقل ، ولا يكاد يتعلق به الخيال . وهذه الطائرات المغيرة تدمدم عليهم في أعز مأمنهم ، فتنسف الدور عليهم نسفا ، ولا تألو حتى الشيخ والمرأة والطفل فتكا وعصفا !

اذن فلا نجاء ولا سلامة ، واذن فلا بد من أهوال تذكر أهوال القيامة ؟

يا ويلتا ! أترى العقل الانساني قد عجز عن ان يستحدث ما يقي حتى الوادعين من غير المقاتلين ذلك البلاء ، ويعصمهم من هذه المحن والارزاء ؟

هذا العقل البشري الذي استحدث ، في الزمن اليسير ، كل تلك الفواتك المدمرات القاصفات ، سواء منها ما يتخذ سبيله سربا في البحر ، وما يزلزل الارض ، وما يرمي الخلق بما لا تبلغه ثورة البراكين ، وما يدمر حتى الحديد المصفى من جو السماء — أترى

العقل البشرى قد عجز حقا عن ان ينكر ما يكفل الامن والعافية ، ولو لهؤلاء الوادعين العاجزين عن الخروج الى معترك القتال ؟

اذن فقد أصبح هذا العقل البشرى أداة لا تصلح البتة الا للافتنان فى ألوان الشرور والآثام ! واذن فقد حق على الانسان ان يسخر من انه انسان ، وان يتمنى لو يكون حيوانا من بعض الحيوان !

ترى أوصلت الانسانية الى هذا الحد ، وبلغ العقل الانسانى هذه المنزلة من العجز ؟

أظن اننا نظلم العقل الانسانى اذا نحن أنزلناه هذه المنزلة والزمناه هذا المكان الوضيع . فمن القدم فكر الانسان فى دفع مثل هذا الاذى واتقاء هذه المكاره بمقابلة القوة بالقوة ، ورد العدوان بالعدوان ، على انه فى العصر الحديث زاد من اسباب الوقاية على قدر زيادة الموبقات فى معدات القتال . فانه فوق دفع شرور الطائرات المغيرة بالطائرات الحارسة ، فقد استحدثت المدافع المضادة للطائرات ، كما استحدثت المخابىء لمواراة سكان المدن ، وأجدت القناعات الواقية ، وضوعفت الهمة فى وسائل الانقاذ والاسعاف

على أن هذا كله لا يغنى الوادعين ، ان اغناهم ، كثيرا . اذن فلا زالت كفة الشر هى الراجحة ، وصفقة البلاء هى الرابحة . ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم !

***

وبعد ، فحين يئست ، فى هذا الباب ، من الاتقاء بالوسائل المادية ، التفت الى الوسائل المعنوية ، فاذا هناك ما هو أحصن وأمنع ، وأكفى وأوفى ، وأجل وأعظم ، وأجمل وأكرم

بين هذه القوى المعنوية قوة لو ان الجماعات والافراد أخذت النفوس بها وراضتها عليها لامكنها ، فى سهولة ويسر ، أن تتقى كثيرا من الاخطار ، وتخفف كثيرا من المضار ، وتهون ما حتمته الاقدار

هذه القوة المعنوية التى كثيرا ما تقهر القوى المادية وتظفر بها ، وتفسد عليها حسابها ، وتغلق دون الفوز أبوابها ، هى الصبر والاحتمال . فبالصبر يقهر الجيش من هم أكثر منه عددا ، وأجزل عددا ، وأوفى مددا . وقديما قيل : « الشجاعة ، صبر ساعة »

على انا كيف قلبنا النظر ، لا نجد أن شدة انجلت ، وأزمة انفرجت ، ولا ان مسعى نجح ، وعملا كتب له الفلاح ، الا اذا كان الصبر هو العدة ، وهو الزاد ، وهو المتكأ

أرنى عالما أو مؤلفا ، أو مستحدثا أو مستكشفا ، وصل الى مراده ، فنفع الناس ، وزاد فى بناء الحضارة ، وأجدى بأثره على الانسانية جميعها ، دون أن يكون الصبر هو عدته وملاكه ؟

أرونى غنيا وصل الى الغنى ، وأعنى من طريقه المعبد ، الا ببناء النفس على الصبر الطويل؟

فى الحق ان الصبر من أجل ما انعم الله ، على من انعم من الناس . فليس أدفع للشر من ولحرج الصدر نصيبا فى كل ما تسوء مغباته !

فلب نظرك فى جميع أسباب هذه الدنيا ، تجد للصبر أثرا فى كل ما تحمد غاياته ، ولجرح الصدر نصيبا فى كل ما تسوء مغباته !

ومما يسترعى النظر حقا ان القرآن الكريم لم يهتف بخلة كما هتف بخلة الصبر ، ولم يدع الى فضيلة ، على كثر ما يدعو الى الفضائل ، كما دعا الى فضيلة الصبر . حتى لقد تكررت فيه كلمة (الصبر) ومشتقاتها ، من : (صبر ، يصبر ، اصبر ، الصابرون الخ) مائة مرة ومرة، تدور فى أربع وأربعين سورة ، وحسب الصبر فضيلة ان يقول الله تعالى :

(وبشر الصابرين . سورة البقرة ١٥٥) ويقول فيه : (والله يحب الصابرين . آل عمران ١٤٦).ويقول كذلك فيه : (والله مع الصابرين.البقرة٢٤٩)و(ان الله مع الصابرين ١٥٣ البقرة ، و٤٣ الانفال) . وناهيك بمن كان الله معه . ولا شك فى انه حقيق بأن يكفى الشر كله ويلقى الخير أجمعه

والواقع ان القرآن العظيم ما كرر حديث الصبر هذا التكرير ، ولا وكد الدعوة اليه كل هذا التوكيد ، الا لانه مادة الفوز وعدته فى الدنيا والآخرة جميعا

واذا لم تكن سبيلنا فى هذا المقال هى حصر فضائل الصبر ، واستقصاء مزاياه ، فلنقصر الحديث على ما يشاكل ما يعانيه العالم فى هذه الايام

والآن فانظر كيف يقول الله تعالى فى قوة الصبر وبأس الصابرين من المقاتلين : (يا أيها النبى حرض المؤمنين على القتال ، ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون ٦٥ الانفال)

ثم انظر كيف يقول : (الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا ، فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين ، وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله ، والله مع الصابرين ٦٩ الانفال)

فقد رأيت ان المجاهد المؤمن الصابر يغلب عشرة من عدوه . فاذا كان فيه ضعف ، غلب اثنين باذن الله القوى العظيم

وقال تعالى فى كتابه العزيز : (يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا ، واتقوا الله لعلكم تفلحون ٢٠٠ آل عمران)

وأنت ترى كيف قدم الحث على الصبر والمصابرة على المرابطة والاستعداد للقاء العدو . وذلك اشادة بفضل الصبر ، ولما يعلم الحكيم العليم من أن كل استعداد للقتال ، مهما يعظم شأنه ، اذا لم يكن مقترنا ببناء النفس على الصبر وأخذها بشدة الاحتمال ، لا خير منه ولا غناء فيه

***

وبعد ، فلو قد مضى الكاتب فى ترديد الآيات الكريمة التى تحض على أخذ النفس بالصبر ، وخاصة فى ساعات الروع ، وجعل يضيف اليها الحكم والاسباب ، ويردفها

بالظروف والملابسات ، لاتسع كثيرا نطاق الكلام عن المساحة المقسومة لمثل هذا المقال • وفي القدر الذي قدمناه الكفاية ، ان شاء الله

على انه لا يفوتنا ان نزن مبلغ حاجتنا الى الصبر في الايام التى نخوضها الآن ، وفيما عسى ان نلقى في مستقبل الايام

نحن نتوقع غارات تعترينا من جو السماء • وقد تلحق بنا من الاذى قليلا او كثيرا

ومن ظن ممن يلاقي الحروب بألا يصاب فقد ظن عجزا

ولنقدر ، لا اذن الله ، أن يأخذنا الهلع والفزع ، فماذا تكون الحال ؟

لعمري ، ليس شرا على نفسه وشرا على غيره من الهلوع الذى ضل رشده ، وفقد صوابه • وكيف لمثل هذا بالتماس أحسن السبل لاتقاء الاذى والنجاة منه • او استنقاذ الغير • أو اسعاف المنكوب بما يهون من بلائه ويعصم عليه الحياة ؟

اللهم ليس لهذا السليب العقل ، المستطار اللب ، بشيء من ذاك يدان ، بل انه ، بهلعه واضطرابه وتخبطه هنا وهناك ، لحقيق بأن يوقع نفسه في البلاء ، وقد يكون بعيدا عنه • ويزيد في ويل سواه ، وقد يكون على شرف الخلاص منه • والامثلة على هذا أكثر من أن يلحقها العد أو يحيط بها الاحصاء

أما هذا الذى أخذ نفسه بالصبر ، فجمع في ساعة الروع رشده ، وملك ناصية تفكيره وتدبيره • فهو الجدير بأن يحكم التقية قبل نزول البلاء ، ويلتمس المخرج وقت وقوعه • ويسرع الى نجدة المكروبين ممن عسى ان يكونوا قد أحيط بهم • والى اسعاف من عسى أن يكون قد مسهم الضر بما يبرىء الآلام ، ويعصم من العواقب الجسام !

وأخيرا ، فاذا كانت الامم المتحاربة الآن تحسب حسابا كبيرا لما يدعونه (الطابور الخامس) فليس عندى أي شك في ان الهلع والذعر في مثل هذه الاوقات ، هما أضر من هذا (الطابور) وأنفذ وأفتك

الهلع والذعر ، هما من أفتك الآلات في يد العدو ، بل لعلهما أفتك من كل ما تطوله يده من عدة وسلاح • ولا غرو علي اذا دعوتهما من الآن (بالطابور السادس)

فعلينا ان ندرع بالصبر والاحتمال • ولا ندع للجزع الى انفسنا السبيل • وان نستبقى الرشد ، مهما يجشمنا من جهد • فهذه هي وسيلة النجاة ، والتخفيف من ويلات هذه الحياة

أسأل الله تعالى أن يثبت قلوبنا ، ويشد متوتنا • ويكشف عنا هذا البلاء ، ويهون علينا مواقع الارزاء ، انه سميع قريب مجيب الدعاء

عبد العزيز البشرى

الحياة الفكرية والحرب

بقلم الدكتور زكي مبارك

ستكون للفكر ألوان جديدة في الامم الجرمانية واللاتينيـة والسكسونية والعربية ، وستخلق مذاهب فكرية جديدة يخضع لها المجتمع ،لان المجتمع ليس الا صورة من صور الآراء والاهواء

الحياة الفكرية والحرب

كانت الحرب في العصور الغوابر شريعة حيوانية يعتدى فيها القوى على الضعيف بوحي الفطرة والطبع ، ومن أجل ذلك كانت محدودة المخاطر والمعاطب ، على نحو ما يقع في عالم الحيوان ، فما سمعنا أن اسدا رحل من أرض الى أرض ليفترس ما فيها من وحوش. وانما يثور الاسد على ما تقع عليه عيناه ثم يربض الى أن يحين ما يستوجب الاهتياج والافتراس

وكذلك كان بنو آدم في العصور التي سبقت الحياة الفكرية ، فمن المؤكد ان الناس لم يكونوا يقتتلون الا في ميادين ضيقة لا تزيد على المساحات التي تسمح بأن يعيش فيها بضع مئات أو بضعة ألوف ، كالذي كان يقع في اقتتال بني الاعمام أو في اقتتال قبيلتين أو قريتين متجاورتين ، وما اتسعت ميادين الحروب الا بعد ان اتسعت آفاق الافكار ، وفطن الناس الى ما في الدنيا من ذخائر ، وتطلعت مطامعهم الى انتهاب ما فيها من منافع ، وبذلك جاز ان يفكر الانسان في الانتقال من أرض الى أرض ليظفر بأكبر نصيب من الغنائم والاسلاب

ذلك أساس الفكرة في موضوع هذا الحديث ، ولم يبق الا التفصيل

تأثير الفكر في الحرب

كان الناس في الازمان الخوالي يستكثرون ان تكون لهم قوة ذاتية تنقلهم من ميدان الى ميادين ، فكانوا يتصورون ان العراك لا يقع بين شعب وشعب وانما يقع بين اله واله . ومعارك الآلهة في تصور القدماء كانت تنبعث عن مبادىء وآراء ، كالقتال بين اله الخير واله الشر ، أو آلهة الانوار وآلهة الظلمات . وذلك أول مظهر لتأثير الفكر في الحرب

ثم اعتد الناس بأنفسهم بعض الاعتداد فتناسوا آلهتهم قليلا ، وصار بعضهم يعتدى على

بعض باسم الفضائل الذاتية ، وتلك خطوة ثانية لتأثير الفكر فى الحرب

وفى ظل هذين العهدين من عهود الفكر وقعت أشهر المعارك فى التاريخ ، فالصراع بين الوثنية والتوحيد يرجع الى نزعة فكرية ترتكز على الدين ، والصراع بين الشرق والغرب يرجع الى نزعة فكرية ترتكز على العنصر أو اللون ، وعلى هذا الاساس كثر الاصطراع بين الشعوب لاسباب مختلفات ترجع فى جملتها الى سبب واحد هو اختلاف الفكر فى تصور النزاع بين السلالات والاجناس ، فالفكر هو السبب الاصيل فى وقوع الحروب ، وهو مصدر ما يقع بين الخلائق من عداء وشقاق

قد يقال ان الاقتصاد هو السبب الصحيح لعدوان بعض الشعوب على بعض ، وأجيب بأن الاقتصاد لم يصبح معضلة انسانية الا بسبب الفكر ، فالفكر هو الذى نوع المنافع وحول الكماليات الى ضروريات ، وهو الذى فرض ان يشقى الانسان أعظم الشقاء ليظفر بنصيبه من العيش المقبول ، وهو عيش يتمثل فى منزل مؤثث ، وطعام مشكل ، وهندام جميل ، وقد يجوز الحكم بأن ميزانية الرجل الحضرى فى اليوم الواحد تكفى للانفاق على قبيلة بدوية أياما أو أسابيع

فالفكر هو الذى خلق معضلة الاقتصاد وهو الذى خلق الحروب العالمية ، ولولا الفكر لظلت الحروب محصورة فى بيئات محلية على نحو ما كانت فى العصور التى سبقت المدنية بأجيال

ثم أواجه صميم الموضوع بصراحة فأقول :

ان الحروب المواحق التى يعانيها الناس فى هذا العهد تقوم على قواعد من اختلاف المبادىء ، فالصراع هو فى ظاهره بين جيوش وجيوش ، وهو فى باطنه نزاع بين أفكار ومذاهب ، ولا يتقدم جيش أو يتأخر الا بقدر ما يؤمن أو يرتاب ، وسنعرف يوم يسمح المقام بتأريخ هذه الحرب كيف نردها الى مصادرها الصحيحة من صراع المذاهب والآراء ، ولعل ذلك قريب !

ومما يشهد بتأثير الفكر فى الحرب ما نراه من اهتمام المحاربين بالدعايات ، فهم يعرفون ان الامم تقاد بما تقرأ وما تسمع ، وهم يعرفون ان الفكر ينقل العزائم والقلوب من حال الى أحوال ، وهم يعرفون ان كلمات التشجيع او التعويق تفوق السحر فى التأثير على الجنود

ألم تسمعوا ان ألمانيا كانت تصادر الرواية المشهورة « لا جديد فى الميدان الغربى » ؟

ألم تسمعوا ان فرنسا كانت تصادر المؤلفات التى تغض من الديموقراطية ؟

ألم تسمعوا ان أكثر الامم تميل الى فرض الرقابة على ما ينشر وما يذاع لتأمن طغيان الفكر فى تحويل المبادىء من وضع الى وضع ؟

وليس هذا بجديد ، أيها القراء ، فمنذ أكثر من ثلاثة عشر قرنا كان المسلمون يحرمون رواية الاساطير الجاهلية ، لانهم كانوا يرون فى روايتها خطرا على العقيدة الاسلامية

وقبل ذلك قضى النبى محمد ألا يكون فى الجزيرة دينان، لانه كان يعرف ان الاختلاف

فى العقيدة يستوجب الاختلاف فى الرأى ، وفى ذلك صدع لبناء الجزيرة العربية

وبعد سقوط الاندلس كان الاسبان يحاربون ما بقى من تقاليد المدنية الاسلامية لئلا ينقسم الاهلون بعضهم على بعض

وكان الاتراك يحاولون أن يجمعوا أتباعهم فى مختلف الممالك الاسلامية على مذهب واحد فى الفقه ورأى واحد فى التوحيد ليأمنوا شر الخلاف

وفى العصر الحديث قضت فرنسا ألا يكون لانصار الملكية أو رجال الدين أعضاء فى البرلمان

فما مدلول هذه الشواهد ؟

لهذه الشواهد مدلول واضح هو الخوف من أثر اختلاف الفكر فى زعزعة عزائم الجماهير التى يقوم عليها بناء الممالك والشعوب

وقد يحدث ان تقوم فتنة بسبب لفتة فكرية جرت فى خطبة أو قصيدة ، فالرشيد صمم على ابادة البرامكة حين غنته احدى القيان :

ليت هندا أنجزتنا ما تعد ... وشفت أنفسنا مما تجد

واستبدت مرة واحدة ... انما العاجز من لا يستبد

وفى أسباب الحروب أشباه لذلك ، فالعداوة بين ألمانيا وفرنسا كان لها وقود من أقوال الخطباء والشعراء

وفى اثناء الحرب الماضية ظهر كتاب فرنسى اسمه La Barbarie Allemande وهو كتاب يشرح عناصر القسوة الالمانية ويردها الى مصادر من آراء الفلاسفة والمفكرين

وكان أمراء العرب وخلفاء المسلمين لعهد بنى أمية يحرصون على تربية أبنائهم فى البوادى ، وقد ظن اللغويون ان ذلك يرجع الى الرغبة فى التمكن من لغة الاعراب ، ولهذا الظن وجه ، ولكن الصحيح أن ذلك يرجع الى لمحة فكرية هى الايمان بأن حياة البداوة تروض الناشئين على القسوة والعنف وتفطرهم على الضراوة والافتراس

تأثير الحرب فى الفكر

ذلك تأثير الفكر فى الحرب ، فما هو تأثير الحرب فى الفكر ؟

بفضل الحروب ظهرت أفكار نراها مسطورة فى أحكام المشرعين وأقوال الادباء

ففى كل كتاب من كتب الفقه الاسلامى نرى بابا اسمه « باب الجهاد » وهو يشرح آداب الحرب ، ويفصل ما يجب ان يتصف به المحاربون من شمائل وخصال ، ويبين ما يجب فى معاملة الاسرى والسبايا ، وما يجب فى توزيع الغنائم والاسلاب

وكذلك الحال فى سائر الشرائع ، فلكل أمة آداب متصلة بالحرب ، وهى آداب خلقتها الحرب وحولتها الى قوانين

وأنتم تجدون فى هذه الايام عبارة « المدينة المفتوحة » وهو اصطلاح خلقته آداب

الحرب ، وله نظائر فى الآداب القديمة ، فقد كان فى المحاربين القدماء من يستقبح العدوان على المسالمين ويستقبح البطش بالنساء والاطفال

ولو اهتم باحث بمقارنة ما ورد فى الشرائع من الاحكام المتصلة بالحرب لوصل الى ثروة فكرية تنصب الموازين ، لدلالتها على اختلاف النزعات باختلاف الامم التى تصدر عنها القوانين

ألم تسمعوا ان الرق وضعت فيه مئات التصانيف ؟

أليست هذه ثروة فكرية خلقتها الحرب ؟

اما تأثير الحرب فى تكوين الافكار الادبية فله حواش وذيول ، ويحتاج تفصيله الى مجلدات .. وهل فيكم من ينسى أن انهزام الفرنسيين فى الحرب السبعينية خلق فرنسا خلقا جديدا من الوجهة الادبية ؟

لقد وضع الفرنسيون من المؤلفات ونظموا من القصائد ما يفوق الحصر فى التوجع لمصير الالزاس واللورين ، ولم تهدأ أفكارهم وأقلامهم الا بعد ان استردوا هذين القطرين فى الحرب الماضية

وقد وصل التوجع للالزاس واللورين الى المقابر : فقد رأيت فى مقبرة بير لاشيز سنة ١٩٢٧ لوحة مرقومة فوق قبر حزين كان صاحبه أحد الذين استشهدوا فى الدفاع عن الالزاس

وفى أعقاب الثورة المصرية كنت معتقلا فى ثكنات قصر النيل مع جماعة من الاسرى الاتراك ، وفى صباح أحد الايام مرت فرقة موسيقية فوق جسر قصر النيل وهى تعزف لحنا شجيا بكى له تركى أسير ، فلما سألته عن سبب بكائه أجاب بأن تلك الفرقة لا تعرف سر ذلك اللحن الحزين ، فهو لحن وضعه أحد الاتراك للتوجع على ضياع « الجزائر » من يد الاتراك

وكذلك نعرف أن الحرب تؤثر فى الفنون كما تؤثر فى الشرائع والآداب

وفى سنة ١٩٣١ شهدت فى أحد مسارح مونمارتر رواية دار لها رأسى ، وهى رواية Atlas Hotel فقد كانت حوادثها تقع فى أفريقيا الشمالية ، ولم تكن الا تصويرا للعداوة بين الفرنسيس والطليان ، وقد انتهبت نص هذه الرواية من الاستاذ زكى طليمات قبل شهرين ، ولم أكن أعرف ان حوادثها ستمثل من جديد بصفة واقعية بعد أن تعلن ايطاليا الحرب على الحلفاء !

لا موجب للرجوع الى التاريخ القديم فى بيان تأثير الحرب على الفكر ، فالناس جميعا يعلمون أن « الالياذة » وثيقة من وثائق الحرب ، والناس جميعا يعلمون ان أعظم قصائد أبى تمام هى البائية التى نظمها بعد اندحار الروم فى عمورية ، وأن أعظم قصائد شوقى هى « الاندلس الجديدة » وقد نظمها أيام الحصار الذى عانت منه « أدرنة » أشنع الويلات ،

وأن أعظم قصائد فيكتور هوجو هي قصيدته في « واترلو » الى آخر ما نحفظ من تاريخ الادب الذي خلقته الحرب

فما الذي سيجد في دنيا الادب والتشريع بعد خمود الجحيم الذي يتسعر في هذه الايام الحمراء ؟

ما الذي سيجد في حيوات الناس من الوجهة التشريعية والادبية ؟

ستكون للفكر ألوان جديدة في الامم الجرمانية واللاتينية والسكسونية والعربية وستخلق مذاهب فكرية جديدة يخضع لها المجتمع ، لان المجتمع ليس الا صورة من رموز الآراء والاهواء

***

أما بعد فهذا مقال اقترحه « الهلال » وذلك الاقتراح يشهد بأن الفكر قد يتأثر بالحرب، والهلال نفسه أصدر أعدادا خاصة بالحرب ، لان محرريه لا يملكون السكوت عما يشهدون من قلقلات التاريخ

وفي ختام هذا المقال أذكر القراء بالصوت المشهور :

عشنا وشفنا سنين ومن عاش ياعيني يشوف العجب

فهو صوت خلقته احدى الحروب ، فما هي تلك الحرب ؟ ومن هو صاحب ذلك الصوت؟ الدنيا هي الدنيا والناس هم الناس ، وصدق بديع الزمان حين قال :

رأيت الناس خداعا الى جانب خداع
يعيشون مع الذئب ويبكون مع الراعي

والله وحده هو المستعان على مكاره هذا الزمان

زكي مبارك

المعرفة ليست هي السعادة . والعلم هو أن تستبدل الجهل بنوع ثان من الجهل

(لورد بيرون)

سجل الأيام

بقلم الاستاذ سامى الجريدينى

الامبراطورية البريطانية

لعل الذين يطالعون هذه الفصول يذكرون اننا تمنينا على الله فيها منذ سنة أو بعض سنة لو وهبنا خيالا خصباً يوحى الينا كتابة رواية تروى المؤامرة العالمية التى يحيك أطرافها الحكام بأمرهم فى المانيا وفى ايطاليا وفى اليابان إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون يريدون القضاء على الامبراطورية واختلاس أسلابها لوقوفها سداً منيعاً فى سبيل مطامعهم

وقد بدأ تمثيل هذه المأساة فى أول سبتمبر من العام المنصرم عند ما أذن هتلر فى قومه أيتها العير جاءت ساعة نصركم وسيادتكم أمم الأرض أجمعين

ولا يرى العالم الآن من أشخاص هذه الرواية المزرية الا امرءاً واحداً بارزاً هو هذا الزعيم الجرماني ولكن شريكه الايطالى لا يقل عنه بروزاً

فلولا سكوت الدوتشى وذهابه للنزهة وراء روما لما أقدم هتلر على اجتياح النمسا ولكنه تواطأ على الامر فنسى موسولينى عهده للنمساويين وتركهم فريسة سهلة لأبناء عمومهم بعد أن أقسم ليصونن استقلالهم

ولولا يد خفية أسداها زعيم الفاشيين لشريكه ما اشتد ساعد هتلر ومد يده يتناول تشيكوسلوفاكيا لقمة سائغة ضاحكا من ذقون الانجليز والفرنسيين

وهكذا ظل بطل الحبشة والبانيا المجرب يغدق على شريكه آلاء من حرب أعصاب يثيرها على الحلفاء وهم غارقون فى دفاعهم حتى الذقون ومن تهديد ووعيد وتعبئة جيوش وأساطيل يرمى بذلك الى جعلهم يوزعون قواهم ويبعثرونها دفاعا عن أصدقاء وحلفاء وما ملكت أيمانهم لعلهم يضعفون . فتم له الأمر وأخذ هتلر ينفذ ما أعد له العدة وما ظل يعمل له سبع سنين دأباً حتى أصبحنا واذا بنا نرى الحلفاء وقد عبس لهم الحظ ونرى الفاشية انقلبت أسداً على من كانت أمامهم نعامة طول دهرها

ذلك أن الشريكين أخذتهما العزة بالاثم وظنا أن دنت آخرة فرنسا وانجلترا وأن قد خلا لهما وجه الامبراطوريتين يصيبان منهما ما يشاءان

ولكن الناعة البريطانية المخبوءة فى الامبراطورية سترى العالم أن هذه المؤامرة لن تعدو أن تكون « كرنفالا » وأن نهايتها معروفة منذ الآن ـ خراب المانيا وايطاليا ونصر مبين لحماة الحضارة

فهذا الملك الشاسع الذى بناه البريطانيون وأحكموا بناءه فرفعوه مكانا علياً قائم على ركن من الأخلاق عظيم وعلى قوة بحرية لم تحن ركبتها لبعل وعلى صناعة تخرج ما تريده من آلات الدمار بعد أن هيأها السلم للتجارة

فاذا ظن موسولينى أن الامبراطورية الرومانية تبعث بعد موتها بالتهويل وبقوته يطلقها فى ظهر خصم انهمك بمن هو أقوى منه فانه سيرى أوهامه عما قليل

فأبناء الامبراطورية البريطانية كفيلون بالدفاع عن أمهم

ان كندا وأستراليا ونيوزيلاندا الآن والولايات الامريكية المتحدة غداً ، بنات بارات بأمهن ولن يلقين السلاح حتى يرين شرفها مرفوعا والدم مراقا على جوانبه

وأما الأبناء الذكور الموزعون فى الارض حلفاء وأصدقاء وشركاء منفعة الذين يرون فى بقاء الامبراطورية البريطانية بقاء لكل ما تواضع الناس على تسميته حرية فهؤلاء كلهم هبوا وسيهبون لرد كيد من أراد باستقلال الناس شراً يبغى استعباد من ولدتهم أمهاتهم أحراراً

ان كان ليل النحس قد أرخى سدوله الآن . فصبراً انه لا يلبث أن ينجلى بصبح ساطع مشرق

فالنصر فى نزاع هدفه سيادة العالم وهدم معالم الحضارة لا يتم بين ليلة وضحاها . انما يتم النصر لمن تذرع بالصبر وبالقوة وبالعزم الفولاذى وعنطق بالحديد يفل به الحديد

والمسألة لا تعدو أن تكون حسابية أو ما يشبه ذلك

ان كان الجرمانيون يعدون بالملايين ينصرهم الايطاليون فأبناء انجلترا وأمريكا أكثر عدداً وأعز نفراً

أو كان لهؤلاء الطغاة الآن ميزة التقدم فى إعدادهم ما استنبطه العلم من سلاح للحرب فان لأعدائهم فضل الأخذ بهذه الأساليب الآن والاتيان بها جديدة قوية . من طائرات ودبابات وسيارات مصفحة ومدافع . ثم ماذا ؟

وبعد ذاك يثيرونها حرباً لا تنقطع فى الجو وفى البحر وفى البر لا يحدها زمان أو مكان حتى تكون كلمة المعتدين السفلى

أم ظن القوم أن اجتياح شعوب آمنة صغيرة واستسلام عاهل خائر العزم والتقدم فى الطريق إلى باريس واستسلام فرنسا واعتزام هؤلاء الذين وراء الألب أن يطعنوا فرنسا من الوراء ينيلهم النصر ؟

إنهم لن ينالوه حتى تكون هذه الامبراطورية البريطانية فى قاع البحر تأكل الأسماك لحوم أبنائها . وإنه لأمر عزيز مستحيل

أمريكا ورئيسها روزفلت

هذا رجل سيذكره التاريخ علماً من أعلامه أدرك ما يريده الجرمانيون ورأى كيان الديمقراطية التي يدين بها آخذاً بالزوال فبدأ بأن ترك الحوادث تفيق قومه من نومهم ففتحوا عيونهم ورأوا ما رآه فانقلبوا من محايدين الى مؤيدين للحلفاء أي تأييد . فالشعب الامريكي رأى الآن الخطر قادما الى باب داره فهب لنجدة حراسها البعيدين

واذا تركنا جانباً التأثير الأدبي لمساعدة أمريكا في همة المحاربين والمحايدين لا يسعنا أن نهمل العون المادي وهو هنا أجدى وأقوى

فالحرب الحالية حرب سلاح . حديد يقرع حديداً . سمه مدفعاً أو طائرة أو دبابة أو ما شئت من أدوات القتال . فان كانت المانيا مسلحة بهذه كلها من قمة الرأس الى إخمص القدمين فانها لا تستطيع تجديد ما تتلفه ولا تستطيع إنشاء ما أنفقت الايام والليالي في تشييده . وأما الحلفاء فموارده لا حد لها وصناعاتهم كأحسن ما تقوم به الآلات ومواصلاتهم لا تنقطع وجهد رجالهم لا يضعف . فاذا كانت ساحة القتال بالأمس في هولاندا وبلجيكا وفرنسا فانها ستكون فيما بعد في كل أنحاء أوربا وغير أوربا . في البحر والجو والبر سنين الى أن يمرغ دعاة الحرية جباه المستبدين في التراب . واذا قلنا الحلفاء وضعنا الولايات المتحدة في رأس القائمة

فالحلفاء ينجد بعضهم بعضاً هذا بالرجال وذاك بالمال وذلك بشتى أنواع السلاح . ولم تأب أمريكا شيئاً على المحاربين الا الرجال وليسوا بحاجة ملحة اليهم الآن

انما حاجتهم الى طائرات وسنرى عما قريب كيف تتدفق عليهم من المصانع الأمريكية

دع عنك أن النجدة الأمريكية ـ وقد ظهرت على لسان حال الأمة كلها ـ توقف ايطاليا على حدود المعقول فيفكر الذين في يدهم مصائر الشعب الايطالي مرات كثيرة قبل ان يقدموا على إغضاب الولايات المتحدة

فالعالم اليوم يجتاز محنة لم يصهر بأحر من نارها فيما مضى . والعبقري العبقري هو هذا الذي يدرك روح العصر ويفهمه ويتمثله ويعمل في سبيل بنيان حضارة قائمة عليه وليس بارجاع الحضارة همجية وجاهلية أولى لا تلبث أن تنهار وان كان قد بدا عليها شبح القوة الآن

واننا ننظر بعين الايمان فنرى أمريكا الشمالية تتزعم هذه الحضارة يشاركها البريطانيون في امبراطوريتهم الممتدة الفروع مشاركة تضامن وتكافل، فاذا وضعت مبادئها موضع التنفيذ لا يسع الأمم المناوئة الآن والخاضعة لتعاليم القرون المظلمة الا أن تقوم على أسيادها العتاة وتسير في طريق الحضارة التي تأخذ بخدمة الشعوب فيقع الحاكمون عن سروج ما يركبونه وتدق أعناقهم . ولنعم العقاب هذا

ماذا يخبىء ستالين للعالم ؟

قالوا فيما نقلوه عن طاغية الروس عند ما شبت هذه الحرب إنه جاهر بعدائه للفريقين المتحاربين وتمنى على إلهه أن يتولاهما الضعف والخور حتى يتسنى للروسيا أن تقف منهما موقف الحكم العامل على احلال الاشتراكية محل الرأسمالية

إن صحت الرواية فقد حق على ستالين نصرة الحلفاء لأن مبدأهم يتفق وأشرف المبادىء الاشتراكية . وقد يختلفون على تفاصيل وضع هذه التعاليم موضع التنفيذ ولكنها فى مجموعها ترى الى اسعاد الطبقات العامة على خلاف المبادىء النازية والفاشية التى تدمج الفرد فى شىء سمته « دولة » وما هو إلا القوة يحتكرها القوى أو الماكر أو الخاتل ويستعبد الافراد لمشيئته

وقد انتقد الناس مبادىء الروس بأنها اشتراكية فى ظاهرها ولكنها نازية فى جوهرها لأنها تحل القوة محل التربية والاقناع فى تنفيذ عقائدها

ومهما يكن من أمر سواء كان ستالين اشتراكيا أو حاكما مستبداً فانه ليس من مصلحة الروس فى شىء أن يطغى سيل الجرمانية على أوربا

انها إن أخضعت أوربا لم تستطع ذلك وقتاً طويلا لعدم تمرس الشعوب الاوربية بالعبودية فينطلق روحها العاتى الى اجتياح الروسيا

لذلك كان حقاً على الروسيين أن يفتحوا عيونهم ليروا هذا الخطر الذى يهددهم تهديداً مباشراً وانا نرى فى بعث اشتراكى صميم كالسر ستافورد كريبس سفيراً بريطانياً الى روسيا سبباً لاقناع القوم الحاكمين فى الكرملين أن مصلحة الشعب الروسى تتفق وما قام به الانجليز الآن من تسليم أموالهم وأعمالهم للحكومة شأنهم شأن الروس فى ديارهم . وأن المصلحة السياسية الحربية تقضى على الروس بأن يضعفوا من قوة ألمانيا مهما كان الاختلاف بين الحلفاء والروس الآن

وقديماً حالف نابوليون القيصر اسكندر وتآخيا وكادا يتصاهران ثم ما لبث عاهل الروس أن كان على رأس الجيوش المتحالفة التى دخلت باريز بعد واترلو . ذلك بأن للشعوب بحكم كيانها الجغرافى وبحكم مبدأ العنصر ـ إن قام لهذا المبدأ وزن ـ مصالح وأغراضاً لا تلبث أن تظهرها الحاجة الاقتصادية مهما طغت عليها الشؤون العسكرية أو مطامع الافراد .

ولسنا نرى مصلحة روسية فى ترك الحبل على الغارب لهذا الغزو الجرمانى يحاول أن يمد سلطانه على العالم كله

ولعل تركيا ـ وقد عرف عن رجالها النبوغ السياسى كالنبوغ الحربى ـ تصبح خير وسيط بين حلفائها وصديقتها الروسيا . فتمهد السبيل لانحراف الروس عن الجرمانيين

انه يخطىء الخطأ كله ذلك الساذج الذى يظن أن حرباً كالتى نشاهد ضرامها الآن ستنتهى

بعد أجل قصير مكن فيه للألمانيين أن يحرزوا نصراً سريعاً فى بقاع أوربية محدودة

فانه اذا كان الحلفاء قد ابتلوا وزلزلوا زلزالا شديداً يوم سيدان على الموز فانهم لا يزالون من القوة بحيث يطاولون هؤلاء الجرمانيين ويقاومونهم ويضربون ما تهيأ لهم من رقابهم حتى تخور عزائمهم بما يبذلون من جهد وتأتي الساعة فتأتيهم الضربة القاضية

وقد لا تكون هذه الضربة فى فرنسا ـ قد تكون فى ساحات وغى أخرى وقد تكون فى اليم وقد تكون فى الجو ولكنها آتية لا ريب فيها لأن القوة المادية والمشيئة الادبية فى جانب الحلفاء . ومن يعش يره

وما هو موقف حلفاء انجلترا وأنصارها الآن ؟

ونعنى بهم مصر أولا ثم تركيا واليونان ومن اليهما . هل نخدع بما قيل لنا فيأوى كل منا الى عقر داره حتى اذا تم الامر عادوا الينا واحدة بعد الاخرى وأقاموا على أنقاضنا أمجادهم

اننا لسنا من دعاة الهزيمة ولا يخامرنا شك فى فوز حماة الحرية فما هم لم يهنوا لما أصابهم وما ضعفوا وما استكانوا . فخليق بنا أن نمد لهم يد العون ما استطعنا فما يكلف الله نفساً إلا وسعها. إن فى ذلك منفعة لنا نصبح من أنصار الذين حالفوا الحضارة والعدل والحرية ونصبح من الأعلين

ولا يسعنا الآن بحث ما ستقوم به دول البحر المتوسط ودول البلقان فالحرب لا تزال فى أول ميدانها والعاقبة للصابرين

***

ليت شوقى يبعث فيقول ما على الناس أن تقوله فى هذه المحنة التى حلت بالحضارة باحتلال الالمانيين باريز . إنه ما كان بنافث سحره حزنا أو جزعا . وما كان بقائل إن الحضارة هوت عن باريز . إنه كان يبعثها أملا ورجاء

فان كانت سيارات أتباع أتيلا قد دنست طرق باريز ووقف هتلر وأبواقه فى روما يهللون للأمر شامتين فليسألوا الأيام كم مرة وطأت حوافر الخيل الفرنسية برلين وليستنطقوا الدهر هل من عاصمة فى أوربا لم يجر فيها الجيش الفرنسى ذؤابته وهل من مكان لم تطأه ركائبه . ومالهم وللكتب يسألونها..ليدر هتلر وموسولينى بأبصارهما فى المدن فى ايطاليا وفى ألمانيا يريا على الجدران آثار الفتح الفرنسوى ومعالم الثقافة الفرنسية . فليس المقام مقام تفاخر وشماتة

فباريز خالدة مهما يرد أعداء الله بها من سوء . خالدة بقوة روح شعبها يبعث فى جيشها نار حماسة لا تنطفئ . خالدة بما أنجبت من أبناء فى مشارق الارض ومغاربها ينصرونها بكل ما أوتوا من قوة وعزم وهم أميركيون تارة وأوربيون أخرى . خالدة لأن الحضارة ستهب على بكرة أبيها تدفع شر المعتدين عليها . وسيعلم هؤلاء البور أى منقلب ينقلبون

سامى الجريدينى

هتلر ونابليون
وجامعة المطامع بينهما

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

سهل المقارنة بين هتلر ونابليون أول وهلة . وهذا ما حدا بالكثيرين الى تشبيه كلا الرجلين بالآخر . ولكن النظر العميق في تاريخهما ، والتحليل القويم لشخصيتهما ، يرينا ان ثمة اوجه خلاف بينهما في المبادىء والغايات وأساليب الحروب والثقافة . (المحرر)

أمنية الساعة ـ أو بعبارة أخرى حلم الساعة فى ألمانيا الهتلرية والفكرة المسيطرة على سياسة الحرب الالمانية ـ هى غزو انكلترا وتدمير الامبراطورية البريطانية

ولقد كان حديث هذه الامنية يتردد همسا فى ألمانيا ولا سيما مذ قبرت سياسة «ميونيخ» باستيلاء ألمانيا على تشيكوسلوفاكيا ورفعها القناع عن طرف من مطامعها فى سيادة القارة الاوربية•وكان يبدو فى الافق كلما أثير حديث المستعمرات الالمانية•فكانت الدوائر والصحف الالمانية تتساءل دائما كيف تحرم ألمانيا وسكانها ثمانون مليونا من مستعمراتها، وانكلترا وفرنسا وكلتاهما لا يتجاوز سكانهما نصف هذا القدر تسيطر كل منهما على امبراطورية استعمارية ضخمة ودول أوربية صغيرة مثل هولندة والبلجيك والبرتغال تملك مستعمرات غنية شاسعة ؟

ولما بدت نذر الحرب الاوربية فى الافق فى أغسطس الماضى كانت تروج فى ألمانيا نظرية خلاصتها ان بريطانيا العظمى تحاول أن تقف ضد أمانى ألمانيا المشروعة فى التوسع ، وأن تقطع عليها طريق مجالها الحيوى ، وان الحرب التى يمكن أن تثيرها على ألمانيا من جراء هذا التحرش هى حرب يراد بها تدمير ألمانيا ، ولذلك فان ألمانيا من جانبها لا يسعها الا أن ترد على ذلك بالعمل على تدمير الامبراطورية البريطانية

وقد أظهرت ألمانيا الهتلرية منذ نشوب الحرب انها تقصد بعدوانها انكلترا قبل كل شىء : لانها تدرك تمام الادراك ان سيادة انكلترا البحرية هى الصخرة المنيعة التى تتحطم عليها كل أمانى ألمانيا ومشروعاتها فى السيادة العالمية ، وان الحصار البحرى الذى تفرضه انكلترا عليها هو مكمن الخطر الحقيقى على مواردها وقواها • ولذلك اتجهت خطط هتلر منذ الساعة الاولى الى تسديد ضرباته الى قوى انكلترا البحرية ، فشهر عليها حرب الغواصات ثم الالغام السائبة دون هوادة ، ولاح مدى لحظة انه قد ينال بذلك من قوة انكلترا البحرية ، ولكن سرعان ما تبدد هذا الوهم واستطاعت انكلترا أن تقضى

بوسائلها على هذا الخطر ، ولم تمض أسابيع حتى اضمحل أثر الغواصات والألغام الالمانية

ومنذ أوائل شهر ابريل الماضي يعمل هتلر وأركان الحرب الالماني على تنفيذ خطة ترمى الى الاستيلاء على جميع شواطىء بحر الشمال الاوربية ، وهكذا استولت ألمانيا تباعا على الدانمركة والنرويج ، ثم هولندا والبلجيك ، وانقضت بقواها المدرعة الهائلة على شمال فرنسا ، واستطاعت فى أيام قلائل أن تصل الى الشاطىء الفرنسى لمضيق دوفر ، وأن تستولى عليه بعد معارك هائلة منى فيها الجيش الالمانى بخسائر فادحة فى الرجال والآلات الميكانيكية التى استعان بها على النجاح فى هذا الزحف السريع

واقتراب الالمان من الشواطىء الانكليزية على هذا النحو يشجع هتلر بلا ريب على فكرة غزو انكلترا مباشرة ، وهذه فكرة يكثر الحديث عنها الآن فى الصحف والاذاعة الالمانية ، وقد قال هتلر فى خطابه فى أوائل اكتوبر الماضى انه لم تبق بعد جزائر ولا مسافات

— ٢ —

ولم يخف مستر ونستن تشرشل رئيس الوزارة الانكليزية ان انكلترا تتوقع بعد أن أصبحت الجيوش الالمانية على أبوابها أن يصوب اليها هتلر ضربته التالية وأن يحاول غزو بريطانيا العظمى ذاتها . ولم تدخر الحكومة الانكليزية فى الواقع جهدا فى التحوط ضد هذا الغزو المحتمل والاستعداد لمقاومته بكل ما وسعت من الاجراءات والوسائل

وربما كان هذا المشروع الجرىء أعظم وجوه الشبه بين هتلر ومطامع نابليون . فمذ غزا النورمانديون انكلترا بقيادة وليم الفاتح فى سنة ١٠٦٦ م — أعنى منذ تسعة قرون — لم يفكر أحد فى غزو انكلترا سوى رجلين ، أولهما فيليب الثانى ملك اسبانيا وقد نفذ مشروعه بالفعل فأرسل أسطوله الضخم « الارمادا » الى المياه الانكليزية سنة ١٥٨٨ م ليغزو انكلترا وليسحق البروتستانتية فيها ، ولكن « الارمادا » اصطدمت أمام الشواطىء الانكليزية بالأسطول الانكليزى وحطمت فى موقعة من أشهر المواقع البحرية . وثانيهما نابليون بونابرت ، وقد حاول أيضا تنفيذ مشروعه ولكن بصورة أخرى

وكان مشروع غزو انكلترا يتردد منذ سنة ١٧٩٧ م فى ذهن حكومة « الديركتوار » وقد عهدت بتنفيذه بالفعل الى الجنرال بونابرت الذى تألق نجمه على أثر غزو ايطاليا . فرحب نابليون بالفكرة وقام بفحص الشواطىء الفرنسية المقابلة لانكلترا لتقوية تحصيناتها ولكنه رأى انه لا بد لتنفيذ هذه المحاولة من استعدادات عظيمة لم يحن وقتها

على انه رأى الى أن تحين هذه الفرصة أن يسدد الضربة الى انكلترا من طريق أخرى ، فأعدت الحملة المصرية سرا ، وسار نابليون فى اتجاه المشرق فجأة ، واستولى على مالطة ثم افتتح مصر . وكانت تدفعه الى هذا الاتجاه الجديد بلا ريب فكرة محاولة هدم أمبراطورية انكلترا الاستعمارية وقطع طريق الهند عليها ، وهى نفس فكرة تدمير الامبراطورية البريطانية التى يضطرم بها اليوم زعماء ألمانيا النازية

ولكن الحملة المصرية لم تسفر عن شىء مما قصد بها ، وأخفقت خطة نابليون

وعاد نابليون يحاول تنفيذ مشروعه فى غزو انكلترا فى سنة ١٨٠٣ بعد أن اتسعت فتوحاته فى القارة ، واستطاع أن يصيب التجارة الانكليزية فى البلاد المفتوحة بأضرار عظيمة ، فحشد على الشواطىء الهولندية والفرنسية جيشا من مائة وستين ألف مقاتل ، وحشد فى مياه الشاطىء الفرنسى أسطولا ضخما لنقل هذا الجيش خلال المانش ، واتخذ ميناء بولونى قاعدة لاستعداداته ، وعهد بقيادة الجيش الى سولت وفاى ودافوست ، وأعدت وحدات بحرية قوية فى جميع ثغور فرنسا واسبانيا لتبحر فى الوقت المناسب للقاء الاسطول الانكليزى. وشعرت انكلترا يومئذ بخطورة المأزق كما تشعر به اليوم. فنظمت وسائل الدفاع عن الشاطىء ، واشتدت الحماسة الوطنية ، وكانت عودة بيت لرآسة الوزارة فى مارس سنة ١٨٠٤ نذير العزم الذى تضطرم به انكلترا لرد أى اعتداء يقع عليها ، كما ان ولاية مستر تشرشل رياسة وزارتها فى ظروف مماثلة تنبىء اليوم عن نفس العزم الذى تضطرم به الامبراطورية البريطانية كلها

ولكن نابليون لم يوفق مع هذا الاستعداد الضخم الى تنفيذ مشروعه ، لان يقظة نلسون وغيره من أمراء البحر الانكليز حالت دون تسرب أية وحدة من الوحدات البحرية الفرنسية الى المياه الانكليزية ، وهكذا حطم المشروع أمام سيادة انكلترا البحرية

وقد قال نابليون فيما بعد فى أواخر حياته ان مشروعه فى غزو انكلترا لم يخفق الا لاسباب طارئة . وان قواده لو استطاعوا عبور المانش لظفروا بالاستيلاء على لندن

على ان فكرة سحق انكلترا وتدمير تجارتها وامبراطوريتها الاستعمارية لبثت تشغل نابليون حينا آخر. ففى سنة ١٨٠٦ بعد أن تم له فتح ألمانيا ، أصدر من برلين قراره الشهير المسمى « بالحصار القارى » الذى اعتبرت الجزر البريطانية بمقتضاه فى حالة حصار تام ، وتقرر أن تصبح جميع المواد المصدرة من انكلترا أو بموافقتها عرضة للمصادرة فى عرض البحر أو فى موانىء الامبراطورية الفرنسية ، وأتبعه بعد ذلك بقرار آخر تقرر فيه أن تصادر كل سفينة ترسو فى الموانىء الانكليزية. وكان لهذين القرارين أثر شديد فى الاضرار بتجارة الصادرات البريطانية واغلاق الموانىء الانكليزية فى وجه جميع السفن المحايدة . ولكن فرنسا عانت من أثرهما نفس المتاعب الاقتصادية التى عانتها انكلترا ، ولم تمض أعوام قلائل حتى انهارت دعائم هذا الحصار الذى حاول نابليون أن يفرضه على انكلترا

وهنا أيضا نجد الشبه واضحا بين مطامع الزعيم الالمانى ومطامع نابليون : فقد حاول هتلر منذ بداية الحرب أن يفرض على انكلترا نوعا من الحصار البحرى بواسطة حرب الغواصات والالغام ، ولكنه لم يوفق الى تحقيق غايته بالرغم مما ألحقته الغواصات والالغام من الخسائر بالسفن الانكليزية والمحايدة مدى حين

أما الآن والجيوش الالمانية تقف على أبواب انكلترا فى الشواطىء الهولندية والبلجيكية والفرنسية القريبة المواجهة لها ، فقد نشهد فى القريب العاجل محاولة الزعيم الالمانى

غزو الجزر البريطانية وتحقيق المشروع الذى أخفق فيه نابليون.وهتلر يعتمد بعد أن شلت قوى الأسطول الالمانى فى معارك النرويج البحرية على أسطوله الجوى.ولكن يلوح لنا مما شهدناه من نتائج المعارك الجوية فى الفلاندر وفى شمالى فرنسا أن تفوق الطيران الالمانى أصبح أمرا يشك فيه غاية الشك.هذا الى ما أثبتته التجارب العملية وخصوصا فى الحوادث التى اقترنت بانسحاب الحملة البريطانية من الفلاندر من ان الاساطيل البحرية لا تزال تحتفظ بكل مزاياها الدفاعية ، وان الطائرات المهاجمة لم تصب فى الهجوم عليها نجاحا يذكر.وفى اعتقادنا ان مثل هذا المشروع يحفه كثير من الاغراق ، وانه ما دامت السيادة البحرية لبريطانيا فانه يتعذر علينا أن نتصور جيشا كامل العدة ينقض على أراضيها من السماء ، ومثل هذه المحاولة مصيرها الاندحار المطبق

— ٣ —

ومع ذلك فاننا متى تركنا جانبا جامعة البغض لانكلترا ومحاولة غزوها وتدميرها ألفينا الشبه بينهما يتضاءل سواء من النواحى المعنوية أو العملية

لقد كان نابليون فاتحا يبغى السيادة السياسية ، ولكنه كان أيضا رمزا للمثل الحرة التى نادت بها الثورة الفرنسية ، وكان يحمل هذه المثل مع جيشه الى الاراضى المفتوحة. ولم تكن فتوحه قائمة على شىء من مبادىء الهدم والتدمير والافناء التى تقوم عليها الفتوحات الهتلرية.ولم تكن بالاخص خطرا على المدنية وعلى نظم الحياة القائمة ، وانما كان خطرها محصورا فى زوال بعض العروش والحريات القومية

وكان نابليون ذهنا مستنيرا غزير الثقافة سواء من الناحيتين العسكرية أو المدنية — خلافا للزعيم الالمانى الذى لم يؤت منها حظا يذكر ، والذى يبغض كل ثقافة وكل ذهن مستنير.وكان يرتفع بصفاته ومبادئه وغاياته فوق مستوى الزعماء والقادة الذين يجعلون القوة الغاشمة وحدها سياجا لمجدهم

أما المبادىء والفلسفة النازية التى يتخذها الزعيم الالمانى شعارا لمقاصده وأعماله فتستند الى القوة الهمجية وحدها ، وهى بما تزعمه من تفوق الجنس وسيادته ، وانكار الحق والمبادىء الاخلاقية المقررة ، تعتبر خطرا على المدنية. والفتوحات الهتلرية كما رأيناها الى اليوم ليست سوى حملات مخربة لا ترمى الى الظفر العسكرى والسياسى وحسب ، ولكن الى تدمير الامم والاراضى التى تتغلب عليها ، وتجريدها من جميع عناصر الثروة والحيوية ، والعمل على سحق الجنس وافنائه . فهى تذكرنا من هذه الناحية بفتوحات الوندال والهون والتتار المخربة . وليس هتلر الا فاتحا من الطراز القديم على نمط آتيلا وتيمورلنك ، بل ان فتوحات الزعيم الالمانى أشد فتكا من فتوحات هؤلاء القدماء

ونحن نعرف من سير التاريخ ماذا كان مصير الفتوحات الناهبة المخربة ، فهى دائما تحمل عناصر انهيارها

محمد عبد الله عنان

سبعة مفكرين

عادوا الانسان وازدروا الانسانية

سبعة عقول ثائرة أدمت العقل الانساني بجراح قاتلة ، هم : جاليليو ، ولوثر ، وروسو ، وداروين ، وماركس ، وفرويد ، وانيشتين • وثمة جمع حافل من أولئك « الاذكياء » الذين هاجموا وهدموا الاسس التى تقوم عليها الانسانية ، ولكن هؤلاء السبعة كانوا أشد من سواهم معولا وأكثر تهديما

وكثيرا ما يقوض ذكاء الانسان صرح سعادته ويخل ميزان حياته • ولكنا مع هذا نضفي صفات البطولة على هؤلاء الاذكياء الذين يسفهون ايماننا ويهدمون عقائدنا ، هؤلاء الذين يستلون من قلوبنا روح الامانة والاخلاص ، باسم العقل والمنطق والذكاء

نعم ، ربما أوتى أولئك المفكرون الثائرون مواهب فذة وملكات عظيمة ، ربما كانوا على حظ عظيم من الجرأة والخلق ، ومن القوة والكمال ، بل من العظمة والبطولة • ولكنها مواهب منحرفة وملكات شاذة أدانت الانسان شر ادانة وقضت عليه أقسى قضاء

ربما حمل هؤلاء المفكرون مشاعل النور • وكذلك حملها ابليس قبل ان يأثم ويهوى ، ثم تحركت فى يده مواقد مشبوبة بالنار الحامية • فهؤلاء السبعة أحالوا النور نارا استثارت بها الانسانية وهى سائرة فى سبل الذلة والمهانة ، مقبلة على مهاوى القلق والفوضى ، قاصدة الى مصائر الندم والألم والعناء ••

جاليليو

يتصدر قائمة أعداء الانسان السبعة جاليليو راعى النجوم ، الذى قضى على ما كان للحياة الانسانية من كرامة ومهابة ، حين كان الانسان مركز العالم وجوهر الوجود

كان الانسان قبل جاليليو يكدح فى سبيل عيشه فلا يناله الا بعرق الجبين ، ولكن هذه الشمس الكبرى ما كانت تشرق الا له وحده ، وهذا القمر الرائع ما كان ينير الا عليه دون سواه ، وكان ثمة جنة يرقى اليها من كان خيرا يحسن الى الانسان ، وثمة نار يهوى اليها كل شرير يصيب الانسان ويؤذيه • وكانت هناك قوة رحيمة رءوفة تنظر الى الانسان وتشرف على أموره ، فيهمها ضعفه وتبهجها قوته ، ويقلقها غيه ويرضيها رشاده ، ويعنيها ما يعنى الأب من شأن أبنائه ••

أما وقد جعل جاليليو من هذا الانسان الجليل دودة تافهة تدب فى تراب هذه الارض ،

أما وقد أحال هذه الارض التى تملأ الوجود وتتناثر حولها النجوم قطعة صغيرة من الصخر تجاورها آلاف وآلاف من الصخور التى تكبرها ، أما وقد صارت الشمس لا تشرق لتنير الارض بل صارت الارض تطوف حول الشمس طواف التابع حول سيده وطواف العابد في محراب ربه ـ فقد صدم الانسان الصدمة العاتية التى انزلت عنه ما كان يحفه من مكانة وكرامة ووقار • وهل بقى لاموره وافكاره وأعماله ما كان لها فيما مضى من شأن عظيم وأهمية كبرى ؟ هل ظلت الملائكة تطوف به فتشيع فى جوه الخير والبركة كما كانت تطوف بأسلافه مهما كانوا ضعفاء فقراء ؟ وهل ظلت كل خطوة يسيرها وكل كلمة ينطقها أمرا أراده خالق الكون واهتم له صانع الوجود ؟ أم هل صار حشرة تافهة تسرى الى جوانبها ملايين لا تحصى من الحشرات الهائمة فى جميع الكواكب والنجوم ، فليس ثمة من ينظر اليه أو يسمع منه ، بله أن يعنى بأمره ويهتم لمصيره ؟

وقد كان فى وسع الدين ان يوحى الى الانسان أن الارض وان تكن جرما صغيرا فى هذا الوجود الا انها الكوكب الذى تخيره الله واختصه برعايته ، كما اصطفى الانسان وميزه من سائر الخلائق ببره ورحمته •• ولكن هذا العزاء الذى كان يتلمسه الانسان عن طريق الدين قد حرمه منه رجل آخر خلف جاليليو فى عداء الانسان وامتهان الانسانية .

لوثر

••• هذا هو مارتن لوثر • فلو ظل ايمان الانسان محصنا معصوما لاندمل جرحه الغائر الذى أدماه • ولكن لم يكد جاليليو يشرع فى هدم العالم المادى الذى يأوى الانسان ، حتى قام لوثر يحطم العالم الروحى الذى يلجأ اليه ان ضاق به سائر الوجود • فمن قبل لوثر كان الشطر الغربى من هذه الدنيا يؤمن بقوة معنوية كبرى توجهه وتهديه ، فأسلمها الناس زمام عقائدهم والتمسوا منها الهدى والسلام اجيالا تلو أجيال • فجاء هذا المفكر الثائر يهدم تلك القوة ممثلة فى رجل ، قد يكون قديسا طاهرا أو وحشا كاسرا ، ولكنه كان اذا لبس مسوح البابا عصمه من الغى ونزهه عن الخطيئة

حارب لوثر هذا الرجل الذى كان ينطق باسم الله فيضىء للناس طريق الحق والهدى • فلم يكن اذ ذاك ضمير معنى الا لجأ اليه يستلهم الرشد ويستجديه الراحة • ولم يكن هنالك أمر هدى أو ضلال ، أو قضية ايمان أو الحاد ، الا وضعت بين يديه يقضى فيها قضاءه الحاسم

نعم ، ان تقدير روما أو قضاءها لم يظل مدى التاريخ صائبا وعادلا • ولكن حياة يحكمها قانون خاطىء أو ظالم خير من حياة بلا قانون ليهيم أهلها فى الفوضى والظلام • كما ان الايمان من أى طريق جاء ومن أى دافع نشأ خير من الفوضى الروحية

وقد جمعت روما تجارب الانسان ومعارفه خلال عدة قرون فكانت قوة منشئة معمرة كبرى • كذلك ظلت عمودا من النور يستضىء به الناس خلال الظلمة التى غمرتهم مدى العصور الوسطى • قد يقال انها عاقت طريق التقدم الانسانى واثقلت كاهل الحرية الفكرية •

ولكن الواقع انها كانت تقلل من سرعة الانسان فى طريق التقدم حتى تتفق وتتسق مع درجة نموه ومدى حاجته ، اذ كانت تخشى ما يصيبه اذا أسرف فى التقدم واندفع فى طريق الحرية • وهل من شك فى أن كثيرا من مشاكلنا ومتاعبنا الحالية ليست الا نتيجة تقدمنا المادى الذى فاق وتخطى ما أصبنا من ارتقاء اجتماعى ومن نضوج روحى ••

وهل من عجب بعد ان حطم لوثر صخرة الايمان الكبرى ان تغمر العالم موجات من الفوضى الروحية ، فتنشب فى اثر ذلك الحروب المتالية وتقوم الثورات العنيفة ؟ فما كاد الانسان يتحرر ويتحلل من وازع الدين واشراف رجاله حتى قام جماعة من الساخرين الناقمين يقوضون سائر الدعائم ويكافحون جميع السلطات ، وكان أسوأ وأخطر وأذكى هؤلاء الحاقدين المفسدين روسو

روسو

حرم جاليليو الانسان من تفوقه الجغرافى الذى كان يركز حوله العالم جميعا • وحارب لوثر المركز العالمى للشرائع والاخلاق المسيحية فاطلق الانسان من وثاق الدين ورقابة رجاله • ولكن ظلت للدولة سلطة نافذة تخضع وتكبت هذا « الحيوان الانسانى » فلما جاء روسو يسوق خرافة « الانسان الطبيعى » و « الهمجى النبيل » هاجم وهدم المبدأ الذى تقوم عليه فكرة الحكم ونظام الحكومة ، وهو مبدأ الشر الفطرى الذى جبل عليه الانسان

كان الانسان يحس هذه النزعة الفطرية الى الشر كأنها وحش كاسر يزأر فى حنايا قلبه ويفتك بقوة ضميره • فجاء روسو بالاعيب توهم الناس ان هذه النزعة الشريرة ليست الا الخير الخالص والحق الاصيل • فبعد ان كان هذا الشر الكامن فى النفس يدفعها الى مجاهدته ومكافحته دائما ويكرهها على ورعه وكبته بقوة الدين والخلق ، قام روسو يخيل الى الانسان ان نفسه مبرأة من الشر منزهة عن الرذيلة ، فلا داعى به الى جهاد او كفاح ، ولا مبرر لما يأخذ به نفسه من قهر واخضاع ، وبذلك انتفض الناس على القانون الخلقى وتحرروا من قواعده وشرائعه

ولم يخلص الانسان من هذه الكارثة الخلقية منذ أن أتى بها روسو • وسرعان ماتمخضت هذه الكارثة عن أكبر ثورة واخطر مجزرة شهدها التاريخ • ولا شك ان هذه الثورة قد خلصت العالم من بعض مساوىء الماضى ، ولكنها كلفت الانسانية كثيرا من فضائلها ومبادئها • وما زال لهذه الثورة آثارها وابناؤها ، فالثورة البولشفية وليدتها او قرينتها ، ولينين وستالين من خلفاء دانتون وروبسبير

داروين

كانت الانسانية لا تزال تترنح من أثر الصدمة التى وجهها اليها روسو ، حين قام داروين يعاجلها بضربة أخرى أشد وأقسى ••

فرغم ما كان يكتنف الانسان من مساوىء ، كان يعتقد انه انحدر من أصل قدسي مجيد ، فجاء داروين يسفه أصله ومنشأه اذ يثبت له انه يشارك القرد فى جد أعلى ..

ان النظام الانسانى يقوم على هذه الحقيقة أو هذه الخرافة التى تقول ان الانسان هو سيد الخليقة ، وانه قد أوتى صفات قدسية تميزه من سائر الحيوان ، وان الروح هو ميراث الانسان دون سواه من جميع الخلائق . فكيف صار أمر الانسان اذ جاء داروين وارغمه على ان يعترف انه ليس الا قردا أعلى ؟!

لا شك ان نظرية داروين هى السقطة الثانية فى تاريخ الانسان ، بل هى أسوأ وأقسى من سقطته الاولى من الجنة على الارض . فمع ان آدم عوقب على خطيئته فاخرج من جنة عدن ، الا انه ظل ينظر الى وجهه فيراه صور فى أكمل صورة وانشىء فى أحسن تقويم .. فيا ويحه حين رده داروين الى اسوأ خلقة فحرمه عزاءه الوحيد !

واية فكرة عظيمة تفتق عنها ذهن الانسان ، واية ثمرة آتتها شجرة علمه وتجربته ، واية قوة سخرها ـ يمكن ان تضمد هذه الجراح الغائرة التى اصابها بها داروين واتباعه

ماركس

بعد أن أيأست هذه الضربات السابقة الانسان من حياته الروحية ، ارتكز على أملاكه المادية وأنشب فيها قبضة يديه . فأخذ يكدح فى سبيل حق الاملاك معتزا بثمرات عمله حريصا على نتائج جهاده ، حتى جاء ماركس يسفه معنى الملك ويحارب فكرة الملكية ، ويلقى ظلا قاتما على هذا الجانب الذى اعتز وفاخر به الانسان منذ بدء الحياة

وحول هذا الرجل الفذ الذى انشأ الاشتراكية الحديثة زمام الثروة من أيدى الذين كونوها أو ورثوها الى ايدى اولئك الساسة الذين يديرون الهيئات الحاكمة . فلم يعد الانسان يجنى ثمرة ما جهد فيه من عمل ، أو ما عاناه أبوه من كفاح ، بل صارت تنتزع منه هذه الثمرة عن طريق الضرائب المرهقة المخربة التى تفرض عليه « توزيعا » للثروة على قدم المساواة بين العاملين والخاملين وبين الحريصين والمبذرين

ومع هذا لم تؤد مبادىء ماركس الا الى افقار الاغنياء دون ان تغنى الفقراء . ثم حرمت الانسان فضلا عن هذا مما كانت تهيئه له الثروة من الراحة اذا تقدمت به السن وقعد به الضعف عن العمل ، ومما كانت تتيحه له من القدرة على تصريف أموره وتوجيه حياته الوجهة التى يرتضيها ، ومما كانت تهيئه لابنائه من بعده من حياة آمنة تصان فيها كرامتهم وتمهد لهم فيها سبل العمل والنجاح

أصبحت الثروة بعد ماركس جريمة منكرة ، وأضحى « الملك » سرقة آثمة . بل صارت قوات الطغام العاتية تسلب الانسان لقمة العيش التى يدخرها لغده بعد ان أنفق فى كسبها جهدا ناصبا ، بحجة هذه المبادىء المجدبة العقيمة التى يطلقون عليها اسماء ما يبتكرون من المذاهب والاوضاع

فرويد

وهكذا اختفت من سماء الانسان نجوم فى اثر نجوم ، حتى غمر حياته ظلام حالك لا يكاد يتبين فيه أى سبيل • ولكن ظل هناك نجم واحد يبعث الضوء وسط هذه الظلمة الغامرة ، وكان ضوءا ساطعا يشق الانسان على هديه طريق الحياة • هذا النجم هو القلب ، وهذا الضوء هو الحب • وهما نبع الشعر والخيال ومنهما ينبثق الخير والهوى • ولكن ها هو فرويد يرفع الحجاب الكثيف المسدل على خبايا الانسان ، فاذا بها تموج وتضطرب بلوثات مدنسة تأخذه من كل جانب أخذا شديدا عاتيا

أماط فرويد لثام النفس البشرية عن مجموعة من الرذائل التى تتحكم فى قواها وتسيطر على مشاعرها ، فتلقى على كل علاقة انسانية نبيلة ظلا قاتما يشوهها ، أو تصيبها بلوثة كريهة تدنسها • فهذا حب الامومة الطاهر الخالص من كل شائبة ، وهذا الحب البرىء الذى يعطف قلب الرجل وقلب المرأة معا حين يلتئم مزاجهما سويا ، وهذه الصداقة الجميلة التى تنشأ بين الصحب والرفاق اذا اتفقت طباعهم ومشاعرهم ـ كل هذه صارت اقنعة سوداء تخفى وراءها غرائز بهيمية عنيفة ، أو عواطف آثمة ••

فاذا كانت المسيحية ، على حد قول نيتشة ، قد سكبت قطرة من السم فى كأس الحب البشرى ، فان فرويد قد أفرغ هذه الكأس كلها ثم ملأها بسم زعاف فتاك •• فماذا بقى للانسان فى هذه الحياة وقد خبا نجم الحب المتألق المصفى ؟

اينشتين

بقى له عزاء واحد هو عزاء العلم المجرد • فقد يكون الانسان جاهلا لا يدرى أى فارق بين الحق والباطل ولا يستطيع ان يميز بين مالى ومالك ، وقد يكون تافها يدب وسط حياة يغمرها الظلام وتحكمها الفوضى ـ ولكنه يظل بعد هذا كله ذا عقل محكم وفكر دقيق

وهكذا كان أمره الى عهد قريب ، فظلت « للرياضة » و « للطبيعة » مقاييس متقنة يعتمد عليها الانسان فى التقدير والقياس ، وكانت الارقام لا تكذب ولا تخطىء أبدا ، مهما كان الأمر فمجموع اثنين واثنين اربعة دائما

ولكن هل ظل للانسان هذا العزاء البسيط الوحيد ؟ كلا ! بل جاء اينشتين فجعل كل شىء نسبيا • فلم يعد اثنان واثنان أربعة دائما ، ولم يعد الخطان المتوازيان مفترقين ابدا بل كثيرا ما يلتقيان ويتقاطعان ، ولم يعد فى وسعنا أن نتحدث عن أى أمر فى هذا الكون حديثا قاطعا جازما ، فهذا العالم يمتد تارة وينكمش أخرى ، ويستقيم يوما وينحرف يوما

وهكذا غدا الانسان يضطرب فى هذا العالم قلقا حائرا ، ناقما حاقدا ، بعد أن حرمه جاليليو من كرامته ، ولوثر من شريعته ، وروسو من نظامه ، وبعد أن جرده داروين من قداسته ، وماركس من ماله ، وبعد ان أطفأ فرويد جذوة حبه واينشتين نور يقينه !••

(مترجمة بتصرف عن جورج سيلفستر فيريك فى صحيفة باريد Parade)

البرابرة الموسيقيون

Barbares et Musiciens

لاميل لودفيج

هو كتيب بسط فيه اميل لودفيج حياة الالمان المادية والعقلية والروحية وحلل شخصيتهم مسترشدا بالتاريخ والجغرافية الاجتماعية . وقد اختار منه الكاتب ما يصور الشعب الالماني ويصف نواحي القوة والضعف فيه

استهوانى هذا الكتاب لأنه عن ألمانيا أولا ، عن هذا الصليب المعقوف الذى كان رمزاً للعاصفة فاستحال الى عاصفة هوجاء حقيقية اجتاحت أوربا واهتز لها العالم . ولأنه لأميل لودفيج ثانياً ، واميل لودفيج كما نعرف من أعظم كتاب اليهودية الألمانية ، وهو بالنسبة لوطنه كفكتور هوجو بالنسبة لفرنسا قضى جانباً كبيراً من حياته خارج بلاده : فقد رحل عن ألمانيا منذ سنة ١٩٠٦ ، وكان يعاودها الفينة بعد الفينة ، فلما قامت النازية فيها تركها الى غير رجعة وتجنس بالجنسية السويسرية .. واستهوانى الكتاب ثالثاً لأن اميل لودفيج كان من أولئك الذين صادرت النازية مؤلفاتهم وأحرقتها فى الميادين .. فهو إذن من الكتاب الاحرار الذين أبوا إلا أن يكتبوا كتابة حرة وأبت النازية مدفوعة بوطنيتها إلا أن يكتبوا بوحى منها فكان ما كان من مصادرة وإحراق ولهب . .

و « البرابرة » الذين يصفهم لنا لودفيج ليسو برابرة بالمعنى الحديث ولكن بالمعنى التاريخى المصطلح عليه فى القرون الوسطى ، فالرومان كانوا متمدنين ــ أى سكان مدن ــ ومن عداهم من قبائل الهون والفاندال والجرمان وكل هذه السيول التى كانت تتدفق الى أوربا باستمرار من مناطق العشب « الاستبس » فى آسيا كانوا برابرة ــ فهو إذن اصطلاح تاريخى لا يقصد به الى التحقير . والدليل على ذلك أن شارلمان وسائر ملوك الأسرتين الميروفنجية والكارولنجية كانوا برغم مدنيتهم « برابرة » . . ككل من عدا العرب الخلصاء كانوا يسمون « أعاجم » . فاميل لودفيج إذ يتحدث عن « البرابرة الموسيقيين » يقصد الشعب الجرمانى المنحدر من مناطق العشب فى آسيا ، ويرى فى رجوع النازية الى تقاليد الجرمان مبرراً لهذه التسمية التاريخية . ثم هم موسيقيون لأن حياة الفروسية والمعسكرات حياة حرب ومرح ، صراع وغناء وشراب ، صليل سيوف ونغمات موسيقية . والموسيق الالمانية كما نعلم من أرفع الموسيقات العالمية على الاطلاق

والكتاب ــ بعد ــ عاصف كعصف الجرمان أنفسهم . وقوته مستمدة من جبروتهم .

ولودفيج الذى ذاع صيته بما حلل من شخصيات عالمية ، والذى حدثنا من قبل عن النيل كما لو كان بطلا من أبطال التاريخ ، يتكلم فى كتابه عن « شخصية » الالمان ، ويكاد يصب هذا العالم الجرمانى الزاخر الذى يموج بعضه فى بعض فى قالب واحد وتمثال فريد ، ويروح بعد ذلك يصف لنا هذا التمثال الجبار بقلم الكاتب الجبار

تاريخ الشخصية الالمانية

يقول لودفيج كمؤرخ إن الشعبين البريطانى والفرنسى ختما عهد الاقطاع وبلغا رتبة الدولة الحديثة منذ عدة قرون كان فيها الالمان متفرقين لا تلم لهم الدولة شعثاً ، وملوكهم وأمراؤهم ظلوا يتعاركون ويتنافسون كما كانت الحال فى القرون الوسطى . وحتى سنة ١٨٧٠ كان فى ألمانيا أكثر من أربع وعشرين دوقية تعيش جنباً الى جنب ويحارب بعضها البعض . فألمانيا إذ ذاك كانت تشبه البلقان الآن ، ولا تختلف عنه إلا فى انقسامه إلى ست دول وهى على أيام نابليون كانت مقسمة الى أكثر من مائتى إمارة ودوقية ، ثم هبط الرقم الى حوالى أربع وعشرين فى سنة ١٨٧٠ . فلما تمت الوحدة الالمانية على عهد بسمارك ظلت آثار الانقسام قائمة ، وأصبحنا نرى بين البوميرانى والبرندنبرجى والسوابى والبافارى من الاختلاف أكثر مما نرى بين ساكنى روان وساكنى البو فى فرنسا مثلا

وفى كل مملكة أو دوقية أو إمارة كان يقوم الحاكم وبجانبه مجلس « الدايت » الذي يمثل الشعب ولكن لا سلطة له على الاطلاق . . وفى هذا الخضم من الحكم المطلق وأغلال الاستبداد لا نكاد نجد إمارات ديمقراطية إلا كما نعثر بالواحات فى الصحراء . . فهامبورج ، وبريم ، ولوبك هى بمثابة الواحات فى صحراء الاستبداد الالمانى ، وأهلها كانوا ينعمون بنسمات الحرية ـ وبخاصة هامبورج التى أتاح لها موقعها الجغرافى وأهميتها التجارية سبل الاتصال بالديمقراطية الانجليزية

ويرى لودفيج أن التطور من الامارات الكثيرة الى الملكيات المعدودة الى الامبراطورية الوحدة تمشى معه تطور معجز من الغابات والاحراش الى الحقول المزروعة ، ومن الانهار غير الصالحة للملاحة الى طرق ملاحة سهلة مأمونة ، ومن الرى المتعذر الى قنوات ونهيرات تمشى كخيوط العنكبوت فى الارض الالمانية . . وكما أن فقر اسبرطة وايقوسيا وبوار أرضهما طبع شعبيهما بطابع الخشونة والطاعة والاقتصاد ، كذلك أهل ألمانيا وبخاصة بروسيا وبرندنبرج خرجوا من هذا الكفاح ضد الفقر والجدب والطبيعة المكشرة عن أنيابها شعباً مقتصداً ، ومتواضعاً ، ومطيعاً ، تقوده طبقة « اليونكرز » البروسية التى تمتاز ـ أو تختلف ـ عن مثيلاتها فى فرنسا والنمسا بعظمة أخلاقها ، وكبريائها ، وجهلها . . ويقول لودفيج إن بين هذه الطبقة والكونت النمساوى فى العلم والثقافة ما بين البواب الفرنسى وعضو الاكاديمية الفرنسية . .

ومرجع مقامها الى أن منها تخرج الضباط والقواد الذين قامت على كواهلهم انتصارات ملوك بروسيا ، وقد ظل هؤلاء الضباط والقواد على استعلائهم ومقامهم الرفيع لأنهم أصحاب الاقطاعات الزراعية وسادة الفلاحين ، يحشدونهم حشداً فى كل حرب جديدة ، ويقودونهم كالآلات الصماء الى خطوط النار . . وقد كان من صالح الملوك أن يبقوا على امتيازات هذه الطبقة ليحفظوا جيوشهم فى حالة تأهب للحرب مستمر ، واعتمدوا على ولائهم وطاعتهم اعتماداً كليا

وهؤلاء « اليونكرز » لا وجود للحرية عندهم فهم فرائس سهلة للنظام فى أشد قوالبه الصارمة . ورسالتهم فى الحياة الالمانية أن يصنعوا من طبقة الفلاحين جنوداً ومن أنفسهم قواداً وضباطا لهؤلاء الجنود . وعلاقتهم بالطبقة العاملة تعيد الى الأذهان علاقة السيد بالمسود فى الروسيا القيصرية . ولا عجب فهم — على حد قول لودفيج — أنصاف سلاف

والبروسى الفلاح ومن طبقة « اليونكرز » لا يطيع لوجوب الطاعة ولكن لحب الطاعة . وأخلاقه ومثله فى الحياة اسبرطية . وقد قطعت العلاقات بينه وبين الثورتين البريطانية والفرنسية فعاش فى نجوة من الافكار الثورية والانقلابات الحديثة ، وعلى هدى هذا الخلق والنظام القديم سارت النازية وعملت على أن تحيا وتسود

فالألمانى لا يفكر قط فى الحرية . وقد ربطته بالحكومة رابطة لا انفصام لها . وهو يؤثر أن يظل محكوما على أن يكون حاكما ، ويؤمن بنظام الحكم « الهرمى » فالملك أو الامبراطور فى رأس الهرم . ثم يليه الامراء . ثم اليونكرز . ثم طبقة الحكام والقضاة وكبار الموظفين . ثم طبقة العمال والفلاحين . وبين كل طبقة والطبقة التى تليها ستار كثيف من الاستعلاء والكبرياء ، وبين كل طبقة والطبقة التى تعلوها مبادىء إخلاص وولاء ، وطاعة حتى الى الموت عمياء . فاذا ما طرق أحد رجال البوليس مثلا باب أحد الالمان أدركت بمقارنته بأحد السويسريين فى « كانتون » من كانتونات لوسرن ان هذا عاش فى الاستعباد قرونا وذاك قضاها فى الحرية

والألمانى علاوة أن يصطنع فضائله العسكرية فى حياته الخاصة وفى عهود السلام . والفرق بينه وبين الفرنسى أنه يحب النظام أكثر مما يحب الحرية ، والفرنسى يؤثر الحرية على النظام . وأنه يطيع الحكومة والحكام والفرنسى ضعيف فى هذه الناحية . وأنه يسهل لمن يريد الوصول الى الحكم سبيله ثم يطيعه اذا ما بلغ غايته والفرنسى مدفوع بطبيعته النقادة الى نقد الراغبين فى الحكم والعمل على معاكستهم . واذا ما قيل للالمانى « سر يميناً » لم يخالف النظام واحد فى المائة ، بينا يسير فى الشمال ثلاثون فى المائة من الفرنسيين على الأقل . وهذا هو السبب فى أن الشعب الالمانى هو الشعب الوحيد الذى لم يثر على حكوماته ، وان تكن ثمة ثورات فهى محلية وضئيلة التأثير

ثورة الفلاحين فى حركة الاصلاح اللوثرية خانها لوثر نفسه فصادفها الاخفاق الذريع . وهى بعد كانت ثورة محلية ومؤقتة

وثورة عام ١٨٤٨ التى حاول فيها الشعب الالمانى السير على هدى الثورة الفرنسية لم تدم أكثر من بضعة أسابيع ، وسرعان ما انحصرت فى جهات معدودة وانطفأت جذوتها سريعاً فلحقت بسابقتها

وثورة عام ١٩١٨ المعروفة لم تكن ثورة بالمعنى الصحيح ، ولكن « سلسلة صدمة سرعان ما انكسرت » ، وفر اثنان وعشرون أميراً هم قادتها تاركين أتباعهم فى حالة لا يحسدون عليها من الخوف والذعر والتعاسة . .

وقد لا يخلو تاريخ المانيا من طائفة من الشعراء والمفكرين والسياسيين الذين حاولوا خلق المعارضة فى الجبهة الالمانية . ولكنهم لم يظفروا بكتل من الشعب تؤيدهم فيما ذهبوا اليه وظل الشعب موالياً لأمرائه وملوكه ، بينما خلع البريطانيون والفرنسيون ملوكهم وقتلوهم واستبدلوا قوة الحكومة بقوة الشعب ورمز الملوكية برمز الحكومة الشعبية

أجل .. ظل الشعب الالمانى موالياً لأمرائه وملوكه ، ولم يشذ على هذا الولاء الا مرة واحدة ، عندما قامت ثورة عام ١٨٤٨ التى أسلفنا عنها القول . فى هذه الثورة ، وبعد قتال بين الشعب والبوليس فى الشوارع ، أدخل الثوار فى قلعة برلين ، ومن شرفة القلعة أطل عليهم الملك وحياهم برفع يده . فكانت هى المرة الأولى والأخيرة التى تطلع فيها الشعب الى مقام الملوكية وفكر فى الحد من سلطته

ومن ذلك التاريخ الى الآن يقف الالمانى مضرب الأمثال بين شعوب العالم فى الوطنية التى تتخذ الطاعة شعاراً والنظام مثلا أعلى

محمد محمد توفيق

انتصارات السلام

إن للسلام انتصاراته التى لا تقل مجداً عن انتصارات الحروب « ملتون »

ما ورثناه من العادات الجنازية عن قدماء المصريين

بقلم الاستاذ محرم كمال

الامين المساعد بالمتحف المصرى

درج كثير من الناس على الظن بأن جميع مظاهر حضارتنا الحالية ومقوماتها ، بما تشمله من تقاليد وعادات وآداب واجتماعيات ، ترجع الى أصل عربى اسلامى فحسب ، ولكننا قلنا وما نزال نقول ان الحقيقة التاريخية تخالف ذلك الى حد كبير . فهناك من الادلة والقرائن ما يثبت لنا ان المصريين القدماء الذين سكنوا مصر القديمة منذ آلاف السنين لا يزالون أحياء يعيشون بأرواحهم فى أبنائهم المصريين الحاليين . نحن لا ننكر ان أدوار التاريخ المختلفة قد غيرت لغة البلاد ودينها جملة مرات ، ولكن الغزوات التى توالت على مصر لم تنل من مصرية سكانها

وموضوع اليوم يتناول ناحية لم نطرقها من قبل ، أعنى العادات الجنازية التى ورثناها عن أجدادنا القدماء . فان مئات من العادات الجنازية نراها ونشهدها كل يوم ، وقد ضج العلماء والمفكرون من انتشارها وانبرى الكتاب لمحاربتها ، وما دروا أن البشر يصعب عليه أن يستأصل عادات استمدت قوتها من حكم الممارسة والمزاولة آلاف السنين

سير النساء فى الجنازات

ما يكاد الميت لدينا الآن يلفظ النفس الاخير حتى تتعالى أصوات النساء بما يعرف بـ «الصوات» ، و « يا دهوتى ياخوى .. » و « آه يا جملى .. » و «كان عليك بدرى...» الى آخر هذه العبارات المألوفة . ثم تسود المنزل ضجة تهز أركانه هزا ، وهرج ومرج يختلط فيه الحابل بالنابل . فاذا حدثت الوفاة فى قرية من القرى خرجت النساء من المنزل عقبها مباشرة وقد صبغن وجوههن بالنيلة ولبثن يتجولن فى طرقاتها فترة من الزمن حتى يدرن حولها سبع مرات ، وهن يولولن ويصرخن بأصوات مؤلمة وقد أمسكن فى أيديهن بمناديل سوداء أو زرقاء

فهذه العادة موروثة عن المصريين القدماء اذ ذكر المؤرخ اليونانى هيرودوت فى كتابه عن تاريخ مصر ما يأتى : « كان اذا توفى أحد المصريين لطخت النسوة رؤوسهن ووجوههن بالطين وتركن الجثة فى المنزل ثم خرجن متجولات فى شوارع البلدة وطرقاتها

وهن يلطمن الخدود ويضربن الصدور وقد شققن الجيوب حتى استبانت نحورهن » . أفليست هذه الصورة التى يرسمها لنا هيرودوت بقلمه هى التى تحدث فى قرانا اليوم ؟

فاذا فرغت النسوة من هذا العمل عدن الى المنزل وقد تم اعلان أهالى القرية بحدوث الوفاة ، وهنا يتقاطر الرجال والنساء الى منزل الوفاة زرافات ووحدانا : النساء يدخلن الى المنزل ، والرجال يجلسون أمامه . ومن ثم ينقلب المنزل الى آتون ملتهب صاخب لا ترى فيه امرأة الا وقد غطت وجهها بالنيلة أو اتشحت بالسواد ، ثم تراهن وقد انضمت اليهن طائفة من الندابات ، أمسكت كل واحدة منهن بـ « الطار » تحركه بين يديها على حين تنطلق المعددات يقذفن من أفواههن حمما من العبارات النارية فيستسلم الجمع لحركات جنونية من لطم وعويل وولولة ورقص . فهذه العادات كلها ، فى جملتها وتفصيلها ، مصرية قديمة ، فالنساء فى العصر الفرعونى كن يلطخن وجوههن ورؤوسهن بالطين والسواد كما تفعل الآن تماما ، وكن يشققن جيوبهن ويلطمن خدودهن ويندبن موتاهن ويستأجرن المعددات . وكانت فى مصر القديمة طبقة من المعددات والندابات المحترفات يستأجرن عند حدوث الوفاة . وكن يقبلن ومعهن طبولهن وآلاتهن يوقعن عليها ، ويستمر قرع الطبول وصريرها المزعج زمنا طويلا ، كان يمتد الى اثنين وسبعين يوما ، أى طول المدة التى تظل فيها جثة الميت بين أيدى المحنطين . وفى هذه المدة كان أهالى الميت يمتنعون بتاتا عن كل ما يشتم فيه رائحة الترف ، فكانوا لا يصيبون من الطعام الا قليلا ، ولا يرتدون من الملابس الا أبسطها ، ولا يقتربون من خمر أو مسكر ، بل ان لدينا فى نقوش مقابر المصريين القدماء مناظر نرى فيها زوجة المتوفى وقد صعقت عند سماع نعى الزوج ، ثم نراها وقد خلعت سوارها وقلائدها وحليها . وكان الرجال يتركون شعورهم تنمو دون أن يعنوا بقصها ، وكذا ذقونهم كانت تستطيل دون أن يفكروا فى حلقها ، أفليست هذه العادات ، حتى البسيطة منها ، هى التى نزاولها اليوم تماما ؟

فاذا تم تحنيط الجثة أقبل أهالى الميت وتسلموها من المحنطين وبدأوا فى اعداد موكب تشييع الجنازة الذى كان يسير عادة بالنظام الآتى : — فريق من الخدم يحملون الزهور وأوانى الزيوت والسوائل ، يتلوهم فريق آخر من الرجال يحمل قوارير بها مياه مقدسة فعدد من النسوة وقد عصبن رؤوسهن ، يلطمن الخدود ويضربن الصدور وقد نثرن التراب فوق رؤوسهن ، لا تنفك واحدة منهن عن «الصوات» لحظة ، وهن يعددن بين آن وآخر مناقب الميت وما له من حسنات . ثم يتلو ذلك تابوت الميت وقد أحاط به فريق من الكهنة ورجال الدين وهم يحملون فى أيديهم المباخر وأوانى العطور ، ويتبع جثمان الميت عدد من المشيعين يتميز بينهم فريق النسوة من أهالى الميت ومعارفه ، فاذا وصل الجمع الى النهر ، وضعوا تابوت الميت فى قارب ، وأحاط بالتابوت بنات الميت وزوجته وقريباته وهن يصرخن ويبكين بكاء مرا ، على حين يسبق هذا القارب ويتلوه قوارب أخرى امتلأت نساء يولولن ويصرخن ، وكهنة يقومون بطقوسهم الدينية ، يتبعهم فريق من

الخدم ، فاذا وصلوا الى الشاطىء الآخر من النهر أنزلت الجثة وسار الموكب بنفس النظام السابق حتى يصل الى المقبرة ، ثم ترفع المومياء الى جانب باب المقبرة ، ويرش أمامها ماء ويتلو الكاهن فصولا من كتاب في يده ، ثم يطلق باقى الكهنة البخور . أما الزوجة فتندب حظهـا العاثر ويختلط صوتها بصوت باقى النسوة وهن يصرخن « يا للحسرة ويا للندامة »

أفليس هذا الوصف لجنازات المصريين الاقدمين يصح هو بنفسه أن يكون وصفا لتشييع الجنازات عندنا الآن . وأليس تشييع النسوة للجنازة ، على الصورة المشوهة الشائعة فى مصر هو أثر من آثار قدماء المصريين ؟

لقد كره الائمـة جميعا للنساء الخروج لتشييع الجنازة واذا خيف منهن الفتنـة كان خروجهن حراما ، والآن طف أنحاء القاهرة أية النواحى قصدت ، تجد ذلك المنظر المنكر لا تخلو منه جادة ولا ينكره أحد . ها هو الميت محمول على الاكتاف ، وأمامه المباخر وحملة القماقم وفقهاء العميان يضجون بالاصوات المنكرة ، تتبعه عربات كارو تراص النسوة على لوحاتها كأنهن السردين ، وقد صبغن وجوههن بالنيلة وصرخن بالاصوات الكريهة يعكرن الجو ، كل هذا لا يعرفه الاسلام ولا يرضاه المسلمون

فهلا ترون معى بعد هذا ان حملة القماقم والمباخر عندنا هم بعينهم خدم الميت وكهنته فى العصر القديم ، وألا ترون معى ان فقهاء العميان الذين يضجون بالاصوات المنكرة عندنا الآن هم بنفسهم كهنة المصريين القدماء الذين كانوا يرتلون أناشيدهم أمام تابوت الميت وهم يسيرون ، ثم ألا ترون معى بعد هذا وذاك ان عربات « الكارو » التى تتراص النسوة عليها وقد صبغن وجوههن بالنيلة وصرخن بأصواتهن الكريهة هى بنفسها القوارب التى كانت تعتليها النسوة فى العصر الفرعونى ؟

العادات بعد الدفن

وقد اعتدنا فى اليوم السابع من الوفاة ، وفى أيام الخميس والجمع على العموم ، ثم فى الاعياد الاسلامية كالعيد الصغير والعيد الكبير ، والاعياد القبطية كيوم الغطاس ، أن نخرج الى المقابر لزيارة الموتى . وهذه الزيارة نسميها الآن «الطلعة» . فهذه التسمية هى نفسها التسمية القديمة . فان كلمة «برت» الهيروغليفية معناها بالعربية «الطلعة» أو الخروج الى المقابر . فكأننا لم نحتفظ بنفس العادة فحسب ، بل احتفظنا أيضا بنفس تسمية قدماء المصريين بعد أن ترجمناها حرفيا الى لغتنا العامية . والذى يهمنا ليس مجرد هذه الزيارة وانما ما يصحبها من تفاصيل عديدة . ففى الطلعة تخرج النسوة الآن وقد حملن على رؤوسهن جملة سلال ملئت بالعيش والكعك والخيار والفواكه والبلح وما اليها لتقديمها صدقة على روح الميت الى جانب المقبرة . وكم لدينا فى مقابر الدولتين القديمة والوسطى من مثات المناظر التى تمثل هاته النسوة يسرن فى جماعات قاصدات المقابر وهن يحملن

سلالا تشبه سلالنا الحالية تماما وقد كدست بنفس الصدقات التى تكدس بها الآن سلالنا. بل الاعجب من هذا ان الفقير أو السائل اذا طلب فقال «ادينى حسنة يا ست» وضعت هذه الست يدها فى سلتها وأخرجت منها خبزا فأعطته للسائل أو للمقرىء الذى يتلو القرآن الى جانب المقبرة وهى تقول له «خد كعكا أو خد حسنة على روح فلان» فمن منا يستطيع أن ينكر أن عبارة «صدقة على روح فلان» التى نستعملها الآن هى بعينها ترجمة حرفية دقيقة لعبارة «حتب - ن - كا - ن» التى كان يستعملها المصريون القدماء. فكأننا لم نحتفظ فقط بالعادات ، بل احتفظنا أيضا بنفس الالفاظ فى أدق تعبيراتها وجزئياتها ...

ونحن نوزع الآن الخبز والصدقات على الفقراء والفقهاء الذين يتلون القرآن الى جانب القبرة ، وكلما زدنا الفقهاء اعطاء زادونا قراءة وتلاوة ، وهكذا كانت الحال فى مصر القديمة ، توزع القرابين على الفقراء والكتبة وغيرهم من الكهنة ممن كانوا يرددون تلاوة الادعية والطقوس فى المقبرة

ونرى الآن على شاهد المقبرة تعريفا بالميت وتعدادا لمناقبه ، وتنتهى الكتابة بالعبارة المألوفة «الفاتحة على روحه». أما فى عصور الفراعنة فكان شاهد القبر عبارة عن لوحة من الحجر أيضا يذكر عليها اسم الميت وألقابه ومناقبه وما قام به من أعمال فى حياته ، وتنتهى بطلب قراءة الادعية والصلوات على روح الميت ...

ويعتقد العوام منا الآن ان روح الموتى تعود الى قبورها فى يوم الطلعة حيث تنتظر رؤية ذويها وأقاربها هناك . فهذا الاعتقاد أصله ان المصريين القدماء كانوا يعتقدون ان روح الميت تأتى على شكل طائر يسمى بالمصرية القديمة «با» وينزل الى غرفة دفن الميت بالمقبرة لتتحد مع الجسم الراقد هناك . ولدينا مناظر تمثل هذا الاعتقاد القديم وردت فى كتاب الموتى . ومما يدخل فى هذا الباب أن هناك اعتقادا سائدا بين الفلاحين سمعته من الكثيرين منهم يتلخص فى أن الذاهبين الى المقابر لزيارتها اذا رأوا عددا من الطيور الخضر الصغيرة ترفرف على مقربة من المقابر اعتقدوا ان هذه الطيور هى أرواح الموتى المدفونين هناك . فهذا الاعتقاد الحديث شبيه باعتقادات المصريين القدماء

ويدهشنا اليوم أن نرى البعض منا قد أنفق على اعداد مقبرته وحوشها آلاف الجنيهات «فركية» المقبرة من الرخام الفاخر ، والغرف المجاورة تفرش بأفخر الاثاث والطنافس ، والثريات تنتشر فى غرف الحوش تبدل ليلها نهارا ، وآلة التليفون تنصب فيها يقرع جرسها فيشعر المرء باستمرار بأنه لا يزال على اتصال بالعالم الخارجى ، بل غالى البعض حتى جعل من حوشه قصرا فاخرا تام المعدات . فهذا البذخ فى اعداد المقبرة ورثناه عن المصريين القدماء الذين كانوا يعملون جاهدين طوال حياتهم فى اعداد مقرهم الاخير بكل البذخ والابهة التى يتصورها عقل والتى تبهر أنظارنا الآن بما احتوته المقابر القديمة من نقوش ورسوم ومعمار تخطف الابصار وتخلب اللب . أما العجب العجاب فهو ما اعتاد المصريون القدماء دفنه مع جثة الميت من حلى وجواهر وأثاث جنازى وملابس

وذهب يفوق حد الوصف . والعجيب ليس هو دفن هذه الاشياء مع الميت فى عصر الفراعنة ، وانما الاعجب هو اننا لا نزال نفعل هذا الى الآن وبخاصة فى قرى الوجه القبلى . وهاكم ما كتبه المقطم الصادر فى مساء السبت ٢٨ يوليه سنة ١٩٣٤ لمكاتبه فى قنا تحت عنوان (سرقة جثة وجيه من وجهاء نقادة من المقبرة) :

« توفى وجيه من وجهاء نقادة التابعة لمركز قوص من نحو سنتين وكان فى مرتبة قمص فى كنيستها ـ وبلغنى ان لصوصا جرأوا على سرقة جثمانه بتابوته كاملا بالملابس والعصا والحلى وما هو معتاد وضعه مع الميت ، وأبلغت الحادثة الى المديرية ورئاسة نيابة قنا والمطرانية فيها والبطريركية بمصر

والبحث يدور لمعرفة الجناة الآثمين »

***

وهناك طائفة أخرى من العادات الصغيرة تمر بنا دون أن نلقى اليها بالا . فهل فكر أحد لماذا يجلس الرجال ويجتمعون وبخاصة فى القرى أمام باب المنزل بعد العودة من تشييع الجنازة ؟ بذا جرت العادة ، ولكنها هى العادة القديمة الفرعونية ، ألم يقل أحد موظفى الدولة الحديثة فى خطاب وجه فيه الكلام الى زوجته المتوفاة ما يأتى : « ولقد بكيتك كثيرا مع غيرى من الرجال أمام باب منزلى »

وننحر الآن الذبائح عند المقبرة أو تحت نعش الفقيد ، ولكن أليس هو « سنوحى » الذى قال فى قصته منذ آلاف السنين أن « الذبائح قد نحرت عند باب مقبرتك » ؟

لقد اعتدنا الآن أن نحمل طاقات الزهور وسعف النخل فى الاحتفالات الجنازية ، وأن نضعها على المقابر عند الطلعة ، بل على كفن الميت عند الدفن ، ولكن ألا تكفينا رسوم قدماء المصريين التى تركوها لنا فى مقابرهم برهانا يرينا انهم كانوا يحملون الطاقات وسعف النخل ويضعونها فى مقابرهم كما نفعل الآن ؟

ويفاخر الرجال بيننا بأنهم أخلصوا لزوجاتهم الاخلاص كله فلم يتزوجوا بعد موتهن ولكن أليسوا هم خلف المصريين الاقدمين الذين قال أحدهم فى خطاب محفوظ الآن بمتحف ليدن ما يأتى : « وعندما وصلت منفيس لم أتوان عن الذهاب توا الى مقبرتك ثم بكيتك كثيرا أنا وأهلى وعشيرتى أمام منزلى . أنظرى ، لقد انقضت على ثلاث سنوات حتى الآن ، وأنا كما أنا لم أتزوج ، ولو أن هذا على شديد »

محرم كمال



منظر يمثل نقل تابوت الميت عبر النهر وقد وضع في قارب أحاطت به نساء أسرته وهن يولولن . ويسبق القارب قوارب أخرى تراصت عليها النسوة النادبات النائحات . وفي أسفل الصورة منظر يمثل طقوس نقل الميت الى المقبرة واطلاق البخور ورش الماء وتلاوة الادعية حول تابوته (اقرأ مقال « ما ورثناه من العادات الجنازية عن قدماء المصريين »)

أطباء مصر

من عهد محمد على باشا الى الخديو اسماعيل

مجموعة نادرة لم يسبق نشرها

بدأت نهضة الطب فى مصر بتلك النهضة العلمية التى بدأها المغفور له محمد على باشا الكبير ، فقد وجد الحاجة داعية الى تخرج عدد من الاطباء المصريين يخدمون جيشهم وبلادهم ، فأختار مائة طالب متفوق من طلبة الازهر ، وأنشأ لهم مدرسة الطب بابى زعبل سنة ١٨٢٧ لوجود المستشفى العسكرى فى تلك الضاحية فى ذلك الحين

وبعد خمس سنوات تخرجت الطائفة الاولى من هذه المدرسة ، فاختار منها عشرين أبقى ثمانية منهم في المدرسة بوظيفة معيدين للدروس ، وأرسل اثنى عشر الى باريس لاتمام علومهم ، أما الباقون فقد وزعوا على المستشفيات وفيالق الجيش

وفى سنة ١٨٣٨ عادت البعثة الطبية الأولى من باريس ، وكانت مدرسة الطب والمستشفى قد نقلا الى القاهرة ، واختير لهما « قصر العينى » فالحق أعضاؤها بالمدرسة والمستشفى مدرسين لفنون الطب

وقد استمرت النهضة الطبية فى التقدم منذ ذلك الحين ، وعنى بها خلفاء محمد على ، فظهر فى عهد عباس باشا الاول ، ومحمد سعيد باشا ، والخديو اسماعيل ، طائفة كبيرة من خيرة الأطباء المصريين النوابغ . وقد تفضل سمو الأمير الجليل عمر طوسون ، فاهدانا هذه المجموعة النادرة من صور الأطباء الذين عاصروا هذه العهود ، ننشرها فيما يلى :



محمد شافعى بك



محمد على البقلى باشا


محمد الشباسى بك


محمد السكرى افندى

عهد محمد على باشا

١ ـ محمد شافعى بك

تلقى علومه بمدرسة الطب بأبى زعبل ثم بعثه المغفور له محمد على باشا الى فرنسا فى نوفمبر سنة ١٨٣٢ م لاتقان علومه بها . وعاد منها الى مصر فى سنة ١٨٣٨ م . وعين فى مدرسة الطب معلما للامراض الباطنية وترقى الى ان صار رئيسا لها سنة ١٨٤٧ م . وهو اول مصرى تولى رياستها . وقد نال رتبة البكوية . وادركته الوفاة حوالى سنة ١٨٧٧ م

٢ ـ محمد على البقلى باشا

ولد فى قرية زاوية البقلى من مركز تلا من مديرية المنوفية فى سنة ١٨١٥ م . وتلقى علومه بمدرسة الطب . ثم بعثه المغفور له محمد على باشا الى فرنسا فى نوفمبر سنة ١٨٣٢ م لاتقان علومه بها . وعاد منها الى مصر فى سنة ١٨٣٨م فعين فى مستشفى قصر العينى باشجراحا واستاذا فى عمليات الجراحة الصغرى والكبرى والتشريح الجراحى . وارتقى الى ان صار رئيس المستشفى ومدرسة قصر العينى . ونال رتبة الباشوية . واستشهد فى حرب مصر مع الحبشة فى عهد المغفور له الخديو اسماعيل باشا سنة ١٨٧٦ م

٣ ـ محمد الشباسى بك

تلقى علومه بمدرسة الطب بابى زعبل . ثم بعثه المغفور له محمد على باشا الى فرنسا سنة ١٨٣٢ م لاتقان علومه بها . وعاد الى مصر فى سنة ١٨٣٨ م فعين فى مدرسة الطب معلما للتشريح الخاص والتحضير وتقلب فى وظائف كثيرة . ولما انشئت شركة قناة السويس اختارته


مصطفى النجدى بك


سالم سالم باشا



محمد بدر بك



خليل النبراوى بك

طبيبا لوظيفها . ثم اعتزل هذا المنصب ونال رتبة البكوية . وادركته الوفاة فى ١٤ يونيه سنة ١٨٩٤ م

٤ - محمد السكرى افندى

تلقى علومه بمدرسة الطب بابى زعبل . ثم بعثه المغفور له محمد على باشا الى فرنسا سنة ١٨٣٢ م لاتقان علومه بها . وعاد الى مصر فى سنة ١٨٣٨ م وعين معلما فى مدرسة الطب

عهد عباس باشا الاول

٥ - مصطفى الجبرى بك

ولد بمركز ههيا من مديرية الشرقية سنة ١٨٢٢ م . وتعلم فى مدارس مصر . ثم ارسله المغفور له عباس باشا الاول الى النمسا فى سنة ١٨٤٩ م لتعلم الطب بها . ولما اتم علومه عاد الى مصر فى سنة ١٨٥٥ م فى عهد المغفور له سعيد باشا وعين طبيبا بالجيش المصرى . وتقلب فى عدة وظائف كانت آخرها حكيمباشى الجهادية . وقد نال رتبة البكوية وتوفى فى ٢٨ ديسمبر سنة ١٩١٢

٦ - سالم سالم باشا

ولد بالقاهرة سنة ١٨٣٢ م . وتلقى علومه بمدرسة الطب بابى زعبل . ثم ارسله المغفور له عباس باشا الاول الى النمسا فى سنة ١٨٤٩ م لاتمام علومه الطبية بها . ثم عاد الى مصر فى سنة ١٨٥٥ م فى عهد المغفور له سعيد باشا وعين فى المناصب الطبية . وترقى الى ان صار معلما اول للامراض الباطنية وحكيمباشى قسم الامراض بمدرسة الطب . ثم عين رئيسا لمجلس الصحة



على افندى شوشة الكبير



أحمد حمدى البقلى بك



محمد درى باشا



محمد عوف باشا

العمومية وعضوا بمجلس المعارف العمومية والطبيب الخاص للخديو توفيق فى سنة ١٨٩٢ م . وقد نال رتبة الباشوية وادركته الوفاة فى ٢٩ ديسمبر سنة ١٨٩٣ م

٧ - محمد بدر بك

ولد بقرية زاوية البقلى من مركز تلا من مديرية المنوفية وتلقى علومه بمدرسة الطب . ثم ارسله المغفور له عباس باشا الاول الى انجلترا فى اكتوبر سنة ١٨٥٠ م لاتمام علومه الطبية بها . ولما عاد الى مصر فى عهد المغفور له سعيد باشا تقلب فى الوظائف الطبية وكان معلما بمدرسة الطب وطبيبا بالسكة الحديد . ونال رتبة البكوية . وقد ادركته الوفاة سنة ١٩٠٢م وهو والد المرحومين الدكتور امين بدر بك وحسن بدر باشا مدير مصلحة خفر السواحل واحمد راغب باشا المستشار بمحكمة الاستئناف

٨ - خليل النبراوى بك

ولد بالقاهرة وتعلم فى مدارس مصر . ثم ارسله المغفور له عباس باشا الاول الى النمسا فى اكتوبر سنة ١٨٥٠ م لتعلم الطب بها . ثم نقل منها الى فرنسا . ولما اتم علومه بها عاد الى مصر فى عهد المغفور له الخديو اسماعيل باشا فعين بالمصلحة الصحية فى اول يوليه سنة ١٨٦٣ م . وقد نال رتبة البكوية . وهو نجل المرحوم الدكتور ابراهيم بك النبراوى احد اعضاء البعثة الطبية الى فرنسا فى حكم محمد على باشا سنة ١٨٣٢ م ورئيس الاطباء فى عهده

٩ - على افندى شوشة الكبير

اصله من بلدة البساتين مركز الجيزة من



محمود ابراهيم بك .



محمد أمين بك


محمد فوزي بك


محمد عبد السميع بك

مديرية الجيزة . تلقى علومه في مدرسة الطب ، ثم ارسله المغفور له عباس باشا الاول الى ايطاليا فى اكتوبر سنة ١٨٥٠ م لاتمام علومه بها . ثم عاد الى مصر فى سنة ١٨٥٧ م فى عهد المغفور له سعيد باشا فعين طبيبا بمستشفى قصر العيني . وتقلب فى وظائف كثيرة كان آخرها حكيمباشي مستشفى الجيش بالعباسية . وقد ادركته الوفاة سنة ١٩٠٣ م . وهو والد محمد بك توفيق شوشة نقيب المحامين باسيوط وجد الدكتور علي بك شوشة وكيل معامل مصلحة الصحة العمومية

عهد سعيد باشا والخديو اسماعيل

١٠ — احمد حمدي البقلي بك

هو من مواليد القاهرة . ارسله المغفور له سعيد باشا الى فرنسا فى يونيه سنة ١٨٦١ م وهو حديث السن . ولما اتم مبادىء العلوم ادخل مدرسة الطب بباريس ونال منها شهادة الدكتوراه فى سنة ١٨٦٨ م . وعاد الى مصر فى عهد المغفور له الخديو اسماعيل باشا وعين معلما بمدرسة الطب . وارتقى فى الوظائف الى ان صار مفتش عموم الصحة . وقد نال رتبة البكوية وادركته الوفاة فى مايو سنة ١٨٩٩ م . وهو النجل الثاني للمرحوم الدكتور محمد علي باشا البقلي الجراح الكبير واحد تلاميذ البعثة الطبية الى فرنسا فى عهد المغفور له محمد علي باشا سنة ١٨٣٢ م

١١ — محمد دري باشا

ولد بالقاهرة سنة ١٨٤١ م . ثم دخل مدرسة الطب سنة ١٨٥٣ م ومكث بها سنتين الى ان اغلقت فألحق باحدى اورط الجيش ثم عين


محمد سالم بك


ابراهيم حسن باشا



ابراهيم صبري بك



حسن محمود باشا



مرضا به . وفي سنة ١٨٥٦ م اعيد فتح المدرسة الطبية فعاد اليها . وبعد اتمام دراسته بها عين فيها مساعدا ومعيدا لاستاذ علم الجراحة . وفي اكتوبر سنة ١٨٦٢ م ارسله المغفور له سعيد باشا الى فرنسا لاتمام علومه الطبية بها . وبعد ان نال شهادة الدكتوراه عاد الى مصر في سنة ١٨٧٠ م في عهد المغفور له الخديو اسماعيل وعين حكيمباشي قسم العطارين بالاسكندرية . وتقلب في الوظائف الطبية الى ان كان جراح باشي بمستشفى قصر العيني واستاذ اول الجراحة والاكلنيك الجراحي بمدرسة الطب . وفي سنة ١٨٩٢ م انعم عليه برتبة الميرميران (باشا) ثم احيل على المعاش وادركته الوفاة في ٢٩ يوليه سنة ١٩٠٠ م

١٢ ـ محمد عوف باشا

هو ابن المرحوم الدكتور حسين بك عوف احد تلاميذ البعثات الى النمسا في عهد محمد علي باشا سنة ١٨٤٥ م وطبيب الرمد المشهور . تعلم في مدرسة الطب بقصر العيني . ثم ارسله المغفور له سعيد باشا الى فرنسا في اكتوبر سنة ١٨٦٢ م لتعلم طب العيون هناك . ونال شهادة الدكتوراه من مدرسة باريس في ٦ يوليه سنة ١٨٧٠ م . وعاد الى مصر في عهد المغفور له الخديو اسماعيل باشا فعين بمدرسة الطب معلما مساعدا لوالده المذكور لعلم الرمد . ثم احيل والده على المعاش وعين مكانه وبقي فيه الى ان احيل على المعاش . وقد انعم عليه برتبة الميرميران (باشا) . وتوفي في سبتمبر سنة ١٩٠٨ م

١٣ ـ محمود ابراهيم بك

اصله من قرية الكداية من مركز الصف من مديرية الجيزة . ولد حوالي سنة ١٨٣٣ م . وتلقى علومه بمدرسة الطب بقصر العيني . وبعد اتمام الدراسة بها عين معيدا لدروس احد اساتذتها . ثم ارسله المغفور له سعيد باشا الى فرنسا في اكتوبر سنة ١٨٦٢ م لاتقان علومه هناك . وعاد الى مصر في اول يوليه سنة ١٨٦٣م في عهد المغفور له الخديو اسماعيل باشا فعين طبيبا بمستشفى قصر العيني . وتقلب في عدة وظائف كانت أخراها حكيمباشي نظارة المعارف العمومية . وقد نال رتبة البكوية وادركته الوفاة في ٢٩ يناير سنة ١٩٠٦ م

١٤ ـ محمد امين بك

تلقى علومه في مدرسة الطب بقصر العيني . ثم ارسله المغفور له سعيد باشا الى فرنسا في اكتوبر سنة ١٨٦٢ م لاتقان علومه الطبية . ثم عاد الى مصر حائزا لشهادة الدكتوراه في اكتوبر سنة ١٨٧٠ م في عهد المغفور له الخديو اسماعيل باشا ، وعين مدرسا لعلم التشريح بمدرسة الطب . وقد نال رتبة البكوية

١٥ ـ محمد فوزي بك

ولد بقرية منية المخلص من مركز زفتى من مديرية الغربية . وتلقى علومه في مدرسة الطب . ثم ارسله المغفور له سعيد باشا الى فرنسا

فى اكتوبر سنة ١٨٦٢ م لاتقان علومه بها . وقد عاد الى مصر فى اول يوليه سنة ١٨٦٣ م بأمر المغفور له الخديو اسماعيل باشا وعين بمدرسة الطب معلما للعمليات الجراحية والولادة . وأخرى الوظائف التى شغلها حكيمباشى قسم الجراحة بمستشفى قصر العينى . وقد نال من الرتب الرتبة الثانية (بك) وتوفى فى ٦ يوليه سنة ١٨٩١ م

١٦ – محمد عبد السميع بك

ولد فى بلدة بنى مزار من مركز الفشن من مديرية المنيا سنة ١٨٢٥ م . وتلقى علومه فى مدرسة الطب . وعين فيها معيدا لدروس الدكتورين محمد على البقلى (باشا) وحسين عوف (بك) الاستاذين بها . ثم عين استاذا بها فى سبتمبر سنة ١٨٥٦ م . وفى اكتوبر سنة ١٨٦٢ م ارسله المغفور له سعيد باشا الى فرنسا ، فمكث بها الى يونيه سنة ١٨٦٣ م ، ثم عاد الى مصر بأمر المغفور له الخديو اسماعيل باشا وتقلد منصب الاستاذية فى مدرسة الطب . ثم عين حكيمباشى بمستشفى قصر العينى . وقد نال رتبة التمايز الرفيعة (بك) وأحيل على المعاش فى سنة ١٨٩٠ م . وتوفى فى ٨ يناير سنة ١٩٠٠ م

١٧ – محمد سالم بك

ولد فى سنة ١٨٤٨ م . وتلقى علومه فى مدرسة الطب . ثم ارسله المغفور له سعيد باشا الى النمسا فى اوائل سنة ١٨٦٢ م لاتقان علومه الطبية بها . ثم نقل منها الى فرنسا حيث اتم علومه بباريس . وعاد الى مصر فى سبتمبر سنة ١٨٦٩ م فى عهد المغفور له الخديو اسماعيل باشا . فعين طبيبا بمستشفى عموم القنال . وتقلب فى الوظائف الطبية بالجيش المصرى الى ان عين مفتشا لعموم مصلحة الصحة . وقد نال رتبة ميرالاى (بك) وادركته الوفاة فى سنة ١٨٩٤م .

١٨ – ابراهيم حسن باشا

ولد فى القاهرة سنة ١٨٤٥ م . وتلقى علومه بمدرسة الطب بقصر العينى سنة ١٨٥٨ م . ثم ارسله المغفور له سعيد باشا الى النمسا فى اوائل سنة ١٨٦٢ م لاتقان علومه الطبية بها . ثم نقل منها الى فرنسا حيث اتم علومه وعاد الى مصر فى نهاية سنة ١٨٦٩ م . ثم ارسله الى ألمانيا لدراسة الطب الشرعى . ورجع الى مصر ثانية فى سنة ١٨٧١ م فى عهد المغفور له الخديو اسماعيل باشا ، فعين مدرسا للطب الشرعى فى مدرسة الطب بقصر العينى . وفى سنة ١٨٨٨ عين مفتشا لمصلحة عموم الصحة وانعم عليه برتبة الميرميران الرفيعة (باشا) . وقد ادركته الوفاة وهو فى اوربا سنة ١٩١٧ م

١٩ – ابراهيم صبرى بك

تلقى علومه بمدرسة الطب بقصر العينى . ثم ارسله المغفور له سعيد باشا الى النمسا فى ابريل سنة ١٨٦٢ م لتعلم العلوم الصحية . ثم نقل منها الى فرنسا لاتمام علومه بها . ولما اتمها عاد الى مصر وعين معلما بمدرسة الطب من اول اكتوبر سنة ١٨٧٠ م فى عهد المغفور له الخديو اسماعيل باشا . وتقلب فى الوظائف ونال رتبة البكوية . واحيل على المعاش سنة ١٨٩٢م . ثم ادركته الوفاة حوالى سنة ١٩١٥ م

٢٠ – حسن محمود باشا

ولد بقرية الطالبية من مركز الجيزة سنة ١٨٤٧ م . وتعلم بمدارس مصر . ثم ارسله المغفور له سعيد باشا الى النمسا فى ابريل سنة ١٨٦٢ م لتعلم العلوم الصحية . وقد ظل بها الى أواخر اغسطس سنة ١٨٦٣ . ثم نقل الى فرنسا فأتم علومه بها ، وعاد الى مصر فى أوائل سنة ١٨٦٨ م فى عهد المغفور له الخديو اسماعيل باشا . فعين مساعد استاذ التشريح بمدرسة الطب . ثم عين رئيسا لها من سنة ١٨٨٩ الى سنة ١٨٩١ م . ونال رتبة الباشوية . وكانت وفاته سنة ١٩٠٦ م

التطبيق العملي
لمشروع السلام الدائم

بقلم الاستاذ نقولا الحداد

فى المقال السابق أبنت أن السلام لا يستتب الا على قاعدة واحدة ، وهى أن تخضع الدول جميعاً لنظام واحد سميناه حينئذ « حكومة الحكومات العليا » التى تخلف « جمعية الأمم » الحالية . لأن فشل هذه الجمعية كان مبيتا لها فى نفس نظامها الذى لم تضمن فيه العدالة ولا سلم من التحيز ولا تدورك فيه استبداد الدول القوية

وقد ختمت المقال بأن دون قيام نظام الحكم الأعلى الدولى هذا الذى يسيطر على جميع حكومات الأمم عقبات ليس ارتقاؤها بالسهل . وأهمها اثنتان : الاولى التجرد من السلاح وتسليم السلطة النافذة ليد الحكومة العليا . والثانية التنازل عن جميع المستعمرات وتولية هذه الحكومة أمرها وتوزيع منافعها على جميع الامم بانصاف

ولا يخفى أن معظم الناس يرون أن إنشاء حكومة عليا على هذا النمط ، انما هو نظرية خيالية ، وان دون تحقيقه خرط القتاد ، ولا سيما فى هذه الآونة الحاضرة اذ أن كبرى الدول الآن فى إبان غيظها وحنقها وحقدها وكيدها بسبب احتدام القتال بينها . فلا يمكنك فى هذه الحال أن تقول لانكلترا أو لفرنسا مثلا « كفي عن القتال وانزعى سلاحك » . فى حين انه لا ضامن لها بأن ألمانيا أو روسيا تحذو حذوها فى الحال . لأن كلا منهن تقول لك : « على أى أساس أطرح سلاحى وأتجرد منه ؟ وأية قوة تكف خصيمتى عن انتهاز هذه الفرصة للقضاء عليّ . فمن السخف أن أسلم عنقي ليد عدوتى وهى تتحين الفرصة لحنقى ؟ فاذا كنت فى زمن السلم لم أطمئن لمروءة عدوتى وشرف كلمتها وصدق وعدها فكيف أستطيع أن أطمئن الآن الى أنها تقابل مسالمتى بمثلها ونحن فى حرب لا نهاية لها الا بالفناء على ما يلوح لنا ؟ »

نقول إذن :

كيف يمكن أن نحول نظرية حكومة الحكومات العليا الى نظام عملى يقمع ثورات الامم ويرد الأمن الدولى الى نصابه وينصب قسطاس العدل بين الدول ؟

للتمهيد لهذا النظام الجديد الذى هو حلم الامم الجميل اليوم لابد من وضع مشروع لازالة أسباب هذه العداوة من أصولها ثم استدعاء الدول المتخاصمة للنظر فيه واقناعها بأن لا سلام للعالم

ولا نجاة لها من الهلاك بهذه الخصومة الا بقبول هذا المشروع وتنفيذه

فما هى أسباب عداوة الدول ؟

علامَ الخصام ؟

أصل الخصومة أولا تنازع ملك الله الأرضى استعماريا

وثانياً استغلال بعض الامم مجهودات البعض الآخر . وكلا هذين الأمرين من تقاليد الاجيال المتقدمة التى كانت فيها الامم الصغيرة تعتقد بأن الحق للقوة ، فكانت تستسلم للقوة بحكم هذه العقيدة . ولكن الاجيال الأخيرة صارت تعلم جيداً ان القوة التى تغتصب الحق اغتصابا انما هى مستمدة من الجماهير نفسها الواقعة تحت ضغط استبدادها . فلم تعد تذعن لهذه القوة المغتصبة بل صارت تبتغى النظام الذى يجعل القوة خادمة للحق والحق عبداً للقوة

أصبحت الامم جميعاً تفهم أن الارض التى تعيش فيها انما هى ملك الله لا ملك أمة دون أخرى، وأن لكل أمة الحق بأن تستغلها لكى تعيش منها . فاذا كانت أمة تدعى ملكية منطقة من مناطق الأرض وتحتكرها لنفسها وتمنع الأمم الاخرى أن تشترك معها فى استغلالها ، فالأمم الاخرى تعتبر هذه الأمة المحتكرة عدوة الانسانية . فلا بدع أن تضمر لها الحقد والضغينة

هذا من حيث تنازع ملك الله . وأما استغلال بعض الأمم لمجهودات البعض الآخر فهو شر من احتكار الاملاك

فليس من أمة مهما كانت منحطة تطيقه الآن ، لأن عقيدة العبودية قد انقرضت من أذهان البشر . فعبثاً محاولة بعض الامم استبقاء الاستعباد والاستبداد والاحتكار والاستئثار

بعد هذا الاجمال لا نستنكر صراخ المانيا « أريد استرداد مستعمراتى » مهما كانت لخصومها حجج بأن لا حق لها فى مستعمراتها بعد أن ضيعتها بحرب انكسرت فيها وكانت هى سببها . لا نستنكر صراخها هذا لأن لها حقا أن تعيش في ملك الله كسائر الأمم ، على أن حقها بالمعيشة لا يسوغ لها حق امتلاك الاراضى واحتكارها كأنه لا يسوغه لغيرها . . وانما هى ذات حجج قوية بهذا الصراخ . فقد ترجم لسان حالها ريموند بيرل فى كتابه « تاريخ اسكان العمران الطبيعى » « Natural History of population » بقوله : الممالك الأربع : بريطانيا العظمى وفرنسا وروسيا والولايات المتحدة : التى يبلغ سكانها ١٦½ بالمائة من سكان المعمور ، والتى مساحة أرضها تبلغ ١٣ بالمائة من سطح الارض ، تسيطر على الحياة السياسية لـ ٤٣ بالمائة من سكان الكرة الأرضية الذين يشغلون ٤٧ بالمائة من سطح الارض »

المانيا ليست من هذه الممالك الأربع ولا تسيطر على غير نفسها . وليس لها غير أرضها تستغلها

لنفسها ، وهى مزدحمة بأهلها كازدحام فرنسا وانكلترا . فهل نستنكر عليها قولها : « انى أريد مستعمراتى ، ولا أسكت الا اذا استرددتها »

ولكن هل رد مستعمرات المانيا لها يرد السلام على الارض ؟

هب انا اقترحنا على انكلترا وفرنسا أن تردا لها مستعمراتها . فبأى منطق نحجهما إذا رفضتا هذا الاقتراح بالحجج التالية :

أولا — ان المانيا خسرت الحرب الماضية بعد أن أخسرتنا من المال والرجال ما يساوى مستعمراتها أضعافا . فقليل عليها أن تدفع مستعمراتها غرامة وتعويضاً

ثانياً — المانيا أثارت الحرب الحالية الثانية واضطرتنا أن ننفق على الاستعدادات الحربية كل مجهوداتنا الاقتصادية . فهل نكافئها على هذا الحمق برد مستعمراتها لها

ثالثا — من يضمن لنا ان المانيا تكف عن الاعتداء اذا سلمنا لها بمستعمراتها حسما للنزاع وحقنا للدماء وتفاديا لاستفحال هذا الشر الجهنمى

ميزان العدل

إذاً ، كيف يمكن الانصاف بين الجانبين أو التسوية بينهما ؟

نقول لألمانيا : لا نرد لك مستعمراتك ولا نترك لغيرك من الدول مستعمراتها ، بل نجردكن جميعاً من مستعمراتكن ، ونضع جميع هذه المستعمرات تحت سيطرة « حكومة الحكومات العليا » وتكونين أنت كغيرك شريكة فى هذه السيطرة . وهذه الحكومة العليا توزع منافع المستعمرات عليكن جميعاً من غير أن تحرم سكان المستعمرات حقهم من تلك المنافع

إن أراضى المستعمرات التى تملكها أوروبا واسعة جداً تسع أضعاف مافيها من سكان . ولكن كل دولة مستأثرة الآن بمستعمراتها فلا تدع شعباً غير شعبها يستغل منها غلة . وشعبها لا يستنفد إلا الجزء اليسير من غلتها . فاذا كانت أبوابها تفتح لمهاجرة جميع الأمم بلا قيد ولا شرط فلا تبقى شكوى لأمة من الازدحام فى أرضها ولا يبقى سبب للتخاصم والتنازع . فاذا كانت المستعمرات الأسيوية والافريقية توضع تحت إدارة حكومة الحكومات الدولية فهذه الادارة العليا تنظم المهاجرة وطرق الاستغلال بحيث توزع المنافع على جميع الأمم بالتساوى ، وهى منافع تزيد على حاجة البشر أضعافاً مضاعفة ، فلا مبرر لاحتكار بعض الأمم لها دون البعض

بهذا النظام الجديد يزول سبب الخصام الذى أفضى الى الحربين السابقة والحاضرة والذى يفضى الى سلسلة حروب لا تنتهى . فمشروع الصلح الذى يرجى منه استتباب السلام ونجاة الأمم من شر القتال المخيف والمبيد ، يجب أن يبنى على هذا الأساس : — اشتراك الدول جميعاً بمنافع المستعمرات ، أعنى يجب أن تكون المستعمرات كلها مشاعاً لجميع الأمم ، وأن يكون لأى فرد من أية أمة الحق

بأن يهاجر الى أية مستعمرة وأن يسترزق فيها وأن يعتبر واحداً من أهلها حالما تطأها قدماه . ويجب أن تكون العلائق التجارية مع كل مستعمرة مباحة لجميع الدول على السواء بلا مفاضلة ولا امتياز ولا شروط . وجرياً على هذا النظام الاشتراكى الدولى يجب أن تزال جميع الحجب الجركية بين الممالك لكى تكون التجارة حرة وتسهل جميع وسائل التقايض والتعامل بين الأمم المختلفة . وبذلك تروج جميع المصالح الاقتصادية وحركة المعامل الصناعية ، فيسود اليسر والرخاء

اطراح السلاح

نأتى الآن الى العقبة الثانية القائمة فى سبيل الحكم الدولى الأعلى ، وهى تجرد الدول من أسلحتها وتسليح الحكومة الدولية العليا . وهى عقبة كؤود ليس بالسهل تذليلها ، ولا سيما فى هذه الآونة التى تشتبك فيها كبرى الدول باستعمال السلاح ، ولكنها مهما كانت صعبة فلا يستحيل تذليلها ، بل هو فى غاية الامكان ، لأن جميع الدول كانت تتمنى أن يتم الاتفاق بينها على التوقف عن التسلح لكيلا تكابد النفقات الباهظة فى التنافس التسليحى الذى أصبح لا نهاية له إلا بنضوب موارد الأمم . والشعوب أنفسها ملت الاستعدادات الحربية التى أرهقتها . حتى اذا نادى مناد بالكف عن التدجج بالسلاح لبته جميع الأمم وهى تتنهد الصعداء آملة بنفض كابوس الحروب عن صدورها . فنزع السلاح هو أمنية جميع الأمم بلا ريب

لما ارتقى هتلر الى منصة الحكم اقترحت بريطانيا على جميع الدول أن تحدد التسليح ، أى أن تقف فيه عند حد معين . ولما حبذت الدول اقتراحها شرعت هى تقلل من سلاحها براً بوعدها . ولكن ألمانيا أبت أن توافق على هذا الاقتراح إلا اذا سمح لها أن تتسلح لكى تساوى الدول الكبرى بسلاحها . فلم تجب الى طلبها هذا لأن معاهدة فرساى كانت تحظر عليها أن تجند أكثر من مائة ألف جندى ، أى أن يكون سلاحها أقل من سلاح غيرها ، فأصرت بعض الدول على إبقائها فى درجة من التسليح دون سائر الدول

بعد ذلك طلب هتلر من دول الحلفاء أن تأذن له بتجنيد ٣٠٠ ألف جندى وهو يضمن السلام عشرين سنة على الأقل . فرضيت انكلترا . ولكن رئيس جمهورية فرنسا عقد مجلساً فوق العادة من كبار ساسة بلاده للنظر فى هذا الطلب فكاد المجلس يقرر قبوله لولا أن دومرج أثار عاصفة ضده فقرر المجلس رفضه . وكانت النتيجة أن هتلر شرع يجيش جيوشه سراً . وما شعر الحلفاء إلا وفى ألمانيا مليون جندى تحت السلاح . وقد آخذت انكلترا فرنسا حينئذ على ذلك الرفض لاعتقادها أنه لو قبلت فرنسا طلب هتلر لأمكن تحديد السلاح عند أدنى حد ممكن

وحاصل ما تقدم أن فكرة نزع السلاح أو التجرد منه عند حد أدنى يلاقى من جميع الدول والأمم هوى فى أنفسها بقيت مسألتان :

أولا ـ كيف يمكن نزع السلاح والدول الكبرى مشتبكة الآن بحرب تعمي البصيرة وتذهب بالصواب . وقد ذهبت بآخر ذرة من الثقة بين الجانبين المتحاربين ؟

ثانياً ـ أية الدول تبدأ بنزع سلاحها لكى تكون قدوة لغيرها ؟

بالطبع لا يمكن إجراء شيء من هذا القبيل اذا لم تتفق الدول المتحاربة على هدنة . والدول المتحاربة لا تتهاون الا اذا عرض لها مشروع صلح يرضى الجانبين ويكفل حسم الحرب ويضمن السلام الدائم بعده . وما من مشروع يكفل هذه الكفالة إلا اذا كان مزيلا لأسباب الخصومة التى ذكرناها آنفاً والتى تجعل جميع الأمم متساوية فى الحقوق الاقتصادية المختلفة

مثلا ، اذا كانت ألمانيا توعد بأن جميع المستعمرات تسلخ من أصحابها وتجعل مشاعاً لجميع الأمم على السواء فلا يبقى لها عذر فى الاضطرار على طلب مستعمراتها . واذا كانت توعد بأن جميع الحوائل التجارية تزال وأن التجارة تكون حرة على الاطلاق ، فلا يبقى لها عذر فى ادعائها الاضطرار للتوسع . واذا كانت توعد بأنها لا تتحمل شيئاً من تبعة هذه الحرب غالبة كانت أو مغلوبة فلا تكابر فى الاسترسال بالحرب ولا يبقى لها عذر فى التعنت بالخصومة

فاذا كانت الدول الكبرى المحايدة تقدم مشروع الصلح على الأساس التالى :

أولا ـ يوضع مشروع « جمعية الأمم » باعتبار أن تكون حكومة دولية عليا مسيطرة على جميع الحكومات

ثانياً ـ تتجرد جميع الدول من أسلحتها إلا ما تحتاج اليه لحفظ الأمن فى داخليتها ، وتقدم كل منها للجمعية ما تفرضه هذه عليها من سلاح برى وبحرى وجوى لتأييد سيطرتها عليها جميعاً

ثالثاً ـ تتنازل كل دولة عن مستعمراتها جميعاً للجمعية نفسها . وهذه تدير شؤون المستعمرات مباشرة لكى تجعلها نافعة لجميع الشعوب

رابعاً ـ يتم نزع السلاح عند جميع الأمم فى وقت واحد بحيث تكون أقواها البادئة فيه على أن يتم هذا التجرد فى أقصر مدة ممكنة كما يتفق عليه الخبيرون

فاذا قدم المتوسطون بالصلح المشروع على هذا النحو بحيث يكون المصير للفريقين المتحاربين ولجميع الدول الاخرى جليا على هذا النمط ، فلا نظن إلا أن الدول المتحاربة تتهادن وتدخل الخصومة فى دور المصالحة والمسالمة

الاعتراضات على المشروع

قد يقول أنصار الحلفاء إنه لا مأمن لوعد ألمانيا بالاذعان لهذا المشروع لأن زعيمها أصبح مشهوراً بوعوده الكاذبة . قد لاتلام ألمانيا اذا أخلفت وعودها لأن الحلفاء نقضوا قبلها عهوداً . وأعظم عهد نكثوا به هو عهدهم لولسون ، فالفريقان سواسية فى نقض العهود

على أن المشروع الذى نحن بصدده لا يقوم بناء على وعود وعهود . بل يقوم على التنفيذ الفعلى فى الحال : ــ تحبيذ المشروع أولا . ثم مهادنة لأجل قصير . ثم تأليف جمعية الأمم أو حكومة الحكومات . ثم الشروع بتسريح الجيوش ونزع السلاح ، ثم تسليح الجمعية الجديدة ، أى حكومة الحكومات العليا بالأسلحة البرية والبحرية والجوية الكافية للسيطرة الفعلية . ثم تسليمها المستعمرات ــ كل ذلك يتم فى بضعة أشهر قليلة من غير تعهدات ووعود . يكفى أن تتألف الجمعية وتتسلح وتستلم مقاليد الامور . فيكون وجودها بالفعل هو العهد الذى لا ينقض

بقيت نقطة جوهرية قد تظن سبباً كبيراً لبقاء هذا المشروع فى حيز النظرية التى يتعذر تحقيقها عمليا . وهى أن كلا من الدول الكبرى ترى نفسها مغبونة فى هذا التدبير الجديد ، ولذلك قد لا تسلم به فيختنق المشروع فى مهده . ويفشل قبل أن يصل الى دور التنفيذ

لا ريب أن هذه نقطة جوهرية قد تحول دون تحقيق المشروع

ولكن الانسانية لم تعدم العقلاء المفكرين (وهم كثيرون) الذين يرفعون أصواتهم حينئذ ويبسطون للساسة وللامم قضايا الحق والعدالة كما يلى :

أولا ــ انه لا يمكن أن يستتب سلام على الارض الا اذا اقتنعت جميع الامم بأنها متساوية فى الحقوق والواجبات وانه ليس لأمة مزية على أخرى . وبالتالى ليس لها حق التفوق على أخرى . ولكن هذا لا ينفى أن نصيبها فى هذه الشركة الدولية يكون مساويا لمجهودها فى قوتها

ان الدولة التى تزعم انها مغبونة هى الدولة التى لا تشاء أن تعترف بهذه المساواة ، وبالتالى هى الدولة التى لا تريد أن تضحى بشىء من أطماعها لأجل السلام العام . والدولة التى تعارض فى هذا المشروع تخسر حلف جميع الأمم . فلا نظن دولة تجسر أن تعارض لئلا تعاديها جميع الامم

ثالثاً ــ اذا كانت كل دولة تعمل حسابها بين التنازل عن مطامعها وبين نفقاتها فى التسابح وخسائرها فى الحرب تجد أن هذه النفقات والخسائر تربى كثيراً على ما تتنازل عنه من مطامعها . وتجد أخيراً أن خضوعها لهذا المشروع أربح وأفيد لها وأضمن لراحتها وهنائها ولسلام العالم

فالمشروع يحتاج الى نخوة الحكماء والعقلاء من جميع الامم لكى يسعوا الى وضعه والتوسل بكل وسيلة لعرضه على الدول المتحاربة

فان لم يجد من الساسة المجاهدين من يسعون فى تنفيذه . واذا كان تنفيذه فاشلا تكون الهيئة الاجتماعية غير ناضجة النضج الكافى للحرص على السلام . وتكون المدنية الحديثة معتوهة وقد يقضى عتهها عليها بفنائها لكى تقوم بعدها مدنية جديدة أصح عقلا منها

أين نبى العالم الجديد الذى يحمل راية السلام ويسير أمام الامم لكى يطرد شيطان الخصام ؟

نقولا الحداد

روح ماجن يملي مقالا..
وروح جاد يحققه ويصححه

أخبار المعمرين في الجاهلية والاسلام

بقلم الاستاذ احمد فهمي أبو الخير

مدير ادارة السينما بوزارة المعارف

الروح الكبير سيلفر بيرش أديب وخطيب وفيلسوف ، أسعدنا الحظ بالاتصال به بعد وفاة أستاذنا المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى أبرز أعضاء دائرتنا الروحية بالقاهرة . وسبق أن ذكرت فى غير مقال ان هذا الروح الكبير كان ملهما لاستاذنا طنطاوى جوهرى فى تلك التواليف الرائعة التى أنضجتها قريحته

ولهذا الروح الكريم كما سبق أن قلت أيضا وسيط فى انجلترا هو الكاتب الخطيب المؤلف هانن سوافر ، وقل أن يمضى أسبوع دون أن تتحف مجلة « سايكك نيوز » قراءها بحديث ممتع لهذا الروح أو دعاء الى الله هو السحر فصاحة وبلاغة وبيانا . وفى كتاب « تعاليم سيلفر برش » البرهان القاطع على صدق ما نقول.وأخاله قد شق عليه ألا يكون له وسيط فى مصر يمكنه من متابعة أداء رسالته التعليمية الاجتماعية بعد انتقال أستاذنا طنطاوى جوهرى الى عالم الروح فبحث حتى وجد له وسيطا فى القاهرة . وما كاد يجده حتى دفع به الينا لتدريبه . ثم ما كاد وسيطه الجديد يتقدم فى وساطته بين غيوبة وجلاء بصرى والهام روحى حتى بدأ يعطينا رسائل هى الادب البليغ المعجز . وما أحراه أن يكون معجزا وهو يجىء على يد هذا الوسيط الجديد محمد أبى سريع عبد الصانع الذى يشتغل فى أعمال بياض الجدران !

وكأن الروح سيلفر برش لمس الشك الذى يساور بعضهم ويملأ صدورهم وبخاصة بعد تلك الضجة الجوفاء التى أثارها أنصاف المتعلمين الذين يجهلون الروحية حول الروحية والروحيين فى مصر ــ كأنه لمس ذلك فرأى ان يختار له وسيطا غير متعلم حتى لا يقال ان الوسيط هو الذى يؤلف ويكتب . ناهيك بمسألة العقل الباطن التى يدخلها المتحذلقون من سيكلوجيين وغيرهم فى كل صغيرة وكبيرة.ولعل قانون تجاذب الاشباه الذى يقول به العلم الروحى الحديث قد انصب على الروح الكبير وعلى وسيطه الصغير من حيث التوافق الاهتزازى لا من حيث التكافؤ العقلى

طرق اعطاء الرسالة

ولاعطاء الرسالة طريق من ثلاث هي التي يتبعها هذا الوسيط : اما بتفوهات الغيبوبة ـ ومعنى ذلك أن يقع الوسيط فى الغيبوبة ثم يملى الرسالة بصوت تختلف نبراته عن نبرات صوته الطبيعي. وقد شهد بصحة غيبوبة الوسيط أبى سريع هذا أكثر من عشرة أطباء بينهم أستاذ فى كلية الطب ، وقالوا انها ليست نوما مغناطيسيا ولا صراعا ولا هستيريا ـ حتى ولا تلك الهستيريا الارادية المستكشفة حديثا فى مصر والتى جعلهم مجرد ذكرها يتضاحكون ويتهامسون وأجمعوا كلهم على انها حالة شاذة بعيدة عن متناول الاطباء ويسرني أن أقول بهذه المناسبة ان بين وسطاء الغيبوبة الذين دربناهم طبيبا حكوميا . واما ان تظهر الرسالة حروفا فردية من نور تنثر على نوع من سبورة معدة لذلك ، ويرى الوسيط هو وأصحاب الجلاء البصرى هذه الحروف ثم يمليها علينا بسرعة حرفا حرفا لانها سريعة الاختفاء . ثم بعدئذ نكون نحن الكلمات فالجمل . واما أن يمسك الوسيط بالقلم ويكتب فى غيبوبته تارة وفى صحوه تارة أخرى وكأن قوة خارجية تحرك يده فى غيبوبته ، أو ممليا يملى عليه فى صحوه فيدون ما يملى عليه مستغرقا فى الكتابة زمنا طويلا لا يتناسب وحجم الرسالة . والرسالة التى نحن بصددها جاءت بالنوع الاخير

كيف تلقى الوسيط الرسالة ؟

قصد الوسيط الى داره بعد انفضاض الجلسة التى عقدناها فى مساء السبت الموافق ٤ مايو سنة ١٩٤٠ وما كاد يرقد فى فراشه حتى نهض وأخرج من تحت الوسادة قلما وورقا ، ثم ذهب الى مائدة فوقها مصباحه البترولى وأخذ يكتب . وبعد أن كتب ما كتب جعل يقرأ ما كتبه وهو دهش مأخوذ . وجعل يقول لنفسه « أنا أكتب هذا ؟ من ذا الذى يصدقنى ؟ اننى لا أفهم هذا الذى أكتبه ولا أعرفه . ومن الالفاظ والعبارات ما لم يجر على لسانى قط وما أعجز حتى عن مجرد قراءته لا ادراكه . من مصدقى ؟ من مصدقى ؟ »

وجاءنى فى غروب يوم الاحد التالى يحمل الى ما كتبه بطريق الالهام والاملاء . وما كدت أقرأه حتى دهشت . شأنى فى كل رسالة جاءنى بها من قبل . ورحت أسأله سؤال المستريب قلت : « ألم تقرأ كتبا فى هذا المعنى ؟ انك تقرأ وتكتب ولا يبعد أن تكون قرأت مثل هذا فى زمن سالف ... »

وذكرت وأنا أسأله هذا السؤال حالات العقل الباطن ...

قال : « كلا وأنا ان قرأت فلا أقرأ الا قصة يفهمها العامل مثلى »

ولكى يقطع الطريق على كل شيء أقسم بالطلاق ثلاثا على صحة ما أدلى به الينا من بيانات خاصة بهذه الرسالة . وهذا قسم عظيم عند أمثال أبى سريع ـ وعنده هو بنوع خاص لاستقامته وحبه لزوجته

التحقيق فى امر الرسالة

حرت فى الامر واعتزمت أن أتحراه قبل كل شيء ، وجعلت تحقيقى ينصب على ثلاثة أمور :

(١) البحث فى موضوع الرسالة ثم التنقيب فيها بعد عثورى عليها

(٢) الالتجاء الى الارواح أنفسها

(٣) التحقق من شخصية الروح مملى الرسالة

فأما عن الكتب التى فى موضوع الرسالة فقد مضيت أسأل صحبى عن كتب فى موضوعها فأرشدونى الى اثنين : « كتاب المعمرين » لأبى حاتم السجستانى ، و « كتاب بلوغ الأرب » للألوسى • فجئت بهما وراجعت المعلومات الواردة فى الرسالة على ما جاء فيهما • وقد وجدت بونا شاسعا فى العبارات فضلا عن خلاف فى سنى المعمرين • وعدا هذا وذاك لم أعثر فى كتاب واحد منهما على جميع الاسماء الواردة فى الرسالة • بل ان من الاسماء ما لم يوجد فى كليهما • وتبينت ان الالوسى فى كتابه قد أخذ عن كتاب السجستانى ، فاتصلت بأستاذنا الكبير محمد فريد وجدى وسألته العون فى هذا الصدد ، فاستمهلنى فترة وبعدها أخبرنى انه لا يوجد الا « كتاب المعمرين » للسجستانى • وطلبت العون من سعادة الدكتور فارس نمر باشا فلم تمكنه مشاغله العديدة من اسعافى • ووقفت عند ذلك • ورأيت أن أنتقل الى المرحلة الثانية وهى الالتجاء الى الارواح أنفسها

وفعلا لجأت الى الارواح استلهمها الحقيقة ولدى من الوسطاء كثيرون • فاخترت وسيط الكتابة التلقائية • ومعنى الكتابة التلقائية أن يهيمن روح على يمنى الوسيط لاجسمه كله فيحركها رغم أنفه وهو ممسك القلم ويكتب ما يريده هو (أى الروح) لا ما يريده الوسيط • فاذا قاوم انكسر القلم وأحست يمناه بتعب شديد • وبدأت أقرأ الرسالة لاصلح ما لم أكن تثبت من كلماتها • وحضر التجربة وسطاء الجلاء البصرى ، فرأوا روح طنطاوى جوهرى واقفا بجوار الروح المهيمن على يمنى وسيط الكتابة التلقائية يستمع الى التصحيح ويشترك فيه

وبهذه الطريقة صححنا ما أخطأ الوسيط فى تهجئته • وقد فسر لنا الروح ما خفى علينا من معنى مقصود • ثم اذا بالروح يوجه الحديث الى قال :

« يا سيد أحمد • لاحظ أن من يريد أن يكتب مثل هذه المقالة لا بد أن يذهب الى دار الكتب ويبحث فيها شهرا على الاقل ••• (امضاء) ابرآم »

وابرآم هذا روح عظيم لم يحن الوقت للافصاح عنه • هو المكلف بالرد على ما نريد الاستفسار عنه • فهو بمثابة رئيس مكتب الاستعلامات فى عالم الروح • وكم كان جميلا منه لما أعياه الجواب فى توضيح بعض الكلمات أن يستأذن فى التغيب لحظة ، انقطعت خلالها الكتابة التلقائية واسترخت يد الوسيط ، ليستوضح فى غضونها الروح سيلفربرش

كاد ينتفي لدى الشك ، ولكن « ليطمئن قلبي » لجأت الى وسيط ثالث من وسطاء دائرتنا ، والروح المهيمن على هذا الوسيط يسمى نفسه عبد اللطيف . ومن أعمال هذا الروح العظيم أن يجلب الينا أى روح نود مخاطبته ولو كان الروح المطلوب روح شخص موجود فى دنيانا لم ينتقل بعد الى عالم الروح . وكل ما يشترط عندئذ أن يكون ذلك الشخص غافيا ـ فى سنة من النوم أو واقعا فى غيبوبة . والسيد عبد اللطيف هو الروح الذى كان يهيمن على المرحوم الشيخ سليم الطهطاوى والمرحوم الساحر الوسيط هوديني غفر الله له . وقد حضر هذان الروحان فى احدى جلساتنا ووصفهما لنا أصحاب الجلاء البصرى الوصف الدقيق . الاول يستمتع براحة الضمير والثانى فى أغلاله يعانى من توبيخ الضمير عذابا أشد من عذاب الجحيم

وكان الوسيط أبو سريع موجودا . فلما بسطت الامر للسيد عبد اللطيف عند حضوره ، وطلبنا أن يرى أصحاب الجلاء البصرى ما تم مع أبى سريع عند تلقيه الرسالة أجاب الطلب ، واذا بأبى سريع يقع فى الغيبوبة فجأة ، واذا بالسيد عبد اللطيف يطلب بلسان وسيطه الى الوسيط صاحب الجلاء البصرى أن يصف ما يرى . قال ونحن مدهوشون لما يقول : ـ

« أرى أبا سريع يدخل داره . ها هو يستلقى على سريره . انه ينهض ثانيا . انه يخرج من تحت الوسادة قلما وورقا ويذهب الى المنضدة بجوار المصباح . انه يكتب . انه يقرأ . انه يتعجب . انه يضرب كفا على كف . انه يطوى الورق ويعود الى فراشه . انه ينام »

ثم التفت الى أبى سريع الواقع فى الغيبوبة فاذا به لا يزال نائما . وتحسست جسده فاذا به متصلب متيبس كأنه قد من الصخر . ثم اذا به يفيق بعد فترة . فسألته أين كان فقال : « لا أدرى .. لقد نمت ثم استيقظت »

ومن هذا يتضح أمران : أولهما : ان أبا سريع لم ينقل من كتاب ، والثانى ان الروح الملى لم يظهر لوسطاء الجلاء البصرى . وقد سبق ان أجريت هذه التجربة مع بعض صحبى ممن ليسوا وسطاء فنجحت التجربة نجاحا تاما ، وأجريتها مع وسيط أثناء هيمنة روح عليه فظهر الروح بجواره . فلماذا لم يظهر الروح الملى ؟

رأيت الاستزادة من البينة عن طريق الحروف المضيئة من الروح سيلفر برش نفسه ، فالرسالة منسوبة اليه . واذا به فى جلسة الثلاثاء الموافق ٧ مايو سنة ١٩٤٠ يعطينى رسالة بالحروف المضيئة ، رآه أصحاب الجلاء البصرى واقفا يكتب . وقد أملانى الحروف النورية الوسيط أبو سريع نفسه . وهذه هى رسالة الحروف النورية : ـ

« بيرش يتكلم

« الى السيد احمد أبو الخير

« يسرنا جميعا نحن معشر الارواح نشر كل ما يصل اليك . ولكن لا نود الاسراع

بنشر هذه الرسالة الصغيرة فانتظر قليلا • وسنعطي رسالة أقوى ولكن اعدد هذه للطبع وانتظر أوامر أخرى • ولك منا أن نرشدك لكل ما أنت راغب فيه والسلام = »

وعلامة التساوي علامة انتهاء الحديث كما أخبرنا

وتسلمت فعلا قبل هذه الرسالة ثم بعدها رسائل أخرى • واحدة بعنوان « واجب الوسطاء ومن يريد العلم » ، وثانية في التحذير والنصح عنوانها « تحذير ونصائح » ، وثالثة عن الاطباء في مصر وعنوانها « من عالم الروح الى احمد أبو الخير » ، وهذه لن أنشرها ، وقد قال لنا بالحروف النورية عن هذه الرسالة وذلك في جلسة الخميس الموافق ٩ مايو سنة ١٩٤٠ — « ان شاء الله سنخبرك عن كل طبيب يشتغل بالروحية وبأسماء كل من يشتغل بهذا العلم • فانتظر قليلا • وسنعطي لك رسالة ستكون الفتح في نشر الروحية • وبعدها ستكون الرسالة التي سبق أن قلنا لك أن تعدها للطبع • وسيكون لك في كل أسبوع رسالة ان شاء الله •• »

ورابعة من روح ثروت باشا الى الحوارين المتشائمين بعنوان « نصيحة » وقد نشرها المصور في العدد رقم ٨١٦ الصادر بتاريخ ٣١ مايو سنة ١٩٤٠ وقد أملاها بيرش عن ثروت باشا

وسرنا في جلساتنا كالمعتاد الى أن كانت جلسة الاحد ١٩ مايو سنة ١٩٤٠ ، وكان التخاطب فيها بتفوهات الغيبوبة ، فقلت له : « لقد عثرت على كتابين اثنين في موضوع المعمرين ولم أعثر فيهما على نص الرسالة »

قال : « هناك كتاب ثالث »

قلت : « وما اسمه ؟ »

قال : « سأخبرك به في جلسة قادمة لاننا ما زلنا نبحث معك »

لم أفهم من ذلك الا أن الرسالة سليمة ، فارسلت الى « الهلال » بما انتهيت اليه وكان ذلك في أواخر الاسبوع الثالث من شهر مايو

وفي جلسة الجمعة ٢٤ مايو قال لي بتفوهات الغيبوبة : « لقد عثرنا على الكتاب واسمه (المستطرف في كل فن مستظرف) للشيخ أحمد الابشيهي »

قلت : « وماذا في هذا الكتاب ؟ »

قال : « المقال بحذافيره • ألم أقل لك انتظر أوامر أخرى ؟ »

قلت : « ولكني لم أفهم من كل ما مضى ان المقال ليس منك »

قال : « نعم • ولقد أخفيت هذا حتى عن زملائي الارواح • لاني لم أشأ ان يتسرب اليكم شك في صدق وسيطي ، ولكي لا يحزن ويخجل فلا يريكم وجهه • لقد املاه اياه روح ماجن هو روح خاله محمود عبد القادر الذي توفي محروقا • ولقد عوقب على فعلته تلك • وغدا حين تطلع على كتاب المستطرف سيتضح لك صدق قولي »

وهنا رأيت ان انتقل في بحثي الى المرحلة الثالثة • وهي التحقق من شخصية هذا

الروح الماجن . فسألت الوسيط عن خاله هذا فصادق على كل ماذكره سيلفر بيرش بصدده فسقط في يدي ورأيت ان أطلع على كتاب المستطرف أولا فاذا وجدت المقال فيه استرددت من « الهلال » ما بعثت به اليه . واستعرت الكتاب في صبح السبت التالي من مكتبة وزارة المعارف ، واذا بي أجد المقال بحذافيره .. وقد لاحظت خطأ تكرر في التهجئة مما يدل على أن الوسيط لم ينقل من الكتاب . وعلى الفور استرددت مقالي من «الهلال» حتى يتم تحقيقي . وقد زدت ايمانا بأن عالم الروح كما انه يضم الكثيرين من أهل الحجا والعقل يشتمل على مجموعة من أهل الخرق والمجون والغرور

واعتزمت بعد ذلك أمرا . ان يحضر ذلك الروح الماجن لنتأكد من شخصيته بناء على وصف أصحاب الجلاء البصري له . وقد تم ذلك وصادق ابو سريع على أوصاف خاله والوسيط يجهل الامر . ثم رأيت بعدئذ ان يحقق لنا الروح سيلفر بيرش المعلومات الواردة بالمقال وذلك لما بينها وبين ما جاء في كتاب السجستاني من خلاف

ولقد استمهلنا الروح أياما لانه رأى ان يقابل هؤلاء المعمرين أو يتصل بهم فردا فردا . وحدد الثلاثاء الموافق ٤ يونية لكي يسلمنا التصحيح والتحقيق المطلوبين . ونرى لزاما علينا بعد كل هذا ان نثبت اولا المقال كما أملى على الوسيط من ذلك الروح الماجن ، وكما كتبه الوسيط بأغلاطه ، وبعد ذلك اردف هذا كله بالتصحيح والتحقيق اللذين قام بهما الروح سيلفر بيرش . وهذا هو المقال المملى أولا :

أخبار المعمرين في الجاهلية والاسلام

قال الحسن رضي الله عنه : افضل الناس ثوابا يوم القيامة المؤمن المعمر . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا انبئكم بخياركم . قالوا : بلى يا رسول الله ، قال :أطولكم أعمارا في الاسلام اذا سددوا (١) . وزعموا ان تبعا الفزاري كان من المعمرين ، وانه دخل على بعض خلفاء بني أمية فسأله عن عمره فقال : عشت اربعمائة سنة وعشرون (صحتها وعشرين) في فترة غيسى ابن مريم (٢) عليه السلام في الجاهلية ، وستين في الاسلام . قال له اخبرني عن ما (وصحتها عما) رأيت في سالف عمرك . قال : رأيت الدنيا ليلة في اثر ليلة ويوما في اثر يوما (وصحتها يوم) ، ورأيت الناس بين جامع مال مفرق ومفرق مال مجموع . وبين قوي يظلم وضعيف يظلم ، وصغير يكبر وكبير يهرم ، وحي يموت وجنين يولد ، وكلهم بين مسرور بموجود ومحزون بمفقود ، وقد قال ابن الجوزي ان آدم عليه السلام عاش ألف سنة ، وعاش ابنه شيث تسعمائة سنة ، وعاش ابنه مهلاييل ثمانمائة سنة (هذه الكلمة زائدة) وخمسا وتسعون (صحتها وتسعين) سنة ،

---

(١) فسرت الارواح هذه الكلمة قالت : « اى سددوا ما عليهم من دين لربهم »

(٢) جرى العرف على اهمال حرف الالف من كلمة ابن اذا وضعت بين اسم الابن والاب - ولكن الوسيط اثبتها في جميع الحالات

وعاش ابنه ادريس ثلثمائة وخمسا وتسعين سنة ، وعاش ابنه هود تسعمائة واثنين (وصحتها واثنتين) وستين سنة ، وأما ابنه نوح عليه السلام فروى عن عبد الله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما انه قال : عاش نوح عليه السلام ألفا واربعمائة سنة وخمسين عاما . وأما الخضر عليه السلام واسمه خضرون فهو أطول بنى آدم عمرا . وذكر ان لقمان عليه السلام عاش ثلاثة الف (وصحتها آلاف) وخمسمائة سنة ، وكانت العرب لا تعد من الاعمار الى (وصحتها الا) ما بلغ مائة وعشرين سنة فما فوقها . وعاش اكثم ابن صيفى ثلثمائة وستين سنة وأدرك الاسلام . وعاش سطيح سبعمائة سنة . وعاش قس ابن ابن (هكذا كما كتبها الوسيط) ساعدة الايادى سبعمائة سنة ، وكان من حكماء العرب . وعاش لبيد ابن ربيعة الشاعر مائة وعشرين سنة وادرك الاسلام . وعاش دريد ابن الصمة مائة وسبعين سنة حتى سقط حاجباه على عينيه وأدرك الاسلام ولم يسلم . ومن المعمرين عدى ابن حاتم الطائى وزهير ابن جنادة عاشا مائتين وعشرين سنة . ومن المعمرين ابن ذوى الاصابع العزرى (وصحتها ومن المعمرين ذو الاصابع العذرى) ، عاش مائتين وعشرين سنة ، وهو أحد حكماء العرب فى الجاهلية ، ومن المعمرين عمر ابن معد يكرب الزبيدى (وصحتها عمرو) ، ومن المعمرين المسيح ابن نفيلة (وصحتها عبد المسيح) عاش ثلثمائة وعشرين سنة وأدرك الاسلام . وقد رأيت رجلا من محلة (وصحتها أهل محلة) مسير بالغربية وذكر انه بلغ من العمر مائة واربعين سنة ، وان امرأته بلغت من العمر كذلك . ولقد رأيت منه ما لم أره من بعض الشبان (وصحتها شبان) هذا العصر فى القوة وشدة البأس ، ورأيت له ولدا شيخا وهو أشد قوة من والده (وصحتها ولده) وذلك فى صغر سنه تسعة وعشرون (وصحتها تسع وعشرين) وثمانى مائة (وصحتها وثمانمائة) والله أعلم (وصحتها والله سبحانه وتعالى أعلم)

والى هنا ينتهى المقال الذى أملاه الروح الماجن ونسبه الى الروح سيلفر بيرش كما مر بنا ، وقد استغرق ابو سريع فى كتابته اكثر من ساعتين

وقبيل غروب يوم الثلاثاء الموافق ٤ يونية سنة ١٩٤٠ جاءنى ابو سريع وفى يده المقال الذى تلقاه بالالهام وظل يكتب فيه من منتصف الليل الى الساعة السادسة من صبح ذلك اليوم (الثلاثاء) . فقرأته وزدت دهشة واعجابا . ولم يبق على بدء الجلسة الا قليل ، وفى هذه الجلسة التى حددها سيلفر بيرش سنعرف كل شئ .

وعقدت الجلسة بعد غروب ذلك اليوم ، وخاطبنا سيلفر بيرش بتفوهات الغيبوبة ووسيط الجلاء البصرى يراه هو وصحبه الارواح ، وأبنأنا بأنه هو ممل الرسالة الجديدة ، وانه بر بوعده . ثم قال : « والآن فلنتصافح » فصافحته وأنا فى غاية التأثر وجددنا العهد على الوفاء والاخلاص ، ثم أخطرنا بعقد جلسة الكتابة بالحروف النورية على الفور

وعقدت على الفور الجلسة باشراف الروح السيد عبد اللطيف ، واذا بنا نتلقى بالحروف المضيئة الرسالتين التاليتين . الاولى من روح طنطاوى جوهرى والثانية من الروح المسمى

نفسه « هوايت ايجل » • وصاحب الجلاء البصرى يراهما هما ومن معهما من الارواح • وقد رآهما وهما يكتبان • وقال طنطاوى جوهرى :

« جوهرى يتكلم

« السلام عليكم • نحن جميعا سررنا جدا لتصحيح الرسالة وكنا مباشرين الوسيط فى اثناء الكتابة وان شاء الله ستكون فاتحة خير لدائرتكم • والآن سيتكلم معكم ايجل »

وقال ايجل من ضمن رسالته :

« السلام عليكم

« ايجل يتكلم •• أما من جهة الرسالة فانها قد صححت الآن ونبشركم بالفلاح القريب •••• »

وفيما يلى صورة ذلك المقال البليغ العظيم الذى صحح به الروح بيرش الجاد ما أراد أن يوقعنا فيه الروح الماجن الهازل :

تحقيق بيرش وتصحيحه

أخى • ألا حيا الله الصمت وخلده ولا حيا الله الجلبة والضوضاء والصخب • ما أعظم الرجل الصامت وما أجل مقداره • أرأيت اذا أجلت بصرك فى هذا العالم اللجب الصخاب وفى كلماته الخالية من المعانى وفى أعماله الخاوية من الفوائد ، أفلا يلذ لك أن تتعشق جمال الصمت ؟ ولكن اذا جاء دور العمل وواجهتنا الحقيقة المرة الاليمة نبادر نحن الارواح لتذليل هذه الحقيقة وفك معضلتها وللاخذ بناصيتها والقبض على زمامها واستثمارها لمنفعة هذه البلاد بالروحية • كما واننا رأينا بعضا من الارواح أرادت أن تعمل على فشلنا فألقوا عليكم الرسالة السابقة • فهذه نظريات مستحيلة ومنطق أجوف • يرسلون سهامهم الطائشة على هيكل تلك الحقيقة فتزل من فوق سطحها وتتزلق عن أديمها الاملس الذى كأنه جلدة الافعى • وكذلك تستمر أفعى الحقيقة سائرة فى طريقها سليمة مصححة كأهدأ ما كانت وأنعم بالا • وعند هذا يمكنكم ان تقيسوا مقدار همة الارواح التى لها أمل عظيم فى نشر الروحية فى الشرق وتزنوا مبلغ كفاءتها • وقدرة العمل وحده عنوان الفضل • وآية القدرة ومسبار غور الروح منا قياس عمقه • وعلى صحائف الاعمال يلوح فى سطور من النور بيان ما يكمن فى صدور الارواح غير المهمة من كنوز الفضل والحكمة والنهى ومن ذخائر الصبر والجلد والجد والمثابرة والحزم والعزم وصحة النظر ونفاذ البصيرة والحذق والبراعة •

أما من جهة تصحيح هذه الرسالة فان آدم عليه السلام قد عاش ألف سنة وبعدها لم يهبط الى الارض • وعاش ابنه شيث تسعمائة سنة ، وعاش ابنه مهلاييل ثمانمائة سنة ، وكانا يهبطان الى عالمكم لاداء رسائل من عالمنا هذا ، والآن قد ارتقيا الى عالم آخر • أما ابنه ادريس فما زال يهبط الى عالمكم لتأدية الرسائل وقد عاش ثلثمائة وخمسين سنة •

أما نوح عليه السلام فانه قد عاش ألفا وخمسمائة وستين سنة • وابنه متوشلخ قد عاش سبعمائة وستا وستين سنة وما زال يهبط لعالمكم ويؤدى الرسائل • وأما الخضرون فهو نعم أطول بنى آدم عمرا لانه وعد بالهبوط الى الارض فى زمن المسيخ الدجال ومثله عيسى بن مريم فى أرض الشام وبيت المقدس • أما لقمان عليه السلام فقد عاش ثلاثة آلاف وخمسين سنة • وأما أكثم بن صيفى فانه عاش مائتين وعشرين سنة ونقل فى عهد ابراهيم عليه السلام • وعاش ابن الصمة دريد مائة واثنتين وعشرين سنة • وكان من الحكماء المشهورين فى زمن الجاهلية • وقس بن ساعدة خمسمائة وأربعين سنة وكان أيضا من حكماء العرب • وعمرو بن معديكرب عاش مائة وثلاثين سنة • وأيضا ابن نفيلة عاش مائتين وخمسا وسبعين سنة ونقل فى زمن ابراهيم عليه السلام • وعاش سطيح بن الزرة خمسمائة وسبعين سنة • أما حاتم الطائى فانه عاش مائتين وخمسا وثلاثين سنة ومات فى زمن ابراهيم • وزهير بن جنادة عاش مائتين وخمسا وعشرين سنة وأدرك الاسلام أيضا • وعاش أحمد بن أحمد الجابى وهو من أهل محلة مسير مائة وخمسا وثلاثين سنة وكذا امرأة خير الله بنت محمد الركبى فانها عاشت مائة وثلاثا وعشرين سنة • وأما تبع الفزارى فانه عاش ثلثمائة وخمسا وسبعين سنة فى زمن عيسى بن مريم فى الجاهلية وخمسين فى الاسلام

وانى أقول وأؤكد ان أعز الاشياء وأندرها فى هذا الوجود هو العقل القوى المتغلب على سلطة العواطف • واعتقادى ويقينى ان مقابل كل ألف فرد ممن تتغلب فيهم العاطفة على العقل فى هذا الوجود • وليس هذا مجال الاطالة والافاضة فى ذلك البحث العميق الذى عقدت له الفصول المسهبة فى كتب الفلسفة وعلم النفس • ولكنا نورد النظرية عارية عن الشرح والحواشى اقتصادا لقولنا والسلام (بيرش)

ذاك هو المقال وهذا ما تم فى أمره والله يعلم انه ليس من نسج الخيال بل من واقع التجربة ، وان من الحقائق ما يفوق فى جلاله أروع الاخيلة • وانى أعرض هذا كله للبحث وأكتفى بأن أقول ان فيه مثلا رائعا من أمثلة تصحيح الوقائع • وسوف نصل بالاستعانة بعالم الروح الى الوقوف لا على ما خفى من حوادث التاريخ فحسب ، بل على ما غاب عن العقول من خفى الآراء العلمية فى المادة والحياة أيضا

احمد فهمى أبو الخير

مدير ادارة السينما بوزارة المعارف

خطورة حشد الذهب
في الولايات المتحدة الأميركية

بقلم الاستاذ فؤاد محمد شبل

لم يكن اتخاذ بعض الاشياء واسطة للتبادل ناشئا عن اتفاق أو عقد ، وانما عن صفات خاصة تجمعت فى هذه الاشياء وحملت الناس على تفضيلها واتخاذها أساسا للتبادل. وتعددت هذه الوسائل وتباينت ، بتعدد الاجناس واختلاف البلدان. ثم أصبح الذهب أساس النقد لدى الشعوب المتحضرة. ولقد كان له من الصفات الذاتية ما جعله يستوى على عرش المبادلات دون منازع

ومن الخير أن نقرر ان كل زيادة فى الكميات الموجودة من الذهب فى العالم وافقت حدوث تقدم مادي جديد. فكان من جراء فتح أمريكا أن جلبت السفن الاسبانية الى أوربا مقادير من الذهب عظيمة ، كما ان كشف الذهب فى كليفورنيا واستراليا وألاسكا فى أواخر القرن الماضى مد العالم بكميات وفيرة جدا من المعدن ، واتفقت هذه الزيادة مع حدوث نشاط اقتصادى رائع للعالم كله

وما زال الذهب فى زمننا هذا ــ فى الظروف العادية ــ متمتعا بمركزه العظيم رغم قيام الاوراق النقدية بدوره السابق فى عالم التداول ، فحجم العملة المتداولة فى النظام النقدى العالمى ، وحجم الائتمان ، وقدرة النظام المصرفى على مؤازرة المنتج والمستهلك ، هذا كله يتوقف على احتياطى العالم من الذهب النقدى

زيادة الذهب و نتائجها

فى خلال السنوات الاخيرة أخذ رصيد الذهب النقدى فى التزايد فى سرعة كادت تتجاوز تلك السرعة المعهودة فى الاستكشافات الكبيرة للذهب. فمن أين أتت هذه الزيادة السريعة فى الرصيد الذهبى العالمى ؟.. لا ريب ان هذه الزيادة نتجت خاصة من جراء التخفيض العام فى العملات الذى بدا بوقف شرط معيار الذهب فى انجلترا أولا ثم تعداها الى غيرها من دول الكتلة الاسترلينية وأصابت عدوى التخفيض الدولارالامريكى فى مستهل عام ١٩٣٤ ، وتبعه تخفيض عملات كتلة الذهب فى خريف ١٩٣٦

والواقع ان الرصيد الذهبى لبلد ما لا يتوقف على مجرد القيمة العادية للكمية من الذهب المودعة فى أقبية مصرفها المركزى أو الخزانة العامة ، بل يتوقف أيضا على سعر

كل أوقية من الذهب ممثلة في العملة الاهلية. فاذا حدث مثلا أن اتفقت جميع الدول أو عدد كبير من ذوى النفوذ والتأثير فيها على اجراء تخفيض في عملاتها ورفع سعر الذهب بالتالى ، فان الرصيد العالمى من الذهب يزداد بنفس الكيفية كما لو كشفت حقول جديدة للذهب. وليس هذا بالتأكيد كل ما هنالك ، فانه مهما يحدث خلال المدة الطويلة الاجل، فان زيادة ما في سعر الذهب لا تحمل معها سريعا زيادة مماثلة في أثمان الحاجات على وجه العموم وبمعنى أدق في تكاليف استخراج الذهب. وسرعان ما يتبع هذا انتعاش في حركة انتاج الذهب اذ يصبح البحث عن عروق أخرى عملا مربحا ، ويحفز ارتفاع سعر الذهب منتجيه للعودة الى استغلال المناجم الاكثر عمقا والتى هجرت لكثرة تكاليفها ، وفى أثناء ذلك يشجع ارتفاع سعر الذهب مكتنزيه على بيع ما في حوزتهم منه ، وذلك لانهم يرون بعد تخفيض العملات الاهلية انه أوفق لهم عند ارتفاع سعر الذهب استبدال مكتنزاتهم منه بسلع اقتصادية أخرى ، لاسيما اذا توقعوا هبوط سعره لزيادة العرض الناجمة عن زيادة الانتاج خاصة

هذا هو اجمالا سر الارتفاع في مقادير الرصيد الذهبى العالمى الذى شوهد في خلال الاعوام الاخيرة

هذا وقد بلغ الاتساع في الرصيد الذهبي للبنوك المركزية قبل الحرب الحالية بمعدل زيادة سنوية ٤١ر٠/٠ وهذه الزيادة كما تبدو للباحث تفوق الزيادة العادية ٠٣ /٠ التى يقدر الخبيرون انها كفيلة بتحقيق تقدم اقتصادى حكيم

ومهما يكن من الامر فان زيادة الذهب النقدى العالمى تميل لان تحمل معها ارتفاعا في أسعار الحاجات ، ولا مرية في أن الانتعاش العام وما اتسم به من ارتفاع في الاسعار منذ عام ١٩٣٢ يرجع جانب هام منه الى الزيادة المتطورة في الرصيد الذهبى العالمى. وأما في الحالات التى لم يتوفر فيها وجود زيادة مادية في كمية الموجود من الذهب فقد تابع التقدم مجراه باجراء عملية بتر الذهب من النظام النقدى بترا تاما وعاما ، وبذلك كان الذهب الى حد كبير سببا في الترفيه عن العالم ورسول راحة وأمان. على انه رغما عن ذلك فان الذهب لم يستطع ممارسة وظائفه الطبيعية كاملة والقيام بتأثيراته تامة بسبب حشده في بعض الدول على نحو ما يتبين فيما بعد

حشد الذهب وآثاره قبل الحرب

كان للاحوال الاقتصادية السيئة التى سادت العالم منذ بدء الازمة العالمية في أواخر عام ١٩٢٩ ، واتصالها بالازمات السياسية التى ألقت بجرانها على العالم منذ تولى النازى أزمة الحكم في ألمانيا أثرها في سوء توزيع الذهب ، تلك الظاهرة التى توشك أن تصبح داء عضالا ، والتى أصبح الذهب معها عاجزا أن يقوم بمهمته الخطيرة في الحياة الاقتصادية كمعيار للقيمة

فاذا ما استعرضنا الاحصاءات الخاصة بالذهب التى نشرت قبل الحرب لتبين لنا أن الذهب كان يحشد فى انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة وبلجيكا وهولندا وسويسرا ، وبخاصة انجلترا والولايات المتحدة ، حشدا عظيما . وهـذا الحشد هو فى الواقع نتاج ما يطلق عليه الاقتصاديون اليوم «الاموال غير المستقرة» « Hot Money » أى المال الذى فر الى سوقى لندن ونيويورك ـ خاصة ـ من بلاده الاصلية ليجد فى كنفهما ملجأ وملاذا.وعلى هذا نشأت مشكلة توزيع الذهب ، وهى مشكلة يعزى جانب منها الى قلقلة النظم الاقتصادية فى كثير من بلاد العالم من جهة ، والى سوء توزيع رأس المال من الجهة الاخرى.فعوضا عن أن يبحث الذهب عن موضع استثماره الطبيعى فى بلاده ، تدفق على هذين البلدين فلم يستغل فى الوجوه المنتجة المثلى الا بعضه ، أما الباقى فقد لبث عطلا من المنفعة فى البنوك اما على شكل نقود واما على هيئة سبائك ذهبية،وهذا كله يرد الى الاحوال السياسية السيئة التى انتابت العالم منذ عام ١٩٣٣ ، ففسدت الثقة وغدا العالم لايملك الانتفاع انتفاعا تاما بمدخراته.وقد قوى من شدة هذه الظاهرة ما اتخذته الدول المختلفة من الاجراءات العنيفة التى كان أثرها النهائى عرقلة التجارة الدولية والحد من نشاطها عن طريق تقييد الواردات ، أو بابتكار ضروب شتى من موانع التجارة ، أخص بالذكر منها نظام الحصص الذى أصبح من أعظم العقبات وأمنعها التى تحول دون تقدم التجارة الدولية

ولقد كان حشد الذهب فى الولايات المتحدة أبلغ منه فى انجلترا وفرنسا وبلجيكا وهولندا وسويسرا ، وتظهر لنا الاحصاءات الامريكية الخاصة بهذا الموضوع ان دخول الذهب وخروجه كان خاضعا لمقتضيات التبادل التجارى الدولى الصرف الى عام ١٩٣٤. وابتداء من هذا العام تدفق الذهب الى الولايات المتحدة تدفقا كان مبعثه اضطراب أحوال أوربا السياسية بعد تولى النازى أزمة الحكم ، فبينما بلغت قيمة الصادر من الذهب (أى ماخرج من المعدن من البلاد) ٣٦٧ مليون دولار والوارد اليها (أى ما دخل الى البلاد) ١٩٣مليون دولار فى عام ١٩٣٣ ، أصبح الصادر فى عام ١٩٣٤ قيمته نحو ٥٣ مليون دولار والوارد قيمته نحو ١١٨٧ مليون دولار ، وظلت هذه الظاهرة فى اطراد حتى بلغت قيمة كل من الصادر والوارد فى عام ١٩٣٨ نحو خمسة ملايين دولار و ١٩٧٩ مليون دولار على التوالى

وقد عمدت الحكومات المختلفة التى هبط رصيدها الذهبى الى تخفيض نسبة الغطاء الذهبى لعملاتها،أى لجأت الى التضخم النقدى لملافاة العجز الحاصل فى هذا الرصيد.وكانت تلك الحكومات تعمل جاهدة على ثبات الاثمان فى الداخل ـ أى بقاء قوة عملتها الشرائية على حالها مع تخفيض قيمتها فى الخارج ، كما التجأت الى نظام المقايضة.وقد خشيت الدول الاخرى التى تملك رصيدا وافرا من الذهب خطر هذا الاغراق النقدى على تجارتها الخارجية اذ ينصرف العالم عن بضائعها لغلو أثمان منتجاتها نسبيا.ومصداقا لهذا رأينا فرنسا رغما

عن كنزها الذهبى العظيم تخرج عن قاعدة الذهب بعد أن لمست الضرر البليغ الذى حاق باقتصادياتها فهبطت صادراتها هبوطا قويا وساءت أحوالها المالية ووقف نشاط دولاب الاعمال فيها ، وكذلك فعلت الولايات المتحدة رغما عن تدفق الذهب اليها. أما مصير هذا القدر العظيم من الذهب فقد عزلته الحكومات التى تدفق اليها وأصدرت على أساسه أوراقا مالية قصيرة الاجل ، وذلك لانه اذا أطلق سراح الذهب المودع لديها فان هذا يؤدى الى ارتفاع أسعار منتجاتها وبالتالى ضمور حجم تجارة صادراتها واختلال ميزانها التجارى تبعا لذلك

وقصارى القول انه قد حيل بين الذهب وبين تأدية وظيفته الطبيعية الخطيرة فى الحياة الاقتصادية وأصبح الذهب مصدر قلق وكساد بعد أن كان عامل أمن ورواج

حشد الذهب فى الولايات المتحدة بعد الحرب

كانت الحرب الاوربية والمخاوف التى سبقت نشوبها أهم عامل أثر تأثيرا جديا وعمل على تجمع الذهب فى الولايات المتحدة . فقد دفعت هذه المخاوف الافراد والهيئات والحكومات فى أوربا الى نقل أموالهم الى البنوك الامريكية خشية من ان بقاءها حيث كانت يعرضها للضياع والمصادرة ، كما عمدت الحكومات الاوربية الى تحويل أموال طائلة لتدارك بها احتياجاتها المستقبلة ، وقد ترتب على ذلك زيادة ما فى حوزة البنوك من الذهب خلال عام ١٩٣٩ بما يزيد عن ثلاثة مليارات دولار ، ونشأت هذه الزيادة بعد قيام الحرب الحالية بصفة خاصة ، وقد لا نكون مغالين اذا قدرنا ما فى حوزة أمريكا الآن بثلاثة أرباع الذهب العالمى – وهى نسبة مخيفة حقا

وليس هذا القدر من الذهب نتيجة لحركة الذعر السائدة فى أوربا فحسب ، بل ناجم أيضا عن تسديد أثمان بضائع اشترتها أوربا من أمريكا تطبيقا لمبدأ Cash and Carry ، الذى يعمل به الامريكيون اليوم ، فهم يرفضون فتح اعتمادات لاوربا ويصرون على تقاضى أثمان ما تشتريه دولها نقدا مع تولبها هى مهمة النقل . وعلى ذلك كلما اشتدت حاجة الدول المتحاربة وغيرها الى السلع والخدمات الامريكية زاد تدفق الذهب الى الولايات المتحدة . هذا فضلا عن بقاء الميزان التجارى فى صالح أمريكا باستمرار . وهنا يحق لنا التساؤل عن مصير هذا القدر العظيم من الذهب المتجمع فى هذه البلاد وعن مستقبل المعدن النفيس كمعيار للقيمة

لا ريب ان العالم سيجابه بعد الحرب هذه المشكلة بقوة وعنف . وستسعى الولايات المتحدة الى التخلص من هذا القدر الزائد عن حاجتها من الذهب . وقد ذكرت الصحف أخيرا اقتراح اقراض الولايات المتحدة ١٨ مليار دولار من الذهب للعالم . ولكن كيف تتقاضى أمريكا هذا القرض وفوائده ؟ لا شك انها اذا تقاضت ديونها وفوائدها ذهبا فسيعود الموقف الى حالته المعقدة الاولى بل أشد . فليس أمامها الا أن تتقاضى أقساط ديونها وفوائدها

بضائع ، ولكن هذا لا يتأتى الا بعدول أمريكا عن سياستها الجمركية الحامية ، فان أمريكا تغلو فى سياسة حماية التجارة غلوا شديدا ، وقد اشتهرت الجمارك الامريكية بقوة شكيمتها ودقتها ، حتى أصبحت حماية التجارة جزءا لا يتجزأ من النظام الاقتصادى الامريكى. والعدول عنها قد يعرض هذا النظام للانهيار. ولا يختلف اثنان فى انه لا سبيل الى رفاهية العالم ما دامت أمريكا تغلو فى سياسة الحماية الجمركية التى جعلت ميزانها التجارى راجحا لكفتها باستمرار تقريبا ، فعمل هذا على تدفق الذهب اليها كما أشرنا الى ذلك من قبل

هذا بشأن الذهب الذى يتدفق الى أمريكا بدافع العوامل الاقتصادية البحتة المختلفة . أما هذا القدر من الذهب الذى تدفق اليها بسبب عوامل القلق والذعر التى سادت العالم فى السنوات الاخيرة ، فلا ريب ان انجلاء الموقف السياسى سيعمل على عودته الى بلاده الاصلية فيستخدم فى الوجوه المنتجة المثلى بدلا من وجوده فى أقبية البنوك الامريكية عطلا من المنفعة. أما اذا بقيت عوامل الاضطراب فى العالم فلا مناص من بقاء الجزء الاعظم من ذهب العالم فى الولايات المتحدة التى يمكنها الانتفاع به لزيادته عن حاجة التداول بها

وهنا يتجه العالم الى طريقين ، اما اتخاذ معيار جديد غير الذهب ، واما ــ وهذا هو الاغلب ــ الغاء الذهب كمعيار للقيمة فى التبادل الدولى كما ألغى كمعيار للقيمة فى التبادل الداخلى ، وبعبارة أخرى يسود مبدأ المقايضة أو ما فى حكمه فى التجارة الدولية. والواقع اننا اذا ما استعرضنا تاريخ العالم الاقتصادى بعد الحرب العظمى الماضية وتطور النظم والسياسة النقدية بصفة خاصة لرأينا العالم يتجه نحو تعزيز مبدأ المقايضة فى التجارة الدولية

وهكذا يفقد الذهب عرشه المكين فى عالم التداول ، وينزل عن مركزه المنيع فى تقرير النظم والسياسة العالمية والاقتصاد

فؤاد محمد شبل

نابليون والمرآة

كان نابليون الأول يحتقر المرأة . وفى ذات مرة سأل مدام دى ستال : « أتعرفين الفرق بين المرأة والمرآة ؟ » . فأجابت : « كلا » . . قال : « الفرق بينهما ان المرآة تعكس صور الاشياء ولا تتكلم ، بينما المرأة تتكلم ولا تعكس صور الاشياء . . »

فتألمت مدام دى ستال وقالت على الفور : « أتعرف يا مولاى الفرق بين الرجل والمرآة ؟ » .. قال : « كلا » .. قالت : « الفرق بينهما أن المرآة سطحها « مهذب » والرجل يا مولاى غير مهذب ! »

فكرة الطيران عند الفراعنة

بقلم الطيار الثانى المرحوم محمد محفوظ صاحب

كان الطيار الثاني المرحوم محمد محفوظ صاحب الذى توفى في ١٠ ابريل الماضى اثر حادث يؤسف له من حوادث الطيران عاكفا قبل وفاته على وضع كتاب عن « الغزاة فى عالم الطيران » . ونحن ننشر فيما يلي فصلا تاريخيا ممتعا مما اورده فى مؤلفه . تغمده الله بواسع رحمته

« المحرر »

لا شك أن كثيرين تأخذهم الدهشة ويتملكهم العجب عند ما أقول ان الفراعنة فكروا فى الطيران وبدأوا فى الاستفادة منه فعلا . ذلك لأن هذه الحلقة من تاريخ الطيران طويت بين طيات القرون واختفت فلم يذكرها الا القليل من المؤرخين

ونحن لا نستكثر على الفراعنة أنهم فكروا فى الطيران ، فقد أتقنوا السباحة وارتياد البحار . وكأنهم حاكوا السمك فى غوصه فى الماء كذلك حاكوا الطير فى تحليقه فى السماء . والمعروف أن ذهن الانسان إذا انصرف الى شيء لابد أن ينصرف الى مثيله أو ضده

العالم على جناحى نسر

ولقد وجدت بعض النقوش القديمة التى تدل على أن الفراعنة عرفوا سر الهواء وتركيبه واستفادوا من ذلك . فقد روى هيرودوت المؤرخ القديم الذى عاصر الفراعنة وسطر عن مدنيتهم الكثير قصة سمعها من بعض زملائه المتقدمين وقال انه يشك فى وقوعها لأنها لم تثبت عنده قطعاً . أما القصة فقد جاءت دليلا قاطعاً على أن الفراعنة فكروا فى الطيران وبدأوا فى تنفيذه فعلا :

« كنت فى طريقي الى بلدة طيبة حين سمعت من بعض شيوخ الفلاحين قصة من أغرب القصص تدل على أن عقلنا البشرى قد انجلت أمامه الحقائق وسهلت المصاعب . قال الشيخ إنه بعد أن استولى الملك مينا على الوجه البحرى وأصبح ملكا لمصر العليا والسفلى وضم التاجين ، أراد أن يوطد ملكه باكرام العلماء ، واستغلال عقولهم فى ترسيخ أقدام حكمه الجديد . وزها عصره وازدهر وذهبت اليه وفود العلماء الا عالما شهيراً اسمه « تاحتب » أبى واستكبر . وحاول الملك استمالته بكافة الطرق فلم يفلح . فأغضب ذلك الملك فحكم عليه بالموت وأرسل من يحضره

وتواتر الى العالم ما اعتزم الملك فهرب الى قمة جبل عال مستصحباً معه نسراً ضخماً قويا وكم فاه وربط نفسه الى رجليه ثم ألقى بنفسه معه من فوق الجبل . . فبسط النسر جناحيه وطار به في الفضاء !

وكان الرجل اذا أراد الانخفاض جذب رأس النسر بيده الى أسفل ، واذا رغب في الارتفاع دفعها الى أعلا . . وهكذا طار الرجل في الهواء فوق المدينة بين تهليل الناس وتكبيرهم

وخشى الملك أن يستفحل أمر ذلك العالم الجبار فأرسل رسله في كل مكان باحثين عنه باسطين أيديهم بالهدايا . لكن ذهبت جهودهم أدراج الرياح »

فهذه القصة القديمة التى حرفها بعض الروائيين في قصة « السندباد البحرى » تدلنا دليلا واضحاً على مبلغ رقى الفراعنة العقلى والعملى ، وأن « تاحتب » كان أول ضحايا فكرة الطيران

حقيقة أن هيرودت تشكك في صحة هذه الرواية ، لكنها على كل حال تثبت وجود الفكرة عند علماء المصريين القدماء

الطيران الانفرادى و « الباراشوت »

ومضت سنون تطور فيها الفكر والعلم حتى جاء عصر الأسرة الرابعة التى بنيت في عهدها الاهرام ، فذكر أن أحد الكهنة تسلق هرم خوفو بعد أن صنع لنفسه جناحين من قماش متين من النيل وطلاها بطبقة من الشحم لتمنع نفوذ الهواء خلالها ، ثم ألقى بنفسه في الهواء وأخذ يطير محركا جناحيه ، ولكنه كان دائماً يهبط لأسفل إذلم تكن لديه القوة اللازمة للارتفاع .. وبعد أن قاوم الهواء فترة يسيرة انفصل عنه جناحه فهوى الى الارض وفاضت روحه . وكان بحق أول ضحايا الطيران الانفرادى (Solo)

***

ويذكر بعض المؤرخين أن المهندسين الذين شيدوا الهرم الاكبر استنبطوا النوع الأول من المظلات الواقية ، فقد صنعوا نوعا من القماش الخفيف بشكل اسطوانى قريب الشبه بالبرميل ، وكانوا إذا أرادوا طلب شيء من سفح الهرم نفخوا في هذه الآلة وربطوا بها رسالة بما يطلبون ، ثم يلقونها في مهب الريح ، فاذا كانت غايتهم الى أسفل مباشرة علقوا بها ثقلا ، واذا كانت بعيدة عنهم نوعا خففوا زنة الثقل ، فان كانت بعيدة جداً ألقوها دون ثقل ما

وهذه التجارب تدلنا على أنهم حاولوا الاستفادة من فكرة الطيران و « الباراشوت »

استخدام الهواء في الملاحة

ومن عجيب ما وصل الينا أن قدماء المصريين عرفوا أيضاً اتجاه الريح بواسطة جهاز يشبه الجهاز المسمى الآن « Wind Indicator » ، فقد كان عصر الأسرة الثانية عشرة عصراً ذهبياً سار

فيه الاستكشاف شوطا بعيداً بواسطة السفن البحرية ، ولم يكن المصريون القدماء حتىذلك الوقت قد عرفوا القلاع ، فكان جل اعتمادهم على المجاذيف . ومما لا شك فيه أن الريح كانت تقاوم سيرهم وتوقف تقدمهم ، بل كثيراً ما أوردتهم موارد التهلكة ، وفيهذا العصر استنبط أحد العلماء كيساً من القماش الخفيف مفتوح الطرف طوله يتراوح بين ذراعين وثلاثة ، يعلقونه من طرفه فى سارية عالية بمؤخرة السفينة . وكثيراً ما ارتفع الكيس فى شكل عمودى لتعبئته بالريح القوية العاصفة فلم يأت بالغرض المطلوب . وفطن أحدهم الى أنه يجب ثقب الكيس كى يمر منه الهواء فحقق فكرتهم تماما . وكان هذا الجهاز من أهم عوامل تقدم البحرية الفرعونية . لكنه اندثر واستغنى عنه حين استنبطوا القلوع

***

وبعد .. فنحن لا ننكر أن الغرب أخرج الطائرة الى حيز الوجود وأن الطيار لاتام كان أول من ركب متن الهواء فى سنة ١٩١٠ ، وأن الايطالى فرنسكو دى لانا هو الذى اخترع المظلة الواقية سنة ١٦٥٠ . وأن الطيار الانكليزى هوكر هو الذى استنبط جهاز الريح حوالى سنة ١٩١٩ . لكننا لا يجوز لنا أن نتناسى أنه منذ خمسة آلاف سنة فكر المصريون القدماء تفكيراً علمياً عملياً صحيحاً فيما جعله الغرب حقيقة واقعة فى القرن الاخير

ومن عصر الفراعنة حتى قيام الامبراطورية العربية حيث تجدد البحث فى فكرة الطيران لم تصلنا دقائق عن تقدم هذا الفن الكبير

محمد محفوظ صاحب

غرام الرجل والمرأة

يريد الرجل أن يكون فاتحة غرام المرأة . وتريد المرأة أن تكون خاتمة غرام الرجل . !

أوسكار وايلد

ما هى الدولة العظيمة ؟

الشؤون الاجتماعية مقياس عظمة الدولة ورقيها

لو ألقينا سؤالا عن القوى التى تتألف منها عظمة الدولة ، لتلقينا اجابة متشعبة تشتمل اسماء كثير من هذه القوى ، التى نتخير أهمها وابرزها ونبحث قيمتها وجدواها :

القوة الاستعمارية

الدولة العظيمة ، أولا ، هى التى تملك او تسود اقاليم كثيرة تتألف منها امبراطورية فسيحة . ولهذا عدت روما القديمة دولة عظيمة لانها كانت تسيطر على امبراطورية مترامية النواحى ، وكذلك تعد بريطانيا الحديثة دولة عظمى لانها ذات امبراطورية كبرى

ولكن اذا كانت الدولة تملك امبراطوريتها بالقوة والقهر وتحكم اتباعها بالغصب والكره ، فان هذه الامبراطورية لا يمكن ان تكون دليل عظمة ولا أمارة رقى ، ذلك ان فرض ارادتك وبسط سلطتك ، بواسطة القوة والغلبة ، على من يريدون ان يكونوا احرارا أمر لا تقره الفضائل ولا ترتضيه الاخلاق . وعلى النقيض من هذا اذا كانت الامبراطورية مستقرة متآلفة بفضل تضامن اجزائها تضامنا لا اكراه فيه ، وولاء شعوبها ولاء مودة ورضى

ويجب اذن ان تحكم على عظمة الدولة ، فى هذه الناحية ، بالآثار التى تترتب على سياستها فى معاملة اتباعها . فان كانت هذه الآثار تنفعهم وتجديهم فهى دولة عظيمة ، اما ان كانوا لا يفيدون شيئا من هذه الآثار فجردها من اسباب العظمة وعناصر الرقى

وهذه الآثار النافعة التى تنشئها الدولة الاستعمارية العظيمة ليست شيئا مبهما ولا مجهولا ، بل هى تتمثل فيما تقيم من مصانع ومصحات وما تشق من طرق وقنوات وما الى ذلك من وسائل التعمير ومظاهر الحضارة ، على ان يتوفر شرط اساسى هو أن « تنتفع » الشعوب من هذه المنشئات المنفعة التى تمكنها من الحياة النشيطة المريحة . وتوافر هذا الشرط لا مندوحة عنه اذا أردنا أن نضفى على الدولة صفة العظمة ، ذلك ان الدولة الحاكمة غالبا ما تسعى الى « ترقية » املاكها ومستعمراتها ، لا ليفيد منها اهلوها شيئا ، بل لتأتى لها بدخل أكبر وتعود عليها بنفع أوفى . وكذلك كانت تفعل روما فيما مضى فهى لم تكن اذن بالدولة العظيمة رغم اتساع امبراطوريتها ، وعلى نهجها تسير أكثر الدول المستعمرة الآن ، فهى اذن مجردة من العظمة الاستعمارية مهما اتسعت مستعمراتها

العظمة الحربية

يقدر المؤرخون غالبا مجد الدولة بقدر ما كانت تملك من جيوش وأساطيل ، والدول ذاتها لا تمجد أحدا من بنيها قدر ما تمجد قواد جيوشها وأمراء اساطيلها • وهذا المقياس الحربي هو اكثر المقاييس شيوعا ، بين الساسة والعامة على السواء ، في تعيين مستوى الدولة : أهو مستوى العظمة والرقي أم مستوى الضعة والهوان

ولكن من الصعب علينا ان نفهم لماذا يكون الامر هكذا • فالعظمة الحربية لا تعني شيئا اكثر أو اقل من المقدرة على التقتيل والتدمير ، أو المقدرة ـ على الاقل ـ على التهديد والاغتصاب

ان الذين يعتمدون على المقدرة الحربية يتحدثون دائما عما تهيئه للدولة من الهيبة أو الاعتبار • ولكن من أين يأتي هذا الاعتبار : أمن جريها على سياسة انسانية رفيقة ؟ أم من عطفها على الشعوب الناشئة والمستضعفة ؟ أم من اخلاصها لجيرانها وولائها لحلفائها ؟ كلا ! فجميع هذه المبادىء الانسانية السامية تتنافى مع سياسة القوة والغلبة وتتعارض مع روح الحرب والقتال • وانما تستمد الدولة هيبتها واعتبارها من هذه الكتائب المصفوفة والذخائر المجمعة التي تسند ظهرها بقوى ترفع رأسها وتثبت قدمها بين سائر الدول والشعوب ، وانما تعتمد في تحقيقهما على وفرة ما تملك من طائرات تقذف القنابل التي تعمي الاعين وتشوه الابدان وتدمر العمائر وتقضي على الآمنين ، وعلى كثرة ما عندها من شبان ورجال اشربت نفوسهم الرغبة في التقتيل والتخريب ، فهم يضحون بحياتهم سعيا الى اشباع هذه الرغبات الآثمة وارضاء هذه الاهواء المخرفة المنكرة

فاذا كانت هذه الهيبة كما نفهمها ليست الا قدرة المشاغب العربيد على التهديد والابتزاز فهي اذن أكبر دليل على ان الدولة مجردة من العظمة بعيدة من الرقي هائمة في حياة الهمجية الاولى • وكلما زاد نصيب الدولة من هذه الهيبة نأت بها عن العظمة الصحيحة ، بينما لا ترقى الى المستوى الرفيع الذي يليق بالدولة العظيمة الا بمقدار تخليها عن هذه الهيبة الزائفة

وهؤلاء قواد الجيوش وامراء الاساطيل ، تسمو تماثيلهم الضخمة وسط العواصم والمدائن ، وتكرس الاقلام والعقول لتعظيمهم وتمجيدهم •• لماذا ؟ الانهم اقاموا اعظم المذابح وأجروا أبشع المجازر ؟ أم لان التاريخ يثبت ان معارك هؤلاء « الابطال » كانت تدور دائرتها ان عاجلا وان آجلا على اممهم وشعوبهم ؟

ففي خلال ادوار التاريخ جميعا ، كانت الشعوب العسكرية التي فطرت على الحرب والعدوان ، اذا تزعمها وقادها رجال نوابغ عباقرة ، راحت تقلل من شأن أعدائها وتستهين بقوى محاربيها ، وأخذت تغتر بنفسها كلما كسبت نصرا او فتحت اقليما ، وذهبت تسرف في عدوانها وتصر على سيطرتها ، حتى ينتهي بها الامر الى تجميع اعدائها

حولها يقاومونها ويجاهدونها الى ان يقضوا عليها ، حتى اثبتت وقائع التاريخ ـ اذا استقرأناها في تبصر وتدقيق ـ ان الامة التي تنجب العظمة العسكرية انما تجر على نفسها اعظم وبال وتفوق الى صدرها أقسى السهام

ألم يكن نابليون كارثة على فرنسا ؟ ألم ينقص عدد شبانها ورجالها ؟ ألم يزد فيها عدد الارامل واليتامى ؟ ألم يثقل كاهلها بالخسائر والديون ؟ • فبأى منطق تعد انجاب الدولة لقائد عبقرى كنابليون ، بل لجيش حافل بأمثال نابليون دليلا على عظمتها وشاهدا على رقيها ، اذا كنا نقيس العظمة والرقى بهذه المقاييس الدقيقة التي تقدمها لنا دراسة التاريخ واستقراء أطواره ؟

عظمة الثروة

تعد الدولة أحيانا عظيمة راقية اذا كان أهلوها على نصيب وافر من الثروة • فهذه انجلترا يقال انها استمدت أكثر عظمتها مما تملك من أسباب الثروة الوافرة ، اذ كانت رغبة ابنائها في كسب المال ، المال الذي يتكلم ويحكم ، أكبر دافع لهم خلال المائتي سنة الاخيرة على بذل ما بذلوا من الجهود سعيا الى التوسع والارتقاء

ولكن هل المال دليل العظمة وأمارة الرقى ؟ وهل تتفق عبادة المال مع عبادة الله ؟ وهل يمكن ان يكون الانسان خيرا فاضلا اذ يسعى الى المال جاهدا ، بينما العقيدة التي يدين بها تؤكد أن الفقر خير وفضيلة وان الغنى شرور ورذيلة ؟ ان وصايا الدين جميعا تزكى الفقر لمن يريد أن يخلص لله ويسعى الى جنته • ولكن سير الناس في الحياة تدل على قلة اقتناعهم بهذه الوصايا والمبادىء ، فهم يؤثرون ان يستبدلوا نعيم هذه الجنة الموعودة بحفنة من المال حاضرة • ومنهم من يريد ان يوفق بين الوجهتين في آن واحد : فيضمن لنفسه وهو على فراش الموت مستقبلا آمنا راضيا كهذا الماضى الذي عاشه آمنا راضيا بفضل ما جمع من مال وما ملك من متاع

وهكذا نؤمن بالمال أكثر مما نؤمن بالله • ومن هنا صار المال دليل قوة الفرد وعظمة الدولة • فلا عجب أن يكون المال قوام النظريتين اللتين حكمتا المجتمع ووجهتا التاريخ خلال العصور الاخيرة : والاولى منهما هي نظرية «الحرية الاقتصادية» التي نادى بها جماعة الاقتصاديين والمفكرين في القرن الماضى ، وكان لها التأثير الاول في توجيه الحياة السياسية والاجتماعية في الدول الكبرى ، وثانيتهما نظرية «التقرير الاقتصادى» التي أذاعها ماركس وجعلها أساس التوجيه السياسى والاجتماعى في العهد الاخير • والنظرية الاولى هي التي حملت الحكومات ردحا طويلا على أن تدع الافراد أحرارا في أعمالهم يتخيرون منها ما يرونه أجزل لهم نفعا وأعود عليهم بالثراء • والنظرية الثانية هي التي تقرر أن الطريقة التي ينظم بها المجتمع حياته الاقتصادية تؤثر تأثيرا مباشرا في فنونه وأخلاقه وعقائده ، دع عنك أنظمته الحكومية • وهذه الآراء كلها انما نشأت من المزايا العظيمة التي يفترضها الناس

فى المال ، والتى جعلتهم يحسبون الثروة علامة العظمة فى الدولة

ولكن ماذا نجد فى انجلترا التى تعد من أغنى دول العالم الحديث ، والتى نشك فى ان التاريخ عرف دولة ما تضارعها غنى ومالا ؟ نجد ان ٨٠٪ من ثروتها مركزة فى أيدى ٦٪ من سكانها ، ونجد ان بين العشرين مليون نسمة الذين يحصلون على دخل ما فى بريطانيا ٠٠٠ر٦٠٠ر١٧ نسمة يقل دخل كل منهم عن ٢٥٠ جنيها فى السنة ، ومنهم ٠٠٠ر٠٠٠ر١٢ لا تكاد تفى دخولهم بضرورات حياتهم وكمالياتها الاساسية. ومعنى هذا ان تسعة أعشار السكان فى أغنى دول العالم لا ينعمون بالمستوى المادى الذى تؤهلهم له هذه الثروة العظمى ، فكيف اذا يكون غنى الدولة دليل عظمتها ما دامت أغلبية شعبها لا تصيب من هذا الغنى نصيبا كبيرا ؟

عظمة الوطنية

تحسب كثير من الدول انها عظيمة وراقية لان أهلها يثورون حبا لوطنهم واخلاصا لحكومتهم. ذلك ان استعداد الفرد للتضحية بحياته فى سبيل وطنه مصدر فخر وكبرياء لحكامه ، ومبعث زهو وخيلاء للشعب جميعا. ولكن استعداد الانسان لان يموت فى خدمة الوطن يصحبه أو يقابله غالبا استعداده لان يميت ناسا آخرين من أوطان أخرى. ولهذا كانت الوطنية عنصرا أساسيا فى بناء عظمة الدولة العسكرية ، وأخذت بعض الدول الحديثة تزكى نار هذه الوطنية لتجعلها عماد قواها الحربية التى تهدد وترغم بها الدول الاخرى على قبول ارادتها وسيطرتها

ولكن هل تصلح الوطنية مقياسا للعظمة والارتقاء؟ ان الانسان لا يضاهى ، فى هذه الناحية الوطنية ، كثيرا من الحشرات التافهة ، بل ان منها ما يبلغ منه الروح الوطنى مبلغا يخجل منه الشعب المتأجج بالوطنية المتطرفة التى يتخيلها الذهن «الفاشستى» ذاته ! فهذه جماعة النمل تحكمها قوة الوطنية التى تفنى كل فرد فيها فى سبيل الجماعة كلها ، فلا يعود لاحدمنها غاية ما تخرجه عن الغاية العامة التى تسعى اليها الجماعة معا ، وليس لفرد فيها أى طريق للحياة سوى الطريق الذى ترسمه له الخلية التى نشأ فيها. فهل يجوز لنا أن نقيس رقى الفرد وعظمة الدولة بهذا المقياس الذى تجرى عليه هذه الحشرات التافهة ؟

الاتحاد والاخلاص فى ذاتهما ليسا خيرا وليسا شرا ، وانما ترجع قيمتهما الى النتائج التى يؤديان اليها ، فالاخلاص للحكومة أمر حسن ومطلوب اذا كانت الحكومة توجه قوتها المستمدة من هذا الاخلاص الى الجماعة التى أخلصت لها المعونة وصدقتها الولاء. ولكنه يصير شرا اذا كان هذا الاخلاص وسيلة تستغلها الدولة فى نشر سطوتها وطغيانها فى الداخل ، وتوجيه أذاها وعدوانها الى من فى الخارج

ولماذا نمجد الانسان اذا اقتدى بالحيوان فى أمر الوطنية وحدها ، فى حين انه دون الحيوان فى سائر الصفات العالية. فليس فى جميع أنواع الحيوان ما يفترس أبناء نوعه الا

أن تدفعه الحاجة الى تقويم أوده وحفظ رمقه ، بينما يتخذ الانسان من قتل بنى نوعه فى كثيرمن الاحيان وسيلة من وسائل الرياضة أو المتعة أو أداء الواجب الوطنى ..!

الشؤون الاجتماعية

يتساءل الناس اذا : فما عماد عظمة الدولة ؟. ونجيبهم عن هذا السؤال اجابة وجيزة واضحة قائلين :

« تكون الدولة عظيمة اذا اتبعت سياسة مستنيرة فى شؤونها الاجتماعية.فضمنت لجميع سكانها أعمالا يزاولونها فلا يتعرضون للبطالة ومساوئها.ومكنتهم من أن ينالوا من أعمالهم أجورا ترقى بهم الى مستوى طيب فى الحياة.وهيأت لهم جميعا ما يلزمهم من السكنى المريحة ومن وسائل الصحة الوافية.وأنشأت لهم ما تقتضيه حاجتهم من المستشفيات وفتحت لهم أبوابها يدخلونها بغير مقابل من المال.وكذلك اذا فتحت للشيوخ والمرضى من أهليها معاشا سخيا يعيشون منه حين يقعد بهم الكبر أو المرض من الارتزاق.وأباحت لجميع عمالها فسحة من وقت الفراغ وفترة من الاجازات يستجمون فيها.ثم اتخذت فى جميع مرافق الحياة سياسة عدم الاكتفاء بما حققته من اصلاحات ، فأخذت تستزيد منها وتصلح من شؤون الحكومة والامة يوما فيوما ... حينئذ تكون هذه هى الدولة العظيمة

أى ان مهمة الدولة هى أن توجد مستوى فى الحياة لا يهبط عنه أى فرد فيها.فيستمتع الجميع بكافة ضرورات المعيشة الراقية المريحة.فان هى قصرت فى ايجاد هذا المستوى فهى مجردة من العظمة سلبية من الرقى مهما أوتيت من سعة الاملاك وسطوة الجيوش وعظم الثروة وقوة الوطنية فى أبنائها.ذلك ان جميع هذه القوى لا تجدى نفعا اذا كان المرء جائعا أو خائفا ، أو أمضى الحياة مشفقا من يوم البطالة وسن الكهولة ، أو ظل طول عمره مريضا ومحروما من الدواء ، أو أمضى أيامه فى هذه الارض جاهلا لا يقرأ ولا يكتب - ذلك انه سيظل حينئذ محروما من الحرية التى يمكن لمن حرم منها أن يستمتع بشىء من خيرات الحياة

(مستخلصة من كتاب « فلسفة لايامنا » للمفكر الانجليزى الاستاذ جود)

آداب زيارة المريض

تنصح جمعية الصليب الاحمر الامريكية زائرى المريض بالا يدخل عليه منهم أكثر من اثنين فى وقت واحد - ويكون الدخول بكل هدوء ، والجلوس على المقعد لا على الفراش ، مع تجنب الحركة والاشارات باليدين . وابتداع الاحاديث المسلية المفرحة . أما آخر انباء الجرائم والمرضى والامراض وما شاكل ذلك فمما يزيد المريض ضيقا وشعورا بوطأة المرض ويجب تجنبه اطلاقا

(عن مجلة Woman's Home Companion الامريكية)

بنت الشيطان

اسطورة بقلم القصصي البارع الاستاذ محمود تيمور

زعموا ان شيخ الشياطين لما حضرته الوفاة استدعى ولى عهده « بزعبول » ، فلما قدم عليه ألفاه يتقلب على فراشه المصنوع من الحسك ، فجثا على قدميه ، وأطرق حزينا . وأحس شيخ الشياطين حضور خليفته ، فرفع رأسه فى جهد وقال : « اصغ الى يا بنى ! لقد تأمرت آلاف السنين على مملكتى ، فلم آل جهدا فى العمل وفق قوانيننا الحكيمة ، ولم أقصر لحظة فى خدمة مبادئنا ونشرها نشرا موفقا فى أرجاء العالم »

فقال « بزعبول » فى اخلاص وحرارة ، وهو على حاله خافض الرأس : « هذا حق يا مولاى ! »

وتابع شيخ الشياطين قوله وهو يتنهد : « ولكنى يا بنى بالرغم من كل هذا تجدنى غير راض عما فعلته ... »

فرفع « بزعبول » الشاب رأسه المدبب وحدق فى وجه الزعيم المحتضر والدهشة تنازعه وقال : « مولاى ! لم يسبقك فى الحكم زعيم أتى ما أتيته . ان مملكتنا بفضل عزمك قد نالت من الشهرة المدوية والسؤدد والرفعة ما لم تنله فى أى عهد آخر من عهودها السابقة »

وتقلب شيخ الشياطين على فراشه فظهر من تحت الغطاء حافراه المشققان ، وقال فى صوت مبحوح : « هذا حق من حيث قيامى بالواجب نحو عشيرتنا ومبادئنا ، ولكننى أقصد واجبى نحو نفسى ... »

فاهتز « بزعبول » وقال : « أفصح يا مولاى ! »

فاستطالت عينا الزعيم ، وارتفعتا حتى قاربتا قرنيه وقال : « ان قيامى باغواء الآدميين والتغرير بهم ـ كما هو مفروض فى دستورنا الاعظم ـ أمر هين ميسور . وقد ساعدنى على انجازه ما انطوت عليه سريرة الانسان من حسن استعداد لقبول بذرة الفساد . فماذا فعلت لانال كل هذا الفخر ؟! »

ـ مولاى !

ـ اسمع يا « بزعبول » . لو لم نجد من الانسان نفسه، كما سوته بيئته ، عونا لنا على نشر غوايتنا لما استطعنا أن نفعل شيئا

ـ سيدى الزعيم !

ـ اعترف معى ولا تكابر ! ماذا ترك لنا الانسان من فخر ؟ لقد تغالوا يا بنى فى مقدرتنا على افساد العالم . نحن اثنان لا ثالث معنا ، فلنتكلم فى صراحة ، ولنعرض أعمالنا مع البشر . ماذا تقول فى هذه الآثام والشرور التى تعج بها النفس البشرية ، أهى كلها منا ؟.. تكلم ! »

ـ كلا أيها الزعيم !

ـ ان الانسان ليفعل الشر مطمئنا ، ثم لا يلبث أن ينحى علينا باللائمة ، فينفض عنه التبعة ، ويحملنا الوزر كله ... هذه هى الحقيقة التى التزمت أن أجاهرك بها لتنجلو الغشاوة عن عينيك ...

وضعف صوت الزعيم وغار شدقاه ، وأخذت لحيته الزرقاء ترعد على صدره ، فبادر « بزعبول » الشاب ، وتناول قارورة يندلع منها لهيب قان ، وأفرغ ما فيها فى فم الشيخ فسرعان ما اختلجت حدقتا عينيه وانتفخ وريداه ، ثم سمع يقول : « شكرا يا بنى ! فانى أرغب فى اتمام حديثى اليك .. »

ـ اننى مصغ لك أيها الزعيم !

ـ سيئول اليك يا بزعبول بعد حين أمر هذه المملكة الضخمة ، فماذا أعددت لها من مناهج وأساليب ... لا تقل انك ستتأثر خطاى .. لقد أوضحت لك انى لم أفعل شيئا جديرا بالفخر ...

ـ وماذا تريدنى أن أفعل ؟

ـ افتح فتحا جديدا ، وشق أفقا بكرا !

ـ مولاى ؟!

ـ ايت بمعجزة تثبت لهم أننا أهل لغير الشر !

وهنا بدأ جثمان الزعيم يحترق رويدا رويدا ، وينبعث منه دخان أزرق ، فسجد بزعبول فى خشوع ، والدخان حوله يتعالى ويتكاثف حتى أصبح المكان معتما كقاع الجحيم .. وما لبث أن سمع انفجار قوى ، فرفع بزعبول رأسه ، فوجد جثة الشيخ قد اختفت ، ولم يبق منها أثر . هنا صاح صيحة عالية ينادى الخلصاء والاتباع

وأقبلت الشياطين أفواجا تتزاحم على القاعة ، وقرونها المسنونة تتوهج ، وأذنابها الطويلة تضرب الارض ضربا متواصلا ..

واعتلى الزعيم الشاب منصة الخطابة ثم صاح : « سكونا ! »

فهدأت الاذناب وانكمشت ، واستلانت القرون وتدلت وقد خبا وهجها ، وخشعت الاصوات ، وأرهفت الآذان

وتكلم بزعبول ، وقد نبتت فى لحظة على وجهه الامرد لحية الزعامة ، وقال : « يا معشر الشياطين الكرام ! انى أحمل لكم تحية زعيمنا الاكبر ووداعه الاخير »

فاهتزت القاعة على التو بتنهدات ملتهبة . وتابع « بزعبول » قوله : « انه حتى الساعة

الاخيرة كان يفكر فى خيركم وحسن سمعتكم ، وقد أودع صدرى وصية خطيرة ألزمت نفسى بتنفيذها على ضخامتها وعظم شأنها ، وسأجد منكم ايها الرفاق خير عون وظهير »

وتقدم « الارقط » عميد المستشارين وقال : « هل لمولاى الزعيم أن يعرض على خلصائه وأنصاره هذه الوصية الكبرى ؟ »

ـ انها تتلخص فى كلمتين ألقى بهما الى زعيمنا الراحل • قال : افتح فتحا جديدا ، وشق أفقا بكرا ، وأت « للناس » بمعجزة تثبت لهم أننا أهل لغير الشر

فاندلع اللهيب من عيون الشياطين ألسنة طويلة ، وعلت همهمة تساؤل وتعجب • ودنا الارقط من الزعيم وقد رفع هامته وقال : « أثمة حيدة عن سبيل السلف الطيب الذكر ؟! »

فتناول « بزعبول » سوطا ناريا معلقا فى الفضاء ورفعه فى وجه الارقط وهو يقول : « أثمة معارضة لباكورة أحكامى ؟ »

فخر عميد المستشارين خاشعا يستغفر ، وقال بزعبول : « انى أعرف صوالحكم أكثر مما تعرفونها ، وسأعمل على تنفيذ وصية مولاى الاكبر فى صدق واخلاص • تفرقوا ! »

***

واحتبس « بزعبول » فى قاع الجب الاسود وقتا طويلا ، وقد أمر ألا يقلقوه • وأخذ يفكر فى وصية الزعيم ، وكيف يستطيع ان يشق فى حكمه أفقا بكرا ، ويأتى « للناس » بمعجزة تثبت ان « الشيطان » قادر على عمل شىء غير الشر • وجعل يقلب الامور على شتى الوجوه ، ويباحث نفسه ويجادلها • والأمل دائما يداعب قلبه • انه لو وفق فى مسعاه لاضاء اسمه فى مملكة النار أبد الآبدين •• والتمعت عيناه بغتة ، ورقص قرناه وتعانقا ، ثم انطلق فى لمحة البرق الخاطف يشق حجب الظلام واللهب حتى دخل قاعته فى دار الزعامة ، وصاح ينادى الخلصاء والاتباع ، فانفلق السقف ، وتصدعت الجدران ، وانشق أديم القاعة وتباعثت الشياطين منها ملبية النداء •• واعتلى بزعبول المنصة ووجهه محوط بهالة أرجوانية مبرقشة بنقط حمر زاهية ، وقال : « يا معشر الشياطين الكرام ! لقد اهتديت الى فكرة أنفذ بها وصية زعيمنا الراحل على خير وجه ، انها ستبلغنى واياكم طريق المجد الابدى ! »

وتقدم الارقط عميد المستشارين يبتسم فى تلطف وهو يفرك يديه وقال : « هل لمولاى أن يشرح لنا فكرته ؟ »

ـ ستعرفونها فى ابانها • والآن أخبركم بأنى فى حاجة الى فئة من ذكوركم ، وأخرى من اناثكم يرحلون معى الى الارض

ـ الى الارض !

ـ أجل يا أرقط الى الارض حيث أقوم بتجربتى العظيمة ، معجزتى الطريفة ، التى سيهتز لها الثقلان ••

وصاح « بزعبول » مناديا : « يا زفاف ، يا سرعرع ، يا عتريس ، يا خلوب ، يا سابة ••

ولبث ينادي من وقع عليه اختياره ، فاجتمع أمامه جمع من الشياطين ، ذكورا واناثا ، شبانا وشيبا .. وما ان استتم عددهم حتى صاح فيهم : « اتبعونى ! »

ونشر الزعيم جناحيه ، وانطلق شاقا سقف القاعة وأتباعه الذين اختارهم فى أثره يرفون بأجنحتهم فيسمع لها أزيز مخيف ..

وفى لحظة كان الزعيم وخلصاؤه على الارض فى بقعة يقال لها « الوادى الاجدب » بقعة منسية لا يرتادها البشر لوعورة أرضها ، وندرة الخيرات فيها . حتى الوحش لم يكن يقربها . وأخذ بزعبول على الفور ينفذ خطته ، فطار على البقعة يحدها ويرسم معالم المكان الذى يريد انشاءه فيها . ولم تنقض ثوان حتى انقلب ذلك الوادى الأجدب بحيرة هادئة صافية الماء ، يتوسطها قصر من البللور ، مقام على عمد من المرمر ، ومحوط ببستان ظليل فواح ، وقد ضرب حول هذا القصر وبستانه نطاق من سحب مسحورة لم تدع له وجودا أمام عيون البشر

وحط بزعبول على شاطىء البحيرة حيث ينتظره اعوانه مدهوشين ، وقال : «يا خلوب !»

فتقدمت منه شيطانة حيزبون معمرة لها أنياب زرق مهشمة ، تلتحف بعباءتها الدكناء المرقعة ، وتحتذى خفها القانى الممزق ، فقال لها : « لقد ندبتك رئيسة لهذا القصر ، فستسكنينه مع أتباعك الاناث .. لن يسكن القصر الا الاناث ! »

ثم أخذ يتفحصها برهة ، وبرقت على وجهه ابتسامة سانحة وقال : « ولكن يا خلوب ، هذه الطلعة ، وهذه الملابس ليست خليقة بمن اخترتها مربية « لفضلى العذارى » ! »

فهمهمت : « فضلى العذارى ؟ »

ـ نعم « فضلى العذارى » ، صنعتى ، معجزة العصر ..!

فتهامست الشياطين فيما بينها ، وسكت بزعبول وقتا ، وعيناه تتوقدان ، ثم نادى : « يا زفاف ! »

فظهر شيطان ممشوق القد بوجه أمرد مستطيل ، فقال له بزعبول : « أما أنت فقد أقمتك زعيما على الذكور من اخوانك وسيكون مقركم ضفاف البحيرة تحرسونها ، وتمنعون عنها الطارقين من بنى البشر . لن يقرب القصر انسان ! »

ـ أمرك مطاع يا مولاى !

وعقد بزعبول يديه على صدره وقال لزفاف : « لا أنسى يا زفاف ما قمت به من عمل مجيد يوم أرسلك زعيمنا الراحل الى الارض على رأس بعثة الخمريين »

فانحنى زفاف فى رشاقة وقال : « مولاى ! »

فأحد بزعبول بصره فى الشيطان وقال : « ولكننى لا أنسى كذلك ، وقد تكلل مسعاك بالنجاح فى سبيل نشر الخمر بين البشر ، انك عدت الينا بقنينة من هذا الشراب تخفيها تحت جناحك »

فرفع زفاف رأسه وقال فى حرارة : « لقد كانت توبتى صادقة أمام الزعيم الراحل ،

وحق أنفاسه الزكية ! »

ـ اذن يمكنني الاعتماد عليك • والآن فليأخذ كل منكم مكانه فى هذه البقعة ولينتظرني

وبسط زعيم الشياطين جناحيه ، واختفى فى لمحة البصر ، وعاد بعد برهة يخفى تحت شملته شيئا ملفوفا يردد الانفاس • ذهب به الى القصر البللورى العالى ، وألقى به بين يدى خلوب ، ، وقال لها : « لقد أتيتك (بفضلى العذارى) ! »

ـ أانسية هي يا مولاى ؟!

ـ نعم يا خلوب • أخذتها وقت مولدها من كوخ أسرتها ، انها تنتمى الى طائفة الرعاة

ـ وتريد أن تجعل منها « فضلى العذارى » ؟

ـ لست أريدها « فضلى العذارى » فحسب ، بل أسمى وأرفع مخلوق من البشر • ستنشأ فى هذا القصر ، وفق برنامج دقيق أعددته لها ، ستقومين أنت ورفاقك بتنفيذه • انها وديعتي بين أيديكم ، ولن أعود لرؤيتها ، الا حين ينضر شبابها ، ويكتمل نضج روحها • ولكننى سأشرف عليها عن بعد ، سأكون رقيبا عليكم جميعا ، فاياكم والاهمال فيما أردتكم عليه !

فابتسمت خلوب ، وكانت قد اتخذت لها هيئة مربية يترقرق ماء البشر والطهر فى وجهها الوسيم ثم قالت : « كن مطمئنا يا مولاى • سنعمل على تنفيذ أوامرك »

ثم ابتسمت مرة أخرى ، وقد كشفت على وجه الوليدة تتأملها ، فاذا هى سابحة فى نوم هادىء فقالت : « واذا وفقت فى ارضائك ؟ »

ـ سأقطعك الصحراوات السود ، وسأسخر لك زوابعها الهوج !

فانحنت خلوب حتى قارب رأسها حافرى الزعيم ، وكلمات الشكر تتناثر بين شفتيها ، ثم رفعت بصرها اليه وقالت وهى ما زالت محتضنة الطفلة : « انى مصغية لاوامر الزعيم »

ـ سأبعث اليك ببرنامجى مفصلا ، أما الآن فحسبى أن أقول لك : ستكون ربيبتى « فضلى العذارى » مثالا كاملا لاحسن مخلوق !

فحنت المربية هامتها برهة مفكرة ثم قالت : « ليس ثمة الا طريق واحد علينا انتهاجه »

فقهقه بزعبول وقال : « أى طريق تزعمين ؟ »

ـ أن نباعد بينها وبين ما يسمونه الشر والألم ، كما هما معروفان لدى الآدميين

فربت « بزعبول » كتفها بأصابعه العاجية وقال : « عوفيت يا خلوب ! انى فخور بك وبذكائك »

ثم اعتدل فى وقفته ونادى زفاف ، فلما مثل بين يديه قال له فى حزم : « لن يقترب من هذه المنطقة بنو البشر ، وخصوصا الذكور منهم •• أوعيت كلامى ؟ »

ـ كن مطمئنا أيها الزعيم ؟!

***

ومرت الاعوام وكانت التقارير ترفع كل يوم الى زعيم الشياطين بزعبول حافلة بأخبار

ربيبته ، فكان يبسطها أمامه مغتبطا ، ويقول لرئيس مستشاريه الجالس على عتبة العرش :
ـ ماذا تقول في تجربتى هذه يا أرقط ؟
ـ خلق انسانة لا تعرف الشر ولا الألم ، وتحيا فى هناءة دائمة وطهر أصيل ! حقا ستكون معجزة الدهور !
ـ ومن ثم يمكنني أن أنشىء على غرارها عالما نموذجيا لم تحلم بوجوده البشرية
وانطلق يضحك فى نشوة ضحكا رددته جوانب البهو صخبا كصخب العواصف الثائرة

***

أما هناك فى القصر البللورى المحوط بالبستان الفواح والمقام وسط البحيرة على أعمدة من مرمر ، فقد نشأت « أزاهير » ـ ربيبة الزعيم نشأة لم يعرفها البشر • حياتها ربيع دائم ، وطريق ممهد ميسور ، وبيئتها جو رائق صاف لا أثر فيه للغمام ، فمخايل الغبطة لا تنحرف لحظة عن وجهها ، والألم لم يعرف مرة وقعه في نفسها • وكانت ترى اما غارقة بين وسائدها اللينة وسط البستان تصغى الى موسيقى خفية ، لم تسأل « أزاهير » نفسها لحظة عن كنهها ومصدرها ، واما مشمولة بوصيفاتها الجميلات فى البهو العاجى يسامرنها بحديثهن المألوف يسرن فيه على خطط مرسومة فى حدود معينة ، واما مع مربيتها خلوب فى القاعة الزمردية تصغى الى درس الحكمة وآداب السلوك وأصول الاجتماع ، وفق البرنامج الذى استنبطه بزعبول •• فاذا ما أقبل سلطان الكرى يداعب فى وداعة جفنيها شعرت بأيد خفاف تحملها الى مخدعها الوثير حيث تستقبل أحلامها المتشابهة

أما على ضفاف البحيرة فقد نشط زفاف وأعوانه للحراسة ، فلم يدع أى مخلوق : انسانا أو حيوانا يدنو منها • واقتنع « الانسان » بعد محاولات فاشلة ، أن هذا المكان أصبح منطقة حراما ممنوعة عليه • فكم من مرة جاءت جماعات الصيادين تطلب رزقها فى هذه البحيرة العجيبة التى لم يكن لها وجود من قبل ، فما ان قاربتها حتى قامت فى وجهها الأعاصير العاتية تصدها ، وتشتتها ، ولن ينسى الفرسان انهم كلما جاءوها يرغبون فى ارتياد شواطئها ،فيقضون بها أياما فى لهو ومؤانسة ـ لاقوا من الشر والعناء ما لم يكن فى حسبان، فقد خرجت لهم من الماء طوائف من حيوانات مجهولة لم تقع عين انسان على مثيلاتها بشاعة وقسوة ، وراحت تضرب فيهم بقرونها الحداد ، وتطيل عذابهم بما تلقيه عليهم من حمة ولهيب •• وكذلك ظل أمر هذا القصر وساكنيه سرا خفيا مدفونا فى قلب هذا الوادى القصى

وانقطع « الناس » عن ارتياد المكان ، ولكن عقولهم لم تنقطع عن الكشف والاستطلاع ، فانطلق خيالهم يخترع وينمق ، وترامت الاشاعات فى كل ناحية وصوب • ان بحيرة مسحورة نشأت فى الوادى المنسى تسكن ضفافها الشياطين ، وتخفى فى اعماقها كنزا عظيما ، هو كنز الخلود ، من كشفه فقد عرف سر الحياة ، فاستعصى على الموت ، وعاش أبد الدهر •••

وانتهت قصة البحيرة وكنزها الى آذان الامير «زبرجد» ، فأنصت لها لاهيا بادىء ذى بدء ، ثم لم يلبث أن ألفاها تستبد بمشاعره. والامير «زبرجد» شاب وثاب المطامع ، جرىء يهوى المخاطر ، شغف بالفلسفة حينا ، فلما أحاط بدقائقها انتقل الى الفروسية فبز فيها أعلامها ، ثم انساق بعد ذلك الى مجالى الشراب والنساء، فعب منها ما شاء أن يعب. وأخيرا برم بكل هذا ، وأحس الملل يشيع فى حياته ، وتشتد وطأته عليه. فوجد فى قصة هذا الكنز العجيب أكبر حافز له على النشاط والعمل على تبديد ضجره. وكان ذكى الفؤاد ، فأدرك ان القوة وحدها لن تنيله أمنيته ، فلا بد له من اصطناع الخدعة والمكر والاخذ بأساليب خفية من السحر ، فقصد على الفور الى «نيتى» عميدة الساحرات. وكانت تسكن قمة الجبل فى كوخها المنقور فى الصخر ، لا يعيش معها الا بومة معمرة تلقى اليها بالوحى، وقرد متهدل الاشداق يقوم على خدمتها، فتزلف اليها بمنحة عظيمة القدر، ورغب اليها أن تفقهه فى علوم الشياطين، فقادته الى «سرداب الحكمة» وهو وكر غائر فى قاع بئر عميقة يحوى جميع ما استغلق على البشر من فنون الشياطين وأسرارهم. ومكث الامير أعواما يدرس من غير كلل حتى استوعب موضوعه ، فخرج الى النور شاحب الوجه غائر العينين، ولكن قلبه عامر فياض

ذهب الامير الى منطقة البحيرة مستخفيا يستطلع، واستطاع أن يدنو من المغارة الكبرى، حيث يجتمع زفاف برفاقه، يرسمون الخطط مرة، ويسمرون أخرى. وأنصت الامير طويلا فسمع أشتاتا من حديث مبهم عن قصر عظيم وأميرة منعمة وشخصية عظيمة تدعى « بزعبول ». ولما انفرد زفاف بصفيه سرعرع استطاع الامير زبرجد وهو فى مخبئه ان يكتشف من ثنايا حديثهما سرا خطيرا هو أن زفاف يحس فى قلبه ميلا شديدا الى الخمر التى يصنعها البشر ، وانه يحق يحن الى معاقرتها فى تشوق

فى الليلة التالية بينما كان زفاف فى خلوته مع أمينه سرعرع اذ سمع لغطا وهرجا غير مألوفين تبين فيهما صوت استغاثة. ولم يلبث أن رأى رهطا من الشياطين الموكول اليهم الحراسة يدخلون وهم قابضون على شيطان أجنبى زرى الهيئة يحمل وجه صعلوك شريد. فلما مثلوا بين يدى زعيمهم قال رئيس الحراس : «مولاى ! وجدنا هذا الغريب يجول غير مبال فى منطقة نفوذكم السامى، فأتينا به لتروا رأيكم فيه »

فاضطجع زفاف على أريكته وقال للغريب وهو يتفحصه فى تأفف : «من تكون ؟»

ـ خادمكم « طغيان » من عشيرة « الفتاكين » البواسل !

فقال زفاف : «انها لسبة لا تمحى أن تنتسب لهذه العشيرة المجيدة. ورأس بزعبول انك لدعى كاذب وسوف أقتص منك أشد قصاص »

فركع طغيان وهو يرعد وقال : « لاتحكم على يا مولاى قبل أن تسمع قصتى ! »

ـ تكلم !

ـ لقد كنت من أشراف العشيرة قبل أن يحكموا على بالنفى

ـ ولماذا نفوك ؟
ـ لانى ذقت خمر البشر وأصبحت بعدئذ سكيرا
فاصابت زفاف هزة ، وصمت برهة وهو يقلب بصره فى طغيان . ثم صاح فجأة : « هذا جرم تستحق عليه الحبس أبد الدهر فى قمقم ملقى فى أعماق البحار ! »
والتفت الى الحراس وقال : « أنفذوا فيه عقوبتى ! »
وتكاثر الحراس على «طغيان» يريدون القبض عليه،فحاول الافلات منهم،فزلت به القدم فوقع ، وسقطت منه قنينة خمر معتقة كان يخفيها تحت شملته . وفاحت رائحة الخمر فعمت المكان بأسره...وأخذ زفاف يتقلب على أريكته تقلب المحموم ، وما لبث أن صاح : « دعوه لى.سأقتص منه بنفسى...خروجا ! »
وخرج الجميع . وبقى طغيان منفردا مع الرئيس !

***

وتقضت أيام ، ولوحظ على زفاف انه يبكر فى الخلوة مع سرعرع كل ليلة متبرما بحديث الرفاق الآخرين.وشوهدت بعض قنينات فارغة متناثرة غير بعيدة عن مغارة الرئيس ، فأخذ الاعوان يتهامسون ، ولكنهم لم يجرؤوا على فعل شىء ، ثم هزوا أكتافهم فى غيراهتمام وراحوا يتبسمون !
فى احدى الليالى خرج طغيان من المغارة بعد أن ترك الرئيس وصفيه ملقيين على فراشهما يغطان غطيطا منكرا وبجوارهما قنينة فارغة.خرج طغيان وهو يخفى تحت ابطه الخف السحرى ، ويحمل فى صدره كيسا فيه قبضة من مسحوق النوم.واتجه على التو صوب البحيرة،فألفى الحراس كسالى يتشدرون،فرش فى الفضاء جانبا من المسحوق،فما لبثوا أن طواهم سبات عميق.وامتطى الخف السحرى ، وانطلق يجرى على سفح البحيرة يسابق الريح،وكان يبتسم فخورا،وقد استطاع أن يكشف من زفاف سر القصر وربته، وأدرك حقيقة الامر فى قصة « كنز الحياة والخلود »
واخترق منطقة السحب ، وكانت تحيط بالقصر من كل ناحية ، كما يحيط قشر البيضة بالفرخ الجنين ، فبان له على ضوء القمر الرائق بناء شامخ ملاؤه من روعةوسحر . ولكنه لم يضع وقته فى التأمل بل تابع انزلاقه على الماء حتى دنا من الباب المقفل ، فلم يتمهل أمامه بل مرق منه مروق السر فى الآذان المرهفة ، وذهب على الفور الى الردهة التى تنام فيها خلوب وأعوانها ، فألقى فيها بشىء من مسحوق النوم . ومن ثم خرج واعتدل فى وقفته ، ثم انتفض انتفاضة ، فاذا بالصعلوك الرث الهيئة فارس رشيق فى حلة ثمينة ، وتقدم فى خطا هينة نحو مخدع « أزاهير »
ووقف عن كثب من الفتاة يتأملها وهى غارقة فى فيض هادىء من نور القمر المحتجب ، فبهره حسنها.لقد كانت كاملة الاوصاف يزيدها بهاء حلتها المنسوجة من ناضر الزهر ، وفراشها المصنوع من جدائل العذارى ، وأنفاس الليل العبقة تشيع فى الجو دافئة طيبة .

ووقف يتوسمها طويلا ويعجب لهذه الابتسامة الوضاحة على وجهها العاجي .. وسائل نفسه لماذا أتى ؟ وما الذي يتوى عمله الآن .. ووقف مترددا ، ثم وجد نفسه يتقهقر في حذر يحاول الاياب فعثرت قدمه بوسادة ، فوقع على الارض ، ولكنه نهض عجلا يلم شعثه ويسارق الفتاة النظر ، فألفاها قد انتبهت ، وسمعها تقول في لهجة ذات نغمة لطيفة : «هل أرسلتك خلوب بشيء ؟ »

فلبث يحدق فيها برهة وهو صامت ، يحد بصره في عينيها ، وداخله الشك في أمرهما : أهما عينان طبيعيتان تبصران أم هما صنعة بلور ؟!

وسمع صوتها مرة أخرى في لهجتها اللطيفة : « لماذا أيقظتني ؟ »

ودنا منها وانحنى أمامها وقال : « السلام على الاميرة «أزاهير» ! »

فلم تتغير ملامحها ، وعجب لهذه الابتسامة الغريبة التي بقيت على حالها لم يتبدل لها وضع في نوم أو يقظة

وغمغمت الفتاة : « ان صوتك غريب..وأغرب منه هذه الملابس التي ترتدينها..لم أرسلتك خلوب الى ؟ »

وهم الامير أن ينبهها الى خطئها في نعتها اياه بصيغة المؤنث ، ولكنه ابتسم وقال : « لم ترسلني خلوب ، بل أتيت من قبل نفسي ! »

ـ لم أرك هنا من قبل

ـ لست من سكان القصر !

ـ من أنت ؟

ألقت عليه هذا السؤال في لهجة أدهشته كل الدهشة ، لم تتغير نبرة صوتها ، ولم تنم صفحة وجهها ذي الابتسامة الدائمة عن أي انفعال أو تأثر..وهاتان العينان البلوريتان كانتا على حالهما في اللمعان والجمود !

وتراجع نحو الباب وهم أن يلوذ بالفرار ، بيد انه وجدها قد نهضت من الفراش ، وكانت رائعة القوام ، ولكنها لم تكد تسير بضع خطوات حتى تراءت له كأنها تمثال يتحرك.وسرت في جسمه رعشة ، وطافت برأسه شتى الافكار.ورآها تتقدم نحوه ، ثم لمست ثوبه متفحصة وقالت : « ستحضر لي خلوب ثوبا كهذا بلا ريب ! »

ورآها تمسك بيده وتخرج معه الى الشرفة الكبيرة التي تحيط بالقصر من كل جانب. وكان المكان هادئا بالغ الهدوء ، ونور القمر على حاله ينفذ من الضباب رائقا مصفى ، وأزاهير تسير في خطواتها البطيئة المتماثلة ، وابتسامتها هي هي لا تغيض ولا تفيض .. وقالت له وهي تنظر أمامها : « لم تخبرني من أنت !؟ »

فابتسم لها وقال : « أيهمك أن تعلمي من أنا ؟ »

فنظرت اليه ببلوريتيها اللامعتين وقالت : « كلا ولكن اذا رغبت في التحدث في هذا الشأن فسأصغي اليك ! »

ـ انى لست من أهل هذا المكان
ـ أأنت اذن من العالم البعيد ؟
وأشرق وجهه تطلعا وقال : « أتعرفين شيئا عن هذا العالم البعيد ؟ »
ـ انه عالم الصخب والشرور !
ـ ثم ماذا ؟
ـ لا شيء !
ـ كيف لا شيء ؟ أهذا كل ما تعرفين عن العالم البعيد ؟
ـ لم تريدين منى أن أعلم أكثر من ذلك ؟
ـ لمجرد المعرفة !
ـ ان المعرفة شاسعة والمجهول عظيم ، فلا يمكننا الكشف عنهما مهما نفعل ، لان هذا خارج عن نطاق قدرتنا العقلية !
ـ ولكن ثمة أسرارا عن هذا المجهول قد نستطيع الوصول الى معرفتها
ـ لن تصلى الا الى التافه الضئيل ، وسيظل المجهول مجهولا الى الابد
ـ ولكن هذا التافه الضئيل قد يفيدنا ، وربما قادنا الى العظيم !
ـ أوهام ، فقد يكون فى الكشف عنه أكبر الشرور ، فمن الخير تركه
وكانت تتكلم بلهجتها المتزنة كأنها شيخ وقور أو فقيه فيلسوف
ووقع بصرها على قلنسوته فسألت : « ما هذه ؟ »
ـ قلنسوة !
ـ ماذا ؟
ـ غطاء للرأس

ـ ولماذا تغطين رأسك ؟
فأعاد جملتها مفكرا : « لماذا أغطى رأسى ؟ لقد نشأت وأنا أتخذ هذا الغطاء للرأس دون أن أسأل عن فائدته .. لعله فى الاصل قد استعمل لحماية الرأس ! »
ـ أترينه يحمى رأسك الآن ؟
ـ ليس كثيرا
ـ اذن لماذا تستعمله ؟
ـ .. أرجح أنى أستعمله للزينة !
ـ ولماذا تتزينين ؟
ـ لماذا أتزين .. ما هذه الاسئلة ؟
ـ أتريننى قد ضايقتك ؟
ـ كلا ولكنك منذ حين كنت تتكلمين عن المعرفة ، وانه ليس ثمة فائدة من الاستزادة منها ، ولكنك فى الوقت نفسه ، لكى تزدادى معرفة ، تمطريننى وابلا من الاسئلة

ـ يلوح لى أنى أخطأت !
ـ بالعكس رأيى أنك أصبت الاصابة كلها !
فصمتت برهة ثم قالت : « ألا تقولين لى لماذا تتزينين ؟ »
ـ لتغدو هيئتى مقبولة
ـ أى ان هيئتك بدون الزينة غير مقبولة !
ـ يحتمل
ـ اذن ما تفعلينه نفاق وتغرير
فحدق فيها الأمير وقتا ثم ابتسم وقال : « قد يكون لونا من النفاق والتغرير »
ـ ان النفاق والتغرير شر جسيم !
فانطلق الامير يضحك ، ثم أخذ بيديها وقال : « أزاهير ! »
ـ ماذا ؟
ـ أراك تتحدثين عن الشر فهل تعرفين ما هو ؟
ـ هو شىء ردىء !
ـ أو أتيت الشر لتفهمى ما هو ؟
ـ لم آته قط !
ـ اذن كيف تعرفينه ؟
ـ أعرفه بضده ، فأنا بالخير عليمة !
ـ أمعرفتك بالخير الصرف كافية لان تفهمى الشر ، وتميزى بينه وبين ضده ؟
ـ بلا ريب !

ودنا منها على مهل حتى تقارب وجهاهما ، ثم اقتطف من فمها قبلة ، وقال وهو يرنو اليها : « أمن الخير هذا أم من الشر ؟ »
ولبثت أزاهير صامتة تنظر اليه ووجهها كما هو بملامحه الصلبة ، غير أن أمرا واحدا قد وقع : ان ابتسامة وجهها قد اعتورتها بعض خلجات خاطفة ، وسمع الامير أزاهير تقول : « ماذا تقصدين بما فعلت ؟ »
ـ قبلتك !
ـ ماذا تقصدين بأنك قبلتنى ؟
ـ وصلت بين روحى وروحك فترة من الزمن
فتوقفت أزاهير عن الكلام مفكرة ثم همست : « وصلت بين روحى وروحك ؟! »
وأرسلت الفتاة بصرها فيه وهى تقول : « وما الذى دعاك ان تفعلى ذلك ؟ »
ـ اعجابى بك ! أنت رائعة الجمال يا أزاهير !
وأنصتت اليه وابتسامتها تغزوها الخلجات بين حين وحين وقالت : « أنا رائعة الجمال ! »
ـ ألا تعرفين ذلك ؟

ـ وما هو الجمال ؟
ـ الجمال ضد الدمامة !
ـ وما هي الدمامة ؟
فضحك الامير وقال : « ضد الجمال ! »
ـ أنت تعبثين بي ...
ـ ألم تقولي ان كل شيء يتميز بضده ؟
ـ ألا يمكنك أن تريني شيئا دميما ؟
فالتفت حوله وهو يجمجم : « هنا كل شيء جميل ، مع الاسف ؟! »
فامسكت بيده وقالت : « قولي لي ما هو الجمال ؟ »
ـ الجمال .. الجمال هو ما تهواه النفس فيبعث فيها الغبطة والارتياح !
ـ اذن كل ما هو حولي تهواه نفسي فيبعث فيها الغبطة والارتياح ؟
ـ بلا جدال
فصمتت برهة مفكرة ثم قالت : « لماذا لا يحضرون لي شيئا دميما أراه ؟ »
فابتسم الامير وقال : « يلوح لي أن الدمامة شر ! »
ـ وهل هي موجودة في العالم البعيد ؟
ـ العالم البعيد يعج بشتى الالوان من جميل ودميم وخير وشر
فاضطربت أنفاسها شيئا ، وقالت وهي تحد بصرها فيه : «ألا تحدثينني عن العالم البعيد؟»
ـ قد أريك اياه يوما . أما الآن ..
وأمسك بيدها يلاطفها وقال في حنو : « الآن أريد أن أحدثك عن نفسك .. أنت رائعة الجمال يا أزاهير .. رائعة كأنفاس الصبح ، بديعة كورد الربيع .. بيد أن ... »
ـ .. ماذا ؟
وصمت هنيهة ، ثم قال : « أرى أن زيارتي قد امتدت ، فأغارت على وقت نومك .. ألا تأذنين لي بالانصراف ؟ »
ـ ومتى تعودين ؟
ـ أأنت في حاجة الي ؟
ـ لتسمعيني شيئا عن « العالم البعيد » !
ـ قد أعود ، وقد لا أعود أبدا !
فاختلج وجهها .. ودنا منها وطوقها بذراعه وأمال رأسها على صدره ، وقبلها قبلة طويلة ، ما كاد ينتهي منها حتى أبصر عينيها البلوريتين المتناهيتين في الصفاء والسكون قد طافت بهما بعض غيوم مربدة ، وغاضت ابتسامتها لحظة وهي تقول : «اخرجي .. واتركيني . ولا تعودي الي أبدا ! »
وفي لمح البصر اختفى الامير من أمامها !

تلك هى المرة الاولى التى تأخر فيها الاميرة « أزاهير » فى نومها ، ولما أحضرت لها خلوب « الفطور » لاحظت على وجهها العاجى الناصع حمرة خفيفة ، كما ان لمعة عينيها لم تكن فى صفائها المألوف ، ولكن ابتسامتها ما زالت كما هى لم يتبدل لها شكل !

***

وبينما كانت خلوب تلقى على أزاهير درس الحكمة ، اذ بالفتاة تقطع عليها حديثها وتقول: « كيف أستطيع أن أميز بين ضدين اذا جهلت أحدهما ؟ »

فتفحصتها خلوب برهة ثم قالت : « هذا موضوع قد فرغنا منه بعد أن وفيناه حقه . أنسيت ما لقنتك اياه ؟ »

ـ انى أحفظه كلمة كلمة

ـ اذن علام هذا السؤال ؟

ـ هكذا ..

وانطلقت خلوب تعيد على مسامع الفتاة ما كانت لقنتها اياه فى هذا الموضوع ، وأزاهير أمامها تنظر اليها مصغية .. وبغتة قالت لها : « ألا تخبريننى بذلك « الامر » الذى يصل بين روحين ؟ »

فرمتها خلوب بنظرة عميقة وغمغمت : « الذى يصل بين روحين ! »

ثم اقتربت منها عجلة وقالت : « ما هذا الذى تحسين به اليوم ؟ »

فتركتها « أزاهير » وسارت نحو النافذة ، تستقبل بسمات النسيم ، ثم تمددت هادئة على متكأ وثير ، وأغمضت عينيها ..

وهرعت خلوب الى الوصائف ، فأسرت اليهن بما رأت وما سمعت ، وسرعان ما سرت الرعشة فى أبدانهن ، وانطلقن على الفور يتناقشن فيما يجب عليهن من عمل . أيعرضن الامر على زفاف ليبلغه الى الزعيم أم يكتمن الخبر خشية العقاب .. وأخيرا أخذن بالامر الاخير ، واعتزمن ان يعالجن الموضوع فى تدبير وحكمة وان يشددن الرقابة على أزاهير

وحل المساء وآب كل الى مخدعه ، وأسبلت أزاهير جفنيها ، ولكنها لم تنم . كانت تنصت الى كل حركة أو نأمة ، وبغتة فتحت عينيها وقالت : « ها قد أتيت »

وسمعته يقول : « لقد رغبت فى حضورى ! »

وكان يرتدى حلة جديدة لا يلبسها الا أبناء الملوك ، ويضع هذه المرة على جنبه الايسر سيفا ذا مقبض مرصع . فقامت اليه ، ووقفت أمامه تتفحصه معجبة بهيئته ثم قالت : « ما هذا المعلق على جنبك الأيسر ؟ »

ـ سيفى !

ـ عصا تعبثين بها ؟

ـ بل أذيق بها الموت !

وأخذت سيفه تطيل النظر فيه وهى تردد : « الموت ؟! »

ـ حذار فهذا السيف رسوله الامين !

ورفعت عينيها الى وجهه وقالت : « ما هو الموت ؟ »

ـ الموت ..

ثم تريث في الكلام وعاد يقول : « الموت ضد الحياة ! »

ـ ضد الحياة ؟

ـ كل ما هو من خصائص الحي من حركة وتنفس ووحدة جثمانية ، وما الى ذلك لا تجدينه في الميت

ـ اذن فالموت انقلاب فظيع ؟

ـ بل تغير بسيط : تحول يطرأ على المركب فيحيله الى عناصره البسيطة

ـ أهو شر ؟

ـ من يدري

ـ كيف لا تدرين ؟

ـ تعالى الى البستان نستنشق نسيم المساء ..

وأخذ بيدها فخرجا الى الشرفة ، ثم هبطا الى البستان ، وكانت حديقة فواحة ممتلئة بأصص الأزهار والأشجار ، ذات تنسيق فريد ، تشقها طرق مرصوفة بالحصباء الملونة وتجرى فيها جداول عذاب . وكان الصمت الشامل يغشى كل شيء فيسمع لخفق الاقدام وقع جميل ..

ووقع بصر الامير على وعاء من المرمر فيه سائل فقال لها : « ما هذا ؟ »

ـ عصير من الفاكهة صنعته خلوب

ـ أهو شرابك ؟

ـ نعم

ـ أتسمحين لى أن أذوقه ؟

ـ خذى منه ما يروق لك

فجرع الامير من الوعاء جرعة ثم قال : « شراب لذيذ لم أذق مثله في حياتي »

ـ أتراه كذلك ؟

ورنت اليه أزاهير برهة ، فابتسم لها وقال : « أتسمحين لى أن ألفت نظرك الى خطأ تقعين فيه وأنت تحدثينني ؟ »

ـ أى خطأ تعنين ؟

ـ تخاطبينني بصيغة المؤنث !

ـ ماذا تقصدين بذلك ؟

ـ ان دنياك كلها اناث على ما يلوح لى .. أما دنياى ففيها الذكور والاناث

ثم أخذ يشرح لها ما يلائم كل جنس من نعوت ، وما يجب عليها أن تنعته به ، فقالت

له في يسر : « اذن أنت من الصنف الاول ؟ »

ـ أصبت

فسرحت بصرها في الافق مفكرة وقالت : « وهل ثمة فارق بين الجنسين ؟ »

ـ نعم ، ولكنه فارق لا يباعد بينهما بل يجمع ويؤلف

ـ كيف يجمع بينهما ويؤلف ؟

ـ بالحب !

ـ الحب .. ما هو ؟

ـ هو امتزاج بين عنصرين

ـ أهو خير ؟

ـ بل شر جميل !

ـ شر جميل ؟ كيف يتحد الضدان ؟

فأجال الامير فكره لمحة ، ثم لم يلبث أن أخرج من بجيبه شبه مدية سرعان ما جرح بها بطن كفه ، فانبثق الدم من الجرح ، فجمعه في راحته ، فقالت له أزاهير وهي تراقبه:

ـ ما هذا ؟

ـ بعض قطرات من دمي

ـ دمك .. ماذا تعني ؟

ـ دمي . نعم دمي : السائل الذي يغذي جسدي

ـ ومالي به ؟

ـ ذوقيه ..

ـ لماذا ؟

ـ قلت لك ذوقيه !

فما كادت تذوقه حتى قالت : « ليس طيبا »

ـ انه كريه المذاق !

ومزج الامير ما جمعه من دمه بعصير الفاكهة ، وقدم الوعاء لها ، وقال : اشربي! فأطاعت وقال لها وهو يراعيها : « أليس من السهل ان يتحد الضدان ويكونا مزيجا عجيبا ؟ »

فتمتمت الاميرة : « انه مزيج لطيف ! »

وأقبل عليها الامير ولف نفسه واياها في عباءته ، وسرعان ما وجدت أزاهير نفسها متعلقة به وهو يطير بها في الجو تاركا القصر وساكنيه .. فأحست شعورا غامضا غريبا يسري في جسدها جعلها ترتعش ، فهمست قائلة : « ماذا تقصد بهذا ؟ »

ـ أريد أن أحملك الى موطن الشر والجمال !

وكاد الذهول يستولي عليها ، واستبد برأسها الدوار فأراحته الى صدر الامير ، وأطبقت جفنيها !

وجعل الامير يرنو اليها ، وهو يعلو بين طبقات السحاب ، فوجد شفتيها ترتعشان ، وقد اصطبغتا بحمرة لطيفة ، فأدنى وجهها من وجهه وغاب واياها فى قبلة مديدة ! ولما أراد ايقاظها همست قائلة وفمها على فمه : « دعنا كذلك ! »

ـ ولكننا وصلنا !

وفتحت أزاهير عينيها فغشيتها الانوار الخاطفة فحجبت نظرها بيديها وهى تقول : « أين نحن الآن ؟ »

ـ فى ايوان من قصرى ..

وأخذ بيدها وأجلسها على متكأ وثير وقال لها : « استريحى لحظة ريثما أرسل من يحضر لك بملابسك الجديدة »

ـ ملابس كملابسك ؟

ـ بل ما يشابهها

واكتنفت أذنها بعض الصيحات والضجة المختلطة ، فقالت وهى تحاول ان تنظر الى وجهه : « ما هذا ؟ »

ـ انها ضجة الاحتفال

ـ أى احتفال ؟

ـ لقد جمعت فى البهو الكبير القائم تحت هذه الحجرة جماعات من الناس سيقضون الوقت فى طعام وشراب ، ثم فى سمر ورقص وغناء

ـ وأنا ؟

ـ لا تخشى شيئا . سأذهب لادعو وصيفة معها الملابس

وتعلقت به وقالت : « لا تتركنى ! »

ـ سأكون على مقربة منك ..

وخرج الامير من الحجرة . وبعد قليل دخلت الوصيفة بالملابس واختلت بأزاهير وخلعت الفتاة ملابس الزهر ، وارتدت ملابس الاميرات من بنى الانسان . ووقفت أمام وصيفتها تزينها وتعطرها وتصفف شعرها وتلبسها الحلى الغوالى،ثم ذهبت بها الوصيفة الى مرآة كبيرة ، فما ان تراءى لها خيالها كاملا أمامها حتى تراجعت بضع خطوات .. ثم ما لبثت ان تقدمت وهى تتأمل نفسها طويلا

ودخل الامير « زبرجد » وهو يصيح طربا : « يا للجمال الالهى .. تعالى فقد حان الوقت لان أظهرك للمدعوين »

ولف ساعده بساعدها ، وترك الحجرة والفتاة تسير بجواره صامتة وعيناها تائهتان ، وما أن أقبلا على السلم ، وأخذا ينزلان الدرج حتى لمحت أزاهير البهو الاسفل يموج بحشد كبير من الزوار فتوقفت ثم غمغمت : « لا . لا .. لا أريد ! »

ـ كيف ؟

ـ عد بى الى قصرى !
ـ ألا تريدين أن تشاهدى دنياى ؟
ـ وماذا يهمنى منها ؟
ـ فى الواقع لا شىء ، ولكن ثمة نساء فى البهو ، أميرات وغير أميرات ، يتنافسن فى الملاحة والزينة والمقدرة على اصطياد القلوب من الرجال . انه منظر فريد . يجب ألا يفوتك مرآه
فقالت بصوت خفيض : « عدبى الى قصرى .. »
ونزل معها الدرج وهى تزداد التصاقا به . وما ان أشرفا على البهو حتى شخصت اليهما الابصار ، وسكنت على الفور الضجة ، وبعد برهة سمع هتاف الجمع يردد : « مرحبا بالأمير زبرجد ! »
وأجاب الامير صائحا : « مرحبا بكم ايها الاخوان . لقد وعدتكم بمفاجأة طريفة . وقد وفيت بعهدى . ان الاميرة أزاهير ، سيدة مملكة السحاب ، قد تواضعت فشرفت بحضورها هذا الاحتفال . حيوا الاميرة معى ورددوا : مرحبا بالاميرة أزاهير ، سيدة مملكة السحاب ! »
فصاح الجمع بعده يردد قوله فى حماس ، ثم ركع الامير زبرجد أمام أزاهير ولثم يدها ، فانحنى الناس كلهم لها فى تحية طويلة
فمضت أزاهير تحدق برهة فيهم ، ثم رفعت رأسها فى زهو وخيلاء ، وردت على تحيتهم فى صيحة عالية
وسار بها الامير يخترق وإياها الصفوف ، والجمع يتزاحم حولهما يلتهمهما بعيونه المتطلعة ، وأخذت الضجة تعود الى سابق عهدها ، وانطلقت الموسيقى تحلق بأنغامها فى جو المكان ، وقد اشتد سطوع الانوار . وكانت أزاهير تسير وهى لا تعرف من أمرها شيئا ، لقد اختلط أمامها كل شىء . ما هذا الذى تراه : أحقيقة هو أم خيال ، وما هذا «الزبرجد» العجيب وما شأنه معها ؟ وهذا الجمع المحدق بها ، وهذه الاصوات ، وهذه الانوار . انها لتحس تخاذلا ، ورآها الامير تترنح فاحتضنها فاذا هى تفقد الحس بين ذراعيه . وذهب بها الى حجرة قريبة وأرقدها على أريكة لينة ولم يدع أحدا يتبعه ، واعتنى بها حتى أفاقت ، واذ رأته قالت : « ماذا حدث ؟ »
ـ لا شىء ! هاجمك على حين غرة نعاس رفيق !
فدارت بعينيها حولها ثم قالت : « عد بى الى قصرى ! »
ـ هذا ما فكرت فيه أيضا !
ـ هلم !
وأدنى كأسا من فمها وقال : « اشربى ! »
ـ ما هذا ؟

ـ شراب مفيد !

فشربته على مضض اذ لم تستسغ مذاقه ، وقالت « أشعر بجسمي يلتهب »

ـ لا تخشى بأسا

ـ متى نعود ؟

ـ فى الحال !

ـ وأنت ماذا تصنع بعد عودتى ؟

ـ سأرجع الى هنا !

وأخذ كأسا فأفرغ شرابها فى فمه دفعة واحدة فقالت : « أتحب هذا الشراب ؟ »

ـ نعم ! لما فيه من قوة خارقة !

ـ اسقنى منه !

***

وخرج الامير زبرجد وأزاهير ثانيا الى البهو ، فاستقبلهما الجمع بالتهليل ، ثم لم يلبث الناس أن انصرفوا الى رقصهم ، وأخذوا بين القينة والقينة يطعمون ويشربون ، فاندفع زبرجد بفتاته معهم يشاركهم طربهم وقصفهم .. ووجدت أزاهير نفسها تضحك كما يضحكون ، وترقص كما يرقصون ، وأسرفت فى الشراب ، وكانت تلازم الامير ، لا تدعه يبتعد عنها ، وانتبهت مرة ، فرأت نفسها أمام كأسها منفردة ، وعن كثب منها جماعة من الفتيان ينظرون اليها مبتسمين ، وأحدت من بصرها حولها تبحث عن الامير ، وبعد لأى وجدته فى حلقة الرقص مع فتاة يخاصرها ، فوجدت نفسها تترك مكانها على عجل متجهة صوبه ، فلما دنت منه اختطفت سيفه من غمده ، وفى لمح البصر أحست يدها تهوى على الامير ، فمس السيف كتفه ، ثم ارتدت صائحة وقد خيل لها ان الارض تميد تحت قدميها ، وأن البهو قد انقلب فأصبح عاليه أسفله..ورأت نفسها تسقط..ولما عاد اليها وعيها ألفت نفسها مع زبرجد منفردين فى حجرة ، فبادرته بقوله : « ماذا فعلت ؟ »

فأجابها مبتسما : « ضربتنى بالسيف ! »

ـ اذن قتلتك ؟!

ـ كلا !

ـ بل أنت ميت !

ـ لم أمت !

ـ كيف ؟

فلاطف خدها وقال : « ان السيف فى يد الحسناء يفقد مضاءه »

ـ أنت تكذب !

ـ أزاهير !

ـ لقد أتت أزاهير أمرا فظيعا !

ثم امتلأت عيناها بغتة بالدموع ، وما ان أحست بالقطرات الساخنة تسيح على وجنتيها حتى ارتاعت وأخذت تتحسسها بأصابعها وتقول : « ما هذا ؟ »

ـ انها دموع تسكبها عيناك !

ـ دموع ؟ ومن أين أتت ؟

ـ من نبع قلبك

ـ أليست هي روحي تنسكب قطرة قطرة ..

وأرادت أزاهير أن تمسح تلك القطرات بكفها ، فقال لها الامير : « لا تفعلي ! »

ـ لماذا ؟

وأمسك بيديها ، وجعل يحدق في وجهها وقتا وقطرات الدموع اللؤلئية تنحدر على صفحته تارة هادئة وطورا عجلة ، ثم أدنى رأسها منه ، وهوى على فمها يقبلها قبلة حانقة !

***

وأخذ الامير فتاته بين ذراعيه ، وبسط على منكبيه عباءته ، وطار بها يشق السحب عائدا الى القصر . وفيما كانت أزاهير متوسدة رأسه وهي تنظر اليه ، وهو يطوى أطراف عباءته ، ويبسطها كما يفعل الطائر بجناحيه ، همست في أذنه : «عجيب أمر هذه العباءة !»

ـ انها بدعة البدع تخفي من يرتديها عن العيون وتذهب به حيث شاء متى شاء !

ودخلا القصر وأشعة الفجر ترحب بهما ، وأرقد زبرجد الاميرة على فراشها ، وقد أصبح وجهها يلتهب بنضرة الحياة ، ثم وقف قبالتها صامتا ونظره لا يفارق طلعتها ، فقالت له وقد ألح عليها التعب : « لماذا تنظر الى هكذا ؟ »

ـ انها نظرة الوداع الاخير يا أزاهير !

ففتحت جفنيها الذابلين وقالت : « أتزعم أنك لن تعود ؟ »

ـ نعم !

ثم صمت برهة وهو ينظر أمامه نظرا تائها وهجس : « لماذا أردت كشف سر هذا المكان والوصول اليك ؟ »

ثم ركع أمامها ، وأمسك يديها ووجهه قبالة محياها ولبثا وقتا ونظراتهما متصلة ، ثم انحنى الامير على يديها واندفع يلثمها ..

وقام يريد الخروج فاستبقته قائلة : « ألا تترك لي شيئا يذكرني بك ؟ »

ـ أترغبين في شيء معين ؟

فهمست له برغبتها ! فوقف أمامها برهة مترددا ، ثم ناولها ما طلبت ، وخرج على عجل

***

قلقت خلوب اذ رأت أن النوم قد استبد بأزاهير الى وقت متأخر ، فدخلت عليها توقظها ، واذ دنت منها لحظت أن وسادتها مبتلة ، وقد عهدتها دائما جافة : أهو ندى الفجر قد تسلل فبللها ، ولكن نظرة واحدة الى وجه أزاهير كانت كافية لان تلقى بالرعب في قلبها

وتقدمت « خلوب » فأيقظت أزاهير ، وما ان فتحت الفتاة جفنيها حتى بادرتها المربية بقولها : « أشاهدت رؤيا أثناء نومك ؟ »

ـ رؤيا ...؟

ـ رؤيا رديئة ؟

وأخذت أزاهير تلتفت حولها ثم قالت : « رأيت كأن السحاب الذى يحيط بالقصر قد هبط ولامس الماء ! »

فنظرت اليها خلوب واجمة ثم خرجت تعدو الى الوصيفات ، وهى تكاد تجن ، وشرحت لهن حالة أزاهير ، فسرت فى أجسادهن الرعدة ، وتمثلت لهن مملكة الظلام بأعاصيرها السود الهوج ، تلهب أجسادهن بسياطها الكاوية ، اذ أعدها لهن بزعبول اذا لم يصبن نجاحا فيما كلفنه !

وتفرقن شيعا يراقبن أزاهير فى غدوها ورواحها . ألفينها تقضى الوقت ساهمة مفكرة ، وقد أضربت عن تلقى دروس الحكمة ، ثم رأينها تقوم الى الحديقة وتطيل النظر فى مائها حيث تنعكس على صفحة الماء صورتها ، وشاهدنها والعجب آخذ منهن مأخذه ، وهى تقطف الأزهار القانية ، وتلون بعصيرها خديها ، ثم رأينها وهى تصفف شعرها على نحو جديد لم يعرفنه من قبل ، ثم لاحظنها وهى تسير على حافة الغدير تتغايد فى مشيتها

وكانت خلوب وصواحبها كلما رأينها تفعل ذلك اصطكت أسنانهن هلعا ، واعتزمن ألا يتركنها منفردة على الاطلاق

ولما حان وقت النوم وتمددت أزاهير على فراشها ازدحمت التابعات ، وعلى رأسهن خلوب ، حول بابها ، وتحت نافذتها ، فأقمن أنفسهن حراسا عليها

***

وقبل السحر بقليل قامت أزاهير من نومها ، ونهضت من فراشها فى حذر فوجدت الوصيفات قد استغرقن فى النوم ، فقصدت على الفور الى المخبأ الذى أخفت فيه تذكار الامير ، وأخرجته فكانت العباءة السحرية !

وبسطتها على منكبيها ، وفى لحظة اختفت عن الانظار !

محمود تيمور

محضتنى النصح لكن ...

ما بالى اوثر الأحمق الذى يبعث السرور الى نفسى على المجرب الذى يبعث الحزن فى قلبى ؟ « وليم شاكسبير »

العِلْمُ والعالَمُ

هل للحرب مبرر اقتصادى ؟

الارقام التى لا تكذب ولا تخدع لا تقدم لنا مبرزا ماديا لهذه الحروب المروعة التى تأخذ الانسانية أخذ المردة الجبابرة ..

يريد الساسة ان يبرروا المجزرتين الرهيبتين اللتين قامتا فى سنة ١٩١٤ وسنة ١٩٣٩ بأن ألمانيا تريد املاكا ومستعمرات تستغل خيراتها وتستأثر بمواردها ، أو بأن اعداءها يريدون ان يبقوا على ما ملكت ايديهم من أقاليم ومناطق تدعم بمنتجاتها وتصرف لهم مصنوعاتهم .

ولكن كلام الساسة يسوق دائما من الاكاذيب اكثر مما يورد من الحقائق . اما الذين يعتمدون على الوقائع والارقام فيقولون ان نفقات الحرب الكبرى الاولى قد بلغت [illegible] بليون من الدولارات — دع ثلاثين مليون نسمة من زهرة الشباب وصفوة الرجال قتلوا فى معاركها

وقد وضع أحد علماء امريكا البارزين ، وهو مدير جامعة كولومبيا ، تقديرا طريفا عن تلك الاموال الهائلة التى انفقتها الدول المحاربة ، فوجد انها تكفى لتشييد بيت قيمته ٢٥٠٠ دولار واعداده بأثاث قيمته ألف دولار ، واقامته على أرض فسيحة مساحتها خمسة افدنة ثمنها خمسمائة دولار — ثم يوهب مثل هذا البيت لكل أسرة فى بريطانيا وفرنسا وألمانيا وبلجيكا وروسيا وكندا واستراليا والولايات المتحدة الامريكية !

وتبقى بعد ذلك كمية عظيمة من المال يمكن ان تقام بها فى كل مدينة من مدن تلك الدول يزيد عدد سكانها عن عشرين ألف نسمة دار حافلة بالكتب قيمتها خمسة ملايين من الدولارات وجامعة كبيرة يتكلف انشاؤها عشرة ملايين من الدولارات ..!

اتحسب ان نفقات تلك الحرب قد نفدت كلها ؟ كلا ! فما زال يتبقى منها ما يكفى لتأليف جيشين جرارين : احدهما من المدرسين وثانيهما من الممرضات ، وعدد أفراد كل جيش ١٢٥٠٠٠ نسمة ، ويتقاضى كل فرد فيهما مرتبا سنويا قدره ألف دولار !

فهل نصدق السياسيين الذين يقولون ان الحروب تقوم سعيا الى الثروة والرخاء عن طريق فتح اقاليم جديدة أو الابقاء على الاملاك الموجودة؟ كلا ، فالارقام تثبت ان ما يخسرونه فى ساحات القتال من المال اعظم واكبر بكثير مما تأتى به الحرب من أملاك وغنائم !

ولكن يتبقى للحرب مع هذا مبررها النفسى . فليست أطماع الزعماء ولا كرامات الشعوب بما يقدر بأرقام الارباح والخسائر ، بل ولا بعدد الضحايا من الجرحى والقتلى ..

اهداف العلم المقبلة

تناول العالم الانجليزى الاستاذ هلدين فى كتاب أصدره حديثا موضوع « أهداف العلم فى الايام المقبلة » . فكان مطمئنا الى المستقبل على نقيض عامة العلماء الذين يشفقون من هذه الحرب المروعة ان تدمر حضارة اوربا وتقوض صرحها العلمى .

يقول هالدين ان اسلافنا كانوا يريدون من العالم ان يكون ساحرا يأتيهم بمعجزة اختراع الآلة التى تريح الانسان من العمل الشاق دون ان تؤدى فى الوقت ذاته الى بطالة العامل . ويبتكر لهم الطائرة التى تصل اجزاء العالم سويا فى اثناء ساعات او دقائق ، ويحول فى الوقت ذاته دون اتخاذها فى حمل القنابل والقاء القذائف من النيران والسموم

اما اليوم فقد انقضى عهد العالم الساحر . وصار من العلماء من يجرد نفسه لاختراع غازات سامة أشد فتكا مما عرف الناس ، أو لتربية جراثيم أوباء تجتاح الناس الآمنين الوادعين

ولكن هل لنا ان نتشاءم من المستقبل ، هل لنا أن نخشى من تجرد بعض العلماء من الدافع أو الوازع الانسانى ؟ كلا ! فان معارفنا الاكيدة فى علم الكيمياء تجعلنا على ثقة بأن من المستحيل اختراع متفجرات تبلغ قوتها ضعف ــ ولا اكثر من ضعف ــ المتفجرات المعروفة لنا الآن .

كما ان اتخاذ جراثيم الامراض فى تقتيل الناس تخرج عن طوق الانسان ، واذا امكن نشرها فى مكان ما عم وباؤها الجميع على السواء فهى لا تعرف الحدود الفاصلة بين الدول والجيوش . وقد جاهد العلماء اثنتين وثلاثين سنة (١٨٨٦ ــ ١٩١٨) فى اختراع اشد الغازات السامة ، فاخرجوا غاز الخردل الذى يمكن ان نؤكد ان جهودهم فيه قد وقفت عنده

اما اشعة الموت التى توقف قلب الانسان اذا صادفته وتعطل محرك الطيارة اذا بلغته فستظل خيالا من الخيلة القصصى المبدع ويلز ، فليس فى مباحث العلم الحالية ما يحملنا على ان ننظر اليها نظرة جدية

فاهداف العلم المقبلة لن تكون اهداف ايذاء وتخريب ، ولكنا نجد بينها كثيرا من اهداف الانشاء والاصلاح . فاننا ننتظر تقدما حقيقيا فى العلوم الطبيعية يمكننا من القضاء على جميع الامراض . لقد استطعنا فيما مضى ان نقاوم معظم الامراض الناشئة من البكتيريا مثل الطاعون والكوليرا والدفتيريا . وكذلك نستطيع ان نمنع الامراض الناشئة عن الحشرات مثل حمى التيفوس . ولكنا ما زلنا فى بدء العمل لمقاومة الامراض الناتجة عن « الهواء » مثل الانفلونزا والحصبة والجدرى . ومن الواجب ان تكون هذه الامراض خاضعة لارادتنا بعد عشرين سنة قادمة كما اخضعنا فيما مضى التيفود والكوليرا

وسوف يصير السرطان مجموعة من الامراض يمنع ويعالج كل منها علاجا ناجعا . وقد امكن الآن علاج السرطان الجلدى الذى يصيب العاملين فى الزيوت والاحماض او فى تنظيف المداخن والمجارى . فيجب ان يتقدم الطب فى استخدام الراديوم واشعة اكس فى تخليص الانسانية من هذا المرض الذى يخيفها

أما البيولوجيا فسوف تتقدم تقدما عاجلا ، وذلك بتوثيق الصلة بين الكيمياء والحياة ، والتوسع فى دراسة الغدد وآثارها فى النشاط الانسانى ، ومعرفة معنى الحياة والموت معرفة علمية دقيقة . وكذلك يجب معرفة الكيان العضوى للعقل ، وقد استطعنا الآن ان نتبين التيارات الكهربائية التى يصدرها المخ وان نسجلها تسجيلا واضحا . وسوف تتقدم هذه الدراسة تقدما عظيما فتغير حياة الافراد وحياة المجموع تغييرا كبيرا

وهكذا يجب ان نطمئن الى مستقبل العلم ونتفاءل باتجاهه القادم

تيسير عملية الولادة

حينما تضع الام طفلا تؤدى لوطنها خدمة كبيرة يعجز الرجل غالبا عن ان يؤدى ما يضاهيها . فكيف اذن يجوز للعلماء وللاطباء ان يسكتوا عن تعريض حياة الام للخطر وللموت حين تقوم بهذا العمل النبيل ؟

ان نسبة الوفاة بين النساء ساعات الولادة وفى أعقابها تبلغ أحيانا درجة من الخطر المخيف . ففى كل ألف والدة يموت فى اليابان ٦٦ر٢ واحدة وفى نرويج ٧٤ر٢ ، وفى ايطاليا ٨٧ر٢ ، وفى هولنده ٠٧ر٣ ، وفى السويد ٣٢ر٣ ، وفى الدنمرك ٧٨ر٣ ، وفى انجلترا وويلز ٩٥ر٤ ، وفى نيوزيلنده ١٥ر٤ ، وفى ايرلنده ٥٤ر٤ ، وفى افريقيا الجنوبية ٥٠ر٤ ، وفى كندا ١٣ر٥ ، وفى ألمانيا ٢٤ر٥ ، وفى استراليا ٣٦ر٥ ، وفى اسكوتلنده ٧٦ر٥ ، اما فى الولايات المتحدة الامريكية فيموت ٠١ر٦

ومعنى هذا انه فى العصر الذى تقدم فيه العلم والطب تقدما عظيما يموت فى الولايات المتحدة وفى كندا كل سنة ٢٥٠٠٠ امرأة فى اثناء الوضع أو بامراض ناجمة عن الولادة . ولكن يمكن تقليل هذا العدد الى نصفه على الاقل اذا اقيم فى كل حى وفى كل قرية مستشفى خاص بالولادة تقصده كل امرأة لتقضى فيه الشهرين السابقين لتاريخ الوضع تحت رقابة الاطباء واشرافهم ، اذ ان العناية الصحية بالحامل فى المدة التى تسبق الوضع خير ضمان لسلامتها من خطر الولادة ومشقتها

قاهر العالم

لا تحسب انه هتلر ، وانما هو الفأر

فلا شك ان هذا الحيوان التافه يعرض اجسام البشر وثرواتهم لاخطار فادحة وخسائر جسيمة

وقد أفرد له الباحث الفرنسى «البرت كولنات» فى كتابه عن « الاوبئة والتاريخ » فصلا حافلا بالغرائب . فقال انه من المحتمل ان تكون اسوأ نتائج الحروب الصليبية فتح ابواب أوربا للفئران التى انسابت اليها من آسيا فى سفن الجنود . وقد مضى على أوربا سبعة قرون وهى تكافح هذا الوباء الوافد دون جدوى ، بل ان خطره يشتد يوما فيوما ويعم ارجاء العالم اقليما فاقليما

وكان الاوربيون فى أول الامر يحسبون ان أضرار الفئران مقصورة على المزروعات والمأكولات فأخذوا يجردون عليها حملات كبيرة لصيدها وقتلها . ولكن هذا الحيوان الولود الماكر كان أشد قوة وأبرع حيلة من الانسان

ثم تبين الناس أخطارها الصحية ، فهو الذى نشر اوبئة الطاعون والتيفوس الرهيبة التى غمرت أوربا عدة مرات متتالية : فى العصور الوسطى، ثم فى القرن السادس عشر ، ثم فى اثناء حروب الثلاثين سنة ، ثم فى القرن السابع عشر

وقد كان الفأر الذى انساب من الشرق الادنى خلال الحروب الصليبية اسود اللون ، ولكن هناك فأر أشد منه خطرا هو « الفأر البنى » الذى تسلل الى أوربا فى القرن الثامن عشر وافدا من منغوليا أو من آسيا الوسطى . ويقال انه زحف على اوربا عابرا نهر الفولجا اثر زلازل وقعت فى تلك المناطق فى سنة ١٧٢٧ ، وقد عاث هذا الفأر فى كل ركن من اركان اوربا ، ثم عبر منها فى سنة ١٧٧٥ على ظهر احدى السفن الذاهبة الى امريكا ، حيث انتشرت أسرابه فى قارتيها انتشارا مريعا . ولا توجد الآن منطقة على سطح الارض بمنجاة من اخطار هذا الفأر الا المنطقة القطبية التى لا يحتمل الحياة وسط جليدها

وفى وسع الفأر ان يتأقلم وفق كل مناخ ويعيش على كل طعام . وهو يجيد السباحة فى الماء كما يجيد تسلق التلال والجبال فلا سبيل الى صده واتقائه . واسنانه الدقيقة الحادة تنخر وتنفذ فى كل شئ ، فتفتح المنافذ وسط كتل الاخشاب وخلال احجار الجدران وكثيرا ماتنقب أسس المبانى وتقوضها . واذا عضها الجوع هاجمت غيرها من الحيوان بل هاجمت الصغار من بنى الانسان . ومن غرائب الطبيعة ان هذا الحيوان التافه يخيف الوحوش الكاسرة حتى انها تفزع منه وتلوذ امامه بالفرار

وفراء الفأر خير مأوى للبراغيث التى تنقل شر الاوبئة واخطرها وهى الطاعون والتيفوس . ولهذا استطاع الفأر ان يخرب فيما بين القرنين الثانى عشر والثامن عشر كثيرا من مناطق أوربا بما نشره بين أهلها من اوبئة فتاكة . بل لقد لعب هذا الحيوان الضئيل دورا خطيرا فى الحروب التى نشبت بين شعوب اوربا طول العصور الوسطى وفى مستهل العصور الحديثة . فقد كان نصر احدهما مرهونا باصابة غريمه بأحد هذه الاوبئة التى تنشرها الفئران . ويمكن ان يقال ان كل ما أصاب انجلترا وفرنسا واوستريا واسبانيا من الانتصارات والهزائم فى تلك الحروب المتصلة كان مرجعه الى الفئران وما تنشره من

أوبئة بين أهليها أو بين أعدائها . ومع ان الطب الوقائي تقدم كثيرا في مكافحة أخطار الفئران الا انها ما زالت مصدر كثير من المخاوف

يوم في نيويورك

يحدث في مدينة نيويورك في كل اربع وعشرين ساعة : ان يولد ٣٧٥ طفلا منهم ١٥ طفلا يولدون أمواتا ، وان يقتل ٣٤ شخصا في حوادث الطرق والصدام بين وسائل النقل ، وان تشب ٧٣ حريقا ، وان يعقد زواج ١١٦ فردا بينما ينتحر اربعة اشخاص ، وان يودى المجرمون بحياة واحدة بينما يقبض على اربعة اشخاص بتهمة الاجرام ، وان يشخص امام المحاكم المختلفة ١٧٣٠ فردا . ويحدث كذلك في هذه المدينة كل يوم ان يكتب ٣٢٫٤٥٧ رسالة منها ٣٤٣ رسالة ينسى اصحابها ان يبينوا على اغلفتها عنوان المرسل اليه ، وتقرض المكاتب العامة فيها كل يوم ٣٠٫٦١٨ مجلدا منها ١١٩ مجلدا لا ترد الى هذه المكاتب ثانية

الحياة الحديثة تضعف العيون

الاضواء اللماعة التي تضطرب بها المدن الكبرى في الليل ، ولوحات السينما الخاطفة التي تجذب انظار جميع الطبقات ، والدخان القاتم الذي تبعثه المصانع فيملأ اجواء المدن الصناعية ، وانتشار وسائل المطالعة واقبال كثير من الناس على قراءة الصحف والكتب — كل هذه الاسباب التي تمتاز بها الحياة الحديثة قد أضعفت ابصار الناس .

ولهذا يقدر عدد من يستعينون « بالنظارات » على تقوية بصرهم او وقايته بعشرات الملايين ، منهم خمسة عشر مليونا في بريطانيا ، وخمسة واربعون مليونا في الولايات المتحدة الامريكية ، وثمانية عشر مليونا في ألمانيا ، وعشرون مليونا في اليابان وهذه يعرف أهلها بضعف النظر منذ اقدم العصور .

والشعوب اللاتينية أصح وأقوى نظرا من سائر الشعوب . وقلما تجد في بريطانيا رجلا جاوز الخامسة والاربعين لا يستعين بمنظار على النظر أو على القراءة

والنساء أسلم عيونا من الرجال . ولعل مرجع هذا الى عنايتهن بنظافة عيونهن على سبيل التجمل ، والى عدم تعرضهن للدخان والغبار وقلة اقبالهن على القراءة كما هو شأن الرجال

وقد اخترع الزجاج منذ آلاف السنين ولكنه لم يتخذ في حماية العين وتقوية البصر الا منذ بضعة قرون . ويقال ان العالم الانجليزي « روجر بيكون » كان أول من لبس منظارا في بريطانيا وذلك في القرن الثالث عشر ، فكان الناس ينتقدون عمله ويضحكون من منظره . ولكن لما ظهرت الصحف وانتشرت قراءتها بعد ذلك بثلاثة قرون ألف الناس شكل المنظار وأخذ ينتشر بين جميع الناس

ارقى الشعوب واحطها

الولايات المتحدة الامريكية هي مجمع شعوب الارض ، فقد فتحت ابوابها دهرا طويلا لجميع الاجناس دون تمييز فلم يتخلف جنس منها عن ان يوفد اليها ممثليه بالآلاف والملايين . فاذا اردنا ان ندرس شعوب العالم في صعيد واحد لنرى مستوى كل منها من الرقي الاجتماعي فلن نجد خيرا من امريكا مجالا للدرس والمقارنة

وقد قامت المجلة الامريكية المشهورة « فورم » باستفتاء قرائها ، وهم يمثلون الصفوة المثقفة من القراء الامريكيين ، عن ارقى وأحط الجماعات الاجنبية التي تقيم الآن في الولايات المتحدة الامريكية ، أي تلك الجماعات الاجنبية التي ولد أفرادها خارج امريكا ثم رحلوا الى هناك وأقاموا فيها وصاروا جزءا من مجتمعها العام

وهذه نتيجة الاستفتاء عن « أرقى الاجناس » موضحا أمام كل جنس النسبة المئوية التي نالها في هذا الاستفتاء :

الالمان	١٣ ٪
الانجليز	١٠٫٣ ٪

الاسكندناويون	٩ر٧	٠/٠
الايرلنديون	٦ر٤	٠/٠
اليهود	٢ر٨	٠/٠
الايطاليون	٢ر٢	٠/٠
الفرنسيون	١ر٨	٠/٠
مختلفون	٦ر٩	٠/٠
لم يجيبوا	٤٩ر٦	٠/٠

وهذه نتيجة الاستفتاء عن «أحط الاجناس» :

الايطاليون	٢٢ر٥	٠/٠
اليهود	٦	٠/٠
الالمان	١ر٤	٠/٠
اليابانيون	٢ر٥	٠/٠
المكسيكيون	١ر٨	٠/٠
الروسيون	١ر٥	٠/٠
اليونان	١ر٤	٠/٠
البولنديون	١ر١	٠/٠
الصينيون	١	٠/٠
مختلفون	٤	٠/٠
لم يجيبوا	٥٥ر٤	٠/٠

الكلاب في المقدمة

لا شك في أن الحرب الكبرى الحالية تناقض في اساليب القتال ووسائله جميع ما سبقها من الحروب . ولكن الكلاب التي كانت فيما مضى عنصرا هاما من عناصر الحرب ما تزال لها قيمتها في ساحات القتال . وقد وضع الكاتب الامريكي « سكوتي آلان » كتابا عنوانه « الذهب والرجال والكلاب » تحدث فيه عن مهمة هذا الحيوان في الجيوش الحديثة ، فقال ان في كل منها فرقة من الكلاب ممرنة على نقل السلاح والمؤونة والرسائل بين الخطوط والخنادق . واكثر الجيوش اهتماما بهذه الفرقة هو الجيش الالماني الذي أدرك منفعتها الكبيرة في الحرب الماضية فقررت الحكومة الالمانية تجنيد كل كلب يزيد ارتفاعه عن خمس عشرة بوصة اذا ثبت بالاختبار صلاحيته للعمل في ميدان القتال

وكذلك كانت هناك فرقة كبيرة من الكلاب تعمل في الجيش الفرنسي . وقد سرحت عند نهاية الحرب وكان عددها حينذاك ٠٠٠ر١٥ كلب . عدا ٥٠٠ر٣ كلب قتلت في المعارك و ٠٠٠ر١٠ كلب فقدت او ضلت الطريق . ولم تبق فرنسا من هذه الفرقة سوى عدد قليل كانت تستخدمه في أعمال الامن وكشف الجرائم

وكان الجيشان الفرنسي والبلجيكي يستخدمان الكلاب في نقل الجرحى من الميادين الى المستشفيات وفي حراسة المخافر وتنبيه الحراس الى من يقترب منها ، وفي تتبع خطوات الاعداء بوساطة أنوفها المرهفة .وكذلك في نقل الذخائر على ظهورها وجر المدافع الخفيفة في المناطق الوعرة . وقد اثبتت الكلاب فائدتها في الاقاليم الجبلية والمناطق الجليدية التي يتعذر على المشاة اختراقها محملين بالأسلحة والذخائر . واستطاعت احدى فرق الكلاب ان تعبر جبال الفوج في الحرب الماضية محملة بتسعين طنا من الذخيرة وان تقطع بها مسيرة اربعة أيام رغم ان الجنود والخيول لم تستطع ان تجتاز هذه المسافة الا في اربعة عشر يوما

وهناك منفعة أخرى لفرقة الكلاب هي ابادة الفئران التي تعبث في خنادق الميادين . والذين قرأوا قصة « كل شيء هادئ في الميدان الغربي » يدركون فظاعة هذه الفئران التي كانت تهاجم الجنود وتنهش اجسامهم وهم نيام فيفرون أمامها مذعورين ، والتي كانت تأكل جثث القتلى فتسمن وتفحل حتى تصير كالوحش الكاسر ينقض على الجند ويلتهم المؤن ، ولهذا كانوا يتخذون من الكلاب المدربة حراسا يردون عنهم عادية هذه الفئران ، التي يخشى فضلا عن هذا ما تنشره من الامراض والاوبئة الفتاكة

ونفقات هذه الكلاب قليلة جدا لانها تأكل لحوم الخيول التي تسقط قتيلة في الحرب . كما يمكن تدريبها سريعا لما تتصف به من الذكاء والاخلاص واقبالها على التضحية في سبيل أصحابها

الحركة الفكرية

العبقرية الحربية

قلما تتوافر فى القواد المعاصرين

هل يتوافر فى قادة الجيوش الحديثة ما توافر فى أسلافهم الذين قادوا الجيوش الغابرة من العبقرية الحربية؟ وهل قامت عظمة فوش وهندنبرج على دعائم العبقرية الكاملة التى قام عليها مجد نابليون وفون مولتكة ؟

يتساءل ويجيب عن هذا الكاتب الانجليزى ادوارد شانكس فى بحث تاريخى عرض فيه أبطال القيادة الحربية فى جميع ادوار التاريخ وتقصى فيه اسباب ظهورهم وعوامل انتصاراتهم ، فانتهى الى ان تكوين الجيوش الحديثة وطبيعة الحروب الحالية من شأنها الا تبرز أو تهيىء كفاءة حربية فذة ممتازة تغنى الجيش — كما كانت تغنيه فى كثير من الاحيان الماضية — عن كثرة الجند ووفرة العدد فى كسب المعركة وتحقيق الغلبة

يرى هذا الباحث ان القائد العبقرى لا يظهر الا اذا أتيح له ان يرقى الى مرتبة القيادة وما زال فى سن الشباب حين تكون الملكات الحربية الصحيحة فى عنفوان قوتها واضطرامها . ولا يكون ذلك الا اذا توافر له أحد هذه الظروف الثلاثة : (١) اما ان يكون صاحب عرش يؤيده ويعززه منذ نشأته الاولى (٢) واما ان يكون سليل أسرة مجيدة أو ذا قوة كبيرة مشهورة ، (٣) واما ان ينشأ وسط ثورة لاهبة تضرم النفوس نارا فتدفعها الى المجد فى نشوة وذهول

وجميع القواد الذين برزوا فى العهود الماضية اتيحت لهم احدى هذه الحالات الثلاث فافادوا منها ما مكنهم من تولى زعامة الجيوش فى ابان فتوتهم وشبابهم . فالاسكندر بدأ فتوحه فى مستهل شبابه ، لانه ابن ملك اورثه جيوشه وضباطه . وكذلك كان شأن جوستاف ادولف بطل السويد وفردريك الاكبر قائد بروسيا . اما دون مارليرو بطل انجلترا فى ارض فرنسا ودوق ولنجتون قاهر نابليون فهما ابناء أسر انجليزية عريقة اورثت ابنيهما اسما بارزا أتاح لهما ان يقوما ويقودا وما برحا فى عهد الشباب . اما القادة الذين استغلوا روح الثورة المتقدة فى شعوبهم فى دفعها الى المجد الباهر والنصر المؤزر فنذكر منهم يوليوس قيصر وكرومويل ونابليون

اما الجيوش والحروب الحديثة فلم تعد فى حاجة الى تلك الصفات الحربية التى يمتاز بها الشباب دون الشيوخ وهى الجرأة والمغامرة والاندفاع . ولهذا قل ان يتاح للجندى ان يتولى مركز القيادة الا بعد ان يتجاوز طور الشباب ودور الرجولة ويدلف الى سن الكهولة والشيخوخة التى تخبو فيها ملكات البطولة الحربية . فهؤلاء قادة الحرب الكبرى الاولى وقادة الحرب الكبرى الثانية كلهم شيوخ جاوزوا سن الخمسين والستين والسبعين ، أى السن التى يحل فيها التروى محل الجرأة ، والحذر مكان المغامرة ، والاتزان بدلا من الاندفاع ولهذا لا نجد منهم عبقريا فذا كهؤلاء العباقرة الموهوبين الذين ترن اسماؤهم الخالدة فى صحائف التاريخ

ولكن القواد المعاصرين يمتازون بأمرين : خبرة طويلة كسبوها بالتجربة والمران عشرات السنين ، وتوليهم أمر جيوش جرارة لم تحمل الارض مثلها قبل الآن . والواقع ان من يقرأ كتاب الماريشال فوش بطل الحرب الكبرى الاولى الموسوم باسم « مبادىء الحرب » لا يرى فيه لمحة من لمحات هذه العبقرية الشاذة التى كسب بها

نابليون معارك استرلتز وبينا وغيرهما رغم ان فوش أتيح له اضعاف اضعاف ما أتيح من الجند والعدد لنابليون

ان الجيوش والحروب لم تعد فى حاجة الى « عبقرية » تبتكر وتفاجيء وتخادع . بل فى حاجة الى « زعامة » تحكم الجند وتهيىء الذخيرة . وقد اجمع خبراء الحرب على ان اكفأ القواد فى الحرب الماضية لم يكن جوفر او فوش او هيج بل كان القائد الاسترالى « سير جون موناش » ذلك انه اقتصد من خسائر الارواح فى جيشه ووفر من المؤن والذخيرة لجنده اكثر ما امكن ، مع انه لم يظهر فى القيادة اى شيء يدل على المهارة الحربية فضلا عن العبقرية العسكرية

« كفاحى » جديد

يوضح سياسة روسيا المقبلة

تحدث الهلال فى عدده الماضى عن « كفاحى الروسى» اى تلك الوثيقة السرية التى رسم فيها بطرس الاكبر سياسة روسيا فى سيادة اوربا ووسائله الى تحقيق هذه الغاية الكبرى

ولكن هل تريد روسيا البولشفية ان تتحدى تلك السياسة القيصرية ؟ او هل لستالين « كتاب » يوضح خطته كما اوضح بطرس خطته فى تلك « الوثيقة » ؟

لقد كتب ستالين فى سنة ١٩١٧ كتاباصغيرا سماه « الماركسية والمسألة القومية والمسألة الاستعمارية » .. اوضح فيه ان السياسة السوفياتية يجب ان تصر فى حزم ويقين على احترام حقوق جميع الشعوب وحرياتها فى تقرير مصائرها ، وأكد فيه ان اخفاق الثورة البولشفية مرهون باليوم الذى تتخلى فيه روسيا الجديدة عن هذه السياسة وتعود الى الاخذ بخطة القيصرية فى القهر والاستعمار

وقد اهتم ستالين فى هذا الكتاب بتكرار الحديث عن استقلال فنلندا الذى كان اولى الخطوات فى تحقيق هذه السياسة الدولية الجديدة التى تنادى بها البولشفية . وقد تتبعها خطوات أخرى فى تحرير بعض المناطق التى تتاخم روسيا فى حدودها الجنوبية الشرقية

ولكن هل لا يزال ستالين عند رأيه فى ذلك الكتاب أم هل عدل عنه الى سياسة بطرس القديمة منذ ان اقتسم مع ألمانيا أرض بولندا واتخذها غنيمة يحكمها ويستعمرها ، ثم عندما حارب فنلندا واخضعها لنير حكمه وسطوته ؟

انا نجد جواب هذا السؤال فى الكتاب الجديد الذى صدر بالانجليزية بعنوان «كفاحى لستالين» فقد وضحت فيه سياسة روسيا السوفياتية توضيحا وافيا دقيقا كما شرحها وابانها زعيمها وحاكمها ستالين فيما وضعه من كتب والقاه من خطب قبل وبعد توليه حكم روسيا . وكذلك فيما أجراه من أحاديث مع كبار الكتاب والصحفيين امثال اميل لودفيج وه . ج . ولز ووالتر دورانتى وروى هوارد

ويشتمل هذا الكتاب على أربعة اجزاء هذه عناوينها « وظيفة الثورة » و « فى داخل روسيا » و « سياسة الشيوعية » و « العالم والسوفييت » ولم يأت الكتاب فى عرض هذه الموضوعات الاربعة بشيء من الفروض او التقديرات بل اقتصر على ايراد اقوال ستالين وآرائه ونظرياته

واذا كانت السياسة الدولية الحالية قد جرت فى اغلب اشواطها وفق ماسطره هتلر فى «كفاحى» عندما كان رهين السجن فى سنة ١٩٢٤ أى حين كانت النازية حركة طائشة فى مهدها لا تكاد تجد نصيرا من غير العمال العاطلين والجنود المشردين ، فكيف يجب ان يكون اهتمام الساسة والمفكرين « بكفاحى » الذى كتبه ستالين وهو مشرف على السياسة الروسية الى جانب لينين ثم وهو قابض على زمامها بيديه الرهيبتين ؟

لا شك ان الساسة الذين اهملوا او اخطأوا فلم يقرأوا كتاب هتلر منذ عشر سنين قراءةجدية

ولم يرسموا خططهم ويهيئوا انفسهم اتقاء للاخطار التي تنذر بها كل صفحة من صحائفه ، يجب الا يهملوا او يخطئوا مرة ثانية في قراءة كتاب ستالين الذي سيكون له نصيب كبير في توجيه السياسة الدولية في السنين القادمة

هذا وسيصدر الزعيم تروتسكي عما قريب كتابا ضخما من جزأين عن تاريخ ستالين وسياسته ، ورغم ان كلا من الزعيمين لا يكره أحدا قدر ما يكره صديقه القديم ، الا انا سنجد في كتاب يضعه هذا الثوري الداهية والمفكر الكبير دراسة دقيقة للسياسة الروسية ونظرة صائبة الى اهدافها المقبلة

الثورات : كيف ومتى تقوم ؟

من أخطر المسائل التي تهم السياسيين والمفكرين في العصور الحديثة مسألة « المجتمع المريض » الذي تعبث فيه روح الجريمة او تتهدده روح الثورة . وقد قام كثير من الباحثين والمؤرخين الاجتماعيين بدراسة هذا المجتمع المريض دراسة علمية على نمط تلك الدراسة التي تتخذ في تعيين « الفرد المريض » مرضا اجتماعيا كالاجرام مثلا

وابرز هؤلاء الباحثين في امريكا « روبرت هنتر » من اساتذة جامعة كليفورنيا ، فقد تفرغ لدراسة موضوع الثورات الاجتماعية منذ عشرين سنة ، أي عقب الثورتين الكبيرتين اللتين قلبتا حياة روسيا عند قيام الشيوعية وألمانيا عند هزيمتها في الحرب الكبرى . وقد أسفرت الثورتان عن ثورات صغيرة متفرقة شملت كثيرا من أمم العالم فازالت عروشا شتى وحكومات مختلفة ، واظهرت زعماء كثيرين وانظمة جديدة . فدرس هذا الاستاذ مختلف الثورات التي قامت حديثا وقارن بينها وبين ما نشب منها في ادوار التاريخ ، وانتهى من ذلك الى نتائج اجتماعية دقيقة ضمنها كتابه الاخير : « الثورة : لماذا وكيف ومتى ؟ »

يرى هذا الباحث ان الثورة لا تقوم الا في احدى هذه الحالات الاربع : (١) نظام حكومي يفقد ثقة الامة اثر هزيمة حربية او خراب اقتصادي (٢) نظام مالي مهدم يخشى ان يؤدي الى كارثة اقتصادية عنيفة (٣) شعب محطم القوى المعنوية نتيجة هزيمة عاتية أو أزمة عاصفة ألمت به (٤) أقلية عنيدة يقودها زعماء مهيجون وتؤيدها قوة مسلحة أجنبية . والواقع انا لا نجد في التاريخ الحديث او القديم ثورة واحدة شبت في ظرف غير هذه الظروف الاربعة . فثورات لينين وموسوليني وستالين نتيجة ما منيت به روسيا وايطاليا وألمانيا من هزائم حربية منكرة ، او ازمات مالية عاصفة

وقد لاحظ هذا الباحث ان الشعب لا يقوم بثورة ما ، وانما تقوم بها طبقة واحدة من طبقاته هي الطبقة المتوسطة . فاذا كانت هذه الطبقة راضية بحياتها مطمئنة الى حكومتها فلن تقوم في الامة ثورة ما . وقد تغمر الامة كلها غمرة طامية من الفقر والشقاء ومع هذا لا تضج ولا تثور ، ولكن اذا احست الطبقة الوسطى وحدها انها مظلومة مهضومة فسرعان ما تشب الثورة وتتقد نارها . فالذي يولد الثورات ليس هو الفقر الشامل بل هو احساس الطبقة المتوسطة بانها مظلومة

ولهذا يخطىء مؤلف الكتاب كارل ماركس في حسبانه ان العالم الرأسمالي سينتهي اثر قيام حرب عالمية كبرى تنشب في جميع ارجاء الدنيا نتيجة الفقر المدقع الذي يبعث شرر الثورات فنار الحروب ، يرى المؤلف ان هذا الرأي لا يؤيده استقراء وقائع التاريخ ، فما دامت الطبقة المتوسطة بعيدة من النزاع فلن تكون هناك ثورة ما . واذن فالمجتمع الذي يريد ان يتجنب الثورة ويريد ان يبقى على نظامه يجب ان يؤمن الطبقة الوسطى على حياتها ويخلق حولها جوا من الرضى والقناعة

ليست الفنون من ضحايا الحروب

رأى شاعر الملك الانجليزى

يكاد المرء يحسب وسط هذه الاهوال التى تأخذ الانسانية أخذ جبار عنيد ، ان اطفالنا الذين حدثناهم فى بيوتنا ومدارسنا عن روائع الفن واسحاره ، سوف يشبون فلا يجدون اثرا فيا يستشعرون من خلاله ان على الارض ثمة شيئا جميلا نفيسا يستحق ان نحيا من اجله حياة الكفاح والنضال

ولكن الشاعر الانجليزى الكبير «جون ماسفيلد» لا يشاطر الناس شيئا مما يحسبون ويخافون ، ذلك انه يعيش فى منعزله قريبا من اوكسفورد عيشة الفنان الفيلسوف الذى انصرف الى شعره وحكمته نائيا عما يضطرم به العالم من حرب وسياسة سينتهى أمرهما مهما طال يوما من الايام . فهو اذن يستطيع ان يلقى نظرة الى المستقبل البعيد يرى من خلاله ما يؤمننا على مستقبل الفنون ومصيرها ، فيقول :

« ان حب الجمال قد تأصل فى نفس الانسان وامتدت جذوره فى قرارها . فالناس لا غنى لهم أبدا عن الكتاب والموسيقى والمسرح والصورة والتمثال . واذن فلن تكون هذه الآثار ضحية من ضحايا الحرب مهما طال أمدها واتقدت نارها قد تؤدى الحرب الى شل الحركة الفكرية لان الناس لا يستطيعون ان « يمولوا » الفن ويمولوا الحرب فى آن واحد . ولكن ارواح البشر ستبقى أبد الدهر شيقة الى الفن طامحة الى الجمال

« ما ازال اذكر كيف كان الناس فى اثناء الحرب الماضية يقبلون على الكتب وعلى القراءة أيما اقبال . وكيف كانوا يعرضون عن القراءة اليسيرة الخفيفة ويؤثرون الكتب الرصينة والقصص الدقيقة . فتكونت عادة القراءة فى جماهير لم تكن تألف النظر فى الكتب ، وتحولت جماهير أخرى من الكتب الشعبية المبتذلة الى الكتب « الكلاسيكية » الثمينة

« وكان يستوى فى الاقبال على القراءة الجندى المحارب فى الميدان والسيدة المستكنة فى بيتها . وانى أعرف جنودا كثيرين اصطحبوا فى خنادقهم دواوين ميلتون وورزورث وقصص ديكنز وهاردى . بل انى أعرف جنديا ظل يتنقل بين الخنادق والحصون والخطوط حاملا مجموعة من المؤلفات الحديثة حتى وقعت عليها قنبلة مزقتها واحرقتها ، لقد كانت هذه الكتب اثمن واجمل ما يملك ويرى حينذاك . كانت عزاءه عن المحنة التى يقاسيها كما كان يرى من خلالها ان فى هذه الدنيا اشياء تستحق ان يحارب ويكافح من أجلها ليظفر ويستمتع بها ان قدرت له الحياة ، أو ليتركها تراثا ثمينا لاخوته وبنيه ان قدر عليه الموت

« وكذلك كان يتلهف الجنود فى خنادق القتال على الصور والرسوم ويطلبونها من أهلهم وصحبهم فى الخلف . ولست أنسى شغف الجنود العائدين من ساحات الحرب بعد انتهائها بالموسيقى التى كانت تملأ الفراغ نفوسهم دون ان تكلفها جهدا أو عناء

« وسيكون اقبال الناس على الكتاب وعلى الفن خلال هذه الحرب أكثر من اقبالهم عليها فى اثناء الحرب السابقة . فهذه فاجأتنا على غرة ولم نكن على بينة من اسبابها وبواعثها ، وتلك سرنا اليها بخطى وئيدة مقدرة بعد ان وجدنا أن لا بد منها مادمنا تأبى الخضوع والاذعان . ولهذا ستكون قراءتنا فى هذه الايام قراءة درس وبحث واستقصاء ، بدليل ان أكثر الكتب ذيوعا فى انجلترا هذا العام هو «الكتاب الابيض الانجليزى» الذى يبحث مقدمات النزاع الحالى »

هذا هو رأى شاعر ملك الانجليز يطمئن الانسانية على مستقبل الفن الجميل ومصير الثقافة العالية

الكتب الجديدة

هتلر فى الميزان

بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

(طبع بمطبعة حجازى بالقاهرة صفحاته ٢٢٦)

ليست الديمقراطية – مهما يقل القائلون فيها – بالنظام الذي يسهل القضاء عليه بطائفة من الدكتاتوريين بسم لهم الحظ وحولوا كل شيء فى بلادهم الى سلاح، فانتصروا – أو خيل اليهم أنهم انتصروا . ان الديمقراطية أرفع من ذلك مكانا وأعز منالا . إنها تراث البشرية من قديم الزمان . ماتت عنها أمة يونان وظهر عليهم الرومان فلم تمت . وما سجل البشر من ذلك التاريخ الى الآن الا جهاداً لاينقطع لبعث الحرية التى اليها دون غيرها تطمئن الانسانية وتزهو الحضارة وتحيا الشعوب

والاستاذ الكبير عباس محمود العقاد فى هذا الكتاب فارس من فرسان الديمقراطية . وقلمه فى الدفاع عنها وتصوير مثالب الدكتاتورية قوى جبار . وميزانه قد يبدو لغير المتعمق كميزان البربرى فى روما متعنتاً فى جبروت ، وهو فى الحق ومن أجل الدفاع عن حرية الشعوب جد دقيق

فالفكرة السائدة عن هتلر ، وصورته المرسومة فى مخيلات الناس هى التى أرادها الالمان لزعيمهم

والامة الألمانية كما يصفها الاستاذ العقاد « لعلها مصابة بقصور شديد سلمت منه أمم دونها فى عدد النوابغ الأفذاذ ، وهو قصورها فى التربية السياسية وضعف ايمانها بالحرية » . لذلك صورت زعيمها على هواها ، فجاء بشراً فوق البشر ، وبطلا أحيط بهالات القداسة وأمجاد آلهة الزمان القديم . فاذا ما جردته من كل ذلك ظهر لك « الانسان » الذى صوره الكاتب بكل نقائصه وعيوبه

لقد أبى العقاد أن ينساق فى تيار مهما تكن شرته فهو راكد عما قليل . وطبيعته النقادة حللت لنا هتلر الفرد ، فاذا هو معدوم. وما هتلر الالمان الا « البوق الذى ينفخ فى الجماهير أو يردد صدى الجماهير » وكان فى تحليله وبسط نوازع نفس الزعيم الالمانى فى المحيطين به من خاصته المقربين بارعا فى الوصف، عازفا عن غير المعقول ، راداً كل شيء الى أصله ، مصححاً أخطاء النازية وصرامة زعيمها ، يدفعه الى كل ذلك ايمان بالحرية وعقيدة فى الديمقراطية ، « فأقل ما يرجى من انتصار الديمقراطية أن تبقى حالة الحرية كما كانت فى السنوات الأخيرة . ، أما أكبر ما يرجى من انتصارها فهو اتساع آفاق التفاهم والتعاون بينها وبين الأمم الطبيعية ، وهى خطة صالحة للاقوياء والضعفاء على السواء ، يظفر منها الأقوياء بمودة لا يستهان بها ، وتخفيف فى النفقات الحربية هم أحوج ما يكونون اليه ، ويظفر منها الضعفاء بالعضد الذى يريحهم من أعباء الدفاع ، ويتيح لهم أن يوجهوا أموالهم وأرزاقهم وجهة الاصلاح والتعمير »

والعقاد بعد كان يبحث فى أعماق نفسه فلا

بنى فيها « غير المقت والازدراء لأولئك الذين يوم عظماء التاريخ لأنهم طلبوا المجد والشهرة من طريق الغزوات والفتوح ، وقاسوا عظمتهم بمقدار احتقارهم للانسان » . وعلى هدى هذا الايمان بأن العظمة ليست فى الغزوات والدمار ولكن فى السلام والعمران بنى هيكل كتابه ، فجاء من أقوى ما قرأنا من كتب السيرة والنقد . وهو حرى أن ينال أكبر قسط من الحفاوة بين قراء العربية

الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة

تأليف أبى الحسن على بن بسام الشنترينى

(طبع بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . صفحاته ٤١٦)

هذا هو الجزء الأول من كتاب ابن بسام الأندلسى ، نشرته كلية الآداب بالجامعة المصرية نشراً علمياً دقيقاً ، فأسدت الى الأدب العربى خدمة من أجل الخدمات

وقد قال الدكتور طه حسين بك فى مقدمته إنه أصل من أصول الأدب العربى الأندلسى ومرجع من أهم مراجعه . « دفع صاحبه الى تأليفه أمران : أحدهما حبه لوطنه الأندلس وحرصه على أن يثبت لها تفوقها فى الأدب والعلم . وأن يثبت هذا التفوق لمعاصريه خاصة لكثرة ما رأى من افتتان الناس من أهل أفقه بالشرق وأدبائه وعلمائه وإعراضهم عن الأندلس وما أنتجت من أدب وعلم . والثانى حرصه على تقليد الثعالبى فى كتاب اليتيمة الذى صور فيه أدب معاصريه من الشعراء والكتاب . . ثم هو شديد الحرص على أن يرفع من شأن وطنه ، وينوه بأعلام الشعر والنثر فيه . وهو حريص كل الحرص على أن يسير سيرة الثعالبى فى هذا كله ، وعلى أن يصطنع المنهج الذى اصطنعه الثعالبي فى تأليف كتابه . . »

والكتاب كما يعلم خاصة القراء تاريخ أندلسى جمع طائفة كبيرة من أخبار ملوك الأندلس ووزرائهم وشعرائهم وكتابهم على النمط المعروف فى التأليف إذ ذاك ، فهو بمثابة دائرة معارف أندلسية عربية جمعت الى مجرد الرواية أساليب وقواعد فى النقد الأدبى مما يجدر بكل أديب أن يتقنه

حمار الحكيم

للأستاذ توفيق الحكيم

(طبع بمطبعة التوكل . صفحاته ٢١٠)

هذا هو الكتاب الحادى والعشرون للأستاذ توفيق الحكيم فيما نعلم . . وهو كتاب — أو إن شئت فقل قصة — مهداة الى (الصديق) الذى ولد ومات وما كلف ولكنه علمه . . وهذا الصديق هو الذى يروى عنه البيتان التاليان :

قال حمار الحكيم توما
لو أنصف الدهر كنت أركب
فاننى جاهل بسيط
وصاحبي جاهل مركب

ثم نثر البيتين فقال : « متى ينصف الزمان فأركب ؟ فأنا جاهل بسيط ، أما صاحبي فجاهل مركب .. » فقيل له : « وما الفرق بين الجاهل البسيط والجاهل المركب ؟ » فقال : « الجاهل البسيط هو من يعلم أنه جاهل ، أما الجاهل المركب فهو من يجهل أنه جاهل ! »

وقد وصف الأستاذ الحكيم حماره فاذا هو (جحش . .) . « ولكن هذا الجحش كان ولا ريب جميلا فى الجحوش . فقد كانت عيون

المارة تشع بالاعجاب قبل العجب . . ووقفت به سيدات انجليزيات داخلات محل « جروبى » فما تمالكن أنفسهن من اظهار الحب له . . »

وهذا (الجحش) يسكن الفنادق الفخمة . . ويقف أمام المرائي معجباً بنفسه . . ويأتيه صاحبه بفنجان من اللبن فلا يشرب ، فيأتيه « ببزازة » فيضرب عن الطعام قطعاً . . ثم هو يركب السيارات ويتأمل فى جمال الكائنات . . وصاحبه يسير به فى الحضر ، فتقرأ (لكليهما) آيات فى (الحكمة) البسيطة والمركبة

الفردوس أو سياحة فى القاهرة

للاستاذ عبد الرحمن البرقوقى

(طبع بمطبعة الاستقامة بالقاهرة — صفحاته ١٢٠)

الفردوس — أو نهج رسالة الغفران كما يجوز أن يسمى هذا الكتاب النفيس — وصف شائق لسياحة تخيلها الأديب الفاضل الاستاذ عبد الرحمن البرقوقى فى الآخرة

ويحدثنا المؤلف ان فكرة الكتاب خطرت له بعد قراءته « رسالة الغفران » لأبى العلاء المعرى ونشرها : « فكان أن سحرت بهذه الرسالة ، وكان من أثر هذا السحر ان فكرت فى عمل انحو فيه هذا المنحى ، من جهة المظهر والمبنى ، لا من جهة المخبر والمعنى ، واحتذى فيه على هذا الحذو البديع ، وان لم يدرك الظالع (الضعيف) شأو الضليع »

وقد تخيل الاستاذ البرقوقى أديبا جاءه أحد الأنبياء فى بيته ذات ليلة من الليالى واستصحبه معه وصعد به الى الجنة حيث التقى بطوائف شتى من أعلام الأسلام ، وجرى بينهم وبينه أحاديث طريفة فى مختلف الموضوعات الأدبية والاخلاقية والاجتماعية . وقد اثبت الاستاذ انه فى لغة العرب جد ضليع ، ومنها متمكن ، فأسلوبه فى « فردوسه » رصين ، وتعبيره قوى مكين ، والخيال بعد واسع المدى مترامى الاطراف ، يصف لك العالم الآخر فكأنك انتقلت اليه وجلست بين افنانه على شطى كوثره ، وتجرى بينه وبين رجالاته أحاديث بارعة لا تقل جودة عما أورد المعرى فى رسالته الخالدة ، فيا حبذا لو استفادت وزارة المعارف من هذا الكتاب فى تدريس النصوص الأدبية وكتب المطالعة

قاموس الصحافة العربية المصرية

للاساتذة موسى بريل ود . نويشتاط وف . شوسر

(طبع بمطبعة لجنة الجامعة العبرية للنشر بالقدس . صفحاته ١٩٢)

هذا العمل العلمى قائم على الاحصاء فهو لذلك طريف وفيه وثبة علمية جديرة بالتسجيل فقد بدأ المؤلفون باحصاء عدد المرات التى تتكرر فيها الكلمات . ثم رتبوها حسب درجة تكررها فوضعوا فى رأس القائمة الكلمة التى تتردد أكثر من جميع الكلمات ، فالكلمة التى تتردد أقل منها ، وهكذا الى الكلمة الأخيرة

« والغاية التى توخيناها من وضع هذا القاموس تنظيم لائحة بالكلمات الأساسية التي تؤلف مع مكرراتها من ٩٠ الى ٩٥ فى المائة من مجموع الكلمات التى تتردد عادة فى الصحافة العربية اليومية . والهدف الذى نرمي اليه هو مساعدة المعلمين ومؤلفى كتب التدريس على انتخاب أكثر الكلمات ترددا ليجعلوا طلابهم على اتصال دائم بالكلمات الحية التى يصادفونها حين اقدامهم على مطالعة الجرائد اليومية ، وبالتالى ليجعلوهم قادرين على قراءتها وفهمها »

بين الهلال وقرائه

من تراجم القرآن الكريم

ارسل الينا الاستاذ عبد الله بشارة الشدياق المقيم فى مدينة ما اتس Mahatis بجمهورية كولومبيا الامريكية رسالة كريمة يقول فيها :

« قرات فى هلال يناير الاخير احصاء عن تراجم القرآن الكريم الى مختلف لغات العالم فأحصى الكاتب منها ٩٥ ترجمة . لكن عندى ترجمة اخرى تعد الترجمة السادسة والتسعين وهى ترجمة هرننديس كاتاه « Hernandez Cata » الاسبانية نقلا عن ترجمة سفرى « Savary » الفرنسية . وقد صدرت بمقدمة فى السيرة النبوية وحياة العرب قبل الاسلام . وطبعت فى باريس أكثر من مرة بعناية المكتبة المعروفة باسم « جرنيه اخوان » « Garnier Hermanos » وقد ظهرت الطبعة الاولى من هذه الترجمة فى سنة ١٨٨٣

و « الهلال » يشكر الاستاذ المفضال رسالته الكريمة ويسجل ملحوظته القيمة شاكرا مقدرا

الريخ الثالث

(الاسكندرية ــ مصر) محمد محمد صادق

لماذا يطلق على المانيا النازية اسم « الريخ الثالث »

(الهلال) ابتكر هذا الاسم زعماء النازية وكتابها لاطلاقه على المانيا الحديثة . فقد كانت الامبراطورية الجرمانية القديمة يطلق عليها اسم « الريخ الاول » اى « الامبراطورية الاولى » . ثم اطلق اسم « الريخ الثانى » او « الامبراطورية الثانية » على امبراطورية هوهنزلرن التى قامت فى سنة ١٨٧١ وقضى عليها فى سنة ١٩١٨ ، فلما جاء النازى يسعى الى انشاء امبراطورية المانية جديدة اتخذ لها اسم « الريخ الثالث » . هذا والنازيون ينكرون الفترة التى انقضت بين معاهدة فرساى سنة ١٩١٩ وبين توليهم الحكم فى سنة ١٩٣٣ ، وكان اول من ابتكر هذا الاسم الجديد هو الكاتب الاشتراكى الوطنى « مويلر فان دن برك » فى كتابه « الريخ الثالث » الذى وضعه فى سنة ١٩٢٤

ما معنى كلمة « النازى »

(الاسكندرية ــ مصر) ومنه

ما معنى كلمة « النازى » باللغة الالمانية

(الهلال) كلمة « نازى » مشتقة من الكلمة الالمانية التى تقابل « وطنية » فى العربية . وكانت تقترن دائما بكلمة اخرى هى « سوزى » التى اشتقت من كلمة « اشتراكية » باللغة الالمانية . فكانت « نازى سوزى » تعبيرا مختصرا عن الاشتراكية الوطنية « Naztional-Sozialist » وقد اهملت الكلمة الثانية تيسيرا لنطق هذه الكلمة فى الاحاديث والهتافات وظلت بمفردها تعبر عن الاشتراكية الوطنية برغم انها مشتقة من كلمة « وطنية » وجدها هذا وقد اتخذها هتلر علما على حركته

مقلدا بها الحزب الالمانى الاشتراكى الذى كان يطلق على نفسه كلمة « سوزى » وكان فى ابان حركة هتلر اقوى الاحزاب الالمانية

جوهر لال نهرو

(القاهرة — مصر) يوسف عبد الجواد الصنديقى

ذكرتم فى عدد مضى من « الهلال » ان الزعيم الهندى جوهر لال نهرو يعد من اقدر كتاب اللغة الانجليزية ، وان عبارته فيها تسمو الى مرتبة اسلوب الادباء الانجليز البارزين . فهل لكم ان تدلونا على بعض مؤلفاته ؟

(الهلال) جوهر لال نهرو ليس زعيما قوميا فحسب ، بل هو مفكر عالمي معروف وهو من اشد اعداء الاستعمار الاوربى والنظام الديكتاتورى ، ومن اكبر انصار النظام الشيوعى فى صورته الاولى التى تخيلها ماركس واراد ان يحققها لينين . اما هذه الشيوعية الدموية التى يقيمها ستالين على دعائم الجلد والمظالم فلا تلقى تأييده كما انها تقابل من كبار المفكرين الاشتراكيين امثال ويلز وشو وزولان بالنقد والامتهان

وقد وضع نهرو مؤلفات كثيرة باللغة الانجليزية اهمها كتاباه (١) لمحات فى تاريخ العالم Glimpses of World History و (٢) روسيا السوفياتية Soviet Russia

أعمار زعماء العالم

(دمشق — سورية) قارئ

ما هى اعمار هؤلاء السياسيين تشمبرلن وتشرشل . وايدين . ودلاديه . وروزفلت وهتلر . وموسوليني . وستالين

(الهلال) ولد تشمبرلن فى سنة ١٨٦٩ وتشرشل فى سنة ١٨٧٤ وايدين فى سنة ١٨٩٧ ،ودلاديه فى سنة ١٨٨٤ وروزفلت فى سنة ١٨٨٢ وهتلر فى سنة ١٨٨٩ وموسولينى فى سنة ١٨٨٣ وستالين سنة ١٨٧٩

الامير عمر طوسون

(ابو قرقاص — مصر) محمد كامل مرسى

ما هو نسب سمو الامير عمر طوسون ؟

(الهلال) الامير عمر طوسون بن الامير محمد طوسون بن الخديو محمد سعيد باشا الذى تولى عرش مصر من سنة ١٨٥٤ — ١٨٦٢ ، والخديو سعيد هو ابن محمد على باشا الكبير رأس الاسرة المالكة

أكبر مكتبة وأكبر جامعة

(الحصن — شرق الاردن) ما هى اكبر مكتبة واكبر جامعة فى العالم ؟

(الهلال) اكبر مكتبة هى مكتبة المتحف البريطانى فى لندن . اذ ينص قانونها على ان توجد بها نسخة على الاقل من كل كتاب يصدر باللغة الانجليزية . كما انها لا تقصر فى شراء كل كتاب يصدر بأية لغة من اللغات الحية . وتليها المكتبة الاهلية فى باريس وهى من مفاخر الحضارة الفرنسية الممتازة . اما اكبر جامعة فى العالم فهى الجامعة الازهرية فى الشرق وجامعة كولومبيا الامريكية فى الغرب فعدد طلابها زهاء اربعين الف طالب

الامتيازات الاجنبية فى الشرق

(اوبونكي — نيوزيلندة) انطون شلفون

ما هى الدول الشرقية التى ما زالت

تعانى من نظام الامتيازات الاجنبية ، وما هي الدول التى تخلصت من هذا النظام ؟

(الهلال) نشأت الامتيازات الاجنبية فى الشرق الاسلامى منذ اقدم العصور ، حين منحها هارون الرشيد فى اثناء القرن التاسع للفرنجة تيسيرا للصلات التجارية بين الشرقيين والغربيين . ثم سرى هذا النظام فى ارجاء الشرق الادنى حين اخذ سلاطينه وامراؤه وعلى الاخص صلاح الدين الايوبى والسلطان سليم الثانى يمنحونها بسخاء لمدن ايطاليا وفرنسا التجارية . فلما جاء عصر الاستعمار الاوربى اتسع نطاق هذا النظام القضائى فى ارجاء الشرق وامتد الى ايران والصين . وقد ظلت معظم الدول الشرقية خاضعة لهذا النظام ، الذى مكن اقدام الاجانب واعفاهم من اكثر الضرائب والمكوس . الى ان بدأت هذه الدول تنهض فى اعقاب الحرب الكبرى الاولى فاخذت تتخلص منها . كما ان هذه الحرب قضت على الامتيازات التى كانت للدول المهزومة فى هذه الحرب وهى المانيا والنمسا وتركيا

وكانت اولى الدول فى القضاء على الامتيازات الاجنبية فى بلادها هى تركيا فى سنة ١٩٢٢ وتلتها ايران . ثم مصر فى سنة ١٩٣٦

وما زالت تخضع لهذا النظام المناطق الاجنبية فى الصين ، وفى منطقة طنجة والمنطقتين الفرنسية والاسبانية فى مراكش على ان هذا النظام لا يوافق روح النهضة السارية فى ارجاء الشرق لما يفرضه للاجنبى على الوطنى من حقوق غير شرعية ، ولهذا فان مصيره الى الزوال

الزواج الباكر

(مسقط - الجزيرة العربية) ميرزا احمد جعفر حسن كادوا

هل زواج الرجل قبل سن الحادية والعشرين يؤذى صحته ؟

(الهلال) اذا كان جسم الشاب ناميا فتيا فلا بأس عليه من ان يتزوج فى سن باكرة . فمتى انتهى الشاب من سن المراهقة وهو فيما بين الرابعة عشرة والسابعة عشرة غالبا . فان جسمه يتهيأ للزواج . على شرط ان يكون له من ارادته ما يمنعه من التفريط فى صحته

ونذكر ان احدى الكاتبات الاوربيات طالبت المجتمع والحكومة بأن يهيأ للشباب ان يتزوج فى سن الثامنة عشرة أو العشرين بتقصير مدة التعليم وتمكين الشاب ان يكسب حياته باكرا ، لانه كلما تأخر المرء عن الزواج تعود عادات سيئة قد تكون وبالا عليه فى حياته الزوجية . وكلما تقدمت به السن قلت فرصة استمتاعه الصحيح بالزواج اذ لا تعود قرينته زوجة تبادله الهناءة بل ممرضة تعنى بجسمه المريض المتهافت .

الالماس الاسود

(القاهرة - مصر) ابراهيم يوسف الافندى

هل يوجد نوع من الالماس اسود اللون ؟

(الهلال) نعم ، يوجد نوع من الالماس فى لون الفحم او فى لون الرماد . ولكنه الماس غير نقى رغم انه يشع لمعة خافتة خابية . وهو ضئيل القيمة وقلما يتخذ فى الزينة

فهرس الهلال

الجزء التاسع من المجلد التاسع والأربعين

هرون الرشيد

تاريخه فى سطور

* هرون الملقب بالرشيد بن محمد المهدى بن عبد الله المنصور . ولد بمدينة « الرى » بطبرستان فى آخر ذى الحجة سنة ١٤٥ هـ وقيل فى أول المحرم سنة ١٤٩ هـ . وأمه تدعى « الخيزران » وهى أم ولد يمانية

* بويع بالخلافة يوم الجمعة ١٢ ربيع الأول سنة ١٧٠ هـ فى صبيحة الليلة التى مات فيها أخوه الخليفة الهادى بمدينة السلام

* استوزر الرشيد سنة مبايعته بالخلافة يحيى بن خالد البرمكى ودفع اليه بخاتمه قائلا : « قد قلدتك أمر الرعية ، فاحكم فيها بما ترى ، واعزل من رأيت ، واستعمل من رأيت »

* فى سنة ١٧٥ هـ عقد الرشيد لابنه محمد بن زوجته زبيدة بولايته العهد من بعده ، ولقبه « الأمين » وعمره وقتئذ خمس سنوات

* فى سنة ١٧٦ هـ خرج عليه يحيى بن عبد الله بالديلم ، فأرسل اليه الفضل بن يحيى فى خمسين ألفا ، وأعاد الأمن الى نصابه

* أخمد الرشيد عدة فتن فى الجزيرة ودمشق فى سنتى ١٧٧ و١٧٨ هـ

* عزل الرشيد منصور بن زيد عن خراسان سنة ١٧٩ وأقام مقامه على بن عيسى . وسار جعفر بن يحيى البرمكى فى جيش كبير الى الشام ، فأطفأ الفتن

* فى سنة ١٨٢ بايع الرشيد لابنه « عبد الله » بولاية العهد بعد محمد الأمين ، وولاه خراسان ، ولقبه « المأمون »

* بايع لابنه القاسم بولاية العهد بعد المأمون ولقبه « المؤتمن » وولاه على الجزيرة والثغور

* فى سنة ١٨٧ كانت نكبة البرامكة الشهيرة

* خرج لمحاربة رافع بن الليث بخراسان فى جيش كبير من « الرقة » سنة ١٩٢ هـ وقد بدأ مرضه

* وصل الى طوس سنة ١٩٣ ومات بها يوم السبت لأربع خلون من جمادى الآخرة

* كانت ولايته ٢٣ سنة وشهرين و١٨ يوما . وقيل ٢٣ سنة و٦ أشهر ، وكان عمره سبعا وأربعين سنة وخمسة أشهر وخمسة أيام ، وقيل أربعا وأربعين سنة وأربعة أشهر

الحياة الفكرية
فى عهد هرون الرشيد

بقلم الاستاذ عباس محمود العقاد

عهد الرشيد هو العهد الذى انتقل فيه المسلمون من حضارة عربية محضة الى حضارة شعوبية أو عالمية على قدر مايتصل بالمسلمين من أمم العالم المعمور فى تلك الايام

تتأثر الحياة الفكرية بأحوال المعيشة كما تتأثر بالعلوم والدراسات والتواليف وما اليها . وربما كانت الاحوال المعيشية أعم أثراً فى تحويل الافكار والخواطر النفسية من دراسة الكتب ومذاكرة العلوم . لأن الدراسة مقصورة على الخاصة قلما تتجاوزهم الى الدهماء وسائر البيئات . أما أحوال المعيشة فتشمل كل طبقة وكل بيئة ممن يدرسون ويفكرون أو ممن يتلقون الافكار بالتلقين والايحاء

فالرجل الذى يعيش فى حاضرة يرى فيها الناس من كل جنس ويشهد فيها اختلاف الازياء والعادات من أبناء وطنه وأبناء الاوطان الاخرى ، ويتعود أن يجول باله لمختلف المظاهر والشارات ومختلف العقائد والآداب ، قد يبلغ من تفتح الذهن مرتبة لا يبلغها الرجل الذى يفوقه علماً ودراسة ولكنه محصور فى بيئة ضيقة لا تعرف غير عاداتها ولا تألف غير أنماطها ومشاربها ولا تنظر الى الدنيا إلا من ناحية واحدة قلما تتبدل على توالى السنين

وقد كانت أحوال المعيشة ظاهرة الاثر فى الحياة الفكرية على عهد الرشيد ، تمهيداً لعهد ابنه المأمون الذى كانت له حياة فكرية قوامها الدرس والترجمة والبحث على نحو جديد

فخلاصة ما يقال فى عهد الرشيد أنه هو العهد الذى انتقل فيه المسلمون من حضارة عربية

محفة الى حضارة شعوبية أو عالمية على قدر ما يتصل بالمسلمين من أمم العالم المعمور فى تلك الايام

وجاء هذا الانتقال من جراء أحوال المعيشة كما قدمنا قبل أن يجىء من الدراسات الحديثة والثقافات الاجنبية

فوجد المسلمون أنفسهم فى دولة ينتظم فيها أو يحيط بها أجيال من الفرس والترك والروم والفرنجة وأهل الهند والصين ، وكان قيام الدولة الاموية بالاندلس باعثاً الى عناية المسلمين بأوربا وعناية أوربا بالمسلمين . فأصبح انحصار التفكير العربى فى الحدود العربية من أصعب الامور ، وانفسح أفق النظر بالمراس والمشاهدة والتجربة قبل انفساحه بترجمة الفلسفة واستيعاب كتب اليونان والفرس و « الاعاجم » على الاجمال

وساعد على توسيع النطاق العربى أن العباسيين اعتمدوا على الفرس والموالى فى بلوغ ما بلغوه من السلطان ، فحسن لديهم أن يجعلوا الاسرة الاسلامية مقدمة على الاسرة العربية ، ورحبوا بالتبديل الجديد ترحيب الراغب فيه المطمئن اليه

أما الحياة الفكرية يومئذ من حيث الدرس والاطلاع فقد كانت أشبه شىء بالتاجر الذى يجمع ثروته الخالصة قبل أن يساهم بها مع غيره من الشركاء

فكانت الحياة الدراسية الى عهد الرشيد مقصورة على تحصيل المعارف العربية حيث وجدت فى عالم الدين أو فى عالم الادب أو فى عالم اللغة ، الا ما ندر من المترجمات والمنقولات

فمعظم الباحثين والمفكرين الى ذلك العهد كانوا من فقهاء الدين أو مؤرخى الغزوات أو جامعى القصائد والروايات أو مصححى اللغة وقواعد النحو والصرف والاشتقاق . كأنهم كانوا يسجلون حساب الثروة العربية قبل أن يختلط بغيره من حساب الثروات التى أوشكت أن تشاركها فى مجال الثقافة والتفكير

وينبغى أن نذكر أن العباسيين ولا سيما فى صدر دولتهم كانوا يعتزون بقرابتهم من النبى عليه السلام ويجعلون هذه القرابة شفيعاً لهم وبرهاناً على حقهم فى الخلافة دون الامويين الذين غصبوهم ذلك الحق بعد الخلفاء الراشدين

فهم على رغبتهم فى تشجيع الشعوب وتوسيع الحضارة لا يستطيعون أن ينسوا التراث

العربى نسبة واحدة ولا أن يعودوا الناس الاستخفاف به والاعراض عنه كل الاعراض . فحرصوا على ذلك التراث فى الادب والدين على السواء ، ولم يترخصوا فى القدوة العربية حتى مع الشعراء الماضين الذين كانوا يتحللون من كل قيد و يجترئون على كل قدوة . وحسبك من ذلك قول أبى نواس وكان نزاعاً الى الابتداع فى مطالع القصائد خلافاً للشعراء السابقين :

أعر شعرك الاطلال والمنزل القفرا فقد طالما أزرى به نعتك الخمرا
دعانى الى نعت الطلول مسلط تضيقُ ذراعى أن أرد له أمرا
فسمعاً أمير المؤمنين وطاعة وان كنت قد جشمتنى مركباً وعرا

وهذا مثل لما كان يرتضيه الرشيد من الحياة الفكرية عند ما تصل الى التعبير المقروء ، وان كانت أحوال معيشتهم قد خطت وراء ذلك خطوات

ولعلنا لا نجد مثالا للحياة الفكرية فى عهد الرشيد أصدق من مثال الرشيد نفسه فيما كان يتعلمه وما كان يتخلق به ويجرى عليه من سنن المعيشة

فقد كان أديباً متفقهاً معنياً بأخبار العرب قائماً بالفرائض الدينية موقراً لشعائر الصلاة والحج خاصة أيما توقير ، وكان يبيح اللهو ولكنه لا يشهد مجالسه مع اللاهين ، و يميل الى الفكاهة ولكنه لا يقبل من ندمائه أن يتجاوزوا بها حدودها فيما يمس الفرائض والعبادات

كان أبو مريم المدنى من ندمائه الأثيرين عنده ، وكان يسكنه قصره ويخلطه بحاشيته ويقبل منه ما لا يقبله من سائر جلسائه . فقام الى الصلاة يوماً وقد طلع الفجر فألفاه نائماً فكشف اللحاف عنه وقال له : « كيف أصبحت ؟ » قال أبو مريم : « يا هذا أنا ما أصبحت بعد ! اذهب الى عملك ... » وتأهب الرشيد للصلاة فجاء غلامه فقال : « أمير المؤمنين قد تأهب للصلاة » وألح الغلام فى إيقاظ القديم ، فقام ومضى نحو الرشيد فاذا هو يقرأ « وما لى لا أعبد الذى فطرنى » . . . فقال ابو مريم : لا أدرى والله ! فلم يتمالك الرشيد أن ضحك فى صلاته ثم التفت الى نديمه كالمغضب قائلا : « يا ابن أبى مريم فى الصلاة أيضاً ! » قال : « يا هذا وما صنعت ؟ » قال : « قطعت علىّ صلاتى » ، قال : « والله ما فعلت ، انما سمعت منك كلاماً غمنى حين سألت : ومالى لا أعبد الذى فطرنى فقلت لا أدرى والله » فعاود ضحكه وقال : « إياك والقرآن والدين . ولك ما شئت بعدهما »

فهذا الخليفة السمح الذى كان يجلس للمنادمة والسماع بل يلم بما استطاع الالمام به من أصوله وموازينه كان مع هذا لا ينسى أن يدعو ندماءه الى الصلاة فى أوانها ، وأن يذكرهم واجب التوقير للقرآن والدين . ثم يتعرضوا لما شاءوا بالفكاهة والمزاح

ومما لا جدال فيه أنه لم يبلغ من العلم والفلسفة مبلغ ابنه المأمون ، ولكنهما مع هذا كانا مثلين متكافئين للثقافة الاسلامية قبل الانتقال و بعد الانتقال

فالرشيد كان خير مثل للثقافة العربية الخالصة ، والمأمون كان خير مثل للثقافة العربية التى امتزجت بثقافات الامم الاسلامية وغير الاسلامية ، وكلاهما فرد لا نظير له فى مناقبه بين بنى العباس ومن سبقهم أو تلاهم من خلفاء الدول العربية فى المشرق

وقد عجب كثير من المؤرخين لماذا أوتى الرشيد دون غيره ذلك الحظ الوافر من «الشهرة الشعبية» فى المشرق والمغرب و بين قراء التاريخ ومن لا يقرأون صفحة واحدة من الكتب التاريخية

فهرون الرشيد علم على سلطان الدولة الاسلامية حيثما سمع بها السامعون وتحدث بها المتحدثون ، وهو فى هذا المعنى من طراز رمسيس فى الدولة المصرية القديمة ، ومن طراز لويس الرابع عشر فى دولة فرنسا الحديثة ، فكلاهما قد أصبح نموذجاً للملك على ألسنة الخاصة والعامة بغير استقصاء أو توسع كبير فى مراجعة التاريخ

والرشيد لم يكن أوسع الخلفاء ملكا ولا أوفرهم متعة ولا أقدرهم فى جميع المناقب والمزايا. ولكنه ظفر بهذه الشهرة « الشعبية » لأسباب متعددة يرجع بعضها للحق و بعضها للمصادفة كما يغلب على كل شهرة شعبية قديمة أو حديثة

فهو أول من استقر له الملك من أبناء بيته بعد أسلافه الذين كانوا مشغولين بالتوطيد والتمكين

وهو أول من اجتمع فى بلاطه الأدباء والشعراء والقصاصون والندماء بعد أن كانوا متفرقين أو غادين رائحين

وهو الخليفة الذى طال ملكه واتسع الأمد فى المشارق والمغارب لترداد ذكره ، إذ كان غيره لا يلبثون أن يذكروا حتى يبادرهم الخلع أو يطويهم الموت

وهو الى جانب ذلك كله « شخصية » مفهومة بين جميع الطبقات ، لانها على كبرها شخصية مستوية ليس فيها تعمق ولا غرابة : فابنه المأمون يحتاج الى ذهن فيلسوف ليفهمه ويفقه ما يعنيه ، وأسلافه الاقوياء كانوا « عقدة » سيكولوجية للدارسين والمحللين : أما الرشيد فلم يكن فيه جانب معضل ولا جانب غامض ولا جانب متفرد بالتخصص والندرة التى تفهمها طائفة دون طائفة من الناس

واتفق له من العنصر « الروائى » فى حياته ما لم يتفق لكثير من سابقيه ولاحقيه . فلو شاء كاتب قصاص أن يستخرج عشر روايات تدور بطولتها كلها على حياة هرون الرشيد لوجد الذخيرة الكافية فى تلك الحياة الحافلة بأسرار القصص ونقائض الايام وحوافز الشعور

وربما كان هذا هو العنصر الاهم من عناصر الشهرة الشعبية كما نرى فى أقاصيص ألف ليلة وليلة . فان اسم هرون الرشيد فى هذه الاقاصيص هو أشيع الاسماء بين جميع الخلفاء والامراء

وسيبقى اسم هرون الرشيد كما كان من قبل عنواناً للحياة الفكرية التى انتهت فى عصره الى أوجها الاعلى ، وخلاصتها أنها حياة فكرية أخذت فى الاتساع والاتصال بالامم من طريق أحوال المعيشة قبل أن تأخذ فى ذلك من طريق الدرس والاطلاع على ثقافات الامم الاجنبية ، وانها فى ميدان الدرس والاطلاع كانت الغاية التى ارتقى اليها الفكر العربى قبل مشاركة الشعوب القديمة والحديثة فيما كان لها من علم وبحث وتفكير

عباس محمود العقاد



الرشيد

كزعيم من زعماء الحضارة الاسلامية

بقلم الدكتور منصور فهمى بك

مدير دار الكتب المصرية

الرشيد يجيد فى الجد ، ويجيد فى الهزل . والحضارة
جماع بين خير ما فى جد الحياة وما فى هزلها

الحضارة ظاهرة من ظواهر الحياة البشرية وصورة من صور التاريخ الاجتماعى . وكل حضارة تتألف من عدة عناصر منها المعنوى القريب من عالم العاطفة والادب ، ومنها المادى القريب من عالم الظاهر والمحسوس

وقد ارتكزت منذ القدم حضارة الاسلام على دعائم من شئون الدين ، أو دعائم من الدنيا واتصلت بأسباب تصلها بوحى السماء كما اتصلت بأسباب تربطها بأمور هذا العيش وتوثقها بمختلف مظاهره

وانه حين يتوافر لشخص من ذوى السلطان والنفوذ فى تاريخ الاسلام ما يعين ذلك الشخص على تقوية العناصر التى تتكون منها الحضارة ، سواء أكانت تلك العناصر معنوية أم حسية ، وحين يتاح له أن يوائم بين أجزائها ويؤلف بين نتائجها ، حق لذلك الشخص أن يكون زعيما

وهنا يتساءل الباحث : أكان الرشيد من هؤلاء الذين خدموا المسلمين فى شئون دينهم وفى شئون دنياهم ، ومكنوا للمسلمين شئون معنوياتهم وشئون محسوساتهم ، وهل كان الرشيد من هؤلاء الافذاذ الذين نشطوا فى تاريخ الاسلام حياة الروح وحياة المادة والحس وأذكوا شعلتها فى الامم التى كان فيها حاكما نافذ الامر مهيبا ؟

وعلى الباحث عند هذا السؤال أن يرجع الى التاريخ والاساطير ليتصفح جملة ما فيها مما له مدلوله ومغزاه . وفى التاريخ وبين الاساطير تبدو صورة للرشيد ألوانها من المتناقضات

فبينا يجد الباحث ما يدل على الورع والاغراق والزهادة ، قد يجد ما يدل على محيط اللذات وفلسفة المسرات والنعيم

وبينا نجد حول اسم الرشيد ما يصور الحلم والرقة والتسامح ، قد نجد حول اسمه ما يصور القسوة والغلظة والانتقام

وبينا نجد ما ينبيء عن التوسع في السلطان والتوثق من القوة والنفوذ ، نجد ما يذكرنا بصور الثورات وزلزال القلق والاضطراب

وبينا يجد المؤرخ ما يشعر بالحرص على الحياة والرغبة في مغانمها ومنعماتها ، قد نجد كذلك حول اسم الرشيد ما يشعر بالشجاعة في لقاء الموت في رباطة جأش وصدق ايمان

وبينا يستمتع المؤرخ والباحث فيتنسم من خمائل الادب الراقي والخلق الفاضل في عصر الرشيد ، اذ بالمؤرخ تهب عليه من ريح الادب الخليع والحياة الماجنة . وهكذا كانت معاني التناقض تتصل باسم الرشيد وعصر الرشيد وبيئة الرشيد

وهل الحضارة الا مظهر للنفس البشرية بما فيها من قوة وضعف ، وتقوى وفجور ، وعزة للعقل فيما يعلم وذلة فيما يجهل ؟ وهل الحضارة الا مجموعة من مظاهر الوجود فيها آلامه وآماله ونقمه ونعمه ؟

يذكر بعض المؤرخين كالفخري ان الرشيد كان يحج سنة ويغزو سنة . فحجه في سنة دليل على الدين ، وغزوه في أخرى أمارة على حرصه على الدنيا والسلطان . وقد يصور بعض المؤرخين الرشيد ضاحكا لاعبا طروبا ممعنا في اللهو والمرح ، ثم ينقلب هذا الفرح وهذا الطرب الى ضراعة وخشية واستغفار

ففي الفخري عن الاصمعي ان الرشيد صنع طعاما وزخرف مجالسه وأحضر أبا العتاهية ، وقال له صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا ، فقال أبو العتاهية :

عش ما بدا لك سالما في ظل شاهقة القصور

فقال الرشيد أحسنت . ثم ماذا ؟ فقال :

يسعى عليك بما اشتهيت لدى الرواح أو البكور

فقال حسن . ثم ماذا ؟ فقال :

فاذا النفوس تقعقعت في ظل حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقنا ما كنت الا في غرور

فبكى الرشيد ، فقال الفضل بن يحيى : بعث اليك أمير المؤمنين لتسره فحزنته . فقال الرشيد : « دعه ، فانه رآنا في عمى ، فكره أن يزيدنا منه »

ويذكر بعض المؤرخين ان الرشيد قد يمعن في الاناقة ويحرص على معاني الابهة في اسراف فيستقبل رسل شارلمان جالسا على سرير من الابريز مرصع بالجواهر فوق سدة في صدر المجلس منصوبة بين اسطوانتين من أساطين الايوان مجللتين بالوشي المنسوج بالذهب ، وما الى ذلك مما حول السدة ووراءها من مظاهر العظمة والجبروت ، وما الى ذلك من متممات اللباس الموحي لمظاهر الكبرياء اذ بذلك الرشيد المحفوف بمظاهر العظمة تراه متضائلا متواضعا في حضرة العلماء ، وفي ذلك المعنى قال أبو معاوية الضرير : « أكلت مع الرشيد يوما فصب على يدي الماء رجل ، فقال لي : يا أبا معاوية أتدري من

صب الماء على يدك ؟ فقلت : لا يا أمير المؤمنين • قال : أنا ، فقلت يا أمير المؤمنين أنت تفعل هذا اجلالا للعلم • قال : نعم »

وفي التاريخ ما ينم عن معاني الحقد والبطش حول اسم الرشيد ، وكذلك عن معاني التسامح واللين والكرم ، فذكر بعض المؤرخين انه حرم على الشعراء رثاء البرامكة فاجتاز بعض الحرس بعض الخرابات فوجد انسانا واقفا وفي يده رقعة فيها شعر يتضمن رثاءهم وهو ينشده ويبكي ، فأخذ الحارس بالرجل وأتى به الى الرشيد ، وقص عليه الواقعة • ولما سأل الرشيد الرجل عن ذلك واعترف الرجل بما فعل ، قال له : « أماسمعت تحريمي لرثائهم ؟ » فقال الرجل : «يا أمير المؤمنين ، ان أذنت لي في حكاية حالي حكيتها،ثم بعد ذلك أنت ورأيك» قال : «قل»•فقال الرجل : «كنت من أصغر كتاب يحيى بن خالد وارقهم حالا•فقال لي أريد أن تضيفني في دارك يوما•فقلت : يا مولانا أنا دون ذلك ، وداري لاتصلح لهذا : قال : لابد من ذلك ، قلت فان كان لابد فأمهلني مدة حتى أصلح شأني ومنزلي ، ثم بعد ذلك انت ورأيك ، قال : كم أمهلك ؟ قلت : سنة•قال:كثير•قلت: شهور•قال : نعم ، فمضيت وشرعت في اصلاح المنزل وتهيئة أسباب الدعوة•فلما تهيأت الاسباب أعلمت الوزير بذلك ، فقال : نحن غدا عندك ، فمضيت وتهيأت في الطعام والشراب وما يحتاج اليه•فحضر الوزير في غده ومعه ابناه جعفر والفضل وعدة يسيرة من خواص أتباعه ، فنزل عن دابته : وقال يا فلان اني جائع فعجل لي بشيء••فقال لي الفضل ابنه : «الوزير يحب الفراريج المشوية فعجل منها ما حضر،فدخلت وأحضرت منها شيئا ، فأكل الوزير ، ثم قام يتمشى ، وقال : يا فلان فرجنا في دارك »

فقلت : يا مولانا هذه هي داري ليس لي غيرها،قال : بلى لك غيرها،قلت : والله ما أملك سواها•فقال : هاتوا بناء ، فلما حضر قال له افتح في هذ الحائط بابا ، فمضى ليفتح،فقلت يا مولانا كيف يجوز أن يفتح باب الى بيوت الجيران والله أوصى بحفظ الجار ؟ فقال : لابأس في ذلك•ثم فتح الباب•فقام الوزير وابناه فدخلوا فيه وأنا معهم ، فخرجوا منه الى بستان حسن كثير الاشجار والماء يتدفق فيه وبه من المقاعد والمساكن ما يروق كل ناظر ، وفيه من الآلات والفرش والخدم والجواري كل جميل بديع ، فقال : هذا المنزل وجميع ما فيه لك » فقبلت يده ودعوت له •فقال لابنه جعفر : يا بني ، هذا منزل وعيال فالمادة من أين تكون له ؟ فقال جعفر : قد أعطيته الضيعة الفلانية بما فيها وسأكتب بذلك كتابا • فالتفت الى الفضل ، وقال له : يا بني فمن الآن الى أن يدخل دخل هذه الضيعة ماالذي ينفق؟فقال الفضل : على عشرة آلاف دينار أحملها اليه•فقال : فعجلا له ما قلتما•فكتب لي جعفر الضيعة وحمل الفضل الى المال فأثريت وارتفعت حالي وكسبت بعد ذلك معه مالا طائلا أنا أتقلب فيه الى اليوم ، فوالله يا أمير المؤمنين ما أجد فرصة أتمكن من الثناء عليهم والدعاء لهم الا انتهزتها مكافأة لهم على احسانهم ، ولن أقدر على مكافأتهم ، فان كنت قاتلي على ذلك فافعل•فرق الرشيد لذلك وأطلقه وأذن لجميع الناس في رثائهم

ولا يكاد المؤرخون يحيطون الرشيد بما يفيد معانى التسامح حتى يحيطون اسمه بما يفيد معانى القسوة والغضب والانتقام حين أتى اليه وهو فى مرض الموت بشر أخى رافع بن الليث أسيرا والرشيد (بطوس)•فقال وهو على فراشه : انا لله وانا اليه راجعون•ونظر الى أخى رافع وقال : أما والله يا ابن اللخخاء انى لارجو ألا يفوتنى خامل(بريد رافعا) كما لم تفتنى•فقال له : يا أمير المؤمنين ، قد كنت لك حربا وقد أظفرك الله بى،فافعل مايحب الله أكن لك سلما ، ولعل الله أن يلين لك قلب رافع اذا انك قد مننت على•فغضب وقال : «والله لو لم يبق من أجلى الا أن أحرك شفتى بكلمة لقلت اقتلوه» ثم دعا بقصاب فقال : «لاتشحذ مداك اتركها على حالها وفض هذا الفاسق ابن الفاسق ، وعجل لا يحضرنى أجلى وعضوان من أعضائه فى جسمه••ففصله حتى جعله «أشلاء» فقال : عد أعضاءه •• فاذا هى أربعة عشر عضوا••فرفع الرشيد يديه الى السماء فقال اللهم كما مكنتنى من ثارك وعدوك ، فبلغت فيه رضاك ، فمكنى من أخيه••ثم أغمى عليه وتفرق من حضر

***

ولا أريد أن أستطرد فى القول فأذكر ما قيل حول الرشيد وفى غزوات الرشيد ومظهر قوة الاسلام فى الدولة البيزنطية حين سار قواد الرشيد الى أرض الروم وبجانبهم النصر فى قبرص وهرقلة وغيرها ، وحسبى أن أذكر ما ذكر فى ذلك عن أبى العتاهية حين قال:

ألا نادت هرقلة بالخراب ... من الملك الموفق بالصواب
غدا هرون يرعد بالمنايا ... ويبرق بالمذكرة القضاب
ورايات يحل النصر فيها ... تمر كأنها قطع السحاب
أمير المؤمنين ظفرت فاسلم ... وأبشر بالغنيمة والاياب

ولا أريد أن أستطرد كذلك فى عمران بغداد فى أيام الرشيد ، وكيف انها كانت مقصد الطلاب للعلم من جميع البلاد الاسلامية يقصد اليها لمن أظلتهم سماءها فى عطف الرشيد وتشجيعه من المحدثين واللغويين والفقهاء والادباء والعلماء والثقات الذين طالما أفادوا فى نقل أساليب التفكير الاغريقى والفارسى

ولا أريد أن أستطرد الى ما بلغ اليه فن الموسيقى أو فن العمارة أو فن الترف فىعهد الرشيد ، ففى كتاب الاغانى وفى غيره من الكتب ما يفيد فى هذا المعنى وما يدل علىماكان للرشيد من أياد فى تغذية هذه الفنون

على انى أجمل القول وأصف الرشيد كما أجمع عليه المؤرخون حين ذهبوا الى انه كان فصيحا وعالما وكريما وتقيا وشجاعا ، وخشنا فى الخشونة ، ومترفا عند الترف ، والزعيم الحق من قويت نواحى نفسه فى شتى الصفات

وكان الرشيد يجيد فى الجد ويجيد فىالهزل،والحضارة جماع بين خير ما فى جدالحياة وما فى هزلها ومتاعها ، وكذلك كان زعيما فى حضارة الاسلام

منصور فهمى

جبار بني العباس

ليس بالمستهتر الماجن

بقلم الاستاذ محمد كرد على

وزير معارف سورية الأسبق

« كانت دولة الرشيد من أحسن الدول وأكثرها وقاراً ورونقـــاً وخيراً وأوسعها رقعة مملكة . جبي الرشيد معظم الدنيا ، وكان أحد عماله صاحب مصر »

ابن الطقطقى

كان الرشيد من أفضل خلفاء بنى العباس خلقاً وخلقاً ، وعلماً وأدباً ، وفصاحة ورجاحة أخذ العلم والادب عن شيوخ مشهورين . وتمت ثقافته وهو يتمرس بالسياسة والادارة . تولى وهو لما يزل يافعاً الولايات الجليلة والقيادات الصعبة ، فوفق ونصر ، لما فطر عليه من الحزم ، وبعد النظر ، والمعرفة بما تنطوى عليه نفوس الناس وما يصلحها ويشقيها

تولى الشام والفتن يتدلع لهيبها فقضى عليها على أكمل وجه وأعاد اليها الطمأنينة والأمن ، وغزا الروم وهو ولى العهد أيضاً ، فوصل الى أسكدار (١) من ضواحي القسطنطينية وتغلغل فى بلادهم ، وأمعن فى كشف قواتهم ، وغامض أسرارهم ، فلما وسدت اليه الخلافة عاد فغزاهم وأخذ منهم هرقلية ، فاضطر ملكهم أن يبعث اليه بالجزية عن رعيته ، وعن رأسه ورأس ولده وبطارقته ، واشترط عليه أن لا يعمر هرقلية ، وأن يكون الحمل فى السنة ثلاثمائة ألف دينار . وأكد المؤرخون أنه لم يكن فى عمله هذا ظالماً للروم ، بل كان صاحبهم نقفور هو الظالم لنفسه ولقومه ، لنقضه العهد الذى كان أعطاه ، فجازاه الرشيد على عمله

ولما أشجى الرشيد الروم وقمعهم سمى « جبار بنى العباس » ، وكان من أكبر همه أن لا يدع الروم يتنفسون الصعداء ، وأغزى ابنه القاسم بلاد الروم مرة ، فقتل منهم خمسين ألفاً ، وأخذ خمسة آلاف دابة بسروج الفضة ولجمها ، وأقام من الصناعة أى من عمل السفن الحربية ما لم يقم مثله قبله ، وقسم الاموال فى الثغور والسواحل ، واختزل (٢) الثغور (٣) من الجزيرة وقنسرين وسماها العواصم . وكان جيشه بتدريبه وترتيبه أقوى جيش عهد للعباسيين ، وهو تحت الطلب أبداً

---

(١) الاسلام والحضارة العربية تأليف محمد كرد على (٢) معجم ما استعجم للبكرى (٣) الثغر كل موضع قريب من أرض العدو ومنه ثغر الشام وجمعه ثغور . ومن مدن الثغور بياس والاسكندرونة والمصيصة (سيس اليوم) وأذنه (أطنة عند الترك الآن) وطرسوس

فالرشيد الذى كان هذا بعض هداه : يدير ملكا طوله بضعة أشهر وعرضه كذلك ، ويدير أمة عظيمة مختلفة العناصر واللغات ، متنوعة المذاهب والغايات ، وينظر فى كل شىء بنفسه من أمور الملك - يستحيل أن يكون كما صورته كتب المحاضرات والمجون ، وكتب المنحرفين عن أهل السنة والجماعة ، وكانوا منذ أول أيامهم ، ولا أرب لهم إلا نزع الملك من بنى العباس وبنى أمية ، وما رضوا حتى عن الراشدين ولا عن غيرهم

كيف صوروا الرشيد ؟

وكيف صوروه ونالوا منه ؟ صوروه مستهتراً ماجناً ، وسلبوه فضائله وخصائصه . صوروه شريباً خميراً لا يصحو ليله ونهاره ، وزير نساء عابثا لاهيا لا تهمه دنياه ولا آخرته ، والله يعلم أنه الخليفة المظلوم . وما كان الرشيد بالخليفة المتزمت على مثال انسان القرن الاول والثانى . كان يأخذ من الحياتين ما لا يعبث بأصل من أصول الشرع ، ويأبى رخص الدين وعزائمه ، كان متديناً ممدنا فى آن واحد

كان يحب المرح ، ومرحه لا تبذل فيه ، وما كان فى شىء من المحرم ولا من المنكر . وكيف ، لعمر الحق ، بلغت بهم السلاطة أن يصموا عظيما كبذا بما وصموه به ؟ وكان كما أجمع مدونو سيرته يغزو سنة ويحج أخرى ، ويصلى كل يوم مائة ركعة ، ويتصدق من صلب ماله كل يوم بألف درهم بعد زكاته ، واذا حج حج معه مائة من الفقهاء وأبنائهم . فاذا لم يحج أحج ثلاثمائة رجل بالنفقة السابغة والكسوة الفاخرة (١)

واذا كان الرشيد يلهو ويطرب فى الأحايين ، وقد يجتمع الى المسمعات والمسمعين ، والعازفين والضاربين ، فليس معنى ذلك أن هذا كان دأبه وأنه يفعل المحرمات ولا يبالى . لا جرم انه كان مجتهداً ، وان رأيه فى الطرب غير رأى المتعصبين والناسكين فى عصره ، وقد شهد له بالتقوى جمهور العلماء الذين كانوا يختلفون الى مجالسه ، ويرقبون سيرته عن أمم ، وما كان هؤلاء الأئمة ممن يصانع عن دينه ويشهد الزور حسبة وهم المأمونون الثقات أعجبوا به حياً وميتاً ، وشهادة واحد منهم تعدل ألف شهادة صدرت عن الفساق والمجان ، وما أحسن ما قاله فيه ابو المعالى الكلابى :

فمن يطلب لقاءك أو يرده ... فبالحرمين أو أقصى الثغور
ففى أرض العدو على طمر ... وفى أرض البنية (٢) فوق كور
وما جاز الثغور سواك خلق ... من المستخلفين على الامور

(١) الكامل لابن الاثير
(٢) البنية كغنية : الكعبة ، والطمر كفلز : الفرس الجداء

ليس الرشيد بالرجل الذى صوروه مع أبى نواس الشاعر ! وما كان أبو نواس هـذا كما صوروه أيضاً به من الفحش والدعارة ! الرشيد كان رقيق العاطفة نبيلا فى حبه ، ولا تقدح فى عدالته أبيات ثلاثة عزيت اليه وهى :

ملك الثلاث الغانيات عنانى   وحللن من قلبى بكل مكان
مالى تطاوعنى البرية كلها   وأطيعهن وهن فى عصيانى
ما ذاك إلا أن سلطان الهوى   وبه قوين أعز من سلطانى

والحب الشريف كان منذ الأزل مثال كمال النفس وجمال المذهب ، ان من حاولوا تشويه سيرة الرشيد واستحلوا بالتقول عليه الخروج عن منطق الاشياء ، قد وضعوا أيضاً فى خيرة رجال بنى أمية أخباراً أوهى من خيوط العناكب ، وما الحيلة فيمن سولت لهم أنفسهم أن يضعوا الأخبار الكاذبة على الرسول ، ويعزوا اليه ما هو ظاهر البطلان ، تأييداً لدعوتهم ، والسياسة ما زالت تسود الابيض وتبيض الأسود

هذه الطائفة من الناس هى التى كانت تتخذ من كل ما يأتيه الخليفة العباسى لصيانة ملكه من الزوال ذريعة الى النيل منه ، تفسره بغير ما يريد به ، وتحمله على غير محمله على نحو ما كان منهم يوم قتل بنى برمك لأنهم كانوا يأتمرون عليه وعلى سلطانه ، فقال أعداؤه انه قتلهم لأن أحدهم تزوج العباسة أخته على صورة لم تعجبه ، والمعقول أن يقتل من لم ترضه فعلته لا أن يقتل أسرة بأسرها ، ولم ينج من سيفه وبطشه إلا واحد فقط لم يدخل فيما دخل فيه أهله

قد يستجيز بعض أرباب الدول الكذب على الخصم السياسى ، ولكن الكذب على هذه الصورة محرم فى نظر كل دين وعقل

شهرة الرشيد فى الغرب

حاز الرشيد فى الغرب شهرة دونها كل شهرة كتبت لملك من ملوك العرب ، ولا سيما بعد أن نقلت قصة الف ليلة وليلة الى اللغات الاوربية . ومعلوم أن ذكره ورد فى هذه القصة مثالا على سعة العيش ، ونضرة الحياة ، وانبساط العمران فى بغداد ، فكان من ذلك أن اشتهر اسم الرشيد بما فى تلك القصة من الغرائب المدهشة ، والمبالغات الشرقية ، النابية عن طور العقل ، البعيدة إلا عن خيال واضعيها . وغريب ألا تخلده أعماله العظيمة بين قومه وغير قومه ، كما خلدته تحريفات وتقولات ! ما اشتهر من طريق السياسة والادارة ، ولا عرف ببلاغته وسعة علمه . ولا بكرمه وجميل عاطفته ، بل أحاطت به المهازل والملاهى ، والنعيم والزهو !

وبدأت شهرته فى الغرب منذ بعث وفداً (١) الى شارلمان ملك فرنسا وجرمانيا وايطاليا ،

(١) تاريخ غزوات العرب للامير شكيب أرسلان

يريد تقوية صلاته السياسية بأعظم ملوك عصره ، ليستعين به على الأخذ بخناق دولة الأندلس العربية ، فينال من بنى أمية كما ناله منهم جده المنصور ، ثم ظهر عجزه عن القضاء على دولتهم . ولكن ملوك الافرنج يومئذ كانوا من الضعف بحيث ما استطاعوا على ما يظهر أن ينفذوا خطط الرشيد ، ويبيدوا مملكة قوية فتية

هذه الاخبار أغفلها مؤرخو العرب ، لأنها كانت بالطبع تجرى تحت ستار التكتم الشديد ، الا أن بعض مؤرخى الغرب أشاروا اليها فى كتاباتهم

هل بدأ مع الرشيد انحطاط الدولة العباسية

هذه هى النقاط البارزة فى حياة الرشيد

بقيت هناك مسألة أهم من كل هذه فى نظر من يؤرخ للسياسيين ويترجم لهم . ونعنى بها ما ادعاه صديقنا العلامة سترستين (١) من أن الرشيد كان مبدأ انحطاط دولة بنى العباس ، على حين عرفنا معرفة لا مجال للشك فيها أن عصر الرشيد وابنه المأمون كان أرقى عصور بنى العباس ، ومن أسعدها على الناس ، دعاه المؤرخون من الافرنج بالعصر الذهبى . ولعل السيد سترستين استنتج ذلك من كون الرشيد عهد لابراهيم بن الأغلب بامارة أفريقية أى تونس مقابل أربعين الف دينار كل سنة ، ويتنزل عن المعونة التى كان سلفه يأخذها من مال مصر ، وقدرها مائة الف دينار ، وأن تجعل الامارة وراثية تتناقل فى أعقاب ذلك الامير

وبهذا أصبحت أفريقية مستقلة فى داخليتها ، مرتبطة بالخلافة العباسية فى أمورها الخطيرة فقط ، لا تتعدى صلتها بالحضرة حد الاستشارة ، وانسلخت بهذه الطريقة ممالك كان بعضها يخضع بالاسم للعباسيين

وكل من أمعن فى تحليل هذه القضية . أى منح الرشيد استقلالا اداريا على قاعدة اللامركزية لابن الاغلب ، ليكون حاجزاً بينه وبين أكبر أعداء دولته خليفة الأندلس الأموى ، يدرك أن القصد من ذلك أن يتفرغ الخليفة من مسائل أفريقية الى مشاكله العظيمة فى الشرق . على أن ادارة العباسيين ومن قبلهم الأمويون والراشدون لم تكن فى لحمتها وسداها الا اللامركزية

ومحال أن تدار مثل هذه الممالك العظيمة بغير هذا الاسلوب لتنائى الأقطار ، ولأن أهل كل بلد يحرصون على الأغلب أن تصرف أموالهم فى أرضهم ، وأن تكون أقضيتهم واختلافاتهم سريعة التنفيذ ، والحاضر أبداً يرى مالا يراه الغائب

ولو لم يكن الاغالبة على شىء من الاستقلال الذاتى ما تيسر لهم أن يقاتلوا الأباضية الخوارج

---

(١) معلمة الاسلام . مادة هرون الرشيد بقلم سترستين Encyclopédie de l'Islam (Art. Harun Al-Rashid par Zettersteen).

أصحاب الدولة الرسمية باهريت فى الجزائر ، ولا أن يقفوا بالمرصاد لبنى ادريس بن عبد الله الظاهر ملكهم يومئذ فى طنجة من بلاد المغرب الاقصى ولا أن يفتحوا صقلية ومالطة وجزائر البحر الا أن يعمروا ما فتحوا عمرانا لا يقل عن عمران الامويين فى أرض الاندلس

وعلل العلامة فازليف (١) عمل الرشيد بمنح هذا الاستقلال النسبي تعليلا جميلا قال : إنه لما انتدب أعظم قواده هرثمة بن أعين لاعادة الأمن الى نصابه فى افريقية نصب ابراهيم بن الأغلب أميراً عليها ، فرأى هذا بعد عودة هرثمة ان الاضطرابات عادت الى سابق حالها ، فكتب الى الخليفة يقول إنه يرضى بأداء خراج معين على أن تكون البلاد طعمة له ، وإقطاعا لأخلافه من بعده ، وإذ كان الرشيد مشغول البال بقتال الخزر وباطفاء نار ثورة عظيمة فى بلاد فارس ، قبل هذا الاقتراح مضطراً

هذا ما قاله . وليس من الحكمة فى شيء أن يحارب الخليفة عدة حروب داخلية فى آن واحد ، ولا أن يوزع قواه فى إخضاع شعوب فى القاصية ، إن سهل عليه أمرهم لا يسهل على أعقابه ، وقد كان رأى أمير المؤمنين عمر بن العزيز الأموى أن يجلى المسلمين من الاندلس ويكتفى بما فتح الله على العرب من بلاد الشرق ، ويحل مشاكله مع دولة الروم ، ليصرف وكده فى عمران مملكة عظيمة . وهذا ما أدركه الرشيد على ما يظهر بالعمل ، ورام انقاذ ملكه من تبعاته فى المستقبل

قال ابن الطقطقى : « كانت دولة الرشيد من أحسن الدول وأكثرها وقاراً ورونقا وخيراً واوسعها رقعة مملكة : جبى الرشيد معظم الدنيا ، وكان أحد عماله صاحب مصر » وقال غيره ان الناس سموا ايامه ايام العروس لنضارتها وكثرة خيرها وخصبها ، وانه خلف من المال « ما لم يخلف أحد مثله منذ كانت الدنيا » . . خلف من الاثاث والعين والورق والجوهر والدواب سوى الضياع والعقار ما قيمته مائة ألف ألف وخمسة وعشرون ألف ألف دينار ، هذا مع أنه لم ير خليفة قبله اعطى منه للمال ، وكان لا يضيع عنده احسان محسن ، ولا يؤخر ذلك ، الى ما ضارع ذلك من الصفات الطيبة

خلفاء بنى العباس فى العمران ثمانية وثلاثون خليفة ، لم يعرف لواحد منهم قبر سوى قبرى الرشيد وابنه المأمون . وقبر جبار بنى العباس كان فى طوس ، وقبر عالم بنى العباس كان فى طرسوس . وما أعز هذه السنين على قلوب العارفين

(دمشق) **محمد كرد على**

---

(١) بيزنطية والعرب ودولة عمورية لفازليف (Vasilev : Byzance et les Arabes. La dynastie d'Amorium.)

العلاقات السياسية والودية

بين هرون الرشيد وشارلمان

بقلم الاستاذ عبد الحميد العبادى

أستاذ التاريخ الاسلامى بكلية الآداب

رجلا العالم فى اخريات القرن الثامن والقرن التاسع ـ كيف حدثت السفارة بينهما ـ اختلاف المؤرخين فى علاقات الرشيد بشارلمان ـ الاعتبار الشرعى الاسلامى لهذه العلاقات

ليس من شك فى ان هرون الرشيد وشارل الكبير هما رجلا العالم فى أخريات القرن الثامن الميلادى وبداية القرن التاسع . فالرشيد يمثل الشرق بمدنيته المزدهرة أيامئذ وعظمته التى بلغت أوجها ، وشارل الكبير ، أو شرلمان كما درج المؤرخون على تسميته ، يمثل الغرب الآخذ اذ ذاك فى الاستقرار على أثر نزوح القبائل الجرمانية من مجالاتها فى أوربا الوسطى الى أملاك الدولة الرومانية الغربية ، والآخذ بتلك الاسباب التى جعلت منه فى النهاية باعث دول أوربا الوسطى والغربية الحديثة بأوضاعها السياسية والاجتماعية والثقافية المعروفة

وليس من شك فى ان كلا العاهلين العظيمين قد سمع بالآخر على أقل تقدير . فقد كانت بغداد منتجع السياح والتجار الوافدين اليها من مختلف أقطار الارض ، وكان لا يخلو الامر من أن يجرى على لسان هؤلاء الوافدين فى أسواقها وأنديتها وبلاطها ذكر العاهل الفرنجى الكبير . وكانت مدينة آخن هى كذلك مقصد السياح والتجار واللاجئين السياسيين الواردين من الشرق ومن قسطنطينية ورومية والاندلس فكان لايخلو الامر من أن يتحدث هؤلاء وهم بعاصمة الدولة الفرنجية عن الحروب الناشبة بين بيزنطة والعباسيين وعن أخبار الامويين المتغلبين على الجزيرة الاسبانية . وعن النصر المؤزر الذى أحرزه الرشيد على الجيوش البيزنطية فى هضاب آسيا الصغرى وأوديتها وسهولها

كل ذلك كان من شأنه أن ينقل الى كلا العاهلين عن الآخر صورة مبهمة غامضة ، ولكن هل كان الامر يا ترى مقصورا على مجرد السماع أم هل تعداه الى قيام علاقات سياسية أو ودية بينهما كما ينتظر أن تكون الحال بين رجلين توزع بينهما أمر المشرق والمغرب لعهدهما ؟

أما المصادر العربية فتسكت عن ذكر أية علاقة بين الرشيد وشرلمان سكوتا مطلقا ، في حين ان المصادر الفرنجية القديمة تشير صراحة الى اشتباك العلاقة السياسية والودية بينهما وتبدىء القول في ذلك وتعيده فتاريخ المملكة الفرنجية Annales Regni Francorum وسيرة الامبراطور شرلمان Vita Caroli Magni Imperatoris والمنظومة المعروفةبويتاساكسو Poeta Sao كلها تروى نبأ ثلاث سفارات وهدايا تبودلت بين شرلمان والرشيد ، وكان شرلمان هو البادىء في كل منها بالاستسفار ، ولم يزد الرشيد على أن يرد السفارة بسفارة وعلى الهدية بهدية مثلها

كيف حدثت السفارة بين الرشيد وشارلمان

وكانت السفارات طويلة الامد لبعد ما بين المشرق والمغرب وصعوبة الانتقال بينهما فى ذلك الزمان : فالسفارة الاولىاستغرقت ما بين عامى ٧٩٧ و ٨٠١ ، وذلك ان شرلمان بعث فيأواخر عام٧٩٧وفدا مؤلفا منسفيرين فرنجيين يقال لاحدهما سجسمندوللآخرلنشفرد ومعهما ترجمان يهودى يجيد العربية اسمه اسحق . وبعث شرلمان الى الرشيد على لسان الوفد يلتمس أمورا يغلب على الظن انها ثلاثة :

(١) أن يعهد الرشيد الى شرلمان بالقيام على المصالح العباسية فيما يغلب عليه شرلمان من أرض الاندلس ، وأن يشد شرلمان أزر الحزب القائم بالدعوة العباسية فى تلك البلاد التى اقتطعها بنو أمية عن ملك بنى العباس

(٢) أن ينعقد بين العاهلين حلف وتعاون من شأنه أن يطلق يد شرلمان فى ملك بنى أمية بالاندلس ويطلق يد الرشيد فى ملك الدولة البيزنطية بالمشرق

(٣) أن يسهل الرشيد لزوار بيت المقدس وحجاجه من الفرنجة وأتباع الكنيسة الكاثوليكية سبيل زيارته وحجه ، وأن يعفيهم من القيود والتكاليف التى وضعها الرشيد اذ ذاك على أهل الذمة ، وأن يحمى أولئك الزوار والحجاج من عدوان الكنيسة الارثوذكسية البيزنطية

وتقول المصادر الفرنجية المتقدمة الذكر ان الوفد عاد من بغداد يحمل موافقة الرشيد على ما طلب شرلمان ، وان سجسمند ولنشفرد توفيا أثناء العودة ، فعاد اليهودى وحده . على ان الرشيد لم يكتف بصرف وفد شرلمان مكرما بل رد على السفارة بسفارة مثلها ، فأوفد الى شرلمان سفيرين أحدهما ابراهيم بن الاغلب الذى صار اليه أمر افريقية ، وبعث معهما الى شرلمان بهدية تليق بمقام المهدى والمهدى اليه ، فيها أعطار وتحف شرقية نفيسة وفيها ساعة مائية دقاقة وفيل عظيم الخلق يكنى بأبى العباس . وتقول المصادر الفرنجية ان بطرك بيت المقدس أوفد فى نفس الوقت الى شرلمان راهبا يحمل اليه علما ومفتاح القبر المقدس ومفاتيح مدينة أورشليم نفسها ، واعتبرت المصادر ذلك بمنزلة نقل للسلطة على بيت المقدس وحمايته الى العاهل الفرنجى

أما السفارة الثانية فابتدأت عقب انتهاء السفارة الاولى ، فقد أوفد شرلمان الى الرشيد فى عام ٨٠٢ (١٨٦هـ) وفداً كان من بين أعضائه رجل اسمه راد برت ، ولا نعلم بالدقة الغرض من ايفاد هذا الوفد ولكنا نعلم ان راد برت المذكور توفى أثناء عودة الوفد الى مدينة آخن ، وان الوفد بلغ هذه العاصمة عام ٨٠٦ ، وان الرشيد قابل هذه السفارة بسفارة مثلها بأن أوفد رسولا تسميه المصادر عبد الله ووجه معه الى شرلمان بخلعة نفيسة من القصب وبخيمة فاخرة الصنع . ويقال ان الخلعة المذكورة هى التى أدرج فيها بعد جثمان القديس كوثبرت المدفون فى كاتدرائية درهام ، وانها لا تزال موجودة ، وانها قد طرزت عليها صور سمك وطيور شرقية كما طرزت على حاشيتها بالخط الكوفى الجميل عبارة « لا اله الا الله »

وتقول المصادر الفرنجية بسفارة ثالثة بعث بها شرلمان الى الرشيد فى عام ٨٠٧ ، ولكن الرشيد لم يعش حتى يرد عليها بسفارة من قبله فقد توفى بعد ذلك بعامين ، فتولى الرد عليها ابنه المأمون عندما استتب له أمر الخلافة وذلك حوالى عام ٨١٣

ولقد أحصى المؤرخ الروسى بارتولد ما تبقى حتى يومنا من التحف والهدايا التى وجه بها الرشيد الى صديقه شرلمان فاذا هى تشتمل على الاشياء الآتية : بوق من العاج محفوظ فى مدينة آخن ، سيف محفوظ بمدينة ويانة ، صينية من الذهب محلاة بقطع الزجاج المختلفة الالوان وعليها صورة لخسرو الاول مصنوعة من البلور . وهذه الصينية محفوظة فى دير سنت دنيس ، قطع من قطع شطرنج شرقى محفوظة فى الدير المذكور ، ابريق من الذهب محفوظ فى دير كنتون فلليس ، وثمان شوكات من التاج الشوكى الذى يقال انهم ألبسوه رأس السيد المسيح عند صلبه

اختلاف المؤرخين فى علاقة الرشيد بشارلمان

هذه خلاصة ما ترويه المصادر الفرنجية عن العلاقات السياسية والودية بين الرشيد وشرلمان . وقد اختلف المؤرخون الاوربيون المحدثون من اوائل القرن التاسع عشر حتى وقتنا هذا فى شأن هذه الرواية اختلافا شديدا ، فمن مصدق لها ومكذب . فبوكفيل وبارتولد اميل الى تكذيبها الا فى القليل مما أتت به . ورينو وبرهيه وبكلر يصدقونها وان اختلفوا فى تأويلها . ولكل من الفريقين حجج يدلى بها فى الدفاع عن رأيه . واهم ما يحتج به الفريق الاول سكوت المصادر العربية المطلق عن ذكر اى شىء يتصل بهذه العلاقات . ويذهب هذا الفريق الى ان الهدايا التى يقال ان الرشيد بعث بها الى شرلمان انما افتعلها اليهودى اسحق ، وان من المستحيل ان ينزل الرشيد عن شىء من حقوقه السياسية لشرلمان . واهم ما يحتج به الفريق الثانى انسجام الرواية المذكورة مع الاحوال الدولية العامة فى ختام القرن الثامن الميلادى وبداية القرن التاسع ، ويلاحظ بعضهم فى هذه العلاقة البداية التاريخية لعلاقة فرنسا بالشرق الادنى ، تلك العلاقة التى نمت وتطورت

حتى انتهت بالانتداب الفرنسي على سورية عقب الحرب الكبرى

ونحن على وجه العموم نرى رأى الفريق الثانى الذى يعتد بالرواية الفرنجية ، ونراها تؤرخ علاقة سياسية نشأت فعلا بين الدولتين العباسية والفرنجيــة • ولا عبرة لسكوت المصادر العربية ، فالمصادر العربية تكاد تهمل ذكر علاقات الدولة الاسلامية الخارجية اهمالا تاما • وليس يصح فى مقام التدليل التاريخى ان يرفض دليل ايجابى ممكن ومقبول عقلا من أجل دليل سلبى او ظنى • ثم ان سياق الحوادث العامة فى أواخر القرن الثامن يؤيد الرواية الفرنجية الى حد بعيد ويظهر الرواية العربية فى مظهر التقصير • فالمستعرض لحوادث الشرق والغرب لذلك العهد والمتتبع لعلاقة دولهما بعضها ببعض يرى ان الدولتين الاسلاميتين العباسية والاموية الاندلسية كانتا أبدا فى مكايدة وخصام مكتم ولكن تدل عليه أدلة كثيرة لا يتسع المقام لسردها • كما يلاحظ ان الدولتين النصرانيتين الكبيرتين البيزنطية والفرنجية ، كانتا تقفان بعضهما من بعض نفس الموقف الذى كانت تقفه الدولتان الاسلاميتان بعضهما من بعض • وكانت البابوية منحازة الى جانب الدولة الفرنجية، وذلك بسبب الخلاف المذهبى بين كنيستى القسطنطينية وورومية ، وبسبب الثورة التى بعثها أباطرة بيزنطة على عبادة الصور ، وسخط البابوات على هذه الثورة • ثم ان الحروب التى كانت تقع بين الدولتين العباسية والبيزنطية فى الشرق كان يقع ما يشبهها ويشاكلها فى الغرب بين الدولتين الاموية والفرنجية ، فطبيعى والحالة هذه ان يتم نوع تفاهم على أقل تقدير بين أمويى الاندلس وأباطرة بيزنطة ، وهو ما تصرح بحصوله المصادر العربية الاندلسية وبخاصة كتاب نفح الطيب للمقرى • وطبيعى كذلك ان يبعث هذا التفاهم تفاهما مثله على أقل تقدير بين ملوك الدولة الفرنجية وخلفاء الدولة العباسية ، وهو ما تصرح به المصادر الفرنجية التى سبق ذكرها • فقد ظهر اذن أن سكوت المصادر العربية عن أمر العلاقة بين شرلمان والرشيد لا ينهض دليلا على انتفاء هذه العلاقة

ثم ان الاحداث الدولية التى وقعت فى الشرق والغرب فى ختام القرن الثامن وبداية التاسع مما يؤيد الرواية الفرنجية • فقد حمل شرلمان من حيث هو « حليف » للرشيد على شمال شرقى الاندلس ، وانشأ الثغر الاسبانى على الحد الجنوبى الغربى لفرنسا ، واستبقى عليه عماله من المسلمين ، واستولى على برشلونه عام ٨٠٢ ، وأنشأ علاقات سياسية بنه وبين عمال الثغور الاسبانية مثل سرقسطة وغيرها • كل ذلك فى نفس الوقت الذى شدد فيه الرشيد الوطأة على ملك الدولة البيزنطية برا وبحرا ، وحمل نقفور على طلب الصلح والرضى بأداء الجزية وذلك عام ٨٠٤

الاعتبار الشرعى لهذه العلاقات

بقى أن نوضح للقارىء الاعتبار الشرعى او « التكييف القانونى » للعلاقة بين الرشيد وشرلمان ، وهو الامر الذى اشكل على بعض المؤرخين المحدثين مثل برهييه ففهم من نصوص

الرواية الفرنجية ان الرشيد قد نزل لشرلمان عن حقوقه على الاندلس وبيت المقدس • غير ان الكاتب الانجليزى بكلر قد وفق الى فهم الامر على حقيقته ، فقد أدرك ان الخلافة هى الولاية الكبرى فى الدولة الاسلامية ، وان ما سواها من الولايات متفرع عنها وتابع لها ، فمن حيث الولايات الاندلسية لم يزد الرشيد على ان جعل شرلمان « واليا » عليها من قبله • ولايعترض على ذلك بنصرانية شرلمان ، فقد جوز الفقهاء (كالماوردى فى الاحكام السلطانية) للخليفة اقرار امارة الغصب والاستيلاء ولو كان الغاصب غير مسلم نزولا على حكم الضرورة وبشرط ان يرعى الغاصب مصلحة من فى امرته من المسلمين • وامارة شرلمان على الولايات الاندلسية هى فى واقع الامر من قبيل امارة الغصب والاستيلاء المذكورة • أما مسألة بيت المقدس فالباحث الخبير بانظمة الدولة الاسلامية لا يرى فيها اكثر من ان الرشيد عهد الى شرلمان فى رعاية الشئون الدينية لهذا البلد بدلا من ولاة الامر البيزنطيين وهو أمر يتفق وما جرى عليه المسلمون منذ قامت الدولة الاسلامية حتى وقتنا هذا ، فقد جروا على أن يسندوا ادارة شئون أهل الذمة الدينية الى رجال من أهل الذمة انفسهم • واذن فلم يكن ثم نقل لسلطان الرشيد على بيت المقدس الى شرلمان ولا انشاء لحماية فرنجية على ذلك البلد تقلدها شرلمان • بل ان حقيقة الامر ان شرلمان قد وضع نفسه فى الحالين موضع تابع من اتباع الرشيد وعامل من عماله • وربما كانت الخلعة الفاخرة التى بعث بها الرشيد اليه هى الرمز المادى لتلك السيادة وذلك الخضوع

***

فاذا عرفنا ان العلاقة السياسية التى وصفناها قد استقرت حوالى عام ٨٠٠ ، وان البابا قد توج فى العام المذكور شرلمان امبراطورا على الدولة الرومانية الغربية ــ على ان يستمد منه العون المادى ــ وان الامبراطور نقفور البيزنطى قد رضى فى عام ٨٠٤ بحمل الجزية الى الرشيد ، فقد تبين لنا ان الرشيد لم يعد فى عام ٨٠٤ (١٨٨ هـ) خليفة المسلمين فحسب بل لقد اصبح من الوجهة النظرية على أقل تقدير السيد الاعلى للعالم المسيحى ، وتلك لعمر الحق منزلة لم ينلها ملك قبله ولا بعده على الاطلاق

وقد يكون طريفا ان نلاحظ ان العلاقة بين الرشيد وشرلمان قد نمت وازدهرت واثمرت فى اواخر القرن الثامن الميلادى ، فهى بذلك تتضمن ردا بليغا صادرا من اعماق الزمن على دعوى المدعين بأن الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا • الا لقد التقيا وتصافحا منذ اكثر من ألف عام على نحو قد يعجب له أبرع ساسة القرن العشرين

عبد الحميد العبادى

إيمان الرشيد

بقلم الاستاذ محمد احمد جاد المولى بك

المفتش الأول للغة العربية بوزارة المعارف

ان هرون الرشيد قد خالط الايمان قلبه واستولى على لبه ، فاصبح متمكنا من اعماله وتصرفاته ، يسالم من يشاء ، ويعادي من يشاء ، بقلب ثابت وجنان كالطود الراسخ ..

الايمان هو القاعدة التى تجرى عليها أمثلة ما يقوم فى النفس من الاغراض وما تعالجه الايدى من الاعمال ، وهو مهب الرياح التى تروح جذوة العزائم ، فتشب نارها ، وتذكى أوارها ، وهو مبعث النور الذى ترسل أشعته للمرء على مد الطريق ، فيسير على تبصرة وهدى ، لا ترده ظلمة ، ولا تؤيسه ضلة

ولو تخيلنا نفسا خالية من الايمان وسلطانه لتخيلنا عقلا مضطربا يدور حول محوره ، غير عارف له مطلعا يبتدىء منه ، ولا غاية ينتهى اليها ، ولتخيلنا أضغاثا من النزعات والهواجس تتسامى مرة وتتهافت أخرى . وماذا يعصم نفسا صغرت من الايمان أن ينعكس اتجاهها بين آن وآن ، وأن تتفاوت أهدافها اللحظة بعد اللحظة ، فالمساك الذى به يتحد المتجه ويتعين الهدف هو الايمان وانفساح القلب له ، فيكون ذلك عصمة من التضارب والحيران ، ثم يكون فوق ذلك معوانا على مواصلة الجهد والدأب حتى يسلس المطلب

الرشيد قد خالط الايمان قلبه

وان هرون الرشيد قد خالط الايمان قلبه واستولى على لبه ، فأصبح متمكنا من أعماله وتصرفاته يسالم من يشاء ، ويعادى من يشاء بقلب ثابت وجنان كالطود الراسخ ، ولذلك نستطيع بحق أن نقول : ان الرشيد أضخم الخلفاء المسلمين اسما وأبعدهم صيتا وأشدهم فى الخيال تأثيرا ، فأنت لا تستطيع أن تسمع اسم هرون الرشيد حتى يحدث فى نفسك صورا خيالية مختلفة النوع ، ولكنها متفقة فى القوة ، فهو ينشىء فى نفسك صورة الخليفة المترف المسرف فى الترف ، وينشىء فى نفسك حينا آخر صورة الخليفة القوى الذى بسط سلطان الخلافة على أطراف الارض ، ثم ينشىء فى نفسك صورة الخليفة العالم الاديب ، الفقيه بألوان العلم والدين والادب ، المشجع للفقهاء والعلماء والشعراء والكتاب تشجيعا أصبح فيه مثلا لمن جاء بعده ، وأخيرا ينشىء فى نفسك صورة الخليفة الورع

الزاهد البالغ أعلى المراتب نسكا وطاعة وتبتلا لله

وحسبنا فى هذه العجالة أن نذكر ما كان له من قوة ايمان وثبات يقين لا تزعزعه الحوادث ولا تفل من عزمه الكوارث : فقد اشتهر زمن الرشيد بخوارج أولى بأس شديد بعد أن كانت نيرانهم قد خبت مدة طويلة ، فخرج الصحصح الخارجى بالجزيرة (وأرسل اليه من أخمد ناره) ، وكان أشد الخوارج بأسا الوليد بن طريف التغلبى بالجزيرة ، دخل أرمينية وسار الى أذربيجان ثم عبر الى غرب دجلة ، فسير اليه الرشيد يزيد بن مزيد زائدة الشيبانى وما زال به حتى أخذ رأسه وقدمه الى الرشيد

ظهر الخوارج فى نواح كثيرة ولكن لم تقم لهم قائمة أمام حكمة الرشيد وقوة يقينه وشدة ايمانه ، فقد أذلهم وأزالهم

ولا ننس الفتن التى انتشرت بمصر والموصل وغيرهما ، وقد أمر الرشيد باخراج الطالبين من بغداد الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث كانوا شغل بنى العباس ، لانهم كانوا متطلعين الى نيل الخلافة كما كانت شيعتهم تتحين الفرصة لاقامة دولتهم : فقد ظهر منهم يحيى بن عبد الله بن الحسن بالديلم واشتدت جموعه ، وأتاه الناس من الامصار فندب اليه الرشيد الفضل بن يحيى بن خالد فما زال به الفضل الى أن قدم به الى بغداد وأمر الرشيد بحبسه فمات فى الحبس

ولننتقل الى من نقضوا العهد وكيف تمكن الايمان من قلبه انه لا بد قاهرهم وهازمهم : ففى سنة سبع وثمانين ومائة نقض ملك الروم الهدنة التى كانت بين المسلمين وبين الملكة (رينى) ملكة الروم ، فكتب الرشيد كتابا يقول فيه :

« أما بعد فان الملكة التى كانت قبلى أقامتك مقام الرخ ، وأقامت نفسها مقام البيدق فحملت اليك من أموالها أحمالا لضعف النساء وحمقهن ، فاذا قرأت كتابى فاردد ما حصل قبلك من أموالها ، والا فالسيف بينى وبينك »

فلما قرأ الرشيد كتابه كتب اليه :

« قرأت كتابك والجواب ما ترى لا ما تسمع » ، ولم يتزحزح حتى بلغ مراده منه

أما صولة البرامكة وبسط سلطانهم وقوة شوكتهم على جميع مرافق الدولة الزمن المديد والمدى البعيد وصبره على ذلك فانه دليل واضح وبرهان ساطع على قوة ايمانه وتمسكه بقوله تعالى : (ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى)

ذلك بأنه قد عظم فى نظر الناس مالهم من الآثار وبعد الصيت ، وكثر ما اختصوا به وعمروه من مراتب الدولة وخططها ، وما احتازوه عمن سواهم من وزارة وكتابة وقيادة وحجابة وسيف وقلم وأموال حتى اقتصرت عليهم الآمال وتخطت بهم من أقصى التخوم والممالك هدايا الملوك وتحف الامراء

كل هذا والرشيد صابر لا ضجر ، ذو يقين ثابت وايمان صادق ، الى أن وقعت لهم

النكبة المشهورة التى لهم فيها بمن قبلهم أسوة ولمن بعدهم عبرة : (ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أوألقى السمع وهو شهيد)

لهذا لم يكن من العجيب ان مؤرخى العرب يجمعون على أن الرشيد كان مع استمتاعه بمرافه الحياة ومناعمها ـ ورعا متعبدا متأثرا بالمواعظ

تعبد الرشيد وتصدقه

فأما تعبده فقد ذكر المؤرخون انه كان يصلى فى كل يوم مائة ركعة الى ان فارق الدنيا الا أن تعرض له علة • • وكان يتصدق من صلب ماله فى كل يوم بألف درهم بعد زكاته ، وكان اذا حج حج معه مائة من الفقهاء وأبنائهم ، واذا لم يحج أحج ثلثمائة بالنفقة السابغة والكسوة الباهرة ، وكان يميل الى أهل الفقه ، ويكره المراء فى الدين ويقول : هو شىء لا نتيجة له • وبالحرى لا ثواب فيه

وأما خشيته لله وأدبه فقد ذكر بعض أصحابه انه خرج معه يوما الى الصيد فعرض له رجل من النساك فقال : « يا هرون اتق الله » • ووعظه وأغلظ فى الموعظة • فقال الرشيد لاحد أتباعه : « خذ هذا الرجل اليك حتى أنصرف » • فلما رجع دعا بغدائه • ثم أمر ان يطعم الرجل من خاص طعامه • فلما أكل وشرب دعا به فقال :

ـ يا هذا أنصفنى فى المخاطبة والمساءلة

قال : ذلك أقل مما يجب لك

قال : فأخبرنى : أشر وأخبث أنا أم فرعون ؟

قال : بل فرعون الذى قال : أنا ربكم الاعلى

قال : صدقت • فأخبرنى ، فمن خير ، أنت أم موسى ابن عمران ؟

قال : موسى كليم الله وصفيه

قال : صدقت ، أفما تعلم انه لما بعثه الله وأخاه الى فرعون قال لهما : « فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى » ، هذا وهو فى عتوه وجبروته على ما قد علمت ، وأنت جئتنى وأنا بهذه الحالة التى تعلم : أؤدى أكثر فرائض الله على ، ولا أعبد أحدا سواه ، أقف عند أكبر حدوده وأمره ونهيه فوعظتنى بأغلظ الالفاظ وأشنعها وأخشن الكلام وأفظعه ، فلا بأدب الله تأدبت ولا بأخلاق الصالحين أخذت ، فما كان يؤمنك أن أسطو بك فاذا أنت قد عرضت نفسك لما كنت عنه غنيا ؟

قال الناسك : أخطأت يا أمير المؤمنين ، وأنا استغفرك

قال : قد غفر الله لك • وأمر له بعشرين ألف درهم • فأبى أن يأخذها وقال : « لاحاجة لى فى المال ، أنا رجل سائح » فقال هرثمة : « ترد على أمير المؤمنين يا جاهل صلته ! »

فقال الرشيد : « أمسك عنه » • ثم قال له : « لم نعطك هذا المال لحاجتك اليه ، ولكن من عادتنا الا يخاطب الخليفة أحد ليس من أوليائه ولا أعدائه الا وصله ومنحه ، فاقبل من